نجم المهتدي ورجم المعتدي

تأليف

الإمام الفقيه القاضي المتكلم المفرضي المحدث الأديب

فخر الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عثمان بن عمر ابن المعلم

(٦٦٠ - ٧٢٥هـ)

يُطبع أوّل مرّة وعلى نسخة فريدة بخطّ المؤلف

حققه وعلق عليه

بلال محمد حاتم السقا

الجزء الأول

دار التقوى
دمشق الشام

نجم المهتدي ورجم المعتدي
تأليف الإمام العلامة ابن المعلم
١
دار التقوى
دمشق الشام

نجم المهتدي ورجم المعتدي
تأليف الإمام العلامة ابن المعلم
٢
دار التقوى
دمشق الشام

نجم المهتدي ورجم المعتدي

تأليف

الإمام الفقيه القاضي المتكلم المقرئ المحدث الأديب

فخر الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عثمان بن عمر ابن المعلم

القرشي المصري الشافعي

(٦٦٠ - ٧٢٥ هـ)

يطبع أول مرة

وعلى نسختين مخطيتين إحداهما فريدة بخط المؤلف

حققه وعلق عليه

بلال محمد حاتم السقا

الجزء الأول

دار التقوى

دمشق الشام


نجم المهتدي
ورجم المعتدي


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب : نجم المهتدي ورجم المعتدي

المؤلف : محمد بن محمد بن عثمان بن عمر ابن المعلم

الطبعة الأولى : ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

الرقم الدولي : 978-9933-610-24-1



لايسمح بإعادة نشر هذا الكتاب او أي جزء منه ، وبأي شكل من الأشكال ، أو نسخه ، او حفظه في اي نظام إلكتروني او ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه ، وكذلك ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.



سورية - دمشق - حلبوني
هاتف : ٢٢١٥٤٦٤ ١١ ٩٦٣+ / ص . ب : ٣٠٧٢١
جوال : ٩٣٣٢٠٦٠٠٧ ٩٦٣+ / ٩٤١٩٤٤٣٨٧ ٩٦٣+
daraltaqwa.pu@gmail.com

بين يدي الكتاب

لك الحمدُ مولانا حمداً يوافي نعمَكَ ويكافئ مَزيدك ، حبِّبِ اللهمَّ إلينا الإيمان وزيِّنْهُ في قلوبنا ، وكرِّهْ إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين .

زِد حبيبَكَ ومصطفاك سيدَنا محمداً من زكيَّات صلواتك وتسليماتك ، وعُمَّ بها بفضلك آلَهُ الصفوة الكرام ، وأصحابه نجومَ سماء الإسلام ، وتابعيهم بإحسان إلىٰ يوم الدين .

وبعد :

فلعلَّ كثيرين سَيَرَون في نشر كتابنا « نجم المهتدي » تأييداً لحقيقةٍ تاريخية اجتمعت عليها كلمةُ أهل العلم ، وكشفاً لمغالطاتٍ هي اليومَ في فُشوٍّ عارم من قِبَلِ وسائل الإعلام التي لم يعدْ لها حدودٌ أو ضوابطُ رادعة ، وأنَّ تركَهُ مَنْسيّاً في بطون دور الكتب العتيقة التي أهلكتها العفونةُ والأَرَضة . . تقصيرٌ مهينٌ من قِبَل المؤتمنين علىٰ نشر كنوز العلم ؛ إذ نشرُهُ من الفروض التي لا تقبل تأخيراً .

بينما سنرىٰ آخرين يعتبون علينا في نشرِهِ في وقتٍ الأمةُ فيه تعيشُ قلاقلَ تجعلها تفكِّرُ في استثمارِ ما يجمع ، لا ما يفرِّق ، وأن بعثَهُ من رُقاده الذي ناف علىٰ سبع مئة عامٍ سيزيدُ خصومةَ فريقينِ لطالما استهلكَ جهودَهما الاشتغالُ ببعضهما ، ولن يكون وراءَ بعثه إلا تعميقٌ لنزاع عقديٍّ قديم دارَ بين الأصوليين والظاهريين .

وسيحلو لبعضِ المطَّاطيِّين الذين يدَّعون الوسطية والاعتدال ؛ فيرونَ أنَّ الحرب سِجال ؛ كتابٌ بكتابٍ والبادئ أظلم ، ولا يفُلُّ الحديدَ إلا الحديد ، وكلٌّ له فكرُهُ وطريقتُهُ في البحث ، فلا عتبَ علىٰ أحد .

كما أنَّ فِئاماً هم اليومَ وُرَّاثٌ لمنهج يهدمُهُ معولُ هٰذا الكتاب . . سيعدُّون نشرَ مثلِهِ جريمةً نكراء ، تحوكُها أيدي المكر والافتراء ، يُظلم فيها سلفُهم ، ويُساء بها لجماعتهم ، ولولا أن دائرةَ النشر والطباعة في فضفضةٍ لم تعد تُستوعب . . لتقرَّبوا إلى الله تعالىٰ بحرقه وإتلافه !!

وينسىٰ هٰؤلاء أو يتناسَوْن سيلَ المؤلفات والرسائل العلمية الجارفَ في دراسة فكر ابن تيمية رحمه الله تعالىٰ ، والذي ملؤوا به أروقة البحث ؛ حتىٰ إنهم ليرَوْن حقائقَ العلم ويحكمون عليها وجوداً وعدماً بما ذهب إليه الشيخ !! فأصبحت أمتُنا أضحوكةً في نظر غيرها ، وليست بعيدةً عنَّا مقالةُ كروية الأرض أو أنها ليست بكروية ، كما وجدوها في كتب ابن تيمية !!

وإنَّنا وإن شاركنا ذلك الكثيرَ الأوَّل فيما بُصِّرَ به . . نزيدُ إلىٰ ما ذهبوا إليه : أن كلمة العلم لا يمكنُ أن تُطمس ، وأن الفِرىٰ أنفاسُها قصيرة ، وأكثرُ من حدَّثناك عنهم هم ممَّن تتقاذفهم الأوهام ، وتحكم عليهم الرغائبُ والرهائب ؛ إذ كلُّنا يعلم أنَّهُ لم يعدْ للكتاب ذاك الدورُ القيادي المحوري في تغيير مسارِ الأمة أو التحكُّم بدفَّتها ، بل هو من أُخريات اهتماماتِ أكثرِ من يُرجىٰ خيرُهُ ، فضلاً عن العامَّة التي تجمعها صيحةُ ناعق وتُفرِّقها أخرىٰ ، فلا داعيَ لزَعَقاتٍ فارغة تُلبِّسُ علىٰ سيلِ البشرية الجاري مع مغناطيس الإعلام الجذَّاب ؛ بأنَّ كتاباً يهدمُ اليومَ أو يبني .

بل حسبُنا أنَّنا ننشرُ كتاباً ـ حسَبَ ما أحطنا به علماً ـ قد حامَتْ حولَهُ أقلامٌ جادَّةٌ لبعثه مُنتصِبَ القامة بعد طويل رُقاد ، فباءَتْ بالفشل ؛ وذاك لعِزَّة مخطوطاته ، ووعورة عباراته ، فلا يكادُ يجرؤُ علىٰ نشرِهِ إلا مَنْ له بالعلم طولُ باع ، وسَعةُ اطِّلاع ، وناهيك برقومِهِ التي كانت قراءتُها تصلُ بالناظر فيها إلى احتمالاتٍ كرمي الكِعاب ، متساويةِ التوقُّعات ، متباينة المعاني والنتائج ، يحارُ في ترجيحها صاحبُها وراقمُها لو عاد لها بعد طول فراق ، فكيف بنا وبضاعتُنا

مُزجاة ، وقد قرضَتِ القرونُ من العلم حتىٰ لم تُبقِ إلا فتاتاً نتقوَّتُ اليومَ منه ؟!

أما بشأن ما هدفَ له مؤلِّفُهُ الإمام ابن المُعلِّم القرشي : فما نخالُ أن مثلَ هـٰذا يخفىٰ علىٰ مطالع متابع ، وليس في نشر ما حوى الكتاب ؛ من علم وتأريخ ، وترجماتٍ ووثائقَ ، وأدبٍ وبلاغة ، وجدلٍ نزيهٍ وبرهان . . عيبٌ يُتَّقىٰ ، بل فيه أثارةُ علمٍ تُنتقىٰ .

وقبل سنينَ ليست ببعيدة قال القاضي الفقيهُ الأديب علامتُنا يوسف النبهاني : (التحكُّك بالبدعة يَزيدها اشتهاراً ، وذكرُها ولو للردِّ عليها يَزيدها انتشاراً)[1] .

وهو إلىٰ ذلك لمَّا رأىٰ أن بدعةَ التجسيم قد فشت ، والتهوُّك في أخطر مسائل الاعتقاد قد عمَّ وطمَّ ؛ كالحديث عن الحدِّ والحرف ، وتجويز الصفات في حق القديم ، وإدخال بعض الأبحاث الفقهية ـ كالتوسل والاستغاثة ـ في عُباب هـٰذا الباب . . بادر رحمه الله تعالىٰ لتدوين كُتُبٍ تبحث في هـٰذه المسائل ، وتبيِّنُ للسائل ما تعوَّص عليه من مسائل .

فلا عجبَ أن يدوِّنَ عصريُّ ابن تيمية رحمهما الله تعالىٰ كتاباً يشاركُ فيه أقلامَ أعلام أهل السنة في هدمِ بدعِ الاعتقاد التي أحيا رميمَها بفتاواه النَّزِقة ، والتي حاد فيها عن مستقيم نهج أهل السنة ، ولحق بها بالأهوازي وابن الهيصم وابن كرام ، ورام سوقَ الأمة تحت لوائه .

أمَّا عن مضمونِ ما في الكتاب ؛ من علمٍ وهداية ، وروايةٍ ودراية . . فلنترك الحديث عنه لمحقِّقه الفذِّ الذي خاضَ غمرته ، وعانىٰ عبارته ، وطاولَ بجهده يجمعُ بين مؤتلفين كالمفترقين ، وتارةً عند خلافٍ وطولِ فصلٍ وانقطاعٍ وزَبْرٍ يساوي بين الصدفين .

(١) انظر « شواهد الحق » (ص ٢٠٦) .

ولن يعرفَ فضلَ ما بُذلَ في سبكِهِ واستخراجه من مطويات ما نَسِيَ الزمن. . إلا مَنْ عاد إلىٰ مخطوطته الفردة الأصيلة[1] ، فصعِد حَزْنَها ونزلَ أوديتَها ، ثم راوح بين ما سيعرض له عند مطالعتها ، ثم نظر في مطبوعتنا هـٰذه التي سترفع عنه بعون الله وفضله بلبلةَ باله ، في إدباره وإقباله .

ومع طالعةِ العمل الذي قُطفت ثماره في الكتاب التعريفي بأهل السنة والجماعة ومنهجهم ؛ « تبيين كذب المفتري » ، والوقوفِ علىٰ عبارة العلامة الكوثري المشيرة والمشيدة بـ « نجم المهتدي » . . انعقدت النيّة لـ « دار التقوىٰ » لإخراجِهِ نصّاً متيناً ناصعاً كسلفه ، وجمْعِ ما بين شقيقينِ فرَّقت بينهما قلّةُ الإنصاف وضعفُ الهمّة ، بل هي أقدارُ الله الغالبة ، التي خبأت الكتابَ لهـٰذه الأيام ، وقد جعل الله لكلِّ شيء قدراً .

وحافظُ الدنيا ابن عساكر في « التبيين » كان قد هدم بدعَ السالمية التي حاول الأهوازيُّ نفخَ الروح في جَدَثها ، وها هو ذا الإمام ابن المعلِّم قد ثمَّرَ عمله ، وتابع مسيرته المحمودة مع ظهور من حاول من المُتسنِّنة الخلطَ بين عقائد أهل السنة بعقائد الكرامية والسالمية .

ونحن اليوم نُلبِّي نداء فخر العلماء والمحققين العلامة محمد زاهد الكوثري في إصدار هـٰذا الكتاب الذي نحسب أن الأيام لو تطاولت به لأبرزه غير ضنينٍ به ، وزركشه كعادته بتعليقاته الأثرية والعلمية النفيسة ، وعسىٰ أن تقرَّ عينه وأعين أهل السنة بإشراقته .

والله من وراء القصد، من قبل ومن بعد

الناشر

(١) إذ مخطوطته الثانية ـ كما نبَّهَ عليه المحقق ـ ما هي إلا صورة رام فيها ناسخها محاكاة رقوم النسخة الأم والنقل عنها .

ترجمة

الإمام المحدّث المتكلّم الأديب
فخر الدين أبي عبد الله ابن المعلّم
القرشي المغربي المصري الدمشقي الشافعي
رحمه الله تعالى [1]

اسمه ومولده

هو الإمام الفقيه القاضي العادل المُتكلِّم المُقرئ المُحدِّث الأديب : فخر الدين أبو عبد الله محمد بن محيي الدين محمد بن الفقيه العالم المُقرئ عماد الدين أبي عمرو عثمان بن الإمام الفقيه المقرئ الصالح الناسك جمال الدين أبي حفص عمر بن عبد الخالق بن حسن بن عبد الرحمٰن ، ابنُ المُعلِّم القرشي ، المغربيُّ الأصل ، المصري المولد والدار ، الدمشقي الوفاة ، الشافعي المذهب ، الأشعري العقيدة .

ولد الإمام ابن المُعلِّم : في الرابع والعشرين من شوَّال سنة ستين وست مئة من الهجرة ، وذهب تقي الدين المقريزي : إلى أنه ولد سنة اثنتين وستين وست مئة [2] .

(١) مصادر ترجمته : « معجم الشيوخ » للحافظ الذهبي (٢/ ٢٧٤) ، « أعيان العصر وأعوان النصر » (٥/ ١٨٣ـ١٨٤) ، « المقفى الكبير » (٧/ ٤١) ، « الدرر الكامنة » (٥/ ٤٦٣ـ٤٦٤) ، وترجمته في هذه المصادر ما تجاوزت الصفحة ، والمرجع الأساس في ترجمته : كتابُنا هذا من مواضع متفرقة .

(٢) انظر « المقفى الكبير » (٧/ ٤١) .

وأمَّا تلقيبه بـ (ابن المُعلِّم) : فجاء من جدِّ أبيه جمال الدين أبي حفص عمر ؛ إذ كان مُؤدِّباً يُعلِّم أولاد الأكابر والرؤساء بمكتبه بمصر بالفندق المقابل لدرب ابن القسطلاني المجاور لحمَّام ابن سليم بزقاق القناديل ، **ثم اشتهر جميع أولاده بهـٰذا اللقب**[1] .

نبذة عن أسرته

تُعتبر أسرة إمامنا المُترجَم : من الأُسر العريقة المشهورة بالعلم والصلاح وقراءة القرآن ، وقد انتقلت هـٰذه الأسرة من المغرب فسكنت واستقرَّت في مصر قبل سنة (٥٧٥هـ) .

فجدُّ أبيه جمال الدين (ت٦٣٣هـ) : كان فقيهاً مُقرئاً صالحاً ناسكاً ، **قرأ القرآن بالروايات السبع** : على إمام عصره في القراءات أبي القاسم بن فِيرُّه الشاطبي ، **وتفقَّه** : على الإمام أبي البركات ابن ثعلب والإمام أبي المنصور ظافر بن الحسين الأَزْدي وأقرانهما ، **وعلَّق** : عن التقي المُقترَح تعاليقَ ، وكان يدري النحو دراية جيدة ، ووقف المُؤلِّف على مسائلَ في النحو والأصول علَّقها بخطه ، انتقلت إليه إرثاً عن أخي جدِّه عبدِ العظيم .

وكان له خطٌّ جيِّد صحيح ، **وطريقة في الكتابة تُعرف به** ، وكتب الكثير في أنواع العلوم .

ولم يزل مواظباً على الاشتغال بالعلوم ، مستغرقَ الأوقات في التلاوة والتعليق والكتابة . . إلى حين وفاته .

وهو المُعلِّم الذي اشتَهر به أولاده كما ذكرت سابقاً ، وهو من جملة أئمة الأشاعرة الذين ترجم لهم المؤلف في كتابنا هـٰذا[2] .

(١) انظر (١/ ٥٩٩ـ ٦٠٠) .

(٢) انظر (١/ ٥٩٩ـ ٦٠٠) .

وجدُّه عماد الدين (ت٦٥٥هـ) : كان فقيهاً مقرئاً ؛ تفقَّه : على الإمام الفقيه الصالح الخطيب أبي الطاهر المحلي وعلىٰ أقرانه ، وقرأ القرآن : علىٰ والده جمال الدين ، وقرأ بالسبع جمعاً وإفراداً : على المقرئ جمال الدين أبي الفضل زيادة بن عمران بن زيادة أحد المُتصدِّرين بمصر ، وأجازه بالقراءة والإقراء .

وكان عماد الدين دفترخوانَ الإمامِ أبي الطاهر المحلي[1] ؛ إذ كان ملازماً له ؛ يقرأ بين يديه دروسه ، ويطالع له ، ويقرأ له القرآن وهو يسمع .

وحكىٰ محيي الدين والد المؤلف : أن جدَّه جمال الدين كان يكتب للصغار « عقيدة المهدي » ، وكانوا يحفظونها مع القرآن ، فلمَّا كبروا ألزمهم والده عماد الدين عثمان حفظَ « عقيدة الغزالي » ، وكان يُلقِّنهم : (قل : أنا شافعيُّ المذهب ، أشعريُّ الاعتقاد) ، قال محيي الدين : (ولم أكن أعلم ما معنىٰ « أشعري الاعتقاد » حتىٰ كبرت وسألت عنه)[2] .

وهو من أئمَّة الأشاعرة الذين ترجم لهم ابن المُعلِّم في كتابنا هـٰذا[3] .

وأما والد المؤلف محيي الدين : فكان رفيق علم الدين القِمَّني على الشيخ كمال الدين المقرئ ، ولم يذكر له المؤلف ترجمة مُستقلَّة ، ولـٰكنَّه نقل عنه حكاياتٍ نادرةً[4] ، ونستنتج من هـٰذا النقل : أنه كان من أهل العلم والصلاح والفضل .

وأسرة والدته أسرة علمية فاضلة ، ومن شيوخها : القطب العارف أبو زكريا يحيى بن يَلِيمان بن هادي السبتي (ت٦٥٥هـ) ، كان هـٰذا العارف جامعاً بين

(١) الدفترخوان : هو الذي يقرأ الدفاتر بين أيدي الملوك والعلماء والأكابر . انظر « نفح الطيب » (٢/ ٣٠٠) .

(٢) انظر (٢/ ٥٠) .

(٣) انظر (٢/ ٤٩ـ ٥١) .

(٤) ومن جملة هـٰذا النقل: ما ذكرته قبل قليل أثناء ترجمة جد المؤلف، وانظر (١/ ٦٠٢، ٢/ ٥٠).

العلم والعمل ، ذا كرامات كثيرة ، وكانت له الكلمة المسموعة عند الملوك والأمراء ، كان حَسَنَ التربية لأصحابه المقيمين بزاويته ، وكان لا يُقصد في شيء من مصالح العباد إلا فَعلَهُ ، وقد ترجم له المؤلف في كتابنا هـٰذا وذكر له قصة قيِّمة عجيبة[1] .

سيرته العلميّة ، وبعض صفاته

نشأ ابن المعلِّم في عصرٍ ضمَّ في جنباته كبار الأئمة الفحول ، المُبرِّزين والمُتضلِّعين من المعقول والمنقول ، وقد عبَّ ونهل من كثير منهم مختلفَ علوم الرواية والدراية ، **ونقل عنهم كنوزاً ودُرراً في كتابنا هـٰذا** ، وكان شيخه علمُ الدين القِمَّني الضرير يوصي والده بأن يُشغله في طلب العلم ، ولعله أوصاه بذلك ؛ **لما لمح عليه من مخايل النجابة والنفع للمسلمين** ؛ إذ كان علم الدين القِمَّني من أذكياء الأضرَّاء ، وأورد له المؤلف أثناء ترجمته قصصاً عجيبة عزيزة في ذكائه وفطانته ، وحِدَّة ذهنه وسرعة حفظه[2] .

وقرأ بدايةَ اشتغاله : ختمة على أبي الطاهر المَليجي ، **ثم تلا بالسبع** : على السراج عمر بن زعازع صاحب ابن الرمَّاح .

وبعد أخذه العلمَ عن كبار علماء عصره : تولَّى قضاء الخليل وأذرعات ، ثم أعاد بالبادرائية إلى حين وفاته .

وكان رحمه الله تعالى فاضلاً جواداً ، كثير التلاوة والصلاة ، صلبَ الاعتقاد ، محارباً لأهل البدع ومُنفِّراً عنهم ، مُحِبّاً للتصوف ، منافحاً عنه ، ملازماً رجالَه الكبار ، وأولياءه الأخيار .

وترجمه الأديب الإمام الأصولي المؤرِّخ الصلاح الصفدي ، والحافظ

(١) انظر (٢/ ٤٤ـ٤٦) .

(٢) انظر (٢/ ٢٠١ـ٢٠٥) .

الكبير ابن حجر العسقلاني ، والمُؤرِّخ تقي الدين المقريزي . . ترجمةً موجزة فيها إشادةٌ بفضله وعلمه .

بينما ترجمه الحافظ الذهبي ترجمةً فيها بعضُ غمز وحطٌّ من قدره ؛ إذ قال : (وكان كثيرَ التلاوة والصلاة على تيك الهَنات ، وقد ولي قضاء بلد الخليل ثم أذرعات فلم يحمد)[1] ، وليته ذكر لنا بعض هـٰذه الهَنات ، ومع ذكره لها فقد قال الإمام القاضي الفقيه الأصولي تاج الدين ابن السبكي : (والذي أفتي به : أنه لا يجوز الاعتماد على كلام شيخنا الذهبي في ذمِّ أشعري ، ولا شكرِ حنبلي)[2] .

شيوخه

ذكرت سابقاً أنه تلقَّى عن كبار علماء القرن السابع الهجري مختلفَ علوم الرواية والدراية ، ولم تذكر المصادر ـ على قلَّتها ـ سوى ستة شيوخ ، بينما وقفت في كتابنا هـٰذا على أكثر من خمسة وثلاثين شيخاً صرَّح المؤلف بالأخذ والرواية عنهم ، وقد أفرد كثيراً من هـٰؤلاء الشيوخ بالترجمة ، ونقل عنهم نصوصاً نفيسة عزيزة نادرة ، وقد عقد الباب العاشر في ذكر كثير منهم .

وإليك ذكرَ كثير منهم مُرتَّبين على حروف المعجم :

ـ الإمام الفقيه المقرئ الأصولي النحوي الأديب : علم الدين أحمد بن إبراهيم بن حسن الأموي القِمَّني القاهري الشافعي (ت٦٨٦هـ) ، وقد ذكر له المؤلف في الكتاب وخصوصاً في أثناء ترجمته قصصاً عزيزاتٍ تدل على ذكائه وحِدَّة ذهنه[3] .

(١) معجم الشيوخ (٢/ ٢٧٤) .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٥) .

(٣) انظر (٢/ ٢٠٢ـ ٢٠٥) .

ـ الإمام العابد المقرئ المُتكلِّم المُتفنِّن : **جلال الدين أحمد بن عبد الرحمٰن الدِّشْنائي الشافعي** (ت٦٧٧هـ) ، ترجمه المؤلف في كتابنا هٰذا ، **ومن جملة ما أورد له** : قصيدةٌ بديعة في الرد على من لامه على انقطاعه عن الجماعة وانعزاله عنهم ، **ومنها** : (من مخلع البسيط)

يـا لائمـي كُـفَّ عـنْ مـلامـي ... علـى انعـزالـي عـنِ الأنـامِ
إنَّ نـذيـري الـذي نهـانـي ... يَخبُـرُ حـالـي علـى التمـامِ
فصـرفُ وقتـي لفـرضِ عينـي ... أوجـبُ مِـنْ سـائـرِ الأنـامِ
فكـلُّ نفـسٍ لمَّـا تُهـذَّبْ ... ومـا اطمـأنَّـتْ علـى مقـامِ
فهجـرُهـا لـلأنـامِ شُغـلاً ... بشـأنِهـا ليـسَ بـالحـرامِ

ـ الإمام الفقيه الأصولي : **أبو العباس ناصر الدين أحمد بن منصور ابن المُنيِّر الإسكندراني المالكي** (ت٦٨٣هـ)، **سمع عليه المؤلف** : كتابه « المقتفىٰ في شرف المصطفىٰ » ، وترجمه ترجمة حافلة أورد فيها أشياء نادرة[١] .

ـ الإمام المقرئ المسند : **فخر الدين أبو الطاهر إسماعيل بن هبة الله بن علي المَليجي المصري** (ت٦٨١هـ) ، **قرأ عليه المؤلف** ختمة في القرآن الكريم .

ـ الإمام الزاهد المُربِّي : **صفي الدين الحسين بن علي بن ظافر الأَزْدي المالكي** (ت٦٨٢هـ) ، ذكره المؤلف في مواضعَ متفرقة ، وترجمه ترجمةً حافلة أورد فيها أشياء عزيزة[٢] .

ـ الإمام الخطيب الأديب : **عز الدين أبو محمد عبد الباقي بن عبد الرحمٰن بن خليل الجابري الأنصاري الشافعي** (ت٦٧٧هـ) ، ترجمه

(١) انظر (٢/ ١٨٣ـ ١٨٩) .
(٢) انظر (٢/ ١٥٢ـ ١٦٠) .

المؤلف ترجمة نفيسة ، وصدَّر الترجمة بقوله : (شيخنا الخطيب الذي أخرست بلاغتُـهُ سحبانَ ، وألبستِ المنبرَ جلالةً بانت عنه إذ بان ، قد أحرز بخلاله الجميلة مناقبَ تلك المكارم لا قَعْبان)[1] .

ـ الإمام الوزير القاضي الفقيه : تقي الدين أبو القاسم عبد الرحمٰن بن قاضي القضاة عبد الوهاب العَلامي الشافعي (ت ٦٩٥هـ) ، ترجمه المؤلف ترجمة حافلة ، ومدحه بقصيدة بديعة سأذكر بعضَها أثناء الحديث عن أدبه[2] .

ـ الإمام المسند المُقرئ : محيي الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن عبد المنعم بن خلف اللخمي الدَّميري الشافعي (ت ٦٩٥هـ) ، ذكره المؤلف في مواضعَ متفرقة .

ـ الإمام المناظر المُتفنِّن الشريف : عماد الدين عبد الرحيم بن هاشم العبَّاسي الهاشمي الحمصي المصري الشافعي (ت ٦٨٠هـ) ، ترجمه المؤلف ونقل عنه في مواضعَ متفرقة ، وكان من جملة ما قاله في ترجمته : (وكان يلقي الدرس أحسنَ إلقاءٍ من صدره ، لم ترَ عيني بعده من يحفظ الدرس فيلقيه مثلَه)[3] .

ـ الإمام المسند المُحدِّث : شهاب الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن يوسف بن يحيى ابن خطيب المزة الموصلي الدمشقي (ت ٦٨٧هـ) ، سمع عليه المؤلف : « مسند الإمام أحمد ابن حنبل »[4] .

ـ الإمام الفقيه الصوفي المُربِّي الأديب : أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدَّميري الدِّيرِيني الرفاعي الشافعي (ت ٦٩٤هـ) ، صاحب المُؤلَّف الماتع « طهارة القلوب » وغيره ، وقد ترجمه المؤلف ، وقال في خاتمة

(١) انظر (٢/ ١٤٠) .
(٢) انظر (١/ ٢٢) .
(٣) انظر (٢/ ١٤٨) .
(٤) انظر (٢/ ٤٠٧ـ٤٠٨) .

ترجمته : (أجاز لي هٰذا الشيخُ أن أروي عنه جميعَ ما تجوز له روايته ، وجميعَ ما تجوز روايته عنه من كلامه المنظوم والمنثور ، وشافهني بذلك ، وكتب خطه ، ونقلت ما نقلته من نسخة بخطه رحمه الله)[1] .

ـ الإمام الفقيه الأصولي المناظر المُتفنِّن : علم الدين أبو محمد عبد الكريم بن علي بن عمر الأنصاري الأوسي العراقي الشافعي (ت ٧٠٤هـ)، ترجمه المؤلف ترجمة قيِّمة أورد له فيها قصيدة نادرة[2] .

ـ الإمام الجليل مسند الديار المصرية : نجيب الدين أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي الحرَّاني الحنبلي (ت ٦٧٢هـ) ، روىٰ عنه كبار الأئمة ، ومن جملتهم إمامنا المترجم ابن المعلم رحمه الله تعالىٰ .

ـ الإمام المُحدِّث المسند المُعمَّر : أبو عيسىٰ عبد الله بن عبد الواحد بن علاق الأنصاري الرزَّاز المصري (ت ٦٧٢هـ) ، روىٰ عنه المؤلف مجلس البطاقة، ورواه عنه الحافظ الذهبي كما نصَّ علىٰ ذلك في « معجم الشيوخ »[3] .

ـ الإمام الفقيه الأصولي المُفسِّر المُتكلِّم الصوفي المُربِّي : أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي المَرْجاني القرشي التونسي المالكي (ت ٦٩٩هـ) ، نقل عنه المؤلف في مقدمة كتابه أثناء رده على ابن تيمية ، وترجمه ترجمة نفيسة أورد فيها قِطَعاً عزيزة[4] .

ـ الإمام قاضي القضاة الفقيه الأصولي المُتفنِّن : وجيه الدين أبو محمد عبد الوهاب بن أقضى القضاة سديد الدين الحسين المُهلَّبي البَهْنسي الشافعي (ت ٦٨٥هـ) ، روىٰ عنه المؤلف قصصاً نادرة قيِّمة ونفيسة أثناء ترجمة التقي

(١) انظر (٢/ ٢٣٢) .

(٢) انظر (٢/ ٢٧٨ـ٢٨١) .

(٣) معجم الشيوخ (٢/ ٢٧٤) ، وانظر « الدرر الكامنة » (٥/ ٤٦٣) .

(٤) انظر (٢/ ٢٤٣ـ٢٥٢) .

المُقترح والبهاء ابن الجميزي وغيرهما[1] ، وترجمه ترجمة حافلة ، **وكان من جملة ما قال فيها** : (ولقد رأيتُه في المحافل العظيمة أوائلَ جلوس المدرسين حين يجتمع أهل الحل والعقد ، وجهابذةُ النظر والنقد . . لا يُشق غُباره ، ولا يُلحق مضماره ، ولا يُتوقَّع عِثاره)[2] .

ـ الإمام الشيخ : **نور الدين علي بن أبي الوحش بن أحمد العيني** ، وهو من الشيوخ الذين روىٰ عنهم عقيدة العز بن عبد السلام المُسمَّاة بـ « الملحة في اعتقاد أهل الحق »[3] .

ـ الإمام أقضى القضاة المُحدِّث المسند : **عماد الدين أبو الحسن علي بن صالح ابن أبي عمامة القرشي المصري** (ت ٦٧٧هـ) ، ترجمه المؤلف ، **وذكر في الترجمة أنه سمع عليه** : « مسند الإمام الشافعي »[4] .

ـ الإمام الأديب شاعر مصر في عصره : **سراج الدين أبو حفص عمر بن محمد بن حسن الورَّاق** (ت ٦٩٥هـ) ، **روىٰ عنه المؤلِّف** أشعاراً كثيرة عزيزة في كتابنا هـٰذا ، **وأجازه الورَّاق في بعضها** .

ـ الإمام الفقيه المفتي الزاهد الورع : **علم الدين أبو الحسن محمد بن الحسين بن عتيق ابن رشيق الرَّبَعي المالكي** (ت ٦٨٠هـ) ، صرَّح المؤلف بالتلمذة عليه ، وترجمه في كتابنا هـٰذا[5] .

ـ الإمام الفقيه المُتكلِّم المفتي : **أبو عبد الله محمد بن عبد الجبار القيرواني المصري** ، كان هـٰذا الإمام من الذين **قاموا على ابن تيمية وكسروا شوكته** ،

(١) انظر (١/ ٥٥٤، ٢/ ٢٦) .

(٢) انظر (٢/ ١٩٦) .

(٣) انظر (٢/ ٦٦) .

(٤) انظر (٢/ ١٣٨ـ ١٣٩) .

(٥) انظر (٢/ ١٤٤ـ ١٤٥، ١٧١) .

قال المؤلف رحمه الله تعالىٰ : (وقد حضرت إليه في جماعة من طلبة العلم الشريف الشافعية والمالكية نُهنِّئه بما يسَّر الله علىٰ يديه من الفتح في كسر شوكة ابن تيمية وأصحابه ، وكان أمراً عظيماً أنهضه الله فيه وأعانه عليه ، فدعونا له ، فكان جوابه : هـٰذا أمر ليس لي فيه شيء ، وإنما حسناته في صحائف سيدي أبي عبد الله ابن النعمان ، وما تكلَّمت إلا بلسانه ، ولا نهضت إلا بحاله)[1] .

ـ الإمام الفقيه الفاضل : شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الإمام الكبير عبد العزيز بن عبد السلام السُّلَمي الدمشقي الشافعي (ت ٦٨١هـ) ، روىٰ عنه المؤلف : كتابه اللطيف « إيضاح الكلام فيما جرىٰ للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام » ، وهو عبارة عن شرح الفتنة التي تعرض لها سلطان العلماء[2] .

ـ الإمام المجتهد المُجدِّد المُتفنِّن في العلوم : تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي ابن دقيق العيد القشيري القُوصي المصري الشافعي (ت ٧٠٢هـ) ، ترجمه المؤلف ترجمة حافلة نفيسة[3] ، ورثاه بعد وفاته بقصيدة طويلة أجاد فيها ، وسأذكر دُرراً منها أثناءَ الحديث عن أدبه .

ـ الإمام اللغوي النحوي : رضي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي (ت٦٨٤هـ) ، كان إمامَ عصره في اللغة ، أخذ عنه إمامنا ابن المُعلِّم ، وروىٰ عنه في كتابنا هـٰذا[4] .

ـ الإمام القاضي الفقيه الأصولي المُتكلِّم المُتفنِّن الشريف : شرف الدين محمد بن عمران بن موسى الكركي الفاسي الحسني المالكي ثم الشافعي

(١) انظر (٢/ ١٦٧) .
(٢) انظر (٢/ ٥٠٠) .
(٣) انظر (٢/ ٢٥٣ـ ٢٧٢) .
(٤) انظر (١/ ٤٩٠، ٢/ ٣٢) .

(ت ٦٨٦هـ) ، نقل عنه المؤلف في مواطنَ عديدةٍ نصوصاً نادرة[١] ، وترجمه ترجمة حافلة ، وذكر أنه كان يأخذ عليه كل يوم ثلاثة دروس من أصول الفقه والدين عندما كان يتردَّد الإمام شرف الدين إلىٰ مصر في أشهر البطالة[٢] .

ـ الإمام الكبير الفقيه المُتكلِّم المجاهد الصوفي المُربِّي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان الهِنْتاتي التِّلِمْساني المصري المالكي (ت ٦٨٣هـ) ، روىٰ عنه المؤلف في مواضعَ متفرقة[٣] ، وأورد له ترجمة مطولة نفيسة ذكر فيها أشعاراً عزيزة ، ومنها قصيدة طنانة للإمام البوصيري صاحب « البردة » ، وسأورد بعضاً منها أثناء الحديث عن مضمون الكتاب[٤] .

ـ الإمام المقرئ النحوي المُتكلِّم : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن أبي بكر الجزري الشافعي (ت ٧١١هـ)[٥] .

ـ الإمام الشاعر الأديب : جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم ابن يحيى الجزَّار المصري (ت ٦٧٩هـ) ، أجاز المؤلف في كتابنا ببعض أشعاره[٦] .

ومن شيوخه أيضاً : أبو حفص عمر الضرير صاحب ابن الرمَّاح ، وعبد الهادي القيسي[٧] ، وغيرهما رحمهم الله تعالى .

(١) انظر على سبيل المثال (١/ ٢٩٢ـ ٢٩٣) .
(٢) انظر (٢/ ٢١٠) .
(٣) انظر على سبيل المثال (٢/ ٤٢٢ـ ٤٢٤) .
(٤) انظر (١/ ٣٢) .
(٥) انظر (٢/ ٣٠٠ـ ٣٠١) .
(٦) انظر (٢/ ٨٠، ٨٩) .
(٧) انظر « معجم الشيوخ » (٢/ ٢٧٤) .

ابن المعلّم الأديب

كان إمامنا ابن المُعلِّم شاعراً فصيحاً ، وناثراً بليغاً ، **ألفاظه** العذب الزُّلال ، **ومعانيه** السحر الحلال .

ولعلَّ حفظَهُ لـ « مقامات الإمام الحريري » ، **وملازمتَهُ** لكبار شعراء عصره ـ ومنهم السراج الورَّاق ـ **والروايةَ عنهم** كثيراً من أشعارهم ، **واطِّلاعَهُ** على كثير من دواوين الشعراء البلغاء ؛ كالمتنبي وأبي تمام وأبي فراس الحمداني وغيرهم ، كما سيظهر للقارئ من خلال كتابنا هـٰذا . **كان من أسباب تفنُّنه في الكلام نثراً ونظماً ، وملكه لزمامه ، وجولانه في ميدانه** .

ولا نبالغ إذا قلنا : إننا في كتابنا هـٰذا نُقدِّم للقارئ أديباً مجيداً فصيحاً ، وشَذَراتٍ من سبكه بليغةً عزيزة .

فمن جواهر هـٰذا الكتاب : ما قاله في بداية ترجمة الإمام ابن دقيق العيد : (الشيخ العالم الذي توحَّد في العلوم فهو لِعَينِ الزمانِ إنسانُها ، وتفرَّد في المكارم فعنه تُسند أحاديثُها صِحاحُها وحسانها ، طالما وصل المنقطع وأسند الغريب ، وتسلسلَ موردُ فضله وحلا فما الضَّرَب له بضريب ، وأحيا قديمَ مآثر السلف بفضله الحديث ، ونشرَ العلوم لما علم من تأويل الأحاديث ، ورُفعت راية الرواية فتلقَّاها باليمين ورفعَها ، وجمعَ أشتات الفضائل حتىٰ سمع المقالة فأدَّاها كما سمعها)[1] .

ومنها : ما قاله مخاطباً ابنَ تيمية أثناء ترجمة أقضى القضاة النجم ابن الرفعة : (ولئن كنتَ غائباً فالنجمُ طالع قد أضاء ، ووافقَتْ فُتياه فيك القضاء ، وماذا يعوقُهُ عنك ويمنعُهُ منك وهو عالم المَذْهب ، وشافعيٌّ هـٰذا

(١) انظر (٢/ ٢٥٣) .

العصر المُذهَب ؟! قد ارتضع بلبان « الأم » ، من لدن فطامه عن الأم ، وأقبل على الإملاء والتصنيف ، إذ صِين به « الإملاء » من التحريف ، والإفادةِ والتأليف ، حين جذب القلوب بأحسن التأليف)[1] .

ومنها : ما قاله أثناء ردِّه على ابن تيمية : (**أيها الشابُّ السابُّ ، المُتعصِّب المتعضِّب** ، السابقُ بمُنكَر القول ، السائقُ إلى مسألته العول ؛ لقد تجرَّأت على العظيم بكلام لا يُقال ، وتبرَّأتَ من النهج فعِثارُك لا يُقال ، وأثَرت على نفسك عِثْير الندم ، وعَثَرت بلسانك وعثرةُ الفم تُنسي عثرةَ القدم ، أَطْرِقْ كرا أَطْرِقْ كرا ، ما إخالك إلا في سِنَةِ الكرىٰ .

كنتَ فيما كتبتَهُ نائمَ العيـ ـنِ فهلْ كنتَ نائمَ الأقلامِ

لقد جرَّتْكَ جرأتُكَ إلىٰ مَزَلَّةِ دَحْض ، وخلا لكَ جوُّكَ وإذا ما خلا الجبانُ بأرض)[2] .

ومنها : ما قاله مخاطباً ابن تيمية أيضاً ، وفيه إشارة إلى المجلس السلطاني الذي عُقد من أجل محاكمته : (أَمَا علمتَ أن الديار المصرية لا تَنفُق فيها شقاشِقُك ، ولا يُطلَقُ فيها للصيد باشَقُك ؟! وليس لأحدٍ خلافَ خطيبِ أهل الحق بها خطبة ، وكلُّ خاطبِ عقيلةٍ عقيدة تدعه يُقرَع أنفُه علىٰ تلك الخطبة . . . ولقد كان الأمل أن تُقتل قتلَ الحراذين ، أو تموتَ كما مات أَرْبَدُ في سوق البراذين ، لٰكنَّ رجاءَ استقامتِك ، سببٌ لحياتك بين أظهرنا وإقامتِك ، أو لينتدبَ مِنْ أتباعك من يشهد عليك بالمنكر ، شهادةَ الأعضاء علىٰ مَنْ أنكر ؛ فمن الرأي السديد ، ألا يُقطعَ الحديدُ إلا بالحديد ، فبمحاذاة القمر كسوفُ شمسه ، ولكل شيء آفةٌ من جنسه)[3] .

(١) انظر (٢/ ٢٩٧) .

(٢) انظر (١/ ٥٩ـ ٦٠) .

(٣) انظر (١/ ١٣٥ـ ١٣٦) .

والكتاب في كثير من مقاطعه يسير على هٰذا المنوال ، وخصوصاً في مقدمته المُسهبة التي جاءت رداً على ابن تيمية ، وفيما ألزم به نفسه في بدايةِ كل ترجمة من تراجم الباب العاشر ؛ قال رحمه الله تعالىٰ : (هٰذا بابٌ أذكر فيه إن شاء الله مَنْ أدركتُهُ من علماء عصرنا ، وشاهدته من صلحاء مِصْرنا وغير مصرنا . . . وأذكرُ في أول كلِّ ترجمةٍ ما يحضُرُني من سجعٍ يروق ؛ قضاءً لما لهم عليَّ من الحقوق)[1] .

ومن شعره الذي أورده في كتابنا هٰذا : قصيدة طويلة أجاد فيها في رثاء الإمام المُجدِّد ابن دقيق العيد ، ومن جملة أبياتها : (من الكامل)

أَسَفي وهل يُجدي طويلُ تأسُّفي ... أو يـدفـعُ الأقـدارَ فَـرْطُ تلهُّفـي
هوتِ النجومُ وكُوِّرتْ شمسُ الضُّحىٰ ... فـالآنَ نحـنُ بجُنحِ ليـلٍ مُسـدِفِ
واغبـرَّتِ الـدنيـا وزُلـزلَ أهلُهـا ... وبدا لهم عنوانُ هولِ الموقفِ[2]

وله في الإمام القاضي الوزير تقي الدين عبد الرحمٰن العَلامي . . قصائدُ عديدة، ذكر في كتابنا هٰذا سبعة وعشرين بيتاً من قصيدة واحدة ، ومنها : (من الكامل)

قصـدَتْ حِمـاكَ نجـائـبُ الآمـالِ ... لتـؤولَ مِـنْ نُعمـاكَ خيـرَ مـآلِ
ما زلتُ أُنضيها وأمنحُها المُنىٰ ... وأحُثُّهـا بـالشـدِّ والتَّـرحـالِ
حَمِدَتْ سُراها حينَ أدَّاها إلىٰ ... خضِلِ الرِّياضِ وسابغِ الأظلالِ
قالَتْ وقد رأتِ الوزيرَ وجودَهُ ... حَسْبـي بلغـتُ نهـايـةَ الآمـالِ[3]

(١) انظر (٢/ ١١٩) .
(٢) انظر (٢/ ٢٧٠ـ ٢٧٢) .
(٣) انظر (٢/ ٢٣٦ـ ٢٣٨) .

مؤلفاته

ذكر الصلاح الصفدي والشهاب ابن حجر العسقلاني **أن لمؤلفنا ابن المعلم مصنفاتٍ** ، ولم يُسمِّيا مصنفاً واحداً ، ومن خلال تتبُّع كتابنا هـٰذا ، والبحث فيما وقفت عليه من كتب التراجم والمصادر والمراجع المتخصصة في هـٰذا المجال . . وجدت مُصنَّفاً واحداً قطعيَّ النسبة إليه ؛ وهو كتابنا هـٰذا : « نجم المهتدي ورجم المعتدي » ، ولا يُشك في نسبته إليه ، ومن يطالع كتابنا هـٰذا وخصوصاً تراجمَ بعض أعلام أسرته . . يتيقَّن أن الكتاب صحيحُ النسبة إليه .

ويفهم من خلال بعض المواضع من هـٰذا الكتاب : أن للمؤلف أشعاراً كثيرة[1] ، والله تعالىٰ أعلم .

وفاته

أعاد الإمام ابن المُعلِّم بالمدرسة البادرائية[2] في دمشق إلىٰ حين وفاته بها في يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وسبع مئة من الهجرة .

رحمه الله رحمة الأبرار، وأسكنه جنات تجري من تحتها الأنهار

(١) انظر (٢/ ٢٣٨) .

(٢) انظر الحديث عن هـٰذه المدرسة وبانيها في (٢/ ٤٧) .

كلمة عن كتاب
«نجم المهتدي ورجم المعتدي»

إنَّ كتابنا هذا يُعتبر ـ ولله الحمد ـ تصنيراً لفكر ومنهج أهل السنة والجماعة ، **وخصوصاً في زماننا هذا** الذي ماجت فيه الفتن ، وانتشرت البلايا والمحن ، واشرأبَّت أعناقُ ذوي الابتداع والنفاق ، بعدما زرعوا في عالمنا الإسلامي بذور التفرُّق والشقاق .

وبدعةُ التشبيه والتجسيم من البدع الخطيرة التي أحدثت القلاقلَ والفتنَ والاضطراباتِ في المجتمع الإسلامي[1] ، فلم تظهر بين قوم ، ولم ينهض أهل الحل والعقد لإخمادها وردع أهلها وزجرهم عن ذلك . . **إلا آذنت بوبالهم ، وكانت سبباً لشؤم مآلهم** ، وكذلك ما فشت في قُطر من أقطار الأرض **إلا دمَّرته وكانت سبباً في خرابه ، ولا كانت بين قوم إلا غشيتهم الذلة وسُلِّط عليهم الأعداء** ؛ فالجسد الصحيح لِمَا حلَّ به من الخلط يألَم ، ويُسكِّنها تشقى البقاع وتنعم ؛ وذلك لأنها تُضاهي قول اليهود ، فيشاركونهم في الذل والإهانة والصَّغار[2] .

وإنما أُتي هؤلاء المُجسِّمة : من قِبَل جهلهم بكتاب الله ، وسنَّة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولسان العرب ، وسخافة العقل ، وبلادة الذهن[3] .

(١) انظر (٢/ ٤٩٠ـ٥١٨) ففيها نماذجُ عديدة من ذلك .

(٢) انظر (٢/ ٥٢٠) وما بعدها .

(٣) انظر (٢/ ٥٠٥) .

قال القاضي ابن العربي في « العواصم من القواصم » : (وممَّن كاده ـ أي : الإسلامَ ـ : الظاهريةُ ؛ وهم طائفتان ؛ إحداهما : المُتَّبِعون للظاهر في العقائد ، والثانية : المُتَّبِعون للظاهر في الأصول ، وكلا الطائفتين في الأصل خبيثة ، وما تفرَّع عنهما خبيث مثلهما) ، ثم قال : (ولو كانت لهم أفهام ، ورُزقوا معرفة بدين الإسلام . . لكان لهم من أنفسهم وازعٌ ؛ لظهور التهافت على مقالاتهم ، وعمومِ البطلان لكلماتهم)[1] .

والإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالىٰ كان من كبار الأئمة المنافحين عن عقيدة أهل السنة والجماعة والذابِّين عنها بالنقل والعقل ؛ فهو إمام الدين ، وسراجُ ذوي اليقين ، ومحيي السنة ، وقامع البدعة ، وناصرُ الحقِّ ، وناصح الخلق ، وهو الذي ذبَّ عن الدين بأوضح حُجَج ، وسلك في قمع المبتدعة وسائر أنواع المعتزلة أبينَ نَهَج ، واستنفد عُمُره في النُّصح يفحص عن الحق ، وأورث المسلمين بعد وفاته كتبَهُ الشاهدة بالصدق .

فالإمام الأشعري يُعتبر رمزاً من رموز أهل السنة والجماعة ورؤوسِهم الكبار ، ومن يطعُن فيه فإنما يطعُن في مذهب أهل السنة المُتمثِّل بمذاهب الصحابة والتابعين وغيرهم ، فالإمام أبو الحسن لم يُحدِث في دين الله حَدَثاً ، ولم يأتِ فيه ببدعة ، بل أخذ أقاويل الصحابة والتابعين ، ومَنْ بعدهم من الأئمَّة في أصول الدين ، فنصرها بزيادة شرح وتبيين ، مؤكِّداً أنَّ ما قالوه وجاء به الشرعُ في الأصول صحيحٌ في العقول ، خلافَ ما يزعمه أهلُ الأهواء ، فكان في بيانه تقويةُ ما لم يستدلَّ عليه أهل السنة والجماعة ، ونصرةُ مَنْ مضىٰ من الأئمَّة ؛ كأبي حنيفة والشافعي وغيرهما رحمهم الله تعالىٰ .

(١) العواصم من القواصم (ص٢٠٨ ، ٢١١) ، وراجع هٰذه القاصمة ففيها كلام نفيس مُشبَع لما نحن بصدده ها هنا .

هـٰذا ؛ ومن جملة الفتن العديدة التي ابتُليت بها أمتنا الإسلامية من قِبَل المُجسِّمة . . فتنةُ وبدعةُ ابن تيمية الحرَّاني ، بل لعلَّ فتنته كانت أخطرَها وأشدَّها فتكاً ؛ إذ تطايرَ شررها إلىٰ زماننا هـٰذا ، وعاثت فساداً في كل قُطر وناحية .

وكتابُنا هـٰذا من جملة الكتب العديدة المؤلَّفة في الرد علىٰ بعض ابتداعاته في أصول الدين ؛ وخصوصاً في « فتواه المصرية » التي تكلَّم فيها علىٰ صفة كلام الله ، وصفة الاستواء ، والتأويل في ظواهر النصوص المتشابهة .

وقد جاء ردُّ مؤلف الكتاب مُختصَراً موجَزاً ، وهو عبارة عن نُتَف مقتضبة تردُّ ما جاء في « فتواه » المذكورة ؛ قال المؤلف رحمه الله مخاطباً ابن تيمية : (هـٰذه نبذةٌ أظهرتُ فيها فضائح كلامك ، ولُمعةٌ بيَّنتُ فيها سوءَ فهمك وإفهامك ، وصنعةُ الزَّغَل تنفضح بسبك المثقال من بَهْرجها ، وغِشُّ البضاعة يظهر باليسير من أُنموذجها ، ولم أتركِ استيعاب التتبُّع إبقاءً عليك ، ولـٰكن إبقاءً لغيري ليتسرَّع إليك ، ولو كانت لك مروءةٌ لانزجرتَ ببعض ما وقع واكتفيت ، ولـٰكن ما لجرحِ إيلام بمَيْت)[1] .

وكان مؤلفنا الإمام ابن المُعلِّم لا يرى ابن تيمية أهلاً للردِّ عليه ، بل لم يظهر عنده بمظهر العالم ؛ قال رحمه الله تعالىٰ : (ولمَّا وردت عليَّ فُتياه الفاتنة ، التي أبان فيها عن مُجاهرة ومُباينة ، وعُرض عليَّ ما روَّجَه ، وأظهر نقدُ التأمُّل بهرجَه . . تروَّيت في تنخيله بالمجاوبة أياماً ، وتردَّدت في تأهيله للمخاطبة إقداماً وإحجاماً ، ثم رأيتُ أن الردَّ عليه من فروض الأعيان ، وأن التخاذل في هـٰذا الأمر من أمارات الخِذلان ، وأن السكوت عنه ممَّا يجرُّهُ إلى الزيادة من الجُرْأة ، وما العُذْر والمُقابَلُ في صورة الرجل ومِرَّة المرأة ؟! وربما تخيَّل

(١) انظر (١/ ١٣٣) .

الاحتقارَ عجزاً ، من لا يفهم إشارة ولا رمزاً)[1] .

وكان الهدفُ من هـٰذا التأليف بالإضافة إلى الرد على الفتوى المذكورة : تأليفَ قلوب بعض التائبين من أتباع ابن تيمية ، وتعريفَهم الحقَّ والصوابَ اللذين عليهما العلماءُ الراسخون ، والأئمة العارفون ؛ قال المؤلف رحمه الله تعالىٰ : (ولمَّا رأيتُهم حلُّوا ما عقدتَهُ من عقيدتك المنقوضةِ الأمراس ، وحَلُّوا حرم أهل السنة الذي هو أمنٌ ومَثابةٌ للناس ، ورأيتُ شغفهم بشرفهم بالرضا ، وكَلَفَهم بأَسَفهم علىٰ ما ضاع من زمنهم ومضىٰ ، ورغبتَهم في التعرُّف والاستفادة ، وتشوُّفَهم إلى الضيافة التي هي أدنىٰ حقوق الوفادة . . حداني جميلُ قصدهم علىٰ إسعافهم ، وحَمَلَني حسنُ نيتهم علىٰ إجابتهم وإتحافهم ، فألَّفت هـٰذا الكتاب لإيلافهم)[2] .

وبعد ردِّ المؤلف على ابن تيمية ، وإتيانه علىٰ « فتواه » ، وتزييف أنموذج منها . . بوَّب الكتاب أبواباً عديدة ، أتىٰ فيها بأبحاث مفيدة ، وتحقيقات سديدة ، وتراجمَ مجيدة :

فتكلَّم في الباب الأول : علىٰ ما يُؤيِّد التأويل من جهة النقل ، وقدَّم لذلك مقدمةً قال فيها : (نحن نسرُد عليكم آياتٍ من الكتاب العزيز ، وأخباراً وردت عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فإن أنتم حملتموها علىٰ ظاهرها جرياً علىٰ قاعدتكم الواهية ، واتِّباعاً لفئتكم الغاوية . . فقد أَبَقْتُم من مولاكم أشدَّ إباق ، واستوجبتم ضرب الأعناق ، وإن جنحتم إلىٰ تأويل مشكلها ، وجمحتم عن حملها على الظاهر من مَحْملها . . فنقول : أيُّ دليلٍ

(١) انظر (١/ ٥٨) ، وللإمام الكبير المجتهد تقي الدين السبكي مثلُ هـٰذا الصنيع أثناءَ ردِّه علىٰ بعض ما ذهب إليه ابن تيمية . راجع « فتاوى السبكي » (٢/ ٢١٠) .

(٢) انظر (١/ ١٤٠) .

دلَّكم عليه ؟ وأيُّ هادٍ أرشدكم إليه ؟)[1] .

وتكلَّم في الباب الثاني : على ما يُؤيِّد التأويل من جهة العقل ، ولم يستقصِ جميع الأدلة ، بل أشار إلى لُمعة منها .

وتكلَّم فيه أيضاً : على بعض المبتدعة المنكرين الخوضَ في علم الكلام ، مُستدلِّين بظواهرَ وردت عن بعض أئمَّة السلف ، **وقدَّم لذلك مقدمةً قال فيها** : (إنَّ قوماً ممن ينتمي إلى علم من المُتأخِّرين . . **أنكروا الخوض في علم الكلام والاستدلالات العقلية** ؛ اعتقاداً منهم أن ذلك خارجاً عن الكتاب والسنة ؛ حتى إنهم صنَّفوا في ذلك مصنَّفات لا حاجة إلى تَعدادها ولا إلى ذكر مُصنِّفيها ، **جامدين على ظاهرِ ما نُقل عن أوائل العلماء**)[2] .

وتكلَّم في الباب الثالث والرابع والخامس : على مَنْ قال بالتأويل من الصحابة والتابعين وتابعيهم ، **وقدَّم لذلك مقدمة ذكر فيها** : أن القرآن نزل على قومٍ **هم أفصحُ الفصحاء** ، **وأوسعُهم ذهاباً** في التعبير عن الإرادات ، **وتمكُّناً** من طَرَفَي الإسهاب والإيجاز ، وأنواعِ الحقيقة والمجاز ، وتحليةِ عقود الكلام ، من النثر والنظام ، بأنواع جواهر التشبيهات ، وشذور الاستعارات ، وضروب يواقيت المبالغة والإشارات ، وغير ذلك من البديع والبيان الذي هو سحر الأفهام ، **وأصحُّهم فهماً** لما يسمعونه من الكلام ، **وأكثرُهم إصابةً** لأغراض المُتكلِّمين ، **وسبقاً** إلى إدراك المراد في العبارات الغامضة والمعاني الدقيقة .

فكلُّ خفيٍّ علينا جليٌّ عندهم ؛ لأنها عنهم نشأت ، ومنهم تُلقِّيت ، وبألسنتهم ظهرت ، ومن أفواههم تُلقِّفت ؛ فالمعاني بألفاظها ينطقون ،

(١) انظر (١/ ١٤٧) .

(٢) انظر (١/ ١٨١) ، وما علَّقته على نصب قوله : (خارجاً) .

ويريدونها بعبارتهم إذ يُطلِقون ، وكما يريدونها بقولهم يفهمونها من غيرهم إذا قالها ، **ويحملونها على المعنى الذي أراده من غير تعليم ولا تفهيم** ، ولا سؤال عنها ولا جواب[1] .

ثم أورد نماذجَ عديدةً من أشعار العرب الفصحاء ، التي هي من جنس ما نزل به القرآن ، مما يدرك معاصرو التنزيل من الصحابة ، وقريبو العهد بهم من التابعين وتابعيهم . . أنَّ الظاهر منها مستحيل غيرُ مراد ، وأنه مؤول .

ومن جملة هـٰذه النماذج : قول القائل : (من مجزوء الكامل)

كشفَتْ لهم عن ساقِها وبدا مِنَ الشرِّ الصُّراحُ

ومراده : شدةُ الأمر والإقدام في المحاربة والتشميرُ فيها ، **لا العضوُ المخصوص** ؛ لأن المحاربة معنىً من المعاني ، **فيستحيل وصفها بوصف الأجسام** ، وإنما كنىٰ عن الاهتمام بأمر الحرب والقوةِ فيها ، كما أنَّ المُسرِع في الأمر المهتمَّ به يُشمِّر ويكشفُ عن ساقه ؛ ليكون ذلك عوناً له على الأمر العظيم الذي أقدمَ عليه ، **فهـٰذا مقرَّر عندهم** .

فإذا سمع هـٰذا القائل قوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم : ٤٢] . . فَهِمَ المعنىٰ من غير أن يُعرَّف به ولا يسألَ عنه ؛ لأنه يعلم أنَّ ظاهر هـٰذا الكلام مستحيلٌ على الله تعالىٰ ، فهو يجنح إلىٰ تأويله ، ولا يسبق فهمه إلا إليه[2] .

وذكر في الباب السادس : نبذةً موجزة عمَّن خاض في المعارف وذَكَرَ منها ما وافق مُعتقَدَ أهل الحق من علماء الكلام ، **وقسمهم إلىٰ قسمين** ؛ **قسم** هذَّبوا معارفهم بالعلوم وأخذوها عن المشايخ ، **وقسم** لاحت لهم أنوار الهداية ، وقادهم دليل العناية ، فظهرت ينابيع الحكمة من قلبهم علىٰ لسانهم ، وحُفظوا

(١) انظر (١/ ٢١١ـ٢١٢) .

(٢) انظر (١/ ٢١٢ـ٢١٣) .

في ذلك من الوقوع فيما يُنتقد عليهم ، ويَتطرَّقُ به الخللُ إليهم .

وتكلَّم في الباب السابع : على فضل إمام أهل السنة والجماعة ؛ الإمام المُجدِّد أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى ، وهـٰذا الباب مُلخَّص مما أورده الحافظ الكبير الحُجَّة أبو القاسم ثقة الدين ابن عساكر في كتابه النفيس القيِّم « تبيين كذب المفتري فيما نَسَب إلى الإمام الأشعري » ، مع ضمِّ المؤلف لنصوصٍ وأشعارٍ خلا منها .

وعقد في هـٰذا الباب فصولاً تكلَّم فيها : على طريقته في زهده وعبادته ، وفي خوضه مع أهل البدع ، وأورد فيها ثناءاتِ أساطين العلماء ونضالَهم عنه موثَّقاً كثيرٌ من ذلك بخطوطهم الشريفة ، وأقلامهم المنيفة .

وتكلَّم في فصل منها : على بعض مُصنَّفاته النفيسة التي لاقتِ القبولَ وعدمَ الانتقاد ؛ لما أُجمع له من صحة المذهب والاعتقاد ، وختم هـٰذا الفصل بقوله : (وعلى الحقيقة : فجميعُ المصنفات بعده في الأصول على طريقة أهل السنة . . منسوبةٌ إليه ؛ لأنها بمذهبه تنطق ، وعنه تُناضل ولهُ تُحقِّق ، ومن بحره تغترف ، وله بالسبق إلى الهداية تعترف . . .)[1] .

وذكر في الباب الثامن : أساطينَ أئمة الأشاعرة أتباعَ الإمام أبي الحسن الأشعري رحمهم الله تعالى ، وقسَّمهم على خمس طبقات ، وهـٰذا الباب أيضاً مُنتزَع ومُستلٌّ من كتاب الإمام الحافظ ابن عساكر رحمه الله تعالى ، مع زيادات نفيسة ليست موجودة فيه ، بل لا إخالُها موجودةً في المصادر والمراجع .

وذكر في الباب التاسع : جماعةً أخرى من أئمة الأشاعرة ممَّن لم يذكرهم الحافظ ابن عساكر في « تبيينه » ، وممن جاؤوا بعده إلى حدود سنة (٦٦٤هـ) .

ومن هـٰؤلاء الأئمة : الإمام المُتكلِّم الفقيه إسماعيل بن عبد الملك الطوسي

(١) انظر (١/ ٣٤٩) .

الحاكمي ، والإمام الحافظ المُؤرِّخ الأديب أبو الحسن عبد الغافر الفارسي ، والإمام الفقيه الأصولي المُتكلِّم أبو عبد الله المازَري ، والإمام المُتكلِّم أبو الفتح الشَّهْرَسْتاني صاحب « الملل والنحل » ، والإمام الفقيه الأصولي سديد الدين السَّلَماسي ، والإمام الفقيه القاضي المفتي أبو سعد ابن أبي عَصْرون ، والإمام الفقيه الصوفي نجم الدين الخُبُوشاني ، والإمام العارف المُربِّي الصوفي أبو مدين التِّلِمْساني ، والإمام قاضي القضاة صدر الدين الماراني ، والإمام الكبير الحُجَّة رأس المُتكلِّمين المُجدِّد فخر الدين الرازي ، والإمام الفقيه الأصولي المُتكلِّم سيف الدين الآمدي ، والإمام المُقرئ المُؤرِّخ شهاب الدين عبد الرحمٰن أبو شامة ، والإمام الفقيه الأصولي المُتكلِّم سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، والإمام الحافظ الفقيه المفتي المؤرِّخ زكي الدين عبد العظيم المنذري ، وغيرهم الكثير رحمهم الله تعالىٰ ورضي عنهم ، وقد ذكر في هٰذا الباب حوالي (١٣٦) ترجمة ، وضمَّ تراجمَ نادرةً ليست موجودة إلا في كتابنا هٰذا ، بل حوت التراجم المعروفة نصوصاً عزيزة ، وأشعاراً نادرة؛ مثل قصيدة الإمام أبي شامة في الرد علىٰ نجم الدين بن حمدان الحنبلي.

وذكر في الباب العاشر : كبار أئمة الأشاعرة ممن أدركهم من علماء عصره ، وشاهدهم من صلحاء مِصْره ، وقال رحمه الله تعالىٰ : (هٰذا ؛ ولم أَسْتنجِدْ إخواننا من المغرب الأقصىٰ ، ولم أَسْترفِدْ جيرانَهم من المشرق الذين هم لمساويهم أجمعُ وأحصىٰ ، ولم أستدعِ علماء الحجاز واليَمَن ، الذين يشرون نفوسهم ابتغاءَ مرضاة الله بغير عَرَض من الدنيا ولا ثَمَن ، ولم أَسْتنهِضْ بقيَّة علماء هٰذا العصر ، ولم أستوعب مَنْ مضىٰ مِنْ أحبار هٰذا المِصْر ، الذي لا تظهر فيه بدعةٌ إلا نُكِّست رايتُها ، وكان إلى الخمول مآلها وغايتُها)[1] .

(١) انظر (٢/٣٠٦) .

وهٰذا الباب من الأبواب النفيسة في الكتاب ، وله قيمة أدبية وتاريخية كبيرة ؛ إذ ضمَّ في جنباته تراجمَ لكبارِ علماءِ عصره ، حَوَتْ في طيَّاتها نصوصاً قيمةً عزيزة المنال ، وأشعاراً بليغةً صعبةَ النوال .

ومن جملة أشعاره النادرة : قصيدة طنَّانة أوردها المؤلف للإمام الشاعر البارع شرف الدين البوصيري في مدح الإمام الكبير العارف المُربِّي شمس الدين أبي عبد الله ابن النعمان التِّلِمْساني المصري ، وعدد أبياتها (٤٥) بيتاً ، ومن هٰذه الأبيات[1] : (من البسيط)

الحمدُ للهِ في سرٍّ وفي عَلَنِ ... حمداً يقومُ بحقِّ الفضلِ والمِنَنِ

وجلَّ مَنْ شُكرُهُ أثمانُ نعمتِهِ ... ويا لَها نِعَماً جاءَتْ بلا ثمنِ

أعيا الخلائقَ أن يُحصوا لها عدداً ... سِيَّانِ ذو لَكَنٍ فيها وذو لَسَنِ

فافطَنْ لألطافِ ربِّ العالَمينَ فما ... تكادُ ألطافُهُ تخفىٰ علىٰ فَطِنِ

وأزهدُ الناسِ في الدنيا امرؤٌ عزفَتْ ... عن لَيِّنٍ نفسُهُ فيها وعن خَشِنِ

محمدٌ وإلى النعمانِ نِسْبتُهُ ... نعمَ الإمامانِ مِنْ أصلٍ ومِنْ فَنَنِ

أخبارُهُ في الورىٰ طابتْ ومَخْبرُهُ ... ففضلُهُ مِلْءُ عينِ الدهرِ والأُذُنِ

وعقد الباب الحادي عشر : للكلام علىٰ ما أورده المشبِّهة من أحاديثَ لفَّقوها ، وزياداتٍ علىٰ ما في الصحيح زعموا أنهم من الرواة تلقَّفوها ؛ قال رحمه الله تعالىٰ : ([اعلم أرشدنا الله] وإياك : أن بعض المبتدعة أوردوا أحاديث مُلفَّقة ، بروايات غيرِ مُتقَنة ولا مُحقَّقة ، مُروِّجين لبهرجها على الأغبياء لا على النُّقاد ، مُخرِّجين لها وهي معلولة المتن والإسناد ، تقشعرُّ الجلود من سماعها ، ويُتحقَّق وضعُها من فساد أوضاعها ، والعبدُ بعون الله

(١) انظرها كاملة في (٢/ ١٧٢ـ ١٧٤) .

ومشيئته يُبيِّن بَهْرجها ، ويفضح بها من خرَّجها)[1] ، وبعضُ هـٰذه الأحاديث ضمَّنها ابن تيمية في « فتواه » التي أشرنا إليها سابقاً [2].

وعقد الباب الثاني عشر : للإجابة عن المسائل الأربع التي أفتىٰ بها ابن تيمية علىٰ خلاف معتقد أهل السنة والجماعة ، والتي سُجن بسببها ، وأفاض فيها المؤلف بالاستدلال على الكلام النفسي ، والحديث عن صفة الاستواء ، وختم الباب بجُمَلٍ وعبائرَ وردت عن العلماء والمشايخ تشهد بقواعد عقائدهم .

وأورد في الباب الثالث عشر علىٰ سبيل الإيماء والإشارة : تأويلاتٍ لظواهر الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التي ليس في أسانيدها ومتونها علةٌ أو قدح ، ولم يستوعب أقوال العلماء في هـٰذه التأويلات ، بل ذكر ما فيه مقنع لكل فاهم لبيب ، ونموذجاً يندرج في جنسه كلُّ ظاهر غريب .

وقدَّم للباب كلاماً نفيساً حول الإجابة عن الحكمة في العدول عن الباطن السالم من التأويل إلى الظاهر المؤوَّل .

وخصَّص الباب الرابع عشر : في الكلام علىٰ ما يُؤدِّي إليه مذهب المجسمة ـ وعلىٰ رأسهم ابن تيمية ـ في المسائل الأربع التي أفتوا بها .

وذكر في الباب الخامس عشر : فتوىٰ منقولةً من خطوط كبار الأئمة في حكمِ من لعن الأشاعرة أو كفَّرهم ، وحكمِ من يقول : إن الله مُتكلِّم بحرف وصوت ، وحكمِ من يقول : إن أصوات الآدميين في القراءة وغيرها قديمة ، وحكمِ من يقول : إن إيمان العباد بالله ورسوله قديم أزلي ، وحكمِ من يقول : إن الله صورة لا كالصُّوَر ، وحكمِ من يقول : إن صوت القارئ هو صوت الله

(١) انظر (٢/ ٣٠٩) .

(٢) انظر (٢/ ٣١٩) .

على الحقيقة ، وحكمِ مَنْ نسب بعضَ هـٰذه المقالات إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه .

ويمتاز هـٰذا الباب : بإيراده فتوىٰ نادرةً مُفصَّلة للإمام أبي الطاهر الحاكمي رفيقِ وقرين الإمام الغزالي رحمهما الله تعالىٰ تجاوزت العشرين صفحة ؛ في الإجابة على المسائل السابقة ، وقال رحمه الله تعالىٰ بعد إيرادها تامَّة : (ولم أُطِلْ بذكر فتياه على التمام والكمال إلا لأُظهِرَ كلامه ؛ فإنِّي لم أقف له علىٰ تصنيف غير هـٰذا ، وسألت من جماعة عنه ، فلم أسمع من رأىٰ له تصنيفاً غير هـٰذا ، وهو جليل القدر)[1] .

وختم هـٰذا الباب بقوله : ([فهـٰؤلاء] رحمكم الله فتاوىٰ أهل الأمصار ، وأقوالُ أهل الأعصار ، سلفاً وخلفاً ، وماضياً وآنفاً ، طبقةً بعد طبقة ، مُبيِّنةٌ لحكم الله فيكم مُحققةٌ ، نقلَها غابرٌ عن غابر ، وآثرٌ عن داثر ، شاهدةً بما سمعتم ، فلا نبالي بئستُم بها أو نعمتُم ، ولعمرُ الله ؛ إنَّ تظافُرَ أرباب المذاهب على اختلافها ، واجتماعَ أقوال الأئمة وائتلافَها ، واتِّفاقَ خلفها مع أسلافها . . ينوب عن الإجماع ، ويدفع عوادي المماراة والنزاع ، وإنَّ الأمة لا تُجمِع على الخَطَا ، وإنها في ذلك أصدقُ من القَطَا)[2] .

وحذَّر في الباب السادس عشر ـ وهو آخر الأبواب وخاتمة الكتاب ـ : من فتنهم المُضِلَّة ، وبدعتهم المُذلَّة ، وأنكر فيه علىٰ سالك سنتهم ، ومقتفي طريقتهم ، وذكر ستة فصول قيمة في ذلك ، وأورد في الفصل الرابع منها : نماذجَ من مكايدهم وفتنهم علىٰ ما هو منصوصٌ ومُوثَّق في كتب التواريخ وغيرها ؛ ومنها : مكيدتهم وفتنتهم زمنَ الإمام أبي القاسم القشيري ،

(١) انظر (٢/ ٤٦١) .

(٢) انظر (٢/ ٤٧٧) .

ومكيدتهم وفتنتهم زمنَ ولده الإمام أبي نصر القشيري ، ومكيدتهم وفتنتهم زمنَ الإمام فخر الدين الرازي ، ومكيدتهم وفتنتهم زمنَ الإمام سلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام ، وهي من الفتن الشديدة على أهل السنة والجماعة ، وأفاض المؤلف في ذكرها وتفصيل أحداثها .

وذكر في الفصل الخامس : نماذجَ من شؤم المُشبِّهة على العباد والبلاد التي حلُّوا بها وهاجروا إليها ، وفي هـٰذا الفصل ذكرىٰ لأولي الألباب ، وعبرة لذوي الأبصار .

وذكر في الفصل السادس : ما عامل به ولاةُ الأمور في سالف الدهور المُجسِّمةَ والمُشبِّهة ، وصولاً إلى ابن تيمية ومن لَفَّ لفَّهُ ، ونقل المرسوم السلطاني الصادر في حقه وحقِّ أتباعه .

وفي الورقتين الأخيرتين من الكتاب نصُّ توبة ابن تيمية منقولةً عن خطه ، واعترافُهُ برجوعه عن « فتواه » السابقة ، وذُيِّلت هـٰذه التوبة برسوم شهادات كبار الأئمَّة علىٰ توبته واعترافه ؛ ومنهم : الإمام أقضى القضاة نجم الدين ابن الرفعة ، وقاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة ، والقاضي شمس الدين ابن عدلان الكناني ، وغيرهم رحمهم الله تعالىٰ ورضي عنهم .

وفي الخلاصة : فالكتابُ جاء ردّاً على ابن تيمية في « فتواه » المتعلقة بكلام الله ، ومسألتي الاستواء والتأويل للنصوص المتشابهة ، وضمَّ في طيَّاته وثناياه : نصوصاً نفيسةً، وقصائدَ نادرةً، وقصصاً عجيبةً، وحكايا غريبةً ، ومباحثَ مفيدةً ، وتحقيقاتٍ سديدةً ، كما ضمَّ : تراجم لكثيرين من أساطين أئمَّة الأشاعرة أهل السنة والجماعة ، الذين كان لهم دورٌ كبير في رُقيِّ المجتمع وتزكيته ، ونشرِ العلم، ومحاربةِ البدع وأهلها ، والحدِّ من انتشار وبائها في جسد العالم الإسلامي .

* * *

منهج العمل في تحقيق الكتاب

تمَّ بحمد الله تعالى اعتماد نسختين خطيتين في إخراج الكتاب وتحقيقه لم يتوفَّر لي غيرهما ، بعد البحث في كتب البيليوغرافيا المكتبية العامَّة والخاصَّة ، وسؤالِ بعض الإخوة ذوي الاختصاص بتوفير المخطوطات النفيسة القيِّمة ، والنادرةِ الصعبةِ المنال .

ثم مشيتُ بعد ذلك على خُطاً علمية دقيقة وثابتة في كافَّة مراحل تحقيق الكتاب ، وخصوصاً أنه لم يرَ النور قبل ذلك ، ولم يبرز إلى عالم الطباعة ، بل كان حبيسَ قرونٍ متطاولةٍ نافت على السبعة ، إلى أن هيَّأ الله لي بثَّ الحياة فيه وبعثَهُ من سُباته بعد تلك الحقبة التاريخية المديدة .

وأهمُّ المراحل والخطوات التي اتَّبعتُها في تحقيقه . . تجلَّت في الآتي :

ـ نسخُ الكتاب ، ثم مقابلتُهُ على المخطوطتين (أ) و(ب) مقابلةً متأنِّية .

ـ حلُّ فروق النسختين بعد التحقق منها ؛ من خلال الرجوع إلى النسختين مرةً ثانية وتقليبِ النظر فيهما ، وإثباتُ الفروق والمغايرات التي تُضفي معنىً جديداً ، وغالبُ هـٰذه الفروق من النسخة (ب) ، وحاولت الابتعاد قدر الإمكان عن منهج التلفيق ؛ وذلك لتوفُّر النسخةِ الأم التي كتبت بخط المؤلف .

ـ تخريجُ الآيات القرآنية ؛ بذكر اسم السورة ورقم الآية في صلب الكتاب ضمن معقوفين ، وحصرُها بين قوسين مزهرين ، ورسمها برسم المصحف الشريف برواية حفص عن عاصم ، وقد تكون الرواية بعضَ الأحيان عن غيره

فأثبتُّها كما أراده المؤلف ، وهي قليلة جدّاً .

ـ **تخريجُ الأحاديث والآثار المصرَّح بها** ، أو المشار إليها أحياناً ؛ بالعزو إلىٰ أمَّات المصادر والمراجع المعتمدة في ذلك .

ـ **توثيقُ نقولات العلماء والأئمَّة** وقصصهم وأخبارهم ؛ بالتحقُّق من نسبتها إليهم ، ثم مقابلتِها علىٰ أماكن وجودها في كتب المصادر والمراجع أو المصادر التي نصَّ المؤلف على الأخذ منها ، ثم تخريجها في الحاشية مع إثبات بعض الفروق المفيدة والمهمة إن وجدت ، وكثيرٌ من هـٰذه النقولات والأخبار لم أتمكَّن من تخريجها ؛ **لكونها مما انفرد المؤلف بإيرادها ، وهـٰذا من جملة ما يمتاز به كتابنا هـٰذا** .

ـ **تخريجُ الأمثال والأشعار التي صرَّح بها المؤلف أو أشار إليها واستطعنا الوقوف عليها** ؛ بالعزو إلى المصادر والمراجع الأدبية أو الدواوين الشعرية ، **وهـٰذه الخطوة من المراحل المهمة في تحقيق الكتاب** ؛ إذ تمَّ الوقوفُ علىٰ كثير من العبارات ، والتحقُّق منها ، وإزالةُ الشك واللَّبْس في رسمها وفهمها .

ـ **زيادةُ بعض الكلمات والعبائر المهمة والضرورية التي تتناسب مع السياق** ، وجعلها ضمن [] ، ولا أصرِّح بمصدر الزيادة غالباً ، وخصوصاً إذا تم توثيقُ وتخريجُ السياق الواردة فيه .

ـ **تصحيحُ الأخطاء الإملائية والنحوية أو التحريفات والتصحيفات** ، وجعلُ المُصحَّح ضمن معقوفين غالباً ، مع الإشارة بعضَ الأحيان إلىٰ هـٰذا التصرف في الحاشية ، وإذا كانت الكلمة محتملة وجهاً نحوياً ولو بعيداً . . فإني أبقيها كما هي في الغالب مع الإشارة إلىٰ وجهها النحوي في الحاشية .

ـ **تتميمُ البياضات والفراغات الموجودة في النسختين الخطيتين ، وجعلها بين معقوفين** [] ، أو الإشارة إلىٰ مضمونها في الحاشية إن تهيَّأ وتيسَّر لي ،

مع توثيق ذلك غالباً من المصادر والمراجع ، وأما إذا لم أستطع الوصول إليه فإنني أجعله بين معقوفين هكذا : [. . .] .

ـ عنونةُ جميع الفصول والتنبيهات الواردة في الكتاب ، وجعلُها ضمن معقوفين [] ، وإضافةُ عناوينَ جديدةٍ شاملة لمقاطع الكتاب الرئيسة والفرعية ، ويشمل ذلك إضافةُ عناوينَ لبداية ترجمة بعض الأعلام مما لم يذكره المؤلف ، وأغلبُ ذلك واقع في الباب الثالث والرابع والخامس والسادس والعاشر .

ـ نسبةُ الأبيات الشعرية إلىٰ بحورها ، مع ضبطها بالشكل ضبطاً تامّاً ، وقد تعنَّيت كثيراً في ضبط الأشعار التي انفرد بها المؤلف ولم أستطع الوقوف علىٰ مصادرها ؛ كأبيات سراج الدين الوراق مثلاً ؛ وخصوصاً تلك التي ذُكرت في هامش النسخة (أ) ، ويوجد سقط في بعض الأبيات لم أهتدِ إليه ، فتركته بين معقوفين هكذا : [. . .] .

ـ شكلُ الكتاب شكلاً إعرابيّاً كاملاً ، وشكلاً صرفيّاً لبعض الأبنية الموهمة ، ومن المعلوم والمألوف : أن الأسجاع مبنية علىٰ سكون الأعجاز ، ومع ذلك : فإنَّني خرجت عن هذا المألوف فضبطت أواخر جميع الكلمات ؛ إفادةً للقارئ ، واستئناساً بوضع علامات الترقيم التي تفصل بين جُمَل السجع .

ـ تليينُ الكتاب من خلال ترقيمه ترقيماً دقيقاً محكماً ، ويدخل في ذلك تقسيمُهُ إلىٰ فقراتٍ ومقاطعَ تُعِينُ القارئ على الإلمام بأفكار الموضوع وعدمِ تشتُّت ذهنه عند تناوله والبحث فيه .

ـ شرحُ الكلمات الغامضة والعبارات الموهمة ، وقد رجعتُ في ذلك إلىٰ بعض المعاجم اللغوية والشروح الحديثية وغيرها ، ولا أنصُّ علىٰ نقلي منها في الغالب .

ـ إثراءُ الكتاب ببعض التعليقات العلمية المهمة ؛ وهي عبارة عن تأييد لما ساقه المؤلف ، أو استكمالٍ لفكرة لم يذكرها ، أو تنبيهٍ على ما ورد في بعض المصادر والمراجع ، أو تنبيه على وهم وقع فيه المؤلف ، أو ترجمة موجزة لبعض الأعلام ، ورجعت في بعض هٰذه التعليقات إلىٰ ما سَطَره الإمام العلامة محمد زاهد الكوثري رحمه الله تعالىٰ في تعليقاته على « السيف الصقيل » وغيره أثناءَ ردِّه على المبتدعة والمجسِّمة .

ـ إفراد بحث بدايةَ الكِتاب للتعريف بمضمونه ، وذكرت فيه أهمَّ ما حام حولَه ، وأبرزَ ما ضمَّتْه أبوابه .

ـ إحالةُ جميع ما صرَّح المؤلف بتقدُّمه أو تأخُّره ؛ وذلك من خلال عزوه إلىٰ مكانه المحدَّد أو المناسب .

ـ تزيينُ الكتاب باللون الأحمر العريض للعناوين الرئيسة والفرعية ، والكلمات والعبائر المهمَّة ، والألفاظ المشروحة في الهامش .

ـ ترجمة مؤلف الكتاب ، وحاولت فيها إزالة الغموض عن المؤلف قدر الإمكان ، والاعتمادُ الرئيس في هٰذه الترجمة على كتابنا هٰذا من مواضعَ متفرقةٍ منه .

ـ تذييلُ الكتاب ببعض الفهارس العلمية المفيدة للقارئ والباحث على حدٍّ سواء ؛ وهي فهرسٌ للآيات القرآنية ، وفهرسٌ لأطراف الأحاديث النبوية ، وفهرسٌ للأعلام المترجمين في الكتاب ، وفهرسٌ للأشعار وأوائل القصائد ، وفهرسٌ لأسماء الكتب التي ذكرها المؤلف ، وفهرسٌ لأهم مصادر ومراجع التحقيق ، وفهرسٌ عام لمحتوى الكتاب .

هٰذا ؛ ولم أتطرَّق في مقدمات الكتاب إلى ذكر عصر المؤلف ، وأبرزِ من ردَّ على المُجسِّمة عموماً وابن تيمية خصوصاً ؛ لشهرة هٰذين الموضوعين

واستفاضتهما ، وألمحت إلى ذلك تعليقاً في بعض المواضع من الكتاب .

وتأسِّياً بقوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لم يشكرِ الناسَ لم يشكرِ اللهَ » . . فإنَّني أتقدَّم بالشكر الجزيل لصاحب دار التقوىٰ الأخ الفاضل لؤي الأحمر علىٰ جهوده الكبيرة في إخراج هٰذا السِّفْر القيِّم النفيس ، كما أتقدَّم بالشكر لكل من ساهم في خدمته ولم يبخل بإبداء النصائح وإبراز الفوائد .

والمرجوُّ من القارئ النبيل والباحثِ الأصيل إذا عَثَر علىٰ خطأ أو زلل كبا به اليَراع . . أن يعفوَ ويصفح فإنَّ ذلك من شِيَم الطِّباع ؛ فإنَّني جَهَدتُ في إبراز الكتاب كما أراده مؤلفه ، وخصوصاً أنه يطبع أولَ مرة بعد قرون عديدة علىٰ تأليفه ، بل لعله لولا إحالةُ إمامنا الكوثريِّ عليه في بعض تعليقاته . . لما علمنا عنه خَبَراً ، أو وجدنا له أَثَراً ، ولكان في عِداد النسيان ، ومن جملة الكتب العديدة التي طواها المَلَوان .

وختاماً : فاللهَ أسأل أن يُجيرَنا من البدع المُوبقات ، ويَعصِمَنا من الفِتَن المُهلكات ، ويرزقَنا الإخلاص في الأقوال والأعمال والحركات والسكنات ، ويُثيبَنا من فضله جزيلَ الأجر وواسعَ الجنَّات ؛ بمنِّه وجوده وكرمه .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي المختار
وعلى آله وأصحابه المصطفين الأخيار

حُرِّر في :
(٩/١/١٤٤١هـ)
(١٠/٩/٢٠١٩م)

وكتبه
بلال محمد حاتم السقا

وصف النسختين الخطيتين

بعد البحث الحثيث في فهارس المكتبات العامة والخاصة ، وسؤال ومراجعة أهل الاختصاص بتوفير المخطوطات النادرة والنفيسة . . **لم يتوفَّر لديَّ سوىٰ نسختين خطيتين** ؛ إحداهما مكتوبة بخط المؤلف الإمام ابن المُعلِّم ، وأخرىٰ منسوخة عنها . **وإليك وصفَ هاتين النسختين** :

النسخة الأولىٰ

وهي نسخة **المكتبة الوطنية** (باريس ـ فرنسا) ، ذات الرقم (٦٣٨) ، وتتألف من (٣٢٨) ورقة ، ومسطرتها في غالب أوراقها : (٢٣) سطراً ، وعدد كلمات السطر الواحد : ما بين (٨ ـ ١٠) كلمات تقريباً .

وهـٰذه النسخة كتبت بخط المؤلف كما صُرِّح بذلك في طرتها ، وكما يظهر من خلال بعض الهوامش ، **ونصَّ المؤلف** علىٰ أن هـٰذه النسخة **تمَّ تبييضها عن نسخة مسوَّدة** كان قد ذكر فيها أسانيده للأحاديث والأخبار وكلام الصحابة والتابعين والعلماء ؛ قال رحمه الله تعالىٰ : (كنتُ أردتُ أن أذكر في كل حديث وخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفي كل كلام للصحابة والتابعين والعلماء الآتي ذكرُهم في هـٰذا الكتاب . . الأسانيدَ المُوصِلةَ ذلك إليَّ ، فمنعني بعض الفضلاء وقال : لا تفعل ؛ فإنه يُفضي إلى التطويل ، **فحذفت الأسانيد بعد أن كنت أثبتُّها في المسودة** ، ولم أذكر شيئاً من ذلك إلا ولي به سند متصل إلىٰ قائله ، **فليُعلم ذلك**)[1] .

(١) انظر (١/ ٧٩) تعليقاً .

والذي ظهر لي أثناء العمل بالكتاب : أن هـٰذه الإبرازة التي بأيدينا لم يُتَحْ للمؤلف أيضاً تبييضها تبييضاً تامّاً ؛ إذ نجد بعض الفراغات المُتفرِّقة في الكتاب ، وهي متفاوتة الحجم والمقدار ، ولعل المؤلف لم يتسنَّ له استكمالها ؛ إمَّا لعدم الظَّفَر بها ، وإمَّا لعدم تيسُّر الرجوع إليها ؛ **فعلىٰ سبيل المثال** قال مُهمِّشاً علىٰ أحد البياضات والفراغات : (كان الحكم مذكوراً في الأصل فكُشط ، **ولم أعلم ما هو حتىٰ أكتبه** ، فليُكشف من نسخة أخرىٰ وليُلحق به)[1] ، وقد تعاملت مع هـٰذا بما ذكرته في منهج العمل في الكتاب .

وعلىٰ هامش هـٰذه النسخة : كثير من اللحوقات المصححة ، وقد تمَّ إدراجها في مكانها المناسب ، وبعضُ كلمات وعبائر هـٰذه الهوامش لم تظهر لي ظهوراً تاماً بسبب رداءة التصوير ، وقد تمَّ بفضل الله تعالى استدراك الكثير منها ؛ من خلال الرجوع إلى المصادر والمراجع .

ويوجد في ثنايا هـٰذه النسخة قصاصات ورقية بخط المؤلف ، وهي بحدود (٢٨) قصاصة ، وغالبُها عبارة عن تراجمَ مستدركةٍ علىٰ أصل الكتاب ، وقد نصَّ المؤلف في كثير من هـٰذه القصاصات علىٰ مكان المستدرَك من الأصل .

وخط هـٰذه النسخة نسخي علىٰ معتاد ذلك العصر ، وتمَّت كتابة عناوين الكتاب وبعض العبائر المهمة باللون الأحمر ، كما تمَّ ضبط بعض الكلمات ضبطاً دقيقاً ، ولعله من صنيع المؤلف ، وقد استفدت منه كثيراً أثناء تحقيق الكتاب ، **وجاء كثير من الكلمات خالياً من النقط والإعجام** ، ممَّا أدىٰ إلى استشكال وخفاء بعض الكلمات ، وتوارد احتمالين أو أكثر علىٰ بعضها الآخر ، وقد أشرت إلىٰ بعض هـٰذه الكلمات في الحاشية .

ومما يجدر التنبيه عليه : أنه حصل انقطاع في بعض المواضع القليلة في

(١) انظر (٢/ ٤٤٢) تعليقاً .

خاتمة اللوحة (أ) وبداية اللوحة (ب) ، مما يدل على سقوط بعض الأوراق من الكتاب ، ويُرجِّح وجودَ هٰذا السقط إحالةُ المؤلف على بعض التراجم التي لم نعثر عليها فيه .

وجاء قبل طرة الكتاب : (كتاب « نجم المهتدي ورجم المعتدي » **بخط مؤلفه رحمة الله عليه** ؛ وهو الشيخ الإمام العالم العلامة ، وحيد دهره ، وفريد عصره؛ **محمد بن محمد بن عمر بن عبد الخالق ، المعروف بـ« ابن المُعلِّم »**، تغمَّده الله برحمته ، آمين ، آمين) ، وعليها تملُّك باسم أحمد المؤذن .

وأما طرة الكتاب : فهي مشابهة لما جاء قبلها ، وعليها تملُّك باسم الإمام المحدِّث المسند **نجم الدين محمد بن أحمد الغيطي** المصري الشافعي[1] .

ورمزت لهٰذه النسخة بـ (أ) ، أو (الأصل) بعض الأحيان .

ولا بدَّ من التنبيه : على أنه أثناء العمل بتحقيق الكتاب وصلتنا مصوَّرةُ دار الكتب المصرية ذات الرقم (١٣١٧) عن النسخة الفرنسية (أ) ، وقد صُوِّرت فيها كل صفحة على حدة ، مما أدَّى إلى ظهور بعض الهوامش المطموسة في النسخة (أ) ، والحمد لله على ذلك .

النسخة الثانية

وهي نسخة **دار الكتب المصرية** (القاهرة ـ مصر) ، ذات الرقم (١٩٤٣٥) ، قسم (علم الكلام) ، وهٰذه النسخة منقولة من منسوخة محفوظةٍ في دار الكتب المصرية برقم (١٣١٧) ، مصورةٍ عن النسخة الفرنسية ، وهي النسخة (أ) السابقة .

(١) وكان هٰذا الإمام من كبار أئمَّة عصره ، وانتهت إليه الرئاسة في علم الحديث والتفسير والتصوف ، توفي سنة (٩٨٣هـ) تقريباً . انظر « الكواكب السائرة » (٣/ ٤٧) .

وتتألف هذه النسخة من جزأين ، عدد صفحات الجزء الأول : (٦٠٨) ، والثاني : (٢٧٨) ، وهذه التجزئة غير موجودة في النسخة (أ) ، وإنما هي من صنيع الناسخ .

وهذه النسخة قريبة العهد من زماننا ؛ **إذ كان الفراغ من نسخها** في يوم الأربعاء (١٤) أكتوبر سنة (١٩٣٦م) ، الموافق لـ (٢٨) رجب سنة (١٣٥٥هـ) ، **وناسخها** : هو عبد الوهاب محمد زرنبة أحد النسَّاخين بدار الكتب .

وعندما وصلتني هذه النسخة ، ونظرت فيها نظرةً عَجْلىٰ . . سُررت كثيراً ؛ إذ اعتقدت أنها ستكون مُعينةً ومساعدة في الكشف عن بعض الطموسات والعبائر الخفية والغامضة الواقعة في النسخة الفرنسية (أ) ، **ولكن أثناء تقليبها والنظر في بعض المواضع ومنها الخاتمة** . . تبيَّن لي أنها منقولة عن النسخة السابقة المحفوظة في دار الكتب المصرية ، **ولا إشكال في ذلك لو أنَّ ناسخها قد تروَّىٰ في نسخها ، وتأنَّىٰ في ضبطها** ، لكنِّي وجدت كثيراً من الكلمات والعبائر قد قرأها قراءةً سريعةً غيرَ متأنِّية ، **فوقع بسبب ذلك في التحريف والتصحيف** .

ومثال ذلك : أنه حرَّف قوله في الأصل : (الذين صفَّت آباؤهم بصفين) إلى (الذين صنت آباؤهم بصنين) ، وقولَه : (وما هو إلا بيذق فرزنته) إلىٰ (وما هو إلا بندق فوزنته) ، وقولَه : (أرض ممالكه) إلى (الأرض بما لله) ، ومع ذلك يُشكر علىٰ هذا العمل ، ويُعْفىٰ عمَّا وقع فيه من الخطأ والزلل ؛ وذلك لصعوبة قراءة النسخة (أ) ، وكونها مكتوبةً علىٰ معتاد عصر المؤلف عموماً ، وعلىٰ ما جرىٰ واصْطَلَح عليه في بعض الحروف خصوصاً .

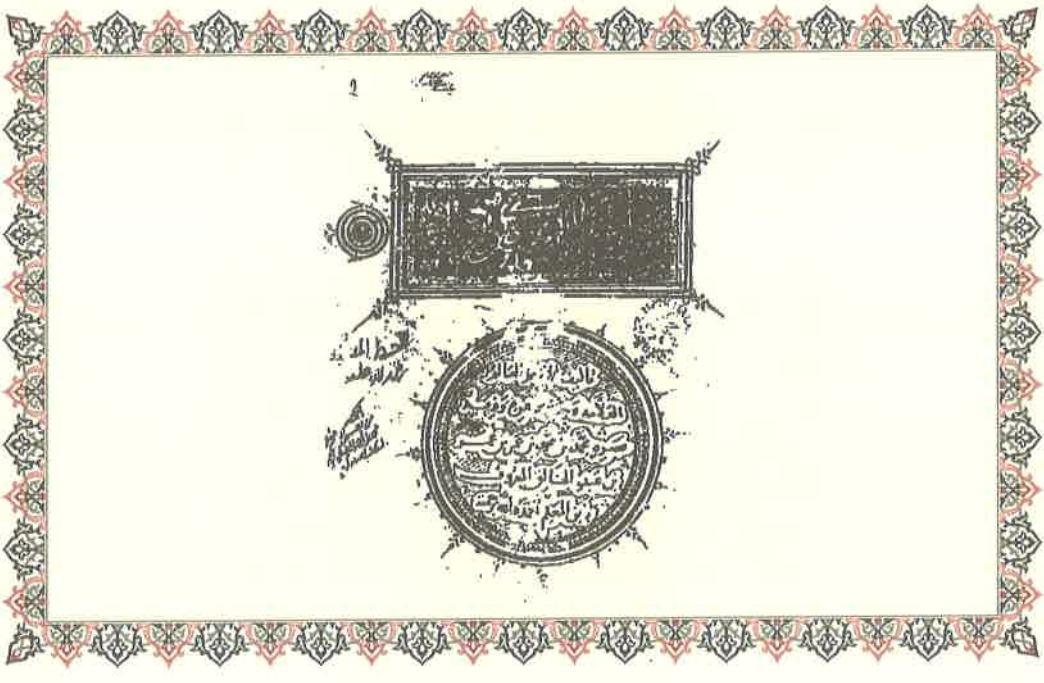
ورمزت لها بـ (ب) .

* * *

صور من النسختين الخطيّتين



رامز ورقة العنوان من النسخة (أ)



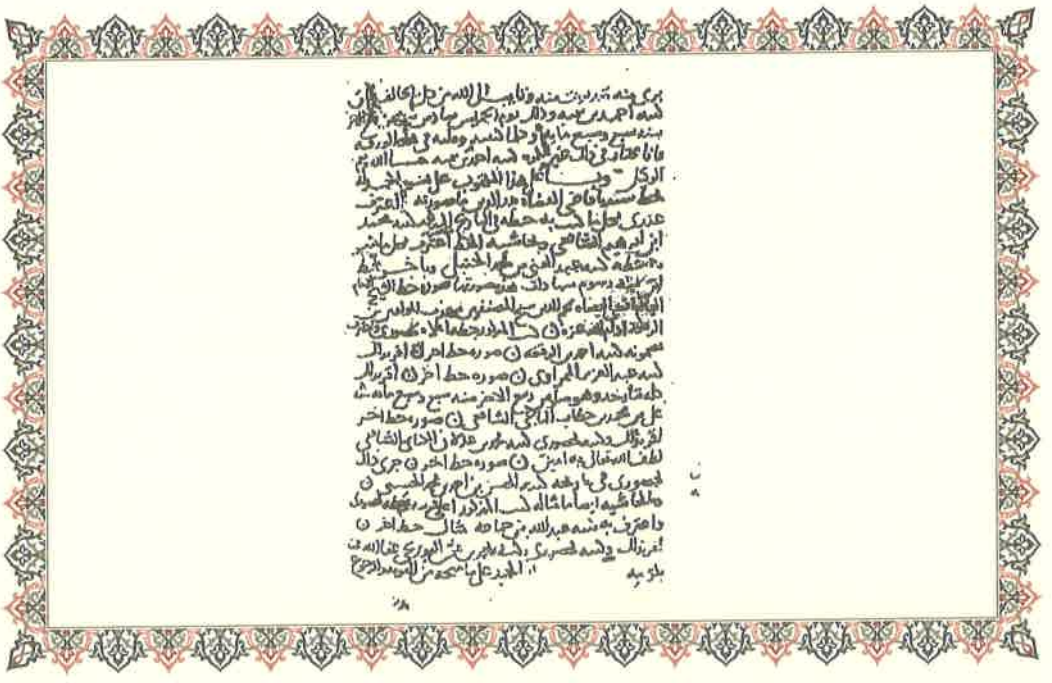
رامز ورقة العنوان من النسخة (أ)



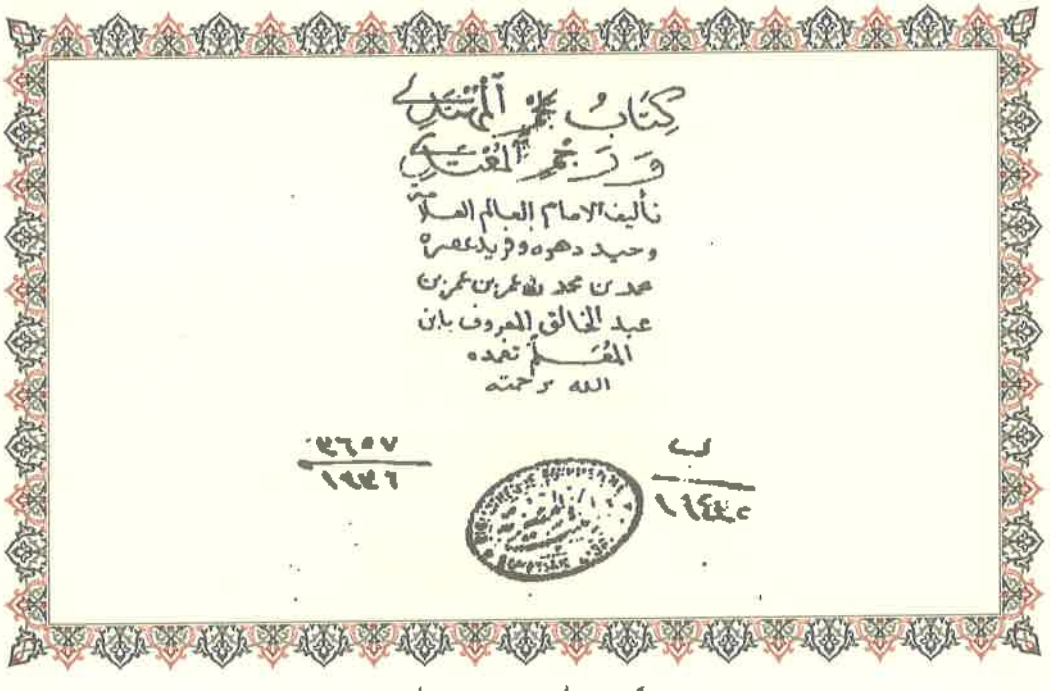
رامز الورقة الأولى من النسخة (أ)



رامز الورقة التي ذكر فيها نص توبة ابن تيمية من النسخة (أ)



رامور الورقة الأخيرة من النسخة (أ)، وفيها تتمة قول ابن تيمية مع شهادات الأئمة عليها



رامور ورقة العنوان من النسخة (ب)



رامز الورقة الأولى من النسخة (ب)



رامز الورقة الأخيرة من النسخة (ب)

نجم المهتدي ورجم المعتدي

تأليف

الإمام الفقيه القاضي المتكلّم المقرئ المحدّث الأديب

فخر الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عثمان بن عمر ابن المعلّم

القرشيّ المصريّ الشافعيّ

(٦٦٠ - ٧٢٥ هـ)

يطبع أوّل مرّة

وعلى نسختين خطّيتين إحداهما فريدة بخطّ المؤلف

حققه وعلّق عليه

بلال محمد حاتم السقا

الجزء الأوّل

دار التقوى

دمشق الشام

بسم الله الرحمن الرحيم

رب أعن بمنك

خطبة الكتاب

يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه المستغفر من ذنبه محمد بن محمد ابن المعلم :

الحمدُ للهِ السابقِ قِدمُ ذاتِهِ وصفاتِ ذاتِهِ ، المُتناسِقِ نِعَمُ هِباتِهِ وصِلاتِهِ ، الحيِّ بحياةٍ قديمةٍ أزليَّتُها وأبديَّتُها عُلِمَتا وما جُحِدَتا ، الواحدِ في مُلكِهِ لو كانَ فيهما آلهةٌ إلا اللهُ لَفسدَتا ، العالمِ بجميعِ المعلوماتِ جُزْئيَّاتِها وكُلِّيَّاتِها ، القادرِ فلا يُعجِزُ قدرتَهُ شيءٌ مِنْ مَقْدوراتِها ، المريدِ لما يُوجِدُهُ ويُعدِمُهُ مِنَ الجواهرِ والأعراضِ ، وأفعالِ العبادِ مِنَ الطاعةِ والمعاصي والإقبالِ والإعراضِ ، الباقي فلا أَمَدَ لبقائِهِ ولا انقطاعَ ، السميعِ لا بأداةِ الإحساسِ ولا بجارحةِ السماعِ ، البصيرِ لا بحَدَقَةٍ وطَرْفٍ ، المُتكلِّمِ لا بصوتٍ وحَرْفٍ .

يدُ كرمِهِ مَبْسوطةٌ بنعمتِهِ لا يَغِيضُها شيءٌ سَحَّاءُ مِنْ فَيْضِ رِفْدِهِ[1] ، وعينُ اعتنائِهِ نجَّتْ موسىٰ مِنْ غمِّ القتلِ وردَّتْهُ إلىٰ أمِّهِ كي تَقَرَّ عينُها بردِّهِ ، وأعانَتْ

(١) لا يَغِيضُها : لا ينقصها ؛ يقال : غاض الماءُ وأغاضه الله ؛ إذا نقص ، والسَّحُّ : الانصباب الدائم ، وتحتمل في (أ) : (سحّاً) ، وكلاهما جائز هنا ، إلا أن الأول مصدر ، والثاني صفة علىٰ وزن (فعلاء) ، والرِّفْد : العطاء والصِّلة ، وفي كلامه إشارة إلىٰ قوله صلَّى الله عليه وسلَّم ـ فيما أخرجه البخاري (٧٤١١) ، ومسلم (٩٩٣) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ـ : « يدُ اللهِ مَلأىٰ لا يَغِيضُها نفقةٌ ، سحَّاءُ الليلَ والنهارَ » ، وانظر « عمدة القاري » (٢٥/ ١٠٦) ، و« شرح صحيح مسلم » للنووي (٧/ ٨٠) .

نوحاً على عملِ السفينةِ بهدايتِهِ ورُشْدِهِ ، فتَعْساً للمُشبِّهةِ الضُّلالِ ومَنْ يُضْلِلِ اللهُ فما لهُ مِنْ وليٍّ مِنْ بعدِهِ .

استوىٰ على العرشِ لا بتحيُّزٍ كمَقَالِ الضالِّ[1] ، تنزَّهَ عنِ استقرارِ المُتحيِّزِ وحالِ الحالِّ ، جلَّ عن مُماسَّةِ الأَحْيازِ وإحاطةِ الأقطارِ ، وتعالىٰ عنِ الحدِّ والشكلِ والمِقْدارِ ، لا تُدرِكُهُ الأبصارُ وهوَ يُدرِكُ الأبصارَ ، وهوَ اللطيفُ الخبيرُ .

فسبحانَ مَنْ حَجَبَ الخَلْقَ عن معرفةِ كُنْهِ ذاتِهِ ، وهداهُم إلىٰ وَحْدانيَّتِهِ بدلائلِ مصنوعاتِهِ !! فعرفُوا ما مَنَّ عليهِم بمعرفتِهِ مِنْ ذاتِهِ وصفتِهِ ، واعترفُوا بالعَجْزِ عن حقِّهِ وحقيقتِهِ ؛ فكلُّ ما صوَّرَهُ الفهمُ ، أو قدَّرَهُ الوَهْمُ ، أو خَطَرَ بخاطرٍ مِنْ ذلكَ . . فاللهُ بخلافِهِ .

أحمدُهُ على العِصْمةِ مِنْ وُرودِ شِرَعِ البدعِ[2] ، وأشكرُهُ علىٰ مُفارقةِ مَنْ فَرَّقَ دينَهُ مِنَ الشِّيَعِ .

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ شهادةَ مَنِ اعترفَ لهُ بما يستحقُّهُ مِنْ خصائصِ الكمالِ ، وصَرَفَ مُعتقَدُهُ ونُطْقُهُ عنهُ نقائصَ الشبيهِ والمثالِ[3] .

وأشهدُ أنَّ مُحمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ أعلمُ الخَلْقِ بالحقِّ وأشدُّهُم لهُ خَشْيةً ومنهُ حياءً ، الذي ارتقىٰ أَعْلىٰ درجاتِ التنزيهِ كما ارتقى السَّبْعَ سماءً سماءً ، وأُعْطِيَ

(١) في (ب) : (كما قال) بدل (كمقال) ، و(أل) في (الضال) جنسية ، وهو المناسب لسياق المقدمة ، وفيه إشارة إلىٰ من أَلَّف هٰذا الكتاب بسببه ، وفي جملة الدعاوي التي ادُّعيت على ابن تيمية : أنه كان يقول بالاستواء حقيقةً ، علىٰ ما هو المشهور في كتب التاريخ ، وسيعقد المؤلف بحثاً طويلاً في الكلام على آية الاستواء في (٢/ ٣٧٤ـ ٣٨٠) ، وانظر « مرآة الجنان » (٤/ ١٨٠) .

(٢) الشِّرَع في الأصل : جمع شِرْعة ؛ وهو منهل الماء الذي يُستقىٰ منه .

(٣) في (ب) : (التشبيه) بدل (الشبيه) .

لواءَ الحمدِ وهوَ معَ ذلكَ يقولُ : « لاَ أُحْصِي ثَـنَاءً »[1] ، وآلَتْ آلاؤُهُ الشريفةُ ألا تَقْرَبَ الدنيا ممَّا فاءَ وفاءً .

صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ الذينَ كشفُوا بضيائِهِم ليلَ الزَّيْغِ حينَ سَجَا[2] ، وقالَ فيهِم : « أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ »[3] وهم كذلكَ منهُم معالِمُ للهدىٰ ومصابيحُ تَجْلو الدُّجَىٰ[4] ، ما اهتدىٰ إلىٰ وَحْدانيَّتِهِ حِجْرٌ وحِجاً[5] .

وبعدُ :

فلمَّا كانَتْ عنايةُ الشرعِ بدَفْعِ المفاسدِ أهمَّ ، وتقديمُهُ علىٰ جَلْبِ المصالحِ أكملَ وأتمَّ ، وكانَ إنكارُ المُنكَرِ مِنْ أداءِ الفروضِ ، والقيامِ بالواجبِ المفروضِ ، وأهمُّ ذلكَ تطهيرُ الأرضِ مِنَ البِدَعِ وعُدَاتِها[6] ، وقطعُ ألسنةِ مَدْعوِّها ودُعاتِها[7] .

وأيُّ بدعةٍ أعظمُ ممَّنِ اجترأَ على الخالقِ ، وأقدمَ علىٰ تشبيهِهِ ببعضِ الخلائقِ ؟! ومَنْ أضلُّ ممَّنِ اتَّبعَ هواهُ بغيرِ هُدىً ؟! ولا أحدَ أَخْسرُ ممَّنْ نحتَ

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦) ، ومالك في « الموطأ » (١/ ٢١٤) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٢) سجا : دام وسكن .

(٣) أخرجه عبد بن حميد كما في « المنتخب » (٧٨٣) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، والقضاعي في « مسند الشهاب » (١٣٤٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « البدر المنير » (٩/ ٥٨٤ـ٥٨٨) ، و« التلخيص الحبير » (٤/ ٣٥٠ـ٣٥١) .

(٤) تجلو الدُّجىٰ : تكشف الظلمات ، وفي الكلام تضمين من شعر ابن الرومي ؛ وهو قوله : (من الكامل)

منها معالِمُ للهُدىٰ ومصابحٌ تَجْلو الدُّجىٰ والأُخْرياتُ رُجُومُ

انظر « ديوانه » (٦/ ٢٣٤٥) .

(٥) الحِجْر : العقل ، وعطف (حجاً) عليه عَطْفَ ترادفٍ .

(٦) في (ب) : (ومحدثاتها) ، والعُداة : جمع عادٍ ؛ كقاضٍ وقُضاة .

(٧) في (أ) : (ودُعاتها) .

بِمعْوَلِ مِقْولِهِ إلـهاً جَسَداً[1] ، ودعا إليهِ مُناظِراً بل مُخاطِراً للمنيَّةِ مُستعِدّاً ، تكادُ السماواتُ يتفطَّرْنَ منهُ وتنشَقُّ الأرضُ وتَخِرُّ الجبالُ هَدّاً[2] .

ولمَّا كانَ هـٰذا العصرُ المُذْهَبُ[3] ، والمِصْرُ الذي ليسَ لأهلِهِ إلا مذهبَ أهلِ الحقِّ مذْهَبٌ[4] ، المُغْدِقةُ بُحورُ علمائِهِ للوارِدِ الصَّادي[5] ، المُشرِقةُ بُدُورُ فقهائِهِ في أتلالِ المَحافِلِ والنادي ، المُورِقةُ أَفْنانُ دَوْحتِهِمُ المُطِلَّةِ[6] ، القاهرةُ سَطْوتُهُم فئةَ البِدَعِ المُضلَّةِ . . هَجَمَ على حَرَمِهِم هاجِمٌ[7] ، ونَجَمَ في مَمَرِّ سبيلِهِم ناجِمٌ[8] ، قابلَ ضياءَ نهارِهِم بقِطْعِ مُظْلِمٍ[9] ، وكِسْفٍ مُعْتِمٍ[10] ، وما هوَ إلا مارٌّ قادَهُ عِثارُهُ إلى خَسْفِهِ[11] ، وغُبارٌ أثارَهُ

(١) في (ب) : (أضر) بدل (أخسر) .

(٢) وسيأتي ذكر بعض هـٰؤلاء المشبهة الذين وصفوا الله بأوصاف نزلوا بها عن طبقة العوام ، ونسبوا له عظائم فُوِّقتْ عليهم بسببها صائبات السهام . انظر (١/ ١١٦ ، ١٣١ ، ٢/ ٤٢١) .

(٣) **المُذْهَب** : المموَّه بالذهب ، والجملة معطوفة على الشرط صدرَ الفقرة السابقة .

(٤) كتب فوق كلمة (الحق) في (أ) : (السُّنة) ، وفي (ب) : (أهل الحق للسنة) ، وفي الكلام تضمين من شعر الكميت ؛ وهو قوله : (من الطويل)

وما لـيَ إلا آلَ أحمـدَ شيعـةٌ ... وما ليَ إلا مذهبَ الحقِّ مذهبُ

انظر « ديوانه » (ص٥١٧) ، وفيه : (مَشْعَب) بدل (مذهب) ، وهما بمعنىً .

(٥) **المُغْدِقة** : يقال : أغدق المطر إغداقاً ؛ إذا كثُر قَطْره ، **والصادي** : العطشان .

(٦) **الدَّوْحة** : الشجرة العظيمة ، **والأَفْنان** : جمع فَنَن ؛ وهو الغصن .

(٧) **المراد به** : ابن تيمية المعقود هـٰذا الكتاب في إبطال مقالاته ونُصْرة مذهب أهل السنة والجماعة .

(٨) **نَجَمَ** : ظهر وطلع ، وفي (ب) : (سبيلهم) بدل (سبيلهم) ، والمثبت أبلغُ معنىً .

(٩) **القِطْع** : ظلمة آخر الليل ، أو السواد منه . انظر « تاج العروس » (٢٢/ ٣٤) ، مادة : (ق ط ع) .

(١٠) **الكِسْف** : القطعة من الشيء .

(١١) **العِثار** : الزَّلل ، وجاءت الخاء في (أ) في قوله : (خَسْفه) دون إعجام ؛ بمعنى : الغيظ والعداوة .

باحثٌ بِظِلْفِهِ[1] ، وجَسَدٌ بعثَهُ الحسدُ إلىٰ حَتْفِهِ ، وفي تَعَبِ مَنْ يحسُدُ الشمسَ نورَها ويَجْهَدُ أنْ يلفَّهُ بلفِّهِ[2] .

فاقتضىٰ تحقيرُ شانِهِ ، وتصغيرُ مكانتِهِ ومكانِهِ . . ألا يَنْتَدِبَ للرَّدِّ عليهِ إلا خُذْرِيٌّ جُذُرِهِم[3] ، ولا يُشرِقَ لَهَواتِهِ إلا قطرةٌ مِنْ بحرِهِم[4] ، يُجَرِّعُهُ ما يتجرَّعُهُ ولا يَكادُ ، ويُوسِعُهُ مِنَ الجدالِ ما يُرْبِي على الجِلَادِ ، فإنْ رجعَ وإلا فالسيفُ أصدقُ أنباءً[5] ، وبهِ يصلُ إلى اليقينِ مشاهدةً لا إنباءً ، وهم أعزَّهُمُ اللهُ وشرَّفَهُم ، وجمعَهُم على الحقِّ وألَّفَهُم . . أتمُّ نَظَراً ، وأعظمُ خَطَراً .

* * *

(١) الظِّلْف في الأصل : ظُفُر كل ما اجترَّ ، واستخدمه المؤلف هنا لهـٰذا الهاجم الناجم علىٰ سبيل الاستعارة ، وأصل الكلام مَثَلٌ يُضرب للرجل يسعىٰ إلىٰ ما فيه هلاكه وفناؤه . انظر « جمهرة الأمثال » (١/ ٣٦٣) .

(٢) أي : يجتهد ويبالغ في طمس وإخفاء نور الحق الذي هو كالشمس ظهوراً وسطوعاً . . بتمويهاته وتدليساته الناشئة عن حسده وغيظه ، وفي الكلام تضمين من شعر المتنبي ؛ وهو قوله : (من الطويل)

وفي تَعَبٍ مَنْ يحسُدُ الشمسَ نورَها ... ويَجْهَدُ أن يأتِيَ لها بضَرِيبِ

انظر « ديوانه » (١/ ٥٦) .

(٣) أي : أصغر القوم وأقلهم ، والمراد المؤلف نفسه ، وهو خارج مخرج التواضع ، وفي الكلام إشارة إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (٢١٥٣/ ٣٤) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٤) يقال : رجل مِشْراق : إذا كان من عادته أن يُغِصَّ عدوَّه بريقه .

(٥) وهـٰذا إشارة إلىٰ بعض بيت أبي تمام الشهير ؛ وهو قوله : (من البسيط)

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ ... في حَدِّه الحَدُّ بين الجِدِّ واللعبِ

انظر « ديوانه » (١/ ٤٠) .

الدّاعي إلى تأليف الكتاب

ولمَّا وردَتْ عليَّ فُتْياهُ الفاتنةُ[1] ، التي أَبانَ فيها عن مُجاهَرةٍ ومُباينَةٍ ، وعُرِضَ عليَّ ما روَّجَهُ ، وأظهرَ نقدُ التأمُّلِ بهرجَهُ[2] . . **تروَّيْتُ في تنخيلِهِ بالمُجاوَبةِ أيّاماً** ، وتردَّدتُ في تأهيلِهِ للمُخاطبةِ إقداماً وإحجاماً .

ثمَّ رأيتُ أنَّ الردَّ عليهِ مِنْ فروضِ الأعيانِ ، وأنَّ التخاذُلَ في هٰذا الأمرِ مِنْ أَماراتِ الخِذْلانِ ، وأنَّ السكوتَ عنهُ ممَّا يجُرُّهُ إلى الزيادةِ مِنَ الجُرْأةِ ، وما العذرُ والمُقابَلُ في صورةِ الرجلِ ومِرَّةِ المرأةِ[3] ؟! وربَّما تَخيَّلَ الاحتقارَ عَجْزاً[4] ، مَنْ لا يفهمُ إشارةً ولا رَمْزاً .

فاستخرتُ اللهَ تعالىٰ وابتدأتُ بتعنيفِهِ علىٰ ما صدَرَ منهُ[5] ، ثمَّ بتزييفِ ما نُقِلَ في فُتياهُ عنهُ ، مُتتبِّعاً لكلامِهِ فَصْلاً فَصْلاً ، مُجتثّاً أصولَهُ أَصْلاً أَصْلاً ، مُبيِّناً مقاصدَهُ الذميمةَ تلويحاً وتصريحاً ، مُظهِراً ما زَعَمَ أنَّهُ نَصَحَ بهِ وليسَ نَصيحاً .

ثمَّ عَرَضْتُ عليهِ الإعراضَ عنِ الغَوايةِ ، مُبيِّناً لهُ طريقَ الهِدايةِ ، راجياً رجوعَهُ إليها ، مُعتمِداً علىٰ معونةِ اللهِ التي فازَ مَنِ اعتمدَ عليها ؛ **فقلتُ** :

(١) سيأتي مقتطفات منها في كلام المؤلف مع تخريجها إن شاء الله تعالىٰ ، وما أعقب هٰذه الفتيا من أمور وأحداث . انظر (١/ ٧٧) وما بعدها ، و(٢/ ٥٢٦ـ ٥٤٢) .

(٢) **البَهْرج** : الباطل والرديء من الشيء .

(٣) **المِرَّة** : قوة الخلق وشدته .

(٤) أي : احتقارَ الخصم عن مجاوبته وتأهيله للخطاب .

(٥) في (ب) : (بتضعيفه) بدل (بتعنيفه) .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة : ٢٢] .

أيُّها الشابُّ السابُّ[١] المُتعصِّبُ المُتعضِّبُ السابقُ بمُنكَرِ القولِ[٢] ، السائقُ إلىٰ مَسْألتِهِ العَوْلَ[٣] ؛ لقد تجرَّأتَ على العظيمِ بكلامٍ لا يُقالُ ، وتبرَّأتَ مِنَ النَّهْجِ القويمِ فعِثارُكَ لا يُقالُ ، وأثِرْتَ علىٰ نفسكَ عِثْيَرَ الندمِ ، وعَثَرْتَ بلسانِكَ وعَثْرةُ الفمِ تُنسي عَثْرةَ القدمِ[٤] ، أطْرِقْ كَرَا أطْرِقْ كَرَا[٥] ،

(١) ويحتمل أن (الشابّ) اسم فاعل من (شبَّ) إذا أوقد وأشعل، وسبُّ ابن تيمية للأئمة مشهور عنه ؛ كسبه للإمام حجة الإسلام الغزالي، بل تعدَّى ذلك إلى الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم. انظر على سبيل المثال « الدرر الكامنة » (١/ ١٧٩ـ ١٨١) .

(٢) في (ب) : (المتعظب) بدل (المتعضب) ، والمُتعضِّب : الشتَّام والسبَّاب ، والمُتعظِّب : المقيم على الشيء المُصبِّر نفسه لأجله .

(٣) مَسْألته ؛ أي : مقالته في فتياه الفاتنة التي سيأتي بعض نصوصها ، والعَوْل : الميل إلى الجور والظلم ، والعَوْل شرعاً : زيادة السهام على الفريضة ، فتعول المسألة إلىٰ سهام الورثة ، فيدخل النقص عليهم بقدر حِصَصهم .

(٤) في الكلام تضمين من شعر أبي تمام ؛ وهو قوله : (من البسيط)

يا زلَّةً ما وُقِيتُم شرَّ مَصْرعِها ... وزلَّةُ الرأيِ تنسي زلَّةَ القدمِ

وفي المثل : (عَثْرة القَدَم أسلمُ من عَثْرة اللسان) انظر « مجمع الأمثال » (٢/ ٣٣) ، و« ديوان أبي تمام » (٣/ ١٩٤) .

(٥) الكَرَا : ترخيم كروان علىٰ خلاف القياس ؛ وهو طائر يشبه البط لا ينام الليل ، سُمِّي بضده من الكرىٰ ، وفي كلامه إشارة إلىٰ مثل شهير ؛ وهو : (من مجزوء الرجز)

أطْرِقْ كَرَا أطْرِقْ كَرَا ... إنَّ النَّعامَ في القُرىٰ

وهو مثل يضرب للمعجب بنفسه ، ولمن يُخدع بكلام يُلطَّف له ويراد به الغائلة . انظر « حياة الحيوان الكبرىٰ » (٢/ ٣٢٦) ، و« تاج العروس » (٣٩/ ٣٩٧) ، مادة : (ك ر و) .

مَا إخالُكَ إلا في سِنَةِ الكَرَىٰ[1] .

كُنْتَ فِيمَا كَتَبْتَهُ نَائِمَ ٱلْعَيْـ ـنِ فَهَلْ كُنْتَ نَائِمَ ٱلأَقْلاَمِ[2]

لقد جرَّتْكَ جُرْأَتُكَ إلىٰ مَزَلَّةِ دَحْضٍ[3] ، وخلا لكَ جوُّكَ[4] وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ[5] .

كلا ، واللهِ ؛ إنَّ وراءَكَ لأَطْواداً شامخةَ الذُّرا[6] ، سما بها إلى النجمِ فرعٌ رسا[7] أصلُهُ تحتَ الثَّرىٰ[8] ، وبحاراً طامِيَةَ الأَسْيافِ[9] ، وأنصاراً ظامية الأَسْيافِ[10] ، لا يُرويها إلا دَمُ الثَّغْرِ والكُلَىٰ[11] ، ولا يَغْذُوها إلا شيءٌ مِنَ

(١) السَّنَة : النعاس ، والكَرَىٰ بمعناه .

(٢) البيت للمتنبي في « ديوانه » (٣/ ٣٧٧) ، وهو من الخفيف .

(٣) المَزَلَّة والدَّحْضُ : هما بمعنىً واحد ؛ وهو الموضع الذي تَزِل فيه الأقدام ولا تستقر ، وجاء في صفة الصراط ـ كما في « صحيح البخاري » (٧٤٣٩) ـ أنه مَدْحَضةٌ مَزَلَّةٌ . انظر « النهاية في غريب الحديث والأثر » (٢/ ٣١٠) ، مادة : (ز ل ل) ، و« شرح النووي على مسلم » (٣/ ٢٩) ، و« فتح الباري » (١٣/ ٤٢٩) .

(٤) أشار بذلك : إلىٰ قول طَرَفة أو كليب التغلبي : (من الرجز)

يـا لـكِ مـن قُبَّـرَةٍ بمَعْمَـرِ خلا لكِ الجوُّ فبيضي واصْفِري

وضربه المؤلف هنا مثلاً للسابِّ المتعصِّب الذي تمكَّن من حاجته لغياب الرقيب عنه في أول الأمر .

(٥) أشار بذلك : إلىٰ قول المتنبي : (من الخفيف)

وإذا مـا خـلا الجبـانُ بـأرضٍ طَلَـبَ الطَّعْـنَ وحـدَهُ والنِّـزالا

انظر « ديوانه » (٣/ ١٤٣) .

(٦) الأطواد في الأصل : الجبال العظيمة ، وشامخة الذُّرا : شاهقة الارتفاع والعلو .

(٧) رسا : ثبت .

(٨) الثَّرىٰ : التراب .

(٩) الأسياف هنا : جمع سِيف ؛ وهو الساحل ، ولعل المراد : البحار الغزيرة الأمواج ، والله تعالىٰ أعلم .

(١٠) زاد في هامش (أ) بعد (ظامية) : (الأسنة) .

(١١) الثَّغر : ما تقدَّم من الأسنان ، والكُلَىٰ : جمع كُلْية .

الهامِ والطُّلَىٰ[1] ؛ كلٌّ منهُم يستحقِرُكَ عن أنْ تكونَ للمُناجَزةِ قَريناً[2] ، ويستحقرُكَ عن أنْ تكونَ عندَ المبارزةِ طَعِيناً .

فإنْ كنتَ طمِعْتَ في مُناظَرتِهم ؛ فكم عاشٍ بعينَيْهِ لما لا ينالُهُ[3] ، وماشٍ برجلَيْهِ لحَتْفٍ يغتالُهُ !! ولكنْ إذا عشَّ الذبابُ[4] . . فليسَ إلا الطَّرْدُ أوِ المَقْلُ[5] ، دلَّ عليهما العقلُ والنقلُ ، وللنارِ مَرَاشُ الفَراشِ ، وبالبتَّارِ يُحصَدُ ما بَسَقَ علىٰ غيرِ النَّسَقِ وطاشَ[6] ، إنْ كنتَ ريحاً . فقد صادفتَ إعصاراً[7] ، ارْبَعْ علىٰ ظَلْعِكَ[8] ، وقَصِّرْ مِنْ طمعِكَ ، فما تعرَّفْتَ إلا بهـٰذا النُّكْرِ[9] ، وما سُدْتَ إلا والزمانُ بهِ سُكْرٌ[10] .

(١) **الهام** : جمع هامة ؛ وهو الرأس ، **والطُّلَىٰ** : جمع طُلْية ؛ وهو العنق .

(٢) **المُناجَزة** : المبارزة والمقاتلة .

(٣) **العَاشِي** : ضعيف النظر الذي لا يبصر ليلاً ، وفي كلامه تضمين من شعر أبي حاتم ؛ وهو قوله : (من الطويل)

وعـاشٍ بعَيْنَيْـهِ لِمَـا لا ينـالُـهُ كسـاعٍ بـرجلَيْـهِ لإدراكِ طـائـرِ

انظر « أمالي القالي » (١/ ٢٥٣) .

(٤) **عشَّ الذباب** : نزل مُكْرِهاً .

(٥) في (ب) : (أو القتل) ، **والمَقْل** : غَمْسُ الشيء في الماء أو غيره ثم طَرْحُه ، وفي الحديث الذي رواه أبو داود (٣٨٤٤) وغيره : « إذا وقعَ الذبابُ في إناءِ أحدِكم . . فامْقُلُوهُ » .

(٦) **بَسَق** : طال وارتفع ، **وطاش** : انحرف وعَدَل؛ يقال: طاش السهم عن الهدف ؛ إذا عَدَلَ .

(٧) **أشار به** : إلىٰ مَثَل شهير يُضرَب للمُدِلِّ بنفسه ـ أي : الواثق بها ـ إذا لقي من هو أقوىٰ منه وأدهى . انظر « جمهرة الأمثال » (١/ ٣١) ، و« مجمع الأمثال » (١/ ٣٠) .

(٨) **ارْبَعْ** : كُفَّ وانتهِ ، **والظَّلع** : الميل ؛ أي : إنك ضعيف أيها السابُّ ؛ فانتهِ عمَّا لا تطيقه ، وارفُقْ بنفسك وكُفَّها عمَّا تحاوله . انظر « زهر الأكم » (٣/ ٤٥) ، و« تاج العروس » (٢١/ ٢٥ ، ٤٧٠) ، مادة : (ر ب ع ، ظ ل ع) .

(٩) أي : ما صرتَ معروفاً إلا بهـٰذا المَقال المُنكَر الذي أودعْتَه فتواك .

(١٠) **أشار به** : إلىٰ بيت ابن قاضي ميلة ؛ وهو : (من الطويل) =

وَإِنَّ بِقَـوْمٍ سَـوَّدُوكَ لَحَـاجَـةً إِلَـىٰ سَيِّدٍ لَـوْ يَظْفَـرُونَ بِسَيِّـدِ[1]

ولعلَّ رَهْطَكَ لا يُرضِيهِمُ انتصارُكَ المبذولُ ؛ فإنَّ المُستنصِرَ بكَ مَخْذولٌ ، لم يَنبعِثْ مِنْ ثمودَ إلا أَشْقاها ، ومثلُكَ مَنْ فَدَىٰ فئتَهُ الضالَّةَ بنفسِهِ ووَقَاها ، لقد أَلْحقتَ بهِم عارَ الحياةِ والمماتِ ، ومَلأتَهُم أَوْضاراً لا يُطهِّرُها مدُّ النيلِ والفراتِ[2] ، وهِجْتَ عليهِم حَرْباً طَحُوناً[3] ، وصَيْلماً زَبُوناً[4] ، لا يُطفِئُ نارَها ، ولا يُخمِدُ غُبارَها . . إلا دمُ مَنْ أَثَرَها وأثارَها[5] .

لا تحسَبِ المجدَ تمراً أنتَ آكلُهُ[6] ، ولا نهراً أنتَ ناهلُهُ ، لكنَّ مثلَكَ مَنْ بَذَلَ نفسَهُ في هَواهُ ، حينَ استخفَّهُ الشيطانُ واستهواهُ ، فخُذْ مِنْ جِذْعِ

= ترفَّقْ يراجعْ فيك دهرُكَ عقلَهُ فما سُدْتَ إلا والزمانُ به سُكْرُ

انظر « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » (٨/ ٥٣٠) .

(١) البيت للأحوص الأنصاري في « ديوانه » (ص٧٨) ، وينسب لأبي نُخَيلة الحِمَّاني كما في « خزانة الأدب » (١/ ١٦٥) ، وهو من الطويل .

(٢) **الأَوْضار** : جمع وَضَر ؛ وهي الخبائث أو الأوساخ .

(٣) **الحربُ الطَّحُون** : التي تطحَنُ كلَّ شيء يدخل فيها .

(٤) في (ب) : (وصَلْتاً) بدل (وصَيْلماً) ، **والمراد بالصَّيْلم الزَّبُون في كلامه** : الحرب التي تقطع الناس وتستأصلهم .

(٥) أي : إلا دم من أنبأ وأخبر بها ثم هيَّجها وأشعلها مريداً للفتنة ، وقال تلميذه الحافظ الذهبي في « رسالته » التي نصح بها ابن تيمية ـ وهي ملحقة بآخر كتاب « زغل العلم » (ص٣٦) ، وهي رسالة ألَّفها ناصحاً لابن تيمية بعد أن رأىٰ منه المنكرات والفظائع ـ : (يا خيبةَ من اتَّبعك ؛ فإنه مُعرَّض للزندقة والانحلال ، لا سيَّما إذا كان قليل العلم والدين ، باطولياً شهوانيّاً ، لكنه ينفعك ويجاهد عنك بيده ولسانه ، وفي الباطن عدوٌّ لك بحاله وقلبه ، فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل ، أو عامِّيٌّ كذَّاب بليد الذهن ، أو غريب واجم قوي المكر ، أو ناشف صالح عديم الفهم ؟! فإن لم تُصدِّقني ففتِّشهم وزنهم بالعدل) .

(٦) **أشار به** : إلىٰ بيت شهير ؛ وهو قول رجل من بني أسد : (من البسيط)

لا تحسَبِ المجدَ تمراً أنتَ آكلُهُ لن تبلُغَ المجدَ حتىٰ تلعَقَ الصَّبِرا

انظر « حماسة أبي تمام » (٤/ ٨٢) ، و« أمالي القالي » (١/ ١١٣) .

ما أعطاكَ[1] ، واستَهْدِفْ بنَحْرِكَ لسهمِ مُصيبِ ما أخطاكَ[2] ، ولو تُرِكَ القَطا لنامَ[3] ، ولم يُقلِقِ الأنامَ ، ولكنْ هِجتَ ولَجِجتَ[4] ، وهجمتَ على الأُسْدِ آجامَها[5] ، وبدأتَ ببَدْأَةِ ضيَّعَتِ الأُخوَّةَ وذِمامَها[6] ، وسَبَقْتَ إلى الطَّعْنِ ، ورشَقْتَ بأسهُمِ اللَّعنِ[7] ، ولعَمْري !! لقد أَذْكرتَ الطَّعنَ ناسياً ، وحاولتَ أن

(١) أشار به : إلىٰ مثل شهير ، وقصته : أنَّ جِذْع بن عمرو كانت قبيلتُهُ غسانُ تُؤدِّي الإتاوة كل سنة إلىٰ ملك سَليح ـ وهي قبيلة باليمن ـ وكان يلي ذلك سَبْطةُ بنُ المنذر السَّلِيحي ، فجاء سَبْطة إلىٰ جذع يسأله الدينارين ، فدخل جذع إلىٰ منزله ثم خرج مشتملاً علىٰ سيفه ، فضرب به سبطة حتىٰ برد ، ثم قال : (خذ من جِذْع ما أعطاك) ، وامتنعت غسان من هٰذه الإتاوة . انظر « مجمع الأمثال » (١/ ٢٣١) ، و« جمهرة الأمثال » (١/ ٤٢١) .

(٢) استَهْدِفْ بنَحْرك ؛ أي : انْصِبْه هَدَفاً وغَرَضاً ؛ يقال : من صنَّفَ . . فقد استَهْدَفَ ؛ أي : انتصب كالغرض يُرمىٰ بالأقاويل .

(٣) أشار به : إلىٰ مَثَلٍ يُضرب للرجل يؤمر بترك ما لا يصل إلىٰ تركه مما هو مُؤْذٍ له ، وأول من قاله : حَذَام بنت الريان كما نقله الميداني عن المفضل ، والقطا : ضرب من الطيور . انظر « مجمع الأمثال » (٢/ ١٧٤ـ١٧٥) ، و« جمهرة الأمثال » (٢/ ١٩٤ـ١٩٦) .

(٤) يقال : لَجَّ في الأمر : إذا تمادىٰ فيه ، وأبى الانصراف عنه .

(٥) الآجام : جمع أَجَمة ؛ وهو الشجر الكثير الملتفُّ ، والمراد هنا : بيت الأسد ، ونصبُها علىٰ حذف حرف الجر ، وهو سماعي عند الجمهور قياسي عند بعضهم . انظر « شرح ابن عقيل على الألفية » (٢/ ١٥٠ـ١٥١) ، و« شرح الرضي على الكافية » (٤/ ١٣٧ـ١٣٩) .

(٦) الذِّمام : الحُرْمة ، وفي (ب) : (ببداءة) ، وتحتملها في (أ) ، وهي مصدر كالبَدْأة .

(٧) رشَقْتَ : رميت ، وقال الحافظ الذهبي في « رسالته » الملحقة بآخر كتاب « زغل العلم » (ص ٣٥ـ٣٧) : ناصحاً ابن تيمية (إلىٰ كم تمدح نفسك وشقاشقك وعبارتك ، وتذم العلماء وتتبَّع عورات الناس مع علمك بنهي الرسول صلى الله عليه وسلم : « لا تذكروا موتاكم إلا بخيرٍ ؛ فإنهم قد أفضَوا إلىٰ ما قدَّموا » ؟! بلىٰ أعرف أنك تقول لي لتنصر نفسك : إنما الوقيعة في هٰؤلاء الذين ما شمُّوا رائحة الإسلام ، ولا عرفوا ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو جهاد . . . يا مسلمُ ؛ أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك ، إلىٰ كم تصادقها وتعادي الأخيار ؟! إلىٰ كم تصدقها وتزدري بالأبرار ؟! إلىٰ كم تُعظِّمها وتُصغِّر العُبَّاد ؟! إلىٰ متىٰ تخاللها وتمقت الزهاد ؟! إلىٰ متىٰ تمدح كلامك بكيفية لا تمدح بها والله أحاديثَ الصحيحين ؟!) .

تُزحْزِحَ برأسِكَ راسياً[1] ؛ كناطحٍ صخرةً يوماً ليَفلِقَها[2] ، وجانحٍ إلىٰ أَجَمةِ الأُسْدِ ليُفرِقَها[3] .

يَا طَالِبَ ٱلْغَابَاتِ غَيْرَ مُرَاقِبٍ اِحْذَرْ فَهُنَّ مَخَاوِفُ ٱلآسَادِ[4]

اللهَ اللهَ في نفسِكَ !! تَدارَكْ في يومِكَ ما مضىٰ مِنْ أَمْسِكَ ، وتأدَّبْ معَ اللهِ أحسنَ الأَدَبِ ، وادْأَبْ في إصلاحِ ما مضىٰ حقَّ الدَّأَبِ ؛ فهوَ الذي يقبلُ التوبةَ ، ويُقِيلُ مَنْ أحسنَ الأَوْبةَ[5] .

وإنْ نَفَرَ عن ذلكَ جامحُكَ ، وطَمَحَ إلى الزيادةِ ممَّا أنتَ فيهِ طامحُكَ[6] . .

فكأنِّي بكَ قد صُلِبتَ علىٰ جِذْعٍ ، أو صَلِيتَ مِنَ النارِ بلَذْعٍ .

فداكَ قومُكَ ، وعداكَ إنْ تُبتَ يومُكَ ، عَدِّ عنِ الثَّمْدِ إلى العِدِّ[7] ، ودَعْ

(١) **الراسي** : الجبل الثابت أصلُه في الأرض .

(٢) **أشار به** : إلىٰ قول الأعشىٰ في «ديوانه» (ص٦١) من معلقته الشهيرة؛ وهو : (من البسيط)

كناطحٍ صخرةً يوماً ليَفْلِقَها فلم يَضِرْها وأَوْهَىٰ قَرْنَهُ الوَعِلُ

وما مَثَل هٰذا السابِّ أيضاً إلا كمثل العقرب في قول الشاعر : (من المتقارب)

رأيتُ علىٰ صخرةٍ عقرباً وقدْ جعلَتْ ضَرْبَها دَيْدنا

فقلتُ لها إنَّها صخرةٌ وطبعُكِ مِنْ طبعِها أَلْينا

فقالتْ صدقتَ ولٰكنَّني أريدُ أُعرِّفُها مَنْ أنا

(٣) **جانح** : مائل ، وفي (ب) : (جائح) ، ولعل الصواب ما أثبت بدليل التعدية ، **ويفرقها** : يخيفها .

(٤) البحر من الكامل .

(٥) **الأَوْبة** : الرجوع عن الشيء ، **والمراد هنا** : الرجوع والتوبة عن الفتيا الفاتنة التي تتعلق بذات البارئ سبحانه وتعالىٰ ، ويحتمل الكلام العموم ، وسيأتي أن ابن تيمية تاب من تلك الفتيا ، وسُجِّل عليه ذلك بخطه ، ولٰكن ما لبث أن عاد إلىٰ فتياه ، ونكص علىٰ عقبيه ، شأن كثير من المبتدعة الذين يعلنون توبتهم ظاهراً ، ويضمرون باطناً العداوة وسوء الاعتقاد . انظر (٢/٥٣٨ـ٥٤٢) .

(٦) يقال : **طَمَح بصرُهُ إلىٰ كذا** ؛ إذا ارتفع وعلا واستشرف .

(٧) **الثَّمْد** : الماء القليل ، **والعِدُّ** : الماء الجاري .

بُنيَّاتِ الطريقِ واسلُكْ جَدَدَ الجِدِّ[1] .

لقد أَرْعَفْتَ القلمَ فرَعَفَ دماً ، وزعمتَ أنَّكَ استَبْصَرْتَ وخيرٌ مِنْ ذلكَ البصرِ العَمَىٰ ، ووَهِمْتَ إذِ استَنْصَرْتَ على الضلالةِ ، بفئةِ الجهالةِ ، وهيهاتَ لا يُرْوي شرابُ السَّرابِ ظَمَا !![2] .

وَيْحَكَ !! أتُحكِّمُ علىٰ نفسِكَ سواكَ ، وتحكمُ علىٰ إلـٰهكَ بهواكَ ؟! لقد تسرَّعْتَ إلىٰ ما لم يَحُلْ بينَكَ وبينَهُ مِنَ الحِجَا حجابٌ ، وتدرَّعْتَ برُعُونتِكَ فوقَ قدرِكَ مِنَ الثيابِ ، حتَّىٰ كأنَّكَ آنَسْتَ ناراً مِنْ جانبِ الطُّورِ ، أو أنِسْتَ أنَّكَ مِنْ باطنِ السُّورِ .

يا هـٰذا ؛ أَصْلِحْ مُعتَقَدَكَ ، واتَّقِ اللهَ الذي عَضَدَ عَضُدَكَ[3] ، حينَ أَمَّتْ رأسَكَ آمَّةُ التتارِ[4] ، وأيقنتَ بإحدى الخُطَّتينِ إمَّا دمٍ أو إسارٍ ، حينَ زاغَتِ

(١) بُنيَّات الطريق : الطرق الصغار التي تتشعَّب من الجادَّة ، والجَدَد في الأصل : الأرض الصلبة ، والمراد : اتبع الحق واترك الباطل .

(٢) جاء في المرسوم الصادر بحقه ـ كما سيأتي تاماً خاتمة الكتاب (٢/ ٥٣١) ـ : (وكان ابن التيمية في هـٰذه المدة قد بسط لسان قلمه ، ومدَّ عنان كلمه ، وتحدث في مسائل الذات والصفات ، ونص في كلامه علىٰ أمور منكرات ، وتكلَّم فيما سكت عنه الصحابة والتابعون ، وفاه بما تجنَّبه السلف الصالحون ، وأتىٰ في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام ، وانعقد علىٰ خلافه إجماع العلماء والحكام ، وشهر من فتاويه في البلاد ما استخفَّ به عقول العوام ، وخالف في ذلك فقهاء عصره ، وعلماء شامه ومصره ، وبعث برسائله إلىٰ كل مكان ، وسمَّىٰ فتاويه أسماء ما أنزل الله بها من سلطان) .

(٣) عَضَد : أعان ، والعَضُد : الساعد .

(٤) أَمَّتْ : قصدت ، والآمَّة : الشَّجَّة التي تبلغ جلدة الدماغ ، وكانت هـٰذه الفتنة التتارية في حدود سنة (٦٩٩ـ٧٠٢هـ) ، ولا ننسىٰ أنَّ والد ابن تيمية سافر به وبإخوته من حران إلى الشام هرباً من جور التتار ، وكادوا يلحقون بهم لولا أن سلَّمهم الله منهم ، وكان ذلك في حدود سنة (٦٦٧هـ) انظر « البداية والنهاية » (١٣/ ٢٥٥ ، ١٤/ ٦ـ١٣ ، ٢٣) وما بعدها ، و« العقود الدرية » (ص١٨ـ ١٩) ، وسيذكر المؤلف الحكمة من تسليط الله تعالى التتارَ وأمثالَهم علىٰ بعض المدن والبلدان . انظر (٢/ ٥٢١) .

الأبصارُ ، وراغَتِ الأنصارُ[1] ، في يومٍ ذي كواكبَ مُظلِمٍ[2] ، وجيشٍ ذي مَواكبَ مُقدِمٍ ، ما تَذَرُ مِنْ شيءٍ أتتْ عليهِ ، ولا تُبْقي علىٰ مَحَلٍّ سعتْ إليهِ ، قد سالَتْ بها الأباطحُ[3] ، وساءَ بها صباحُ الصابحِ[4] ، ونِسْوتُكُم في الرَّوعِ بادٍ وجوهُها[5] ، تُسَامُ أنواعَ الذُّلِّ لمَّا بادَ وجيهُها[6] ، وقلتَ : سآوي إلىٰ جبلٍ يَعْصِمُني أُعْصَمُ ، وقاسيُونُ بهِ أُسلِمُ فأَسلَمُ[7] .

فأحمدَ اللهُ عنكَ لَهَبَ تلكَ النارِ ، وأثارَ عَزْمةَ السلطانِ فأخذَ للدِّينِ المحمَّدِيِّ بالثارِ[8] ، وأعانَهُ علىٰ ذلكَ بالأمراءِ الذينَ أَحْيَوا ذِكْرَ المُهاجرينَ والأنصارِ ، فاستقرَّ الإسلامُ في نِصابِهِ ، وردَّ إلى الشامِ نَضْرةَ شبابِهِ[9] ، بعدَ أنْ

(١) **راغَتْ** : مالت وحادت .

(٢) أخذه من قول الحُصين بن الحُمَام المرّي : (من الطويل)

فلمَّا رأيتُ الصبرَ قد حِيلَ دونَهُ وإنْ كانَ يوماً ذا كواكبَ مُظلِما

أي : صبرنا وإن كان اليوم يوماً مظلماً ترىٰ فيه الكواكب ظهراً ؛ لانسداد عين الشمس بغبار الموت . انظر « شرح ديوان الحماسة » للمرزوقي (١/ ٢٨٣) .

(٣) **الأباطح** : جمع أَبْطَح ؛ وهو مسيل الماء العريضُ الواسع .

(٤) **الصابح** : الذي يسقي إبله صباحاً .

(٥) **أشار به** : إلىٰ بيت سَبْرة بن عمرو الفَقْعَسي ؛ وهو : (من الطويل)

ونسوتُكُم في الرَّوع بادٍ وجوهُها يُخَلْـنَ إمـاءً والإمـاءُ حـرائـرُ

انظر « حماسة أبي تمام » (١/ ٢٣٣) .

(٦) **بادَ** : هلك ، وفي (ب) : (بار) بالراء ، وهو بمعنىٰ (باد) .

(٧) **قاسيون** : جبل مُطِلٌّ علىٰ مدينة دمشق ، وكان هـٰذا الجبل موئلاً وملجأ ومسكناً لبعض المبتدعة من مجسمة الحنابلة القائلين بالحرف والصوت وغيره من بدع الاعتقاد ، وسيأتي تنبيه المؤلف إلىٰ أنه يسمىٰ بـ (جبل الصالحية) نسبة إلىٰ بانيها الملك الصالح صلاح الدين الأيوبي رحمه الله تعالى . انظر (٢/ ٥٢٢) .

(٨) **العَزْمة** : الجِدُّ في الأمر والقوة ، **والمراد بالسلطان** : الناصر ابن قلاوون ، الذي كانت له اليدُ البيضاء في وقعة شقحب من الثبات والفتك وإيقاع النصر للمسلمين . انظر « البداية والنهاية » (١٤/ ٢٥) وما بعدها ، و« النجوم الزاهرة » (٨/ ١١٥) وما بعدها .

(٩) **نَضْرة شبابه** : حُسْنه ورَوْنقه .

عاذَ أهلُهُ مِنَ الرَّهَبِ بالهَرَبِ[1] ، وكادَ الخرابُ أنْ يكونَ لدمشقَ أَعْدىٰ مِنَ الجَرَبِ[2] ، ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال : ٢٦] .

أحينَ نجَّاكَ مِنَ المَخاوِفِ ، وأنقذَكَ مِنَ المهاوي والمتالفِ ، وردَّ إليكَ أهلَكَ ومالَكَ ، وجمعَ شَمْلَكَ بوطنِكَ وحسَّن مآلَكَ ، وعمَرَ ديارَكَ بعدَ الخَرَبِ ، وردَّ إليكَ رُوحَكَ وما كادتْ مِنَ الحَرَبِ . . عدلتَ عن شُكرانِ الشَّكَرِ[3] ، إلىٰ عقيقةِ العَقوفِ[4] ودعوتَ لها مَنْ وافقَكَ الجَفَلىٰ مِنْ نَفَرِ البقرِ[5] ، الذينَ صفَّتْ آباؤُهُم بصِفِّينَ[6] ، مُجاهِرينَ مُستخفِينَ ، الذينَ دخلُوا في الدِّينِ كُرْهاً ، فأَصبحُوا في المسابقةِ إلى البِدَعِ فُرْهاً[7] ؛ إضلالاً للعبادِ ، وإعمالاً في العنادِ .

تارةً يقولُونَ : لا قَدَرَ ، وأُخرىٰ يُشبِّهُونَ الخالقَ ببعضِ الصُّوَرِ ، ومرَّةً

(١) الرَّهَب : الخوف .

(٢) أخذ هذا المعنىٰ من بيت أبي تمام في قصيدته الشهيرة في فتح عمورية ؛ وهو : (من البسيط)

لمَّا رأتْ أختَها بالأمس قد خَرِبَتْ كان الخرابُ لها أعدىٰ من الجَرَبِ

انظر « ديوانه » (١/ ٥٢) .

(٣) الشَّكَر : امتلاء ضرع الدابة من اللبن .

(٤) العَقُوف : الضرع الذي يخالف سيلانُهُ عند الحلب .

(٥) الجَفَلىٰ في الأصل : الدعوة العامة للطعام من غير اختصاص ، وضدُّها النَّقرىٰ ، قال طرَفة بن العبد : (من الرمل)

نحنُ في المَشْتاةِ ندعو الجَفَلىٰ لا تـــرى الآدِبَ منَّـــا ينتقِـــرْ

(٦) يقصد بذلك : ما انبثق عن هذه الفترة التي من جملة أحداثها وقعة صفين ؛ من مذاهب البدع والضلال وعلىٰ رأسهم الخوارج . انظر مقدمة الإمام الكوثري على « تبيين كذب المفتري » (ص٩٤) وما بعدها .

(٧) فُرْهاً : نشيطين مسرعين .

يقولُونَ بخلقِ القرآنِ ، وآونةً يقولُونَ بحُلولِ صفاتِ البارئِ في بعضِ الأبدانِ ، وهم بينَ سابٍّ للصحابةِ ، ومُشاحِنٍ للقرابةِ .

وما أظنُّكم إلا بقايا تلكَ الشجرةِ المُجتثَّةِ ، قد شربتُم مِنْ تلكَ الذِّمامِ التي هيَ سِمامٌ مُنبثَّةٌ ، وفي قوةِ اللهِ تعالىٰ ما يَفُلُّ غِرارَكُم[1] ، ويُقِلُّ اغترارَكُم ، ويُصْحِيكُم مِنْ هـٰذهِ السَّكْرةِ ، ويُعافِيكُم مِنْ هـٰذهِ العِلَّةِ التي نُكِسْتُم بها كَرَّةً بعدَ كَرَّةٍ ، وإلا فهوَ وليُّ القصاصِ ، وأينَ منهُ الفِرارُ ولاتَ حينَ مَناصٍ ؟![2] .

وفي الدولةِ الناصريَّةِ ـ لا زالَ الحقُّ بها مُؤيَّداً ، والباطلُ مِنْ سَطْوتِها مُشرَّداً ـ ما يحصُدُ شوكتَكُم ، ويخضِدُ أَبَلَتَكُم[3] ، ويَغُضُّ بعدَ الطُّموحِ طَرْفَكُم ، ويُخرِسُ بعدَ النُّطْقِ صوتَكُم وحَرْفَكُم ، ولَيَنصُرَنَّ اللهُ مَنْ ينصرُهُ بقلبٍ صادقٍ ، ويقذِفُ بالحقِّ على الباطلِ فيدمغُهُ فإذا هوَ زاهقٌ .

[جهودُ الدولةِ الناصريَّةِ في كسرِ شوكةِ أهلِ البدعِ]

ولمَّا تنوَّعَ جهادُ الدولةِ الناصريَّةِ الصَّلاحيَّةِ ـ رحمَهُ اللهُ ـ في المُبتدِعةِ والكَفَرةِ ، وغسلَ وجهَ أرضِ ممالكِهِ مِنْ دَنَسِ نَجَسِها وطهَّرَهُ ، ونشرَ في الآفاقِ عَلَمَ السُّنَّةِ المُعلَمَ ، وأَنِسَ بعلمائِها رَبْعُها الذي هوَ خيرُ رَبْعٍ ومَعْلَمٍ[4] . . أرادَ اللهُ أنْ يكونَ لهـٰذهِ الدولةِ الناصريَّةِ حظٌّ في الجهادَينِ ، وأجرٌ جزيلٌ في

(١) يَفُل : يكسر ، والغِرار : حدُّ السيف ، ويطلق الغرار أيضاً : على الطريقة أو النوم القليل ، إلا أنَّ الأول أنسب ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) المَناص : التأخُّر والفرار ؛ والمعنىٰ : وليس الحينُ حينَ تأخر وفرار .

(٣) يخضِد : يقطع ، وأَبَلَتكم : هتككم وآفتكم ، والإِبْلة : العداوة ، وتحتمل في (أ) : (أَيْكتكم) ، وهو بمعنى الشجرة الملتفَّة .

(٤) وسيذكر المؤلف بعض كبار العلماء في زمن الدولة الصلاحية الذين كان لهم فضل كبير في محاربة البدع وأهلها ، ومنهم الإمام الكبير الصوفي محمد الخُبُوشاني الذي كانت له اليد الطُّولىٰ في زوال الدولة الباطنية في مصر ، وكسرِ شوكة المشبهة فيها . انظر (١/ ٤٩٧ـ٤٩٨) .

قمعِ العِنادَينِ ؛ فكسرَ علىٰ يدِهِ التتارَ ، وفلَّ بهِ جيشَ عَزْمِ البِدَعِ المُثارَ ؛ وذلكَ للمُشاركةِ في الألقابِ ، والمماثلةِ في اتِّباعِ السُّنَّةِ والكتابِ ، وكيفَ لا وسيفُها بالحقِّ مشهورٌ ، وركنُها الشديدُ يأوي إليهِ المُحِقُّ المنصورُ ؟!

هُمَا كَنَفَا ٱلأَرْضِ ٱلَّذِي لَوْ تَزَعْزَعَا تَزَعْزَعَ مَا بَيْنَ ٱلْجَنُوبِ إِلَى ٱلسُّدِّ[1]

أيَّدَ اللهُ منهُما العَزَماتِ ، ورفعَ عنِ الكافَّةِ بهِما الأَزَماتِ ، وجعلَهُما حَدَّينِ لسيفِ الحقِّ المشهورِ ، وعضُدَينِ للملكِ الناصرِ بنِ المنصورِ ، ويسَّرَ علىٰ أيديهِم رَدْعَ بِدْعتِكَ ، وردَّكَ عن طريقِكَ الحائدةِ وشِرْعتِكَ ، وقطعَ لسانَكَ عنِ النُّطْقِ بها ، والدعاءِ إلىٰ سخيفِ مذهبِها[2] .

* * *

(١) البيت للعُدَيل بن الفرخ العِجْلي ، وهو من الطويل ، وفي « شرح ديوان الحماسة » : (اللَّذَا) بدل (الذي) بحذف النون للضرورة ، وكَنَفا الأرض : جانباها ، وقوله : (ما بين الجنوب إلى السُّد) أي : ما بين مَهَبِّ الجنوب إلىٰ سد يأجوج ، والسُّد بالفتح والضم بمعنىً ، وفُرِّق بينهما : بأن الفتح ما كان من صنع الإنسان ، والضمَّ ما كان مخلوقاً لله عزَّ وجل . انظر « شرح ديوان الحماسة » للمرزوقي (١/ ٥٢٤ـ٥٢٥) ، و« تاج العروس » (٨/ ١٨٠) ، مادة : (س د د) .

(٢) انظر (٢/ ٥٢٦) وما بعدها .

فصل

في الإشارة إلى المجلس الذي عُقد لابن تيمية وما كتبه المؤلف ناصحاً له

ولقد ساءَني ما بلغَني مِنْ إحْجالِكَ في المَحفِلِ الذي رأيتَ[1] ، وإذلالِكَ وإنْ كانَ مُقابَلةً على بعضِ ما جنيتَ ، كما سُرِرْتُ برجوعِكَ وتوبتِكَ في الظاهرِ ، وإنْ كانَ مُنادي التقريعِ يُنادِيكَ : آلآنَ ؟! إنَّما هٰذهِ توبةُ حاذرٍ[2] .

هيهاتَ أنْ نُخدَعَ بما يظهرُ مِنْ رجوعٍ ، أو نغترَّ بما نرىٰ منكَ مِنْ خضوعٍ !! إنَّ تحتَ الخضوعِ داءً دَوِيّاً[3] ، وباطناً يُنادي بالحرفِ والصوتِ نداءً خَفِيّاً[4] ، لٰكنَّا لم نُكلَّفْ بالشَّقِّ عنِ القلوبِ ، ولا وُكِلَ إلينا علمُ الغيوبِ ، ولَيَفضحَنَّ طِباعَكَ التطبُّعُ ، ولَيظهرَنَّ مِنْ خَلَلِ خِلالِكَ التصنُّعُ .

فلْيجتهدِ المولىٰ أنْ يُزِيلَ مِنْ باطنِهِ ما يجدُهُ ممَّا لا يُجديهِ ، وألا يُخفيَ في

(١) إحجالك : تقييدك ، ويقصد بالمحفل : المجلس الذي عقد بمصر بدار النيابة بقلعة الجبل بحضور الأمير ركن الدين بيبرس وثلة من العلماء والقضاة . انظر « نهاية الأرب » (٣٢/ ١١٣) وما بعدها .

(٢) انظر نصَّ توبته في خاتمة الكتاب (٢/ ٥٤٠) ، وما سنذكره تعليقاً من كلام الإمام الكوثري في مصداقية هٰذه التوبة ، كما أشار إليه المؤلف ها هنا ، وكما سيصرح به بعد قليل بقوله : (وليس كل حاكم بتوبتكما ـ أي : ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ـ الكاذبة يقتنع) ، وإن لم ينبه عليه هناك .

(٣) أخذه من قول سُدَيف في سليمان بن هشام مُخاطِباً أبا العباس السفَّاح : (من الخفيف)

لا يَغُرَّنْكَ ما ترىٰ من رجالٍ إنَّ بينَ الضلوعِ داءً دَوِيَّا

انظر « الشعر والشعراء » (٢/ ٧٤٩) ، و« العقد الفريد » (٥/ ٢٢٨) .

(٤) في (ب) : (وناظراً) بدل (وباطناً) .

نفسِهِ منهُ ما اللهُ مُبديهِ ؛ فمَنِ استسرَّ سريرةً ألبسَهُ اللهُ رداءَها فاعلَمْ[1] .

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَىٰ عَلَى ٱلنَّاسِ تُعْلَمِ[2]

[الإشارةُ إلى ابنِ القيم تلميذِ ابنِ تيميةَ في المعتقدِ]

ولقد كتبْنا لكَ في قَفَاءِ سَميِّكَ[3] ، وتلميذِكَ في المُعتقَدِ وحَفيِّكَ[4] . .

(١) أشار به : إلىٰ ما رواه ابن أبي الدنيا في « الإخلاص » عن سيدنا عثمان رضي الله عنه : (ما مِنْ عبدٍ يُسِرُّ سريرةً إلا ردَّاهُ اللهُ رداءَها علانيةً ؛ إنْ خيراً فخيرٌ ، وإنْ شرّاً فشرٌّ) انظر « كشف الخفاء » (٢/ ٢٢٦) .

(٢) البيت لزهير بن أبي سلمىٰ من معلقته الشهيرة، وهو من الطويل. انظر « ديوانه » (ص١١١).

(٣) قوله : (قفاء) كذا في (أ ، ب) ، وهو جائز علىٰ لغة ، المراد هنا : شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بـ (ابن قيم الجوزية) ، وهو الذي هذَّب كتب ابن تيمية ونشر علمه ، وأُهين وعُذِّب بسببه ، وطِيف به علىٰ جمل مضروباً بالعصي ، وكان يُقصد للإفتاء بمسألة الطلاق التي أفتىٰ بها شيخه ابن تيمية ، حتىٰ جرت له بسببها أمور مع قاضي القضاة التقي السبكي وغيره ، وقال إمام الشافعية في عصره ابن حجر الهيتمي في « الفتاوى الحديثية » (ص١٤٤ـ١٤٥) : (وإياك أن تصغي إلىٰ ما في كتب ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية وغيرهما ممن اتخذ إلـٰهه هواه وأضلَّه الله علىٰ علم ، وختم علىٰ سمعه وقلبه ، وجعل علىٰ بصره غشاوة. . .) .

وقال الإمام الكوثري في مقدمة « السيف الصقيل » (ص٧) : (وكان ابن زفيل الزرعي المعروف بـ « ابن القيم » يساير ابن تيمية في شواذِّه كلها حيّاً وميّتاً ، ويُقلِّده فيها تقليداً أعمىٰ في الحق والباطل ، وإن كان يتظاهر بمظهر الاستدلال ، لكن لم يكن استدلاله المصطنع سوىٰ ترديد منه لتشغيب قدوته ، دائباً علىٰ إذاعة شواذِّ شيخه ، متوخِّياً في غالب مؤلفاته تلطيفَ لهجة أستاذه في تلك الشواذ ؛ لتنطلي وتنفقَ على الضعفاء ، وعملُهُ كلُّه التلبيس والمخادعة ، والنضالُ عن تلك الأهواء المخزية ، حتىٰ أفنىٰ عمره بالدندنة حول مفردات الشيخ الحرَّاني) .

ولابن القيم هـٰذا قصيدة نونية قال في حقها الإمام الكوثري في مقدمة « السيف الصقيل » (ص١٢) : (ونونية ابن القيم هـٰذه من أبشع كتبه ، وأبعدِها غوراً في الضلال ، وأشنعِها إغراءً للحشوية ضدَّ أهل السنة ، وأوقحها في الكذب على العلماء) .

وقول المؤلف : (سَميِّك) وابن تيمية اسمه أحمد : علىٰ ما هو المشهور من إطلاق محمد علىٰ أحمد والعكس .

(٤) الحَفي : البار المبالغ في الكرامة .

ما تقرؤُهُ بناظرِ الاعتبارِ ، ويُجدِّدُ جِدَّتَهُ ترادفُ الجديدينِ الليلِ والنهارِ ، فجعلَهُ اللهُ سلفاً ومَثَلاً ، ووَرَدَ حياضَ الإذلالِ نَهَلاً وعَلَلاً[1] .

وإنَّ في ذلكَ لو ازدجرتَ لمُزدجَرَ[2] ، ولكنْ هانَ على الأَمْلَسِ ما لاقى الدَّبِرُ مِنَ الدَّبَرِ[3] ، وما هوَ إلا بَيْذَقٌ فَرْزَنْتَهُ في لعبِكَ أُكِلَ وما أَكَلَ[4] ، ودُمَسْتَقُ أسلمَ ابنَهُ للخَطِّيَّةِ ونحلَ[5] ، وتمخرقَ بل هوَ أضعفُ ناصراً وأقلُّ ، فتسلَّ عمَّا حصلَ لكَ مِنَ البُؤْسِ والباسِ ، وتأسَّ فلولا الأَسى ما عِشْتَ في الناسِ[6] .

(١) النَّهَل : الشرب الأول ، والعَلَل : الشرب الثاني .

(٢) كذا في الأصل ، والقياس فيه : (لمزدجراً) كما هو في (ب) ، والمثبت له أكثر من توجيه في العربية .

(٣) الدَّبَر : قروح تكون في الدابة ، مفردها : دَبَرة ، والأملس : الخالي منها ، وهو مثل يضرب في سوء اهتمام الرجل بصاحبه . انظر « مجمع الأمثال » (٢/ ٣٩٣) ، و« تاج العروس » (١١/ ٢٥٦) ، مادة : (د ب ر) .

(٤) أي : ما هو إلا جندي جعلته وزيراً ، والبَيْذَق ـ معرب (بياده) ـ : الجندي الذي يكون في الشطرنج ، وفَرْزَنتَهُ : جعلتهُ وزيراً . انظر « تاج العروس » (٤/ ١٩ ، ٢٥/ ٣٧) ، مادة : (ف ر ز ن ، ب ذ ق) .

(٥) الدُّمَستق : ملك من ملوك الروم ، والخطِّيَّة : رماح منسوبة إلى خَطٍّ هجر موضع باليمامة ، ويشير بذلك : إلى حدث تاريخي ؛ وذلك عندما أُسر قسطنطين بن الدمستق في وقعة الأحيدب بين جيش المسلمين بقيادة سيف الدولة ، وجيش الروم بقيادة الدمستق ، وفي ذلك يقول المتنبي : (من الطويل)

أتُسلِمُ للخطِّيَّةِ ابنَكَ هارباً ... ويسكنُ في الدنيا إليكَ خَليلُ

وهذا استفهام إنكار وتوبيخ ؛ أي : أتخذل ابنك وتهرب ويثق بك أحد بعد ذلك من خِلانك ؟! أي : لا يثق بك أحد بعد هذا . انظر « شرح ديوان المتنبي » للواحدي (ص٥٢٠) ، و« الكامل في التاريخ » (٧/ ٢٠٩) .

(٦) أشار به : إلى بيت الصحابي سيدنا حُريث بن زيد الخيل ؛ وهو قوله : (من الطويل)

ولولا الأسى ما عشتُ في الناسِ ساعةً ... ولكنْ إذا ما شئتُ جاوبَني مثلي =

ولولا لُذْتُما بشجرةِ ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ [مريم : ٦٠] مِنْ صارمِ « مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَٱقْتُلُوهُ »[1] مُمتثِلاً لأمرِ ﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ ﴾ [النور : ٢] . . لَدخلتُم في خبرِ ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾ [الأنعام : ٤٥] ، ونادىٰ عليكُم مُنادي الاعتبارِ : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾ [النازعات : ٢٦] ، لٰكنْ سبقَ لكُما حظٌّ في اصطناعِ ﴿ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ ﴾ [هود : ١٠٤] ، فاشكرا اللهَ علىٰ ما أنعمَ بهِ عليكُما مِنَ المَهَلِ ، ولا تعودا إلىٰ ما صدرَ منكُما ؛ فإنْ عادَتِ العقربُ عُدْنا لها[2] ، مُضافاً إلىٰ ما أصابَها ونالَها ، وليسَ كلُّ حاكمٍ بتوبتِكُما الكاذبةِ يقتنِعُ ، وما كلُّ ظافرٍ بمُصطَنِعٍ .

[جوابُ المُؤلِّفِ عنِ اعتراضِ بعضِهِم علىٰ تقريظِ ابنِ تيميةَ في هٰذا الكتابِ]

وكأنِّي بمَنِ انطوىٰ باطنُهُ علىٰ سوءِ اعتقادٍ ، ولم يجسُرْ علىٰ إظهارِهِ في هٰذهِ البلادِ ، أو في بُغضٍ كامنٍ في النفسِ ، أو حسدٍ مِنْ أبناءِ الجنسِ ، أو غَباوةٍ غالبةٍ علىٰ لُبِّهِ ، أو مَرَضٍ في قلبِهِ . . يُعظِمُ عليَّ تقريظَكَ بهٰذا الكلامِ ، وتوبيخَكَ بهٰذا المَلامِ ، ويُندِّدُ بهِ عليَّ مُظهِراً لِمَا كَمَنَ ، فاتحاً علىٰ نفسِهِ أبوابَ التُّهَمِ والرِّيَبِ والظُّنَنِ .

فالجوابُ وباللهِ التوفيقُ : أنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ في كتابِهِ العزيزِ : ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

= انظر « حماسة أبي تمام » (٢/ ٣٢٥) .

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٢) ، وأبو داود (٤٣٥١) ، والترمذي (١٤٥٨) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخذه من قول الفضل بن عباس في عقربٍ أحدِ تجار المدينة : (من السريع)

إن عـادَتِ العقـربُ عُـدْنـا لهـا ... وكـانَـتِ النعـلُ لهـا حـاضـرهْ

انظر « مجمع الأمثال » (١/ ١٤٧) .

وأيُّ ظلمٍ أعظمُ مِنْ قولِكَ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ مُتكلِّمٌ بحرفٍ وصوتٍ) ؟![1] ، فكيفَ وقد ضَمَمتَ إلىٰ ذلكَ إساءتَكَ علىٰ أئمَّةِ الهُدىٰ ، ورميَكَ لهُم بذكرِ الإلحادِ وما أشبهَ ذلكَ ، ونقلَكَ عنِ الإمامِ أحمدَ والإمامِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ إسماعيلَ رضيَ اللهُ عنهُما ضدَّ ما هوَ معلومٌ منهُما ومنقولٌ عنهُما ؟![2] .

فأنتَ كنتَ لذلكَ سبباً ، ومَنْ يزرعِ الشوكَ لا يحصُدْ بهِ عِنَباً[3] ، تجرَّأتَ على الخالقِ والمخلوقِ بهواكَ ، ذلكَ بما قدَّمَتْ يداكَ .

[سَلَفُ المؤلِّفِ في الردِّ علىٰ أهلِ البدعِ]

معَ أنَّني اتَّبعتُ في ذلكَ طريقةَ إمامِ الحرمينِ وغيرِهِ مِنْ قُدَماءِ المُتكلِّمينَ ، ونهَجْتُ في ذلكَ سَنَنَ الحافظِ ثقةِ الدِّينِ ابنِ عساكرَ حيثُ خاطبَ أبا عليٍّ الأهوازيَّ ـ قدوتَكَ في فنِّكَ ـ بكلامِهِ الذي خاطبَهُ بهِ في كتابِهِ المُسمَّىٰ « تبيينَ كذبِ المُفتري في ردِّهِ علىٰ أبي الحسنِ الأشعريِّ »[4] ، ناسجاً علىٰ مِنوالِ ابنِ

(١) سيأتي تخريجه في (١/ ١٠٩، ١٢٤ـ ١٢٥) .

(٢) انظر ما سيأتي (١/ ١١٤ـ ١٢٢) .

(٣) أشار به : إلىٰ مثل شهير مُولَّد من قول صالح بن عبد القدوس : (من البسيط)

إذا وترتَ امرأً فاحذرْ عداوتَهُ ... مَنْ يزرعِ الشوكَ لا يحصُدْ به عِنَبا

وكان قد أخذه من قول أكثم بن صيفي : (إنك لا تجني من الشوك العنب) انظر « مجمع الأمثال » (٢/ ٧٧) ، و« جمهرة الأمثال » (١/ ١٠٥) .

(٤) وقد كان أبو علي الأهوازي قد نَسَب في كتابه « مثالب ابن أبي بشر » أكاذيبَ وتلفيقاتٍ إلىٰ إمام أهل السنة أبي الحسن الأشعري ؛ ومن ذلك : طعنه في نسبه ، وادِّعاؤه أنَّ الإمام أبا الحسن هو الذي أدخل علىٰ أهل السنة أقوال المعتزلة والزنادقة والملاحدة ، وأن الإمام أظهر التوبة ظاهراً وأضمر في باطنه خبيث الاعتقاد ، وإتيانُه بأخبار كاذبة ممجوجة تقشعر منها الجلود ، وتشمئز منها القلوب . . . إلىٰ غير ذلك من أمور ينفر الطبع السليم من سماعها وإيرادها . =

مَنِّ اللهِ وابنِ أبي الخِصالِ في ردِّهما على ابنِ غَرْسِيَّةَ لمَّا فضَّلَ العجمَ على العربِ[1].

سمعتُ الشيخَ الإمامَ السيِّدَ الشريفَ شرفَ الدينِ محمدَ بنَ عمرانَ المعروفَ بالكركيِّ رحمَهُ اللهُ يقولُ[2] : مرَّ الشِّبْلِيُّ رضيَ اللهُ عنهُ في زُقاقٍ مِنْ أَزِقَّةِ بغدادَ ومعَهُ أصحابُهُ ، فألقتِ امرأةٌ مِنْ عُلِّيَّةٍ مِنْ تلكَ العلاليِّ عليهِ رماداً ،

= وقد كان المفتري الأهوازي هـٰذا سالميَّ المعتقد مُشبِّهاً ؛ يثبت ظاهر الآياتِ والأحاديث في حق الله سبحانه وتعالىٰ ، وقد ألَّف كتاباً في نصرة مذهبه سمَّاه : « التبيان في شرح عقود أهل الإيمان » .

وقد قال الحافظ الذهبي في « ميزان الاعتدال » عن كتابه هـٰذا : (لو لم يجمعه لكان خيراً له ؛ فإنه أتىٰ فيه بموضوعاتٍ وفضائحَ) ، وقال الخطيب البغدادي في حق الأهوازي : (أبو علي الأهوازي : كذَّاب في القراءات والحديث جميعاً) انظر « ميزان الاعتدال » (١/ ٥١٣) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٧١٣) .

وابن تيمية جعل الأهوازي هـٰذا وطائفته من جملة أهل السنة ، قال في « مجموع الفتاوىٰ » (٦/ ٥٦) : (وأمَّا السالميَّة : فهم والحنبلية كالشيء الواحد ، إلا في مواضعَ مخصوصةٍ تجري مجرى اختلاف الحنابلة فيما بينهم) في حين عدَّ ابن أبي يعلى ابن الفراء ـ وهو من كبار أئمة الحنابلة ـ في « الاعتقاد » (ص ٤٥ ـ ٤٦) هـٰذه الفرقةَ من الفرق المبتدعة الضالَّة المذمومة ، ومن هنا ندرك السِّرَّ والفائدة في قول المؤلف : (قدوتك في فنِّك) .

وقد طبع « التبيين » طبعة جديدة منقحة مقابلة علىٰ أصول نفيسة لدىٰ دار التقوىٰ ؛ بمُسمَّىٰ : « تبيين كذب المفتري فيما نَسَبَ إلى الإمام الأشعري » ، والحمد لله علىٰ ذلك ، وأُلحق في ذيله كتاب المفتري الأهوازي « مثالب ابن أبي بشر » .

(١) انظر « رسالة ابن غرسية الشعوبية » وردِّ ابنِ مَنِّ الله عليه في « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » (٦/ ٧٠٥) وما بعدها ، وابنُ مَنِّ الله : هو محمد بن عبد المنعم بن منِّ الله القروي (ت ٤٩٣هـ) ، وابن أبي الخصال : هو محمد بن مسعود الغافقي ذو الوزارتين المليء بالعلم والمعارف (ت٥٤٠هـ) ، وابن غرسية : هو الشعوبي أبو عامر أحمد بن غرسية الكاتب ، سُبي صغيراً وأدَّبه مجاهد مولاه ، وانظر « الصلة » لابن بشكوال (١/ ٣٧١ ، ٥٥٧) ، و« المغرب في حلى المغرب » (٢/ ٤٠٦ـ٤٠٧) ، و« الإحاطة في أخبار غرناطة » (٢/ ٢٦٩) وما بعدها .

(٢) ستأتي ترجمة الكركي في (٢/ ٢٠٦ـ ٢١١) ، وسينقل عنه المؤلف نصوصاً قيمة في ثنايا الكتاب غير موجودة في غيره . انظر على سبيل المثال (١/ ١٩٢ـ ١٩٣) .

فصادفَ الشيخَ أبا بكرٍ الشِّبْلِيَّ ، فأقبلَ أصحابُهُ على المرأةِ يسبُّونَها ويُعنِّفونَها ، فقالَ : دعُوها ، مَنِ استحقَّ النارَ وصُولِحَ على الرمادِ . . فقد أُنعِمَ عليهِ[1] .

لنـا بـرمـزِ الحـواجـبْ كـلامْ تفسيـرُهُ مِنِّـهْ
وأُمُّ الأخـرسِ تفهـمْ كـلامَ الأخـرسْ جَيِّـدْ[2]

[إفتاءُ جماعةٍ مِنْ أئمَّةِ العصرِ على وجوبِ الردِّ على ابنِ تيميةَ في هـٰذا التأليفِ]

هـٰذا معَ أنَّني لم أُظهِرْ هـٰذهِ المُقدِّمةَ إلا بعدَ أنْ عرضتُها على جماعةٍ مِنْ علماءِ مِصْرِنا ، وأئمَّةٍ مِنَ المُفتينَ في عصرِنا ، فأفتَوْا بجوازِ ذلكَ بل بوجوبِهِ ، وكتبَ عليها مَنْ نتأمَّلُ خطَّهُ منهُم[3] ، ولم أقنَعْ في فُتيايَ بالنفسِ كما قنَعَ المُولِّي[4] ، بل قدَّمتُ الاستخارةَ ، وأردفتُها بالاستشارةِ ، وللتبرُّكِ بذلكَ أرجو ألا أخيبَ ، ولا أندمَ إذْ أُجيبُ .

* * *

(١) أورد القصة بنحوها الإمام القشيري في « رسالته » (ص٥٣٤) ، والخركوشي في « تهذيب الأسرار » (ص٣٣٦) ، وفيهما أنَّ القصة وقعت لأبي عثمان الحيري رحمه الله تعالىٰ ، والغرض من إيرادها : التنبيه إلىٰ أن ابن تيمية كان يستحقُّ بسبب مقالاته النارَ والهلاك ، إلا أنَّ علماء عصره المعتبرين قبلوا توبته وصولح عليها .

(٢) هـٰذان البيتان من (الكان وكان) ، وهو من الفنون الشعرية المولَّدة ، وأوردهما ابن حجة الحموي ضمن قصيدة طويلة ، واللفظ فيها :

لنـا بغمـز الحـواجـبْ كـلامْ تَفْسيـرو مِنُّـو
وأمُّ الأخـرسْ تعـرفْ بَلُغـوة الخـرسـانْ

انظر « بلوغ الأمل في فن الزجل » (ص ١٣٩ ـ ١٤٠) .

(٣) في (ب) : (تتأمل) بدل (نتأمل) .

(٤) في (ب) : (باليقين) بدل (بالنفس) ، أي : أنه لم يقتنع بما تمليه عليه نفسه كما فعل ابن تيمية ، بل قدم الاستخارة ثم استشار بعض أئمة عصره ؛ حتىٰ يكون عمله خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالىٰ .

[شروع المؤلف في الرد على ابن تيمية]

وهـٰذا حِينُ أبتدئُ مُتتبِّعاً كلامَكَ ، مُظهِراً ما فيهِ مِنَ الخللِ ، مُبيِّناً ما عَرَضَ لكَ فيهِ مِنَ الخَبَلِ ، ولم يمنعْني أنْ أذكرَ نصَّ فُتياكَ على التمامِ والكمالِ ثمَّ أتتبَّعَها بالنقضِ ، إلا أنَّهُ لا ينبغي أنْ يكثرَ مِنْ هَذَيانِكَ النسخُ ، فأخذتُ مواضعَ منها وأضربتُ عنِ الباقي .

واللهُ المسؤولُ أنْ يعصِمَني ممَّا وقعتَ فيهِ ، وأنْ يُرشدَني لأحسنِ الطريقِ لمُقتفيهِ ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ .

قولُكَ : (واتَّفقَ عليهِ سلفُ المؤمنينَ) مُستشهِداً بقولِهِ : ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء : ١١٥] ؛ بقولِكَ : (وذمَّ مَنِ اتَّبعَ غيرَ سبيلِهِم)[1] .

لا يخلو : إمَّا أنْ تكونَ أردتَ بـ(المؤمنينَ) :

طائفةَ أهلِ السنَّةِ منَّا الذينَ لم نُجرِ الظواهرَ على ما هيَ عليهِ مِنَ الإيهامِ ، بل منعْنا ذلكَ مُنزِّهينَ ، وانقسَمْنا إلى : مُؤوِّلٍ ، وساكتٍ معَ نفيِ الظاهرِ .

أو فِرْقَتَكَ التي حكمَتْ على الظواهرِ بما لا يُساعِدُ عليهِ نقلٌ ولا عقلٌ .

فإنْ كنتَ أردْتَنا بهِ فهوَ خلافُ ما يقتضيهِ اعتقادُكَ ، ويحكمُ بهِ عنادُكَ .

وإنْ كنتَ ـ وهوَ الظاهرُ مِنْ كلامِكَ تصريحاً وتلويحاً ـ أردتَ بالمؤمنينَ فئتَكَ وجماعتَكَ ومَنِ اعتقدَ مُعتقَدَكَ . . فمفهومُ إطلاقِكَ يقتضي أنَّ مَنْ عداهُم ليسُوا بمؤمنينَ ، وعليهِ دلَّ آخِرُ كلامِكَ حيثُ قلتَ : (مَنْ قالَ : « استوى »

(١) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٢) .

بمعنى « استولىٰ » أو بمعنىً آخَرَ ينفي أنْ يكونَ اللهُ فوقَ سماواتِهِ . . فهوَ جَهْمِيٌّ ضالٌّ)[1] .

بل غلبَ عليكَ البَذاءةُ والهوىٰ ، وسلكتَ في ذلكَ مَسْلَكَ مَنْ قد غوىٰ ؛ فقلتَ في جوابِ السؤالِ الرابعِ : (وأمَّا إنْ أرادَ بإجرائِهِ على الظاهرِ الذي هوَ الظاهرُ في عُرْفِ سلفِ الأمَّةِ بحيثُ لا يُحرِّفُ الكَلِمَ عن مواضعِهِ ، ولا يُلحِدُ في أسمائِهِ تعالىٰ ، ولا يُفسِّرُ القرآنَ بما يُخالِفُ تفسيرَ سلفِ الأمَّةِ . . .)[2] ، فجعلتَ تفسيرَكَ الظواهرَ بمذهبِكَ تفسيرَ سلفِ الأمَّةِ ، وجعلتَ المُؤوِّلينَ لما يُوهِمُ مِنَ الظواهرِ مُلحِدةً .

ولعلَّكَ نسجتَ علىٰ مِنوالِ ابنِ قُدامةَ حيثُ قالَ في الفصلِ الذي قالَهُ في آخرِ « عقيدتِهِ » : (ومِنَ السُّنَّةِ هِجْرانُ أهلِ البِدَعِ)[3] ، ثمَّ قالَ : (وكلُّ مُتَّسِمٍ بغيرِ الإسلامِ والسنَّةِ مُبتدِعٌ ؛ كالرافضةِ والخوارجِ والجَهْميَّةِ والقَدَريَّةِ والمُرجِئةِ والمعتزلةِ والكراميَّةِ والسَّالميَّةِ والكُلَّابيَّةِ والأشعريَّةِ ونُظَرائِهِم ، فهـٰذهِ فِرَقُ الضلالةِ وطوائفُ البدعِ)[4] .

فعدَّ الأشعريةَ معَ مَنِ اتَّسمَ بغيرِ الإسلامِ ، فمَنْ عَذِيرُنا ، ممَّنْ مذهبُهُ

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٨) ، وانظر « درء تعارض العقل والنقل » (٧/ ٣٢٨) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٨) .

(٣) لمعة الاعتقاد (ص٤٠) .

(٤) لمعة الاعتقاد (ص٤١ـ٤٢) ، وليس فيه : (والأشعرية) ، والمثبت من النسخة التي اطَّلع عليها المؤلف ، وعلىٰ كلٍّ فلا يُستغرب عدُّ المجسمة قديماً وحديثاً الأشعريةَ وأئمتهم من فرق البدع والضلال ، كما نصَّ علىٰ ذلك ابن أبي يعلىٰ في « الاعتقاد » (ص٤٤) .
ولا بدَّ من التنبيه : أن الكُلابية نسبةٌ إلىٰ عبد الله بن سعيد بن كُلاب البصري المتكلم ، وهو من أئمة أهل السنة والذابِّين عنها ، وكان قد ناظر المعتزلة في مجلس المأمون وغيره فدمَّرهم وفضحهم . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٢٦١ ، ٦٩٨ـ٧٠٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١١/ ١٧٤ـ١٧٦) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٢/ ٢٩٩ـ٣٠٠) .

واعتقادُهُ تكفيرُنا ؟! ولَعمْري !! لقد عيَّرَ بُجيرٌ بُجَرَةَ ، نسيَ بُجيرٌ خَبَرَهُ[1] .

وسوفَ يأتي في أثناءِ الكلامِ ما يقرَعُكَ على قِراعِكَ ، وتطيرُ نفسُكَ شَعاعاً في مَحَلِّ نزاعِكَ[2] ، حينَ يُكالُ لكَ بصاعِكَ ، ولنفسِكَ لُمْ ولا تلُمِ المطايا[3] ، فمَنْ أقرضَ ذلكَ القرضَ وُفِّيَ بهذهِ العطايا .

رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إِذَا قَالَ لِأَخِيهِ ٱلْمُسْلِمِ : (يَا كَافِرُ) . . فقد بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَذَلِكَ ، وَإِلا رَجَعَتْ عَلَى ٱلْقَائِلِ »[4] .

قولُكَ : (مُنزَلٌ)[5] : أتُراكَ علمتَ حقيقةَ الإنزالِ ، وكيفيَّةَ إطلاقِ هذا

(١) أي : عيوبه ، وأشار به : إلى مَثَل يقال لمن عاب إنساناً بعيب هو فيه ، والبُجَر : جمع بُجْرة ؛ وهي نتوء السرة ، وبُجير وبُجَرةُ : اسما رجلين فيهما هذا العيب . انظر « جمهرة الأمثال » (٢/ ٣٨) ، و« مجمع الأمثال » (٢/ ٨) .

(٢) أخذه من قول الشاعر قَطَري بن الفُجَاءة الخارجي المشهور ؛ وهو : (من الوافر)

أقـولُ لهـا وقـد طـارَتْ شَعـاعـاً مِـنَ الأبطـالِ ويحَـكِ لـن تُـراعـي

انظر « حماسة أبي تمام » (١/ ٩٦) .

(٣) أشار به : إلى قول بعضهم : (من الوافر)

فنفسَـكَ لُـمْ ولا تلُـمِ المطـايـا ومُـتْ أسَفـاً فقـد حـقَّ الحِـذارُ

انظر « الزهرة » (ص٣٠١) .

(٤) أخرجه البخاري (٦١٠٤) ، ومسلم (٦٠) من حديث سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .
وفي هامش (أ ، ب) : (كنتُ أردت أن أذكرَ في كل حديثٍ وخبرٍ عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم ، وفي كل كلام للصحابة والتابعين والعلماء الآتي ذكرُهم في هذا الكتاب . . الأسانيدَ المُوصِلة ذلك إليَّ ، فمنعني بعض الفضلاء وقال : لا تفعل ؛ فإنه يُفضي إلى التطويل ، فحذفت الأسانيد بعد أنْ كنت أثبتها في المسودة ، ولم أذكر شيئاً من ذلك إلا ولي به سند متصل إلى قائله ، فليُعلم ذلك) .

(٥) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٢) ، وانظر « العقيدة الواسطية » (ص٨٩) ، والنص في « الفتاوى الكبرى » : (. . . وهو أنَّ القرآنَ الذي أنزله الله على عبده ورسوله كلامُ الله تعالى ، وأنه مُنزَلٌ غير مخلوق) .

الاستعمالِ ، أم شرعتَ ـ وما شعرتَ ـ في خَبْطِ عشواءَ[1] ، يجُرُّ إليكَ غارةً شَعْواءَ ؟! فهلُمَّ نَزالِ لمُعتَرَكِ النِّزالِ ، وتكلَّمْ معي على معنى الإنزالِ ، واسلُكْ جَدَدَ الجِدِّ ، واستعملْ حُجَجاً أمضى مِنْ سلاحِ البطلِ المُعِدِّ .

[مراتبُ إنزالِ القرآنِ]

للإنزالِ مراتبُ : وليسَ شيءٌ منها كما تزعمُ أنتَ وأصحابُكَ ، بل بما دلَّ عليهِ المعقولُ والمنقولُ :

المرتبةُ الأولى : قالَ اللهُ تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [الشعراء : ١٩٣ـ١٩٤] ، وقالَ : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ﴾ [النحل : ١٠٢] ، **فهٰذهِ مرتبةٌ أسندَ فيها الإنزالَ إلى جبريلَ عليهِ السلامُ** ؛ تارةً أطلقَ ، وتارةً جعلَ أنَّ المُنزَلَ عليهِ قلبُ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فإنزالُ جبريلَ عليهِ السلامُ لهُ وبهِ بمعنىً : أنَّ جبريلَ عليهِ السلامُ تلقَّاهُ مِنَ اللوحِ المحفوظِ .

والدليلُ على أنَّ القرآنَ في اللوحِ المحفوظِ . . مِنَ الكتابِ والسنَّةِ :

أمَّا الكتابُ : فقولُهُ تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ [الواقعة : ٧٧ـ٧٩] .

ومِنَ السنَّةِ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « وَكَتَبَ فِي ٱلذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ »[2] .

(١) **خبط عَشْواء** : هٰذا التركيب الإضافي يُضرَب مثلاً لمن أصحابه منه بين مُعافىً ومُبتلىً ، ولمن يصيب مرة ويخطئ أخرى ، **والعَشْواء** : الناقة لا تبصر ليلاً فهي تطأ كل شيء ، قال زهير بن أبي سلمى : (من الطويل)

رأيتُ المنايا خبطَ عشواءَ مَنْ تُصبْ تُمِتْهُ ومَنْ تُخطئْ يُعمَّرْ فيهرمِ

انظر « ثمار القلوب » (١/ ٥٣٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٣١٩١) ضمن حديث طويل عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنهما .

فجبريلُ عليهِ السلامُ يتلقَّاهُ مِنَ اللوحِ المحفوظِ فيحفظُهُ ، ثمَّ ينزلُ مِنَ السماءِ إلى الأرضِ وهوَ حافظٌ لهُ ، وقد تقرَّرَ : أنَّ المعانيَ تابعةٌ للذواتِ كما أنَّ الأعراضَ تابعةٌ للجواهرِ في التحيُّزِ ، فإنْ كانَتِ الأعراضُ لا تحيُّزَ لها في الأصلِ فذاتُ جبريلَ تكيَّفَتْ بفهمِ القرآنِ وحفظِهِ ، ونزلَتْ مِنَ السماءِ إلى الأرضِ ، فبلَّغَتْهُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأُطلِقَ عليهِ أنَّهُ نزَّلَهُ جبريلُ ، ويُطلَقُ عليهِ (مُنْزَلٌ) بهذا الاعتبارِ في هذهِ المرتبةِ .

ويُؤيِّدُ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ [الحاقة : ٤٠] ، فكنىٰ بقولِهِ : ﴿ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ عن حالةِ التبليغِ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، كما كنىٰ عن نزولِ جبريلَ عليهِ السلامُ حافظاً لهُ وذاكراً لهُ : بأنَّهُ نزلَ بهِ ونزَّلَهُ .

المرتبةُ الثانيةُ : قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [يوسف : ٢] ، وقالَ : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل : ٨٩][1] ، وقالَ : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل : ٤٤] ، وقالَ : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ ﴾ [الرعد : ١] ، وقالَ : ﴿ طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه : ١-٢] ، وقالَ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ [الكهف : ١] .

فهذهِ مرتبةٌ أسندَ فيها الإنزالَ إليهِ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ هوَ المُوجِدُ لفعلِ جبريلَ عليهِ السلامُ ، وإنزالُهُ ونزولُهُ بالوحيِ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . حقيقةٌ ، وهوَ الآمِرُ لجبريلَ عليهِ السلامُ بذلكَ ، والمُوجِدُ لنزولِهِ حافظاً للقرآنِ ذاكراً لهُ إلىٰ أنْ يُبلِّغَهُ .

فمحا في هذهِ الصورةِ الواسطةَ وأسندَ الفعلَ إليهِ ؛ زيادةً في التشريفِ ، ومبالغةً في الإكرامِ ، وتقويةً للحُجَّةِ ، وإظهاراً لما تحقَّقَ بهِ سيِّدُنا رسولُ اللهِ

(١) في (أ ، ب) : (وأنزلنا) بدل (ونزلنا) .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ قطعِ النظرِ عنِ الوسائطِ والتلقِّي منهُ .

وفي كلا المرتبتينِ : الذي انتهى إليهِ إسنادُ الإنزالِ حقيقةً هوَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، **وهوَ مُنزَلٌ بهـٰذا الاعتبارِ أيضاً** ؛ كما تقولُ : (ألبسَ السلطانُ فلاناً خِلْعةً) وإنْ كانَ ما باشرَ الإلباسَ[1] ، وإنَّما أمرَ مَنْ ألبسَهُ ؛ فالأفعالُ تُسنَدُ إلى الآمرِ بها كما تُسنَدُ إلىٰ مُباشِرِها .

المرتبةُ الثالثةُ : قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة : ١ـ٣] ، وقالَ : ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [فاطر : ٢٥] .

فأسندَ في هـٰذهِ المرتبةِ المجيءَ بالكُتُبِ إلى الرسلِ ، كما أسندَ في المرتبةِ الأولى النزولَ إلىٰ جبريلَ عليهِ السلامُ والإنزالَ ؛ تشريفاً للرسل ، وتنويهاً بقَدْرِهم ، وإعلاءً لكلمتِهم ، وحثّاً علىٰ تلقِّي ما جاؤُوا بهِ بالقَبولِ ، كما قالَ : ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة : ٤٠] ، **وهوَ في هـٰذهِ المرتبةِ يُطلَقُ عليهِ أيضاً (مُنزَلٌ)** .

المرتبةُ الرابعةُ : قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ﴾ [الزمر : ٤١] .

فبيَّنَ في هـٰذهِ الآيةِ شرفَهُ في الوَساطةِ ، وأنَّ السببَ في ذلكَ إنزالُهُ للناسِ ليهديَهُم ، فجمعَ بينَ المُنزَلِ عليهِ والمُنزَلِ لهُ في الإنزالِ ، وهوَ مُنزَلٌ عليهِ بالمعنى الذي ذكرْناهُ في المرتبةِ الأولىٰ ؛ لنزولِ جبريلَ بهِ ، مُنزَلٌ للناسِ ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ مُبلَّغٌ إليهِم لأجلِ هدايتِهم بهِ .

(١) في (ب) : (وإن غيره) بدل (وإن كان ما) ، وطمست في (أ) بسبب تفشي المِداد .

يدُلُّ على ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴾ [مريم : ٩٧] .

المرتبةُ الخامسةُ : قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ﴾ [البقرة : ٢٣١] ، وقالَ : ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ [المائدة : ١٥] ، وقالَ : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ١٧٤] .

فحذفَ الوسائطَ هنا في الإنزالِ فيما بينَهُ وبينَ عبادِهِ ؛ مبالغةً في إقامةِ الحُجَّةِ عليهِم ؛ لأنَّهُ هوَ الذي يُثيبُ ويُعاقِبُ ، وأسندَ الإنزالَ إليهِ ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ أمرَ جبريلَ فبلَّغَ كتبَهُ إلىٰ أنبيائِهِ ، فبلَّغَتْها الأنبياءُ إلينا ، وأفعالُهُم بأمرِهِ وبتقديرِهِ ، وهوَ المُوجِدُ لها ، وكلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ .

ويُطلَقُ عليهِ في هٰذهِ المراتبِ كلِّها (مُنزَلٌ) ، وليسَ بمعنىٰ أنَّ الصفةَ القديمةَ حلَّتْ بجبريلَ ، ثمَّ حلَّتْ بالرُّسُلِ ، ثمَّ حلَّتْ بالمُرسَلِ إليهِم ، بل بالمعاني التي قدَّمْناها .

فإنْ كنتَ عنيتَ بـ (المُنزَلِ) و(الإنزالِ) المراتبَ المذكورةَ بالمعاني المبيَّنةِ . . فحسنٌ ، وإنْ عنيتَ حلولَ الصفةِ وتنزُّلَها بمَنْ أُنزِلَتْ عليهِ . . فقد دلَّتِ الدلائلُ العقليَّةُ والسمعيَّةُ علىٰ بُطْلانِهِ علىٰ ما سيأتي ، واللهُ أعلمُ[1] .

* * *

(١) انظر (٢/ ٣٥٧) وما بعدها .

قولُكَ : (منهُ بدأَ وإليهِ يعودُ)[1] ، مُضمِّناً لهُ في كلامِكَ ، مُشيراً إلىٰ أنَّهُ وردَ خبراً[2] ، وقد سمعتُ الشيخَ الحافظَ تقيَّ الدينِ يقولُ[3] : (هٰذا الحديثُ لا يخلو عن نَظَرٍ) ، يُشيرُ إلىٰ أنَّهُ موضوعٌ ، وقد قالَ أبو الفرجِ ابنُ الجوزيِّ في كتابِهِ « الموضوعاتِ » : (إنَّهُ موضوعٌ)[4] .

قلتُ : وبتقديرِ أنْ لا كلامَ فيهِ لا يخلو :

إمَّا أنْ تُجرُوهُ مُجرى الظواهرِ المُطلَقةِ التي لا تعلمونَ لها تأويلاً ولا تذكرونَهُ ، وتكِلُونَ علمَهُ إلى اللهِ تعالىٰ .

أو تحملونَهُ علىٰ مَحمَلٍ ما[5] .

إنْ بقَّيتموهُ علىٰ ظاهرِهِ ، ووكلتُم علمَهُ إلى اللهِ تعالىٰ ، ولم تعلموا تأويلَهُ . . فنقولُ لكُم : كيفَ تستدلُّونَ علىٰ مرادِكُم بحديثٍ لا تعلمونَ مرادَ قائلِهِ بهِ ؟!

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٢) ، وانظر « العقيدة الواسطية » (ص٨٩) .

(٢) ولفظ الحديث عن سيدنا أنس رضي الله عنه : « كل ما في السماوات والأرض وما بينهما . . فهو مخلوق ، غيرَ الله والقرآن ؛ وذلك أنه كلامه ، منه بدأ وإليه يعود . . . » انظر « اللآلئ المصنوعة » (١/ ١١ـ١٢) ، و« تنزيه الشريعة المرفوعة » (١/ ١٣٤) ، وسيأتي الكلام عن هٰذا الحديث في (٢/ ٣١٩) مفصلاً .

(٣) هو الإمام الحجة المجتهد القاضي أبو الفتح ابن دقيق العيد رحمه الله تعالىٰ ، وستأتي ترجمته والنقل عنه في أكثر من موضع من هٰذا الكتاب . انظر (٢/ ٢٥٣ـ ٢٧٢) .

(٤) الموضوعات (١/ ١٥٢) .

(٥) قوله : (تحملونه) كذا في (أ ، ب) ، والقياس والأنسب : (تحملوه) .

وإنْ حملتُموهُ على مَحْمَلٍ فنقولُ : هٰذا خلافُ طريقتِكُم ؛ فإنَّ طريقتَكُم عدمُ الحملِ والتأويلِ ، فتأويلُ هٰذا دونَ غيرِهِ مِنَ الظواهرِ ترجيحٌ مِنْ غيرِ مُرجِّحٍ .

ونتنزَّلُ معَكُم فنقولُ : إذا حملتُموهُ فأكثرُكُم يرويهِ مهموزاً (بدأَ) ، ويُؤيِّدُهُ قولُهُ : (يعودُ) ، فيكونُ ذلكَ مِنَ البداءِ والعودِ ، وأنتُم تقولونَ : إنَّ التلاوةَ هيَ المتلوُّ ، وإنَّ المتلوَّ الصفةُ القديمةُ ، فتكونُ على هٰذا الصفةُ القديمةُ مُبتدَأةً ، وهٰذا خبطٌ وهَذَيانٌ ، ومعَ هٰذا فقد أقدمَ عليهِ ابنُ قدامةَ منكُم ؛ فإنَّه قالَ في « عقيدتِهِ » : (إنَّ مِنْ كلامِهِ القرآنَ ، وهوَ حروفٌ وكلماتٌ ، لهُ أوَّلٌ وآخرٌ)[1] .

وبعضُكم يقولُ : (بدا) مِنْ غيرِ همزٍ ؛ مِنْ (بدا يبدو) إذا ظهرَ .

فنقولُ : مِنْ مذهبِكُمُ السخيفِ : القولُ بالحرفِ والصوتِ ، وأنَّ كلامَ الباريِ لا ينفكُّ عنهُما ، وبأيِّ معنىً فسَّرتُموهُ : فإذا ظهرَ في الوجودِ صوتٌ لا كالأصواتِ ، أو مِنْ غيرِهِ والصفةُ حالَّةٌ فيهِ . . فمُحالٌ أنْ يعودَ نفسُ ذلكَ الصوتِ الذي مضىٰ وانقضىٰ وكانَتْ لهُ بدايةٌ ونهايةٌ .

فإنْ قلتُم : إنَّ نفسَ ذلكَ الصوتِ يعودُ . . فهٰذا أيضاً هَذَيانٌ ، هٰذا حيثُ أفلحتُم وأوَّلتُم .

قولُكَ : (الذي كتبَتْهُ الصحابةُ)[2] : لا فرقَ بينَ الذي كتبَتْهُ الصحابةُ مِنَ المصاحفِ وبينَ الذي كتبَهُ غيرُهُم في الاحترامِ ، وإجراءِ المعتقداتِ والأحكامِ ، فإنْ لم تعتقدِ الفرقَ فقولُكَ تسميعٌ للجهلةِ مِنْ طائفتِكَ وتشنيعٌ ، وإنِ اعتقدتَ الفرقَ فهوَ جهلٌ شنيعٌ .

(١) لمعة الاعتقاد (ص١٨) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٢) .

قولُكَ : (ومنهُ ما يكونُ معَ كلٍّ مِنَ المتنازِعَينِ نوعٌ مِنَ الحقِّ ، ويكونُ كلٌّ منهُما ينكرُ حقَّ صاحبِهِ)[1] .

متى أنكرَ حقَّ صاحبِهِ كانَ ذلكَ مِنْ نوعِ الخطأِ ، ولعلَّكَ بنيتَ الأمرَ في ذلكَ على ما جرتْ عادتُكُم بهِ مِنَ العنادِ في الحقِّ ، وإنكارِ ما أرشدَ إليهِ الدليلُ الواضحُ .

لا جرمَ أنَّكَ قلتَ : (وهـٰذا مِنَ التفرُّقِ والاختلافِ المنهيِّ عنهُ)[2] ، ولعلَّكَ لا يُرضيكَ إلا أنْ يوافقَكَ أهلُ السنَّةِ على ما ذهبتَ إليهِ مِنْ هَذَيانِكَ الذي هذيتَهُ ، ونقلِكَ الفاسدِ الذي افتريتَهُ .

ثمَّ استشهدتَ بقولِهِ : ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ [البقرة : ١٧٦] ، وقولِهِ : ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران : ١٠٥][3] ، ولا شكَّ أنَّ الاختلافَ في أصولِ العقائدِ مذمومٌ ، لـٰكنَّ هـٰذا القولَ نقولُ بموجَبِهِ ، ونقولُ لكَ : يجبُ عليكَ أنْ ترجعَ عن هـٰذا الاعتقادِ الفاسدِ ، وتوافقَ أهلَ الحقِّ ولا تُفارِقَهُم .

قولُكَ : (الواجبُ على المسلمِ أنْ يلزمَ سنَّةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وسنَّةَ الخلفاءِ الراشدينَ)[4] .

لا نزاعَ في ذلكَ ، وسيأتي ما نُقِلَ عنِ الخلفاءِ الراشدينَ مِنْ تأويلِ الظواهرِ ، وحملِها على مَحْمَلٍ صحيحٍ لا يأباهُ النقلُ ، ويقتضيهِ العقلُ[5] .

(١) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٢) .

(٢) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٢) .

(٣) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٢) .

(٤) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٣) .

(٥) كما في (الباب الثالث) ، فيمن قال بالتأويل من الصحابة والتابعين من سلف هـٰذه الأمة . انظر (١/ ٢١١) وما بعدها .

أتُراكَ نقلتَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أو عنِ الخلفاءِ الراشدينَ . . أنَّهُم قالُوا : إذا جاءَكُم ظواهرُ تُوهِمُ فاستمسكُوا بها ، ولا تحملُوها علىٰ تأويلٍ صحيحٍ ؛ حتىٰ يكونُ المؤوِّلُ لذلكَ مُخالِفاً للرسولِ أو للخلفاءِ الراشدينَ ؟!

بل أقولُ : المُنكِرُ لذلكَ مُبتدِعٌ ؛ فإنَّهُ أنكرَ ما لم يردْ عنِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ نقلٌ بإنكارِهِ ، ولا عنِ الخلفاءِ الراشدينَ ، ولا عنِ الصحابةِ والتابعينَ .

قولُكَ : (إنْ أمكنَهُ أنْ يفصِلَ النِّزاعَ بالعلمِ ، وإلا استمسكَ بالجُمَلِ الثابتةِ بالنصِّ والإجماعِ)[1] .

قد أمكنَ ولله الحمدُ أنْ نفصِلَ النِّزاعَ بالعلمِ ؛ فإنَّ الدليلَ العقليَّ القاطعَ شاهدٌ مُصدِّقٌ ، وحاكمٌ مُحقِّقٌ ؛ فقد دلَّ العقلُ الدالُّ علىٰ معرفةِ الذاتِ والصفاتِ علىٰ تأويلِ ما وردَ مِنَ الظواهرِ ، فهوَ دليلٌ بعلمٍ يفصِلُ النِّزاعَ علماً لا ظنّاً ، وقطعاً لا اجتهاداً ، فيجبُ عليكُمُ المصيرُ إليهِ ، لكنَّ الخِذْلانَ صدَّكَ ، والشيطانَ تاهَ بكَ عنِ الطريقِ وردَّكَ .

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي ٱلأَفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا ٱحْتَاجَ ٱلنَّهَارُ إِلَىٰ دَلِيلِ[2]

قولُكَ : (وإلا استمسكَ بالجُمَلِ الثابتةِ بالنصِّ والإجماعِ) .

النصُّ : يُطلَقُ ويُرادُ بهِ : ما لا يحتملُ التأويلَ .

ويُطلَقُ ويُرادُ بهِ : الظاهرُ ؛ كقولِكَ : هٰذا نصُّ الشافعيِّ ، ومقتضىٰ نصِّ « التنبيهِ » كذا ؛ أي : ظاهرُ كلامِهِ كذا .

ويُطلَقُ ويُرادُ بهِ : ما دلَّ علىٰ معنىً كيفَ كانَ ، وهوَ غالبُ استعمالِ الفقهاءِ .

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٢) البيت للمتنبي في « ديوانه » (٣/ ٩٢) ، وهو من الوافر ، وهٰذا البيت من أمثاله السائرة .

فإنْ كنتَ أردتَ بهِ المعنى الأولَ ـ وهوَ أنَّ النصَّ الذي لا يحتملُ تأويلاً ـ فهوَ باطلٌ لوجهينِ ؛ أحدُهُما : أنَّهُ مُصادَرةٌ على مَحَلِّ النزاعِ مِنْ غيرِ دليلٍ ، والثاني : أنَّكَ وبعضَ أصحابِكَ الذينَ لا يعتقدونَ الجسميَّةَ وافقتُم على أنَّ لهُ تأويلاً عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ لا تعلمونَهُ ولا تُقدِمُونَ عليهِ ، مُستدلِّينَ بقولِهِ تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧] ، إلا أنْ تكونَ ممَّنْ يعتقدُ أنَّ الظواهرَ مُستعمَلةٌ فيما وُضِعَتْ لهُ ، محمولةٌ على ما استُعمِلَتْ فيهِ ؛ فحينَئذٍ يصدُقُ عليها على رأيِكَ أنَّها نصوصٌ لا تحتملُ التأويلاتِ ، وحينَئذٍ تسقطُ مُحاجَّتُكَ والكلامُ معَكَ ؛ لسخافةِ عقلِكَ .

وَمَنْ يَكُ ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيضٍ ... يَجِدْ مُرّاً بِهِ ٱلْمَاءَ ٱلزُّلَالَا[1]

وإنْ أردتَ بالنصِّ الظاهرَ فالظاهرُ ليسَ قطعيّاً ، وإذا لم يكنْ قطعيّاً وقد دلَّ الدليلُ العقليُّ على وجوبِ التأويلِ . . فوجبَ المصيرُ إليهِ ، وحينَئذٍ لا يتِمُّ لكَ مقصودُكَ .

وإنْ أردتَ بالنصِّ المعنى الثالثَ فذلكَ أيضاً أبعدُ لكَ .

وإذا بطلَ أنْ يكونَ مُرادُكَ المعنى الأولَ والثانيَ والثالثَ . . بطلَ تشنيعُكَ بالنصِّ والاستمساكِ بهِ .

قولُكَ : (والإجماعِ)[2] ، سيأتي الكلامُ في الفصلِ الذي بعدَهُ على الإجماعِ وإبطالِ ما اعتقدتَهُ منهُ[3] .

(١) البيت للمتنبي في « ديوانه » (٣/ ٢٢٨) ، وهو من الوافر ، وهٰذا البيت من أمثاله السائرة .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٣) انظر (١/ ٩٠، ١٢٢ـ١٢٣) .

قولُكَ : (فإنَّ مواقعَ التفرُّقِ والاختلافِ تصدُرُ عنِ اتِّباعِ الظنِّ وما تهوى الأنفسُ)[1] .

لا يخلو : إمَّا أنَ يكونَ التفرُّقُ للدنيا ، أو للدِّينِ :

لا جائزَ أنْ يكونَ المرادُ التفرُّقَ للدنيا ؛ لأنَّ العلماءَ العارفينَ باللهِ اتفقوا على هجرِها وتركِها ، بل هيَ أقلُّ عندَهُم مِنْ أنْ يلحظونَها أو يختلفونَ عليها[2] .

والاختلافُ للدينِ لا يخلو : إمَّا أن يكونَ في الفروعِ أو في الأصولِ ؛ فإنْ كانَ في فروعِ العباداتِ والمعاملاتِ . . فالاختلافُ فيها اتِّفاقٌ ، وكلٌّ منهُم مُحِقٌّ ، ولهُ أجرٌ أو أجرانِ ، واختلافُ العلماءِ رحمةٌ .

وأمَّا الاختلافُ في أصولِ العقائدِ . . فكلامُكَ يُشعِرُ بأنَّ اختلافَهُم فيها يصدُرُ عنِ اتباعِ الهوى ، وهـٰذهِ فَرْطةٌ عظيمةٌ وسَقْطةٌ ، ووقوعٌ في العلماءِ وجرأةٌ عليهِم .

وقولُكَ : (تصدُرُ عنِ اتباعِ الظنِّ)[3] أيضاً خطأٌ ؛ فإنَّ العقائدَ قطعيَّةٌ ، ولأجلِ هـٰذا يكفرُ مَنْ ذهبَ إلى الجِسْميَّةِ ، وإلى إنكارِ الصفاتِ[4] ، وغيرِ

(١) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٣) .

(٢) كذا في نسختينا بإثبات النون في الفعلين مع تقدم الناصب ، وهو جائز على ما ذهب إليه بعض العرب من إهمال (أن) حملاً على أختها (ما) المصدرية ، وإن وقعت بعد ما لا يدل على يقين أو رجحان ، وحملوا عليه قول الشاعر : (من البسيط)

أنْ تقرآنِ علـى أسمـاءَ وَيحَكمـا ... منِّـي السـلامَ وألا تُشْعِـرا أحـدا

وقوله تعالى : (لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ) في قراءة من رفع (يتم) ، وهي قراءةٌ شاذة ، وهـٰذا مذهب البصريين ، وأما الكوفيون فهي عندهم مخففة من الثقلية . انظر « شرح الأشموني على الألفية » (٣/ ٥٥٣ـ٥٥٤) .

(٣) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٣) .

(٤) لعل مراده : كفرُ من جسَّم صراحة ، وكفر من أنكر الصفاتِ المعلومةَ من الدين بالضرورة ؛ ككون الله عالماً أو قادراً ، والله تعالى أعلم ، وإلا فالمحقَّق أن المجسمة ومنكري =

ذلكَ ، وليسَتْ قواعدُ العقائدِ ظنيَّةً ؛ فلأجلِ هٰذا يُستدَلُّ مِنْ كلامِكَ على جهلِكَ[1] .

وقولُكَ : (والواجبُ حملُ العامَّةِ بالجُمَلِ الثابتةِ بالنصِّ والإجماعِ ، ومنعُهُم مِنَ الخوضِ في التفصيلِ الذي يُوقِعُ بينَهُمُ الفُرْقةَ والاختلافَ)[2] .

قد مضى الكلامُ على قولِكَ : (النصِّ)[3] .

وأمَّا الإجماعُ : فأيُّ إجماعٍ ينعقدُ بدونِ العلماءِ الذينَ نذكرُهُم مِنَ الصحابةِ والتابعينَ وعلماءِ كلِّ عصرٍ إلى عصرِنا هٰذا ؟! وهل دعواكَ الإجماعَ إلا محضُ مُكابَرةٍ وافتراءٍ ، ووقاحةٍ واجتراءٍ ، كما سبقَ كلامُكَ في النصِّ ؟!

فهٰذانِ أمرانِ لم يَتِمَّا لكَ ، ومعَ ذلكَ فقد حملتَهُم أنتَ على الظاهرِ الذي يُنافي التنزيهَ ، ولم تمنعْهُم مِنَ الخوضِ ، وأفتيتَهُم بالجمودِ على ما يفهمونَهُ مِنَ الظواهرِ في اليدِ والعينِ ، والجَنْبِ والإصبَعِ ، والفوقيَّةِ والتحيُّزِ ، فأضللتَ كثيراً مِنَ الناسِ ؛ كلُّ ذلكَ لكي يتبعَكَ الطَّغامُ والجمُّ الغفيرُ[4] ؛ لتنالَ بذلكَ مقاصدَ دنيويةً ، وقد حصلَ لكَ ذلكَ ، فنسألُ اللهَ السلامةَ .

وأمَّا قولُكَ : (الفُرْقَةَ) فأيُّ فُرْقةٍ أعظمُ ممَّا صنعتَ ؟! ظنَّ قومٌ كنَّا نُسلِّمُ عليهِم ، ونُحسِنُ بهِمُ الظنَّ ، ولا يظهرُ لنا مِنْ بواطنِهِم شيءٌ . أنَّ بإظهارِكَ

= الصفات كالمعتزلة . . لا يكفرون بل يفسقون .

(١) وهٰذه الجهالة نفسها غرسها الأصواتية في عقل الملك الأشرف ، فردَّ عليه سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، وبين فساد ما ذهب إليه ، وسيأتي ذكر الفتنة التي تعرض لها العز بن عبد السلام مع المشبهة الأصواتية في عصره مفصلةً مبينة ، وما آلت إليه من نصر أهل السنة وكسر شوكة المبتدعة . انظر (٢/ ٥٠٠ـ٥١٩) .

(٢) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٣) .

(٣) انظر (١/ ٨٧ـ٨٨) .

(٤) الطَّغام : أوغاد الناس وأراذلهم .

هـٰذهِ البدعةَ قد جاءَ أوانُهُم ، وأنَّ الزمانَ زمانُهُم ، فأطلعُوا رؤوسَ النفاقِ ، وأظهرُوا كوامنَ البواطنِ مِنَ الشِّقاقِ ، فقهرَتْهُم أيدي السُّنَّةِ ، وأَيْدُ تأييدِ اللهِ ذي المِنَّةِ[1] ، فأصبحُوا منبوذينَ منقطعينَ ، عنِ المودَّةِ محدودينَ[2] ؛ يُقالُ : فلانٌ وفلانٌ بهـٰذهِ الصفةِ فليُحْذَرْ ، ولْيُعامَلْ مِنَ الهُونِ بما هوَ بهِ أجدرُ ، ولله أمرٌ هوَ بالغُهُ .

وأيُّ فُرْقةٍ أعظمُ ممَّا صنعتَ ؟! أن ينفرَ الأبُ مِن ابنِهِ ، والأخُ مِنْ أخيهِ ؛ فإنَّ المُعتقَدَ لا يُداهَنُ فيهِ[3] .

وكانتِ الناسُ مستورينَ ، وبحسنِ الظنِّ بهِم غيرَ مسبورينَ ، ففضحتَ نفسَكَ وقومَكَ .

وكانَ حقُّكَ أنْ تصبرَ حتىٰ يخرجَ الدجَّالُ[4] ، وإلا فالوقتُ ولله الحمدُ علىٰ خيرٍ ، وأهلُ السنَّةِ أيَّدَهُمُ اللهُ علىٰ عدوِّهِم فأصبحُوا ظاهرينَ ؛ ﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٧] .

(١) الأَيْدُ : القوَّة والشِّدَّة .

(٢) المحدود : المحروم والممنوع من الخير وغيره .

(٣) فلذلك ورد التحذير من مجالسة أهل البدع ، كما سيأتي الحديث عنه في (٢/ ٤٨١ـ ٤٨٦) ، ومما ورد مما لم يذكره المؤلف : ما أخرجه البيهقي في « الشعب » (٩٠٣٩) من كلام إبراهيم القصار قال : (أشدُّ البلاء : صحبة من يخالفك في اعتقادك ، أو تحتاجُ أن ترائي له في صحبتك ، وأولى الناس بالصحبة : من يوافقك في اعتقادك ، وتحتشمه في مجالستك معه ، ذاك الذي يمنعك عن أنواع المخالفات رؤيتُهُ وصحبتُهُ) .

(٤) فإن الأعور الدجال يدَّعي الألوهيَّة ، ويأتي بخوارق يفتتن الناس بها ، وهو مُصوَّر مُجسَّم يُرىٰ بالعين ، وذو أيد وأرجل وأعين ولهوات وأضراس ، فابن تيمية لو صبر ونشر عقائده الفاسدة في زمن خروج الدجال . . لوجد أتباعاً كثيرين ، وجمهوراً عديدين ، من الطَّغام والمفتونين ، وسيسرح ويمرح في افتتان الناس في ظل خمود أهل العلم الراسخين الذين يحاربون فكره ويُحذِّرون من رأيه .

قولُكَ : (مَنِ اعتقدَ أنَّ المِدادَ الذي في المصحفِ وأصواتَ العبادِ قديمةٌ أزليَّةٌ . . فهوَ ضالٌّ مُخطِئٌ)[1] .

صدقتَ في هٰذهِ المقالةِ ، وخلَصْتَ بها مِنْ رِبْقةِ الجهالةِ ، وهيَ كلمةُ حقٍّ ، صدرَتْ مِنْ باطنٍ غيرِ مُحِقٍّ .

ولعمري !! لقد شهدتَ علىٰ نفسِكَ وعلىٰ قومِكَ ، وأفتيتَ فيهِم بحُكمِ اللهِ المؤذنِ بلومِكَ ؛ فإنَّ القائلَ بذلكَ فِرقةُ الضلالِ .

وقولُكَ : (لم يقلْ أحدٌ مِنْ علماءِ المسلمينَ ؛ لا مِنْ أصحابِ الإمامِ أحمدَ رضيَ اللهُ عنهُ ولا مِنْ غيرِهِم : إنَّ ذلكَ قديمٌ)[2] .

أمَّا علماءُ المسلمينَ وأوائلُ أصحابِ الإمامِ أحمدَ رضيَ اللهُ عنهُ وعنهُم . . فلم يقولُوا بذلكَ ، لٰكنِ المُتأخِّرونَ مِنْ أصحابِ أحمدَ رضيَ اللهُ عنهُ قالُوا بهِ ودعَوا إليهِ ، وآخرُهُم أنتَ ، وسأُذكِّرُكَ بهِ حينَ تقولُ : (وليسَ الكلامُ اسماً لمجرَّدِ اللفظِ فقطْ ، ولا المعنىٰ فقطْ ، بل لمجموعِهِما) ، وتُشبِّهُ اللفظَ بالجسدِ ، والصفةَ بالروحِ الحالَّةِ في الجسدِ[3] .

وهٰذا أدلُّ دليلٍ علىٰ أنَّكَ تعتقدُ حلولَ الصفةِ باللفظِ ، فما رددتُ عليكَ بشيءٍ أوضحَ مِنْ كلامِكَ ، ولٰكنْ نريدُ أنْ نسترَ عورةً قُضِيَ بظهورِها ، ونُغطِّيَ سوءةً قد كُشِفَ فاضحُ مَستورِها .

وقد قالَ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ الكوداريُّ في « رسالتِهِ » في أثناءِ كلامِهِ : (ومِنَ الدليلِ علىٰ أنَّ ألفاظَنا بالقرآنِ أوِ القرآنَ بألفاظِنا غيرُ مخلوقٍ : قولُهُ تعالىٰ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة : ٦]) .

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٧) ، وانظر ما سيأتي (١/ ١٢٤ـ ١٢٥) .

بل أردفَهُ بحكايةٍ حكاها عن أبي بكرٍ الآجُرِّيِّ ، فقالَ : خرجَ أبو بكرٍ الآجُرِّيُّ يوماً مِنَ الكعبةِ ، فلمَّا توسَّط الطريقَ عارضَهُ إبليسُ لعنَهُ اللهُ وهوَ ساعٍ ، فعرفَهُ الشيخُ ، فقالَ لهُ : يا جانُّ ؛ مَهْ ، ما لكَ هاربٌ ؟ فقالَ : هربتُ مِنْ جماعةِ المُتكلِّمينَ ؛ يقولُونَ : القرآنُ ليسَ كلامَ اللهِ ، قالَ : فقلتُ لهُ : فما تقولُ أنتَ فيهِ ؟ فقالَ : يا أبا بكرٍ ؛ ما أقولُ وقد قالَ : قالَ [. . .] سمعتُهُ[1] : ﴿ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾ [الحجر : ٣٤] ؟!

وحسبُكَ مَنْ يكونُ إمامُهُم وشيخُهُم في الاستدلالِ على مُعتقَدِهِم . . الشيخَ النجديَّ !![2] ، ما هٰذا إلا اعترافٌ بالاقترافِ ، وتوغُّلٌ في الزيغِ والانحرافِ .

ويدُلُّ أيضاً على أنَّكُم تدَّعُونَ أنَّ أصواتَ العبادِ قديمةٌ لِمَا يحُلُّ فيها مِنَ الكلامِ : قولُ أبي عاصمِ بنِ أصرمَ النَّسائيِّ المُلقَّبِ بـ (خُشَيشٍ)[3] عندَ قولِهِ

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وتستقيم العبارة إذا قلنا : (ما أقول وقد سمعته قال) .

(٢) أشار بهٰذا اللفظ : إلى الحادثة المشهورة في كتب السيرة ، عندما تلبَّس إبليس اللعين بصورة شيخ نجدي ، ودخل اجتماعَ قادة قريش المشؤومَ في دار الندوة ؛ للتشاور في كيفية قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر « سيرة ابن هشام » (١/ ٤٨١ـ٤٨٢) ، ولا يخفى على كل ذي لُبٍّ حكمة تلبُّس الشيطان بشيخ من شيوخ نجد ، كما لا يخفى على كل ذي عقل حكمة طلوع قرن الشيطان منها ، وكذلك حكمة خروج الفتن منها ، كما ورد في الحديث الصحيح ، ومن أخطر الفتن التي انبثقت من هٰذه البقعة : فتنة التجسيم والتشبيه والتكفير وغيرها التي اجتاحت العالم الإسلامي أجمع ، فحسبنا الله ونعم الوكيل ، وهو مقصودنا بالفرج القريب واللطف الجميل .

(٣) لعله قاله في كتاب « الاستقامة » ، قال الإمام الكوثري في تعليقاته على « السيف الصقيل » (ص١٢٥) : (وخشيش بن أصرم صاحب كتاب « الاستقامة » ، يعرف أهلُ الاستقامة مبلغَ انحرافه ، ومن جملة ما هذىٰ به قوله : « فإن زعمت الجهمية : فمن يخلفه إذا نزل ؟ قيل لهم : فمن خلفه في الأرض حين صعد ؟ » . . .) .

صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « حَسِّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ »[1] : (إنَّما الأصواتُ مِنَ القراءةِ ، ويُسمَعُ مِنَ القراءةِ كلامُ اللهِ على الحقيقةِ لا على المجازِ) .

ونقلَ أيضاً عن أبي طاهرٍ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الحنبليِّ[2] في ردِّهِ على الأشعريِّ ؛ فقالَ : (وعندَ الأشعريِّ القراءةُ تُقرَأُ لا القرآنُ ، وقد قالَ اللهُ تعالى : ﴿ اتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] ، فأُمِرَ أنْ يتلوَ القرآنَ الذي أُوحِيَ إليهِ ، فلو كانَ لا يُمكِنُ أحداً أنْ يتكلَّمَ بكلامِ اللهِ تعالى . . لكانَ سبحانَهُ قد كلَّفَ خلقَهُ ورسولَهُ بما لا يتأتَّى وقوعُهُ منهُ) .

فهٰذا دليلٌ على أنَّهُ يعتقدُ حلولَ الصفةِ ـ التي هيَ الكلامُ القديمُ ـ بكلامِ القارئِ وصوتِهِ الحادثِ .

وموضعُ الاستشهادِ : قولُهُ : (لو كانَ لا يُمكِنُ أحداً أنْ يتكلَّمَ بكلامِ اللهِ تعالى) لأنَّا اتَّفقْنا على أنَّ القراءةَ مُمكِنةٌ .

وموضعُ الخلافِ بينَنا وبينَكُم : إمكانُ حلولِ الصفةِ القديمةِ في الحادثِ ؛ فأنتُم تقولُونَ : إنَّهُ ممكنٌ واقعٌ ، ونحنُ نقولُ : لا يمكنُ .

ولم يكفِ هٰذا القائلَ ـ أعني : أبا طاهرٍ الحنبليَّ ـ ما ذكرَ مِنْ هٰذا الكلامِ حتى نقلَ نقلاً فاسداً ؛ فقالَ : (قالَ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ : سألتُ أبي رحمَهُ اللهُ : ما تقولُ في رجلٍ قالَ : التلاوةُ مخلوقةٌ ، وألفاظُنا بالقرآنِ مخلوقةٌ ، والقرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ ؟ فقالَ : هٰذا كافرٌ ، وهٰذا كلامُ الجهميَّةِ)[3] .

(١) أخرجه أبو داود (١٤٦٨) ، والنسائي (٢/ ١٧٩) ، وابن حبان (٧٤٩) وغيرهم من حديث سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما ، وانظر ما سيأتي حول هٰذا الحديث في (٢/ ٤٤٠) .

(٢) ويعرف بـ (القطان) ، وهو من كبار تلاميذ ابن حامد المشبه ، توفي سنة (٤٢٤هـ) انظر « الوافي بالوفيات » (٦/ ١٢٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٩/ ١٢٤) .

(٣) انظر « السنة » (١ـ٣ ، ١٨٧) .

وقد نقلتَهُ أنتَ أيضاً في كلامِكَ .

وأقسمُ باللهِ ؛ لقد تعمَّدَ الكذبَ على أبي عبدِ اللهِ ، والدليلُ عليهِ : أنَّ الإمامَ الحافظَ أبا بكرٍ أحمدَ بنَ الحسينِ البيهقيَّ . . نقلَ في كتابِ « الأسماءِ والصفاتِ » : أنَّ الإمامَ أحمدَ ابنَ حنبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنكرَ على أبي طالبٍ تلميذِهِ قولَهُ : (لفظي بالقرآنِ غيرُ مخلوقٍ) ، ونقلَ عنِ الإمامِ أحمدَ رضيَ اللهُ عنهُ النقلَ الذي نقلَهُ أبو طاهرٍ مُقيَّداً لا مُطلقاً على ما سيأتي بيانُهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى[1] .

ولم يكفِ أبا طاهرٍ ذلكَ حتى قالَ : (وفي قطعِ صاحبِنا على تكفيرِ مَنْ قالَ : « لفظُهُ بالقرآنِ مخلوقٌ » . . أوضحُ دلالةٍ على أنَّهُ يعتقدُ ما يتلوهُ العبادُ أنَّهُ كلامُ اللهِ تعالى في الحقيقةِ) .

قلتُ : أنا إلى الآنَ لم أردَّ عليكَ مِنِ ابتداءِ الكلامِ وإلى هلمَّ . . إلا بما نقلَهُ أصحابُكُم .

فأمَّا ما نقلَهُ أصحابُنا عنكُم : فقد نقلَ القاضي أبو بكرِ بنُ الطيِّبِ[2] في كتابِهِ المُسمَّى بـ « النقضِ الكبيرِ » الذي احتوى على أربعينَ سِفْراً ، والكلامُ على القرآنِ والكلامِ منهُ في ثلاثِ مُجلَّداتٍ منهُ[3] ؛ ونقلَ عن جماعةٍ منكُمْ . . القولَ بقدمِ الحروفِ ، وتكلَّمَ عليكُم مِنْ ذلكَ بثلاثةِ أسطرٍ ؛ فقالَ : (مَنْ زعمَ أنَّ السينَ مِنْ « باسمِ » بعدَ الباءِ ، والميمَ بعدَ السينِ الواقعةِ بعدَ الباءِ لا أوَّلَ لهُ . . فقد خرجَ عنِ المعقولِ ، وجحدَ الضرورةَ ، وأنكرَ البديهةَ ؛ لأنَّ مَنِ اعترفَ

(١) الأسماء والصفات (ص٢٥٦ـ٢٥٧) ، ورواية التقييد هي : (من قال : « لفظي بالقرآن مخلوق » يريد به : القرآنَ . . فهو كافر) ، وانظر (١/ ١١٤) .

(٢) ستأتي ترجمته (١/ ٣٨٦ـ ٣٨٧) .

(٣) كذا في نسختينا (ثلاث) ، والتذكير بناء على لفظ الجمع ، أو بناء على مفرده ؛ وهو : (مجلدة) .

بوقوعِ شيءٍ بعدَ شيءٍ . . فقدِ اعترفَ بأوَّليَّتِهِ ، فإذا ادَّعىٰ أنَّهُ لا أوَّلَ لما لهُ أولٌ فقد سقطَتْ مُحاجَّتُهُ ، وتبيَّنَ لحوقُهُ بالسَّفْسَطَةِ[1] ، وكيفَ يُرتجىٰ أنْ يرشدَ بالدليلِ مَنْ يتواقحُ في جحدِ الضرورةِ ؟!)[2] .

وأمَّا إمامُ الحرمينِ رضيَ اللهُ عنهُ : فنقلَ عن جماعةٍ مِنْ علمائِكُمُ القولَ بقِدَمِ الحروفِ ، وقالَ في كتابِهِ المُلقَّبِ بـ « الشاملِ »[3] : (وقد جمعْنا على القائلينَ بقِدَمِ الحروفِ كتاباً ، ورأَينا تنزيهَ كتابِنا هٰذا عنِ الكلامِ معَهُم والتشاغلِ بهِم) .

وقالَ في موضعٍ آخرَ مِنَ « الشاملِ » : (ولٰكنْ ما أشارَ إليهِ القائلونَ بخلقِ الكلامِ مِنَ الحروفِ المُتقطِّعةِ ، والأصواتِ المُنتظِمةِ ، والرُّقومِ المُثبتَةِ في الدفاترِ . . فنحنُ نوافقُهُم علىٰ أنَّ ما أشارُوا إليهِ مُحدَثٌ مخلوقٌ ، وإنَّما ينازعُهُم فيما قالُوهُ الجهلةُ المُقلِّدونَ ؛ فإنَّهُم صائرونَ إلىٰ قِدَمِ الحروفِ والأصواتِ ـ أعني : أصواتَ القراءةِ ـ وذاهبونَ إلى القولِ بقدمِ الرسومِ والأسطرِ المثبتةِ في الدفاترِ)[4] .

وقد نقلَ الأستاذُ الإمامُ أبو منصورٍ عبدُ القاهرِ بنُ طاهرِ بنِ محمدٍ البغداديُّ التميميُّ[5] في « كتابِهِ في تفسيرِ أسماءِ اللهِ الحسنىٰ »حينَ تكلَّمَ في الكلامِ ،

(١) السَّفْسطة : كلمة يونانية معناها : الغلط والحكمة المموَّهة ، وهي عند المنطقيين : القياس المركب من المقدمات الكاذبة الشبيهة بالحق .

(٢) وهٰذا النص نقله الإمام الجويني في كتابه « الشامل » ، كما في « الكامل في اختصار الشامل » (٢/ ٤٥٨) ، وانظر (٢/ ٣٥٦ـ ٣٥٧) .

(٣) لعله قاله في القسم المفقود الذي لم يطبع ، والله تعالىٰ أعلم ، ولم أجد نصه الآتي في مختصره « الكامل » .

(٤) انظر « الكامل في اختصار الشامل » (٢/ ٤٥٩) .

(٥) ستأتي ترجمته (١/ ٤١٨ـ ٤١٩) .

فقالَ : (وزعمَتِ النجَّاريَّةُ : أنَّ الكلامَ عَرَضٌ إذا قُرِئَ وجسمٌ إذا [كُتِبَ] ، وقالُوا : إنَّ كلامَ اللهِ إذا كُتِبَ بحِبْرٍ أو غيرِ ذلكَ ، أو نُقِرَ في حجرٍ أو خشبٍ . . [فإنَّ] الأجزاءَ الظاهرةَ مِنْ ذلكَ كلامُ اللهِ)[1] .

ونقلَ جمالُ الإسلامِ محمدُ بنُ عبدِ الكريمِ الشَّهْرَسْتانيُّ في « كتابِهِ » في مسألةِ الكلامِ ؛ فقالَ : (قالَتِ الحنابلةُ : قد تقرَّرَ الاتِّفاقُ على أنَّ ما بينَ الدَّفتينِ كلامُ اللهِ ، وأنَّ ما نقرؤُهُ ونسمعُهُ ونكتبُهُ عينُ كلامِ اللهِ ، فيجبُ أنْ تكونَ الكلماتُ والحروفُ هي بعينِها كلامَ اللهِ تعالى ؛ لما تقرَّرَ الاتِّفاقُ على أنَّ كلامَ اللهِ غيرُ مخلوقٍ ، فيجبُ أنْ تكونَ الكلماتُ أزليَّةً غيرَ مخلوقةٍ .

ولقد كانَ الأمرُ في أولِ الزمانِ على قولينِ ؛ أحدُهُما : القدمُ ، والثاني : الحدوثُ ، والقولانِ مقصورانِ على الكلماتِ المكتوباتِ والآياتِ المقروءةِ بالألسنِ ، فصارَ الآنَ لنا قولٌ ثالثٌ ؛ وهوَ : حدوثُ الحروفِ والكلماتِ ، وقِدَمُ الكلامِ والأمرِ الذي تدُلُّ عليهِ العباراتُ .

وقدحتُم قَدْحاً ليسَ منهُما ؛ وهوَ خلافُ القولينِ ، فكانَتِ السلفُ على إثباتِ القِدَمِ والأزليَّةِ لهٰذهِ الحروفِ والأصواتِ دونَ التعرُّضِ لصفةٍ أخرىٰ وراءَها ، وكانتِ المعتزلةُ على إثباتِ الحدوثِ والخِلْقةِ لهٰذهِ الحروفِ والأصواتِ دونَ التعرُّضِ لمعنىً وراءَها ، فأبدعَ الأشعريُّ قولاً ثالثاً ، وقضىٰ بحدوثِ الحروفِ ، وهوَ خرقُ الإجماعِ ، وحكمَ بأنَّ ما نقرؤُهُ كلامُ اللهِ مجازاً لا حقيقةً ، وهوَ عينُ الابتداعِ)[2] .

قلتُ : فيما نقلَهُ هٰؤلاءِ الأئمَّةُ عنكُم ما يكفي لوِ انفردَ في إظهارِ فضائحِكُم

(١) انظر « أصول الدين » (ص٣٣٤) .

(٢) نهاية الإقدام في علم الكلام (ص٣١٣) ، وقول الحنابلة ينتهي مع نهاية النقل ، ولا يوجد أصرح من هٰذا النقل في حق ابن تيمية وأتباعه .

وإشهارِ قبائحِكُمُ التي تتستَّرونَ منها عندَ العقلاءِ ، وتظهرونَها للجهلةِ المُقلِّدينَ مِنْ أصحابِكُم إذا خلوتُم إلىٰ شياطينِكُم ، فكيفَ وقدِ انضمَّ إليهِ ما نقلتُهُ عن أصحابِكُمُ الحنابلةِ ؟!

ولولا خشيةُ الإطالةِ في هـٰذا المختصرِ لنقلتُ عن أصحابِكُم كلامَكُم ، وعن أئمَّتِنا ما نقلُوهُ عنكُم ؛ تقريعاً لكَ علىٰ إنكارِكَ ، وهتكاً لما تغطَّىٰ مِنْ أستارِكَ ، ولا يُنكَرُ منكَ ذلكَ ؛ فإنَّكُم بنيتُم أمرَكُم على المكابرةِ ، والحرصِ علىٰ نصرةِ الباطلِ والمثابرةِ ، ومَنْ كانَتْ لهُم هـٰذهِ العقولُ ، فهُم معذورونَ إذا حرَّفُوا النقولَ ، وأنكرُوا المنقولَ .

وقولُكَ : (ومَنْ نقلَ ذلكَ عن أحدٍ مِنَ العلماءِ أصحابِ الإمامِ أحمدَ أو غيرِهِم . . فهوَ مُخطِئٌ في هـٰذا النقلِ)[1] . . محضُ مكابرةٍ ، وقولُكَ : (أو مُتعمِّدُ الكذبِ)[2] سوءُ أدبٍ في المحاورةِ ؛ لما قدَّمناهُ مِنَ النقلِ الصحيحِ والكلامِ الصريحِ عن جماعةٍ مِنْ مُتأخِّري الحنابلةِ ، وأخفَينا منهُم جماعةً أعرقُوا في روايةِ الحديثِ ونقلَ عنهُمُ الجمُّ الغفيرُ[3] ؛ خيفةَ أنْ تسوءَ الظنونُ بهِم فيُترَكَ الأخذُ عنهُم[4] ، فيكونَ ذلكَ ذريعةً لإهمالِ حديثِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

ومستندُنا في ذلكَ : قولُ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ : (أقبلُ شهادةَ أهلِ الأهواءِ إلا الخطَّابيَّةَ)[5] ، فإذا قُبِلتْ منهُمُ الشهادةُ فالروايةُ بطريقِ الأَولىٰ .

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٣) في (ب) : (أغرقوا) بدل (أعرقوا) .

(٤) انظر « مقالات الكوثري » (ص٢٣٩ـ٢٥٠) ، وتعليقه على « السيف الصقيل » (ص١٢٢) وما بعدها ، و« مقدمته على الأسماء والصفات » (ص٣) .

(٥) مختصر المزني (ص٤١٩) ، وانظر « نهاية المطلب » (١٧/ ١٥٧) ، والخطَّابية : نسبة =

وقولُكَ : (إنَّ الإمامَ أحمدَ رضيَ اللهُ عنهُ وأصحابَهُ بدَّعُوا مَنْ قالَ : « لفظي بالقرآنِ غيرُ مخلوقٍ » ، كما جهَّمُوا مَنْ قالَ : « لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ »)[1] .

هٰذهِ القصةُ الشافعيَّةُ أُخبِرتَها مِنَ الحنابلةِ ؛ لأنَّ القصةَ اتَّفقَتْ معَ الإمامِ أبي عليٍّ الكَرابيسيِّ مِنْ أصحابِنا في قصةٍ طويلةٍ ذكرَها الإمامُ أبو بكرِ بنُ ثابتٍ الخطيبُ[2] .

وليسَ الإنكارُ في كلا الحالتينِ لأنَّ الإمامَ أحمدَ رضيَ اللهُ عنهُ يعتقدُ اعتقادَكُم في اللفظِ ، حاشَ للهِ ، بل ذلكَ لأنَّهُ وأضرابَهُ مِنَ العلماءِ الأوائلِ كانُوا ينكرونَ الخوضَ في علمِ الكلامِ أصلاً ورأساً لمعنيينِ :

أحدُهُما : ما ذكرَ أحمدُ رضيَ اللهُ عنهُ حاكياً عن حالِهِ لمَّا دخلَ على الخليفةِ في زمنِ المحنةِ ، فقالَ لهُم أميرُ المؤمنينَ : ناظروهُ ، قالَ : فجعلُوا يتكلَّمونَ ؛ هٰذا مِنْ هنا وهٰذا مِنْ هنا ، فأردُّ على هٰذا وعلى هٰذا ، فإذا

= إلى أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الذي ادَّعى الألوهية وغيرها من المخازي ، وكان يأمر أتباعه بشهادة الزور على مخالفيهم ؛ فلذلك منع الإمام الشافعي قبول شهادتهم ، وقال الإمام ابن السبكي في « الطبقات » (٢/ ١٦) : (وقد تزايد الحال بالخطابية ، وهم المجسمة في زماننا هٰذا ، فصاروا يرون الكذب على مخالفيهم في العقيدة ، لا سيَّما القائم عليهم بكل ما يسوءه في نفسه وماله ، وبلغني أن كبيرهم استفتي في شافعي : أيشهد عليه بالكذب ؟ فقال : ألست تعتقد أن دمه حلال ؟ قال : نعم ، قال : فما دون ذلك دون دمه ، فاشهد وادفع فساده عن المسلمين) .

ثم قال ابن السبكي (٢/ ١٧) : (فهٰذه عقيدتهم ، ويرون أنهم المسلمون وأنهم أهل السنة ، ولو عُدُّوا عدداً لما بلغ علماؤهم ـ ولا عالمٌ فيهم على الحقيقة ـ مبلغاً يعتبر ، ويُكفِّرون غالب علماء الأمة ، ثم يعتزُون إلى الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه وهو منهم بريء) ، وانظر « الملل والنحل » (١/ ١٧٩ـ١٨٠) .

(١) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٣) .

(٢) تاريخ بغداد (٨/ ٦٣ـ٦٥) ، وانظر التعليق النفيس للإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٢/ ١١٨ـ١١٩) على ما جرى بين الإمام أحمد والإمام الكرابيسي رحمهما الله تعالى .

جاؤُوا بشيءٍ مِنَ الكلامِ ممَّا ليسَ في كتابِ اللهِ ولا سنَّةِ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . قلتُ : ما أدري ما هـٰذا[1] .

فهـٰذا دليلٌ علىٰ [أنَّ] المرادَ بالكلامِ بدعةُ المعتزلةِ ، وهيَ التي كانَتْ ظاهرةً في ذلكَ الوقتِ ؛ لأنَّ غالبَ المُتكلِّمينَ في ذلكَ الوقتِ كانُوا معتزلةً قائلينَ بخلقِ القرآنِ والقدرِ .

والثاني : سدّاً للذريعةِ ؛ لئلا يُدوَّنَ كلامُ المُبتدِعةِ ، فيقفَ عليهِ مَنْ لا يعرفُ مذهبَ أهلِ الحقِّ ، فيعلَقَ بذهنِهِ شيءٌ مِنْ شُبَهِهِم ، فلا يقوىٰ علىٰ دَفْعِ ذلكَ بفهمِ أجوبةِ أهلِ الحقِّ ، فيُفضيَ إلى اعتقادِهِ البدعةَ ؛ ولهـٰذا أنكرَ الإمامُ أحمدُ رضيَ اللهُ عنهُ على الحارثِ بنِ أسدٍ المحاسبيِّ لمَّا صنَّفَ « كتابَهُ » في الأسماءِ والصفاتِ ، وتكلَّمَ فيهِ علىٰ شُبَهِ المبتدعةِ ، وردَّها أحسنَ ردٍّ بأوضحِ كلامٍ ؛ فقالَ : (ألستَ تذكرُ مذاهبَهُم ؛ حتىٰ تردَّ عليها ؟!)[2] .

وأمَّا قولُكَ : (**جهَّمُوا مَنْ قالَ : « لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ »**)[3] . . قد نقلَ البيهقيُّ رضيَ اللهُ عنهُ هـٰذا النقلَ مُقيَّداً لا مُطلقاً علىٰ ما سيأتي إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[4] .

قولُكَ : (**وأقبحُ مِنْ ذلكَ : مَنْ يحكي عن بعضِ العلماءِ : أنَّ المِدادَ الذي**

(١) انظر تفصيل هـٰذه المحنة في « سيرة الإمام أحمد » لابنه صالح (ص٥٢) وما بعدها .

(٢) أورده الإمام الغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٣٤٧) ، والحارث المحاسبي من قدماء المتكلمين الذين ردُّوا علىٰ أهل البدع عموماً وعلى المعتزلة خصوصاً قبل الإمام أبي الحسن الأشعري ، إلا أنه كان يردُّ عليهم تصنيفاً وتأليفاً ، ولا يداخلهم ولا يطأ لهم بساطاً ، كما نص علىٰ ذلك الإمام الحافظ ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٢٦١) ، وللإمام ابن السبكي كلام نفيس فيما جرىٰ بين الإمام أحمد والحارث المحاسبي رحمهما الله تعالى . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٢/ ٢٧٨ـ٢٧٩) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٤) انظر (١/ ١١٤) .

في المصحفِ قديمٌ ، وجميعُ أصحابِ الإمامِ أحمدَ أنكرُوا ذلكَ)[1] .

صدقتَ ، هـٰذا القولُ لا يقولُهُ عالمٌ ولا عاقلٌ ، لـٰكنْ أقبحُ مِنْ حكايةِ قولِ القبيحِ اعتقادُهُ والقولُ بهِ[2] .

وقولُكَ : (وما علمتُ أنَّ عالماً يقولُ ذلكَ إلا ما يبلغُنا عن جماعةٍ مِنَ الأكرادِ)[3] .

هـٰذا مِنْ بابِ (تجاهلِ العارفِ)[4] ، وقد تقدَّمَ نقلُهُ عن جماعةٍ منكُم وافقُوا الأكرادَ[5] ، فيكونونَ قد دخلُوا في الحكمِ الذي حكمتَ بهِ على الأكرادِ ، ولقد بالغُوا حتىٰ في النقطِ والشكلِ الذي حدثَ بعدَ زمنِ الخلفاءِ الراشدينَ ـ ويُقالُ : إنَّ الحجَّاجَ اخترعَهُ ـ أنَّهُ مِنْ جملةِ الكلامِ القديمِ ؛ فيقولونَ : فلانٌ نَقْطيٌّ شَكْليٌّ ، فيُعظِّمونَ مَنْ كانَ بهـٰذهِ المثابةِ ، ومَنْ لم يعتقدْ ذلكَ عندَهُم فهوَ أشعريٌّ يُزْرونَ بهِ ويعيبونَ عليهِ .

ومِنْ أطرفِ الأشياءِ[6] : أنَّني كنتُ جالساً في السوقِ ، وإذا جنديٌّ وقفَ عليَّ ، فقالَ : يا سيِّدَنا ؛ جماعةٌ عندَنا في القاهرةِ يسيئونَ الاعتقادَ ، فقلتُ : ماذا يقولونَ ؟

فقالَ : يقولونَ : إنَّ النقطَ والشكلَ ليسَ كلامَ اللهِ ، قلتُ لهُ : يا مسكينُ ؛

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٤) .

(٢) في (ب) : (القول القبيح) بدل (قول القبيح) .

(٣) جواب الفتوى المصرية (١٢/ ٢٣٨) ضمن « مجموع الفتاوىٰ » ، « الفتاوى الكبرىٰ » (٦/ ٤٦٤) .

(٤) وهو نوع من أنواع البديع في علم البلاغة ؛ وهو أن يساق المعلوم مساق غيره لنكتةٍ . انظر « مختصر المعاني » (ص٢٠٧ـ٢٠٨) ، و« الكليات » (ص٥١٧) .

(٥) انظر (١/ ٩٢ـ٩٨) .

(٦) في (ب) : (ومن أظرف) بدل (ومن أطرف) .

الجماعةُ تطيرُ رؤوسُهُم على جعلِ الحرفِ المجرَّدِ الكلامَ القديمَ ، تضمُّ أنتَ إليهِ النقطَ والشكلَ ؟!

ونقلَ أبو بكرٍ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ محمدٍ ابنُ حمدونَ قالَ : كانَ سيفُويَه القاصُّ يُشدِّدُ في خلقِ القرآنِ ، فانتهى حالُهُ إلى أنْ قيلَ لهُ : ما تقولُ في معاويةَ ؛ أمخلوقٌ هوَ ؟

قالَ : إذا كتبَ الوحيَ فليسَ بمخلوقٍ ، وإذا لم يكنْ يكتبُهُ فهوَ مخلوقٌ[1] .

انظرْ كيفَ انتهى الحالُ إلى المحالِ ؟! نسألُ اللهَ العصمةَ مِنَ الزيغِ عنِ الطريقِ ، ومرافقةِ شرِّ الفريقِ .

قولُكَ : (**وكذلكَ مَنْ زعمَ أنَّ القرآنَ محفوظٌ في الصدورِ كما أنَّ اللهَ تعالى معلومٌ بالقلوبِ ، وأنَّهُ متلوٌّ بالألسنِ كما أنَّ اللهَ تعالى مذكورٌ بالألسنِ ، وأنَّهُ مكتوبٌ في المصحفِ كما أنَّ اللهَ تعالى مكتوبٌ في المصحفِ ، وجعلَ ثبوتَ القرآنِ في الصدورِ والألسنةِ والمصاحفِ مثلَ ثبوتِ ذاتِ اللهِ تعالى في هٰذهِ المواضعِ . . فهوَ أيضاً مُخطِئٌ**)[2] .

ظاهرُ كلامِكَ يقتضي : الفرقَ في الحكمِ العقليِّ بينَ الذاتِ والصفاتِ ، وأنتَ فيما بعدُ تُشبِّهُ الذاتَ بالصفاتِ وتقيسُها عليها وتعطيها حكمَها حينَ قلتَ : (فإنَّ اللهَ ليسَ كمثلِهِ [شيءٌ] ؛ لا في ذاتِهِ ، ولا في صفاتِهِ ، ولا في أفعالِهِ)[3] .

(١) نقل القصة ابن حمدون في « تذكرته » (٣/ ٢٧٨) عن بعض القُصَّاص ، وسيفُويَه : هو أبو محمد عبد الله الواسطي ، كان مغفلاً كثير النوادر ، وكان بعد المئتين . انظر « نزهة الألباب » (١/ ٣٨٣) .

(٢) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٤) .

(٣) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٧) .

والعجبُ : أنَّكَ حينَ شرعتَ في الفرقِ قلتَ عَقِيبَ قولِكَ : (مَنْ زعمَ . . .) إلىٰ قولِكَ : (مخطئٌ) : (فإنَّ الفرقَ بينَ ثبوتِ الأعيانِ في المصحفِ وبينَ ثبوتِ الكلامِ . . بيِّنٌ واضحٌ) !![1] .

ليسَ عندَكَ ما تقصدُ الفرقَ بينَهُ وبينَ غيرِهِ إلا ما قدَّمتَهُ مِنْ تخطئةِ الجامعِ بينَ الذاتِ وبينَ الصفاتِ في الحكمِ العقليِّ .

فقولُكَ : (بينَ ثبوتِ الأعيانِ) أنتَ في ذلكَ بينَ خُطَّتَي خسفٍ[2] :

إمَّا أنْ تكونَ أطلقتَ على الذاتِ المُنزَّهةِ لفظةَ (الأعيانِ) ، فهـٰذا تصريحٌ بالتجسيمِ ، معَ سوءِ أدبٍ .

وإمَّا أنْ تكونَ شبَّهتَ الفرقَ بينَ لفظةِ الجلالةِ في الصدورِ والمُتلفَّظِ بالألسنةِ والكتابةِ ، وبينَ الكلامِ بالفرقِ بينَ ثبوتِ الأعيانِ في المصحفِ وبينَ ثبوتِ الكلامِ ؛ فهـٰذا أيضاً سوءُ أدبٍ ، وتشبيهٌ فظيعٌ .

وقولُكَ : (فإنَّ الأعيانَ لها أربعُ مراتبَ : مرتبةٌ في الأعيانِ)[3] ، هـٰذا اللفظُ يحتاجُ إلىٰ تحريرٍ ؛ لأنَّكَ جعلتَ المَقْسِمَ قسيماً ؛ فكأنَّكَ قلتَ : الأعيانُ تنقسِمُ إلى الأعيانِ ، وهـٰذا خطأٌ في الكلامِ .

وبتقديرِ أنْ يُعلَمَ مُرادُكَ منهُ : فكذلكَ الكلامُ أيضاً لهُ أربعُ مراتبَ :

مرتبةٌ في النفسِ ؛ وهيَ التي تُسمَّىٰ كلامَ النفسِ .

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٤) .

(٢) الخُطَّة : الحالة ، والخسف : الذل والهوان ، وهو مأخوذ من قول العرب : (هما خُطَّتا خسف) ، قال الشاعر : (من الطويل)

هما خُطَّتا خسفٍ نجاؤُكَ منهما ... ركوبُك حولياً مِنَ الثُّلجِ أشهبا

انظر « جمهرة الأمثال » (٢/ ١٥٢) ، و« خزانة الأدب » (٧/ ٥٣ـ٥٤) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٤) .

ومرتبةٌ في الذهنِ .

ومرتبةٌ في اللسانِ .

ومرتبةٌ في الأعيانِ ؛ وهوَ أنْ يكونَ مسموعاً إنْ كانَ منطوقاً بهِ ، أو مرئيّاً ومُتأمَّلاً إنْ كانَ مكتوباً[1] .

ويُبيِّنُ ذلكَ : أنَّ زيداً مثلاً إذا قالَ في نفسِهِ : (ربِّ ؛ اغفرْ ذنبي ، وأدخلْني الجنةَ) . . فهذهِ مرتبةٌ مِنْ مراتبِ الكلامِ الأربعةِ ، المرتبةُ الأخرىٰ : دَلالتُهُ علىٰ ما في النفسِ بالتعبيرِ عنهُ وإسماعِهِ لغيرِهِ ، المرتبةُ الثالثةُ : ارتسامُ ذلكَ في الأذهانِ ، المرتبةُ الرابعةُ : رسمُها في الأعيانِ ، وكلٌّ منها يُطلَقُ عليهِ كلامٌ .

فالأولُ : حقيقةٌ عندَ الأشعريِّ ، والثاني : مُختلَفٌ فيهِ عندَهُ علىٰ قولينِ ، والثالثُ والرابعُ : مجازٌ .

فيقولُ عمرٌو مُعبِّراً عن كلامِ زيدٍ في نفسِهِ ـ وإنْ لم ينتقلْ معَهُ إلى المرتبةِ الثانيةِ ؛ وهيَ السماعُ والإسماعُ ـ : وقعَ لي أنَّكَ قلتَ في نفسِكَ أو تكلَّمتَ في نفسِكَ : (ربِّ ؛ اغفرْ لي ذنوبي ، وأدخلْني الجنةَ) .

ويقولُ زيدٌ ـ مُظهِراً لما في نفسِهِ ، مُعبِّراً عنهُ بلسانِهِ في المرتبةِ الثانيةِ ـ : (كلامي : ربِّ ؛ اغفرْ لي ذنوبي ، وأدخلْني الجنةَ) .

ويرتسمُ في الذهنِ كلامُ زيدٍ في المرتبةِ الثالثةِ حتىٰ نحكمَ عليهِ بالجودةِ والرداءةِ، وأنَّهُ في محلٍّ يجوزُ أو محلٍّ لا يجوزُ، أو بصفةٍ تمكنُ أو بصفةٍ تمتنعُ .

ويرسمُ عمرٌو في الكتابِ كلامَ زيدٍ : (ربِّ ؛ اغفرْ لي ذنوبي ، وأدخلْني الجنةَ) .

(١) انظر « معيار العلم » (ص٤٧ـ٤٨) ، و« المقصد الأسنىٰ » (ص٥٥ـ٥٧) .

فقد رأيتَ أنَّ الكلامَ أيضاً لهُ أربعُ مراتبَ ، وبيَّنتُهُ بمثالٍ يُقرِّبُ البعيدَ ، ويظهرُ حتىٰ للبليدِ .

قالَ أهلُ السنَّةِ رضيَ اللهُ عنهُم : إنَّ الكلامَ الذي أسمعَهُ اللهُ تعالىٰ لموسىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كلامُهُ القديمُ النَّفسانيُّ مِنْ غيرِ حرفٍ ولا صوتٍ ، وذلكَ مُتصوَّرٌ ، وهوَ المرتبةُ الأُولىٰ مِنَ المراتبِ المُتقدِّمةِ ، فكما أنَّ اللهَ تعالىٰ سمعَ كلامَنا مِنْ غيرِ جارحةٍ . . فكذلكَ يجوزُ في العقلِ أنْ نسمعَ كلامَهُ مِنْ غيرِ صوتٍ .

وكما أنَّهُ يرانا مِنْ غيرِ حدقةٍ تُقلِّبُ ، ولا طرفٍ تنبعثُ منهُ أشعةٌ إلينا . . فكذلكَ يجوزُ في العقلِ أنْ نراهُ مِنْ غيرِ تقليبِ حدقةٍ ، ولا انبعاثِ أشعَّةٍ ، ولا تحيُّزٍ بجهةٍ يُرىٰ فيها ؛ كما أنَّهُ يرانا وهوَ مُنزَّهٌ عنِ الجهةِ .

وكما أنَّ السماعَ والرؤيةَ صفتانِ زائدتانِ على العلمِ . . فكذلكَ سماعُنا لكلامِهِ ورؤيتُنا لهُ أمرانِ زائدانِ على العلمِ[1] ، نسألُ اللهَ أنْ يُمتِّعَنا بذلكَ في دارِ كرامتِهِ ، ومحلِّ رضوانِهِ ورحمتِهِ .

وقولُكَ : (فبينَ الأعيانِ وبينَ المصحفِ مرتبتانِ ؛ وهيَ الخطُّ واللفظُ ، وأمَّا الكلامُ فليسَ بينَهُ وبينَ الصحيفةِ مرتبةٌ غيرُهُما ، بل نفسُ الكلامِ يُجعَلُ في الكتابِ)[2] .

ليسَ الأمرُ كذلكَ ، بل جعلُهُ في الكتابِ هوَ المرتبةُ الرابعةُ التي قدَّمناها ، وإطلاقُ الكلامِ عليها مِنْ بابِ إطلاقِ المدلولِ على الدليلِ .

قولُكَ : (وليسَ وجودُ الكلامِ مِنَ الكتابِ كوجودِ الصفةِ بالموصوفِ ـ مثلُ [وجودِ] العلمِ والحياةِ بمحلِّهما ـ حتىٰ يُقالَ : إنَّ صفةَ اللهِ حلَّتْ بغيرِهِ أو

(١) انظر « الرسالة القدسية » للإمام الغزالي (١/ ٣٩٩ـ٤٠١) ضمن « إحيائه » .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٤) .

فارقَتْهُ ، ولا وجودُهُ [فيهِ] كالدليلِ المحضِ[1] ـ مثلُ وجودِ العالَمِ الدالِّ على البارئِ ـ حتىٰ يُقالَ : ليسَ فيهِ إلا ما هوَ علامةٌ علىٰ كلامِ اللهِ تعالىٰ ، بل هوَ قسمٌ آخَرُ)[2] .

ليتَ شعري !! ما هٰذا التردُّدُ ؟! وما هٰذهِ الحَيْرةُ والتلدُّدُ ؟![3] .

ما أُراكَ إلا مُبهَتاً ، حينَ رأيتَ السَّيفَ السَّيفَ مُصلَتاً[4] ، تريدُ أنْ تقولَ بحلولِ الصفةِ ، وحبُّ الحياةِ يمنعُكَ أنْ تُنطِقَ بها الشَّفَةَ ، فأينَ أنتَ وفضلُكَ إذا ساويتَ الهَمَجَ[5] ، وقد قيلَ : لا خيرَ في الحبِّ إنْ أبقىٰ على المُهَجِ ؟![6] .

ومعَ هٰذا كلِّهِ : فالمنقولُ عنِ الإمامِ أحمدَ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ القرآنَ مِنْ جنسِ العلمِ ، وأنَّهُما صِفتانِ للهِ عزَّ وجلَّ .

يدُلُّ علىٰ ذلكَ : ما نُقِلَ عنهُ رضيَ اللهُ عنهُ في رسالتِهِ إلى المتوكِّلِ التي نقفُ عليها ؛ فقالَ في أثناءِ الرسالةِ : (فالقرآنُ مِنْ علمِ اللهِ)[7] ، فبالاتِّفاقِ منَّا ومنكُم أنَّ القرآنَ كلامَ اللهِ صفةٌ زائدةٌ على العلمِ ؛ أنتُم تقولونَ بوصفٍ ، ونحنُ نقولُ بوصفٍ ، فدلَّ علىٰ أنَّ المرادَ أنَّهُ صفةٌ مِنْ جنسِ العلمِ ، فتأمَّلْ ذلكَ .

(١) في (أ ، ب) : (فيها) بدل (فيه) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٥) .

(٣) التلدُّد : الالتفات يميناً وشمالاً تحيراً .

(٤) السَّيف المُصلَت : السيف المجرد من غمده ، والسَّيف : ساحل البحر أو شعر ذنب الفرس ، وُصف به السَّيف على التشبيه ، ويحتمل أن الكلمة مكررة ، والله تعالىٰ أعلم .

(٥) الهَمَج في الأصل : الذباب الصغير الواقع علىٰ وجوه الدواب ، الواحدة : هَمَجَة ، ويطلق علىٰ رَعاع الناس مجازاً .

(٦) أشار به : إلىٰ بيت سلطان العاشقين ابن الفارض : (من البسيط)

وخُذْ بقيَّةَ ما أبقيتَ مِنْ رَمَقٍ ... لا خيرَ في الحبِّ إنْ أبقىٰ على المُهَجِ

انظر « ديوانه » (ص١٤٥) .

(٧) انظر « سير أعلام النبلاء » (١١/ ٢٨١ـ٢٨٦) .

قولُكَ : (ومَنْ لم يُعطِ كلَّ مرتبةٍ بما تُستعمَلُ فيها أداةُ النظرِ [حقَّها][1] ؛ فيفرِّقَ بينَ وجودِ الجسمِ في الحيِّزِ ، ووجودِ العَرَضِ بالجسمِ ، ووجودِ الصورةِ بالمرآةِ ، ويُفرِّقَ بينَ رؤيةِ النفسِ بالعينِ يقظةً ، وبينَ رؤيتِهِ بالقلبِ يقظةً ومناماً ونحوَ ذلكَ . . .)[2] .

أسمعُ جَعْجَعَةً ولا أرىٰ طِحْناً !![3] ، وما أظنُّكَ إلا خشيتَ أنْ تُنسَبَ إلىٰ جهلٍ بعلمِ الكلامِ ، فأردتَ أنْ يُحلَّىٰ كلامُكَ بألفاظٍ منهُ مُبدَّدةِ النِّظامِ ، ولمَّا قُطِعَ منكَ جِيدُ الإجادةِ ، ألقيتَ علىٰ عجزِ العجزِ تلكَ القلادةَ[4] ، فأتتْ كما ترىٰ لا جمالَ ، ولا حُسْنَ مجالٍ ، فنسألُ اللهَ العافيةَ مِنْ شِرَّةِ اللَّسَنِ[5] ، وخلوِّ اللفظِ عنِ المعنى الحَسَنِ .

قولُكَ في جوابِ السائلِ عمَّا في المصحفِ ؛ أهوَ حادثٌ أم قديمٌ : (سؤالٌ مُجمَلٌ)[6] ، فَصِّلْ أنتَ بعلمِكَ !!

وقولُكَ : (فإنَّ لفظَ « القديمِ » ليسَ مأثوراً عنِ السلفِ)[7] ، أتميميّاً مرَّةً وقَيْسيّاً أخرىٰ ؟![8] ، أنتَ في الفصلِ الذي قبلَهُ تعطي النظرَ حقَّهَ ، وتقولُ :

(١) في (أ ، ب) : (وحقها) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٥) .

(٣) أشار به : إلىٰ مَثَل عربي شهير يضرب للجبان يُوعد ولا يُوقع ، وللبخيل يعدُ ولا ينجز . انظر « جمهرة الأمثال » (١/ ١٥٤) ، و« المستقصىٰ في أمثال العرب » (١/ ١٧٢) .

(٤) في (ب) : (نحور العجز) بدل (عجز العجز) .

(٥) الشِّرَّةُ : النشاط والحرص ، واللَّسَن : الفصاحة والبيان ، أو جودة اللسان وسلاطته ، والمراد : النشاط والحرص في فصاحة اللسان للاقتدار بها علىٰ إظهار الباطل في صورة الحق .

(٦) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٥) .

(٧) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٥) .

(٨) أشار به : إلىٰ مثل شهير يضرب لمن يتناقض في مقوله ؛ أي : أتتحوَّل تميميّاً مرَّة وقيسيّاً=

الجسمُ والعَرَضُ والحيِّزُ كلامَ مُناظِرٍ ، وتقولُ : وجودُ الصورةِ في المرآةِ ورؤيةُ النفسِ وغيرُها مِنْ أنواعِ المَناظِرِ ، وقبلَ ذلكَ تقولُ : (الأعيانُ لها أربعُ مراتبَ) ، وتُقسِّمُ ولا تقسيمَ ابنِ سينا والفارابيِّ ، وتردُّ إلىٰ معيارِ العلمِ كلَّ جامحٍ أبيٍّ !![1] .

ما أسرعَ ما نسيَ الناسُ !![2] ، لا بأسَ عليكَ لا باسَ ، لعلَّكَ يُؤدِّيكَ نفورُكَ وجمودُكَ إلىٰ أنْ تمتنعَ مِنْ وصفِ الذاتِ بالقِدَمِ والأزلِ ، وتقولَ : ذلكَ أيضاً ليسَ مأثوراً عنِ السلفِ !! لقد أوقعَكَ جهلُكَ في مَهاوي التَّلَفِ .

وقولُكَ : (**فإنَّ الكلامَ كلامُ مَنْ قالَهُ مُبتدِئاً ، لا كلامُ مَنْ بلَّغَهُ مُؤدِّياً**)[3] .

لا نزاعَ في إطلاقِ الكلامِ عليهِ ، لـٰكنْ بمعنىٰ إطلاقِ المدلولِ على الدليلِ ، لا بمعنىٰ تريدُهُ أنتَ وتُوطِّئُ لهُ ، وإطلاقُنا علىٰ قائلٍ قالَ : « اَلأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ »[4] : هـٰذا كلامُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . مِنْ بابِ المجازِ ؛ فإنَّهُ بالاتِّفاقِ أنَّ كلامَ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حينَ نطقَ بهِ حرفاً بعدَ حرفٍ ، انقضى الأولُ بالثاني ، والثاني بالثالثِ ، والثالثُ بالرابعِ . . . إلىٰ

= أخرىٰ ، وتميم وقيس قبيلتان كبيرتان متنافرتان متناحرتان ، كان بينهما حروبٌ ومقاتلُ لا تنتهي ، ولا يخفىٰ على القارىء إبداع المؤلف في تطويع هـٰذا المَثَل وغيره لتأييدِ أو إيضاحِ أو تأكيدِ المعنى المراد .

(١) انظر ما سبق (١/ ١٠٣ـ١٠٦) .

(٢) **أشار به** : إلىٰ قول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ـ كما في « صحيح مسلم » (٩٧٣) ـ وقد أمرت أن يُمرَّ بجنازة سعد بن أبي وقاص في المسجد فتصلي عليه ، فأنكر الناس عليها ذلك ، فقالت : ما أسرعَ ما نسي الناس !! ما صلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم علىٰ سهيل ابن البيضاء إلا في المسجد .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٥) .

(٤) أخرجه بهـٰذا اللفظ ابن حبان (٣٨٨) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وانظر « البدر المنير » (١/ ٦٥٧ـ٦٥٨) ، وما سيأتي (٢/ ٣٦٧) .

أنِ انقضىٰ كلامُهُ اللفظيُّ الذي هوَ في المرتبةِ الثانيةِ مِنَ الكلامِ ، فارتسمَ في الأذهانِ ـ وهيَ المرتبةُ الثالثةُ ـ ثمَّ برزَ إلى الأعيانِ ، وهيَ المرتبةُ الرابعةُ التي يُؤدِّيها المُؤدِّي إلينا ويُطلِقُ عليها كلامَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بالاعتبارِ الذي قدَّمناهُ ، واللهُ أعلمُ .

قولُكَ : (**ويُقالُ أيضاً : القرآنُ الذي في المصحفِ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ ، والقرآنُ الذي يقرؤُهُ المسلمونَ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ**)[1] .

لو كانَ هـٰذا الكلامُ صادراً عن قلبٍ غيرِ مُعتقِدٍ كاعتقادِكَ . . لَكانَ مِنْ أحسنِ الكلامِ ، وفي غايةِ الحسنِ والتمامِ ، لـٰكنَّ خللَ الزيفِ يظهرُ مِنْ خلالِهِ ، ونقصَ الحيفِ أثَّرَ في كمالِهِ ، وما هيَ إلا كلمةُ حقٍّ أردتَ بها باطلاً .

والدليلُ علىٰ ذلكَ : أنَّكَ قلتَ أوَّلاً : (وليسَ وجودُ الكلامِ مِنَ الكتابِ كوجودِ الصفةِ [بالموصوفِ] ـ مثلُ [وجودِ] العلمِ والحياةِ بمحلِّهما ـ حتىٰ يُقالَ : صفةُ اللهِ حلَّتْ بغيرِهِ أو فارقَتْهُ ، ولا وجودُهُ [فيهِ] كالدليلِ المحضِ حتىٰ يُقالَ : ليسَ فيهِ إلا ما هوَ علامةٌ علىٰ كلامِ اللهِ تعالىٰ ، بل هوَ قسمٌ آخرُ)[2] .

وأنتَ بمجموعِ كلامَيْكَ تُقدِّمُ رجلاً وتُؤخِّرُ أخرىٰ ، ونفسُكَ مُقدِمَةٌ لـٰكنَّ الخوفَ يمنعُكَ ، وحبَّ البقاءِ يردُّكَ عنِ التصريحِ ويردعُكَ .

والعجبُ : أنَّكَ ناقضتَ كلامَكَ في جوابِ المسألةِ الثانيةِ ؛ فقلتَ : (**إنَّ اللهَ ـ تعالىٰ عمَّا تقولُ ـ مُتكلِّمٌ بحرفٍ وصوتٍ**) ، وزعمتَ أنَّهُ صوتٌ لا كأصواتِ العبادِ !![3] .

فجعلتَ الصوتَ تارةً يكونُ لهُ صفةً يتَّصفُ بها يكونُ بها مُتكلِّماً ؛ إذْ لم يزلْ

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٦) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٥) ، وانظر (١/ ١٠٥ـ١٠٦) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٧) .

بها مُتكلِّماً ، وتارةً تَحُلُّ صفتُهُ التي هيَ كلامُهُ بالمخلوقينَ ، فلا تبقىٰ حروفُهُم وأصواتُهُم وكتابتُهُم كالدليلِ المحضِ ، وعنيتَ أنَّ الصفةَ حلَّتْ بهِما ، وكنيتَ عنهُ بقولِكَ : (قسمٌ آخَرُ)[1] .

وهـٰذا خبطٌ ، لا يليقُ بمَنْ لهُ أدنىٰ مُسْكةٍ مِنْ عقلٍ وضبطٍ ، وآلَ بكَ الخبطُ إلىٰ أنْ قلتَ كلاماً صحيحاً لوِ اقتصرتَ عليهِ ، والعجبُ كيفَ اهتديتَ إليهِ ؟! وهوَ قولُكَ : (فإذا أشارَ إلىٰ صفةٍ مِنْ صفاتِ المخلوقِ ؛ لفظِهِ أو صوتِهِ أو فعلِهِ ، وقالَ : هـٰذا غيرُ مخلوقٍ . . فقد ضلَّ وأخطأَ)[2] ، لـٰكنْ (ما قامَ خيرُكَ يا فلانُ بشرِّكَا)[3] .

قلتَ في خاتمةِ الكلامِ : (ويُقالُ أيضاً : القرآنُ الذي في المصحفِ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ ، والقرآنُ الذي يقرؤُهُ المسلمونَ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ)[4] .

أنتَ لو قلتَ مِنَ الأولِ : كلامُ اللهِ بحرفٍ وصوتٍ ، وما بينَ الدَّفتينِ نفسُ الكلامِ القديمِ . . نفرَتِ العقولُ منكَ ، ولم ترجعْ إليكَ ؛ لا عالمُها ولا جاهلُها ، لـٰكنْ درجتَ أمرَكَ في كلِّ مسألةٍ ، وختمتَ بمرادِكَ في الجوابِ تصريحاً لا تعريضاً :

فابتدأتَ الفُتيا بقولِكَ : (ما دلَّ عليهِ الكتابُ والسنَّةُ)[5] ، ثمَّ سُقْتَ

(١) انظر « الفتاوى الكبرىٰ » (٦/ ٤٦٥) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٦) .

(٣) أشار به : إلىٰ بيت أبي علي تميم بن المعز ؛ وهو : (من الكامل)

ما قامَ خيرُكَ يا زمانُ بشرِّهِ أولىٰ بنا ما قلَّ منكَ وما كفىٰ

انظر « زهر الآداب » (٢/ ٤٨٣) .

(٤) انظر (١/ ١٠٩) .

(٥) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٢) .

الحديثَ : « ٱسْتَذْكِرُوا ٱلْقُرْآنَ »[1] ، وقلتَ : (ما بينَ لوحَيِ المصحفِ الذي كتبَتْهُ الصحابةُ)[2] ، ثمَّ ادعيتَ أنَّ النصَّ معَكَ والإجماعَ[3] ، ثمَّ عِبْتَ التفرُّقَ والاختلافَ[4] ؛ تدريجاً للجَهولِ ، وسرقةً للعقولِ ، وتأتي لعقلِ العالمِ بما يوافقُهُ ؛ فتقولُ : (المِدادُ وأصواتُ العبادِ ليسَتْ قديمةً)[5] ؛ حتىٰ لا يَنفِرَ منكَ ، ثمَّ تدُسُّ دسائسَ مِنِ اعتقادِكَ ؛ فالعالِمُ يتفطَّنُ لها ، والجاهلُ لا يتأمَّلُها[6] .

وفي الآخِرِ صرَّحتَ بما في فكرِكَ ، وصدَقَنا سِنُّ بَكْرِكَ[7] ، ومزجتَ الخالصَ بالزيفِ ، واعتقدتَ أنَّ ذلكَ يروجُ ، فوقعتَ بالنُّقَّادِ وردُّوهُ عليكَ ؛

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٢) ، والحديث أخرجه البخاري (٥٠٣٢) ، ومسلم (٧٩٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٢) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٤) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٥) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٣) .

(٦) وقد تفطَّن لهٰذه الدسائس بادئ ذي بدء الإمامُ المتكلم الأصولي القاضي شمس الدين ابن عدلان الشافعي عندما قرأ نصَّ الفتوىٰ بحضرته بعضُ الطلبة قاصداً إظهار فضيلة ابن تيمية وعلمه ، ولٰكنَّ هذا الطالبَ لم يتفطَّن لما فيها من الدسائس والاعتقادات الفاسدة شأن كثير من صغار الطلبة الذين يغرهم سرد الكلام والتبحر فيه وجعجعته ، وهٰذا دليل واضح لما ذكره المؤلف ابن المعلم رحمه الله تعالىٰ ، وانظر « نهاية الأرب » (٣٢/ ١٠١) .

(٧) أشار به : إلىٰ مثل شهير يضرب للرجل يكذب في الأمر ، ويدل بعض أحواله على الصدق فيه ، وأصله : أنَّ رجلاً ساوم آخر ببعير ، وسأله عن سنه ، فزعم أنه بازل ، فبينما هما كذلك . . نفر ، فدعاه : هِدَعْ هِدَعْ ، فسَكَن ، وهي كلمة تُسكَّن بها صغار الإبل ، فقال المشتري : (صدقنا سنُّ بكرك) ، وقوله : (سنُّ) يقرأ بالرفع علىٰ إسناد الصدق للسنِّ توسعاً ، وبالنصب علىٰ معنىٰ (عرَّفني) والفاعل هو البائع ، وقيل غير ذلك . انظر « جمهرة الأمثال » (١/ ٥٧٥) ، و« المستقصىٰ في أمثال العرب » (٢/ ١٤٠) ، و« تاج العروس » (١٠/ ٢٤٥) ، مادة : (ب ك ر) .

وهوَ قولُكَ : (ويُقالُ أيضاً : القرآنُ الذي في المصحفِ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ)[1] ، هلا سكتَّ علىٰ ما كنتَ عليهِ ، وقلتَ : كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ ، والمِدادُ والكتابةُ مخلوقةٌ .

وقلتَ أيضاً : (القرآنُ الذي يقرؤُهُ المسلمونَ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ)[2] ، فهلا ميَّزتَ وقلتَ : القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ ، والأصواتُ والحروفُ مخلوقةٌ .

مَا يَبْلُغُ ٱلأَعْدَاءُ مِنْ جَاهِلٍ ... مَا يَبْلُغُ ٱلْجَاهِلُ مِنْ نَفْسِهِ
وَٱلنَّحْسُ لاَ يَتْرُكُ أَخْلاَقَهُ ... حَتَّىٰ يُوَارَىٰ فِي ثَرَىٰ رَمْسِهِ
إِذَا ٱنْتَهَىٰ عَاوَدَهَا مَرَّةً ... كَذِي ٱلضَّنَىٰ عَادَ إِلَىٰ نَكْسِهِ[3]

قولُكَ في جوابِ المسألةِ الثانيةِ : (**وهوَ قولُهُ : إنَّ كلامَ اللهِ هل هوَ بحرفٍ وصوتٍ أم لا ؟ إطلاقُ المسألةِ نفياً وإثباتاً خطأٌ**)[4] .

في هٰذهِ المسألةِ بَرِحَ الخَفَاءُ[5] ، واتَّضحَ الجَفاءُ ، وهتكتَ الجِلْبابَ ، وسَفَرْتَ عن شَحْناءِ شَحْنائِكَ النِّقابَ ، وأطلقتَ الأَعِنَّةَ في مَهامِهِ الجهالةِ ،

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/٤٦٦) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/٤٦٦) .

(٣) الأبيات لصالح بن عبد القدوس في « ديوانه » (ص١٤١ـ١٤٢) ، وهي من السريع ، وفيه : (والشيخ) بدل (والنحس) ، ورواية الشطر الأول من البيت الثالث : (إذا ارعوىٰ عاد إلىٰ جهله) ، **والثَّرىٰ** : التراب الندي ، **والرَّمْس** : القبر ، **والضَّنىٰ** : المرض الملازم الذي يشرف صاحبه على الموت .

(٤) الفتاوى الكبرىٰ (٦/٤٦٦) .

(٥) **بَرِحَ الخفاء** : ظهر المستور والمكتوم، قال سيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه : (من الوافر)

أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا سفيانَ عنِّي ... مغلغلةً فقد بَرِحَ الخَفَاءُ

وأول من تكلم بهٰذا التركيب : شِقٌّ الكاهن . انظر « المستقصىٰ في أمثال العرب » (٢/٨) .

فعثرَ كَوْدَنُ مَقالِكَ عَثْرةً غيرَ مُقالَةٍ[1] .

وانتهى بكَ الخَبَلُ إلى أنْ قلتَ : (قالَ قومٌ مِنْ مُتكلِّمي الصِّفاتيَّةِ : إنَّ كلامَ اللهِ الذي أنزلَهُ على أنبيائِهِ كالتوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ ، والذي لم يُنزِلْهُ ، والكلماتِ التي كوَّنَ بها الكائناتِ ، والكلماتِ المشتملةَ على أمرِهِ ونهيِهِ وخبرِهِ . . ليسَ إلا مُجرَّدَ معنىً ، وهوَ صفةٌ واحدةٌ قامَتْ باللهِ ؛ إنْ عُبِّرَ عنها بالعبريَّةِ كانَتِ التوراةَ ، أو بالعربيَّةِ كانَتِ القرآنَ ، وإنَّ حروفَ القرآنِ ليسَتْ كلامَهُ ؛ إذْ كلامُهُ لا يكونُ بحرفٍ وصوتٍ)[2] .

جعلتَ هٰذا كلَّهُ ونفيَ الحرفِ والصوتِ عن كلامِ اللهِ . . بدعةً .

يدُلُّ على ذلكَ : أنَّكَ قلتَ : (عارضَهُم آخرونَ مِنْ أهلِ السنَّةِ ، فقالُوا : بلِ القرآنُ هوَ الحروفُ والأصواتُ)[3] ، وهٰذا مِنْ بابِ حصرِ المبتدأِ في الخبرِ ؛ أي : لا قرآنَ إلا الحروفُ والأصواتُ ، وبتقديرِ أنْ لا حصرَ لو كانَ مُجرَّداً عنِ الكلامِ الأولِ ـ وهوَ إزراؤُكَ على مُتكلِّمي الصِّفاتيَّةِ ـ لأمكنَ تأويلُهُ لكَ ، لٰكنْ إذا جُمِعَ أولُ كلامِكَ معَ آخرِهِ ، وبَدْأتُهُ معَ عودِهِ . . تكشَّفَ عن هَذَيانٍ في صورةِ تحقيقٍ ، وعدوٍّ في ثيابِ صديقٍ[4] .

ولم تَزَلْ تُؤسِّسُ على ذلكَ وتبني ، وتُقرِّبُ كلامَكَ مِنِ اعتقادِكَ الفاسدِ وتُدني ، حتى صرَّحتَ بما أَجْنَنتَ[5] ، وأعلنتَ بما كنتَ أكننتَ ، ولم يكفِكَ

(١) الكَوْدن : من معانيه : الفرس الهجين ، والبغل ، والبرذون الرومي ، والبليد على التشبيه بالبرذون الموكف بالإكاف .

(٢) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٦) .

(٣) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٦ـ٤٦٧) .

(٤) أشار به : إلى بيت أبي نواس الشهير : (من الطويل)

إذا امتحنَ الدُّنيا لبيبٌ تكشَّفتْ ... له عن عدوٍّ في ثيابِ صديقِ

انظر « ديوانه » (ص ١٩٢) .

(٥) أجننت : سترت وواريت .

ذلكَ حتىٰ نقلتَ ثلاثةَ نقولٍ فاسدةٍ[1] ، أنتَ فيها ساهٍ أو واهٍ .

أمَّا الأولُ : فإنَّكَ نقلتَ عنِ الإمامِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ ـ وهوَ إمامُكَ ، والمصروفُ إليهِ في الأصولِ والفروعِ زِمامُكَ ـ : أنَّهُ يقولُ كمَقالتِكَ ، ورتَّبتَ الافتراءَ عليهِ وعلىٰ غيرِهِ مراتبَ ؛ فقلتَ آخرَها : (وإنَّ اللهَ تعالىٰ مُتكلِّمٌ بصوتٍ)[2] ، تعالى اللهُ عن ذلكَ .

وليسَ النقلُ عنِ الإمامِ أحمدَ كذلكَ ، وإنَّما جُمودُكَ أيُّها الناقلُ على الألفاظِ ، وعدمُ تدبُّرِكَ للمعاني التي نقلَتْها ثقاتُ الحُفَّاظِ ، وأخذُكَ بما يُوافِقُ هواكَ ، وإهمالُكَ ما قَيَّدَ ذاكَ . . حملَكَ علىٰ هٰذا الإطلاقِ ، والكلامِ بآخرِهِ بالاتِّفاقِ .

رَوَيْنا بالسندِ الصحيحِ إلى الإمامِ الحافظِ سيفِ السنَّةِ قامعِ البدعةِ ؛ أبي بكرٍ أحمدَ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ ابنِ موسى البيهقيِّ قالَ : سمعتُ أبا عمرٍو الأديبَ يقولُ : سمعتُ أبا بكرٍ الإسماعيليَّ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ محمدِ بنِ ناجيةَ يقولُ : سمعتُ عبدَ اللهِ بنَ أحمدَ ابنِ حنبلٍ يقولُ : سمعتُ أبي يقولُ : (مَنْ قالَ : « لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ » **يريدُ بهِ** : **القرآنَ** . . فهوَ كافرٌ)[3] .

فقولُهُ : (**يريدُ بهِ** : **القرآنَ** . . .) هٰذا القيدُ أهملتَهُ ؛ لأنَّهُ يمنعُكَ مِنَ التخطِّي إلىٰ أئمَّةِ المسلمينَ .

فليتَ شعري !! بأيِّ شيءٍ تستنصرُ ؟! وما يمنعُكَ مِنْ أنْ تستبصرَ ؟! وهلا سألتَ إذْ لم تعلمْ ؛ فالذي قالَهُ الإمامُ أحمدُ رضيَ اللهُ عنهُ فيهِ إشارةٌ إلى الفَرْقِ

(١) في (ب) : (أقوال) بدل (نقول) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٦ـ٤٦٧) .

(٣) الاعتقاد والهداية إلىٰ سبيل الرشاد (٥٤) ، الأسماء والصفات (ص٢٥٦ـ٢٥٧) .

بينَ القراءةِ والمقروءِ ؛ فقولُهُ : (يريدُ بهِ : القرآنَ) إشارةٌ إلى المقروءِ[1] .

وقالَ البيهقيُّ رضيَ اللهُ عنهُ عَقِيبَ ذلكَ : (فإنَّما أنكرَ قولَ مَنْ تذرَّعَ بهـٰذا إلى القولِ بخلقِ القرآنِ ، وكانَ يستحبُّ تركَ الكلامِ لهـٰذا المعنى) انتهى كلامُ البيهقيِّ رضيَ اللهُ عنهُ[2] .

فأنتَ بتقديرِ أنْ يكونَ معَكَ نقلٌ مُطلَقٌ . . فهوَ محمولٌ على هـٰذا التقييدِ لا محالةَ ، فكانَ حقُّك ألا تهجُمَ على النقلِ ، لـٰكنْ غلبَ عليكَ محنتُكَ ، فنسألُ اللهَ العافيةَ .

فإنْ قلتَ : نحنُ ـ معشرَ الحنابلةِ ـ نَقَلَةُ مذهبِ الإمامِ أحمدَ في الفروعِ ، وأنتُم وغيرُكُم ترجعونَ إلينا في نقلِ الفروعِ ، وكما نقلْنا مذهبَهُ في الفروعِ كابراً عن كابرٍ إلى الإمامِ أحمدَ رضيَ اللهُ عنهُ . . فكذلكَ نقلْنا مذهبَهُ في الأصولِ ، فوجبَ أنْ ترجعُوا إلينا في نقلِنا المُعتقَدَ كما رجعتُم إلينا في الفروعِ .

فالجوابُ : أنَّ الأئمَّةَ رضيَ اللهُ عنهُم لم تُترَكْ مذاهبُهُم وأتباعُهُم ،

(١) قال الإمام الكوثري في تعليقه على « الأسماء والصفات » (ص٢٥٠) : (اعلم : أنَّ المتلوَّ في الحقيقة هو اللفظ ، والمكتوبَ هو أشكال الحروف ، والمحفوظَ هو الحروف المتخيلة ، والمسموعَ هو الصوت ، وأما التلاوة والكتابة والحفظ والسماع بالمعاني المصدرية . . فإنما هي نسب بين التالي والمتلو ، والكاتب والمكتوب ، والحافظ والمحفوظ ، والسامع والمسموع ؛ فطرفا كلٍّ من هـٰذه النسب مخلوقان ، وإنما القديم هو ما قام به سبحانه وتعالى ، وإطلاقنا المتلوَّ والمحفوظ والمكتوب والمسموع ونحوَ ذلك على ما قام به سبحانه . . من قبيل وصف المدلول بصفة الدال) ، وسيأتي في كلام المؤلف أوجه الفرق بين القراءة والمقروء . انظر (٢/ ٣٦٤ـ٣٦٥) .

(٢) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (ص١٥٩) ، وقال البيهقي عقيب هـٰذا الحديث في « الأسماء والصفات » (ص٢٥٧) : (قلت : هـٰذا تقييد حفظه عنه ابنه عبد الله ؛ وهو قوله : « يريد به : القرآن » ، فقد غفل عنه غيره ممَّن حكى عنه في اللفظ خلافَ ما حكينا ؛ حتى نسب إليه ما تبرَّأ منه فيما ذكرنا) .

ولا انفردَ بنقلِها أصحابُهُم وأشياعُهُم ، بل نقلَ الخصمُ مذهبَ خصمِهِ ، والمُخالِفُ مذهبَ مُخالِفِهِ ، ونقلَ أدلَّتَهُ أيضاً ؛ فالمالكيَّةُ يَنصِبونَ الخلافَ معَ الشافعيَّةِ ، وينقلونَ عنهُم أدلَّتَهُم ويعترضونَ عليها ، فلوِ انفردتُم بنقلٍ لم [ينقلْهُ] عنِ الإمامِ أحمدَ رضيَ اللهُ عنهُ مخالفٌ ولا موافقٌ[1] . . لم تُقرُّوا عليهِ .

فأمَّا العقائدُ : فلم يظهرْ لنا مِنَ الإمامِ أحمدَ ولا مِنْ أمثالِهِ مِنَ العلماءِ ممَّنْ هوَ في طبقتِهِ أو طبقةِ مشايخِهِ . . إلا التنزيهُ المحضُ ، ونفيُ ما يُوهِمُ مِنَ الظواهرِ ؛ إمَّا بتأويلٍ ، أو بغيرِ تأويلٍ معَ عدمِ اعتقادِ الظاهرِ ، حتىٰ أتى المُتأخِّرونَ ؛ كأبي يعلىٰ وأمثالِهِ[2] ، فاختلقُوا على الإمامِ أحمدَ ما لم يقُلْهُ ؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ﴾ [مريم : ٥٩] .

وأنتُم قَفَوتُموهُم على الأَثَرِ ، وذلكَ ولله الحمدُ لا ينقصُ مِنْ كمالِهِ ،

(١) في (أ ، ب) : (لم ينقل) بدل (لم ينقله) .

(٢) هو القاضي محمد بن الحسين ابن الفراء الحنبلي ، توفي سنة (٤٥٨هـ) ، قال ابن الأثير في « الكامل » (٨/ ٢٠٩) بعد أن ساق نتفة من ترجمته : (وهو مصنف كتاب « الصفات » ، أتىٰ فيه بكلِّ عجيبةٍ ، وترتيبُ أبوابه يدل على التجسيم المحض ، تعالى الله عن ذلك) ، ثم أورد عبارة لابن التميمي الحنبلي تحاشيت عن ذكرها ها هنا ، وقد لطَّفها ابن الجوزي في « دفع شبه التشبيه » (ص٩) فقال : (لقد شان المذهب شيناً قبيحاً لا يغسل بماء البحر) ، وقال الإمام اليافعي في « مرهم العلل المعضلة » : (ومتأخرو الحنابلة غلَوْا في دينهم غلوّاً فاحشاً ، وتسفَّهوا سفهاً عظيماً ، وجسَّموا تجسيماً قبيحاً ، وشبَّهوا الله بخلقه تشبيهاً شنيعاً ، وجعلوا له من عباده أمثالاً كثيرة ؛ حتىٰ قال أبو بكر ابن العربي في « العواصم » : أخبرني من أثق به من مشيختي : أن القاضي أبا يعلى الحنبلي كان إذا ذكر الله سبحانه يقول فيما ورد من هذه الظواهر في صفاته تعالىٰ : « ألزموني ما شئتم ؛ فإني ألتزمه ، إلا اللحية والعورة » ، قال بعض أئمة أهل الحق : « وهذا كفر قبيح ، واستهزاء بالله تعالىٰ شنيع ، وقائله جاهل به تعالىٰ لا يقتدىٰ به ولا يلتفت إليه ، ولا متبع لإمامه الذي ينتسب إليه ويتستَّر به ، بل هو شريك للمشركين في عبادة الأصنام ؛ فإنه ما عبد الله ولا عرفه ، وإنما صوَّر صنماً في نفسه ، فتعالى الله عمَّا يقول الملحدون والجاحدون علوّاً كبيراً ») . انظر تعليقات الكوثري على « السيف الصقيل » (ص ١٣٠ـ ١٣١) .

ولا يشينُ وجهَ جمالِهِ ؛ فإنَّ انحرافَ الأتباعِ لا يُؤثِّرُ في المُتبَعِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ [البقرة : ١٠٢] .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ مِنْ أُمَّتِي . . . » إلىٰ أنْ قالَ : « فَأَقُولُ : أَصْحَابِي ، فَيُقَالُ : لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ ، فَأَقُولُ : سُحْقاً سُحْقاً »[١] .

روى الحافظُ ثقةُ الدينِ ابنُ عساكرَ بسندِهِ إلى ابنِ شاهينَ قالَ : (رجلانِ صالحانِ ابتُليا بأصحابِ سوءٍ : جعفرُ بنُ محمدٍ الصادقُ ، والإمامُ أحمدُ ابنُ حنبلٍ)[٢] .

وأمَّا نقلُكَ عنِ الإمامِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ إسماعيلَ البخاريِّ[٣] ، وأخذُكَ بظاهرِ كلامِهِ ؛ حيثُ روىٰ عن يحيى بنِ سعيدٍ القطَّانِ قولَهُ : (ما زلتُ أسمعُ أصحابَنا يقولونَ : أفعالُ العبادِ مخلوقةٌ)[٤] . . فخشيَ أنْ يتطرَّقَ مِنْ ذلكَ إلى القولِ بخلقِ القرآنِ ، فنبَّهَ عليهِ ، ولم يُرِدِ البخاريُّ رضيَ اللهُ عنهُ ما أردتَهُ وأردفتَ كلامَكَ بهِ .

والدليلُ علىٰ ما قلتُهُ : ما نقلَهُ أبو أحمدَ عبدُ اللهِ بنُ عَدِيٍّ الجُرْجانيُّ الحافظُ في « كتابِهِ » ، قالَ : ذكرَ لي جماعةٌ مِنَ المشايخِ أنَّ محمدَ بنَ إسماعيلَ رحمَهُ اللهُ لمَّا وردَ نَيْسابورَ واجتمعَ الناسُ وعُقِدَ لهُ مجلسٌ . . حسدَهُ بعضُ مَنْ

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٧٠٥٠) ، ومسلم (٢٦/٢٢٩٠) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وهو فيه أيضاً (٢٤٩) من حديث سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) تبيين كذب المفتري (ص٣٢٧) ، فالأول ابتلي بالرافضة ، والثاني ابتُلي بالمُجسِّمة . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٢/ ١٧) .

(٣) وهٰذا هو النقل الثاني من جملة النقول الفاسدة التي أودعها ابن تيمية فتياه الفاتنة .

(٤) أجوبة أهل الرحبة (ص١٤٣) ضمن « المسائل والأجوبة » ، وانظر « خلق أفعال العباد » (ص٤٧) .

كانَ في ذلكَ الوقتِ مِنْ مشايخِ نَيْسابورَ لمَّا رأىٰ إقبالَ الناسِ إليهِ وسماعَهُم عليهِ[1] ، فقالَ لأصحابِ الحديثِ : إنَّ محمدَ بنَ إسماعيلَ يقولُ : اللفظُ بالقرآنِ مخلوقٌ ، فامتحِنُوهُ بهِ في المجلسِ .

فلمَّا حضرَ الناسُ مجلسَ البخاريِّ قامَ إليهِ رجلٌ ، فقالَ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ ما تقولُ في اللفظِ بالقرآنِ ؛ مخلوقٌ هوَ أو غيرُ مخلوقٍ ؟![2] ، فأعرضَ عنهُ البخاريُّ ولم يُجبْهُ .

فقالَ الرجلُ : يا أبا عبدِ اللهِ ، فأعادَ عليهِ القولَ ، فأعرضَ البخاريُّ ولم يُجبْهُ .

ثمَّ قالَ في الثالثةِ ، فالتفتَ إليهِ محمدُ بنُ إسماعيلَ فقالَ : (القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ ، **وأفعالُ العبادِ مخلوقةٌ** ، والامتحانُ بدعةٌ) .

فشَغَبَ الرجلُ ، وشغبَ الناسُ على البخاريِّ ، وتفرَّقُوا عنهُ بعدُ[3] .

فقد رأيتَ الإمامَ أبا عبدِ اللهِ لم يُطلِقْ كما أطلقتَ ، بل قالَ : (**القرآنُ غيرُ مخلوقٍ**) **يعني بهِ** : الكلامَ الذي هوَ صفةٌ ، **وقولُهُ** : (**وأفعالُ العبادِ مخلوقةٌ**) **يريدُ بهِ** : ما يبرزُ مِنَ اللَّهَواتِ مِنَ الحروفِ والأصواتِ .

وما أظنُّكَ بلغَتْكَ قصةُ الإمامِ أبي عبدِ اللهِ البخاريِّ معَ محمدِ بنِ يحيى الذُّهْليِّ ، وقد ذكرَها الإمامُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتٍ الخطيبُ في « تاريخِ بغدادَ » قالَ :

(١) **وهٰذا البعض** : هو محمد بن يحيى الذُّهْلي كما سيأتي التصريح به بعد قليل في كلام المؤلف .

(٢) كذا في الأصل بـ (أو) ، **والقياس** : أن يكون بـ (أم) لأن الاستفهام هنا لطلب التعيين .

(٣) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٢/٤٥٣-٤٥٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٢/٢٢٨) ، **والشَّغْب** : تهييج الشر .

قالَ الحسنُ بنُ محمدِ بنِ جابرٍ : سمعتُ محمدَ بنَ يحيىٰ لمَّا وردَ محمدُ بنُ إسماعيلَ البخاريُّ نيسابورَ . . قالَ : اذهبوا إلىٰ هٰذا الرجلِ الصالحِ العالمِ فاسمعُوا منهُ .

قالَ : فذهبَ الناسُ إليهِ ، وأقبلُوا على السماعِ منهُ ، حتىٰ ظهرَ الخَلَلُ في مجلسِ محمدِ بنِ يحيىٰ ، فحسَدَهُ بعدَ ذلكَ وتكلَّمَ فيهِ[1] .

قلتُ : ومحمدُ بنُ يحيى الذُّهْليُّ هوَ المرادُ بقولِ أبي أحمدَ بنِ عديٍّ : (بعضُ الناسِ) في الحكايةِ الأولىٰ .

ونقلَ الحافظُ أبو عليٍّ الحسينُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ الغسَّانيُّ قالَ[2] : حدَّثَنا أبو حاتِمٍ العبدويُّ[3] قالَ : سمعتُ الحسنَ بنَ أحمدَ بنِ سنانٍ[4] يقولُ : سمعتُ أبا حاتِمٍ الأعشىٰ[5] يقولُ : (رأيتُ محمدَ بنَ إسماعيلَ البخاريَّ في جنازةِ أبي عثمانَ سعيدِ بنِ مروانَ ، ومحمدُ بنُ يحيىٰ يسألُهُ عنِ الأسامي

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٢٩) .

(٢) قاله نقلاً عن الحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي ، ونبَّهت عليه حتىٰ لا يُتوهَّم الانقطاع ، ومثل ذلك يقال في الخبر الآتي بعده .

(٣) في (ب) : (أبو حاتم العبدوي) ، والمثبت موافق لما رسمت به في (أ) ، ولعلَّ الصواب في كنيته : (أبو حازم) بدل (أبو حاتم) ، وهو الإمام الحافظ عمر بن أحمد بن إبراهيم بن عبدويه النيسابوري ، المتوفىٰ سنة (٤١٧هـ) ، وهو من شيوخ الحافظ البغدادي الناقلِ عنه هٰذا الخبر ، وانظر « تقييد المهمل » (١/ ٣٦) ، و« تاريخ بغداد » (٢/ ٣٠ ، ١١/ ٢٧١) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٣٣٣ـ٣٣٤) ، وستأتي ترجمته في (١/ ٤٠٧) .

(٤) كذا في نسختينا ، ولعل الصواب : (شيبان) بدل (سنان) ، وهو الإمام المسند أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد ابن شيبان المَخْلَدي النيسابوري العدل . انظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٣٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٥٣٩) .

(٥) كذا في نسختينا ، ولعل الصواب : (أبا حامد الأعمشي) ، وهو الإمام الحافظ المصنف أحمد بن حمدون بن أحمد النيسابوري الأعمشي . انظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٣٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٥٥٣) .

والكُنىٰ وعِلَلِ الحديثِ ، ويمرُّ فيهِ محمدُ بنُ إسماعيلَ مثلَ السهمِ كأنَّهُ يقرأُ « قلْ هوَ اللهُ أحدٌ » ، فما أتىٰ علىٰ هٰذا شهرٌ حتىٰ قالَ محمدُ بنُ يحيىٰ : ألاَ مَنْ يختلفْ إلىٰ مجلسِهِ لا يختلفْ إلىٰ مجلسِنا ؛ فإنَّهُم كتبُوا إلينا مِنْ بغدادَ أنَّهُ تكلَّمَ في اللفظِ ، ونهيناهُ فلم ينتهِ ، ولا تقربوهُ ، ومَنْ يقربْهُ لا يقربْنا ، فأقامَ محمدُ بنُ إسماعيلَ ها هنا مدةً وخرجَ إلىٰ بُخارىٰ)[1] .

وممَّا يُؤيِّدُ ما نقلتُهُ عنِ البخاريِّ رضيَ اللهُ عنهُ : ما نقلَهُ الجيَّانيُّ في كتابِ « تقييدِ المهملِ »[2] ؛ فإنَّهُ قالَ : أخبرَنا أبو سعيدٍ محمدُ بنُ حسنويهِ بنِ إبراهيمَ الأَبيوَرْديُّ قالَ : حدَّثَنا أبو سعيدٍ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ حمدونَ قالَ : سمعتُ أبا حامدٍ الشَّرْقيَّ يقولُ : سمعتُ محمدَ بنَ يحيىٰ يقولُ : (القرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ مِنْ جميعِ جهاتِهِ وحيثُ يتصرَّفُ ؛ فمَنْ لزمَ استغنىٰ عنِ اللفظِ وعمَّا سواهُ مِنَ الكلامِ في القرآنِ .

ومَنْ زعمَ أنَّ القرآنَ مخلوقٌ فقد كفرَ ، وخرجَ عنِ الإيمانِ ، وبانَتْ منهُ امرأتُهُ ، فيُستتابُ ؛ فإنْ تابَ ، وإلا ضُرِبَتْ عنقُهُ ، وجُعِلَ مالُهُ فيئاً بينَ المسلمينَ ، ولا يُدفَنُ في مقابرِ المسلمينَ .

ومَنْ وقفَ فقالَ : « لا أقولُ : مخلوقٌ أو غيرُ مخلوقٍ » . . فقد ضاهى الكفرَ .

ومَنْ زعمَ : أنَّ لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ . . فهوَ مُبتدِعٌ لا يُجالَسُ ولا يُكلَّمُ .

ومَنْ ذهبَ بعدَ مجلسِنا هٰذا إلىٰ محمدِ بنِ إسماعيلَ البخاريِّ . . فاتَّهِموهُ ؛ فإنَّهُ لا يحضرُ مجلسَهُ إلا مَنْ كانَ علىٰ مذهبِهِ)[3] .

(١) تقييد المهمل (١/ ٣٦) ، وانظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٣٠) .

(٢) والجيَّاني : هو نفسه الحافظ أبو علي الغساني الراوي للخبر السابق .

(٣) تقييد المهمل (١/ ٣٦ـ٣٧) ، وانظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٣٠ـ٣١) .

فهـٰذا اللفظُ مِنْ محمدِ بنِ يحيىٰ معَ ما تقدَّمَ مِنْ جوابِ ملكِ الحفَّاظِ محمدِ ابنِ إسماعيلَ رضيَ اللهُ عنهُ للسائلِ . . يدُلانِ علىٰ مُبايَنةِ مُعتقَدِهِ لما نقلتَهُ عنهُ .

ووجهُ الاستدلالِ منهُ : أنَّ محمدَ بنَ يحيىٰ ذكرَ مُعتقَدَهُ إلىٰ أنْ فرغَ منهُ ، ثمَّ ندَّدَ علىٰ أبي عبدِ اللهِ لمخالفتِهِ لهُ ، فدلَّ علىٰ أنَّ مُعتقَدَ الإمامِ محمدِ بنِ إسماعيلَ يُخالفُ مُعتقَدَ الذُّهْليِّ قطعاً ؛ فالذي نقلتَهُ عنِ البخاريِّ هوَ قولُ الذُّهْليِّ ومذهبُهُ ومُعتقَدُهُ ، فأنتَ إذاً ذُهْليٌّ ذاهلٌ ، أو مُجترِئٌ علىٰ تحريفِ النقلِ مُتساهِلٌ[1] .

ويُؤيِّدُ ذلكَ : ما نقلَهُ أبو عليٍّ أيضاً قالَ[2] : حدَّثَنا أحمدُ بنُ محمدِ بنِ غالبٍ قالَ : حدَّثَنا أبو بكرٍ الإسماعيليُّ قالَ : حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ سيَّارٍ قالَ : حدَّثَني محمدُ بنُ خُشْنامَ ـ وسمعتُهُ يقولُ : سُئِلَ محمدُ بنُ إسماعيلَ بنيسابورَ عنِ اللفظِ ـ فقالَ : حدَّثَني [عُبيدُ] اللهِ بنُ سعيدٍ ـ يعني : أبا قدامةَ ـ عن يحيى بنِ سعيدٍ قالَ : (أعمالُ العبادِ كلُّها مخلوقةٌ) ، فمرقُوا عليهِ .

قالَ : فقالُوا لهُ بعدَ ذلكَ : ترجعُ عن هـٰذا القولِ حتىٰ نعودَ إليكَ ؟ قالَ : لا أفعلُ إلا أنْ تجيئوا بحُجَّةٍ فيما تقولونَ أقوىٰ مِنْ حُجَجي[3] ، وأعجبَني مِنْ محمدِ بنِ إسماعيلَ ثباتُهُ[4] .

(١) وحاول التاج السبكي تأويل كلام الذهلي ؛ فقال في « طبقاته الكبرىٰ » (٢/ ٢٢٩) : (وإنما أراد محمد بن يحيىٰ ـ والعلمُ عند الله ـ ما أراده أحمد ابن حنبل كما قدَّمناه في ترجمة الكرابيسي ؛ من النهي عن الخوض في هـٰذا ، ولم يرد مخالفة البخاري ، وإن خالفه وزعم أنَّ لفظه الخارج من بين شفتيه المحدثتين قديم . . فقد باء بأمر عظيم ، والظنُّ به خلاف ذلك) ، وللتاج السبكي كلام نفيس في تفصيل هـٰذه الحادثة والتعليق عليها . انظر « طبقاته الكبرىٰ » (٢/ ٢٢٨) وما بعدها .

(٢) أي : نقلاً عن الخطيب البغدادي في « تاريخه » كما سبق التنبيه عليه .

(٣) في « تقييد المهمل » : (من حجتي) .

(٤) تقييد المهمل (١/ ٣٤ـ٣٥) ، وانظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٢٩) .

وقالَ أبو عليٍّ أيضاً[1] : حدَّثَنا محمدُ بنُ عليِّ بنِ أحمدَ المقرئُ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ عبدِ اللهِ النيسابوريُّ الحافظُ قالَ : حدَّثَنا أبو بكرٍ محمدُ ابنُ [أبي] الهيثمِ المُطَّوِّعيُّ ببُخارىٰ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ يوسفَ الفِرَبْريُّ[2] قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ إسماعيلَ البخاريَّ يقولُ : أمَّا أفعالُ العبادِ فمخلوقةٌ ؛ فقد حدَّثَنا عليُّ بنُ عبدِ اللهِ قالَ : حدَّثَنا مروانُ بنُ معاويةَ قالَ : حدَّثَنا أبو مالكٍ ، عن رِبْعِيِّ بنِ حِراشٍ ، عن حذيفةَ قالَ : قالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنَّ اللهَ يَصْنَعُ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنْعَتَهُ »[3] .

قلتُ : قد ثبتَ بهـٰذا كلِّهِ : أنَّ النقلَ عنِ البخاريِّ خلافُ ما نقلتَهُ ، فتثبَّتْ في النقلِ ، تسترُ معايبَ أصحابِكَ مِنْ مُتأخِّري الحنابلةِ وتُسنِدُها إلى الأئمَّةِ المُتقدِّمينَ ؟! رمتْني بدائِها وانسلَّتْ !![4] .

وكذلكَ نقلُكَ إجماعَ سلفِ الأمَّةِ[5] ، كما نقلتَهُ عنِ الإمامِ أحمدَ وعنِ البخاريِّ رضيَ اللهُ عنهُما[6] .

ليتَ شعري !! مِنْ أينَ لكَ هـٰذا الإجماعُ ؟! وأنَّى اهتديتَ إلىٰ هـٰذا الاطِّلاعِ ؟! أبمطالعةٍ أم إجازةٍ أم سماعٍ ؟! وفي أيِّ عصرٍ كانَ ذلكَ ؟! أفي زمنِ الصحابةِ ؟! فسيأتي ذكرُ مَنْ أوَّلَ الظواهرَ مِنْ أوَّلِ أوائلِهِم ، ثمَّ مِنْ بعدِهِم على

(١) أي : نقلاً عن الخطيب البغدادي .

(٢) وضبطه في « الأنساب » (١٠/ ١٧٠) بفتح الفاء .

(٣) تقييد المهمل (١/ ٣٥) ، وانظر « تاريخ بغداد » (٢/ ٣٠) ، و« خلق أفعال العباد » (ص٢٥) .

(٤) أخذه من مثل مشهور يُضرب لمن يعيب غيره بعيب هو فيه . انظر « مجمع الأمثال » (١/ ١٠٢ ، ٢٨٦) .

(٥) وهـٰذا هو النقل الثالث من جملة نقول ابن تيمية .

(٦) انظر « الفتاوى الكبرىٰ » (٦/ ٤٦٦) ، و« المسائل والأجوبة » (ص١٤٣) .

اختلافِ منازلِهم إلىٰ زمننا مِنْ علماءِ المشرقِ والمغربِ[1] ، وأيُّ إجماعٍ ينعقدُ بدونِ هـٰؤلاءِ ؟!

ولَعَمْري !! لو أنصفتَ لكانَ الأحقُّ بدعوى الإجماعِ أئمَّةَ السنَّةِ ؛ فإنَّ الأئمَّةَ كلَّهُم ـ مُتقدِّموهُم ومُتأخِّروهُم[2] ـ مُتَّفقونَ على التنزيهِ في سائرِ الظواهرِ المُوهِمةِ ، ونفيِ المعنى الذي يُوهِمُ التجسيمَ أوِ التحيُّزَ قولاً واحداً ، ومَنْ نقلَ عنهُم خلافَ ذلك فقد أخطأَ أو تعمَّدَ الكذبَ عِناداً ، فلم يبقَ مَنْ يقولُ بالظواهرِ إلا شِرْذِمةٌ قليلونَ ، لا يُعبأُ بخلافِهم مِنْ مُتأخِّري الحنابلةِ ، ولا يُرجَعُ إلىٰ أقوالِهم ، ولا يُعرَّجُ عليها . . إلا عندَكَ .

ولعلَّ مُستندَكَ ـ واللهُ أعلمُ ـ : ما ناصبتَ عليهِ في أوَّلِ كلامِكَ ووسطِهِ وآخرِهِ ، وادَّعيتَ كفرَ مَنْ قالَ بخلافِ ما قلتَ وسمَّيتَهُ مُلحِداً[3] ، فإذا كانَ ـ علىٰ مُعتقَدِكَ ـ مَنْ عداكَ وأصحابَكَ ومَنْ تابعَكَ علىٰ رأيِكَ كَفَرةً ، وأنتَ وأصحابُكَ وأتباعُكَ مِنَ الحنابلةِ ومَنْ قالَ بقولِكَ المؤمنونَ . . صحَّ حينئذٍ لكَ دعوى الإجماعِ !!

مَـــا ٱلْعَقْـــلُ إلا زِينَـــةٌ ... سُبْحَـانَ مَـنْ أَعْـرَاكَ مِنْـهُ

قُسِمَـتْ عَلَـى ٱلنَّـاسِ ٱلْعُقُـو ... لُ وَكَـانَ يَـوْمـاً غِبْـتَ عَنْـهُ[4]

وقولُكَ مُفترياً : (إنَّ اللهَ مُتكلِّمٌ بصوتٍ)[5] ، تعالى اللهُ عمَّا تقولُ علوّاً كبيراً .

(١) وجميع من سيأتي في (الباب الثالث) إلى (الباب العاشر) هم قائلون بالتأويل بالفعل أو بالقوة .

(٢) كذا في نسختينا بالرفع ، وهو جائز صناعةً ، ويجوز صناعةً أيضاً أن تضبط العبارة ـ وهو الظاهر ـ : (فإنَّ الأئمةَ كلَّهم مُتقدِّميهم ومُتأخِّريهم) ، إلا أن الرسم لا يساعد ، والله تعالىٰ أعلم .

(٣) انظر ما تقدم (١/ ٧٨، ١٣٢) .

(٤) البيتان للبهاء زهير في « ديوانه » (ص٢٧٥) ، وهما من مجزوء الكامل .

(٥) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٧) .

لا يخلو : إمَّا أنْ تُرِيدَ بِهِ : كلامَهُ القائمَ بذاتِهِ القديمَ ، أو كلامَنا بما يُسمَّىٰ كلامَ اللهِ .

فإنْ عنيتَ بِهِ كلامَهُ القائمَ بذاتِهِ . . لزمَكَ أنْ تقومَ الحوادثُ بذاتِهِ ؛ لأنَّ الأصواتَ مُنقطِعةٌ لها أوَّلٌ وآخِرٌ ، سيَّما إذا كانَتْ ـ علىٰ رأيِكَ ـ بحروفٍ متتابعةٍ يسبقُ بعضُها بعضاً ، وقد دلَّ الدليلُ العقليُّ علىٰ أنَّهُ تعالىٰ لا تحُلُّهُ الحوادثُ ؛ ففي قولِكَ بذلكَ مِنَ المفسدةِ ما لا يخفىٰ عنِ العلماءِ غيرِكَ ، وإلا فجهلُكَ عاذرُكَ .

لَعَمْرُكَ مَا طُرْقُ ٱلْمَعَالِي خَفِيَّةً وَلَـٰكِنَّ بَعْضَ ٱلسَّيْرِ لَيْسَ بِقَاصِدِ[1]

وميلُكَ عنِ الطريقِ هوَ الذي يمنعُكَ مِنْ فهمِهِ .

وإنْ عنيتَ قيامَ الصفةِ القديمةِ بكلامِنا حالَ نُطْقِنا بالقرآنِ . . لزمَكَ حلولُ القديمِ بالحادثِ ، وتكونُ علىٰ هٰذا أسوأَ حالاً ممَّنْ يعتقدُ حلولَ الكلمةِ والذاتِ بعيسى ابنِ مريمَ ؛ لأنَّهُم يعتقدونَها في عيسىٰ خاصَّةً ، وأنتَ وأصحابُكَ تعتقدونَها في كلِّ مَنْ قرأَ القرآنَ ونطقَ بكلامِ اللهِ .

والذي يدُلُّ علىٰ أنَّكَ أردتَ المعنى الثانيَ : قولُكَ : (ليسَ القرآنُ اسماً لمجرَّدِ المعنىٰ ، ولا لمجرَّدِ اللفظِ[2] ، بل لمجموعِهِما ؛ كما أنَّ الإنسانَ المُتكلِّمَ الناطقَ ليسَ هو مجرَّدَ الروحِ ، ولا مجرَّدَ الجسدِ ، بل مجموعُهُما)[3] .

[فجعلُكَ] اللفظَ بمنزلةِ الجسدِ[4] ، وحلولَ الصفةِ بِهِ بمنزلةِ الروحِ . . طريقةٌ ظاهرةُ الضلالِ ، مُتقلِّصةُ الظِّلالِ ، لم تُسبَقْ إليها ، ولم يُساعِدْكَ نقلٌ

(١) البيت لأبي فراس الحمداني في « ديوانه » (٢/ ٨٢) ، وهو من الطويل .

(٢) في « الفتاوى الكبرىٰ » : (الحرف) بدل (اللفظ) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٧) .

(٤) في نسختينا : (فجعلت) بدل (فجعلك) ، ولعل المثبت أنسب ، والله تعالىٰ أعلم .

ولا عقلٌ عليها ، لقدِ اخترعتَ وابتدعتَ وضيَّعتَ ، ولكنْ بئسَما صنعتَ ، نسألُ اللهَ العافيةَ .

وقولُكَ : (**وكما لا يُشبِهُ علمُهُ وقدرتُهُ وحياتُهُ علمَ المخلوقِ وقدرتَهُ وحياتَهُ . . فكذلكَ لا يُشبِهُ كلامُهُ كلامَ المخلوقِ**)[1] .

يناقضُ كلامَكَ أوَّلاً ؛ فإنَّكَ منعتَ أنْ يُقاسَ الكلامُ على الصفاتِ ؛ فقلتَ : (وليسَ وجودُ الكلامِ مِنَ الكتابِ كوجودِ الصفةِ بالموصوفِ ؛ مثلُ [وجودِ] العلمِ والحياةِ بمحلِّهما)[2] .

ومعَ ذلكَ فكلامُكَ نقولُ بمُوجَبِهِ ، ونقولُ : كلامُ اللهِ تعالىٰ لا يُشبِهُ كلامَ المخلوقينَ ؛ فإنَّهُ صفةٌ أزليَّةٌ قديمةٌ قائمةٌ بهِ لا تحُلُّ بغيرِهِ ، وليسَتْ بحرفٍ ولا صوتٍ .

فنحنُ نفَينا التشبيهَ بالكُلِّيَّةِ ، وأنتَ أثبتَّ التشبيهَ مِنْ بعضِ الوجوهِ ؛ فقلتَ : (**لا معانيهِ تُشبِهُ معانيَهُ ، ولا حروفُهُ تشبهُ حروفَهُ ، ولا صوتُ الربِّ يشبهُ صوتَ العبدِ**)[3] ، فجعلتَ للربِّ صوتاً كما للعبدِ صوتٌ ، وحروفاً كما كلامُنا بحروفٍ ، لكنَّكَ خفتَ أنْ يُندَّدَ عليكَ بقولِكَ ؛ فجنحتَ إلىٰ بعضِ تعظيمٍ مُتكلِّفاً لذلكَ ؛ فقلتَ : (ولا صوتُ الربِّ يشبهُ صوتَ العبدِ) .

فسبحانَ الحليمِ المُمهِلِ حيثُ لم يخسِفْ بكَ الأرضَ ، ولم يُسقِطْ عليكَ كِسَفاً مِنَ السماءِ !! وإنَّما غرَّكَ إمهالُهُ استدراجاً لكَ وعقوبةً ؛ فإنَّ الذنبَ قد يكونُ عقوبةً لذنبٍ آخرَ ، **ومِصْداقُ ذلكَ في كتابِ اللهِ تعالىٰ** ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٧) .

(٢) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٥) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٧) .

وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ٦١] ، فجعلَ عِصْيانَهُم واعتداءَهُم سبباً لكفرِهم وقتلِهمُ الأنبياءَ .

والعجبُ : أنَّ كلامَكَ أدَّاكَ إلى النفيِ المحضِ والسَّفْسَطةِ !! والدليلُ على ذلكَ : أنَّكَ قلتَ : (لا معانيهِ تشبهُ معانيَهُ ، ولا حروفُهُ تشبهُ حروفَهُ) ، فيُدْلُّ ذلكَ على أنَّ معانيَ القرآنِ التي ننطقُ بها ليستْ مُوافِقةً لمعاني كلامِ اللهِ ؛ إمَّا النَّفْسانيِّ على رأينا ، أوِ الحروفَ والأصواتَ التي نقرأُ بها القرآنَ ليستْ مُوافِقةً لحروفِ اللهِ على رأيِكَ ولا لصوتِهِ ، فإذا لم تكنِ المعاني مُوافِقةً للمعاني ولا الحروفُ للحروفِ . . فيكونُ غيرَ موافقٍ لكلامِ اللهِ قطعاً على قولِكَ .

وَلاَ عَجَبٌ مِنْ سُخْفِ رَأْيِكَ إِنَّهُ ... إِذَا سَاءَ عَقْلُ ٱلْمَرْءِ سَاءَ نَتَائِجَا[1]

قولُكَ : (ولا صوتُ الربِّ يُشبِهُ صوتَ العبدِ)[2] .

ليسَ للهِ صوتٌ ، وليسَ كلامُهُ بصوتٍ ، ومَنْ قالَ : إنَّ لهُ صوتاً . . فقد أعظمَ على اللهِ الفِرْيةَ ؛ فإنَّ العقلَ الذي دلَّ على وجودِ ذاتِهِ ووحدانيَّتِهِ دلَّنا على تنزيهِ كلامِهِ عنِ الحرفِ والصوتِ ، ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾ [النساء : ١٧١] ، ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء : ٥٠] .

وأحسنُ مِنْ هٰذا : شهادتُكَ على نفسِكَ ، وعلى مَنِ اعتقدَ مُعتقَدَكَ مِنْ أبناءِ جنسِكَ . . بقولِكَ : (فمَنْ شبَّهَ اللهَ بخلقِهِ فقد ألحدَ في أسمائِهِ وآياتِهِ)[3] .

وأيُّ تشبيهٍ أعظمُ مِنْ أنْ تجعلَ لهُ صوتاً ، وتجعلَ كلامَهُ بصوتٍ كما أنَّ

(١) كتب فوق (رأيك) في النسختين الخطيتين : (قولك) ، والبيت بنحوه لابن خفاجة الأندلسي ، كما في « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » (٦/ ٦٠٥) ، وهو من الطويل .

(٢) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٧) .

(٣) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٧) .

كلامَكَ بصوتٍ ؟! لكنَّهُ على رأيِكَ لا يشبهُ صوتَكَ ، وكذا كلُّ صوتٍ مِنْ أصواتِ المخلوقينَ في الغالبِ لا يشبهُ صوتَ الآخَرِ ؛ ولذلكَ أجازَ جماعةٌ مِنَ العلماءِ الشهادةَ على الصوتِ إذا كانَ مُتميِّزاً عن غيرِهِ للشاهدِ[1] ، وكانَتْ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها تعرفُ أصواتَ مَنْ يدخلُ إليها رضيَ اللهُ عنها ؛ ولهذا إنَّ أكثرَ الأذكياءِ مِنَ الأَضِرَّاءِ يُفرِّقونَ بينَ الأشخاصِ بالأصواتِ[2] .

كانَ عندَنا بالقاهرةِ رجلٌ ضريرٌ مِنَ العلماءِ الفضلاءِ القُرَّاءِ المَجيدينَ ، والفقهاءِ المعيدينَ[3] ؛ علمُ الدينِ ابنُ الصفيِّ القِمَّنيُّ[4] ، لم يأتِهِ شخصٌ يُسلِّمُ عليهِ فيحتاجَ أنْ يقولَ لهُ : (مَنْ أنتَ ؟) ، ولا يقولُ لهُ المُسلِّمُ : (أنا فلانٌ) قطُّ ، وكنتُ أغيبُ عنهُ السنةَ والسنتينِ ، فحينَ أُسلِّمُ عليهِ يقولُ لي : كيفَ والدُكَ ؟ هوَ رفيقي على الشيخِ كمالِ الدينِ المقريِ ، وحينَ يُسلِّمُ عليهِ الوالدُ وأنا غائبٌ يقولُ : (كيفَ ولدُكَ محمدٌ ؟ دعْهُ يشتغلْ) ، مِنْ غيرِ أنْ يسألَ أحداً منَّا مَنْ أنتَ ، وكانَ رحمَهُ اللهُ مشهوراً بالذكاءِ ، مخصوصاً بسرعةِ الحفظِ[5] .

فقد علمتَ أنَّ الأصواتَ قد تختلفُ ولا تتشابهُ في الغالبِ ؛ فقولُكَ : (صوتٌ لا كالأصواتِ) فررتَ مِنْ نارٍ إلى نارٍ ، وتبرَّأتَ مِنْ عارٍ إلى عارٍ .

(١) انظر « البيان والتحصيل » (٩/ ٤٤٤ـ٤٤٥) ، و« العناية شرح الهداية » (٧/ ٣٩٧) .

(٢) الأضرَّاء : جمع ضرير .

(٣) في (ب) : (المعتدِّين) .

(٤) هو أحمد بن إبراهيم القرشي الأموي البهنسي ، الفقيه المفتي الضرير ، توفي سنة (٦٨٦هـ) ، كان آيةً في الحفظ ، وهو من الأضرَّاء الذين ذكرهم الصفدي في « نَكْت الهميان في نُكَتِ العميان » (ص٦٦) ، وهو أيضاً من أئمة الأشاعرة الذين سيترجمهم المؤلف في (٢/ ٢٠١ـ٢٠٥) .

(٥) وسيذكر له المؤلف عجائبَ في ذلك أثناء ترجمته . انظر (٢/ ٢٠٢ـ٢٠٥) .

قولُكَ : (وسلفُ الأمَّةِ مُتَّفقونَ على أنَّهُ فوقَ سماواتِهِ على عرشِهِ)[1] : ليسَ لكَ أنْ تُطلِقَ هـٰذا اللفظَ لا مُعتقِداً لجهةٍ ولا غيرَ مُعتقِدِها[2] .

أمَّا إنِ اعتقدتَ الجهةَ فقد قامَ الدليلُ على بطلانِ هـٰذا الاعتقادِ ، وصرَّحَ ما فيهِ مِنَ الفسادِ على ما تتأمَّلُهُ .

وإنْ لم تعتقدْها فليسَ لكَ أنْ تبتدئَ إطلاقَ هـٰذا الكلامِ ؛ لأنَّ السلفَ رضيَ اللهُ عنهُم فيما وردَ عنِ اللهِ وعن رسولِهِ مِنَ الظواهرِ . . إمَّا مُؤوِّلٌ ، أو نافٍ للإيهامِ ساكتٌ عنِ التأويلِ ، يَكِلُ علمَهُ إلى اللهِ تعالى ، أمَّا أنْ يُطلِقَ لفظاً ظاهرُهُ يُوهِمُ ما يستحيلُ على اللهِ تعالى . . فالكلُّ مُتَّفقونَ على أنَّهُ لا يجوزُ إطلاقُهُ منَّا على اللهِ عزَّ وجلَّ ، وإنْ وردَتِ الظواهرُ المطلقةُ عنِ اللهِ تعالى وعن رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وأردفتَ الكلامَ بقولِكَ : (ليسَ في ذاتِهِ شيءٌ مِنْ مخلوقاتِهِ ، ولا في مخلوقاتِهِ شيءٌ مِنْ ذاتِهِ ، وعلى ذلكَ نصوصُ الكتابِ والسنَّةِ ، وإجماعُ الأمَّةِ ، بل على ذلكَ جميعُ المؤمنينَ ؛ مِنَ الأوَّلينَ والآخِرينَ)[3] .

فقولُكَ : (وعلى ذلكَ . . .) إلى آخرِهِ : إنْ عنيتَ بـ (ذلكَ) الكلامَ الأخيرَ ؛ وهوَ قولُكَ : (ليسَ في ذاتِهِ شيءٌ مِنْ مخلوقاتِهِ . . .) . . فهوَ حسنٌ صحيحٌ غيرُ مُنازَعٍ فيهِ .

وإنْ عنيتَ بهِ مجموعَ كلامِكَ بالفوقيَّةِ وغيرِ ذلكَ . . فهـٰذا ممَّا لا يُساعِدُكَ عليهِ شرعٌ ولا عقلٌ ، وأيُّ إجماعٍ تنقلُهُ ؟! كأنَّكَ لا تعرفُ الإجماعَ ولا تعقلُهُ !!

(١) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٨) .

(٢) تحتمل في (أ) : (لا معتقدَ الجهة) بدل (لا معتقداً لجهة) .

(٣) الفتاوى الكبرى (٦/ ٤٦٨) .

قولُكَ : (مَنْ تأوَّلَ « استوىٰ » بمعنى « استولىٰ » ، أو بمعنىً آخَرَ ينفي أنْ يكونَ اللهُ فوقَ سماواتِهِ . . فهوَ جَهْميٌّ ضالٌّ)[1] .

قد وردَ عنِ ابنِ عباسٍ وغيرِهِ مِنَ الصحابةِ والتابعينَ تأويلُ هٰذهِ الآيةِ علىٰ ما ستقفُ عليهِ ، وبالمعاني التي يأتي ذكرُها[2] ، وقد ثبتَ بالدليلِ العقليِّ والنقليِّ أنَّ المصيرَ إلىٰ تأويلِ هٰذهِ الآيةِ مُتعيِّنٌ ، بل نقولُ لكَ : الضلالُ تضليلُ المُحقِّقينَ ، والردُّ على العلماءِ المُحقِّينَ .

قولُكَ في جوابِ إجراءِ القرآنِ علىٰ ظاهرِهِ إذا آمنَ . . . إلىٰ قولِكَ : (فإنْ أرادَ بإجرائِهِ على الظاهرِ الذي هوَ مِنْ خصائصِ المخلوقينَ ؛ حتىٰ يُشبِّهَ اللهَ بخلقِهِ . . فهٰذا ضلالٌ ، بل يجبُ القطعُ بأنَّ اللهَ ليسَ كمثلِهِ شيءٌ ؛ لا في ذاتِهِ ، ولا في صفاتِهِ ، ولا في أفعالِهِ)[3] .

كلامٌ حسنٌ مُنتظِمٌ علىٰ مذهبِ أهلِ الحقِّ ومُعتقَدِ المُوفَّقينَ ، لٰكنْ هوَ كما قالَ الخوارجُ لعليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ : (لا حُكْمَ إلا للهِ ولرسولِهِ) ، فقالَ : (كلمةُ حقٍّ أُريدَ بها باطلٌ)[4] ، أسررتَ حَشْواً[5] ، وأضمرتَ حَشْواً[6] .

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٨) .

(٢) انظر (٢/ ٣٧٤ـ ٣٨٠) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٨) .

(٤) أخرجه مسلم (١٠٦٦/ ١٥٧) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢/ ٥٩٠) ، و« البداية والنهاية » (٧/ ٢٨١) وما بعدها .

(٥) أخذه من المثل : (يُسِرُّ حَشْواً في ارتغاءٍ) أي : يظهر أخذ الرغوة وهو يحسو اللبن ، يضرب لمَنْ يُظهِرُ أمراً ويريد غيره . انظر « المستقصىٰ في أمثال العرب » (٢/ ٤١٢) ، و« مجمع الأمثال » (٢/ ٤١٧) .

(٦) أشار به : إلىٰ إضمار مذهب الحشوية ؛ وهم طائفة ضلوا عن سواء السبيل ، تمسَّكوا بظاهر الآيات والأحاديث ، فألجأهم ذلك إلى التجسيم وغيره ، وقد ذكر بعضَ مخازيهم الحافظُ ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٠٥ـ٣٠٧ ، ٥٦٦) ، والإمام التاج السبكي =

والدليلُ على أنَّكَ لم تُرِدْ بذلكَ إلا باطناً باطلاً : أنَّ كلامَكَ يُوهِمُ **أنَّ الظاهرَ على قسمينِ** : **ظاهرٍ** مِنْ خصائصِ المخلوقينَ ، **وظاهرٍ** مِنْ خصائصِ الخالقِ ، ولم تنفِ مِنَ الظاهرِ الذي مِنْ خصائصِ الخالقِ إلا مشابهةَ المخلوقينَ في الشكلِ الدنيويِّ والحقيقةِ الجارحيَّةِ .

ويُؤيِّدُ ذلكَ : أنَّكَ قلتَ في جوابِ المسألةِ الثالثةِ : (فإنَّ اللهَ ليسَ كمثلِهِ شيءٌ ؛ لا في ذاتِهِ ، ولا في صفاتِهِ) ، وقلتَ عَقيبَهُ : (ولا صوتُ الرَّبِّ يُشبِهُ صوتَ العبدِ)[1] ، فأردتَ في هـٰذا الموضعِ أنْ تقولَ : يدٌ لا كالأيدي ، وعينٌ لا كالأعينِ .

دليلُهُ : ما رويتَهُ عنِ ابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُ عَقيبَ هـٰذا : (ليسَ في الدنيا ممَّا في الآخرةِ إلا الأسماءُ)[2] ، **وفسَّرتَ ذلكَ** : بأنَّ موعودَ اللهِ تعالىٰ في الجنةِ مِنَ الذهبِ والحريرِ والخمرِ واللبنِ تُخالِفُ حقائقُهُ حقائقَ هـٰذهِ الأمورِ[3] ، فأردتَ أنْ تُصرِّحَ وتقولَ : جسمٌ لا كالأجسامِ ، فتذكَّرْتَ لَمَعانَ السيوفِ قاصدةً عُنُقَكَ ، وبُروقَ الأَسِنَّةِ مُشْرَعةً إلىٰ نَحْرِكَ ، فردَّكَ الخوفُ مِنَ العقابِ ، ناكصاً على الأعقابِ .

= في « طبقاته » (٨/ ٨٩ ، ٢٢٦ ، ٩/ ٢٨) ، وذكر السبكي نقلاً عن « عقيدة العز بن عبد السلام » سلطان العلماء (٨/ ٢٢٢) : (أنَّ المشبهة الحشوية الذين يشبهون الله بخلقه **ضربان** : **أحدهما** : لا يتحاشىٰ من إظهار الحشو ، **والآخر** ، يتستَّر بمذهب السلف لسُحْتٍ يأكله ، أو حُطامٍ يأخذه) ، ثم ذكر مذهبَ السلف الحقَّ فقال : (**ومذهب السلف** : إنما هو التوحيد والتنزيه دون التجسيم والتشبيه) ، وأعقبه بقوله : (**ولذلك جميعُ المبتدعة يزعمون أنهم علىٰ مذهب السلف**) ، وسيأتي في كلام المؤلف سبب تسميتهم بالحشوية . انظر (٢/ ٥٢٣ـ ٥٢٤) .

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٧ـ ٤٦٨) .

(٢) أخرجه الطبري في « تفسيره » (١/ ٣٩٢) ، وأبو نعيم في « صفة الجنة » (١٢٤) ، والبيهقي في « البعث والنشور » (٣٣٢) .

(٣) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٨) .

قولُكَ : (إنْ أرادَ بإجرائِهِ على الظاهرِ الذي هوَ الظاهرُ في عُرْفِ سلفِ الأمَّةِ ؛ بحيثُ لا يُحرِّفَ الكَلِمَ عن مواضعِهِ ، ولا يُلحِدُ في أسماءِ اللهِ تعالىٰ ، ولا يُفسِّرُ القرآنَ والحديثَ بما يُخالِفُ تفسيرَ سلفِ الأمَّةِ . . .)[1] .

فسيأتي الكلامُ في أنَّ السلفَ والصحابةَ والعلماءَ علىٰ قسمينِ : مُؤوِّلٍ ، وذِكْرُ مَنْ أوَّلَ منهُم ، وساكتٍ ، وتسميةُ مَنْ سكتَ عنِ التأويلِ معَ نفيِ الإيهامِ والجنوحِ إلىٰ طريقِ التنزيهِ ، والجموحِ عنِ الظاهرِ المُؤدِّي إلى التشبيهِ[2] ، وهـٰؤلاءِ الذينَ لم يُفسِّروا ووكَلُوا علمَهُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ، وآمنَ بهِ[3] ؛ فإنَّ لظاهرِ كلامِ اللهِ تعالىٰ تأويلاً صحيحاً استأثرَ بعلمِهِ ، فنحنُ نتأدَّبُ معَهُ ، فلا نقولُ : المرادُ كذا ، والتأويلُ كذا ؛ لاحتمالِ أنْ يكونَ تأويلُهُ عندَ اللهِ غيرَهُ .

أمَّا الإجراءُ على الظاهرِ المحضِ ، والحملُ لهُ علىٰ موضوعِهِ حقيقةً . فذلكَ لم يقلْ بهِ أحدٌ مِنَ السلفِ ، بلِ انعقدَ إجماعُهُم على التنزيهِ ، وإنَّما قالَ بهـٰذا القولِ المُتأخِّرونَ منكُم دونَ المُتقدِّمينَ[4] .

(١) الفتاوى الكبرىٰ (٦/ ٤٦٨) .

(٢) كما سيأتي في (الباب الثالث) و(الرابع) .

(٣) كذا في نسختينا ، وهو معطوف علىٰ (سكت) ، والظاهر : أنها (وآمنوا) ، والله تعالىٰ أعلم .

(٤) وممن انتدب من هـٰؤلاء المتأخرين للكلام في الأصول : ثلاثةٌ ذكرهم ابن الجوزي في « دفع شبه التشبيه » المعقود في الرد علىٰ مقالاتهم البِدْعية ، وتبرئة ساحة الإمام أحمد مما نسبه له هـٰؤلاء وغيرهم ؛ وهم أبو يعلى الفرَّاء ، وأبو الحسن ابن الزاغُوني ، وأبو عبد الله بن حامد الوراق ، يقول ابن الجوزي في الكتاب السابق (ص٦) : (فصنَّفوا كتباً شانوا بها المذهب ، ورأيتهم قد نزلوا إلىٰ مرتبة العوام ؛ فحملوا الصفات علىٰ مقتضى الحس ، فسمعوا أن الله تعالىٰ خلق آدم علىٰ صورته ؛ فأثبتوا له صورة ووجهاً زائداً على الذات ، وعينين وفماً ولهواتٍ وأضراساً . . . ثم يرضون العوامَّ بقولهم : « لا كما يعقل » ، وقد أخذوا بالظاهر في الأسماء والصفات ، فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم في ذلك من النقل ولا من العقل . . .) ، وانظر ما سبق تعليقاً في (١/ ١١٦) أثناء ذكر أبي يعلىٰ .

وإشارتُكَ بقولِكَ : (يُلحِدُ في أسماءِ اللهِ تعالىٰ وصفاتِهِ) مُشيراً بذلكَ إلىٰ أهلِ السنَّةِ مِنَ المُؤوِّلينَ والعلماءِ الآخرينَ . . فلهُم في جُرْأتِكَ عليهِم تأسيةٌ باجترائِكَ علىٰ ربِّكَ .

هٰذا ؛ معَ أنَّكَ لم تَرِثِ الإساءةَ على الأكابرِ عن كلالةٍ[1] ؛ هٰذا المُلقَّبُ بالفخرِ عمُّ أبيكَ صاحبُ « الخُطَبِ »[2] . . قد قالَ في آخرِ خُطبةِ وفاةِ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : (وكانَ عليٌّ يُسنِدُهُ إلىٰ صدرِهِ ، والعباسُ يُعينُهُ علىٰ أمرِهِ ، وابناهُ يُقلِّبانِهِ ، ومَوْلَيا رسولِ اللهِ يسكُبانِ الماءَ ويصُبَّانِهِ ، وهمُ الذينَ تولَّوْا دفنَهُ في حُفْرتِهِ ، وسفُّوا عليهِ الترابَ عملاً بسنَّتِهِ) .

فقولُهُ : (في حفرتِهِ) أبلغُ ما يكونُ في سوءِ الأدبِ .

وما أظنُّكَ إلا بنيتَ أمرَكَ على اليأسِ مِنَ الحياةِ ، فعمَّمتَ الكافَّةَ بإساءتِكَ مُعتمِداً علىٰ عفوِ اللهِ .

تَحَمَّلْ مَا ٱسْتَطَعْتَ مِنَ ٱلْخَطَايَا ... إِذَا كَانَ ٱلْقُدُومُ عَلَىٰ كَرِيمِ[3]

أتُراكَ لم تعلمْ أنَّ صِحَّةَ الرجاءِ للعفوِ مُتوقِّفةٌ علىٰ صحةِ العقيدةِ في الباطنِ ؟!

(١) أي : لم ترث الإساءة علىٰ أكابر الأمة وعلمائها عن البعيدين بل عن القريبين ، ولا يخفى اقتباس المؤلف من علم الفرائض .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن الخضر ابن تيمية الحرَّاني الحنبلي ، خطيب حران وواعظها ، توفي سنة (٦٢٢هـ) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٣٨٦ـ٣٨٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٢/ ٢٨٧ـ٢٨٨) .

(٣) أورد البيت ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٢/ ٩٧) ، وعزاه لأبي نواس ، وهو من الوافر ، وذكر رواية أخرىٰ للشطر الثاني ؛ وهي :

. فإنَّكَ بالغٌ ربّاً غفورا

وسيأتي الكلامُ على مَنِ اعتقدَ مثلَ مُعتقَدِكَ في التخطئةِ والتكفيرِ إنْ شاءَ الله[1] .

هٰذهِ نبذةٌ أظهرتُ فيها فضائحَ كلامِكَ ، ولُمْعةٌ بيَّنتُ فيها سوءَ فهمِكَ وإفهامِكَ ، وصَنعةُ الزَّغَلِ تنفضحُ بسبْكِ المثقالِ مِنْ بَهْرجِها[2] ، وغشُّ البضاعةِ يظهرُ باليسيرِ مِنْ أُنموذَجِها .

ولم أتركِ استيعابَ التتبُّعِ إبقاءً عليكَ ، ولٰكنْ إبقاءً لغيري ليتسرَّعَ إليكَ .

ولو كانَتْ لكَ مروءةٌ لانزجرتَ ببعضِ ما وقعَ واكتفَيْتَ ، ولٰكنْ ما لجرحِ إيلامٌ بمَيْتِ[3] .

خُذْهَا إِلَيْكَ مُشِيحَةً سَيَّارَةً ... تَلْقَاكَ مِنْ بَادٍ وَمِنْ مُتَحَضِّرِ
تَغْدُو عَلَيْكَ بِحَاصِبٍ وَبِتَارِبٍ ... وَعَلَى ٱلرُّوَاةِ بِلُؤْلُؤٍ مُتَخَيَّرِ
فَٱلنَّارُ تُحْرِقُ مَنْ تَعَرَّضَ لَفْحَهَا ... وَتَكُونُ مُرْتَفَقَ ٱمْرِئٍ مُتَنَوِّرِ[4]

ولعَمْري !! لقد تعرَّضتَ ، وولَّيتَ عن قَبولِ النصحِ وأعرضتَ ، وسللتَ سيفَ البغيِ فكانَ عليكَ شُوماً ، وأمدَّكَ إخوانُكَ في الغَيِّ عُشُوماً[5] ، وحسَّنَ الشيطانُ لنفسِكَ ما يَشينُها ، واستمرَّتْ على الفسادِ ولم تكنْ لتُقلعَ إلا عندَ أمرٍ يُهينُها .

(١) انظر (٢/ ٤١١) وما بعدها .

(٢) الزَّغَل : الغش ، والبَهْرج : الرديء من الشيء .

(٣) أشار به : إلى قول المتنبي : (من الخفيف)

مَنْ يَهُنْ يسهُلِ الهوانُ عليهِ ... ما لجرحٍ بميِّتٍ إيلامُ

انظر « ديوانه » (٤/ ٩٤) ، وهو من أبياته البليغة الجارية مجرى المثل .

(٤) الأبيات لابن الرومي في « ديوانه » (٣/ ١٠٦٥) ، وهي من الكامل .

(٥) أي : فساداً .

ولمَّا لم تجدْ مُشفِقاً ناصحاً ، ولا وَدوداً صالحاً ، ولم يكنْ لكَ مِنْ نفسِكَ وازعٌ ، ولا قلبٌ إلى الحقِّ نازعٌ ، ورتعتَ رُتوعَ البهائمِ ، وأغمضتَ جَفْنَكَ عنِ النظرِ إلى الصوابِ إغماضَ النائمِ . . فما استيقظتَ إلا وأنتَ بالأبوابِ السُّلْطانيَّةِ بقلعةِ الجبلِ طَريحاً ، ومِنْ تعبِ استحثاثِ البريدِ طَليحاً[1] ، فوقعتَ بينَ حاذفٍ وقاذفٍ[2] ، وثاقفٍ لحربِكَ ولحزبِكَ ناقفٍ[3] .

وكنتَ عهدتَ نفسَكَ خطيباً مِصْقَعاً ، فقمتَ لتخطُبَ وقد محا السيفُ أسطارَ البلاغةِ وما قالَ ابنُ دارةَ أجمعَا[4] ، واشرأبَّتْ نفسُكَ لمطارحةِ شُجونِ

(١) **الاستحثاث** : الحض والحث ، **والطَّليح** : الناقة التي أجهدها السير وهزلها .

(٢) **الحاذف** : الضارب بالعصا ، **والقاذف** : الضارب بالحجر ، وهـٰذا التركيب يضرب مثلاً للرجل لا ينصرف من مكروه إلا إلىٰ مثله . انظر « جمهرة الأمثال » (١/ ٢١٢) ، و« مجمع الأمثال » (٢/ ٣٩٣) .

(٣) **الثاقف** : المجادل والمخاصم مع حنكة وفطانة ، **والناقف** : الذي يكسر الهامة عن الدماغ ، وسيؤكد المؤلف هـٰذا المعنىٰ بعد قليل .

(٤) **قوله** : (**وقد محا السيف أسطار البلاغة**) **أشار به** : إلىٰ بيت أبي مسلم الخراساني : (من الطويل)

محا السيفُ أسطارَ البلاغةِ وانتحىٰ ... عليكَ ليوثُ الغابِ مِنْ كلِّ جانبِ

وقصة هـٰذا البيت : أن عبد الحميد بن يحيىٰ كتب كتاباً إلىٰ أبي مسلم ، وقال لمروان : إني قد كتبت كتاباً إن نجع فذاك ، وإلا فالهلاك ، وكان من كبر حجمه يحمل علىٰ جمل ، وكان عبد الحميد قال : أنا ضامن أنه متىٰ قرأ الرسول على المستكفين حول أبي مسلم ذلك بمشهد منه . . أنهم يختلفون ، وإذا اختلفوا كَلَّ حدُّهم ، وذلَّ جهدهم ، فلما ورد الكتاب علىٰ أبي مسلم دعا بنار فطرحه فيها ، إلا قدر ذراع ؛ فإنه كتب عليه : (من الطويل)

محا السيفُ أسطارَ البلاغة وانتحىٰ ... عليك ليوثُ الغابِ من كلِّ جانبِ
فإن تُقْدِمُوا نُعمِلْ سيوفاً شَحيذةً ... يهونُ عليها العَتْبُ من كلِّ عاتبِ

وقوله : (**وما قال ابنُ دارةَ أجمعا**) **أشار به** : إلىٰ بيت الكميت بن معروف : (من الطويل)

ولا تُكثِـرُوا فيـه الضجيـجَ فـإنَّـهُ ... محا السيفُ ما قالَ ابن دارةَ أجمعا

وهو مثل يضرب للرجل يجازىٰ على المكروه بأكثر منه ، **وابن دارة** : هو سالم الغطفاني ، وكان قد هجا رجلاً من بني فزارة يدعىٰ زُمَيلاً ، ثم قُتل ابن دارة علىٰ يديه بعد =

الحديثِ ، والمُقابحةِ بالجنونِ القديمِ والحديثِ ؛ ظنّاً لعجزِكَ ألا تصابَ مِنَ الفرسانِ ، وتوهُّماً أنَّ الطعنَ في الهيجاءِ مثلُ الطعنِ في المَيْدانِ ، فلم يُسمَعْ لكلامِكَ المحشوِّ بالخطأِ خطابٌ ، وثَقُلَ لسانُكَ والتهبَ جَنانُكَ فلم يحضُرْكَ مِنَ العِيِّ والجَوىٰ جوابٌ[1] .

أَمَا علمتَ أنَّ الديارَ المصريَّةَ لا تَنفُقُ فيها شقاشقُكَ[2] ، ولا يُطلَقُ فيها للصيدِ باشَقُكَ ؟![3] ، وليسَ لأحدٍ خلافَ خطيبِ أهلِ الحقِّ بها خُطبةٌ ، وكلُّ خاطبِ عَقيلةِ عَقيدةٍ تدعُهُ يُقرَعُ أنفُهُ علىٰ تلكَ الخِطْبةِ[4] .

لا جَرمَ صَمَتَ عنِ المُساوقةِ لسانُكَ[5] ، وعُنَّ عنِ المسابقةِ عِنانُكَ ، وكَبَا بكَ كَوْدَنُ طرفِكَ ، وحقَّقَ لكَ كلامُ النفسِ مهموسَ صوتِكَ وحرفِكَ ، وقهرَتْ حُجَّةُ اللهِ حُجَّتَكَ ، وظهرَتْ طريقُ نُهىٰ أعمىٰ مَحَجَّتَكَ[6] ، وغلبَ سلطانُ اللهِ

= ذلك . انظر « التذكرة الحمدونية » (٢/ ٣٣) ، و« مجمع الأمثال » (٢/ ٢٧٩) ، و« جمهرة الأمثال » (٢/ ٢٨٨) .

(١) العِيُّ : عدم القدرة على الفصاحة والبيان ، والجَوىٰ : الحرقة وشدة الوجد ، وقد أشرت سابقاً في (١/ ٧٠) إلى المجلس الذي جمع العلماء للحكم على ابن تيمية ، فلا داعي إلى الإعادة ها هنا .

(٢) تنفق : تروج ، والشَّقاشق : الكلام المتفيهق فيه والمسرود سرداً ، لا يبالي صاحبه ما قال من صدق أو كذب ، ومنه قول سيدنا عمر رضي الله عنه : (إنَّ كثيراً من الخطب من شقاشق الشيطان) أي : ممَّا يتكلَّم به الشيطان ؛ لما يدخل فيه من الكذب والباطل . انظر « تاج العروس » (٢٥/ ٥٢١ـ٥٢٢) ، مادة : (ش ق ق) .

(٣) الباشق : نوع من جوارح الطير ، وقيل : هو نوع من الصقور .

(٤) العَقيلة : المرأة المُخدَّرة النفيسة ، وتدعه يقرع أنفه : كناية علىٰ أنه غير كريم وكفء لنكاحها ، وأصله في الإبل : أن الفحل الهجين إذا أراد أن يضرب كرائم الإبل قرعوا أنفه بعصاً أو غيرها ليرتدَّ عنها ويتركَها . انظر « النهاية في غريب الحديث » (١/ ١٣٣) .

(٥) المساوقة : المتابعة .

(٦) العبارة غير واضحة في (أ) ، فاجتهدت في ضبطها .

سلطانَكَ ، فأسكنَ السجنَ بعدَ إحراقِ الأخراقِ شيطانَكَ[1] .

فَمَا أَنَا بِالْبَاكِي عَلَيْكَ صَبَابَةً وَلاَ أَنَا بِالدَّاعِي لِتَرْجِعَ سَالِمَا[2]

ولقد كانَ الأملُ أنْ تُقتَلَ قتلَ الحراذينِ[3] ، أو تموتَ كما ماتَ أَرْبَدُ في سوقِ البراذينِ[4] ، لكنَّ رجاءَ استقامتِكَ ، سببٌ لحياتِكَ بينَ أَظْهُرِنا وإقامتِكَ ، أو لينتدبَ لكَ مِنْ أتباعِكَ مَنْ يشهدُ عليكَ بالمُنكَرِ ، شهادةَ الأعضاءِ علىٰ مَنْ أنكرَ ؛ فمِنَ الرأيِ السديدِ ، ألا يُقطَعَ الحديدُ إلا بالحديدِ[5] ؛ فبمُحاذاةِ القمرِ كسوفُ شمسِهِ ، ولكلِّ شيءٍ آفةٌ مِنْ جنسِهِ[6] .

(١) في (ب) : (البحر) بدل (السجن) ، ويحتمله في (أ) .

(٢) البيت لحصين بن منذر الرَّقاشي ، كما في « التذكرة الحمدونية » (٣/ ٣١٤) ، وهو من الطويل .

(٣) في (ب) : (الجراذين) ، ورمز في (أ) إلىٰ إهمال الإعجام ، **والحراذين** : جمع حرذون ؛ وهي دويبَّة تشبه الحرباء ، **وقيل** : هو الضب .

(٤) **وأربد** : هو رجل من فزارة ، **ومجمل خبره** : أنَّ سيدنا علياً رضي الله عنه بعد أن خطب أهل الكوفة ودعاهم إلىٰ جهاد أهل الشام ، فقال أربد الفزاري : والله ؛ لا نُجيبك ، فقام الأشتر فقال : مَنْ لهـٰذا المارق ؟ فهرب الفزاري ، فلحقت به هَمْدان في سوق تباع به البراذين ، فوطئوه بأرجلهم ، وضربوه بأيديهم ونعال سيوفهم حتىٰ قتل ، ثم وداه سيدنا علي من بيت المال ، وفي ذلك يقول عَلاقة بن عَرَكي التيميُّ : (من الطويل)

أعـوذُ بـربِّـي أنْ تكـونَ منيَّتـي كما ماتَ في سوقِ البراذينِ أَرْبَدُ
تُعـاوِرُهُ هَمْـدانُ خَصـفَ نعـالِهـا إذا رُفِعَـتْ عنـهُ يـدٌ وقعَـتْ يـدُ

انظر « الأخبار الطوال » (ص١٦٤) ، و« التذكرة الحمدونية » (٣/ ٢٢٢ـ٢٢٣) .

(٥) في (ب) : (إلا الحديد) ، فيكون ضبط العبارة : (ألا يقطعَ الحديدَ إلا الحديدُ) ، **وأشار بذلك** : إلىٰ مثل شهير ؛ وهو : (لا يفُلُّ الحديدَ إلا الحديدُ) ، ومثله قولهم : (الحديد بالحديد يفلح) انظر « جمهرة الأمثال » (١/ ٣٤٥) ، و« مجمع الأمثال » (٢/ ٢٣٠) .

(٦) **أشار به** : إلىٰ قول شهاب الدين أبي شامة الدمشقي : (من الكامل)

غَلَبَ التتارُ علىٰ البلادِ فجاءَهُم مِنْ مصرَ تركيٌّ يجودُ بنفسِهِ =

وَلَـرُبَّمَـا أَنْقَلَـبَ ٱلصَّـدِيـ ـقُ فَكَانَ أَخْبَرَ بِٱلْمَضَرَّهْ[1]

لا جَرَمَ تشاءمَ بكَ تابعوكَ ، فهُم بأبخسِ الأثمانِ بائعوكَ ، فارقَكَ مَنْ كانَ رافقَكَ ، وناقفكَ مَنْ كانَ قبلُ نافقَكَ[2] ، وتبرَّأَ منكَ مَنْ كنتَ تَبَرُّ ، وأظهرَ لكَ مِنْ خبايا طواياهُ ما كانَ أسرَّ ؛ حينَ ظهرَتْ شمسُ اليقينِ المُشرِقةُ ، وطلعَتْ عليهِم طلائعُ أهلِ السنَّةِ المحرقةُ ، فجمحوا عنِ الطُّمأنينةِ وليسَ على فارٍّ مِنَ الأُسْدِ قَرارٌ ، وجنحوا إلى الفِرارِ وأينَ أينَ الفرارُ ؟![3] ، هيهاتَ حيلَ بينَ العَيْرِ والنَّزَوانِ !![4] ، ولم تُسعَفْ أمانيُّهُم بالأمانِ ، فطلبَتْهُم خيلُ اللهِ المُدرِكُ إيجافُها[5] ، ورأَوْا بلادَ اللهِ قد لفظَتْهُم أكنافُها[6] ، وتساوتْ في إظهارِهِم

= بـالشـامِ أهلكَهُـم وبـدَّدَ شملَهُـم ولكـلِّ شـيءٍ آفـةٌ مِـنْ جنسِـهِ

انظر « الوافي بالوفيات » (٢٤/ ١٩٠) ، و« النجوم الزاهرة » (٧/ ٨٢) .

(١) في (ب) : (أعلم) بدل (أخبر) ، والبيت أورده الثعالبي في « اللطائف والظرائف » (ص١٤٩) ، وعزاه اليوسي في « زهر الأكم » (١/ ١٦٥) لمنصور الفقيه ، ويعزى لغيره ، وهو من مجزوء الكامل ، وقبله :

احـــذرْ عـــدوَّكَ مـــرةً واحـذرْ صـديقَـكَ ألـفَ مـرَّهْ

(٢) الناقف : الضارب بالسيف على الهام ، وهـذه الكلمة غير منقوطة في (أ) ، فاجتهدنا في ضبطها ، وتحتمل فيها : (وافقك) ، وفي (ب) : (ونافقك من كان قبل نافعك) .

(٣) أخذه من قول المهلهل : (من المديد)

يـا لَبكـرٍ أَنْشِـروا لـي كليبـاً يـا لَبكـرٍ أيـنَ أيـنَ الفِـرارُ

انظر « ديوانه » (ص٣٥) .

(٤) أشار به : إلى مثل شهير يضرب للرجل يحال بينه وبين مراده ، وأول من قاله : صخر بن عمرو أخو الخنساء ضمن أبيات . انظر « جمهرة الأمثال » (١/ ٣٧١ـ٣٧٣) ، و« مجمع الأمثال » (٢/ ٩٦) .

(٥) أي : الذي يُدرِكُ استحثاثُها كلَّ تابع لابن تيمية في خبث معتقده .

(٦) أشار به : إلى بيت أبي تمام : (من الكامل)

ورأَوْا بـلادَ اللهِ قـد لفظَتْهُـمُ أكنـافُهـا رجعـوا إلـى جَـوَّابِ

انظر « ديوانه » (١/ ٨٦) .

نُجودُها وأخيافُها[1] ، حتىٰ نمَّ عليهِمُ الجمادُ ، ونَمَىٰ بخبرِهِم كلُّ مُغْوٍ وهادٍ[2] .

فلو رأيتَهُم وقد دخلُوا في دينِ اللهِ أفواجاً ، ورأَوْا أنْ ليسَ لهُم بُدٌّ مِنْ إصلاحِ العقيدةِ فأخلصَ مَنْ أخلصَ وداجىٰ مَنْ داجىٰ[3] ؛ طمعاً أنْ تهُبَّ رياحُهُم ، أو يعودَ إليهِم صلاحُهُم ، فناداهُم عُرْيانُ نذيرِهِم[4] ، وصدَّقَهُم رائدُ تحذيرِهِم : بأنَّهُ قدِ انقطعَ مَدَدُ ذاكَ الثَّمَدِ[5] ، وارتفعَ ما كانَ يُمنِّي ويَعِدُ ، فانجوا بأنفسِكُم ولا يلتفتْ منكُم أحَدٌ .

قَدْ ذَلَّ شَيْطَانُ ٱلنِّفَاقِ وَأَخْمَدَتْ ... بِيضُ ٱلسُّيُوفِ زَئِيرَ أُسْدِ ٱلْغَابِ[6]

ليسَ الخلاصُ إلا في الإخلاصِ ، وإنْ عُدتُم إلى الجنايةِ فكتابُ اللهِ القصاصُ[7] .

(١) النُّجود : جمع نجد ؛ وهو ما ارتفع من الأرض ، والأخياف : جمع خيف ؛ وهو الناحية ، أو كل هبوط وارتقاء في سفح ، والمراد : اشتهارهم وظهورهم للناس جميعهم .

(٢) كل مُغْوٍ وهادٍ ؛ أي : كل ضال ومهتد ، وهـٰذا التعبير لعله استلَّه من « مقامات الحريري » (ص٨٣ ـ ٨٤) ، وقلنا سابقاً في (١/ ٢٠) : إن من أسباب التكوين الأدبي لابن المعلم حفظَهُ لـ « المقامات » ؛ فـ « المقامات » مادة أساس في تكوين الشخصية الأدبية لابن المعلم رحمه الله تعالىٰ .

(٣) داجىٰ : دارىٰ مُتستِّراً بالعداوة .

(٤) أخذه من مثل شهير عند العرب ؛ وهو : (أنا النذير العُرْيان) ، وله قصة ذكرتْها كتب الأمثال ، وتمثَّل به رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم كما في الحديث الذي أخرجه البخاري (٧٢٨٣) ، ومسلم (٢٢٨٣) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وانظر « مجمع الأمثال » (١/ ٤٨) ، و« إرشاد الساري » (٩/ ٢٧٦) .

(٥) الثَّمد : الماء القليل الذي لا مادة له .

(٦) البيت لأبي تمام في « ديوانه » (١/ ٨٨) ، وهو من الكامل ، وفي (ب) : (سلطان) بدل (شيطان) .

(٧) أشار به : إلىٰ ما أخرجه البخاري (٢٧٠٣) من حديث سيدنا أنس رضي الله عنه : أن =

فاستوتْ بهِم سفينةُ النجاةِ بعدَ اضطرابِها ، واستقامتْ لاستقامةِ قلوبِهم بعدَ انقلابِها ، والتأمَ شملُ إسلامِهم بعدَ الصَّدْعِ .

وَكَانَ فَتْحاً تَعَالَىٰ أَنْ يُحِيطَ بِهِ نَظْمٌ مِنَ ٱلشِّعْرِ أو نَـثْرٌ مِنَ ٱلسَّجْعِ[1]

ولله العزَّةُ ولرسولِهِ وللمؤمنينَ .

ٱللهُ أَكْبَـرُ هَـٰذَا عِـزٌّ مَـنْ عُقِـدَتْ لَهُ ٱلنُّبُوَّةُ قَبْلَ ٱلْخَلْقِ فِي ٱلأَزَلِ[2]

فهُم إخوانُنا في الدِّينِ ما دامُوا على توبتِهم وأقامُوا ، وأَكْفاؤُنا مِنَ المؤمنينَ نستقيمُ لهُم ما استقامُوا .

* * *

= الرُّبيِّع ـ وهي ابنة النضر ـ كسرتْ ثنيَّةَ جارية ، فطلبوا الأرش ، وطلبوا العفو ، فأبَوْا ، فأتَوْا النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمرهم بالقصاص ، فقال أنس بن النضر : أتُكسَرُ ثنيَّةُ الرُّبيِّع يا رسول الله ؟! لا والذي بعثك بالحق ؛ لا تُكسر ثنيتها ، فقال : « يا أنسُ ؛ كتابُ اللهِ القصاصُ » ، فرضي القوم وعَفَوا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إنَّ من عبادِ اللهِ مَنْ لو أقسَمَ على اللهِ لأبرَّهُ » .

(١) أشار به : إلى قول أبي تمام من قصيدته الشهيرة في فتح عمورية : (من البسيط)

فتحَ الفتوحِ تعالىٰ أنْ يُحيطَ بهِ نظمٌ مِنَ الشعرِ أو نثرٌ مِنَ الخُطَبِ

انظر « ديوانه » (١/ ٤٥) .

(٢) البيت لأبي محمد عبد الله بن يحيى الشُّقْرَاطِسِيُّ التَّوْزَري من قصيدته الفائقة « الشُّقْراطسية » في وصف معجزاته صلى الله عليه وسلم ، وقد أوردها كاملة النويري في « نهاية الأرب » (١٨/ ٣٤٧ـ ٣٥٩) وهو من البسيط ، واللفظ فيها :

الملـكُ للهِ هـٰـذا عِـزُّ مَـنْ عُقِـدَتْ لـهُ النبـوةُ فـوقَ العـرشِ فـي الأزلِ

منهج المؤلف إجمالاً في الكتاب، مع ذكر محتواه

ولمَّا رأيتُهُم حَلُّوا ما عقدتَهُ مِنْ عقيدتِكَ المنقوضةِ الأَمْراسِ[1] ، وحَلُّوا حرمَ أهلِ السنَّةِ الذي هوَ أمنٌ ومَثابةٌ للناسِ ، ورأيتُ شغفَهُم بشرفِهِم بالرضا ، وكَلَفَهُم بأَسَفِهِم على ما ضاعَ مِنْ زمنِهِم ومضى ، ورغبتَهُم في التعرُّفِ والاستفادةِ ، وتشوُّفَهُم إلى الضيافةِ التي هيَ أدنى حُقوقِ الوِفادةِ . حَدَاني جميلُ قصدِهِم على إسعافِهِم ، وحَمَلَني حُسْنُ نيَّتِهِم على إجابتِهِم وإتحافِهِم .

فألَّفتُ هٰذا الكتابَ لإيلافِهِم ، سالكاً طريقةً بينَ طريقينِ ، جامعاً شَتاتَ الفريقينِ ، مُستضيئاً بإشراقِ شمسِ العقولِ ، مُستهدِياً بأدلَّةِ المنقولِ ، مُسمِّياً لسالكِ هٰذهِ الطريقةِ مَنْ وافقَهُ عليها مِنَ الأئمَّةِ ، ورافقَهُ فيها مِنْ علماءِ الأمَّةِ ، ناعياً على مَنْ خالفَها فغوى ، ناوياً الخيرَ ولكلِّ عبدٍ ما نوى .

وبوَّبتُهُ أبواباً :

البابُ الأولُ : فيما يُؤيِّدُ التأويلَ مِنْ جهةِ النقلِ .

البابُ الثاني : فيما يُؤيِّدُ التأويلَ مِنْ جهةِ العقلِ .

البابُ الثالثُ : فيمَنْ قالَ بالتأويلِ مِنَ الصحابةِ والتابعينَ .

البابُ الرابعُ : فيمَنْ قالَ بالتأويلِ مِنَ التابعينَ وتابعيهِم .

البابُ الخامسُ : في الطبقةِ الثانيةِ مِنَ التابعينَ وتابعيهِم .

(١) **الأَمْراس** : الحبال ، **وحلُّوا بمعنى** : فكُّوا ، والآتيةُ مباشرةً **بمعنى** : نزلوا .

البابُ السادسُ : فيمَنْ وافقَ كلامُهُ في المعارفِ كلامَ الأشعريِّ مِنَ الصُّلَحاءِ والأولياءِ .

البابُ السابعُ : في فضلِ أبي الحسنِ الأشعريِّ رحمَهُ اللهُ .

البابُ الثامنُ : في ذكرِ أتباعِهِ ممَّنْ ذكرَهُمُ الحافظُ ابنُ عساكرَ .

البابُ التاسعُ : في ذكرِ جماعةٍ لم يذكرْهُمُ الحافظُ ابنُ عساكرَ .

البابُ العاشرُ : في ذكرِ العلماءِ المعاصرينَ مُؤيِّدي الحقِّ والناصرينَ[1] .

البابُ الحادي عَشَرَ : في الطعنِ علىٰ رواةِ أحاديثَ مناكيرَ ، وتجريحِ رجالِهِم .

البابُ الثاني عشرَ : جوابُ السائلِ علىٰ مذهبِ أهلِ الحقِّ .

البابُ الثالثَ عشرَ : الإشارةُ إلىٰ تأويلِ الظواهرِ المُوهِمةِ .

البابُ الرابعَ عشرَ : ما يُؤدِّي إليهِ مذهبُهُم في الفتاوى الأربعِ التي أفتَوْا بها .

البابُ الخامسَ عشرَ : فُتيا العلماءِ فيما تقدَّمَ مِنَ الزمانِ إلى الذينَ فيهِم[2] .

البابُ السادسَ عشرَ : في التحذيرِ مِنْ فئتِهِم ، وفيهِ فصولٌ .

وسمَّيتُهُ :

«نجمَ المهتدي ورجمَ المعتدي»

وجرَّدتُهُ عنِ الأسانيدِ ، وإنْ كانَ أكثرُ ما فيهِ مِنَ المسانيدِ ؛ خِيفةَ الإطالةِ علىٰ مُطالعِهِ ، وإسراعاً بظهورِ النورِ مِنْ مَطالعِهِ ، واتِّباعاً لإشارةِ مَنْ أشارَ

(١) اللفظ فيما سيأتي (٢/ ١١٩) : (المؤيدين للحق الناصرين) .

(٢) اللفظ فيما سيأتي (٢/ ٤٢٩) : (فتيا العلماء ممَّن تقدَّم إلىٰ زماننا فيهم) .

بحذفِ الأسانيدِ كما تقدَّمَ[1] ، ومَنِ استشارَ ناصحاً لم يتندَّمْ .

وسبيلُ مَنْ وقفَ عليهِ مِنَ المُتصدِّقينَ والعلماءِ المُحقِّقينَ ـ أعني بذلكَ : النفرَ الأشعريِّينَ ، الذينَ هم بجواهرِ كلامِهم أغنَوْا عنِ الجوهريِّينَ[2] ـ : أنْ يُصلِحَ هفواتِ اللسانِ التي توهَّمتُها مِنْ قبيلِ الإحسانِ[3] ؛ فلا بدَّ مِنْ عليمٍ فوقَ كلِّ ذي علمٍ ، وإنَّ العصا قُرِعَتْ لذي الحلمِ[4] ، ومَنْ ذا الذي تُرضَى سجاياهُ كلُّها ومَناقبُهُ ؟! وكفى المرءُ فخراً أنْ تُعَدَّ معايبُهُ[5] .

هـٰذا ؛ إن لَحَظَها بعينِ الرضا الكليلةِ عنِ المعايبِ ، فإنْ نَظَرَها بعينِ السُّخطِ فقلْ ما شئتَ في هاجٍ هاجَ وعايبٍ[6] .

(١) أي : تعليقاً بخطه على هامش (أ) انظر (١/ ٧٩) .

(٢) وخصَّص الأشعرين بذلك ؛ إشارة إلىٰ بعض المبتدعة العابثين الذين يعتقدون تغيير عبارات علماء أهل السنة وتحريفها والزيادة فيها . . من الدين المتين والنصح للمسلمين ، وهـٰذا من الكذب والغش الذي حذَّر منه سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، وأمثلة تزويرهم وتحريفهم كثيرة وخصوصاً لمن عمل في تحقيق التراث والنظر في الأصول الخطية ، بل لم يقف الأمر على الكذب والتزوير والغش ، بل تعدَّاه إلىٰ إفناء بعض كتب العقيدة والتصوف وإعدامها بكافة الوسائل ، وهـٰذا يذكرنا بأعداء الحضارة الإسلامية بل الإنسانية ؛ المغول والصليبين عندما أعدموا كثيراً من الكتب المفيدة النافعة .

(٣) وقد اجتهدت في ضبط الكتاب وتحقيقه وإخراجه إلىٰ عالم النور بصورة ترضي المؤلف وتقر عينه بها ، فالحمد لله علىٰ ذلك .

(٤) **أشار به** : إلىٰ مثل شهير عند العرب ؛ أي : إن الحليم إذا نُبِّه انتبه . انظر « مجمع الأمثال » (١/ ٣٧) ، و« تاج العروس » (٢١/ ٥٣٦) ، مادة : (ق ر ع) .

(٥) **أشار به** : إلىٰ بيت شهير ليزيد بن محمد المهلبي ، ونسب لغيره ؛ وهو : (من الطويل)

ومَنْ ذا الذي تُرضَى سجاياهُ كلُّها كفى المرءُ نبلاً أنْ تُعَدَّ معايبُهْ

انظر « نهاية الأرب » (٣/ ٩٤) .

(٦) **أشار به** : إلىٰ بيت عبد الله بن معاوية الجعفري ، ونسب لغيره ؛ وهو : (من الطويل)

وعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ ولـٰكنَّ عينَ السُّخطِ تُبدي المساويا

انظر « عيون الأخبار » (٣/ ١١) ، و« الحيوان » (٣/ ٤٨٨) .

هٰذا ؛ معَ أنِّي لم آلُ في النُّصحِ جَهْداً ، ولم أقصِدْ مدحاً ولا حَمْداً ، لٰكنْ قصدتُ وجهَ اللهِ بذلكَ مُحرَّراً ؛ رجاءَ النفعِ بهِ يومَ تجدُ كلُّ نفسٍ ما عملَتْ مِنْ خيرٍ مُحضَراً .

وهوَ المسؤولُ في الهدىٰ والسَّدادِ في العملِ والمَنْطِقِ ، والإمدادِ بالصوابِ فهوَ المُرشِدُ والمُنطِّقُ[1] ، وهوَ حسبي ونعمَ الوكيلُ ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ .

* * *

(١) كذا ضبطت في (أ) .

الباب الأوّل

فيما يؤيّد أهل السنّة في التأويل من جهة النقل المأثور من الكتاب والسنّة الناطقة بالصواب

الباب الأوّل

فيما يؤيّد أهل السنّة في التأويل من جهة النقل المأثور من الكتاب والسنّة الناطقة بالصواب

ولنُقدِّمْ على ذلكَ مُقدِّمةً ؛ فنقولُ لهؤلاءِ القائلينَ بالظواهرِ :

نحنُ نسرُدُ عليكُم آياتٍ مِنَ الكتابِ العزيزِ ، وأخباراً وردَتْ عن سيِّدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإنْ أنتُم حملتُمُوها على ظاهرِها جرياً على قاعدتِكُمُ الواهيةِ ، واتِّباعاً لفئتِكُمُ الغاويةِ . . فقد أَبَقْتُم مِنْ مولاكُم أشدَّ إباقٍ ، واستوجبتُم ضربَ الأعناقِ .

وإنْ جنحتُم إلى تأويلِ مُشكِلِها ، وجمحتُم عن حملِها على الظاهرِ مِنْ مَحمَلِها . . **فنقولُ** : أيُّ دليلٍ دلَّكُم عليهِ ؟ وأيُّ هادٍ أرشدَكُم إليهِ ؟ فيَضطرُّهُمُ انقطاعُ الحُجَجِ ، إلى سلوكِ ما عليهِ المُؤوِّلونَ مِنَ النَّهَجِ .

ويقولُونَ : دلَّنا العقلُ على التأويلِ ؛ خيفةً مِنَ الوقوعِ في المستحيلِ .

فنقولُ لهُم : وكذلكَ أيضاً دلَّنا على تأويلِ جميعِ الظواهرِ ؛ خشيةً مِنْ وصفِ اللهِ تعالى بما يستحيلُ عليهِ عقلاً ، فنسألُ اللهَ الهدايةَ لنا ولهُم بمنِّهِ وكرمِهِ[1] .

* * *

(١) وللإمام الكوثري تعليقات نفيسة حول هذا الموضوع كتبها على « السيف الصقيل » انظر (ص١٤٨) وما بعدها ، وللإمام الغزالي أيضاً جزء لطيف قيّم في هذا البحث سمّاه « قانون التأويل » لا غنى عنه للباحث .

فصل

فيما ورد في الكتاب العزيز مما يحتاج فيه إلى التأويل

وأنا أذكرُ الآيةَ والخبرَ ، وأُومئُ إلى السببِ المُوجِبِ للتأويلِ ، وأُشيرُ إلىٰ بعضِ تأويلاتِهِ مِنْ غيرِ إسهابٍ ولا إطالةٍ ؛ فإنَّ العلماءَ قد صنَّفُوا في ذلكَ كتباً استوعبوا الكلامَ فيها ، فلتُكشَفْ في مَظانِّها[1] ، وليسَ الغرضُ إلا إقامةَ الحُجَّةِ عليهِم .

[**تأويلُ قولِهِ تعالىٰ** : ﴿ مَآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾]

فمِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ مَآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾ [النساء : ٧٩] .

ظاهرُها يقتضي : نسبةَ الخيرِ إلى اللهِ ؛ وهوَ الحسنةُ ، والشرِّ إلى العبدِ ؛ وهوَ السيِّئةُ ، **فاتَّفقْنا نحنُ وهم علىٰ تأويلِها وحملِها علىٰ محاملَ شتَّىٰ** ، معَ اتِّفاقِنا علىٰ أنَّ الخطابَ لهُ والمرادَ أُمَّتُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

فالتأويلُ الأولُ : أنْ تكونَ (مِنْ) هنا للسببيَّةِ ؛ كقولِهِ : ﴿ مِمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا ﴾ [نوح : ٢٥][2] ؛ أي : بسببِ خَطَاياهُم أُغرِقُوا فأُدخِلُوا ناراً .

(١) **ومن هـٰذه الكتب علىٰ سبيل المثال** : « دفع شبه التشبيه » للإمام ابن الجوزي ، مع تعليقات العلامة المحقق محمد زاهد الكوثري ، و« مشكل الحديث وبيانه » للإمام الكبير أبي بكر ابن فُورك ، و« تأسيس التقديس » للإمام الحجة فخر الدين الرازي ، و« إيضاح الدليل » لابن جماعة .

(٢) المثبت قراءة أبي عمرو بن العلاء البصري ، وقرأ الباقون : (خطيئاتهم) انظر « إتحاف فضلاء البشر » (ص٥٥٨) .

وقالَ الفرَّاءُ : معنى قولِهِ : ﴿ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ [الأحقاف : ٣١] : مِنْ أجلِ وقوعِ الذنبِ منكُم ، كما تقولُ : (قدِ اشتكيتُ مِنْ دواءٍ شربتُهُ) ، وتقولُ : (ماتَ مِنْ سقطةٍ سقطَها)[١] ؛ أي : بسببِ سقطةٍ ؛ وذلكَ كقولِهِ : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى : ٣٠] .

فكأنَّهُ قالَ : ما أصابَ أمَّتَكَ مِنْ حسنةٍ ؛ وهيَ النصرُ والغنيمةُ . . فمِنَ اللهِ ، وما أصابَهُم مِنْ سيئةٍ ؛ وهيَ الهزيمةُ يومَ أحدٍ . . فمِنْ أنفسِهِم ؛ بسببِ تأخُّرِ الرُّماةِ عنِ الموضعِ الذي أمرَهُم بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

والتأويلُ الثاني : على أنَّ (مِنْ) للسببيَّةِ أيضاً ؛ ما أصابَ أمَّتَكَ مِنْ حسنةٍ فمِنَ اللهِ تقديرُها ، وما أصابَها مِنْ سيئةٍ فبسببِ معاصيها ، وينشأُ عن هٰذا التأويلِ أمرانِ :

أحدُهُما : أنْ يُقالَ : ما كانَ مِنَ الخِصْبِ فمِنَ اللهِ ، وما كانَ مِنَ الجَدْبِ فبسببِ شؤمِ المعاصي ، والحسنةُ تُطلَقُ على الخصبِ ، والسيئةُ على الجدبِ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [الأعراف : ١٦٨] ، ذكرَ ذلكَ الإمامُ أبو نصرِ بنُ القشيريِّ[٢] .

والأمرُ الثاني : ما أصابَكَ مِنْ حسنةٍ فسببُها طاعةُ اللهِ ، وما أصابَكَ مِنْ سيئةٍ فسببُها السيئةُ ؛ فإنَّ السيئةَ ربَّما تكونُ سببَ السيئةِ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴾ [البقرة : ٦١] ، فجعلَ العِصْيانَ علَّةً للكفرِ ، والقتلَ سبباً لهُ[٣] .

(١) نقله عنه أبو بكر الأنباري في « الزاهر في معاني كلمات الناس » (١/ ١٧) ، وانظر « معاني القرآن » للفراء (٣/ ١٨٧) .

(٢) انظر « النكت والعيون » (١/ ٥٠٩) ، والإمام أبو نصر ستأتي ترجمته في (١/ ٤٥١) .

(٣) لعل الأنسب في السياق : (فجعل العصيان والاعتداء سبباً وعلةً للكفر وقتل الأنبياء) ، والله أعلم .

التأويلُ الثالثُ : أنَّ القولَ مُضمَرٌ في الآيةِ ، دلَّ عليهِ قولُهُ قبلُ : ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَٰذِهِ مِنْ عِندِكَ﴾ [النساء : ٧٨] ، قائلينَ لكَ ، أو يقولُ بعضُهُم لبعضٍ : ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ ، والقولُ كثيراً ما يُضمَرُ في القرآنِ وفي الشعرِ ، وليسَ هٰذا موضعَ استيعابِ ذلكَ[1] .

التأويلُ الرابعُ : أنْ يكونَ ذلكَ على إضمارِ الاستفهامِ ، وهوَ أيضاً كثيراً ما يُضمَرُ[2] ؛ تقديرُهُ : (أفمِنْ نفسكَ ؟!) كما قالَ تعالىٰ : ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ﴾ [الشعراء : ٢٢] ، والتقديرُ : (أَوَتلكَ نعمةٌ تمنُّها عليَّ ؟!) ، ذكرَ ذلكَ ابنُ القشيريِّ .

فلِمَ تُؤوِّلونَ هٰذا الظاهرَ لمَّا دلَّ عليهِ الدليلُ العقليُّ ؟

فإنْ قالُوا : نحنُ لم نُؤوِّلْ هٰذهِ الآيةَ بالدليلِ العقليِّ ، وإنَّما أوَّلْناها للنقلِ الواردِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ وهوَ قولُهُ : « لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ »[3] ، وأمثالُ هٰذا كثيرٌ .

فالجوابُ : أنْ يُقالَ : هٰذهِ كلُّها علىٰ رأيِكُم ظواهرُ ظنِّيةٌ ، وقد وردَتْ ظواهرُ أخرىٰ تُقابلُها مِنَ القرآنِ ومِنَ السنَّةِ ؛ **أمَّا مِنَ القرآنِ** ؛ فقولُهُ : ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص : ١٥] ، وقولُهُ : ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء : ٢٧] ، وأمثالُ هٰذهِ الآياتِ كثيرٌ .

(١) **ومن ذلك** : قوله تعالىٰ : ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ [البقرة : ١٢٧] أي : يقولان : ربنا . انظر « أمالي ابن الشجري » (١/ ٨٦ـ٨٧ ، ٢/ ١٠) .

(٢) وهو مخصوص بالهمزة التي هي أصل في الاستفهام . انظر « مغني اللبيب » (١/ ١٩ـ٢٠).

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ١٨١) ، وابن أبي عاصم في « السنة » (١٣٣) ، والبيهقي في « القضاء والقدر » (١٣٤) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

وأمَّا مِنَ السنَّةِ : فقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ »[1] ، وأمثالُ هـٰذا كثيرٌ .

فهـٰذهِ الظواهرُ تُقابِلُ تلكَ الظواهرَ ، فلم يبقَ إلا الأدلَّةُ العقليَّةُ التي دلَّتْ علىٰ تأويلِ الجميعِ ، فهـٰذا ما لا محيدَ عنهُ .

[تأويلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] .

في الآيةِ الكريمةِ نفيٌ وإثباتٌ وردا على الرمي ظاهراً ، فلا بدَّ مِنْ تأويلِ أحدِهِما قطعاً ؛ خيفةَ التناقضِ ، وقد وافقُونا علىٰ تأويلِهِ ، ولهُ تأويلاتٌ :

أحدُها : وما رميتَ الرعبَ حينَ رميتَ الكفَّ مِنْ ترابٍ وحصىً ، ولـٰكنَّ اللهَ رمىٰ في قلوبِهِمُ الرعبَ والذُّعْرَ ؛ فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « شَاهَتِ الْوُجُوهُ »[2] .

التأويلُ الثاني : وما رميتَ بقوَّتِكَ حينَ رميتَ فوصلَ إلىٰ عينِ كلِّ مشركٍ مِنْ ترابِ رَمْيَتِكَ جزءٌ ، ولـٰكنَّ اللهَ الذي أوصلَ ذلكَ بقوَّتِهِ .

التأويلُ الثالثُ : وهوَ مِنْ مادَّةِ التأويلِ الثاني ، وإنَّما اختلفَ للاختلافِ في سببِ النزولِ ؛ وهوَ أنَّ أُبيَّ بنَ خلفٍ أقبلَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يومَ أُحُدٍ ، فاعترضَهُ رجالٌ مِنْ أصحابِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأمرَهُم رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنْ يُخلُّوا سبيلَهُ ، فخلَّوْا سبيلَهُ ، فطعنَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بحربةٍ في فُرْجةٍ بينَ البيضةِ والدِّرعِ مِنْ

(١) أخرجه مسلم (٧٧١) وغيره من حديث سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم (١٧٧٧) عن سيدنا سلمة ابن الأكوع رضي الله عنه .

تَرْقُوَتِهِ[1] ، فسقطَ أُبيٌّ عن فرسِهِ ولم يخرجْ مِنْ طعنتِهِ دمٌ ، فقالَ لهُ أصحابُهُ وهوَ يخورُ خُوارَ الثورِ : ما أعجزَكَ !! إنَّما هوَ خَدْشٌ ، فقالَ : والذي نفسي بيدِهِ ؛ لو كانَ هـٰذا الذي بي بأهلِ ذي المَجازِ لماتُوا أجمعينَ ، فماتَ قبلَ أنْ يَقدَمَ مكَّةَ ، وفيهِ نزلَ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ .

هـٰذهِ طعنةٌ لم يظهرْ لها في الظاهرِ دمٌ أنفذَها اللهُ في الباطنِ ، روىٰ هـٰذا السببَ سعيدُ بنُ المُسيِّبِ[2] .

فالذي أحوجَ إلى التأويلِ : اجتماعُ النفيِ والإثباتِ في الحالِ الواحدِ ، ومِنْ أينَ علمتُمُ استحالةَ اجتماعِ النفيِ والإثباتِ إلا مِنَ العقلِ ؟! **فما يمنعُكُم مِنَ التأويلِ حيثُ أرشدَكُمُ العقلُ ؟!**

فهـٰذا شاهدٌ ثانٍ مِنَ الكتابِ العزيزِ .

[تأويلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ . . . ﴾]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٣] فإنَّ تقديرَ الإسماعِ معَ علمِ اللهِ فيهِمُ الخيرَ لا يُتصوَّرُ معَهُ التولِّي والإعراضُ عندَ الإسماعِ ، فلا مندوحةَ عنِ التأويلِ .

فالمعنىٰ واللهُ أعلمُ : ولو علمَ اللهُ فيهِمُ الخيرَ لأسمعَهُم إسماعَ تفهيمٍ ؛ لأنَّهُ تقدَّمَ قبلَهُ ما يدُلُّ ؛ وهوَ قولُهُ : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَٱلَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال : ٢١] ، ثمَّ عقَّبَ ذلكَ بقولِهِ : ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الأنفال : ٢٢] ، فذكرَ العقلَ الذي هوَ أداةُ التفهيمِ

(١) البيضة : خوذة من حديد توضع على الرأس ، والتَّرْقُوة : العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق .

(٢) رواه عن أبيه كما في « المستدرك » (٢/ ٣٢٧) ، وانظر « الدر المنثور » (٤/ ٤١) .

بقولِهِ : ﴿ لَأَسْمَعَهُمْ ﴾ أي : أسمعَهُم إسماعَ تفهيمٍ ، لكنَّهُ علمَ عنادَهُم وكفرَهُم فلم يُسمِعْهُم ولم يُفَهِّمْهُم ، ولو فهَّمَهُم معَ عنادِهِم لتولَّوْا وهم معرضونَ عناداً وكفراً .

وإلى هٰذا المعنى أشارَ الإمامُ أبو نصرٍ القشيريُّ ؛ فقالَ : (﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ﴾ أي : سبقَ علمُهُ بسعادتِهِم لأسمعَهُم ؛ أي : سمعَ تفهيمٍ ، ﴿ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ ﴾ أي : لو فُهِّموا أيضاً لَمَا آمنوا بعدَ علمِهِ الأزليِّ بكفرِهِم) .

فهٰذهِ الآيةُ الكريمةُ أيضاً أرشدَنا إلى تأويلِها العقلُ ، وهيَ أيضاً شاهدٌ عزيزٌ مُعزِّزٌ .

[تأويلُ قولِهِ تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ [الأنفال : ٢٤] .

بالاتِّفاقِ منَّا ومنكُم : أنَّ اللهَ تعالى مُنزَّهٌ عن سماتِ المُحدَثاتِ[1] ؛ لا يحُلُّ في شيءٍ ولا يحُلُّ فيهِ شيءٌ ، فظاهرُ الآيةِ يقتضي : الحيلولةَ بينَ العضوِ نفسِهِ وبينَ الإنسانِ ، وهٰذا مستحيلٌ عندَنا وعندَ مَنْ لا يتأوَّلُ ، بل وعندَ المُجسِّمةِ أيضاً ، فكلُّنا يجنحُ إلى التأويلِ ضرورةً ، ولهُ تأويلاتٌ :

الأولُ : أنَّ اللهَ تعالى قالَ قبلَ ذلكَ : ﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [الأنفال : ٢٤] أي : أجيبوا دعاءَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى اللهِ قبلَ أنْ يُحالَ بينَكُم وبينَ عقولِكُم ، فلا تقدرونَ على الإيمانِ ولا تُمكَّنونَ ؛ بزوالِ العقلِ .

(١) في (ب) : (الحوادث) .

وقالَ السُّدِّيُّ : (﴿ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ فلا يستطيعُ أنْ يؤمنَ إلا بإذنِهِ ، ولا يكفرَ إلا بإذنِهِ ومشيئتِهِ)[1] .

يُؤَيِّدُ ذلكَ : قولُهُ : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [يونس : ١٠٠] ، واكتفىٰ بأحدِ القسمينِ عنِ الآخرِ ؛ كما قالَ : ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ [النحل : ٨١] ، **والمرادُ** : والبردَ .

وقيلَ : يحولُ بينَ المرءِ وبينَ ما يتمنَّاهُ مِنْ طولِ البقاءِ ، **والغرضُ** : تركُ تسويفِ التوبةِ .

وقيلَ غيرُ ذلكَ مِنَ التأويلاتِ .

ومِنْ هٰذا البابِ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « قَلْبُ ٱلْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ ٱلرَّحْمَٰنِ » ، وسيأتي الكلامُ عليهِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[2] .

[تأويلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء : ٢] .

اتَّفقْنا نحنُ وإيَّاهُم علىٰ تأويلِ هٰذهِ الآيةِ ، وعدمِ إجرائِها علىٰ ظاهرِها ، مُقابلينَ للمعتزلةِ الذينَ استدلُّوا بظاهرِ قولِهِ : ﴿ مُّحْدَثٍ ﴾ علىٰ خلقِ الكلامِ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ علوّاً كبيراً .

وحملَهُ علماءُ الحنابلةِ والأشعريَّةُ ومَنْ قبلَهُم علىٰ تأويلٍ ؛ وهوَ عودُ الضميرِ في (مُحدَثٍ) على الإتيانِ ؛ لأنَّ جبريلَ عليهِ السلامُ يأتي بهِ شيئاً

(١) أخرجه الطبري في « تفسيره » (٢٤/ ٤٧١) ، وأورده ابن أبي حاتم في « تفسيره » تحت رقم : (٨٩٥٧) .

(٢) انظر (١/ ١٦٥ـ١٦٦) .

بعدَ شيءٍ ، وإلىٰ ذلكَ أشارَ القشيريُّ[1] .

[تأويلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ [الزخرف : ٨٤] .

اتَّفقْنا نحنُ وإيَّاهُم علىٰ تأويلِ هٰذهِ الآيةِ ؛ قالَ الإمامُ أبو نصرِ بنُ القشيريِّ : (هٰذا تكذيبٌ لهُم في أنَّ للهِ شريكاً وولداً ؛ أي : هوَ المُستحِقُّ العبادةَ في السماءِ والأرضِ)[2] .

وقيلَ : هوَ إلٰهٌ في السماءِ ، وإلٰهٌ في الأرضِ .

قالَ أبو عليٍّ : (إلٰهٌ) رُفعَ بأنَّهُ خبرُ مبتدأٍ محذوفٍ ؛ أي : وهوَ الذي في السماءِ هوَ إلٰهٌ ، وحسُنَ حذفُ هٰذهِ [الصِّلةِ] لطولِ الكلامِ[3] ، كما تقولُ : (الأميرُ في هٰذهِ البلدةِ فلانٌ) أي : الولايةُ لهُ[4] ، فهيَ إخبارٌ عنِ الإلٰهيَّةِ في السماءِ والأرضِ لا عنِ الكونِ في السماءِ والأرضِ .

وكذلكَ القولُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام : ٣] .

ويُضافُ إلى التأويلاتِ في هٰذهِ الآيةِ : أنَّهُ بالعلمِ ، والدليلُ عليهِ : قولُهُ : ﴿ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام : ٣] .

(١) انظر « الإنصاف » للإمام الباقلاني (ص ٧٠ـ٧١) ، و« تفسير القرطبي » (١١/ ٢٦٧ ، ١٥/ ٢٤٩) .

(٢) انظر « تفسير القرطبي » (١٦/ ١٢١) .

(٣) في نسختينا : (الصفة) ، ولعل الصواب ما أثبت ، وانظر « تفسير القرطبي » (١٦/ ١٢١)، و« الدر المصون » (٩/ ٦٠٩) ، و« اللباب » (١٧/ ٢٩٩) ، وأبو علي : هو الفارسي النحوي الشهير شيخ ابن جني .

(٤) ومثل له القرطبي (٦/ ٣٦٠) لإيضاح معنى الآية : (زيد الخليفة في الشرق والغرب ؛ أي : حكمه) .

وقيلَ : (في) بمعنىٰ (علىٰ) كقولِهِ : ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه : ٧١] أي : علىٰ جذوعِ النخلِ ؛ أي : هوَ القادرُ على السماءِ والأرضِ .

وقيلَ : وهوَ الذي في السماءِ ـ أي : عندَ أهلِ السماءِ ـ إلـٰهٌ وعندَ أهلِ الأرضِ إلـٰهٌ ، ذكرَهُ الماورديُّ[1] .

وقيلَ : وهوَ الذي في السماءِ إلـٰهٌ واحدٌ وفي الأرضِ إلـٰهٌ واحدٌ ، نقلَ ذلكَ الماورديُّ عن مقاتلٍ[2] .

فهنا يُقالُ لمقاتلٍ وشيعتِهِ[3] : أتؤوّلونَ في هـٰذهِ الآيةِ ، وتمتنعونَ عنِ التأويلِ في قولِهِ : ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك : ١٦] ، ﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك : ١٧] ؟! وهلا أوَّلتُم في الموضعينِ ، أو تركتُمُ التأويلَ في الموضعينِ ، والمقتضي لتأويلِهما واحدٌ ؛ وهوَ دخولُ (في) التي أصلُها للظرفيَّةِ .

فإنْ قُلتُم : دلَّنا علىٰ ذلكَ الدليلُ العقليُّ ؛ وهوَ أنَّهُ يستحيلُ أنْ يكونَ في السماءِ وفي الأرضِ في آنٍ واحدٍ .

قُلْنا : والدليلُ العقليُّ أيضاً دلَّنا على استحالةِ أنْ تُحيطَ بهِ سماءٌ ، أو تُؤويَهُ ناحيةٌ أو أرجاءٌ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ علوّاً كبيراً .

(١) النكت والعيون (٥/ ٢٤١) .

(٢) النكت والعيون (٥/ ٢٤١) ، وانظر « تفسير مقاتل بن سليمان » (٣/ ٨٠٦) .

(٣) ومقاتل : هو المفسر أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠هـ) ، وهو من المجسِّمة القائلين بأنَّ لله جسماً وجهة وأنه علىٰ صورة الإنسان ، تعالى الله عما يقول المبطلون علوّاً كبيراً ، وقال الإمام السيوطي في سياق تعداده لتفاسير ضعفاء التابعين : (ومنها : تفسير مقاتل بن سليمان ، وقد نسبوه إلى الكذب ، وقال الشافعي رضي الله عنه : « مقاتل قاتله الله » ، وإنما قال الشافعي فيه ذلك ؛ لأنه اشتَهر عنه القولُ بالتجسيم) انظر « مقالات الإسلاميين » (ص١٥٣) ، و« الدر المنثور » (٨/ ١٠٧) ، و« التفسير والمفسرون » (١/ ٦١) .

[تأويل قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] .

اتَّفقَ سائرُ الطوائفِ علىٰ تأويلِ هٰذهِ الآيةِ حتَّى المُجسِّمةُ ؛ لاستنادِها إلىٰ أمرٍ محسوسٍ مُشاهَدٍ ؛ وهوَ قولُهُ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ ، والمُشاهَدُ المَرئيُّ إنَّما هوَ مبايعةُ الرسولِ وحدَهُ ، فالتأويلُ لا بدَّ منهُ في هٰذا الموطنِ ، وهٰذهِ الآيةُ علىٰ حدِّ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء : ٨٠] .

وأكَّدَ هٰذهِ المبايعةَ التي هيَ للتشريفِ ، وإظهارِ علوِّ المنزلةِ ، والتنويهِ بالقدرِ ؛ أنَّ مَنْ بايعَهُ بايعَ اللهَ . . بقولِهِ : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ، وقسَمَ الحالَ إلىٰ مُوفٍ وناكثٍ ؛ فقالَ : ﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1] [الفتح : ١٠] ، فأكَّدَ ذلكَ المجازَ الأولَ بالمجازِ الثاني ؛ وهوَ قولُهُ : ﴿ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ .

وفي قولِهِ تعالىٰ : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ تأويلاتٌ :

منها : يدُ اللهِ بالوفاءِ لهُم بما وعدَهُم مِنَ الجنَّةِ فوقَ أيديهِم بالوفاءِ بالعهدِ حينَ بايعوكَ ؛ أي : إنَّ اللهَ أوفىٰ منهُم ؛ مثلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة : ١١١] .

والتأويلُ الثاني : أنَّ نعمةَ اللهِ عليهِم فوقَ ما صنعُوا ؛ فيدُ اللهِ بالمِنَّةِ بالهدايةِ فوقَ أيديهِم بالطاعةِ .

(١) قرأ بالنون من ﴿ فَسَنُؤْتِيهِ ﴾ نافع وابن كثير وابن عامر . انظر « إتحاف فضلاء البشر » (ص٥٠٩) .

والتأويلُ الثالثُ : قوَّةُ اللهِ ونصرُهُ فوقَ قوَّتِهم ؛ أي : لِتكُنْ ثقتُكَ بربِّكَ أكثرَ مِنْ ثقتِكَ بنصرِهم لكَ .

ذكرَ هـٰذهِ التأويلاتِ ابنُ القشيريِّ في « تفسيرِهِ »[1] .

والتأويلُ الرابعُ : عونُ اللهِ إيَّاهُم فوقَ عونِهم لكَ ، واليدُ : العونُ ، كما تقولُ : (أمَّا يدُكَ علىٰ كذا) أي : عونُكَ عليهِ ، ومنهُ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ذِمَّةُ ٱلْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ ، يَسْعَىٰ بِهَا أَدْنَاهُمْ ، وَهُمْ يَدٌ عَلَىٰ مَنْ سِوَاهُمْ »[2] .

وأشارَ الشيخُ أبو محمدٍ المَرْجانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ إلىٰ لطيفةٍ حسنةٍ[3] ؛ وهوَ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا طلبَ مِنَ الصحابةِ البيعةَ في ذلكَ الوقتِ ، فقالَ مُترجِمُهُم والمُتكلِّمُ عنهُم : (لو أمرتَنا أنْ نضربَ أكبادَها إلىٰ بَرْكِ الغِمادِ . . لفعلْنا)[4] ، وقالُوا : (لا نقولُ لكَ كما قالَ قومُ موسىٰ لموسى : ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ ﴾ [المائدة : ٢٤])[5] ، وعلمَ منهُم صدقَ النيَّةِ في إخلاصِ المعاملةِ . . خرجَتْ إليهِم خِلَعُ التشريفِ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ ، فأسندَ البيعةَ لهُ وجعلَ المعاملةَ معَهُ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [التوبة : ١١١] ،

(١) انظر « تفسير القرطبي » (١٦/ ٢٦٧ـ٢٦٨) .

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥٣٠) ، والنسائي (٨/ ١٩) ، وأحمد (١/ ١٢٢) عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو في « البخاري » (٣١٧٩) ، و« مسلم » (١٣٧٠) دون الجملة الأخيرة .

(٣) المرجاني : هو أبو محمد عبد الله بن محمد القرشي التونسي المالكي ، ستأتي ترجمته في (٢/ ٢٤٣ـ٢٥٢) .

(٤) أخرجه مسلم (١٧٧٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٥) أخرجه البخاري (٤٦٠٩) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وفي هـٰذا الموضع بياض في (أ) بمقدار سطر تقريباً ، ونبه عليه في (ب) .

﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ﴾ ، ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ .

ولوِ استوعبتُ ما ذكرَهُ في هٰذهِ الآيةِ لخرجَ المختصرُ عن حدِّ الاختصارِ ، وفيما ذكرتُهُ مَقْنَعٌ .

[تأويلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦] .

الوريدُ : العِرْقُ الذي في باطنِ العنقِ والحلقِ ، قالَ ذلكَ الزجَّاجُ[1] .

وقيلَ : هوَ عِرْقٌ تحتَ اللسانِ ، وقيلَ : هوَ عِرْقٌ يتَّصلُ بالقلبِ ، والقُرْبُ هنا هوَ قربُ العِلْمِ .

فليتَ شعري أيُّها المُحيِّزُ !! ماذا تقولُ ؟! أتُراكَ تقولُ : هوَ في جهةِ العُلُوِّ في حالةٍ هوَ أقربُ إلىٰ كلِّ إنسانٍ مِنْ حبلِ وريدِهِ ، أم يقهرُكَ التأويلُ هنا فلا تقدرَ أنْ تُنكِرَ المحسوسَ ؟! ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١] .

إنْ قُلتَ بهٰذا القربِ بالذاتِ معَ قولِكَ بالجهةِ . . لزمَ انفصالُهُ عنِ الجهةِ العلويَّةِ وأنتَ لا تقولُ بهِ ، واتِّصالُهُ بالذاتِ بالمخلوقِ وأنتَ لا تقولُ بهِ ، أو بالذاتِ في آنٍ واحدٍ أقربُ إلى المخلوقِ مِنْ حبلِ الوريدِ مستوٍ على العرشِ ، وفي ذلكَ ما لا يخفىٰ عمَّنْ لهُ أدنىٰ مُسْكةٍ مِنْ عقلٍ .

[تأويلُ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ . . . ﴾]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ . . . ﴾ إلىٰ قولِهِ : ﴿ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ [المجادلة : ٧] .

(١) معاني القرآن وإعرابه (٥/ ٤٤) .

أنتُم أيُّها المُحيِّزونَ القائلونَ بالجهةِ الحاملونَ لقولِهِ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] على ظاهرِهِ . . أتُراكُم تقولُونَ بالظاهرِ في الآيتينِ ؛ فيكونَ على العرشِ بالذاتِ [ومعَنا] بالذاتِ في آنٍ واحدٍ ، أم تقولُونَ بالتأويلِ في إحدى الآيتينِ ؟!

إنْ قلتُم بالأوَّلِ . . **فباطلٌ مِنْ وجوهٍ** :

الأوَّلُ : أنَّهُ يلزمُ مِنْ ذلكَ الانفصالُ عن جهةِ العُلُوِّ ، وأنتُم لا تقولُونَ بهِ ، بل تقولُونَ : (إنَّهُ لم يزلْ ولا يزالُ . . .) على ما وصفتُم .

الثاني : يلزمُ الاتِّصالُ بالمخلوقِ على ما سبقَ في الآيةِ قبلَها .

الثالثُ : يلزمُ أنْ يكونَ معَ اثنينِ ، معَ ثلاثةٍ ، معَ أربعةٍ ، معَ خمسةٍ ، معَ أدنى مِنْ ذلكَ ، معَ أكثرَ بالذاتِ في آنٍ واحدٍ ، ويلزمُ على ذلكَ أنْ يكونَ معَ ألوفٍ مِنْ هٰذهِ الأعدادِ لا يُحصيها إلا اللهُ عزَّ وجلَّ ، وفي ذلكَ مِنَ الخَبْطِ والسَّفْسَطةِ ما لا مزيدَ عليهِ ، **فتعيَّنَ قولُكُم بالتأويلِ كما أوَّلَهُ علماؤُكُم** ؛ بأنَّ المعيَّةَ بالعلمِ .

وإذا أوَّلتُم هٰذهِ الآيةَ فلِمَ لا تُؤوِّلونَ قولَهُ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ لمَّا دلَّ عليهِ الدليلُ ؟[1] .

فهٰذهِ ـ أرشدَكُمُ اللهُ ـ تسعُ آياتٍ على عددِ الآياتِ الموسويةِ[2] ، تُحيي مَيِّتَ الجهلِ الحياةَ العيسويةَ[3] ، ولٰكنْ ما الحيلةُ فيمَنِ استحبَّ العَمى على

(١) وسيأتي تفصيل للمؤلف في الكلام على هٰذه الآية في (٢/ ٣٧٤ـ ٣٨٠) .

(٢) أشار : إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ [الإسراء : ١٠١] انظر « تفسير القرطبي » (١٠/ ٣٣٥ـ٣٣٦) .

(٣) أشار : إلى معجزة سيدنا عيسى صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [آل عمران : ٤٩] .

الهدىٰ ، وخالفَ طريقَ النجاةِ إلىٰ طُرُقِ الرَّدىٰ ؟! وهل ذلكَ إلا خِذْلانٌ مِنْ خالقِهِ ، وجمودُ بصيرةٍ عنِ التحقُّقِ بحقائقِهِ ؟! إنْ هم إلا كالأنعامِ بل بعضُ الأنعامِ يُدرِكُ مرادَ ناعقِهِ .

وكم مِنْ آيةٍ يمرُّونَ عليها وهم عنها مُعرِضُونَ ، ومِنَ الاضطرارِ إلىٰ تأويلِها مُمرِضُونَ ، لا يُمارُونَ في تأويلِها !!

وهل تُجحَدُ الشمسُ ليسَ دونَها سحابٌ ، أوِ البدرُ لا يسترُهُ عنِ الأبصارِ حجابٌ ؟![1] .

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي ٱلأَفْهَامِ شَيْءٌ إِذَا ٱحْتَاجَ ٱلنَّهَارُ إِلَىٰ دَلِيلِ[2]

لو تصدَّيتُ لذكرِها بأجمعِها لطالَ على الحاملِ مُجَوْهَرُ نجادِهِ ، ولخرجَ إلى الإغشاءِ أغرُّ جيادِهِ .

والعجبُ : أنَّ هـٰؤلاءِ إذا لمحُوا لوامعَ ما يبرُقُ بهِ القَدَريَّةُ . . جنحُوا إلى التأويلِ وهامُوا ، فإذا أضاءَ لهُم تأويلُهُ مشَوْا فيهِ وإذا أظلمَ عليهِم قامُوا !! وهل ذلكَ إلا لما يستحيلُ على اللهِ تعالىٰ ؟! فكذلكَ في هـٰذهِ الظواهرِ أيضاً يكونُ الحكمُ ، قاتلَهُمُ اللهُ أنَّىٰ يُؤفَكونَ .

(١) وقد ألَّف أحد كبار أئمتهم القاضي أبو يعلى الحنبلي كتاباً في رد التأويل سمَّاه : « إبطال التأويلات في أخبار الصفات » أتىٰ فيه بكل طامة ، حتىٰ قال فيه أبو محمد التميمي الحنبلي ما علقته في (١/١١٦) ، وقد ذكر ابن الجوزي في « دفع شبه التشبيه » كثيراً من نصوصه الصريحة بالتجسيم ، واعتمد ابن تيمية بعض هـٰذه النصوص في كتابه « بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية » الذي كتبه ردّاً علىٰ كتاب « تأسيس التقديس » لإمام أهل السنة في زمانه وقامع المبتدعة فخر الدين الرازي رحمه الله تعالىٰ .

(٢) البيت للمتنبي في « ديوانه » (٣/٩٢) ، وهو من الوافر ، وهـٰذا البيت من أمثاله السائرة المشهورة .

[معنىٰ قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ :

« مَنْ قَالَ بِرَأْيِهِ فِي ٱلْقُرْآنِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ »]

فإنْ قيلَ : قد رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَنْ قَالَ بِرَأْيِهِ فِي ٱلْقُرْآنِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ »[1] ، فهـٰذا دليلٌ علىٰ أنَّ المُؤوِّلَ مُخطِئٌ ؛ لأنَّهُ إذا لم يستنِدْ تأويلُهُ إلىٰ نقلٍ فهوَ قائلٌ بالرأيِ .

فالجوابُ : أنَّ هـٰذا الحديثَ قيلَ في معناهُ : مَنْ حملَ القرآنَ علىٰ رأيٍ ولم يعملْ بألفاظِهِ ولا بتأويلِها ، فأصابَ الحقَّ . . فقد أخطأَ الدليلَ .

ويدُلُّ علىٰ هـٰذا الحملِ : ما روىٰ محمدُ بنُ عثمانَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عنِ ابنِ عباسٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْقُرْآنُ ذَلُولٌ ذُو أَوْجُهٍ ، فَٱحْمِلُوهُ عَلَىٰ أَحْسَنِ وُجُوهِهِ »[2] .

وقد فسَّرَ هـٰذا الحديثَ أبو الحسنِ الماورديُّ ؛ فقالَ : في قولِهِ : « ذَلولٌ » معنيانِ :

أحدُهُما : أنَّهُ مُطِيعٌ حامليهِ حتىٰ تنطقَ بهِ الألسنةُ وتحفظَهُ الأذهانُ .

ويدُلُّ علىٰ ما قالَهُ أبو الحسنِ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ [القمر : ١٧] .

والمعنى الثاني : أنَّ معانيَهُ واضحةٌ ؛ حتىٰ لا تقصرَ عنهُ أفهامُ المجتهدينَ .

وفي قولِهِ : « ذو أَوجُهٍ » تأويلانِ :

أحدُهُما : أنَّ ألفاظَهُ تحتملُ مِنَ التأويلِ وجوهاً ؛ لإعجازِهِ .

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٥٢) ، والترمذي (٢٩٥٢) عن سيدنا جندب بن عبد الله البجلي رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الدارقطني في « سننه » (٤٢٧٦) .

والثاني : لأنَّهُ جمعَ وجوهاً مِنَ الأوامرِ والنواهي ، والترغيبِ والترهيبِ ، والتحليلِ والتحريمِ .

وقولِهِ : « فاحملُوهُ على أحسنِ وجوهِهِ » **أيضاً تأويلانِ** :

أحدُهُما : أنْ يحملَ تأويلَهُ على أحسنِ معانيهِ .

والثاني : أنْ يأخذَ بأحسنِ ما فيهِ مِنَ العزائمِ دونَ الرُّخَصِ ، والعفوِ دونَ القصاصِ ، وفي ذلكَ ما يدُلُّ على جوازِ تأويلِ القرآنِ وإدراكِ تلكَ الوجوهِ[1] .

[الحكمةُ مِنْ ورودِ المتشابهِ في القرآنِ والحديثِ]

فإنْ قيلَ : فما الحكمةُ في ورودِ المتشابهِ في القرآنِ ، وورودِ الظواهرِ التي تحتاجُ إلى التأويلِ في الكتابِ والسنَّةِ ؟

فالجوابُ عنهُ : ما قالَهُ اللهُ تعالى في كتابِهِ العزيزِ : ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾ [البقرة : ٢٦] ، وليبقى للمجتهدينَ مجالٌ في الاجتهادِ ، وليحصلَ لهُم أجرٌ على قَدْحِ فكرِهِم في ذلكَ ، ومسابقةِ أذهانِهِم في حَلْبةِ الإضمارِ ومِضْمارِهِ ، ولتتحقَّقَ أيضاً بصائرُهُم بما يلوحُ مِنْ أنوارِهِ ؛ ليزدادوا إيماناً معَ إيمانِهِم ، ويسعى نورُ اليقينِ بينَ أيديهِم وبأيمانِهِم ، فيهتديَ بذلكَ الحائرُ ، ويرجعَ إلى الطريقِ الحائدُ عنها والجائرُ ، فلهُم أجرُ هٰذهِ الحسناتِ وأجرُ مَنْ عملَ بها إلى يومِ القيامةِ ، ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾[2] [هود : ١١٨] .

فللَّهِ الحمدُ على ما منحَ علماءَ التأويلِ مِنَ الاطِّلاعِ والاصطفاءِ ، ومنحَنا مِنَ الاتِّباعِ لهُم والاقتفاءِ ، وهوَ حسبُنا ونعمَ الوكيلُ .

* * *

(١) انظر « النكت والعيون » (١/ ٣٥ـ٣٦) .

(٢) وسيأتي هٰذا الإيراد والجواب عنه مفصلاً في (٢/ ٣٨٩ـ ٣٩٢) .

فصل

فيما ورد في السنة مما يحتاج فيه إلى التأويل

وقد وردَتْ في السنَّةِ أحاديثُ **اتَّفقْنا نحنُ وإيَّاهُم على تأويلِها** .

[تأويلُ قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « وَٱلشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ »]

فمِنْ ذلكَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَٱلْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ ، وَٱلشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ »[1] ، معَ اتِّفاقِ أهلِ السنَّةِ على الإيمانِ بالقدرِ خيرِهِ وشرِّهِ ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩] ، فلا بدَّ مِنْ تأويلِهِ (والشرُّ ليسَ إليكَ) : أمراً وحكماً[2] .

[تأويلُ قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « كُنْتُ نَبِيّاً وَآدَمُ بَيْنَ ٱلْمَاءِ وَٱلطِّينِ »]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كُنْتُ نَبِيّاً وَآدَمُ بَيْنَ ٱلْمَاءِ وَٱلطِّينِ »[3] .

فآدمُ صلَّى اللهُ علىٰ نبيِّنا وعليهِ لم يكنْ إذْ ذاكَ موجوداً ، فكيفَ يكونُ لهُ ذُرِّيَّةٌ إذْ ذاكَ ؟! فكيفَ يكونُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ موجوداً نبيّاً ؟! فلا سبيلَ إلا التأويلُ .

(١) سبق تخريجه (١/ ١٥١) .

(٢) وذكر الإمام النووي في « شرح مسلم » (٦/ ٥٩) خمسة أوجه في تأويله .

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٥٩) ، والحاكم (٢/ ٦٠٨ـ٦٠٩) عن سيدنا ميسرة الفجر رضي الله عنه بلفظ : متىٰ كنت نبيّاً ؟ قال : « وآدمُ بينَ الروحِ والجسدِ » ، قال السخاوي في « المقاصد الحسنة » (ص٥٢١) : (وأما الذي على الألسنة بلفظ : « كنتُ نبيّاً وآدمُ بينَ الماءِ والطينِ » .. فلم نقف عليه بهٰذا اللفظ) ، وانظر « كشف الخفاء » (٢/ ١٢٩ـ١٣٠) ، و« شرح مشكل الآثار » (١٥/ ٢٣١) .

ولعلَّ المرادَ ـ واللهُ أعلمُ ـ : كنتُ نبيّاً في علمِ اللهِ تعالىٰ ، أو في تقديرِهِ ، أو في اللوحِ المحفوظِ وقد قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « وَكَتَبَ فِي ٱلذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ »[1] ، وكلُّ هٰذهِ التأويلاتِ حسنٌ .

ويُؤيِّدُ الأخيرَ : ما وردَ في مُحاجَّةِ آدمَ لموسىٰ مِنْ قولِ آدمَ : « أَفَتَلُومُنِي عَلَىٰ أَمْرٍ قُدِّرَ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ بِأَلْفَيْ عَامٍ »[2] .

قلتُ : ومرحباً بالحديثِ أيضاً المحتاجِ إلى التأويلِ ؛ فإنَّ قولَهُ : (قَدَّرَهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُخْلَقَ بِأَلْفَيْ عَامٍ) أي : ظهرَ تقديرُهُ ؛ بكَتْبِهِ في التوراةِ المكتوبةِ في اللوحِ المحفوظِ قبلَ أنْ أُخلَقَ بألفَيْ عامٍ ، وليسَ المرادُ منهُ أصلَ التقديرِ الإلٰهيِّ السابقِ في علمِ اللهِ تعالىٰ ؛ فإنَّ ذلكَ أزليٌّ .

فالمرادُ ـ واللهُ أعلمُ ـ : ظهورُ مكنونِ القدرةِ على اللوحِ المحفوظِ ضمناً للتوراةِ ؛ لإعلامِ بعضِ المخلوقينَ بهِ ؛ وهمُ الملائكةُ .

[تأويلُ قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ :
« قَلْبُ ٱلْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ ٱلرَّحْمَٰنِ »]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « قَلْبُ ٱلْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ ٱلرَّحْمَٰنِ »[3] ، وهٰذا الذي وعدْنا بالكلامِ عليهِ قبلُ[4] .

(١) أخرجه البخاري (٣١٩١) عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٠٩) ، ومسلم (٢٦٥٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي « البخاري » جاء مطلقاً عن مدة ، وقيَّده في « مسلم » بأربعين سنة ، وفي « سنن الترمذي » (٢٨٨٢) ، والدارمي (٣٤٣٠) من حديث سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنهما : « إنَّ اللهَ كتبَ كتاباً قبلَ أن يخلقَ السماواتِ والأرضَ بألفَيْ عامٍ » ، وليس فيه المحاجة المذكورة .

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٤) انظر (١/ ١٥٤) .

قالَ الشيخُ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ ابنُ أبي جَمْرَةَ رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ رادّاً على المبتدعةِ التاركينَ للتأويلِ القائلينَ بالظواهرِ : (**معناهُ عندَ أهلِ السنَّةِ** : بينَ أمرينِ مِنْ أمرِ الرحمٰنِ ؛ فإنْ هم قالُوا بتأويلِهِ كما تأوَّلَهُ أهلُ السنَّةِ لزمَهُمُ التأويلُ فيما عداهُ ، وإنْ هم حملُوهُ على ظاهرِهِ لزمَهُم أنْ يقولُوا بأنَّ أصابعَ الرحمٰنِ عددُ الخلقِ مَرَّتَيْنِ ؛ لأنَّ ما مِنْ قلبِ عبدٍ إلا وهوَ بينَ إصبَعينِ ، ولزمَهُم أيضاً أنَّ الذاتَ الجليلةَ تُخالِطُ ذواتِ العبيدِ بأجمعِهم ، ومُعتقِدُ هٰذا لا خفاءَ في حُمْقِهِ ، فانظرْ إلى هٰذا العمى الكُلِّيِّ كيفَ مَرَقُوا بهِ مِنَ الدينِ) انتهى كلامُ الشيخِ[1] .

قلتُ : وقد تكلَّمَ الشيخُ الإمامُ الأستاذُ أبو بكرِ ابنُ فُورَكَ في كتابِهِ على « مشكلِ الحديثِ » ؛ تكلَّمَ على هٰذا الحديثِ وغيرِهِ[2] ، وكذا تكلَّمَ عليهِ غيرُهُ مِنَ العلماءِ[3] ، **فلتكشفْ ذلكَ مِنْ هناكَ** ؛ فإنَّ هٰذا المختصرَ لا يحتملُ التطويلَ .

[تأويلُ قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « لَا تَسُبُّوا ٱلدَّهْرَ ؛ فَإِنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلدَّهْرُ »]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا تَسُبُّوا ٱلدَّهْرَ ؛ فَإِنَّ ٱللهَ هُوَ ٱلدَّهْرُ »[4] .

الدهرُ في اللغةِ : عبارةٌ عنِ الزمانِ الطويلِ ؛ قيلَ في قولِهِ تعالى : ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان : ١] : **إنَّ المرادَ بهِ** : تطوُّراتُ

(١) بهجة النفوس (١/ ٤٠) .

(٢) انظر « مشكل الحديث وبيانه » (ص٢٣٨ـ٢٤٠) .

(٣) انظر « تأسيس التقديس » (ص١٧٩ـ١٨١) ، و« إيضاح الدليل » (ص٢٢٣ـ٢٢٦) .

(٤) أخرجه مسلم (٥/ ٢٢٤٦) واللفظ له ، والبخاري (٦١٨١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

آدمَ عليهِ السلامُ قبلَ نفخِ الروحِ ؛ قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (أقامَ آدمُ حينَ خُلِقَ أربعينَ سنةً طيناً ، ثمَّ كانَ أربعينَ سنةً صَلْصَالاً ، ثمَّ أربعينَ سنةً حمأً مسنوناً)[1] .

وفي اصطلاحِ العلماءِ : عبارةٌ عن مُطلَقِ زمانٍ .

قالَ علماءُ الشافعيَّةِ : لو حلفَ لا يُكلِّمُ فلاناً حِيناً أو دهراً . . برَّ بأدنىٰ زمانٍ[2] .

فيتعيَّنُ عليهِمُ الجنوحُ إلىٰ تأويلِ الحديثِ : أنَّهُ علىٰ حذفِ المضافِ وإقامةِ المضافِ إليهِ مُقامَهُ ؛ فإنَّ اللهَ مُصرِّفُ الدهرِ ، أو مُقدِّرُ الدهرِ ، أو مُوجِدُ أحوالِ الدهرِ ، أو غيرُ ذلكَ مِنَ التأويلاتِ[3] .

والحكمةُ في حذفِ المضافِ هنا : إظهارُ مزيدِ الشرفِ ؛ ليمنعَ مِنْ سبِّهِ ، ولتجمحَ النفوسُ المؤمنةُ الموقنةُ عن ذمِّهِ .

[تأويلُ قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « فَإِنَّ عَلَىٰ رَأْسِ مِئَةِ سَنَةٍ . . . »]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَـٰذِهِ ؛ فَإِنَّ عَلَىٰ رَأْسِ مِئَةِ سَنَةٍ لاَ يَبْقَىٰ مِمَّنْ هُوَ ٱلْيَوْمَ عَلَىٰ وَجْهِ ٱلأَرْضِ أَحَدٌ »[4] .

فإنَّ الخَضِرَ وإلياسَ حيَّانِ على المشهورِ عندَ النَّقَلَةِ[5] .

(١) أورده الماوردي في « النكت والعيون » (٦/ ١٦٢) ، والقرطبي في « تفسيره » (١٩/ ١١٩) .

(٢) انظر « روضة الطالبين » (١١/ ٧١) ، و« البيان » للعمراني (١٠/ ٥٦٨) .

(٣) انظر « مشكل الحديث وبيانه » (ص٢٧٥) وما بعدها .

(٤) أخرجه البخاري (١١٦ ، ٦٠١) ، ومسلم (٢٥٣٧) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٥) وقال الإمام النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » (١/ ١٧٦ـ١٧٧) : (واختلفوا في حياة الخضر : فقال الأكثرون من العلماء : هو حي موجود بين أظهرنا ، وذلك متفق عليه عند =

قالَ الحسنُ : (إلياسُ مُوكَّلٌ بالفيافي ، والخَضِرُ مُوكَّلٌ بالبحارِ ، وقد أُعطِيا الخلدَ في الدنيا إلى النفخةِ الأولىٰ)[1] .

وقيلَ : إنَّ إلياسَ إدريسُ عليهِ السلامُ ، والأوَّلُ أرجحُ .

وقالَ أكثرُ النَّقَلَةِ : (إنَّ الأحياءَ في الدنيا أربعةٌ ؛ اثنانِ في السماءِ ، واثنانِ في الأرضِ ؛ فأمَّا اللَّذانِ في السماءِ : فإدريسُ وعيسىٰ عليهِما السلامُ ، وأمَّا اللَّذانِ في الأرضِ : فالخضرُ وإلياسُ عليهِما السلامُ)[2] .

قالَ النقَّاشُ في كتابِهِ المُسمَّىٰ « شفاءَ الصدورِ » : (حدَّثَنا زيدُ بنُ [المهتدي][3] ، حدَّثَنا سعيدُ بنُ يعقوبَ الطَّالَقَانيُّ[4] ، حدَّثَنا عليُّ بنُ عاصمٍ ، حدَّثَنا داودُ بنُ يحيى العامريُّ ، عن زيدٍ ، عن رجلٍ ممَّنْ كانَ في مَرابطِ الشامِ في قصَّةٍ طويلةٍ ؛ منها : أنَّهُ سألَ إلياسَ : كم مِنْ نبيٍّ اليومَ حيٌّ ؟ قالَ : أربعةٌ ؛ أنا والخَضِرُ ، وإدريسُ وعيسىٰ في السماءِ .

قلتُ : فأينَ يكونُ الخَضِرُ ؟ قالَ : يكونُ في جزائرِ البحرِ ، قلتُ : فهل تلتقيانِ ؟ قالَ : نعم ، في كلِّ موسمٍ بعرفاتٍ ، قلتُ : فما حديثُكُما ؟

= الصوفية وأهل الصلاح والمعرفة . . . وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح في « فتاويه » : هو حي عند جماهير العلماء والصالحين ، والعامةُ معهم في ذلك ، قال : وإنما شذَّ بإنكاره بعضُ المحدثين) ، وانظر « فتاوى ابن الصلاح » (١/ ١٨٥ـ١٨٦) ، و« تعريف الفئة بأجوبة الأسئلة المئة » للسيوطي (٢/ ٣١٧) ضمن « الحاوي للفتاوي » ، و« الفتاوى الحديثية » لابن حجر الهيتمي (ص١٢٨) ، « وفتاوى الرملي » (٤/ ٢٢٢ـ٢٢٣) .

(١) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٩/ ٢١٠) .

(٢) انظر « تعريف الفئة » (٢/ ٣٨٢) .

(٣) في نسختينا : (المهدي) ، وابن المهتدي : هو أبو حبيب المَرْورُّوذي . انظر « تاريخ بغداد » (٨/ ٤٤٩) .

(٤) وضبطها السَّمْعاني في « الأنساب » (٩/ ٨) بسكون اللام .

قالَ : يأخذُ مِنْ شَعَري وآخذُ مِنْ شَعَرِهِ) .

فإذا كانَ كذلكَ : فالحديثُ مُؤوَّلٌ : لا يبقىٰ ممَّنْ هوَ اليومَ علىٰ وجهِ الأرضِ أحدٌ منكُم أيُّها المخاطَبونَ ، والدليلُ علىٰ ذلكَ : أنَّ الراويَ قالَ[1] : (يشيرُ بذلكَ إلى انخرامِ القرنِ)[2] .

[تأويلُ قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ :

« ٱلْحَجَرُ ٱلأَسْوَدُ يَمِينُ ٱللهِ فِي ٱلأَرْضِ »]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْحَجَرُ ٱلأَسْوَدُ يَمِينُ ٱللهِ فِي ٱلأَرْضِ »[3] .

اتَّفَقَ أهلُ السنَّةِ والمُشبِّهةُ علىٰ تأويلِ هـٰذا الحديثِ :

أمَّا أهلُ السنَّةِ : فجرَوْا علىٰ عادتِهم وبنَوْا علىٰ أساسِهم وقاعدتِهم .

وأمَّا المُشبِّهةُ : فأُلجِئُوا إلىٰ ذلكَ ؛ لاستحالةِ جعلِ الجمادِ بعضاً مِنْ حيٍّ ، فعليهِم مِنْ هـٰذا الحديثِ شجَّةٌ مُوضِحةٌ ودامغةٌ[4] ، وفي حلوقِهم شجىً مِنْ حُجَّةِ أهلِ السنَّةِ بهِ الواضحةِ البالغةِ[5] .

(١) وهو سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . انظر « إرشاد الساري » (١/ ٥١٧) .

(٢) أو أنه عام مخصوص . انظر « شرح النووي علىٰ مسلم » (١٦/ ٩٠) ، و« إرشاد الساري » (١/ ٢٠٩) .

(٣) أخرجه ابن خزيمة (٢٧٣٧) ، والحاكم (١/ ٤٥٧) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣١٤ـ٣١٥) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٤) الشَّجَّة المُوضِحة : هي التي تخرق الجلد وتكشف العظم ، والدامغةُ : هي التي تصل إلى الدماغ .

(٥) الشَّجىٰ : ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه .

ولظهورِ تأويلِ الحديثِ ، وإطباقِ الناسِ على ذكرِهِ وذكرِ تأويلاتِهِ . . لم أُطِلِ الكلامَ فيهِ[1] .

[تأويلُ قولِهِ عليهِ الصلاةُ والسلامُ :
« إِنِّي لَأَجِدُ نَفَسَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِنْ قِبَلِ ٱلْيَمَنِ »]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنِّي لَأَجِدُ نَفَسَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِنْ قِبَلِ ٱلْيَمَنِ »[2] .

وهـٰذا الحديثُ أيضاً مُوضِحةٌ في رؤوسِهِم ، وحَزازةٌ في نفوسِهِم ؛ لاضطرارِهِم إلى تأويلِهِ .

ولم أُمسِكْ عن ذكرِ تأويلِ هـٰذينِ الحديثينِ إلا لأنَّ علماءَهُم نطقُوا بتأويلِهِما ونصُّوا عليهِ ، فشهدُوا على أنفسِهِم حينَ مالُوا إليهِ ، وانقادُوا إلى التأويلِ عندَ الاحتياجِ ، فليُبطَلْ عليهِم كاذبُ الحُجَجِ بصادقِ الحِجاجِ .

فنقولُ لهُم : الحمدُ للهِ على حسنِ الأَوْبةِ ، بعدَ طولِ الغَيبةِ ، أذكرتُم بعدَ

(١) انظر « مشكل الحديث وبيانه » (ص١١٧-١١٩) ، و« الأسماء والصفات » (ص٣١٤) .

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥٤٠) ، والطبراني في « مسند الشاميين » (١٠٨٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفي هامش (أ، ب) : (المراد ـ والله أعلم ـ : أنَّ رسول الله كان كالمُتوجِّع المكروب لضعف الإسلام في أوَّله ، فلمَّا نصر الله الإسلامَ وأعزَّهُ بالأنصار الذين أصلُهُم وأُرومتُهُم مِنَ اليمنِ . قالَ الرسولُ : « أَجِدُ نَفَسَ ٱلرحمَـٰن » أو « نَفَسَ ربِّكُم » ؛ يعني : ما نَفَّسَ اللهُ به خُناقَ الإسلام وأهلِهِ من قِبَل أهل اليمنِ ، وهـٰذا تأويلٌ ظاهرٌ حسنٌ ، وهم يوافقُوننا عليه اضطراراً ، والله أعلم) ، والأُرومة ـ بفتح الهمزة وضمها ـ : الأصل ، والعطف للترادف ، وقوله : « نفسَ ربِّكُم » هي رواية الإمام أحمد رحمه الله تعالى .

أَمَهٍ[1] ، ونظرتُم بعدَ عَمَهٍ ؟! ما دعاكُم إلىٰ تأويلِ هـٰذا الحديثِ ، وعهدُكُم بإجراءِ الظواهرِ حديثٌ ؟!

فيقولُونَ : العقلُ قادَنا ، والحملُ علىٰ ما يمكنُ أرشدَنا وأفادَنا .

فنقولُ : إنَّ بُرهانَكُم ، هوَ الذي ألجأَ إلى التأويلِ إخوانَكُم .

* * *

(١) الأَمَهُ : النسيان ، وفي (ب) : (ادَّكرتم) بإهمال الدال .

فصل

في الاستدلال على التأويل من كلام سيد المرسلين ﷺ

وكيفَ يُنكَرُ بابُ التأويلِ وقد رواهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيما يروي عن ربِّهِ عزَّ وجلَّ ؛ وهوَ : « إنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ يَقُولُ : عَبْدِي ؛ ٱسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي . . . » الحديثَ المشهورَ ؟! وقالَ فيهِ : « مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي » ، فقالَ العبدُ حملاً للكلامِ على إطلاقِهِ وظاهرِهِ : « كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَ ؟! » ، فأظهرَ اللهُ لهُ التأويلَ ، فقالَ : « ٱسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فُلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ »[1] .

فعَلِمْنا : أنَّ ما جاءَ مِنْ هٰذا البابِ فسبيلُهُ جنسُ هٰذا التأويلِ ، وكذلكَ ما يستحيلُ على اللهِ تعالىٰ ظاهرُهُ ، ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور : ٣٥] .

وفي آخرِ الخبرِ أيضاً ما يدُلُّ على التأويلِ ؛ وهوَ قولُهُ : « لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ » ، وهوَ مُؤَوَّلٌ أيضاً ، **وفي تأويلِهِ قولانِ** :

أحدُهُما ـ وهوَ المشهورُ الأعمُّ ـ : لوجدتَ جزائي عندَهُ ، أو ثوابي عندَهُ ، وهٰذا يعُمُّ سائرَ العبادِ طائعَهُم وعاصيَهُم ؛ فإنَّ مَنْ عادَ مريضاً عاصياً فلهُ الأجرُ على ذلكَ ، وقد عادَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الشابَّ الذي أسلمَ قبلَ موتِهِ[2] ، وعادَ الشيخَ العاصيَ الذي قالَ لهُ : « طَهُورٌ » ، فقالَ : (بل حُمَّىٰ

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (١٣٥٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

تفورُ ، على شيخٍ كبيرٍ تُزيرُهُ القبورَ)[1] .

فثبتَ بهـٰذا : أنَّ عيادةَ المريضِ على كلِّ حالٍ مسنونةٌ ؛ عاصياً كانَ أو طائعاً ، مؤمناً أو كافراً .

والتأويلُ الثاني : لوجدتَ علاماتِ محبَّتي عندَهُ ، وآثارَ إكرامي عليهِ ، وسماتِ حُبِّي لهُ ، ولفُزْتَ بالزُّلفى لعيادتِكَ وليّاً مِنْ أوليائي .

قالَ بعضُ العارفينَ على هـٰذا التأويلِ : هـٰذا عبدٌ قد وهبَهُ اللهُ مِنَ الطاعةِ والمراقبةِ لهُ ، وحسنِ اليقينِ بهِ ، وكمالِ تلقِّي النعمةِ منهُ ، والرضا بالبلايا والأمراضِ ، وقطعِ النظرِ عنِ الوسائطِ ، ومحبَّةِ اللهِ لهُ ومحبَّتِهِ للهِ . . ما انتهى إلى الدرجةِ التي قالَ اللهُ فيها : « فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ »[2] ، والحديثِ الآخرِ : « لَا يَزَالُ ٱلْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِٱلنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ ٱلَّذِي يَسْمَعُ بِهِ . . . » إلى آخرِ الحديثِ[3] ؛ فحينَ أحببتُهُ استخدمتُ حواسَّهُ في طاعتِي ، وسلبتُ اختيارَهُ ؛ فلا تتحرَّكُ حاسَّةٌ مِنْ حواسِّهِ إلا فيما يُقرِّبُهُ إليَّ ؛ عنايةً منِّي بهِ ، فلو عُدتَهُ لوجدتَ عبداً لا يسمعُ إلا ما أُحِبُّ ، ولا يُبصِرُ إلا ما أُحِبُّ .

وأطلقَ (لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ) مبالغةً في المجازِ ، كما قالَ : (كُنْتُ سَمْعَهُ) أيضاً ؛ مبالغةً في المجازِ أيضاً ، لا كما يتخيَّلُ جُهَّالُ الصوفيَّةِ مِنَ الحلولِ ، لـٰكنَّ المعنى على ما قدَّمْناهُ ، والمجازُ مُقدَّرٌ ، تقديرُهُ : لوجدتَ آثارَ محبَّتي عندَهُ ، أو آثارَ كرامتي ظاهرةً عليهِ[4] ، وأنوارَ اجتبائي لديهِ[5] .

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٦) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وتُزيرُه : من أزاره ؛ أي : تحمله الحُمَّى على زيارة القبور وتجعله من أصحابها .

(٢) هـٰذه الرواية أوردها الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٢/ ١١٢) الأصل : (٥١) .

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) في (ب) : (عائدة) بدل (ظاهرة) .

(٥) اجتبائي : اصطفائي .

ويُؤيِّدُ هـٰذا المعنى الثاني : إضافتُهُ إليهِ إضافةَ تخصيصٍ (عَبْدِي) ، ثمَّ شرَّفَهُ بتعيينِهِ ؛ فقالَ الرسولُ : (عَبْدِي فُلَانٌ) ، فـ (فلانٌ) كنايةٌ عنِ العبدِ الذي يُعيِّنُهُ اللهُ تعالىٰ حينَ مُعاتبتِهِ علىٰ تركِ إطعامِهِ وعيادتِهِ ، فلم يذكرْهُ باسمِهِ إلا ليُشرِّفَهُ[1] .

أَهْلاً لِمَا لَمْ أَكُنْ أَهْلاً لِمَوْقِعِهِ ... قَوْلِ ٱلْمُبَشِّرِ بَعْدَ ٱلْيَأْسِ بِٱلْفَرَجِ

لَكَ ٱلْبِشَارَةُ فَٱخْلَعْ مَا عَلَيْكَ فَقَدْ ... ذُكِرْتَ ثَمَّ عَلَىٰ مَا فِيكَ مِنْ عِوَجِ[2]

فهـٰذا يُؤيِّدُ : أنَّ المأمورَ بعيادتِهِ مِنْ خواصِّ عبادِ اللهِ تعالىٰ ؛ للمعنى الذي قدَّمناهُ ، **إلا أنَّ المعنى الأولَ أظهرُ وأبلغُ في صفةِ الكرمِ والجودِ وعمومِهما** ، فنسألُ اللهَ أنْ يُلهِمَنا رُشْدَنا .

أيُّها الظاهريُّونَ ؛ هلا قِسْتُم جوازَ التأويلِ فيما لم يُنَصَّ عليهِ علىٰ ما نُصَّ عليهِ بجامعِ ما يشتركانِ فيهِ مِنْ إحالةِ الظاهرِ ، بل أحجمتُم عن تأويلِ ظواهرِ الصفاتِ المُوهِمةِ ، وأوَّلتُمُ الآياتِ والأخبارَ التي تُوهِمُ القدرةَ ، فهلا عمَّمتُمُ الحكمَ .

نسألُ اللهَ أنْ يُرشدَكُم ويُرشِدَنا للصوابِ ، ويُسعِفَكُم بالإقلاعِ عمَّا أنتُم عليهِ والمتابِ .

* * *

(١) في (ب) : (إلا لتشريفه) .

(٢) البيتان لابن الفارض في « ديوانه » (ص١٤٧) ، وهما من البسيط .

فصل

في ذكر آيات وأحاديث نطق المخالف بتأويلها

ولنختمِ البابَ بآياتٍ وأخبارٍ تطلُعُ عليهم طلوعَ الكمينِ ، وتفجؤُهُم عنِ الشمالِ وعنِ اليمينِ ، نطقُوا بتأويلِ مجازِها ، واستخرجُوا خالصَ رِكازِها .

فمنها : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الحجر : ٨٨] : أَلِنْ جانبَكَ لمَنْ آمنَ بكَ ، وتواضعْ لهُم .

وأصلُ ذلكَ : أنَّ الطائرَ إذا ضمَّ فرخَهُ إليهِ بسطَ جناحَهُ ثمَّ قبضَهُ على الفرخِ ، فجُعِلَ ذلكَ وصفاً لتقريبِ الإنسانِ أتباعَهُ .

ويُقالُ : (فلانٌ خافضُ الجناحِ) أي : وَقورٌ ساكنٌ ، ويُكنَىٰ عنِ الرفقِ .

وكذلكَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء : ٢٤] ، وهما مِنْ مادَّةٍ واحدةٍ .

ومنها : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء : ٢٩] .

اتَّفقُوا معَنا علىٰ تأويلِهِ ، وأنَّهُ كنايةٌ عنِ التوسُّطِ في الإنفاقِ ، فهلا أوَّلُوا ذلكَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤] وجعلُوهُ كنايةً عنِ الكرمِ العامِّ حيثُ لم يُعاقِبْ أحداً بقطعِ رزقِهِ ، وعلىٰ ذلكَ يدُلُّ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا أَحَدَ أَكْرَمُ مِنَ ٱللهِ ؛ يَجْعَلُونَ لَهُ نِدّاً وَهُوَ يَرْزُقُهُمْ وَيُعْطِيهِمْ »[1] .

(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٨) ، ومسلم (٢٨٠٤/ ٥٠) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

ومنها : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس : ٢] .

اتَّفقَ أهلُ النقلِ والعقلِ علىٰ أنَّ ذلكَ بالمعنىٰ لا علىٰ ظاهرِهِ ؛ فإنْ هم أوَّلُوا ذلكَ كما تأوَّلَتْهُ الكافَّةُ لزمَهُم ذلكَ في كلِّ ما جاءَ مِنْ نوعِ هٰذا المجازِ ؛ كقولِهِ : « حَتَّىٰ يَضَعَ ٱلْجَبَّارُ قَدَمَهُ » وشبهِهِ[1] ؛ فإنَّ ذلكَ وإنِ اختلفَ تأويلُهُ فالكلامُ المؤوَّلُ واحدٌ ؛ وهوَ القدمُ .

وإنْ هم حملُوهُ علىٰ ظاهرِهِ وأنَّ الصدقَ الذي هو معنىً لهُ قدمٌ مُجسَّدةٌ ، وأنَّ تلكَ عندَ الحقِّ سبحانَهُ وتعالىٰ وباقيَ جسدِهِ عندَ المؤمنينَ . . فقائلُ هٰذا لا خفاءَ في جهلِهِ ، بل ولا في زندقتِهِ ؛ إذْ أساءَ الأدبَ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وعلىٰ ربِّهِ .

ومنها : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] .

إنْ حملُوهُ علىٰ ظاهرِهِ ـ وهيَ الجارحةُ ـ فيكونُ الوجهُ قد أحاطَ بجميعِ الجهاتِ ، فلم يبقَ لبقيَّةِ الذاتِ مَحَلٌّ علىٰ رأيِهِم ، وهٰذا باطلٌ بإجماعِ أهلِ النقلِ والعقلِ ، وإنْ هم تأوَّلُوا لزمَهُمُ التأويلُ في باقي الآياتِ التي فيها ذكرُ الوجهِ ، واللهُ أعلمُ .

ومنها : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ ﴾ [النحل : ٢٦] .

أجمعُوا علىٰ أنَّ المرادَ : أمرُهُ .

ومنها : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون : ١] .

هنا أيُّها الظاهريُّونَ مضيقٌ لا مَحيدَ لكُم عنهُ ؛ وهوَ أنَّهُ بالاتِّفاقِ منَّا ومنكُم :

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤٩) ، ومسلم (٣٦/٢٨٤٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

أنَّ التكذيبَ ليسَ راجعاً إلىٰ نطقِهم بشهادةِ الرسالةِ قطعاً ، وليسَ راجعاً إلا إلىٰ باطنِهم ، وإذا كانَ راجعاً إلىٰ باطنِهم فهوَ بالاتِّفاقِ موصوفٌ بالكذبِ ، ويستحيلُ أنْ يُوصَفَ بالكذبِ ما ليسَ بإخبارٍ ؛ لأنَّ الخبرَ ما احتملَ الصدقَ والكذبَ ، وما ليسَ بإخبارٍ لا يكونُ صدقاً ولا كذباً ، فدلَّ : علىٰ أنَّ للنفسِ كلاماً مُتَّصِفاً بالصدقِ والكذبِ ، وهوَ الذي توجَّهَ إليهِ التكذيبُ بقولِهِ : ﴿ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ في حديثِ نفوسِهم بتكذيبِ رسالتِكَ ، ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ﴾ .

فهٰذا ـ أرشدَكُمُ اللهُ ـ جمعٌ بينَ الدليلِ على التأويلِ ، وبينَ الدليلِ على الكلامِ النَّفسانيِّ ، وهوَ علىٰ كلامِ النفسِ ، أظهرُ مِنَ الشمسِ .

وأمَّا الأحاديثُ النبويَّةُ :

فمنها : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَنَا عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عَبْدِي بِي »[1] .

فإنَّ حُسْنَ الظنِّ معنىً مِنَ المعاني ، لا يُتصوَّرُ أنْ يكونَ ذاتاً حتىٰ يكونَ اللهُ عندَهُ ، بلِ المرادُ : تحقيقُ حسنِ ظنِّ العبدِ بربِّهِ .

وكذلكَ قولُهُ : « وَأَنَا جَلِيسُهُ إِذَا ذَكَرَنِي »[2] .

المجالسةُ هنا بالذاتِ مُستحيلةٌ قطعاً ؛ وذلكَ أنَّا نعلمُ قطعاً أنَّهُ ربَّما اجتمعَ في آنٍ واحدٍ مِنَ الذاكرينَ في نواحي أقطارِ الأرضِ ما لا يعلمُهُ إلا اللهُ تعالىٰ ، فتعيَّنَ أنْ يكونَ المرادُ : رحمةَ اللهِ ، أو كرامةَ اللهِ ، وهيَ أعمُّ وأشملُ ، ويدُلُّ علىٰ ذلكَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ إِلا نَزَلَتْ

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، بلفظ : « وأنا معَهُ إذا ذكرَني » .

عَلَيْهِمُ ٱلرَّحْمَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ ٱلسَّكِينَةُ ، وَذَكَرَهُمُ ٱللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ »[1] ، فهـٰذهِ أنواعٌ مِنْ كراماتِ اللهِ لهُم .

وكذلكَ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً ، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً »[2] .

كلُّ ذلكَ مُؤَوَّلٌ بالاتِّفاقِ : على الزيادةِ في المكافأةِ بسرعةٍ ؛ إذْ لا مسافةَ بينَ العبدِ وبينَ ربِّهِ ، ولا بينَ الربِّ وبينَ العبدِ .

وقولُهُ : « إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي »[3] .

المرادُ : أُعامِلُهُ مُعاملةَ مَنِ اعتنىٰ بالمذكورِ .

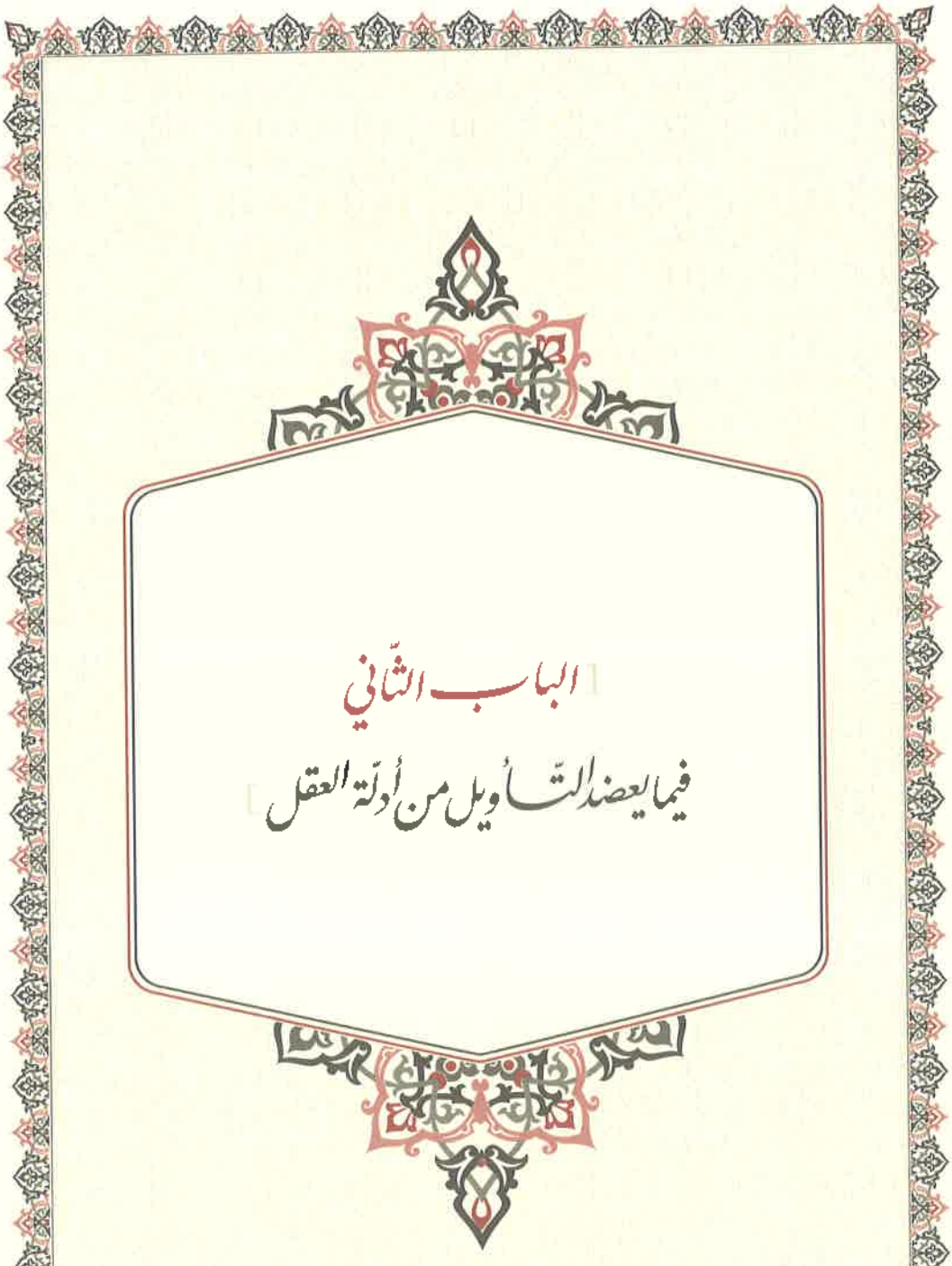
كلُّ ذلكَ علىٰ ما يألفُهُ العربُ في التخاطُبِ مِنْ أنواعِ الاستعاراتِ والمجازِ ، لـٰكنْ ما الحيلةُ فيمَنْ يُكذِّبُ بالحسِّ ؟! نسألُ اللهَ العصمةَ ، والإنقاذَ مِنَ الظُّلْمةِ .

* * *

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) انظر التخريج السابق .



الباب الثّاني

فيما يعضد التّأويل من أدلّة العقل

الباب الثاني
فيما يعضد التأويل من أدلة العقل

ولنقدِّمْ على ذلكَ مُقدِّمةً ؛ فنقولُ :

إنَّ قوماً ممَّنْ ينتمي إلىٰ علمٍ مِنَ المُتأخِّرينَ أنكرُوا الخوضَ في علمِ الكلامِ والاستدلالاتِ العقليَّةِ ؛ اعتقاداً منهُم أنَّ ذلكَ خارجاً عنِ الكتابِ والسنَّةِ[1] ؛ حتَّىٰ إنَّهُم صنَّفُوا في ذلكَ مُصنَّفاتٍ لا حاجةَ إلىٰ تَعدادِها ولا إلىٰ ذكرِ مُصنِّفيها ، جامدينَ علىٰ ظاهرِ ما نُقِلَ عن أوائلِ العلماءِ[2] ، **مُشنِّعينَ علينا بإيرادِ أَسْولَةٍ**[3] .

(١) **قوله** : (**خارجاً**) كذا في نسختينا علىٰ خلاف القياس ، وهو جائز عند بعض العرب في كونهم ينصبون بـ (إنَّ) وأخواتها الجزأين ؛ ومنه قول الشاعر : (من الطويل)

إذا اسودَّ جُنْحُ الليلِ فلتأتِ ولتكنْ خُطاكَ خفافاً إنَّ حُرَّاسَنا أُسدا

انظر « التذييل والتكميل » (٥/ ٢٦ـ٢٧) ، و« شرح الأشموني على الألفية » (١/ ١٣٥) ، ويحتمل أن المؤلف نصبها سهواً ، وخصوصاً أن هٰذا الكتاب مسوَّدة كما تبين لي في بعض المواضع .

(٢) **ومن جملة هٰؤلاء** : المُشبِّه أبو إسماعيل الهروي الأنصاري صاحب كتاب « ذم الكلام » الذي أبان فيه عن اعتقاد التشبيه والتجسيم ، وبالغ في كتابه هٰذا ؛ حتىٰ ذكر أنَّ ذبائح الأشعرية لا تحل ، قال التاج السبكي في « طبقاته » (٤/ ٢٧٢) : (وكنت أرى الشيخ الإمامَ ـ أي : والده السبكي ـ يضرب علىٰ مواضعَ من كتاب « ذم الكلام » ، وينهىٰ عن النظر فيه) ، وعقد ابن بطة في « الإبانة » باباً في التحذير من أهل الجدال والكلام ، وللإمام ابن عساكر كلام نفيس في هٰذا الموضوع ردَّ به علىٰ هٰؤلاء المنكرين . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٦٠١ـ٦٣٣) ، وسيأتي كلام الإمام الشافعي في هٰذه المسألة في (١/ ٢٧٧) .

(٣) **قوله** : (**أَسْولَة**) هو جمع سؤال علىٰ ما حكاه ابن جني . انظر « تاج العروس » =

[الردُّ نقلاً وعقلاً على مَنِ استدلَّ على تحريمِ علمِ الكلامِ بقولِهِ تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾]

منها : أنَّهُم قالُوا : لمَّا قالَ اللهُ تعالى في كتابِهِ الذي أنزلَهُ على رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة : ٣] . . **لا يخلو** : إمَّا أنْ تقولُوا بكمالِ الدِّينِ في ذلكَ الوقتِ ، أم لا ؛ فإنْ قُلتُم بكمالِ الدينِ في ذلكَ الوقتِ . . فعلمُ المعقولِ لم يكنْ في ذلكَ الوقتِ ولا تكلَّمُوا فيهِ ، فالكلامُ فيهِ بعدَ ذلكَ نقصٌ في الدِّينِ ؛ إذْ لا يكونُ بعدَ الكمالِ إلا النقصُ ، وإنْ لم تقولُوا بكمالِ الدينِ إذْ ذاكَ . . فقد كذَّبتُم بالتنزيلِ .

والجوابُ عن ذلكَ أظهرُ مِنَ الشمسِ ، وألزمُ لهُم مِنَ الخمسِ ؛ وذلكَ أنَّهُم تكلَّمُوا على هٰذهِ الآيةِ كلامَ مَنْ لم يُلِمَّ بمعقولٍ ولا منقولٍ .

أمَّا المنقولُ : فقد روى البخاريُّ ومسلمٌ في « صحيحَيْهِما » ـ يختلفُ اللفظُ ، والمعنى مُتَّحِدٌ ـ : أنَّ بعضَ اليهودِ قالَ لعمرَ رضيَ اللهُ عنهُ : آيةٌ تقرؤونَها في كتابِكُم لو علينا معشرَ اليهودِ نزلَتْ . . لاتَّخذْنا ذلكَ اليومَ عيداً ، قالَ : وما هيَ ؟! قالَ : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ .

فقالَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ : واللهِ ؛ إنِّي لَأعلمُ في أيِّ موطنٍ نزلَتْ على رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ نزلَتْ وهوَ واقفٌ بعرفةَ في يومِ جمعةٍ[1] ، فهما عيدانِ[2] .

= (٢٩/ ٢٤١) ، مادة : (س ول) ، وسيأتي كذلك في أكثر من موضع ، ولن أنبّه عليه .

(١) صحيح البخاري (٤٥) ، صحيح مسلم (٥/ ٣٠١٧) .

(٢) في هامش (أ ، ب) : (سمعتُ الشيخَ شرفَ الدينِ الكركيَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : « نقلَ أهلُ التاريخِ أنَّ ذلكَ اليومَ صادفَ سبعةَ أعيادٍ في سبعِ مللٍ » انتهى) ، وانظر « تفسير البغوي » (٣/ ١٣) .

وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُ : ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ : حكمتُ لكُم بالجنةِ .

وقيلَ : ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بأنَّهُ لا يحجُّ معَكُم مشركٌ ، ولا يطوفَنَّ بالبيتِ عُرْيانٌ ، ويُؤيِّدُ ذلكَ : قولُهُ قبلَ ذلكَ : ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ﴾ [المائدة : ٣] ، ومِنَ السنَّةِ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَيِسَ ٱلشَّيْطَانُ أَنْ يُعْبَدَ بِجَزِيرَةِ ٱلْعَرَبِ »[1] .

وقيلَ : ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ﴾ بإتمامِ العبادةِ الخامسةِ التي بُنِيَ الإسلامُ عليها ؛ فإنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لم يحجَّ بعدَ وجوبِ الحجِّ إلا حَجَّةَ الوداعِ ، وكَمَّلَ لهُ الفريضةَ الخامسةَ ؛ بأنْ طهَّرَ الحرمَ مِنَ المشركينَ وحجِّهِم ، ومنعَ العرايا مِنَ الطوافِ بالبيتِ ، واستدارَ الزمانُ كهيئتِهِ يومَ خلقَ اللهُ السماواتِ والأرضَ ، فصادفَ يومُ عرفةَ تاسعَ ذي الحجَّةِ حقيقةً ، وكانَ قبلَ ذلكَ قدِ اختلَّ نَظْمُ الأيامِ والشهورِ ؛ لِمَا كانَتِ الجاهليةُ تصنعُ مِنَ النَّسيءِ ، فكمَّلَ لرسولِهِ عبادتَهُ مِنْ كلِّ أوجهِ الكمالِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ في الظاهرِ بمنعِ الإصدادِ وتطهيرِ الحرمِ ، وفي الباطنِ بموافقةِ يومِ عرفةَ .

وقيلَ : ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ بتبيانِ الفروعِ في الحلالِ والحرامِ ؛ لأنَّهُ لم يُنقَلْ أنَّهُ نزلَ بعدَ ذلكَ نصٌّ في تحريمٍ ولا تحليلٍ ، ويُؤيِّدُ ذلكَ : أنَّ السياقَ يُرشِدُ إليهِ ؛ فإنَّهُ ذكرَ قبلَ ذلكَ المُحرَّماتِ مِنَ الموقوذةِ والميتةِ وغيرِها ، وذكرَ بعدَ ذلكَ ما أحلَّ ممَّا يُتوَهَّمُ تحريمُهُ ؛ كطعامِ الذينَ أُوتُوا الكتابَ ، وغيرِ ذلكَ .

هـٰذا مِنْ طريقِ المنقولِ .

(١) أخرجه مسلم (٢٨١٢) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

وأمَّا مِنْ طريقِ المعقولِ : فإنَّا نقولُ : إنَّ علمَ النحوِ الذي هوَ عونٌ على فهمِ كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وعلمَ البيانِ الذي يتَّضحُ بهِ إعجازُ القرآنِ ، ومسائلَ أصولِ الفقهِ . . لم تكنْ في ذلكَ الوقتِ ولا تكلَّمُوا فيها ؛ فإنْ كانَ كَمَلَ بدونِها[1] فبمُقتضى ما قُلتُم يكونُ الكلامُ فيها نقصاً وبدعةً ، وإنْ لم يكنْ كَمَلَ بدونِها فيلزمُ المحذورُ الذي ذكرتُموهُ .

ومعَ هٰذا : فقدِ اتَّفقْنا نحنُ وأنتُم على استحبابِ الاشتغالِ بهٰذهِ العلومِ ، وعدمِ الإنكارِ على الباحثينَ فيها والمُتضلِّعينَ منها ، وهل علمُ الكلامِ إلا يتعلَّقُ بالمعاني العقليَّةِ كما يتعلَّقُ النحوُ بالألفاظِ النقليَّةِ ؟! فيُعرَضُ المعنى على العقلِ ؛ فإنْ صحَّ وجازَ إطلاقُهُ أُطلِقَ وحُمِلَ على ظاهرِهِ ، وإلا أوَّلناهُ ؛ لما يستحيلُ وصفُ اللهِ تعالى بهِ .

ويمكنُ أنْ نتنزَّلَ معَكُم ونقولَ : كانَ معلوماً عندَ الصحابةِ والتابعينَ وتكلَّمُوا فيهِ ـ كما سيأتي النقلُ عنهُم في بابِهِ[2] ـ لٰكنْ لا باصطلاحاتِ علمِ الكلامِ ، ولم يكونُوا يحتاجونَ إلى اصطلاحاتٍ ؛ لأنَّهُم يفهمُونَ الإطلاقَ ببادئِ الرأيِ مِنْ غيرِ تروٍّ ولا فكرةٍ ولا نظرٍ ، كما كانُوا ينطقونَ بالكلامِ مُعرَباً مِنْ غيرِ معرفةِ فاعلٍ ولا مفعولٍ ، ولا مبتدإٍ ولا خبرٍ ، كذلكَ المعاني والأدلةُ التي أرشدَتْ إلى التأويلِ .

فما تمسَّكتُم بهِ مِنْ ذلكَ فلا دليلَ لكُم فيهِ ، وسيأتي استيعابُ ذكرِ ذلكَ في بابِهِ ، والسببُ المقتضي لنفورِ الأوائلِ مِنْ علمِ الكلامِ واستغنائِهِم عنهُ مُستوعَباً إنْ شاءَ اللهُ تعالى[3] .

(١) أي : كمل الدينُ بدون علم النحو والبيان وأصول الفقه .

(٢) انظر الباب الثالث والرابع والخامس .

(٣) انظر (١/ ٢٢٢، ٢٤٩ـ ٢٥١، ٢٧٧ـ ٢٧٨) .

[الردُّ على استدلالِ المخالفِ بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ هَلْ بَلَّغْتُ . . . »]

وأوردُوا علينا قولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ » في حَجَّةِ الوداعِ ، فقالَتِ الصحابةُ : نعم ، فقالَ : « ٱللَّهُمَّ ؛ ٱشْهَدْ »[1] .

فقالُوا : إنْ كانَ هٰذا العلمُ لا يكملُ الدينُ إلا بهِ ، وكانَ عليهِ السلامُ يعلمُهُ ولم يُبلِّغْهُ . . كيفَ يصحُّ على ذلكَ قولُهُ : « ٱللَّهُمَّ ؛ هَلْ بَلَّغْتُ ؟ » .

وإنْ كانَ هوَ عليهِ السلامُ لم يعلمْهُ ولا يكمُلُ الدينُ إلا بهِ . . فيكونُ صاحبُ الكلامِ على رأيِكُم أعلمَ مِنْ نبيِّهِ .

وإنْ كانَ علمَهُ وبلَّغَهُ فأَظْهِرُونا على نقلٍ يُعتمَدُ عليهِ ، وتسكنُ نفوسُنا إليهِ .

والجوابُ عنهُ : أنَّ الرسولَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يعلمُهُ ، وتكلَّمَ فيهِ كما تكلَّمَ في أصولِ الفروعِ ، وقرَّرَ كلَّ أصلٍ ، ومهَّدَ نصوصاً أتتْ علماءُ الصحابةِ والتابعينَ وتابعِ التابعينَ فقاسُوا عليها ، واستنبطُوا الأحكامَ وفرَّعُوا الفروعَ ، وأنَّ غالبَ ما وردَ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ مِنْ نصوصٍ وظواهرَ وأحكامٍ في وقائعَ . . قد دُوِّنَتْ فلم تَزِدْ على الألفِ ، وهٰذهِ كتبُ العلماءِ الأوائلِ والأواخرِ في العلومِ الشرعيةِ تُرْبي على ألفِ مُصنَّفٍ ، ما كانَ ذلكَ إلا لأنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قد أُوتِيَ جوامعَ الكلمِ ؛ فيدُلُّ على المعاني الكثيرةِ باللفظِ الوجيزِ ، ويشيرُ إلى الكثيرِ بالقليلِ ، وإلى النهاياتِ بالمبادئِ .

(١) أخرجه البخاري (١٧٤١) ، ومسلم (١٦٧٩/ ٣١) عن سيدنا أبي بكرة رضي الله عنه .

[الدليلُ النقليُّ والعقليُّ على كونِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يعلمُ الكلامَ بغيرِ عباراتِ المتكلِّمينَ]

والدليلُ على أنَّهُ كانَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يعلمُهُ بغيرِ عباراتِ المُتكلِّمينَ : النقلُ والعقلُ .

أمَّا العقلُ : فلأنَّا نُشاهِدُ الصلحاءَ والأولياءَ يكونُ الواحدُ منهُم لا يقرأُ ولا يكتبُ ولا يتكلَّمُ ، فيفتحُ اللهُ عليهِ بمعارفَ يُنطِقُهُ بها ، فيتكلَّمُ في أصولِ العقائدِ أحسنَ كلامٍ وأبينَهُ ، كما سيأتي النقلُ عمَّنْ ذكرتُهُ منهُم[1] ، فما ظنُّكَ بسيِّدِ الرسلِ المُفضَّلِ على سائرِ الأنبياءِ ، الذي هوَ أعرفُ باللهِ ؟! ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات : ٢٣] ، وقد قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنِّي لأَعْلَمُكُمْ بِاللهِ ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً »[2] ، وليسَ مِنْ شرطِ المعرفةِ عباراتُ المُتكلِّمينَ ؛ فإنَّ المقصدَ واحدٌ وإنِ اختلفَتِ الطرقُ إليهِ .

وأمَّا النقلُ : فمُجمَلٌ ، ومُفصَّلٌ .

أمَّا المُجمَلُ : فقولُهُ : « أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِاللهِ ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً » ، فقد نالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ رتبةِ المعرفةِ باللهِ أسناها وأدناها ، ومِنْ دَرَجِ العلمِ بالذاتِ والصفاتِ أعلاها[3] ؛ فلا صفةَ مِنَ الصفاتِ ولا اسمَ مِنَ الأسماءِ إلا وقد عَلِمَهُ ، وعَلِمَ ما يجوزُ ويستحيلُ ، وارتقى عن ذلكَ إلى ما هوَ مِنْ عينِ اليقينِ ، فنحنُ نقطعُ بعلمِهِ لما علمْناهُ وفوقَ ما علمناهُ مراتبَ لا تُدرِكُها

(١) انظر (١/ ٢٩٧ـ٣١٦) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٠) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها ، بلفظ : « إنَّ أتقاكم وأعلمَكم باللهِ أنا » ، ومسلم (١١٠٨) عن سيدنا عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه ، بلفظ : « أمَا واللهِ ؛ إنِّي لأتقاكم للهِ ، وأخشاكم لهُ » .

(٣) الدَّرَج : المراقي ، واحدتها : دَرَجَة ؛ كقَصَب وقَصَبة .

الأنبياءُ ، فما ظنُّكَ بالضَّعَفَةِ منَّا ومنكُم ؟!

وأمَّا التفصيلُ : فحديثُ عمرانَ بنِ حُصينٍ أنَّهُ وفدَ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وفدٌ مِنَ اليمنِ ، فقالُوا : جئْناكَ نسألُكَ عن أوَّلِ هٰذا الأمرِ كيفَ كانَ ؟ فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كَانَ ٱللَّهُ وَلاَ شَيْءَ مَعَهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ ، وَكَتَبَ فِي ٱلذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ » .

فقالَ لي رجلٌ : يا عمرانَ بنَ حُصينٍ ؛ ناقتَكَ ، فانطلقتُ إلى ناقتي ؛ فإذا السَّرابُ قد حالَ بيني وبينَها ، فوددتُ أنَّها ذهبَتْ ولم أُفارِقْ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يومَئذٍ[1] .

فكأنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قد شرعَ أنْ يذكرَ[2] لأولئكَ القومِ الذينَ سألُوهُ شيئاً مِنْ أصولِ قواعدِ العقائدِ ومبادئِ الأمرِ ، فأرادَ اللهُ ألا يُتِمَّ ذلكَ ؛ بأنْ قدَّرَ ذهابَ ناقةِ عمرانَ بنِ حصينٍ ؛ لأمورٍ وأسرارٍ للهِ عزَّ وجلَّ في ذلكَ ؛ ولهٰذا لم يبقَ مَنْ روىٰ مِنْ ذلكَ المجلسِ شيئاً غيرُ عمرانَ بنِ حصينٍ ، ولم يروِ عمرانُ مِنْ ذلكَ المجلسِ إلا مبدأَ الكلامِ ؛ ﴿ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال : ٤٢][3] .

ولله سِرٌّ في مُلكِهِ لا يدركُهُ عبادُهُ ، وليسَ لهُم عليهِ اعتراضٌ فيهِ ؛ ألا ترىٰ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ وهوَ في مرضِهِ : « هَاتُوا أَكْتُبْ لَكُمْ كِتَاباً لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ أَبَداً » ، فحِيلَ بينَهُ وبينَ ذلكَ ، فكانَ بعضُ الصحابةِ رضيَ اللهُ

(١) أخرجه البخاري (٣١٩١) .

(٢) قوله : (أن يذكر) كذا في نسختينا بإثبات (أن) ، والقياس حذفها ؛ لأنها واقعة بعد فعل من أفعال الشروع .

(٣) كذا في نسختينا بياءين من (حيي) ، وهي قراءة نافع وشعبة والبزي وغيرهم . انظر « إتحاف فضلاء البشر » (ص٢٩٨) .

عنهُم يقولُ : (إنَّ الرَّزِيَّةَ كلَّ الرزيَّةِ ما حالَ بينَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وبينَ الكتابِ)[1] .

وكذلكَ لمَّا أُرِيَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ليلةَ القدرِ ، فتلاحى رجلانِ ، فرُفِعَتْ[2] .

فحكمةُ اللهِ تعالىٰ في مُلكِهِ لا تُعلَّلُ .

وسيِّدُنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بلَّغَ مِنْ كلِّ علمٍ قواعدَهُ أو ما يشيرُ إليهِ ويُنبِّهُ عليهِ ، ويأتي العلماءُ مِنْ بعدِهِ فيُمهِّدُونَ تلكَ الفوائدَ ، ويبنونَ علىٰ ذلكَ الأساسِ كما تقدَّمَ .

وإذا تدبَّرْتُم ـ وفَّقَكُمُ اللهُ ـ هٰذا العلمَ الذي تُزْرُونَ على الناسِ بتعلُّمِهِ . . وجدتُم أكثرَهُ أتىٰ بقواعدِهِ الكتابُ والسنَّةُ كما سيأتي بيانُهُ في هٰذهِ المُقدِّمةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ، وأُنبِّهُكُم علىٰ فصلٍ فصلٍ أنَّهُ وردَ بهِ الكتابُ العزيزُ والسنَّةُ النبويةُ ناصرَينِ للعقلِ في ذلكَ ومُؤيِّدَينِ لهُ ، ومُشرِّفَينِ لقدرِهِ ، ومُنوِّهَينِ بذكرِهِ[3] .

(١) أخرجه البخاري (١١٤) ، ومسلم (٢٢/١٦٣٧) ، **وبعض الصحابة** : هو سيدنا ابن عباس راوي الحديث ، وحال سيدنا عمر بينه وبين الكتاب ؛ لما رأىٰ من شدة وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واكتفىٰ بما سبق بيانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم تخفيفاً عليه ، وفي ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الإنكارَ عليه . . دليلٌ على استصواب رأيه رضي الله عنه . انظر « مرقاة المفاتيح » (٩/ ٣٨٥١) .

(٢) أخرجه البخاري (٢٠٢٣) عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، **والرجلان** : **قيل** : هما عبد الله بن أبي حدرد وكعب بن مالك رضي الله عنهما . انظر « مرقاة المفاتيح » (٤/ ١٤٤٤) .

(٣) وقد ألَّف الإمام الغزالي كتاباً نفيساً بديعاً سمَّاه « القسطاس المستقيم » استنبط به أنواع القياس المنطقي التي يُستدل بها في علم الكلام وغيره ، وذلك من خلال بعض الآيات القرآنية ، وأتىٰ فيه بمصطلحات خالف فيها علماء المنطق فيما درجوا عليه في كتبهم المنطقية .

[مَنِ استدلَّ بالأدلَّةِ العقليةِ على وجودِ البارئِ وصفاتِهِ لم يخرجْ عنِ الكتابِ والسنةِ]

والقصدُ في هـٰذِهِ المُقدِّمةِ : بيانُ أنَّ مَنْ جنحَ إلى الاستدلالِ بالأدلَّةِ العقليَّةِ على وجودِ البارئِ تباركَ وتعالى وعلى صفاتِهِ ، وتنزيههما عنِ النقائصِ . . لم يخرجْ عنِ الكتابِ والسنَّةِ ؛ فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ : ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة : ١٦٣] ، مُستدِلاً على ذلكَ بما بعدَهُ ؛ وهوَ قولُهُ جلَّ وعلا : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . . . ﴾ إلى قولِهِ : ﴿ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤] ، ففتحَ لعبادِهِ باباً للاستدلالِ على الوَحْدانيَّةِ بالعقلِ ، واختصاصِ الهدايةِ بمَنْ عقلَ ، فاستدلَّ على الصانعِ بالمصنوعِ .

وأيَّدَ العقلَ الذي هدى إلى الوَحدانيَّةِ بدلالةِ التمانعِ ؛ فقالَ : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] .

وحضَّ خلقَهُ على التدبُّرِ بالعقولِ ؛ فقالَ : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] .

وذمَّ قوماً على عدمِ التدبُّرِ والاستدلالِ بالعقلِ ، والغفلةِ عنِ النظرِ ؛ فقالَ تباركَ وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف : ١٧٩] ، وأردفَ ذلكَ عاتباً عليهم بقولِهِ : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ . . . ﴾ إلى أنْ قالَ : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

وكثيراً ما وردَتِ الآياتُ في القرآنِ تحُضُّ على الاهتداءِ بنورِ العقلِ إلى إثباتِ الذاتِ والصفاتِ .

فثبتَ بهذا : أنَّ المُستدِلَّ على حَدَثِ العالَمِ ، ووجودِ الصانعِ تعالىٰ وتقدَّسَ ، وعلىٰ وَحْدانيَّتِهِ وصفاتِهِ كلِّها ، وإثباتِ ما يجبُ لهُ ، ونفيِ ما يستحيلُ عليهِ . . لم يأتِ مُنكَراً ، ولا ارتكبَ محظوراً ، بل أتىٰ بما يُوافِقُ كتابَ اللهِ وسنَّةَ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وروى الحافظُ أبو نُعيمٍ الأصفهانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ ، عن سُوَيدِ بنِ غَفَلَةَ : أنَّ أبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ خرجَ ذاتَ يومٍ ، فاستقبلَهُ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ لهُ : بمَ بُعِثتَ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « بِٱلْعَقْلِ » .

قالَ : فبمَ أُمِرتَ ؟ قالَ : « بِٱلْعَقْلِ » .

قالَ : فبمَ يُجازى الناسُ يومَ القيامةِ ؟ قالَ : « بِٱلْعَقْلِ » .

قالَ : فكيفَ لنا بالعقلِ ؟ قالَ : « إِنَّ ٱلْعَقْلَ لاَ غَايَةَ لَهُ ، وَلَـٰكِنْ مَنْ أَحَلَّ حَلاَلَ ٱللهِ وَحَرَّمَ حَرَامَهُ سُمِّيَ عَاقِلاً ، فَإِنِ ٱجْتَهَدَ بَعْدَ ذَلِكَ سُمِّيَ عَابِداً ، فَإِنِ ٱجْتَهَدَ بَعْدَ ذَلِكَ سُمِّيَ جَوَاداً .

فَمَنِ ٱجْتَهَدَ فِي ٱلْعِبَادَةِ ، وَسَمَحَ فِي نَوَائِبِ ٱلْمَعْرُوفِ بِلاَ حَظٍّ مِنْ عَقْلٍ يَدُلُّهُ عَلَى ٱتِّبَاعِ أَمْرِ ٱللهِ وَٱجْتِنَابِ مَا نَهَى ٱللهُ عَنْهُ . . فَأُولَـٰئِكَ هُمُ ٱلأَخْسَرُونَ أَعْمَالاً ، ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً »[1] .

وقد أخبرَ اللهُ تعالىٰ عن حالِ قومٍ لم يهتدُوا بإخبارِ الأنبياءِ ولا بعقولِهم إلىٰ توحيدِ اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ فقالَ : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك : ١٠] .

ورُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ قَسَمَ

(١) حلية الأولياء (١/ ٢١) ، وليس فيه : (قال : فبم أُمِرتَ . . . يومَ القيامةِ ؟ قالَ : بالعقلِ) ، وأخرجه كاملاً الحارث ابن أبي أسامة كما في « بغية الباحث » (٨٣٢) ، وانظر « تنزيه الشريعة المرفوعة » (١/ ٢١٧ـ٢١٨) .

ٱلْعَقْلَ عَلَىٰ ثَلاَثَةِ أَجْزَاءٍ ؛ فَمَنْ كُنَّ فِيهِ كَمَلَ عَقْلُهُ ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ جُزْءٌ مِنْهَا فَلاَ عَقْلَ لَهُ » .

قيلَ : يا رسولَ ٱللهِ ؛ ما أجزاءُ ٱلعقلِ ؟ قالَ : « حُسْنُ ٱلْمَعْرِفَةِ بِٱللهِ ، وَحُسْنُ ٱلطَّاعَةِ للهِ ، وَحُسْنُ ٱلصَّبْرِ عَلَىٰ أَمْرِ ٱللهِ »[1] .

وقالَ أنسُ بنُ مالكٍ : أثنىٰ قومٌ علىٰ رجلٍ عندَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حتَّىٰ بالغُوا ، فقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كَيْفَ عَقْلُ ٱلرَّجُلِ ؟ » ، فقالُوا : نُخبِرُكَ عنِ اجتهادِهِ في العبادةِ وأصنافِ الخيرِ وتسألَنا عن عقلِهِ يا رسولَ اللهِ ؟!

فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱلأَحْمَقَ يُصِيبُ بِحُمْقِهِ أَعْظَمَ مِنْ فُجُورِ ٱلْفَاجِرِ ، وَإِنَّمَا يُرْفَعُ ٱلْعِبَادُ غَداً فِي ٱلدَّرَجَاتِ مِنْ رَبِّهِمْ عَلَىٰ قَدْرِ عُقُولِهِمْ »[2] .

فقد ثبتَ بما أوردتُهُ : أنَّ المُستدِلَّ بالعقلِ غيرُ آتٍ ببِدْعٍ ، ولا مُخالِفٍ لسنَّةٍ ولا شرعٍ ، وهلِ العقلُ إلا مِشْكاةٌ تضيءُ ظُلَمَ الإلباسِ ؟! قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام : ١٢٢][3] .

* * *

(١) أخرجه الحارث ابن أبي أسامة كما في « بغية الباحث » (٨١٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢١) ، ومن طريق الحارث في « الأربعين على مذهب المتحققين من الصوفية » (٥٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وانظر « اللآلئ المصنوعة » (١/ ١١٧) ، و« تنزيه الشريعة المرفوعة » (١/ ١٧٥) .

(٢) أخرجه الحارث ابن أبي أسامة كما في « بغية الباحث » (٨١٤) ، والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (١٠٤٨) الأصل : (٢٠٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر « تنزيه الشريعة المرفوعة » (١/ ٢١٣) .

(٣) أشار في هامش الأصل إلىٰ أنه تنقل الورقة التي أولها : (فصل) إلىٰ هٰذا الموضع ، وبحثت عنها فلم أجدها ، وكلمة (فصل) الآتية هي من (ب) .

فصل

في إثبات التأويل من خلال قوله تعالى:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ (١)

إذا ثبتَ ذلكَ فأقولُ مُستعِيناً باللهِ ، مُسترشِداً بهدايتِهِ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ :

دلَّ الدليلُ العقليُّ الذي هدانا إلىٰ معرفةِ وجودِ ذاتِ البارئِ وصفاتِهِ . . علىٰ صَرْفِ الآياتِ والأحاديثِ الواردةِ مِنَ الكتابِ والسنَّةِ المُوهِمةِ عن ظاهرِها ، وهيَ كثيرةٌ يطولُ الشرحُ في تتبُّعِها ، لـٰكنْ يقعُ الكلامُ علىٰ آيةٍ منها ؛ وهيَ قولُهُ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ، فإذا ثبتَ الدليلُ فيها ثبتَ في الجميعِ .

فأقولُ مُستعِيناً باللهِ العظيمِ ، ومُستمِدّاً مِنْ فضلِهِ العميمِ ، ومُستعِيذاً مِنَ الشيطانِ الرجيمِ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ :

هـٰذهِ الآيةُ الكريمةُ لا تخلو : إمَّا أنْ تُؤوِّلُوها ، أو لا ؛ فإنْ أوَّلتُموها فهوَ

(١) ولعل حكمة اختيار المؤلف لهـٰذه الآية : هي الردُّ من خلالها على ابن تيمية الذي فسَّرها بتفسير صريح في التشبيه والجسمية ، وأضلَّ بتفسير هـٰذه الآية كثيراً من العامة ، ولا ينكر ذلك إلا كل أعمى الفؤاد مطموس البصيرة ، ومن جملة أقواله في التجسيم : (لو شاء لاستقرَّ على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته ، فكيف على عرش عظيم؟!) ، تعالى الله وتقدَّس عن هـٰذا الكلام علوّاً كبيراً ، وستأتي توبة ابن تيمية الظاهرة من التفسير الذي شاع عنه في الاستواء وغيره ، إلا أنه سينكص ويرجع إلىٰ ما كان عليه . انظر (٢/٥٣٨ـ ٥٤٢) .

المطلوبُ ، وإن لم تُؤوِّلُوها فلا يخلو : إمَّا أنْ يُعتقَدَ ظاهرُها[1] ، أو لا تعتقدُوا ظاهرَها .

فإنْ لم تعتقدُوا ظاهرَها فلا يخلو : إمَّا أنْ يكونَ معَ الجزمِ بنفيِ الظاهرِ ، أو لا ؛ فإنْ لم تجزمُوا فقد شَكَكْتُم ؛ لأنَّ إثباتَ الظاهرِ ونفيَهُ قسمةٌ عقليَّةٌ دائرةٌ بينَ النفيِ والإثباتِ ، والشكُّ في نفيِ الظاهرِ بمثابةِ اعتقادِ الظاهرِ ؛ لأنَّ كلَّ مُعتقَدٍ يجبُ العلمُ بهِ ، والشكُّ رجوعٌ إلى الجهلِ ، والجهلُ في المُعتقَداتِ في أصولِ الدِّياناتِ لا يُعذَرُ صاحبُهُ ؛ ألا ترىٰ أنَّ مَنْ شكَّ في وجودِ البارئِ تباركَ وتعالىٰ بمثابةِ مَنْ صمَّمَ علىٰ نفيِهِ .

وإنْ جزمتُم فلا يخلو : إمَّا أنْ تقولُوا معَ ذلكَ : إنَّ لهُ تأويلاً في نفسِ الأمرِ ، أو لا ؛ فإنْ قلتُم : لا تأويلَ لهُ في نفسِ الأمرِ . . فذلكَ باطلٌ مِنْ وجهينِ :

الأوَّلُ : أنَّهُ إمَّا رجوعٌ إلى الظاهرِ وقد نفيتُموهُ ، أو إخلاءُ اللفظِ عنِ المعنىٰ بالكليَّةِ حالاً ومآلاً ، وكلامُ اللهِ تعالىٰ مُنزَّهٌ عن ذلكَ .

والوجهُ الثاني : أنَّهُ خلافُ ما وردَ بهِ الكتابُ العزيزُ ؛ فإنَّهُ أثبتَ لهُ تأويلاً ، فنافيهِ مُصادِمٌ لكتابِ اللهِ تعالىٰ ، والدليلُ علىٰ أنَّ اللهَ أثبتَ لهُ تأويلاً : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران : ٧] .

والجوابُ مِنْ وجهٍ ثالثٍ ذكرَهُ إمامُ الحرمينِ : قالَ إمامُ الحرمينِ في كتابِ « الإرشادِ » : (والمعنيُّ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ . . . ﴾ الآيةَ [آل عمران : ٧] : مراجعةُ مُنكِري البعثِ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في استعجالِ الساعةِ ، والسؤالِ عن مُنتهاها ، ومَوْقِعِها ومُرْساها .

(١) كذا في (أ ، ب) ، والأنسب بالسياق : (إما أن تعتقدوا ظاهرَها) .

والمرادُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ أي : وما يعلمُ مآلَهُ إلا اللهُ .

ويشهدُ لذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ﴾ [الأعراف : ٥٣] ، والتأويلُ فيها محمولٌ على الساعةِ باتِّفاقِ الجماعةِ)[1] .

قلتُ : ويُؤيِّدُ ما قالَهُ الإمامُ رضيَ اللهُ عنهُ : ما نقلَهُ الإمامُ أبو نصرِ بنُ القشيريِّ في « تفسيرِهِ » قالَ : (فالمُحكَمُ : ما كانَ بيِّناً ، والمُتشابِهُ : ما يُدرَكُ بالنظرِ ، ويُخرَّجُ على المحكمِ الذي هوَ الأصلُ .

وقالَ الزجَّاجُ : ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ [آل عمران : ٧] أي : أُحكِمَتْ في الإبانةِ ، فلا حاجةَ لها إلىٰ تأويلٍ ؛ مثلُ ما أخبرَ بهِ مِنْ إنشاءِ الخلقِ ؛ إذْ قالَ : ﴿ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً . . . ﴾ الآيةَ [المؤمنون : ١٤] ، ومِنْ أنَّهُ خالقُ السماواتِ والأرضِ والمياهِ والثمارِ ، والمتشابهُ : ما احتِيجَ فيهِ إلىٰ نظرٍ ؛ مِنْ أنَّ اللهَ يبعثُهُم ، وإذا نظرُوا صارَ المُتشابِهُ كالمُحكَمِ ؛ فإنَّ مَنْ قَدَرَ على الابتداءِ قَدَرَ على الإعادةِ[2] .

وقيلَ : المُحكَمُ : إحكامُ الشرعِ ، والمُتشابِهُ : الإخبارُ عنِ الغيبِ ؛ فإنَّهُم كانُوا [يتَّبعونَ ما تشابهَ منهُ] ابتغاءَ الفتنةِ[3] .

قيلَ : همُ الذينَ قالُوا : متى الساعةُ ؟ وكأنَّ هٰذا مِنْ فَرْطِ إنكارِهِم ، فقالَ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ أي : مآلَ الأمورِ ، ومتىٰ تقومُ الساعةُ ، ومتىٰ خروجُ يأجوجَ ومأجوجَ) .

(١) الإرشاد إلىٰ قواطع الأدلة (ص٤٢) .

(٢) انظر « معاني القرآن » للزجاج (١/ ٣٧٦ـ٣٧٧) .

(٣) ما بين معقوفين غير ظاهر في (أ) بسبب التصوير ، ونبَّه عليه الناسخ في هامش (ب) ، وقد اجتهدت في إكماله علىٰ ما يقرب من الصواب ، والله تعالىٰ أعلم .

ثمَّ قالَ : (والرسوخُ : الثبوتُ ، ولا أحدَ يصيرُ إلى أنَّهُ لا يجوزُ التأويلُ فيما يتعلَّقُ بالأحكامِ ، وإنَّما بالغَ أقوامٌ في اجتنابِ ذلكَ فيما يتعلَّقُ بمعرفةِ الصانعِ وصفاتِهِ معَ دعوى الأخذِ بالظاهرِ ، ولا يخفى أنَّ الظاهرَ التشبيهُ في كلِّ لفظٍ يُوهِمُ التشبيهَ ، فإنِ اعترفَ هؤلاءِ بأنَّهُم لا يُشبِّهُونَ فقد تركُوا الظاهرَ بالضرورةِ ، وعندَ منعِ الظاهرِ فلا منعَ مِنْ تكلُّفِ تأويلٍ ممكنٍ) .

فقد صُرِفَتِ الآيةُ عمَّا حملُوها عليهِ ، وإذا صُرِفَتْ عمَّا حملتُموها عليهِ فلا دليلَ لكُم فيها ، واللهُ أعلمُ .

وإنْ قلتُم : إنَّ لهُ تأويلاً . . فلا يخلو : إمَّا أنْ تقولُوا : إنَّ في الممكنِ أنْ يُطلِعَ اللهُ عليهِ بعضَ عبادِهِ ، أو لا ، لا جائزَ أنْ تقولُوا بعدمِ الإمكانِ ؛ لأنَّ الممكنَ ما استوىٰ طرفاهُ وجوداً وعدماً ، وهٰذا مُستوِي الطرفينِ بالنسبةِ إلى القدرةِ ؛ فوجبَ أنْ يكونَ ممكناً .

فإنْ قيلَ : قولُه تعالىٰ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ خبرٌ ، ويستحيلُ على الخبرِ الخُلْفُ .

فالجوابُ مِنْ وجهينِ :

الأوَّلُ : أنَّهُ إنَّما يَتِمُّ لكُم ذلكَ علىٰ قراءةِ مَنْ وقفَ على اسمِ اللهِ عزَّ وجلَّ وابتدأَ : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ ، والذي عليهِ أكثرُ القُرَّاءِ ، وتناقلَهُ أهلُ الأداءِ ، وهوَ المَرْضِيُّ عندَ علماءِ السنَّةِ : الوقفُ علىٰ قولِهِ : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾[1] .

(١) الوقف على : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ هو قول أكثر أهل العلم من المفسرين والقراء والنحويين . انظر « المكتفى في الوقف والابتدا » (ص٣٧) ، والذي ذكره المؤلف هو قول مجاهد والربيع بن أنس وأكثر المتكلمين واختاره المحققون ، وقولٌ مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وفي المسألة تفصيل ونقاش طويل ينظر في « تفسير الرازي » (٧/ ١٤٥ـ١٤٧) ، و« تفسير القرطبي » (٤/ ١٦ـ ١٨) ، وراجع تعليق الكوثري على « دفع شبه التشبيه » (ص٦٠ـ٦١) .

والثاني : أنَّ التأويلَ لهـٰذا المتشابهِ الذي أرادَهُ اللهُ لا يعلمُهُ على ما هوَ عليهِ إلا اللهُ عزَّ وجلَّ ، ونحنُ وإنْ ذكرْنا لهُ تأويلاً أو تأويلينِ فأكثرَ ؛ يحتملُ أنْ تكونَ كلُّها أو أحدُها هوَ الذي في نفسِ الأمرِ تأويلُهُ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ويحتملُ أنْ نكونَ لم نصادفْهُ . . فنحنُ غيرُ جازمينَ بأنَّ ما ذكرْناهُ هوَ التأويلُ الذي عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ولا نقطعُ بأنَّ ما نذكرُهُ هوَ التأويلُ ، بخلافِ علمِ اللهِ بتأويلِهِ ؛ فإنَّهُ لا يُعارِضُهُ تردُّدٌ أصلاً .

* * *

الحجة على إثبات التأويل من خلال ثلاثة مسالك

فقد صحَّ أنْ تكونَ موافقةُ التأويلِ ممكنةً ، وإذا أمكنَ ذلكَ عقلاً فلنا في إثباتِ الحُجَّةِ مسالكُ :

الأوَّلُ : أنْ نقولَ : تعارضَ معَنا نقلٌ وعقلٌ : فلا سبيلَ إلىٰ إعمالِهما ؛ لأنَّهُ يلزمُ منهُ الجمعُ بينَ النفيِ والإثباتِ ، ولا سبيلَ إلىٰ إلغائِهما ؛ لأنَّهُ يرفعُ النفيَ والإثباتَ ، ولا سبيلَ إلىٰ إعمالِ العقلِ دونَ النقلِ ؛ لأنَّ النقلَ ثمرةُ العقلِ ؛ ففيهِ إبطالٌ لفائدةِ العقلِ ، ولا سبيلَ إلىٰ إعمالِ النقلِ وإبطالِ العقلِ ؛ لأنَّ الدلائلَ العقليَّةَ أصلٌ لتصديقِ الشواهدِ النقليَّةِ ؛ فإلغاءُ الأصلِ معَ تصحيحِ الفرعِ يُفضي إلىٰ تكذيبِ شواهدِ العقلِ ، وتكذيبُ شواهدِ العقلِ يُفضي إلىٰ عدمِ تصحيحِ النقلِ ، فلم يبقَ إلا إبقاءُ العقلِ وتأويلُ النقلِ ، وقد قلتُم : إنَّ مُوافقةَ التأويلِ ممكنةٌ ، وقد ألجأنا إليهِ الدليلُ ، فوجبَ القولُ بالتأويلِ .

المسلكُ الثاني : قد تقرَّرَ : أنَّ المصيبَ في أصولِ الدينِ ومذاهبِ العقائدِ . . واحدٌ ، وليسَ كلُّ مجتهدٍ مُصيباً ، ولو قُلْنا : إنَّ كلَّ مجتهدٍ مُصيبٌ . . لزمَ عليهِ الطامَّةُ الكبرىٰ .

وقدِ اجتهدتَ أيُّها الظاهريُّ أنتَ وجماعةٌ مِنْ متأخِّري الحنابلةِ ، وأدَّاكُمُ اجتهادُكُم إلىٰ عدمِ التأويلِ .

لا يُقالُ : إنَّ أوائلَ العلماءِ معَكُم ؛ لأنَّ ما نُقِلَ عنهُم محمولٌ علىٰ تأويلٍ صحيحٍ سيأتي ذكرُهُ ، وقدِ اجتهدَ علماءُ التأويلِ مِنْ لَدُنْ عليٍّ وابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما وإلىٰ هلمَّ ، وأدَّاهُمُ اجتهادُهُم إلى التأويلِ ؛ فإذا تعارضَ

إصابةُ قومٍ ليسَ فيهِم عليٌّ وابنُ عباسٍ ، معَ إصابةِ قومٍ فيهِم عليٌّ وابنُ عباسٍ وأكثرُ الصحابةِ . . كانَ العقلُ يدُلُّنا علىٰ أنَّ المصيبَ القومُ الذينَ فيهِم عليٌّ وابنُ عباسٍ ، وقد نُقِلَ عنهُمُ القولُ بالتأويلِ علىٰ ما سنذكرُهُ[1] ، فوجبَ الرجوعُ إليهِ .

المسلكُ الثالثُ : أنْ نقولَ : قد ثبتَ : أنَّ مُوافقةَ التأويلِ ممكنةٌ ، والمرادُ مِنَ الخلقِ الاعترافُ بخالقِهِم وعبادتُهُ ؛ لأنَّ العبادةَ فرعٌ عنِ المعرفةِ بالمعبودِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، **قيلَ** : ليعرفونِ ، وعلىٰ غيرِ هٰذا القولِ قد قدَّمْنا أنَّ العبادةَ فرعُ المعرفةِ ، والمعرفةُ إنَّما تتهيَّأُ بالصفاتِ ؛ لأنَّ كنهَ الذاتِ لا يُدرَكُ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠] ، وقالَ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (العجزُ عنِ الإدراكِ إدراكٌ)[2] .

وإذا وردَتِ الصفاتُ الجليلةُ : فإنْ كانَ ظاهرُها لا يُوهِمُ التشبيهَ حملْناها علىٰ ظاهرِها ؛ لعدمِ المُعارَضةِ العقليَّةِ ، وإنْ كانَ ظاهرُها يُوهِمُ التشبيهَ **فلا يخلو** : إمَّا أنْ يقدِرَ العبدُ علىٰ فهمِ المعنىٰ مِنْ غيرِ خوضٍ في التأويلِ ، أو لا .

إنْ فَهِمَ ذلكَ مِنْ غيرِ خوضٍ في التأويلِ فكالصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم إذا سمعُوا : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء : ٢٩] . . **لم يفهمُوا مِنْ ذلكَ** يدَ الجارحةِ أصلاً ، **وإنَّما يفهمُونَ** الزيادةَ في الإنفاقِ والإسرافَ فيهِ ؛ وذلكَ بقولِهِ : ﴿ كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ ، والزيادةَ في التقتيرِ بقولِهِ : ﴿ مَغْلُولَةً ﴾ .

(١) انظر (١/ ٢٢٤ـ٢٤٦) .

(٢) أورده القاضي أبو المظفر الإسفرايني في « التبصير في الدين » (ص١٦٠) ، وقال : (ومعناه : إذا صح عندك أن الصانع لا يمكن معرفته بالتصوير والتركيب ، والقياس على الخلق . . صحَّ عندك أنه خلاف المخلوقات) .

وكذلكَ يفهمُونَ قولَهُ حاكياً عنِ اليهودِ : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [المائدة : ٦٤] ، مِنْ غيرِ أنْ يخطُرَ لهُمُ الجارحةُ أصلاً ، بل يفهمُونَ أنَّ اليهودَ لعنَهُمُ اللهُ أرادُوا بذلكَ تأخُّرَ الرزقِ عنهُم .

ويفهمُونَ مِنْ قولِهِ : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة : ٦٤] زيادةَ الكرمِ ومُوالاةَ النِّعَمِ ، حتىٰ على الكفارِ الذينَ يجعلُونَ معَ اللهِ إلٰهاً آخرَ وهوَ يرزقُهُم ويُعطيهِم .

فهُم يفهمُونَ ذلكَ مِنْ غيرِ أداةِ التأويلِ فهماً سريعاً مِنْ غيرِ إطالةِ نظرٍ ، ولا تعليمِ عبارةٍ ، ولا تفهيمِ دليلٍ .

وإنْ كانَ لا يفهمُ ذلكَ إلا بالتأويلِ وجبَ عليهِ الخوضُ في التأويلِ ؛ ليقعَ التنزيهُ في قلبِهِ ولا يبقىٰ لبصيرِ بصيرتِهِ طموحٌ ، ولا إلى الحملِ على الظاهرِ جُنوحٌ .

وقد ثبتَ : أنَّ المعرفةَ واجبةٌ ، والتأويلَ ممكنُ الموافقةِ ، والتنزيهَ عنِ المُوهِماتِ في المعرفةِ واجبٌ ؛ فالتأويلُ وسيلةٌ إلى التنزيهِ الذي هوَ واجبٌ في المعرفةِ التي هيَ واجبةٌ ، وقد تقرَّر أنَّ ما لا يَتِمُّ الواجبُ إلا بهِ فهوَ واجبٌ إذا كانَ مَقْدوراً للمُكلَّفِ ، وهٰذا مَقْدورٌ لهُ ؛ فتعيَّنَ القولُ بوجوبِهِ ، واللهُ أعلمُ .

* * *

عود إلى الكلام على إثبات التأويل من خلال آية الاستواء

عُدْنا إلى التقسيم الأولِ ؛ وهوَ أنَّا قُلْنا : إمَّا أنْ تعتقدُوا الظاهرَ أو لا ، فأخذْنا أولاً قسمَ النفيِ إلى أنْ أفضى بنا إلى التأويلِ ، ونأخذُ قسمَ الإثباتِ ؛ فإنَّهُ يُفضِي إلى ما يُبيِّنَ فسادَ قولِ الظاهريَّةِ عقلاً ، فنقولُ :

وإنِ اعتقدتُمُ الظاهرَ فلا يخلو : إمَّا أنْ تعتقدُوا ذلكَ بواسطةِ الجِسْميَّةِ أو لا ؛ فإنْ قلتُم : بواسطةِ الجسميَّةِ . . لزمَكُمُ التركيبُ ؛ لأنَّ الجسمَ ما تركَّبَ مِنْ جزأينِ فصاعداً ، والتركيبُ مستحيلٌ ، وما أفضى إلى المستحيلِ فهوَ مستحيلٌ .

[التركيبُ مستحيلٌ على اللهِ تعالى لوجهينِ]

إنَّما قُلنا : إنَّ التركيبَ مُستحيلٌ ؛ لوجهينِ :

أحدُهُما : لأنَّ المركَّبَ لا يخلو : إمَّا أنْ تقومَ الأوصافُ ـ كالقدرةِ مثلاً ـ بكلِّ جزءٍ ، أو بواحدٍ مِنَ الأجزاءِ ، أو بمجموعِهما[1] .

فإنْ قلتُم : تقومُ بكلِّ جزءٍ . . لزمَ أنْ يكونَ كلُّ جزءٍ قادراً مُخترِعاً بالقدرةِ التي قامَتْ بهِ ، ويلزمُ على ذلكَ ثبوتُ إلـٰهينِ فصاعداً .

وإنْ قلتُم : تقومُ القدرةُ بواحدٍ مِنَ الأجزاءِ . . لزمَ حالةَ قيامِهِ[2] بهـٰذا الجزءِ نفيُها عنِ الجزءِ أوِ الأجزاءِ الأخرىٰ فصاعداً ، ولزمَ إخلاؤُهُ عنِ القدرةِ ،

(١) أو العبارة هي : (أو بمجموعها) ، والمعنى عليها واضح ، إلا أن الرسم لا يوافقه ، وسيؤكد المؤلف معنى التثنية أثناء التفريع .

(٢) أي : المذكور ؛ وهو القدرة .

وإذا خلا عنِ القدرةِ لزمَ إثباتُ قديمٍ عاجزٍ .

وأيضاً : فإنَّ الجزأينِ مستويانِ في قَبولِ الصفاتِ ؛ فتخصيصُ أحدِهما بصفةِ القدرةِ : إمَّا أنْ يكونَ بمُخصِّصٍ ، أو لا .

فإنْ كانَ ذلكَ بمُخصِّصٍ غيرِهما لزمَ أنْ يكونَ الفاعلُ غيرَهُما ، وينتقلُ الكلامُ إليهِ . . . إلىٰ ما لا نهايةَ لهُ ، وهوَ يُؤدِّي إلى الإشراكِ أوِ السَّفْسطةِ .

وإنْ كانَ بغيرِ مُخصِّصٍ لزمَ التخصيصُ مِنْ غيرِ مُخصِّصٍ ، وهوَ مُحالٌ .

وإنْ قلتُم : إنَّ صفةَ القدرةِ قامَتْ بمجموعِهما . . لزمَ أنْ يكونَ المعنى الواحدُ قائماً بمحلَّينِ ، أو مُنقسِماً عليهِما في حالةٍ واحدةٍ ، وإنَّهُ محالٌ[1] .

والدليلُ الثاني علىٰ إبطالِ التركيبِ : أنَّ المُركَّبَ مُفتقِرٌ إلىٰ أحدِ جزأَيْهِ ، والمفتقرُ لا يصلحُ للربوبيَّةِ .

وإذا بطلَتْ هٰذهِ الأقسامُ بطلَ القولُ بالتركيبِ ، وإذا بطلَ القولُ بالتركيبِ بطلَ القولُ بالجسمِ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ وتقدَّسَ عُلُوّاً كبيراً .

إلزامُ القولِ بالجسميَّةِ للقائلينَ بالجهةِ مِنْ غيرِ تجسيمٍ

وإنْ قلتُم : ليسَ بجسمٍ . . فلا يخلو : إمَّا أنْ تقولُوا : إنَّ القديمَ شاغلٌ لحيِّزٍ ، أو أحيازٍ ، أو لا .

فإنْ قلتُم : إنَّهُ غيرُ شاغلٍ للأحيازِ أو للحيِّزِ . . فلا معنىٰ لتخصيصِهِ بجهةٍ ؛ فإنَّ ما لا يشغلُ أحيازاً أو حيِّزاً تستوي الجهاتُ في إضافتِها إليهِ ، وإنَّما يختصُّ بالحيِّزِ شاغلُها[2] .

(١) فالصور ثلاث : إما أن تقوم القدرة بكل محلٍّ لا علىٰ سبيل الانقسام ، أو تقومَ بمحلٍّ واحد فقط ، أو تقومَ بمحلَّين علىٰ سبيل الانقسام .

(٢) كذا في (أ ، ب) ، والأنسب بالسياق : (وإنما يختص بالجهة شاغلها) ، وهو كذلك في =

وإنْ قلتُم : إنَّهُ شاغلٌ للحيِّزِ . . فهوَ باطلٌ مِنْ وجوهٍ :

الأولُ : أنَّ الشاغلَ للحيِّزِ **لا يخلو** : إمَّا أنْ يكونَ مثلَهُ قدراً ومِساحةً ، أو أكبرَ منهُ وأكثرَ ذهاباً في الجهاتِ ، وإمَّا أنْ يكونَ أصغرَ منهُ .

فإنْ قلتُم : إنَّ الشاغلَ للعرشِ مثلُهُ وقدرُهُ . . لزمَ منهُ التصريحُ بالقَدْرِ والنهايةِ ، وأنتُم قد نفيتُمُوهُما ؛ إذْ هما مِنْ أوصافِ الجسميَّةِ .

وإنْ قلتُمُ : الشاغلُ للحيِّزِ أكبرُ منهُ . . لزمَ منهُ **أمرانِ يخرجانِ إلى الخروجِ عنِ الدينِ أو عن صفاتِ العقلاءِ** :

أحدُهُما : أنَّ الذي قابلَ العرشَ وحاذاهُ يجبُ أنْ يكونَ لهُ حُكْمُ القَدْرِ والنهايةِ .

والثاني : أنَّهُ إذا قابلَ العرشَ وزادَ ذهاباً في الجهاتِ والأقطارِ . . فقد ثبتَ لهُ حُكْمُ التأليفِ والتبعيضِ ، وهـٰذا رجوعٌ إلى التركيبِ والجسميَّةِ ، وأنتُم تنكرونَهُما .

وإنْ قلتُم : إنَّ المُحاذيَ للعرشِ أصغرُ منهُ . . **فهوَ باطلٌ مِنْ وجهينِ** :

الأولُ : أنَّهُ يلزمُ منهُ التقديرُ بالقَدْرِ والنهايةِ مِنَ الجهةِ التي تقابلُهُ مِنَ العرشِ .

والثاني : أنَّهُ يلزمُ منهُ محذورٌ هوَ أشنعُ مِنْ كلِّ شيءٍ ؛ وهوَ أنَّهُ إنِ انتهىٰ في الصِّغَرِ إلى الجزءِ الذي لا ينقسمُ ولا يقبلُ الانقسامَ . . فلا يخفىٰ زندقةُ القائلِ بهـٰذا ، وإنْ زادَ علىٰ ذلكَ لزمَ الانقسامُ والتركيبُ ، ولا يُقدِمُ علىٰ ما ذهبتُم إليهِ مِنْ ذلكَ إلا مجنونٌ ، أو مُتلاعِبٌ بالدِّينِ .

والوجهُ الثاني في نفيِ الجهةِ معَ عدمِ القولِ بالجسميَّةِ : أنَّهُ قد بيَّنَّا أوَّلاً أنَّ

= « الشامل » لإمام الحرمين (ص٥١٤) .

القولَ بعدمِ الشَّغْلِ معَ القولِ بالجهةِ محالٌ ، فتعيَّنَ الشَّغلُ ، والشاغلُ للحيِّزِ مُحاذٍ لهُ ، ومُماسَّتُهُ لهُ منقطعةٌ مِنَ الجهةِ التي تلي العرشَ أو تلي الخلاءَ الذي بينَهُ وبينَ العرشِ ـ علىٰ ما قالَهُ بعضُ أصحابِكُم ـ متناهيةٌ ، وإذا كانَتْ متناهيةً لزمَ منها التقديرُ ، وإذا لزمَ منها التقديرُ ـ وأنتُم لا تقولونَ بهِ ـ فجميعُ هٰذهِ التقاسيمِ دائرةٌ بينَ النفيِ والإثباتِ العقليَّينِ ، ولا مَحيدَ عن ذلكَ .

وإذا بطلَتْ هٰذهِ الأقسامُ فنقولُ : الاستواءُ يتعيَّنُ صرفُهُ عن ظاهرِهِ ، وتأويلُهُ بمعنىً غيرِ ظاهرِهِ ، واللهُ أعلمُ .

* * *

فصل

نذكر فيه طريقة ثانية في الاستدلال على التأويل في الآية المذكورة[1]

فنقولُ : وصفَ اللهُ تعالىٰ نفسَهُ بالاستواءِ ، فهوَ وصفٌ ثابتٌ معلومٌ ، **فلا يخلو** : **إمَّا أنْ نقولَ** : إنَّهُ وصفُ ذاتٍ ، أو وصفُ فعلٍ .

لا جائزَ أنْ نقولَ : إنَّهُ وصفُ ذاتٍ ؛ لأنَّ الاستواءَ مُرتَّبٌ علىٰ وجودِ العرشِ ، والعرشُ مخلوقٌ حادثٌ ، والصفاتُ الذاتيَّةُ قديمةٌ أزليَّةٌ ؛ كالحياةِ والعلمِ والإرادةِ ، **فيلزمُ مِنْ ذلكَ** : إمَّا قِدَمُ العرشِ ، وإمَّا حدوثُ الصفاتِ الأزليَّةِ ، وذلكَ مُحالٌ ، وإذا بطلَ أنْ يكونَ وصفاً ذاتيّاً تعيَّنَ أنْ يكونَ وصفاً فعليّاً .

وإذا تعيَّنَ أنْ يكونَ وصفاً فعليّاً **فلا يخلو** : إمَّا أنْ يكونَ فعلاً فعلَهُ في ذاتِهِ ، أو في غيرِهِ .

لا جائزَ أنْ يكونَ فعلاً فعلَهُ في ذاتِهِ ؛ لأنَّهُ يلزمُ منهُ قيامُ الحوادثِ بِهِ ، وقَبولُهُ لوقوعِها بِهِ ، وهوَ محالٌ .

فتعيَّنَ : أنْ يكونَ فعلاً فعلَهُ في غيرِهِ ، **وهٰذا الذي نعنيهِ بقولِنا** : (استوىٰ ؛ بمعنىٰ : قهرَ واستولىٰ) .

* * *

(١) وهي قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] .

فصل

نذكر فيه طريقة ثالثة في الاستدلال

وهيَ أنْ يُقالَ : دلَّ الدليلُ في بعضِ الظواهرِ على تأويلِها ، وتنزيهُ البارئِ دلَّنا على التأويلِ في باقي الظواهرِ ؛ فإنْ سلَّمتُم في بعضِها فيلزمُكُمُ الفرقُ .

وإنْ لم تُسلِّمُوا فنقولُ : مِنَ الظواهرِ ما يُستنبَطُ مِنْ تأويلِهِ الأوامرُ والنواهي ؛ كما إذا وردَ مثلاً : غضبَ اللهُ على مَنْ فعلَ كذا ، أو يغضبُ اللهُ على مَنْ فعلَ[1] ، أو مقتَ مَنْ يفعلُ كذا ، أو يمقتُ مَنْ يفعلُ كذا[2] .

فإمَّا أنْ نقولَ : إنَّ هـٰذهِ الألفاظَ محمولةٌ على ما وُضِعَتْ لهُ ، أو مُؤوَّلةٌ بغيرِ ما وُضِعَتْ لهُ ، أو مسكوتٌ عن تأويلِها لا يفهمُونَ منها ما وُضِعَتْ لهُ ولا غيرَهُ .

إنْ قلتُم بالمعنى الأولِ فهوَ يُؤدِّي إلى محذورِ الجسميَّةِ قطعاً .

والمعنى الثاني فأنتُم لا تقولونَ بهِ .

بقيَ المعنى الثالثُ ، وهوَ يُفضي إلى ألا يدُلَّ على معنى اقتضاءِ الطاعةِ في الفعلِ أوِ التركِ ؛ لأنَّ السامعَ لهـٰذهِ الظواهرِ يقولُ : إنَّ الغضبَ ليسَ على حقيقتِهِ الوضعيَّةِ ، ولم تُؤوِّلْهُ لا بالمعاملةِ ولا بالإرادةِ ، ولم تعلمْ لهُ معنىً ،

(١) مادة الغضب وردت في آيات وأحاديث كثيرة ؛ ومن الأحاديث : ما أخرجه البخاري (٤٠٧٣) ، ومسلم (١٧٩٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) ومنها : ما أخرجه ابن خزيمة (٧١) ، وابن حبان (١٤٢٢) ، وأحمد (٣/ ٣٦) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

بل جعلتَ حكمَهُ حكمَ سائرِ الظواهرِ ، فما يُدريكَ أنَّ هـٰذا الكلامَ ليسَ دليلاً على الذمِّ ؟! فيكونُ الفعلُ : إمَّا مباحاً ؛ بقاءً على الأصل إنْ قلْنا : الأصلُ الإباحةُ ، أو محظوراً ؛ بناءً على الأصل إنْ قلْنا : الأصلُ الحظرُ ، لا مِنْ دلالةِ الكلامِ ، بل ربَّما نقولُ : يجوزُ أنْ يكونَ الشارعُ استعملَهُ مادحاً لفاعلِهِ وللرضا عنهُ .

فعدمُ التأويلِ : يُفضي إلى التوقُّفِ ، أو إلى الحملِ على ضدِّ ما سيقَ الكلامُ لأجلِهِ ، أو إلى الإقدامِ على المَنهيِّ عنهُ عملاً بأصلِ الإباحةِ ، **وهـٰذا كلُّهُ إنَّما جرَّهُ عدمُ التأويلِ** .

وكذلكَ في جانبِ الرضا بالفعلِ والحثِّ على فعلِ مثلِهِ ؛ كقولِهِ : ضحكَ اللهُ مِنْ كذا ، أو يضحكُ ربُّكَ مِنْ كذا[1] ، وقولِهِ : « لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحاً بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ »[2] ؛ **يقولُ** : لا أُقدِمُ على الفعلِ ؛ لاحتمالِ أنْ تكونَ هـٰذهِ الكلمةُ مِنَ الشارعِ يُرادُ بها الذمُّ ، فإذا أوَّلْنا بقيَ الوعدُ والوعيدُ على حالِهما ، وعلى عدمِ التأويلِ لا يدُلُّ الكلامُ لا على وعدٍ ولا وعيدٍ .

فقد ظهرَ بهـٰذا : أنَّهُ لا بدَّ مِنَ التأويلِ في بعضِ الظواهرِ[3] ، وإذا ثبتَ التأويلُ في بعضِها فلا فرقَ في العقلِ ، فمنِ ادَّعى الفرقَ فعليهِ الدليلُ .

(١) **ومنها** : ما أخرجه البخاري (٢٨٢٦) ، ومسلم (١٨٩٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٠٢) برقم : (٢/ ٢٦٧٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

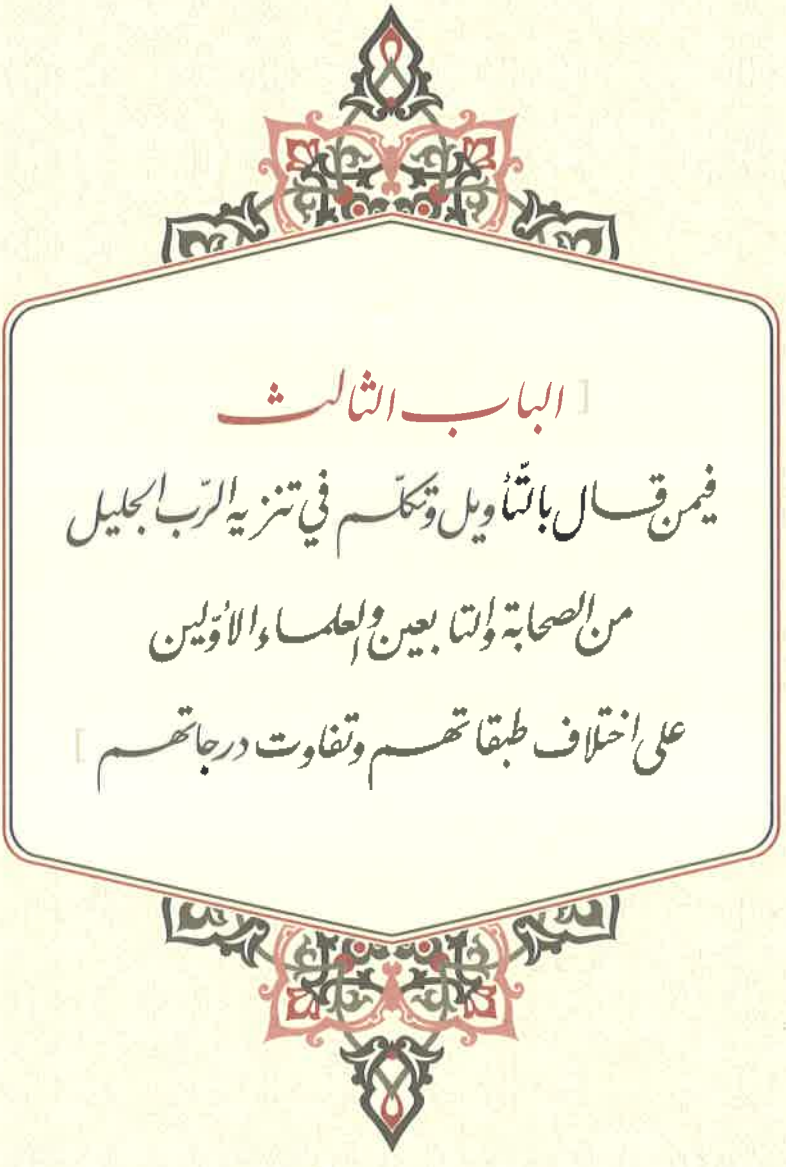
(٣) قال الإمام الكوثري في تعليقاته على « السيف الصقيل » (ص١٤٩) : (فمَنْ أوَّل في كل موضع فهو قرمطي كافر ، ومن أبى التأويل في كل آية وحديث فهو حَجَري زائغ) .
وقال نقلاً عن ابن عقيل الحنبلي : (**هلك الإسلام بين طائفتين** : الباطنية والظاهرية ، والحق بين المنزلتين ؛ وهو أن نأخذ بالظاهر ما لم يصرفنا عنه دليل ، ونرفضَ كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع) .

فإنْ قلتُم : دلَّنا في هـٰذهِ المواطنِ السياقُ على التأويلِ فأوَّلْنا ، ولم يدُلَّنا السياقُ في غيرِهِ فأمسكْنا عنِ التأويلِ .

فيُقالُ لكُم : دَلالةُ السياقِ ظنِّيَّةٌ ، ودَلالةُ العقلِ بنفيِ الإيهامِ قطعيَّةٌ ، فكيفَ تُؤوِّلُونَ حيثُ أرشدَتكُمُ الأدلةُ الظنيَّةُ ، ولا تُؤوِّلُونَ حيثُ أرشدَتكُمُ الأدلةُ القطعيَّةُ ؟!

ولوِ استقصَيْنا ذكرَ الأدلةِ المرشدةِ إلى التأويلِ . . لخرجَ هـٰذا الكتابُ عنِ الاختصارِ ، لـٰكنْ نذكرُ مِنْ كلِّ بابٍ لُمعةً ، وفيما أوردتُهُ مِنَ الأدلَّةِ كفايةٌ لمَنْ تدبَّرَ ، وعنايةٌ لمَنْ أرادَ أنْ يتذكَّرَ ، واللهُ يجعلُ ذلكَ خالصاً لوجهِهِ .

* * *



الباب الثالث

فيمن قال بالتأويل وتكلم في تنزيه الرب الجليل

من الصحابة والتابعين والعلماء الأولين

على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم

بابٌ

فيمن قال بالتأويل وتكلّم في تنزيه الربّ الجليل من الصحابة والتابعين والعلماء الأوّلين على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم

ولنُقدِّمْ على ذلكَ مُقدِّمةً تكونُ في الحقيقةِ جواباً عنِ استشعارِ أَسْولةٍ يُورِدُها الخصومُ في هٰذا المقامِ ؛ فنقولُ :

أنزلَ اللهُ القرآنَ العزيزَ على لغةِ العربِ لما اقتضتْهُ حكمةُ اللهِ ؛ حيثُ قالَ : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ ﴾ [إبراهيم : ٤] .

فنزل على قومٍ هم أفصحُ الفصحاءِ ، وأوسعُهُم ذهاباً في التعبيرِ عنِ الإراداتِ ، وتمكُّناً مِنْ طَرَفَيِ الإسهابِ والإيجازِ ، وأنواعِ الحقيقةِ والمجازِ ، وتحليةِ عقودِ الكلامِ ، مِنَ النثرِ والنظامِ ، بأنواعِ جواهرِ التشبيهاتِ ، وشذورِ الاستعاراتِ ، وضروبِ يواقيتِ المبالغةِ والإشاراتِ ، وغيرِ ذلكَ مِنَ البديعِ والبيانِ الذي هوَ سحرُ الأفهامِ ، وأصحُّهُم فهماً لما يسمعونَهُ مِنَ الكلامِ ، وأكثرُهُم إصابةً لأغراضِ المُتكلِّمينَ ، وسبقاً إلى إدراكِ المرادِ في العباراتِ الغامضةِ والمعاني الدقيقةِ .

فكلُّ خفيٍّ علينا جليٌّ عندَهُم ؛ لأنَّها عنهُم نشأَتْ ، ومنهُم تُلُقِّيَتْ ، وبألسنتِهِم ظهرَتْ ، ومِنْ أفواهِهِم تُلُقِّفَتْ .

فالمعاني بألفاظِها ينطقُونَ ، ويريدُونَها بعبارتِهِم إذْ يطلقُونَ ، وكما يريدُونَها بقولِهِم يفهمُونَها مِنْ غيرِهِم إذا قالَها ، ويحملُونَها على المعنى الذي

أرادَهُ مِنْ غيرِ تعليمٍ ولا تفهيمٍ ، ولا سؤالٍ عنها ولا جوابٍ .

كما أنَّهُم كانُوا يرفعُونَ الفاعلَ ، وينصبُونَ المفعولَ ، ويخفضُونَ بالإضافةِ ، ويجرُّونَ بحروفِ الجرِّ ، ويرفعُونَ اسمَ (كانَ) ، وينصبُونَ خبرَها ، ويستثنُونَ ويستفهمُونَ ، مِنْ غيرِ تعلُّمِ أدواتٍ تُعينُهُم على تصحيحِ الألفاظِ ، بل تلكَ الألفاظُ عقودٌ مُتناسِقةٌ مِنْ جواهرِ كلامِهِم ، وتلكَ المعاني رياضٌ جادَها صَوْبُ سحائبِ أفهامِهِم ، سجيَّتُهُم سخيةٌ بذلكَ مِنْ غيرِ تكلُّفٍ ، وطباعُهُم جائدةٌ بهِ بلا توقُّفٍ ، وأفهامُهُم مُتلقِّيةٌ لهُ بالقَبولِ .

لا يحتاجُونَ إلى ألفاظٍ تُصحِّحُ لهُمُ الألفاظَ ، ولا إلى اصطلاحاتٍ يحفظُها منهُمُ الحُفَّاظُ ، كذلكَ لا يحتاجُونَ إلى ألفاظٍ واصطلاحاتٍ تُصحِّحُ لهُمُ المعانيَ ، ولا إلى مادَّةٍ تُعينُهُم على فهمِ الأغراضِ مِنَ المباني ، بل ببديهةِ العقلِ يفهمُونَ حينَ يسمعُونَ .

خلقَ اللهُ لهُم عقولاً في غايةِ الوفورِ والكمالِ ، وأفهاماً في نهايةِ الصحةِ والاعتدالِ ؛ لأنَّهُم خِيرةُ اللهِ مِنْ خلقِهِ ، وصفوتُهُ مِنْ عبادِهِ .

[أُنموذجٌ مِنْ أشعارِ العربِ مِنْ جنسِ المنقولِ محمولاً ظاهرُها على المجازِ]

فالذي يقولُ منهُم(١) : [من مجزوء الكامل]

كَشَفَتْ لَهُمْ عن سَاقِهَا ... وَبَدَا مِنَ الشَّرِّ الصُّرَاحُ

ومُرادُهُ : شدَّةُ الأمرِ والإقدامُ في المحاربةِ والتشميرُ فيها ، لا العضوُ المخصوصُ ؛ لأنَّ المحاربةَ معنىً مِنَ المعاني ، فيستحيلُ وصفُها بوصفِ

(١) أي : من العرب الفصحاء ، لا خصوصِ مَنْ أُنزل عليه القرآن ، والبيت لسعد بن مالك جد طرفة بن العبد ، كما في « حماسة أبي تمام » (٢/ ٧٦) .

الأجسام ، وإنَّما كنَىٰ عنِ الاهتمامِ بأمرِ الحربِ والقوَّةِ فيها ، كما أنَّ المُسرِعَ في الأمرِ المُهتَمَّ بهِ يُشمِّرُ ويكشفُ عن ساقِهِ ؛ ليكونَ ذلكَ عوناً لهُ على الأمرِ العظيمِ الذي أقدمَ عليهِ ، فهـٰذا مُقرَّرٌ عندَهُم .

فإذا سمعَ هـٰذا القائلُ قولَهُ تعالىٰ : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم : ٤٢] . . فهمَ المعنىٰ مِنْ غيرِ أنْ يُعرَّفَ بهِ ولا يسألَ عنهُ ؛ لأنَّهُ يعلمُ أنَّ ظاهرَ هـٰذا الكلامِ مستحيلٌ على اللهِ تعالىٰ ، فهوَ يجنحُ إلىٰ تأويلِهِ ، لا يسبقُ فهمُهُ إلا إليهِ[1] .

وينتظمُ في سلكِ هـٰذا المجازِ : ما وردَ في الكتابِ العزيزِ وفي الأخبارِ النبويَّةِ مِنْ جنسِ هـٰذا المجازِ .

والذي يقولُ واصفاً سيفاً[2] : [من الطويل]

إِذَا هَـزَّهُ فِـي عَظْـمِ قِـرْنٍ تَهَلَّلَـتْ نَوَاجِذُ أَفْوَاهِ ٱلْمَنَايَا ٱلضَّوَاحِكِ

وأرادَ : سرعةَ إقبالِ المنيَّةِ على القِرْنِ ؛ كإقبالِ الضاحكِ للشيءِ المُتهلِّلِ لهُ المُريدِ لوقوعِهِ .

إذا سمعَ : ضَحِكَ اللهُ منهُ ، أو يضحكُ ربُّنا مِنْ كذا . . علمَ أنَّ الظاهرَ غيرُ مرادٍ قطعاً ، وأنَّ المرادَ ما ينشأُ عنِ الضحكِ ؛ مِنْ معاملةِ ذلكَ كمعاملةِ الضاحكِ لمَنْ يضحكُ منهُ ، أو إرادتِهِ بهِ ما يريدُ الضاحكُ بمَنْ ضحكَ منهُ ، وأوَّلَ عليهِ كلَّ ما وردَ مِنْ جنسِ هـٰذا المجازِ في الأحاديثِ النبويَّةِ .

(١) وقال الإمام الفخر الرازي في « تفسيره » (٣٠/ ٩٤) بعد أن ساق كلاماً لأهل اللغة : (واعلم : أنَّ هـٰذا اعتراف من أهل اللغة بأنَّ استعمال الساق في الشدة مجاز ، وأجمع العلماء علىٰ أنه لا يجوز صرف الكلام إلى المجاز إلا بعد تعذُّر حمله على الحقيقة ، فإذا أقمنا الدلائل القاطعة علىٰ أنه تعالىٰ يستحيل أن يكون جسماً . . فحينئذٍ يجب صرف اللفظ إلى المجاز) .

(٢) البيت لتأبط شراً كما في « ديوان الحماسة » (١/ ٩٥) .

والذي يقولُ[1] : [من الطويل]

وَبَاسِطَ خَيْرٍ فِيكُمُ بِيَمِينِهِ وَقَابِضَ شَرٍّ عَنْكُمُ بِشِمَالِيَا

وعنىٰ ببسطِ اليمينِ : الكرمَ ، وقِرى الأضيافِ ، وبذلَ الأموالِ ، وحملَ الغارمِ ، والكفالةَ ممَّنْ عليهِ دِياتٌ ، وغيرَ ذلكَ مِنْ أنواعِ الكرمِ والخيرِ والبِرِّ والرِّفدِ ، وبقبضِ الشِّمالِ : كفَّ الأعداءِ ، وذبَّهُ عن حريمِ قومِهِ ، ومنعَ حَوْزتِهم مِنْ طارقٍ يَطرُقُهُم .

إذا سمعَ : « يَمِينُ ٱللهِ مَلأَىٰ لاَ يَغِيضُهَا شَيْءٌ ، سَحَّاءُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ »[2] . . علمَ أنَّهُ ليسَ المرادُ منهُ الجارحةَ التي هيَ ضدُّ الشمالِ ، وإنَّما المرادُ : فعلُ الخيرِ ، وتحصيلُ الثوابِ ، وإدرارُ الرزقِ ، ويُحمَلُ علىٰ هٰذا المجازِ : ما كانَ مِنْ نوعِهِ ؛ كأصحابِ اليمينِ ، وأصحابِ الشمالِ [. . .][3] .

والذي يقولُ[4] : [من المتقارب]

إِذَا ٱلْقَوْمُ مَدُّوا بِأَيْدِيهِمِ إِلَى ٱلْمَجْدِ مَدَّ إِلَيْهِ يَدَا
فَنَالَ ٱلَّذِي فَوْقَ أَيْدِيهِمِ مِنَ ٱلْمَجْدِ ثُمَّ مَضَىٰ مُصْعِدَا

إذا سمعَ : ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] ، و﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥]، ونحوَهُ . . علمَ أنَّهُ ليسَ المرادُ منهُ يدَ الجارحةِ قطعاً .

وإذا سمعَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾ [الإسراء : ٢٩] . . علمَ أنَّهُ ليسَ المرادُ هنا يدَ الجارحةِ ، وإنَّما أرادَ : منعَ الإسرافِ

(١) البيت لجرير في « ديوانه » (ص٥٠١) ، وقبله :

أَلَـمْ أَكُ نَـاراً يَصْطَلِيهَـا عَـدُوُّكُـمْ وَحِـرْزاً لِمَـا أَلْجَـأْتُمُ مِـنْ وَرَائِيَا

(٢) سبقت الإشارة إليه في (١/ ٥٣) .

(٣) ما بين معقوفين كلمتان غير واضحتين في (أ) .

(٤) البيتان للخنساء رضي الله عنها في « ديوانها » (ص٣١) من قصيدة ترثي فيها أخاها صخراً .

والتقتيرِ وأَمْرَهُ بالتوسُّطِ ، كما قالَ في موطنٍ آخرَ : ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٧] ؛ لا يتبادرُ إلىٰ ذهنِهِ غيرُ ذلكَ ، ولا يُتصوَّرُ في معقولِهِ سواهُ .

وإذا سمعَ جنسَ ذلكَ مِنَ المجازِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤] ، وكقولِهِ : « يَدُ ٱللهِ مَلأَىٰ لاَ يَغِيضُهَا شَيْءٌ ، سَحَّاءُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ » . . علمَ أنَّ المرادَ بذلكَ : الكرمُ التامُّ العامُّ الذي لا يمنعُهُ مانعٌ ، ولا يدفعُهُ عن عبيدِهِ دافعٌ ، وأيُّ كرمٍ أعظمُ مِنْ أنْ يرزقَهُم وهم يكفُرونَ بهِ ؟! وبصريحِ ذلكَ وردَ الخبرُ الصحيحُ[1] .

والذي يقولُ[2] : [من الطويل]

لَنَا جَانِبٌ مِنْهُ دَمِيثٌ وَجَانِبٌ إِذَا رَامَهُ ٱلأَعْدَاءُ مُمْتَنِعٌ صَعْبُ

وأرادَ : لنا منهُ حالتانِ : حالةٌ هوَ فيها ليِّنٌ لنا بكلامِهِ الحسنِ ، وأدبِهِ معَنا ، وبذلِهِ مالَهُ ، ومواساتِهِ لضعفائِنا ، وغيرِ ذلكَ مِنْ مكارمِ الأخلاقِ ، وحالةٌ هوَ فيها شديدٌ علىٰ أعدائِهِ وأعدائِنا ، صعبٌ عليهِم ، لا يظفرُونَ منهُ بما يرومُونَ ، ولا يَقدِرُونَ علىٰ ما يُؤمِّلُونَ ؛ فعبَّرَ بالجانبينِ [عنِ] الحالتينِ ، لا عنِ العُضْوينِ المخصوصينِ .

إذا سمعَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر : ٥٦] . . تحقَّقَ أنَّهُ ليسَ المرادُ منهُ الجوارحَ ولا الجوانحَ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ عُلُوّاً كبيراً ، بل يسبقُ فهمُهُ ويتبادرُ إلىٰ ما يليقُ بوصفِ اللهِ تعالىٰ مِنَ التنزيهِ ، جلَّ جلالُ اللهِ ، وتقدَّسَتْ أسماؤُهُ .

(١) وقد سبق تخريجه في (١/ ١٧٥) .

(٢) البيت لبعض العرب كما في « حماسة أبي تمام » (١/ ٢٦٤) ، وعزاه في « التذكرة الحمدونية » (٤/ ٩٣) للأقرع بن معاذ القشيري .

والذي يقولُ مُخبِراً عن نفسِهِ[1] : [من الوافر]

أَقُـولُ لَهَـا وَقَـدْ طَـارَتْ شَعَـاعـاً مِـنَ ٱلأَبْطَـالِ وَيْحَـكِ لاَ تُـرَاعِـي

وقطَّعَ القصيدةَ كلَّها في كلامِهِ معَ نفسِهِ ، ولم يكنْ قالَ ذلكَ بلسانِهِ[2] ؛ إذْ لو قالَ ذلكَ بلسانِهِ لدلَّ علىٰ عجزِهِ وجبنِهِ عن لقاءِ عدوِّهِ ، وكَشَفَ عن خَوَرِهِ وانقطاعِ قلبِهِ ، وأشمتَ بهِ عدوَّهُ ، وانخذلَ مَنْ قاربَهُ ورافقَهُ مِنَ الفرسانِ ، وافتَضَحَ بينَ أهلِهِ وعشيرتِهِ ، وبقيَ عليهِ عارُ الدهرِ ، فليسَ المرادُ إلا قولَهُ في نفسِهِ .

وكذلكَ القائلُ[3] : [من الطويل]

أَقُـولُ لِنَفْسِـي حِيـنَ خَـوَّدَ رَأْلُهَـا مَكَانَكِ لَمَّا تُشْفِقِي حِينَ مُشْفِقِ

في أبياتٍ كثيرةٍ ، ولم يقلْ بلسانِهِ ، وإنَّما المرادُ : خطابُهُ مِنْ نفسِهِ لنفسِهِ بالوجهِ المذكورِ قبلَهُ .

إذا سمعَ في كتابِ اللهِ تعالىٰ : ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ . . . ﴾ [المائدة : ١١٩] ، و﴿ قَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ . . . ﴾ [النحل : ٥١] ، و﴿ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ . . . ﴾ [البقرة : ٣٤] ، و﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ . . . ﴾ [البقرة : ٣٥] ، وغيرَ ذلكَ مِنْ أنواعِ القولِ والكلامِ . . عرفَ أنَّهُ تستحيلُ الحروفُ والأصواتُ علىٰ ربِّهِ جلَّ وعلا ، وحملَهُ على الكلامِ النَّفْسانيِّ مِنْ غيرِ تلبُّثٍ ولا تريُّثٍ ولا تردُّدٍ .

(١) البيت لقطري بن الفجاءة الخارجي المشهور ، كما في « حماسة أبي تمام » (١/ ٩٦) ، وسبقت الإشارة إلىٰ هٰذا البيت في (١/ ٧٩) ، ويروىٰ : (لن تراعي) بدل (لا تراعي) ، والشَّعاع : المُتفرِّق ، ولا تراعي : لا تفزعي ولا تخافي .

(٢) أي : لم يكن المقولُ الكلامَ اللفظيَّ الذي هو عبارة عن الحروف والأصوات .

(٣) البيت لرجل من بني أسد ، كما في « حماسة أبي تمام » (١/ ٣٤٣) ، وقوله : (خوَّد رألها) يقال للمذعور المرتاع ، وهو مثل ، والرَّأْل في الأصل : النعام ، والتخويد : ضرب من السير سريعٌ يوصف به النعام ، والإشفاق : الذُّعْر .

والذي يقولُ مُخبِراً عن قومِهِ في معاملتِهِم لهُ[1] : [من الوافر]

رَأَوْا عَـرْشِـي تَثَلَّـمَ جَـانِبَـاهُ فَلَمَّـا أَنْ تَثَلَّـمَ أَفْـرَدُونِـي

ولم يُرِدِ انثلامَ العرشِ الذي هوَ ذاتٌ وجسدٌ ؛ إذْ ذلكَ لا يقتضي أنْ يُفرِدُوهُ ؛ لأنَّ مثلَ ذلكَ يُصلَحُ أو يُعوَّضُ عن قربٍ ، وليسَ مرادُ هـٰذا إلا عزَّتَهُ أو ملكَهُ .

إذا سمعَ كلمةَ (العرشِ) لمَنْ يستحيلُ عليهِ ما يستحيلُ على الأجسامِ مِنَ الاستقرارِ[2] . . تأوَّلَ العرشَ في بعضِ مواردِهِ ومحاملِهِ أنَّ المرادَ بهِ : العزَّةُ والقوَّةُ .

والذي يقولُ ؛ وهوَ الفرزدقُ[3] : [من الطويل]

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي حِينَ شُدَّتْ رَكَائِبِي إِلَـىٰ آلِ مَـرْوَانٍ بُنَـاةِ ٱلْمَكَـارِمِ

أي : جعلتُ قصدي وإرادتي في مسيري آلَ مروانَ دونَ غيرِهِم .

ونظيرُهُ قولُ الآخرِ[4] : [من البسيط]

أَسْتَغْفِـرُ ٱللهَ ذَنْبـاً لَسْـتُ مُحْصِيَـهُ رَبَّ ٱلْعِبَادِ إِلَيْهِ ٱلْوَجْهُ وَٱلْعَمَلُ

أي : إليهِ القصدُ ، ولا يذهبُ ذهنُ هـٰذينِ القائلينِ ، ولا مَنْ سمعَ كلامَهُما . . أنَّ المرادَ هنا العُضوُ المعروفُ أصلاً .

إذا سمعَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] . . علمَ أنَّ المرادَ : كلُّ شيءٍ يذهبُ إلا ثوابَ قصدِهِ ؛ فالأعمالُ جميعُها تذهبُ

(١) البيت لرجل من بني كلب ، كما في « حماسة أبي تمام » (١/ ٢٨٥) .

(٢) قوله : (ما يستحيل على الأجسام) : كذا في (أ ، ب) ، وهو صحيح لمن تأمَّل .

(٣) أورده الشريف المرتضىٰ في « أماليه » (٣/ ٤٧) .

(٤) أورده سيبويه في « كتابه » (١/ ٣٧) .

وتضمحِلُّ ، إلا عملاً هوَ المقصودُ بهِ مِنَ العبادِ أُخلِصَ لهُ فيهِ ، هٰذا على أحدِ التأويلينِ .

وأمَّا التأويلُ الآخَرُ : فهوَ ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ : إلا ذاتَهُ تعالىٰ وتقدَّسَ ، وذلكَ مثلُ قولِهِ : ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧] .

ومنهُ قولُ أحمرَ بنِ جندلٍ[1] : [من الطويل]

وَنَحْنُ حَفَزْنَا ٱلْحَوْفَزَانَ بِطَعْنَةٍ ... فَأَفْلَتَ مِنْهَا وَجْهَهُ عَتَدٌ نَهْدُ

يعني : فأفلتَ منها ونجَّاهُ مِنْ مسِّها جوادُهُ الموصوفُ بأنَّهُ عَتَدٌ نهدٌ .

وكذلكَ إذا سمعَ : ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ [الأنعام : ٥٢] أي : يريدُونَهُ .

ويُؤيِّدُ ذلكَ : ما رُوِيَ عنِ ابنِ عباسٍ في قولِهِ : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] قالَ : (يفنىٰ كلُّ شيءٍ ويبقى اللهُ عزَّ وجلَّ)[2] .

والذي يقولُ ؛ [وهوَ] الحارثُ بنُ حِلِّزَةَ اليَشْكُريُّ[3] : [من الخفيف]

وَبِعَيْنَيْكَ أَوْقَدَتْ هِنْدٌ ٱلنَّا ... رَ عَشِيّاً تَهْوِي بِهَا ٱلْعَلْيَاءُ

فَتَنَوَّرْتُ نَارَهَا مِنْ بَعِيدٍ ... بِخَزَازٍ هَيْهَاتَ مِنْكَ ٱلصَّلَاءُ

وأرادَ : أنَّكَ مُعتَنٍ بها ، مُراقِبٌ لوقتِ إيقادِها ، وإنْ لم ترَها بعينِ

(١) أورده الشريف المرتضىٰ في « أماليه » (٣/ ٤٨) ، ويعزىٰ في بعض المصادر والمراجع لجرير وقيس بن عاصم التميمي وسوار بن حيَّان المنقري ، ولفظ الشطر الثاني فيها :

. سقتْهُ نجيعاً مِنْ دمِ الجوفِ أَشْكلا

والحفز : الطعن ، والحَوْفزان : لقب الحارث بن شريك الشيباني ، والعَتَد : سريع الوثوب ليس فيه اضطراب ولا رخاوة ، والنهد : الضخم المرتفع .

(٢) انظر « تفسير القرطبي » (٢/ ٨٣ ـ ٨٤ ، ١٧/ ١٦٥) .

(٣) ديوان الحارث بن حلزة (ص٢٠ـ٢١) ، من معلقته الشهيرة التي مطلعها :

آذَنَتْنَا ببينِها أسماءُ ... ربَّ ثاوٍ يُمَلُّ منهُ الثَّواءُ

وفيه : (أخيراً) بدل (عشيّاً) ، و(تُلْوي) بدل (تهوي) ، وخزاز : اسم موضع .

الجارحةِ ، ويدُلُّ على ذلكَ : أنَّهُ قالَ : (فَتَنوَّرْتُ نارَها مِنْ بعيدٍ) ، ثمَّ قالَ : (هيهاتَ أينَ منكَ الصَّلاءُ)[1] .

إذا سمعَ : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [طه : ٣٩] ، ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ [هود : ٣٧] علمَ أنَّ المرادَ : بعِنايتي بكَ ، ورِعايتي لكَ ، وصَوْني لكَ في فعلِكَ وعملِكَ عنِ الخطأِ ، وحفظي لكَ ، ووحيي إليكَ ، وأنتَ يا رسولي يا موسىٰ ، وأيُّ حفظٍ أعظمُ مِنْ صِيانتي لكَ مولوداً مِنَ اليمِّ ، وتربيتِكَ في بيتِ أعدائِكَ ﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ ﴾ [طه : ٣٩] ، وتغذيتِكَ بلِبانِ أمِّكَ ، وردِّكَ إليها ﴿ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ﴾ [طه : ٤٠] ؟!

والذي يقولُ[2] : [من الطويل]

أَحِنُّ لِأَرْحَامٍ أَرَاهَا قَرِيبَةً ... لِحَارِ بْنِ كَعْبٍ لَا لِجَرْمٍ وَرَاسِبِ

وَأَنَّا نَرَىٰ أَقْدَامَنَا فِي نِعَالِهِمْ ... وَأَنْفُنَا بَيْنَ ٱللِّحَىٰ وَٱلْحَوَاجِبِ

وأرادَ : أنِّي أَحِنُّ إليهم لقربِهم منَّا ، ومُمازجتِنا لهُم ، ومُوافقتِهم لنا في الكُرْهِ والرِّضا ؛ فأقدامُنا تُوافقُها نعالُهُم ، وكثيراً ما تكني العربُ بالطَّواعيَةِ عنِ النعلِ ؛ فتقولُ : (أطوعُ مِنْ نعلِكَ لكَ) !![3] .

ويجوزُ أنْ يكونَ المرادُ : أنَّهُم بنو عمِّنا بالنسبِ الصحيحِ ، فإذا لبسُوا نعالَهُم تكونُ أقدامُنا فيها ؛ لقوَّةِ شبهِهِم بنا ، ألا ترىٰ في قصةِ مُجَزِّزٍ حيثُ

(١) قوله : (أين) ليست في البيت ، ولعله ذكرها لتوضيح المعنىٰ ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) البيت لبعض بني عبس كما في « حماسة أبي تمام » (١/ ٣١٢) ، وحارِ : ترخيم حارث في غير نداء للضرورة الشعرية .

(٣) من أمثال العرب المولدة : (هو أطوع من شِسْع نعلي) ، وقد ورد في رسالة عبد الملك بن مروان إلى الحجاج : (فكن له ـ أي : لسيدنا أنس بن مالك الصحابي الجليل ـ أطوعَ من نعله) انظر « الأمثال المولدة » (ص٢٧٤) ، و« مقامات الحريري » (ص٣٠٢) ، و« الوافي بالوفيات » (٩/ ٣٢٥) .

قالَ : « إِنَّ هَـٰذِهِ ٱلأَقْدَامَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ »[1] ، فحذفَ[2] أداةَ التشبيهِ تقويةً للتشبيهِ .

ولم أذكُرْ معنى البيتِ الأولِ إلا توطئةً لمعنى البيتِ الثاني .

وكذلكَ قولُهُ : (وآنُفَنا بينَ ٱللِّحَىٰ والحواجبِ) أي : لعزَّتنا عليهم وحمايتِهم عنَّا كانَتْ أنوفُنا بينَ لِحاهُم وحواجبِهم ، **وليسَ المرادُ** : أنَّ أنوفَ هـٰؤلاءِ بينَ لِحىٰ أولـٰئكَ وحواجبِهم ، **وإنَّما المرادُ** : أنَّا أعزَّاءُ عليهم ، فليسَ للجوارحِ هنا مجالٌ ، ولا يُتوَهَّمُ ذلكَ .

فإذا سمعَ قولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنِّي لَأَجِدُ نَفَسَ ٱلرَّحْمَـٰنِ مِنْ قِبَلِ ٱلْيَمَنِ »[3] . . **نفى الظاهرَ** الذي لا يكونُ إلا بواسطةِ الجسمِ والعضوِ ، **وأوَّلَ** أنَّ أهلَ اليمنِ مُتَّبِعُونَ لشرائعِ اللهِ تعالىٰ ، موافقونَ لهُ فيما يُوجِبُهُ عليهم ، مؤمنونَ ببواطنِهم وظواهرِهم ، متواضعونَ للهِ ولرسولِهِ وللمؤمنينَ ، رحماءُ بينَهُم[4] ، وهمُ المَعْنِيُّونَ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، وهم أبو موسى الأشعريُّ ورَهْطُهُ ، **دلَّ علىٰ ذلكَ** : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « هُمْ قَوْمُكَ يَا غُلَامُ »[5] ، وسيأتي الكلامُ في ذلكَ في فضائلِ أبي الحسنِ الأشعريِّ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[6] .

ويُؤيِّدُ هـٰذا التأويلَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلإِيمَانُ يَمَانٍ ،

(١) أخرجه البخاري (٦٧٧٠) ، ومسلم (٣٩/١٤٥٩) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٢) أي : في البيت .

(٣) سبق تخريجه (١/ ١٧٠) .

(٤) انظر ما سبق تعليقاً في (١/ ١٧٠) .

(٥) سيأتي تخريجه في بابه (١/ ٣٢٠) .

(٦) انظر (١/ ٣١٩ـ٣٢٣) .

وَٱلْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ ، وَٱلسَّكِينَةُ فِي أَهْلِ ٱلْيَمَنِ ، وَٱلْخُيَلاَءُ فِي ٱلْفَدَّادِينَ أَهْلِ ٱلْوَبَرِ قِبَلَ مَطْلِعِ ٱلشَّمْسِ »[1] .

ولو تصدَّينا لإحصاءِ ما وردَ عنِ العربِ ممَّا لا تُريدُ بهِ ما يستحيلُ مِنْ ظاهرِهِ . . لطالَ ، ولكنَّ هٰذا أُنموذَجٌ منهُ ، وعُنوانٌ عليهِ .

وكأنِّي بمَنْ قلَّ محصولُهُ ، ولم تُثمرْ فروعُ نظرِهِ حيثُ لم تُسْقَ بماءِ الفهمِ أصولُهُ . . يُشنِّعُ عليَّ ، ويتقدَّمُ بالمَساءةِ إليَّ ، ويقولُ : كيفَ تستدلُّ على معاني الكتابِ العزيزِ بالشعرِ ؟! وكيفَ تتأوَّلُ شيئاً مِنْ كلامِ اللهِ دليلُنا فيهِ قولُ جِلْفٍ مِنَ الأجلافِ ؟!

فالجوابُ عنهُ : ما روى ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : أنَّ رجلاً سألَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أيُّ علمِ القرآنِ أفضلُ ؟ قالَ : « عَرَبِيَّتُهُ ، فَٱلْتَمِسُوهَا فِي ٱلشِّعْرِ »[2] .

قالَ الإمامُ أبو الحسنِ الماورديُّ : (إنَّما خصَّ العربيةَ ؛ لاختصاصِها بإعجازِ القرآنِ ، وأحالَ على الشعرِ ؛ لأنَّهُ ديوانُ كلامِهِم ، وشواهدُ معانيهِم)[3] .

وقالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (إذا أشكلَ عليكُم شيءٌ مِنْ كتابِ اللهِ فالتمسوهُ في الشعرِ ؛ فإنَّ الشعرَ ديوانُ العربِ)[4] .

* * *

(١) أخرجه بنحوه البخاري (٣٤٩٩) ، ومسلم (٥٢/٨٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيهما : « والسكينةُ في أهلِ الغنم » .

(٢) أورده الماوردي في « النكت والعيون » (١/٣٧) ، وفيه : (غريبه) بدل (عربيته) ، وابن عطية في « المحرر الوجيز » (١/٤٠) .

(٣) النكت والعيون (١/٣٧-٣٨) ، وفيه : (إنما خصَّ الغريب ؛ لاختصاصه . . .) .

(٤) أخرجه أبو بكر الأنباري في « إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل » (١/٦١-٦٢ ، ١٠١) .

استغناء الصحابة عن الخوض في التأويل لما رُكز في فِطَرهم وشاع فيهم من معرفة الألفاظ ومدلولاتها

وإذا ثبتَ هٰذا فنقولُ :

كانَتِ الصحابةُ رضيَ اللهُ عنهُم مُستغنينَ عمَّا خُضْنا فيهِ مِنَ التأويلاتِ ؛ لما رُكِزَ في فِطَرِهِمُ السليمةِ ، وثبتَ في أذهانِهِمُ الصحيحةِ ، وشاعَ فيهِم مِنْ مفهوماتِ الألفاظِ ؛ فإنَّ التأويلَ تفعيلٌ مِنَ المآلِ ؛ يعني : أنَّ الذهنَ آلَ ـ أي : رجعَ ـ عندَما لم يجدْ في ظاهرِهِ ما يساعدُهُ عليهِ التنزيلُ ، كما كانُوا مُستغنينَ عن صنعةِ النحوِ لتصحيحِ ألفاظِهِمُ العربيةِ .

فلمَّا فُتِحَتِ الفتوحاتُ ، ودخلَ الناسُ في دينِ اللهِ أفواجاً . . اختلطَتِ الأعاجمُ بالعربِ على اختلافِ أجناسِهِم وتباينِ ألسنتِهِم ، فمازجَ كلامُهُم كلامَ العربِ ، وهوَ على ما تراهُ ؛ تارةً يُقدِّمُونَ المضافَ إليهِ على المضافِ ، وتارةً يُقدِّمُونَ الفاعلَ على الفعلِ .

فخشيَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ أنْ يتكيَّفَ أبناءُ العربِ بتلكَ الكيفياتِ ، فتزولَ منهُمُ اللغةُ التي بها نزلَ كتابُ اللهِ ، وبها تُفهَمُ معانيهِ ودَلالاتُ ألفاظِهِ ، فاجتمعَ هوَ وأبو الأسودِ على ترتيبِ مبادئِ النحوِ ، ثمَّ كمَلَ بعدَ ذلكَ[1] .

ولعلَّهُ رضيَ اللهُ عنهُ لو علمَ أنَّ فهمَ السامعينَ يتطرَّقُ إليهِ الخللُ العظيمُ في إهمالِ مرادِ المُتكلِّمِ مِنْ كلامِهِ ، وجمودِ الذهنِ عن تأويلِ ما يَرِدُ مِنْ ظواهرِ

(١) انظر « أخبار النحويين البصريين » (ص١١) ، و« طبقات النحويين واللغويين » (ص٢١ـ٢٦) ، و« إنباه الرواة » (١/٣٩ـ٤٥) .

الألفاظِ ، وخمودِ نارِ الفِطْنةِ ؛ لعدمِ الاقتباسِ مِنَ العلماءِ بهذا الشانِ ، والوقوفِ في ظلماتِ التشبيهِ بعدَ إشراقِ شمسِ البيانِ ، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور : ٤٠] فلو اطَّلعَ رضيَ اللهُ عنهُ على ذلكَ لوضعَ لتصحيحِ المعاني علماً يكونُ وضعُهُ لهُ حُجَّةً على المخالفينَ .

ألا تراهُ لمَّا تكلَّمَ في القَدَرِ مَنْ تكلَّمَ ؛ مِنْ معبدٍ الجُهَنيِّ وغيرِهِ . . ردَّ عليهِ رضيَ اللهُ عنهُ هوَ وغيرُهُ مِنَ الصحابةِ في زمانِهِ بما عندَهُم مِنَ العلمِ بوضعِ اللغةِ ومدلولاتِ الألفاظِ ، ولم يخطُرْ ببالِهِ هوَ ولا غيرُهُ مِنَ الصحابةِ ما صارَ إليهِ هؤلاءِ المبتدعةُ الضُّلالُ مِنَ القولِ بظواهرِ الكتابِ .

[الشروعُ في ذكرِ مَنْ أوَّلَ أو خاضَ في علمِ الكلامِ مِنَ الصحابةِ الكرامِ][1]

أفلا يتدبَّرونَ القرآنَ ؟! بل عَمُوا عن تأمُّلِ ما قامَ عليهِ البرهانُ ، وهلا اقتدَوْا بجماعةِ الصحابةِ ؛ فالمنقولُ عنهُم ما أنا ذاكرُهُ في هذا الكتابِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى ؛ فأقولُ مُستعيناً باللهِ :

(١) وسيذكر المؤلف لمحة من ذلك مختصرة اختصاراً شديداً، مع الدلالة عليه صراحة أو ضمناً.

[الصحابيُّ الجليلُ أبو بكرٍ الصديقُ رضي الله عنه]

إنَّ أوَّلَ مَنْ أوَّلَ مِنَ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم : المُجلِّي في حَلْبةِ الاستباقِ[1] ، والفائزُ لجميلِ خِلالِهِ بخَصْلِ السباقِ[2] ، المُنوَّهُ في المحفِلِ العامِّ بشريفِ قدرِهِ ، والمُنبَّهُ على نباهتِهِ بـ « مَا سَبَقَكُمْ أَبُو بَكْرٍ بِكَثِيرِ صَوْمٍ وَلَا صَلَاةٍ وَلَكِنْ بِشَيْءٍ وَقَرَ فِي صَدْرِهِ »[3] .

ومِنْ مناقبِهِ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّهُ أوَّلُ مَنْ جعلَ القرآنَ بينَ الدَّفتينِ وكتبَهُ في المصحفِ ؛ بمعنى : أنَّهُ أمرَ بكَتْبِهِ ، والقصةُ في ذلكَ مذكورةٌ في الصحيحِ ، فلا يُحتاجُ إلى ذكرِها هنا[4] .

وهوَ القائلُ : (العجزُ عنِ الإدراكِ إدراكٌ)[5] ، فتحقَّقَ بهذا الكلامِ عدمُ الإحاطةِ ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه : ١١٠] .

وهوَ القائلُ : (زوَّرتُ في نفسي كلاماً ، فسبقَني إليهِ عمرُ)[6] ، فهذا

(١) المُجلِّي : الذي يصل أوَّلاً في حلبة السباق .

(٢) الخَصْل : إصابة القرطاس بالرمي ، أو أن يقع السهم قريباً من القرطاس ، وقوله : (خلاله) جاءت غير معجمة في (أ) ، فيحتمل أن تكون (جلاله) ، ولعل المثبت أقرب ، والله تعالى أعلم .

(٣) أورده مرفوعاً الغزالي في « إحياء علوم الدين » (١/ ٨٧) ، وأخرجه الحكيم الترمذي في « نوادره » (١٢٧) الأصل : (٢١) من قول بكر بن عبد الله المزني ، وقال العراقي في « المغني » (٧٣) : (لم أجده مرفوعاً . . .) .

(٤) انظر « صحيح البخاري » (٤٦٧٩ ، ٤٩٨٦ ، ٧١٩١) .

(٥) سبق تخريجه (١/ ١٩٨) .

(٦) المشهور : أن القائل هو سيدنا عمر في حق سيدنا أبي بكر رضي الله عنهما . انظر « صحيح=

القولُ منهُ رضيَ اللهُ عنهُ أدلُّ دليلٍ على الكلامِ النَّفْسانيِّ .

وقد تأوَّلَ رضيَ اللهُ عنهُ آياتٍ مِنَ القرآنِ لها ظواهرُ .

فممَّا أوَّلَهُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ . . .﴾ إلىٰ آخرِها [النصر : ١-٣] ، قيلَ : إنَّها لمَّا نزلَتْ بكىٰ ، فتعجَّبَ منهُ الصحابةُ ، فقالَ : هيَ نعيُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1] .

وتأويلاتُهُ كثيرةٌ يطولُ استقصاؤُها[2] .

* * *

= البخاري » (٦٨٣٠) ، و« تفسير الرازي » (١/ ٣٥) .

(١) المشهور : أنَّ سيدنا أبا بكر رضي الله عنه بكىٰ عند نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه بقوله : « إنَّ عبداً خيَّرَهُ اللهُ بينَ أنْ يؤتيَهُ مِنْ زهرةِ الدنيا ما شاءَ ، وبينَ ما عندَهُ ، فاختارَ ما عندَهُ » ، كما في « صحيح البخاري » (٣٩٠٤) من حديث سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، دون التقييد بالسورة .

قال ابن عاشور في « التحرير والتنوير » (٣٠/ ٥٩٥) : (ويحتمل أن يكون بكاء أبي بكر تكرَّر مرتين ؛ أولاهما : عند نزول سورة « النصر » كما في رواية « الكشاف » ، والثانية : عند خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه) ، وجاء أيضاً : أن الذي فهم من هٰذه الآية نعيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو سيدُنا ابن عباس رضي الله عنهما كما في « صحيح البخاري » (٤٢٩٤)، وانظر « تفسير التستري » (ص٢٠٨)، و« الكشاف » (٤/ ٨١٢)، و« الدر المنثور » (٨/ ٦٥٩) وما بعدها .

(٢) وتوفي بالمدينة سنة (١٣هـ) رضي الله عنه .

وثانيهِمُ :

[الصحابيُّ الجليلُ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه]

الذي أعزَّ اللهُ الدينَ بإسلامِهِ ، ووُفِّقَ فوافقَ ربَّهُ في ثلاثٍ مِنْ مشورتِهِ وكلامِهِ[1] ، وهوَ الذي سنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عنِ المُنكَرِ ، وغيَّرَ المُنكَرَ باليدِ واللسانِ حين أنكَرَ ، طالما فَرِقَ منهُ الشيطانُ ، وفرَّقَ شملَ أهلِهِ وهوَ الذي قيلَ فيهِ : إنَّ سعادةَ الإسلامِ أُدرِجَتْ معَهُ في الأكفانِ[2] .

فمِنْ كلامِهِ رضيَ اللهُ عنهُ : (لو كُشِفَ الغطاءُ ما ازددتُ يقيناً)[3] .

ومِنْ مناقبِهِ : أنَّهُ أشارَ علىٰ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ بكَتْبِ القرآنِ بينَ الدَّفتينِ حينَ قُتِلَ القُرَّاءُ باليمامةِ ؛ **فكانَ مِنْ كلامِهِ** : ما ذكرَهُ أبو عمرٍو عثمانُ بنُ سعيدٍ

(١) **أشار به** : إلىٰ ما أخرجه البخاري (٤٠٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، ومسلم (٢٣٩٩) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، وأوصلها بعضهم إلىٰ أكثر من عشرين ، وقد نَظَمها الإمام السيوطي ضمن كتابه « الحاوي للفتاوي » (١/ ٣٧٧ـ ٣٧٨) ، وسمَّىٰ هٰذه المنظومة : « قطف الثمر في موافقات عمر » ، وانظر « تاريخ الخلفاء » (ص٢٢٤) وما بعدها .

(٢) هو بمعنىٰ ما ورد ؛ **ومن ذلك** : ما أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣/ ٣٧٣) ، والحاكم (٣/ ٨٤) عن سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما قال : (كان الإسلام في زمان عمر كالرجل المقبل لا يزداد إلا قرباً ، فلمَّا قتل عمر كان كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعداً) ، **ومن ذلك أيضاً** : ما أخرجه الطبراني في « الكبير » (٩/ ٢٦ـ٢٧) من حديث سيدنا عثمان بن مظعون رضي الله عنه مرفوعاً : « هٰذا غَلَقُ الفتنةِ ـ وأشار بيده ـ لا يزالُ بينكُم وبينَ الفتنةِ بابٌ شديدُ الغلقِ ما عاشَ هٰذا بينَ ظهرانَيْكم » .

(٣) **المشهور** : أنه من كلام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأورده الإمام القشيري في « رسالته » (ص٤٣٤) من كلام عامر بن عبد قيس ، وانظر « الأسرار المرفوعة » (ص٢٨٦) .

الدانيُّ ؛ أنْ قالَ : (إنِّي خَشِيتُ أنْ يَهلِكَ القرآنُ ـ يعني : يذهبُ حفظُهُ مِنَ الصدورِ ـ فاكتبْهُ . . .) وسردَ القصةَ إلىٰ آخرِها[1] .

أفتُراهُ أيُّها المُبتدِعُ يصفُ الكلامَ القديمَ بقولِهِ : (يهلِكُ) ؟! فتأمَّلْ كلامَ العلماءِ والصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم[2] .

* * *

(١) المقنع في رسم مصاحف الأمصار (ص١٣) ، وقصة جمع القرآن أخرجها البخاري كما سبقت الإشارة إليه في (١/ ٢٢٤) .

(٢) وتوفي بالمدينة سنة (٢٣هـ) رضي الله عنه .

ومنهُمُ :

[الصحابيُّ الجليلُ عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه]

الناسخُ لمصاحفِ الأمصارِ ، والراسخُ القدمِ في مواقفِ الأبرارِ ، المعدودُ ثالثَ الخُلفاءِ الراشدينَ ، والممدودُ إليهِ بالعدوانِ أيدي الحُلفاءِ الحاشدينَ ، الفادي بمُهجتِهِ مُهَجَ المسلمينَ فعلَ الشفيقِ ، والمُنادي حينَ عدا عليهِ العادي : (مَنْ أغمدَ سيفَهُ فهوَ حرٌّ مِنَ الرقيقِ)[1] ؛ أميرُ المؤمنينَ عثمانُ بنُ عفَّانَ رضيَ اللهُ عنهُ .

ومِنْ مناقبِهِ رضيَ اللهُ عنهُ : ما رواهُ عثمانُ بنُ سعيدٍ[2] ، عن عبدِ الرحمٰنِ بنِ مَهْديٍّ : حدَّثَنا إبراهيمُ بنُ سعدٍ ، عنِ الزهريِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ : أنَّ حذيفةَ بنَ اليمانِ قدمَ علىٰ عثمانَ بنِ عفانَ رضيَ اللهُ عنهُما . . . فذكرَ القصةَ ، وقالَ فيها : فأرسلَ عثمانُ إلىٰ زيدِ بنِ ثابتٍ وإلىٰ عبدِ اللهِ بنِ الزبيرِ وسعيدِ بنِ العاصِ وعبدِ الرحمٰنِ بنِ الحارثِ ، وأمرَهُم أنْ ينسخُوا الصُّحُفَ في المصاحفِ ، ثمَّ قالَ للرهطِ القرشيِّينَ الثلاثةِ : ما اختلفتُم فيهِ معَ زيدٍ فاكتبوهُ بلسانِ قريشٍ ؛ فإنَّهُ نزلَ بلسانِهِم .

قالَ : ففعلُوا ، حتىٰ إذا نسخُوا الصُّحُفَ في المصاحفِ بعثَ عثمانُ إلىٰ كلِّ أُفُقٍ بمصحفٍ مِنْ تلكَ المصاحفِ التي نسخُوها ، ثمَّ أمرَ بما سوىٰ ذلكَ مِنَ القرآنِ في كلِّ صحيفةٍ أو مصحفٍ . . أنْ يُحرَقَ[3] .

(١) انظر « البداية والنهاية » (٧/ ١٨١) ، وما سيأتي في (٢/ ٢٦٥) .

(٢) عثمان بن سعيد : هو أبو عمرو الداني السابقُ النقل عنه قبل قليل .

(٣) المقنع في رسم مصاحف الأمصار (ص١٦) ، وأخرجه البخاري (٤٩٨٧) .

تأمَّلْ أرشدَكَ اللهُ ووفَّقَكَ ؛ أترىٰ عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ يُقدِمُ علىٰ إحراقِ كلامِ اللهِ القديمِ ؟! تعالى اللهُ أنْ يَحُلَّ كلامُهُ القديمُ في شيءٍ ، وحاشا عثمانَ رضيَ اللهُ عنهُ مِنْ عدمِ التعظيمِ[1] .

* * *

(١) وتوفي بالمدينة سنة (٣٥هـ) رضي الله عنه .

ومنهُمُ :

[الصحابيُّ الجليلُ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه]

الإمامُ الوارثُ عِلْمَ السنَّةِ والكتابِ ، والنافثُ إذا لفظَ بالحكمةِ وفصلِ الخطابِ ، جعلَهُ الرسولُ منهُ بمنزلةِ هارونَ مِنْ موسىٰ[1] ، فنوَّهَ بقدرِهِ بما ولاهُ وأولاهُ ، وحثَّ الكافَّةَ علىٰ موالاتِهِ بقولِهِ : « مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ »[2] ، وزادَهُ ما يزيدُ شرفَهُ ، حيثُ بعثَهُ يُنادي بـ (براءةَ) بعرفةَ[3] ، المقتولُ بيدِ ذي النفسِ الطاغيةِ[4] ، والمُنتظِمُ في حزبِهِ مَنْ قَتَلَتْهُ الفئةُ الباغيةُ[5] ، الرادُّ على المبتدعةِ بلسانِهِ وسِنانِهِ ، والمُستفادُ الهدىٰ والنَّدىٰ مِنْ بيانِهِ وبَنانِهِ ، مُطلِّقُ البيضاءِ والصفراءِ[6] ، والمُفرِّقُ بالزهدِ شملَ الغنىٰ والإثراءِ ؛ **أميرُ المؤمنينَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ** .

قالَ أبو القاسمِ عمرُ بنُ الحسينِ بنِ الحسنِ المكِّيُّ في كتابِهِ المُسمَّىٰ « نهايةَ

(١) كما أخرجه البخاري (٣٧٠٦) ، ومسلم (٣١/٣٤٠٤) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧١٣) ، والنسائي في « الكبرىٰ » (٨٤١٥) وغيرهما عن سيدنا زيد بن أرقم رضي الله عنه ، وللحديث طرق كثيرة .

(٣) أشار بذلك : إلىٰ ما أخرجه النسائي (٥/٢٤٧) ، والدارمي (١٩٥٦) ، وابن حبان (٦٦٤٥) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وانظر « الدر المنثور » (٤/١٢٢) وما بعدها .

(٤) أشقى الناس ؛ عبدِ الرحمٰن بن ملجم المرادي .

(٥) وهو سيدنا الصحابي بن الصحابي عمار بن ياسر رضي الله عنهما ، وفي الكلام إشارة إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (٤٤٧) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وفيه : « ويحَ عمارٍ !! تقتلُهُ الفئةُ الباغيةُ » .

(٦) البيضاء والصفراء : الفضة والذهب ؛ وهو كناية عن الزهد في الدنيا .

المرامِ في علمِ الكلامِ » : (فإنْ قالَ قائلٌ : أخبرُونا عن طبقاتِ المُتكلِّمينَ مِنْ أهلِ السنَّةِ والجماعةِ .

قلْنا : أوَّلُ مُتكلِّمٍ في الصحابةِ : عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ ؛ لمناظرتِهِ الخوارجَ في مسائلِ الوعدِ والوعيدِ ، ومناظرتِهِ معَ القدريَّةِ في القَدَرِ ، وقد أودعْنا صدرَ الكتابِ ذكرَ مناظراتِهِ)[1] .

قلتُ : وممَّا رُوِيَ عنهُ مِنَ الخوضِ في أصولِ العقائدِ : ما رواهُ الحافظُ أبو نعيمٍ الأصفهانيُّ عنِ النعمانِ بنِ سعدٍ قالَ : كنتُ بالكوفةِ في دارِ الإمارةِ ؛ دارِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ . . إذْ دخلَ علينا نوفُ بنُ عبدِ اللهِ ، فقالَ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ بالبابِ أربعونَ رجلاً مِنَ اليهودِ ، فقالَ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ : عليَّ بهِم .

فلمَّا وقفُوا بينَ يديهِ قالُوا لهُ : يا عليُّ ؛ صِفْ لنا ربَّكَ هٰذا الذي هوَ في السماءِ : كيفَ هوَ ؟ وكيفَ كانَ ؟ ومتىٰ كانَ ؟ وعلىٰ أيِّ شيءٍ هوَ ؟

فاستوىٰ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ جالساً ، وقالَ : معشرَ اليهودِ ؛ اسمعُوا منِّي ولا تُبالُونَ ألا تسألُوا أحداً بعدي[2] :

إنَّ ربِّي هٰذا الأولُ لم يبدُ ممَّا[3] ، ولا تمازجَ مَعْ مَا ، ولا حالٌّ وهماً ، ولا شبحٌ يُتقصَّىٰ ، ولا محجوبٌ فيُحوَىٰ ، ولا كانَ بعدَ أنْ لم يكنْ فيُقالَ : حادثٌ ، بل جَلَّ عن أنْ يُكيَّفَ المُكيِّفُ للأشياءِ كيفَ كانَ ، بل لم يزلْ

(١) نهاية المرام في دراية الكلام (ص٦٦٨) ، وأصل الكلام في « أصول الدين » لأبي منصور البغدادي (ص٣٠٧) .

(٢) في « الحلية » : (ولا تبالوا) بدل (ولا تبالون) ، والمثبت علىٰ تقدير الواو حاليةً و(لا) نافيةً .

(٣) في « الحلية » : (هو) بدل (هٰذا) .

ولا يزولُ لاختلافِ الأزمانِ ، ولا لتقليبِ شانٍ بعدَ شانٍ ، وكيفَ يُوصَفُ بالأشباحِ ، ويُنعَتُ بالألسنِ الفِصاحِ ، مَنْ لم يكنْ في الأشياءِ فيُقالَ : بائنٌ ، ولم يَبِنْ عنها فيُقالَ : كائنٌ ؟!

بل هوَ بلا كيفيَّةٍ ، وهوَ أقربُ مِنْ حبلِ الوريدِ ، وأبعدُ عنِ الشَّبَهِ مِنْ كلِّ بعيدٍ .

لا يخفىٰ عليهِ مِنْ عبادِهِ شُخوصُ لحظةٍ ، ولا كُرورُ لفظةٍ[1] ، ولا ازدلافُ ربوةٍ[2] ، ولا انبساطُ خَطْوةٍ ، في غسقِ ليلٍ داجٍ ، ولا إدلاجٍ .

لا يتغشَّىٰ عليهِ القمرُ المنيرُ ، ولا انبساطُ الشمسِ ذاتِ النورِ ، بضوئِهما في الكُرورِ ، ولا إقبالُ ليلٍ مقبلٍ ، ولا إدبارُ نهارٍ مدبرٍ ، إلا بما يريدُ مِنْ تكوينِهِ ؛ فهوَ العالِمُ بكلِّ مكانٍ ، وكلِّ حينٍ وأوانٍ ، وكلِّ نهايةٍ ومُدَّةٍ ، والأمدُ إلى الخلقِ مصروفٌ[3] ، والحدُّ إلىٰ غيرِهِ منسوبٌ .

لم يخلُقِ الأشياءَ مِنْ أصولٍ أوَّليَّةٍ ، ولا بأزليَّةٍ كانَتْ قبلَهُ [بَدِيَّةٍ] ، بل خلقَ ما خلقَ فأقامَ خلقَهُ ، وصوَّرَ ما صوَّرَ فأحسنَ صُورَهُ .

تَوحَّدَ في عُلوِّهِ فليسَ لشيءٍ منهُ امتناعٌ ، ولا لهُ بطاعةِ شيءٍ مِنْ خلقِهِ انتفاعٌ ، إجابتُهُ للداعينَ سريعةٌ ، والملائكةُ في السماواتِ لهُ مطيعةٌ ، علمُهُ بالأمواتِ البائدينَ ، كعلمِهِ بالأحياءِ المنتقلينَ ، وعلمُهُ بما في السماواتِ العُلا ، كعلمِهِ بما في الأرَضينَ السُّفْلىٰ ، وعلمُهُ بكلِّ شيءٍ .

لا تُحيِّرُهُ الأصواتُ ، ولا تشغلُهُ اللغاتُ ، سميعٌ للأصواتِ المختلفةِ ، بلا

(١) أي : رجوعها .

(٢) أي : لا يخفىٰ على الله صعود إنسان أو حيوان ربوةً من الأرض ؛ وهي الموضع المرتفع .

(٣) في « الحلية » : (مضروب) ، وهو الأنسب مع السجعة ، ويحتمل في (أ) ما في « الحلية » رسماً ، إلا أن النقط لا يساعده .

جوارحَ للهِ مُؤتلفةٍ ، مُدبِّرٌ بصيرٌ ، عالمٌ بالأمورِ ، حيٌّ قَيُّومٌ سبحانَهُ .

كلَّمَ موسىٰ تكليماً بلا جوارحَ ولا أدواتٍ ، ولا شفةٍ ولا لَهَواتٍ ، سبحانَهُ وتعالىٰ عن تكييفِ الصفاتِ ، مَنْ زعمَ أنَّ إلـٰهَنا محدودٌ ، فقد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ ، ومَنْ ذكرَ أنَّ الأماكنَ بهِ تُحيطُ ، لزمَتْهُ الحَيْرةُ والتخليطُ ، بل هوَ المحيطُ بكلِّ مكانٍ .

وإنْ كنتَ صادقاً أيُّها المُتكلِّفُ لوصفِ الرحمـٰنِ ، بخلافِ التنزيهِ في التنزيلِ والبرهانِ . . فصِفْ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ ، هيهاتَ !! أتعجزُ عن صفةِ مخلوقٍ مثلِكَ وتصفَ الخالقَ المعبودَ ؟! وإنَّما تُدرَكُ صفةُ ربِّ الهيئةِ والأدواتِ[1] ، فكيفَ بمَنْ لا تأخذُهُ سِنَةٌ ولا نومٌ[2] ، لهُ ما في الأرَضينَ والسماواتِ وما بينَهُما وهوَ ربُّ العرشِ العظيمِ ؟!

سردَ هـٰذا الخبرَ بطولِهِ الحافظُ أبو نعيمٍ في « حليةِ الأولياءِ » في ترجمةِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ[3] .

ومِنْ كلامِهِ رضيَ اللهُ عنهُ في التنزيهِ للبارئِ جلَّ وعزَّ : (لا يُوصَفُ بوصفٍ ، ولا يُحَدُّ بحدٍّ ، ولا يُقدَّرُ بمقدارٍ ، الذي كيَّفَ الكيفَ لا يُقالُ لهُ : كيفَ ، والذي أيَّنَ الأينَ لا يُقالُ لهُ : أينَ)[4] .

(١) في « كنز العمال » (١٧٢) : (وإنما لا تدرك) بزيادة (لا) ، وهو أبلغ وأوضح ، والمثبت موافق لـ « الحلية » .

(٢) في « الحلية » : (من) بدل (بمن) ، وهو أوضح معنىً ؛ أي : فكيف تدرك صفة من لا تأخذه . . . إلخ .

(٣) حلية الأولياء (١/ ٧٢ـ٧٣) ، وقال إثره : (هـٰذا حديث غريب من حديث النعمان ، كذا رواه ابن إسحاق عنه مرسلاً) ، وانظر « شرح نهج البلاغة » لابن أبي الحديد (٩/ ٢٥٣) وما بعدها .

(٤) أورده الشهرستاني في « نهاية الإقدام » (ص١٢٩ـ١٣٠) ، ويقرأ « الأقدام » بفتح الهمزة علىٰ أنه جمع قدم ، وبالكسر علىٰ أنه مصدر . انظر « حاشية العكاري علىٰ شرح السنوسية »=

معنىٰ قولِهِ رضيَ اللهُ عنهُ : (لا يُوصَفُ بوصفٍ) يعني : بوصفٍ يُكيِّفُهُ بهِ ويحدُّهُ كوصفِ المخلوقِ ؛ لأنَّهُ دلَّ عليهِ كلامُهُ أوَّلاً حيثُ قال : (تعالىٰ عن تكييفِ الصفاتِ) ، وثانياً حيثُ قالَ : (وإنَّما تُدرَكُ صفةُ ربِّ الهيئةِ والأدواتِ) ، واللهُ أعلمُ .

لا كما ظنَّتْ طائفةٌ مِنَ الشيعةِ مِنْ هٰذا الكلامِ ظاهرَهُ ؛ فقالُوا : لا يجوزُ إطلاقُ الصفاتِ التي يشتركُ فيها هوَ وغيرُهُ إلا ما أطلقَهُ علىٰ نفسِهِ ، لا بمعنى الوصفِ ، لٰكنَّا نطلقُ الأسماءَ بمعنى الإعطاءِ ، فهوَ [موجودٌ][1] ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ يعطي الوجودَ ، وعالمٌ [وقادرٌ] ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ واهبُ العلمِ للعالِمينَ والقدرةِ للقادرينَ ، حيٌّ ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ يُحيي [الموتىٰ] ، قَيُّومٌ ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ يُقيمُ العالَمَ ، سميعٌ بصيرٌ ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ خالقُ السمعِ والبصرِ[2] .

ويُنسَبُ هٰذا : إلىٰ محمدِ بنِ عليٍّ الباقرِ[3] ، ولم يثبتْ نقلاً مُتَّصلاً إليهِ ، وهٰذا المذهبُ ليسَ بصحيحٍ ، ولا يُظَنُّ بالإمامِ محمدِ بنِ عليٍّ اعتقادُ ذلكَ ، واللهُ أعلمُ[4] .

* * *

= (ق/ ٣٩) ، وانظر ما سيأتي تعليقاً في (١/ ٥٤١) .

(١) في (أ ، ب) : (موجد) .

(٢) انظر « نهاية الإقدام » (ص١٢٩ـ١٣٠) .

(٣) انظر « نهاية الإقدام » (ص١٣٠) ، و« الملل والنحل » (١/ ١٩٣) .

(٤) وتوفي سيدنا علي سنة (٤٠هـ) رضي الله عنه .

ومنهُمُ :

[الصحابيُّ الجليلُ عبدُ اللهِ بنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما]

جَذوةُ الاقتباسِ ، كاشفُ الإلباسِ ؛ عبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ أبو العباسِ ، مَلِكُ هٰذا الشانِ ، وفارسُ هٰذا المَيْدانِ ، وتُرْجُمانُ القرآنِ ، إليهِ علمُ التأويلِ يؤولُ ، كيفَ لا وقدِ استُجِيبَتْ فيهِ دعوةُ الرسولِ : « اَللَّهُمَّ ؛ فَقِّهْهُ فِي اَلدِّينِ ، وَعَلِّمْهُ اَلتَّأْوِيلَ » ؟![1] .

روىٰ سفيانُ عن أبي الزِّنادِ قالَ : قالَ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما : (التفسيرُ علىٰ أربعةِ أوجهٍ : وجهٍ تعرفُهُ العربُ بكلامِها ، وتفسيرٍ لا يُعذَرُ أحدٌ بجهالتِهِ ، وتفسيرٍ يعلمُهُ العلماءُ ، وتفسيرٍ لا يعلمُهُ إلا اللهُ)[2] .

قالَ العلماءُ بالتفسيرِ : (وهٰذا صحيحٌ ؛ أمَّا الذي تعرفُهُ العربُ بكلامِها : فهوَ حقائقُ اللغةِ وموضوعُ كلامِهم .

وأمَّا الذي لا يَسَعُ [أحداً] جهلُهُ ، ولا يُعذَرُ أحدٌ بجهلِهِ بهِ : فهوَ ما يلزمُ الكافَّةَ في القرآنِ مِنَ الشرائعِ ودلائلِ التوحيدِ .

وأمَّا الذي يعلمُهُ العلماءُ : فهوَ وجوهُ تأويلِ المُتشابِهِ وفروعُ الأحكامِ .

وأمَّا الذي لا يعلمُهُ إلا اللهُ : فهوَ ما يجري مَجرى الغيوبِ وقيامِ الساعةِ)[3] .

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٥٣٤) ، وابن حبان (٧٠٥٥) ، ودون قوله : « وعلِّمه التأويل » البخاريُّ (١٤٣) من حديث سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الطبري في « تفسيره » (١/ ٧٥) .

(٣) انظر « النكت والعيون » (١/ ٣٦) .

فممَّا أوَّلَهُ رضيَ اللهُ عنهُ : قولُهُ : ﴿ كُرْسِيُّهُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] يعني : علمَهُ ، ذكرَهُ الماورديُّ[١] .

وقولُهُ : ﴿ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ [آل عمران : ٧] قالَ : الناسخةُ ، والمتشابهاتُ : المنسوخةُ[٢] .

وقولُهُ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧] يعني : ما يؤولُ إليهِ يومُ القيامةِ[٣] ، كما قالَ : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [الأعراف : ٥٣] ، ذكرَهُ الماورديُّ في « تفسيرِهِ »[٤] .

روى ابنُ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، عنِ ابنِ عباسٍ في قولِهِ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ [آل عمران : ٧] قالَ ابنُ عباسٍ : (أنا ممَّنْ يعلمُ تأويلَهُ)[٥] ، وصدقَ رضيَ اللهُ عنهُ .

وفي قولِهِ : ﴿ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ [الرعد : ٣٩] قالَ : (يمحو ما يشاءُ مِنْ أمورِ عبادِهِ ، إلا السعادةَ والشَّقاوةَ)[٦] ، وقالَ فيهِ أيضاً : (إنَّهُ يلهمُ الرجلَ فيعملُ بعملِ أهلِ الشَّقاوةِ ، ثمَّ يعملُ بعملِ أهلِ السعادةِ فيمحو ذلكَ ، وبالعكسِ)[٧] .

(١) النكت والعيون (١/ ٣٢٥) ، وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٥/ ٣٩٧) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص١٢٣) .

(٢) انظر « النكت والعيون » (١/ ٣٦٩) ، وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٦/ ١٧٤ـ١٧٥) .

(٣) لما فيه من الوعد والوعيد . انظر « النكت والعيون » (١/ ٣٧١) .

(٤) النكت والعيون (١/ ٣٧١) ، وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٦/ ١٧٤) .

(٥) أخرجه الطبري في « تفسيره » (٦/ ٢٠٣) ، وابن المنذر في « تفسيره » (٢٥٨) .

(٦) انظر « النكت والعيون » (٣/ ١١٧) ، وأخرجه الطبري في « تفسيره » (١٦/ ٤٧٧) ، والبيهقي في « الشعب » (٣٣٩٤) .

(٧) انظر « النكت والعيون » (٣/ ١١٨) ، وهذا التأويل أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٦/ ٤٨٣) ، والبيهقي في « القضاء والقدر » (١٨٧) .

وفي قولِهِ : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [النور : ٣٥] : هادي أهلِ السماواتِ والأرضِ[١] .

وفي قولِهِ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ ﴾ [الشورى : ١١] : ليسَ كمثلِ الرجلِ والمرأةِ شيءٌ ، فأعادَ الضميرَ على واحدِ الأزواجِ ، فكأنَّهُ واللهُ أعلمُ قالَ : ليسَ كمثلِ الزوجِ مِنْ أنفسِكُم شيءٌ ، حكى هٰذا القولَ أبو الحسنِ الماورديُّ في « النكتِ والعيونِ » تفسيرِهِ[٢] .

ومِنْ أدبِهِ معَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ما روى كُرَيبٌ عنِ ابنِ عبَّاسٍ قالَ : أتيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فوجدتُهُ يُصلِّي مِنْ آخرِ الليلِ ، فجئتُ فقمتُ مِنْ خلفِهِ ، فأخذَ بيدي فجعلَني حِذاءَهُ ، فسلَّمَ وانصرفَ ، قالَ : « مَا لَكَ أَجْعَلُكَ حِذَائِي فَتَخْنِسُ ؟! » ، فقلتُ : لا ينبغي لأحدٍ أنْ يقومَ حذاءَكَ وأنتَ رسولُ اللهِ ، فدعا اللهَ أنْ يَزيدَني فقهاً وعلماً[٣] .

* * *

(١) انظر « النكت والعيون » (٤/ ١٠٢) ، وأورده فيها أيضاً عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وهٰذا التأويل أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٩/ ١٧٧) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٨٤ ـ ٨٥) .

(٢) النكت والعيون (٥/ ١٩٤) ، ومن جملة ما أوله أيضاً ما ذكرناه تعليقاً في (١/ ٢٢٥) .

(٣) أخرجه بنحوه أحمد (١/ ٣٣٠) ، والحاكم (٣/ ٥٣٤) ، وتخنِسُ : تتأخَّر ، وتوفي سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف سنة (٦٨هـ) .

ومنهُم :

عبدُ اللهِ بنُ عمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُما

قالَ أبو القاسمِ عمرُ بنُ الحسينِ بنِ الحسنِ المكِّيُّ في « كتابِهِ » عندَ الكلامِ على طبقاتِ المُتكلِّمينَ مِنَ الصحابةِ ؛ قالَ : (ثمَّ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما في كلامِهِ على القَدَريَّةِ وبراءتِهِ منهُم ومِنْ زعيمِهِمُ المعروفِ بمعبدِ الجُهَنيِّ[1] ، وإنِ ادَّعتِ القدريةُ أنَّ زعيمَهُم واصلَ بنَ عطاءٍ أخذَ مذهبَهُ مِنْ محمدٍ وعبدِ اللهِ بنِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُما . فهـٰذا مِنْ بَهَتِهِم وكذبِهِم ، وكيفَ يُقالُ ذلكَ وواصلٌ قد ردَّ شهادتَهُ عليٌّ وطلحةُ رضيَ اللهُ عنهُما ؟!)[2] .

* * *

(١) أخرجه مسلم (٨) .

(٢) نهاية المرام (ص٦٦٨) ، وأصل الكلام في « أصول الدين » للإمام أبي منصور البغدادي (ص٣٠٧) ، وانظر « مرهم العلل المعضلة » (ص٨٤) ، وتوفي سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما بمكة سنة (٧٣هـ) .

ومنهُم :

عائشةُ رضيَ اللهُ عنها

إحدىٰ أمَّهاتِ المؤمنينَ ، المأخوذُ عنها شطرُ الدينِ .

ألا تراها تأوَّلَتْ آيةَ الرؤيةِ أنَّها رؤيةُ جبريلَ عليهِ السلامُ[1] .

* * *

(١) أي : رؤية النبي صلى الله عليه وسلم ربَّه في المعراج ، كما في « صحيح مسلم » (١٧٧) ، والآية هي قوله تعالىٰ : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ [النجم : ١٣] ، وقوله : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [التكوير : ٢٣] ، وانظر « شرح صحيح مسلم » للنووي (٣/ ٤ـ٥) ، وتوفيت السيدة عائشة رضي الله عنها بالمدينة سنة (٥٨هـ) .

ومنهُم :

أبو سعيدٍ ـ ويُقالُ : أبو عبدِ الرحمـٰنِ ـ زيدُ بنُ ثابتِ بنِ الضحَّاكِ الخَزْرَجيُّ

وهوَ الذي انتدبَهُ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ لجمعِ القرآنِ بينَ الدَّفتينِ ، قالَ لهُ أبو بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ : إنَّكَ شابٌّ عاقلٌ لا نتَّهمُكَ ، وقد كنتَ تكتبُ الوحيَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فتتبَّعِ القرآنَ واجمعْهُ .

قالَ زيدٌ : فواللهِ ؛ لو كلَّفُوني نقلَ جبلٍ مِنَ الجبالِ ما كانَ أثقلَ عليَّ ممَّا أمرُوني بهِ مِنْ جمعِ القرآنِ .

قلتُ : كيفَ تفعلُونَ شيئاً لم يفعلْهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؟! قالَ : هوَ واللهِ خيرٌ ، فلم يزلْ أبو بكرٍ يُراجعُني حتىٰ شرحَ اللهُ صدري للذي شرحَ صدرَ أبي بكرٍ وعمرَ . . . ، ثمَّ ساقَ بقيةَ القصةِ[1] .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ سنةَ خمسٍ وأربعينَ بالمدينةِ .

* * *

(١) القصة بطولها في « صحيح البخاري » (٤٩٨٦) .

ومنهُم :

أبو عبدِ الرحمٰنِ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ الهُذَليُّ رضيَ اللهُ عنهُ

عن علقمةَ قالَ : جاءَ رجلٌ إلىٰ عمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ : إنِّي جئتُكَ مِنْ عندِ رجلٍ يُملي المصاحفَ عن ظهرِ قلبٍ ، ففزعَ عمرُ رضيَ اللهُ عنهُ وغضبَ ، فقالَ : ويحكَ !! انظرْ ما تقولُ ، قالَ : ما جئتُكَ إلا بحقٍّ ، قالَ : مَنْ هوَ ؟ قالَ : عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ ، قالَ : ما أعلمُ أحداً أحقَّ بذلكَ منهُ ، وسأُحدِّثُكَ عن عبدِ اللهِ :

إنَّا سَمَرْنا ليلةً عندَ أبي بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ في بعضِ ما يكونُ مِنْ حاجةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ خرجْنا ورسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يمشي بيني وبينَ أبي بكرٍ ، فلمَّا انتهَينا إلى المسجدِ إذا رجلٌ يقرأُ ، فقامَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يستمعُ إليهِ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ أعتمتَ ، فغمزَني بيدِهِ ؛ اسكتْ ، قالَ : فقرأَ وركعَ وسجدَ وجلسَ يدعو ويستغفرُ ، فقالَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « سَلْ تُعْطَهْ » ، ثمَّ قالَ : « مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ ٱلْقُرْآنَ رَطْباً كَمَا أُنْزِلَ . . فَلْيَقْرَأْ قِرَاءَةَ ٱبْنِ أُمِّ عَبْدٍ » ، فلمَّا أصبحتُ غدوتُ إليهِ لأُبشِّرَهُ ، فقالَ : سبقَكَ بها أبو بكرٍ ، وما سابقتُهُ إلىٰ خيرٍ إلا سبقَني[1] .

ورُوِيَ عنهُ أنَّهُ قالَ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ علِّمْني مِنْ هٰذا القولِ الطيِّبِ ، فقالَ : « إِنَّكَ غُلَامٌ مُعَلَّمٌ » ، وأخذتُ مِنْ فيهِ سبعينَ سورةً ما يُنازِعُني فيها أحدٌ[2] .

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٥ـ٢٦) ، وابن خزيمة (١١٥٦) ، والحاكم (٢/ ٢٢٧) .

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٧٩) ، وابن حبان (٦٥٠٤) .

فقولُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في الخبرِ الأولِ : « رَطْباً كَمَا أُنْزِلَ » . . **ليسَ المرادُ** حقيقةَ ذلكَ ؛ إذِ الرطوبةُ وضدُّها مِنْ وصفِ الأجسامِ ، **وإنَّما المرادُ واللهُ أعلمُ** : أنَّهُ يُحقِّقُ الحروفَ ، ويُعطي الأداءَ حقَّهُ ، فلا تتغيرُ التلاوةُ عن وضعِها الذي بلَّغَها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ تشبيهاً بالفاكهةِ الرطبةِ التي لم تتغيَّرْ ولم تذبُلْ ، بل هيَ على الحالةِ التي اقتُطِفَتْ عليها رطبةٌ لم تتغيَّرْ[1] .

وروىٰ عيسى بنُ زيدٍ ، عن إبراهيمَ النَّخَعيِّ قالَ : مرَّ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ بمكَّةَ ورجلٌ يُحدِّثُهُم عنِ التوراةِ ، فقامَ عندَهُم فسكتَ المُذكِّرُ ، فقالَ عبدُ اللهِ : (ما يُحدِّثُكُم صاحبُكُم . . .) ، وستأتي القصةُ في (بابِ التحذيرِ مِنْ فتنتِهم)[2] .

وهوَ مِنَ المشهورينَ بالتأويلِ ، مِنَ المكثرينَ منهُ ، ولم يقنَعْ بذلكَ حتىٰ أثبتَهُ في المصحفِ المنسوبِ إليهِ ، ورأيتُ هٰذا المصحفَ بخزانةِ جامعِ مصرَ .

قالَ يحيى بنُ معينٍ : (ماتَ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ سنةَ ثلاثٍ وثلاثينَ ، أوِ اثنتينِ وثلاثينَ)[3] ، **ويُقالُ** : إنَّهُ ماتَ وهوَ ابنُ ثلاثٍ وستينَ سنةً .

* * *

(١) وفي هٰذا دليل علىٰ أنَّ ثمة فرقاً بين القراءة والمقروء . انظر الكلام النفيس للإمام الحجة أبي بكر الباقلاني حول هٰذه المسألة في « الإنصاف » (ص٧٦ـ٨٤) ، وما سيأتي في (٢/ ٣٦٤ـ٣٦٥) .

(٢) انظر (٢/ ٤٨٣ـ٤٨٤) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تاريخه » (٣٣/ ١٩٤) .

ومنهُم :

أبو المنذرِ أُبيُّ بنُ كعبٍ

رُوِيَ عنهُ أنَّهُ قالَ: قالَ لي رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أُمِرْتُ أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ » ، فقلتُ : باللهِ آمنتُ ، وعلىٰ يَدِكَ أسلمتُ ، ومنكَ تعلَّمتُ !!

قالَ : فردَّ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ القولَ ، فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ وذُكِرتُ هناكَ ؟! قالَ : « نَعَمْ ، بِٱسْمِكَ وَنَسَبِكَ فِي ٱلْمَلَإِ ٱلأَعْلَىٰ » ، قلتُ : فاقرأْ إذاً يا رسولَ اللهِ[1] ، وفي روايةِ أنسٍ : فجعلَ يبكي ، وقرأَ : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ ﴾ [يونس : ٥٨][2] .

وعن عبدِ الرحمٰنِ بنِ أبي ليلىٰ قالَ : قالَ أبيُّ بنُ كعبٍ رضيَ اللهُ عنهُ : انطلقتُ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فضربَ بيدِهِ صدري ، ثمَّ قالَ : « أُعِيذُكَ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّكِّ وَٱلتَّكْذِيبِ » ، قالَ : ففِضْتُ عَرَقاً ، فكأنِّي أنظرُ إلىٰ ربِّي فَرَقاً[3] .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ أُبيُّ بنُ كعبِ بنِ قيسِ بنِ عُبيدِ بنِ زيدِ بنِ معاويةَ بنِ عمرِو بنِ مالكِ بنِ النجَّارِ[4] .

(١) أخرجه الطبراني في « الكبير » (١/ ٢٠٠) ، وأبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٥١) ، واللفظ لهما ، وأخرجه أحمد (٥/ ١٢٢ـ١٢٣) .

(٢) أخرجها البخاري (٤٩٦٠) ، وفيه أنه قرأ عليه : (لم يكن الذين كفروا) ، ومسلم (٧/ ١٥٠) برقم : (٧٩٩/ ١٢٢) ، وتعيين الآية المذكورة ورد في رواية أحمد السابقة وغيره .

(٣) أخرجه بلفظه أبو نعيم في « الحلية » (١/ ٢٥٢) ، وبنحوه مطولاً مسلم (٨٢٠) .

(٤) انظر « الطبقات الكبرىٰ » لابن سعد (٣/ ٤٩٨) .

وهوَ بَدْرِيٌّ عَقَبِيٌّ ، وهوَ أحدُ الستةِ الذينَ انتهىٰ إليهِمُ القضاءُ في الصحابةِ .

اختُلِفَ في وفاتِهِ ، والصحيحُ : أنَّهُ تُوفِّيَ في خلافةِ عثمانَ[1] .

ومِمَّا أوَّلَهُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور : ٣٥] ، قالَ : (مَثَلُ المؤمن)[2] .

* * *

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٣/ ١٩٤ـ١٩٥) .

(٢) أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٩/ ١٧٨ـ١٧٩)، وانظر « النكت والعيون » (٤/ ١٠٢) .

ومنهُم :

أبو عبدِ الرحمٰنِ معاذُ بنُ جبلٍ الخزرجيُّ

قالَ رضيَ اللهُ عنهُ لمَّا قالَ لهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « بِمَ تَحْكُمُ ؟ » ، قالَ : بكتابِ اللهِ ، قالَ : « فَإِنْ لم تَجِدْ ؟ » ، قالَ : بسنَّةِ رسولِ اللهِ ، قالَ : « فَإِنْ لم تَجِدْ ؟ » ، قالَ : أجتهدُ رأيي[1] .

قالَ صفوانُ بنُ سُليمٍ : (لم يكنْ يُفتي في مسجدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ غيرُ هٰؤلاءِ : عمرُ ، وعليٌّ ، ومعاذٌ ، وأبو موسىٰ)[2] .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ بناحيةِ الأُرْدُنِّ في الطاعونِ سنةَ سبعَ عشرةَ أو ثمانِ عشرةَ ، وهوَ ابنُ أربعٍ وثلاثينَ ـ وقيلَ : ثلاثٍ وثلاثينَ ـ سنةً .

قالَ سعيدُ بنُ المُسيَّبِ : (رُفِعَ عيسىٰ عليهِ السلامُ وهوَ ابنُ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً ، وتُوفِّيَ معاذُ بنُ جبلٍ وهوَ ابنُ ثلاثٍ وثلاثينَ سنةً)[3] ، فاللهُ أعلمُ أيَّ ذلكَ كانَ .

* * *

(١) أخرجه بنحوه أبو داود (٣٥٩٢) ، وأحمد (٥/ ٢٣٦) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٤٤٣٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/ ٦٦) .

(٣) أخرجه ابن سعد في « الطبقات » (٣/ ٥٩٠) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٥٩٤٥) .

ومنهُم :

أبو موسىٰ عبدُ اللهِ بنُ قيسٍ الأشعريُّ

جدُّ الإمامِ أبي الحسنِ ، وسيأتي ذكرُهُ في (بابِ فضلِ الإمامِ أبي الحسنِ) إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[1] .

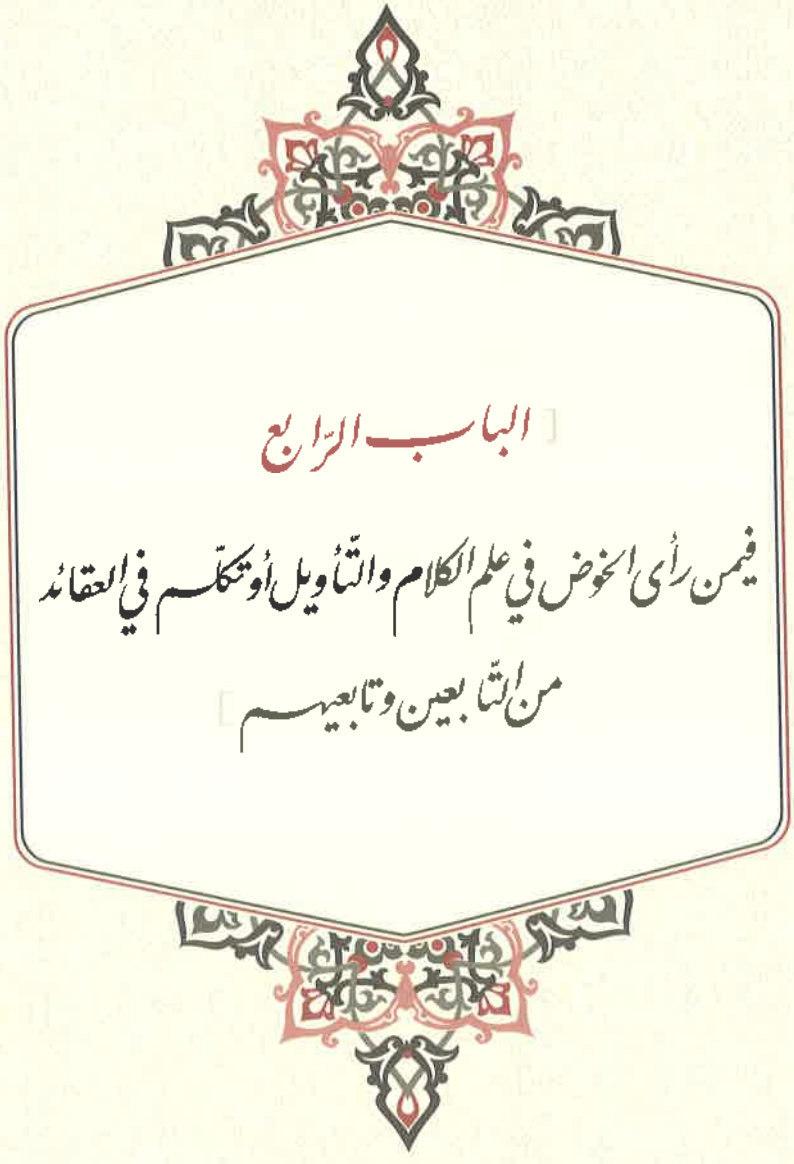
وأبو موسىٰ وقومُهُ همُ الذينَ قَبِلُوا البشرىٰ إذْ لم يقبلْها بنو تميمٍ ، وسألُوا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في حديثِ عمرانَ بنِ حصينٍ ، فقالُوا : يا رسولَ اللهِ ؛ أخبرْنا عن أولِ هٰذا الأمرِ ؟ فقالَ : « كَانَ ٱللهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ ، وَكَتَبَ فِي ٱلذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ . . . » الحديثَ[2] .

تُوفِّيَ أبو موسىٰ بالكوفةِ سنةَ اثنتينِ وخمسينَ رضيَ اللهُ عنهُ .

* * *

(١) انظر (١/ ٣٢٠) .

(٢) سبق تخريجه (١/ ١٨٧) ، وقد عقد الإمام الحافظ ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » باباً في فضل الأشعريين عامَّةً ، وفضل أبي موسى الأشعري وذريته خاصَّةً ؛ ومنهم الإمام الكبير إمام أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالىٰ ، وانظر ما سيأتي (١/ ٣١٩ـ٣٢٣) .



الباب الرّابع

فيمن رأى الخوض في علم الكلام والتّأويل أو تكلّم في العقائد من التّابعين وتابعيهم

بابٌ
فيمن رأى الخوض في علم الكلام والتأويل أو تكلم في العقائد من التابعين وتابعيهم

ولنقدِّمْ على ذلكَ مُقدِّمةً تظهرُ بها معالمُ الطريقينِ ، وتُستنبَطُ منها أدلَّةُ الفريقينِ ؛ فأقولُ مُستعيناً باللهِ :

كانَ الصدرُ الأولُ مِنَ التابعينَ وتابعِ التابعينَ يكرهُونَ الخوضَ في المسائلِ والأجوبةِ عنها قبلَ وقوعِها ، مُتَّبِعينَ في ذلكَ سنَّةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فإنَّهُ كانَ يكرهُ السؤالَ عنِ المسائلِ قبلَ وقوعِها ؛ ألا تراهُ في قصةِ عُويمرٍ العَجْلانيِّ لمَّا أمرَ عاصمَ بنَ عديٍّ أنْ يسألَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : لو أنَّ رجلاً وجدَ معَ امرأتِهِ رجلاً أيقتلُهُ معَها أم كيفَ يفعلُ ؟ فسألَ عاصمٌ عن ذلكَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فكرهَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ المسألةَ وعابَها ، حتىٰ كبُرَ علىٰ عاصمٍ ما سمعَ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ عاصمٌ لعُويمرٍ : لم تأتِني بخيرٍ ؛ كرهَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ المسألةَ وعابَها[1] .

وكانَ عاصمٌ مِنْ جِلَّةِ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم ؛ **فلا يُقالُ** : إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كرهَ المسألةَ منهُ لأنَّهُ سألَ مُتعنِّتاً لغيرِهِ ، ولٰكنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كرهَهُ[2] ؛ لأنَّهُ سؤالٌ عنِ الأمرِ قبلَ وقوعِهِ ، **ويدُلُّ علىٰ أنَّهُ**

(١) أخرج القصة البخاري (٤٧٤٥) ، ومسلم (١٤٩٢) من حديث سيدنا سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما ، وانظر « شرح النووي علىٰ مسلم » (١٠/ ١٢٠) .

(٢) الضمير يعود على المصدر المفهوم من (سأل) .

كانَ لم يقعْ بعدُ : قولُهُ بعدَ ذلكَ : (إنَّ الذي سألتُ عنهُ قدِ ابتُليتُ بهِ)[1] .

فكانُوا يكرهُونَ تقديرَ السؤالِ والجوابِ ، وكانُوا لا يضعُونَ الكتبَ في المسائلِ المفروضِ وقوعُها مِنْ غيرِ حاجةٍ داعيةٍ .

هٰذا في فروعِ الدياناتِ ؛ كالصلاةِ والزكاةِ والحجِّ والصيامِ والطهارةِ ، **فكيفَ بأصولِها التي هيَ عتيدةٌ عندَهُم**[2] ، وهيَ مبادئُ أمرِهِم معَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، والأساسُ المُمهَّدُ لما يُبنىٰ عليهِ ويُشيَّدُ ؟!

ولِمَا تقدَّمَ في البابِ قبلَهُ ؛ مِنْ أنَّ ذلكَ مركوزٌ في طباعِهِم ، مُخالِطٌ للحومِهِم ، مُمازِجٌ لدمائِهِم ، لا يحتاجُونَ في ذلكَ إلى استعمالِ أدواتِ النَّظَرِ ، ولا إلىٰ إعمالِ القرائحِ فيهِ والفِكَرِ ، ولا إلىٰ نظمِ عباراتٍ تدُلُّ عليهِ .

هٰذا معَ كونِ الإسلامِ في قوَّةِ شبابِهِ واستحكامِ ظهورِهِ ، مُؤيَّدٌ أهلُهُ منصورونَ ، لا يهجُمُ عليهِمُ ابتداعٌ ، ولا ينجُمُ في أرضِهِم ناجمُ نفاقٍ[3] . . إلا حُزَّ رأسُهُ وحُصِدَ[4] ؛ لأنَّهُم خيرُ القرونِ ، والرُّشْدُ بهِم مضمونٌ لا مظنونٌ ؛ لقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « خَيْرُ ٱلْقُرُونِ قَرْنِي ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ »[5] ، ولقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَصْحَابِي كَٱلنُّجُومِ ، بِأَيِّهِمُ ٱقْتَدَيْتُمُ ٱهْتَدَيْتُمْ »[6] .

وقد قدَّمْنا أنَّ مِنَ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُم مَنْ شرعَ في التأويلِ في آياتٍ

(١) أخرجه مسلم (١٤٩٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) في (ب) : (عقيدة) بدل (عتيدة) .

(٣) ينجُم : يطلع .

(٤) ويحتمل في (أ) : (جُزَّ) بدل (حُزَّ) ، وهو مناسب لقوله : (حُصد) .

(٥) أخرجه بنحوه البخاري (٢٦٥١) ، ومسلم (٢٥٣٥) عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنهما .

(٦) سبق تخريجه (١/ ٥٥) .

نقلتُ عنهُم تأويلَها[1] ؛ إشارةً إلىٰ طردِ الحُكمِ في الباقي ، وإيماءً إلىٰ ما لم نذكرْهُ بما ذُكِرَ ، وفتحاً للبابِ ، وعوناً علىٰ فهمِ السنَّةِ والكتابِ ، وهـٰذهِ كرامةٌ لهُم ظهرَتْ آثارُها بعدَ انقراضِهِم باطِّلاعِهِم علىٰ ما يحدُثُ مِنَ البدعِ بعدَهُم ، وإعداداً لمَنْ يُناضِلُ مِنْ أهلِ السنَّةِ أهلَ البدعةِ .

ومنهُم مَنِ اكتفىٰ بفهمِهِ للظواهرِ بالبديهةِ ، ولم يظُنَّ أنَّ أحداً يتخطَّىٰ إلىٰ ما يتخطَّىٰ هـٰؤلاءِ المبتدعةُ إليهِ ، ولا يجترئُ علىٰ ما يجترئُونَ عليهِ .

ثمَّ أتىٰ بعدَ الصحابةِ التابعونَ علىٰ أدراجِهِم ، وسلوكِ سَنَنِهِم ومنهاجِهِم ، واقتفاءِ طريقتِهِم ، فانقسمُوا أيضاً قسمينِ : قسمٌ أوَّلَ وتكلَّمَ في التأويلِ وعلمِ الكلامِ ، لـٰكنْ علىٰ سَنَنِ الأوَّلينَ وبعباراتِهِم ، مِنْ غيرِ تكلُّفِ عباراتٍ كعباراتِ المُتكلِّمينَ ولا باصطلاحاتِهِم ، لـٰكنْ بكلامٍ يُحصِّلُ المقصودَ ، وفصاحةٍ تُقرِّبُ البعيدَ ، وتُرشِدُ التائهَ إلىٰ صراطِ العزيزِ الحميدِ[2] .

* * *

(١) انظر ما سبق (١/ ٢٢٤) وما بعدها .

(٢) وقسمٌ ثانٍ آمن بالمتشابه ، وفوَّض تأويله إلى الله تعالىٰ مع التنزيه المطلق عمَّا يوجب الحد والتشبيه والتجسيم ، ولم يتكلَّم في علم الكلام على الطريقة المذكورة في القسم الأول .

فمِمَّنْ أوَّلَ منهُم :

سعيدُ بنُ جبيرٍ رضيَ اللهُ عنهُ

[. . .][1] **فممَّا أوَّلَهُ** : قولُهُ تعالىٰ : ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال : ٢٤] ، قالَ : (يحولُ بينَ المؤمنِ والكفرِ ، وبينَ الكافرِ والإيمانِ)[2] .

وفي قولِهِ تعالىٰ : ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد : ٣٩] ، قالَ : (يمحو ما يشاءُ مِنْ ذنوبِ عبادِهِ ، ويُثبِتُ ما يشاءُ)[3] .

قتلَهُ الحجَّاجُ سنةَ خمسٍ وتسعينَ ، رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ[4] .

* * *

(١) هنا بياض في (أ ، ب) ، ولعله من جنس المذكور بعده في الترجمات ، ومما يناسب إيراده : يكنىٰ أبا محمد ، وكان من كبار العلماء في الحلال والحرام والتفسير وغير ذلك ، روىٰ عن ابن عباس فأكثر وجوَّد ، وعائشة وأبي هريرة وغيرهم ، وكان مستجاب الدعوة . انظر « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٣٢١) وما بعدها .

(٢) أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٣/ ٤٦٨) ، وانظر (١/ ١٥٣ـ ١٥٤) .

(٣) أخرجه الطبري في « تفسيره » (١٦/ ٤٨٧) ، وانظر « النكت والعيون » (٣/ ١١٨) ، و(١/ ٢٣٦) .

(٤) انظر خبر مقتله في « البداية والنهاية » (٩/ ٩٦ـ٩٧) .

ومنهُم :

سعيدُ بنُ المُسيَّبِ[1]

روىٰ عن عليٍّ وابنِ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُما جميعَ التأويلاتِ ، وكانَ أعلمَ أهلِ زمانِهِ .

قالَ القاسمُ بنُ محمدِ بنِ أبي بكرٍ : (هوَ سيِّدُنا وأعلمُنا)[2] .

توفِّيَ سنةَ أربعٍ - وقيلَ : سنةَ خمسٍ - وتسعينَ ، وسُمِّيَتْ تلكَ السنةُ سنةَ الفقهاءِ[3] .

* * *

(١) في ضبط الياء وجهان مشهوران ، واخترنا الكسر ؛ لما يُحكىٰ عنه أنه قال : (سيَّبَ الله من سيَّبَ أبي) .

(٢) أخرجه الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (١/ ٤٦٩) ، وابن سعد في « الطبقات » (٢/ ٣٨٠) .

(٣) وذلك لكثرة من مات فيها منهم ؛ فقد مات فيها عامة فقهاء المدينة ؛ ومنهم : علي بن الحسين ، وعروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وأبو بكر عبد الرحمٰن بن الحارث ، وسليمان بن يسار ، وسعيد بن جبير ، وتأويلاتُ سعيد بن المسيب كثيرة وطافحة في كتب التفسير .

ومنهُمُ :

الحسنُ بنُ أبي الحسنِ البصريُّ

يُكنىٰ أبا سعيدٍ ، كانَ أعلمَ أهلِ زمانِهِ بالتأويلِ ، وقد أقرَّهُ عليٌّ رضيَ اللهُ عنهُ بالمسجدِ ، وأقامَ مَنْ عداهُ مِنَ القُصَّاصِ[1] ، وكانَ عارفاً بالردِّ على المبتدعةِ .

قالَ أبو القاسمِ عمرُ بنُ الحسينِ بنِ الحسنِ المكِّيُّ في « كتابِهِ » في طبقاتِ المُتكلِّمينَ : (ثمَّ الحسنُ بنُ أبي الحسنِ البصريُّ ، ولهُ رسالةٌ إلىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ رضيَ اللهُ عنهُ في ذمِّ القَدَريَّةِ ، وهوَ الذي طردَ واصلَ بنَ عطاءٍ عن مجلسِهِ عندَ إظهارِهِ البدعةَ ، واعتزلَهُم ، فاعتزلُوهُ ولم ينتهُوا عن بدعتِهِم ، فسُمُّوا المعتزلةَ لهذا)[2] .

وقدْ نُقِلَتْ عنهُ تأويلاتٌ :

فممَّا أوَّلَهُ : قولُهُ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران : ٧] ، قالَ : (وما يعلمُ تأويلَ جميعِ المتشابهِ إلا اللهُ ؛ لأنَّ مِنْ جملةِ المتشابهِ ما لا يعلمُهُ إلا اللهُ عزَّ وجلَّ ، ومنهُ ما يعلمُهُ الناسُ ، فالإحاطةُ بالجميعِ ليسَتْ إلا للهِ عزَّ وجلَّ)[3] .

(١) أورده أبو بكر الطرطوشي في « الحوادث والبدع » (ص١١٠) ، وسماع الحسن من سيدنا علي رضي الله عنه رجَّحه الإمام السيوطي تبعاً لغيره في « إتحاف الفرقة » (٢/ ١٠٢ـ١٠٤) ضمن « الحاوي للفتاوي » .

(٢) انظر « نهاية المرام » (ص٦٦٨) ، و« أصول الدين » (ص٣٠٧) .

(٣) أورده الماوردي في « النكت والعيون » (١/ ٣٧١) .

وفي قولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، قالَ : (أو يأتيَ أمرُ ربِّكَ بالعذابِ)[١] .

وفي قولِهِ تعالىٰ : ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ﴾ [الرعد : ٣٩] ، قالَ : (يمحو مَنْ جاءَ أجلُهُ ، ويُثبِتُ مَنْ لم يأتِ أجلُهُ)[٢] .

وفي قولِهِ تعالىٰ : ﴿ مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾ [يس : ٧١] ؛ يعني : قوَّتُنا ، وكذلكَ قولُهُ : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ ﴾ [الذاريات : ٤٧] ؛ أي : قوَّةٍ[٣] ، وكذلكَ قولُهُ : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] ، وهٰذهِ الآيةُ فيها مزيدُ تشريفٍ لآدمَ عليهِ السلامُ .

تُوفِّيَ الحسنُ بالبصرةِ سنةَ عشرٍ ومئةٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

* * *

(١) أورده الماوردي في « النكت والعيون » (٢/ ١٩٠) .

(٢) أورده الماوردي في « النكت والعيون » (٣/ ١١٨) .

(٣) أورده الماوردي في « النكت والعيون » (٥/ ٣١) .

[ومنهُم :

مجاهدُ بنُ جبرٍ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ]

وممَّنْ نُقِلَ عنهُ التأويلُ وهوَ غريبٌ[1] : مجاهدٌ[2] .

فممَّا أوَّلَهُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام : ١٥٨] ، قالَ : (أو يأتيَ قضاءُ ربِّكَ) ، نقلَهُ الماورديُّ في « العيونِ والنكتِ »[3] .

* * *

(١) ولعل وجه الغرابة : كونه فسَّر المقام المحمود بالجلوس ، مع أنه روي عنه أنه الشفاعة . انظر « تفسير الطبري » (١٧/ ٥٢٧ ، ٥٢٩) .

(٢) وتوفي سنة (١٠٢هـ) ، وقيل غير ذلك ، وانظر ترجمته في « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٤٤٩) وما بعدها .

(٣) النكت والعيون (٢/ ١٩٠) .

ومنهُم :

أبو البَخْتَرِيِّ سعيدُ بنُ فيروزَ[1]

روىٰ زيدُ بنُ جبيرٍ قالَ : قالَ لي أبو البَخْتَرِيِّ : (لا تقلْ : « واللهِ حيثُ كانَ » فإنَّهُ بكلِّ مكانٍ)[2] .

قُتِلَ أبو البَخْتَرِيِّ معَ القُرَّاءِ يومَ ديرِ الجماجمِ[3] .

* * *

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٢٧٩ـ٢٨٠) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٣٨٠) ، وانظر « مصنف ابن أبي شيبة » (١٢٥٣٩ ، ١٢٥٤٠) ، والمرادُ مِنَ العبارة : التدبير والحفظ والحراسة والعلم ، وليس المراد منها ظاهرها ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٠٦) .

(٣) وكان ذلك سنة (٨٢هـ) انظر « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٢٨٠) ، وتفاصيل هٰذه الوقعة في « تاريخ الإسلام » (٦/ ٨) وما بعدها .

ومنهُم :

عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ[1]

قالَ ضياءُ الدينِ المكِّيُّ في طبقاتِ المُتكلِّمينَ : (**وأوَّلُ مُتكلِّمي أهلِ السنَّةِ مِنَ التابعينَ** : عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، ولهُ رسالةٌ بليغةٌ في الردِّ على القَدَريَّةِ)[2] ، وشهرتُهُ رضيَ اللهُ عنهُ تُغني عنِ الإطنابِ والاستيعابِ في وصفِهِ .

تُوفِّيَ لستٍّ بقينَ مِنْ رجبٍ سنةَ إحدىٰ ومئةٍ .

* * *

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » (٥/ ١١٤) وما بعدها .

(٢) نهاية المرام (ص٦٦٨) ، وانظر « أصول الدين » (ص٣٠٧) ، وقد روىٰ هٰذه الرسالة أبو نعيم في « الحلية » (٥/ ٣٤٦ـ٣٥٣) ، وانتقىٰ كلماتٍ منها ابنُ الجوزي في « سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز » (ص٦٤) .

ومنهُم :

عامرُ بنُ شَراحيلَ الشَّعْبيُّ[1]

عدَّهُ المكِّيُّ أيضاً في طبقةِ أقرانِهِ مِنَ المُتكلِّمينَ ، وقالَ : (كانَ أشدَّ الناسِ على القَدَريَّةِ)[2] .

* * *

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » (٤/ ٢٩٤) وما بعدها .

(٢) نهاية المرام (ص٦٦٨) ، وانظر « أصول الدين » (ص٣٠٧) .

[ومنهُمُ :

التابعيُّ الجليلُ ابنُ شهابٍ الزُّهْريُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ]

قالَ : (ثمَّ الزُّهْريُّ[1] ، وهوَ الذي أفتىٰ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ بسفكِ دماءِ القَدَريَّةِ)[2] .

تُوفِّيَ الزُّهْرِيُّ [سنةَ أربعٍ وعشرينَ ومئةٍ][3] .

* * *

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » (٥/ ٣٢٦) وما بعدها .

(٢) نهاية المرام (ص٦٦٨) ، وانظر « أصول الدين » (ص٣٠٧) .

(٣) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (٥/ ٣٤٩ـ٣٥٠) ، و« الوفيات » لابن قنفذ (ص١١٨ـ١١٩) .

ومنهُمُ :

السيدُ الإمامُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ الإمامِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ

ويُقالُ لهُ : عليٌّ الأصغرُ ، وليسَ للحسينِ رضيَ اللهُ عنهُ عقبٌ إلا مِنْ ولدِ الإمامِ أبي الحسنِ عليٌّ المذكورِ ، وهوَ المُلقَّبُ (زينَ العابدينَ) .

قالَ الزُّهْريُّ : (ما رأيتُ قرشيّاً أفضلَ منهُ)[1] .

ومِنْ كلامِهِ رضيَ اللهُ عنهُ : ما ذكرَهُ جمالُ الإسلامِ محمدُ بنُ عبدِ الكريمِ الشَّهْرَسْتانيُّ في كتابِ « نهايةِ الإقدامِ » ؛ قالَ : (. . . نقولُ مُتبرِّكينَ بألفاظِ الصالحينَ ، وهيَ كلماتٌ مُلتقَطةٌ مأثورةٌ مِنْ دعاءِ زينِ العابدينَ رضوانُ اللهِ عليهِ :

يا مَنْ لا يبلُغُ أدنى ما استأثرتَ بهِ مِنْ جلالِكَ وعزَّتِكَ أقصى نعتِ الناعتينَ ، يا مَنْ قصُرَتْ عن رؤيتِهِ أبصارُ الناظرينَ ، وعجَزَتْ عن نعتِهِ أوهامُ الواصفينَ ، يا مَنْ لا تراهُ العيونُ ، ولا تُخالِطُهُ الظنونُ ، ولا يصفُهُ الواصفونَ ، أنتَ كما أثنيتَ على نفسِكَ ووصفتَ بهِ نفسَكَ .

ضلَّتْ فيكَ الصفاتُ ، وتقسَّمَتْ دونَكَ النُّعُوتُ ، وحارَتْ في كبريائِكَ لطائفُ الأوهامِ والعقولُ .

أنتَ الأوَّلُ في أزليَّتِكَ ، وعلى ذلكَ أنتَ دائمٌ لا تزولُ ، وأنتَ الآخرُ في أبديَّتِكَ وكذلكَ أنتَ قائمٌ لا تحولُ ، وأنتَ الظاهرُ فما احتجبتَ عن شيءٍ ،

(١) أخرجه الفسوي في « المعرفة والتاريخ » (١/ ٥٤٤) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١/ ٣٧١) .

وأنتَ الباطنُ فما اختفيتَ في شيءٍ ، ولا تُغيِّرُكَ الدُّهُورُ ، ولا تُبليكَ الأمورُ ، ولا يَعتورُكَ الزمانُ ، ولا يحويكَ المكانُ ، ولا يشغلُكَ شانٌ عن شانٍ ، كذلكَ أنتَ اللهُ لا إلٰهَ إلا أنتَ ، لكَ الأسماءُ الحسنىٰ ، والمَثَلُ الأعلىٰ ، والكلمةُ العُلْيا .

أنزلتَ الكتبَ بالحقِّ ، وأرسلتَ الرسلَ بالصدقِ ، وختمتَهُم بآخرِهِم عصراً ، وأوَّلِهِم مأثرةً وذكراً ؛ محمدٍ المصطفىٰ .

اللَّهمَّ ؛ اكتبْ لي هٰذهِ الشهادةَ عندَكَ ، واجعلْها عهداً تُوفِّيهِ إليَّ يومَ القيامةِ وقد رضيتَ عنِّي يا أرحمَ الراحمينَ)[1] .

وُلِدَ زينُ العابدينَ رضيَ اللهُ عنهُ يومَ الجمعةِ سنةَ ثمانٍ وثلاثينَ في قبةِ العباسِ ، وتُوفِّيَ سنةَ أربعٍ وتسعينَ ، وقيلَ : سنةَ تسعٍ وتسعينَ ، ودُفِنَ بالبقيعِ في قبرِ عمِّهِ الحسنِ بنِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُم أجمعينَ .

* * *

(١) نهاية الإقدام (ص٥٠٤) ، وفيه : (تؤديه لي) بدل (توفيه إلي) ، وفي (ب) : (توفيه لي) .

ومنهُمُ :

السيدُ الإمامُ زيدُ بنُ عليٍّ بنِ الحسينِ المذكورِ

قالَ أبو القاسمِ المكِّيُّ حينَ ذكرَ طبقاتِ المُتكلِّمينَ ؛ قالَ : (ثمَّ زيدُ بنُ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، ولهُ كتابٌ في الردِّ على القَدَريَّةِ مِنَ القرآنِ ، ثمَّ رسالةٌ إلىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ في ذمِّ القَدَريَّةِ ، وطردَ واصلَ بنَ عطاءٍ عن مجلسِهِ عندَ إظهارِ بدعتِهِ)[1] .

وبالجملةِ : فهـٰذهِ الطريقةُ التي سلكَها مُتأخِّرو الحنابلةِ وانتحلَها مَنْ بعدَهُم مِنَ المعاصرينَ . . لم يقلْ بها أحدٌ مِنَ السلفِ لا مِنَ الصحابةِ ولا مِنَ التابعينَ ، ومَنْ نقلَها عن أحدٍ مِنَ السلفِ فقدِ افترىٰ وخابَ ، وأتىٰ بالبُهْتِ والكِذَابِ .

* * *

(١) نهاية المرام (ص٦٦٨) ، وانظر « أصول الدين » (ص٣٠٧) ، وقوله : (ثم رسالةٌ إلىٰ عمر بن عبد العزيز . . .) إلىٰ آخره : ليس وارداً في « نهاية المرام » في حق زيد بن علي ، وإنما ورد في حق الحسن البصري كما سبق قبل قليل ، وذكرُ الحسن البصري جاء بعد ذكر زيد بن علي مباشرةً ، فلعل نظر المؤلف انتقل إليه فدمج بين الكلامين ، والله تعالىٰ أعلم .

الباب الخامس

في ذكر من تأوّل ومن تكلم في التنزيه وخاض في علم الكلام من الطّبقة الثّانية من التّابعين وتابعيهم

بابٌ

في ذكرِ من تأوّلَ ومن تكلّمَ في التنزيهِ وخاضَ في علمِ الكلامِ من الطّبقةِ الثّانيةِ من التّابعينَ وتابعيهم

فمنهُمُ :

الإمامُ جعفرُ بنُ محمدٍ الصادقُ رضيَ اللهُ عنهُ

قالَ صاحبُ « نهايةِ المرامِ في علمِ الكلامِ » في طبقاتِ المُتكلِّمينَ : (**ومِنْ بعدِ هٰذهِ الطبقاتِ** : جعفرُ بنُ محمدٍ الصادقُ ، ولهُ كتابٌ في الردِّ على القَدَريَّةِ ، وكتابٌ في الردِّ على الخوارجِ ، ورسالةٌ في الردِّ على الغُلاةِ مِنَ الرافضةِ)[1] .

ومِنْ كلامِهِ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (مَنْ زعمَ أنَّ اللهَ تعالىٰ في شيءٍ ، أو مِنْ شيءٍ ، أو علىٰ شيءٍ . . فقد أشركَ ؛ لو كانَ علىٰ شيءٍ لكانَ محمولاً ، ولو كانَ في شيءٍ لكانَ محصوراً ، ولو كانَ مِنْ شيءٍ لكانَ مُحدَثاً)[2] .

وقالَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ دَنَا ﴾ [النجم : ٨] : (مَنْ تَوهَّمَ أنَّهُ بنفسِهِ دنا فقدَ جعلَ ثَمَّ مسافةً ، **إنَّما التدلِّي** : أنَّهُ كلَّما قرَّبَهُ منهُ بعَّدَهُ عن أنواعِ المعارفِ[3] ؛

(١) نهاية المرام (ص٦٦٨) ، وانظر « أصول الدين » (ص٣٠٧ـ٣٠٨) .

(٢) أورده الباقلاني في « الإنصاف » (ص٤٠) ، والقشيري في « الرسالة » (ص٩٤) ، وابن السبكي في « الطبقات » (٩/ ٤٢ـ٤٣) .

(٣) في (ب) : (العالم) بدل (المعارف) .

إذْ لا دنوَّ ولا بُعْدَ عندَهُ)[1] .

تُوفِّيَ الإمامُ جعفرُ بنُ محمدٍ [سنةَ ثمانٍ وأربعينَ ومئةٍ][2] ، رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ .

* * *

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٩٥) ، وعزاه السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٨٤) للواسطي رحمه الله تعالى .

(٢) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وانظر « الوفيات » لابن قنفذ (ص١٢٦ـ١٢٧) .

ومنهُم :

أبو سعيدٍ عبدُ الرحمٰنِ بنُ مهديٍّ

وشهرتُهُ تُغني عنِ الإكثارِ في وصفِهِ .

روىٰ عبدُ الرحمٰنِ بنُ عمرَ قالَ : سمعتُ عبدَ الرحمٰنِ يقولُ لفتىً مِنْ ولدِ جعفرِ بنِ سليمانَ الهاشميِّ ـ وكانَ يألَفُ حلقتَهُ ـ حينَ قامَ الناسُ : مكانَكَ ، فقعدَ حتىٰ تفرَّقَ الناسُ ، فقالَ لهُ : يا بُنيَّ ؛ قد تعرفُ ما في هٰذهِ الكُورةِ مِنَ الأهواءِ والاختلافِ[1] ، كلُّ ذلكَ يجري منِّي علىٰ بالٍ رَخِيٍّ ، إلا أمْرَكَ وما بلغَني عنكَ ؛ فإنَّ الأمرَ لا يزالُ هيِّناً ما لم يصلْ إليكُم ـ يعني : السلطانَ ـ فإذا صارَ إليكُم جلَّ وعظُمَ ، قالَ : يا أبا سعيدٍ ؛ وما ذاكَ ؟ قالَ : بلغَني أنَّكَ تتكلَّمُ في الربِّ تصفُهُ وتُشبِّهُهُ ، قالَ الغلامُ : [نعم يا أبا سعيدٍ ، نظرْنا فلم نرَ مِنْ خلقِ اللهِ أحسنَ ولا أولىٰ مِنَ الإنسانِ ، فأخذَ يتكلَّمُ في الصفةِ ، فقالَ لهُ عبدُ الرحمٰنِ : رويدَك يا بُنيَّ حتىٰ نتكلَّمَ أولَ شيءٍ في المخلوقِ ، فإن عجَزْنا عنِ المخلوقِ فنحنُ عنِ الخالقِ أعجزُ .

أخبِرْني عن حديثٍ حدَّثنيهِ شعبةُ عنِ الشيبانيِّ قالَ : سمعتُ سعيدَ بنَ جبيرٍ قالَ : قالَ عبدُ اللهِ في قولِهِ : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ [النجم : ١٨] قالَ : رأىٰ جبريلَ لهُ ستُّ مئةِ جناحٍ ، فبقيَ الغلامُ ينظرُ ، فقالَ لهُ عبدُ الرحمٰنِ : يا بُنيَّ ؛ فإنِّي أُهوِّنُ عليكَ المسألةَ ، وأضعُ عنكَ خمسَ مئةٍ وسبعاً وتسعينَ جناحاً ، صِفْ لي خلقاً بثلاثةِ أجنحةٍ رُكِّبَ الجناحُ الثالثُ منهُ موضعاً غيرَ الموضعينِ اللذينِ ركَّبَهُما اللهُ عزَّ وجلَّ حتىٰ أعلمَ .

(١) في (ب) : (تفرق) بدل (تعرف) .

فقالَ : يا أبا سعيدٍ ؛ قد عجَزْنا عن صفةِ المخلوقِ ونحنُ عن صفةِ الخالقِ أعجزُ ، فأُشهِدُكَ أنِّي قد رجعتُ عن ذاكَ وأستغفرُ اللهَ[1] .

* * *

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/٩) .

ومنهُمُ :

الإمامُ محمدُ بنُ إدريسَ الشافعيُّ

روىٰ عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ ناجيةَ قالَ : سمعتُ محمدَ بنَ مسلمِ بنِ وارةَ يقولُ : قدمتُ مِنْ مصرَ ، فأتيتُ أبا عبدِ اللهِ أحمدَ ابنَ حنبلٍ أُسلِّمُ عليهِ ، قالَ : كتبتَ كُتُبَ الشافعيِّ ؟ قلتُ : لا ، قالَ : فرَّطتَ ، ما علِمْنا المجملَ مِنَ المفصَّلِ ، ولا ناسخَ حديثِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ منسوخِهِ حتىٰ جالسْنا الشافعيَّ ، قالَ : فحملَني ذلكَ إلىٰ أن رجعتُ إلىٰ مصرَ] ، فكتبتُها ثمَّ قدمتُ[1] .

وقالَ أبو أيوبَ البصريُّ : كنتُ عندَ أحمدَ ابنِ حنبلٍ نتذاكرُ في مسألةٍ ، فقالَ رجلٌ لأحمدَ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ لم يصحَّ فيهِ حديثٌ ، فقالَ : إنْ لم يصحَّ فيهِ حديثٌ ففيهِ قولُ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ[2] .

وقالَ أبو ثورٍ : (كنتُ أنا وإسحاقُ ابنُ راهُويَهْ وحسينٌ الكَرَابيسيُّ ـ وذكرَ جماعةً مِنَ العراقيينَ ـ ما تركْنا بدعتَنا حتىٰ رأَينا الشافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ)[3] .

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٩٧)، والواضح أن ثمة انقطاعاً بين قوله : (قال الغلام) السابق و(فكتبتها ثم قدمت) ، فاستدركته بما يتوافق مع السياق والسباق ، وجاء قوله : (قال الغلام) خاتمة نصف اللوحة ، فلعل الظاهر أنه سقط النصف الآخر ، والله أعلم .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم الرازي في « آداب الشافعي ومناقبه » (ص٨٦) ، والبيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ١٥٤) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢/ ٦٤ـ٦٥) ، وفي « مناقب الشافعي » : (أبو تراب) بدل (أبو أيوب) .

(٣) أخرجه البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ٢٦٤) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٦/ ٦٥) ، وابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص١٤٣ـ١٤٤) ، والمراد بالبدعة : كونهم مسترسلين في الرأي مغرقين فيه .

وعنِ ابنِ بنتِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : سمعتُ أبي يقولُ : سمعتُ الشافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (نظرتُ في دَفَّتَيِ المصحفِ ، فعرفتُ مرادَ اللهِ منهُ إلا حرفينِ)[1] .

وهـٰذا دليلٌ علىٰ خوضِهِ في التأويلِ ومعرفتِهِ لهُ ، وكيفَ لا وقد قالَ حرملةُ : اجتمعَ حفصٌ الفردُ ومصلانُ الإباضيُّ عندَ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ في دارِ الجَرَوِيِّ وأنا حاضرٌ ، فاختصمَ حفصٌ ومصلانُ ، فعلا حفصٌ علىٰ مصلانَ وقويَ عليهِ ، فجثا الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ وتقلَّدَ المسألةَ علىٰ أنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ ، ويزيدُ وينقصُ ، فطحنَ حفصاً وقطعهُ ؟![2] .

وقالَ هارونُ بنُ سعيدٍ : (لو أنَّ الشافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ ناظرَ علىٰ هـٰذا العمودِ مِنْ حجارةٍ أنَّهُ مِنْ خشبٍ . . لغَلبَ ؛ [لاقتدارِهِ] على المناظرةِ)[3] .

وقالَ محمدٌ : (ما رأيتُ أحداً يناظرُ الشافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ إلا رحمتُهُ معَ الشافعيِّ)[4] .

قالَ الحافظُ أبو نعيمٍ الأصفهانيُّ في كتابِهِ ، عنِ الصاحبِ بنِ عبَّادٍ : أنَّهُ ذكرَ

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ١٠٤) ، والبيهقي في « أحكام القرآن » (٢/ ١٩٠) ، وأحد هـٰذين الحرفين : قوله تعالىٰ : ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس : ١٠] ، والثاني نسيه الراوي عنه .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥١/ ٢٢١) ، وفيه بيان المسألة المختصم فيها ؛ وهي : هل الإيمان يزيد وينقص ؛ وهل هو قول وعمل ؟ وانظر خبر حفص الفرد مع الإمام الشافعي في « تبيين كذب المفتري » رقم : (٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٣) .

(٣) أخرجه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢/ ٦٥) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥١/ ٣٧٦) ، وفي نسختينا : (في اقتداره) بدل (لاقتداره) ، والمثبت من « تاريخ بغداد » و« تاريخ دمشق » .

(٤) أخرجه البيهقي في « مناقب الشافعي » (١/ ٢٠٩) ، ومحمد : هو ابن عبد الله بن عبد الحكم .

في كتابِهِ بإسنادِهِ عن إسحاقَ أنَّهُ قالَ : قالَ أبي : كلَّمَ الشافعيُّ يوماً بعضَ الفقهاءِ ، فدقَّقَ عليهِ وحقَّقَ ، وطالبَ وضيَّقَ ، فقلتُ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ هٰذا لأهلِ الكلامِ لا لأهلِ الحلالِ والحرامِ !! فقالَ : أحكمْنا ذاكَ قبلَ هٰذا[1] .

[وقالَ الحافظُ أبو عبدِ اللهِ الحاكمُ بإسنادِهِ عن أبي أحمدَ محمدِ بنِ روحٍ قالَ : كُنَّا على بابِ الشافعيِّ نتناظرُ في] الكلامِ[2] ، فخرجَ إلينا فسمعَ بعضَ ما كُنَّا فيهِ ، ثمَّ رجعَ ، فما خرجَ إلينا إلا بعدَ سبعةِ أيامٍ .

ثمَّ خرجَ فقالَ : ما منعَني مِنَ الخروجِ إليكُم علَّةٌ عَرَضَتْ ، ولٰكنْ لِمَا سمعتُكُم تتناظرونَ فيهِ ، أتظنُّونَ أنِّي لا أحسنُهُ ؟! لقد دخلتُ فيهِ حتى بلغتُ منهُ مَبْلغاً ، وما دخلتُ في شيءٍ إلا بلغتُ منهُ مبلغاً ، حتى الرميَ ؛ كنتُ أرمي بينَ الغَرضَينِ فأصيبُ مِنْ عشرةٍ تسعةً . . . ثمَّ ذكرَ ما في الحديثِ بطولِهِ[3] .

كانَ رضيَ اللهُ عنهُ أعلمَ أهلِ زمانِهِ بالتأويلِ ، وحملِ الأحاديثِ والأقاويلِ .

فممَّا أوَّلَهُ : قولُهُ : ﴿ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ . . . وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾ [آل عمران : ٧] ، قالَ : (المحكمُ : ما لم يحتملْ مِنَ التأويلِ إلا وجهاً واحداً ، والمتشابهُ : ما احتملَ أوجهاً)[4] .

وجدتُ في إملاءِ الشيخِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ ابنِ النعمانِ[5] ، المُسمَّى :

(١) انظر « مناقب الشافعي » (١/ ٤٥٧) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٦١٣) .

(٢) ما بين معقوفين غير واضح في (أ) بسبب رداءة التصوير ، وقد أثبتناه على مثيل ما قبله نقلاً عن « التبيين » (ص٦١٥) .

(٣) انظر « مناقب الشافعي » (١/ ٤٥٩) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٦١٥ـ٦١٦) ، وفي (ب) : (ثم ذكرنا في الحديث نظره) ، وهو تحريف عما ورد في (أ) ، وباقي الخبر بعد قوله : (تسعةً) : (ولٰكن الكلام لا غاية له ، تناظروا في شيءٍ إن أخطأتم فيه يقال لكم : أخطأتم ، ولا تناظروا في شيء إن أخطأتم فيه يقال لكم : كفرتم) .

(٤) أورده الماوردي في « النكت والعيون » (١/ ٣٦٩) .

(٥) صاحب كتاب « مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام » ، وابن النعمان من كبار أولياء =

« رياضَ المُوحِّدينَ » قالَ : سُئِلَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ عن صفاتِ اللهِ .

فقالَ : حرامٌ على العقولِ أنْ تُمثِّلَ اللهَ تعالىٰ ، وعلى الأوهامِ أنْ تحُدَّهُ ، وعلى الظنونِ أنْ تقطعَ ، وعلى النفوسِ أنْ تُفكِّرَ ، وعلى الضمائرِ أنْ تُعمِّقَ ، وعلى الخواطرِ أنْ تُحِيطَ ، وعلى العقولِ أنْ تعقلَ . . إلا ما وصفَ بهِ نفسَهُ علىٰ لسانِ نبيِّهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[1] .

ومِنْ فضائلِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ : ما رواهُ أبو ثورٍ قالَ : كنتُ مِنْ أصحابِ محمدِ بنِ الحسنِ ، فلمَّا قَدِمَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ جئتُ إلىٰ مجلسِهِ شبهَ المستهزئِ ، فسألتُهُ عن مسألةٍ مِنْ مسائلِ الدَّورِ ، فلم يُجبْني ، وقالَ : كيفَ ترفعُ يديكَ ؟ فقلتُ هٰكذا ، فقالَ : أخطأتَ ، فقلتُ هٰكذا ، فقالَ : أخطأتَ ، فقلتُ : فكيفَ أصنعُ ؟

قالَ : حدَّثَني سفيانُ ، عنِ الزهريِّ ، عن سالمٍ ، عن أبيهِ : (أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يرفعُ يديهِ حَذْوَ منكبيهِ ، وإذا ركعَ ، وإذا رفعَ)[2] .

قالَ أبو ثورٍ : فوقعَ في قلبي مِنْ ذلكَ ، فجعلتُ أزيدُ في المجيءِ إلى الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وأقصُرُ في الاختلافِ إلىٰ محمدِ بنِ الحسنِ ، فقالَ لي محمدٌ : يا أبا ثورٍ ؛ هٰذا الحجازيُّ قد غلبَ عليكَ ؟! قلتُ : أجلِ ، الحقُّ معَهُ .

قالَ : وكيفَ ذلكَ ؟ قالَ : قلتُ : كيفَ ترفعُ يديكَ في الصلاةِ ؟ فأجابَني

= عصره وأشهرهم ، وهو من شيوخ المؤلف ، وسينقل عنه نقولاً قيمة في ثنايا الكتاب ، وسيترجم له ترجمة حافلة في (٢/ ١٦٣ـ ١٧٩) .

(١) أورده ابن السبكي في « الطبقات » (٩/ ٤٠) .

(٢) مسند الشافعي (٢١٠) ، وأخرجه مالك في « الموطأ » (١/ ٧٥) ، ومن طريقه الشافعي في « المسند » (٢٢١) .

على نحوِ ما أخبرتُ الشافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقلتُ : أخطأتَ ، فقالَ : كيفَ أصنعُ ؟

فقلتُ : حدَّثَني الشافعيُّ ، عن سفيانَ ، عنِ الزهريِّ ، عن سالمٍ ، عن أبيهِ : (أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كانَ يرفعُ يديهِ حَذْوَ منكبيهِ ، وإذا ركعَ ، وإذا رفعَ) .

قالَ أبو ثورٍ : فلمَّا كانَ بعدَ شهرٍ وعلمَ الشافعيُّ أنِّي قد لزمتُهُ للتعلُّمِ . . قالَ : يا أبا ثورٍ ؛ هاتِ مسألتَكَ في الدَّورِ ؛ فإنَّما منعَني أنْ أُجيبَكَ يومَئذٍ ؛ لأنَّكَ كنتَ مُتعنِّتاً[1] .

وممَّا يدُلُّ علىٰ أنَّ الإمامَ الشافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ صنَّفَ في علمِ الكلامِ كما ذكرَ أبو القاسمِ المكِّيُّ : ما نقلَهُ الحافظُ أبو نعيمٍ قالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثَنا عبدُ العزيزِ بنُ رجاءٍ ، حدَّثَنا الربيعُ قالَ : سمعتُ الشافعيَّ يقولُ : (وَدِدْتُ أنَّ الناسَ أخذُوا هٰذا الكتابَ وحكمُوا بهِ وناظرُوا فيهِ ، ولا ينسبونَهُ إليَّ)[2] .

قلتُ : إنَّما أرادَ بقولِهِ : (**ولا ينسبونَهُ**) لأنَّهُ أرادَ الإخلاصَ في العملِ ، وأنْ يكونَ ذلكَ لوجهِ اللهِ ، **وهوَ جميعُهُ معقولٌ** ؛ أرى الناسَ فيهِ الطرقَ ، وبيَّنَ

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ١١٧ـ ١١٨) ، والخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٦/ ٦٦) ، وآثار الخيال والتلفيق واضحة علىٰ هٰذه الحكاية ؛ إذ يبعد على الإمام أبي ثور ـ بَلْهَ الإمام محمد بن الحسن ـ ألا يعرف حكماً متكرِّراً مطَّرداً يعرفه صغار الطلبة ، وكيف يصح هٰذا مع قول الشافعي في الإمام محمد بن الحسن : (ليس لأحدٍ عليَّ منةٌ في العلم وأسباب الدنيا ما لمحمد عليَّ) ، وقولِهِ : (ما رأيت أعلم بكتاب الله من محمد ، كأنه عليه نزل) ، وقوله : (كتبت عن محمد بن الحسن وقر بعير) ؟! وانظر ما كتبه الإمام الكوثري في أمثال هٰذه الحكاية في كتابه « بلوغ الأماني في سيرة محمد بن الحسن الشيباني » (ص ٢٠ـ ٣٥) .

(٢) حلية الأولياء (٩/ ١١٨) بنحوه .

لهُمُ البراهينَ ، فينظرونَ في الأدلَّةِ فتُؤدِّيهم إلى الطريقِ ؛ كمَنْ أرى الناسَ الهلالَ ؛ فإنَّهُم لا يُقلِّدونَهُ ولا ينقلونَ الرؤيةَ عنهُ ، ولهُ فضلُ السبقِ عليهِم لذلكَ والهدايةِ إليهِ .

ولو كانَ الكتابُ في فروعِ الدياناتِ لاحتاجَ إلى أنْ يُذكَرَ اسمُهُ ويُنسَبَ إليهِ القولُ إنْ كانَ مُجرَّداً عنِ الدليلِ النقليِّ ؛ لأنَّهُ لا يجوزُ تقليدُ المجهولِ ، وإلا فهوَ أَولى وأجدرُ أنْ يُذكَرَ ؛ لأنَّ النقلَ عنِ المجهولِ لا يصلُحُ للدليلِ .

ويُؤيِّدُ ذلكَ : ما رُوِيَ أنَّهُ قالَ : (شيئانِ أغفلَهُما الناسُ : النظرُ في الطبِّ ، والعنايةُ بالنجومِ)[1] ، والمرادُ : في حسابِ المواقيتِ لا في أحكامِها ، فنبَّهَ على هذينِ العلمينِ ، أفتُراهُ يُغفِلُ علمَ أصولِ الدياناتِ ، ومعرفةِ ذاتِ البارئِ وصفاتِهِ ؟!

ويتأيَّدُ مِنْ وجهٍ آخرَ ؛ وهوَ ما نقلَهُ أبو نعيمٍ الأصفهانيُّ ؛ قالَ الشافعيُّ : خرجتُ إلى اليمنِ في طلبِ كتبِ الفِراسةِ . . . وذكرَ قصَّةً طويلةً[2] .

أفتُراهُ يرحلُ في طلبِ كتبِ الفِراسةِ التي يُستعانُ بها على أمرِ الدنيا إلا وقد عَلِمَ علمَ أصولِ الدينِ ؟!

روى الحافظُ أبو نعيمٍ عن محمدِ بنِ زنجُويَه[3] قالَ : سمعتُ أحمدَ ابنَ حنبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ ـ يروي الحديثَ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ـ : « إنَّ اللهَ مَنَّ عَلَى أَهْلِ دِينِهِ فِي رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُبَيِّنُ لَهُمْ أَمْرَ دِينِهِمْ » ، وإنِّي نظرتُ في سنةِ مئةٍ ؛ فإذا رجلٌ مِنْ آلِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ١٣٦ ، ١٤٢) ، والبيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ١١٦) ، وفيه : (وعلم العربية) بدل (والعناية بالنجوم) .

(٢) حلية الأولياء (٩/ ١٤٣ـ١٤٤) ، وأخرجها البيهقي في « مناقب الشافعي » (٢/ ١٣٤) .

(٣) في « الحلية » : (حميد بن زنجويه) .

وسلَّمَ ؛ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ ، ونظرتُ في رأسِ المئةِ الثانيةِ ؛ فإذا هوَ رجلٌ مِنْ آلِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ محمدُ بنُ إدريسَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ[1] .

[توجيهُ ما وردَ عنِ الشافعيِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ مِنَ النهيِ عن علمِ الكلامِ]

فإنْ قيلَ : فقد نقلَ الإمامُ أبو نعيمٍ ، عن يونسَ بنِ عبدِ الأعلىٰ قالَ : سمعتُ الشافعيَّ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : (لَأنْ يُبتلَى المرءُ بكلِّ ما نهى اللهُ عنهُ ما عدا الشركَ بهِ . . خيرٌ مِنَ النظرِ في الكلامِ ؛ فإنَّني واللهِ اطَّلعتُ مِنْ أهلِ الكلامِ علىٰ شيءٍ ما ظننتُهُ قطُّ) ، وسردَهُ مِنْ طرقٍ بألفاظٍ تُقارِبُ هٰذا المعنىٰ[2] ؛ فهٰذا يدلُّ علىٰ نَفْرتِهِ مِنْ علمِ الكلامِ .

فالجوابُ عنهُ مِنْ وجهينِ :

الأولُ : أنَّ مرادَهُ رضيَ اللهُ عنهُ بقولِهِ : (أهلِ الكلامِ) و (النظرِ في الكلامِ) يعني : مَنْ يقولُ بخلقِ القرآنِ ، فيكونُ الكلامُ المذمومُ هوَ المُفضِيَ إلى اعتقادِ البدعِ وانتحالِ رأيِ المعتزلةِ الذينَ كانُوا في زمانِهِ ، وإلا فهوَ قد ألَّفَ كتاباً في الردِّ علىٰ أهلِ الأهواءِ كما ذكرَهُ أبو القاسمِ المكِّيُّ[3] .

والوجهُ الثاني : أنَّ أبا نعيمٍ رضيَ اللهُ عنهُ روىٰ في أثناءِ ترجمةِ الشافعيِّ

(١) حلية الأولياء (٩/٩٧ـ٩٨) ، والحديث أخرجه أبو داود (٤٢٩١) ، والحاكم (٤/٥٢٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص١٥٣ـ١٥٩) .

(٢) حلية الأولياء (٩/١١١) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٦٠٤ـ٦٠٥) .

(٣) نهاية المرام (ص٦٦٩) ، وذكر : أنَّ للشافعي كتابين في الكلام ؛ أحدهما : في تصحيح النبوة والردِّ على البراهمة ، والثاني : في الردِّ علىٰ أهل الأهواء ، وذكر طرفاً من هٰذا النوع في (كتاب القياس) ، وأشار فيه إلىٰ رجوعه عن قبول شهادة المعتزلة وأهل الأهواء ، وأصل هٰذا الكلام في « أصول الدين » (ص٣٠٨) لأبي منصور البغدادي .

رضيَ اللهُ عنهُ عقيبَ هٰذا الكلامِ ؛ فقالَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ عبدِ الرحمٰنِ قالَ : سمعتُ أحمدَ بنَ محمدِ بنِ الحارثِ يقولُ : سمعتُ الربيعَ بنَ سليمانَ يقولُ : سمعتُ الشافعيَّ يقولُ : (لَأنْ يلقى اللهَ العبدُ بكلِّ ذنبٍ ما خلا الشركَ باللهِ . . خيرٌ مِنْ أنْ يلقاهُ بشيءٍ مِنَ الأهواءِ)[1] ، والأخبارُ عنِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ بهٰذا التقييدِ . . كثيرةٌ ، فذلكَ الإطلاقُ يُقيِّدُهُ هٰذا التقييدُ ، واللهُ أعلمُ[2] .

رأيتُ بأعلىٰ قبرِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ حولَ قطبِ القُبَّةِ التي بناها الملكُ الكاملُ رحمةُ اللهِ عليهِ لبعضِ المُتأخِّرينَ[3] : [من البسيط]

اَلشَّافِعِيُّ إِمَامُ ٱلنَّاسِ كُلِّهِمِ ... فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْحِلْمِ وَٱلْعَلْيَاءِ وَٱلْبَاسِ
أَصْحَابُهُ خَيْرُ أَصْحَابٍ وَمَذْهَبُهُ ... خَيْرُ ٱلْمَذَاهِبِ عِنْدَ ٱللهِ وَٱلنَّاسِ
لَهُ ٱلْإِمَامَةُ فِي ٱلدُّنْيَا مُخَلَّدَةً ... كَمَا ٱلْخِلَافَةُ فِي أَوْلَادِ عَبَّاسِ

وُلِدَ رضيَ اللهُ عنهُ بمدينةِ غزَّةَ ـ على الصحيحِ مِنَ المنقولِ ـ سنةَ خمسينَ ومئةٍ .

وحُمِلَ إلىٰ مكَّةَ شرَّفَها اللهُ وهوَ ابنُ سنتينِ ، ونشأَ بها وقرأَ القرآنَ الكريمَ ، ثمَّ رحلَ إلىٰ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وقدمَ بغدادَ سنةَ خمسٍ وتسعينَ ومئةٍ ، فأقامَ بها سنتينِ ، ثمَّ خرجَ إلىٰ مكَّةَ شرَّفَها اللهُ ، ثمَّ عادَ إلىٰ بغدادَ سنةَ ثمانٍ وتسعينَ

(١) حلية الأولياء (٩/ ١١١) .

(٢) وقد أورد الإمام الحافظ ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » ما نُقِل عن الإمام الشافعي وغيره من السلف في ذم الكلام والنفرة منه ، ثم حقق المراد منه . راجعه (ص٦٠١) وما بعدها .

(٣) أورد الأبيات ابن المستوفي في « تاريخ إربل » (١/ ٢٠٦) ، وعزاها لأبي بكر محمد بن القاسم الشهرزوري المشهور بـ (قاضي الخافقين) ، والملك الكامل : هو أبو المعالي ناصر الدين محمد بن محمد العادل الأيوبي (ت ٦٣٥ هـ) .

ومئةٍ ، فأقامَ بها شهراً[1] ، ثمَّ خرجَ إلىٰ مصرَ ووصلَ إليها سنةَ تسعٍ وتسعينَ ومئةٍ .

وتُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ سنةَ أربعٍ ومئتينِ يومَ الجمعةِ آخرَ يومٍ مِنْ رجبٍ ، ودُفِنَ بعدَ العصرِ مِنْ يومِهِ .

قالَ ابنُ خَلِّكانَ : أخبرَني بعضُ الأفاضلِ أنَّهُ عُمِلَ في فضائلِ الشافعيِّ ومناقبِهِ رضيَ اللهُ عنهُ ثلاثةَ عشرَ تصنيفاً[2] ، ورثاهُ بعدُ جماعةٌ مِنَ الشعراءِ ؛ منهُم أبو بكرٍ محمدُ ابنُ دُريدٍ صاحبُ « المقصورةِ » فقالَ[3] : [من الطويل]

أَلَمْ تَرَ آثَارَ ٱبْنِ إِدْرِيسَ بَعْدَهُ ... دَلَائِلُهَا فِي ٱلْمُشْكِلَاتِ لَوَامِعُ

مَعَالِمُ يَفْنَى ٱلدَّهْرُ وَهْيَ خَوَالِدٌ ... وَتَنْخَفِضُ ٱلْأَيَّامُ وَهْيَ فَوَارِعُ

مَنَاهِجُ فِيهَا لِلرَّدَىٰ مُتَصَرَّفٌ ... مَوَارِدُ فِيهَا لِلرَّشَادِ شَرَائِعُ[4]

لِرَأْيِ ٱبْنِ إِدْرِيسَ ٱبْنِ عَمِّ مُحَمَّدٍ ... ضِيَاءٌ إِذَا مَا أَظْلَمَ ٱلْخَطْبُ سَاطِعُ

إِذَا ٱلْمُفْظِعَاتُ ٱلْمُشْكِلَاتُ تَشَابَهَتْ ... سَمَا مِنْهُ نُورٌ فِي دُجَاهُنَّ لَامِعُ

(١) كذا في نسختينا ، ومثله في « وفيات الأعيان » (٤/ ١٦٥) ، والمشهور : أن الشافعي قدم بغداد ثلاث مرات ؛ الأولىٰ : سنة (١٨٤هـ) ، وفي هٰذه القدمة أخذ عن الإمام محمد بن الحسن وقر بعير من العلم ، والثانية : سنة (١٩٥هـ) ، وهٰذه القدمة لم تكن للاستفادة ، وإنما كانت للإفادة ، وبها أخذ عنه كبار الأئمة ، ومنهم الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالىٰ ، وفيها أظهر مذهبه القديم وألَّف الكتب فيه ، والقدمة الثالثة : كانت سنة (١٩٨هـ) ، وبقي فيها مدة يسيرة شهراً أو أكثر ثم ذهب إلىٰ مصر ، وانظر « طبقات الشافعيين » لابن كثير (ص ٣٩) .

(٢) وقد سرد الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (١/ ٣٤٣ـ٣٤٤) هٰذه المصنفاتِ جميعَها وعزاها لمؤلفيها .

(٣) وفيات الأعيان (٤/ ١٦٧ـ١٦٩) ، والأبيات في « ديوانه » (ص٧٦ـ٧٨) ، ورواها الخطيب البغدادي في « تاريخه » (٢/ ٦٨ـ٦٩) .

(٤) في المصادر السابقة : (للهدىٰ) بدل (للردىٰ) .

أَبَـــى ٱللهُ إلا رَفْعَـــهُ وَعُلُـــوَّهُ ... وَلَيْسَ لِمَا يُعْلِيهِ ذُو ٱلْعَرْشِ وَاضِعُ
تَوَخَّى ٱلْهُدَىٰ وَٱسْتَنْقَذَتْهُ يَدُ ٱلتُّقَىٰ ... مِنَ ٱلزَّيْغِ إِنَّ ٱلزَّيْغَ لِلْمَرْءِ صَارِعُ
وَلاَذَ بِـآثَـارِ ٱلـرَّسُـولِ فَحُكْمُـهُ ... لِحُكْمِ رَسُولِ ٱللهِ فِي ٱلنَّاسِ تَابِعُ
وَعَـوَّلَ فِـي أَحْكَـامِـهِ وَقَضَـائِـهِ ... عَلَىٰ مَا قَضَىٰ فِي ٱلْوَحْيِ وَٱلْحَقُّ نَاصِعُ
تَسَرْبَلَ بِـٱلتَّقْوَىٰ وَلِيداً وَنَـاشِئـاً ... وَخُصَّ بِلُبِّ ٱلْكَهْلِ مُذْ هُوَ يَافِعُ
وَهُـذِّبَ حَتَّـىٰ لَـمْ تُشِـرْ بِفَضِيلَـةٍ ... إِذَا ٱلْتُمِسَـتْ إِلا إِلَيْـهِ ٱلأَصَـابِـعُ
فَمَنْ يَكُ عِلْمُ ٱلشَّافِعِيِّ إِمَامَهُ ... فَمَرْتَعُهُ فِي بَاحَةِ ٱلْعِلْمِ وَاسِعُ
سَـلاَمٌ عَلَـىٰ قَبْـرٍ تَضَمَّـنَ جِسْمَـهُ ... وَجَادَتْ عَلَيْهِ ٱلْمُدْجِنَاتُ ٱلْهَوَامِعُ
لَقَدْ غَيَّبَتْ أَثْرَاؤُهُ جِسْمَ مَاجِدٍ ... جَلِيلٍ إِذَا ٱلْتَفَّتْ عَلَيْهِ ٱلْمَجَامِعُ
لَئِـنْ فَجَعَتْنَـا ٱلْحَـادِثَـاتُ بِفَقْـدِهِ ... فَهُـنَّ لِمَـا حُكِّمْـنَ فِيـهِ فَـوَاجِـعُ
فَـأَحْكَـامُـهُ فِينَـا بُـدُورٌ زَوَاهِـرٌ ... وَآثَـارُهُ فِينَـا نُجُـومٌ طَـوَالِـعُ

ولو تصدَّيتُ لذكرِ ما رُثِيَ بهِ رضيَ اللهُ عنهُ مِنَ القصائدِ والأشعارِ . . لطالَ ذلكَ ، وفيما ذكرتُهُ ما يُنبِّهُ على باقيهِ ، والكتبُ في ذلكَ مُصنَّفةٌ ، ومعَ ذلكَ فلا يبلغُونَ المعشارَ مِنْ وصفِهِ وإنْ أطنبُوا ، رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ ، وجزاهُ عن أمَّةِ محمدٍ أحسنَ الجزاءِ .

* * *

ومِنَ القائلينَ بعلمِ الكلامِ والمُتكلِّمينَ فيهِ :

الإمامُ أبو عليٍّ [الحسينُ بنُ عليِّ بنِ يزيدَ][1] الكرابيسيُّ

وهوَ الذي قدَّمتُ ذكرَ واقعتِهِ معَ الإمامِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ[2] .

وعلىٰ « كتابِهِ في المقالاتِ » مُعوَّلُ المُتكلِّمينَ في معرفةِ مذاهبِ الخوارجِ وسائرِ أهلِ الأهواءِ[3] .

تُوفِّيَ [سنةَ خمسٍ وأربعينَ ومئتينِ][4] .

* * *

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٢/ ١١٧ـ١٢٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٢/ ٧٩ـ٨٢) .

(٢) انظر (١/ ٩٩) .

(٣) كما ذكر ذلك صاحب « نهاية المرام » (ص٦٦٩) ، ونقله عنه ابن السبكي في « الطبقات » (٢/ ١١٨) ، وأصل الكلام مأخوذ من « أصول الدين » (ص٣٠٨) .

(٤) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٢/ ١٢٠) .

ومنهُم :

أبو العباسِ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ سُريجٍ

قالَ أبو القاسمِ عمرُ بنُ الحسينِ المكِّيُّ : (هوَ أبرعُ الجماعةِ في العلومِ كلِّها) بعدَ أنْ عدَّهُ في طبقاتِ المُتكلِّمينَ[1] .

تُوفِّيَ سنةَ ستٍّ وثلاثِ مئةٍ .

* * *

(١) نهاية المرام (ص٦٦٩) ، وانظر « أصول الدين » (ص٣٠٩) .

ومِنْ مُتكلِّمي أهلِ السنَّةِ في مجلسِ المأمونِ :

عبدُ اللهِ بنُ سعيدٍ التميميُّ[1]

وهوَ أخو يحيى بنِ سعيدٍ القطَّانِ ، وهوَ الذي دمَّرَ المعتزلةَ في مجلسِ المأمونِ وفضحَهُم[2] .

تُوفِّيَ [بعدَ سنةِ أربعينَ ومئتينِ][3] .

* * *

(١) ويُعرف بـ (ابن كلَّاب) .

(٢) كما ذكر ذلك صاحب « نهاية المرام » (ص٦٦٩) ، ونقله عنه ابن السبكي في « الطبقات » (٢/ ٣٠٠) ، ثم قال : (وكشفت عن يحيى بن سعيد القطان هل له أخ اسمه عبد الله ، فلم أتحقق إلى الآن شيئاً ، وإن تحققت شيئاً ألحقته إن شاء الله) ، ونَسَبَ الأخوةَ له قبل صاحب « نهاية المرام » بكثير الإمامُ أبو منصور البغدادي في كتابه « أصول الدين » (ص٣٠٩) .

(٣) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٢/ ٢٩٩) .

ومنهُمُ :

الحسينُ بنُ الفضلِ البَجَليُّ

صاحبُ الكلامِ والأصولِ والمعارفِ ، وصاحبُ التفسيرِ ، وعلىٰ نُكتِهِ في القرآنِ الكريمِ مُعوَّلُ المفسرينَ .

وهوَ الذي استصحبَهُ عبدُ اللهِ بنُ طاهرٍ والي خراسانَ ، فيُقالُ : إنَّهُ قد أخرجَ علمَ القرآنِ كلَّهُ إلىٰ خراسانَ[1] ، وهوَ تلميذُ عبدِ اللهِ بنِ سعيدٍ المُقدَّمِ ذكرُهُ ، وهوَ شيخُ أبي القاسمِ الجنيدِ[2] ، وسيأتي ذكرُهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[3] .

* * *

(١) في « أصول الدين » (ص٣٠٩) ، و« نهاية المرام » (ص٦٦٩) : (علم العراق) بدل (علم القرآن) .

(٢) قوله : (وهو شيخ أبي القاسم الجنيد) كذا في (أ ، ب) ، والكلام من « نهاية المرام » (ص ٦٦٩) ، و« أصول الدين » (ص ٣٠٩) ، وفيهما أن الجنيد من تلاميذ ابن كلاب لا من تلاميذ البجلي ، فليتنبَّه .

(٣) انظر (١/ ٢٨٣ ، ٣٠٥ـ٣٠٧) .

ومِمَّنْ تكلَّمَ في مسألةِ الكلامِ ونطقَ بمذهبِ أهلِ الحقِّ :

الإمامُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ إسماعيلَ البخاريُّ رضيَ اللهُ عنهُ

وقصتُهُ معَ محمدِ بنِ يحيى الذُّهْليِّ مشهورةٌ ، وقد ذكرْناها مختصرةً في أولِ الكتابِ حينَ تكلَّمتُ على كلامِ ابنِ تيميةَ ، وفيها قولُهُ لمَّا سُئِلَ : (أفعالُ العبادِ مخلوقةٌ ، وكلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ)[1] ، ومناقبهُ كثيرةٌ ، وفضائلُهُ شهيرةٌ .

قالَ الإمامُ أبو العباسِ أحمدُ ابنُ إبراهيمَ القرطبيُّ في أولِ كتابِهِ في ترجمةِ البخاريِّ بعدَ ذكرِ قصتِهِ بنيسابورَ معَ الذُّهْليِّ التي قدَّمْناها[2] : فهذا الذي قالَهُ رحمَهُ اللهُ غايةُ التحقيقِ ، واعتقادُ كلِّ ذي علمٍ وتوفيقٍ ، ومَنْ لا يعتقدُ ذلكَ وجبَ تركُهُ ، وظهرَ إفكُهُ ، فالبخاريُّ معَهُم ، على ما قالَ قائلُها[3] : [من الطويل]

. وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا

وأولى مِنْ ذلكَ : التمثُّلُ بالبيتِ الشهيرِ المناسبِ[4] : [من الطويل]

وَلاَ عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ ٱلْكَتَائِبِ

(١) انظر (١/ ١١٧ـ ١٢٢) .

(٢) والكلام مختصر جداً في « المفهم » (١/ ٩٦) عمَّا سيورده المؤلف نقلاً عن « مختصر البخاري » للقرطبي .

(٣) عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي في « ديوانه » (ص٦٤) ، وصدره :

وعيَّرها الواشونَ أنِّي أحبُّها

وظاهرٌ عنك عارها ؛ أي : زائل .

(٤) البيت للنابغة الذبياني في « ديوانه » (ص١٣) ، والفُلُول : جمع فَلٍّ ؛ وهو الكسر والثُّلمة في حد السيف ، وفي البيت توكيد المدح بما يشبه الذم .

لكنَّ تلكَ إصابةُ أعينِ الحُسَّادِ ، ومناكدةُ الأضدادِ ، وقد شهدَ الوجودُ ، بأنَّ كلَّ ذي نعمةٍ محسودٌ ؛ فللبخاريِّ ولمَنْ رامَ تنقيصَهُ مِنْ نكالٍ[1] ، البيتُ الذي أحسنَ قائلُهُ فيما قالَ[2] : [من الكامل]

كَضَرَائِرِ ٱلْحَسْنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا حَسَـداً وَبَغْيـاً إِنَّ ذَا لَـدَمِيـمُ

ومعَ ذلكَ لم يضرُّهُ ذلكَ الأذىٰ ، وقد عادَ ذلكَ في عينِ قائلِهِ قذىً ، ويأبى اللهُ إلا أنْ يُتِمَّ نورَهُ ، ويُوليَ لمَنْ صبرَ وانقطعَ إليهِ أجورَهُ .

ولمَّا تبيَّنَ للفضلاءِ العُبَّادِ ، أنَّ ذلكَ القولَ مِنْ آثارِ الحُسَّادِ . . لم يُعرِّجُوا عليهِ ولا التفتُوا ، بل أماتُوهُ في القدمِ ، وصيَّرُوا وجودَهُ كالعَدَمِ ، رحمةُ اللهِ عليهِم أجمعينَ .

ومِنْ كراماتِهِ : أنَّ خالدَ بنَ أحمدَ بنِ خالدٍ الذُّهْليَّ أميرَ خراسانَ أخرجَ البخاريَّ مِنْ بخارىٰ إلىٰ خَرْتَنْكَ ، ثمَّ حجَّ خالدٌ ، فوصلَ إلىٰ بغدادَ ، فقبضَ عليهِ الموفَّقُ بنُ المتوكِّلِ ، فضيَّقَ عليهِ وحبسَهُ ، فماتَ في حبسِهِ[3] .

وُلِدَ يومَ الجمعةِ بعدَ الصلاةِ في ثلاثَ عشرةَ ليلةً خلتْ مِنْ شوالٍ سنةَ أربعٍ وتسعينَ ومئةٍ ، وتُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ بخَرْتَنْكَ ـ قريةٍ مِنْ قرىٰ سمرقندَ ـ عندَ صلاةِ العشاءِ ، لآخرِ ليلةِ عيدِ الفطرِ سنةَ ستٍّ وخمسينَ ومئتينِ .

* * *

(١) العبارة في (ب) : (فللبخاري ولمن رام شيعته من نكال) .

(٢) البيت لأبي الأسود الدؤلي في « ديوانه » (ص٤٠٣) .

(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ١٩٠) ، وكان ذلك سنة (٢٦٩هـ) أي : بعد وفاة البخاري بثلاثة عشر عاماً تقريباً ، وذكر التاج السبكي في « الطبقات » (٢/ ٢٣٢) وغيرُه : أنَّ سبب الوحشة بين البخاري وخالد بن أحمد الذهليِّ : أنه بعث الذهليُّ إلى البخاري أن يحمل إليه كتابَ « الجامع » و« التاريخ » وغيرهما ليسمعها منه ، فقال لرسوله : أنا لا أذلُّ العلم ولا أحمله إلىٰ أبواب الناس ، فإن كان له إلىٰ شيء منه حاجة فليحضر في مسجدي أو في داري ، وإن لم يعجبه هٰذا فإنه سلطان فليمنعني .

ومنهُمُ :

الإمامُ مسلمُ بنُ الحجَّاجِ القشيريُّ رضيَ اللهُ عنهُ

تابعَ الإمامَ أبا عبدِ اللهِ البخاريَّ فيما قالَهُ ، واعتقدَ اعتقادَهُ ، وفارقَ محمدَ بنَ يحيى الذُّهْليَّ عندَ فراقِهِ لهُ .

قالَ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ يعقوبَ الحافظُ : (لمَّا استوطنَ البخاريُّ نيسابورَ أكثرَ مسلمٌ مِنَ الاختلافِ إليهِ ، فلمَّا وقعَ بينَ محمدِ بنِ يحيىٰ والبخاريِّ ما وقعَ في مسألةِ اللفظِ ، ونادىٰ عليهِ ، ومنعَ الناسَ مِنَ الاختلافِ إليهِ حتىٰ هُجِرَ ، وخرجَ مِنْ نيسابورَ في تلكَ المحنةِ . . قطعَهُ أكثرُ أصحابِهِ غيرَ مسلمِ بنِ الحجَّاجِ ؛ فإنَّهُ لم يتخلَّفْ عن زيارتِهِ ، فانتهىٰ إلىٰ محمدِ بنِ يحيىٰ أنَّ مسلِمَ بنَ الحجَّاجِ علىٰ مذهبِهِ قديماً وحديثاً ، وأنَّهُ عُوتِبَ علىٰ ذلكَ في الحجازِ والعراقِ ولم يرجعْ عنهُ ، فلمَّا كانَ يومُ مجلسِ محمدِ بنِ يحيىٰ قالَ في آخرِ مجلسِهِ : ألَا مَنْ قالَ باللفظِ فلا يَحِلُّ لهُ أنْ يحضُرَ مجلسَنا ، فأخذَ مسلمٌ رداءَهُ فوقَ عِمامتِهِ ، وقامَ علىٰ رؤوسِ الناسِ وخرجَ مِنْ مجلسِهِ ، وجمعَ كلَّ ما كانَ كتبَ منهُ وبعثَ بهِ علىٰ ظهرِ جمَّالٍ إلىٰ بابِ محمدِ بنِ يحيىٰ ، فاستحكمَتْ بذلكَ الوَحْشةُ ، وتخلَّفَ عنهُ وعن زيارتِهِ)[1] .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ يومَ الأحدِ ، ودُفِنَ يومَ الاثنينِ لخمسٍ ـ وقيلَ : لستٍّ ـ بقينَ مِنْ رجبٍ سنةَ إحدىٰ وستينَ ومئتينِ بنيسابورَ ، وعمرُهُ خمسٌ وخمسونَ سنةً .

* * *

(١) أورده ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٥/ ١٩٤ـ١٩٥) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٠/ ١٨٨) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٢/ ٥٧٢) .

ومنهُمُ :

الإمامُ أبو جعفرٍ محمدُ بنُ جريرِ بنِ يزيدَ بنِ خالدٍ

وقيلَ : يزيدَ بنِ كثيرِ بنِ غالبٍ الطبريُّ ، مِنْ آمُلِ طبرستانَ .

قالَ الإمامُ أبو بكرِ ابنُ ثابتٍ الخطيبُ ، بعدَ أنْ ذكرَ مَنْ روى الطبريُّ عنهُ ، ومَنْ روىٰ عنِ الطبريِّ ؛ فقالَ : (وكانَ أحدَ الأئمَّةِ العلماءِ ، يُحكَمُ بقولِهِ ، ويُرجَعُ إلىٰ رأيِهِ [لمعرفتِهِ وفضلِهِ ، وكانَ قد جمعَ مِنَ العلومِ ما لم يشاركْهُ فيهِ أحدٌ مِنْ أهلِ عصرِهِ ، وكانَ حافظاً لكتابِ اللهِ ، عارفاً بالقراءاتِ ، بصيراً بالمعاني ، فقيهاً في أحكامِ القرآنِ ، عالماً بالسننِ وطرقِها ، وصحيحِها وسقيمِها ، وناسخِها ومنسوخِها ، عارفاً بأقوالِ الصحابةِ والتابعينَ ، ومَنْ بعدَهُم مِنَ المخالفينَ في الأحكامِ ، ومسائلِ][1] الحلالِ والحرامِ ، خبيراً بأيامِ الناسِ وأخبارِهِم[2] ، ولهُ الكتابُ المشهورُ في « تاريخِ الأممِ والملوكِ » ، وكتابٌ في التفسيرِ لم يُصنَّفْ مثلُهُ ، ولهُ في أصولِ الفقهِ وفروعِهِ كتبٌ كثيرةٌ)[3] .

وقالَ أبو أحمدَ الحسينُ بنُ عليِّ بنِ محمدٍ الرازيُّ : أولُ ما سألَني الإمامُ أبو بكرِ ابنُ خزيمةَ قالَ لي : كتبتَ عن محمدِ بنِ جريرٍ الطبريِّ ؟ قلتُ : لا ، قالَ : لمَ ؟ قلتُ : لأنَّهُ لا يظهرُ ، وكانتِ الحنابلةُ تَمنعُ مِنَ الوصولِ إليهِ والدخولِ عليهِ .

(١) ما بين معقوفين ذاهب من (أ) بسبب التصوير ، وقد استدركته من « تاريخ بغداد » .

(٢) في « تاريخ بغداد » : (وعارفاً) بدل (وخبيراً) .

(٣) تاريخ بغداد (٢/ ١٦١) .

فقالَ : بئسَ ما فعلتَ !! ليتَكَ لم تكتبْ عن كلِّ مَنْ كتبتَ عنهُ وسمعتَ مِنْ أبي جعفرٍ[1] .

وقالَ ابنُ خزيمةَ حينَ طالعَ « التفسيرَ » للطبريِّ : (ما أعلمُ على أديمِ الأرضِ أعلمَ مِنْ أبي جعفرٍ ، ولقد ظلمَتْهُ الحنابلةُ)[2] .

وقالَ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ الفَرْغانيُّ بعدَ أنْ ذكرَ تصانيفَهُ : (وكانَ أبو جعفرٍ ممَّنْ لا تأخذُهُ في اللهِ لومةُ لائمٍ ، ولا يَعدِلُ في علمِهِ وبيانِهِ عنِ الحقِّ ، ولا يَعدِلُ عن حقٍّ تلزمُهُ بهِ ذلَّةٌ وللمسلمينَ عزَّةٌ . . إلى باطلٍ لهُ فيهِ عزَّةٌ بالإثمِ ، معَ عظيمِ ما كانَ يلحقُهُ مِنَ الأذى والشناعاتِ مِنْ جاهلٍ وحاسدٍ وملحدٍ .

وأمَّا أهلُ الدينِ والورعِ : فغيرُ منكرينَ علمَهُ وفضلَهُ وزهدَهُ وبركتَهُ وتركَهُ للدنيا معَ إقبالِها عليهِ ، وقناعتَهُ بما كانَ يَرِدُ عليهِ مِنْ قريةٍ خلَّفَها أبوهُ بطبرستانَ يسيرةٍ ، ومناقبُهُ كثيرةٌ لا يحتملُ هنا أكثرَ مِنْ ذلكَ) ، ذكرَهُ الإمامُ عزُّ الدينِ بنُ

(١) أورده ابن الأثير في « الكامل » (٦/ ٦٧٨ـ ٦٧٩) ، والذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢٣/ ٢٨١) ، والسبكي في « الطبقات » (٣/ ١٢٤ـ١٢٥) ، وقال الإمام السبكي بعد أن أورد هٰذا الخبر : (قلت : لم يكن عدمُ ظهوره ناشئاً من أنه مُنِعَ ، ولا كانت للحنابلة شوكةٌ تقتضي ذلك ، وكان مقدار ابن جرير أرفعَ من أن يقدِروا على منعه ، وإنما ابن جرير نفسه كان قد جمع نفسه عن مثل الأراذل المتعرِّضين إلى عرضه ، فلم يكن يأذن في الاجتماع به إلا لمن يختاره ويعرف أنه على السنة ، وكان الوارد من البلاد مثلُ حُسينك ـ وهو أبو أحمد الحسين بن علي الرازي ـ وغيره لا يدري حقيقة حاله ، فربَّما أصغى إلى كلام من يتكلم فيه لجهله بأمره ، فامتنع عن الاجتماع به .

ومما يدلُّك على أنه لم يُمنَعْ : قولُ ابن خزيمة لحُسينك : « ليتك سمعت منه » فإنَّ فيه دلالةً أن سماعه منه كان ممكناً ، ولو كان ممنوعاً لم يقل له ذلك ، وهٰذا أوضح من أن نُنبِّه عليه ، وأمرُ الحنابلة في ذلك العصر كان أقلَّ من ذلك) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (٢/ ١٦١) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٢/ ١٩٥ـ١٩٦) .

الأثيرِ الجزريُّ في « تاريخِهِ »[1] ، فقالَ : (ثمَّ دخلَتْ سنةُ عشرٍ وثلاثِ مئةٍ) ، ثمَّ قالَ : (وفي هـٰذهِ السنةِ تُوفِّيَ محمدُ بنُ جريرٍ الطبريُّ صاحبُ « التاريخِ » ببغدادَ ، ومولدُهُ سنةَ أربعٍ وعشرينَ ومئتينِ ، ودُفِنَ ليلاً بدارِهِ ؛ لأنَّ العامَّةَ اجتمعَتْ ومنعَتْ دفنَهُ نهاراً ، وادَّعَوْا عليهِ الرفضَ والإلحادَ ، وكانَ عليُّ بنُ عيسىٰ يقولُ : « واللهِ ؛ لو سُئِلَ هـٰؤلاءِ عن معنى الرفضِ والإلحادِ ما عرفُوهُ ولا فهمُوهُ »)[2] .

قالَ ابنُ الأثيرِ : (هـٰذا ذكرَهُ ابنُ مِسْكُويَه صاحبُ « تجارِبِ الأممِ » ، وحُوشيَ ذلكَ الإمامُ عن مثلِ هـٰذهِ الأشياءِ .

وأمَّا ما ذكرَهُ مِنْ تعصُّبِ العامَّةِ : فليسَ الأمرُ كذلكَ ، وإنَّما بعضُ الحنابلةِ تعصَّبُوا عليهِ ووقعُوا فيهِ فتبعَهُم غيرُهُم ؛ **ولذلكَ سببٌ** ؛ وهوَ : أنَّ الطبريَّ جمعَ كتاباً ذكرَ فيهِ اختلافَ الفقهاءِ لم يُصنَّفْ مثلُهُ ، ولم يذكرْ أحمدَ ابنَ حنبلٍ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : لم يكنْ فقيهاً ، وإنَّما كانَ مُحدِّثاً ، فاشتدَّ ذلكَ على الحنابلةِ ، وكانُوا لا يُحصَوْنَ كثرةً ببغدادَ ، فشَغَبُوا عليهِ ، وقالُوا ما أرادُوا)[3] .

[قوةُ شوكةِ المبتدعةِ بعدَ هـٰذهِ الطبقةِ وقبلَ ظهورِ إمامِ أهلِ السنةِ أبي الحسنِ الأشعريِّ]

ثمَّ نجمَ بعدَ هـٰؤلاءِ النفاقُ ، وهجمَتِ المبتدعةُ مِنْ شُذَّاذِ الآفاقِ ، قليلةً أحلامُهُم ، كليلةً أفهامُهُم ، ظنُّوا أنَّ سكوتَ مَنْ سكتَ عنِ التأويلِ مِنَ الصحابةِ

(١) الكامل في التاريخ (٦/ ٦٧٩) ، ويحتمل عود الضمير في (ذكره) إلىٰ ما سبق من الأخبار ، وانظر « تاريخ دمشق » (٥٢/ ١٩٦ـ١٩٧) فإنه أورد قطعة كبيرة من كلام الفرغاني في ترجمة شيخه ابن جرير الطبري ، ومنها ما ذكره المؤلف ها هنا .

(٢) الكامل في التاريخ (٦/ ٦٧٥ ، ٦٧٧) .

(٣) الكامل في التاريخ (٦/ ٦٧٧ـ٦٧٨) ، وانظر « تجارب الأمم وتعاقب الهمم » (٥/ ١٤٢) .

والتابعينَ وتابعِ التابعينَ . . إعمالاً للظواهرِ ، وحملاً لها على خلافِ المرادِ منها[1] ، فابتدعُوا مقالاتٍ ، واخترعُوا ضلالاتٍ ، قد أخلقَتْ أنواعُها ، وأصمَّ الآذانَ سماعُها ، فاحتاجَ العلماءُ إلى ردِّ مقالاتِهم ، ووضعُوا على ذلكَ كتباً ؛ خيفةَ أنْ يستحكِمَ داؤُهُم ، وتَسترِقَ بعضَ القلوبِ الضعيفةِ أهواؤُهُم ، فلم يسعْهُم حينَ وضعُوا الكتبَ إلا ذكرُ بِدَعِهِم لكي يردُّوها ، فأنكرَهُ عليهِم بعضُ العلماءِ ، وعابَ عليهِمُ الكلامَ فيهِ ، لا لكونِهِ كلاماً بالمذهبِ الحقِّ ، ونصرةً للقولِ الصدقِ ، بل لكونِهِ يذكرُ بدعَهُم ، ويَسرُدُ أقوالَهُم ، فيُفضي إلى تخليدِها ، بل يُؤدِّي كلَّ وقتٍ إلى تجديدِها ، كما أنكرَ الإمامُ أحمدُ ابنُ حنبلٍ رضيَ اللهُ عنهُ على الحارثِ بنِ أسدٍ المحاسبيِّ خوضَهُ في ذلكَ ، وعلَّلَ إنكارَهُ فقالَ : (ألستَ تذكرُ مذاهبَهُم ؛ حتى تُجيبَ عنها ؟!)[2] .

فأكثرُ الجهلةِ مِنَ المبتدعةِ يتستَّرُونَ في ضلالِهِم ، ويقولُونَ : نحنُ على مذهبِ السلفِ ، ولا يعرفُونَ مرادَ السلفِ رضيَ اللهُ عنهُم مِنْ كلامِهِم[3] ، بل

(١) قوله : (إعمالاً للظواهر . . .) كذا في (أ ، ب) بنصب (إعمالاً) ، وهو جائز على أنه حال سدَّ مسدَّ الخبر .

(٢) انظر ما سبق حول هذه المسألة في (١/ ١٠٠) ، وأورد الإمام الحافظ ابن عساكر للقاضي عزيزي بن عبد الملك نصّاً ذهبيّاً حول معرفة السلف بعلم الأصول عموماً . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٦٢٦ـ ٦٢٨) .

(٣) ما أكثر هؤلاء في زماننا !! بل جميع المبتدعة في عصرنا هذا يعتقدون أنَّ ما هم عليه هو اعتقاد أئمة السلف من أمثال أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ابن حنبل وغيرهم ، ويحتجون لذلك بظاهر نصوصهم ، ثم يدمجون مع هؤلاء عقائد أئمة التجسيم ؛ أمثال البربهاري وأبي يعلى وابن حامد وابن تيمية وتلميذه ابن القيم وغيرهم .
ولقد اجتمعتُ ببعض هؤلاء ، فاستدل على رأيه بعبارة للإمام الحافظ أبي بكر البيهقي في كتابه « الأسماء والصفات » ، وكثير منهم يستدل على فساد رأيه بظاهر عبارات كبار أئمة السلف ، بل كبار أئمة الأشاعرة ، ويعمي نظره عن النصوص الأخرى المقيدة أو الشارحة ، بل يعمي عقله حيث استدل بكلام من هو أشد المخاصمين له والمحذرين من رأيه وفكره ، =

قومٌ مِنْ هـٰؤلاءِ كشفُوا القناعَ في الابتداعِ ، وقالُوا ما لم يقلْهُ أحدٌ مِنَ المتَّبعينَ ولا الأتباعِ ، وسيأتي ذكرُ مقالاتِهم وما أدَّىٰ إليهِ مُعتقَدُهُم في بابٍ مفردٍ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[1] .

سمعتُ الشيخَ الإمامَ شرفَ الدينِ أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ عمرانَ الحسينيَّ الفاسيَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ[2] : (كُنَّا بمدينةِ فاسٍ مِنْ بلادِ المغربِ ، لا يُظهِرُ أحدٌ الاشتغالَ بعلمِ الكلامِ ولا بأصولِ الدينِ . . إلا اتُّهِمَ بالبدعةِ ، ورُمِقَ بعينِ المروقِ مِنَ الدينِ .

وكنتُ أتشوَّفُ إلى الاشتغالِ بأصولِ الدينِ ، فكنتُ أُخفي ذلكَ اشتغالاً وإشغالاً ، فلمَّا قدمتُ الديارَ المصريةَ ظننتُها علىٰ تلكَ الحالِ مِنْ بلادِنا ، فلمَّا اجتمعتُ بسيِّدي الشيخِ الإمامِ العالمِ إمامِ الفِرَقِ ناصرِ الحقِّ محيي السنَّةِ عزِّ الدينِ أبي محمدٍ عبدِ العزيزِ بنِ عبدِ السلامِ . . فكانَ مِنْ أوَّلِ ما سألَني عنهُ المعتقَدُ ، ومِنْ أوَّلِ ما سألَني عنهُ مِنْ جملةِ المعتقَدِ التأويلُ ، فبنيتُ الأمرَ علىٰ ما كنتُ أعهدُهُ في البلادِ ، وذكرتُ لهُ ما أهلُ البلادِ عليهِ مِنَ الجمودِ والامتناعِ مِنَ الخوضِ في علمِ الكلامِ أصلاً ورأساً .

فقالَ لي : يا ولدي ؛ **اعلمْ أنَّ في هـٰذا الزمانِ يُستدَلُّ بثلاثةِ أشياءَ علىٰ ثلاثةِ أشياءَ** :

مَنْ قالَ : أنا لا أعتقدُ أنَّ الكواكبَ مُؤثِّرةٌ لذاتِها ، وإنَّما أعتقدُ أنَّ التأثيرَ يقعُ

= بل إنَّ الإمام البيهقي ألَّف كتابه « الأسماء والصفات » بناءً علىٰ طلب الإمام الأستاذ الحجة أبي منصور محمد بن الحسن الأيوبي ، كما نصَّ علىٰ ذلك البيهقي نفسه في « الأسماء والصفات » (ص٢٧٦) ، وأبو منصور الأيوبي كان يُعَدُّ من كبار أئمة الأشاعرة في زمانه ، وانظر ما سبق عن ابن الجوزي في (١/ ١٣١) .

(١) انظر (٢/ ٤١١) وما بعدها .

(٢) الصحيح ـ كما سيأتي تعليقاً ـ : أنه حسني لا حسيني . انظر (٢/ ٢٠٧) .

عندَها لا بها . . **فاعلمْ أنَّهُ في الباطنِ** يعتقدُ تأثيرَ الكواكبِ وأنَّها فعَّالةٌ ، وإنَّما يُنكِرُ ذلكَ خيفةً مِنَ السيفِ .

ومَنْ قالَ : أنا لا أُؤوِّلُ ، إنَّما أنا علىٰ مذهبِ السلفِ أومنُ بها علىٰ ما جاءَتْ ، وسردَ العباراتِ التي يُصادِمُ بها الحشويةَ . . **فاعلمْ أنَّهُ في الباطنِ** يقولُ بالظاهرِ ، ويعتقدُ مذهبَ الحشويةِ والمُجسِّمةِ .

ومَنْ قالَ لكَ : أنا لا أُفضِّلُ علىٰ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ ولا أُقدِّمُهُ ، ولا أتعرَّضُ لسبِّ أحدٍ . . **فاعلمْ أنَّهُ في الباطنِ** رافضيٌّ سبَّابٌ .

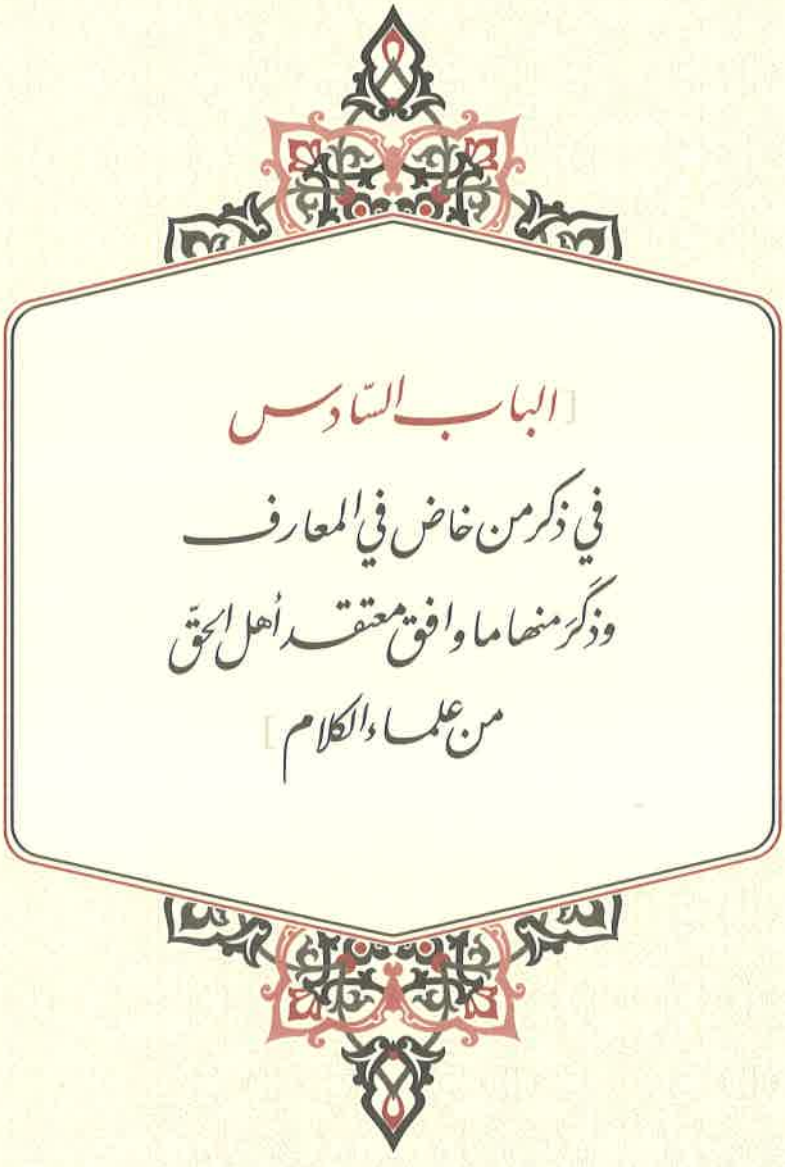
فنفعَني اللهُ بهٰذهِ الإشارةِ منهُ ، وأظهرتُ لهُ ما كنتُ أبطنتُهُ مِنْ حالٍ ، وتردَّدتُ إلى الشيخِ شمسِ الدينِ الخُسْرَوْشاهيِّ مدَّةَ اشتغالي على الشيخِ عزِّ الدينِ ، مُشتغلاً عليهِما بأصولِ الدينِ)[1] .

وكانَ الشيخُ الإمامُ شرفُ الدينِ مِنْ مشايخِ العلماءِ في الأصولِ والفروعِ ، وسيأتي الكلامُ عليهِ في ترجمتِهِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[2] .

* * *

(١) وهٰذا النص من النصوص القيمة في هٰذا الكتاب ؛ إذ ألقى الضوءَ سلطانُ العلماء علىٰ ثلاث فرق مشهورة في عصره كانت تضمر خبيث الاعتقاد ؛ إما خوفاً من السيف ، وإما خشية افتضاحهم وذهاب جاههم عند أهل العلم والعامة علىٰ حدٍّ سواء ، وفي هٰذا النصِّ أيضاً منهج العز بن عبد السلام في تقريب الرجال والحكم عليهم ؛ وهٰذا المنهج متمثل قبل كل شيء في صفاء المعتقد وسلامة العقيدة ، وهٰذه العقلية مستمدة من الصحابي الجليل سيدنا عبد الله بن عمر عندما قال : (لا تحمدوا إسلام امرئ حتىٰ تعرفوا عقدة رأيه) ، ولا ننسىٰ أنَّ سلطان العلماء العزَّ بن عبد السلام قد تعرَّضَتْ لهُ إيذاءاتٌ وفتن عديدة من حشوية عصره ، وسيذكر المؤلف بعضها في ثنايا هٰذا الكتاب . انظر (٢/ ٥٠٠) وما بعدها .

(٢) انظر (٢/ ٢٠٦ـ ٢١١) .



الباب السّادس

في ذكر من خاض في المعارف وذكر منها ما وافق معتقد أهل الحق من علماء الكلام

بابٌ

في ذكرِ من خاضَ في المعارفِ وذكرِ منها ما وافقَ معتقدَ أهلِ الحقِّ من علماءِ الكلامِ

اعلمْ : أنَّ هـٰؤلاءِ المشايخَ انقسمُوا قسمينِ :

فقسمٌ : هذَّبُوا معارفَهُم بالعلومِ ، وأخذُوها عنِ المشايخِ .

وقسمٌ : لاحَتْ لهُم أنوارُ الهدايةِ ، وقادَهُم دليلُ العنايةِ ، فظهرَتْ ينابيعُ الحكمةِ مِنْ قلبِهِم علىٰ لسانِهِم ، وحُفِظُوا في ذلكَ مِنَ الوقوعِ فيما يُنتقَدُ عليهِم ، ويَتطرَّقُ بهِ الخللُ إليهِم .

وأنا ذاكرٌ لكَ في هـٰذا البابِ جماعةً مِنْ أوائلِهِم مِنْ غيرِ أنْ أستوعبَ ذكرَهُم ، وإنَّما أقصدُ بذلكَ التبرُّكَ والاستنصارَ بهِم ؛ فعندَ ذكرِ الصالحينَ تنزلُ الرحمةُ ، مِنْ غيرِ ترتيبٍ في طبقاتِهِم ، بل سرداً بحكمِ ما اتَّفقَ استحضارُهُ لي ، واللهُ المُوفِّقُ[1] .

(١) وقد عقد الإمام القشيري في « رسالته » باباً في التوحيد ذكر فيه كثيراً من كلامهم في هـٰذا الباب ، كما أورد في بداية الكتاب فصلاً ذكر فيه جملة من اعتقادهم في مسائل الأصول .

فمنهُم :

أبو سليمانَ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ عطيَّةَ الدَّارانيُّ

مِنْ داريَّا ؛ قريةٍ مِنْ قرىٰ دمشقَ .

ومِنْ كلامِهِ رضيَ اللهُ عنهُ : (ربَّما تقعُ في قلبي النُّكتةُ مِنْ نُكَتِ القومِ أيَّاماً ، فلا أقبلُ منهُ إلا بشاهدينِ عدلينِ مِنَ الكتابِ والسنَّةِ)[1] .

تُوفِّيَ سنةَ خمسَ عشرةَ ومئتينِ .

* * *

(١) أخرجه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٧٧ـ ٧٨) ، ومن طريقه الإمام القشيري في « الرسالة » (ص١٣٣) ، والضمير في (منه) : يعود إلى الواقع في القلب ، أو إلى القلب نفسه .

ومنهُم :

عبدُ العزيزِ المكِّيُّ

تلميذُ عبدِ اللهِ بنِ سعيدٍ أخي يحيى بنِ سعيدِ القطانِ[1] ، وهوَ ممَّنْ فضحَ المعتزلةَ في مجلسِ المأمونِ[2] .

* * *

(١) انظر ما سبق (١/ ٢٨٣) .

(٢) **الأولىٰ للمؤلف** : أن يذكر عبد العزيز المكي في الباب السابق بعد ترجمة عبد الله بن سعيد ابن كلاب ، وعبد العزيز من القدماء الذين اشتَهروا بعلم الكلام ، **ومن تلاميذه** : الحسين بن الفضل البَجَلي المارُّ ذكرُهُ في (١/ ٢٨٤) ، وذكر الحسينُ شيخَه عبد العزيز ضمن كلام ؛ **فكان مما قاله** : (قد كان المكي يختلف إليكم ـ أي : يختلف إلىٰ بعض أهل الحديث ممن تعرض لفتنة خلق القرآن ـ ويقول لكم : إني أعلم من هـٰذا الباب ما لا تعلمون ، فتعلَّموا ذلك مني ، فتحملكم الرئاسة علىٰ ترك ذلك ، ويقول لكم : يكون لكم ما تعلَّمتموه مني عُدَّة تعتدونها لأعدائكم ، فإن هجموا يوماً لم تحتاجوا إلىٰ طلب العُدَّة ، فإن احتجوا بعد ذلك عليكم ولم يحضركم الأعداء . . لم يضركم الإعداد للعدة ، فتأبون ذلك !!) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٦٢٤ـ٦٢٦) .

ومنهُم :

أبو عبدِ اللهِ الحارثُ بنُ أسدٍ المحاسبيُّ

كانَ عديمَ النظيرِ في زمانِهِ علماً وورعاً ، خلَّفَ أبوهُ لهُ سبعينَ ألفَ درهمٍ ، فلم يأخذْ منها شيئاً ؛ لأنَّهُ كانَ يقولُ بالقَدَرِ[1] .

ولهُ تصانيفُ مشهورةٌ في علمِ التوحيدِ والردِّ على المبتدعةِ ، وشهرتُهُ تُغني عن تعريفِهِ بالأوصافِ ، ماتَ ببغدادَ سنةَ ثلاثٍ وأربعينَ ومئتينِ .

وكانَ رحمَهُ اللهُ إذا مدَّ يدَهُ إلىٰ طعامٍ فيهِ شبهةٌ . . تحرَّكَ علىٰ إصبَعِهِ عِرقٌ ، فامتنعَ مِنْ ذلكَ الطعامِ[2] .

* * *

(١) انظر « الرسالة القشيرية » (ص١١٩) ، والضمير في (لأنه) يرجع إلىٰ (أبوه) .

(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص١١٩) ، وختم ترجمتَهُ بذكر قصَّة له مع الجنيد تشهد له بهذه الكرامة .

ومنهُم :

أبو الفيضِ ذو النونِ المصريُّ

واسمُهُ : ثوبانُ ، قامَ رجلٌ بينَ يديهِ فقالَ : أخبرْني عنِ التوحيدِ ما هوَ ؟

فقالَ : (هوَ أنْ تعلمَ : أنَّ قدرةَ اللهِ في الأشياءِ بلا مِزاجٍ ، وصنعَهُ للأشياءِ بلا علاجٍ ، وعلَّةَ كلِّ شيءٍ صنعُهُ ، ولا علَّةَ لصنعِهِ ، وليسَ في السماواتِ العلا ولا في الأرَضينَ السفلىٰ مُدبِّرٌ غيرُ اللهِ ، وكلُّ ما تُصوِّرَ في وهمِكَ فاللهُ بخلافِهِ)[1] .

وسُئِلَ عن قولِهِ تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ، فقالَ : (أثبتَ ذاتَهُ ، ونفىٰ مكانَهُ ، فهوَ موجودٌ بذاتِهِ ، والأشياءُ موجودةٌ بحكمتِهِ)[2] .

تُوفِّيَ سنةَ خمسٍ وأربعينَ ومئتينِ ، رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ .

* * *

(١) أخرجه القشيري في « رسالته » (ص٨٨) ، وذكره بلاغاً أبو نصر السراج في « اللمع » (ص٤٩) .

(٢) أورده القشيري في « رسالته » (ص٩٤) .

ومنهُم :

سَرِيُّ بنُ المُغلِّسِ السَّقَطِيُّ

خالُ الجنيدِ وأستاذُهُ ، كانَ أوحدَ أهلِ زمانِهِ في الورعِ والأحوالِ السنيةِ وعلومِ التوحيدِ ، ومِنْ كلامِهِ [. . .][1] .

تُوفِّيَ [سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ ومئتينِ][2] .

* * *

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، ومن كلامه رحمه الله تعالىٰ كما في « الرسالة » (ص١١٢) : (التصوف اسم لثلاثة معانٍ : وهو الذي لا يطفئ نورُ معرفته نورَ ورعه ، ولا يتكلم بباطن من علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب ، ولا تحمله الكرامات علىٰ هتك أستار محارم الله) .

(٢) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٢/ ١٨٧) .

ومنهُم :

سهلُ بنُ عبدِ اللهِ التُّسْتَريُّ

أوحدُ أهلِ زمانِهِ .

سُئِلَ عن ذاتِ اللهِ ، فقالَ : (ذاتُ اللهِ موصوفةٌ بالعلمِ ، غيرُ مُدرَكةٍ بالإحاطةِ ، ولا مَرْئيَّةٍ بالأبصارِ لنا في دارِ الدنيا ، وننظرُ إليهِ في الأُخْرىٰ ظاهراً في مُلكِهِ وقدرتِهِ[1] ، قد حجبَ الخلقَ عن معرفتِهِ[2] ، ودلَّهُم عليهِ بآياتِهِ ؛ فالقلوبُ تعرفُهُ ، والعقولُ لا تُكيِّفُهُ ، وينظرُ إليهِ المؤمنونَ بالأبصارِ مِنْ غيرِ إحاطةٍ ولا إدراكِ نهايةٍ)[3] .

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (إنَّ الحروفَ لسانُ فعلٍ لا لسانُ ذاتٍ ؛ لأنَّها فعلٌ في مفعولٍ)[4] ، وهـٰذا تصريحٌ منهُ بأنَّ الحروفَ مخلوقةٌ .

تُوفِّيَ سنةَ ثلاثٍ وثمانينَ ـ وقيلَ : ثلاثٍ وتسعينَ ـ ومئتينِ .

* * *

(١) في « الرسالة » : (وتراه العيون في العقبىٰ) بدل (وننظر إليه في الأخرىٰ) .
(٢) في « الرسالة » : (عن معرفة كنه ذاته) .
(٣) أخرجه القشيري في « رسالته » (ص٦٢٠ـ٦٢١) .
(٤) أورده القشيري في « رسالته » (ص٩٦) .

ومنهُم :

أبو زكريَّا يحيى بنُ معاذٍ الرازيُّ الواعظُ

سألَهُ سائلٌ فقالَ : أخبرْني عنِ اللهِ تعالى ؟ فقالَ : إلـٰهٌ واحدٌ ، فقالَ : كيفَ هوَ ؟ قالَ : مَلِكٌ قادرٌ ، فقالَ : أينَ هوَ ؟ فقالَ : لبالمرصادِ ، فقالَ السائلُ : لم أسألْكَ عن هـٰذا ، فقالَ : ما كانَ غيرَ هـٰذا فهوَ صفةُ المخلوقِ ، فأمَّا صفتُهُ عزَّ وجلَّ فما أخبرتُكَ بهِ[1] .

تُوفِّيَ سنةَ ثمانٍ وخمسينَ ومئتينِ .

* * *

(١) أخرجه السلمي في « طبقاته » (ص١١٢-١١٣) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة » (ص٩٣) ، وفي « صفة الصفوة » (٤/٩٨) أن السائل كان ملحداً .

ومنهُم :

أبو القاسمِ الجنيدُ بنُ محمدٍ القواريريُّ

سيِّدُ الطائفةِ ، مُجمَعٌ علىٰ ورعِهِ وعلمِهِ ، كانَ أبوهُ زجَّاجاً ؛ فلذلكَ عُرِفَ بـ (القواريريِّ) .

كانَ عارفاً بعلمِ الكلامِ ، ولهُ فيهِ وفي المعارف تصانيفُ كثيرةٌ ؛ قالَ الجنيدُ رضيَ اللهُ عنهُ : (أوَّلُ ما يُحتاجُ إليهِ مِنْ عَقْدِ الحكمةِ : معرفةُ المصنوعِ صانعَهُ ، والمحدَثِ كيفَ كانَ إحداثُهُ ؛ فيعرفُ صفةَ الخالقِ مِنَ المخلوقِ ، وصفةَ القديمِ مِنَ المحدَثِ ، ويذِلُّ لدعوتِهِ ، ويعترفُ بوجوبِ طاعتِهِ ؛ فإنَّ مَنْ لم يعرفْ مالكَهُ لم يعترفْ بالمُلكِ لمَنِ استوجبَهُ)[1] .

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (التوحيدُ : علمُكَ وإقرارُكَ بأنَّ اللهَ تعالىٰ فردٌ في أزليَّتِهِ ، لا ثانيَ معَهُ ، ولا شيءَ يفعلُ فعلَهُ)[2] .

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (سُئِلَ بعضُ العلماءِ عنِ التوحيدِ ، فقالَ : هوَ اليقينُ ، فقالَ السائلُ : بيِّنْ لي ما هوَ ؟ فقالَ : هوَ معرفتُكَ أنَّ حركاتِ الخلقِ وسكونَهُم فعلُ اللهِ عزَّ وجلَّ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، فإذا فعلتَ ذلكَ فقد وحَّدتَهُ)[3] .

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ حينَ سألَهُ ابنُ شاهينَ عن معنىٰ (معَ) ، فقالَ : (معَ)

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٥٦) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٨٥) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٥٦) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٨٨) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٥٦) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٩١) ، وفعلت : بمعنىٰ : عرفت .

على معنيين : معَ الأنبياءِ بالنصرِ والكلاءةِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٦] ، ومعَ العامَّةِ بالعلمِ والإحاطةِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ ﴾ [المجادلة : ٧] ، فقالَ ابنُ شاهينَ : مثلُكَ يصلُحُ أنْ يكونَ دالاً للأمَّةِ على اللهِ[١] .

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ في « أجوبةِ مسائلِ الشاميينَ » : (التوكُّلُ عملُ القلبِ ، والتوحيدُ قولُ القلبِ)[٢] ، هٰذا قولُ أهلِ الأصولِ : إنَّ الكلامَ هوَ المعنى الذي قامَ بالقلبِ مِنْ معنى الأمرِ والنهيِ والخبرِ والاستخبارِ[٣] .

ويَعضُدُهُ قولُهُم : إنَّ الكلامَ يستلزمُهُ العلمُ ، فإذا كانَ القلبُ عالماً بالتوحيدِ والنفسُ قاطعةً بهِ . . فهيَ مُتكلِّمةٌ بالتوحيدِ ؛ لأنَّ العلمَ يستلزمُ الكلامَ كما سبقَ ، واللهُ أعلمُ .

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (مَنْ لم يحفظِ القرآنَ ، ولم يكتبِ الحديثَ . . فلا يُقتدىٰ بهِ في هٰذا الأمرِ ؛ لأنَّ علمَنا مُقيَّدٌ بالكتابِ والسنَّةِ)[٤] .

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (متىٰ يتَّصلُ مَنْ لا شبيهَ لهُ ولا نظيرَ بما لهُ شبيهٌ ونظيرٌ ؟! هيهاتَ !! هٰذا ظنٌّ عجيبٌ !! إلا بما لطُفَ اللطيفُ ؛ مِنْ حيثُ لا دَرَكَ ولا إحاطةَ ولا إشارةَ إلا اليقينُ وتحقيقُ الإيمانِ)[٥] .

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٩٤) ، وابن السبكي في « الطبقات » (٩/ ٤٢) .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٥٦) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٩٦) .

(٣) انظر « الرسالة القشيرية » (ص٩٦) .

(٤) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٥٥) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص١٥٥) .

(٥) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص٩٣) ، وفيه : (ولا إحاطة إلا إشارة اليقين) بدل (ولا إحاطة ولا إشارة إلا اليقين) .

قالَ أبو بكرٍ العَطَوِيُّ : (كنتُ عندَ الجنيدِ حينَ ماتَ ؛ ختمَ القرآنَ ثمَّ ابتدأَ مِنَ « البقرةِ » ، وقرأَ سبعينَ آيةً ، ثمَّ ماتَ رحمَهُ اللهُ)[1] .

تُوفِّيَ أبو القاسمِ الجنيدُ سنةَ سبعٍ وتسعينَ ومئتينِ .

* * *

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٦٤) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص١٥٦) .

ومنهُم :

أبو الحسينِ أحمدُ بنُ محمدٍ النُّوريُّ

قالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (شاهدَ القلوبَ الحقُّ سبحانَهُ ، فلم يرَ قلباً أشوقَ إليهِ مِنْ قلبِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فأكرمَهُ بالمعراجِ مُعجِّلاً للرؤيةِ والمكالمةِ)[1] .

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (التوحيدُ : كلُّ خاطرٍ يشيرُ إلى اللهِ لا يزاحمُهُ تشبيهٌ)[2] .

تُوفِّيَ النوريُّ رضيَ اللهُ عنهُ سنةَ خمسٍ وتسعينَ ومئتينِ .

* * *

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٨٩) .

(٢) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٩١) .

ومنهُم :

أبو عبدِ اللهِ عمرُو بنُ عثمانَ المكِّيُّ

شيخُ القومِ ، وإمامُ القومِ في الطريقةِ والأصولِ .

قالَ رحمَهُ اللهُ : (كلُّ ما توهَّمَهُ قلبُكَ ، أو سنحَ في مجاري فكرِكَ ، أو خطرَ في مُعارَضاتِ قلبِكَ ؛ مِنْ حسنٍ أو بهاءٍ ، أو أنسٍ أو ضياءٍ ، أو جمالٍ أو شبحٍ ، أو نورٍ أو شخصٍ أو خيالٍ . . فاللهُ تعالىٰ بعيدٌ مِنْ ذلكَ كلِّهِ ، أَلاَ ترىٰ قولَهُ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورىٰ : ١١] ، وقالَ : ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ٣ـ٤])[1] .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ ببغدادَ سنةَ إحدىٰ وتسعينَ ومئتينِ .

* * *

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (١٠/ ٢٩١) ، والسلمي في « طبقاته » (ص٢٠١ـ٢٠٢) ، ومن طريقه القشيري في « الرسالة » (ص١٦٨) .

ومنهُم :

أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عليٍّ التِّرْمذيُّ

لهُ تصانيفُ في علومِ القومِ ، ولهُ غَوْصٌ في المعاني ، وسبقٌ إلىٰ إدراكِ الخفيَّاتِ ، وتصانيفُهُ مشهورةٌ .

قالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (ما صنَّفتُ حرفاً عن تدبيرٍ ، ولا ليُنسَبَ إليَّ منهُ شيءٌ ، ولٰكنْ كانَ إذا اشتدَّ عليَّ وقتي أتسلَّىٰ بهِ)[1] .

ومِنْ مُصنَّفاتِهِ : « نوادرُ الأصولِ » في ثلاثِ مجلداتٍ ، ذكرَ فيهِ مئتينِ وتسعينَ أصلاً[2] ، أتىٰ علىٰ كلِّ أصلٍ وبناهُ علىٰ خبرٍ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ علىٰ كلامِ الصحابةِ والتابعينَ وغيرِهِم مِنَ العلماءِ[3] .

* * *

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص١٧٤) ، وأخرجه أبو عبد الرحمٰن السلمي كما في « تاريخ الإسلام » (٢١/ ٢٧٧) ، وفي كتابه « نوادر الأصول » جملةٌ وافرة مما نحن بصدده ها هنا .

(٢) والذي في المطبوع ذكرٌ لمئتين وأربعة وتسعين أصلاً .

(٣) والمشهور : أنه عاش إلىٰ حدود سنة (٣٢٠هـ) انظر « لسان الميزان » (٧/ ٣٨٩) .

ومنهُم :

أبو سعيدٍ أحمدُ بنُ عيسى الخرَّازُ

مِنْ أهلِ بغدادَ ، قالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (حقيقةُ القربِ : فقدُ حسِّ الأشياءِ مِنَ القلبِ ، وهدوُّ الضميرِ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ)[1] .

تُوفِّيَ سنةَ سبعٍ وسبعينَ ومئتينِ .

* * *

(١) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص٩٥) .

ومنهُم :

أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ سهلِ بنِ عطاءٍ الأَدَميُّ

مِنْ كبارِ المشايخِ وعلمائِهم ، وهوَ مِنْ أقرانِ الجنيدِ .

قالَ ابنُ عطاءٍ : (إنَّ اللهَ لمَّا خلقَ الأحرفَ جعلَها سرّاً لهُ ، فلمَّا خلقَ آدمَ عليهِ السلامُ بثَّ فيهِ ذلكَ السرَّ ، ولم يَبُثَّ ذاكَ في أحدٍ مِنْ ملائكتِهِ ، فجرتِ الأحرفُ على لسانِ آدمَ عليهِ السلامُ بفنونِ الجِرْياتِ واللغاتِ ، فجعلَها اللهُ صوراً لها)[1] .

قالَ الأستاذُ أبو القاسمِ القشيريُّ : (صرَّحَ ابنُ عطاءٍ بأنَّ الحروفَ مخلوقةٌ)[2] .

وقالَ ابنُ عطاءٍ في قولِهِ تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ [ق : ٣٧] ، قالَ : (لمَنْ لهُ قلبٌ لاحظَ الحقَّ بعينِ التعظيمِ ، فذابَ لهُ وانقطعَ إليهِ عمَّا سواهُ)[3] .

تُوفِّيَ سنةَ تسعٍ وثلاثِ مئةٍ .

* * *

(١) أورده القشيري في « الرسالة » (ص٩٥-٩٦) ، وفيها : (بفنون الجريان) بدل (بفنون الجريات) ، وقوله : (صوراً لها) أي : للفنون المذكورة ، والمراد : المعاني ؛ أي : جعلها قوالب لمعانيها ، بأن يفهم معانيها منها . انظر « إحكام الدلالة » (١/ ٦١) .

(٢) الرسالة القشيرية (ص٩٦) .

(٣) أورده السلمي في « تفسيره » (٢/ ٢٦٩) ، وفيه : (فدان) بدل (فذاب) .

ومنهُم :

أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ أحمدَ الخوَّاصُ

مِنْ أقرانِ الجنيدِ والنُّوريِّ ، قالَ : (انتهيتُ إلىٰ رجلٍ وقد صرعَهُ الشيطانُ ، فجعلتُ أُؤذِّنُ في أذنِهِ ، فنادَاني الشيطانُ مِنْ جوفِهِ : دعْني أقتلْهُ ؛ فإنَّهُ يقولُ : القرآنُ مخلوقٌ)[1] .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ سنةَ إحدىٰ وتسعينَ ومئتينِ .

* * *

(١) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص٩٥) ، وروى الخطيب البغدادي في « تاريخه » (٥/ ٣٨٣) نحوه عن أحمد بن نصر بن مالك الخزاعي رحمه الله تعالىٰ .

ومنهُم :

أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمدِ بنِ سهلٍ الدِّينَوَرِيُّ ، المعروفُ بـ (ابنِ الصائغِ) نزيلُ مصرَ

سُئِلَ عنِ الاستدلالِ بالشاهدِ على الغائبِ ، فقالَ : كيفَ يُستدَلُّ بصفاتِ مَنْ لهُ مثلٌ على مَنْ لا مثلَ لهُ ولا نظيرَ ؟![1] .

* * *

(١) أورده بلفظه القشيري في « الرسالة » (ص١٨٩) ، وأخرجه بنحوه السلمي في « طبقاته » (ص٣١٥) .

ومنهُمُ :

الشيخُ أبو عبدِ الرحمٰنِ [محمدُ بنُ الحسينِ بنِ محمدٍ الأَزْديُّ النيسابوريُّ] السُّلَميُّ[1]

شيخُ الطريقةِ في وقتِهِ ، المُوفَّقُ في جميعِ علومِ الحقائقِ ومعرفةِ طريقِ التصوُّفِ ، صاحبُ التصانيفِ ، ورثَ ذلكَ عن أبيهِ وجدِّهِ[2] ، وجمعَ مِنَ الكتبِ ما لم يُسبَقْ إلىٰ ترتيبِهِ ، حتىٰ بلغَ فهرستُ تصانيفِهِ المئةَ وأكثرَ .

حدَّثَ أكثرَ مِنْ أربعينَ سنةً إملاءً وقراءةً ، وكتبَ الحديثَ بنيسابورَ ومرْوَ والعراقِ والحجازِ ، وانتخبَ عنهُ الحفاظُ الكبارُ .

سمعَ : مِنْ أبيهِ ، وجدِّهِ أبي عمرِو بنِ نُجيدٍ ، وأبي عبدِ اللهِ الصفارِ ، وإبراهيمَ بنِ محمدٍ ، ومحمدِ بنِ يعقوبَ الحافظِ .

أخذَ عنهُ : الإمامُ عبدُ الكريمِ بنُ هوازنَ القشيريُّ[3] .

ولدَ سنةَ ثلاثينَ وثلاثِ مئةٍ في شهرِ رجبٍ[4] ، وتُوفِّيَ في رجبٍ أو شعبانَ سنةَ ثنتي عشرةَ وأربعِ مئةٍ رحمَهُ اللهُ .

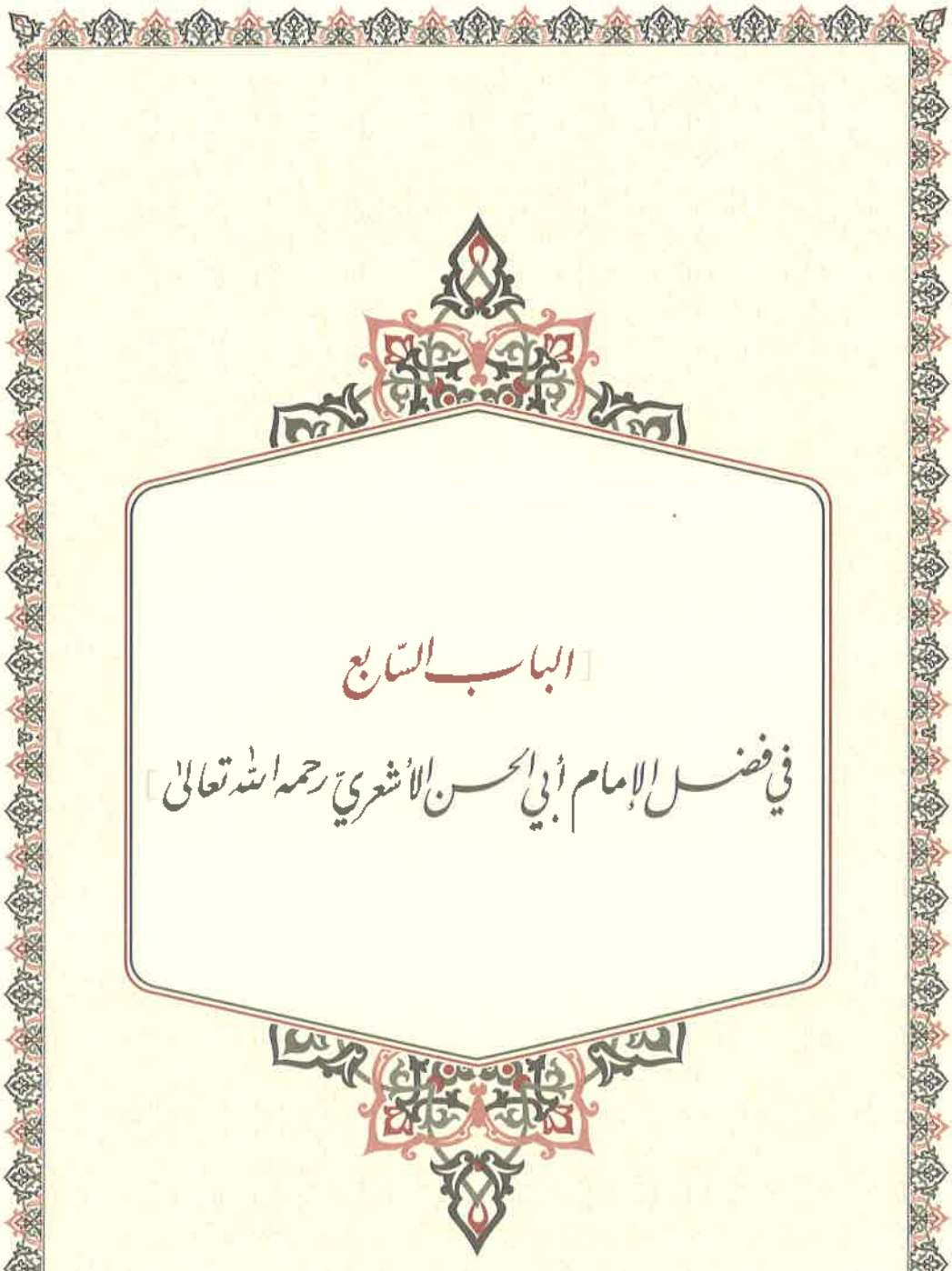
* * *

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) بمقدار سطر ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٤٣) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٢٤٧) .

(٢) أي : لأمه ؛ وهو أبو عمرو بن نجيد ، كما سيأتي التصريح به بعد قليل .

(٣) وروىٰ عنه في « الرسالة » أخباراً كثيرةً .

(٤) وفي « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٤٤) : المشهور : أنه ولد في رمضان .



الباب السّابع

في فضل الإمام أبي الحسن الأشعريّ رحمه الله تعالى

[باب]

في فضل الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى

روى الحافظُ ابنُ عساكرَ بإسنادِهِ إلى الحافظِ البيهقيِّ قالَ : (رأيتُ في كتبِ أصحابِنا : أبو الحسنِ ، عليُّ بنُ إسماعيلَ بنِ إسحاقَ بنِ سالمِ بنِ إسماعيلَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ موسى بنِ بلالِ بنِ أبي بُردةَ بنِ أبي موسى الأشعريُّ)[1] .

وروىٰ بإسنادِهِ إلى الحافظِ أبي بكرٍ الخطيبِ البغداديِّ قالَ : (عليُّ بنُ إسماعيلَ بنِ أبي بشرٍ - واسمُهُ : إسحاقُ - ابنِ سالمِ بنِ إسماعيلَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ موسى بنِ بلالِ بنِ أبي بردةَ بنِ أبي موسىٰ ، أبو الحسنِ الأشعريُّ ، المُتكلِّمُ ، صاحبُ الكتبِ والتصانيفِ في الرَّدِّ على الملحدةِ وغيرِهِم ؛ مِنَ المعتزلةِ ، والرافضةِ ، والجهميَّةِ ، والخوارجِ ، وسائرِ أصنافِ المبتدعةِ .

وهو بصريٌّ][2] ، سكنَ بغدادَ إلىٰ أنْ تُوفِّيَ بها ، وكانَ يجلسُ أمامَ الحَلَقاتِ في حَلْقةِ أبي زيدٍ المَـرْوَزيِّ[3] الفقيهِ مِنْ جامعِ المنصورِ)[4] .

(١) تبيين كذب المفتري (ص ١٢٩) .

(٢) ما بين معقوفين بياض في الأصل بمقدار صفحة ، والظاهر : أنها بداية الباب السابع في فضل أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالىٰ ، وقد اجتهدت في استدراك بعض هٰذا النقص من « تبيين كذب المفتري » (ص١٢٩) المنقولِ منه هٰذا الكلام علىٰ منهج مقارب لمنهج المؤلف .

(٣) العبارة في « تبيين كذب المفتري » (ص١٢٩) : (وكان يجلس أيام الجمعات في حلقة أبي إسحاق المروزي) .

(٤) تبيين كذب المفتري (ص١٢٩) ، وانظر « تاريخ بغداد » (١٣/ ٢٦٠) .

وذكرَ الإمامُ أبو بكرِ ابنُ فُورَكَ : أنَّهُ كانَ يتمذهبُ بمذهبِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ[1] .

وجدُّهُ أبو موسىٰ عبدُ اللهِ بنُ قيسِ بنِ حِضَارِ بنِ حربِ بنِ عامرِ بنِ عِتْرِ بنِ بكرِ بنِ عامرِ بنِ عَذَرِ بنِ وائلِ بنِ ناجيةَ بنِ جُماهرِ بنِ الأشعرِ بنِ أُدَدِ بنِ يَشجُبَ بنِ عَريبِ بنِ زيدِ بنِ كهلانَ بنِ سبأِ بنِ يَشجُبَ بنِ يَعرُبَ بنِ قحطانَ .

وكانَ مُتمذهِباً بمذهبِ المعتزلةِ فرجعَ عنهُ ؛ لأنَّهُ رأىٰ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ ، والقصةُ مشهورةٌ[2] .

وَفَدَ جدُّهُ أبو موسىٰ معَ جماعةِ الأشعريينَ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : « أَتَاكُمْ أَهْلُ ٱلْيَمَنِ ، هُمْ أَرَقُّ قُلُوباً ، وَأَضْعَفُ أَفْئِدَةً ، ٱلإِيمَانُ يَمَانٍ ، وَٱلْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ »[3] .

ولمَّا نزلَتْ : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة : ٥٤] . أومأَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ أبي موسىٰ ؛ فقالَ : « هُمْ قَوْمُ هَـٰذَا »[4] .

ويدُلُّ علىٰ فضلِ الأشعريينَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱلأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي ٱلْغَزْوِ ، أو قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِٱلْمَدِينَةِ . . جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ ، ثُمَّ ٱقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِٱلسَّوِيَّةِ ، هُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ »[5] ، ما أفضلَ هـٰذهِ النسبةَ ، وأشملَ هـٰذا القُرْبَ لهـٰذهِ القُرْبةِ !!

(١) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص١٣٠) .

(٢) انظرها في « تبيين كذب المفتري » (ص١٣٨ـ١٤٢) .

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٨٨) ، ومسلم (٥٢/ ٩٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) أخرجه الحاكم (٢/ ٣١٣) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٥٤٣٨) مرسلاً عن عياض الأشعري رحمه الله تعالىٰ ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص١٤٩ـ١٥٢) .

(٥) أخرجه البخاري (٢٤٨٦) ، ومسلم (٢٥٠٠) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، **وأرْمَلوا** : فني زادهم ، **وأصله** : من الرمل ؛ كأنهم لصقوا بالرمل من القلة .

قلتُ : وقد روى البخاريُّ في « صحيحِهِ » بسندِهِ إلىٰ أبي موسىٰ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إنِّي لأَعْرِفُ أَصْوَاتَ ٱلأَشْعَرِيِّينَ بِٱلْقُرْآنِ ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ مَنَازِلَهُمْ حِينَ نَزَلُوا بِٱلنَّهَارِ ، وَأَعْرِفُ مَنَازِلَهُمْ مِنْ أَصْوَاتِهِمْ بِٱلْقُرْآنِ بِٱللَّيْلِ ، وَمِنْهُمْ حَكِيمٌ ؛ إِذَا لَقِيَ ٱلْخَيْلَ ـ أو قالَ : ٱلْعَدُوَّ ـ قَالَ : إِنَّ أَصْحَابِي يَأْمُرُونَكُمْ أَنْ تَنْتَظِرُوهُمْ »[1] .

قلتُ : وممَّا يدُلُّ علىٰ أنَّ أبا الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ نزعَهُ عِرْقٌ شريفٌ حيثُ تكلَّمَ في أصولِ العقائدِ والدياناتِ ، وسلكَ في ذلكَ مسلكَ جدودِهِ ، ولم يأتِ ببدعٍ ، ولم يخرجْ عنِ اتِّباعِ سلفِهِ : ما رواهُ البخاريُّ بسندِهِ إلىٰ عمرانَ بنِ حصينٍ قالَ : دخلتُ علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إذْ جاءَهُ قومٌ مِنْ بني تميمٍ ، فقالَ : « ٱقْبَلُوا ٱلْبُشْرَىٰ يَا بَنِي تَمِيمٍ » ، فقالُوا : قد بشَّرْتَنا فأعطِنا .

قالَ : فدخلَ عليهِ [ناسٌ] مِنْ أهلِ اليمنِ ، فقالَ : « ٱقْبَلُوا ٱلْبُشْرَىٰ يَا أَهْلَ ٱلْيَمَنِ إِذْ لم يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ » ، فقالُوا : قد قَبِلْنا يا رسولَ اللهِ ، جئْناكَ نسألُكَ عن هـٰذا الأمرِ ـ وفي روايةٍ : عن أوَّلِ هـٰذا الأمرِ ـ فقالَ : « كَانَ ٱللهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ ، وَعَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَاءِ ، وَكَتَبَ فِي ٱلذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ ، وَخَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ » .

وتمامُ الحديثِ : أنَّ رجلاً قالَ لعمرانَ : راحلتَكَ أدركْ ناقتَكَ ؛ فقد ذهبَتْ ، فانطلقتُ في طلبِ ناقتي ، فإذا السَّرابُ ينقطعُ دونَها ، وايمُ اللهِ ؛ لوددتُ أنَّها ذهبَتْ ولم أقمْ[2] .

فهـٰذا الحديثُ يدُلُّ علىٰ جوازِ الكلامِ في أصولِ العقائدِ والسؤالِ عنها والجوابِ ، وفي ذلكَ أيضاً ما وقعَ مِنَ الأمرِ الذي حالَ بينَ عمرانَ بنِ حصينٍ

(١) صحيح البخاري (٤٢٣٢) ، وأخرجه مسلم (٢٤٩٩) .

(٢) سبق تخريجه (١/ ١٨٧) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص١٧٦ـ ١٧٨) .

وبينَ سماعِهِ لبقيَّةِ ذلكَ المجلسِ الذي وقعَ الخوضُ فيهِ في علمِ الأصولِ ، وهوَ أمرٌ مقدورٌ ؛ ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ﴾ [الأنفال : ٤٢] .

وممَّا يدُلُّ علىٰ أنَّ الأشعريينَ معروفونَ بالتفقُّهِ في الدينِ ، وتعليمِ الجهلةِ وإرشادِهِم لأمرِ دينِهِم مِنْ زمنِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، مُستقِرٌّ ذلكَ لهُم لا يُدفَعُونَ عنهُ : ما رواهُ الحافظُ ثقةُ الدينِ أبو القاسمِ عليُّ ابنُ هبةِ اللهِ ابنُ عساكرَ بسندِهِ إلىٰ علقمةَ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ أبزىٰ ، عن أبيهِ ، عن جدِّهِ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أنَّهُ خطبَ الناسَ قائماً ، فحمدَ اللهَ وأثنىٰ عليهِ ، وذكرَ طوائفَ مِنَ المسلمينَ فأثنىٰ عليهِم خيراً ، ثمَّ قالَ : « مَا بَالُ أَقْوَامٍ لاَ يُعَلِّمُونَ جِيرَانَهُمْ وَلاَ يُفَقِّهُونَهُمْ وَلاَ يَأْمُرُونَهُمْ وَلاَ يَنْهَوْنَهُمْ ؟! وَمَا بَالُ أَقْوَامٍ لاَ يَتَعَلَّمُونَ مِنْ جِيرَانِهِمْ وَلاَ يَتَفَقَّهُونَ وَلاَ يَفْطَنُونَ ؟! وَٱلَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ؛ لَيُعَلِّمُنَّ جِيرَانَهُمْ وَلَيُفَقِّهُنَّهُمْ وَلَيَأْمُرُنَّهُمْ وَلَيَنْهُنَّهُمْ ، وَلَيَتَعَلَّمَنَّ قَوْمٌ مِنْ جِيرَانِهِمْ وَلَيَتَفَقَّهُنَّ وَلَيَتَفَطَّنُنَّ ، أَوْ لأُعَاجِلَنَّهُمْ بِٱلْعُقُوبَةِ فِي دَارِ ٱلدُّنْيَا » ، ثمَّ نزلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فدخلَ بيتَهُ .

فقالَ أصحابُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بينَهُم : مَنْ يعني بهـٰذا الكلامِ ؟ قالُوا : ما يعني بهـٰذا الكلامِ إلا الأشعريينَ ؛ إنَّهُم فقهاءُ علماءُ ، ولهُم جيرانٌ مِنْ أهلِ المياهِ جُفاةٌ جَهَلةٌ .

فاجتمعَ جماعةٌ مِنَ الأشعريينَ ، فدخلُوا علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالُوا : ذكرتَ طوائفَ مِنَ المسلمينَ بخيرٍ ، وذكرْتَنا بشرٍّ ، فما بالُنا ؟!

فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَتُعَلِّمُنَّ جِيرَانَكُمْ وَلَتُفَقِّهُنَّهُمْ وَلَتَأْمُرُنَّهُمْ وَلَتَنْهُنَّهُمْ ، أَوْ لأُعَاجِلَنَّكُمْ بِٱلْعُقُوبَةِ فِي دَارِ ٱلدُّنْيَا » .

فقالُوا : أمَّا إذاً فأمهِلْنا سنةً ؛ ففي سنةٍ نُعلِّمُهُم ويتعلَّمُونَ ، فأمهلَهُم سنةً ،

ثمَّ قرأَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ . . . ﴾ إلىٰ قولِهِ : ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾[1] [المائدة : ٧٨ـ٧٩] .

وممَّا يدُلُّ علىٰ لَحاقِ أبي الحسنِ بجَدِّهِ ، في حظِّهِ الوافرِ مِنَ الدِّينِ وجَدِّهِ :

ما رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « إِنَّ ٱللَّهَ لَيَرْفَعُ ذُرِّيَّةَ ٱلْمُؤْمِنِ حَتَّىٰ يُلْحِقَهُمْ بِهِ ؛ لِيَقِرَّ بِهِمْ » ثمَّ قرأَ : « ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ [الطور : ٢١] » رواهُ ابنُ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُ[2] .

* * *

(١) تبيين كذب المفتري (ص١٨٢ـ١٨٤) ، وأخرجه ابن عساكر أيضاً في « تاريخه » (٣٢/ ٥٧ـ ٥٨) ، والطبراني في « الكبير » كما في « مجمع الزوائد » (١/ ١٦٤) .

(٢) أخرجه الطبري في « تفسيره » (٢٢/ ٤٦٧ـ٤٦٨) ، والبيهقي في « القضاء والقدر » (٥٤٠) ، وابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص١٩٠) ، والمثبت قراءة أبي عمرو بن العلاء . انظر « إتحاف فضلاء البشر » (ص٥١٨) .

فصل
في طريقة أبي الحسن الأشعريّ في الزهد والعبادة

وكانَتْ طريقةُ أبي الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ بالعبادةِ مِنَ الزهدِ والتقلُّلِ مِنَ الدنيا . . [ما][1] حُكِيَ عن أبي عمرانَ موسى بنِ أحمدَ بنِ عليٍّ الفارسيِّ الفقيهِ[2] ، قالَ : سمعتُ أبي يقولُ : (خدمتُ الإمامَ أبا الحسنِ الأشعريَّ بالبصرةِ سنينَ ، وعاشرتُهُ ببغدادَ إلىٰ أنْ تُوفِّيَ ، فلم أجدْ أورعَ منهُ ولا أغضَّ طَرْفاً ، ولم أرَ شيخاً أكثرَ حياءً منهُ في أمورِ الدنيا ، ولا أنشطَ منهُ في أمورِ الآخرةِ)[3] .

وروىٰ عليُّ بنُ محمدٍ الطبريُّ المُتكلِّمُ قالَ : سمعتُ أبا الحسنِ السَّرَويَّ الفاضلَ في الكلامِ يقولُ : (كانَ الشيخُ أبو الحسنِ ـ يعني : الأشعريَّ ـ رحمَهُ اللهُ قريباً مِنْ عشرينَ سنةً يُصلِّي الصبحَ بوضوءِ العَتَمةِ) ، وكانَ يحكي عنِ اجتهادِهِ شيئاً لا إلىٰ حَدٍّ[4] .

وحُكِيَ عن بُندارِ بنِ الحسينِ وكانَ خادمَ أبي الحسنِ عليِّ بنِ إسماعيلَ بالبصرةِ ، قالَ : (كانَ أبو الحسنِ يأكلُ مِنْ غَلَّةِ ضيعةٍ وقفَها جدُّهُ بلالُ بنُ أبي بردةَ بنِ أبي موسى الأشعريِّ)[5] .

(١) ما بين معقوفين زيادة حتىٰ يستقيم الكلام ، والعبارة في « تبيين كذب المفتري » (ص ٢٩٤) : (باب ذكر ما عُرف من أبي الحسن رحمه الله من الاجتهاد في العبادة ، ونُقل عنه من التقلل من الدنيا والزَّهادة) .

(٢) في « التبيين » : (محمد) بدل (موسىٰ) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٢٩٤ـ٢٩٥) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٢٩٤) .

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخه » (١١/٣٤٦) ، وابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٢٩٥) ، وكان قد وقفها علىٰ عقبه ، كما في « التبيين » .

فصل

في طريقة أبي الحسن الأشعري في الخوض مع أهل البدع

وكانَ مِنْ طريقتِهِ : أنَّهُ لا يتكلَّمُ ابتداءً معَ أربابِ البدعِ ، لـٰكنْ إذا سُئِلَ أجابَ ، وإذا أخطأَ رجلٌ بحضرتِهِ ردَّهُ إلى الصوابِ .

ويدُلُّ علىٰ ذلكَ : ما رواهُ الشيخُ العارفُ أبو عبدِ اللهِ بنُ خَفيفٍ في رحلتِهِ إليهِ في قصةٍ طويلةٍ سيأتي ذكرُ بعضِها مُختصَراً ؛ قالَ في آخرِها : (إنِّي لا أُكلِّمُ هـٰؤلاءِ ابتداءً ، ولـٰكنْ إذا خاضُوا فيما لا يجوزُ مِنْ أمرِ دينِ اللهِ . . رَدَدْنا عليهِم بحكمِ ما فرضَ اللهُ سبحانَهُ علينا مِنَ الردِّ علىٰ مُخالِفِي الحقِّ)[1] .

وهوَ في ذلكَ مُتَّبِعٌ سنَّةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ حيثُ كانَ يكرهُ السؤالَ عنِ الشيءِ قبلَ وقوعِهِ والكلامَ فيهِ ، وكذلكَ كانَتِ الصحابةُ بعدَهُ على النحوِ الذي قدَّمْناهُ[2] .

* * *

(١) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٢١٩ـ٢٢٠) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٤٩ـ٣٥٠) ، و(١/ ٣٥٩) .

(٢) انظر (١/ ٢٤٩ـ٢٥١) .

فصل

ممّا يدلّ على فضله كونه من خير القرون

وممَّا يدُلُّ علىٰ فضلِهِ : أنَّهُ مِنْ خيرِ القرونِ الذينَ قالَ سيِّدُنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيهِم : « خَيْرُ ٱلْقُرُونِ قَرْنِي ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ ، ثُمَّ ٱلَّذِينَ يَلُونَهُمْ »[1] .

والقرنُ مئةُ سنةٍ ، **ويدُلُّ علىٰ ذلكَ** : قولُهُ : « فَإِنَّ عَلَىٰ رَأْسِ مِئَةِ سَنَةٍ لاَ يَبْقَىٰ مِمَّنْ هُوَ عَلَىٰ ظَهْرِ ٱلأَرْضِ أَحَدٌ » **يُريدُ بهِ** : انخرامَ القرنِ[2] .

ويدُلُّ علىٰ أنَّ القرنَ مئةُ سنةٍ أيضاً : ما رواهُ محمدُ بنُ القاسمِ الطائيُّ : أنَّ عبدَ اللهِ بنَ [بُسْرٍ] كانَ معَهُم في قريتِهِ فقالَ : هاجرَ أبي وأمِّي إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وإنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مسحَ بيدِهِ رأسي وقالَ : « لَيَعِيشَنَّ هَـٰذَا ٱلْغُلاَمُ قَرْناً » ، [فقلتُ] : بأبي وأمِّي يا رسولَ اللهِ ؛ كمِ القرنُ ؟ فقالَ : « مِئَةُ سَنَةٍ » .

قالَ عبدُ اللهِ بنُ [بُسْرٍ] : فلقد عشتُ خمساً وتسعينَ سنةً ، وبقيَتْ خمسُ سنينَ إلىٰ أنْ أُتِمَّ قولَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

قالَ محمدٌ : فكمَّلَ خمسَ سنينَ وماتَ[3] .

(١) سبق تخريجه (١/ ٢٥٠) .

(٢) سبق تخريجه (١/ ١٦٧) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٢٩٩ـ٣٠٠) ، وفي « تاريخه » (١٢/٢٢) ، والحاكم مختصراً من وجه آخر (٥٤٩/٢) ، وجاء في (أ ، ب) : (عبد الله بن بشر) بالمعجمة في كلا الموضعين ، والصواب ما أثبت ، وعبد الله بن بسر هو =

وإذا ثبتَ ذلكَ : فمولدُ أبي الحسنِ على ما حكاهُ أبو بكرٍ [الوزَّانُ][1] سنةَ ستينَ ومئتينِ[2] ، فهوَ في المئةِ الثالثةِ قطعاً ، وهيَ القرنُ الثالثُ على ما قُدِّمَ مِنَ الأحاديثِ ، فهوَ مِنْ خيرِ القرونِ ، والحمدُ للهِ على ذلكَ .

* * *

= آخر الصحابة موتاً بالشام ، وكان عمره مئة سنة . انظر « سير أعلام النبلاء » (٣/ ٤٣١) .

(١) في نسختينا : (الوراق) ، والمثبت من « التبيين » (ص٣٠١) ، وانظر « تاريخ بغداد » (٤/ ٢٤٨) .

(٢) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٠١) .

فصل

في ثناءات أساطين العلم على الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى ونضالهم عنه [1]

ومِمَّا يدُلُّ على فضلِ الإنسانِ : أنْ تجتمعَ على محبَّتِهِ القلوبُ ، ويُثنيَ عليهِ اللسانُ ، **ومصداقُ ذلكَ** : ما رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « أَنْتُمْ شُهَدَاءُ ٱللهِ فِي ٱلأَرْضِ »[2] .

وقدِ اتَّفقَ العلماءُ المشهورونَ ، والأئمَّةُ المذكورُونَ ، الذينَ هم أهلُ الحَلِّ والعَقْدِ ، ومِحَكُّ الامتحانِ والنقدِ . . على أنَّ الإمامَ أبا الحسنِ إمامُ حقٍّ ، ووارثُ إيمانٍ وصدقٍ ، وأنَّ قولَهُ هوَ المأخوذُ بهِ والمُعوَّلُ عليهِ ، وأنَّ الإمامةَ في علمِ الأصولِ مرجعُها إليهِ .

فَمَا جَازَهُ مَجْدٌ وَلاَ حَلَّ دُونَهُ وَلَكِنْ يَصِيرُ ٱلْمَجْدُ حَيْثُ يَصِيرُ[3]

على ذلكَ انعقدَ إجماعُهُم ، وبهِ يكتتبُ متبوعُهُم وأتباعُهُم[4] ، وعنهُ وعن مذهبِهِ مناضلتُهُم ودفاعُهُم .

(١) ومن أراد معرفة قدر الإمام الأشعري ، وأن يمتلىء قلبه حباً له . . فعليه بكتاب الحافظ الحجة ابن عساكر « تبيين كذب المفتري فيما نَسَب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري » ، وهو من أجلِّ الكتب وأعظمها فائدة وأحسنها ؛ فيقال : (كلُّ سنِّي لا يكون عنده كتاب « التبيين » لابن عساكر . . فليس من أمر نفسه على بصيرة) ، ويقال : (لا يكون الفقيه شافعيّاً على الحقيقة حتى يحصل كتاب « التبيين » لابن عساكر) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٣/ ٣٥١ـ٣٥٢) .

(٢) أخرجه البخاري (١٣٦٧) ، ومسلم (٩٤٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) البيت لأبي نواس في « ديوانه » (ص٩٩) ، وهو من الطويل .

(٤) في (ب) : (تكيفت) بدل (يكتتب) .

الرسالة الأشعرية

للإمام البيهقي في الثناء على أبي الحسن الأشعري والانتصار عنه

يدُلُّ على ذلك : ما قالَهُ الإمامُ أبو بكرٍ أحمدُ ابنُ البيهقيِّ مِنْ رسالةٍ مُطوَّلةٍ كتبَها إلى عَميدِ المُلْكِ زمنَ فتنةِ العلماءِ بنيسابورَ[1] ، يعظُهُ ويردُّهُ عمَّا هوَ فيهِ في حقِّ أصحابِ أبي الحسنِ ؛ **منها** : (وكأنَّهُ خفيَ عليهِ أدامَ اللهُ عزَّهُ حالُ شيخِنا أبي الحسنِ الأشعريِّ ، وما يرجعُ إليهِ مِنْ شرفِ الأصلِ ، وكِبَرِ المحلِّ

(١) **وعَميد المُلْك** : هو محمد بن منصور الكُنْدُري ، وزير السلطان طُغْرُلْبَك ، وكان معتزلياً رافضياً ، ولمَّا أمر السلطان بلعن المبتدعة على المنابر في الجُمَع . . قرن الكُنْدُريُّ هذا ـ للتسلِّي والتشفِّي ـ اسمَ الأشعرية بأرباب البدع ، إلى أن حدث بسبب ذلك فتنٌ طالت كثيراً من أساطين العلم ، ثم تبدَّدت هذه الفتنةُ وتلاشت بهلاك الكندري وقتله شرَّ قتلة ، بعد أن مُثِّل به كل مثلة ، وكان ذلك سنة (٤٥٦هـ) على يد السلطان ألْب أرسلان السَّلْجوقي ، وقيل : إن الإمام القشيري صَعِدَ المنبر وشَخَصَ في السماء زماناً ، وأطرق زماناً ، ثم قبض على لحيته وقال : يا أهل خراسان ؛ بلادكم ، بلادكم ـ وكان قد خرج من نيسابور إحدى مدن خراسان خلائقُ من كبار أئمة الشافعية والحنفية بسبب فتنة الكندري ـ إنَّ الكندريَّ غريمَكُم قُطِّع إرْباً إرْباً ، وفُرِّقت أعضاؤه ، وهأنا أشاهده الساعة ، وأنشد : (من الوافر)

عَميدَ المُلْكِ ساعدَكَ الليالي ... على ما شئتَ مِنْ دَرَكِ المعالي
فلم يكُ منكَ شيءٌ غيرَ أمرٍ ... بلعنِ المسلمينَ على التوالي
فقابلَكَ البلاءُ بما تُلاقي ... فذُقْ ما تستحقُّ مِنَ الوبالِ

فإذا علمت ما قدَّمناه عن هذا الرجل وبغضه لأهل السنَّة وإمامهم أبي الحسن الأشعري . . فعندها تتحيَّر عجباً من قول الحافظ الذهبي في « سيره » (١٨/ ١١٤) : (وما بلغنا عنه كبيرُ إساءة) !! وفتنةُ نيسابور مما سارت بها الركبان ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٢٣٦ـ٢٤٠) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٣/ ٣٩٣) ، وسيذكر المؤلف مجمل فتنة نيسابور في (١/ ٣٣٣ـ٣٣٦ ، ٢/ ٤٩١ـ٤٩٥) .

والعلمِ والفضلِ ، وكثرةِ أصحابِهِ مِنَ المالكيَّةِ والشافعيَّةِ والحنفيَّةِ ، الذينَ رَغِبُوا في تعلُّمِ علمِ الأصولِ ، وأحبُّوا معرفةَ دلائلِ العقولِ . . .) .

(وفضائلُ الشيخِ أبي الحسنِ الأشعريِّ أكثرُ مِنْ أنْ يمكنَ ذكرُها في هٰذهِ الرسالةِ ؛ لما في الإطالةِ مِنَ المَلالةِ ، لٰكنِّي أذكرُ بمشيئةِ اللهِ مِنْ شرفِهِ وشرفِ أجدادِهِ وفضلِهِ . . ما يحملُهُ على الذَّبِّ عنهُ وعن أتباعِهِ . . .) .

ثمَّ ذكرَ ما قدَّمْناهُ مِنْ نسبِهِ وذكرِ فضلِهِ ، وما رُزِقَ مِنَ الأولادِ ، ثمَّ قالَ :

(إلىٰ أنْ بلغَتِ النوبةُ إلىٰ شيخِنا أبي الحسنِ الأشعريِّ ، فلم يُحدِثْ في دينِ اللهِ حَدَثاً ، ولم يأتِ فيهِ ببدعةٍ ، بل أخذَ أقاويلَ الصحابةِ والتابعينَ ، ومَنْ بعدَهُم مِنَ الأئمَّةِ في أصولِ الدينِ ، فنصرَها بزيادةِ شرحٍ وتبيينٍ ، وأنَّ ما قالُوا وجاءَ بهِ الشرعُ في الأصولِ صحيحٌ في العقولِ ، خلافَ ما زعمَ أهلُ الأهواءِ ، فكانَ في بيانِهِ تقويةُ ما لم يستدلَّ عليهِ أهلُ السنَّةِ والجماعةِ ، ونصرةُ مَنْ مضىٰ مِنَ الأئمَّةِ كأبي حنيفةَ والشافعيِّ . . .) .

وذكرَ أئمَّةَ الأمصارِ وعدَّدَهُم ، ثمَّ قالَ : (وبذلكَ وعدَ سيِّدُنا المصطفىٰ ؛ حيثُ قالَ فيما رواهُ أبو هريرةَ : « يَبْعَثُ ٱللَّهُ لِهَٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ عَلَىٰ رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا »[1] ، وهم هٰؤلاءِ الأئمَّةُ الذينَ كانُوا في كلِّ عصرٍ مِنْ أعصارِ أمتِهِ . . .) .

ثمَّ قالَ : (وحينَ كثُرَتِ المبتدعةُ في هٰذهِ الأمةِ) ، وذكرَ المعتزلةَ ، فعدَّ مساويَهُم فيما اعتقدُوهُ في المسائلِ التي خالفُوا أهلَ السنَّةِ فيها ، ثمَّ قالَ : (وزعمُوا أنَّ شيئاً مِنْ ذلكَ لا يستقيمُ في العقلِ . . أخرجَ اللهُ مِنْ نسلِ أبي موسى الأشعريِّ إماماً قامَ في نصرةِ دينِ اللهِ ، وجاهدَ بلسانِهِ وبيانِهِ مَنْ حادَ

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٩١) ، والحاكم (٤/ ٥٢٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

عن سبيلِ اللهِ[1] ، [وزادَ في التبيينِ لأهلِ اليقينِ أنَّ ما جاءَ بهِ الكتابُ والسنَّةُ ، وما كانَ عليهِ سلفُ هـٰذهِ الأمةِ . . مستقيمٌ على العقولِ الصحيحةِ والآراءِ ؛ تصديقاً لقولِهِ ، وتحقيقاً][2] لتخصيصِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قومَ أبي موسىٰ بقولِهِ : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ [المائدة : ٥٤] .

والخوضُ في علمِ الأصولِ وحَدَثِ العالَمِ ميراثُ أبي الحسنِ عن أجدادِهِ وأعمامِهِ ، الذينَ قَدِمُوا علىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . .) .

ثمَّ ذكرَ حديثَ عمرانَ بنِ حصينٍ ، ثمَّ قالَ : (وما ذلكَ على اللهِ بعزيزٍ أنْ يُوفِّقَ الشيخَ العميدَ أدامَ اللهُ تسديدَهُ للاجتهادِ في إزالةِ هـٰذهِ الفتنةِ ، والسعيِ في إخمادِ هـٰذهِ الثائرةِ ، مُوقِناً لما يقتفيهِ مِنَ الثناءِ الجميلِ ، وفي الآخرةِ مِنَ الأجرِ الجزيلِ)[3] .

* * *

(١) في « التبيين » : (من صدَّ) بدل (من حاد) .

(٢) ما بين معقوفين زيادة من « التبيين » (ص٢٣٢) .

(٣) انظر هـٰذه الرسالة مطولةً في « تبيين كذب المفتري » (ص٢٢٧ـ٢٣٦) ، وهي المسماة بـ « الرسالة الأشعرية » ، وكان سببُ تأليفها : تلبيةَ رسالة الإمام القشيري المُسمَّاةِ بـ « شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة » ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٩٥ـ٣٩٩) .

رسالة الإمام القشيري

« شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة »

في الثناء على أبي الحسن الأشعري والانتصار عنه

وقفتُ على رسالةٍ للأستاذِ جمالِ الإسلامِ أبي القاسمِ عبدِ الكريمِ بنِ هوازنَ القشيريِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، لم يتهيَّأْ لي أنْ أختصرَ منها شيئاً[1] ؛ لارتباطِ بعضِها ببعضٍ ؛ وهيَ[2] :

(الحمدُ للهِ المجزلِ في عطائِهِ ، المُجملِ في بلائِهِ ، العدلِ في قضائِهِ ، المكرمِ لأوليائِهِ ، المُنتقمِ مِنْ أعدائِهِ ، الناصرِ لدينِهِ ، بإيضاحِ الحقِّ وتبيينِهِ ، المُبيدِ للإفكِ وأهلِهِ ، المُجتثِّ للباطلِ مِنْ أصلِهِ ، فاضحِ البدعِ بلسانِ العلماءِ ، ومُمهلِ الغُواةِ حيناً غيرِ مُهْمِلِهم ، ومُجازِ كلاً غداً على مقتضى عملِهم .

نحمدُهُ على ما عرَّفَنا مِنْ توحيدِهِ ، ونستوفقُهُ على أداءِ ما كلَّفَنا مِنْ رعايةِ حدودِهِ ، ونستعصمُهُ مِنَ الخطأِ والخَطَلِ[3] ، والزيغِ والزَّلَلِ ، في القولِ والعملِ ، ونسألُهُ أنْ يُصلِّيَ على سيِّدِنا المصطفى ، وآلِهِ مصابيحِ الدُّجا ، وأصحابِهِ أئمَّةِ الورى .

(١) أي : أخذ هذه الرسالة من « التبيين » لابن عساكر كما هي ولم يتهيأ له أن يختصر منها شيئاً ، وإلا فهي مختصرة في « التبيين » ، وأوردها كاملة ابن السبكي في « طبقاته » كما سيأتي التنبيه عليه في (١/ ٣٣٦) .

(٢) قال الإمام ابن السبكي في « الطبقات » (٣/ ٣٩٩) : (وقد جالت هذه الرسالة في البلاد ، وانزعجت نفوس أهل العلم منها ، وقامَ كلٌّ منهم بحسب قوته) .

(٣) الخَطَل : المنطق الفاسد المضطرب .

هٰذهِ قصةٌ سمَّيناها : « شكايةَ أهلِ السنَّةِ ما حصلَ لهُم مِنَ المحنةِ » ، تُخبِرُ عن بَثَّةٍ مكروبٍ ، ونَفْثةِ مغلوبٍ ، وشرحِ مُلِمٍّ مؤلمٍ ، وذكرِ مُهِمٍّ مُوهنٍ ، وبيانِ خطبٍ فادحٍ ، وشرِّ سانحٍ[1] ، للقلوبِ جارحٍ ، رفعَها عبدُ الكريمِ بنُ هوازنَ القشيريُّ إلى العلماءِ والأعلامِ ، بجميعِ بلادِ الإسلامِ .

أمَّا بعدُ : فإنَّ اللهَ إذا أرادَ أمراً قدَّرَهُ ، فمَنْ ذا الذي أمسكَ ما يسَّرَهُ ، أو قدَّمَ ما أخَّرَهُ ، أو عارضَ حكمَهُ فغيَّرَهُ ، أو غلبَهُ على أمرِهِ فقهرَهُ ؟! كلا ، بل هوَ اللهُ الواحدُ القهَّارُ ، الماجدُ الجبَّارُ .

وممَّا ظهرَ ببلدةِ نيسابورَ مِنْ قضايا التقديرِ ، في مُفتتَحِ سنةِ خمسٍ وأربعينَ وأربعِ مئةٍ مِنَ الهجرةِ . . ما دعا أهلَ الدينِ إلى شَقِّ صدورِ صبرِهِم ، وكشفِ قناعِ ضُرِّهِم ، بل ظلَّتِ الملَّةُ الحنيفيَّةُ تشكو غليلَها[2] ، وتُبدي عويلَها ، وتنصبُّ عَزالي رحمةِ اللهِ على مَنْ يسمعُ شَكْوَها[3] ، وتُصغي ملائكةُ السماءِ حينَ تندُبُ شَجْوَها ؛ ذلكَ مِنْ لعنِ إمامِ الدينِ ، وسراجِ ذوي اليقينِ ، مُحيي السنَّةِ ، وقامعِ البدعةِ ، وناصرِ الحقِّ ، وناصحِ الخلقِ ، الزَّكيِّ الرَّضيِّ ، أبي الحسنِ الأشعريِّ ، قدَّسَ اللهُ روحَهُ ، وسقى بماءِ الرحمةِ ضريحَهُ .

وهوَ الذي ذبَّ عنِ الدينِ بأوضحِ حُجَجٍ ، وسلكَ في قَمْعِ المبتدعةِ وسائرِ أنواعِ المعتزلةِ أبينَ نَهَجٍ[4] ، واستنفدَ عُمرَهُ في النصحِ يفحصُ عنِ الحقِّ ، وأورثَ المسلمينَ بعدَ وفاتِهِ كُتُبَهُ الشاهدةَ بالصدقِ . . .) .

(١) تحتمل في (أ) : (سائح) بدل (سانح) .

(٢) في (ب) : (عليلها) ، وهي غير معجمة في (أ) ، والمثبت كما في « التبيين » و« طبقات الشافعية الكبرى » .

(٣) العَزَالي : جمع عَزْلاء ؛ وهي فم المزادةِ الأسفلُ .

(٤) كذا في (أ ، ب) ، والأوضح عبارة « التبيين » ؛ وهي : (وسلك في قمع المعتزلة وسائر أنواع المبتدعة أبينَ نهج) .

(ولمَّا مَنَّ اللهُ الكريمُ على أهلِ الإسلامِ بزمانِ السلطانِ المُعظَّمِ المُحكَّمِ ، بالقوَّةِ السماويَّةِ في رقابِ الأممِ ، الملكِ الأجلِّ شاهَان شاه[1] ، يمينِ خليفةِ اللهِ ، وغياثِ عبادِ اللهِ ؛ طُغْرُلْبَك أبي طالبٍ محمدِ بنِ ميكائيلَ ، وقامَ بإحياءِ السنَّةِ ، والمناضلةِ عنِ المِلَّةِ ، حتىٰ لم يُبْقِ مِنْ أصنافِ المبتدعةِ حزباً إلا سلَّ لاستئصالِهم سيفاً عَضْباً[2] ، وأذاقَهُم ذُلاً وخَسْفاً . . حَرِجَتْ صدورُ أهلِ البدعِ عن تحمُّلِ هٰذهِ النِّقَمِ ، وضاقَ صبرُهُم عن مقاساةِ هٰذا الألمِ ، ومُنُوا بلعنِ أنفسِهِم علىٰ رؤوسِ الأشهادِ بألسنتِهِم ، وضاقَتْ عليهِمُ الأرضُ بما رحُبَتْ ؛ بانفرادِهِم بالوقوعِ في مَهْواةِ محنتِهِم ، فسوَّلَتْ لهُم أنفسُهُم أمراً ، فظنُّوا أنَّهُم [بنوعِ] تخنيسٍ ، أو ضربِ تدليسٍ[3] يجدونَ لعسرِهِم يُسراً .

فسَعَوْا إلىٰ عالي مجلسِ السلطانِ بنوعِ نميمةٍ ، ونسبُوا [الأشعريَّ] إلىٰ مذاهبَ ذميمةٍ ، وحكَوْا عنهُ مقالاتٍ لا يُوجَدُ في كتبِهِ منها حرفٌ ، ولم يُرَ في المقالاتِ المُصنَّفةِ للمُتكلِّمينَ المُوافقينَ والمخالفينَ مِنْ وقتِ الأوائلِ إلىٰ زماننا هٰذا لشيءٍ منها . . حكايةٌ ولا وصفٌ ، بل كلُّ ذلكَ تصويرٌ بتزويرٍ ، وبُهتانٌ بغيرِ تقريرٍ . . .) .

(وما نَقَمُوا مِنَ الأشعريِّ إلا أنَّهُ قالَ بإثباتِ القَدَرِ للهِ ؛ خيرِهِ وشرِّهِ ، نفعِهِ وضرِّهِ ، وإثباتِ صفاتِ الجلالِ للهِ تعالىٰ ؛ مِنْ قدرتِهِ وعلمِهِ وإرادتِهِ وحياتِهِ وبقائِهِ وسمعِهِ وبصرِهِ وكلامِهِ ووجهِهِ ويدِهِ ، وأنَّ القرآنَ كلامَ اللهِ غيرُ مخلوقٍ ،

(١) **ومعناه** : ملك الأملاك ، **وأول من تسمَّىٰ به** : أبو شجاع بن ركن الدولة البُوَيهي ، **وقد اختلفت أئمة الشافعية في التلقيب به** ؛ فجوَّزه القاضي أبو الطيب الطبري صاحب « التعليقة » ، وحرَّمه القاضي أبو الحسن الماوردي صاحب « الحاوي » ، **وهو المعتمد** . انظر « المجموع » (٨/ ٤٣٧) ، و« فتاوى ابن الصلاح » (٨٠ ـ ٨١) .

(٢) **السيف العَضْب** : القاطع .

(٣) في نسختينا زيادة : (لا) ، والمثبت من « التبيين » ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » .

وأنَّهُ تعالىٰ موجودٌ تجوزُ رؤيتُهُ ، وأنَّ إرادتَهُ نافذةٌ في مُراداتِهِ ، وما لا يخفىٰ مِنْ مسائلِ الأصولِ التي تُخالِفُ طريقُهُ طريقَ المعتزلةِ والجسميَّةِ فيها . . .) .

(معاشرَ المسلمينَ ؛ الغياثَ الغياثَ ، سَعَوا في إبطالِ الدينِ ، ورامُوا هدمَ قواعدِ المسلمينَ ، وهيهاتَ هيهاتَ ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾ [التوبة : ٣٢] !![1] ، وقد وعدَ اللهُ للحقِّ نصرَهُ وظهورَهُ ، وللباطلِ مَحْقَهُ وثبورَهُ ، إلا أنَّ كتبَ الأشعريِّ في الآفاقِ مبثوثةٌ ، ومذاهبَهُ عندَ أهلِ السنَّةِ مِنَ الفريقينِ معروفةٌ ؛ فمَنْ وصفَهُ بالبدعةِ علىٰ علمٍ أنَّهُ غيرُ مُحِقٍّ في دعواهُ[2] . . فجميعُ أهلِ السنَّةِ خصمُهُ فيما افتراهُ . . .) .

ثمَّ ذكرَ أربعَ مسائلَ شُنِّعَ بها عليهِ ، وبيَّنَ وذكرَ براءةَ ساحتِهِ فيما نُسِبَ منها إليهِ[3] .

ثمَّ قالَ : (ولمَّا ظهرَ ابتداءُ هٰذهِ الفتنةِ بنيسابورَ وانتشرَ في الآفاقِ خَبَرُهُ ، وعظُمَ علىٰ قلوبِ الكافَّةِ مِنْ أهلِ السنَّةِ والجماعةِ أَثَرُهُ ، ولم يبعدْ أنْ يُخامِرَ قلوبَ بعضِ أهلِ السلامةِ والوداعةِ توهُّمٌ في بعضِ هٰذهِ المسائلِ ؛ أنْ لعلَّ الإمامَ أبا الحسنِ عليَّ بنَ إسماعيلَ الأشعريَّ قالَ ببعضِ هٰذهِ المقالةِ في بعضِ كتبِهِ ، ولقد قيلَ : « مَنْ يسمعْ يَخَلْ »[4] . . أثبتْنا هٰذهِ الفصولَ في شرحِ هٰذهِ الحالةِ ، وأوضحْنا صورةَ الأمرِ بذكرِ هٰذهِ الجملةِ ؛ ليضربَ كلُّ مَنْ كانَ مِنْ أهلِ السنَّةِ إذا وقفَ عليها بسهمِهِ في الانتصارِ لدينِ اللهِ ؛ مِنْ دعاءٍ يُخلِصُهُ ، واهتمامٍ يصدقُهُ ، وكَلٍّ عن قلوبِنا بالاستماعِ إلىٰ هٰذهِ القصةِ يحملُهُ ، بل ثوابِ

(١) في (أ ، ب) : (ليطفئوا) .

(٢) في « التبيين » : (فمن وصفه بالبدعة . . علم أنه غير محق) .

(٣) انظر هٰذه المسائل في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٤٠٦ـ٤٢٢) .

(٤) أي : من يسمع بشيء يظنه حقيقة وصحيحاً . انظر « جمهرة الأمثال » (٢/ ٢٦٣) ، و« مجمع الأمثال » (٢/ ٣٠٠) .

مِنَ اللهِ تعالىٰ على التوجُّعِ بذلكَ يستوجبُهُ ، واللهُ غالبٌ علىٰ أمرِهِ ، ولهُ الحمدُ علىٰ ما يُمضيهِ مِنْ أحكامِهِ ويُبرِمُهُ ، ويقضيهِ مِنْ أفعالِهِ فيما يُؤخِّرُهُ ويُقدِّمُهُ .

وصلواتُهُ علىٰ سيِّدِنا المصطفىٰ وعلىٰ آلِهِ وسلَّمَ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ)[1] .

فلو لم يكنْ شاهدٌ علىٰ فضلِ أبي الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ إلا هٰذانِ الإمامانِ ، اللذانِ أحدُهما مَلِكُ رُواةِ الحديثِ ؛ حديثِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، والآخَرُ مَلِكُ علماءِ المعارفِ والصوفيَّةِ ؛ الإمامُ أبو بكرٍ البيهقيُّ ، والإمامُ أبو القاسمِ عبدُ الكريمِ بنُ هوازنَ القشيريُّ . . لكانا كافيينِ ؛ فقد رأيتَهُما لفضلِهِ مُثْبِتَينِ ، ولفضلِ مناوئِهِ نافيَينِ .

* * *

(١) أورد المؤلف هٰذه الشكاية مختصرةً علىٰ نحو ما في « تبيين كذب المفتري » (ص٢٤١ـ٢٥٦) ، وأوردها بطولها ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ٣٩٩ـ٤٢٢) ، وسيُشير إليها المؤلف في (٢/ ٤٩٢) .

خطوط الأئمة في مدح أبي الحسن الأشعري
وفي حكم من طعن فيه أو سبّه

وقد قالَ الحافظُ ثقةُ الدينِ ابنُ عساكرَ رحمَهُ اللهُ : (دفعَ لي عبدُ الواحدِ بنُ عبدِ الماجدِ بنِ عبدِ الواحدِ بنِ عبدِ الكريمِ بنِ هوازنَ القشيريُّ النيسابوريُّ بدمشقَ . . مكتوباً بخطِّ جدِّهِ الإمامِ أبي القاسمِ القشيريِّ ، وأنا أعرفُ خطَّهُ ، فوجدتُ فيهِ :

« بسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ ، اتَّفقَ أصحابُ الحديثِ : أنَّ أبا الحسنِ عليَّ بنَ إسماعيلَ الأشعريَّ كانَ إماماً مِنْ أئمَّةِ أصحابِ الحديثِ ، تكلَّمَ في أصولِ الديانات على طريقةِ أهلِ السنَّةِ ، وردَّ على المخالفينَ مِنْ أهلِ الزيغِ والبدعةِ ، وكانَ على المعتزلةِ والرافضةِ والمبتدعينَ مِنْ [أهلِ القبلةِ الخارجينَ عن] المِلَّةِ سيفاً مسلولاً ، ومَنْ طعنَ فيهِ أو قدحَ ، أو لعنَهُ أو سبَّهُ . . فقد بسطَ لسانَ السوءِ في جميعِ أهلِ السنَّةِ .

بذَلْنا خُطوطَنا بذلكَ طائعينَ في هٰذا الذكرِ ، في ذي القعدةِ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وأربعِ مئةٍ ، والأمرُ على هٰذهِ الجملةِ المذكورةِ فيهِ ، وكتبَ : عبدُ الكريمِ بنُ هوازنَ القشيريُّ » .

وفيهِ بخطِّ أبي عبدِ اللهِ الخبَّازيِّ المقرئِ : « كذلكَ يعرفُهُ محمدُ بنُ عليٍّ الخبَّازيُّ ، وهٰذا خطُّهُ » .

وفيهِ بخطِّ الإمامِ أبي محمدٍ الجُوَينيِّ : « الأمرُ على هٰذهِ الجملةِ المذكورةِ فيهِ ، وكتبَ : عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ الجوينيُّ » .

وبخطِّ أبي الفتحِ الشاشيِّ : « الأمرُ على الجملةِ التي ذُكِرَتْ ، وكتبَ : نصرُ بنُ محمدٍ الشاشيُّ بخطِّهِ » .

وبخطٍّ آخرَ : « الأمرُ على هٰذهِ الجملةِ المذكورةِ فيهِ ، وكتبَهُ : عليُّ بنُ أحمدَ الجُوَينيُّ » .

وبخطِّ أبي الفتحِ العُمَريِّ الهرويِّ الفقيهِ : « الأمرُ على الجملةِ [المذكورةِ فيهِ ، وكتبَهُ : ناصرُ بنُ الحسينِ بخطِّهِ » .

وبخطِّ الأيوبيِّ : « الأمرُ على الجملةِ] التي ذُكِرَتْ فيهِ ، وكتبَهُ : أحمدُ بنُ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ أبي أيوبَ بخطِّهِ » .

وبخطِّ أخيهِ : « الأمرُ على هٰذهِ الجملةِ المذكورةِ فيهِ ، وكتبَ : عليُّ بنُ محمدِ ابنِ أبي أيوبَ » .

وبخطِّ الإمامِ أبي عثمانَ الصابونيِّ : « الأمرُ على الجملةِ المذكورةِ فيهِ ، وكتبَ : إسماعيلُ بنُ عبدِ الرحمٰنِ الصابونيُّ » .

وبخطِّ ابنِهِ أبي نصرٍ الصابونيِّ : « الأمرُ على الجملةِ المذكورةِ صدرَ هٰذا الذكرِ ، وكتبَ : عبدُ اللهِ بنُ إسماعيلَ الصابونيُّ » .

وبخطِّ الشريفِ البكريِّ : « الأمرُ على ما ذكرَ دَرَجُ هٰذا الذكرِ[1] ، وكتبَ : عليُّ بنُ الحسنِ البكريُّ بخطِّهِ » .

وبخطٍّ آخرَ : « هوَ إمامٌ مِنْ أئمَّةِ أصحابِ الحديثِ ، الأمرُ على ما وُصِفَ في هٰذا الذكرِ ، وكتبَهُ : محمدُ بنُ الحسنِ بيدِهِ » .

وبخطِّ أبي الحسنِ المُلْقاباذيِّ : « أبو الحسنِ رحمةُ اللهِ عليهِ إمامٌ مِنْ أئمَّةِ أصحابِ الحديثِ ، ورئيسٌ مِنْ رؤسائِهِم في أصولِ الدينِ ، وطريقتُهُ طريقةُ

(١) الدَّرَج : الذي يكتب فيه .

السنَّةِ والجماعةِ ، ودينُهُ واعتقادُهُ مَرْضِيٌّ عندَ الفريقينِ ، وكتبَهُ : عليُّ بنُ محمدٍ المُلْقاباذيُّ بخطِّهِ » .

وبخطِّ عبدِ الجبَّارِ الإسفراينيِّ بالفارسيةِ : « اين بو الحسن ابن أشعري آن إمام است كخداوند بذ عزَّ وجلَّ اين آيت درشأن وي فرستاد ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة : ٥٤] ، ومصطفىٰ عليه السلام درآن وقت بجد وي اشارت كردِ بو موسىٰ أشعري » ؛ فقالَ : (هُمْ قَوْمُ هَـٰذَا)[1] ، وكتبَهُ : عبدُ الجبَّارِ بنُ عليِّ بنِ محمدٍ الإسفراينيُّ بخطِّهِ »[2] .

وبخطِّ ابنِهِ : « وهكذا يقولُ محمدُ بنُ عبدِ الجبارِ »)[3] .

فكفىٰ بهـٰذا الذكرِ ذكراً لهُ ولقومِهِ ، وشرفاً في أمسِهِ يبقىٰ بعدَهُ كجِدَّةِ يومِهِ .

[ثناءُ الإمامِ أبي الحسنِ القابسيِّ القيروانيِّ]

وممَّنْ أثنىٰ علىٰ أبي الحسنِ الأشعريِّ : الإمامُ أبو الحسنِ القابسيُّ رحمَهُ اللهُ ، صنَّفَ رسالةً في أبي الحسنِ الأشعريِّ خاصَّةً أثنىٰ فيها عليهِ ، وهيَ متداولةٌ معروفةٌ عندَهُم بالمغربِ[4] .

وممَّنْ أثنىٰ عليهِ : أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمدِ بنِ القاضي القيروانيُّ[5] ،

(١) سبق تخريجه (١/ ٣٢٠) .

(٢) وتفسير قول عبد الجبار ـ كما في « تعليقات الكوثري على التبيين » (ص٢٥٩) ـ : (أبو الحسن الأشعري هـٰذا إمام أنزل الله عز وجل في شأنه هـٰذه الآية : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ وأشار المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم لمَّا نزلت إلىٰ جده أبي موسى الأشعري وقال : « هم قومُ هـٰذا ») .

(٣) تبيين كذب المفتري (ص٢٥٧ـ٢٥٩) .

(٤) وسيذكر المؤلف بعد قليل قطعة من هـٰذه الرسالة نقلاً عن « تبيين كذب المفتري » .

(٥) كذا في (أ ، ب) ، وهو أبو الحسن القابسي السابق ، ولعل المؤلف ظنهما شخصين ، =

وهوَ مِنْ كبارِ المالكيةِ ، وقد سألَهُ بعضُ أهلِ تونسَ ، فكانَ في جوابِهِ أنْ قالَ : (واعلمُوا : أنَّ أبا الحسنِ الأشعريَّ رحمَهُ اللهُ لم يأتِ مِنْ هٰذا الأمرِ ـ يعني : علمَ الكلامِ ـ إلا ما أرادَ بهِ إيضاحَ السننِ ، والتنقيبَ عليها[1] ، ودفعَ الشبهِ عنها ، فهمَهُ مَنْ فهمَهُ بفضلِ اللهِ عليهِ ، وخفيَ عمَّنْ خفيَ بقَسْمِ اللهِ لهُ ، وما أبو الحسنِ إلا واحدٌ مِنَ القائمينَ بنصرِ الحقِّ ، ما سمعْنا مِنْ أهلِ الإنصافِ مَنْ أخَّرَهُ عن رتبةِ ذلكَ ، ولا مَنْ يُؤثِرُ عليهِ في عصرِهِ غيرَهُ ، ومَنْ بعدَهُ مِنْ أهلِ الحقِّ سلكُوا سبيلَهُ في القيامِ بأمرِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، والذبِّ عن دينِهِ حسبَ اجتهادِهِم)[2] .

= والله تعالىٰ أعلم . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٢٧١ـ٢٧٢) .

(١) في « التبيين » : (والتثبيت عليها) .

(٢) انظر هٰذه القطعة في « تبيين كذب المفتري » (ص٢٧٢) ، ومدحُهُ الإمامَ الأشعري وثناؤه عليه كان عن دراية تامة وخبرة وافرة بمعتقده ، وخصوصاً عندما قال في نهاية القطعة الثانية : (فما عرفه ـ أي : الأشعريَّ ـ من وصفه بغير هٰذا) كما في « التبيين » (ص٢٧٢) ، فإذا عرفتَ ذلك علمتَ أن ما قاله السِّجْزي في « رسالته لأهل زبيد » (ص٣٤٧ـ٣٥٢) كلامٌ خطابي مُجرَّدٌ عن الدليل وبعيدٌ عن الصحة ، وقال الإمام الكوثري عن « رسالة القيرواني » في تعليقه على « التبيين » : (ينسب إليه في « رسالته » في مذهب مالك لفظة يتسارع إلىٰ نقلها شيوخ الحشوية ، ظنّاً منهم أنه علىٰ معتقدهم ، مع أن شرَّاحها من أئمة المالكية مطبقون علىٰ أنها إما مدسوسة ، أو من قبيل الاحتراس بالرفع ؛ أي : المجيد بذاته ، لا بالخدم والخول ، راجع ابن الفاكهاني والأُبّي ، وأهلُ مذهب الرجل أعلم بمذهبه) .

وقال أبو جعفر اللَّبْلي في « فهرسته » (ص٨٠ ـ٨١) في حق السِّجْزي هٰذا : (وكذلك اللعين المعروف بالسِّجْزي ؛ فإنه تصدَّىٰ أيضاً للوقوع في أعيان الأئمة ، وشرع بتأليفٍ تالف ، وهو علىٰ قلة مقداره وكثرة عَواره ينسب أئمة الحقائق وأحبار الأمة وبحور العلوم إلى التلبيس والمراوغة والتدليس ، وهٰذا الرذل الخسيس أحقرُ من أن يكترث به ذو لب ، ولا يُغيِّرُ البحرَ الخِضَمَّ ولغةُ كلب) ، ومن وقف علىٰ « رسالته لأهل زبيد » أدرك حقيقة ما وصمه وذمَّه به الإمام اللَّبلي رحمه الله تعالىٰ ، وانظر تعليقات الإمام الكوثري على « السيف الصقيل » (ص٢١ـ٢٢) .

[ثناءُ الإمامِ ابنِ أبي زيدٍ القيروانيِّ]

وممَّنْ أثنىٰ عليهِ مِنَ المالكيَّةِ : الشيخُ الإمامُ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ أبي زيدٍ القَيْروانيُّ حينَ أجابَ عليَّ ابنَ إسماعيلَ المعتزليَّ ؛ فقالَ في أثناءِ الجوابِ عن أبي الحسنِ : (هوَ رجلٌ مشهورٌ أنَّهُ يردُّ علىٰ أهلِ البدعِ وعلى القَدَريَّةِ والجهميَّةِ[1] ، مُتمسِّكٌ بالسننِ)[2] .

[ثناءُ الإمامِ القاضي أبي المعالي شَيْذَلَهْ]

وممَّا وصفَهُ بهِ أبو المعالي بنُ عبدِ الملكِ المعروفُ بـ (شَيْذَلَهْ) القاضي بعدَ ذكرِهِ ؛ فقالَ : (فأظهرَ الحقَّ ونصرَهُ ، ودحضَ الباطلَ ودحرَهُ ، وأعلىٰ معالمَ الدينِ ، وأقامَ دعائمَ اليقينِ ، وصنَّفَ كتباً هيَ في الآفاقِ مشهورةٌ معروفةٌ ، وعندَ المُخالِفِ والمُؤالِفِ مُثبتَةٌ موصوفةٌ ، فلم تزلْ وجوهُ الدينِ بحمايتِهِ مكشوفةَ القناعِ ، وأيدي الشريعةِ بعِزَّتِهِ ممدودةَ الباعِ ، وكلمةُ البدعِ مُنقمِعةَ الأمرِ ، وشُبَهُ الباطلِ مُنقصِمةَ الظهرِ ، إلىٰ أنْ ماتَ رحمَهُ اللهُ)[3] .

[ثناءُ الإمامِ ضياءِ الدينِ أبي القاسمِ الرازيِّ والدِ الفخرِ]

وممَّنْ أثنىٰ عليهِ ، وتبجَّحَ بانتمائِهِ إليهِ : الإمامُ الزاهدُ ضياءُ الدينِ شمسُ الإسلامِ شرفُ الخطباءِ ؛ أبو القاسمِ عمرُ بنُ الحسينِ بنِ الحسنِ المكِّيُّ ـ نوَّرَ اللهُ ضريحَهُ ـ في كتابِهِ الذي سمَّاهُ : « نهايةَ المرامِ في درايةِ الكلامِ » فقالَ في آخرِهِ :

(١) في « التبيين » : (القدرية الجهمية) .

(٢) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٢٧٢ـ٢٧٣) .

(٣) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٢٩٥) .

(خاتمةٌ : في فضائلِ الأشعريينَ رضيَ اللهُ عنهُم) أوَّلُها : (إنَّ أَوْلىٰ ما جُرِّدَ لهُ الرأيُ الجزمُ ، وقُصِرَ عليهِ العزمُ والحزمُ ، وصُرِفَتْ إليهِ أعنَّةُ الاعتناءِ ، وانتُحِلَ لهُ لُبابُ الارتيادِ والارتياءِ في هٰذا المقامِ ، بعدَما رتَّبناهُ مِنَ الكلامِ . . ذكرُ ما وردَ بهِ الشارعُ مِنَ الثناءِ والإيماءِ إلىٰ فضائلِ شيخِنا أبي الحسنِ عليِّ بنِ إسماعيلَ . . .) وذكرَ نسبَهُ .

ثمَّ قالَ : (قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ . . . ﴾ الآية [المائدة : ٥٤] ، قالَ عليٌّ والحسنُ وقتادةُ والضحاكُ وابنُ جريجٍ : هوَ أبو بكرٍ وأصحابُهُ الذينَ قاتلُوا أهلَ الردَّةِ مانعي الزكاةِ ، وقالَ مجاهدٌ وشريحٌ وعياضٌ الأشعريُّ : [هم قومُ أبي موسى الأشعريِّ مِنْ أهلِ اليمنِ] ؛ وذلكَ أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أومأَ بيدِهِ إلىٰ أبي موسىٰ لمَّا نزلَتْ هٰذهِ الآيةُ ، وقالَ : « هَـٰؤُلَآءِ مِنْ قَوْمِ هَـٰذَا »)[1] .

ثمَّ قالَ : (وكانَ مشايخُ السلفِ يقولُونَ : نصرَ اللهُ هٰذا الدينَ وأعانَهُ بأبي الحسنِ الأشعريِّ وأحمدَ ابنِ حنبلٍ رحمَهُما اللهُ ؛ فإنَّهُ لمَّا تغيَّرَ الحالُ ، وظهرَ الاعتزالُ ، وهاجَتِ الفتنُ ، وماجَتِ الإحَنُ[2] ، وضربَتِ البدعةُ بجِرانِها[3] ، واستقلَّتِ الأهواءُ بأركانِها[4] ، وأصبحَ الفِئامُ بل أكثرُ العوامِّ مائلةً إلى العنادِ[5] ، زائلةً عنِ السدادِ ، مُنكَّبةً عنِ الصوابِ والسدادِ[6] ، حتىٰ أدَّتْهُمُ

(١) انظر هٰذه الأقوال في « تفسير الطبري » (١٠/ ٤١١ـ٤١٦) .

(٢) الإحَن : جمع إحْنة ؛ وهي العداوة والحقد .

(٣) ضربت البدعة بجِرانها : ثبتت واستقرَّت ، ويقال : ألقىٰ فلان علىٰ هٰذا الأمر جِرانَهُ ؛ إذا وطَّن عليه نفسه ، والجِران في الأصل : مقدم عنق البعير من مذبحه إلىٰ منحره .

(٤) في « نهاية المرام » زيادة : (وجمحت الضلالة في عنانها ، وتمادت الجهلة في طغيانها) .

(٥) الفِئام : الجماعة من الناس .

(٦) العبارة في « نهاية المرام » : (عن السداد ، مُنكَّبة عن الصواب والرشاد) .

الغَوايةُ والعَمايةُ إلى التمادي في فتنٍ صوَّرُوها ، وشبهٍ رتَّبُوها ، وبدعٍ ارتكبُوها ، وآثامٍ احتقبُوها[1] . . كشفَ اللهُ على أيدي هؤلاءِ الأبرارِ الأخيارِ تلكَ الغَيَاياتِ[2] ، وأنقذَ الإسلامَ والمسلمينَ مِنْ تلكَ النَّكاياتِ ، ووفَّقَهُم لاقتفاءِ الأثرِ فيها ، وأحرزَ لهُم ذخرَ المقامِ في تلافيها ، فأحسنَ اللهُ جزاءَهُم مِنْ مجتهدٍ مُفلحٍ ، وساعٍ للخيرِ مُنجحٍ ؛ فقد نعشُوا الأمرَ بعدَ إشفائِهِ[3] ، وتداركُوهُ في آخرِ ذَمَائِهِ[4] ، وأقرُّوهُ في حقيقةِ نصابِهِ ، وأعادُوهُ بعدَ تولِّيهِ وذهابِهِ .

فأمَّا أحمدُ ابنُ حنبلٍ رحمَهُ اللهُ : فبإبائِهِ وامتناعِهِ عنِ القولِ بخلقِ القرآنِ حينَ أُكرِهَ على ذلكَ . . .) .

وذكرَ قصتَهُ معَ الواثقِ إلى آخرِها ، ثمَّ ذكرَ إكرامَ المُتوكِّلِ لهُ وإطلاقَهُ ، ودفعَ ما أسَّسَهُ الواثقُ مِنَ البدعِ ، وأنَّهُ رُئِيَ في المنامِ فقيلَ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : غفرَ لي بإعزازِ السنَّةِ وقمعِ البدعةِ .

قلتُ : وهٰذهِ الحكايةُ ذكرَها الحافظُ أبو نعيمٍ في « الحليةِ » مسندةً مُستوعَبةً ، وكذلكَ ذكرَها غيرُهُ[5] .

(وأمَّا أبو الحسنِ الأشعريُّ رحمَهُ اللهُ : فإنَّهُ لمَّا ظهرَ الاعتزالُ ، وخفوقُ رايةِ الضلالِ ؛ بأنَّ طائفةً نبغتْ بينَ المسلمينَ[6] ، مُلطَّخةً بأضاليلِ الهوى وأباطيلِ النُّهى ، وقصدُوا إبداءَ باديةِ الوفاقِ ، وإجلاءَ خافيةِ النفاقِ

(١) احتقبوها : اكتسبوها .

(٢) الغيايات : جمع غَيَاية ؛ وهي كل ما أظلَّ الإنسان من فوق رأسه ؛ كالسحابة والغبرة والظلمة .

(٣) أي : بعد إشرافه على الهلاك .

(٤) الذَّمَاء : الحركة ، أو بقية الروح في المذبوح .

(٥) أخرجها أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩/١٨٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥/٣٤٠) .

(٦) في « نهاية المرام » : (وأن) بدل (بأن) .

والشقاقِ ، بانتحالِهم كذا وكذا . . .) .

وذكرَ بدعَ المعتزلةِ وغيرِهم إلى أنْ قالَ : (وغيرُ ذلكَ مِنَ التحكُّماتِ التي تأباها العقولُ ، ولا يرضاها الشرعُ المنقولُ ، ويستزلُّونَ قَدَمَ العوامِّ المغترِّينَ بمزخرفاتِ الكلامِ مِنْ شُبَهٍ زيَّنُوها ، وتمويهاتٍ زخرفُوها ؛ فلمَّا استشعرَ شيخُنا أبو الحسنِ تماديَهُم في الضلالاتِ ، وانهماكَهُم في الغَواياتِ والجهالاتِ . . طَفِقَ يكشفُ للناس مراوغاتِهم بالدلائلِ الواضحةِ ، والبراهينِ اللائحةِ .

فلمَّا بدتْ للخاصَّةِ والعامَّةِ عوراتُهُم وفضائحُهُم ، ومُماراتُهُم وقبائحُهم ، ودفائنُ صدورِهِم مِنْ حيثُ الاعتقادُ ، وما انتحلُوهُ مِنَ الإصرارِ على الفسادِ . . احتالُوا لرفعِ الانهتاكِ ، وقصدُوهُ بالإهلاكِ بوجوهِ المكايدِ والمصايدِ ، وما أبقَوْا فيها باقيةً ، ولكنَّ اللهَ تعالى جعلَ لهُ مِنْ جميلِ صنعِهِ جُنَّةً واقيةً[1] ، ففلَّ دونَهُ مخالبَ مطرورةً[2] ، وأوهاماً عن مَساءتِهِ مقصورةً .

غيرَ أنَّ المعتزلةَ لمَّا اشتدَّتْ شوكتُهُم ، واستحكمَتْ شكيمتُهُم ؛ فمِنِ ازدحامِ العوامِّ ، اعتاصَ عليهِ المقامُ ، معَ ذلكَ الفِئامِ . . فانحازَ عنهُم بالخروجِ عنِ البصرةِ ، مُرتقِباً مِنَ اللهِ النصرةَ ، فكانَ يتعبَّدُ اللهَ تعالى عشرينَ سنةً في أكنافِ الأقطارِ ، وزوايا الأمصارِ ، مُتوارياً عنِ العيونِ والأبصارِ ، [مُحتجباً عنِ الضمائرِ والأفكارِ] ، مُترصِّداً لتحقيقِ ما وعدَ الملكُ الجبَّارُ ، ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [النور : ٤٤] .

حتى وفَّقَ اللهُ أميراً مِنْ أمراءِ العربِ لإحياءِ الدينِ ، والإخناءِ على المُكذِّبينَ[3] ، وثبَ عليهِم وُثوبَ الأُسودِ ، وتركَهُم كالزرعِ المحصودِ ،

(١) الجُنَّة في الأصل : ما استُتر به من سلاح .

(٢) المطرورة : المحدَّدة .

(٣) الإخناء : الإهلاك .

وجعلَهُم كالرميمِ ، وحطَمَهُم حَطْمَ الهشيمِ ، حتىٰ شربُوا مِنَ الحميمِ شُرْبَ الهِيمِ[1] .

فلمَّا ضاقَ بِهمُ المجالُ ، بل تحكَّمَتْ فيهِمُ الآجالُ . . دعاهُ إلى البصرةِ إرغاماً للحُسَّادِ ، وإصلاحاً للفسادِ ، فعادَ رحمَهُ اللهُ مِنْ غربتِهِ ، إلىٰ تربتِهِ ومنبتِ شُعبتِهِ ، وإلى اللهِ تعالىٰ رغبتُهُ للوفاءِ بعهودِهِ ، والوقوفِ علىٰ مناهجِ الإسلامِ وحدودِهِ ، والانتهاءِ في لمِّ الشَّعَثِ وإعلاءِ الدينِ ، وابتدارِ شوارقِ اليقينِ ؛ بإعادةِ الماءِ إلىٰ ذابلِ عودِهِ ، وإعاذةِ زبدِهِ مِنْ وصمَةِ صُلودِهِ[2] ، وإبداءِ ما يتقوَّىٰ بهِ الإسلامُ والمسلمونَ ، وإظهارِ دينِهِ على الدينِ كلِّهِ ولو كرهَ المشركونَ .

فلمَّا أشرقَتْ صفحتا الظَّفَرِ ؛ إشراقَ الشمسِ والقمرِ ، بجدِّهِ العالي ، وزِنْدِهِ الواري ، وطائرِهِ الأيمنِ ، وطالعِهِ الأسْعَدِ . . تضعضعَ بقوَّتِهِ أركانُ البدعِ والاعتزالِ ، وتصدَّعَ بحُجَجِهِ شملُ الضلالِ ، علىٰ ما شَحَنَّا بهِ هـٰذا الكتابَ ، ورتَّبْنا فيهِ مِنَ الأبوابِ ، فتبارَكَ مَنْ أعفىٰ بهِ أئمَّةَ زمانِهِ ، وكانُوا يُهاجرُونَ إليهِ ، ويعتمدُونَ عليهِ ، ويعتدُّونَ بهِ ، ويستفيدونَ منهُ إبطالَ الشُّبُهاتِ ، وحلَّ السؤالاتِ والمعضلاتِ) .

ثمَّ حكىٰ عنِ الأستاذِ أبي إسحاقَ الإسفراينيِّ رحمَهُ اللهُ قالَ : (رأيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ علىٰ يمينِهِ شابٌّ أصفرُ اللونِ نحيفُ البدنِ ، وعلىٰ يسارِهِ شيخٌ بَهِيٌّ ، تعلُوهُ الحمرةُ والبهاءُ ، فأشارَ إليَّ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وقالَ : « يا أبا إسحاقَ ؛ مَنْ أرادَ أنْ يستطرقَ طريقةَ الحقِّ في الفروعِ . . فعليهِ بمذهبِ هـٰذا » ، وأشارَ إلى الشابِّ ، « ومَنْ أرادَ أنْ يستطرقَ طريقةَ

(١) الهِيم : الإبل العطاش .

(٢) صُلوده : صلابته ويبوسته .

الحقِّ في الأصولِ . . فعليهِ بمذهبِ هـٰذا » ، وأشارَ إلى اليسارِ .

فسألتُ بعضَ الحاضرينَ عنهُما ، فقالَ : **الذي عن يمينِهِ الشافعيُّ** رضيَ اللهُ عنهُ ، **والذي عن يسارِهِ أبو الحسنِ الأشعريُّ** رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ)[1] .

[. . .] فلو لم [. . .][2] .

* * *

(١) نهاية المرام (ص٦٥٥ـ٦٦٥) ، وفيه اختلاف يسير وزيادات قليلة أشرت إلى بعضها في الهامش ، ولم أشر إلى تحريفات محقق « النهاية » لكثرتها ، **ويلاحظ من خلال هـٰذه القطعة** : أسلوبُ ضياء الدين الرازي الفصيحُ البليغ ، وقد قال ابن السبكي عنه في « طبقاته » (٧/ ٢٤٢) : (**وكان فصيح اللسان** ، قويَّ الجَنان ، فقيهاً أصولياً ، متكلِّماً صوفياً ، خطِيباً محدِّثاً أديباً ، **له نثر في غاية الحسن** ، يكاد يحكي ألفاظ « مقامات الحريري » في حسنه وحلاوته ورشاقة سجعه ، **ومن نظر كتابه « غاية المرام »** ـ ويقال له : « نهاية المرام » ـ **وجد برهان ذلك**) .

(٢) ما بين معقوفين بياض في (أ) ، وبعد الكلام السابق في « نهاية المرام » أورد مؤلفه رحلة الإمام المتكلم أبي عبد الله بن خفيف إلى الإمام أبي الحسن الأشعري رحمهما الله تعالى ، وسيأتي ذكر مقتطفات منها في ترجمته (١/ ٣٥٧ـ ٣٦٠) .

فصل

في ذكر مصنفات الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى

وممَّا يُستدَلُّ بهِ على فضلِ العالمِ : تصانيفُهُ في العلومِ الشرعيَّةِ ، وتواليفُهُ الجامعةُ بينَ الأدلَّةِ العقليَّةِ والسمعيَّةِ ، وقدِ اشتَهَرَتْ عنِ الإمامِ أبي الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ تصانيفُ في التفسيرِ والفقهِ تلقَّاها الناسُ بالقَبولِ ، وكتبٌ ألَّفَها في علمِ الأصولِ[1] ، نفعَ اللهُ الكافَّةَ بها لحسنِ اعتقادِهِم ورجوعِهِم إلى الحقِّ ، كما ضرَّ غيرَهُم مِنَ الجهلةِ سوءُ عنادِهِم وعدولُهُم عنِ الصدقِ .

وأجمعَ أهلُ السنَّةِ مِنْ علماءِ المشرقِ والمغربِ على إمامتِهِ ، وتواردُوا على الارتواءِ مِنْ صَوْبِ غَمامتِهِ ، واتَّفقُوا على تلقِّي كلامِهِ بالقَبولِ وعدمِ الانتقادِ ؛ لِمَا أُجمِعَ لهُ مِنْ صحةِ المذهبِ والاعتقادِ ، واتَّخذُوا كلامَهُ في علمِ الأصولِ كنصوصِ علماءِ أئمَّةِ الفروعِ ؛ يُطرِّزُونَ بهِ وَشْيَ تصانيفِهِم ، ويُعْلِمُونَ بهِ حُلَلَ مجاميعِهِم وتواليفِهِم ، وهم على ذلكَ عصراً بعدَ عصرٍ بمذهبِهِ يقتدُونَ ، وفي ظُلَمِ المشكلاتِ يستضيئُونَ بكلامِهِ الذي هوَ أظهرُ مِنَ النجمِ وبالنجمِ هم يهتدُونَ .

فمِنْ تصانيفِهِ : كتابُهُ المُلقَّبُ بـ « المحررِ في تفسيرِ القرآنِ العظيمِ »[2] ، نقلَ الحافظُ ابنُ عساكرَ في « كتابِهِ » قالَ : (ذكرَ لي بعضُ أصحابِنا أنَّهُ رأى منهُ طرفاً بلغَ سورةَ « الكهفِ » ، فكانَ مئةَ كتابٍ) يعني : مئةَ مجلدٍ إلى (الكهفِ)[3] .

(١) **المراد بـ (علم الأصول) كما لا يخفى** : علم أصول الدين ، وعلم التوحيد .

(٢) اسم الكتاب في « تبيين كذب المفتري » (ص٢٦٢) : « المختزن » .

(٣) تبيين كذب المفتري (ص٢٦٢) ، قال الحافظ ابن عساكر : (ولم يترك آية تعلَّق بها بدعيٌّ=

ومنها : كتابُهُ المُسمَّىٰ بـ « العمدةِ في الرؤيةِ »[1] ، ومنها : كتابُهُ المُسمَّىٰ بـ « الموجزِ » يشتملُ على اثني عشرَ مجلداً[2] ، ومنها : كتابُهُ المُلقَّبُ بـ « الفصولِ في الردِّ على الفلاسفةِ والدهريينَ وأهلِ التشبيهِ » في اثني عشرَ مجلداً[3] ، ومنها : كتابُهُ الذي صنَّفَهُ في خلقِ الأعمالِ ، نقضَ فيهِ عللَ المعتزلةِ والقدريةِ ، ومنها : كتابُهُ الذي صنَّفَهُ في الاستطاعةِ ، ونقضَ فيهِ أيضاً على المعتزلةِ استدلالَهُم[4] .

قلتُ : وقد سردَ لهُ الحافظُ ابنُ عساكرَ رضيَ اللهُ عنهُ في كتابِ « تبيينِ كذبِ المفتري » نحواً مِنْ ستينَ مُصنَّفاً ما بينَ كبيرٍ وصغيرٍ[5] .

= إلا أبطل تعلقه بها ، وجعلها حجة لأهل الحق ، وبيَّن المجمل ، وشرح المشكل) ، وقال الإمام التاج السبكي في « الطبقات » (٣/ ٣٥٥) : (وتفسيره كتاب حافل جامع ، قال شيخنا الذهبي : « إنه لمَّا صنَّفه كان على الاعتزال » ، قلت : وليس الأمر كذلك ؛ فقد وقفت على الجزء الأول منه ، وكلُّه ردٌّ على المعتزلة وتبيينٌ لفساد تأويلاتهم وكثرة تحريفهم ، وفي مقدمة « تفسيره » من ذلك ما يقضي ناظرُهُ العجبَ منه) ، وقال الإمام الكوثري في تعليقه على « التبيين » (ص١١٩) : (قال الإمام الحافظ أبو بكر ابن العربي في « العواصم عن القواصم » : وانتَدَبَ إلىٰ كتاب الله ، فشرحه في خمس مئة مجلد ، وسمَّاه بـ « المختزن » ، فمنه أخذ الناس كتبهم ، ومنه أخذ عبد الجبَّار الهمذاني كتابه في تفسير القرآن الذي سمَّاه بـ « المحيط » في مئة سِفر ، قرأناه في خزانة المدرسة النظامية بمدينة السلام . انتهىٰ) .

(١) واسمه في « التبيين » : (العُمَد في الرؤية) ، وفي هٰذا الكتاب ذكر أسامي أكثر كتبه إلىٰ سنة (٣٢٠هـ) ، وعاش بعد ذلك إلىٰ سنة (٣٢٤هـ) فألف فيها كتباً عديدة ، وقد ذكر جميعَ هٰذه الكتب الحافظُ ابن عساكر في « التبيين » (ص٢٧٩ـ٢٨٨) نقلاً عن الإمام الكبير أبي بكر ابن فورك رحمه الله تعالىٰ .

(٢) الذي في « التبيين » (ص٢٨٠) : (كتاباً) بدل (مجلداً) .

(٣) الذي في « التبيين » (ص٢٧٩) : (كتاباً) بدل (مجلداً) .

(٤) أي : استدلالهم علىٰ أنها قبل الفعل . انظر « التبيين » (ص٢٨٠) .

(٥) تبيين كذب المفتري (ص٢٧٩ـ٢٨٩)، وهي أكثر من ذلك بكثير ، وفي « التبيين » تفصيل وترتيب في ذكر هٰذه المصنفات .

وذكرَ عن أبي العباسِ أحمدَ بنِ محمدٍ المعروفِ بـ (قاضي العسكرِ) قالَ : (وقد وجدتُ لأبي الحسنِ قريباً مِنْ مئتي مُصنَّفٍ ، وكتابُهُ « الموجزُ الكبيرُ » يأتي علىٰ عامَّةِ كتبهِ ؛ فإنَّهُ ذكرَها فيهِ)[1] .

وتصانيفُهُ رضيَ اللهُ عنهُ أكثرُ مِنْ أنْ تُحصىٰ ، وكتبُهُ يعزُّ أنْ تُستقصَىٰ .

وعلى الحقيقةِ : فجميعُ المصنَّفاتِ بعدَهُ في الأصولِ علىٰ طريقةِ أهلِ الحقِّ منسوبةٌ إليهِ ؛ لأنَّها بمذهبِهِ تنطقُ ، وعنهُ تُناضِلُ ولهُ تُحقِّقُ ، ومِنْ بحرِهِ تغترفُ ، ولهُ بالسبقِ إلى الهدايةِ تعترفُ ، كما أنَّ سائرَ كتبِ أصحابِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ـ وغيرِهِ مِنَ الأئمَّةِ رضيَ اللهُ عنهُم ـ منسوبةٌ إليهِ ؛ لأنَّ أقوالَهُ هيَ أمُّ ذلكَ الكتابِ ، وعليها المدارُ في السؤالِ والجوابِ ، فهيَ إليهِم منسوبةٌ ، وحسناتُهُم في صحائفِ حسناتِ الإمامِ مكتوبةٌ ؛ فمَنْ أسَّسَ سُنَّةً حسنةً فلهُ أجرُها وأجرُ مَنْ عملَ بها[2] ، رضيَ اللهُ عنهُم ، ووفَّقَنا لأنْ نكونَ مِنْ أتباعِهِم ؛ فالسعيدُ مَنْ كانَ منهُم[3] .

(١) تبيين كذب المفتري (ص٢٩٢) ، وذكر الحافظ ابن عساكر (ص٢٨٩) عن أبي المعالي شَيْذَلَهْ قال : (سمعت من أثق به قال : رأيت تراجم كتب الإمام أبي الحسن ، فعددتها أكثر من مئتين وثلاث مئة مصنف) .

(٢) كما أخرجه مسلم (٨/ ٦١) برقم : (١٠١٧) عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه .

(٣) وللإمام أبي الحسن الأشعري كتاب « الإبانة عن أصول الديانة » ، ألَّفه أول ما دخل بغداد ؛ حتىٰ يتدرج بمتقشِّفة الحشوية إلىٰ معتقد أهل السنة ويتسلَّلَ المتورِّطين منهم في أوحال التشبيه ، وليس هو آخرَ مؤلفاته كما يلهج بذلك الحشوية قديماً وحديثاً ، والكثير من البسطاء المغترِّين والمتأثِّرين بهم ، وطريقته في « الإبانة » جرت علىٰ طريقة المُفوِّضة في الإمساك عن تعيين المراد ، وهو مذهب السلف ، وللإمام أبي الحسن الأشعري قول آخر بالتأويل كما نص علىٰ ذلك الإمام المحقق الأصولي تاج الدين السبكي في « الطبقات » (٤/ ٣٣) ، ويرى الإمام السبكي (١/ ١٣٣) أن في « الإبانة » نصوصاً ليست صحيحةَ النسبة إلى الإمام أبي الحسن الأشعري إلا ما نقله الحافظ ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » ، بل قال الإمام الصفدي في « الوافي بالوفيات » (١٩/ ١١٧) في سياق دفاعه عن إمام الحرمين =

فصل

في التمهيد لذكر الطبقات التي ذكرها ابن عساكر في «تبيينه» وما زاد عليه المؤلف في «النجم»

وممَّا يدُلُّ على فضلِ العالِمِ : كثرةُ أتباعِهِ مِنَ العالَمِ الذينَ أجمعُوا على الاهتداءِ بنورِهِ والاسترشادِ ، واتِّباعِ سبيلِهِ التي هيَ سبيلُ الرشادِ ، وللإمامِ أبي الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ ما لا يُحصى مِنْ مُتَّبعي طريقتِهِ والراجعينَ إليهِ ، والمعتمدينَ في حسنِ الاعتقادِ عليهِ ، لو أردتُ حصرَهُم لتحمَّلتُ المشاقَّ ، ولأفنيتُ الأوراقَ ، لـٰكنْ أسرُدُ أسماءَ بعضِهِم على سبيلِ الاختصارِ ، مِنْ غيرِ إطالةٍ ولا إكثارٍ ، **وقد رتَّبْتُ لذلكَ بابينِ** :

أحدُهُما : أذكرُ فيهِ مَنْ ذكرَهُ الحافظُ ابنُ عساكرَ على الطبقاتِ التي رتَّبها ، وأختصرُ مِنْ كلِّ ترجمةٍ ذكرَها ، مُعظمَها وأكثرَها ، وإنْ حضرَتْني زيادةٌ عن غيرِهِ ذكرتُها ، ولم أُغيِّرْ مِنَ الترتيبِ الذي رتَّبَهُ الحافظُ ابنُ عساكرَ في الطبقاتِ شيئاً ، إلا الشيخَ أبا عبدِ اللهِ بنَ خفيفٍ ؛ فإنِّي ابتدأتُ بهِ تبرُّكاً ، وسردتُ مَنْ بقيَ بعدَهُ على ما رتَّبَهُ الشيخُ ثقةُ الدينِ رحمَهُ اللهُ[1] .

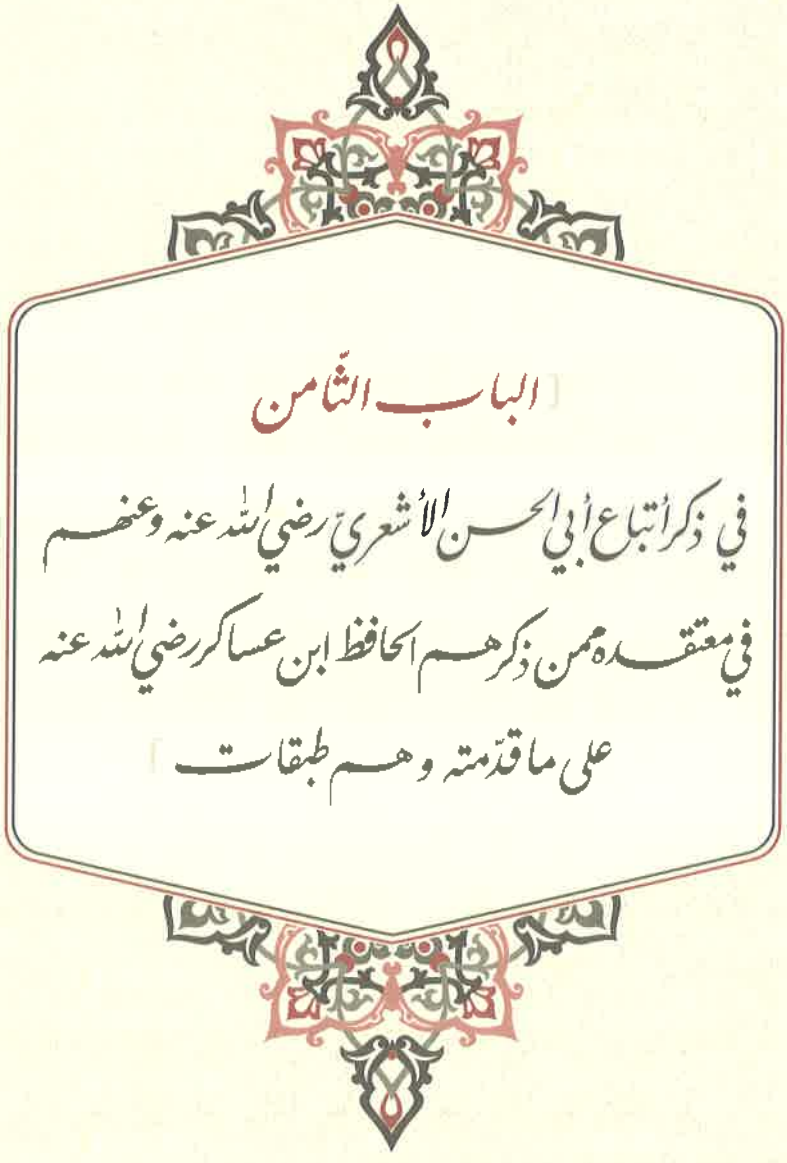
والبابُ الثاني : أذكرُ فيهِ مَنْ لم يذكرْهُ الحافظُ ابنُ عساكرَ رحمَهُ اللهُ إلى مشايخي الذينَ قرأتُ عليهِم رحمَهُمُ اللهُ ، ورتَّبتُ طبقاتِهِم على وفاتِهِم ؛ فمَنْ

= الجويني : (والذي أظنُّه أنها دُسَّت في كلامه ، ووضعها الحسدة له على لسانه ، كما وُضع كتاب « الإبانة » على لسان الشيخ أبي الحسن الأشعري) ، وعلى كلٍّ فهـٰذه المسألة طويلة الذيل أتيت بها مختصرة وملخصة .

(١) بل سيأتي تغييره في ترتيب بعض التراجم ، كما سيأتي التنبيه في (١/ ٤٠٤) .

تقدَّمَ انتقالُهُ إلىٰ ربِّهِ ، جعلتُ ذلكَ دليلَ قربِهِ ، وضممتُ إلىٰ ذلكَ جماعةً مِنَ الصلحاءِ والأولياءِ ، ممَّنْ كانَ اعتقادُهُ اعتقادَ أهلِ السنَّةِ والجماعةِ ؛ تبرُّكاً بأسمائِهِم ؛ فإنَّ عندَ ذكرِ الصالحينَ تنزلُ الرحمةُ ، وإنْ حضرَني شيءٌ مِنْ كلامِهِم ذكرتُهُ ، فإنْ أمكنَ ذكرُ مولدِهِم ووفاتِهِم ذكرتُ ذلكَ ولم أستوعبْ ، فمَنْ وقفَ علىٰ ذلكَ وأمكنَهُ أنْ يُذيِّلَ باسمِ صالحٍ أو عالمٍ . . فليفعلْ ؛ **فإنَّ القصدَ تكثيرُ سوادِ أتباعِ هٰذا العالِمِ** ، واللهُ تعالىٰ يُرشدُنا للصوابِ بمحمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ .

* * *



الباب الثامن

في ذكر أتباع أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه وعنهم في معتقده ممن ذكرهم الحافظ ابن عساكر رضي الله عنه على ما قدمته وهم طبقات

بابُ

ذكر اتباع أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه وعنهم في معتقده ممن ذكرهم الحافظ ابن عساكر رضي الله عنه على ما قدّمته وهم طبقات (١)

ذكر الطبقة الأولى من أصحاب أبي الحسن

فالطبقةُ الأولىٰ : الذينَ أخذُوا عنهُ ، وتلقَّوْا هـٰذهِ العلومَ منهُ شِفاهاً بغيرِ واسطةٍ ، ألسنتُهُم للقواعدِ منهُ مُتلقِّفةٌ ، وأفهامُهُم لهُ ضابطةٌ .

(١) وهـٰؤلاء الذين سيذكرهم المؤلف نقلاً عن ابن عساكر إنما هم من الذين اشتَهروا بالدفاع عن أبي الحسن والانتساب إليه ، وإلا فهم أكثر من ذلك بكثير ؛ إذ هم جمهور أهل السنة والجماعة ، وقد قال المؤلف في آخر الباب السابق : (ولو أردت حصرهم لتحمَّلتُ المشاقَّ ، ولأفنيتُ الأوراق) .

وقال الإمام التاج السبكي في « طبقاته » (٣/ ٣٦٥) في مثل هـٰذا السياق : (اعلم : أنَّ أبا الحسن لم يُبدِعْ رأياً ، ولم يُنشِئ مذهباً ، وإنما هو مُقرِّر لمذاهب السلف ، مناضل عما كانت عليه صحابة رسول الله صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فالانتساب إليه إنما هو باعتبار أنَّهُ عَقَدَ علىٰ طريق السلف نطاقاً ، وتمسَّك به ، وأقام الحُجَجَ والبراهين عليه ، فصار المقتدي به في ذلك ، السالكُ سبيلَه في الدلائل . . يُسمَّىٰ أشعريّاً .

ولقد قلت مرة للشيخ الإمام ـ أي : والده التقي السبكي ـ رحمه الله : أنا أعجب من الحافظ ابن عساكر في عَدِّه طوائفَ من أتباع الشيخ ، ولم يذكر إلا نزراً يسيراً ، وعدداً قليلاً ، ولو وفَّى الاستيعابَ حقَّه لاستوعب غالب علماء المذاهب الأربعة ؛ فإنهم برأي أبي الحسن يدينون الله تعالىٰ !! فقال : إنما ذكر من اشتَهر بالمناضلة عن أبي الحسن ، وإلا فالأمر علىٰ ما ذكرت من أن غالب علماء المذاهب معه .

وقد ذكر الشيخ شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام أن عقيدته اجتمع عليها الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة ، ووافقه علىٰ ذلك من أهل عصره شيخ المالكية في زمانه أبو عمرو ابن الحاجب ، وشيخ الحنفية جمال الدين الحَصِيري) .

ثم ذكر التاج السبكي جملة ممن ذكرهم الحافظ ابن عساكر ونقل خاتمة كلامه في ذلك ، ثم=

فمنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ خَفيفٍ الشِّيرازيُّ رضيَ اللهُ عنهُ

قالَ الحافظُ ثقةُ الدينِ رحمَهُ اللهُ بسندِهِ إلىٰ أبي بكرٍ محمدِ بنِ يحيى بنِ إبراهيمَ المُزكِّي : حدَّثَنا أبو عبدِ الرحمٰنِ محمدُ بنُ الحسينِ السُّلَميُّ قالَ : (**محمدُ بنُ خَفيفِ بنِ إسْفَكْشَاذَ الضبِّيُّ ، أبو عبدِ اللهِ** ، المقيمُ بشيرازَ ، كانَتْ أمُّهُ نيسابوريةً ، هوَ عينُ القومِ وتاريخُ الزمانِ ، لم يبقَ للقومِ أقدمُ منهُ سنّاً ، ولا أتمُّ حالاً ووقتاً .

صحبَ : رُوَيماً ، والجَريريَّ ، وابنَ عطاءٍ ، ولقيَ الحسينَ بنَ منصورٍ .

وهوَ مِنْ أعلمِ المشايخِ بعلومِ الظاهرِ [وعلومِ الحقائقِ] ، مُتمسِّكاً بعلومِ الشريعةِ مِنَ الكتابِ والسنَّةِ ، وهوَ فقيهٌ علىٰ مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ .

قالَ أحمدُ بنُ يحيى الشِّيرازيُّ : ما أُرى التصوُّفَ إلا يُختَمُ بأبي عبدِ اللهِ بنِ خَفيفٍ)[1] .

ومِنْ « حليةِ الأولياءِ » للحافظِ أبي نُعيمٍ رحمَهُ اللهُ قالَ : (**ومنهُم : أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ خَفيفٍ** ، الحنيفُ الظريفُ ، لهُ « الفصولُ في الأصولِ » ، ولهُ « التحقيقُ والتثبُّتُ في الوصولِ »[2] ، لقيَ الأكابرَ والأعلامَ ،

= قال : (**قلت** : ولقد أهمل علىٰ سعة حفظه من الأعيان كثيراً ، وترك ذكر أقوام كان ينبغي حيث ذكر هٰؤلاء أن يشمِّر عن ساعد الاجتهاد في ذكرهم تشميراً ، لٰكنه استوعب في الأولىٰ أو كاد ، واستغرق فلم يفته إلا بعضُ الآحاد) .

(١) تبيين كذب المفتري (ص٣٦٩ـ٣٧٠) ، وانظر « طبقات الصوفية » (ص٤٦٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٢٦/ ٥٠٧) .

(٢) في « الحلية » و« التبيين » : (التحقق) بدل (التحقيق) .

صَحِبَ : رُوَيماً ، وأبا العباسِ ابنَ عطاءٍ ، وطاهرَ المقدسيَّ[1] ، وأبا عمرٍو الدمشقيَّ[2] ، وكانَ شيخَ الوقتِ حالاً وعلماً)[3] .

وذكرَ الحافظُ ابنُ عساكرَ بسندِهِ إلىٰ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ الشِّيرازيِّ قالَ : (نظرَ أبو عبدِ اللهِ بنُ خَفيفٍ إلى ابنِ مكتومٍ وجماعةٍ مِنْ أصحابِهِ يكتبُونَ شيئاً ، فقالَ : ما هٰذا ؟ فقالُوا : نكتبُ كذا وكذا ، فقالَ : اشتغلُوا بتعلُّمِ شيءٍ ، ولا يغرَّنَّكُم كلامُ الصوفيَّةِ ؛ فإنِّي كنتُ أُخبِّئُ مِحْبَرتي في جنبِ مُرقَّعتي ، والكاغَدَ في حُجْزةِ سراويلي ، وكنتُ أذهبُ خَفِيّاً إلىٰ أهلِ العلمِ ، فإذا علمُوا بي خاصمُوني ، وقالُوا : لا تُفلِحُ ، ثمَّ احتاجُوا إليَّ بعدَ ذلكَ)[4] .

وذكرَ الأستاذُ أبو القاسمِ عمرُ بنُ الحسينِ بنِ الحسنِ المكِّيُّ في كتابِهِ المُسمَّىٰ : « نهايةَ المرامِ في علمِ الكلامِ » في طبقةِ تلامذةِ أبي الحسنِ الأشعريِّ رضيَ اللهُ عنهُ ؛ قالَ : (ومنهُمُ : الشيخُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ خَفيفٍ ، شيخُ شيرازَ ، وإمامُ وقتِهِ ، ولهُ رسالةٌ كاملةٌ في ذكرِ أبي الحسنِ ومناقبِهِ ، أوَّلُها :

دعاني أَرَبٌ ، وولوعٌ أَلَبَ[5] ، وشوقٌ غلبَ ، إلىٰ أنْ أُحوِّلَ نحوَ البصرةِ رِكابي ، في عُنْفُوانِ شبابي ؛ لكثرةِ ما بلغَني علىٰ لسانِ البدويِّ والحضريِّ ؛ مِنْ فضائلِ شيخِنا أبي الحسنِ الأشعريِّ ؛ لأسْتَسْعِدَ بلقاءِ ذلكَ الوحيدِ ،

(١) كذا في (أ ، ب) ، وهي علىٰ مذهب جمهور البصريين ، وإن كان الإتباعُ أقيسَ كما هو أحد وجهين عن الكوفيين ، وسيأتي مثله ولن ننبه عليه .

(٢) كذا في (أ ، ب) و« الحلية » ، وفي « التبيين » : (عمر) بدل (عمرو) .

(٣) حلية الأولياء (١٠/ ٣٨٥) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٧٠) .

(٤) تبيين كذب المفتري (ص٣٧١) ، وأخرجه في « تاريخه » (٥٢/ ٤١٤) .

(٥) أَلَبَ : أتىٰ من كل جانب .

وأستفيدَ ممَّا فتحَ اللهُ عليهِ مِنْ ينابيعِ التوحيدِ ؛ إذْ حازَ في ذلكَ قَصَبَ السباقِ ، وكانَ ممَّنْ يُشارُ إليهِ في الآفاقِ ، وفاقَ الفضلاءَ مِنْ أبناءِ زمانِهِ ، واشتاقَ العلماءُ إلى استماعِ بيانِهِ . . .) .

وذكرَ بعدَ كلامٍ طويلٍ ، وسجعٍ جليلٍ : أنَّهُ حضرَ إلىٰ مجلسٍ مِنْ حيثُ لا يعرفُهُ أبو عبدِ اللهِ ، (فلم يدَعْ مشكلةً إلا أزالَها ، ولا مُعضِلةً إلا أزاحَها ، ولا فساداً إلا أصلحَهُ ، ولا عناداً إلا زحزحَهُ ، حتىٰ تبيَّنَ الحيُّ مِنَ اللَّيِّ[1] ، والرشدُ مِنَ الغَيِّ ، ورَفَلَ الحقُّ في أذيالِهِ ، واعتدلَ باعتدالِهِ ، وأقبلَ عليهِ الخاصَّةُ والعامَّةُ بإقبالِهِ .

فلمَّا فرغَ مِنْ إنشاءِ دَلالتِهِ ، [بعدَ جَوَلانِهِ في هيجاءِ البلاغةِ عن بَسالتِهِ . . حارَ الحاضرونَ في جوابِهِ ، وتعجَّبوا مِنْ فصلِ خطابِهِ ، و] عادَ الخصومُ كأنَّهُم فَراشُ النارِ ، وخَشاشُ الأبصارِ[2] ، وأوباشُ الأمصارِ ، عليهِمُ الدَّبَرةُ[3] ، وعلىٰ وجوهِهِمُ الغَبَرةُ .

قلتُ لبعضِ الحاضرينَ : مَنْ هٰذا الذي اختلبَ القلوبَ ، بما سلكَهُ مِنْ هٰذا الأسلوبِ ؟!

فقالَ مِنْ غيرِ اعتقالٍ : هوَ البازُ الأشهبُ ، والمُبارِزُ الأشيبُ ، والبحرُ الطَّامي ، والطَّوْدُ السامي ، والغيثُ الهامي ، والليثُ الحامي ، ناصرُ الحقِّ ، وناصحُ الخلقِ ، قامعُ البدعةِ ، ولسانُ الحكمةِ ، وإمامُ الأمَّةِ ، وقِوامُ المِلَّةِ ، ذو الرأيِ الرَّضِيِّ ، والرُّواءِ المرضيِّ[4] ، والقلبِ الذكيِّ ، والنَّسَبِ الزَّكِيِّ ،

(١) أي : الحق من الباطل

(٢) الخَشاش : الحشرات والهوامُّ .

(٣) الدَّبَرة ـ بسكون الباء وتفتح ، وهو الأنسب هنا ـ : الهزيمة في القتال .

(٤) الرُّواء : المنظر .

السَّرِيُّ بنُ السَّرِيِّ ؛ أبو الحسنِ الأشعريُّ .

ثمَّ خرجَ فتبعتُهُ مُقتفِياً كخدمِهِ ، ومُستنهِجاً مَواطئَ قدمِهِ ، فالتفتَ إليَّ وقالَ : يا فتىٰ ؛ كيفَ رأيتَ أبا الحسنِ الأشعريَّ [حينَ أفتىٰ] ؟!

فهرولتُ لالتزامِ قَدِّهِ ، واستلامِ يدِّهِ[1] ، وقلتُ : لقد أبديتَ اليدَ البيضاءَ ، وسكَّنتَ الضوضاءَ ، وكشفتَ الغَمَّاءَ ، وأنحتَ الدَّهْماءَ[2] ، وقطعتَ الأحشاءَ ، وقمعتَ الأهواءَ ؛ بلسانٍ عَضْبٍ ، وبيانٍ عذبٍ ، آنسَ مِنَ الروضِ الممطورِ ، والوشيِ المنشورِ ، وأصفىٰ مِنْ دَرِّ الأمطارِ ، ودُرِّ البحارِ ، وجررتَ ذيلَ الفَخارِ ، علىٰ هامةِ الشِّعْرىٰ[3] ، وحقَّقتَ بكلامِكَ : إنَّ مِنَ البيانِ لسِحْراً .

بيدَ أنَّهُ قد بقيَ لي سؤالٌ ؛ لِمَا عَرَاني مِنَ الإشكالِ ؟ فقالَ : اذكرْ سؤالَكَ ، ولا تُعرِضْ عمَّا بدا لكَ .

فقلتُ : رأيتُ الأمرَ لم يجرِ على النِّظامِ ؛ لأنَّكَ ما افتتحتَ بالكلامِ ، وكانَ حقُّ المُناظِرِ ، ألا يسألَ غيرَكَ ومثلُكَ حاضرٌ .

قالَ : أَجَلْ ، لكنِّي في الابتداءِ لا أذكرُ الدليلَ ، ولا أشتغلُ بالتعليلِ ؛ إذْ فيهِ تسبُّبٌ إلىٰ إلجاءِ الخصمِ في ذكرِ شبهتِهِ بطريقِ الاعتراضِ ، وما أنا بالتسبُّبِ إلى المعصيةِ راضٍ ، فأُمهِلُهُ حتىٰ يذكرَ ضلالتَهُ ، ويُورِدَ شبهتَهُ ومقالتَهُ ، فحينَئذٍ تعيَّنَ عليَّ الجوابُ ، فأرجو بذلكَ مِنَ اللهِ الثوابَ .

قالَ : فلمَّا رأيتُ مَخْبَرَهُ ، بعدَ أنْ سمعتُ خَبَرَهُ . . تيقَّنتُ أنَّهُ قد جاوزَ

(١) تشديد الدال لغة ، وهو أنسب مع السجعة قبله .

(٢) الدهماء : العدد الكثير ، وجماعة الناس وكثرتهم ، وفي « طبقات الشافعية الكبرىٰ » : (ولحَّنت) بدل (وأنحت) .

(٣) الشِّعْرىٰ : كوكب نيِّر ، وانظر « تاج العروس » (١٢/ ١٩٥) ، مادة : (ش ع ر) .

الخَبَرَ الخُبْرُ ، وأنَّ مقالتَهُ تِبْرٌ ، وما دونَها صُفْرٌ ، قد بلغَ مِنَ الديانةِ أعلى النهايةِ ، وأوفى مِنَ الأمانةِ على كلِّ غايةٍ ، وأنَّهُ هوَ الذي أومأَ إليهِ الكتابُ والسنَّةُ ، بحيازةِ هٰذهِ المِنَّةِ ؛ في نُصرةِ الحقِّ ، ونُصْحِ الخلقِ ، وإعلاءِ الدينِ ، والذَّبِّ عنِ الإسلامِ والمسلمينَ ، فشادَ لي مِنَ الاعتقادِ ، بأوفرِ الاعتدادِ ، وأوقعَ ببياضِ الفؤادِ ، سوادَ الوِدادِ[1] .

وألفيتُهُ معَ عُلُوِّ درجتِهِ ، وتفاقُمِ مرتبتِهِ ، كانَ يقومُ بتثقيفِ أوَدِهِ[2] ، مِنْ كسبِ يدِهِ ؛ مِنِ اتِّخاذِ تجارةِ العقاقيرِ معيشةً ، والاكتفاءِ بها عِيشةً ؛ اتِّقاءً عنِ الشُّبُهاتِ ، وارتقاءً عنِ الشهَواتِ[3] ، رضاً بالكفافِ ، وإيثاراً للعفافِ)[4] .

رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ ، وجعلَ الجنةَ مَأْواهُ ، اختصرتُها لا سآمةً ، واقتطفتُ مِنْ جواهرِها ، وإنْ كانَ ما تركتُ أجودَ ممَّا أخذتُ .

فأمَّا مجاهداتُهُ وأحوالُهُ : فإنَّ أبا عبدِ اللهِ ابنَ باكُويَه الشيرازيَّ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ بنَ خفيفٍ يقولُ : (كنتُ في ابتدائي بقيتُ أربعينَ شهراً أُفطِرُ كلَّ ليلةٍ بكفٍّ باقِلاَءَ ، فمضَيتُ يوماً وافتصدتُ ، فخرجَ مِنْ عِرْقي شبهُ ماءِ اللحمِ ، وغُشِيَ عليَّ ، فتحيَّرَ الفَصَّادُ ، وقالَ : ما رأيتُ جسداً بلا دمٍ إلا هٰذا !!)[5] .

(١) العبارة في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » : (فشاد لي من الاعتداد ، بأوفر الأعداد ، وأودع بياض الوداد ، سواد الفؤاد) .

(٢) **التثقيف** : التسوية ، **والأَوَد** : الاعوجاج .

(٣) في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » و« نهاية المرام » : (وإبقاءً على الشهوات) .

(٤) نهاية المرام (ص٦٦٥ـ٦٦٨) ، وهٰذه الرحلة إلى الإمام الأشعري أوردها بطولها الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٣/ ١٥٩ـ١٦٣) ، وفيها اختصار واختلاف يسيران عمَّا أورده المؤلف ها هنا .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٧٢) ، وفي « تاريخه » (٥٢/ ٤٠٩)، **وابن باكويه** : هو نفسه محمد بن عبد الله الشيرازي السابق في (١/ ٣٥٧) .

قالَ[1] : وسمعتُ أبا عبدِ اللهِ يقولُ : (ما سمعتُ شيئاً مِنْ سُنَنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلا استعملتُهُ ؛ حتى الصلاةِ على أطرافِ الأصابعِ)[2] .

وممَّا ذكرَهُ الأستاذُ أبو القاسمِ القشيريُّ رضيَ اللهُ عنهُ عن أبي العبَّاسِ الكَرْخيِّ قالَ : سمعتُ أبا عبدِ اللهِ بنَ خفيفٍ يقولُ : (ضعُفْتُ عنِ القيامِ في النوافلِ ، وقد جعلتُ بدلَ كلِّ ركعةٍ مِنْ أورادي ركعتينِ قاعداً ؛ للخبرِ : « صَلَاةُ ٱلْقَاعِدِ عَلَى ٱلنِّصْفِ مِنْ صَلَاةِ ٱلْقَائِمِ »)[3] .

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (ما وجبَتْ عليَّ زكاةُ الفطرِ أربعينَ سنةً ، ولي قَبولٌ عظيمٌ مِنَ الخاصِّ والعامِّ)[4] .

وذكرَ أبو أحمدَ الكبيرُ قالَ : كانَ أبو عبدِ اللهِ إذا أرادَ أنْ يخرجَ لصلاةِ الجمعةِ . . قالَ : هاتِ ما عندَنا ، فأحملُ إليهِ كلَّ ما فُتِحَ بهِ مِنَ الذهبِ والفضَّةِ ، فيُفرِّقُهُ كلَّهُ ، ثمَّ يخرجُ إلى صلاةِ الجمعةِ ، وكانَ كلَّ سنةٍ في أوانٍ يُخرِجُ ما عندَهُ مِنَ الثيابِ ، حتى لا يبقى عندَهُ ما يخرجُ بهِ إليَّ بَرّاً[5] .

(١) **القائل** : ابن باكويه الشيرازي .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٧٢) ، وفي « تاريخه » (٥٢/ ٤١٤-٤١٥) ، وأورده في « تاريخه » أيضاً (٥٢/ ٤٠٦) صدرَ ترجمته وزاد : (وهي صعبة) .

(٣) الرسالة القشيرية (ص٢٢٠) ، وأخرجه من طريقه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٧٢) ، وفي « تاريخه » (٥٢/ ٤١٥) ، والحديث المذكور في الأثر أخرجه بنحوه البخاري (١١١٥) عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنهما ، وبلفظه النسائي في « الكبرى » (١٣٧١) ، وأحمد في « المسند » (٣/ ٤٢٤) عن سيدنا السائب بن أبي السائب رضي الله عنه .

(٤) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص٥٨٢) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٧٣) .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٧٣) ، وفي « تاريخه » (٥٢/ ٤١٦) .

وقالَ أبو أحمدَ الصغيرُ : كانَ أمرَني ـ يعني : ابنَ خفيفٍ ـ أنْ أُقدِّمَ لهُ كلَّ ليلةٍ عشرَ حبَّاتِ زبيبٍ لإفطارِهِ ، قالَ : فأشفقتُ عليهِ ليلةً ، فجعلتُها خمسَ عشرةَ حبَّةً ، فنظرَ إليَّ وقالَ : مَنْ أمرَكَ بهـٰذا ؟! وأكلَ عشرةً ، وتركَ الباقيَ[1] .

وقالَ ابنُ خَفيفٍ رضيَ اللهُ عنهُ : (ربَّما كنتُ أقرأُ في ابتداءِ أمري في ركعةٍ واحدةٍ عشرةَ آلافِ مرَّةٍ : « قلْ هوَ اللهُ أحدٌ » ، وكنتُ أقرأُ القرآنَ كلَّهُ في ركعةٍ واحدةٍ ، وربَّما كنتُ أُصلِّي مِنَ الغداةِ إلى العصرِ ألفَ ركعةٍ)[2] .

سُئِلَ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ القربِ ، فقالَ : (قربُكَ منهُ بملازمةِ الموافقاتِ ، وقربُهُ منكَ بدوامِ التوفيقِ)[3] .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ سنةَ إحدىٰ وسبعينَ وثلاثِ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ .

* * *

(١) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص٣٧٧) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخه » (٥٢/ ٤١٥) ، وأخرجه أيضاً في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٧٣ـ٣٧٤) .

(٢) أخرجه القشيري في « الرسالة » (ص٢١٩) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخه » (٥٢/ ٤١٤) .

(٣) أخرجه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص٤٦٥) ، وأورده القشيري في « الرسالة » (ص٢١٩) .

ومنهُم :

أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ أحمدَ ابنِ يعقوبَ بنِ مجاهدٍ الطائيُّ

قالَ الإمامُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتٍ الخطيبُ البغداديُّ : (**الحافظُ أبو عبدِ اللهِ** ، الطائيُّ المُتكلِّمُ ، صاحبُ أبي الحسن الأشعريِّ ، وهوَ مِنْ أهلِ البصرةِ ، سكنَ بغدادَ ، وعليهِ درسَ القاضي أبو بكرٍ محمدُ بنُ الطيِّبِ الكلامَ[1] ، ولهُ كتبٌ حِسانٌ في الأصولِ ، وكانَ أبو بكرٍ البَرْقانيُّ يُثني عليهِ ثناءً حسناً ، وقد أدركَهُ ببغدادَ فيما أحسبُ ، واللهُ أعلمُ)[2] .

* * *

(١) وذكر ابن عساكر أنَّ الملك فنَّاخُسْرو طلب من أبي بكر الباقلاني الحضور عنده ليناظر المعتزلة ، فقال شيخه ابن مجاهد : هـٰؤلاء قوم فسقة لا يحل لنا أن نطأ بساطهم ، فقال القاضي أبو بكر : كذا قال ابن كُلاب والمحاسبي ومن كان في عصرهما من المتكلمين ، حتىٰ سيق أحمد ابن حنبل فامتحن وضرب ، ولو مرُّوا إليه وناظروه لكفوه عن هـٰذا الأمر . . . ، وأنت أيها الشيخ تسلك سبيلهم ، حتىٰ يجري على الفقهاء ما جرىٰ علىٰ أحمد ، أو يقولوا بخلق القرآن ونفي رؤية الله عز وجل ، وهـٰأنا خارج إن لم تخرج ، ثم خرج وناظرهم وقطعهم بحضرة الملك المذكور ، وقد أورد هـٰذه المناظرةَ كاملةً الإمامُ الأديب المؤرخ المقَّري في « أزهار الرياض » (٣/ ٧٩ـ٨٤) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٢٦٥ـ٢٦٦) .

(٢) تاريخ بغداد (١/ ٣٦٠) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٤٥ـ٣٤٦) ، وتوفي سنة سبعين وثلاث مئة ، ولم يذكر ابن عساكر سنة وفاته ، فجاء بياض في (أ) مكان سنة الوفاة ، وكتب في هامشها : (تذكر وفاته) .

ومنهُمُ :

الشيخُ أبو الحسنِ الباهليُّ البصريُّ رحمَهُ اللهُ

قالَ القاضي أبو بكرِ بنُ الطيِّبِ : (كنتُ أنا والأستاذُ أبو إسحاقَ الإسفراينيُّ والأستاذُ أبو بكرِ ابنُ فُورَكَ رحمَهُما اللهُ تعالىٰ في درسِ الشيخِ أبي الحسنِ الباهليِّ تلميذِ الشيخِ أبي الحسنِ الأشعريِّ)[1] .

قالَ القاضي : (كانَ أبو الحسنِ الباهليُّ يُدرِّسُ لنا في كلِّ جمعةٍ مرَّةً واحدةً ، وكانَ مِنْ شدَّةِ اشتغالِهِ باللهِ تعالىٰ مثلَ الوالِهِ)[2] .

قالَ الأستاذُ [أبو إسحاقَ][3] : (كنتُ في جنبِ أبي الحسنِ [الباهليِّ كقطرةٍ في البحرِ ، وسمعتُ الشيخَ أبا الحسنِ الباهليَّ قالَ : كنتُ أنا في جنبِ الشيخِ الأشعريِّ كقطرةٍ في جنبِ البحرِ)[4] .

(١) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٤٧) .

(٢) كلام الباقلاني مختصر جدّاً عما أورده ابن عساكر في « التبيين » (ص٣٤٧ـ٣٤٨) ، وعبارته : (. . . مرَّةً واحدةً ، وكان منَّا في حجاب ؛ يرخي الستر بيننا وبينه كي لا نراه ، قال : وكان من شدة اشتغاله بالله تعالىٰ مثلَ واله أو مجنون ، لم يكن يعرف مبلغ درسنا حتىٰ نذكِّره ذلك ، قال : وكنا نسأل عن سبب النقاب وإرسال الحجاب بينه وبين هـٰؤلاء الثلاثة كاحتجابه عن الكل ؟ فأجاب : بأنكم ترون السُّوقة ، وهم أهل الغفلة ، فتروني بالعين التي ترونهم ، قال : وكانت له أيضاً جارية تخدمه ، فكان حالها أيضاً كحال غيرها معه من الحجاب وإرخاء الستر) .

(٣) في نسختينا : (أبو بكر) ، والمثبت من « التبيين » (ص٣٤٨) ، **وأبو إسحاق** : هو الإسفراييني رحمه الله تعالىٰ .

(٤) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٤٨) ، وتوفي أبو الحسن الباهلي بعد السبعين وثلاث مئة ، وسقط بعد ترجمته حوالي تسع تراجم ، وجاء قوله : (كنت في جنب) خاتمة الورقة (٨٩/أ) مما يدل على سقوط بعض الأوراق من المخطوط ، واستُكمل صدرُ الورقة =

.

= (٨٩/ب) بسطر مغاير لخط المؤلف ، وهـٰذا السطر حدث فيه اختلاط بترجمة أبي جعفر النقاش الآتية ، وسأنبه علىٰ هـٰذا السطر أثناء استكمال ترجمة النقاش .

وإليك هـٰذه التراجمَ مختصرةً من « تبيين كذب المفتري » :

فمنهم : أبو الحسين بُندارُ بن الحسين الشيرازي الصوفي خادمُ أبي الحسن رحمهما الله تعالىٰ :

كان عالماً بالأصول ، وله اللسان المشهور في علم الحقيقة ، وكان الشبلي يكرمه ويُقدِّمه .

قال رضيَ اللهُ عنهُ : (من مشىٰ في الظُّلَم إلىٰ ذي النعم . . أجلسه علىٰ بساط الكرم ، ومن قطع لسانه بشفرة السكوت ، بُني له بيت في الملكوت ، ومن واصل أهل الجهالة ، أُلبس ثوب البطالة ، ومن أكثر ذكر الله تعالىٰ شغله عن ذكر الناس ، ومن هرب من الذنوب هُرِبَ به من النار ، ومن رجا شيئاً طلبه) .

وقال رضيَ اللهُ عنهُ : (صحبة أهل البدع تورث الإعراضَ عن الحق) .

توفي بأرَّجان سنة ثلاث وخمسين وثلاث مئة ، وغسَّله أبو زرعة الطبري . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٤٩ـ٣٥٣) .

ـ والقاضي أبو محمد عبد الله بن علي بن عبد الله الطبري المعروف بـ (العراقي) رحمه الله تعالىٰ :

قال الحاكم : (كان ولي قضاء جرجان قديماً ، وقلَّما رأيت في الفقهاء أفصحَ لساناً منه ، يناظر علىٰ مذهب الشافعي في الفقه ، وعلىٰ مذهب الأشعري في الكلام) .

سمع بخراسان : عمران بن موسىٰ وأقرانه ، وبالعراق : أبا محمد ابن صاعد وأقرانه ، وروىٰ عنه : الحاكم .

توفي ببخارىٰ قريب سنة تسع وخمسين وثلاث مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٥٤).

ـ وأبو بكر محمد بن علي بن إسماعيل القفَّال الشاشي الفقيه الأديب رحمه الله تعالىٰ :

قال الحاكم : (أبو بكر الشاشي : إمام عصره بما وراء النهر للشافعيين ، وأعلمُهم بالأصول ، وأكثرهم رحلةً في طلب الحديث) .

وقال أبو إسحاق الشيرازي : (كان إماماً ، وله مصنفات كثيرة ليس لأحد مثلُها ، وهو أول من صنَّف الجدل الحسن من الفقهاء ، وله كتاب في الأصول ، وله « شرح الرسالة » ، وعنه انتشر فقه الشافعي فيما وراء النهر) .

توفي بالشاش في ذي الحجة سنة خمس وستين وثلاث مئة ، كتب عن الحاكم بخط يده ، وكتب الحاكمُ عنه . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٥٥ـ٣٥٧) . =

.

= ـ وأبو سهل محمد بن سليمان بن محمد الصُّعْلوكي النيسابوري رحمه الله تعالىٰ :

قال فيه الحاكم : (الإمام الهمام أبو سهل الصعلوكي ، الفقيه الأديب اللغوي النحوي الشاعر ، المتكلم المفسر ، المفتي الصوفي ، الكاتب العروضي ، حَبْر زمانه ، وبقية أقرانه ، رضي الله عنه .

ولد سنة ست وتسعين ومئتين ، وسمع أولَ ما سمع سنة خمس وثلاث مئة ، طلب الفقه ، وتبحَّر في العلوم قبل خروجه إلى العراق بسنين) .

وقال الصاحب بن عباد في حقه : (لا نرىٰ مثله ، ولا رأىٰ هو مثلَ نفسه) .

وقال أبو عبد الرحمٰن السلمي : (وهب الأستاذ أبو سهل جبَّته من إنسان في الشتاء ، وكان يلبس جبة للنساء حين يخرج إلى التدريس ؛ إذ لم تكن له جبة أخرىٰ ، فقدم الوفد المعروفون من فارس فيهم في كل نوع إمامٌ من الفقهاء والمتكلمين والنحويين ، فأرسل إليه صاحب الجيش أبو الحسن ، وأمره بأن يركب للاستقلال ، فلبس درَّاعة فوق تلك الجبة التي للنساء وركب ، فقال صاحب الجيش : إنه يستخفُّ بي ؛ إمام البلد يركب في جبة النسوان ؟! ثم إنه ناظرهم أجمعين ، وظهر كلامه علىٰ كلام جميعهم في كل فنٍّ) .

سمع بخراسان والري والعراق ، وأخذ عنه ابنه أبو الطيب وفقهاء نيسابور .

توفي في آخر سنة تسع وستين وثلاث مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٥٨ـ٣٦٥).

ـ وأبو زيد محمد بن أحمد بن عبد الله المروزي الفقيه الزاهد رحمه الله تعالىٰ :

قال الحاكم : (كان أحد أئمة المسلمين ، ومن أحفظ الناس لمذهب الشافعي ، وأحسنِهم نظراً ، وأزهدهم في الدنيا ، قدم نيسابور غير مرَّة ، أولها للتفقه قبل الخروج إلى العراق ، وبعده لمتوجَّهه إلىٰ غزو الروم ، وقدمها الكرَّة الخامسة متوجِّهاً إلى الحج في شعبان سنة خمس وخمسين وثلاث مئة ، وأقام بمكة سبع سنين ، وحدَّث بمكة وببغداد بـ « الجامع الصحيح » لمحمد بن إسماعيل عن الفربري ، وهي أجل الروايات ؛ لجلالة أبي زيد) .

وقال أيضاً : (سمعت أبا بكر البزَّاز يقول : عادلت الفقيه أبا زيد من نيسابور إلىٰ مكَّة ، فما أعلم أن الملائكة كتبت عليه خطيئة) .

توفي بمرو في رجب سنة إحدىٰ وسبعين وثلاث مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص ٣٦٦ـ٣٦٨) .

ـ وأبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي رحمه الله تعالىٰ :

قال أبو القاسم حمزة بن يوسف الجرجاني في « تاريخه » : (سمعت والدي يوسف بن إبراهيم يقول : سمعت أبي إبراهيم بن موسىٰ يقول : كان أبو بكر أحمد بن إبراهيم =

.

* * *

الإسماعيلي بارّاً بوالديه ، لحقتْهُ بركة دعائهما) .

وقال أيضاً : (سمعت أبا الحسن الدارقطني الحافظ يقول : كنتُ قد عزمت غيرَ مرَّة أن أرحل إلىٰ أبي بكر الإسماعيلي ، فلم أُرزق) .

وقال : (وكنت إذا حضرت مجلس الإمام أبي بكر الإسماعيلي ، ورأيته لم يتفوَّه بشيء من تفسير خبر أو ضرب مثل أو حكاية أو بيت شعر أو نادرة أو غير ذلك من سائر العلوم . . إلا وتبادر جماعةٌ من الغرباء وأهل البلد علَّقوا وكتبوا) ، وعدَّد جماعة منهم أبو بكر البرقاني ، وأبو القاسم الوَرْثاني ، وأبو سعد الماليني .

توفي يوم السبت غرة رجب سنة إحدىٰ وسبعين وثلاث مئة ، وكان له أربع وتسعون سنة .

انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٧٥ـ٣٧٧) .

ـ **وأبو الحسن عبد العزيز بن محمد بن إسحاق الطبري المعروف بـ (الدَّمَّل) رحمه الله تعالىٰ :**

قال ابن عساكر : (**كان من أعيان أصحاب أبي الحسن** ، وممَّن تخرَّج به ، وخرج إلى الشام ، **ونشر بها مذهبه** ، وكتب عن أبي جعفر محمد بن جرير الطبري كتابه في التفسير ، وسمعه منه ، ووقفت له قديماً علىٰ تأليف في الأصول يدل علىٰ فضل كثير ، وعلم غزير ، سمَّاه : « رياضة المبتدي وبصيرة المستهدي ») انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٧٨) .

ـ **وأبو الحسن علي بن محمد بن مهدي الطبري رحمه الله تعالىٰ :**

قال ابن عساكر : (صحب أبا الحسن رحمه الله مدَّةً ، **وأخذ عنه وتخرَّج به واقتبس منه** ، وصنَّف تصانيف عدَّةً تدل علىٰ علم واسع ، وفضل بارع ، وهو الذي ألَّف الكتاب المشهور في « تأويل الأحاديث المشكلات الواردة في الصفات ») .

وأنشد ابن مهدي لنفسه : (من السريع)

ما ضاع مَنْ كان له صاحبٌ ... يَقْدِرُ أن يصلح مِنْ شانِهِ

فإنَّما الدُّنيا بسُكَّانها ... وإنَّما المرءُ بإخوانِهِ

وأنشد لنفسه أيضاً : (من مجزوء الكامل)

إنَّ الزمانَ زمانُ سَوْ ... وجميعُ هٰذا الخلقِ بَوْ

ذهبَ الكرامُ بأسرِهِم ... وبقيتُ في ليتَ ولَوْ

فإذا سألتَ عن النَّدىٰ ... فجوابُهم عن ذاك وَوْ

توفي قريب سنة ثمانين وثلاث مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٧٩ـ٣٨٠) .

ومنهم :

أبو جعفرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ العباسِ السُّلَميُّ البغداديُّ النقَّاشُ رحمَهُ اللهُ

قالَ الخطيبُ البغداديُّ : (سمعَ : محمدَ بنَ محمدِ بنِ سليمانَ الباغنديَّ ، والحسنَ بنَ محميٍّ المُخَرِّميَّ ، وعبدَ اللهِ بنَ محمدٍ البغويَّ ، وأبا بكرِ بنَ أبي داودَ السِّجستانيَّ ، ويحيى بنَ محمدِ بنِ صاعدٍ ، وأبا بكرِ ابنَ مجاهدٍ المقرئَ ، حدَّثنا عنهُ : أبو عليٍّ ابنُ شاذانَ ، وأبو القاسمِ الأزهريُّ ، وعليُّ بنُ المحسنِ التنوخيُّ .

سألتُ الأزهريَّ عن أبي جعفرٍ النقَّاشِ][1] ، فقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : ثقةٌ ، قالَ : (وكانَ أحدَ المُتكلِّمينَ على مذهبِ الأشعريِّ ، ومنهُ تعلَّمَ أبو عليٍّ ابنُ شاذانَ الكلامَ)[2] .

وُلِدَ في نصفِ جمادى الأولى سنةَ أربعٍ وتسعينَ ومئتينِ[3] .

قالَ الحافظُ أبو بكرٍ : (حدَّثنا أحمدُ بنُ محمدٍ العَتيقيُّ قالَ : سنةَ تسعٍ [وسبعينَ] وثلاثِ مئةٍ[4] : فيها تُوفِّيَ أبو جعفرٍ النقَّاشُ الأشعريُّ يومَ الأحدِ أوِ

(١) ما بين معقوفين تم استكماله من « تبيين كذب المفتري » ، وما بين ترجمة الباهلي والنقاش سقط تمت الإشارة إليه في الحاشية السابقة ، وفي الأصل بخط مغاير : (أبي الحسن ، فسألته ما تقول فيه) بدل (سألت الأزهري عن أبي جعفر النقَّاش) .

(٢) انظر « تاريخ بغداد » (١/ ٣٤٢ـ٣٤٣) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٣٨١ـ٣٨٢) .

(٣) انظر « تاريخ بغداد » (١/ ٣٤٣) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٣٨١) .

(٤) في (أ ، ب) : (وتسعين) بدل (وسبعين) ، والمثبت من المصدرين الآتيين .

الاثنينِ لستٍّ خلونَ مِنَ المُحرَّمِ ، وكانَ ثقةً)[1] .

* * *

(١) انظر « تاريخ بغداد » (١/ ٣٤٣) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٣٨١ـ٣٨٢) ، وجاء بعد قوله : (وكان ثقة) : (وكان يقول الشعر ، فمن شعره : ما ضاع . . .) إلى آخر البيتين الذين ذكرتهما في الهامش أثناء ترجمة أبي الحسن ابن مهدي ، ونبَّه في هامش الأصل أنهما ليسا للنقاش ، وإنما هما لابن مهدي ، ويكتبان في ترجمته ، وترجمته ضمن الأوراق الساقطة كما أشرت إليه .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ القاسمِ المعروفُ بـ (الشافعيِّ) الأصفهانيُّ

قالَ الحافظُ أبو نعيمٍ الأصفهانيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (أبو عبدِ اللهِ الشافعيُّ ، مُتكلِّمٌ على مذهبِ أهلِ السنَّةِ ، ينتحلُ مذهبَ أبي الحسنِ الأشعريِّ .

عادَ إلىٰ أصفهانَ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وثلاثِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بها يومَ الجمعةِ لاثنتي عشرةَ ليلةً خلتْ مِنْ شهرِ ربيعٍ الأولِ سنةَ إحدىٰ وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ .

سمعَ الكثيرَ بالعراقِ ، كثيرُ المُصنَّفاتِ في الأصولِ والفقهِ والأحكامِ)[1] .

* * *

(١) تاريخ أصفهان (٢/ ٢٧١) ، وأخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٨٣) ، وزاد أبو نعيم في « التاريخ » : (روىٰ عن محمد بن سليمان المالكي ، والمادرائي ، واللؤلؤي) .

ومنهُم :

أبو محمدٍ عبدُ الواحدِ بنُ أحمدَ بنِ القاسمِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمٰنِ الزُّهْريُّ المُذكِّرُ

مِنْ ولدِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ عوفٍ .

قالَ الحافظُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ : (هوَ ابنُ أبي الفضلِ المُذكِّرُ المُتكلِّمُ الأشعريُّ .

سمعَ : أبا حامدِ ابنَ بلالٍ ، وأبا بكرٍ القطانَ ، وأقرانَهُما ، ثمَّ صحبَني عندَ أبي النضرِ بطوسَ ، وعندَ المحبوبيِّ والسيَّاريِّ بمروَ ، وسمعَ معَنا الكثيرَ .

وكانَ يصومُ الدهرَ ، ويختمُ القرآنَ في كلِّ يومينِ .

تُوفِّيَ بنيسابورَ غداةَ الخميسِ الثامنَ عشرَ مِنْ شهرِ ربيعٍ الأولِ سنةَ اثنتينِ وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ)[1] .

* * *

(١) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٨٤) ، وزاد : (دخلتُ عليه ـ الداخل أبو عبد الله الحاكم ـ يوم وفاته باكراً ، فبكى الكثيرَ ، وقال : أستودعك الله أيها الحاكم ؛ فإني راحل) .

ومنهُم :

أبو بكرٍ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمدٍ الفقيهُ البخاريُّ المعروفُ بـ (الأَوْدَنِيِّ) رحمَهُ اللهُ

قالَ الحافظُ أبو عبدِ اللهِ : (محمدُ بنُ عبدِ اللهِ ، أبو بكرٍ البخاريُّ ثمَّ الأَوْدَنيُّ الشافعيُّ[1] ، إمامُ الشافعيِّينَ بما وراءَ النهرِ في عصرِهِ بلا مدافعةٍ[2] .

قدمَ نيسابورَ سنةَ خمسٍ وستينَ ، وحجَّ ثمَّ انصرفَ ، فأقامَ عندَنا مدَّةً في سنةِ ستٍّ وستينَ ، وكانَ مِنْ أزهدِ الفقهاءِ وأورعِهِم ، وأكثرِهِمُ اجتهاداً في العبادةِ .

سمعَ ببخارىٰ : أبا الفضلِ يعقوبَ بنَ يوسفَ العاصميَّ ، [وأقرانَهُ] .

تُوفِّيَ ببخارىٰ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ ، رضيَ اللهُ عنهُ[3] .

* * *

(١) وضبطه الإمام النووي في « تهذيب الأسماء واللغات » (٢/ ١٩٢) بكسر الدال ، ونقل جواز ضم الهمزة .

(٢) ويعد من أصحاب الوجوه في المذهب الشافعي . انظر « تهذيب الأسماء واللغات » (٢/ ١٩١) .

(٣) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٨٥ـ٣٨٦) ، و« تهذيب الأسماء واللغات » (٢/ ١٩١ـ١٩٢) .

ومنهُم :

أبو منصورٍ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ حَمْشاذَ النيسابوريُّ

قالَ أبو عبدِ اللهِ الحاكمُ : (أبو منصورٍ ، الأديبُ الزاهدُ ، مِنَ العُبَّادِ العلماءِ المجتهدينَ .

درسَ الأدبَ : علىٰ أبي عمرٍو الزَّرْدِيِّ ، وأبي حامدٍ الخارْزَنْجِيِّ ، وأبي عمرَ الزاهدِ ، وأقرانِهم ، **والفقهَ** : علىٰ أبي الوليدِ بخراسانَ[1] ، وبالعراقِ علىٰ أبي عليِّ بنِ أبي هريرةَ ، **والكلامَ** : علىٰ أبي سَهْلِ الخلاطيِّ[2] ، **والمعانيَ** : علىٰ أبي بكرِ بنِ عبدسٍ ونظرائِهِ[3] .

وسمعَ : أبا حامدِ ابنَ بلالٍ ، ومحمدَ بنَ الحسينِ القطانَ ، وأقرانَهُما[4] .

وكانَ مِنَ المجتهدينَ في العبادةِ ، الزاهدينَ في الدنيا ، تجنَّبَ مخالطةَ السلاطينِ وأوليائِهم ، وظهرَ لهُ مِنْ مُصنَّفاتِهِ أكثرُ مِنْ ثلاثِ مئةِ كتابٍ مُصنَّفٍ ، وقد ظهرَ لنا في غيرِ شيءٍ واحدٍ أنَّهُ كانَ مُجابَ الدعوةِ .

(١) هو حسان بن محمد القرشي كما سيأتي التصريح به في (١/ ٣٨٤، ٣٩٥) .

(٢) في « التبيين » : (الخليطي) ، وقال ابن الصلاح في « الطبقات » (١/ ١٩٠) : (لا أعرف أبا سهل هٰذا ، إلا أن يكون أبا سهل محمد بن أحمد بن سهل الرَّشْتي المتكلم) .

(٣) في « التبيين » : (عبدوس) بدل (عبدس) ، وذكر محققه أنها في نسخه ما بين (عبدش ، وعبدوس ، وعبدس ، وعدس) .

(٤) وكان هٰذا السماع بخراسان ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٨٧) .

تُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ وقتَ الصبحِ يومَ الجمعةِ الرابعِ والعشرينَ مِنْ رجبٍ سنةَ ثمانٍ وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ ، وسمعتُهُ يقولُ في مرضِهِ الذي ماتَ فيهِ : إنَّ مولدَهُ سنةَ ستَّ عشرةَ وثلاثِ مئةٍ)[1] .

* * *

(١) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٨٧ـ٣٨٨) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٣/ ١٧٩ـ١٨١) .

ومنهُم :

أبو الحسينِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إسماعيلَ بنِ عنبسِ بنِ إسماعيلَ يُعرَفُ بـ (ابنِ سَمْعونَ الواعظِ)

لهُ قدمٌ عالٍ في هـٰذهِ العلومِ[1] ، وهوَ لسانُ الوقتِ .

قالَ الشيخُ أبو عبدِ الرحمـٰنِ محمدُ بنُ الحسينِ بنِ موسى السُّلَميُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (هوَ إمامُ المُتكلِّمينَ علىٰ هـٰذا اللسانِ في الوقتِ ، لقيتُهُ وشاهدتُهُ ، وهوَ المُعبِّرُ عنِ الأحوالِ بألطفِ بيانٍ ، معَ ما يُرجَعُ إليهِ مِنْ صحةِ الاعتقادِ وصحبةِ الفقراءِ)[2] .

حدَّثَ : عن أبي بكرٍ عبدِ اللهِ بنِ أبي داودَ السِّجِسْتانيِّ ، والمُخَرِّميِّ ، وطبقتِهما .

وكانَ القاضي أبو بكرٍ الأشعريُّ وأبو حامدٍ يُقبِّلانِ يدَهُ إذا جاءاهُ ، وكان القاضي يقولُ : ربَّما خَفِيَ عليَّ مِنْ كلامِهِ بعضُ الشيءِ لدقَّتِهِ[3] .

ذكرَ أبو محمدٍ السنِّيُّ صاحبُ ابنِ سَمْعونَ قالَ : كانَ ابنُ سَمْعونَ ينسَخُ في أولِ عمرِهِ بأجرةٍ ، ويعودُ بأجرةِ نَسْخِهِ علىٰ أمِّهِ وعلىٰ نفسِهِ لبِرِّهِ بها .

(١) في « التبيين » (ص٣٨٩) : (له لسان) بدل (له قدم) ، وإذا قصد بالقدم الجارحة جاز فيها التأنيث والتذكير . انظر « تاج العروس » (٣٣/ ٢٣٦) ، مادة : (ق د م) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٨٩) ، وفي « تاريخه » (٥١/ ٩) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٩١) ، وفي « تاريخه » (٥١/ ١٢) ، وأبو بكر الأشعري : هو سيف السنة ولسان الأمة القاضي الباقلاني ، وأبو حامد : هو الإسفرايني إمام طريقة العراقيين في المذهب الشافعي .

فقالَ يوماً : أحبُّ أنْ أحجَّ ، فقالَتْ : كيفَ يمكنُكَ وما معَكَ نفقةٌ ، وإنَّما عيشُنا مِنْ أجرةِ النسخِ ؟! فغلبَ عليها النومُ ، فانتبهَتْ وقالَتْ : يا ولدي ؛ حُجَّ ، رأيتُ الساعةَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وهوَ يقولُ : « دعيهِ يحجُّ ؛ فإنَّ الخِيرةَ لهُ في الحجِّ في الآخرةِ والأُولىٰ » ، ففرحَ ودفعَ لها مِنْ دفاترَ باعَها نفقةً ، وخرجَ ، فأخذَتِ العربُ الحُجَّاجَ . . .

قالَ بعدَ قصَّةٍ طويلةٍ : وصلتُ إلىٰ مكَّةَ ، فأحرمتُ وسألتُ أحدَ بني شيبةَ أنْ يُدخِلَني البيتَ ، وذكرتُ لهُ فقري ، فأدخلَني البيتَ وأغلقَ عليَّ البابَ ، فقلتُ : اللهمَّ ؛ إنَّكَ بعلمِكَ غَنِيٌّ عن إعلامي بحالي ، اللهمَّ ؛ ارزقْني عِيشةً أستغني بها عن سؤالِ الناسِ ، فسمعتُ قائلاً يقولُ مِنْ ورائي : اللهمَّ ؛ إنَّهُ ما يُحسِنُ أنْ يدعوَكَ ، اللهمَّ ؛ ارزقْهُ عيشاً بلا معيشةٍ ، فالتفتُّ ، فلم أرَ أحداً ، فقلتُ : هٰذا الخضرُ أو أحدُ الملائكةِ ، فأعدتُ القولَ ، فأعادَ ثلاثَ مراتٍ .

فلمَّا عُدتُ إلىٰ بغدادَ كانَ مِنْ حَرَمِ الخليفةِ جاريةٌ مِنْ جواريهِ[1] لم تَطِبْ نفسُهُ أنْ يُهمِلَها ، فقالَ : اطلبُوا رجلاً مستوراً يصلحُ أنْ يتزوَّجَ بهٰذهِ الجاريةِ ، فدَلُّوهُ عليَّ .

فتزوجَ بالجاريةِ ، ونقلَ الخليفةُ معَها مِنَ المالِ والثيابِ والجواهرِ ما يُحمَلُ إلى الملوكِ ، فكانَ ابنُ سَمْعونَ يجلسُ علىٰ كرسيِّ الوعظِ ويقولُ : خرجتُ حاجّاً ، فكانَ مِنْ حالي كذا وكذا ـ ويذكرُ حالَهُ ـ وهٰأنا اليومَ عليَّ مِنَ الثيابِ ما ترَوْنَ ، وطِيبي ما تعرفُونَ ، ولو وطئتُ على العِنَبَةِ[2] تألَّمتُ مِنَ

(١) العبارة في « التبيين » : (وعدت إلىٰ بغداد ، وكان الخليفة قد حَرَّمَ جاريةً من جواريه) .

(٢) في (ب) : (العتبة) .

الدلالِ ، تألَّمتُ ونفسي تلكَ النفسُ !(١) .

ومِنْ كراماتِهِ معَ ما ذكرْناهُ : أنَّهُ لمَّا خرجَ مِنْ مدينةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . حملَ معَهُ تمراً صَيْحانيّاً ، فلمَّا دخلَ البيتَ المُقدَّسَ(٢) تركَ التمرَ معَ غيرِهِ مِنَ الطعامِ في الموضعِ الذي كانَ يأوي إليهِ ، ثمَّ طالبَتْهُ نفسُهُ بأكلِ الرُّطَبِ ، فأقبلَ عليها باللائمةِ ، وقالَ : مِنْ أينَ لنا في هٰذا الموضعِ الرُّطَبُ ؟! فلمَّا كانَ وقتُ الإفطارِ عَمَدَ إلى التمرِ ليأكلَهُ ، فوجدَهُ رطباً صَيْحانيّاً ، فلم يأكلْ منهُ شيئاً ، ثمَّ عادَ إليهِ مِنَ الغدِ عشيَّةً ، فوجدَه تمراً على حالِهِ(٣) .

وذكرَ أبو الفتحِ القوَّاسُ قالَ(٤) : لحقَتْني ضائقةٌ ، فنظرتُ فلم أجدْ في البيتِ غيرَ قوسٍ لي وخُفَّينِ كنتُ ألبسُهُما ، فأصبحتُ وقد عزمتُ على بيعِهما ، وكانَ يومَ مجلسِ أبي الحسينِ ابنِ سَمْعونَ ، فقلتُ في نفسي : أحضرُ المجلسَ ، ثمَّ أنصرفُ فأبيعُ الخُفَّينِ والقوسَ .

قالَ : وكنتُ قلَّما أتخلَّفُ عن حضورِ مجلسِ ابنِ سمعونَ ، فحضرتُ المجلسَ ، فلمَّا أردتُ الانصرافَ نادى أبو الحسينِ : يا أبا الفتحِ ؛ لا تبعِ الخفَّينِ ولا القوسَ ؛ فإنَّ اللهَ سيأتيكَ برزقٍ مِنْ عندِهِ(٥) .

(١) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٩١ـ٣٩٣) ، وفي « تاريخه » (٥١/ ١٠ـ١١) .

(٢) هو بيت المَقْدِس .

(٣) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١/ ٢٩١) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٩٣) ، وفي « تاريخه » (٥١/ ١٣ـ١٤) .

(٤) هو الإمام القدوة المحدث الثقة يوسف بن عمر بن مسرور البغدادي القواس (ت٣٨٥هـ) ، كان من الأبدال ، وكان مجاب الدعوة ، وقال الدارقطني : (كنا نتبرك بأبي الفتح وهو صبي) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٤٧٥) .

(٥) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١/ ٢٩١) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٩٣ـ٣٩٤) ، وفي « تاريخه » (٥١/ ١٤) .

وغَشِيَ أبا الفتحِ هٰذا النعاسُ مرَّةً ، وكانَ جالساً إلىٰ جنبِ الكرسيِّ ، فأمسكَ أبو الحسينِ عنِ الكلامِ ساعةً حتى استيقظَ ، فقالَ لهُ أبو الحسينِ : رأيتَ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في نومِكَ ؟ قالَ : نعم ، قالَ : لذلكَ أمسكتُ عنِ الكلامِ ؛ خوفاً أنْ تنزعجَ وينقطعَ ما كنتَ فيهِ[1] .

وكلامُ ابنِ سَمْعونَ هٰذا أكثرُ وأشهرُ مِنْ أنْ نُكثِرَ منهُ .

وُلِدَ سنةَ ثلاثِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ سنةَ سبعٍ وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ ، يومَ الخميسِ الرابعَ عشرَ مِنْ ذي القَعْدةِ ، ودُفِنَ في دارِهِ بشارعِ العتَّابيِّينَ[2] .

* * *

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » (١/ ٢٩١) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٩٤) ، وفي « تاريخه » (٥١/ ١٤) .

(٢) ونقل الحافظ البغدادي في « تاريخه » (١/ ٢٩٣) عن بعضهم : أنه لم يزل مدفوناً بالشارع المذكور حتىٰ نُقِلَ في يوم الخميس الحادي عشر من رجب سنة ستٍّ وعشرين وأربع مئة ، فدفن بباب حرب وأكفانُه لم تكن بَلِيَتْ بعدُ ، رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه ، وأمدَّنا من إمداداته ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٣٩٦) .

ومنهُم :

أبو عبدِ الرحمٰنِ محمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ أبي عبدِ الرحمٰنِ القطَّانُ الشُّرُوطيُّ[1]

قالَ ابنُ عساكرَ رحمَهُ اللهُ : (كانَ مُتكلِّماً علىٰ مذهبِ السنَّةِ ، عالماً بالشُّروطِ والطبِّ ، وكتبَ الحديثَ : عن أبي يعقوبَ النَّحْويِّ ومَنْ في طبقتِهِ . تُوفِّيَ سنةَ تسعٍ وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ)[2] ، رحمَهُ اللهُ .

* * *

(١) وفي « الأنساب » (٨/ ٨٦) : أنَّ الشُّروطي : نسبة لمن يكتب الصكاك والسجلات ؛ لأنها مشتملة على الشروط .

(٢) تبيين كذب المفتري (ص٣٩٧) .

ومنهُم :

أبو عليٍّ زاهرُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عيسى السَّرَخْسِيُّ المقرئُ الفقيهُ المُحدِّثُ

قالَ الحاكمُ : (الحافظُ زاهرٌ السَّرَخْسِيُّ ، شيخُ عصرِهِ بخراسانَ .

سمعَ بخراسانَ : أبا لَبيدٍ محمدَ بنَ إدريسَ وأقرانَهُ ، **وبالعراقِ** : أبا القاسمِ البغويَّ ، وعليَّ ابنَ مُبشِّرٍ ، وأبا يعلى الأُبُلِّيَّ ، وأقرانَهُم .

رحلتُهُ في سنةِ خمسَ عشرةَ وثلاثِ مئةٍ ، **ولنيسابورَ** سنةَ ثمانٍ وثلاثينَ وثلاثِ مئةٍ ، أقامَ عندَنا سنةً .

سمعتُ مناظرتَهُ في مجلسِ الإمامِ أبي بكرٍ أحمدَ بنِ إسحاقَ وغيرِهِ .

وكانَ قرأَ[1] : علىٰ أبي بكرِ ابنِ مجاهدٍ ، **وتفقَّهَ** : علىٰ أبي إسحاقَ المَرْوَزِيِّ ، **ودرسَ الأدبَ** : علىٰ أبي بكرِ بنِ الأنباريِّ ، ومحمدِ بنِ يحيى الصُّوليِّ .

تُوفِّيَ يومَ الأربعاءِ سَلْخَ ربيعٍ الآخرِ سنةَ تسعٍ وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ)[2] ، رحمَهُ اللهُ .

* * *

(١) أي : القرآن ، كما في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٩٨) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٣٩٨) .

ذكر الطبقة الثانية الذين صحبوا أصحاب أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه

فمنهُم :

أبو سعدٍ إسماعيلُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ إسماعيلَ بنِ العباسِ الإسماعيليُّ الجُرْجانيُّ

قالَ الحافظُ أبو القاسمِ بنُ أبي الفضلِ الجُرْجانيُّ : [أخبرَنا أبو القاسمِ حمزةُ بنُ يوسفَ الجرجانيُّ] في « تاريخِ جُرْجانَ » في ترجمتِهِ : كانَ إمامَ زمانِهِ ، مُقدَّماً في الفقهِ وأصولِ الفقهِ والعربيَّةِ والكتابةِ والشُّروطِ والكلامِ ، صنَّفَ في أصولِ الفقهِ كتاباً كبيراً سمَّاهُ : « تهذيبَ النظرِ » ، ولهُ كتابُ « الأشربةِ » ، ردٌّ على الجصَّاصِ .

درَّسَ الفقهَ سنينَ كثيرةً ، واشتملَ على أوصافٍ وأخلاقٍ كلُّها مِنَ الخصالِ المحمودةِ التي لا تُحصى .

حججتُ معَهُ سنةَ أربعٍ وثمانينَ ، فرجعَ مِنْ نصفِ البادِيةِ ، وحجَّ في سنةِ خمسٍ وثمانينَ ، وكنتُ معَهُ إلى أنْ رجعَ إلى وطنِهِ ، وكانَ مُعظَّماً في جميعِ البلدانِ .

ولهُ النظمُ الحسنُ ؛ فمنهُ : [من الكامل]

إِنِّي ٱدَّخَرْتُ لِيَوْمِ وِرْدِ مَنِيَّتِي ... عِنْدَ ٱلإِلَهِ مِنَ ٱلأُمُورِ خَطِيرَا

وَهُوَ ٱلْيَقِينُ بِأَنَّهُ ٱلأَحَدُ ٱلَّذِي ... مَا زِلْتُ مِنْهُ بِفَضْلِهِ مَغْمُورَا

وَشَهَادَتِي أَنَّ ٱلنَّبِيَّ مُحَمَّداً ... كَانَ ٱلرَّسُولَ مُبَشِّراً وَنَذِيرَا

وَبَرَاءَتِي مِنْ كُلِّ شِرْكٍ قَالَهُ ... مَنْ لاَ يُقِرُّ بِفِعْلِهِ مَبْرُورَا[1]

وَمَحَبَّتِي آلَ ٱلنَّبِيِّ وَصَحْبَهُ ... كُلاً أَرَاهُ بِٱلْجَمِيلِ جَدِيرَا

وَتَمَسُّكِي بِٱلشَّافِعِيِّ وَعِلْمِهِ ... ذَاكَ ٱلَّذِي فَتَقَ ٱلْعُلُومَ بُحُورَا

وَجَمِيلُ ظَنِّي بِٱلإِلَهِ لِمَا جَنَتْ ... نَفْسِي وَإِنْ جَرَمَتْ عَلَيَّ شُرُورَا

إِنَّ ٱلظَّلُومَ لِنَفْسِهِ إِنْ يَأْتِهِ ... مُسْتَغْفِراً يَجِدِ ٱلإِلَهَ غَفُورَا

فَٱشْهَدْ إِلَهِي أَنَّنِي مُسْتَغْفِرٌ ... لاَ أَسْتَطِيعُ لِمَا مَنَنْتَ شُكُورَا

هَذَا ٱلَّذِي أَعْدَدْتُهُ لِشَدَائِدِي ... وَكَفَى بِرَبِّي هَادِياً وَنَصِيرَا[2]

وفيهِ وفي أخيهِ أبي نصرٍ وأبيهما أبي بكرٍ يقولُ الصاحبُ بنُ عبَّادٍ في « رسالتِهِ » : (**وأمَّا الفقيهُ أبو نصرٍ** : فإذا جاءَ « حدَّثَنا » و« أخبرَنا » . . فصادعٌ وصادقٌ ، وناقدٌ وناطقٌ .

وأمَّا أنتَ أيُّها الفقيهُ أبو سعدٍ : فمَنْ يراكَ كيفَ تُدرِّسُ ، وتُفتي وتُحاضِرُ ، وتَروي وتكتبُ وتُملي . . علمَ أنَّكَ الحَبْرُ بنُ الحَبْرِ ، والبحرُ بنُ البحرِ ، والضياءُ بنُ الفجرِ ، وأبو سعدِ بنُ أبي بكرٍ .

فرحمَ اللهُ شيخَكُمُ الأكبرَ ؛ فإنَّ الثناءَ عليهِ حتمٌ وغُنْمٌ ، والنساءَ بمثلِهِ عُقْمٌ ، فليفخرْ بهِ أهلُ جُرْجانَ ، ما سالَ واديها ، وأذَّنَ مُناديها)[3] .

ومِنْ كراماتِهِ : أنَّهُ تُوفِّيَ وهوَ في صلاةِ المغربِ يقرأُ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] ، وهوَ فقيرٌ مِنَ المالِ والضِّياعِ والمتجرِ ؛

(١) في « تاريخ جرجان » : (مقدوراً) .

(٢) تاريخ جرجان (ص١٤٧ـ ١٤٨) ، وأخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٠٣ ، ٤٠٥) ، وذكر كلام الجرجاني بطوله ، وأورده المؤلف هنا مختصراً جداً ، وهو منهج اتبعه في غالب التراجم كما نبه عليه في (١/ ٣٥٠) .

(٣) أورد هذه القطعةَ ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٠٦ـ٤٠٧) نقلاً عن أبي إسحاق الشيرازي ، وانظر « طبقات الفقهاء » (ص١٢١) .

ذهبَ جميعُ ذلكَ ما بينَ شرقٍ وغربٍ[1] .

تُوفِّيَ سنةَ ستٍّ وتسعينَ وثلاثِ مئةٍ في شهرِ ربيعٍ الآخرِ ، وصلَّىٰ عليهِ أخوهُ أبو نصرٍ في صحراءِ بابِ الخندقِ في جمعٍ عظيمٍ لم أرَ مثلَهُ بجُرْجانَ في تشييعِ جنازةٍ قطُّ[2] ، ودُفِنَ عندَ رأسِ والدِهِ أبي بكرٍ وهوَ ابنُ ثلاثٍ وستينَ سنةً[3] .

* * *

(١) انظر « تاريخ جرجان » (ص١٤٨) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٤٠٤) .

(٢) القائل : هو أبو القاسم الجرجاني ، كما في « تاريخ جرجان » ، ولعل المؤلف عندما اختصر كلام الحافظ ابن عساكر أقحم القطعة السابقة عن الصاحب بن عباد ظنّاً منه أن الجميع منقول عن « تاريخ الجرجان » ، والله تعالىٰ أعلم .

(٣) انظر « تاريخ جرجان » (ص١٤٧ـ١٤٨) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٤٠٤) .

ومنهُم :

أبو الطيِّبِ سهلُ بنُ محمدِ بنِ سليمانَ بنِ محمدِ بنِ سليمانَ ابنِ موسى بنِ عيسى بنِ إبراهيمَ العِجْليُّ

الفقيهُ الأديبُ الحنفيُّ الصُّعْلُوكيُّ[1] ، مفتي نيسابورَ وابنُ مُفتيها .

قالَ الحافظُ أبو عبدِ اللهِ : (هوَ أكتبُ [مَنْ رأَيْنا] مِنْ علمائِنا وأنظرُهُم)[2] .

قالَ : (وسمعتُ أبا الأَصْبَغِ عبدَ العزيزِ بنَ عبدِ الملكِ وانصرفَ إلينا مِنْ نيسابورَ ونحنُ ببخارىٰ ، فسألْناهُ : ما الذي استفدتَ هٰذهِ الكرَّةَ بنيسابورَ ؟ فقالَ : رؤيةُ سهلِ بنِ أبي سهلٍ ؛ فإنِّي منذُ فارقتُ وطني بأقصى المغربِ وجئتُ إلىٰ أقصى المشرقِ . . ما رأيتُ مثلَهُ)[3] .

قالَ : (بلغَني أنَّهُ اجتمعَ في مجلسِهِ عشيةَ الجمعةِ الثالثِ والعشرينَ مِنَ المُحرَّمِ سنةَ سبعٍ وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ . . خمسُ مئةِ مِحْبرةٍ)[4] .

قالَ الحاكمُ : (سمعتُ أبا الوليدِ حسَّانَ بنَ محمدٍ الفقيهَ يقولُ : كُنَّا في مجلسِ القاضي أبي العباسِ ابنِ سُرَيجٍ ، فقامَ شيخٌ فقالَ : أَبْشِرْ أيُّها القاضي ؛ فإنَّ اللهَ يبعثُ علىٰ رأسِ كلِّ مئةِ سنةٍ مَنْ يُجدِّدُ لها ـ يعني : الأمةَ ـ أمرَ دينِها ؛ فإنَّهُ تعالىٰ بعثَ علىٰ رأسِ المئةِ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ ، تُوفِّيَ سنةَ إحدىٰ

(١) قوله : (الحنفي) أي : منسوب لبني حنيفة ، لا كونه حنفيَّ المذهب ، بل هو من كبار أئمة الشافعية . انظر « طبقات الفقهاء » (ص١٢٠) .

(٢) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٠٨) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٠٩) .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٠٩) .

ومئةٍ[1]، وبعثَ على رأسِ المئتينِ أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ إدريسَ الشافعيَّ، وتُوفِّيَ سنةَ أربعٍ ومئتينِ ، وبعثَكَ على رأسِ الثلاثِ مئةٍ ، ثمَّ أنشأَ يقولُ : [من الكامل]

إِثْنَانِ قَدْ مَضَيَا وَبُورِكَ فِيهِمَا عُمَرُ ٱلْخَلِيفَةُ ثُمَّ حِلْفُ ٱلسُّؤْدَدِ
ٱلشَّافِعِيُّ ٱلأَلْمَعِيُّ مُحَمَّدٌ إِرْثُ ٱلنُّبُوَّةِ وَٱبْنُ عَمِّ مُحَمَّدِ
أَبْشِرْ أَبَا ٱلْعَبَّاسِ إِنَّكَ ثَالِثٌ مِنْ بَعْدِهِمْ سَقْياً لِتُرْبَةِ أَحْمَدِ

قالَ : فصاحَ الشيخُ أبو العباسِ وبكى ، وقالَ : قد نعى إليَّ نفسي .

قالَ الشيخُ أبو الوليدِ : فماتَ القاضي في تلكَ السنةِ) .

قالَ أبو عبدِ اللهِ الحاكمُ : فلمَّا رُوِيَتْ لنا[2] كتبُوها ، فكانَ ممَّنْ كتبَها شيخٌ أديبٌ فقيهٌ ، فلمَّا حضرَ في المجلسِ الثاني قالَ لي بعضُ الحاضرينَ : إنَّ هٰذا الشيخَ قد زادَ في هٰذهِ الأبياتِ ذكرَ الشيخِ أبي الطيِّبِ سهلِ الصُّعْلُوكيِّ ، فجعلَهُ على رأسِ الأربعِ مئةٍ ، قالَ :

وَٱلرَّابِعُ ٱلْمَشْهُورُ سَهْلُ مُحَمَّدٍ أَضْحَى إِمَاماً عِنْدَ كُلِّ مُوَحِّدِ
يَأْوِي [إِلَيْهِ ٱلْمُسْلِمُونَ بِأَسْرِهِمْ فِي ٱلْعِلْمِ إِنْ جَاؤُوا بِخَطْبٍ مُؤْيِدِ[3]
لا زَالَ فِيمَا بَيْنَنَا شَيْخَ ٱلْوَرَىٰ لِلْمَذْهَبِ ٱلْمُخْتَارِ خَيْرَ مُجَدِّدِ

قالَ الحاكمُ : (فسكتُّ ولم أنطقْ ، وغمَّني ذلكَ ، إلى أنْ قدَّرَ اللهُ وفاتَهُ رحمَهُ اللهُ في تلكَ السنةِ)[4] .

(١) زاد في (أ ، ب) : (سنة) ، والمثبت من « تبيين كذب المفتري » .

(٢) العبارة في « التبيين » : (فلمَّا رويتُ أنا هٰذهِ الحكاية) .

(٣) المُؤيد : الأمر العظيم ، أو الداهية .

(٤) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤١٠-٤١١) ، وتوفي أبو الطيب بنيسابور في شهر رجب سنة أربع وأربع مئة ، هٰذا ؛ وذهب بعضهم ـ ومنهم ابن عساكر ـ : إلى أن المبعوث على رأس المئة الثالثة هو أبو الحسن الأشعري ، ورجَّح ابن السبكي أن يكون ابنَ سُريج ، وقال : (وعندي : أنه لا يبعد أن يكون كلٌّ منهما مبعوثاً ؛ هٰذا في فروع الدين ، وهٰذا في=

.

= أصوله ، وكلاهما شافعي المذهب ، **والأرجح** : إن كان الأمر منحصراً في واحد أن يكون هو ابنَ سريج) ، **وذهب بعضهم** : إلىٰ أن المبعوث علىٰ رأس المئة الرابعة هو أبو حامد الإسفرايني وليس أبا الطيب الصعلوكي ، ورجَّح ابن عساكر أنه أبو بكر الباقلاني . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (١/ ٢٠٠ـ٢٠٣) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص١٥٩) .

وسقط بعد ترجمة أبي الطيب الصعلوكي بعض الورقات من الأصل ، وقد ضَمَّت أربع تراجم ، **وإليك هـٰذه التراجمَ مختصرةً من « تبيين كذب المفتري »** :

ومنهم : أبو الحسن علي بن داود المقرئ الداراني الدمشقي رحمه الله تعالىٰ :

قرأ : على ابن الأخرم ، وانتهت الرئاسة إليه في قراءة الشاميين ، **وحدَّث** : عن الحسن بن حبيب ، وخيثمة بن سليمان ، وغيرهما ، وكان ثقة مأموناً ، مضىٰ علىٰ سداد وأمر جميل ، **وكان يذهب إلىٰ مذهب أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالىٰ** .

وكان إماماً في داريَّا ، فلما مات إمام جامع دمشق خرج إليه أهلها ليأتوا به للصلاة بالناس في جامع دمشق ، وكان منهم القاضي الشريف أبو عبد الله بن النصيبي الحسيني وجِلَّةُ شيوخ البلد ، فأتوا به إلىٰ دمشق بعد تمنُّع شديد من أهل داريا أوَّلاً ، ودخل دمشق وسكن في أحد بيوت المنارة الشرقية ، وكان يصلي بالناس ، ويقرئهم في شرقي الرواق الأوسط من الجامع ، ولا يأخذ علىٰ صلاته أجراً ، ولا يقبل ممن يقرأ عليه بُرّاً ، ويقتات من غَلَّة أرض له بداريَّا .

وحكىٰ أبو الحسن علي بن المسلم عن بعض شيوخه : أن أبا الحسن بن داود لمَّا كان يصلي في جامع دمشق تكلَّم فيه بعضُ الحشوية ، فكتب إلى القاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن الباقلاني إلىٰ بغداد يعرفه ذلك ، ويسأله أن يرسل إلىٰ دمشق من أصحابه من يُوضِّح لهم الحق بالحجة ، فبعث القاضي تلميذه أبا عبد الله الحسين بن حاتم الأذري ، فعقد مجلس التذكير في جامع دمشق في حلقة أبي الحسن بن داود ، وذكر التوحيد ، ونزَّه المعبود ونفىٰ عنه التشبيه والتحديد ، فخرج أهل دمشق من مجلسه وهم يقولون : أحدٌ أحدٌ .

توفي أبو الحسن الداراني يوم الأربعاء ، لستٍّ خلون من جمادى الأولىٰ ، سنة اثنتين وأربع مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤١٣ـ٤١٦) .

ـ والقاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني رحمه الله تعالىٰ :

من أهل البصرة ، سكن بغداد ، **وسمع بها الحديث** : من أبي بكر بن مالك ، وأبي محمد ابن ماسي ، وأبي أحمد الحسين بن علي النيسابوري ، **وخرَّج له** : محمد بن أبي الفوارس الحنبلي ، **وحدَّث عنه** : القاضي أبو جعفر السِّمناني ، وكان ثقةً .

.

= وكان أعرفَ الناس بعلم الكلام ، وأحسنَهم خاطراً ، وأجودهم لساناً ، وأوضحهم بياناً ، وأصحَّهم عبارةً ، وله التصانيف الكثيرة في الرد على المخالفين ؛ من الرافضة والمعتزلة والجهمية والخوارج وغيرهم ، وذكر له الحافظ ابن عساكر بعض المناظرات مع المعتزلة والنصارىٰ .

وقال أبو القاسم بن بَرْهان النحوي : (من سمع مناظرة القاضي أبي بكر لم يستلذَّ بعدها بسماع كلام أحد من المتكلمين والفقهاء والخطباء والمُترسِّلين ولا الأغاني أيضاً ؛ من طيب كلامه وفصاحته ، وحسن نظامه وإشارته) .

وقال القاضي أبو بكر الخوارزمي : (كلُّ مُصنِّف ببغداد إنما ينقل من كتب الناس إلىٰ تصانيفه ، سوى القاضي أبي بكر ؛ فإن صدره يحوي علمه وعلم الناس) .

وقال أبو الفرج محمد بن عمران الخلال : (كان وِرْد القاضي أبي بكر محمد بن الطيب في كل ليلة عشرين ترويحة ، ما تركها في حضر ولا سفر ، وكان كلَّ ليلة إذا صلَّى العشاء وقضىٰ ورده . . وضع الدَّواة بين يديه ، وكتب خمساً وثلاثين ورقة من حفظه ، وإذا صلى الفجر دفع إلىٰ بعض أصحابه ما صنَّفه في ليلته ، وأمره بقراءته عليه ، وأملىٰ عليه الزيادات فيه) .

توفي يوم السبت الثالث والعشرين من ذي القعدة ، سنة ثلاث وأربع مئة ، وحضر أبو الفضل التميمي الحنبلي يوم وفاته العزاءَ حافياً مع إخوته وأصحابه ، وأمر أن يُنادىٰ بين يدي جنازته : (هٰذا ناصر السنة والدين ، هٰذا إمام المسلمين ، هٰذا الذي كان يذبُّ عن الشريعة ألسنة المخالفين ، هٰذا الذي صنَّف سبعين ألف ورقة ردّاً على الملحدين) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤١٧ـ ٤٢٨) .

ـ **وأبو علي الحسن بن علي الدقَّاق النيسابوري شيخ أبي القاسم القشيري رحمهما الله تعالىٰ :**

قال فيه عبد الغافر الفارسي : (لسان وقته ، وإمام عصره ، نيسابوري الأصل ، تعلَّم العربية ، وحصَّل علم الأصول ، وخرج إلىٰ مرو ، وتفقه بها ودرس على الخِضْري ، وأعاد على الشيخ أبي بكر القفَّال المروزي في درس الخضري ، وبرع فيه .

ولمَّا استمع ما كان يحتاج إليه من العلوم . . أخذ في العمل ، وسلك طريق التصوف ، وصحب الأستاذ أبا القاسم النصراباذي) .

وقال أبو القاسم القشيري : (كان الأستاذ أبو علي رحمه الله لا يستند إلىٰ شيء ، وكان يوماً في مَجْمَع ، فأردتُّ أن أضع وسادة خلف ظهره ؛ لأني رأيته غير مستند ، فتنحَّىٰ عن الوسادة

.

* * *

= قليلاً ، فتوهَّمت أنه توفِّي الوسادة ؛ لأنه لم يكن عليه خرقةٌ أو سَجَّادة ، فقال : لا أريد الاستناد ، فتأمَّلت بعده حاله ، فكان لا يستند إلىٰ شيء) .

توفي في ذي الحجة سنة خمس وأربع مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٢٩ـ٤٣٠) ، وأورد الإمام القشيري في « الرسالة » أخباراً كثيرة عنه .

ـ وأبو نصر محمد بن أحمد الإسماعيلي الجرجاني رحمه الله تعالىٰ :

قال أبو القاسم الجرجاني في « تاريخه » : (ترأَّس في حياة والده أبي بكر الإسماعيلي وبعد وفاته إلىٰ أن توفي ، وكان له جاه عظيم ، وقبول عند الخاصِّ والعام في كثير من البلدان ، وتُحَلُّ بكتابه العُقَد .

وكان كتب الحديث الكثير : عن أبي يعقوب البحري ، وأبي العباس الأصم ، وأوَّل ما جلس للإملاء في حياة والده سنة ست وستين في مسجد الصفَّارين إلىٰ أن توفي والده ، ثم انتقل إلى المسجد الذي كان والده يملي فيه ، ويملي كل يوم سبت إلىٰ أن توفي .

وكانت وفاته في يوم الأحد ، ودفن في يوم الاثنين لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر ، سنة خمس وأربع مئة ، وصلَّىٰ عليه أبو معمر الإسماعيلي) انتهىٰ بتصرف ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٣٨) .

ومنهُمُ :

الأستاذ أبو بكرٍ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ فُورَك الأصبهانيُّ رحمَهُ اللهُ

قالَ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحافظُ : (محمدُ بنُ الحسنِ بنِ فُورَكَ : الأديبُ المُتكلِّمُ الأصوليُّ الواعظُ النحويُّ ، أبو بكرٍ الأصبهانيُّ .

أقامَ أوَّلاً بالعراقِ إلىٰ أنْ درسَ بها علىٰ مذهبِ الأشعريِّ ، ثمَّ لمَّا وردَ الرَّيَّ سَعَتْ بهِ المبتدعةُ ، فعقدَ][1] أبو محمدٍ الثقفيُّ مجلساً في مسجدِ رجاءٍ ، وجمعَ أهلَ السنَّةِ ، وتقدَّمْنا إلى الأميرِ ناصرِ الدولةِ أبي الحسنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ ، والتمسْنا منهُ المراسلةَ في توجُّهِهِ إلىٰ نيسابورَ[2] ، ففعلَ ، ووردَ نيسابورَ ، فبنىٰ لهُ الدارَ والمدرسةَ مِنْ خانكاه أبي الحسنِ البُوشَنْجيِّ ، وأحيا اللهُ بهِ في بلدِنا أنواعاً مِنَ العلومِ لمَّا استوطنَها ، وظهرَتْ بركتُهُ علىٰ جماعةٍ مِنَ المُتفقِّهةِ وتخرَّجُوا بهِ .

سمعَ : عبدَ اللهَ بنَ جعفرٍ الأصفهانيَّ ، وكثُرَ سماعُهُ بالبصرةِ وبغدادَ .

وحُكِيَ : أنَّ أبا عليٍّ الدقَّاقَ عقدَ المجلسَ ، ودعا للحاضرينَ وللغائبينَ مِنْ أعيانِ البلدِ وأئمَّتِهم ، فقيلَ لهُ : نسيتَ ابنَ فُورَكَ !! فقالَ : كيفَ أدعو لهُ وكنتُ أُقسِمُ على اللهِ البارحةَ بإيمانِهِ أنْ يَشفيَ عِلَّتي ، وكانَ بهِ وجعُ البطنِ تلكَ الليلةَ ؟!)[3] .

(١) ما بين معقوفين تم استكماله مختصراً من « تبيين كذب المفتري » (ص ٤١١ ، ٤٣٩) .

(٢) في « التبيين » : (توجيهه) بدل (توجهه) .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٤٠) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (١٢٨/٤) .

قالَ الإمامُ عبدُ الغافرِ الفارسيُّ : (بلغَتْ تصانيفُهُ في أصولِ الفقهِ والدينِ ومعاني القرآنِ قريباً مِنَ المئةِ ، وكانَ قد دُعِيَ إلىٰ غَزْنَةَ ، وجرتْ لهُ بها مناظراتٌ ، وكانَ شديدَ الردِّ علىٰ أصحابِ البدعِ مِنْ أصحابِ بعضِ الأئمَّةِ المختلفينَ عليهِ ، ولمَّا عادَ مِنْ غَزْنَةَ سُمَّ في الطريقِ ، ومضىٰ إلىٰ رحمةِ اللهِ تعالىٰ)[1] .

عدَّه الإمامُ أبو القاسمِ القُشيريُّ معَ جملةِ أكابرِ المشايخِ الصُّلَحاءِ الأولياءِ في « رسالتِهِ »[2] ، وحكىٰ عنهُ أنَّه قالَ : حُمِلتُ مُقيَّداً إلىٰ شيرازَ لفتنةٍ في الدينِ ، فوافَيْنا بابَ البلدِ مُصبِحاً ، وكنتُ مهمومَ القلبِ ، فلمَّا استقرَّ النهارُ وقعَ بصري علىٰ محرابٍ في مسجدٍ علىٰ بابِ البلدِ مكتوبٍ عليهِ : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر : ٣٦] ، فحصلَ ليَ التعريفُ مِنْ باطني أنَّني أُكفىٰ عن قريبٍ ، فكانَ كذلكَ ، وصرفُوني بالعزِّ ، والحمدُ للهِ[3] .

(١) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٤٠ـ٤٤١) ، وانظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص١٧) ، وعقد ابن السبكي في « طبقاته » (٤/ ١٣٠ـ١٣٣) فصلاً شرح فيه حال الفتنة التي تعرَّضت له ، وردَّ فيه أكذوبة سمجة نقلها الذهبي عن ابن حزم الظاهري ، ثم قال : (وأما قول شيخنا الذهبي : « إنه مع دينه صاحب فلتة وبدعة » : فكلام متهافت ؛ فإنه يشهد بالصلاح والدين لمن يقضي عليه بالبدعة ، ثم ليت شعري !! ما الذي يعني بالفلتة ؛ إن كانت قيامه في الحق كما نعتقد نحن فيه . . فتلك من الدين ، وإن كانت في الباطل فهي تنافي الدين ، وأما حكمه بأنَّ ابن فورك خير من ابن حزم : فهـٰذا التفضيل أمره إلى الله تعالىٰ ، ونقول لشيخنا : إن كنت تعتقد فيه ما حكيت من انقطاع الرسالة ـ وهي المسألة المكذوبة عليه التي وُشِي بها إلى السلطان ـ فلا خير فيه ألبتة ، وإلا فلِمَ لا نبَّهت علىٰ أن ذلك مكذوب عليه ؛ لئلا يُغترَّ به ؟!) .

(٢) إذ نقل بعض كلامه ، وروىٰ عنه كثيراً في مواضع متفرقة ، والحكاية الآتية من جملة ما روىٰ عنه مما لم يُذكَر في « الرسالة » .

(٣) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٤١) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٣٠) .

تُوفِّيَ سنةَ ستٍّ وأربعِ مئةٍ في الطريقِ فيما بينَ غَزْنةَ ونيسابورَ ، وحُمِلَ إلىٰ نيسابورَ ، ومشهدُهُ اليومَ ظاهرٌ يُستسقىٰ بهِ ، ويُجابُ الدعاءُ عندَهُ ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ .

* * *

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ [محمدِ بنِ] أحمدَ بنِ مِيْلَهْ ومحمدٌ يُعرَفُ بـ (ماشاذه)

قالَ الحافظُ أبو نُعيمٍ : (كانَ مِنْ شيوخِ الفقهاءِ ، أحدَ أعلامِ الصوفيَّةِ ، وكانَ صحبَ : أبا بكرٍ عبدَ اللهِ بنَ إبراهيمَ بنِ واضحٍ ، وأبا جعفرٍ محمدَ بنَ الحسنِ بنِ منصورٍ ، وغيرَهُما ، وزادَ عليهِما في طريقتِهِما خُلُقاً وفُتُوَّةً ، لا تأخذُهُ في اللهِ لومةُ لائمٍ ، جمعَ بينَ علمِ الظاهرِ وعلمِ الباطنِ .

كانَ يُنكِرُ على مُشبِّهةِ الصوفيَّةِ وغيرِهِم مِنَ الجُهَّالِ فسادَ مقالتِهِم في الحلولِ والإباحةِ والتشبيهِ ، وغيرَ ذلكَ مِنْ جميعِ أخلاقِهِم ، وقبيحِ أفعالِهِم وأقوالِهِم .

تُوفِّيَ يومَ الفطرِ ضحوةَ الأربعاءِ سنةَ أربعَ عشرةَ وأربعِ مئةٍ)[1] .

* * *

(١) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص ٤٥٢) ، وانظر « تاريخ أصبهان » (١/٤٤٩) ، وفيه : (على المتشبهة بالصوفية) بدل (على مشبهة الصوفية) ، ومثله في « تاريخ الإسلام » (٢٨/٣٥٣) ، وهو أولى من المثبت ها هنا نقلاً عن « تبيين كذب المفتري » ، ويستأنس له بقوله : (وغير ذلك من جميع أخلاقهم ، وقبيح أفعالهم وأقوالهم) ، والله تعالى أعلم .

ومنهُمُ :

السيدُ الشريفُ أبو طالبِ ابنُ المهتدي الهاشميُّ الدمشقيُّ[1]

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (روىٰ عن أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ إبراهيمَ ابنِ مروانَ ، وكانَ فقيهاً حافظاً للفقهِ ، يذهبُ إلىٰ مذهبِ الأشعريِّ رحمَهُ اللهِ .

تُوفِّيَ يومَ الاثنينِ عاشرَ رمضانَ سنةَ خمسَ عشرةَ وأربعِ مئةٍ)[2] .

* * *

(١) واسمه مع نسبه كما ورد في « التبيين » (ص٤٥٤) : (أبو طالب عبد الوهاب بن عبد الملك بن المهتدي بالله) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٢٨/ ٣٧٨) .

(٢) تبيين كذب المفتري (ص٤٥٤) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٣٧/ ٣٣٥ـ٣٣٦) .

ومنهُمُ :

الأستاذُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ حمدُويه بنِ نُعيمِ بنِ الحكمِ الحافظُ[1]

قالَ الحافظُ أبو القاسمِ ابنُ عساكرَ : (قرأتُ بخطِّ الشيخِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ سليمانَ التميميِّ ما ذكرَ أنَّهُ وقعَ إليهِ عن أبي حازمٍ عمرَ بنِ أحمدَ بنِ إبراهيمَ الحافظِ العَبْدَويِّ قالَ : الإمامُ أبو عبدِ اللهِ . . .) .

وذكرَ مِنْ نسبِهِ ما ذكرْناهُ ، ثمَّ قالَ : (إمامُ أهلِ الحديثِ في عصرِهِ ، **سمعَ بخراسانَ** : أبا العباسِ بنَ يعقوبَ ، وأبا عبدِ اللهِ الصفَّارَ ، وأبا العباسِ ابنَ محبوبٍ ، وطبقتَهُم ، **وبالجبالِ**[2] : أبا محمدِ بنَ حمدانَ الجلابَ ، وأبا جعفرِ ابنَ عبدِ اللهِ الحافظَ الهَمَذانيَّ[3] ، **وبالعراقِ** : أبا عمرِو بنَ السمَّاكِ ، وابنَ عقبةَ الشيبانيَّ ، وطبقتَهُما ، **وبالحجازِ** : أبا يحيىٰ [نافلةَ] عبدِ اللهِ ابنِ يزيدَ المقرئَ[4] ، وأبا إسحاقَ ابنَ فراسٍ المالكيَّ ، وأقرانَهُما ، وليس يمكنُ

(١) وهو المشهور بـ (الحاكم) و(ابن البيِّع) رحمه الله تعالىٰ .

(٢) قال ياقوت الحموي في « معجم البلدان » (٢/ ٩٩) : (**الجبال** : جمع جبل ؛ اسمُ علمٍ للبلاد المعروفة اليوم باصطلاح العجم بـ « العراق » ، وهي ما بين أصبهان إلىٰ زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والري ، وما بين ذلك من البلاد الجليلة والكور العظيمة) .

(٣) في « تبيين كذب المفتري » : (ابن عبيد) بدل (ابن عبد اللهِ) .

(٤) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، **والنافلة** : ولد الولد وإن سفل ؛ وذلك لأن الأصل كان الولدَ ، فصار ولدُ الولد زيادةً على الأصل ؛ **ومنه قوله تعالىٰ** : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ﴾ [الأنبياء : ٧٢] وذلك أن إسحاق وُهِبَ بدعاء سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وزيد يعقوب نافلةً تفضلاً منه سبحانه . انظر « تاج العروس » (٣١/ ١٩) ، =

حصرُ شيوخِهِ ؛ فإنَّ معجمَهُ على شيوخِهِ يقرُبُ مِنْ ألفَيْ رجلٍ .

قرأَ القرآنَ الكريمَ : على الصَّرَّامِ وابنِ الإمامِ بنيسابورَ ، وبالعراقِ : على أبي عليٍّ بنِ النقَّارِ الكوفيِّ ، وأبي عيسىٰ بكَّارٍ البغداديِّ ، وتفقَّهَ على الأئمَّةِ : أبي عليٍّ بنِ أبي هريرةَ بالعراقِ ، وأبي الوليدِ حسانَ بنِ محمدٍ القرشيِّ ، وأبي سهلٍ محمدِ بنِ سليمانَ الحنفيِّ[1] .

سمعتُهُ يقولُ : شربتُ مِنْ ماءِ زمزمَ ، فسألتُ اللهَ أنْ يرزقَني حسنَ التصنيفِ .

فوقعَ مِنْ تصانيفِهِ المسموعةِ في أيدي الناسِ ما يبلُغُ ألفاً وخمسَ مئةِ جزءٍ ؛ منها : « الصحيحانِ » ، و« العللُ » ، و« الأمالي » و« فوائدُ الشيخِ » ، و« فوائدُ الخراسانيينَ » ، و« أمالي العشيَّاتِ » ، و« التلخيصُ » ، و« الأبوابُ » ، و« تراجمُ الشيوخِ » .

فأمَّا الكتبُ التي تفرَّدَ بإخراجِها : فـ « معرفةُ أنواعِ علومِ الحديثِ » ، و« تاريخُ علماءِ أهلِ نيسابورَ » ، وكتابا « مُزكِّي الأخبارِ » و« المدخلُ إلىٰ علمِ الصحيحِ » ، وكتابُ « الإكليلِ » في دلائلِ النبوَّةِ ، و« المستدركُ على الصحيحينِ ، وما تفرَّدَ بإخراجِهِ كلُّ واحدٍ مِنَ الإمامَينِ » ، و« فضائلُ الشافعيِّ » ، و« تراجمُ المُسندِ علىٰ شرطِ الصحيحينِ » ، وغيرُ ذلكَ .

أملىٰ بما وراءَ النهرِ : سنةَ خمسٍ وخمسينَ ، وبالعراقِ : سنةَ سبعٍ وستينَ ، ولازمَهُ ابنُ المُظفَّرِ والدارقطنيُّ ، وأملىٰ ببغدادَ والرَّيِّ مِنْ حفظِهِ مدَّةً[2] .

= مادة : (ن ف ل) ، وأبو يحيىٰ : هو محمد بن عبد الرحمٰن بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يزيد المكي (ت ٣٤٣هـ) ، وراجع « غاية النهاية » (٢/ ١٦٣) .

(١) في هامش (أ) : (هو الصُّعْلُوكي) .

(٢) ومن المناسبة هنا : ما ذكره الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٤/ ١٦٠) قال : (وحكي : =

سمعَ عنهُ مِنَ المشايخِ : أحمدُ بنُ أبي عثمانَ الحِيريُّ الزاهدُ بنُ الزاهدِ[1] ، والإمامُ أبو بكرٍ القفَّالُ الشاشيُّ ، وأبو أحمدَ ابنُ مُطرِّفٍ ، والسيدُ أبو محمدِ ابنُ زُبَارةَ العلويُّ ، وأبو عبدِ اللهِ العُصْميُّ ، وأبو أحمدَ ابنُ شعيبٍ المُزكِّي ، وأبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ يحيىٰ .

ومِنْ شيوخِ العراقِ : ابنُ أبي دارمٍ ، وابنُ مُظفَّرٍ ، والدارَقطنيُّ ، وابنُ القصَّارِ الرازيُّ إمامُ أهلِ الرَّيِّ .

قُلِّدَ القضاءَ بـ« نسا » في سنةِ تسعٍ وخمسينَ في أيامِ حشمةِ السامانيةِ ووزارةِ العُتْبيِّ ، وقُلِّدَ بعدَ ذلكَ قضاءَ جُرْجانَ فامتنعَ ، وكانَ الأميرُ أبو الحسنِ يستعينُ برأيِهِ ، وينفذُهُ للسِّفارةِ بينَهُم وبينَ البويهيَّةِ .

= أنَّ أبا الفضل الهمذاني الأديب لما ورد نيسابور وتعصَّبوا له ولُقِّب « بديع الزمان » . . أُعجب بنفسه ؛ إذ كان يحفظ المئة بيت إذا أُنشدت بين يديه مرة ، وينشدها من آخرها إلىٰ أولها مقلوبةً ، فأنكر على الناس قولَهم : « فلان الحافظ في الحديث » ، ثم قال : وحفظُ الحديث مما يُذكَرُ ؟!

فسمع به الحاكم ابن البيِّع ، فوجَّه إليه بجزء ، وأجَّله جمعة في حفظه ، فردَّ إليه الجزء بعد الجمعة وقال : من يحفظ هـٰذا ؛ محمد بن فلان ، وجعفر بن فلان ، عن فلان ؛ أسامٍ مختلفة ، وألفاظ متباينة ؟!

فقال له الحاكم : فاعرف نفسك ، واعلم أنَّ حفظ هـٰذا أضيقُ ممَّا أنت فيه) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ١٧٣) .

(١) وكان من محبته للحديث يكتب بخطه ويسمع إلىٰ أن استشهد بطرسوس سنة (٣٥٣هـ) .
وأبوه هو : الإمام الواعظ الزاهد المربي أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري النيسابوري ، كان مجاب الدعوة ، وذا كرامات كثيرة ، ومن كراماته : أنَّ الفَرْغاني كان يخرج كل سنة إلى الحج ، ويمر بنيسابور ولا يدخل علىٰ أبي عثمان الحيري ، قال : فدخلت عليه مرة وسلَّمتُ فلم يردَّ عليَّ السلام ، فقلت في نفسي : مسلم يدخل عليه ويسلم فلا يرد سلامه ؟! فقال أبو عثمان : مثل هـٰذا يحجُّ ويدع أمه ولا يبرها ، قال : فرجعت إلىٰ فرغانة ، ولزمتها حتىٰ ماتت ، ثم قصدت أبا عثمان ، فلمَّا دخلت عليه استقبلني وأجلسني . انظر « الرسالة القشيرية » (ص٥٢٥ـ٥٢٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٤/ ٦٢) وما بعدها .

وصحبَ مِنَ الصوفيَّةِ : أبا عثمانَ المغربيَّ ، وأقرانَهُ)[1] .

ذكر أبو الحسنِ عبدُ الغافرِ بنُ إسماعيلَ بنِ عبدِ الغافرِ الفارسيُّ بعدَ ذكرِ اسمِهِ ونسبِهِ قالَ : (أبو عبدِ اللهِ الحافظُ ، روىٰ عن ألفِ شيخٍ أو أكثرَ مِنْ أهلِ الحديثِ ، وُلِدَ في شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ سنةَ إحدىٰ وعشرينَ وثلاثِ مئةٍ ، وأخذَ في التصنيفِ سنةَ سبعٍ وثلاثينَ وثلاثِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في صفرٍ يومَ الثَّلاثاءِ الثالثِ منهُ سنةَ خمسٍ وأربعِ مئةٍ)[2] .

* * *

(١) وممن ذكرهم الحافظ ابن عساكر في « التبيين » : (أبو عمرو بن نُجيد ، وجعفر ابن نُصير ، وأبو عمرو الزَّجَّاجي ، وجعفر بن إبراهيم الحذَّاءُ) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٣١ـ٤٣٥) ، و« المنتخب من كتاب السياق » (١/ ١٥ـ١٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (١٧/ ١٦٢) وما بعدها .

(٢) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٣٧) ، و« المنتخب من كتاب السياق » (١/ ١٥ـ١٧) .

ومنهُم :

أبو سعدِ بنُ أبي عثمانَ الخَرْكُوشيُّ الزاهدُ رحمَهُ اللهُ

قالَ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الحافظُ : (**عبدُ الملكِ بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ ، أبو سعدِ بنُ أبي عثمانَ** ، الواعظُ الزاهدُ .

تفقَّهَ في حداثةِ السنِّ ، وتزهَّدَ وجالسَ الزُّهَّادَ والعُبَّادَ المُجرَّدينَ ، إلىٰ أنْ جعلَهُ اللهُ خَلَفاً لجماعةٍ ممَّنْ تقدَّمَهُ مِنَ العُبَّادِ المجتهدينَ ، والزُّهَّادِ القانعينَ .

سمعَ بنيسابورَ : أبا محمدٍ يحيى بنَ منصورٍ القاضيَ ، وأبا عمرِو بنَ نُجيدٍ ، وأبا عليٍّ الرَّفَّاءَ الهرويَّ ، وأبا أحمدَ محمدَ بنَ محمدِ بنِ الحسنِ ، وأقرانَهُم .

وتفقَّهَ للشافعيِّ : علىٰ أبي الحسنِ الماسَرْجِسيِّ .

وسمعَ بالعراقِ بعدَ التسعينَ والثلاثِ مئةٍ ، وخرجَ إلى الحجازِ ، وجاورَ حرمَ اللهِ مكةَ ، وصحبَ بها العُبَّادَ والصالحينَ ، وسمعَ الحديثَ مِنْ أهلِها والواردينَ إليها ، وانصرفَ إلىٰ وطنِهِ[1] ، ووُضِعَ لهُ القَبولُ .

وكانَ قد وفَّقَهُ اللهُ لعمارةِ المساجدِ والحِياضِ والقناطرِ والدُّروبِ ، وكسوةِ الفقراءِ الغرباءِ والبلديَّةِ ، حتىٰ بنىٰ داراً للمرضىٰ بعدَ أنْ خَرِبَتِ الدورُ القديمةُ لهُم بنيسابورَ ، ووكَّلَ جماعةً مِنْ أصحابِهِ المستورينَ بتمريضِهِم ، وحملِ مياهِهِم إلى الأطبَّاءِ ، وشراءِ الأدويةِ .

(١) أي : بنيسابور .

ولقد أخبرَني الثقةُ : أنَّ اللهَ تعالىٰ شفىٰ جماعةً منهُم ، فكساهُم وزوَّدَهُم للرجوعِ إلىٰ أوطانِهِم .

وصنَّفَ في علومِ الشريعةِ ، ودلائلِ النبوَّةِ)[1] .

قالَ أبو بكرٍ الخطيبُ : (وكانَ ثقةً صالحاً ورعاً زاهداً ، سألتُ أبا صالحٍ أحمدَ بنَ عبدِ الملكِ النيسابوريَّ عن وفاةِ أبي سعدٍ ؟ فقالَ : في سنةِ ستٍّ وأربعِ مئةٍ)[2] .

* * *

(١) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٤٢ـ٤٤٤) .

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ٤٣١) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٤٥) .

ومنهُمُ :

القاضي أبو عمرَ محمدُ بنُ الحسينِ البِسْطاميُّ رحمَهُ اللهُ

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ بسندِهِ إلىٰ أبي عبدِ اللهِ الحاكمِ قالَ : (محمدُ بنُ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ [الحسينِ بنِ يحيى][1] ؛ الفقيهُ المُتكلِّمُ البارعُ الواعظُ ، أبو عمرَ بنُ أبي سعيدٍ البِسْطاميُّ[2] .

سمعَ بأصبهانَ : أبا القاسمِ سليمانَ بنَ أحمدَ اللَّخْميَّ ، وأقرانَهُ ، وبالعراقِ : أبا بكرِ ابنَ مالكٍ ، وأبا محمدِ ابنَ ماسي ، وأقرانَهُما ، وسمعَ بالبصرةِ والأهوازِ .

وردَ لهُ العهدُ بقضاءِ نيسابورَ ، وقُرِئَ عليهِ[3] العهدُ غداةَ يومِ الخميسِ الثالثِ مِنْ ذي القعدةِ سنةَ ثمانٍ وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ ، وأُجلِسَ في مجلسِ القضاءِ في مسجدِ رجاءٍ في تلكَ الساعةِ ، وأظهرَ أهلُ الحديثِ مِنَ الفرحِ والاستبشارِ ما يطولُ شرحُهُ)[4] .

وممَّنْ أثنىٰ عليهِ : أبو عثمانَ إسماعيلُ بنُ الصابونيِّ[5] ؛ فقالَ : (كانَ

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وقد استدركناه من « تبيين كذب المفتري » .

(٢) كذا في « معجم البلدان » (١/ ٤٢١) ، « واللباب » (١/ ١٥٣) ، وضبطه ابن السبكي في « طبقاته » (٤/ ١٤٠) بفتح الباء ، وانظر « تاج العروس » (٣١/ ٢٨٧) ، مادة : (ب س ط م) .

(٣) في « التبيين » : (علينا) .

(٤) تبيين كذب المفتري (ص٤٤٧) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٤٠-١٤٣) .

(٥) لعل المثني عليه هو أبو علي الحسن بن نصر المَرَندي أثناء ذكره لأبي عثمان الصابوني . راجع « التبيين » (ص٤٤٨) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٤٢) .

مُنفرِداً بلطائفِ السيادةِ ، مُعتمَداً لمواقفِ الوفادةِ ، سفيراً بينَ السلطانِ وبينَ مجلسِ الخلافةِ أيامَ القادرِ باللهِ[1] ، فأفتنَ أهلَ بغدادَ بلسانِهِ وإحسانِهِ ، وبزَّهُم في إيرادِهِ وإصدارِهِ بصحَّةِ إتقانِهِ ، ونكَّتَ في ذلكَ المشهدِ النبويِّ والمحفلِ الإماميِّ بأشياءَ أُعجِبَ بها كُفاتُهُ ، وسلَّمَ لهُ الفضلَ فيها حُماتُهُ ، وقالُوا : مثلُهُ فليكنْ نائباً عن ذلكَ السلطانِ المُؤيَّدِ بالتوفيقِ والنصرةِ ، ووافداً على مثلِ [هـٰذهِ] الحضرةِ ، حتَّىٰ صدرَ وحقائبُهُ مملوءةٌ مِنْ أصنافِ الإكرامِ ، وسهامُهُ فائزةٌ بأقصى المرامِ .

ثمَّ [كانَ] شافعيَّ العلمِ ، [شُريحيَّ] الحكمِ[2] ، سَحْبانيَّ البيانِ[3] ، سحَّارَ اللسانِ)[4] .

وقالَ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتٍ الخطيبُ : (محمدُ بنُ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ الهيثمِ ، أبو عمرَ البِسْطاميُّ الواعظُ ، الفقيهُ على مذهبِ الشافعيِّ .

وليَ قضاءَ نيسابورَ ، ودخلَ بغدادَ ، وحدَّثَ بها عن أحمدَ بنِ عبدِ الرحمٰنِ وأقرانِهِ[5] ، وسليمانَ بنِ أحمدَ الطبرانيِّ .

(١) في (ب) : (للإمام القادر بالله) .

(٢) في (أ ، ب) : (سريجي) بالسين المهملة ، ولعل الصواب ما أثبت كما في « التبيين » ، وهو نسبة إلى شُرَيح بن الحارث الكندي القاضي الشهير ، وكان مشهوراً بحسن قضائه . انظر « سير أعلام النبلاء » (٤/ ١٠٠) وما بعدها .

(٣) قوله : (سَحْباني) نسبة إلى سَحْبان بن زفر الوائلي ، خطيب يضرب به المثل في الفصاحة والبيان .

(٤) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٤٨) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ١٤٢) .

(٥) في هامش (أ) عند قوله : (أحمد بن عبد الرحمٰن) : (هو ابن الجارود الرقي) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٤٨) .

تُوفِّيَ بنيسابورَ في سنةِ سبعٍ وأربعِ مئةٍ)[1] .

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (كتبَ إليَّ عبدُ الغافرِ بنُ إسماعيلَ بنِ عبدِ الغافرِ الفارسيُّ قالَ : محمدُ بنُ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ الهيثمِ بنِ القاسمِ بنِ مالكٍ ، أبو عمرَ بنُ أبي سعيدٍ البِسْطاميُّ ، القاضي الإمامُ ، تُوفِّيَ سنةَ ثمانٍ وأربعِ مئةٍ ، وأعقبَ المُوفَّقَ والمُؤيَّدَ)[2] .

قالَ ابنُ عساكرَ : (وقولُ عبدِ الغافرِ : في سنةِ ثمانٍ . . أصحُّ ممَّا قبلَهُ[3] ، واللهُ أعلمُ)[4] .

* * *

(١) تاريخ بغداد (٢/ ٢٤٤) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٤٨ـ٤٤٩) .

(٢) تبيين كذب المفتري (ص٤٤٩) ، وانظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص١٧) .

(٣) كذا في (أ ، ب) ، وفي « التبيين » : (في نسبه) بدل (في سنة ثمان) ، وقوله : (أصح مما قبله) جاء في « التبيين » : (أصح من قول الحاكم) ، ولم يتعرض الحاكم إلى ذكر سنة وفاته ، وإنما تعرض لنسبه .

(٤) تبيين كذب المفتري (ص٤٤٩) .

ومنهُم :

أبو القاسمِ بنُ أبي عمرٍو البَجَليُّ البغداديُّ رحمَهُ اللهُ

قالَ الحافظُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتٍ الخطيبُ : (عبدُ الواحدِ بنُ محمدِ بنِ عثمانَ ، أبو القاسمِ بنُ أبي عمرٍو البَجَليُّ .

سمعَ : أحمدَ بنَ سليمانَ النجَّادَ[1] ، وجعفرَ الخُلْديَّ ، والحسنَ بنَ محمدِ بنِ موسى بنِ إسحاقَ الأنصاريَّ ، ومحمدَ بنَ الحسنِ بنِ زيادٍ النقَّاشَ ، وهبةَ اللهِ بنَ محمدِ بنِ حبَشٍ الفرَّاءَ ، وجعفرَ بنَ محمدِ بنِ الحكمِ المُؤدِّبَ ، ومحمدَ بنَ عليِّ بنِ [عَلُّونَ] المقرئَ .

كتبْنا عنهُ ، وكانَ ثقةً .

تقلَّدَ القضاءَ مِنْ قِبَلِ أبي عليٍّ التنوخيِّ على دَقُوقا وخانجانَ[2] ، ومِنْ قِبَلِ أبي الحسنِ الخَرَزيِّ على جازِرَ ، وكانَ ينتحلُ مذهبَ الشافعيِّ ، ويعرفُ أصولَ الفقهِ .

وسمعتُهُ أملى عليَّ نسبَهُ ؛ فقالَ : أبي : محمدُ بنُ عثمانَ بنِ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ خالدِ بنِ إسحاقَ بنِ زِبْرِقانَ بنِ خالدِ بنِ عبدِ الملكِ بنِ جَريرِ بنِ عبدِ اللهِ البَجَليُّ صاحبِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

تُوفِّيَ في اليومِ الذي ماتَ فيهِ ابنُ مهديٍّ ؛ وهوَ يومُ الاثنينِ الرابعَ عشرَ مِنْ

(١) قوله : (سليمان) ورد في المصادر والمراجع بـ (سلمان) أو (سليمان) ، وفي « التبيين » : (سليمان) .

(٢) كذا في نسختينا و« التبيين » ، وفي « تاريخ بغداد » (١١/ ١٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٥/ ٢٢٨) : (وخانيجار) .

رجبٍ سنةَ عشرٍ وأربعِ مئةٍ ، ودُفِنَ مِنَ الغدِ في مقبرةِ بابِ حربٍ)[1] ، رحمَهُ اللهُ .

أثنىٰ عليهِ الشيخُ أبو إسحاقَ الشِّيرازيُّ رضيَ اللهُ عنهُ ؛ فقالَ : (كانَ فقيهاً أصولياً مُتكلِّماً ، لهُ مُصنَّفاتٌ حسنةٌ في الأصولِ)[2] .

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (وذكرَهُ أبو الفضلِ ابنُ خيرونَ في « الوفاءات »[3] ؛ فقالَ : « **الشافعيُّ الأشعريُّ** »)[4] .

* * *

(١) تاريخ بغداد (١١/ ١٤ـ١٥) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص ٤٥٠ـ٤٥١) .

(٢) طبقات الفقهاء (ص١٢٥) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٥١) .

(٣) في « التبيين » : (الوفيات) ، والمثبت هو إحدىٰ نسخه المعتمدة .

(٤) تبيين كذب المفتري (ص٤٥١) ، ويوجد ها هنا زيادة في (ب) ، وهي عبارة عن ترجمة أبي الحسن بن ماشاذه ، وقد تقدمت في (١/ ٣٩٢) ، وأشار في (أ) إلىٰ حذفها ، وجاءت ترجمة ابن ماشاذه في « التبيين » (ص٤٥٢) في هـٰذا المكان ، وهـٰذا مخالف للمنهج الذي اتَّبعه ابن المعلم في ذكر التراجم ؛ إذ نصَّ علىٰ أنه لن يُغيِّر من ترتيب الحافظ ابن عساكر إلا في ترجمة ابن خفيف ، وقد وقع له مثل ذلك في بعض المواضع .

ومنهُم :

أبو معمرِ بنُ أبي سعدِ بنِ أبي بكرٍ الجُرْجانيُّ

ذكرَهُ أبو القاسمِ حمزةُ بنُ يوسفَ بنِ إبراهيمَ السهميُّ في « تاريخِ جُرْجانَ » فقالَ : (أبو معمرٍ المفضلُ بنُ إسماعيلَ بنِ أبي بكرٍ[1] أحمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ إسماعيلَ بنِ العباسِ ، الإسماعيليُّ الجُرْجانيُّ الإمامُ .

روىٰ : عن جدِّهِ الإمامِ أبي بكرٍ الإسماعيليِّ الكتبَ الكثيرةَ ، وسمعَ منهُ كتابَهُ « الجامعَ » علىٰ « جامعِ الصحيحِ » للبخاريِّ ، وغيرَهُ مِنَ المجموعاتِ والتصانيفِ والمشايخِ والأمالي .

وقد حفظَ لهُ والدُهُ الإمامُ أبو سعدٍ الإسماعيليُّ سماعَهُ ، وحملَهُ إلىٰ بغدادَ ومكةَ في سنةِ أربعٍ وثمانينَ وثلاثِ مئةٍ ، فبقيَ هناكَ إلىٰ أنْ حجَّ في سنةِ خمسٍ وثمانينَ ، ورجعَ في سنةِ ستٍّ وثمانينَ إلىٰ جُرْجانَ .

وقد كانَ سمعَ ببغدادَ : مِنْ أبي الحسنِ الدارقطنيِّ أكثرَ كتبِهِ ومُصنَّفاتِهِ ، وكتبَ : عن أبي حفصِ ابنِ شاهينَ ، وعن أبي الحسنِ الجِيليِّ[2] ، وغيرِهِم .

وبمكَّةَ : عن يوسفَ ابنِ الدَّخيلِ ، وأبي زُرْعةَ الجبتيِّ الجُرْجانيِّ[3] ، وجماعةٍ .

(١) زاد في (أ ، ب) : (ابن) .

(٢) كذا في (أ ، ب) تبعاً لـ « التبيين » ، وفي « تاريخ جرجان » : (الخُتَّلي) ، ولعله الصواب ، والخُتَّلي : هو الإمام علي بن عمر بن محمد الحميري البغدادي السكري (ت٣٨٦هـ) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٥٣٨ـ٥٣٩) .

(٣) قوله : (الجبتي) كذا في (أ ، ب) ، وفي « التبيين » : (الجنبي) ، وفي « تاريخ جرجان » : (الكشي) ، ولعله الصواب ، وأبو زرعة الكشي : هو الإمام الحافظ محمد بن=

وجلسَ للإملاءِ بعدَ موتِ عمِّهِ أبي نصرٍ الإسماعيليِّ)[1] .

تُوفِّيَ [في الرابعِ والعشرينَ من ذي الحجةِ ، سنةَ إحدىٰ وثلاثينَ وأربعِ مئةٍ][2] .

* * *

= يوسف بن محمد الجرجاني الكشي (ت ٣٩٠هـ) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٤٤) وما بعدها .

(١) تاريخ جرجان (ص٤٦٤ـ٤٦٥) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٥٥ـ٤٥٦) ، وفيهما أيضاً : (سمعتُ ـ أي : صاحبُ « تاريخ جرجان » ـ أبا بكر الإسماعيلي رحمه الله يقول : (ابني هـٰذا ـ أبو معمر ـ له سبع سنين ، يحفظ القرآن ، وتعلم الفرائض ، وأجاب في مسألة أخطأ فيها بعض قضاتنا) .

(٢) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، ولم يذكر ابن عساكر تاريخ وفاته ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٥١٩) .

ومنهُم :

أبو حازمٍ العَبْدُويُّ النيسابوريُّ الحافظُ رحمَهُ اللهُ

ذكرَهُ الإمامُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتٍ الخطيبُ ؛ فقالَ : (عمرُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ عَبْدُويَه بنِ سدوسِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ ابنِ عتبةَ بنِ مسعودٍ ، أبو حازمٍ الهُذَليُّ العَبْدُويُّ الأعرجُ : [مِنْ أهلِ نيسابورَ .

سمعَ : إسماعيلَ بنَ نجيدٍ السُّلميَّ ، ومحمدَ بنَ عبدِ اللهِ السَّليطيَّ ، وأبا بكرٍ الإسماعيليَّ ، وعليَّ بنَ بُنْدارٍ الصَّيْرفيَّ ، وغيرَهُم .

وقدمَ بغدادَ قديماً ، وحدَّثَ بها ، فسمعَ منهُ : أبو إسحاقَ الطبريُّ المقرئُ ، ومحمدُ بنُ أبي الفوارسِ ، وغيرُهُما .

وحدَّثَ عنهُ : التنوخيُّ ، وأبو يعلىٰ أحمدُ بنُ عبدِ الواحدِ ، وكتبَ عنهُ الكثيرَ الخطيبُ البغداديُّ ، وقالَ : (كانَ ثقةً صادقاً ، عارفاً حافظاً ، يسمعُ الناسُ بإفادتِهِ ، ويكتبونَ بانتخابِهِ) .

وقالَ عبدُ الغافرِ الفارسيُّ : (سمعتُ الشيخَ أبا صالحٍ أحمدَ بنَ عبدِ الملكِ يقولُ : سمعتُ أبا حازمٍ يقولُ : كتبتُ بخطِّي عن عشرةٍ مِنْ شيوخي عشرةَ آلافِ جزءٍ ، عن كلِّ شيخٍ ألفَ جزءٍ ، سوىٰ ما اشتريتُهُ ؛ فذكرَ منهُم : الإمامَ أبا بكرٍ الإسماعيليَّ ، وأبا الحسنِ الحجَّاجيَّ الحافظَ ، والحاكمَ أبا أحمدَ الحافظَ) .

وقالَ أيضاً : (انتخبَ عليهِ الحاكمُ أبو عبدِ اللهِ ، وحدَّثَ عنهُ ، وانتشرتْ فوائدُهُ في الآفاقِ ، وتُوفِّيَ فجأةً ليلةَ الأربعاءِ ، الثاني مِنْ شوالٍ ، سنةَ سبعَ

عشرةَ وأربعِ مئةٍ ، وصلَّى عليهِ الأستاذُ الإمامُ الإسفراينيُّ)[1] .

* * *

(١) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٥٨) ، وقد سقط قريب الورقة من الأصل ، وقد ضمت ترجمة الأستاذ أبي إسحاق الإسفرايني ، وإليك هـٰذه الترجمة مختصرةً من « تبيين كذب المفتري » :

الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفرايني رحمه الله تعالىٰ :

قال الحاكم أبو عبد الله : (إبراهيم بن محمد بن إبراهيم : الفقيه الأصولي المتكلم ، المُقدَّم في هـٰذه العلوم ، أبو إسحاق الإسفرايني الزاهد .

انصرف من العراق بعد المقام بها ، وقد أقرَّ له أهل العلم بالعراق وخراسان بالتقدم والفضل ، فاختار الوطن ، إلىٰ أن جُرَّ بعد الجهد إلىٰ نيسابور ، وبُني له المدرسة التي لم يُبنَ بنيسابور قبلَها مثلُها ، ودرَّس فيها وحدَّث .

سمع بخراسان : الشيخ أبا بكر الإسماعيلي وأقرانه ، وبالعراق : أبا بكر محمد بن عبد الله الشافعي ، وأبا محمد دَعْلَجَ بن أحمد السِّجْزي ، وأقرانهما) .

وقال فيه عبد الغافر الفارسي : (أحدُ من بلغ حدَّ الاجتهاد من العلماء ؛ لتبحُّره في العلوم ، واستجماعه شرائط الإمامة ؛ من العربية ، والفقه ، والكلام ، والأصول ، ومعرفة الكتاب والسنة ، وكان من المجتهدين في العبادة ، المبالغين في الورع والتحرُّج) .

وقال أيضاً : (وحكىٰ لي من أثق به : أن الصاحب بن عبَّاد كان إذا انتهىٰ إلىٰ ذكر الباقلاني وابن فورك والإسفرايني ـ وكانوا متعاصرين من أصحاب الأشعري ـ . قال لأصحابه : « ابن الباقلاني بحرٌ مُغدِقٌ ، وابن فُورَكَ صِلٌّ مُطْرِقٌ ، والإسفرايني نارٌ تُحرِقُ » ، وكأنَّ روح القدس نفث في رُوعه ؛ حيث أخبر عن هـٰؤلاء الثلاثة بما هو حقيقة الحال فيهم) .

توفي بإسفراين يوم عاشوراء سنة ثمانٍ عشرةَ وأربع مئة ، وصلَّىٰ عليه الإمام الموفق . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٥٩ـ٤٦١) .

ومنهُمُ :

الحافظُ أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ أبو نعيمٍ الأصبهانيُّ رحمَهُ اللهُ

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (كتبَ إليَّ الشيخُ أبو الحسنِ عبدُ الغافرِ بنُ إسماعيلَ يذكرُ قالَ : أحمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ إسحاقَ بنِ موسى بنِ مهرانَ ، سبطُ محمدِ بنِ يوسفَ البنَّاءِ الصوفيِّ ، الشيخُ الإمامُ أبو نعيمٍ الحافظُ .

واحدُ عصرِهِ في[(١) فضلِهِ وجمعِهِ ومعرفتِهِ)(٢) .

كانَ كثيرَ الردِّ على أهلِ البدعِ ؛ خصوصاً المُشبِّهةَ والقائلينَ بالحرفِ والصوتِ ، وهٰذا هوَ السببُ الذي اقتضى أنَّ بعضَ مَنْ صنَّفَ في الجرحِ والتعديلِ ـ ممَّنْ تُنسَبُ إليهِ هٰذهِ البدعةُ ـ تعرَّضَ لهُ ببعضِ كلامٍ أبرزَهُ الحقدُ والإحْنةُ(٣) ، ولا مبالاةَ بما قالَهُ فيهِ .

واشتهارُهُ يُغني عنِ الزيادةِ مِنَ الثناءِ عليهِ ، ويكفيهِ شرفاً كتابُهُ المُسمَّى بـ « حليةِ الأولياءِ »(٤) .

(١) ما بين معقوفين تم استكماله مختصراً من « تبيين كذب المفتري » .

(٢) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٦٤) .

(٣) وفي « سير أعلام النبلاء » (١٧/ ٤٥٩ـ٤٦٠) : (قال أبو طاهر السِّلَفي : سمعت أبا العلاء محمد بن عبد الجبار الفرساني يقول : حضرت مجلس أبي بكر بن أبي علي الذكواني المعدَّل في صِغَري مع أبي ، فلمَّا فرغ من إملائه قال إنسان : « من أراد أن يحضر مجلس أبي نعيم فليقم » ، وكان أبو نعيم في ذلك الوقت مهجوراً بسبب المذهب ، وكان بين الأشعرية والحنابلة تعصُّبٌ زائد يؤدي إلى فتنة ، وقيل وقال ، وصداع طويل ، فقام إليه أصحاب الحديث بسكاكين الأقلام ، وكاد الرجل يقتل .

قلت : ما هٰؤلاء بأصحاب الحديث ، بل فَجَرة جَهَلة ، أبعد اللهُ شرَّهم) .

(٤) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٤/ ٢٢ـ٢٥) .

وُلِدَ في رجبٍ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وثلاثِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بأصفهانَ في صفرٍ سنةَ ثلاثينَ وأربعِ مئةٍ .

قالَ الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ : (لم ألقَ في شيوخي أحفظَ مِنْ أبي نُعيمٍ ، ومِنْ أبي حازمٍ العَبْدُويِّ الأعرجِ)[1] .

* * *

(١) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٦٤ـ٤٦٥) .

ومنهُم :

أبو حامدٍ الأُسْتوائيُّ ، وهوَ أحمدُ بنُ محمدِ ابنِ دِلُّويه

قالَ الخطيبُ : (أبو حامدٍ الأُسْتوائيُّ ، ويُعرَفُ بـ « الدِّلُّويِّ » ، وأُسْتُوا : قريةٌ مِنْ قرىٰ نيسابورَ .

سمعَ : أبا [العباسِ] أحمدَ الأنماطيَّ ، وأبا سعيدٍ الرازيَّ ، ومحمداً الجَوْزَقيَّ ، وقدمَ بغدادَ فسمعَ : مِنَ الدارقطنيِّ وطبقتِهِ ، واستوطنَ بغدادَ إلىٰ حينِ وفاتِهِ .

وليَ القضاءَ بعُكْبَرا مِنْ قِبَلِ القاضي أبي بكرٍ محمدِ بنِ الطيِّبِ ، وكانَ ينتحلُ في الفقهِ مذهبَ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وفي الأصولِ مذهبَ الأشعريِّ .

تُوفِّيَ ليلةَ الثَّلاثاءِ الثامنِ والعشرينَ مِنْ شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ سنةَ أربعٍ وثلاثينَ وأربعِ مئةٍ ، ودُفِنَ صبيحةَ تلكَ الليلةِ في مقبرةِ الشُّونيزِيِّينَ)[1] ، رضيَ اللهُ عنهُ .

* * *

(١) تاريخ بغداد (٥/ ١٤١ـ١٤٢) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٦٦) .

ومنهُم :

أبو عليٍّ ابنُ شاذانَ البغداديُّ

تأخَّرَتْ وفاتُهُ رحمَهُ اللهُ ، ذكرَهُ أبو بكرٍ الخطيبُ ؛ فقالَ : (**الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ شاذانَ بنِ حربِ بنِ مِهْرانَ ، أبو عليٍّ البزَّازُ** .

سمعَ : عثمانَ بنَ أحمدَ الدقَّاقَ ، وأحمدَ بنَ سليمانَ العَبَّادانيَّ ، وأحمدَ بنَ سليمانَ النجَّادَ[1] .

كتبْنا عنهُ ، وكانَ صدوقاً ، صحيحَ الكتابِ ، **وكانَ يفهمُ الكلامَ على مذهبِ الأشعريِّ** .

وكتبَ عنهُ جماعةٌ مِنْ شيوخِنا ؛ كأبي بكرٍ البَرْقانيِّ ، ومحمدِ بنِ طلحةَ ، وأبي محمدٍ الخلالِ، وأبي القاسمِ الأزهريِّ، وعبدِ العزيزِ الأَزَجيِّ ، وغيرِهِم.

حدَّثَني محمدُ بنُ يحيى الكَرْمانيُّ قالَ : كُنَّا يوماً بحضرةِ أبي عليٍّ ابنِ شاذانَ ، فدخلَ عليهِ رجلٌ شابٌّ ، فقالَ : أيُّها الشيخُ ؛ رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في المنامِ ، فقالَ لي : سَلْ عن أبي عليٍّ ابنِ شاذانَ ، فإذا لقيتَهُ فأقْرِئْهُ منِّي السلامَ ، ثمَّ انصرفَ الشابُّ .

فبكى أبو عليٍّ وقالَ : ما أعرفُ لي عملاً أستحقُّ بهِ هٰذا ، اللهمَّ إلا أنْ يكونَ صبري على قراءةِ الحديثِ عليَّ ، وتكريرَ الصلاةِ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ كلَّما جاءَ ذكرُهُ .

(١) قوله : (سليمان) كذا في بعض المصادر والمراجع ، وفي بعضها : (سلمان) .

قالَ الكَرْمانيُّ : ولم يلبَثْ أبو عليٍّ بعدَ ذلكَ إلا شهرينِ أو ثلاثةً حتى ماتَ) .

قالَ أبو بكرٍ الخطيبُ : (وُلِدَ ابنُ شاذانَ في ليلةِ الخميسِ لاثنتي عشرةَ ليلةً خلتْ مِنْ شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وثلاثِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ ليلةَ السبتِ مُستهَلَّ المُحرَّمِ ، سنةَ [ستٌّ وعشرينَ] وأربعِ مئةٍ بعدَ صلاةِ العَتَمةِ[1] ، ودُفِنَ مِنَ الغدِ ، وحضرتُ الصلاةَ على جنازتِهِ)[2] .

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (قلتُ : وكانَ حنفيَّ الفروعِ ، رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ)[3] .

* * *

(١) في (أ، ب) : (ست عشرة) بدل (ست وعشرين) ، والمثبت من « التبيين » .
(٢) تاريخ بغداد (٧/ ٢٨٨ـ ٢٨٩) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٦٢ـ ٤٦٣) .
(٣) تبيين كذب المفتري (ص٤٦٣) .

ذكر الطبقة الثالثة ممن لقي أصحاب أبي الحسن (١)

(١) هنا تنتهي الورقة (٩٨/أ) ، وسقط بعدها قريب الورقتين ، وقد ضمَّنا ثلاث تراجم ، وإليك هذه التراجم مختصرةً من « تبيين كذب المفتري » :

ـ فمنهم : أبو الحسن علي بن عيسى بن سليمان السُّكَّري البغدادي الشاعر رحمه الله تعالىٰ :

وهو قديم المولد ، متقدم الوفاة ، أصله من نِفَّرَ ، وهو بلد على النَّرْس من بلاد الفرس ، وكان مولده ببغداد يوم الخميس لخمسٍ خلون من صفر سنة سبع وخمسين وثلاث مئة .

وصحب : القاضي الباقلاني ، ودرس عليه الكلام ، وكان يحفظ القرآن والقراءات ، وكان مُتفنِّناً في الأدب ، وله ديوانُ شعر كبيرٌ ، وكلُّه إلا اليسير منه في مدح الصحابة ، والرد على الرافضة ، والنقض علىٰ شعرائهم .

وتوفي يوم الثلاثاء سلخَ شعبان ، من سنة ثلاث عشرة وأربع مئة ، ودفن من الغد في مقبرة باب الدير التي فيها قبر معروف الكرخي رحمه الله تعالى . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٦٩) .

ـ والأستاذ أبو منصور محمد بن الحسن الأيوبي النيسابوري رحمه الله تعالىٰ :

قال فيه عبد الغافر الفارسي : (الأستاذ الإمام ، حجة الدين ، صاحب البيان ، والحجة والبرهان ، واللسان الفصيح ، والنظر الصحيح ، أَنظرُ من كان في عصره ومن تقدمه ومن بعده علىٰ مذهب الأشعريِّ .

واتفق له أعداد من التصانيف المشهورة المقبولة عند أئمة الأصول ؛ مثل « تلخيص الدلائل » .

تلمذ للأستاذ أبي بكر بن فورك في صباه وتخرج به ، ولزم طريقته ، وجدَّ واجتهد في فقر وقلة من ذات اليد ، حتىٰ كان يعلق دروسه ويطالعها في القمراء ؛ لضيق يده عن تحصيل دهن السراج ، وهو مع ذلك يكابد الفقر ويلازم الورع ، ولا يأخذ من مال الشبهة شيئاً ، إلىٰ أن نشأ في ذلك ، وصار من منظوري أصحاب الإمام ، وظهرت بركة خدمته عليه ، فأدى الحال إلىٰ أن زوج منه ابنته الكبرىٰ ، وكان أنفذ من الأستاذ وأشجع منه .

توفي في ذي الحجة سنة إحدىٰ وعشرين وأربع مئة ، ودفن بمقبرة شاهَنْبَرَ) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٧٠) .

ـ والقاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي البغدادي رحمه الله تعالىٰ :

سمع : أبا عبد الله بن العسكري ، وعمر بن محمد بن سَبَنْكَ ، وأبا حفص ابن شاهين ، =

[ومنهُم :

أبو الحسنِ عليُّ بنُ أحمدَ النُّعيميُّ البصريُّ

روى الحافظُ ابنُ عساكرَ بسندِهِ إلى الخطيبِ البغداديِّ الحافظِ قالَ : (عليُّ بنُ أحمدَ بنِ الحسنِ بنِ محمدِ بنِ نُعيم ، أبو الحسنِ البصريُّ ، المعروفُ بالنُّعيميِّ .

سكنَ بغدادَ ، وحدَّثَ بها : عن أحمدَ بنِ محمدٍ الأَسْفاطيِّ ، ومحمدِ بنِ أحمدَ بنِ الفيضِ الأصبهانيِّ ، وعليِّ بنِ عمرَ السُّكَّريِّ ، وأحمدَ بنِ عبيدِ اللهِ النَّهْرتيريِّ ، وغيرِهِم مِنْ طبقتِهِم .

= وحدَّث بشيء يسير ، كتب عنه الخطيب البغدادي وقال فيه : (كان ثقة ، ولم نلق من المالكيين أفقه منه ، وكان حسن النظر ، جيد العبارة ، وتولَّى القضاء ببادَرايَا وباكُسايا ، وخرج في آخر عمره إلىٰ مصر) .

وقال أبو إسحاق الشيرازي : (أدركته وسمعت كلامه في النظر ، وكان قد رأىٰ أبا بكر الأبهري ، إلا أنه لم يسمع منه شيئاً ، وكان فقيهاً شاعراً متأدِّباً ، وله كتب كثيرة في كل فن من الفقه .

وخرج في آخر عمره إلىٰ مصر ، وحصل له هناك حال من الدنيا بالمغاربة ، ومات بمصر سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة ، وأنشد في حال خروجه من بغداد : (من الطويل)

سلامٌ علىٰ بغدادَ في كلِّ موطنٍ ... وحُقَّ لها منِّي سلامٌ مُضاعَفُ
فو اللهِ ما فارقتُها عن قِلىً لها ... وإنِّي بشَطَّي جانبَيْها لَعارفُ
ولكنَّها ضاقَتْ عليَّ بأسرِها ... ولم تكنِ الأرزاقُ فيها تُساعِفُ
وكانَتْ كخِلٍّ كنتُ أهوىٰ دُنوَّهُ ... وأخلاقُهُ تنأىٰ به وتُخالِفُ

انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٧١-٤٧٢) ، وقولُ أبي إسحاق الشيرازي : (لم يسمع منه شيئاً) قال القاضي عياض في « ترتيب المدارك » (٧/ ٢٢١) : (غيرُ صحيح ، بل حدَّث عنه وأجازه) .

كتبتُ عنهُ ، وكانَ حافظاً عارفاً مُتكلِّماً شاعراً)[1] .

وقالَ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عليٍّ الشيرازيُّ : (درسَ بالأهوازِ ، وكانَ فقيهاً عالماً بالحديثِ ، مُتأدِّباً مُتكلِّماً)[2] .

وكانَ أبو بكرٍ البَرْقانيُّ يقولُ : (هوَ كاملٌ في كلِّ شيءٍ لولا بَأْوٌ فيهِ)][3] ، ذكرَ ذلكَ أبو بكرٍ الخطيبُ رحمَهُ اللهُ ، وقالَ[4] : (لم أرَ ببغدادَ أحداً أكملَ مِنَ النُّعَيميِّ ، كانَ قد جمعَ معرفةَ الحديثِ والكلامِ والآدابِ ، ودرسَ شيئاً مِنَ الفقهِ علىٰ مذهبِ الشافعيِّ .

رآهُ البَرْقانيُّ بعدَ موتِهِ بهيئةٍ حسنةٍ جميلةٍ وحالةٍ صالحةٍ ، وقالَ : **كانَ شديدَ العصبيَّةِ في السنَّةِ**)[5] .

أنشدَ الحافظُ ثقةُ الدينِ في « كتابِهِ » للنُّعيميِّ رحمَهُ اللهُ[6] : [من المتقارب]

إِذَا أَظْمَأَتْكَ أَكُفُّ ٱللِّئَامِ ... كَفَتْكَ ٱلْقَنَاعَةُ شِبْعاً وَرِيَّا

فَكُنْ رَجُلاً رِجْلُهُ فِي ٱلثَّرَىٰ ... وَهَامَةُ هِمَّتِهِ فِي ٱلثُّرَيَّا

أَبِيّاً لِنَائِلِ ذِي ثَرْوَةٍ ... تَرَاهُ بِمَا فِي يَدَيْهِ أَبِيَّا

فَإِنَّ إِرَاقَةَ مَاءِ ٱلْحَيَا ... ةِ دُونَ إِرَاقَةِ مَاءِ ٱلْمُحَيَّا

تُوفِّيَ يومَ الاثنينِ مُستهَلَّ ذي القَعْدةِ سنةَ ثلاثٍ وعشرينَ وأربعِ مئةٍ .

* * *

(١) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٧٣) ، و« تاريخ بغداد » (١١/ ٣٣٠) .

(٢) انظر « طبقات الفقهاء » (ص١٣١) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٤٧٣) .

(٣) **البَأْو** : العُجْب ، وما بين معقوفين تم استكماله مختصراً من « تبيين كذب المفتري » (ص٤٧٣ـ٤٧٤) .

(٤) أي : نقلاً عن محمد بن علي الصُّوري .

(٥) تاريخ بغداد (١١/ ٣٣٠ـ٣٣١) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٧٤ـ٤٧٥) .

(٦) تبيين كذب المفتري (ص٤٧٤) .

ومنهُمُ :

الإمامُ أبو طاهرِ ابنُ خِراشَةَ الدمشقيُّ

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (حدَّثَنا ابنُ الأكفانيِّ ، حدَّثَنا أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ الكتَّانيُّ ، قالَ : تُوفِّيَ شيخُنا أبو طاهرِ الحسينُ بنُ محمدِ بنِ عامرٍ الآبِليُّ المقرئُ[1] ، إمامُ جامعِ دمشقَ . . يومَ الأربعاءِ السابعِ مِنْ شهرِ ربيعٍ الآخرِ سنةَ ثمانٍ وعشرينَ وأربعِ مئةٍ .

حدَّثَ : عن يوسفَ بنِ القاسمِ المَيَانَجِيِّ ، والحسينِ بنِ إبراهيمَ الفرائضيِّ ، وغيرِهما .

وكانَ ثقةً مأموناً نبيلاً ، يذهبُ إلىٰ مذهبِ الأشعريِّ)[2] .

* * *

(١) الآبِلي : نسبة إلىٰ (آبِل) قرية بوادي بردىٰ من أعمال دمشق . انظر « معجم البلدان » (١/ ٥٠) ، و« توضيح المشتبه » (١/ ١٣٦) .

(٢) تبيين كذب المفتري (ص٤٧٦) ، وانظر « تاريخ دمشق » (١٤/ ٣٠٩-٣١٠) ، و« ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم » (ص١٧٥) .

ومنهُمُ :

الأستاذُ أبو منصورٍ عبدُ القاهرِ بنُ طاهرِ بنِ محمدٍ البغداديُّ

قالَ أبو عثمانَ إسماعيلُ بنُ الصابونيِّ : (كانَ مِنْ أئمَّةِ الأصولِ وصدورِ الإسلامِ بإجماعِ أهلِ الفضلِ والتحصيلِ ، بديعَ الترتيبِ ، غريبَ التأليفِ والتهذيبِ ، [يراهُ الجِلَّةُ صدراً مُقدَّماً] ، ويدعوهُ الأئمَّةُ إماماً مُفخَّماً ، ومِنْ خرابِ نيسابورَ [أنِ] اضطُرَّ [مثلُهُ] إلىٰ مفارقتِها)[1] .

قالَ الشيخُ عبدُ الغافرِ بنُ إسماعيلَ النيسابوريُّ في « ذيلِ نيسابورَ » : (عبدُ القاهرِ بنُ طاهرِ بنِ محمدٍ البغداديُّ أبو منصورٍ ، الأستاذُ الكاملُ ، الفقيهُ الأصوليُّ ، الأديبُ الشاعرُ النَّحْويُّ ، الماهرُ في علمِ الحسابِ[2] ، العارفُ بالعَروضِ .

وردَ نيسابورَ معَ أبيهِ أبي عبدِ اللهِ طاهرٍ ، وكانَ ذا مالٍ وثروةٍ ومروءةٍ ، وأنفقَهُ علىٰ أهلِ العلمِ حتى افتقرَ .

صنَّفَ في العلومِ ، وأربىٰ علىٰ أقرانِهِ في الفتوىٰ[3] ، ودرَّسَ في سبعةَ عشرَ نوعاً مِنَ العلومِ ، وكانَ قد دَرَسَ على الأستاذِ أبي إسحاقَ الإسفراينيِّ ، وأقعدَهُ بعدَهُ في مسجدِ عقيلٍ للإملاءِ مكانَهُ ، وأملىٰ سنينَ ، واختلفَ إليهِ الأئمَّةُ فقرؤُوا عليهِ .

(١) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٧٧) ، وخروجُهُ من نيسابور بسبب فتنة وقعت فيها من التركمان . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٥/ ١٣٧) ، وسيأتي ذكرها بعد قليل .

(٢) ومن كتبه فيه : « التكملة » قال الإمام الفخر الرازي : (لو لم يكن له إلا كتاب « التكملة » في الحساب . لكفاه) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٥/ ١٣٨) .

(٣) في « المنتخب من كتاب السياق » ، و« التبيين » : (في الفنون) .

حدَّثَ : عنِ الإسماعيليِّ ، وأبي أحمدَ بنِ عديٍّ .

خرجَ إلىٰ إسفراينَ في أيامِ فتنةِ التركمانيَّةِ ، فماتَ بها سنةَ تسعٍ وعشرينَ وأربعِ مئةٍ ، ودُفِنَ بجنبِ أبي إسحاقَ الإسفراينيِّ المُتكلِّمِ الفقيهِ ، فقبراهُما متجاورانِ تجاورَ تلاصُقٍ ، كأنَّهُما نجما مَطلعٍ ، وكوكبانِ ضمَّهُما برجٌ مُرتفعٌ)[1] .

صنَّفَ مِنَ الكتبِ الكثيرَ ، وأنفعُها : كتابُهُ في الصفاتِ ، وكتابُهُ في تفسيرِ أسماءِ اللهِ الحسنىٰ ، لم يدعْ فيها ممَّا يُستحسَنُ مِنَ الأدلَّةِ ولا في الردِّ على المبتدعةِ[2] . . إلا وأتىٰ بهِ ، رحمَهُ اللهُ .

ولهُ شعرٌ حسنٌ ؛ فمنهُ[3] : [من الرجز]

يَا مَنْ عَدَا ثُمَّ ٱعْتَدَىٰ ثُمَّ ٱقْتَرَفْ ثُمَّ ٱنْتَهَىٰ ثُمَّ ٱرْعَوَىٰ ثُمَّ ٱعْتَرَفْ

أَبْشِرْ بِقَوْلِ ٱللهِ فِي آيَاتِهِ ﴿إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾[4]

* * *

(١) انظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص٣٩٤) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٤٧٨ـ٤٧٩) .

(٢) عدَّد مصنفاته الإمام ابن السبكي في « طبقاته » (٥/ ١٤٠) ، ومن كتبه : « أصول الدين » ، و« الفَرْق بين الفِرَق » ، وهما كتابان عظيمان في بابهما .

(٣) أخرجهما ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٤٧٩) ، وقال ابن السبكي في « طبقاته » (٥/ ١٣٩) بعد إيراده هٰذين البيتين : (قلت : في استعمال مثلِ الأستاذ أبي منصور مثلَ هٰذا الاقتباس في شعره . . فائدةٌ ؛ فإنه قدوة في العلم والدين ، وبعضُ أهل العلم ينهىٰ عن مثل ذلك ، وربما شدَّد فيه وجنح إلىٰ تحريمه ، والصوابُ : الجواز ، ثم الأحسن : تركه ؛ تأدُّباً مع الكتاب العزيز ، ونظيره : ضرب الأمثال من القرآن ، وتنزيلُهُ في النكت الأدبيَّة ، وهٰذا فنٌّ لا تسمح نفس الأديب بتركه ، واللائقُ بالتقوىٰ أن يُترك ، وأكثرُ الناس رأيتُ تشدُّداً في ذلك : المالكيَّة ، ومع هٰذا : فقد فعله كثير من فقهائهم) .

(٤) الآية من سورة الأنفال : (٣٨) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ المُسنِدُ أبو ذرٍّ عبدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ الهَرَويُّ[1]

سافرَ الكثيرَ ، وحدَّثَ[2] : عن أبي منصورٍ البغداديِّ[3] ، وبشرِ بنِ محمدٍ المُزَنيِّ ، وطبقتِهِم ، وخرجَ إلىٰ مكةَ فسكنَها ، ثمَّ تزوَّجَ في العربِ ، [وأقامَ بالسَّرَواتِ] ، وكانَ يحجُّ في كلِّ عامٍ ، ويُقيمُ بمكَّةَ أيامَ الموسمِ ويُحدِّثُ ، ثمَّ يخرجُ ويرجعُ إلىٰ أهلِهِ بالسَّرَواتِ .

ذكرَ الحافظُ ابنُ عساكرَ قالَ : (حدَّثنا أبو محمدٍ هبةُ اللهِ بنُ أحمدَ الأَكْفانيُّ ، حدَّثَنا أبو عليٍّ الحسينُ بنُ أحمدَ ابنِ أبي حريصةَ قالَ : بلغَني أنَّ أبا ذرٍّ عبدَ اللهِ بنَ أحمدَ الهرويَّ الحافظَ رحمَهُ اللهُ كانَ مقيماً بمكةَ وبها ماتَ ، وكانَ علىٰ مذهبِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، ومذهبِ أبي الحسنِ الأشعريِّ)[4] .

ونقلَ أيضاً عن أبي عليٍّ الحسنِ ابنِ تقيٍّ الجُذاميِّ المالكيِّ[5] ، قالَ : سمعتُ بعضَ الشيوخِ يقولُ : [قيلَ] لأبي ذرٍّ الهرويِّ : أنتَ مِنْ هَرَاةَ ، فمِنْ أينَ لكَ تمذهبتَ بمذهبِ مالكٍ والأشعريِّ ؟! فقالَ : سببُ ذلكَ : أنِّي قدمتُ بغدادَ لطلبِ الحديثِ ، فلزمتُ الدارقطنيَّ ، فلمَّا كانَ في بعضِ الأيامِ كنتُ

(١) كذا في (أ ، ب) و« المنتظم » (١٥ـ ٢٧٨) ، وفي « التبيين » (ص٤٨٠) وكثير من المصادر والمراجع : (عبد) بدل (عبد اللهِ) .

(٢) أي : ببغداد ، كما في « التبيين » (ص٤٨٠) .

(٣) كذا في (أ ، ب) ، وفي « التبيين » (ص٤٨٠) : (النضروي) ، وهو العباس بن الفضل بن زكريا . انظر « تاريخ دمشق » (٣٧/ ٣٩٠) .

(٤) تبيين كذب المفتري (ص٤٨٠) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٣٧/ ٣٩٣) .

(٥) في « التبيين » : (المالقي) بدل (المالكي) .

معَهُ ، فاجتازَ القاضي أبو بكرِ بنُ الطيِّبِ ، فأظهرَ الدارقطنيُّ مِنْ إكرامِهِ ما تعجَّبتُ مِنْهُ ، فلمَّا فارقَهُ قلتُ لهُ : أيُّها الشيخُ الإمامُ ؛ مَنْ هٰذا الذي أظهرتَ مِنْ إكرامِهِ ما رأيتُ ؟ فقالَ : أَوَما تعرفُهُ ؟! قلتُ : لا ، قالَ : هٰذا سيفُ السنَّةِ أبو بكرِ الأشعريُّ ، فلزمتُ القاضيَ منذُ ذلكَ وأقبلتُ عليهِ ، واقتدَيتُ بهِ في مذهبَيْهِ جميعاً[1] .

ذكرَهُ الخطيبُ فقالَ : (كانَ ثقةً فاضلاً ، ديِّناً ضابطاً ، وكانَ يذكرُ أنَّ مولدَهُ في سنةِ خمسٍ ـ أو ستٍّ ـ وخمسينَ وثلاثِ مئةٍ ، يشكُّ في ذلكَ ، وماتَ بمكةَ لخمسٍ خلونَ مِنْ ذي القَعْدةِ سنةَ أربعٍ وثلاثينَ وأربعِ مئةٍ)[2] ، رحمَهُ اللهُ .

* * *

(١) تبيين كذب المفتري (ص٤٨١) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٣٧/ ٣٩٢) ، وفي هٰذا الخبر احترام كبير وشهادة عظيمة من الإمام الحافظ المجوِّد الجهبذ شيخ الإسلام أبي الحسن الدارقطني في حق إمام أهل السنة والجماعة أبي بكر الباقلاني رحمهما الله تعالىٰ .

(٢) تاريخ بغداد (١١/ ٤٢) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٨٠) .

ومنهُمُ :

الشيخُ أبو بكرٍ الدمشقيُّ الزاهدُ رحمَهُ اللهُ

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (أخبرَنا الشيخُ أبو محمدٍ هبةُ اللهِ بنُ أحمدَ ، حدثَّنا أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ الصوفيُّ ، حدَّثَنا نجا بنُ أحمدَ العطَّارُ قالَ : تُوفِّيَ أبو بكرٍ محمدُ بنُ الجَرْميِّ بنِ الحسينِ المقرئُ في صفرٍ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وأربعِ مئةٍ .

حدَّثَ : عنِ ابنِ أبي الزَّمْزامِ ، والفضلِ بنِ جعفرٍ ، وغيرِهما .

قالَ عبدُ العزيزِ : وكانَ يذهبُ مذهبَ أبي الحسنِ الأشعريِّ)[1] .

ولهُ حكايةٌ ذكرَها الحافظُ ابنُ عساكرَ اتَّفقَتْ لهُ معَ والي دمشقَ جيشِ ابنِ الصَّمْصامةِ المتولِّي مِنْ قِبَلِ المصريينَ[2] .

* * *

(١) تبيين كذب المفتري (ص٤٨٢) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٥٣/ ٣٤٢) .

(٢) وكانت مصر في ذلك الوقت تحت حكم الفاطميين ، وكان جيشٌ هٰذا سفَّاكاً للدماء ، شديدَ التعدِّي على الأموال ، مظهراً لسب السلف ، والحكايةُ المشار إليها : هي (أنَّ أبا بكر ابن الجَرْمي كان من الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، وأنه صادف في بعض الأيام أحمالاً من الخمر قد أُتي بها لوالي دمشق جيش ابن الصمصامة الوالي من قبل المصريين ، وكان جيش هٰذا عاتياً جبَّاراً ، فأراقها كلَّها أبو بكر عند بيت لَهْيا ، وكان جيشٌ ينزل في بيت لهيا ، فأُبلغ جيشٌ الخبر ، فأمر بإحضاره ، فسأله عن أشياءَ من القرآن والحديث والفقه ، فوجده عالماً بما سأله عنه ، فنظر إلىٰ شاربه فوجده مقصوصاً ، ثم نظر إلىٰ أظافيره فوجدها مُقلَّمة ، فأمر بأن يُنظَر إلىٰ عانته فوجدوه قد حلق عانته ، فقال له جيشٌ : اذهب ؛ فقد نجوتَ مني ، ولو وجدت فيك ما أحتجُّ به عليك لم تنجُ) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٨٣) .

ومنهُمُ :

الإمامُ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ يوسفَ ابنِ حَيُّويَه الجُوَينيُّ ثمَّ النيسابوريُّ[1]

المُلقَّبُ (ركنَ الإسلامِ) ، الفقيهُ الأصوليُّ ، النَّحْويُّ الأديبُ ، المُفسِّرُ ، أوحدُ زمانِهِ .

تخرَّجَ بهِ جماعةٌ مِنْ أئمَّةِ الإسلامِ ، وكانَ لصيانتِهِ وديانتِهِ مَهيباً مُحترَماً بينَ التلامذةِ ، ولا يجري بينَ يديهِ إلا الجِدُّ ، والبحثُ والتحريضُ على التحصيلِ[2] .

لهُ في الفقهِ تصانيفُ كثيرةُ الفوائدِ ؛ مثلُ : « التبصرةِ »[3] ، و« التذكرةِ » ، و« مختصرِ المختصرِ »[4] ، ولهُ « التفسيرُ الكبيرُ » المشتملُ على عشرةِ أنواعٍ في كلِّ آيةٍ ، ولهُ « المسلسلُ »[5] ، ولهُ « الفرقُ والجمعُ » ، وغيرُ ذلكَ مِنَ الكتبِ[6] .

(١) وهو والد الإمام الكبير أبي المعالي الجويني رحمه الله تعالىٰ ، وستأتي ترجمته في (١/ ٤٤٧ـ٤٤٨) .

(٢) في « التبيين » : (والحث) بدل (والبحث) .

(٣) وهـٰذا الكتاب موضوع للكلام عن الوسوسة ، وهو كتاب نافع نفيس ، قال عنه الإمام النووي في « المجموع » (١/ ٢٠٧) : (وهو كتاب نافع كثير النفائس) .

(٤) وهو مختصر لـ « مختصر المزني » رحمه الله تعالىٰ .

(٥) كذا في (أ ، ب) ، والمشهور : أنَّ اسم الكتاب هو « السَّلْسلة » ، قال الإمام الإسنوي في « المهمات » (١/ ١٢٠) : (وسمَّاه بذلك ؛ لأنه يبني فيه مسألةً علىٰ مسألة ، ثم يبني المبني عليها علىٰ أخرىٰ ، ويكرر ذلك في بعض المسائل) .

(٦) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٥/ ٧٥ـ٧٦) .

قالَ عبدُ الغافرِ الفارسيُّ : (سمعتُ خالي الإمامَ أبا سعيدٍ عبدَ الواحدِ بنَ عبدِ الكريمِ القشيريَّ يقولُ : كانَ أئمَّتُنا في عصرِهِ والمُحقِّقُونَ مِنْ أصحابِنا يعتقدُونَ فيهِ مِنَ الكمالِ والفضلِ والخصالِ الحميدةِ أنَّهُ لو جازَ أنْ يُبعَثُ نبيٌّ في عصرِهِ.. لَمَا كانَ إلا هوَ ؛ مِنْ حسنِ ظنِّهِم فيهِ ، وحسنِ طريقتِهِ ، وورعِهِ وزهدِهِ ، وديانتِهِ في كمالِ فضلِهِ)[1] .

سمعتُ الشيخَ الإمامَ وجيهَ الدينِ البَهْنَسيَّ[2] رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ذكرَ الشيخُ الإمامُ شرفُ الدينِ ابنُ أبي الفضلِ قالَ[3] : لمَّا دخلتُ في رحلتي نيسابورَ ، وكنتُ مُتطلِّعاً لاقتناءِ الكتبِ وتحصيلِها والوقوفِ على غريبِها[4] . . ذُكِرَ لي أنَّ بها خزانةَ كتبٍ بجامعِها قدِ ارتدمَتْ بترابٍ عظيمٍ لا يُوصَلُ إليها إلا بعدَ مكابدةِ مشقَّةٍ عظيمةٍ وغرامةِ جملٍ مِنَ المالِ[5] .

فقلتُ : أمَّا المالُ فأنا أغرمُ جميعَ ما يحصلُ مِنَ الكُلَفِ مِنْ مالي ، ثمَّ استعنتُ بمُتولِّي البلدِ في الرجالِ والدوابِّ .

(١) انظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص٣٠١) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٤٨٤ـ٤٨٥) .

(٢) ضبطه في « الأنساب » (٢/ ٣٧٤) : (البَهْنَسي) بفتح الهاء وسكون النون ، والبهنسيُّ من كبار شيوخ المؤلف ، وسيذكر له ترجمة حافلة ، وسيورد عنه نقولاتٍ نفيسةً ، ومنها هٰذا النقل ، وانظر (٢/ ١٩٤ـ١٩٧) .

(٣) شرف الدين : هو الإمام النحوي الرحَّالة أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلمي الأندلسي المُرْسي ، وستأتي ترجمته في (٢/ ٤٢ـ٤٣) .

(٤) وقال الإمام الذهبي في « السير » (٢٣/ ٣١٨) نقلاً عن خط الكندي في « تذكرته » : (إنَّ كتب المرسي ـ أي : الإمام شرف الدين ابن أبي الفضل ـ كانت مودَعةً بدمشق ، فرسم السلطان ببيعها ، فكانوا في كل ثلاثاءَ يحملون منها جملة إلى دار السعادة ، ويحضر العلماء ، وبيعت في نحو من سنة ، وكان فيها نفائس ، وأحرزتْ ثمناً عظيماً) .

(٥) أي : مقدار ما يحمله الجمل من المال .

فلم يكنْ إلا مُدَّةٌ لطيفةٌ حتى ظهرَتِ الخِزانةُ ودخلتُها ، فوجدتُ مِنْ جملةِ ما وجدتُ بها للإمامِ أبي محمدٍ الجُوَينيِّ مئتي تصنيفٍ)[1] .

ويكفيهِ فضلاً وفخراً في الدنيا والآخرةِ ولدُهُ الإمامُ أبو المعالي[2] .

تُوفِّيَ أبو محمدٍ سنةَ ثمانٍ وثلاثينَ وأربعِ مئةٍ في ذي القَعْدةِ ، رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ[3] .

* * *

(١) وهٰذا نص نفيس لا أحسبه موجوداً في غير هٰذا الكتاب ، وهو يفيد الباحثين في أكثر من مجال ، ويفتح باب النظر وبيان المراد من قول بعض الأئمة ـ كما نقله الإمام السبكي في « طبقاته » (٤/ ٣٤٤) ، وقبله ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٢/ ١٣٥) ـ : (الأئمة بخراسان ثلاثة : مُكثِرٌ مُحقِّق ، ومُقِلٌّ محقق ، ومكثر غير محقق ، فأما المكثر المحقق : فالشيخ أبو علي السِّنْجي ، وأما المقل المحقق : فالشيخ أبو محمد الجويني ، والمكثر غير المحقق : فالفقيه ناصر العمري المروزي) ، وذكر الإمام التاج السبكي مصنفاته ، فلم تتجاوز عشرة مصنفات .

(٢) وقال الإمام ابن السبكي في « الطبقات » (٥/ ٧٥) : (ورُوي أنَّ الشيخ أبا محمد رأى إبراهيم الخليل عليه السلام في المنام ، فأومأ لتقبيل رجليه ، فمنعه ذلك تكريماً له ، قال : فقبَّلتُ عَقِبَيْهِ ، وأوَّلتُ ذلك البركةَ والرِّفعة تكون في عَقِبي .

قلتُ : فأيُّ بركةٍ ورفعة مثل إمام الحرمين ولدِهِ ؟!) .

(٣) وبعد ترجمة أبي محمد الجويني في « التبيين » ترجمةُ أبي القاسم الهمذاني ، ولعلها سقطت سهواً ، وإليك ترجمته مختصرةً من « تبيين كذب المفتري » :

ومنهم : أبو القاسم بن أبي عثمان الهَمَذاني البغدادي رحمه الله :

روى الحافظ ابن عساكر بسنده إلى الخطيب البغدادي قال : (علي بن الحسن بن محمد بن المُنْتاب ، أبو القاسم ، المعروف بـ« ابن أبي عثمان » الدقاق .

سمع : أبا بكر بن مالك القَطِيعي ، وأبا محمد ابن ماسي ، وعلي بن محمد الرزَّاز .

كتبت عنه ، وكان شيخاً صالحاً صدوقاً ديِّناً ، حسن المذهب ، يسكن نهر القلائين .

وسألته عن مولده ، فقال : في ذي الحجة من سنة خمس وخمسين وثلاث مئة .

ومات في يوم السبت السابع والعشرين من شهر ربيع الأول ، سنة أربعين وأربع مئة ، ودفن في مقبرة الشُّونيزي) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٨٦) .

ومنهُمُ :

القاضي أبو جعفرٍ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ ابنِ محمودٍ السِّمْنانيُّ[1]

ذكرَهُ الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ ؛ فقالَ : (**أبو جعفرٍ** : سكنَ بغدادَ ، **وحدَّثَ بها** : عن عليِّ بنِ عمرَ السُّكَّريِّ ، وأبي الحسنِ الدارقطنيِّ ، وأبي القاسمِ ابنِ حامدٍ[2] ، وغيرِهِم مِنَ البغداديينَ .

وكانَ ثقةً عالماً سخيّاً فاضلاً ، حسنَ الكلامِ ، عراقيَّ المذهبِ ـ يعني : حنفيّاً ـ **ويعتقدُ في الأصولِ مذهبَ الأشعريِّ** ، وكانَ لهُ في دارِهِ مجلسُ نظرٍ يحضرُهُ الفقهاءُ والمُتكلِّمُونَ[3] ، وكانَ قاضياً بالموصلِ ، ولم يزلْ بها إلىٰ أنْ ماتَ .

وُلِدَ سنةَ إحدىٰ وستينَ وثلاثِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ يومَ الاثنينِ سادسِ شهرِ ربيعٍ الأولِ سنةَ أربعٍ وأربعينَ وأربعِ مئةٍ)[4] ، رحمَهُ اللهُ .

* * *

(١) وضبطه في « الأنساب » (٧/ ٢٣٩) بفتح الميم .

(٢) كذا في (أ ، ب) ، وفي « تاريخ بغداد » و« التبيين » : (ابن حَبَابة) بدل (ابن حامد) ، ولعله الصواب ، **وابن حَبَابة** : هو الإمام المسند عبيد الله بن محمد بن إسحاق البغدادي المَتُّوثي البزاز (ت ٣٨٩هـ) انظر « سير أعلام النبلاء » (١٦/ ٥٤٨) .

(٣) في « تاريخ بغداد » و« التبيين » : (ويتكلمون) .

(٤) تاريخ بغداد (١/ ٣٧٢) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٨٧ـ٤٨٨) .

ومنهُم :

أبو حاتِمٍ محمودُ بنُ الحسنِ الطبريُّ[1]

تفقَّهَ بآمُلَ : على شيوخِ البلدِ ، ثمَّ قدمَ بغدادَ ، وحضرَ مجلسَ الشيخِ أبي حامدٍ[2] ، **ودرسَ الفرائضَ** : على الشيخِ أبي الحسينِ بنِ اللبَّانِ ، **وأصولَ الفقهِ** : على أبي بكرٍ الأشعريِّ[3] .

ذكرَ ذلكَ الشيخُ أبو إسحاقَ وقالَ : (درَّسَ ببغدادَ وآمُلَ ، وصنَّفَ كتباً كثيرةً في الأصولِ والخلافِ والمذهبِ والجدلِ ، ولم أنتفعْ بأحدٍ في الرحلةِ كما انتفعتُ بهِ وبالقاضي أبي الطيِّبِ ، تُوفِّيَ بآمُلَ)[4] ، [. . .][5] .

* * *

(١) كذا في « التبيين » (ص٤٨٩) ، و« طبقات الفقهاء » (ص١٣٠) ، وأكمل الإمام النووي في « تهذيبه » (٢/٢٠٧) نسبه نقلاً عن بعضهم فقال : (هو : محمود بن الحسن بن محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد بن عكرمة بن أنس بن مالك الأنصاري الطبري. . .) .

(٢) هو الإمام الكبير أبو حامد الإسفرايني رحمه الله تعالىٰ ، هٰذا ؛ ويعتبر أبو حاتم الطبري من أصحاب الوجوه في المذهب الشافعي .

(٣) هو إمام أهل السنة والجماعة في زمانه أبو بكر الباقلاني رحمه الله تعالىٰ .

(٤) طبقات الفقهاء (ص١٣٠) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٨٩) .

(٥) بياض في (أ ، ب) ، وابن عساكر لم يذكر وفاته ، فلعل المؤلف ترك هٰذا البياض حتىٰ يبحث عن سنة وفاته ، مما يؤكد أنَّ المُؤلِّف لم يُتح له تبييض هٰذا الكتاب ، والله تعالىٰ أعلم ، وبعد ترجمة أبي حاتم الطبري في « التبيين » ترجمةُ أبي الحسن بن نظيف ، ولعلها سقطت سهواً ، وإليك ترجمته من « تبيين كذب المفتري » :

ومنهم : أبو الحسن رشأ بن نظيف المقرىء الدمشقي رحمه الله :

روى الحافظ ابن عساكر بسنده إلىٰ عبد العزيز الكتاني قال : (توفي شيخنا أبو الحسن =

ومنهُمُ :

الشيخُ أبو محمدِ بنُ اللبَّانِ

ذكرَهُ أبو بكرٍ الخطيبُ ؛ فقالَ : (عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ النعمانِ بنِ عبدِ السلامِ بنِ حبيبِ بنِ حُطَيطِ بنِ عقبةَ بنِ خُثَيمِ[1] بنِ وائلِ بنِ مُهانةَ بنِ تيمِ اللهِ بنِ ثعلبةَ بنِ عُكابةَ بنِ صعبِ بنِ عليِّ بنِ بكرِ بنِ وائلٍ الأصفهانيُّ ، أبو محمدٍ ، المعروفُ بـ « ابنِ اللبَّانِ » ، أحدُ أوعيةِ العلمِ .

سمعَ بأصفهانَ : أبا بكرِ بنَ المقرئِ ، وعليَّ بنَ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ مِيْلَهْ ، وغيرَهُم ، وسمعَ ببغدادَ : أبا طاهرٍ المُخَلِّصَ ، وبمكةَ : أبا الحسنِ ابنَ فراسٍ .

صحبَ القاضيَ أبا بكرٍ الأشعريَّ ، ودرسَ عليهِ : أصولَ الدياناتِ وأصولَ الفقهِ ، ودرسَ فقهَ الشافعيِّ : على أبي حامدٍ الإسفراينيِّ ، وقرأَ القرآنَ بعدَّةِ

= رشأ بن نظيف بن ما شاء اللهُ يوم السبت بعد صلاة العصر ، السابع والعشرين من المحرم ، سنة أربع وأربعين وأربع مئة ، ودفن يوم الأحد .
وكان ثقة مأموناً ، مضى على سداد وأمر جميل .
حدَّث : عن عبد الوهاب بن الحسن بن الوليد الكلابي ، وغيره من المصريين والعراقيين ، وغيرهم .
انتهت إليه الرئاسة في قراءة ابن عامر رحمه الله ، قرأ على ابن داود وغيره) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٩٠) .

(١) في (ب) : (جُشم) ، وذكره المزي في « تهذيبه » (٢٩/ ٤٥٢) بصيغة التضعيف .

رواياتٍ ، ووليَ قضاءَ إيذَجَ[1] ، وحدَّثَ ببغدادَ ، ولهُ كتبٌ كثيرةٌ مُصنَّفةٌ ، وكانَ مِنْ أحسنِ الناسِ تلاوةً للقرآنِ) .

ذكرَ ذلكَ كلَّهُ أبو بكرٍ ، قالَ : (وسمعتُهُ يقولُ : حفظتُ القرآنَ ولي خمسُ سنينَ .

أدركَ ابنُ اللبَّانِ شهرَ رمضانَ سنةَ سبعٍ وعشرينَ وأربعِ مئةٍ وهوَ ببغدادَ ، فصلَّىٰ بالناسِ صلاةَ التراويحِ في جميعِ الشهرِ ، وكانَ إذا فرغَ مِنْ صلاتِهِ بالناسِ في كلِّ ليلةٍ . . لا يزالُ قائماً يُصلِّي في المسجدِ حتىٰ يطلعَ الفجرُ ، فإذا صلَّىٰ درَّسَ أصحابَهُ) .

قالَ : (وسمعتُهُ يقولُ : لم أضعْ جنبي للنومِ في هٰذا الشهرِ ليلاً ولا نهاراً .

[وكانَ وِرْدُهُ كلَّ ليلةٍ فيما يُصلِّي لنفسِهِ سُبُعاً مِنَ القرآنِ ، يقرؤُهُ بترتيلٍ وتمهُّلٍ ، ولم أرَ أجودَ ولا أحسنَ قراءةً منهُ .

ماتَ بأصبهانَ في جمادى الآخرةِ مِنْ سنةِ ستٍّ وأربعينَ وأربعِ مئةٍ)[2] .

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (وسمعتُ ببغدادَ مَنْ يحكي : أنَّ أبا يعلى بنَ الفرَّاءِ وأبا محمدٍ التميميَّ شيخَيِ الحنابلةِ كانا يقرآنِ علىٰ أبي محمدِ بنِ اللبَّانِ الأصولَ في دارِهِ ، وكلُّ واحدٍ منهُما يُخفي ذلكَ عن صاحبِهِ ، فاجتمعا يوماً في دهليزِهِ ، فقالَ أحدُهُما لصاحبِهِ : ما جاءَ بكَ ؟! فقالَ : الذي جاءَ بكَ ، فقالَ : اكتُمْ عليَّ وأكتمَ عليكَ ، واتَّفقا علىٰ ألا يعودا إليهِ بعدَ ذلكَ ؛ خوفاً أن يطَّلعَ عوامُّهُم علىٰ حالِهِما في القراءةِ عليهِ)[3] .

(١) إيذَج : مدينة بين خوزستان وأصبهان . انظر « معجم البلدان » (١/ ٢٨٨) .

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ١٤٣ـ١٤٤) ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٩١ـ٤٩٢) .

(٣) تبيين كذب المفتري (ص٤٩٢) ، وعند قوله السابق : (ليلاً ولا نهاراً) انتهت الورقة =

.

= (١٠١/أ) من الأصل، وجاء قوله: (ثقة حافظاً مكثراً) الآتي صدرَ الورقة (١٠١/ب)، فسقط بين ذينك بعض الورقات، وقد ضمَّت خمس تراجم، **وإليك هذه التراجمَ مختصرةً من «تبيين كذب المفتري»:**

ومنهم: أبو الفتح سُليم بن أيوب الرازي رحمه الله تعالىٰ:

روى الحافظ ابن عساكر عن شيخه الفقيه أبي الحسن بن المُسلَّم قال: حدثني أبو نصر الطُّرَيثيثي قال: سمعت الفقيه سُليماً يقول: دخلتُ بغداد في حداثتي أطلب علم اللغة، فكنت آتي شيخاً، فبكَّرت في بعض الأيام إليه، فقيل لي: هو في الحمَّام، فمضيت نحوه، فعبرت في طريقي على الشيخ أبي حامد الإسفرايني وهو يملي، فدخلت المسجد وجلست مع الطلبة، فوجدته في (كتاب الصيام) في هٰذه المسألة: (إذا أولج ثم أحسَّ بالفجر فنزع)، فاستحسنت ذلك، وعلَّقت الدرس علىٰ ظهر جزء كان معي، فلمَّا عدت إلىٰ منزلي وجعلت أعيد الدرس.. حلا لي، وقلت: أتم هٰذا الكتاب ـ يعني: (كتاب الصيام) ـ فعلَّقت (كتاب الصيام)، ولزمت الشيخ أبا حامد حتىٰ علَّقت عليه جميع التعليق.

وقال أبو نصر: سمعت سليماً يقول: (وَضَعَتْ مني صورٌ، ورفعَتْ من أبي الحسن بن المحاملي بغدادُ).

وقال أبو الفرج التنوخي الصوري: (وكان فقيهاً جيِّداً مشاراً إليه في علمه، صنَّف الكثير في الفقه وغيره، ودرَّس وحدَّث عن أبي حامد الإسفرايني وغيره، وحدَّثنا عنه جماعة، وهو أول من نشر هٰذا العلم بصور، وانتفع به جماعة، وكان أحدَ من تفقه عليه بها أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي.

وحُدِّثت عنه: أنه كان يحاسب نفسه على الأنفاس، لا يدع وقتاً يمضي عليه بغير فائدة؛ إما ينسخ، أو يُدرِّس، أو يقرأ، ونسخ شيئاً كثيراً).

توفي غرقاً في بحر القلزم عند ساحل جدة بعد عوده من الحج، في صفرٍ سنة سبع وأربعين وأربع مئة، وكان قد نيَّف على الثمانين. انظر «تبيين كذب المفتري» (ص٤٩٣ـ٤٩٤).

ـ وأبو عبد الله محمد بن علي الخبَّازي المقرئ النيسابوري رحمه الله تعالىٰ:

قال عبد الغافر الفارسي: (رحل إلى الكُشْمِيهَني لسماع «الصحيح»، فسمعه وقُرِئ عليه، وكان الاعتماد في وقته علىٰ سماعه ونسخته، وكان يُحيي الليل بالقراءة والدعاء والبكاء، حتىٰ قيل: إنه كان مستجاب الدعوة، لم يُرَ بعده مثلُهُ).

وحكىٰ أبو المحاسن الطَّبَسي عن بعض مشايخه: أنه لمَّا امتُحن أصحابنا بنيسابور في أيام=

.

= الكُنْدُري . . كان فيهم من خرج عن البلد ، وفيهم من أجاب إلى التبرّي من المذهب ، وأن الخبّازي امتنع من الإجابة ، ولم يخرج من البلد ، ولازم بيته إلى أن مات صابراً على دينه ، معتصماً بقوة يقينه .

توفي في شهر رمضان سنة سبع وأربعين وأربع مئة ، وصلّى عليه أبو عثمان الصابوني . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص ٤٩٥ـ٤٩٦) .

- والإمام أبو الفضل محمد بن عبيد الله ابن عُمْرُوسٍ البغدادي البزاز رحمه الله تعالى :

قال الخطيب البغدادي : (كان أحد الفقهاء على مذهب مالك ، وكان أيضاً من حُفّاظ القرآن ومدرّسيه .

سمع : أبا القاسم ابن حَبابة ، وأبا حفص ابن شاهين ، وأبا طاهر المُخلِّص وأبا القاسم بن الصيدلاني .

كتبت عنه ، وكان ديّناً ثقة مستوراً ، وإليه انتهت الفتوى في الفقه على مذهب مالك ببغداد ، وقَبِلَ قاضي القضاة أبو عبد الله الدامغاني شهادته ، وكان يسكن بباب الشام .

سألت أبا الفضل عن مولده ، فقال : في رجب من سنة اثنتين وسبعين وثلاث مئة ، وبلغنا ونحن بدمشق أنه مات في أوّل المحرم من سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٩٧ـ ٤٩٨) .

- والأستاذ أبو القاسم عبد الجبار بن علي الإسفرايني ، المعروف بـ (الإسكاف) رحمه الله تعالى :

قال عبد الغافر الفارسي : (شيخ كبير جليل من أفاضل العصر ، ورؤوس الفقهاء والمتكلمين من أصحاب الأشعري ، إمام دويرة البيهقي ، له اللسان في النظر والتدريس ، والقدم في الفتوى ، مع لزوم طريقة السلف ؛ من الزهد والفقر والورع ، كان عديم النظير في فنّه ، ما رُئي مثله .

قرأ عليه إمام الحرمين الأصول ، وتخرّج بطريقته .

عاش عالماً عاملاً ، وتوفي يوم الاثنين الثامن والعشرين من صفرٍ سنة اثنتين وخمسين وأربع مئة) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٤٩٩) .

- وشيخ السنة الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي النيسابوري رحمه الله تعالى :

قال الحافظ ابن عساكر : (سمعت أبا بكر البغدادي يقول : سمعت من يحكي عن الإمام أبي المعالي الجويني أنه قال : ما من شافعي إلا وللشافعي عليه مِنَّةٌ ، إلا أحمدَ البيهقيَّ ؛ =

.

* * *

= فإنَّ له على الشافعي مِنَّةً ؛ لتصانيفه في نصرة مذهبه وأقاويله) .

وقال فيه الحافظ عبد الغافر الفارسي : (الإمام الحافظ الفقيه الأصولي ، الدَّيِّن الورع ، واحدُ زمانه في الحفظ ، وفرد أقرانه في الإتقان والضبط ، من كبار أصحاب الحاكم أبي عبد الله الحافظ والمكثرين عنه ، ثم الزائد عليه في أنواع العلوم .

كتب الحديث وحفظه من صباه ، إلى أن نشأ وتفقَّه وبرع فيه ، وشرع في الأصول ، ورحل إلى العراق والجبال والحجاز .

ثم اشتغل بالتصنيف ، وألَّف من الكتب ما لعلَّه يبلغ قريباً من ألف جزء ممَّا لم يسبقه إليه أحد ، جمع في تصانيفه بين علم الحديث والفقه ، وبيان علل الحديث ، والصحيح والسقيم ، وذكر وجوه الجمع بين الأحاديث ، ثم بيان الفقه والأصول ، وشرح ما يتعلَّق بالعربية .

وكان رحمه الله على سيرة العلماء ، قانعاً من الدنيا باليسير ، متجمِّلاً في زهده وورعه) .

ولد في شعبان سنة أربع وثمانين وثلاث مئة ، وتوفي في جمادى الأولى سنة ثمان وخمسين وأربع مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٠٠ـ٥٠٢) ، وقد أورد المؤلف رسالته في مدح الإمام الأشعري والنضال عنه في (١/ ٣٢٩ـ ٣٣١) .

ذكر الطبقة الرابعة من أتباع أبي الحسن

ومنهُم :

أبو بكرٍ البغداديُّ الحافظُ المعروفُ بـ (الخطيبِ)

قرأَ ابنُ عساكرَ على الشيخِ أبي محمدٍ عبدِ الكريمِ السُّلَميِّ عن أبي نصرِ ابنِ ماكولا الحافظِ قالَ :

(إنَّ أبا بكرٍ أحمدَ بنَ عليِّ بنِ ثابتٍ الخطيبَ البغداديَّ كانَ أحدَ الأعيانِ ممَّنْ شاهدْناهُ ؛ معرفةً وإتقاناً وحفظاً وضبطاً لحديثِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وتفنُّناً في عللِهِ وأسانيدِهِ ، وخبرةً برواتِهِ وناقليهِ ، وعلماً بصحيحِهِ وغريبِهِ ، وفَرْدِهِ ومُنْكرِهِ ، وسقيمِهِ ومطروحِهِ ، ولم يكنْ للبغداديينَ بعدَ أبي الحسنِ عليِّ بنِ عمرَ الدارقطنيِّ مَنْ يجري مجراهُ ، ولا قامَ بعدَهُ منهُم بهـٰذا الشأنِ سواهُ .

وقدِ استفدنا كثيراً مِنْ هـٰذا اليسيرِ الذي نحسنُهُ بهِ وعنهُ ، وتعلَّمنا شطراً مِنْ هـٰذا القليلِ الذي نعرفُهُ بتنبيهِهِ ومنهُ ، فجزاهُ اللهُ تعالىٰ عنَّا الخيرَ ولقَّاهُ الحُسنىٰ ، ولجميعِ مشايخِنا وأئمَّتِنا ، ولجميعِ المسلمينَ) .

وقالَ أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ الكتَّانيُّ : (أسمعَ الحديثَ وهوَ ابنُ عشرينَ سنةً ، وكتبَ عنهُ شيخُهُ أبو القاسمِ الأزهريُّ عبيدُ اللهِ بنُ أحمدَ بنِ عثمانَ في سنةِ اثنتي عشرةَ ، وكتبَ عنهُ شيخُهُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ محمدٍ البرقانيُّ في سنةِ تسعَ عشرةَ وأربعِ مئةٍ .

وكانَ قد علَّقَ الفقهَ عنِ القاضي أبي الطيبِ طاهرِ الطبريِّ ، وأبي نصرِ بنِ الصبَّاغِ .

وكانَ يذهبُ إلىٰ مذهبِ الأشعريِّ رحمَهُ اللهُ) .

وكانَ قد رحلَ إلىٰ نيسابورَ وأصبهانَ والبصرةِ وغيرِها ، وكانَ[(١)] ثقةً حافظاً ، مُكثِراً مِنَ الحديثِ ، تصدَّقَ قبلَ موتِهِ بجميعِ مالِهِ ؛ وهوَ مئتا دينارٍ ، وفرَّقَ ذلكَ علىٰ أصحابِ الحديثِ والفقهاءِ والفقراءِ في مرضِهِ ، ووصَّىٰ بأنْ يُتصدَّقَ بجميعِ ما يُخلِّفُهُ مِنْ ثيابٍ وغيرِها ، ووقفَ جميعَ كتبِهِ على [المسلمينَ][(٢)] .

تُوفِّيَ صبيحةَ يومِ الاثنينِ السابعِ مِنْ ذي الحجةِ ، سنةَ ثلاثٍ وستينَ وأربعِ مئةٍ ، وحُمِلَ يومَ الثَّلاثاءِ إلى الجامعِ الغربيِّ وصُلِّيَ عليهِ[(٣)] ، ودُفِنَ بالقربِ مِنْ قبرِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ عندَ قبرِ بشرِ بنِ الحارثِ رضيَ اللهُ عنهُ ، وكانَ ممَّنَ حملَ جنازتَهُ الإمامُ أبو إسحاقَ الشِّيرازيُّ .

* * *

(١) ما بين معقوفين تم استكماله مختصراً من « التبيين » علىٰ منهج مقارب لمنهج المؤلف .

(٢) ما بين معقوفين بياض في (ب) ، والمثبت من « التبيين » (ص٥٠٧) .

(٣) في « التبيين » : (الجانب) بدل (الجامع) ، ولعل المؤدىٰ واحد ؛ إذ الجامع الغربي المراد منه جامع المنصور ، وهو يقع في الجانب الغربي من المدينة ، والله تعالىٰ أعلم .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ أبو القاسمِ عبدُ الكريمِ بنُ هوازنَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ طلحةَ بنِ محمدٍ القُشَيريُّ الأُسْتُوائيُّ

رأى العبدُ الحقيرُ الضعيفُ ، جامعُ هٰذا التأليفِ ، أنْ يذكرَ لجماعةٍ ممَّنْ ذكرَهُمُ الحافظُ ابنُ عساكرَ في ابتداءِ تراجمِهم ثناءً مسجوعاً ؛ ليتشرَّفَ بذلكَ ، وإنْ لم يكنْ هنالكَ ؛ فقلتُ :

البحرُ الذي لا يُساجَلُ ، والحَبْرُ الذي لا يُماثَلُ ، قدِ انعقدَ الإجماعُ على إمامتِهِ ، وسَلِمَ عنِ النزاعِ مشهورُ كرمِهِ ومأثورُ كرامتِهِ .

إنْ ذُكِرَ التفسيرُ فهوَ ابنُ عباسٍ فنونِهِ ، أوِ الحديثُ فهوَ الحافظُ لأسانيدِهِ ومتونِهِ ، أوِ الفروعُ فأصلُهُ منها نابتٌ ، أوِ الأصولُ فقد بسقَ فرعُهُ منها في السماءِ على أصلٍ ثابتٍ ، أوِ الزهدُ والورعُ فمنهُ يُتعلَّمُ ، أوِ المعارفُ فالعارفُونَ مُنصِتُونَ حينَ يتكلَّمُ ، قدِ اعترفَ بفضلِهِ النَّديدُ[1] ، واغترفَ مِنْ فضلِهِ المفيدُ والمستفيدُ .

وجدتُ ترجمةً في ذكرِ الأستاذِ أبي القاسمِ القشيريِّ وأهلِ بيتِهِ ، بخطِّ الإمامِ الحافظِ بقيَّةِ السلفِ جمالِ الدينِ أبي محمدٍ عبدِ القادرِ بنِ عبدِ اللهِ الرُّهاويِّ رحمَهُ اللهُ[2] ؛ قالَ :

(١) النَّديد : النظير ، ولا يكون إلا مخالفاً .

(٢) وهو صاحب « الأربعين » المشهورة لدى المحدثين ، وهي أربعون في البلدان المتباينة الأسانيد .

(أخبرَني أبو القاسمِ عليُّ بنُ الحسنِ بنِ هبةِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ الدمشقيُّ[1] إجازةً غيرَ مرَّةٍ قالَ : أخبرَنا الشيخانِ أبو الحسنِ عليُّ ابنُ منصورٍ وأبو منصورٍ محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ الحسنِ قالا : أخبرَنا الشيخُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عليِّ بنِ ثابتٍ قالَ : « عبدُ الكريمِ بنُ هوازنَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ طلحةَ بنِ محمدٍ ، أبو القاسمِ .

سمعَ : مِنَ الخفَّافِ ، وأبي نُعيمٍ ، وابنِ عَبْدوسِ المُزكِّي ، وابنِ فُورَكَ ، وأبي عبدِ الرحمٰنِ السُّلَميِّ .

قدمَ علينا في سنةِ ثمانٍ وأربعينَ وأربعِ مئةٍ ، وكتبْنا عنهُ ، وكانَ يعرفُ الأصولَ علىٰ مذهبِ الأشعريِّ ، والفروعَ علىٰ مذهبِ الشافعيِّ » .

قالَ الخطيبُ : « سألتُ القشيريَّ عن مولدِهِ ، فقالَ : في ربيعٍ الأوَّلِ سنةَ ستٍّ وسبعينَ وثلاثِ مئةٍ »[2] .

أخبرنا أبو بكرٍ القاسانيُّ إجازةً ، حدَّثَنا عبدُ الغافرِ بنُ إسماعيلَ بنِ عبدِ الغافرِ الفارسيُّ كتابةً[3] ، قالَ : أصلُهُ مِنْ ناحيةِ أُسْتُوا ، مِنَ العربِ الذينَ وردُوا خراسانَ وسكنُوا النواحيَ ؛ فهوَ قُشَيريُّ الأبِ سُلَميُّ الأمِّ ، وخالُهُ أبو عقيلٍ السُّلَميُّ المائقيُّ مِنْ وجوهِ دهاقينِ أُسْتُوا .

تُوفِّيَ أبوهُ وهوَ طفلٌ ، فوقعَ إلىٰ أبي القاسمِ الأَلِيمانيِّ الأديبِ[4] ، فقرأَ عليهِ الأدبَ والعربيَّةَ ، حتىٰ تخرَّجَ وتعلَّمَ العربيةَ .

(١) هو الإمام الحافظ الكبير ابن عساكر صاحب « تبيين كذب المفتري » .

(٢) انظر « تاريخ بغداد » (١١/ ٨٣) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٥١٠) .

(٣) وعبد الغافر : يكون سبطاً للإمام أبي القاسم القشيري رحمهما الله تعالىٰ .

(٤) والأليماني : من شيوخ الأديب الكبير أبي منصور الثعالبي ، وقد ترجمه وروىٰ عنه في « يتيمة الدهر » .

وكانَ لهُ ضيعةٌ مُثقَلةٌ بالخراجِ ، فرأىٰ[1] أنْ يحضرَ [البلدَ وهو نيسابورُ] في عُنْفُوانِ شبابِهِ ، ويتعلَّمَ شيئاً مِنَ الاستيفاءِ ، ويختلفَ إلى الديوانِ ، ويشرعَ في بعضِ الأعمالِ ، بعدَما أُونِسَ رشدُهُ في العربيَّةِ ، لعلَّهُ يصونُ ضيعتَهُ ، فحضرَ البلدَ علىٰ هٰذهِ العزيمةِ .

فاتَّفقَ حضورُهُ مجلسَ الأستاذِ أبي عليٍّ الحسنِ بنِ عليٍّ الدقَّاقِ ، وكانَ لسانَ وقتِهِ ، فاستحسنَ كلامَهُ ، ووقعَ منهُ موقعَ القَبولِ ، فسلكَ طريقَ الإرادةِ ، وامتدَّ الأمرُ فقبلَهُ وأقبلَ عليهِ ، وأشارَ عليهِ بتعلُّمِ العلمِ ، فخرجَ إلىٰ درسِ أبي بكرٍ محمدِ بنِ بكرٍ الطُّوسيِّ ، وشرعَ في الفقهِ حتىٰ فرغَ مِنَ التعليقِ ، ولهُ حكاياتٌ في اجتهادِهِ وبكورِهِ إلى الدرسِ وإقبالِهِ على التكرارِ والحفظِ يطولُ شرحُها .

ثمَّ اختلفَ بإشارتِهِ إلىٰ أبي بكرِ ابنِ فُورَكَ ، وكانَ المُقدَّمَ في الأصولِ ، حتىٰ برعَ فيها[2] ، ثمَّ اختلفَ بعدَ وفاةِ أبي بكرٍ إلىٰ أبي إسحاقَ الإسفراينيِّ[3] ، وجمعَ بينَ الطريقينِ .

ثمَّ نظرَ في كتبِ القاضي أبي بكرٍ الباقلانيِّ ، وهوَ معَ ذلكَ يرافقُ الأستاذَ أبا

(١) زاد في نسختينا : (أبي) ، والأنسب حذفها كما في « طبقات الفقهاء الشافعيين » (٢/ ٥٦٣) .

(٢) وكان الإمام القشيري من أوجه تلامذته وأشدِّهم تحقيقاً وضبطاً . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥١٢) .

(٣) وكان بداية حضوره عنده ـ كما ذكر الحافظ ابن عساكر في « التبيين » (ص٥١٢) ـ يقعد ويسمع جميع دروسه ، وأتىٰ على ذلك أيام ، فقال له الأستاذ : هٰذا العلم لا يحصل بالسماع ، وما توهَّم فيه ضبطَ ما يسمع ، فأعاد الإمام القشيري عنده ما سمعه منه ، وقرَّره أحسنَ تقرير من غير إخلال بشيء ، فتعجَّب منه ، وعرف محله وأكرمه ، وقال : ما كنت أدري أنك بلغت هٰذا المحل ، فلست تحتاج إلىٰ درسي ، بل يكفيك أن تطالع مصنفاتي ، وتنظر في طريقي ، وإن أشكل عليك شيء طالعتني به ، ففعل ذلك .

عليٌّ ويأخذُ منهُ الطريقةَ ، وقد ذكرَ مبادئَ أمرِهِ معَهُ في « رسالتِهِ » إلىٰ أنِ اختارَهُ لكريمتِهِ فاطمةَ[1] ، فزوَّجَها منهُ علىٰ كُرْهٍ مِنْ أقاربِها[2] .

ثمَّ إنَّهُ عقدَ لهُ المجلسَ في المدرسةِ ، وأمرَهُ أنْ يُخرِّجَ لنفسِهِ فصولاً تصلحُ للمجلسِ ، فكتبَها ، وهيَ علىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ ﴾ [فصلت : ٣٠] ، فتفاءلَ بهـٰذا الشيخُ في أمرِهِ ، وقالَ : أمرُهُ يستقيمُ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ، ثمَّ استحضرَ لهُ مشايخَ الوقتِ والأئمَّةَ ، وصوَّبُوا كلامَهُ وأثنَوْا عليهِ ؛ حتَّىٰ إنَّ الأستاذَ أبا سعدٍ الخَرْكُوشيَّ لمَّا سمعَ كلامَهُ قالَ : أنا لا أعرفُ هـٰذا الشابَّ !! فقالَ لهُ الأستاذُ أبو عليٍّ : لا يضرُّهُ ؛ فإنَّهُ يعرفُ كثيراً مِنَ المسائلِ لا تعرفُها أنتَ !!

وُلِدَ لهُ مِنَ الكريمةِ أولادٌ .

ثمَّ ماتَ الأستاذُ أبو عليٍّ ، فاجتمعَ عليهِ جميعُ أصحابِهِ مِنَ الغرباءِ والمقيمينَ ، وانقادُوا إليهِ ، وأذعنُوا لقضائِهِ ، وكانَ إذْ ذاكَ أبو عبدِ الرحمـٰنِ السُّلَميُّ شيخَ وقتِهِ ، فوافقَهُ علىٰ ما هوَ فيهِ ، وصارَ معَهُ كما كانَ معَ أبي عليٍّ[3] ، إلىٰ أنْ صارَ أستاذَ خراسانَ .

وسلكَ مسلكاً في أحوالِ الصوفيَّةِ والتجريدِ والتشديدِ على السالكينَ ، ويُحكىٰ مِنْ سيرتِهِ أمورٌ عجيبةٌ[4] .

(١) انظر « الرسالة القشيرية » (ص٥١٧ ، ٦١٥) .

(٢) كذا في (أ ، ب) ، والعبارة في « طبقات الفقهاء الشافعيين » (٢/ ٥٦٤) : (فزوجها منه مع كثرة أقاربها) ، وقد حدَّث عنه في « الرسالة » كثيراً ؛ فقلَّما يخلو فصل منها أو باب إلا وللأستاذ أبي علي الدقاق ذِكْرٌ فيه .

(٣) ولازمه حوالي ست سنوات إلىٰ سنة وفاته (٤١٢هـ) ، وحدَّث عنه كثيراً في « رسالته » ، وعلى القول بأنَّ أبا علي الدقاق توفي سنة (٤١٢هـ) ـ وكان قد تقدم أن وفاته سنة (٤٠٥هـ) ـ : فإن هـٰذه الصحبة لم تدم إلا أشهراً قليلة ، والله تعالىٰ أعلم .

(٤) وكان رحمه الله ـ إضافةً إلىٰ ما سبق ويأتي ـ في علم الفروسية واستعمال السلاح وما يتعلَّق=

ثمَّ أخذَ في التصنيفِ ؛ فصنَّفَ « التفسيرَ الكبيرَ » قبلَ العشرِ وأربعِ مئةٍ[1] .

وخرجَ إلى الحجِّ في وَقْفةِ الجُوَينيِّ والبيهقيِّ وجماعةٍ مِنَ المشايخِ المشاهيرِ[2] ، سمعَ معَهُمُ الحديثَ مِنْ أبي الحسينِ ابن بشرانَ ، وأبي الحسينِ ابنِ الفضلِ ، وغيرِهما مِنْ مشايخِ بغدادَ والكوفةِ ومكَّةَ ، وعادَ إلى نيسابورَ[3] .

لهُ النثرُ البديعُ ، والنظمُ لفرائدَ رُصِّعَتْ أحسنَ ترصيعٍ ؛ **فمِنْ ذلكَ قولُهُ** : الكرمُ ـ أطالَ اللهُ بقاءَ الشيخِ ـ يَهْدي المُتوسِّمَ إلى صاحبِهِ ، ويقضي للمُؤمِّلِ بنُجْحِ مطالبِهِ ، وإنِّي أَجَلتُ صواعدَ [قصدي في كلِّ قُطرٍ أَشيمُ برقَ الحريَّةِ ، وأعملتُ قواصدَ] فكري في كلِّ نحوٍ أستنشقُ نسيمَ الفتوَّةِ ، فما فاحَ إلا مِنْ بابِهِ نشرُهُ ، ولا لاحَ إلا مِنْ جنابِهِ بِشْرُهُ ، فتعرَّفتُ إليهِ بأنِّي ممَّنْ هداهُ إلى ودِّهِ بقاءُ عهدِهِ ، وحداهُ على قصدِهِ ضياءُ مجدِهِ ، وأرجو أنَّهُ إذا عَجَمَ عودَ ولائي استصلبَهُ[4] ، [وإذا] قيَّدَ قلبي بإحسانِهِ ما سيَّبَهُ ، واللهُ عزَّ وجلَّ يُديمُ

= به . . من أفراد العصر ، وله في ذلك الفنِّ دقائقُ وعلومٌ انفرد بها . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥١٢) .

(١) عدَّد مؤلفاته ابن السبكي في « الطبقات » (٥/ ١٥٩) ، **ومن أجلِّها وأعظمها** : « الرسالة » المشهورة في الآفاق ، والتي تعتبر من أركان كتب الحقيقة والتصوف من سالف الأزمان إلى يومنا هذا .

(٢) في « التبيين » : (رُفقة) بدل (وقفة) ، وهي أوضح وأنسب ، وهذا الخروج إثر الفتنة المشهورة بفتنة الكُنْدُري المتقدمة في (١/ ٣٣٣ـ٣٣٦) ، وهي مما خُصَّ به من المحنة في الدين والاعتقاد ، كما في « تبيين كذب المفتري » (ص٥١٤) ، وكان فيها شجاعاً صلباً مدافعاً عن أهل السنة والجماعة ، ومشى على خطاه ونهجه ابنُه الإمام الكبير أبو نصر في فتنة الحنابلة المشهورة .

(٣) بعد انجلاء الفتنة بمقتل الكُنْدُري ، وكان ذلك في نوبة السلطان المبارك المجاهد ألب أرسلان رحمه الله تعالى ورضي عنه ، وانظر ما سيأتي في (٢/ ٤٩١ـ٤٩٥) .

(٤) **عَجَمَ العودَ** : إذا عضَّه ليعلم صلابته من خَوَره ، وهذا أصلُهُ .

تمكينَهُ ، ويحرسُ عنِ الغيرِ نعمتَهُ ودينَهُ .

إنْ وجدَ الشيخُ في مجلسِ العميدِ فراغاً ، وللمنطقِ مَساغاً . . طالعَهُ بأنَّ فلاناً إلى البابِ مُتردِّدٌ ، وبإقامةِ رسمِ الزيارةِ مستسعدٌ ، وليسَ يشكو تحمُّلَهُ لخجلةِ الحجابِ ، ولـٰكنَّهُ يشكرُ تجمُّلَهُ بحضورِ البابِ ، والسلامُ)[1] .

ومِنْ كلامِهِ في [عقيدتِهِ] التي ضمَّنَها « رسالتَهُ » أنْ قالَ : (وهـٰذهِ فصولٌ تشتملُ علىٰ بيانِ عقائدِهِم في مسائلِ التوحيدِ ، **ذكرْناها علىٰ وجهِ الترتيبِ** :

قالَ شيوخُ هـٰذهِ الطريقةِ علىٰ ما يدلُّ عليهِ مُتفرِّقاتُ كلامِهِم ومجموعاتُها ومُصنَّفاتُهُم في التوحيدِ :

إنَّ الحقَّ سبحانَهُ [موجودٌ] قديمٌ[2] ، واحدٌ حليمٌ[3] ، قادرٌ عليمٌ ، [قاهرٌ] رحيمٌ[4] ، مريدٌ سميعٌ ، مجيدٌ رفيعٌ ، مُتكلِّمٌ بصيرٌ ، مُتكبِّرٌ قديرٌ ، حيٌّ باقٍ ، أحدٌ صَمَدٌ .

وإنَّهُ عالمٌ بعلمٍ ، قادرٌ بقدرةٍ ، مُريدٌ بإرادةٍ ، سميعٌ بسمعٍ ، بصيرٌ ببصرٍ ، مُتكلِّمٌ بكلامٍ ، حيٌّ بحياةٍ ، باقٍ ببقاءٍ) .

ثمَّ قالَ فيها : (وإنَّهُ أَحَديُّ الذاتِ ، ليسَ يُشبِهُ شيئاً مِنَ المصنوعاتِ ، ولا يُشبِهُهُ شيءٌ مِنَ المخلوقاتِ ، ليسَ بجسمٍ ولا جوهرٍ ، ولا صفاتُهُ أعراضٌ .

(١) لعله هنا ينتهي النقل من كلام الرهاوي ، وهو بنحو ما في « تبيين كذب المفتري » (ص٥١١ـ٥١٥) ، و« طبقات الفقهاء الشافعية » (٢/٥٦٣ـ٥٦٦) ، وتفرَّد بزيادات ليست موجودة فيهما ، كما تفرَّدا بزيادات ليست فيه ، وانظر « المنتخب من كتاب السياق » (ص٣٦٥) .

(٢) في (أ ، ب) : (موجد) بدل (موجود) .

(٣) في (ب) : (حكيم) ، وهو موافق لـ« الرسالة » .

(٤) في (أ ، ب) : (ماجد) بدل (قاهر) .

لا يُتصوَّرُ في الأوهامِ ، ولا يتقدَّرُ في العقولِ ، ولا لهُ جهةٌ ولا مكانٌ) .

وفيها : (وإنَّهُ يَرَىٰ لا عن مقابلةٍ ، ويُرىٰ لا علىٰ مقابلةٍ)[1] ، ثمَّ أتمَّ العقيدةَ إلىٰ آخرِها[2] .

ومِنْ كلامِهِ المنثورِ : ما صدَّرَ بهِ هٰذهِ « الرسالةَ » ، وأظهرَ فيها مِنَ القوَّةِ والبسالةِ[3] .

وتصانيفُهُ كثيرةٌ .

ومِنْ نظمِهِ رضيَ اللهُ عنهُ : [من البسيط]

يَا مَنْ تَقَدَّسَ فِي عَلْيَاءِ عِزَّتِهِ ... عَنْ كُلِّ وَهْمٍ بِتَقْدِيرٍ يُصَوِّرُهُ

يَا شَاهِداً وَكَأَنِّي لَسْتُ أَعْرِفُهُ ... وَغَائِباً وَكَأَنَّ ٱلْعَيْنَ تُبْصِرُهُ

ولهُ أيضاً رضيَ اللهُ عنهُ : [من الرمل]

هِمَّتِي تَقْصُرُ عَنْهَا طَاقَتِي ... مِحْنَتِي هَذَا وَهَذَا فَاقَتِي

لَيْسَ نَوْعاً وَاحِداً مَا نَابَنِي ... حَالَتِي مِنْ كُلِّ بَيْتٍ فَاقَتِي

ولهُ أيضاً : [من البسيط]

يَا مَنْ تَبَارَكَ فِي عَلْيَاءِ عِزَّتِهِ ... وَفِي تَعَزُّزِهِ بِٱلْمَجْدِ فِي ٱلأَزَلِ

إِرْحَمْ ذَلِيلاً أَتَاكَ ٱلْيَوْمَ مُعْتَذِراً ... فِي فَرْطِ خَجْلَتِهِ مِنْ كَثْرَةِ ٱلزَّلَلِ

وأنشدَ لنفسِهِ رضيَ اللهُ عنهُ : [من البسيط]

اَلدَّهْرُ أَصْبَرُ صَبْراً فِي تَقَلُّبِهِ ... عَنْ أَنْ يَدُومَ عَلَىٰ شَخْصٍ لَهُ أَثَرُ

(١) في « الرسالة » : (مماقلة) بدل (مقابلة) ، والمثبت إحدىٰ نسخها ، وكلا الوجهين صحيح ، إلا أن الأنسب ما في « الرسالة » ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) الرسالة القشيرية (ص٩٧ـ٩٩) .

(٣) الرسالة القشيرية (ص٧٩ـ٨٣) ، ومن ذلك أيضاً : مقاطعُ بليغةٌ وبديعة ضمَّنها رسالته « شكاية أهل السنة » .

لاَ بُؤْسُ يَبْقَىٰ وَلاَ نُعْمَىٰ تَدُومُ وَلاَ ... هَـمٌّ يُقِيـمُ وَلاَ رَوْحٌ وَلاَ ضَـرَرُ

ولهُ أيضاً : [من البسيط]

يَا مَنْ تَزِيدُ أَيَادِيهِ عَلَىٰ أَمَلِي ... سِجَالَ عَفْوِكَ أَفْرِغْهَا عَلَىٰ زَلَلِي
إِنِّي وَحَقِّكَ فِي فَرْطٍ مِنَ ٱلْوَجَلِ ... فَأَخْتِمْ بِخَيْرٍ إِذَا مَا جَاءَنِي أَجَلِي

وأوردَ قاضي القضاةِ شمسُ الدينِ بنُ خَلِّكانَ لهُ ، قالَ : ورأيتُ في بعضِ المجاميعِ هٰذهِ الأبياتَ[1] : [من مجزوء الكامل]

اَلْقَلْـــبُ نَحْـــوَكَ نَـــازِعُ ... وَٱلـــدَّهْـــرُ فِيـــكَ مُنَـــازِعُ
جَـــرَتِ ٱلْقَضِيَّـــةُ بِـــٱلنَّـــوَىٰ ... مَـــــا لِلْقَضِيَّـــــةِ وَازِعُ
اَللهُ يَعْلَـــــمُ أَنَّنِـــــي ... لِفِـــرَاقِ وَجْهِـــكَ جَـــازِعُ

تُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ صبيحةَ يومِ الأحدِ قبلَ طلوعِ الشمسِ ، السادسَ عشرَ مِنْ ربيعٍ الآخرِ سنةَ خمسٍ وستينَ وأربعِ مئةٍ ، وصلَّىٰ عليهِ ابنُهُ الأكبرُ الإمامُ أبو سعدٍ علىٰ بابِ [الطاقِ] ، ودُفِنَ في المدرسةِ بجنبِ الأستاذِ أبي عليٍّ ، ولزمَ الأئمَّةُ تربتَهُ ليلاً ونهاراً ، وكانُوا يبيتُونَ عندَها ، ولم يدخُلْ أحدٌ منهُم إلىٰ بيتِهِ ، ولا مسَّ ثيابَهُ ولا كتبَهُ إلا بعدَ سنينَ ؛ تعظيماً لهُ ، رضيَ اللهُ عنهُ وعنهُم أجمعينَ[2] .

* * *

(١) وفيات الأعيان (٣/٢٠٨) .

(٢) وذكر الإمام ابن السبكي في « الطبقات » (٥/ ١٦٠) : (قال أبو تراب المراغي : رأيته في النوم ، فقال : أنا في أطيب عيش وأكمل راحة .
وقال غيره : كانت للأستاذ فرس يركبها ، فلما مات امتنعت عن العلف ، ولم تطعَم شيئاً ، ولم تمكِّن راكباً من ركوبها ، ومكثت أياماً قلائلَ علىٰ هٰذا بعده ، إلىٰ أن ماتت) .
ولم يذكر المؤلف ترجمة أبي علي ابن أبي حريصة وأبي المظفر الإسفرايني ، **وإليك ترجمتهما مختصرتين كما وردتا في « تبيين كذب المفتري » :** =

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ أبو إسحاقَ الشِّيرازيُّ رضيَ اللهُ عنهُ

ممَّا شرَّفْتُ ثنائي بهِ أنْ قلتُ : أوحدُ زمانِهِ زهداً وورعاً ، وأفضلُ مَنْ رحلَ في أوانِهِ طلباً للعلم وسعى ، أصولُهُ مبنيَّةٌ على الكتابِ والسنَّةِ ، [وفروعُهُ] يُتحقَّقُ بها إنَّهُ وإنَّهُ ، أحيا مذهبَ الشافعيِّ بتدريسِهِ ، **وطريقةَ الأشعريِّ باستدلالِهِ ودروسِهِ** .

إنْ ناظرَ أفلحَ وأرعشَ المناظِرَ[1] ، وأدهشَ السامعَ والناظرَ ، تمسَّكَ بالكتابِ اعتماداً على مَنْ لا يُضِيعُ أجرَ المصلحينَ ، وعرَّشَ بـ« تنبيهِهِ » دوحةً

= **ومنهم : أبو علي الحسين بن أحمد بن المظفر ابن أبي حريصة الهَمَذاني الدمشقي الفقيه رحمه الله تعالىٰ :**

كتب الكثير ، وحدَّث باليسير ، وكان فقيهاً على مذهب مالك ، **ويذهب مذهب أبي الحسن الأشعري** .

وتوفي يوم الثلاثاء السادس والعشرين من المحرَّم سنة ست وستين وأربع مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥١٦) .

ـ وأبو المظفر شاهْفُور بن طاهر بن محمد الإسفرايني رحمه الله تعالىٰ :

الإمام الكامل ، الفقيه الأصولي المُفسِّر ، ارتبطَهُ نظام المُلْك بطوسَ .

توفي سنة إحدىٰ وسبعين وأربع مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥١٧) ، **ومن مصنفاته الشهيرة في أصول الدين** : « التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفِرَق الهالكين » .

(١) وكان الإمام أبو إسحاق نظَّاراً كبيراً ، وقد ناظر الإمام أبا المعالي الجويني وأبا عبد الله الدامغاني الحنفي ، فقطعهما في المناظرة ، **وكان من جملة من تعلم منه علم المناظرة** : الإمام أبو الوفاء ابن عقيل الحنبلي صاحب كتاب « الفنون » الذي لم يصنَّف في الدنيا أكبر منه .

في الجنةِ تُؤتي أُكُلَها كلَّ حينٍ ، يجتني طلبةُ العلمِ ثمرتَها في الآفاقِ ، ويتفيأُ ظلالَها مَنْ سلكَ طريقةَ العراقِ[1] ، وكلُّ مَنْ تعرَّفَ بمعارفِهِ ، فحسناتُهُ مُسطَّرةٌ في صحائفِهِ .

ذكرَهُ الحافظُ أبو القاسمِ ابنُ عساكرَ في « كتابِهِ » ؛ فقالَ : (**ومنهُمُ** : الشيخُ الإمامُ **أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ عليِّ بنِ يوسفَ الشِّيرازيُّ ثمَّ الفيروزباديُّ** ، [الفقيهُ] الزاهدُ ، الناسكُ العابدُ ، ذو التصانيفِ [الحسنةِ] ، والتواليفِ المستحسنةِ .

سكنَ بغدادَ ، **وسمعَ الحديثَ بها** : مِنْ أبي عليٍّ ابنِ شاذانَ ، وأبي بكرٍ البَرْقانيِّ ، وغيرِهما .

تفقَّهَ على جماعةٍ ؛ منهُمُ : القاضي أبو الطيِّبِ الطبريُّ ، وأبو أحمدَ عبدُ الوهابِ ابنُ رامينَ ، وأبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ البيضاويُّ ، وأبو [القاسمِ] منصورُ بنُ عمرَ الكَرْخيُّ البغداديونَ ، وأبو حاتمٍ الطبريُّ[2] ، وأبو عبدِ اللهِ الشيرازيُّ ، وغيرُهُم[3] .

ودرَّسَ ببغدادَ بالمدرسةِ النِّظاميَّةِ[4] ، وهوَ صاحبُ كتابِ « المُهذَّبِ » ،

(١) وقال الحسن الطبري ـ كما أخرجه ابن السبكي في « الطبقات » (٤/ ٢٢٩) ـ : (سمعت صوتاً من الكعبة ـ أو من جوف الكعبة ـ : « من أراد أن يتنبَّه في الدين فعليه بـ « التنبيه ») ، و« التنبيه » من الكتب النفيسة المباركة في الفقه الشافعي ، نال عناية العلماء ، واعتنى به كبار الفقهاء ؛ شرحاً وتحشيةً وتنكيتاً وتدليلاً ونظماً وغير ذلك ، وكان بعض أئمة اليمن ألزم نفسه ألا يجيب إلا من كتاب « التنبيه » ؛ وذلك لما حواه من المعاني الكثيرة بعبارات وجيزة مختصرة .

(٢) وقد مرَّ معنا في (١/ ٤٢٧) أثناء ترجمته قولُ أبي إسحاق فيه وفي شيخه أبي الطيب الطبري : (لم أنتفع بأحد في الرحلة كما انتفعت به وبالقاضي أبي الطيب الطبري) .

(٣) وقد ترجم أبو إسحاق لهؤلاء الأئمة في « طبقاته » .

(٤) وهذه النظامية بنيت لإمامنا المترجم ، وهو أول من درَّس بها على الحقيقة بعد امتناع =

وكتابِ « التنبيهِ » ، و« النُّكَتِ » فِي الخلافِ ، و« اللُّمَعِ » في أصولِ الفقهِ ، وغيرِ ذلكَ مِنَ الكتبِ[1] .

وكانَ يظنُّ بهِ بعضُ مَنْ لا يفهمُ ولا يعرفُ أنَّهُ يُخالِفُ [الأشعريَّ] ؛ لقولِهِ في كتابِهِ : « قالَتِ الأشعريَّةُ : إنَّ الأمرَ لا صيغةَ لهُ » ، وليسَ ذلكَ لأنَّهُ لا يعتقدُ [اعتقادَهُ] ، وإنَّما قالَ ذلكَ ؛ لأنَّهُ خالفَهُ في هٰذهِ المسألةِ بعينِها ، كما خالفَهُ فيها غيرُهُ مِنَ الفقهاءِ ، فأرادَ أنْ يُبيِّنَ أنَّ هٰذهِ المسألةَ ممَّا انفردَ بها أبو الحسنِ .

وقد ذكرْنا في كتابِنا هٰذا فتواهُ فيمَنْ خالفَ الأشعريَّةَ ، واعتقدَ تبديعَهُم ، وذلكَ أوفىٰ دليلٍ علىٰ أنَّهُ منهُم)[2] .

قلتُ : وسأُوردُ لهُ فتيا وقعَتْ لي يُنكِرُ فيها علىٰ مَنْ يعتقدُ الحرفَ والصوتَ ، تعضُدُ ما قالَهُ الحافظُ ابنُ عساكرَ رضيَ اللهُ عنهُم[3] .

وفضائلُهُ كثيرةٌ ، ومزاياهُ شهيرةٌ ، ولهُ النظمُ الحسنُ والنثرُ .

فمِنْ نظمِهِ[4] : [من الوافر]

= شديد ، وكان لا يأخذ أجرة علىٰ ذلك مع فقره رضي الله عنه ، ومن جملة من درَّس بها من أساطين العلم : الإمام أبو نصر ابن الصباغ صاحب « الشامل » ، والإمام أبو بكر الشاشي صاحب « الحلية » ، والإمام الطبري صاحب « العدة » ، والإمام الحجة أبو حامد الغزالي صاحب « الإحياء » وغيره من المؤلفات النفيسة .

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٢١٥) ، وقيل : إنَّ أسماء كتبه أخذها من الإمام اللغوي النحوي أبي الفتح بن جني ، وقد صنع ذلك الإمام الغزالي عندما استعار أسماء كتبه الفقهية من الإمام الواحدي المُفسِّر ، وهٰذه الاستعارة كثيرة فاشية لدى العلماء رحمهم الله تعالىٰ ورضي عنهم .

(٢) تبيين كذب المفتري (ص٥١٨ـ٥١٩) ، وانظر « اللمع » (ص١٥١) .

(٣) انظر (٢/ ٤٣٤) .

(٤) انظر « وفيات الأعيان » (١/ ٢٩) ، وفيه : (بذيل حرٌّ) بدل (بود حر) ، و« طبقات =

سَأَلْتُ ٱلنَّاسَ عَنْ خِلٍّ وَفِيٍّ فَقَالُوا مَا إِلَىٰ هَٰذَا سَبِيلُ
تَمَسَّكْ إِنْ ظَفِرْتَ بِوُدِّ حُرٍّ فَإِنَّ ٱلْحُرَّ فِي ٱلدُّنْيَا قَلِيلُ

وممَّا قالَهُ فيهِ الشيخُ أبو الخطَّابِ عليُّ بنُ عبدِ الرحمٰنِ بنِ عيسى بنِ عليِّ بنِ عيسى بنِ داودَ بنِ الجرَّاحِ البغداديُّ الكاتبُ ؛ في الشيخِ أبي إسحاقَ[1] : [من البسيط]

سَقْياً لِمَنْ صَنَّفَ ٱلتَّنْبِيهَ مُخْتَصِراً أَلْفَاظَهُ ٱلْغُرَّ وَٱسْتَقْصَىٰ مَعَانِيهِ
إِنَّ ٱلإِمَامَ أَبَا إِسْحَاقَ صَنَّفَهُ لِلهِ وَٱلدِّينِ لاَ لِلْعُجْبِ وَٱلتِّيهِ
رَأَىٰ عُلُوماً عَنِ ٱلأَفْهَامِ شَارِدَةً فَحَازَهَا ٱبْنُ عَلِيٍّ كُلَّهَا فِيهِ
لاَ زِلْتَ لِلشَّرْعِ إِبْرَاهِيمُ مُنْتَصِراً تَذُودُ عَنْهُ أَعَادِيهِ وَتَحْمِيهِ

تُوفِّيَ في جُمادى الآخرةِ سنةَ ستٍّ وسبعينَ وأربعِ مئةٍ ، قالَهُ ابنُ الأكفانيِّ[2] ، وقالَ في موضعٍ آخرَ : (في ليلةِ الأحدِ الحادي والعشرينَ مِنْ جمادى الآخرةِ)[3] ، رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ .

= الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٢٢٤ـ٢٢٥) .

(١) كذا في نسختينا ، ولو قال : (ومما قاله في « التنبيه » الشيخ أبو الخطاب . . . وفي الشيخ أبي إسحاق) . . لكان أوضح وأسبك ، والله تعالىٰ أعلم ، وأورد الأبيات ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٥١٩) من خط أخيه أبي الحسين ابن عساكر رحمهم الله تعالىٰ .

(٢) انظر « ذيل ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم » (ص٥٩ـ٦٠) ، و« تبيين كذب المفتري » (ص٥٢٠ـ٥٢١) .

(٣) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٢٢٩) ، وغسَّله تلميذه أبو الوفاء ابن عقيل ، ودفن من الغد بباب حرب ، ومات رحمه الله ولم يُخلِّف ديناراً ولا درهماً ، وكان عزباً لم يتأهَّل طيلة حياته ، وهو من جملة العلماء الذين ترجمهم العلامة عبد الفتاح أبو غدة في كتابه الماتع « العلماء العُزَّاب » ، وقال الحافظ الكبير ابن حجر العسقلاني في « إنباء الغمر » (٣/ ٤٧) أثناء ترجمة المجد الفيروزابادي صاحب « القاموس المحيط » : (كان ـ أي : =

ومنهُمُ الشيخُ [. . .][1] :

= المجد الفيروزابادي - يرفع نسبه إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي صاحب « التنبيه » . . . ولم أزل أسمع مشايخنا يطعنون في ذلك مستندين إلىٰ أنَّ أبا إسحاق لم يُعقِب) ، وانظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٤٦١-٤٦٢) .

(١) جاء قوله : (ومنهم الشيخ) خاتمة الورقة (١٠٥/أ) ، ثم انتقل مباشرة في (١٠٥/ب) إلىٰ ترجمة الحافظ الفراوي ، وسقط بين الورقتين حوالي ثلاث عشرة ترجمة لكبار أئمة الأشاعرة ، وإليك هـٰذه التراجم مختصرةً من « تبيين كذب المفتري » :

ومنهم : الإمام أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني النيسابوري رحمه الله تعالىٰ :

إمامُ الحرمين ، فخر الإسلام ، إمام الأئمة على الإطلاق ، حَبْر الشريعة ، المجمع علىٰ إمامته شرقاً وغرباً ، المُقِرُّ بفضله السُّراةُ والحداة عُجْماً وعُرْباً ، من لم تر العيون مثلَهُ قبله ، ولا ترىٰ بعده .

تفقَّه في صباه علىٰ والده ركن الإسلام ، وخلَفَهُ بعد وفاته ، وأتىٰ علىٰ جميع مُصنَّفاته فقلَّبها ظهراً لبطن ، وتصرَّف فيها وخرَّج المسائل بعضها علىٰ بعض ، ودرَّس سنين ، ولم يرض في شبابه بتقليد والده وأصحابه ، حتىٰ أخذ في التحقيق ، وجدَّ واجتهد في المذهب والخلاف ومجالس النظر ، حتىٰ ظهرت نجابته ، ولاح علىٰ أيامه همة أبيه وفراستُهُ .

ومن ابتداء أمره : أنه لما توفي أبوه كان سنه دون العشرين أو قريباً منه ، فأُقعد مكانه للتدريس ، فكان يقيم الرسم في درسه ، ويقوم منه ويخرج إلىٰ مدرسة البيهقي ، حتىٰ حصَّل الأصول وأصول الفقه على الأستاذ الإمام أبي القاسم الإسكاف الإسفرايني ، وكان يواظب علىٰ مجلسه ، وعلَّق عليه في الأصول أجزاء معدودة ، وطالع في نفسه مئة مجلَّدة .

وخرج إلى الحجاز وجاور بمكة أربع سنين - وذلك بعد الفتنة التي حدثت بنيسابور - يدرِّس ويفتي ، ويجمع طرق المذهب ، ويقبل على التحصيل ، إلىٰ أن اتفق رجوعه بعد مضي نوبة التعصُّب ، بظهور نوبة ولاية السلطان ألب أرسلان ، ووزارة نظام الملك ، فعاد إلى التدريس ، وكان بالغاً في العلم نهايته ، فبُنيت المدرسة النظامية ، وأُقعد للتدريس فيها ، وكان يقعد بين يديه كلَّ يوم نحو من ثلاث مئة رجل من الأئمة ومن الطلبة ، وتخرَّج به جماعة من الأئمة والفحول حتىٰ بلغوا محلَّ التدريس في زمانه .

وكان يقول : (أنا لا أنام ولا آكل عادةً ، وإنما أنام إذا غلبني النوم ، ليلاً كان أو نهاراً ، وآكل إذا اشتهيت الطعام أيَّ وقت كان) .

وكان قد سمع الحديث الكثير في صباه من مشايخ ؛ مثل الشيخ أبي حسان ، وأبي سعد بن=

.

= عَلِيّك ، وأبي سعد النضروي ، وغيرهم .

وكان مولده ثامن عشر المحرم سنة تسع عشرة وأربع مئة ، وتوفي ليلة الأربعاء بعد صلاة العتمة ، في الخامس والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة ثمان وسبعين وأربع مئة ، **ومما قيل في رثائه** :

قلوبُ العالمينَ على المقالي ... وأيّامُ الورىٰ شِبْهُ الليالي

أيُتْمِرُ غُصْنُ أهلِ الفضل يوماً ... وقد مات الإمامُ أبو المعالي

انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٢٢ـ٥٣١) .

ـ والفقيه أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي رحمه الله تعالىٰ :

تفقُّه : عند أبي الفتح سُليم بن أيوب الرازي بصور ، ثم رحل إلىٰ ديار بكر وتفقَّه عند أبي عبد الله الكازَرُوني ، وسمع الحديث بدمشق وغيرها من جماعة ، ودرَّس العلم ببيت المقدس مدَّة ، ثم انتقل إلىٰ صور ، فأقام بها عشر سنين ينشر العلم بها مع كثرة المخالفين له من الرافضة ، ثم انتقل إلىٰ دمشق ، فأقام بها تسع سنين يحدث ويفتي ويدرس ، علىٰ طريقة واحدة من الزهد في الدنيا ، والتنزُّه عن الدنايا ، والجري علىٰ منهاج السلف .

وحكي عن بعض أهل العلم أنه قال : (صحبت إمام الحرمين بخراسان ، ثم قدمت العراق فصحبت الشيخ أبا إسحاق الشيرازي ، فكانت طريقته عندي أفضل من طريقة أبي المعالي ، ثم قدمت الشام ، فرأيت الفقيه أبا الفتح ، فكانت طريقته أحسن من طريقتهما جميعاً) .

توفي بدمشق في يوم الثلاثاء التاسع من المحرم سنة تسعين وأربع مئة ، وكان الخَلْق مُتوفِّراً ، لم يرَ الدمشقيون جنازة مثلها . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٣٢ـ٥٣٣) .

ـ والإمام أبو عبد الله الحسين بن علي الطبري رحمه الله تعالىٰ :

تفقُّه : على الشريف ناصر بن الحسين العمري بنيسابور ، وتخرَّج وأقام بها مدَّةً ، ثم خرج إلىٰ مكة ، وكان يفتي ويدرس ويروي الحديث بها ، وله بها عقب .

توفي سنة ثمان وتسعين وأربع مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٣٤) ، وقال ابن السبكي في « الطبقات » (٤/ ٣٥٠) : (**والأقرب** : أنه توفي سنة خمس وتسعين وأربع مئة ، لا أدري بمكة أم بأصبهان) ، وقال أيضاً : (وكان إماماً كبيراً ، **أشعريَّ العقيدة** ، جرت بينه وبين الحنابلة القائلين بالحرف والصوت خُطوبٌ) .

ومن المشهورين من الطبقة الخامسة

ـ الإمام أبو المُظفَّر أحمد بن محمد بن المظفر الخَوافي النيسابوري رحمه الله تعالىٰ :

قال فيه عبد الغافر الفارسي : (الإمام المشهور ، **أَنْظَرُ أهل عصره** ، **وأعرفهم بطريق الجدل**=

.

= في الفقه ، له العبارة الرشيقة المهذَّبة ، والتضييق في المناظرة على الخصم ، والإرهاق إلى الانقطاع .

تفقه : على أبي إبراهيم الضرير ، فتخرَّج به بعض التخرج ، ثم وقع بعده إلى خدمة إمام الحرمين وصحبته ، وبرع عنده حتى صار من أوحد تلامذته وأصحابه القدماء ، وكان معجباً به وبكلامه ، ثم ترفَّع عن الإعادة في درسه ، فكان يدرِّس بنفسه ، وتختلف إليه طائفة .

توفي بطوس سنة خمس مئة ، وكان حسن العقيدة ، ورع النفس ، ما عُهِدَ منه هَنات قطُّ كما عُهد من غيره) انتهى بتصرف ، وانظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٣٧) .

ـ والإمام أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري المعروف بـ (إلْكِيا) رحمه الله تعالى :

قال فيه عبد الغافر الفارسي : (الإمام البالغ في النظر مبلغَ الفحول ، ورد نيسابور في شبابه وقد تفقَّه ، وكان حسن الوجه ، مطابق الصوت للنظر ، مليح الكلام ، فحصَّل طريقة إمام الحرمين وتخرَّج به فيها ، وصار من وجوه الأصحاب ورؤوس المعيدين في الدرس ، وكان ثانيَ الغزالي ، بل أملح وأطيب في النظر والصوت ، وأبين في العبارة والتقرير منه ، وإن كان الغزالي أحدَّ وأصوب خاطراً ، وأسرع بياناً وعبارة منه) .

توفي ببغداد يوم الخميس مستهلَّ المحرم سنة أربع وخمس مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٣٨ـ٥٤١) .

ـ وحجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي رحمه الله تعالى :

أطنب عبد الغافر الفارسي في الثناء عليه ، وذكر سيرته العلمية إلى أن اختار طريق التأله والزهادة ، ومن جملة ما قاله فيه : (حجة الإسلام والمسلمين ، إمام أئمة الدين ، من لم تر العيونُ مثلَهُ لساناً وبياناً ونطقاً ، وخاطراً وذكاء وطبعاً ، شدا طَرَفاً في صباه بطوس من الفقه على الإمام أحمد الرَّاذكاني ، ثم قدم نيسابور مختلفاً إلى درس إمام الحرمين ، وجدَّ واجتهد حتى تخرَّج عن مدة قريبة ، وبزَّ الأقران ، وحمل القرآن ، وصار أنْظَرَ أهل زمانه ، وواحد أقرانه في أيام إمام الحرمين ، وكان الطلبة يستفيدون منه ، ويدرس لهم ويرشدهم ، ويجتهد في نفسه ، وبلغ الأمر به إلى أن أخذ في التصنيف ، وكان الإمام مع علو درجته وسمو عبارته وسرعة جريه في النطق والكلام . . لا يصغي نظره إلى الغزالي سرّاً ؛ لإنافته عليه في سرعة العبارة وقوة الطبع ، ولا يطيب له تصدِّيه للتصانيف وإن كان متخرِّجاً به منتسباً إليه ، كما لا يخفى من طبع البشر ، ولكنه يظهر التبجُّح به والاعتداد بمكانه ظاهراً خلاف ما يضمره .

ونظر في علم الأصول وكان قد أحكمها ، فصنَّف فيه تصانيف ، وجدَّد المذهب في الفقه ، فصنَّف فيه تصانيف ، وسَبَكَ الخلاف ، فحرَّر فيه أيضاً تصانيف ، وعَلَتْ حشمته ودرجته =

.

= في بغداد .

وظهر عليه بعدُ مطالعةٌ للعلوم الدقيقة ، وممارسة للكتب المصنفة فيها ، وسلك طريق التزهُّد والتألُّه ، وترك الحشمة ، وطرح ما نال من الدرجة ، والاشتغالِ بأسباب التقوىٰ وزاد الآخرة ، فخرج عمَّا كان فيه ، وقصد بيت الله تعالىٰ وحجَّ ، ثم دخل الشام ، وأقام في تلك الديار قريباً من عشر سنين يطوف ويزور المشاهد المعظَّمة ، وأخذ في التصانيف المشهورة التي لم يُسبق إليها ؛ كـ « إحياء علوم الدين » ، والكتب المختصرة منها ؛ مثل « الأربعين » ، وغيرها من الرسائل التي من تأمَّلها علم محلَّ الرجل من فنون العلم) .

ثم قال : (**وكانت خاتمة أمره** : إقباله علىٰ حديث المصطفىٰ صلى الله عليه وسلم ، ومجالسة أهله ، ومطالعة « الصحيحين » البخاري ومسلم اللذين هما حجة الإسلام ، ولو عاش لسبق الكل في ذلك الفن بيسير من الأيام يستفرغه في تحصيله ، ولا شك أنه سمع الأحاديث في الأيام الماضية ، واشتغل في آخر عمره بسماعها ، ولم تتفق له الرواية ، ولا ضرر ؛ فما خلَّفه من الكتب المصنفة في الأصول والفروع وسائر الأنواع . يُخلِّد ذكره ، ويُقرِّر عند المطالعين المنصفين المستفيدين منها أنه لم يُخلِّف مثلَهُ بعده) .

توفي يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة سنة خمس وخمس مئة ، ودفن بظاهر طابَران . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٤٢ـ ٥٩٩) .

ـ وأبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي رحمه الله تعالىٰ :

تفقَّه : على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وغيره ، وكان معيداً له ، وولي التدريس بالمدرسة النظامية وغيرها ببغداد ، وله تصانيف كثيرة حسنة ، وإليه انتهت الرئاسة لأصحاب الشافعي رحمة الله عليه ببغداد .

توفي يوم السبت الخامس والعشرين من شوال سنة سبع وخمس مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٦٠) .

ـ والإمام أبو القاسم سلمان بن ناصر بن عمران الأنصاري النيسابوري رحمه الله تعالىٰ :

كان عالماً ، إماماً في التفسير وعلم الأصول .

قال فيه عبد الغافر الفارسي : (الإمام الدَّيِّن الورع الزاهد ، فريد عصره في فنِّه ، وكان له معرفة بالطريقة ، وقَدَمٌ في التصوف ، ونظر دقيق ، وفكر في المعاملة ، وتصاون في النفس ، وعفاف في الطُّعم ، وكان حسن الطريقة ، دقيق النظر ، واقفاً علىٰ مسالك الأئمَّة وطرقهم في علم الكلام ، بصيراً بمواضع الإشكال) .

توفي صبيحة يوم الخميس ، الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتي عشرة وخمس =

.

= مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٦١) .

ـ والإمام بن الإمام أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري رحمه الله تعالىٰ :

قال فيه عبد الغافر الفارسي : (إمام الأئمة ، وحبر الأمة ، وهو الأول من ولد الإمام بعد العصبة الدقّاقية من أولاده ، وأشبههم به خَلْقاً ، حتىٰ كأنه شُقَّ منه شقّاً ، ربّاه أحسن تربية وزقّه العربية في صباه زقّاً ، حتىٰ تخرّج به وبرع فيها ، وكمُل في النثر والنظم ، فحاز فيهما قصب السبق ، وكان يبث السحر بأقلامه على الرَّقّ ، استوفى الحظَّ الأوفىٰ من علم الأصول والتفسير تلقّياً من والده .

ولما توفي أبوه انتقل إلىٰ مجلس إمام الحرمين ، وواظب علىٰ درسه وصحبتِهِ ليلاً ونهاراً ، ولزمه عشيّاً وإبكاراً ، حتىٰ حصّل طريقته في المذهب والخلاف ، وجدَّد عليه الأصول ، وكان الإمام يعتد به ، ويستفرغ أكثر أيامه معه ، مستفيداً منه بعض مسائل الحساب في الفرائض والدور والوصايا) .

ثم أشار الحافظ ابن عساكر نقلاً عن عبد الغافر الفارسي إلىٰ فتنة الحنابلة التي وقعت في زمانه ، والتي قام فيها بنصرة مذهب أهل السنة والجماعة .

توفي ضحوة يوم الجمعة الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وخمس مئة .

وأورد الحافظ بهاء الدين بن الحافظ ابن عساكر مَحْضراً فيه خطوطُ كبار الأئمة بتأييد مقالة الإمام أبي نصر ، وموافقته في اعتقاده . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٦٢ـ٥٧٤) ، و(٢/٤٩٦) .

ـ وشيخ ابن عساكر الإمام أبو علي الحسن بن سلمان الأصبهاني المعروف بـ (ابن الفتىٰ) :

ولد بأصبهان ، وتأدَّب بأبيه ، وتفقَّه على الإمام أبي بكر محمد بن ثابت الخُجَندي مدرس مدرسة نظام الملك بأصبهان ، وعلىٰ غيره ، وولي قضاء خوزستان ، ثم ولي تدريس المدرسة النظامية ببغداد ، وكان ممَّن يملأ العين جمالاً ، والأذن بياناً ، ويُربي علىٰ أقرانه في النظر ؛ لأنه كان أفصحهم لساناً .

وخرج عن بغداد ، ثم عاد إليها وقد شرع في عقد مجالس التذكير ، وأنشأ الخطب في التوحيد التي هو فيها عديم النظير ، وظهر له القبول التام ، ولكن لم تمتدَّ له الأيام ؛ إذ توفي في يوم الاثنين الخامس من شوال سنة خمس وعشرين وخمس مئة ، ودفن بتربة الشيخ أبي إسحاق . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٧٥ـ٥٧٦) .

ـ والشيخ الإمام أبو سعيد أسعد بن أبي نصر بن الفضل العمري المِيهَني رحمه الله تعالىٰ :

صاحب « التعليق » ، المحشوُّ بالتحقيق ، المبرَّزُ في علم الخلاف ، المشهور في سائر =

.

* * *

= البلدان والأطراف .

تفقَّه بمروَ : على الشيخ الإمام أبي المظفر السمعاني المروزي ، **وقرأ الأصول على كِبَرٍ** : على الإمام أبي عبد الله الفَراوي .

وولي تدريس المدرسة النظامية ببغداد غير مرة ، وعلَّق عنه جماعةٌ من الفقهاء وانتفعوا بطريقته ، وكان مشهوراً بحسن النظر ، موصوفاً بقوة الجدل ، ونسخ بـ « تعليقته » سائر التعاليق .

توفي بهَمَذان سنة سبع وعشرين وخمس مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٧٧) .

ـ وشيخ ابن عساكر الإمام الشريف أبو عبد الله محمد بن أحمد العثماني الدِّيباجي المقدسي رحمه الله تعالىٰ :

ولد سنة اثنتين وستين وأربع مئة ببيروت ، ولقي الفقيه أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسيَّ ببيت المقدس ، ولزم صاحبه القاضي يحيى بن يحيى المقدسي الذي خلَّفه في مدرسته بعد خروجه عن بيت المقدس ، وتفقَّه أيضاً بالقاضي حسين الطبري نزيل مكة .

وسكن بغداد ، وكان يفتي بها ويناظر ويُذكِّر ، وكانت مجالس تذكيره قليلة الحشو ، مشحونةً بالفوائد ، علىٰ طريقة تذكير المتقدمين .

توفي يوم الأحد السابع عشر من صفر سنة سبع وعشرين وخمس مئة . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٧٨) .

ـ وشيخ ابن عساكر القاضي الإمام أبو العباس أحمد بن سلامة المعروف بـ (ابن الرُّطبِي) رحمه الله تعالىٰ :

تفقَّه : بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي بشيراز ، ثم لزم الشيخ الإمام أبا بكر الشاشي بعد وفاة أبي إسحاق ، ورحل إلىٰ أصبهان وتفقَّه بالإمام أبي بكر الخُجَندي مدرس النظامية بأصبهان ، وسمع بها شيئاً من الحديث ، ورجع إلى العراق .

وكان مقدَّماً في المعرفة بالمذهب والخلاف ، حسن المناظرة ، حلو العبارة .

قال ابن عساكر : (سمعت الشيخ أبا عبد الله المقدسي وقال له بعض الفقهاء : لقد ظهر اليوم كلامُ أبي العباس علىٰ كلام الشيخ أسعد ، فقال : ومتىٰ لم يظهر كلام القاضي علىٰ كلامه ؟!) .

توفي ليلة الاثنين مستهلَّ رجب سنة سبع وعشرين وخمس مئة ، ودفن بتربة أبي إسحاق الشيرازي . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٧٩ـ٥٨٠) .

[ومنهُمُ :

الإمامُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ الفضلِ بنِ أحمدَ الفَراويُّ النيسابوريُّ

قالَ أبو مسعودٍ الفضلُ بنُ أحمدَ الصاعديُّ : (حكىٰ لي الأميرُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ الحسنِ السِّيمَجوريُّ القاينيُّ يومَ السبتِ سلخَ رجبٍ عظَّمَ اللهُ بركتَهُ ، سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وأربع مئةٍ قالَ : إنِّي كنتُ أوَّلَ مِنْ أمسِ بينَ النائمِ واليقظانِ ، فرأيتُ كأنَّكَ حضرتَ عندي وقلتَ لي : إنَّ الصوفيةَ جعلوا ولدَكَ محمداً نائبَهُم في عقدِ المجلسِ، فكما سمعتُ منكَ هٰذا المقالَ رأيتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ جالساً كشبهِ المتكئِ ، حاسراً عن رأسِهِ ، وبجنبهِ شخصٌ علمتُ أنَّهُ عائشةُ رضيَ اللهُ عنها ، ثمَّ إنَّ ولدَكَ أنشدَ بينَ يدَي رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ القصيدةَ المنظومةَ في الاعتقادِ التي مُفتتحُها : [من الوافر]

بِحَمْـــدِ ٱللهِ أَفْتَتِـــحُ ٱلْمَقَـــالا وَقَـــدْ جَلَّـــتْ أَيَـــادِيـــهِ تَعَـــالَـــىٰ

مِنْ إنشاءِ الأستاذِ الإمامِ أبي القاسمِ عبدِ الكريمِ بنِ هوازنَ القشيريِّ ، ثمَّ إنَّهُ جرىٰ علىٰ لسانِ ولدِكَ محمدٍ في أثناءِ إنشادِهِ بينَ يدَي رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هٰذهِ القصيدةَ . . شيءٌ ، فقالَ لهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : كيفَ قلتَ ؟ كالمستدركِ عليهِ ، فرجعَ إلىٰ أبياتٍ قبلَها ، فأنشدَها بينَ يديهِ معَ البيتِ المنتهي إليهِ ، فأنشدَها علىٰ حسبِ ما رضيَ عليهِ السلامُ ، إلىٰ أنْ فرغَ مِنْ إنشادِ تمامِ القصيدةِ ، ثمَّ قالَ لهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : جعلتُكَ نائبي في عقدِ المجلسِ ، ثمَّ في الحالِ جاءَتْ فاطمةُ عليها السلامُ وجلسَتْ بينَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وبينَ عائشةَ ، فقالَ لها رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُغرِّمُها ؛ يعني : علىٰ ما فاتَها بعدَ قيامِها مِنْ جنبِهِ حالَ إنشادِ هٰذا

الصبيِّ ، ورأيتُ علىٰ ولدِكَ في تلكَ الحالةِ ثياباً بيضاً .

ثمَّ ذكرَ الأميرُ أبو الحسنِ السِّيمَجُوريُّ هـٰذهِ الرؤيا بينَ يدَي جماعةِ الصوفيةِ بنيسابورَ في خانقاه الشيخِ أبي عبدِ الرحمـٰنِ السلميِّ ، فكلُّهُم أُعجبوا بهـٰذهِ البشارةِ ، وتوفيَ الأميرُ أبو الحسنِ رحمَهُ اللهُ في شهرِ رمضانَ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وأربعِ مئةٍ)[1] .

وقالَ عبدُ الغافرِ الفارسيُّ : (ذكرَ لي الإمامُ محمدٌ أنَّهُ لمَّا فرغ مِنْ زيارةِ قبرِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حينَ كانَ بالمدينةِ ، وأرادَ أنْ يخرجَ مِنَ المسجدِ . . تذكَّرَ هـٰذهِ الرؤيا ، فوقفَ واستأذنَ مِنَ الروضةِ][2] في عقدِ المجلسِ كما أشارَ إليهِ في الرؤيا ، فوجدَ شبهَ تعريفٍ أنَّهُ أذنَ لهُ فيهِ ، واللهُ أعلمُ)[3] .

قالَ الإمامُ أبو الحسنِ الفارسيُّ : (**هوَ محمدُ بنُ الفضلِ بنِ أحمدَ ، أبو عبدِ اللهِ الصاعديُّ الفَراويُّ**[4] ، فقيهُ الحرمِ ، البارعُ في الفقهِ والأصولِ ، الحافظُ للقواعدِ ، نشأَ بينَ الصوفيَّةِ في حُجُورِهِم ، ووصلَ إليهِ بركاتُ أنفاسِهِم .

سمعَ التصانيفَ والأصولَ مِنَ الإمامِ زينِ الإسلامِ[5] ، ودرسَ عليهِ الأصولَ والتفسيرَ ، ثمَّ اختلفَ إلىٰ مجلسِ إمامِ الحرمينِ ، ولازمَ درسَهُ ما عاشَ ، وتفقَّهَ عليهِ ، وعلَّقَ عنهُ الأصولَ ، فصارَ مِنْ جملةِ المذكورينَ مِنْ أصحابِهِ .

وخرجَ حاجّاً إلىٰ مكَّةَ ، وعُقِدَ لهُ المجلسُ ببغدادَ وسائرِ البلادِ ، وأظهرَ

(١) أخرجه ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » (ص٥٨١ـ٥٨٢) .

(٢) ما بين معقوفين تم استكماله من « تبيين كذب المفتري » .

(٣) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٨٢) .

(٤) وضبطه في « الأنساب » (١٠/١٦٦) بضم الفاء ، وفي « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/١٦٨) : (قال أبو سعد بن السمعاني : سمعت عبد الرشيد بن علي الطبري بمرو يقول : « الفُراوي ألف راوي ») .

(٥) هو الإمام القشيري أبو القاسم رضي الله عنه .

العلمَ بالحرمينِ ، وكانَ منهُ بهما أثرٌ وذِكرٌ ، ونشرَ العلمَ ، وعادَ إلىٰ نيسابورَ .

وما تعدَّىٰ قطُّ حدَّ العلماءِ ، ولا سيرةَ الصالحينَ ؛ مِنَ التواضعِ والتبذُّلِ في الملابسِ والمعاشِ ، وتسترَّ بكِتْبةِ الشروطِ ؛ لاتِّصالِهِ بالزُّمرةِ الشَّحَّاميَّةِ مصاهرةً ؛ ليصونَ بها عِرْضَهُ وعلمَهُ عن توقُّعِ الإرفاقِ[1] .

ثمَّ قعدَ للتدريسِ في المدرسةِ الناصحيَّةِ برأسِ سكَّةِ عمَّارٍ ، وقامَ بإمامةِ مسجدِ أبي بكرٍ المُطرِّزِ .

وقد سمعَ المسانيدَ والصِّحاحَ ، وأكثرَ عن مشايخَ ؛ مثلِ أبي الحسينِ عبدِ الغافرِ ، وأبي سعدٍ الجَنْزَرُوذيِّ ، وأبي سعيدٍ الخشَّابِ الصوفيِّ ، وطبقتِهم)[2] .

قالَ ابنُ عساكرَ : (وإلى الإمامِ محمدِ بنِ الفَراويِّ كانَتْ رحلتي الثانيةُ ؛ لأنَّهُ كانَ المقصودَ في تلكَ الناحيةِ ؛ لِمَا اجتمعَ فيهِ مِنْ عُلُوِّ الإسنادِ ، ووفورِ العلمِ ، وصحَّةِ الاعتقادِ)[3] .

تُوفِّيَ في سادسِ شوالٍ سنةَ ثلاثينَ وخمسِ مئةٍ ، ودُفِنَ في تربةِ أبي بكرِ ابنِ خزيمةَ .

* * *

(١) **الإرفاق** : النفع والمعونة المُقدَّمان من البشر .

(٢) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٥٨٣ـ٥٨٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/١٦٧ـ١٦٨) .

(٣) تبيين كذب المفتري (ص٥٨٤) ، وفيه أيضاً : (فأقمتُ في صحبته سنةً كاملة ، وغنمت من مسموعاته فوائد حسنةً طائلة ، وكان مُكرِماً لموردي عليه ، عارفاً بحقِّ قصدي إليه ، ومرض مرضة في مدة مُقامي عنده نهاه الطبيب عن التمكين من القراءة عليه فيها ، وعرَّفه أنَّ ذلك ربما كان سبباً لزيادة تألمه ، فقال : لا أستجيز أن أمنعهم من القراءة ، وربَّما أكون قد حُبِستُ في الدنيا لأجلهم ، فكنت أقرأ عليه في حالة مرضه وهو ملقىً علىٰ فراشه .
ثم عُوفي من تلك المرضة ، وفارقته متوجِّهاً إلىٰ هَراةَ ، فقال لي حين ودَّعته بعد أن أظهر الجزع لفراقي : ربما لا نلتقي بعد هٰذا ، فكان كما قال ، فجاءنا نعيه إلىٰ هَراةَ) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ أبو سعدٍ إسماعيلُ بنُ أبي صالحٍ أحمدَ بنِ عبدِ الملكِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ الصمدِ النيسابوريُّ المعروفُ بـ (الكَرْمانيِّ)

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (شيخُنا الإمامُ أبو سعدٍ ، سُئِلَ عن مولدِهِ وأنا أسمعُ ، فقالَ : في أوائلِ ذي القَعْدةِ سنةَ اثنتينِ وخمسينَ وأربعِ مئةٍ .

تفقَّهَ : على الأستاذ أبي القاسمِ القشيريِّ ، والإمامِ أبي المعالي الجُوَينيِّ ، وكانَ إماماً في الفقهِ والأصولِ ، حسنَ النظرِ ، مُقدَّماً في التذكيرِ .

سمعَ الحديثَ الكثيرَ بإفادةِ والدِهِ أبي صالحٍ الحافظِ المعروفِ بـ « المؤذِّنِ » ، وخرَّجَ لهُ والدُهُ الفوائدَ ، وسكنَ كَرْمانَ إلىٰ أنْ ماتَ بها ، وكانَ وجيهاً عندَ سلطانِها ، مُعظَّماً في أهلِها ، مُحترماً بينَ العلماءِ في سائرِ البلادِ .

لقيتُهُ ببغدادَ سنةَ إحدىٰ وعشرينَ وخمسِ مئةٍ) ، قالَ : (وسمعتُ منهُ ، وسألَهُ بعضُ البغداديينَ : هل قرأتَ كتابَ « الإرشادِ » علىٰ الإمامِ أبي المعالي ؟ قالَ : نعم ، فاستأذنَهُ في قراءتِهِ عليهِ ، فأذِنَ لهُ ، فشرعَ في قراءتِهِ علىٰ عادةِ أصحابِ الحديثِ ، فلمَّا قرأَ منهُ نحوَ صفحةٍ قالَ : إنَّ هٰذا العلمَ لا يُقرَأُ كما يُقرَأُ الحديثُ للروايةِ ، وإنَّما يُقرَأُ شيئاً فشيئاً للدِّرايةِ ، فإنْ أردتَ أنْ تقرأَ كما قرأْناهُ ، وإلا فاتركْهُ .

تُوفِّيَ سنةَ إحدىٰ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ)[1] .

* * *

(١) تبيين كذب المفتري (ص٥٨٦-٥٨٧) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ أبو الحسنِ السُّلَميُّ الدمشقيُّ رحمَهُ اللهُ

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (هوَ شيخُنا أبو الحسنِ عليُّ بنُ المُسلَّمِ بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ الفتحِ بنِ عليٍّ السُّلَميُّ ، ابنُ ابنةِ أبي بكرٍ محمدِ بنِ عقيلٍ الشَّهْرَزُوريِّ .

وُلِدَ سنةَ خمسينَ وأربعِ مئةٍ ، أو سنةَ اثنتينِ وخمسينَ .

وتفقَّهَ أوَّلاً : بالقاضي أبي المُظفَّرِ عبدِ الجليلِ بنِ عبدِ الجبارِ المَرْوَزيِّ نزيلِ دمشقَ ، وغيرِهِ ، وعُنِيَ بنفسِهِ بكثرةِ المطالعةِ والتَّذكيرِ[1] .

ولمَّا قدمَ الفقيهُ أبو الفتحِ نصرُ بنُ إبراهيمَ المقدسيُّ . . لازمَهُ ، وكانَ مُعيداً لدرسِهِ ، ولزمَ الإمامَ أبا حامدٍ الغزاليَّ مدَّةَ مُقامِهِ بدمشقَ ، وهوَ الذي أمرَهُ بالتصدُّرِ بعدَ موتِ الفقيهِ نصرٍ ، وكانَ يُثني على علمِهِ ، ويصفُ حسنَ فهمِهِ[2] .

وانتهى إليهِ أمرُ التدريسِ والفُتيا والتذكيرِ بدمشقَ ، كانَ أَجْرى أهلِ زمانِهِ قلماً بالفتوى ، وأغزرَهُم علماً معَ التواضعِ وقلَّةِ الدعوى ، عالماً بالتفسيرِ والأصولِ والفقهِ والتذكيرِ والفرائضِ والحسابِ والمناسخاتِ وتعبيرِ المناماتِ ، معَ ما رُزِقَ مِنْ [لينِ] الجانبِ وسلامةِ الصدرِ[3] ، وقضاءِ حقوقِ

(١) في « التبيين » : (والتكرار) .

(٢) وقال ابن السبكي في « طبقاته » (٧/ ٢٣٦) : (وحُكِيَ : أنَّ الغزالي قال بعد خروجه من الشام : خلَّفتُ بالشام شاباً إن عاش كان له شأن) إشارةً إلى الإمام أبي الحسن السلمي رحمه الله تعالى ، وعقَّب السبكي : (فكان كما تفرَّس فيه) .

(٣) في (أ، ب) : (أمن) بدل (لين) ، والمثبت من « التبيين » .

الناسِ ، والتوفُّرِ على نشرِ العلمِ ، والإرشادِ إلى الحقِّ ، وتحرِّي الصدقِ ، إلىٰ أنْ قبضَهُ اللهُ إلىٰ رحمتِهِ ساجداً في الركعةِ الثانيةِ مِنْ صلاةِ الصبحِ ، يومَ الأربعاءِ الثالثَ عشرَ مِنْ ذي القَعدةِ سنةَ ثلاثٍ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ)[1] .

* * *

(١) تبيين كذب المفتري (ص٥٨٨ـ ٥٨٩) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ أبو منصورٍ محمودُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ المنعمِ ابنِ ماشاذَه الأصفهانيُّ

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ : (شيخُنا الإمامُ أبو منصورِ ابنُ ماشاذَه ، الفقيهُ الواعظُ المُفسِّرُ رحمَهُ اللهُ ، مِنْ أعيانِ العلماءِ ، ومشاهيرِ الفُضَلاءِ الفُهَماءِ .

قدمَ بغدادَ حاجّاً سنةَ أربعٍ وعشرينَ وخمسِ مئةٍ حينَ كنتُ بها ، فلم يبقَ بها مِنَ المذكورينَ أحدٌ إلا تلقَّاهُ إلى ظاهرِها ، وسُرُّوا بقدومِهِ السرورَ التامَّ ، وأظهرَ أميرُ المؤمنينَ المسترشدُ باللهِ لهُ الإكرامَ والاحترامَ ، وعقدَ لهُ المجلسَ في جامعِ القصرِ ، وسُرَّ بكلامِهِ أئمَّةُ العصرِ ، وحضرتُ مجلسَهُ مراراً .

ثمَّ لقيتُهُ بأصبهانَ سنةَ اثنتينِ وثلاثينَ ، وحضرتُ مجلسَ إملائِهِ وتذكيرِهِ ، وشاهدتُ جماعةً انتفعُوا بإشارتِهِ وتبصيرِهِ[1] ، وعاينتُ عُلُوَّ مرتبتِهِ في بلدِهِ ، وحِشْمتَهُ في نفسِهِ وولدِهِ .

تُوفِّيَ في الحادي عشرَ مِنْ شهرِ ربيعٍ الآخرِ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ فجأةً بأصبَهان) ، قالَ ابنُ عساكرَ : (كتبَ إليَّ بوفاتِهِ ثقةٌ)[2] .

* * *

(١) في « التبيين » : (بإرشاده) بدل (بإشارته) .

(٢) تبيين كذب المفتري (ص٥٩٠) ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٧/ ٢٨٥) .

ومنهُمُ :

الإمامُ أبو الفتوح محمدُ بنُ الفضلِ بنِ محمدِ بنِ المعتمدِ الإسفراينيُّ رحمَهُ اللهُ

قالَ ابنُ عساكرَ : (أَجْرىٰ مَنْ رأيتُهُ لساناً وجَناناً[1] ، وأكثرُهُم فيما يُورِدُ إغراباً وإحساناً ، وأسرعُهُم عندَ السؤالِ جواباً ، وأسلسُهُم عندَ الإيرادِ خِطاباً ، معَ ما رُزِقَ مِنْ صحَّةِ العقيدةِ ، والسجايا الكريمةِ والخصالِ الحميدةِ[2] ؛ مِنْ قلَّةِ المُراءاةِ لأبناءِ الدُّنيا ، وعدمِ المبالاةِ بذوي الرُّتبةِ العُليا ، والإقبالِ علىٰ إرشادِ الخلقِ ، وبذلِ النفسِ في نُصرةِ الحقِّ ، والصلابةِ في الدينِ ، وإظهارِ صحَّةِ اليقينِ ، وما يُضافُ إلىٰ هٰذهِ الشِّيَمِ ؛ مِنْ سَعةِ النفسِ وشدَّةِ الكرمِ ، والتحلِّي بالتصوُّفِ والزَّهادةِ ، والتخلِّي لوظائفِ العبادةِ ، والاستحقاقِ لوصفِ السيادةِ ، والفوزِ في آخرِ عمرِهِ بالشهادةِ .

بلغَني : أنَّهُ لمَّا وقعَتْ لهُ تلكَ الواقعةُ ببغدادَ[3] . . اجتمعَ إليهِ جماعةٌ مِنْ أصحابِهِ ، وشكَوْا إليهِ ما يتوقَّعُونَ مِنْ وَحشةِ فراقِهِ ، فقالَ : لعلَّ في ذلكَ خِيرةً .

(١) في « التبيين » : (أجرأ) بدل (أجرىٰ) .

(٢) العبارة في « التبيين » : (مع ما رزق بعد صحة العقيدة من السجايا الكريمة . . .) .

(٣) يشير بذلك : إلىٰ فتنة الحنابلة التي أُخرج بسببها من بغداد بسبب إظهاره عقيدة أهل السنة ، وذمّه لسابّي إمامها والمنافح عنها أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه ، قال ابن السبكي في « الطبقات » (٦/ ١٧٢) نقلاً عن ابن النجار : (وكان يتكلم علىٰ مذهب الأشعري ، فثارت عليه الحنابلة ، ووقعت فتنٌ ، فأمر المسترشد بإخراجه ، فخرج إلىٰ أن وَلِي المقتفي ، فعاد ، واستوطن بغداد ، فلم يزل يعظ ويظهر مذهب الأشعري إلىٰ أن عادت الفتن علىٰ حالها ، فأُخرج ثاني مرة وأدركه أجله) .

وحَكىٰ : أنَّ بعضَ المشايخِ جرىٰ لهُ مثلُ واقعتِهِ ، وقيلَ لهُ كما قيلَ لهُ ، فقالَ : لعلَّ في ذلكَ خِيرةً ، فقيلَ لهُ : وأيُّ خِيرةٍ في ذلكَ ؟! قالَ : لعلِّي أموتُ وأُقبَرُ إلىٰ جنبِ رجلٍ صالحٍ ، فكانَ كما وقعَ لهُ .

خرجَ مِنْ بغدادَ مُتوجِّهاً إلىٰ خراسانَ ، فأصابَهُ مرضُ البطنِ ، فماتَ غريباً مبطوناً شهيداً ، ودُفِنَ بِبِسْطامَ إلىٰ جنبِ قبرِ أبي يزيدَ البِسْطاميِّ في شهورِ سنةِ ثمانٍ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ .

وحكىٰ جماعةٌ مِنْ أهلِ بِسْطامَ عن قيِّمِ مسجدِ أبي يزيدَ : أنَّهُ رآهُ في المنامِ وهوَ يقولُ : غداً يجيءُ أخي ويكونُ في ضِيافتي ، فقدِمَ الشيخُ أبو الفتوحِ ، وعُمِلَ لهُ وقتٌ ، وأقامَ ثلاثةَ أيامٍ بِبِسْطامَ ، ثمَّ ماتَ)[1] .

* * *

(١) تبيين كذب المفتري (ص٥٩١ـ٥٩٢) .

ومنهُم :

أبو الفتحِ نصرُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ القويِّ الأشعريُّ نسباً ومذهباً ، المِصِّيصيُّ رحمَهُ اللهُ

خاتِمُ الجماعةِ موتاً وذكراً ، [وأحدُّهُم خاطراً في الأصولِ والفقه وفِكْراً .

قرأَ علمَ الكلامِ : على أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ عتيقٍ القيروانيِّ بصورَ عندَ اجتيازِهِ إلى العراقِ ، **وصحبَ** : الفقيهَ أبا الفتحِ نصرَ بنَ إبراهيمَ المقدسيَّ مدَّةَ مقامِهِ بصورَ ودمشقَ ، وخلفَهُ بعدَ وفاتِهِ في حلقتِهِ ، مُقتدياً بأفعالِهِ في نشرِ العلمِ بقدرِ طاقتِهِ ، مُحترَماً عندَ الولاةِ والرعيَّةِ ، مُتحلِّياً بالأوصافِ المرضيَّةِ ، إلى أنْ ماتَ ليلةَ الجمعةِ الثاني مِنْ شهرِ ربيعٍ الأولِ مِنْ سنةِ اثنتينِ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ ، وكانَ مولدُهُ سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وأربعِ مئةٍ .

وقد سمعَ الحديثَ مِنَ الإمامِ أبي بكرِ الخطيبِ وغيرِهِ][1] .

* * *

(١) ما بين معقوفين تم استكماله من « تبيين كذب المفتري » (ص٥٩٤) .

الباب التاسع

في ذكر جماعة لم يذكرهم الحافظ ابن عساكر

بابٌ

في ذكرِ جماعةٍ لم يذكرهم الحافظ ابن عساكر

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ ركنُ الإسلامِ أبو القاسمِ إسماعيلُ بنُ عبدِ الملكِ الطُّوسيُّ المعروفُ بـ (الحاكميِّ)

كانَ إماماً بارعاً في علمِ الكلامِ ، رأيتُ ما كُتِبَ إليهِ جواباً عن فُتيا استُفتيَ فيها ، أفتىٰ فيها علىٰ رأيِ أبي الحسنِ الأشعريِّ رضيَ اللهُ عنهُما ، وسأُورِدُ بعضَها في (بابِ فتاوى العلماءِ في المبتدعةِ)[1] .

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ رحمَهُ اللهُ في « تاريخِ دمشقَ » فيمَنِ اسمُهُ (إسماعيلُ) واسمُ أبيهِ (عبدُ الملكِ) : (إسماعيلُ بنُ عبدِ الملكِ أبو القاسمِ الطُّوسيُّ ، الفقيهُ الشافعيُّ ، قدمَ دمشقَ سنةَ تسعٍ وثمانينَ وأربعِ مئةٍ[2] ، عديلُ

(١) وهي فتيا مطوَّلة ، وقال المؤلف في (٢/ ٤٦١) بعد أن ذكرها : (ولم أُطِلْ بذكر فتياه على التمام والكمال إلا لأظهر كلامه ؛ فإني لم أقف له علىٰ تصنيف غير هٰذا ، وسألت من جماعة عنه ، فلم أسمع من رأىٰ له تصنيفاً غير هٰذا ، وهو جليل القدر) .

(٢) وذكر ابن السبكي في « الطبقات » (٧/ ٤٧) نقلاً عن ابن السمعاني : أنه سافر إلى العراق والشام مع الغزالي ، وكان شريكاً له في الدرس ، وكان أكبر سنّاً منه ، وكان الغزالي يكرمه غاية الإكرام ويقدِّمه علىٰ نفسه ، وفي بعض الأوقات يخدمه .

الإمامِ أبي حامدٍ الغزاليِّ[1] ، وسمعَ مِنَ الفقيهِ أبي الفتحِ نصرِ بنِ إبراهيمَ بعضَ مُصنَّفاتِهِ) .

قالَ الحافظُ : (سمعتُ جدِّي أبا الفضلِ يحيى بنَ عليٍّ القاضيَ يُثني عليهِ[2] ، ويذكرُ أنَّهُ كانَ أعلمَ بالأصولِ مِنَ الغزاليِّ ، إلا أنَّهُ كانَ في لسانِهِ ما يمنعُهُ مِنَ الكلامِ)[3] .

قلتُ : هوَ فصيحُ التصنيفِ ، خطيبُ الأقلامِ ، فلا تضرُّهُ حُبسةٌ في لسانِهِ ، واللهُ عزَّ وجلَّ أعلمُ .

وهـٰذا أيضاً ممَّنْ لم يذكرْهُ الحافظُ في « تبيينِ كذبِ المفتري » ، ولم أعرفْ لهُ وفاةً ولا مولداً[4] .

* * *

(١) أي : كانا يركبان على جمل واحد ؛ يقال : عدله في المحمل وعادله : ركب معه ؛ وذلك أثناء خروجهما من بغداد إلى الحجاز . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٤٧) ، و« تاج العروس » (٢٩/ ٤٤٦) ، مادة : (ع د ل) .

(٢) في « تاريخ دمشق » : (أبا المفضل) بدل (أبا الفضل) ، والمثبت موافق لـ « طبقات الشافعية الكبرىٰ » وغيره من المصادر .

(٣) تاريخ دمشق (٩/ ١٨) .

(٤) ومثله في « تاريخ الإسلام » للذهبي (٣٣/ ٢٩٥) ، وترجمه في « السير » (٢٠/ ٦) ، وابن السبكي في « الطبقات » (٧/ ٤٧ـ ٤٨) ، وذكرا أنَّ وفاته كانت سنة (٥٢٩هـ) ، ودفن إلىٰ جانب الغزالي .

[ومنهُمُ :

الإمامُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ تومرتَ

وهوَ مِنْ جبلِ السوسِ في أقصىٰ بلادِ المغربِ ، ونشأَ هناكَ ، ثمَّ رحلَ إلى المشرقِ في شبيبتِهِ طالباً للعلمِ، فانتهىٰ إلى العراقِ، واجتمعَ بأبي حامدٍ الغزاليِّ وإلْكِيا الهرَّاسيِّ والطُّرْطُوشيِّ وغيرِهِم ، وحجَّ وأقامَ بمكَّةَ مُدَيدةً ، وحصَّلَ طرفاً صالحاً مِنْ علمِ الشريعةِ والحديثِ النبويِّ وأصولِ الفقهِ والدينِ .

وكانَ وَرِعاً ناسكاً ، مُتقشِّفاً مُخشوشِناً مُخلولِقاً ، كثيرَ الإطراقِ ، بسَّاماً في وجوهِ الناسِ ، مُقبِلاً على العبادةِ ، لا يصحبُهُ مِنْ متاعِ الدنيا إلا عصاً وركوةٌ ، وكانَ شجاعاً فصيحاً في لسانِ العربيِّ والمغربيِّ ، شديدَ الإنكارِ على الناسِ فيما يخالفُ الشرعَ ، لا يقنع في أمرِ اللهِ بغيرِ إظهارِهِ .

وكانَ رجلاً ربعةً ، قَضيفاً أسمرَ[1] ، عظيمَ الهامةِ ، حديدَ النظرِ .

وقالَ في حقِّهِ صاحبُ كتابِ « المغربِ في أخبارِ أهلِ][2] المغربِ » : [من الكامل]

أَثَـارُهُ تُغْنِيـكَ عَـنْ أَخْبَـارِهِ حَتَّـىٰ كَـأَنَّـكَ بِـالْعِيَـانِ تَـرَاهُ

قَدَمٌ في الثَّرىٰ وهِمَّةٌ في الثُّريَّا ، ونفسٌ ترىٰ إراقةَ ماءِ الحياةِ دونَ إراقةِ ماءِ المُحيَّا[3] ، أغفلَ المرابطُونَ حلَّهُ وربطَهُ ، حتىٰ دبَّ دبيبَ الفَلَقِ في الغَسَقِ ،

(١) القَضيف : النحيف .

(٢) ما بين معقوفين تم استكماله مختصراً من « وفيات الأعيان » (٥/ ٤٦ ، ٥٣) ، والمؤلف ينقل كثيراً في هٰذا الباب عن « وفيات الأعيان » ، والسياق موجود فيه بلفظه تقريباً .

(٣) أشار به : إلىٰ قول الشاعر : (من المتقارب)

فكُـنْ رجـلاً رجلُـهُ فـي الثَّـرىٰ وهـامـةُ هِمَّتِـهِ فـي الثُّـريَّـا =

وتركَ في الدنيا دَوِيّاً ، أنشأَ دولةً لو شاهدَها أبو مُسلِمٍ ، لَمَا كانَ ـ لعزمِهِ فيها ـ غيرَ مُسَلِّمٍ[1] ، وكانَ قوتُهُ مِنْ غزلِ أختٍ لهُ رغيفاً في كلِّ يومٍ بقليلِ سمنٍ أو زيتٍ ، ولم ينتقلْ عن هٰذا حينَ كثُرَتْ عليهِ الدنيا .

ورأىٰ أصحابَهُ يوماً وقد مالَتْ نفوسُهُم إلىٰ كثرةِ ما غنمُوهُ ، فأمرَ بضمِّ جميعِهِ وأحرقَهُ بالنارِ ، وقالَ : مَنْ كانَ يتبعُني [للدنيا فما لهُ عندي إلا ما رأىٰ ، ومَنْ تبعَني] للآخرةِ فجزاؤُهُ عندَ اللهِ تعالىٰ .

قالَ : (وكانَ علىٰ خمولِ زِيِّهِ وبسطِ وجهِهِ مَهيباً منيعَ الحجابِ ، إلا عندَ مَظْلَمةٍ ، ولهُ رجلٌ يختصُّ بخدمتِهِ والإذنِ عليهِ .

وكانَ لهُ شعرٌ ؛ فمنهُ : [من المتقارب]

أَخَـذْتَ بِـأَعْضَـادِهِـمْ إِذْ نَـأَوْا ... وَخَلَّفَـكَ ٱلْقَـوْمُ إِذْ وَدَّعُـوا

فَكَـمْ أَنْـتَ تَنْهَـىٰ وَلَا تَنْتَهِـي ... وَتُسْمِـعُ وَعْظـاً وَلَا تَسْمَـعُ

فَيَـا حَجَـرَ ٱلشَّحْـذِ حَتَّـىٰ مَتَـىٰ ... تَسُـنُّ ٱلْحَـدِيـدَ وَلَا تَقْطَـعُ

ولهُ أيضاً : [من الطويل]

تَجَـرَّدْ عَـنِ ٱلـدُّنْيَـا فَـإِنَّـكَ إِنَّمَـا ... خَرَجْتَ إِلَى ٱلدُّنْيَا وَأَنْتَ مُجَرَّدُ

وُلِدَ يومَ عاشوراءَ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وأربعِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ سنةَ أربعٍ وعشرينَ وخمسِ مئةٍ ، ودُفِنَ في الجبلِ بتِينِ مَلَّ ، وقبرُهُ هناكَ مشهورٌ ، رحمَهُ اللهُ)[2] .

= فـإنَّ إراقـةَ مـاءِ الحيـا ... ةِ دونَ إراقـةِ مـاءِ المُحيَّـا

وهما لأبي الحسن النعيمي كما سبق في (١/ ٤١٦) .

(١) في « وفيات الأعيان » : (بمسلم) بدل (غير مسلم) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٥/ ٥٣ـ٥٤) .

قلتُ : لهُ عقيدةٌ سمَّاها « المرشدةَ » مختصرةٌ[1] ، وهيَ مِنْ أوَّلِ ما قرأتُهُ على الشيخِ شرفٍ في هٰذا العلمِ ، وشرحتُها عليهِ[2] ، وذكرَ لي أنَّ لهُ « عقيدةَ البربريَّةِ » كانَ استمالَ بها قلوبَ البربرِ ، وبلغَني أنَّ لهُ عقيدةً كبرىٰ مُطوَّلةً .

* * *

(١) لعل الأقرب : أنَّ هٰذه العقيدة للإمام الكبير أبي منصور فخر الدين ابن عساكر شيخ سلطان العلماء العز بن عبد السلام ، وكان ابن تيمية يذكر أنَّ هٰذه العقيدة تُنسب لابن تومرت ، وردَّه الصلاح العلائي قائلاً : (إنَّ ذلك بعيدٌ عن الصحَّة أو باطل) ، ويحتمل وجودُ « مرشدة » أخرىٰ ، وخصوصاً أنَّ شرف الدين الكركي من الممارسين لهٰذا العلم في بلده المغرب ، والمطَّلعين علىٰ مؤلفاته قبل مجيئه إلىٰ مصر ، والله تعالىٰ أعلم ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٨٥) .

هٰذا ؛ وقد ادَّعى الصلاح العلائي : أنَّ ابن تومرت كان معتزليّاً ، وعقَّب عليه ابن السبكي بقوله (٨/ ١٨٥) : (فأما أن ابن تومرت كان معتزليّاً : فلم يصح عندنا ذلك ، والأغلب : أنه كان أشعريّاً صحيح العقيدة ، أميراً عادلاً داعياً إلىٰ طريق الحق) .

(٢) قوله : (شرف) : هو شيخه شرف الدين محمد بن عمران الفاسي الكركي ، وقد نقل عنه المؤلف معاناته في تعلم علم الكلام ببلده فاس ، واجتماعَه بمصر بالعز بن عبد السلام ، وما دار بينهما من حديث . انظر (١/ ٢٩٢ـ ٢٩٣) ، وستأتي ترجمته في (٢/ ٢٠٦ـ ٢١١) .

ومنهُمُ :

الإمامُ الحافظُ أبو الحسنِ عبدُ الغافرِ بنُ إسماعيلَ بنِ عبدِ الغافرِ ابنِ محمدِ بنِ عبدِ الغافرِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ سعيدٍ الفارسيُّ

كانَ إماماً في الحديثِ والعربيَّةِ ، قرأَ القرآنَ ، ولُقِّنَ الاعتقادَ بالفارسيَّةِ وهوَ ابنُ خمسِ سنينَ ، وتفقَّهَ علىٰ إمامِ الحرمينِ أبي المعالي في مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ ، ولازمَهُ مدَّةَ أربعِ سنينَ .

وهوَ سبطُ الإمامِ أبي القاسمِ عبدِ الكريمِ بنِ هوازنَ ، وجدَّتُهُ فاطمةُ بنتُ الشيخِ أبي عليٍّ الدقَّاقِ ، وخالاهُ أبو نصرٍ وأبو سعيدٍ ولدا أبي القاسمِ ، وأمُّهُ أمةُ الرحيمِ ، سمعَ مِنْ هـٰؤلاءِ ومِنْ جماعةٍ غيرِهِم ، وهوَ [حفيدُ] راوي « صحيحِ مسلمٍ » .

خرجَ مِنْ نيسابورَ إلىٰ خُوارِزْمَ ، ولقيَ بها الأفاضلَ ، وعُقِدَ لهُ المجلسُ بها ، ثمَّ خرجَ [إلىٰ] غَزْنةَ ومنها إلى الهندِ ، وروى الأحاديثَ ، ثمَّ رجعَ إلىٰ نيسابورَ وأملىٰ بها في مسجدِ عقيلٍ .

وصنَّفَ كتباً عديدةً ؛ **منها** : « المفهمُ بفوائدِ مسلمٍ »[1] ، و« السياقُ لتاريخِ نيسابورَ » ، وفرغَ منهُ في أواخرِ ذي القعدةِ سنةَ ثمانِ عشرةَ وخمسِ مئةٍ .

وُلِدَ في شهرِ ربيعٍ الآخرِ سنةَ إحدىٰ وخمسينَ وأربعِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في سنةِ تسعٍ وعشرينَ وخمسِ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ[2] .

* * *

(١) يتردَّد اسمُ الكتاب في المصادر التي اطلعت عليها ما بين « المفهم لشرح غريب مسلم » ، و« المفهم في شرح مسلم » ، والخطب يسير .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٣/ ٢٢٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ١٧١ـ١٧٣) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عليٍّ التميميُّ المازَريُّ

الفقيهُ المالكيُّ ، شيخُ العلماءِ ، ومُحرِزُ فضيلةِ السبقِ ، كانَ مُتقِناً للعلومِ ، مُقدَّماً في علمِ المنطوقِ والمفهومِ[1] .

صنَّفَ كتباً ؛ منها : « المعلمُ بفوائدِ مسلمٍ » .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ في ثامنَ عشرَ شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ ، وعمرُهُ ثلاثٌ وثمانونَ سنةً[2] .

* * *

(١) وكان رحمه الله من الأذكياء أصحاب القريحة النافذة ، قيل : إنه مرض مرضة فلم يجد من يعالجه إلا يهوديّاً ، فلمَّا عُوفي على يده قال : لولا التزامي بحفظ صناعتي لأعدمتُك المسلمين ، فأثَّر هـٰذا عند المازَري ، فأقبل على تعلم الطبِّ حتى فاق فيه ، وكان ممن يفتي فيه كما يفتي في الفقه . انظر « سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ١٠٥) .
وذكره ابن السبكي في أكثر من موضع ، ومنها في سياق دفاعه عن « الإحياء » قال (٦/ ٢٤٣) : (كان ـ أي : المازريُّ ـ من أذكى المغاربة قريحةً ، وأحدِّهم ذهناً ؛ بحيث اجترأ على « شرح البرهان » لإمام الحرمين ، وهو لغز الأمة الذي لا يحوم نحو حماه ، ولا يدندن حول مغزاه . . إلا غوَّاصٌ على المعاني ، ثاقبُ الذهن ، مُبرَّز في العلم) .
وقال رحمه الله : (وكان مُصمِّماً على مقالات الشيخ الإمام أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه ؛ جليلها وحقيرها ، كبيرها وصغيرها ، لا يتعدَّاها ، ويُبدِّع من خالفه ولو في النزر اليسير ، والشيء الحقير) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٨٥) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ١٠٤ـ١٠٧) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ موسى بنِ عطاءِ اللهِ الصنهاجيُّ المَرِّيُّ ، المعروفُ بـ (ابنِ العريفِ)

كانَ مِنْ كبارِ الصالحينَ والأولياءِ ، لهُ المناقبُ المشهورةُ ، ولهُ كتابُ « المجالسِ » وغيرُهُ مِنَ الكتبِ المُتعلِّقةِ بطريقِ القومِ .

ولهُ نظمٌ حسنٌ في طريقِهم ؛ منهُ : [من البسيط]

شَدُّوا ٱلْمَطِيَّ وَقَدْ نَالُوا ٱلْمُنَىٰ بِمِنىً ... وَكُلُّهُمْ بِأَلِيمِ ٱلشَّوْقِ قَدْ بَاحَا

سَارَتْ رَكَائِبُهُمْ تَبْدُو رَوَائِحُهَا ... طِيباً وَقَدْ قَرَّبُوا لِلْوَفْدِ أَشْبَاحَا[1]

نَسِيمُ قَبْرِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْمُصْطَفَىٰ لَهُمُ ... رَوْحٌ إِذَا شَرِبُوا مِنْ ذِكْرِهِ رَاحَا

يَا وَاصِلِينَ إِلَى ٱلْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ ... سِرْتُمْ جُسُوماً وَسِرْنَا نَحْنُ أَرْوَاحَا[2]

إِنَّا أَقَمْنَا عَلَىٰ عُذْرٍ وَعَنْ قَدَرٍ ... وَمَنْ أَقَامَ عَلَىٰ عُذْرٍ كَمَنْ رَاحَا

وبينَهُ وبينَ القاضي عياضِ بنِ موسى اليَحْصَبيِّ مكاتباتٌ حسنةٌ .

وحكىٰ بعضُ المشايخِ الفُضَلاءِ : أنَّهُ رأىٰ بخطِّهِ فصلاً في حقِّ أبي محمدٍ عليِّ بنِ أحمدَ المعروفِ بـ (ابنِ حزمٍ) الظاهريِّ الأندلسيِّ ، وقالَ فيهِ : (كانَ لسانُ ابنِ حزمٍ المذكورِ وسيفُ الحجَّاجِ بنِ يوسفَ شقيقينِ) لوقوعِهِ في العلماءِ[3] .

(١) في « وفيات الأعيان » (١/ ١٦٩) : (تندىٰ) بدل (تبدو) ، و(بما طاب ذاك الوفد أشباحا) بدل (وقد قربوا . . .) .

(٢) في « وفيات الأعيان » (١/ ١٦٩) : (زرتم ، وزرنا) بدل (سرتم ، وسرنا) .

(٣) ومن جملة من وقع فيهم من الأئمة : إمامُ أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري ، وهو=

[وقيلَ : تُوفِّيَ][1] ابنُ العريفِ مسموماً بمَرَّاكُشَ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ [. . .][2] .

* * *

= عموماً من المتعصبين على الأشاعرة جهلاً بأقوالهم ، وتصديقاً لبعض الأكاذيب المنقولة عنهم ، قال ابن السبكي في « الطبقات » (١/ ٩٠ـ٩١) : (وهـٰذا ابن حزم رجل جَرِيٌّ بلسانه ، مُتسرِّع في النقل بمجرد ظنه ، هاجمٌ على أئمة الإسلام بألفاظه . . . وقد أفرط في كتابه هـٰذا ـ أي : « الملل والنحل » ـ في الغض من شيخ السنة أبي الحسن الأشعري ، وكاد يُصرِّح بتكفيره في غير موضع ، وصرَّح بنسبته إلى البدعة في كثير من المواضع ، وما هو عنده إلا كواحد من المبتدعة ، **والذي تحقَّقته بعد البحث الشديد** : أنه لا يعرفه ، ولا بلغه بالنقل الصحيح معتقَدُهُ ، وإنما بلغته عنه أقوال نقلها الكاذبون عليه ، فصدَّقها بمجرد سماعه إياها ، ثم لم يكتف بالتصديق بمجرد السماع حتى أخذ يُشنِّع) .

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (١/ ١٦٨ـ١٧٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/ ١١١ـ١١٤) ، وبعد الترجمة جاءت ورقة بيضاء في الأصل .

ومنهُمُ :

الإمامُ أبو بكرٍ[1] محمدُ بنُ أبي القاسمِ عبدِ الكريمِ بنِ أبي بكرٍ أحمدَ الشَّهْرَسْتانيُّ المُتكلِّمُ علىٰ مذهبِ الأشعريِّ

كانَ إماماً مُبرِّزاً ، فقيهاً مُتكلِّماً أصولياً ، **تفقَّهَ** : علىٰ أحمدَ الخَوَافيِّ ، وعلىٰ أبي نصرٍ القشيريِّ ، وغيرِهما ، وبرعَ في الفقهِ ، **وقرأَ الكلامَ** : علىٰ أبي القاسمِ الأنصاريِّ ، وتفرَّدَ فيهِ .

وصنَّفَ كتابَ « نهايةِ الإقدامِ في علمِ الكلامِ » ، وكتابَ « الملَلِ والنِّحَلِ » ، و« تلخيصِ الأقسامِ لمذاهبِ الأنامِ » .

وكانَ كثيرَ المحفوظِ ، حسنَ المحاورةِ ، يعظُ الناسَ ويُذكِّرُهُم ، ودخلَ بغدادَ ، وظهرَ لهُ قَبولٌ عظيمٌ عندَ العوامِّ .

وسمعَ الحديثَ : مِنْ عليِّ بنِ أحمدَ المدينيِّ بنيسابورَ ومِنْ غيرِهِ ، كتبَ عنهُ الحافظُ أبو سعدٍ عبدُ الكريمِ السَّمْعانيُّ ، وذكرَهُ في كتابِ « الذيلِ » .

وكتبُهُ كثيرةٌ ؛ فلا نستغرقُ في ذكرِ شيءٍ مِنْ كلامِهِ ، وقد أوردتُ أقوالَهُ في مواضعَ مِنْ كتابي هـٰذا[2] .

وُلِدَ سنةَ سبعٍ وستينَ وأربعِ مئةٍ بشَهْرَسْتانَ[3] ، وتُوفِّيَ بها سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ ، **وقيلَ** : سنةَ تسعٍ وأربعينَ ، **والأولُ أصحُّ**[4] .

(١) **المشهور** : أن كنيته هي (أبو الفتح) .

(٢) انظر (١/ ٩٧ ، ٢٦١ـ٢٦٢) .

(٣) **وقيل** : سنة تسع وسبعين وأربع مئة . انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٧٤) .

(٤) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٧٣) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ١٢٨ـ١٣٠) .

ومنهُمُ :

القاضي أبو المعالي مُجَلِّي بنُ جُمَيْعِ بنِ نجا القرشيُّ المخزوميُّ الأُرْسُوفيُّ الأصلِ المصريُّ الدارِ والوفاةِ ، الفقيهُ الشافعيُّ[1]

كانَ مِنْ أعيانِ الفقهاءِ المُشارِ إليهِم والمشهورينَ ، وكانَ مِنْ حسنِ الاعتقادِ على أمرٍ عظيمٍ ، مُتشدِّداً في دينِهِ ، مُشاراً إليهِ في فنونِهِ .

صنَّفَ كتابَ « الذخائرِ » في الفقهِ على مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ ، ونسخَ منها نسخةً بخطِّهِ وقفَها بجامعِ مصرَ .

وكانَ يرى في مسألةِ تعليقِ الطلاقِ بالدَّورِ : أنَّهُ لا يقعُ المُنجَّزُ ولا المُعلَّقُ ، فكانَ إذا حضرَ عقداً أمرَ الزوجَ بتقليدِهِ وتقليدِ مَنْ قالَ بقولِهِ ، ثمَّ يُعلِّمُهُ المسألةَ المعروفةَ .

وليَ القضاءَ بمصرَ في سنةِ سبعٍ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ مِنْ جهةِ العادلِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ السَّلارِ ، وصُرِفَ سنةَ تسعٍ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ .

تُوفِّيَ في ذي القَعْدةِ سنةَ خمسينَ وخمسِ مئةٍ[2] .

* * *

(١) وضبط (الأرسوفيَّ) في « معجم البلدان » (١/ ١٥١) بفتح الهمزة ، وهي مدينة تقع على ساحل بحر فلسطين .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ١٥٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٧/ ٢٧٧ـ٢٨٣) .

ومنهُمُ :

الإمامُ أبو القاسمِ عمرُ بنُ محمدِ بنِ أحمدَ بنِ عكرمةَ المعروفُ بـ (ابنِ البَزْريِّ) الشافعيُّ الجَزَريُّ الفقيهُ

إمامُ جزيرةِ ابنِ عمرَ وفقيهُها ومفتيها[1] ، تفقَّهَ بالجزيرةِ[2] ، ثمَّ رحلَ إلىٰ بغدادَ ، واشتغلَ علىٰ إلْكِيَا الهرَّاسيِّ ، وحُجَّةِ الإسلامِ أبي حامدٍ الغزاليِّ ، ورجعَ إلى الجزيرةِ ودرَّسَ بها ، وشرحَ إشكالاتِ كتابِ « المهذَّبِ »[3] ، وكانَ يُنعَتُ (جمالَ الإسلامِ)[4] .

وُلِدَ سنةَ إحدىٰ وسبعينَ وأربعِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ ثانيَ ربيعٍ الأوَّلِ ـ وقيلَ : الآخرِ ـ سنةَ ستينَ وخمسِ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ[5] .

* * *

(١) وقال ابن السبكي في « الطبقات » (٧/ ٢٥٢) : (وكان يقال : إنه أحفظ أهل الأرض بمذهب الشافعي) ، ويحتمل في (أ) : (ابني عمر) بدل (ابن عمر) انظر « وفيات الأعيان » (٣/ ٣٤٩) .

(٢) علىٰ يد الإمام أبي الغنائم محمد بن الفرج الفارقي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) واسم هـٰذا الكتاب : « الأسامي والعلل من كتاب المهذب » .

(٤) في « وفيات الأعيان » (٣/ ٤٤٥) : (وكان ينعت « زين الدين جمال الإسلام ») .

(٥) انظر « وفيات الأعيان » (٣/ ٤٤٤ـ٤٤٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢٥١ـ٢٥٣) .

ومنهُم :

أبو سعدٍ عبدُ الكريمِ بنُ الإمامِ محمدِ بنِ أبي المُظفَّرِ[1]

يُلقَّبُ (تاجَ الإسلامِ) ، قرأَ وحفظَ وصنَّفَ ، وهوَ لهُ[2] « الذيلُ علىٰ تاريخِ بغدادَ »[3] ، ورحلَ وسمعَ الكثيرَ ، حتىٰ زادَتْ شيوخُهُ علىٰ أربعةِ آلافِ شيخٍ[4] .

وكانَ عزيزَ الديانةِ ، صحيحَ الاعتقادِ .

وُلِدَ في الحادي والعشرينَ مِنْ شعبانَ سنةَ ستٍّ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ سنةَ اثنتينِ وستينَ وخمسِ مئةٍ[5] .

* * *

(١) وأبو سعد : هو السَّمعاني الإمام الكبير الحافظ المؤرخ صاحب « الأنساب » وغيرِه من المؤلفات النفيسة .

(٢) كذا في (أ ، ب) ، ويحتمل أنه تحرَّف عن (وهو مُؤلِّف) ، أو أن (هو) زائدة ، والله تعالىٰ أعلم .

(٣) انظر سرد مؤلفاته في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ١٨٢ـ١٨٤) .

(٤) قال ابن السبكي في « الطبقات » (٧/ ١٨٢) : (قال ابن النجار : سمعت من يذكر أن عدد شيوخه سبعة آلاف شيخ ، وهـٰذا شيء لم يبلغْهُ أحد) .

(٥) انظر « تاريخ دمشق » (٣٦/ ٤٤٧ـ ٤٤٨) ، و« وفيات الأعيان » (٣/ ٢٠٩ـ٢١٠) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ١٨٠ـ١٨٥) ، وقال الحافظ ابن عساكر بعد أن ترجمه وذكر بعض ودِّه معه ومحبتِهِ له : (وهو الآن شيخ خراسان غير مُدافَع ، عن صدق ومعرفة وكثرة سماع لأجزاء وكتب مصنفة ، والله يبقيه لنشر السنة ، ويُوفِّقه لأعمال أهل الجنة) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ ضياءُ الدينِ أبو النَّجيبِ عبدُ القاهرِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ عَمُّويَه ـ واسمُهُ : عبدُ اللهِ ـ ابنِ سعدِ بنِ الحسينِ بنِ القاسمِ بنِ علقمةَ بنِ النضرِ بنِ معاذِ بنِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ القاسمِ بنِ محمدِ بنِ أبي بكرٍ الصدِّيقِ رضيَ اللهُ عنهُ

فهوَ البَكْريُّ نسباً ، السُّهْرَوَرْديُّ بلداً ، وهوَ شيخُ الشيخِ شهابِ الدينِ وعمُّهُ[1] .

وكانَ مُدرِّساً بالمدرسةِ النِّظاميَّةِ ببغدادَ ، سمعَ الكثيرَ على المشايخِ ، وسمعَ على أبي الوقتِ كتابَ « الجامعِ الصحيحِ » لأبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ إسماعيلَ ، تفقَّهَ على أبي سعيدٍ المِيهَنيِّ ، ثمَّ سلكَ طريقَ الصوفيَّةِ ، وأقبلَ على الاشتغالِ بالعملِ ، وكانَ [يعظُ ويُذكِّرُ ، فرجعَ بسببِهِ خلقٌ كثيرٌ إلى اللهِ تعالى ، وبنى رباطاً على الشطِّ مِنَ الجانبِ الغربيِّ ببغدادَ ، وسكنَهُ جماعةٌ مِنْ أصحابِهِ الصالحينَ .

وُلِدَ بسهروردَ سنةَ تسعينَ وأربعِ مئةٍ تقريباً ، وتُوفِّيَ ببغدادَ يومَ الجمعةِ سابعَ عشرَ جمادى الآخرةِ سنة ثلاثٍ وستينَ وخمسِ مئةٍ][2] .

(١) وشهاب الدين : هو الإمام الكبير المربي أبو حفص السهروردي صاحب الكتاب النفيس « عوارف المعارف » الذي يعتبر أحد أركان علم التصوف .

(٢) ما بين معقوفين بياض في الأصل بمقدار ورقة ، وقد تم استكماله مختصراً من « وفيات الأعيان » (٣/ ٢٠٤ـ٢٠٥) .

[. . .][1]، وممَّا ذكرَهُ الإمامُ العالمُ بهاءُ الدينِ الشهريُّ في مشهدِ[2] :

أنشدَنا الحافظُ أبو القاسمِ - يعني : ابنَ عساكرَ - قالَ : أنشدَنا أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ منصورٍ الموصليُّ لنفسِهِ[3] : [من الكامل]

اللهُ أَكْبَـرُ أَنْ يَكُـونَ لِـذَاتِـهِ ... كَيْفِيَّـةٌ كَـذَوَاتِ مَخْلُـوقَـاتِـهِ

أَوْ أَنْ تُقَاسَ [صِفَاتُنَا] فِي كُلِّ مَا ... نُبْـدِيـهِ مِـنْ أَفْعَـالِنَـا بِصِفَـاتِـهِ

تَبّـاً لِـذِي سَفَـهٍ يَقُـولُ بِـأَنَّـهُ ... جِسْـمٌ وَأَنَّ سِمَـاتِنَـا كَسِمَـاتِـهِ

لِبَـدِيـعِ صَنْعَتِـهِ عَلَيْـهِ شَـوَاهِـدٌ ... تَبْدُو عَلَى صَفَحَاتِ مَصْنُوعَاتِهِ

ذَرَأَ ٱلأَنَـامَ بِقُـدْرَةٍ أَزَلِيَّـةٍ ... وَإِرَادَةٍ فِيهِـمْ لِتَقْـدِيـرَاتِـهِ

وَرَأَىٰ بِعَيْنِ ٱلْعِلْمِ مَـا تَـأْتِي بِـهِ ... لَمَحَـاتُ أَعْيُنِهِـمْ وَمَـا لَـمْ تَـاتِـهِ

* * *

(١) لعل المذكور قبله هو ترجمة الشاعر أبي عبد الله محمد بن الحسن الموصلي ابن الأقفاصي ، أو ترجمة إمام من أئمة الأشاعرة ، وأتى بأبيات ابن الأقفاصي عَرَضاً استدلالاً لأمر ما ذُكر في ترجمة ذلك الإمام ، والله تعالى أعلم ، ولم أثبت هذا السقط بين معقوفين ؛ لكوني لم أتحققه ، وانظر ترجمة ابن الأقفاصي في « تاريخ دمشق » (٥٢/ ٣٣٠-٣٣٢) .

(٢) في (ب) : (الشهرزوري) بدل (الشهري) .

(٣) انظر « معجم الشيوخ » لابن عساكر (١١٥٤) .

[ومنهُمُ :

الإمامُ أبو منصورٍ محمدُ بنُ أسعدَ بنِ محمدِ] بنِ الحسينِ[1] بنِ القاسمِ الطوسيُّ الأصلِ المعروفُ بـ (حَفَدَة) الفقيهُ الشافعيُّ النيسابوريُّ

كانَ فقيهاً فاضلاً ، واعظاً فصيحاً أصولياً .

تفقَّهَ بمروَ : علىٰ أبي بكرٍ محمدِ بنِ منصورٍ السَّمْعانيِّ والدِ الحافظِ المشهورِ[2] ، ثمَّ انتقلَ إلىٰ مروَ الرُّوذِ واشتغلَ على القاضي حسينِ بنِ مسعودٍ الفرَّاءِ المعروفِ بـ (البغويِّ) صاحبِ « شرحِ السنَّةِ » و« التهذيبِ » ، ثمَّ انتقلَ إلىٰ بخارىٰ واشتغلَ بها ، ثمَّ عادَ إلىٰ مَرْوَ ، وعُقِدَ لهُ بها مجلسُ التذكيرِ ، وأقامَ بها مدَّةً ، ثمَّ خرجَ في [فتنةِ الغُزِّ] إلى العراقِ[3] ، ومنها إلىٰ أَذْرَبِيجانَ والجزيرةِ ، ومنها إلى الموصلِ ، واجتمعَ الناسُ عليهِ بسببِ الوعظِ ، وسمعُوا منهُ الحديثَ .

ومِنْ أماليهِ : [من الخفيف]

مَثَلُ ٱلشَّافِعِيِّ فِي ٱلْعُلَمَاءِ ... مَثَلُ ٱلشَّمْسِ فِي نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ

(١) جاء قوله : (بن الحسين) بداية (١١٢/ب) ، فلعله سقطت قبله قريب الورقة ، وما بين معقوفين زيادة يقتضيها السياق .

(٢) وتفقَّه بطوس : على الإمام الحجة أبي حامد الغزالي رحمه الله تعالىٰ ، وكانت ولادته سنة (٤٨٦هـ) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٩٢) .

(٣) في (أ) : (في فترة الغزالي) بدل (في فتنة الغُز) ، وفي (ب) : (في فترة العزو) ، وكلاهما تحريف ، والصواب المثبت ، والغُزُّ : جنس من الترك ، وفتنتهم من الفتن المؤلمة في التاريخ الإسلامي ، وكانت في حدود سنة (٥٤٨هـ) ، وهي شبيهة بفتنة التتار إلىٰ حدٍّ ما . انظر خبر هٰذه الفتنة في « الكامل في التاريخ » (٩/ ١٩٩) وما بعدها .

قُـلْ لِمَـنْ قَـاسَـهُ بِغَيْـرِ نَظِيـرِ أَيُقَـاسُ ٱلضِّيَـاءُ بِـٱلظَّلْمَـاءِ

وأنشدَ يوماً على الكرسيِّ مِنْ أبياتٍ : [من الطويل]

نَـأَتْ فَأَعَرْنَاهَا ٱلْقُلُوبَ صَبَابَةً وَعَـارِيَـةُ ٱلْعُشَّـاقِ لَيْـسَ لَهَـا رَدُّ

تُوفِّيَ في شهرِ ربيعٍ الآخرِ سنةَ إحدىٰ ـ **وقيلَ** : ثلاثٍ ـ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[1] .

* * *

(١) انظـر « وفيـات الأعيـان » (٤/ ٢٣٨ـ ٢٣٩) ، و« طبقـات الشـافعيـة الكبـرىٰ » (٦/ ٩٢ـ٩٣) ، وصحَّح ابن السبكي أن وفاته كانت سنة (٥٧٣هـ) .

ومنهُمُ :

القاضي كمالُ الدينِ أبو الفضلِ محمدُ بنُ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ أبي أحمدَ القاسمِ ابنُ الشَّهْرزوريِّ ، الفقيهُ الشافعيُّ

تفقَّهَ ببغدادَ : على المِيهَنيِّ أبي [سعيدٍ] ، **وسمعَ الحديثَ** : مِنْ أبي البركاتِ ابنِ خَميسٍ الموصليِّ ، وتولَّى القضاءَ بالموصلِ ، وبنى بها مدرسةً للشافعيَّةِ ، ورباطاً بمدينةِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وكانَ يتردَّدُ في الرسائلِ عن عمادِ الدينِ ابنِ زنكي .

ثمَّ انتقلَ إلى دمشقَ ، وتولَّى القضاءَ بها ، وتولَّى الوِزارةَ ، واستنابَ ولدَهُ القاضيَ محييَ الدينِ في الحكمِ بمدينةِ حلبَ ، ولم يكنْ شيءٌ مِنْ أمورِ الدولةِ يخرجُ عنهُ ، وتوجَّهَ مِنْ جهةِ نورِ الدينِ بنِ زنكي رسولاً في أيامِ المقتفي ، وسيَّرَهُ المقتفي في الصلحِ بينَ نورِ الدينِ بنِ زنكي وقلجِ أرسلانَ بنِ مسعودٍ صاحبِ الرومِ ، ولمَّا ماتَ نورُ الدينِ وملكَ صلاحُ الدينِ أقرَّهُ على ما كانَ عليهِ .

وكانَ فقيهاً أديباً كاتباً ، فَكِهَ المجالسةِ ، يتكلَّمُ في الخلافِ والأصولينِ كلاماً حسناً ، وكانَ كثيرَ الصدقةِ والمعروفِ ، وقفَ أوقافاً كثيرةً بالموصلِ ونَصِيبِينَ ودمشقَ ، لم يكنْ في بيتِهِ مثلُهُ ، ولا نالَ أحدٌ منهُم ما نالَهُ مِنَ المناصبِ .

ذكرَهُ الحافظُ ابنُ عساكرَ في « تاريخِ دمشقَ »[1] .

(١) انظر « تاريخ دمشق » (٥٥/ ١٨٥ـ١٨٧) ، والكلام مأخوذ من « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٤١ ـ ٢٤٤) تقريباً إلى آخر الترجمة .

ولهُ نظمٌ جيدٌ ؛ فمِنْ ذلكَ : ما ذكرَهُ ابنُ خَلِّكانَ عنهُ في كتابِ « وفياتِ الأعيانِ »[1] : [من الكامل]

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَٱلْعُيُونُ هَوَاجِعٌ وَٱلْفَجْرُ وَهْمٌ فِي ضَمِيرِ ٱلْمَشْرِقِ[2]
وَرَكِبْتُ لِلأَهْوَالِ كُلَّ عَظِيمَةٍ شَوْقاً إِلَيْكِ لَعَلَّنَا أَنْ نَلْتَقِي[3]

وقيلَ : إنَّهُ كتبَ إلىٰ ولدِهِ محيي الدينِ : [من البسيط]

عِنْدِي كَتَائِبُ أَشْوَاقٍ أُجَهِّزُهَا إِلَىٰ لِقَائِكَ إِلا أَنَّهَا كُتُبُ
وَلِي أَحَادِيثُ مِنْ نَفْسِي أُسَرُّ بِهَا إِذَا ذَكَرْتُكَ إِلا أَنَّهَا كَذِبُ

وقيلَ : إنَّهُ لمَّا كبرَ وضعُفَتْ حركتُهُ كانَ يُنشِدُ في كلِّ وقتٍ : [من المنسرح]

يَا رَبِّ لَا تُحْيِنِي إِلَىٰ زَمَنٍ أَكُونُ فِيهِ كَلّاً عَلَىٰ أَحَدِ
خُذْ بِيَدِي قَبْلَ أَنْ أَقُولَ لِمَنْ أَلْقَاهُ عِنْدَ ٱلْقِيَامِ خُذْ بِيَدِي

قالَ ابنُ خَلِّكانَ : (ولا أعلمُ : هل هٰذانِ البيتانِ لهُ أم لا)[4] .

وُلِدَ سنةَ اثنتينِ وتسعينَ وأربعِ مئةٍ بالموصلِ ، وتُوفِّيَ يومَ الخميسِ سادسِ مُحرَّمٍ سنةَ اثنتينِ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ بدمشقَ ، ودُفِنَ بجبلِ قاسيونَ[5] .

* * *

(١) وفيات الأعيان (٤/ ٢٤٣ـ٢٤٤) .
(٢) جاء الشطر الأول في « الوفيات » : (ولقد أتيتك والنجومُ رواصد) ، والمثبت إحدىٰ نسخها كما أشار إليه محققها .
(٣) ويحتمل أن البيتين خطاب لابنه محيي الدين ، فيكون قوله : (ذكرتك) و(إليك) بفتح الكاف .
(٤) وفيات الأعيان (٤/ ٢٤٣ـ٢٤٤) ، وزاد بعده : (ثم وجدت هٰذين البيتين من جملة أبيات لأبي الحسن محمد بن علي بن الحسن بن أبي الصقر الواسطي ، وسيأتي ذكره وذكر البيتين إن شاء الله تعالىٰ) .
(٥) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٤١ـ٢٤٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ١١٧ـ١٢١) .

ومنهُمُ :

الإمامُ العالمُ سَديدُ الدينِ محمدُ بنُ هبةِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ السَّلَمَاسيُّ

كانَ إماماً في عصرِهِ ، تولَّى الإعادةَ بالمدرسةِ النِّظَاميَّةِ ببغدادَ ، وأتقنَ عدَّةَ فنونٍ ، وهوَ الذي شهرَ « طريقةَ الشريفِ » بالعراقِ ، قصدَهُ الناسُ مِنَ البلادِ ، واشتغلُوا عليهِ ، وخرجُوا علماءَ مُدرِّسينَ مُصنِّفينَ ، مِنْ جملتِهِمُ : الشيخانِ الإمامانِ ؛ عمادُ الدينِ وكمالُ الدينِ ولدا يونسَ[1] ، وكانَ مُسدَّداً في الفُتيا .

تُوفِّيَ ببغدادَ سنةَ أربعٍ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ .

وسَلَماسُ : مدينةٌ مِنْ بلادِ أَذْرَبيجانَ[2] .

* * *

(١) أما الأول : فهو أبو حامد محمد بن يونس الموصلي (ت ٦٠٨هـ) ، وأما الثاني : فهو أبو الفتح موسى بن يونس (ت ٦٣٩هـ) ، وكان أبو الفتح رحمه الله متبحراً في العلوم ، موصوفاً بالذكاء المفرط ، وكان يتقن أربعة وعشرين فناً ، وهو والد شرف الدين أحمد شارح « التنبيه » ، وستأتي ترجمتهما في (١/ ٥٤٥ـ٥٤٦، ٢/ ٩ـ١١) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٣٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢١/ ١٠٣) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ أبو طالبٍ أحمدُ بنُ المُسلَّمِ بنِ رجاءِ بنِ جامعِ بنِ منصورٍ اللَّخْميُّ التَّنوخيُّ الإسكندريُّ المالكيُّ

ويُسمَّى أيضاً (خليفةَ) ، إلا أنَّهُ غلبَ عليهِ في آخرِ وقتِهِ (أحمدُ) .

كانَ مِنَ الفقهاءِ المشهورينَ ، وأعيانِ الأصوليِّينَ ، ماهراً في علمِ الكلامِ .

تفقَّهَ : على الإمامِ أبي بكرٍ الطُّرْطُوشيِّ ، **وسمعَ الحديثَ** : منهُ ، ومِنْ أبي عبدِ اللهِ الرازيِّ .

وُلِدَ في شهرِ ربيعٍ الأولِ سنةَ أربعٍ وتسعينَ وأربعِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الثالثِ والعشرينَ مِنْ شهرِ رمضانَ سنةَ ثمانٍ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « مشيخة بهاء الدين ابن الجُمَّيزي » (ق/ ١٣ـ١٤) بتخريج رشيد الدين العطار ، و« سير أعلام النبلاء » (٢١/ ٩٥ـ٩٦) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ قطبُ الدينِ أبو المعالي مسعودُ بنُ محمدِ بنِ مسعودٍ النيسابوريُّ الطُّرَيْثِيثيُّ الفقيهُ الشافعيُّ

تفقَّهَ بنيسابورَ ومروَ علىٰ أئمَّتِها ، وسمعَ الحديثَ مِنْ غيرِ واحدٍ ، ورأى الأستاذَ أبا نصرِ بنَ القشيريِّ ، ودرَّسَ بالمدرسةِ النِّظَاميَّةِ بنيسابورَ نيابةً عنِ ابنِ الجُوَينيِّ ، وكانَ قرأَ القرآنَ الكريمَ علىٰ والدِهِ ، وكذلكَ فنُّ الأدبِ .

وقدمَ بغدادَ ، ووعظَ بها ، وتكلَّمَ في المسائلِ فأحسنَ ، وقدمَ دمشقَ سنةَ أربعينَ وخمسِ مئةٍ ، ووعظَ بها ، وحصلَ لهُ قَبولٌ ، ودرَّسَ بالمدرسةِ المُجاهديَّةِ ، ثمَّ بالزاويةِ الغربيَّةِ مِنْ جامعِ دمشقَ بعدَ موتِ الفقيهِ أبي الفتحِ نصرِ اللهِ المِصِّيصيِّ[1] ، ثمَّ خرجَ إلىٰ حلبَ ، ودرَّسَ في المدرستَينِ اللَّتينِ بناهُما لهُ نورُ الدينِ محمودٌ ، وأسدُ الدينِ شِيركُوه ، ثمَّ مضىٰ إلىٰ همذانَ وتولَّى التدريسَ بها ، ثمَّ رجعَ إلىٰ دمشقَ ودرَّسَ بالزاويةِ الغربيَّةِ ، وحدَّثَ ، وتفرَّدَ برِئاسةِ أصحابِ الشافعيِّ .

وكانَ عالماً صالحاً ورعاً .

صنَّفَ كتابَ « الهادي » في الفقهِ ، وهوَ مختصرٌ نافعٌ ، لم يأتِ فيهِ إلا بالقولِ الذي عليهِ الفُتيا ، وجمعَ للسلطانِ صلاحِ الدينِ عقيدةً تجمعُ جميعَ

(١) وقد سبقت ترجمته في (١/ ٤٦٢) ، وهو آخر من ترجم لهم الإمام ابن عساكر في « تبيين كذب المفتري » ، والزاوية الغربية : هي زاوية الإمام الغزالي رحمه الله تعالى الكائنة في مسجد بني أمية .

ما يحتاجُ إليهِ في أمورِ دينِهِ ، وحفَّظَها أولادَهُ الصغارَ ؛ حتىٰ ترسَخَ في أذهانِهِم مِنَ الصِّغَرِ .

قالَ بهاءُ الدينِ ابنُ شدَّادٍ في « سيرةِ السلطانِ صلاحِ الدينِ » : (ورأيتُهُ ـ يعني : السلطانَ ـ وهوَ يأخذُها عليهِم وهم يقرؤُونَها بينَ يديهِ مِنْ حفظِهِم)[1] .

وُلِدَ سنةَ خمسٍ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ سَلْخَ شهرِ رمضانَ سنةَ ثمانٍ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ، وصُلِّيَ عليهِ يومَ العيدِ ، وكانَ نهارَ جمعةٍ ، ودُفِنَ بالمقبرةِ التي أنشأَها جوارَ مقبرةِ الصوفيَّةِ غربيَّ دمشقَ[2] .

* * *

(١) النوادر السلطانية (ص٣٣) ، والنقل من « وفيات الأعيان » .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٥/ ١٩٦ـ١٩٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢٩٧ـ٢٩٨) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ الورعُ أبو الطاهرِ إسماعيلُ بنُ مكيٍّ ابنُ عوفٍ الزهريُّ الإسْكندرانيُّ المالكيُّ]

الشيخُ الإمامُ الوَرِعُ أبو الطاهرِ إسماعيلُ بنُ مكِّيِّ بنِ إسماعيلَ بنِ عيسى بنِ عوفِ بنِ يعقوبَ بنِ محمدِ بنِ عيسى بنِ عبدِ الملكِ بنِ حُميدِ[1] بنِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ حميدِ بنِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ عوفٍ الزُّهْرِيِّ صاحبِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

شيخُ العلماءِ والمُتورِّعينَ بثغرِ الإسكندريَّةِ ، وجدُّهُ أحدُ العشرةِ ، وأبو الطاهرِ هٰذا ربيبُ الإمامِ أبي بكرٍ الطُّرْطُوشيِّ فيما قيلَ[2] ، والمعروفُ أنَّ خالتَهُ كانَتْ تحتَ الإمامِ أبي بكرٍ .

وشهرةُ الشيخِ أبي الطاهرِ أكثرُ مِنْ أنْ تُذكَرَ ، أو يُطوَّلَ في شرحِها .

وُلِدَ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وأربعِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ ليلةَ الأربعاءِ الخامسِ والعشرينَ مِنْ شعبانَ سنةَ إحدىٰ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، ودُفِنَ بالدِّيماسِ بثغرِ الإسكندريَّةِ ، وقبرُهُ يُزارُ[3] .

* * *

(١) في « الديباج المذهب » (ص٩٥) : (أحمد) .

(٢) وعلىٰ أبي بكر الطرطوشي تفقه أبو الطاهر علىٰ مذهب الإمام مالك ، وبه انتفع في علوم شتىٰ .

(٣) انظر « مشيخة بهاء الدين ابن الجميزي » (ق/ ٥ـ٧) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢١/ ١٢٢ـ١٢٣) ، و« الديباج المذهب » (ص٩٥ـ٩٦) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ الحافظُ أبو القاسمِ عبدُ الرحمٰنِ بنُ عبدِ اللهِ الخثعميُّ السُّهيليُّ]

الشيخُ الإمامُ الحافظُ أبو القاسمِ[1] عبدُ الرحمٰنِ بنُ الخطيبِ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ الخطيبِ أبي عمرَ أحمدَ بنِ أبي الحسنِ أصبغَ بنِ حسينِ بنِ سعدونَ بنِ رضوانَ بنِ فُتوحٍ الخثعميُّ السُّهيليُّ .

حدَّثَ : عنِ الفقيهِ أبي بكرٍ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ المَعافريِّ وغيرِهِ[2] ، ولهُ التصانيفُ المفيدةُ المشهورةُ[3] .

وُلِدَ بالمغربِ سنةَ ثمانٍ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في شعبانَ سنةَ إحدىٰ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ[4] .

* * *

(١) ويقال له : أبو زيد ، وأبو الحسن .

(٢) أبو بكر : هو الحافظ الفقيه الأصولي ابن العربي المالكي صاحب « عارضة الأحوذي » وغيره من المؤلفات النفيسة .

(٣) ومن أشهر مؤلفاته : « الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام » .

(٤) انظر « وفيات الأعيان » (٣/ ١٤٣ـ١٤٤) ، وهو من جملة الأضرَّاء الذين ترجم لهم الإمام الأديب الصلاح الصفدي في « نَكْت الهميان بنُكت العميان » (ص١٦٨ـ١٧٠) ، وهو صاحب الأبيات الشهيرة التي مطلعها : (من الكامل)

يا من يرىٰ ما في الضميرِ ويسمعُ أنتَ المُعَدُّ لكلِّ ما يُتوقَّعُ

ومنهُمُ :

[الإمامُ أبو القاسمِ عبدُ الرحمٰنِ بنُ الحسينِ ابنُ الجبَّابِ التميميُّ السعديُّ المغربيُّ المالكيُّ]

أبو القاسمِ عبدُ الرحمٰنِ بنُ الحسينِ بنِ عبدِ اللهِ الجبَّابِ بنِ الحسينِ بنِ أحمدَ بنِ الفضلِ بنِ جعفرِ بنِ الحسينِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ زيادةِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ الأغلبِ بنِ إبراهيمَ بنِ الأغلبِ بنِ سالمِ بنِ عقالِ بنِ خفاجةَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبَّادِ بنِ محاربِ بنِ سعدِ بنِ حرامِ بنِ سعدِ بنِ مالكِ بنِ سعدِ بنِ زيدِ مناةَ بنِ تميمِ بنِ مرَّةَ بنِ أُدٍّ بنِ طابخةَ بنِ الياسِ بنِ مضرَ بنِ نزارِ بنِ معدِّ بنِ عدنانَ .

هكذا وجدتُهُ بخطِّ شيخِنا رضيِّ الدينِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ يوسفَ الأنصاريِّ الشاطبيِّ رحمَهُ اللهُ ، قالَ : (كذا وجدتُهُ بخطِّ عبدِ القويِّ ابنِ الجبَّابِ) .

كانَ أبو القاسمِ هٰذا عالماً فاضلاً في الأصولِ والفروعِ على مذهبِ الإمامِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وكانَ يدري الخلافَ والجدلَ ، ولهُ كتابٌ في الخلافِ بينَ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ وبينَ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ في البسملةِ ، رجَّحَ فيهِ مذهبَ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وانتصرَ لهُ .

مِنْ بني زيادةِ اللهِ ابنِ الأغلبِ آخرِ ملوكِ بني الأغلبِ بالمغربِ[1] .

* * *

(١) له ترجمة مختصرة في « إكمال الإكمال » (٢/ ٦٦) ، وقال الإمام الذهبي في « تاريخه » (٤٦/ ١٨١) أثناء ترجمة ولده إبراهيم : (وكان أبوه سنيّاً ، له مع بني عبيد مواقفُ وأمور) ، ولعله توفي قبل الثلاثين وست مئة .

ومنهُمُ :

[الإمامُ والفقيهُ القاضي المفتي أبو سعدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمدِ ابنُ أبي عصرونَ التميميُّ الموصليُّ الدمشقيُّ الشافعيُّ]

القاضي الفقيهُ العالمُ مفتي الأنامِ شيخُ الفقهاءِ والعلماءِ أبو سعدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ هبةِ اللهِ بنِ عليِّ بنِ المطهَّرِ بنِ أبي عَصْرونَ التميميُّ الشافعيُّ الموصليُّ نزيلُ دمشقَ .

كانَ مِنْ أفقهِ أهلِ زمانِهِ ، وإليهِ انتهىٰ أمرُ الفتاوىٰ والأحكامِ .

قرأَ القرآنَ العظيمَ : علىٰ البارعِ ، وأبي بكرٍ المَزْرَقيِّ[1] ، وسمعَ الحديثَ : مِنِ ابنِ الحصينِ ، وابنِ البخاريِّ ، وابنِ السمرقنديِّ ، وغيرِهِم ، وتفقَّهَ : علىٰ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ القاسمِ بنِ الشَّهْرَزُوريِّ ، والقاضي أبي عليٍّ الحسنِ بنِ إبراهيمَ الفارِقيِّ ، وقرأَ الأصولَ : علىٰ أبي الفتحِ ، وصنَّفَ كتباً في مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ[2] .

وتولَّى القضاءَ بدمشقَ زماناً إلىٰ أنْ كُفَّ بصرُهُ ، فأقامَ بعدَ ذلكَ أياماً ثمَّ صُرِفَ عنِ الحكمِ ، فاقتصرَ علىٰ أنْ يُدرِّسَ ويشتغلَ ويفيدَ العلمَ ، وتفقَّهَ عليهِ خلقٌ كثيرٌ ، وصنَّفَ التصانيفَ ، ولم يزلْ يشتغلُ ويُشغِلُ إلىٰ أنْ ماتَ .

(١) وذكره في « الأنساب » (١٢/ ٢٢٠) ، و« معجم البلدان » (٥/ ١٢١) بالفاء بدل القاف ، ومَزْرَقة : قرية كبيرة فوق بغداد علىٰ دجلة .

(٢) انظر سرد هذه المؤلفات في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ١٣٣ـ١٣٤) ، ومن أجلِّها : كتاب « الانتصار لما جرد في المذهب من الأخبار والاختيار » .

وُلِدَ سنةَ اثنتينِ وتسعينَ وأربعِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في شهرِ رمضانَ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « مشيخة ابن الجميزي » (ق/ ٨ ـ ١٠) ، و« وفيات الأعيان » (٣/ ٥٣ـ٥٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ١٣٢ـ١٣٧) ، وهو من جملة الأضرَّاء الذين ترجم لهم الصلاح الصفدي في « نكت الهميان » (١٦٦ـ ١٦٨) ، وأورد الحافظ الذهبي في « السير » (٢١/ ١٢٩) حكايةً مفادُها أنَّ ابن أبي عصرون ليس أشعري العقيدة ، ورجَّح الإمام المحقق التاج السبكي أنها مكذوبة ؛ للقطع بأن ابن أبي عصرون كان أشعري العقيدة ، ولأسباب أخرىٰ .

ومنهُمُ :

الشيخُ أبو الحسينِ عبدُ الرحمـٰنِ بنُ أبي عامرٍ[1] أحمدَ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ ربيعٍ الأشعريُّ القرطبيُّ

سمعَ : مِنْ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ محمدٍ النَّفْزيِّ الخطيبِ ، وأبي بكرٍ عبدِ العزيزِ بنِ خلفِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ مُديرٍ الأَسْديِّ القرطبيِّ[2] ، وحدَّثَ عنهُما ، وعن أبي الحسنِ عبَّادِ بنِ سَرْحانَ .

سمعَ منهُ : أبو الربيعِ سليمانُ بنُ موسى الحافظُ وحدَّثَ عنهُ ، كذا ذكرَهُ الشيخُ الحافظُ زكيُّ الدينِ ، وذكرَ في نسبِهِ الأشعريَّ ، فلا أدري هوَ نسبةٌ إلى المُعتقَدِ أو إلى القبيلةِ[3] .

تُوفِّيَ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ[4] .

* * *

(١) زاد في (أ، ب) : (ابن) .

(٢) في « التكملة لوفيات النقلة » : (الأزدي) بدل (الأسدي) ، وكلاهما جائز .

(٣) ذكر بعضَ ولده الصلاحُ الصفدي في « الوافي بالوفيات » (١٧/ ٣٥٧) ، ثم قال في نسبه : (الأشعري نسباً) ، وهو وإن كانَ كذلك فهو أشعري العقيدة أيضاً رضي الله تعالىٰ عنه .

(٤) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (١/ ١٢٦ـ١٢٧) ، و« تاريخ الإسلام » (٤١/ ٢٢١) .

ومنهُمُ :

القاضي محيي الدينِ أبو حامدٍ محمدُ بنُ القاضي كمالِ الدينِ محمدِ بنِ الشَّهْرَزوريِّ

دخلَ بغدادَ ، فتفقَّهَ : علىٰ أبي منصورِ ابنِ [الرزَّازِ] وتميَّزَ ، ثمَّ أُصعِدَ إلى الشامِ ، ووليَ قضاءَ دمشقَ نيابةً عن والدِهِ ، ثمَّ انتقلَ إلىٰ حلبَ ، وحكمَ بها نيابةً عن أبيهِ ، وبعدَ وفاةِ والدِهِ انتقلَ إلى الموصلِ ، وتمكَّنَ عندَ صاحبِ الموصلِ [عزِّ] الدينِ مسعودِ بنِ [قطبِ] الدينِ مودودِ بنِ زنكي .

وذكرَ قاضي القضاةِ بهاءُ الدينِ ابنُ شدَّادٍ قاضي حلبَ في كتابِ « ملجأِ الحُكَّامِ عندَ التباسِ الأحكامِ » : أنَّهُ كانَ في خدمةِ القاضي محيي الدين عندَ توجُّهِهِ إلىٰ بغدادَ في إحدى الرسائلِ ، وناهيكَ بمَنْ يكونُ في خدمتِهِ مثلُ هـٰذا الرجلِ !![1] .

قيلَ : إنَّهُ لم يعتقلْ غريماً قطُّ علىٰ دينارَينِ فما دونَهُما ، بل يُوفِّي ذلكَ عنهُ مِنْ مالِهِ[2] ، وقيلَ : إنَّهُ فرَّقَ في سَفْرةٍ سافرَها إلىٰ بغدادَ عشرةَ آلافِ دينارٍ أميريَّةٍ على المحاويجِ والفقراءِ والفقهاءِ والأدباءِ والشعراءِ[3] .

وكانَ يقولُ الشعرَ الحسنَ ؛ فمِنْ ذلكَ : ما قالَهُ في وصفِ جرادةٍ[4] : [من الطويل]

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٤٦ـ٢٤٧) .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٤٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ١٨٦) .

(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٤٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ١٨٦) .

(٤) أوردهما ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٤٧) ، وابن السبكي في « الطبقات » (٦/ ١٨٦) ، ومن ذلك أيضاً ـ كما أورده ابن السبكي في « الطبقات » (٦/ ١٨٦) وهو مناسب لكتابنا هـٰذا ـ : (من الكامل) =

لَهَا فَخِذَا بَكْرٍ وَسَاقَا نَعَامَةٍ وَقَادِمَتَا نَسْرٍ وَجُؤْجُؤُ ضَيْغَمِ
حَبَتْهَا أَفَاعِي ٱلرَّمْلِ بَطْناً وَأَنْعَمَتْ عَلَيْهَا جِيَادُ ٱلْخَيْلِ بِٱلرَّأْسِ وَٱلْفَمِ

قالَ ابنُ خَلِّكانَ : (وُلِدَ سنةَ عشرٍ وخمسِ مئةٍ تقريباً ، وتُوُفِّيَ سُحْرةَ يومِ الأربعاءِ رابعَ عشرَ جمادى الأولىٰ سنةَ ستٍّ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، [ودُفِنَ بدارِهِ بمحلةِ القلعةِ] ، ثمَّ نُقِلَ إلىٰ مدينةِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ)[1] .

قالَ الشيخُ رشيدُ الدينِ عبدُ اللهِ بنُ نصرِ بنِ سعيدِ القُوصيُّ رحمَهُ اللهُ : ونُقِلَ نعشُهُ على الرقابِ مِنْ موضعِ وفاتِهِ إلى المدينةِ ، وفيهِ يقولُ بعضُهُم[2] : [من الطويل]

سَرَىٰ نَعْشُهُ فَوْقَ ٱلرِّقَابِ وَطَالَمَا سَرَىٰ بِرُّهُ فَوْقَ ٱلرِّكَابِ وَنَائِلُهْ
يَمُرُّ عَلَى ٱلْوَادِي فَتُثْنِي رِمَالُهُ عَلَيْهِ وَبِٱلنَّادِي فَتُثْنِي أَرَامِلُهْ

* * *

= قَامَتْ بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ أَدِلَّةٌ قَصَمَتْ ظُهُورَ جَمَاعَةِ التَّعْطِيلِ
وَطَلَائِعُ التَّنْزِيهِ لَمَّا أَقْبَلَتْ هَزَمَتْ ذَوِي التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ
فَالْحَقُّ مَا صِرْنَا إِلَيْهِ جَمِيعُنَا بِأَدِلَّةِ الْأَخْبَارِ وَالتَّنْزِيلِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِالشَّرْعِ مُقْتَدِياً فَقَدْ أَلْقَاهُ فَرْطُ الْجَهْلِ بِالتَّضْلِيلِ

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٤٦ـ ٢٤٨) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ١٨٥ـ١٨٦) .

(٢) المشهور في المصادر : أن هٰذه الأبيات قيلت في الوزير جمال الدين أبي جعفر محمد بن علي الأصفهاني وقتَ الصلاة عليه . انظر « الكامل في التاريخ » (٩/ ٣١٣) ، و« وفيات الأعيان » (٥/ ١٤٦) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ عبدِ الرحمٰنِ بنِ وَهْبانَ المعروفُ بـ (ابنِ أفضلِ [الزمانِ])

أثنىٰ عليهِ الشيخُ الإمامُ أبو الحسنِ عليُّ ابنُ عبدِ الكريمِ الجَزَريُّ المعروفُ بـ (ابنِ الأثيرِ الجزريِّ) في « تاريخِهِ » فقالَ : (كانَ رحمَهُ اللهُ عالماً مُتبحِّراً في علومٍ كثيرةٍ ، خلافِ الفقهِ ومذهبِهِ[1] ، والأصولَينِ والحسابِ والفرائضِ والمنطقِ والهيئةِ وغيرِ ذلكَ ، وختمَ أعمالَهُ بالزهدِ ولُبْسِ الخشنِ ، وأقامَ بمكَّةَ حرسَها اللهُ تعالىٰ مُجاوِراً ، وتُوفِّيَ بها ، وكانَ مِنْ أحسنِ الناسِ صُحبةً وخُلُقاً)[2] .

ويكفي أنَّ مِنْ طلبتِهِ [. . .][3] .

وتُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ في صفرٍ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ[4] .

* * *

(١) في « الكامل في التاريخ » (١٠/ ٧٧) : (خلافَ فقه مذهبه) .

(٢) الكامل في التاريخ (١٠/ ٧٧) ، وابنُ الأثير يعتبر من تلامذة المُترجَم .

(٣) بياض في (أ ، ب) ، ولعله أراد أن يقول ما مؤدَّاه : (ويكفي أن من طلبته الإمامَ المؤرِّخَ علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري) ، وهو صاحب « الكامل في التاريخ » .

(٤) انظر « الكامل في التاريخ » (١٠/ ٧٧) ، و« البداية والنهاية » (١٢/ ٣٣٤) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ الأوحدُ نجمُ الدينِ أبو البركاتِ محمدُ بنُ المُوفَّقِ بنِ سعيدِ بنِ عليٍّ بنِ الحسنِ بنِ عبدِ الله الخُبُوشانيُّ الصوفيُّ الشافعيُّ[1]

كانَ مُقيماً بمسجدِهِ المعروفِ بهِ على بابِ الجَوَّانيَّةِ بالقاهرةِ ، ثمَّ تحوَّلَ إلى تربةِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وتبتَّلَ لعمارةِ التربةِ والمدرسةِ المجاورةِ للضريحِ[2] ، ودرَّسَ بها ، ووضعَ في المذهبِ كتاباً[3] .

وكانَ سيفاً سلَّهُ اللهُ على المبتدعةِ ، لا تُفَلُّ مضاربُهُ ، ولا يخافُ نَبْوتَهُ ضاربُهُ ، بيدِ السلطانِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ ، وكانَ يرجعُ إليهِ في جليلِ الأمرِ وحقيرِهِ ، ويستشيرُهُ فيما يعتمدُهُ في تدبيرِهِ .

ويُقالُ : إنَّهُ أشارَ على السلطانِ صلاحِ الدينِ أنْ يشرطَ في أوقافِهِ أنَّهُ لا يتناولُ ريعَها مبتدعٌ ، ولا يتولَّى تدريسَها مبتدعٌ ، وهوَ الذي نبشَ قبرَ الكِيزانيِّ ونقلَهُ إلى مكانِهِ الآنَ بالقربِ مِنْ ساريةَ ، وكانَ قبرُهُ في تربةِ الإمامِ الشافعيِّ ، فنقلَهُ الخُبُوشانيُّ[4] .

(١) **والخُبُوشاني** : نسبة إلى (خُبُوشان) بُليدة بناحية نيسابور .

(٢) وهي المدرسة الصلاحية التي بناها بأمر من السلطان صلاح الدين ، وقد وصف هٰذه المدرسةَ ابنُ جبير في « رحلته » (ص٢١) فقال : (لم يعمر بهٰذه البلاد مثلها ؛ لا أوسع مساحة ، ولا أحفل بناء ، يُخيَّل لمن يطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته ، بإزائها الحمام . . . إلى غير ذلك من مرافقها) .

(٣) سماه : « تحقيق المحيط » ، وهو كبير في ستة عشر مجلداً .

(٤) قال الإمام ابن السبكي في « الطبقات » (٧/ ١٥) : (وكان ابن الكيزاني ـ وهو رجلٌ من =

ويُقالُ : إنَّهُ الذي أفتى السلطانَ الملكَ الناصرَ صلاحَ الدينِ رحمَهُ اللهُ بقتلِ كبيرِ الكركِ وأسراهُم[1] ، وكانَ هـٰذا قد نَجَرَ مراكبَ ، وأرادَ أنْ ينقلَها على الظهرِ إلى البحرِ مِنْ جهةِ الطورِ ويقصدَ الحرمينِ الشريفينِ ، فسابقَهُ صلاحُ الدينِ ، وبعثَ سريَّةً كانَ مُقدَّمَها الحاجبُ لؤلؤٌ العادليُّ ، واحتالَ على أخذِهِم بأمانٍ[2] .

فقالَ : كانَ هـٰذا لا يجوزُ لهُ أنْ يُؤمِّنَ مثلَ هـٰؤلاءِ ، ولا يجوزُ لكَ أنْ تأذنَ في مثلِ هـٰذا الأمانِ ، اقتلْ هـٰؤلاءِ وأنا أتقلَّدُ دمَهُم عندَ اللهِ يومَ القيامةِ[3] .

= المشبهة ـ مدفوناً عند الشافعي رضي الله عنه ، فقال الخُبُوشاني : لا يكون صدِّيق وزنديق في موضع واحد) .

(١) **قوله** : (**كبير**) غير واضحة في الأصل ، فاجتهدت في ضبطها ، **ولعل المراد بكبير الكرك** : رئيسهم الفاجر البرنس أرناط الذي قتله الملك صلاح الدين فيما بعد أثناء فتح بيت المقدس .

(٢) انظر تفصيل هـٰذه الحادثة في « الروضتين من أخبار الدولتين » (٣/ ١٣٣ـ١٤١) .

(٣) وحسنات هـٰذا الإمام الأشعري الصوفي لا تنتهي ، ويكفيه فخراً زوالُ دولة العبيديين على يديه من مصر ، وعودةُ مصر إلى عقيدة أهل السنة ، وكان يقول رحمه الله بملء فيه : (أصعد إلى مصر ، وأزيل ملك بني عبيد اليهودي ، فصعدها وصرَّح بلعنهم) ، وهو الذي قطع الخطبة للعبيديين وجعلها لبني العباس ، وله في ذلك قصة مشهورة ، وهو أيضاً الذي تشدَّد في الفتيا بزوال أمر العاضد آخر ملوك العبيديين ، وهـٰذه منقبة عظيمة في حقه إلى قيام الساعة ، وقد وصفه كثير من المؤرخين الكبار بالورع والزهد ، وذكروا من أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وقول الحق . . الشيء الكثير .

وذكر سبط ابن الجوزي في « مرآة الزمان » (٢١/ ٤٠١) : أنه كان طائشاً متهوِّراً ، وأنه كان يصوم ويفطر على خبز الشعير ، فلما مات وجدوا له ألوف الدنانير ، وبلغ صلاح الدين ، فقال : يا خيبة المسعى !! وكان يبعث إليه بالصدقات ، فيأخذها لنفسه .

قلت : وهـٰذا كلام عجيب ومتهوِّر في حق هـٰذا الإمام الكبير الذي ملأ مصر بل الدنيا زهداً وورعاً ، والذي يميت البدعة ، ويفضح رجالها ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، وخصوصاً إذا امتلك زمام ذلك وشروطه . . لا يوصف بالطيش والتهور ، **وقوله** : (**إنه كان يصوم ويفطر** . . .) إلى آخر هـٰذا الكلام المتهور والمتخبط . . هو طمس لمرآة الزمان =

وُلِد بأُسْتُوا خُبُوشانَ في الثالثِ والعشرينَ مِنْ رجبٍ سنةَ عشرٍ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ يومَ الأربعاءِ الثاني والعشرينَ مِنْ ذي القعدةِ سنةَ سبعٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، وكانَ أوصىٰ أنْ يُدفَنَ عندَ رِجلَيِ الإمامِ الشافعيِّ ، فدُفِنَ هناكَ ، رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ[1] .

* * *

= وأكذوبة ظاهرة ، وكلام متناقض ؛ إذا قرأنا ما قاله كبار المؤرخين في حقه ، وسبرنا محطات حياته المضيئة .

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٣٩ـ٢٤٠) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ١٤ـ١٨)، وفي الترجمة هنا زيادات ليست فيهما وفي كتب المصادر .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ أبو البركاتِ هبةُ اللهِ بنُ عبدِ المحسنِ بنِ عليِّ بنِ ثعلبٍ الأنصاريُّ المالكيُّ

درَّسَ بالمدرسةِ الناصريَّةِ ، وهوَ أحدُ الأئمَّةِ الذينَ وُضِعَتِ المدرسةُ الناصريَّةُ المالكيَّةُ لأجلِهِم[1] ، كانَ مشهوراً بالخيرِ والصلاحِ والعلمِ .

تُوفِّيَ سنةَ ثمانٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ في ذي القَعدةِ منها[2] .

* * *

(١) وهي أول مدرسة للمالكية أُحدثت بالديار المصرية ، وكانت أجلَّ مدرسة لهم ، وتخرج منها كبار الأئمة ، وتسمى بـ (المدرسة القمحية) للقمح الذي كان يوزع على فقهائها من الضيعة الموقوفة عليهم بالفيوم . انظر « المواعظ والاعتبار » (٤/ ٢٠٠ـ٢٠١) .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (١/ ١٩٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٤١/ ٣٥٠ـ٣٥١) ، وفيهما وفاته سنة (٥٨٩هـ) .

ومنهُم :

قاضي القضاةِ محيي الدينِ أبو المعالي محمدُ بنُ أبي الحسنِ عليٍّ المعروفُ بـ (ابنِ زكيِّ الدينِ) الدمشقيُّ الشافعيُّ

كانَ ذا فضائلَ عديدةٍ ؛ مِنَ الفقهِ والأدبِ وغيرِهما مِنَ العلومِ .

تولَّى القضاءَ بدمشقَ ، وكانَتْ لهُ عندَ السلطانِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ المنزلةُ العَلِيَّةُ ، وهـٰذا يدُلُّ علىٰ أنَّ القاضيَ محيَ الدينِ لم يكنْ علىٰ شيءٍ مِنْ بدعةٍ أصلاً ؛ فإنَّ السلطانَ الملكَ الناصرَ لم يكنْ يُقرِّبُ مُبتدِعاً .

ولهُ النظمُ الحسنُ ، ولمَّا فتحَ الملكُ الناصرُ حلبَ في صفرٍ أنشدَ سنةَ ثمانينَ وخمسِ مئةٍ : [من البسيط]

وَفَتْحُكُمْ حَلَباً بِٱلسَّيْفِ فِي صَفَرٍ مُبَشِّرٌ بِفُتُوحِ ٱلْقُدْسِ فِي رَجَبِ

فكانَ كما قالَ ، واستنباطُهُ لذلكَ يطولُ شرحُهُ[1] .

ولهُ الخُطَبُ والرسائلُ ، وهوَ أولُ مَنْ خطبَ يومَ الجمعةِ في بيتِ المقدسِ لمَّا فتحَهُ السلطانُ صلاحُ الدينِ[2] ، واشتهارُهُ يُغني عنِ الإطالةِ في وصفِهِ .

تُوفِّيَ في رجبٍ سنةَ تسعٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ بدمشقَ[3] .

* * *

(١) انظر « مرآة الجنان » لليافعي (٣/ ٣٧٥) .

(٢) انظر هـٰذه الخطبة في « الروضتين في أخبار الدولتين » (٣/ ٣٧٥ـ٣٧٧) ، و« وفيات الأعيان » (٤/ ٢٣٠ـ٢٣٦) .

(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٢٩ـ٢٣٦) ، و« مرآة الجنان » (٣/ ٣٧٤ـ٣٧٧) ، ووفاته في المصادر والمراجع التي وقفت عليها : سنة (٥٩٨هـ) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ رضيُّ الدينِ أبو الخيرِ أحمدُ بنُ إسماعيلَ بنِ [يوسفَ] بنِ محمدِ بنِ العباسِ الطَّالْقانيُّ القَزْوينيُّ

تفقَّهَ : على الإمامِ أبي بكرِ بنِ ملكدادَ[1] ، ورحلَ إلىٰ نيسابورَ ، ولزمَ أبا سعدٍ محمدَ بنَ يحيى النيسابوريَّ حتىٰ برعَ ، فصارَ مِنْ وجوهِ أصحابِهِ .

وسمعَ : مِنْ أبي عبدِ اللهِ الفَراويِّ ، ومِنْ أبي [القاسمِ زاهرِ بنِ] طاهرِ الشَّحَّاميِّ ، ومِنْ عبدِ المنعمِ بنِ القشيريِّ .

ودرَّسَ ببلدِهِ ، ثمَّ بالمدرسةِ النِّظَاميَّةِ ببغدادَ ، وكانَ جامعاً للعلومِ ، ولم يزلْ يُفتي ويُدرِّسُ إلىٰ أنْ عَنَّ لهُ الانقطاعُ ، فاستأذنَ في العودِ إلىٰ قزوينَ وتركِ التدريسِ ، ولم يزلْ مُقيماً ببلدِهِ مُشتغِلاً بالعبادةِ إلىٰ أنْ تُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ[2] .

(١) كذا في نسختينا و« تاريخ الإسلام » (٤١/ ٣٦٨) ، **والمشهور** : أن (ملكداد) هو اسمه ، واسم أبيه : علي . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٣٠٢) .

(٢) وقال فيه الإمام الرافعي في « أماليه » ـ كما في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٨) نقلاً عن ابن النجار ـ : (إمام كثير الخير ، موفر الحظ من علوم الشرع ؛ حفظاً وجمعاً ونشراً ، بالتعليم والتذكير والتصنيف ، وكان لسانه لا يزال رَطْباً من ذكر الله ، ومن تلاوة القرآن ، وربما قُرِىء عليه الحديث وهو يصلي ، ويصغي إلىٰ ما يقول القارئ ، ويُنبِّهه إذا زلَّ) .
وقال أيضاً (٦/ ٩) : (وروىٰ بإسناده ـ أي : ابنُ النجار ـ حكايةً مبسوطة ، ذكر أنه عرَّبها من العجمي إلى العربية ، **حاصلها** : **أن الطالْقانيَّ حكىٰ عن نفسه** : أنه كان بليدَ الذهن في الحفظ ، وأنه كان عند الإمام محمد بن يحيىٰ في المدرسة ، وكان من عادة ابن يحيىٰ أن يستعرض الفقهاء كل جمعة ، ويأخذَ عليهم ما حفظوه ، فمن وجده مُقصِّراً أخرجه ، فوجد الطالْقانيَّ مقصِّراً ، فأخرجه ، فخرج في الليل وهو لا يدري إلىٰ أين يذهب ، فنام في أتُّون حمَّام ، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم ، فتَفَلَ في فمه مرتين ، وأمره بالعود إلى =

وُلِدَ بقزوينَ في شهرِ رمضانَ سنةَ اثنتي عشرةَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الثالثَ عشرَ مِنْ محرمٍ سنةَ تسعينَ وخمسِ مئةٍ[1] .

* * *

= المدرسة ، فعاد ، ووجد الماضي محفوظاً ، واحتدَّ ذهنه جداً .

قال : فلمَّا كان يوم الجمعة وكان من عادة الإمام محمد بن يحيىٰ أن يمضي إلىٰ صلاة الجمعة في جمع من طلبته ، فيصلي عند الشيخ عبد الرحمٰن الأكَّاف الزاهد .

قال : فمضيت معه ، فلمَّا جلس مع الشيخ عبد الرحمٰن تكلَّم الشيخ عبد الرحمٰن في شيء من مسائل الخلاف ، والجماعة ساكتون تأدُّباً معه ، وأنا لصغر سِنِّي وحِدَّة ذهني أعترض عليه وأنازعه ، والفقهاء يشيرون إليَّ بالإمساك ، وأنا لا ألتفت ، فقال لهم الشيخ عبد الرحمٰن : دعوه ؛ فإنَّ هٰذا الكلامَ الذي يقوله ليس هو منه ، إنما هو من الذي علَّمه .

قال : ولم يعلم الجماعة ما أراد ، وفهمت أنا ، وعلمت أنه مُكاشِف) .

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (١/ ٢٠٠ـ٢٠٢) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٧ـ١٣) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ الأستاذُ العلامةُ الحُفَظَةُ أبو القاسمِ[1]
قاسمُ بنُ فِيرُّهْ ـ وتفسيرُهُ : حديدٌ ـ ابنِ أبي القاسمِ
خلفِ بنِ أحمدَ الرُّعَينيُّ الأندلسيُّ ثمَّ الشاطبيُّ المقرئُ الضريرُ

قرأَ القرآنَ العظيمَ بالرواياتِ السبعِ على الفقيهِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ محمدِ ابنِ هُذيلٍ ، وسمعَ عليهِ الحديثَ ، وممَّا سمعَهُ عليهِ ورواهُ عنهُ ، وعلىٰ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ عبدِ الرحيمِ الخَزْرجيِّ ، وأبي الحسنِ عليِّ بنِ النعمةِ . . « كتابُ المناهي » ، و« موطأُ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ » رضيَ اللهُ عنهُ ، وتصدَّرَ للإقراءِ بالمدرسةِ الفاضليَّةِ إلىٰ حينِ وفاتِهِ[2] .

وُلِدَ في آخرِ سنةِ ثمانٍ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الثامنِ والعشرينَ مِنْ جمادى الآخرةِ سنةَ تسعينَ وخمسِ مئةٍ ، ودُفِنَ مِنَ الغدِ بالتربةِ الفاضليَّةِ بسَفْحِ المُقطَّمِ ، رحمَهُ اللهُ[3] .

* * *

(١) ويقال : أبو محمد أيضاً . انظر « سير أعلام النبلاء » (٢١/ ٢٦١) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢٧٠ـ٢٧١) .

(٢) وله رحمه الله المنظومة النفيسة المباركة في علم القراءات التي سارت بها الركبان المسماةُ بـ « حرز الأماني ووجه التهاني » قال ابن خلكان في « وفيان الأعيان » (٤/ ٧١) : (ولقد أبدع فيها كلَّ الإبداع ، وهي عمدة قُرَّاء هٰذا الزمان في نقلهم ، فقلَّ من يشتغل بالقراءات إلا ويُقدِّم حفظها ومعرفتها ، وهي مشتملة علىٰ رموز عجيبة ، وإشارات خفية لطيفة ، وما أظنه سُبق إلىٰ أسلوبها ، وقد روي عنه أنه كان يقول : « لا يقرأ أحد قصيدتي هٰذه إلا وينفعه الله عز وجل بها ؛ لأني نَظَمتها لله تعالىٰ مخلصاً في ذلك ») .

(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٧١ـ٧٣) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٧/ ٢٧٠ـ٢٧٢) ، =

ومنهُمُ :

الشيخُ العارفُ أبو مَدْينٍ شعيبُ بنُ الحسينِ

ذكرَهُ أبو جعفرٍ الأندلسيُّ في « صلةِ الصلةِ » فقال : (شعيبُ بنُ الحسينِ الأندلسيُّ ، يُكنىٰ : أبا مدينَ)[1] .

نشأَ بفاسٍ ، واشتغلَ بالعلومِ الشرعيَّةِ على الشيخِ أبي الحسنِ بنِ حُرَازِمَ[2] ، فذُكِرَ الشيخُ أبو يعزىٰ في مجلسِ ابنِ حُرَازِمَ بأحوالٍ أنكرَها الفقهاءُ لضعفِهِم[3] ، فانتصرَ لهُ الشيخُ أبو مَدْينٍ ، ثمَّ ارتحلَ إليهِ ، فعندَما وقعَ نظرُهُ عليهِ قالَ : أهلاً بكَ يا شعيبُ ، تنتصرُ لي بظاهرِ الغيبِ ؟! اذهبْ ؛ فقد جعلتُكَ إماماً[4] .

= وهو من جملة الأضرَّاء الذين ترجم لهم الصلاح الصفدي في « نكت الهميان » (ص٢١٣ـ٢١٤) ، وأفرده بالترجمة الإمام شهاب الدين القسطلاني بمؤلف نفيس ماتع ، وسمَّاه : « الفتح المواهبي في ترجمة الإمام أبي القاسم الشاطبي » .

(١) صلة الصلة (٣/ ٣٧٦) .

(٢) قوله : (ابن حرازم) ، وفي « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٢٥٨) : (ابن حِرْزهم : بكسر الحاء المهملة وسكون الراء بعدها زاي ، وربما قيل : ابن حرازهم) .
هٰذا ؛ وقد ذهب سيدي أبو مدين إلى الشرق ، وهناك التقىٰ بالولي الكبير سيدي عبد القادر الجيلاني ، وأخذ عنه علوماً وأسراراً ، وكان سيدي أبو مدين يفتخر بصحبته له ويعدُّهُ من كبار شيوخه .

(٣) وعلىٰ جلالة قدر ابن حرازم إلا أنه لمَّا وقف على « الإحياء » للإمام الغزالي . . تأمَّل فيه ثم قال : (هٰذا بدعة مخالف للسنة) ، ثم أمر بإحراق جميع نسخه وتشدَّد في ذلك ، ثم رأىٰ بعد ذلك رؤيا مفادُها : أن الإمام الغزالي حاكمه إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بتجريده من ثيابه وضربه حدَّ المفتري ، ثم استيقظ ووجد ألم الضرب قريباً من شهر ، ثم صار يعظم « الإحياء » ويبجله . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٢٥٩ـ٢٦٠) .

(٤) وكان سيدي أبو مدين رضي الله عنه يقول في أبي يعزىٰ : (طالعت أخبار الصالحين من زمن=

وذُكِرَ أنَّهُ دخلَ إلىٰ تونسَ ، فأقامَ بها مدَّةً ، وانتفعَ بهِ جماعةٌ صحبُوهُ منها ، ثمَّ انتقلَ إلىٰ بلادِ المهديَّةِ .

ذكرَهُ الشيخُ محيي الدينِ ابنُ العربيِّ لمَّا ذكرَ مَنْ لقيَهُ مِنْ علماءِ الآخرةِ في كتابِهِ المُسمَّىٰ بـ « الدُّرَّةِ الفاخرةِ » فقالَ في ترجمتِهِ : (هٰذا الشيخُ مِنْ أعيانِ مشايخِ المغربِ ، وصدورِ المقرَّبينَ ، وعظماءِ العارفينَ ، صاحبُ الكراماتِ الخارقةِ ، والأفعالِ الظاهرةِ ، والأحوالِ العزيزةِ[1] ، والمقاماتِ العليَّةِ ، والهممِ الساميةِ ، صاحبُ الفتحِ السَّنِيِّ ، والكشفِ الجَلِيِّ ، والحقائقِ النفيسةِ ، والمعارفِ الجليلةِ .

لهُ التصدُّرُ في مراتبِ القُرْبِ ، والتقدُّمُ في منازلِ القُدْسِ ، والسبقُ في طرقِ الملكوتِ ، والترقِّي في معارجِ الوصلِ ، والتعالي في درجِ المعالي ، والنظرُ الجليُّ في عوالمِ الغيبِ[2] ، ولهُ القدمُ الراسخُ في التمكينِ المُوطَّدِ ، والباعُ الطويلُ في التصريفِ النافذِ ، واليدُ البيضاءُ في أحكامِ الولايةِ ، والقوَّةُ السديدةُ في أحوالِ النهايةِ ، والمظهرُ العظيمُ بخرقِ العوائدِ وقلبِ الأعيانِ .

وهوَ أحدُ أوتادِ المغربِ ، وأحدُ أركانِ هٰذا الشأنِ ، وأجلُّ أئمَّتِهِ البارعينَ ، وساداتِهِ المُحقِّقينَ ، وأعلامِ العلماءِ بأحكامِهِ ، وأُولي الأيدي والأبصارِ بمناهجِهِ .

وهوَ أحدُ مَنْ أظهرَهُ اللهُ تعالىٰ إلى الوجودِ ، وصرَّفَهُ في العلمِ ، ومكَّنَهُ في الأحوالِ ، وملَّكَهُ الأسرارَ ، وأظهرَ علىٰ يديهِ العجائبَ ، ونطَّقَهُ بعيونِ

= أويس القرني إلىٰ زماننا فما رأيت أعجب من أبي يعزى) انظر « أنس الفقير » (ص٢١) ، و« التشوف إلىٰ رجال التصوف » (ص٣٢٣) .

(١) في (ب) : (الغزيرة) ، ولم تعجم في (أ) .

(٢) في (ب) : (علوم) بدل (عوالم) .

الحِكَمِ[1] ، وأجرىٰ علىٰ لسانِهِ لطائفَ الأسرارِ ، وأوقعَ لهُ القَبولَ العظيمَ والهيبةَ الوافرةَ في قلوبِ الخلقِ ، وقُصِدَ بالزياراتِ مِنْ كلِّ قُطْرٍ ، واشتَهرَ ذكرُهُ في الآفاقِ شرقاً وغرباً .

وهوَ أحدُ مَنْ جمعَ اللهُ لهُ بينَ علمَيِ الشريعةِ والحقيقةِ ، فأفتىٰ ببلادِ المغربِ علىٰ مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ[2] ، وناظرَ وأملىٰ ، وقصدَهُ طلبةُ العلمِ وأخذُوا عنهُ ، واجتمعَ عندَهُ جماعةٌ مِنَ الفقهاءِ والصُّلَحاءِ ، وانتفعُوا بكلامِهِ وصحبتِهِ .

انتهَتْ إليهِ رئاسةُ هـٰذا الشأنِ ببلادِ المغربِ ، وتخرَّجَ بصحبتِهِ غيرُ واحدٍ مِنْ أكابرِ مشايخِها) .

ثمَّ عدَّ جماعةً سيأتي ذكرُهُم إنْ شاءَ اللهُ ، ثمَّ ذكرَ مِنْ كلامِهِ شيئاً ، وسيأتي كلامُهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ، ويكفيهِ أنَّهُ شمسٌ ظهرَتْ فأضاءَتْ على المشرقِ والمغربِ .

أمَّا مشايخُ الديارِ المصريَّةِ فأكثرُهُم تنتمي خرقتُهُ في التصوُّفِ إليهِ ؛ خصوصاً بلادَ الصعيدِ إلى الملحِ .

ظهرَتْ لهُ الكراماتُ والخوارقُ ؛ فمِنْ كراماتِهِ : ما ذكرَهُ الشيخُ عبدُ الرحيمِ قالَ[3] : سمعتُ شيخَنا أبا مدينٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : أوقفَني ربِّي عزَّ وجلَّ بينَ يديهِ وقالَ : يا شعيبُ ؛ ماذا عن يمينِكَ ؟ قلتُ : يا ربِّ عطاؤُكَ ، قالَ : وماذا عن شمالِكَ ؟ قلتُ : يا ربِّ قضاؤُكَ ، قالَ : يا شعيبُ ؛ ضاعفتُ لكَ

(١) في (ب) : (بفنون الحكم) ، ويحتمله في (أ) .

(٢) وذكر المقَّري في « نفح الطيب » (٧/ ١٣٩) : أنه كان تَرِدُ إليه الفتاوىٰ في مذهب مالك ، فيجيب عنها في الوقت .

(٣) عبد الرحيم : هو ابن حجون ، وستأتي ترجمته في (١/ ٥١٥ـ٥١٧) .

هٰذا ، وقد غفرتُ لكَ هٰذا ، طُوبىٰ لمَنْ رآكَ ، أو رأىٰ مَنْ رآكَ !![1] .

ومنها : ما حكاهُ أبو محمدٍ صالحٌ الدَّكَّاليُّ قالَ : قامَتِ الحربُ بينَ المسلمينَ وبينَ الإفرنجِ مرَّةً بالمغربِ في حياةِ الشيخِ ، وكانَ الإفرنجُ قد ظهرُوا فيها على المسلمينَ ، فأخذَ الشيخُ سيفَهُ وخرجَ إلى الصحراءِ معَ نفرٍ يسيرٍ مِنْ أصحابِهِ وأنا معَهُم ، وجلسَ علىٰ كثيبٍ مِنْ رملٍ ، فإذا بينَ يديهِ خنازيرُ قد ملؤُوا البَرِّيَّةَ مِنْ كثرتِهِم ، فوثبَ الشيخُ حتىٰ صارَ بينَهُم ، واستلَّ سيفَهُ وعلا بهِ رؤوسَ الخنازيرِ ، حتىٰ صرعَ منهُم كثيراً ، وولَّوا بينَ يديهِ هاربينَ ورجعَ ، فسألْناهُ ، فقالَ : هٰؤلاءِ الإفرنجُ قد خذلَهُمُ اللهُ ، وأرضى المؤمنينَ ، فجاءَ الخبرُ بكسرِ الإفرنجِ في الوقتِ .

فلمَّا قدمَ المجاهدُونَ أكبُّوا علىٰ أقدامِ الشيخِ يُقبِّلُونَها ، وأقسمُوا باللهِ العظيمِ أنَّهُ لو لم يكنْ معَهُم بينَ الصفَّينِ لهلكُوا ، وأخبرُوا أنَّهُ كانَ يعلو بسيفِهِ رأسَ الفارسِ مِنَ الإفرنجِ ، وأنَّهُ قتلَ كثيراً وولَّوا هاربينَ[2] .

ومنها : ما ذكرَهُ الشيخُ عبدُ الرزاقِ قالَ : مرَّ شيخُنا أبو مدينٍ في بعضِ قرى المغربِ ، فرأىٰ أسداً قدِ افترسَ حماراً وهوَ يأكلُ فيهِ ، وصاحبُهُ بالبعدِ منهُ يندُبُ بالويلِ مِنَ الفاقةِ .

فجاءَ الشيخُ وأمسكَ بناصيةِ الأسدِ فقادَهُ ذليلاً ، ونادىٰ صاحبَ الحمارِ : اقرُبْ اقرُبْ ، فدنا حتىٰ لَصِقَ بالأسدِ ، فقالَ لهُ الشيخُ : أمسكِ الأسدَ ، فاذهبْ بهِ واستعملْهُ موضعَ حمارِكَ ، قالَ : يا سيِّدي ؛ إنِّي أخافُ منهُ ، قالَ : لا تخفْ منهُ ؛ فإنَّهُ لا يستطيعُ أنْ يُؤذيَكَ ، فمرَّ الرجلُ يقودُ الأسدَ والناسُ ينظرُونَ إليهِ .

(١) أورد هٰذه الكرامة المقَّري في « نفح الطيب » (٧/ ١٣٩) .

(٢) أوردها التادلي في « المعزىٰ في مناقب الشيخ أبي يعزىٰ » (ص١٥١) .

فلمَّا كانَ في آخرِ النهارِ أتىٰ بهِ إلى الشيخِ ، وقالَ : يا سيِّدي ؛ إنِّي شديدُ الخوفِ منهُ ، وإنَّهُ يتبعُني أينَما ذهبتُ ، قالَ : لا بأسَ عليكَ ، قالَ : ما هوَ إلا ذاكَ ، فقالَ الشيخُ للأسدِ : اذهبْ ، ومتىٰ آذَيتُم بني آدمَ سلطتُهُم عليكُم[1] .

ومنها : أنَّهُ كانَ مارّاً يوماً بالساحلِ ، فتعرَّضَ لهُ طائفةٌ مِنَ الإفرنجِ ، وحملُوهُ معَهُم أسيراً إلىٰ سفينةٍ عظيمةٍ ، فإذا فيها جماعةٌ مِنَ المسلمينَ أَسْرىٰ ، فلمَّا استقرَّ الشيخُ فيها مدُّوا قُلُوعَها وعوَّلُوا على السيرِ[2] ، فلم تذهبْ بهِمُ السفينةُ يميناً ولا شمالاً ، ولا تحرَّكَتْ مِنْ مكانِها معَ قوَّةِ الريحِ .

فلمَّا أيقنُوا أنَّهُم لا يقدِرُونَ على المسيرِ ، وخافُوا أنْ يُدرِكَهُمُ المسلمُونَ . . قالَ بعضُهُم لبعضٍ : هٰذا بسببِ هٰذا المسلمِ ، ولعلَّهُ مِنْ أصحابِ السرائرِ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فأشارُوا إلى الشيخِ فأمرُوهُ بالنزولِ ، فقالَ : لا أفعلُ إلا إنْ أطلقتُم كلَّ مَنْ في سفينتِكُم مِنَ المسلمينَ ، فلمَّا علموا أنَّهُم لا بدَّ لهُم مِنْ ذلكَ فعلُوا ، فلمَّا أطلقُوهُم سارَتْ بهِمُ السفينةُ في الحالِ[3] .

ومنها : أنَّهُ كانَ يوماً على الساحلِ يتوضَّأُ وفي إصبَعِهِ خاتَمٌ ، فسقطَ في الماءِ ، فقالَ : يا ربِّ ؛ أريدُ خاتَمي ، فطلعَتْ سمكةٌ في الحالِ وفي فمِها الخاتَمُ فأخذَهُ .

وكراماتُ الشيخِ أكثرُ مِنْ أنْ تُعَدَّ .

قلتُ : وقد ظهرَتْ ينابيعُ الحكمةِ علىٰ لسانِهِ ، ونُقِلَ عنهُ الكلامُ في الطريقِ

(١) أوردها ابن صعد في « النجم الثاقب » (٣/ق٣٢٣) ، والمقري في « نفح الطيب » (٧/ ١٤٠) .

(٢) القُلُوع : جمع قِلْع ؛ وهو شراع السفينة .

(٣) أوردها ابن صعد في « النجم الثاقب » (٣/ق٣٢٣) ، والمقري في « نفح الطيب » (٧/ ١٤٠ـ١٤١) .

والمعارفِ نظماً ونثراً ؛ **فمِنْ كلامِهِ رضيَ اللهُ عنهُ** :

ـ مَنْ سكنَ إلىٰ غيرِ اللهِ بسرِّهِ نزعَ اللهُ الرحمةَ مِنْ قلوبِهِم عليهِ ، وألبسَهُ لباسَ الطمعِ فيهِم[١] .

ـ **علامةُ الإخلاصِ** : أنْ يغيبَ عنكَ الخلقُ في مشاهدةِ الحقِّ[٢] .

ـ بقاءُ الأبدِ في فَنائِكَ عنكَ[٣] .

ـ ثمنُ التصوُّفِ تسليمُ كُلِّكَ[٤] .

ـ الأحوالُ مالكةٌ لأهلِ البداياتِ ؛ فهيَ تُصرِّفُهُم ، ومملوكةٌ لأهلِ النهاياتِ ؛ فهُم يُصرِّفُونَها[٥] .

ـ **التعظيمُ** : امتلاءُ القلبِ بإجلالِ الربِّ[٦] .

ـ هِمَمُ العارفينَ عاكفةٌ علىٰ مولاها[٧] .

ـ لا تكنْ لهُ عبداً ولغيرِهِ فيكَ بقيَّةٌ[٨] .

ـ مَنْ عرفَ أحداً لم يعرفِ الأحدَ ، ما بانَ عنهُ أحدٌ ، ولا اتَّصلَ بهِ أحدٌ ؛ ما بانَ عنهُ مِنْ حيثُ العلمُ ، ولا اتَّصلَ بهِ مِنْ حيثُ الذاتُ[٩] .

(١) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص٢٢٥) ، وهٰذا الشرح لابن علان الصديقي ، وهو ابن عم شارح « الأذكار » و« رياض الصالحين » .

(٢) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص٢٢٦) .

(٣) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص٢٢٩) .

(٤) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص٢٢٩) .

(٥) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص٢٣٢) .

(٦) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص٢٣٦) .

(٧) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص٢٣٧) ، وفيه : (علامة) بدل (عاكفة) .

(٨) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص٢٧١) .

(٩) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص٢٧٢) .

ـ شاهدْهُ بمُشاهدتِهِ لكَ ، ولا تشاهدْهُ بمشاهدتِكَ لهُ[1] .

ـ الجمعُ ما أسقطَ تفرقتَكَ ، ومحا إشارتَكَ ، الجمعُ استغراقُ أوصافِكَ ، وتلاشي نعوتِكَ[2] .

وكلامُهُ في المعارفِ كثيرٌ ، وشرابُهُ منها عذبٌ نَميرٌ ، وإنَّما ذكرْنا هٰذهِ النبذةَ منهُ على وجهِ التبرُّكِ .

ومِنْ نظمِهِ : [من الطويل]

عَجِبْتُ لِأَمْرِي إِذْ تَلَطَّفْتَ فِي أَمْرِي ... وَأَغْنَيْتَنِي بِالْأَمْرِ مِنْكَ عَنِ الْأَمْرِ

إِذَا قُلْتَ لِي كَيْ لا أَقُولَ فَمَا الَّذِي ... أَقُولُ وَقَدْ أَوْضَحْتَ يَا سَيِّدِي أَمْرِي

ظَهَرْتَ لِكَيْ تَخْفَىٰ وَغِبْتَ فَلَمْ تَزَلْ ... عَلِيماً حَلِيماً خَالِقَ النَّفْعِ وَالضَّرِّ

فَإِنْ قُلْتَ تَدْرِي يَا شُعَيْبُ أَقُولُ لَا ... سِوَىٰ أَنَّنِي أَدْرِي بِأَنِّيَ لا أَدْرِي

فَهَا أَنَا صَبٌّ حَاضِرٌ غَائِبٌ مَعاً ... صَمُوتٌ نَطُوقٌ عَاجِزٌ عَارِفٌ قَدْرِي

تُؤَيِّدُنِي فِي كُلِّ حِينٍ وَلَحْظَةٍ ... فَمِنْ أَلِفِ التَّأْيِيدِ سِرُّكَ لِي يَسْرِي

وَبَاؤُكَ فِي تَبْعِيضِ بَعْضِي مُمَدَّةٌ ... فَسِرُّكَ فِي سِرِّي وَجَهْرُكَ فِي جَهْرِي

فَأَنْتَ لِفَقْرِي يَا غَنِيّاً عَنِ الْوَرَىٰ ... فَقَدْ بَانَ مِنْ فَقْرِي لِفَضْلِكُمُ فَقْرِي

بَعَثْتَ لِقَلْبِي مِنْ هَوَاكَ مُنَادِياً ... فَلَمَّا دَعَا لَبَّىٰ وَعِيلَ بِهِ صَبْرِي

تَرَاءَيْتَ لِي فِي سِرِّ حُبِّكَ لِي فَقَدْ ... تَشَاغَلْتُ عن حُبِّي بِحُبِّكَ لِي دَهْرِي

وقالَ أيضاً[3] : [من البسيط]

يَا مَنْ عَلاَ فَرَأَىٰ مَا فِي الْغُيُوبِ وَمَا ... تَحْتَ الثَّرَىٰ وَظَلاَمُ اللَّيْلِ مُنْسَدِلُ

أَنْتَ الْغِيَاثُ لِمَنْ ضَاقَتْ مَذَاهِبُهُ ... أَنْتَ الدَّلِيلُ لِمَنْ حَارَتْ بِهِ الْحِيَلُ

(١) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص١٧١) .

(٢) انظر « شرح الحكم الغوثية » (ص١٥٢) .

(٣) أورد الأبيات اليافعي في « خلاصة المفاخر » (ص١٣٧) .

إِنَّـا قَصَـدْنَـاكَ وَٱلآمَـالُ وَاثِقَـةٌ ... وَٱلْكُـلُّ يَـدْعُـوكَ مَلْهُـوفٌ وَمُبْتَهِـلُ

فَـإِنْ عَفَـوْتَ فَـذُو فَضْـلٍ وَذُو كَـرَمٍ ... وَإِنْ سَطَوْتَ فَأَنْتَ ٱلْحَاكِمُ ٱلْعَدِلُ

تشرَّفَ بمدحِهِ جماعةٌ مِنَ الأكابرِ ؛ **فمِنْ ذلكَ** : هٰذِهِ القصيدةُ **التي أنا** ذاكرُها ، ويُقالُ : إنَّها لأبي أحمدَ الأندلسيِّ[1] : [من الطويل]

تَبَدَّتْ لَنَا أَعْلاَمُ عِلْمِ ٱلْهُدَىٰ صِدْقَا ... فَصَارَ بِشَمْسِ ٱلدِّينِ مَغْرِبُنَا شَرْقَا

وَأَشْـرَقَ مِنْهَـا كُـلُّ مَـا كَـانَ آفِـلاً ... فَأَصْبَحَ نُورُ ٱلسَّعْدِ قَدْ مَلأَ ٱلأُفْقَا

سَقَـى ٱللهُ مِـنْ مَـاءِ ٱلْمَحَبَّـةِ وَابِـلاً ... قُلُوباً بِهِ هَامَتْ وَقُلْ كَيْفَ لاَ تُسْقَىٰ

لَقَـدْ زَهِـدُوا فِيمَـا سِـوَاهُ فَـأَصْبَحَـتْ ... نُفُوسُهُـمُ طُـرّاً تُنَـادِي ٱلـدُّنَـا سُحْقَـا

لَقَدْ غَرِقُوا فِي بَحْرِ حُبِّ إِلٰـهِهِمْ ... فَنَاهِيكَ مِنْ بَحْرٍ وَنَاهِيكَ مِنْ غَرْقَىٰ

إِذَا مَا سَرَتْ لِلسِّرِّ أَسْرَارُ شَوْقِهِمْ ... لِسَيِّـدِهِـمْ زَادُوا لِـرُؤْيَتِـهِ شَـوْقَـا

قُلُوبٌ سَرَتْ نَحْوَ ٱلْهُدَىٰ بِمُعَسْكَرٍ ... فَعَادَتْ سِهَامُ ٱلْحُبِّ تَرْشُقُهَا رَشْقَا

وَجَاءَ مِنَ ٱلتَّوْحِيدِ جَيْشٌ عَرَمْرَمٌ ... فَأَفْنَى ٱلَّذِي يَفْنَىٰ وَأَبْقَى ٱلَّذِي يَبْقَىٰ

هُمُ ٱلْقَوْمُ لاَ يَشْقَىٰ لَدَيْهِمْ جَلِيسُهُمْ ... وَهَلْ أَحَدٌ يَحْظَىٰ بِرُؤْيَتِهِمْ يَشْقَىٰ

أَبَـا مَـدْيَـنٍ دَانَـتْ لِـدِينِـكَ عُصْبَـةٌ ... فَـوَالَيْتَهُـمْ حُبّـاً وَأَدْنَيْتَهُـمْ رِفْقَـا

لَـكَ ٱللهُ يَـا شَمْسـاً أَضَـاءَ بِنُـورِهَـا ... مِنَ ٱلدِّينِ مَا قد كَانَ أَظْلَمَ إِذْ رَقَّا

شَفَيْـتَ قُلُـوباً طَـالَمَـا شَفَّهَـا ٱلظَّمَـا ... فَأَمْطَرْتَهَا مِنْ مَاءِ عِلْمِ ٱلْهَوَىٰ وَدْقَا

وَأَخْـرَجْتَهَـا مِـنْ كُـلِّ جَهْـلٍ وَظُلْمَـةٍ ... فَمَهْمَـا دَجَـا لَيْـلٌ أَلَحْـتَ لَـهُ بَـرْقَـا

وَأَدْخَلْتَهَـا حِصْـنَ ٱلتَّـوَكُّـلِ فَـٱنْثَنَـتْ ... فَأَمْسَكَهَا ذُو ٱلْعِزِّ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ

شَفَيْـتَ بِعِلْـمٍ يَـا شُعَيْـبُ قُلُـوبَنَـا ... فَإِسْمُكَ مِنْ شَعْبِ ٱلْقُلُوبِ قَدِ ٱشْتُقَّا

وَقَدْ كَانَ سُلْطَانُ ٱلْهَوَىٰ قَادَ أَنْفُساً ... فَـأَوْسَعَهَـا ذُلّاً وَعَبَّـدَهَـا رِقَّـا

(١) أورد بعضَ هٰذه القصيدة اليافعيُّ في « خلاصة المفاخر » (ص١٣٧ـ١٣٨) دون نسبة .

فَـأَعْتَقَهَـا مِـنْ رِقِّـهِ بِتَلَطُّـفِ ... فَجُوزِيتَ مِنْ حَبْرٍ مَنَحْتَ ٱلْوَرَىٰ عِتْقَا

إِذَا سَبَقَـتْ بِـٱلْعَـارِفِيـنَ خُيُـولُهُـمْ ... فَخَيْلُكَ فِي ٱلتَّوْحِيدِ قَدْ حازَتِ ٱلسَّبْقَا[1]

وَإِنْ رَكِبُـوا نَحْـوَ ٱلْمَعَـارِفِ مَـرْكَبـاً ... رَكِبْتَ إِلَيْهَا فِي بِحَارِ ٱلْهُدَىٰ شَقَّا

سَمَـوْتَ بِنُـورِ ٱللهِ عَـنْ كُـلِّ نَـاظِـرٍ ... فَصِرْتَ تَرَىٰ فِي ٱلْغَيْبِ مَا لاَ تَرَى ٱلزَّرْقَا[2]

فَـأَنْـتَ إِمَـامُ ٱلْعَـارِفِيـنَ وَنُـورُهُـمْ ... وَمَنْطِقُهُـمْ مَهْمَـا أَرَدْتَ بِهِـمْ نُطْقَـا

عَلَيْـكَ سَـلاَمُ ٱللهِ مَـا ذَرَّ شَـارِقٌ ... وَمَا صَدَحَتْ فِي ٱلأَيْكِ فِي سَحَرٍ وَرْقَا

وَصَلَّىٰ عَلَى ٱلْمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... كَمَا جَاءَ بِٱلْحَقِّ ٱلَّذِي أَظْهَرَ ٱلْحَقَّا

وجدتُ بخطِّ بعضِ الأكابرِ : (قالَ يعقوبُ بنُ يوسفَ بنِ عبدِ الرحيمِ : حدَّثَنا الفقيهُ عبدُ الرحمٰنِ بنُ عبدِ الواسعِ الدَّكَّاليُّ ، حدَّثَنا الشيخُ الصالحُ عليٌّ الشتوليُّ المَرَّاكُشِيُّ بالإسكندريَّةِ قالَ : قالَ لي بعضُ الصالحينَ : رأيتُ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في النومِ ، فأردتُ أنْ أسألَهُ عن بعضِ المشايخِ ، فقلتُ : يا رسولَ الله ؛ ما تقولُ في الشيخِ أبي زيدِ بنِ هبةَ ؟ فقالَ لي : هوَ قابضٌ علىٰ سُنَّتي .

قالَ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما تقولُ في أبي زكريا يحيى الزَّوَاويِّ ؟ قالَ : فقالَ لي : هوَ مُتمسِّكٌ بسُنَّتي .

قالَ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما تقولُ في الشيخِ عليِّ بنِ حَرَازِمَ ؟ قالَ : فقالَ لي : هوَ مِنَ المجتهدينَ .

قالَ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما تقولُ في الشيخِ أبي يعزىٰ ؟ قالَ : فقالَ لي : هوَ خادمُ الصالحينَ .

(١) قوله : (حازت) أشار في الأصل إلىٰ جواز ضبطها بالحاء والجيم .

(٢) الزرقا : هي زرقاء اليمامة ، قيل : إنها تبصر الشيء من ثلاثة أيام ، وفي المثل : (أبصرُ من زرقاء اليمامة) ، وأخبارها في كتب الأدب كثيرة .

قالَ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما تقولُ في الشيخِ أبي مَدْينٍ ؟ قالَ : فقالَ لي : هوَ شيخُ الشيوخِ .

قالَ : قلتُ : يا رسولَ اللهِ ؛ ما تقولُ في الشيخِ أبي محمدٍ صالحِ الدَّكَّاليِّ ؟ قالَ : فقالَ لي : هوَ شيخُ الواصلينَ إلينا ، جزاهُ اللهُ عنَّا خيراً)[1] .

بعثَ إليهِ أميرُ المؤمنينَ بالمغربِ في ذلكَ الوقتِ يسألُهُ الحضورَ إليهِ ليتبرَّكَ بهِ ويجتمعَ بهِ ويأخذَ عنهُ ، فلمَّا وصلَ إلىٰ تِلِمْسانَ قالَ : ما لنا وللسلطانِ ؟! الليلةَ نزورُ الإخوانَ ، ثمَّ نزلَ واستقبلَ القبلةَ ، وقالَ : ها قد جئتُ ، ها قد جئتُ ، وعجلتُ إليكَ ربِّ لترضىٰ .

وقيلَ : إنَّهُ كانَ يقولُ قبلَ وفاتِهِ : اللهُ الحيُّ ، اللهُ الحيُّ .

وتُوفِّيَ بتِلِمْسانَ سنةَ تسعينَ وخمسِ مئةٍ[2] .

* * *

(١) انظر « المعزىٰ في مناقب الشيخ أبي يعزىٰ » (ص١٦٠) .

(٢) انظر ترجمته في « التشوف لمعرفة رجال التصوف » (ص٣١٩) ، و« نفح الطيب » (٧/ ١٣٦ـ١٤٤) ، وأفرده بالترجمة ابن قنفذ في « أنس الفقير وعز الحقير » ، وذكر في « وفياته » (ص٢٩٧) أنه توفي سنة (٥٩٤هـ) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ الشريفُ العارفُ أبو محمدٍ عبدُ الرحيمِ بنُ أحمدَ بنِ حَجُّونَ القِنائيُّ الحسينيُّ]

الشريفُ أبو محمدٍ عبدُ الرحيمِ بنُ أحمدَ بنِ حَجُّونَ بنِ محمدِ بنِ حمزةَ بنِ جعفرِ بنِ إسماعيلَ بنِ جعفرِ بنِ محمدِ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ محمدٍ ـ المأمونِ المعروفِ بـ (الديباجِ) ـ ابنِ جعفرٍ الصادقِ بنِ محمدٍ الباقرِ بنِ عليِّ زينِ العابدينَ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

هكذا نقلَها لي عزُّ الدينِ حفيدُ حفيدِهِ ضياءِ الدينِ[1] .

صحبَ الشيخَ أبا مدينٍ ، وكانَ صحبَ الشيخَ أبا النَّجا وغيرَهُما مِنَ الصلحاءِ والعلماءِ[2] ، فأمرَهُ الشيخُ أبو مدينٍ أنْ يسافرَ إلىٰ بلادِ المشرقِ لينفعَ الناسَ ، فقدمَ الديارَ المصريَّةَ واستقرَّ بقِنا ، وانتفعَ بهِ جماعةٌ مِنَ الصلحاءِ ، ويكفيهِ أنَّ مِنْ جملةِ أصحابِهِ الشيخَ أبا الحسنِ ابنَ الصبَّاغِ .

وكانَ مُنطَّقاً بالحكمةِ ، ولهُ كلامٌ في المعارفِ ؛ فمنها : قولُهُ : (وجدْنا الدُّنيا كلَّها ظُلْمةً ليسَ فيها طريقٌ إلا العلمُ) .

(١) وذكر بعضَ هٰذا النسب الإمامُ الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٤٢/ ٩٧) ، ثم قال : (كذا في نسب حفيده شيخنا ضياء الدين بن عبد الرحيم الشافعي ، فالله أعلم بصحَّة ذلك ، فكأنه قد سقط منه جماعة) ، وهو كما قال ، وجاء هنا وفي « الوافي بالوفيات » (١٨/ ١٩٣) على التمام .

(٢) كسيدي أبي يعزىٰ رحمه الله تعالى . انظر « المعزىٰ في مناقب الشيخ أبي يعزىٰ » (ص١٨٩) .

وقالَ بعضُ أصحابِهِ : سمعتُهُ يقولُ فيما يُروىٰ عنِ الرسولِ : « فَقِيهٌ أَشَدُّ عَلَى ٱلشَّيْطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ »[1] : الفقيهُ هوَ الذي لا ينالُ منهُ الشيطانُ شيئاً .

وقالَ : (وقتُكَ أعزُّ الأشياءِ ، فاشغلْهُ بأعزِّ الأشياءِ ؛ وهوَ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ) .

وقالَ : (لا يستطيعُ أحدٌ أنْ يُحصِيَ ما يقعُ عليهِ نظرُ القلبِ عندَ الكشفِ) .

وقالَ : (الوليُّ قد يكونُ في السوقِ معَ الناسِ مِنْ قبلِ أنْ يُفتَحَ لهُ وهوَ لا يدري ما لهُ ، وما مثالُهُ إلا كاليتيمِ لهُ مالٌ عندَ الوصيِّ لا يشعرُ بهِ ، فتراهُ مُنكسِراً ذليلاً ، ولو علمَ ما لهُ لم يحزنْ ، فإذا بلغَ وقتَ ذلكَ أُعطِيَهُ ، فكذلكَ الوليُّ) ، وقالَ : (وقد يكونُ الوليُّ أيضاً مُخلِّطاً ، ثمَّ ينتقلُ عن ذلكَ) .

وقالَ : (أدبُ الباطنِ يحصلُ في لحظةٍ ، وأدبُ الظاهرِ يحتاجُ إلىٰ زمانٍ طويلٍ) .

وقيلَ : إنَّهُ لمَّا قرُبَتْ نقلتُهُ قرأَ القارئُ بينَ يديهِ يومَ الجمعةِ في الميعادِ آيةً فيها ذكرُ الجنةِ ، فقالَ الشيخُ : (إنَّ داراً يقدَمُ إليها الأنبياءُ والأولياءُ لا يُكرَهُ القدومُ عليها) ، فما صلَّىٰ بعدَها جمعةً ثانيةً .

وقيلَ : إنَّهُ لمَّا حضرَتْهُ الوفاةُ كانَ بعضُ أصحابِهِ حاضراً ، فقالَ لهُ الشيخُ : اخرجِ ارقُبِ الفجرَ ، فخرجَ فنظرَ ، ورجعَ إلى الشيخِ فأخبرَهُ بطلوعِ الفجرِ ، فصلَّىٰ ركعتَيِ الفجرِ وصلَّى الصبحَ ، ثمَّ قالَ : (لا إلٰهَ إلا اللهُ الملكُ الحقُّ المبينُ) .

(١) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٦١٦٢) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٩٢) ، والبيهقي في « الشعب » (١٥٨٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

تُوفِّيَ في شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ سنةَ اثنتينِ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ ، هٰكذا ذكرَ الشيخُ زكيُّ الدينِ[١] ، وذكرَ علمُ الدينِ المنفلوطيُّ في « رسالتِهِ »[٢] : أنَّهُ ماتَ يومَ الجمعةِ تاسعِ صفرٍ مِنَ السنةِ المذكورةِ[٣] ، ودُفِنَ بقِنا ، وقبرُهُ ثَمَّ يُزارُ ويُتبرَّكُ بهِ[٤] .

* * *

(١) التكملة لوفيات النقلة (١/ ٢٤٩) ، وفيه : أنه مات في أحد الربيعين دون تعيين .

(٢) انظر ما كتبناه عن علم الدين المنفلوطي و« رسالته » هٰذه في (١/ ٥٥٢) ، وعلم الدين ستأتي ترجمته في (٢/ ٣٧) .

(٣) وذكر صاحب « الطالع السعيد » (ص١٥٨) أنَّ قول المنفلوطي هو الصواب .

(٤) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (١/ ٢٤٩) ، و« المعزىٰ في مناقب الشيخ أبي يعزىٰ » (ص١٨٩ـ١٩٢) ، و« الطالع السعيد » (ص١٥٦ـ١٥٩) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ قاضي القضاةِ أبو العباسِ وأبو جعفرٍ أحمدُ بنُ عبدِ الرحمٰنِ بنِ محمدِ بنِ سعيدِ[1] بنِ مَضَاءِ بنِ مهنَّدِ بنِ عميرٍ اللَّخْميُّ

سمعَ : مِن ابنِ أَصْبَغَ المعروفِ بـ (ابنِ المناصفِ) ، وأبي بكر المَعافِريِّ[2] ، والرَّشاطيِّ ، وأبي القاسمِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ أحمدَ بنِ خلفِ بنِ رضاً القرطبيِّ ، وأقرانِهم .

وكانَ ماهراً في علمِ النحوِ والأصلَينِ والحسابِ والهندسةِ ، وليَ القضاءَ بمدينةِ فاسٍ ، ثم ببِجَايةَ ، ثمَّ بتونسَ ، ثمَّ وليَ قضاءَ الجماعةِ بمَرَّاكُشَ ، ثمَّ أُعفِيَ عن ذلكَ لعُلُوِّ سنِّهِ ، وأقبلَ علىٰ نشرِ العلمِ .

ولهُ مِنَ التصانيفِ الكثيرُ الممتعُ : « المشرقُ في إصلاحِ المنطقِ » ، وهوَ لبابُ « كتابِ سيبويهِ » ، وكتابُ « تنزيهِ القرآنِ عمَّا لا يليقُ بالبيانِ » ، وغيرُ ذلكَ مِنَ الكتبِ .

وجدُّهُ مَضاءُ بنُ المهنَّدِ ذكرَ بعضُهُم أنَّهُ كانَ رئيسَ جيَّانَ وأحدَ عبادِ اللهِ الصالحينَ .

وُلِدَ بقرطبةَ ليلةَ عيدِ الفطرِ سنةَ ثلاثَ عشرةَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الثاني والعشرينَ مِنْ جمادى الآخرةِ[3] سنةَ اثنتينِ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ بإشبيليةَ ، ودُفِنَ بمقابرِ السادةِ[4] .

(١) زاد الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٤٢/ ٨٢) : (ابن حريث) ، وفي « تكملة الصلة » لابن الأبار (١/ ٧٩) : (سعيد بن حريث بن عاصم) .

(٢) هو القاضي أبو بكر ابن العربي .

(٣) وفي « تكملة الصلة » (١/ ٨٠) : (الأولىٰ) ، وذكر ما أثبته المؤلف قولاً ثانياً .

(٤) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (١/ ٢٥٤) ، و« تكملة الصلة » (١/ ٧٩ـ٨٠) ، و« الديباج المذهب » (ص٤٧) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ الخطيبُ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ منصورِ بنِ مُسلَّمٍ الشافعيُّ المصريُّ المعروفُ بـ (العراقيِّ)

إمامُ تاجِ الجوامعِ مسجدِ عمرِو بنِ العاصِ بمصرَ والخطيبُ بهِ ، كانَ أحدَ الفقهاءِ المُدرِّسينَ ، والصلحاءِ المعتبرينَ ، والأكابرِ الورعينَ .

رحلَ إلىٰ بغدادَ ، ودَرَسَ علىٰ جماعةٍ ؛ منهُم : محمدُ بنُ الحسينِ بنِ عمرَ الأُرْمَوِيُّ أحدُ أصحابِ الشيخِ أبي إسحاقَ الشِّيرازيِّ ، وأبو الحسنِ محمدُ بنُ المباركِ ابنِ الخَلِّ البغداديُّ[1] ، وتفقَّهَ أيضاً بمصرَ : على القاضي أبي المعالي مُجلِّي بنِ جُميعٍ الشافعيِّ صاحبِ « الذخائرِ » .

وكانَ ببغدادَ يُسمَّى : المصريَّ ، فلمَّا قدمَ إلىٰ مصرَ سُمِّيَ : العراقيَّ .

صنَّفَ التصانيفَ ، ولهُ « التعليقةُ » المفيدةُ[2] .

ومِنْ مناقبِهِ : أنَّهُ شهرَ سيفَ الحقِّ ، وأطلقَ لسانَهُ بكلامِ الصدقِ ، حينَ أفتىٰ في المبتدعةِ مِنَ المَرازقةِ والكِيزانيِّينَ بالفتاوى الآتي ذكرُها ، رحمَهُ اللهُ[3] .

وُلِدَ سنةَ عشرٍ وخمسِ مئةٍ ، ولم يزلْ خطيباً وإماماً بجامعِ مصرَ إلىٰ أنْ ماتَ

(١) وهو أول من شرح كتاب « التنبيه » لأبي إسحاق الشيرازي .

(٢) لعله يقصد « شرحه على المهذب » للإمام الشيرازي ، وهو شرح حسن مفيد في حدود عشرة أجزاء .

(٣) انظر (٢/٤٦٦ـ٤٧٤) .

رحمَهُ اللهُ ، وتُوفِّيَ في جُمادى الآخرةِ سنةَ ستٍّ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ[1] .

* * *

(١) ذكر ابن السبكي في « الطبقات » أنه توفي في أحد الجمادين ، وفي المصادر التي وقفت عليها ـ ما عدا « مشيخة ابن الجميزي » ـ أنه توفي في جمادى الأولى من السنة المذكورة ، وانظر « وفيات الأعيان » (١/ ٣٣ـ٣٤) ، و« مشيخة ابن الجميزي » (ق/ ١٩ـ٢٠) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٧/ ٣٧ـ٣٩) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ شيخُ الفقهاءِ وإمامُ العلماءِ فريدُ دهرِهِ ووحيدُ عصرِهِ شهابُ الدينِ أبو الفتحِ محمدُ بنُ محمودِ بنِ محمدٍ الطُّوسيُّ الشافعيُّ

تفقَّهَ على جماعةٍ مِنْ أصحابِ أبي حامدٍ الغزاليِّ ؛ منهُمُ : الإمامانِ أبو سعدٍ محمدُ بنُ يحيى النيسابوريُّ ، وأبو الفتحِ محمدُ بنُ الفضلِ الطُّوسيُّ ، وغيرُهُما .

قدمَ مصرَ فنشرَ العلمَ بها ، ودرَّسَ بمنازلِ العزِّ[1] ، وكانَ مُعظَّماً عندَ الخاصَّةِ والعامَّةِ ، ومُبجَّلاً بدارِ السلامِ ، وعندَ خلفاءِ الإسلامِ ، وعليهِ مدارُ الفتوى في الآفاقِ ، معمولٌ بها في مصرَ والعراقِ .

انتفعَ بهِ جماعةٌ وتخرَّجُوا بهِ ؛ منهُمُ : الشيخُ الإمامُ بهاءُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ الجُمَّيزيِّ[2] ، والقاضي الإمامُ عمادُ الدينِ بنُ السُّكَّريِّ .

وكانَ يعظُ الناسَ ، ويجلسُ على كرسيِّ التذكيرِ .

ومِنْ مناقبِهِ : ما أفتى بهِ في أهلِ البدعِ مِنَ المرازقةِ والكِيزانِيِّينَ ، وسيأتي ذكرُ ذلكَ في موضعِهِ إنْ شاءَ اللهُ[3] .

ويُقالُ : إنَّهُ وعظَ الناسَ يوماً فطابَ وقتُهُ ، فقالَ : هٰذا وقتٌ لو أذنَ اللهُ

(١) من أحسن مدارس مصر في الزمن الغابر ، وكانت مطلة على النيل . انظر الكلام عن هٰذه المدرسة في « المواعظ والاعتبار » (٢/ ٤٢٦) .

(٢) انظر « مشيخة ابن الجميزي » (ق/ ٢٤ـ٢٥) .

(٣) انظر (٢/ ٤٦٧) .

للطيرِ أنْ تسمعَ فيهِ لاستمعَتْ ، فطارَتْ حمامةٌ ووقعَتْ بينَ يديهِ ، فتقلَّبَتْ وماتَتْ .

كانَ لهُ النظمُ الحسنُ ، والنثرُ الذي حُلَّتُهُ الفصاحةُ واللَّسَنُ[1] ، وحَلَّتُهُ رياضٌ جادَتْها سحائبُ الفِطَنِ .

فمِنْ نظمِهِ : ما قالَهُ في الخليفةِ الناصرِ لدينِ اللهِ[2] : [من الطويل]

لَقَدْ صِيغَ فِي صَدْرِ ٱلْخِلاَفَةِ سَيِّدٌ مِنَ ٱلْحِلْمِ وَٱلإِفْضَالِ وَٱلْعِلْمِ وَٱلنُّهَىٰ
لَـهُ عِنْـدَ بَـثِّ ٱلْمَكْـرُمَـاتِ لَطَـائِـفٌ تُرِيكَ ضِيَاءَ ٱلشَّمْسِ أَخْفَىٰ مِنَ ٱلسُّهَا

ولهُ أيضاً[3] : [من الطويل]

طَلَعْـتُ عَلَـىٰ بَغْـدَادَ وَٱلْعِلْـمُ طَـالِـعٌ كَمَا طَلَعَتْ شَمْسٌ مِنَ ٱلسَّرَطَانِ
وَمِصْـرُ كَجَـدْيٍ مَنْـزِلٌ لِهُبُـوطِـهِ كَذَا ٱلْحُرُّ فِي ٱلْحَالَيْنِ لِلْحَدَثَانِ[4]

وُلِدَ سنةَ اثنتينِ وعشرينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في ذي القَعْدةِ سنةَ ستٍّ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ[5] .

* * *

(١) **اللَّسَن** : الفصاحة والبيان .

(٢) أورد البيتين ابن الجميزي في « مشيخته » (ق/ ٢٤) ، وفيها : (من الحكم) بدل (من الحلم) .

(٣) أورد البيتين ابن الجميزي في « مشيخته » (ق/ ٢٤) ، وابن السبكي في « طبقاته » (٦/ ٤٠٠) .

(٤) في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » : (كجديي ، الحوت) بدل (كجدي ، الحر) .

(٥) انظر « مشيخة ابن الجميزي » (ق/ ٢٤ـ٢٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/ ٣٩٦ـ٤٠٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢١/ ٣٨٧ـ٣٨٩) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ أبو المنصورِ ظافرُ بنُ الحسينِ الأَزْديُّ والأَسْديُّ - بالسينِ والزايِ - الإسْكَندرانيُّ المولدِ المصريُّ الوفاةِ والدارِ

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ على الإمامِ أبي طالبٍ المعروفِ بـ(ابنِ بنتِ مُعافىً) ، وتولَّى التدريسَ بالمدرسةِ الناصريَّةِ الصلاحيَّةِ المجاورةِ للجامعِ [العتيقِ] بمصرَ ، وهوَ ممَّنْ وُضِعَتِ المدرسةُ على اسمِهِ ، ولم يزلْ بها إلىٰ حينِ وفاتِهِ .

انتفعَ بهِ خلقٌ كثيرٌ ، ونشرَ اللهُ بهِ علماً جمّاً ، وتخرَّجَ بهِ جماعةٌ مِنَ الشافعيَّةِ والمالكيَّةِ ، وكانَ يُدرِّسُ في أوَّلِ النهارِ ، ثمَّ يجيءُ بعدَ الظهرِ للمناظرةِ إلى العصرِ ، ويأخذُ درساً بعدَ العصرِ ، ثمَّ يجلسُ بالجامعِ للمناظرةِ بينَ العشاءَينِ ، أوقاتُهُ معمورةٌ بالاشتغالِ ولهُ أشغالٌ .

ومِنْ مناقبِهِ : فُتياهُ التي أذكرُها في المرازقةِ والكِيزانيِّينَ ، وإظهارُهُ ما يجبُ عليهِم[1] .

وُلِدَ في جمادى الآخرةِ سنةَ سبعَ عشرةَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ ليلةَ الخامسَ عشرَ في جمادى الآخرةِ سنةَ سبعٍ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ[2] .

* * *

(١) انظر (٢/ ٤٦٨) .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (١/ ٣٨٧ـ ٣٨٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٢/ ٢٨٤) .

ومنهُمُ :

الفقيهُ الإمامُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ خلفِ بنِ معزوزِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ الكُوميُّ المحموديُّ اليَشْرُوسيُّ التِّلِمْسانيُّ المالكيُّ[1]

كانَ مُدرِّساً بمِنْيةِ بني خَصيبٍ مِنْ صعيدِ مصرَ ، وعارفاً بالأصولَينِ والحديثِ ، وكانَتْ تقدَّمَتْ لهُ وجاهةٌ عندَ صاحبِ المغربِ ، فآثرَ الزهدَ على الدنيا ، ورحلَ إلىٰ مصرَ ، فاشتغلَ بالإسكندريَّةِ على ابنِ بنتِ مُعافىٰ ، وحجَّ وجاورَ بمكَّةَ سنينَ ، وحدَّثَ عن شُهْدةَ وطبقتِها ، وأقامَ بمِنْيةِ بني خَصيبٍ ، ولم يزلْ مُدرِّساً بها إلىٰ حينِ وفاتِهِ .

المحموديُّ : نسبةٌ إلىٰ بني محمودٍ مِنْ كُوميةَ ، واليشروسيُّ : فخذٌ مِنْ بني محمودٍ .

مولدُهُ علىٰ ما أخبرَ بهِ ولدُهُ أبو القاسمِ سنةَ اثنتينِ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الرابعِ والعشرينَ مِنْ رجبٍ سنةَ تسعٍ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ[2] .

* * *

(١) في « التكملة لوفيات النقلة » (١/٤٥٩) : (الفَنْـَروسي) بدل (اليشروسي) ، ومثل ذلك في الموضع الآتي .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (١/٤٥٩-٤٦٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٢/٤٠٢-٤٠٣) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ الوليُّ والقطبُ العارفُ الزكيُّ
أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ القرشيُّ

مِنْ أقرانِ الشيخِ أبي مَدينٍ وأصحابِهِ .

صحبَ جماعةً مِنَ الأكابرِ ، ورأىٰ جماعةً مِنَ المشايخِ ، قالَ الشيخُ أبو عبدِ اللهِ القرشيُّ : (صحبتُ جماعةً مِنَ المشايخِ نحوَ ستِّ مئةِ شيخٍ ، اقتديتُ منهُم بأربعةٍ : أبي الربيعِ المالَقيِّ ، وأبي العباسِ الجُوريِّ ، والشيخِ أبي زيدٍ ، والشيخِ أبي عبدِ اللهِ بنِ طريفٍ)[1] .

ذكرَ الشيخُ أبو العبَّاسِ القَسْطَلانيُّ[2] : أنَّ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ ممَّنْ صحبَ الشيخَ أبا مدينٍ ، قالَ : قالَ الشيخُ أبو عبدِ اللهِ القرشيُّ : دخلتُ على الشيخِ أبي مدينٍ ببِجَايةَ ، قالَ : وانتفعتُ بهِ ، وكانَ يَصِلُني بِبِرِّهِ ، وكانَتْ لهُ العبارةُ في العلمِ ، والهمَّةُ في الحالِ ، فقالَ يوماً : بمَنْ تجتمعُ مِنْ أصحابِنا ؟ فقلتُ لهُ : أنا وحدي ما فيَّ وُسْعٌ لغيري ، وكانَ أصحابُ الشيخِ أبي مدينٍ يجتمعُونَ ويتباينُونَ ، وكنتُ أنا ضعيفاً آوي بالليلِ إلىٰ سورِ المدينةِ .

وحُكِيَ مِنْ جملةِ أخبارِ الشيخِ أبي عبدِ اللهِ وإنجادِهِ معَ الشيخِ أبي مَدينٍ :

(١) أورده التادلي في « المعزىٰ في مناقب الشيخ أبي يعزىٰ » (ص١٩٣) ، واللفظ فيه : (اقتديت منهم بأربعة : أبو يزيد القرطبي ، وأبو الربيع سليمان بن عمر المالقي ، وأبو العباس أحمد ابن عطاء الله بن العريف الطنجي المري الخزرجي ، وأبو إسحاق إبراهيم بن طريف) ، وأورده المقَّري في « نفح الطيب » (٢/ ٥٤) مع اختلاف يسير في الأسماء .

(٢) ستأتي ترجمته في (١/ ٦١٠ـ٦١١) .

أنَّ الشيخَ أبا مدينٍ قَلِقَ ذاتَ ليلةٍ مِنْ حجرٍ أحسَّ بهِ تحتَ جنبِهِ قد أقلقَهُ ، فقامَ فلم يجدْ شيئاً ، فأرسلَ إلى الشيخِ أبي عبدِ اللهِ القرشيِّ : هل تجدُ تحتَ جنبِكَ حجراً ؟ فإذا الشيخُ أبو عبدِ اللهِ القرشيُّ نائمٌ وتحتَ جنبِهِ حجرٌ قد أقلقَهُ ، فبعثَ بهِ إلى الشيخِ .

ومِنْ كلامِهِ : (كيفَ يفلحُ مَنْ يُقيمُ الأيامَ بلِ الأعوامَ لا يخطرُ ببالِهِ أنَّ اللهَ يراهُ ؟!) .

وقالَ : (مَنْ أدركَ حالاً مِنْ مقامٍ أُعطِيَ مِنْ جميعِ المقاماتِ ، ومِنْ لم يأنفْ مِنْ مشاركةِ الأضدادِ في الانتسابِ فهوَ خسيسُ الهمَّةِ) .

ـ الفقيرُ الصادقُ رحمةٌ للخلقِ .

ـ مَنْ لم يكنْ في قلبِهِ شاهدٌ يستحي منهُ في حركاتِهِ . . لم يتمَّ لهُ أمرٌ .

ـ العالِمُ يدعوكَ مِنَ الجهلِ إلى العلمِ ، ومِنَ الغفلةِ إلى الذكرِ ، ومِنَ المعصيةِ إلى الطاعةِ .

ـ العاقلُ كلَّما اختبرتَهُ زادَ حُسنُهُ وجمالُهُ ، والجاهلُ كلَّما اختبرتَهُ ظهرَ نقصُهُ واختلالُهُ .

ـ مَنْ لم يُصفِهِ القرآنُ بحسنِ الخُلُقِ لم تأمنْ عليهِ التغيُّرَ .

ـ مَنْ جرىٰ في توحيدِهِ علىٰ مُعتادِ العرفِ لم يثبتْ لهُ إيمانٌ[1] .

ومِنْ كراماتِهِ : أنَّهُ كانَ يُلقِّبُ أصحابَهُ في بدايتِهم ؛ فيقولُ لأبي الطاهرِ : يا خطيبُ ، ويقولُ للقاضي عمادِ الدينِ بنِ السُّكَّريِّ : يا قاضي ، ويقولُ لأبي العباسِ بنِ القَسْطَلانيِّ : يا مُدرِّسُ ، وكلٌّ منهُم حصلَ لهُ ما كانَ الشيخُ يُلقِّبُهُ بهِ .

ويُحكىٰ : أنَّهُ تزوَّجَ بنتَ رئيسٍ مِنْ رؤساءِ العصرِ رغبَتْ فيهِ ، فلمَّا كانَ الليلُ دخلَتْ عليهِ وحدَها ، فنظرَتِ المكانَ الذي هوَ فيهِ ، فرأتْ مجلساً

(١) ذكر كثيراً من كلامه التقي المقريزي في « المقفى الكبير » (٥/ ٧١ـ ٧٥) .

مفروشاً بأنواعِ الفُرُشِ ، وشُموعاً مُوقدةً ، وفواكهَ كثيرةً ، ورجلاً كأحسنِ ما يُرىٰ مِنَ الرجالِ صورةً وبهاءً وجمالاً ؛ ليسَ بهِ داءٌ ولا ابتلاءٌ[1] .

فرجعَتْ خارجةً مِنَ القاعةِ ، وأرسلَتْ إليهِ : ما هٰذهِ الحالُ ؟! فقالَ : إنَّكِ رغبتِ فيَّ ، وإنِّي خشيتُ أنْ تجتمعي بي علىٰ تلكَ الحالِ فتنفرِي .

فأرسلَتْ إليهِ : إنِّي لم أرغبْ في القربِ منكَ إلا لما كنتَ عليهِ مِنَ الحالِ الأولىٰ ، فأرسلَ إليها : أنِ احضُري تجدي ما طلبتِ ، فحضرَتْ فوجدَتِ الشيخَ علىٰ حالِهِ .

وهٰذهِ نظيرُ حكايةِ ذي النونِ المصريِّ رضيَ اللهُ عنهُ التي ذكرَها القشيريُّ[2] .

وحكىٰ بعضُ خُدَّامِهِ قالَ : سافرتُ معَهُ في طريقِ الحجازِ ، فطالَتِ الطريقُ عليَّ ، فعارضَني الشيطانُ ، فقلتُ في نفسي : هٰذا الشيخُ قادرٌ علىٰ أنْ يصلَ إلىٰ مكَّةَ مِنْ غيرِ أنْ أكونَ معَهُ إنْ كانَتْ لهُ حالٌ معَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، فأنا أُفارِقُهُ ، فإنْ كانَتْ لهُ حالةٌ فهيَ تُوصِلُهُ ، وإنْ لم تكنْ فقدِ استرحتُ مِنْ خدمتِهِ .

فتركتُهُ حتىٰ نامَ تحتَ شجرةٍ ، فهربتُ ولم أستأذنْهُ ، فلمَّا دخلتُ إلىٰ مكَّةَ كانَ في جملةِ مَنْ خرجَ وتلقَّى الركبَ مِنَ المقيمينَ بمكَّةَ ، فسألتُ مَنْ حولَهُ ، فقالَ : إنَّ الشيخَ لهُ أيامٌ بمكَّةَ ، وعدُّوا أياماً أوَّلُها يومُ مفارقتي لهُ ، فجئتُ إليهِ مُستغفِراً ، فقالَ : يا ولدي ؛ أُمِرْنا بسلوكِ الأدبِ في لزومِ العاداتِ ، واللهُ الحاملُ لي ولكَ .

ومِنْ كراماتِهِ : أنَّهُ مرَّ يوماً في الجامعِ ومعَهُ أصحابُهُ ، وكانَ دخلَ مِنْ بابِ المعزولتينِ[3] ، فقالَ : إنِّي أجدُ رائحةَ الحشوِ مِنْ هنا ، وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ

(١) وكان رحمه الله أعمىٰ وأجذمَ وأبرصَ لا ترضىٰ بمثله النساء .

(٢) انظر « لواقح الأنوار في طبقات الأخيار » (١/ ١٥٩ـ١٦٠) .

(٣) كذا رُسمت الكلمة وعُجمت في (أ) ، وفي (ب) : (المعزولين) .

مكفوفَ البصرِ ، فنبشَ أصحابُهُ في الجهةِ التي أشارَ إليها الشيخُ ، فوجدُوا شخصاً كانَ معروفاً بذلكَ جالساً في زاويةِ عمرٍو .

وحُكِيَ : أنَّهُ مالَ جدارٌ في دارِهِ التي بمصرَ بزُقاقِ الطبَّاخِ ، ويُعرَفُ قديماً ببني عبدِ الحكمِ ، فحضرَ إليهِ مهندسٌ ، فذكرَ أنَّ الجدارَ يُخشىٰ سقوطُهُ ، وقالَ : واللهِ يا سيِّدي ؛ ما يمسكُهُ إلا اللهُ تعالىٰ ، فقالَ الشيخُ : لا نهدمُ شيئاً يمسكُهُ اللهُ تعالىٰ[1] ، فلم يَزَلِ الجدارُ في الدارِ مائلاً على الحالةِ التي تركَهُ الشيخُ عليها مُستمسِكاً إلىٰ زماننا ، وانهدمَ جميعُ ما حولَ الدارِ وبقيَتْ إلى الآنَ ، وذلكَ ببركةِ آثارِهِ رضيَ اللهُ عنهُ .

وذكرَتْ زوجةُ الشيخِ أبي عبدِ اللهِ قالَتْ : سمعتُهُ يردُّ السلامَ سبعَ مراتٍ لم أرَ مَنْ يردُّ عليهِ ، كلَّ مرَّةٍ يقولُ : عليكُمُ السلامُ ، فقلتُ : يا سيِّدي ؛ مَنْ هـٰؤلاءِ ؟ فقالَ : أحدُهُمُ الخضرُ ، ثمَّ سكتَ .

وسُئِلَ عن حالِهِ في مرضِ موتِهِ وقدِ اشتدَّ بهِ القلقُ ، فقالَ : بنعمةٍ مِنَ اللهِ ، ثمَّ فاضَتْ عيناهُ ، فلمَّا قرُبَتْ وفاتُهُ قالَ : حوِّلُوني إلى القبلةِ ، فحوَّلُوهُ إلى القبلةِ ، ولم يزلْ لسانُهُ يذكرُ اللهَ حتىٰ خرجَتْ روحُهُ .

تُوفِّيَ في سادسِ ذي الحجَّةِ سنةَ تسعٍ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ ، وصُلِّيَ عليهِ بالمسجدِ الأقصىٰ ، رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ[2] .

* * *

(١) كتب أسفل (شيئاً) في (أ) : (جداراً) ، وفي (ب) : (لا يُهدمُ جدار) .

(٢) انظر « المعزىٰ في مناقب الشيخ أبي يعزىٰ » (ص١٩٢ـ١٩٧) ، و« مرآة الجنان » (٣/ ٤٩٧) ، و« نفح الطيب » (٢/ ٥٤ـ٥٧) ، وذكر ابن خلكان في « الوفيات » (١/ ١٩٠) أنَّ تلميذه أبا العباس القسطلاني جمع جميع كلامه وما كان يصدر منه في مجلد كبير ، وأورد له اليافعي في « روض الرياحين » (ص٥٧٧ـ٥٧٨) عقيدة مختصرة متينة .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ وحيدُ الدينِ محمدُ بنُ محمودٍ المَرْوزُوذيُّ الفقيهُ الشافعيُّ

كانَ إماماً عالماً فاضلاً ورعاً ، قالَ ابنُ الأثيرِ : (وهوَ الذي كانَ سبباً في عودِ غياثِ الدينِ شافعيّاً ، وكانَ غياثُ الدينِ مِنَ الفزاريَّةِ)[1] .

* * *

(١) الكامل في التاريخ (١٠/١٦٨) ، وقوله : (من الفزارية) كذا في نسختينا ، وفي « الكامل » أنه كان من الكرامية ، وكانت وفاته في رجب سنة (٥٩٩هـ) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤٢/٤١٤-٤١٥) ، و« التكملة لوفيات النقلة » (١/٤٦١) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ ركنُ الدينِ أبو الفضلِ بنُ محمدِ بنِ العراقيِّ القَزْوينيُّ المعروفُ بـ (الطاوُسيِّ)

كانَ إماماً عالماً مُناظِراً مِحْجاجاً ، قيِّماً بعلمِ الخلافِ ماهراً فيهِ ، اشتغلَ بهِ على الشيخِ رضيِّ الدينِ النيسابوريِّ ، وصنَّفَ ثلاثَ تعاليقَ في الخلافِ ؛ مختصرةً ، وثانيةً ، وثالثةً مبسوطةً .

واجتمعَ عليهِ الطلبةُ بهَمَذَانَ ، وقُصِدَ مِنَ البلادِ البعيدةِ والقريبةِ للاستفادةِ ، وبنىٰ لهُ الحاجبُ جمالُ الدينِ مدرسةً بهَمَذَانَ تُعرَفُ بـ (الحاجبيَّةِ) .

تُوفِّيَ بهمذانَ في رابعَ عشرَ جمادى الآخرةِ سنةَ ستٍّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٣/ ٢٥٨ـ ٢٥٩) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٤٦) .

ومنهُمُ :

الفقيهُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ عليِّ بنِ سعادةَ[1] بنِ الجُنَيسِ الشافعيُّ الفارِقيُّ

وُلِدَ بمَيَّافارِقِينَ ، وتفقَّهَ بتِبْرِيزَ ، **سمعَ ببغدادَ** : مِنْ أبي زرعةَ طاهرِ وطبقتِهِ ، وصحبَ أبا النَّجيبِ السُّهْرَوَرْديَّ ، **وتفقَّهَ ببغدادَ** : علىٰ أبي المحاسنِ يوسفَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الدمشقيِّ ، وعلَّقَ عنهُ الخلافَ ، وكانَ عارفاً بالمذهبِ والأصولِ ، وأعادَ في المدرسةِ النِّظَاميَّةِ سنينَ ، وناب في الحكمِ ، ثمَّ عزلَ نفسَهُ ، وتوفَّرَ على الإعادةِ في النِّظَاميَّةِ ، ثمَّ نابَ في التدريسِ بها إلىٰ أنْ وليَ التدريسَ بمدرسةِ الجهةِ الشريفةِ والدةِ الإمامِ الناصرِ لدينِ اللهِ .

والجُنَيسُ : بضمِّ الجيمِ وفتحِ النونِ وسكونِ الياءِ آخرِ الحروفِ وبعدَها سينٌ مهملةٌ .

تُوفِّيَ ليلةَ يومِ عرفةَ سنةَ اثنتينِ وستِّ مئةٍ ، ودُفِنَ بمقبرةِ معروفٍ الكَرْخيِّ رحمَهُ اللهُ[2] .

* * *

(١) في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢٩٥) : (سعيد) .

(٢) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٣/ ٩٩) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢٩٥ـ٢٩٦) ، و« طبقات الشافعية » للإسنوي (٢/ ١٣٩) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ الزاهدُ أبو القاسم[1] بنُ منصورٍ الإِسْكَنْدرانيُّ المعروفُ بـ(القَبَّاريِّ)

كانَ وَرِعاً مُتحرِّزاً مُتقشِّفاً ، مُتقلِّلاً مِنَ الدنيا زاهداً فيها ، حسنَ الاعتقادِ ، مالكيَّ المذهبِ ، لهُ الكراماتُ الجليَّةُ ، والمقاماتُ العليَّةُ ، والأحوالُ السَّنيَّةُ ، وشهرتُهُ تُغني عنِ الإطنابِ في وصفِهِ ، لم يحضرْني لهُ كلامٌ فأذكرَهُ[2] .

تُوفِّيَ في سادسِ شعبانَ سنةَ اثنتينِ وستِّ مئةٍ[3] .

* * *

(١) وسماه أبو شامة : محمداً . انظر « تاريخ الإسلام » (٤٩/ ١٢٣) .

(٢) ومن كلامه رضي الله عنه : (إذا كان لا بدَّ من اللقاء ، فالتواني من علامات الشقاء ، فاعمل لدار البقاء ، وليوم يُنادىٰ عليك : عبدٌ أطاع ، أو عبد طغىٰ) ، وكان يقول : (لا آكل شيئاً بشهوة ، وإنما آكله ضرورةً ، ولو جاز لي لتركته) ، وكان يقول : (الدنيا دار أسباب ، من زعم أن التوكل إسقاط السبب بالكلية فهو غالط) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٩/ ١٣٥، ١٣١).

(٣) أفاض في ترجمته الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٤٩/ ١٢٣-١٤٠) ، ونقل غالب الترجمة عن كتاب « مناقب القباري » للناصر ابن المُنيِّر الإسكندراني ، وفي « تاريخ الإسلام » وفاته سنة (٦٦٢هـ) ، ومثله في « مرآة الجنان » (٤/ ١٦٠) ، وعليه : فحق الترجمة أن تكون متأخرة عن هٰذا المكان .

ومنهُم :

قاضي القضاةِ صدرُ الدينِ أبو القاسمِ عبدُ الملكِ بنُ عيسى بنِ دِرْباسِ بنِ فِيرِ بنِ جهمِ بنِ عَبْدوسٍ المَارَانيُّ الشافعيُّ

قاضي القضاةِ بالديار المصريَّةِ في أوائل الدولةِ الأيوبيَّةِ .

سمعَ : مِنَ الشيخِ الزاهدِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ إبراهيمَ بنِ المُسلَّمِ الأنصاريِّ المعروفِ بـ (ابنِ بنتِ أبي سعدٍ) ، وكانَ تفقَّهَ في مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ : على أبي الحسنِ عليِّ بنِ سليمانَ المُراديِّ بحلبَ ، وسمعَ بدمشقَ : مِنِ ابنِ البُنِّ وطبقتِهِ ، وكانَ زوَّجَهُ ابنتَهُ بحلبَ .

وكانَ مُتوفِّرَ الدِّيانةِ صحيحَ الاعتقادِ ؛ حتى إنَّهُ باينَ أخاهُ ضياءَ الدينِ أبا عمرٍو عثمانَ لمَّا أبى أنْ يرجعَ عمَّا يعتقدُهُ ، ويُقالُ : إنَّهُ لم يُصَلِّ عليهِ حينَ ماتَ ، ولم يُمكِّنْ مِنْ دفنِهِ في مقبرتِهِ ، ولم يأذنْ في ذلكَ ، وكانَ لا تأخذُهُ في اللهِ لومةُ لائمٍ ، وكانَ رحمَهُ اللهُ إذا ذُكِرَ لهُ أخوهُ يقولُ : ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . . .﴾ إلى آخرِها [المجادلة : ٢٢] ، ويقولُ بعدَ ذلكَ : لم يُبقِ ليَ الحقُّ أخاً[1] .

وُلِدَ سنةَ ستَّ عشرةَ أو سبعَ عشرةَ ـ شكَّ الحافظُ[2] ـ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ

(١) انظر « رفع الإصر » (١/٢٥٣) ، وأخوه ضياء الدين هو صاحب المؤلفات العديدة ؛ ومنها : « الاستقصاء لمذاهب الفقهاء » شرح به « المهذب » للإمام الشيرازي ، وكان من كبار الشافعية في زمانه ، ومع ذلك فإن سلامة المعتقد عند الأئمة الراسخين فوق الألقاب وكثرة المؤلفات .

(٢) أي : زكي الدين المنذري .

ليلةَ الخامسِ مِنْ شهرِ رجبٍ سنةَ خمسٍ وستٍّ مئةٍ ، ودُفِنَ بتربتِهِ بسفحِ المُقطَّمِ بقَرافةِ مصرَ[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ١٥٦) ، و« مشيخة ابن الجميزي » (ق/ ٢١ـ٢٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٣/ ١٧٩) ، و« رفع الإصر » (١/ ٢٥٢ـ٢٥٤) .

ومنهُمُ :

الشيخُ أبو منصورٍ فتحُ بنُ محمدِ بنِ عليِّ بنِ خلفٍ السعديُّ الدِّمْياطيُّ

سمعَ الفقهَ : مِنْ أبي سعيدِ بنِ أبي عبدِ الرحمٰنِ الفَنْجَديهيِّ ، وأبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ حامدٍ الأصفهانيِّ ، وأبي القاسمِ هبةِ اللهِ بنِ عليِّ بنِ سعودٍ الأنصاريِّ ، وأبي الفضلِ محمدِ بنِ يوسفَ الغَزْنَويِّ ، وأبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ حمدِ بنِ حامدٍ الأَرْتاحيِّ ، وجماعةٍ .

ورحلَ إلى الإسكندريَّةِ ، **فسمعَ بها** : مِنْ أَبَوي الطاهرِ : أحمدَ بنِ محمدِ بنِ أحمدَ الحافظِ ، وإسماعيلَ بنِ مكِّيِّ بنِ عوفٍ الفقيهِ ، وأبي القاسمِ مخلوفِ بنِ عليٍّ المعروفِ بـ (ابنِ جارةَ) ، وأبي طالبٍ أحمدَ بنِ المُسلَّمِ اللَّخْميِّ ، وأبي الغنائمِ المُطهَّرِ بنِ أحمدَ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ الكريمِ الشَّحَّاميِّ[1] ، والحاكمِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ منصورٍ الحَضْرميِّ ، وأبي المُفضَّلِ عبدِ المجيدِ بنِ الحسينِ بنِ يوسفَ ابنِ دليلٍ الكنديِّ ، وأبي عليٍّ الحسنِ بنِ الفقيهِ أبي الطاهرِ إسماعيلَ بنِ الحسنِ اللُّكَّيِّ .

وسمعَ مَنْ بالراهبَينِ[2] ؛ مثلَ الشريفِ أبي المفاخرِ سعيدِ بنِ الحسينِ المأمونيِّ ، **وسمعَ بمكَّةَ شرَّفَها اللهُ تعالىٰ** : مِنَ الفقيهِ [أبي محمدٍ عبدِ الدائمِ بنِ عمرَ العسقلانيِّ ، **وببيتِ المقدسِ شرَّفَهُ اللهُ تعالىٰ** : مِنَ الحافظِ] أبي [محمدٍ] القاسمِ [بنِ] عليٍّ الشافعيِّ .

(١) جاء (بن أحمد) في « التكملة » (٢/ ١٧٠) مرةً واحدة دون تكرار .

(٢) الراهبَين : قرية في إقليم الغربية بمصر .

وحدَّثَ بمصرَ ودِمْياطَ وغيرِهما .

وكانَتْ عندَهُ معارفُ كثيرةٌ ، ولهُ شعرٌ رائقٌ حسنٌ ، وصنَّفَ تصانيفَ مفيدةً في فنونٍ عديدةٍ .

[وهوَ] والدُ الزينِ الدِّمْياطيِّ الكاتبِ المشهورِ محمدِ بنِ فتحٍ ، ويأتي ذكرُهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ[1] .

انتهىٰ كلامُ الشيخِ زكيِّ الدينِ[2] .

قلتُ : قد وقفتُ علىٰ كلامِهِ نثراً ونظماً ؛ إنَّهُ كانَ بحراً في كلِّ فنٍّ ، جمعَ بينَ الأصلَينِ ، والحديثِ ودرايتِهِ ، وعلمِ التصوُّفِ .

ولهُ كتابٌ مُفرَدٌ في الردِّ على المُشبِّهةِ لم يتيسَّرْ ليَ النقلُ منهُ ؛ لأنِّي لم أجد أصلاً منهُ ، ولهُ النظمُ في الرَّدِّ على المُشبِّهةِ ، والنظمُ أيضاً في الزهدِ .

تُوفِّيَ فتحٌ المذكورُ في مُستهَلِّ شهرِ اللهِ المُحرَّمِ سنةَ ستٍّ وستِّ مئةٍ .

* * *

(١) انظر (٢/ ٢٨٧) .

(٢) التكملة لوفيات النقلة (٢/ ١٧٠ـ١٧١) ، ولعله بداية الترجمة صرَّح بالنقل عنه ، ولكنه لم يظهر لنا بسبب رداءة التصوير .

ومنهُمُ :

[الإمامُ ناصرُ الحقِّ فخرُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عمرَ بنِ حسينٍ الرازيُّ البكريُّ الشافعيُّ]

الشيخُ الإمامُ ناصرُ الحقِّ ، قُدوةُ الفرقِ ، حُجَّةُ اللهِ على الخلقِ ، القائمُ بفرضِ التنزيهِ والتوحيدِ ، والراقمُ حُلَلَ الإيمانِ بأعلامِ التقديسِ والتمجيدِ

فخرُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ الإمامِ الخطيبِ ضياءِ الدينِ أبي [القاسمِ] عمرَ بنِ حسينِ بنِ الحسنِ بنِ عليٍّ التيميُّ البكريُّ الشافعيُّ الرازيُّ ، الفقيهُ المُتكلِّمُ المعروفُ بـ (ابنِ خطيبِ الرَّيِّ) ، الطَّبَرِسْتانيُّ الأصلِ الرازيُّ المولدِ .

فريدُ دهرِهِ ، ووحيدُ عصرِهِ ، ونسيجُ وحدِهِ ، فاقَ أهلَ زمانِهِ في علمِ الكلامِ والدلائلِ ، والمعقولاتِ وعلمِ الأوائلِ .

كانَ مبدأُ اشتغالِهِ على والدِهِ إلى أنْ ماتَ[1] ، ثمَّ قصدَ الكمالَ السَّمْنانيَّ واشتغلَ عليهِ مُدَّةً ، ثمَّ عادَ إلى الرَّيِّ واشتغلَ على المجدِ الجيليِّ أحدِ أصحابِ ابنِ يحيى ، ولمَّا طُلِبَ مجدُ الدينِ إلى مَرَاغةَ ليُدرِّسَ بها صحبَهُ فخرُ الدينِ المذكورُ إليها ، وقرأَ عليهِ مدَّةً علمَ الكلامِ والحكمةِ ، ويُقالُ : إنَّهُ كانَ يحفظُ « الشاملَ » لإمامِ الحرمَينِ في علمِ الكلامِ .

ثمَّ قصدَ خُوارَزْمَ وقد مهرَ في العلومِ ، فجرى بينَهُ وبينَ أهلِها كلامٌ فيما

(١) ووالده ضياء الدين صاحب « نهاية المرام في دراية الكلام » . . يعد من كبار أئمة الأشاعرة في عصره .

يرجعُ إلى الاعتقادِ ، فخرجَ مِنَ البلدِ ، فقصدَ ما وراءَ النهرِ ، فأقامَ بها مُدَّةً ، ثمَّ عادَ إلى الرَّيِّ ، وكانَ بها طبيبٌ حاذقٌ لهُ ثروةٌ ونعمةٌ ، وكانَ الطبيبُ لهُ ابنتانِ ولفخرِ الدينِ ابنانِ ، فمرضَ الطبيبُ وأيقنَ بالموتِ ، فزوَّجَ ابنتيهِ لولدَيِ الإمامِ فخرِ الدينِ ، ومات الطبيبُ ، فاستولى الإمامُ على ما يخصُّهُما مِنْ ذلكَ ، فكانَ ذلكَ مبدأَ ثروتِهِ[1] .

ولزمَ الأسفارَ ، وعاملَ شهابَ الدينِ الغُوريَّ صاحبَ غَزْنةَ في جملةٍ مِنَ المالِ ، ثمَّ مضى إليهِ لاستيفاءِ حقِّهِ منهُ ، فبالغَ في إكرامِهِ ، وحصلَ لهُ منهُ مالٌ طائلٌ ، وعادَ إلى خُراسانَ ، فاتَّصلَ بالسلطانِ محمدِ بنِ تُكَشَ المعروفِ بـ (خُوارَزْم شاه) ، وحظيَ عندَهُ ، ولم يبلغْ أحدٌ منزلتَهُ .

سمعتُ الشيخَ الإمامَ السيِّدَ الشريفَ شرفَ الدينِ الكركيَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (سمعتُ الشيخَ الإمامَ شمسَ الدينِ الخُسْرَوشاهيَّ يقولُ[2] : كانَ مِنْ منزلتِهِ عندَ السلطانِ محمَّد شاه رحمَهُما اللهُ : أنَّهُ أمرَ أنْ يكونَ في ركابِ الإمامِ فخرِ الدينِ جماعةٌ مِنَ الحُجَّابِ الذينَ كانُوا لمحمَّد شاه بالنوبةِ حينَ ركوبِ الإمامِ فخرِ الدينِ ، بأيديهِمُ السيوفُ مسلولةً مِنْ أغمادِها ، والغاشيةُ تُحمَلُ أمامَهُم ، والشاويشُ أمامَ ذلكَ كلِّهِ ؛ احتراماً لهُ ، ولم أسمعْ عن أحدٍ مِنَ العلماءِ أنَّهُ عاملَهُ ملكٌ بمثلِ ما عاملَهُ بهِ محمَّد شاه .

وكانَ الإمامُ فخرُ الدينِ في يومِ عيدِ الأضحى ينصرفُ مِنْ مُصلَّى العيدِ وبينَ يديهِ وزراءُ السلطانِ وقُوَّادُ المملكةِ والأمراءُ والحُجَّابُ على اختلافِ أحوالِهِم ،

(١) كذا في « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٥٠) ، وعلَّق عليه اليافعي في « مرآة الجنان » (٤/ ٩) بقوله : (قلت : وعلى تقدير صحة ذلك : يحمل على استيلاء شرعي ؛ من نحو وصاية أو وكالة) .

(٢) والخسروشاهي من تلاميذ الفخر الرازي . انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٨/ ١٦١) .

كلٌّ منهُم في منزلةٍ مثلِ منزلتِهِ إذا ركبَ معَ السلطانِ والشاويشِ والغاشيةِ والسيوفِ المحذوية[1] .

ولا يزالُونَ كذلكَ معَ الإمامِ إلىٰ أنْ يأتيَ بابَ دارِهِ ، فيصطفُّونَ سُرادقَينِ مُترجِّلينَ ، والإمامُ يشقُّ راكباً مِنْ بينِهِم ، ويدخلُ رئيسُ الوزراءِ معَهُ يحجبُهُ إلىٰ دارِهِ ، ويصعَدُ معَهُ إيوانَ العيدِ ، فيجلسُ الإمامُ في الصدرِ ليسَ معَهُ أحدٌ في صدرِ الإيوانِ علىٰ مرتبةٍ عاليةٍ ، وعن يمينِهِ نقيبُ الأشرافِ نائبُ نقيبِ النقباءِ ، وعن يسارِهِ رئيسُ وزراءِ محمَّد شاه ، والإيوانُ عالٍ يُصعَدُ إليهِ مِنْ علىٰ منبرٍ تقديرِ سبعِ دَرَجٍ ، وفي الصحنِ ضحايا يبعثُها إليهِ السلطانُ ، وضحايا مِلْكِهِ مِنْ أنواعِ بهيمةِ الأنعامِ ، فيأمرُ الإمامُ بالضحايا فتُفرَّقُ علىٰ طلبتِهِ ومُعيديهِ على اختلافِ منازلِهِم ، ولا يُتصوَّرُ أنْ يُضحِّيَ السلطانُ محمَّد شاه حتىٰ يأتيَهُ الوزيرُ ويقولَ : قد ضحَّى الإمامُ فخرُ الدينِ)[2] .

التمسَ منهُ الديوانُ العزيزُ كتاباً مِنْ تصنيفِهِ ، فبعثَ إليهِ كتابَ [. . .][3] ، وكتبَ علىٰ ترجمتِهِ : (الداعي لهُم وإليهِم وعلىٰ أعدائِهِم) ، فبعثَ إليهِ بتشريفٍ وذهبٍ ومِشَدَّةٍ وكتابٍ فيهِ ألقابٌ كثيرةٌ ؛ مِنْ جملتِها : (الداعي للخلقِ إلى الحقِّ) .

تعلَّمَ الأصولَ علىٰ والدِهِ ضياءِ الدينِ عمرَ ، وهوَ علىٰ أبي القاسمِ الأنصاريِّ ، وهوَ علىٰ إمامِ الحرمَينِ ، وهو علىٰ أبي إسحاقَ الإسفراينيِّ[4] ،

(١) جاءت الذال فقط معجمة في الأصل ، ويحتمل أن الكلمة تحرفت عن (المشحوذة) ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) انظر « عيون الأنباء » (ص٤٦٢_٤٦٣) .

(٣) بياض في (أ ، ب) بمقدار كلمة ، وذكر ابن أبي أصيبعة في « عيون الأنباء » (ص٤٧٠) : أن الفخر الرازي ألَّف كتابه « تأسيس التقديس » للملك العادل أبي بكر بن أيوب ، فبعث له عنه ألفَ دينار .

(٤) كذا في نسختينا و« وفيات الأعيان » (٤/ ٢٥٢) ، ولعله سقط أبو القاسم الإسْكاف بين =

وهوَ علىٰ أبي الحسنِ الباهليِّ ، وهوَ علىٰ شيخِ السنَّةِ أبي الحسنِ الأشعريِّ ، ذكرَ ذلكَ الإمامُ فخرُ الدينِ في كتابِهِ المُسمَّىٰ : « تحصيلَ الحقِّ »[1] .

كانَ لهُ حظٌّ في التصنيفِ ، وحذا طريقةً غيرَ طريقةِ الأوائلِ مُحرَّرةً علىٰ علمِ المنطقِ .

وصنَّفَ كتباً مفيدةً في فنونٍ عديدةٍ ؛ **فمِنْ ذلكَ** : « تفسيرُ القرآنِ الكريمِ » ، جمعَ فيهِ كلَّ غريبٍ وغريبةٍ[2] ، وهوَ كبيرٌ جدّاً لكنَّهُ لم يُكملْهُ[3] ، وكتابُ « المطالبِ العاليةِ » ، و« نهايةِ العقولِ » ، و« الأربعينَ » و« المُحصَّلِ » في أصولِ الدينِ ، وفي أصولِ الفقهِ « المحصولُ » و« المنتخبُ » ، ولهُ « شرحُ أسماءِ اللهِ الحسنىٰ » ، **ويُقال** : إنَّهُ شرحَ « المُفصَّلَ » للزمخشريِّ[4] ، وشرحَ « الوجيزَ » للغزاليِّ[4] ، وصنَّفَ في عدَّةِ علومٍ تصانيفَ هيَ مشهورةٌ ، فلا حاجةَ إلى الإطالةِ بها ، وقدِ اشتغلَ الناسُ بها ، ونسُوا طريقةَ الأوائلِ وهجرُوها[5] .

= إمام الحرمين وأبي إسحاق الإسفرايني ، وتوفي أبو إسحاق سنة (٤١٨هـ) قبل ولادة إمام الحرمين بسنة .

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٥٢) ، وفيه أيضاً ذكر لسنده في الفروع ؛ وهو : أنه اشتغل علىٰ والده الضياء ، ووالده على البغوي صاحب « التهذيب » ، وهو على القاضي حسين ، وهو على القفال الصغير المروزي صاحب الطريقة ، وهو علىٰ أبي زيد المروزي ، وهو علىٰ أبي إسحاق المروزي ، وهو علىٰ أبي العباس ابن سريج ، وهو علىٰ أبي القاسم الأنماطي ، وهو علىٰ أبي إبراهيم المزني ، وهو على الإمام الشافعي ، رضي الله عنهم أجمعين .

(٢) قال الصلاح الصفدي في « الوافي بالوفيات » (٤/ ١٧٩) : (وقلت يوماً للشيخ الإمام العلامة قاضي القضاة أبي الحسن علي ـ أي : السبكي ـ : قال الشيخ تقي الدين ابن تيمية وقد ذكر « تفسير الإمام » : « فيه كل شيء إلا التفسير » ، فقال قاضي القضاة : « ما الأمر كذا ، إنما فيه مع التفسير كلُّ شيء ») .

(٣) وذكر ياقوت الحموي في « معجم الأدباء » (٦/ ٢٥٨٩) أنه أكمله إملاءً على المنبر .

(٤) وذكر ابن أبي أصيبعة في « عيون الأنباء » (ص٤٧٠) أنه لم يتمه .

(٥) انظر مؤلفاته في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٨٧) ، و« عيون الأنباء » (ص٤٧٠) ، =

وكانَ يجلسُ للتذكيرِ ، وكانَتْ لهُ في الوعظِ اليدُ الطُّولىٰ ، وكانَ يحضرُ مجلسَهُ بمدينةِ هَراةَ أربابُ المذاهبِ والمقالاتِ ، فيسألونَهُ فيُجيبُ كلاً منهُم أحسنَ إجابةٍ ، ورجعَ بسببِهِ خلقٌ كثيرٌ مِنَ الكراميَّةِ وغيرِهِم مِنَ المبتدعةِ إلىٰ مذهبِ أهلِ السنَّةِ[1] ، وكانَ يُلقَّبُ بهَراةَ (شيخَ السنَّةِ) .

ولهُ النظمُ الحسنُ[2] ؛ فمِنْ ذلكَ[3] : [من الطويل]

نِهَـايَـةُ أَقْـدَامِ ٱلْعُقُـولِ عِقَـالُ ... وَأَكْثَرُ سَعْيِ ٱلْعَالَمِينَ ضَلَالُ[4]

وَأَرْوَاحُنَا فِي وَحْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا ... وَحَـاصِـلُ دُنْيَـانَـا أَذىً وَوَبَـالُ

وَكَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْ رِجَالٍ وَدَوْلَةٍ ... فَبَـادُوا جَمِيعـاً مُسْـرِعِيـنَ وَزَالُـوا

وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ قَدْ عَلَتْ شُرُفَاتِهَا ... رِجَـالٌ فَـزَالُـوا وَٱلْجِبَـالُ جِبَـالُ

= وقد أفاض في ذكرها صالح الزركان في كتابه « فخر الدين الرازي وآراؤه الكلامية » (ص٥٦ـ١٦٤) .

(١) ولكنه تأذّىٰ من بعضهم كالحشويةِ تأذّياً شديداً ؛ حتىٰ إنهم كانوا يكتبون له رقاعاً فيها أنواع السيئات ، وصاروا يضعونها علىٰ منبره ، فقرأ يوماً رُقْعة ، ثم استغاث : في هٰذه الرقعة أنَّ ابني يفعل كذا !! فإن صحَّ هٰذا فهو شابٌّ أرجو له التوبة ، وأنَّ امرأتي تفعل كذا !! فإن صحَّ هٰذا فهي امرأةٌ لا أمانة لها ، وأنَّ غلامي يفعل كذا !! وجديرٌ بالغلمان كلُّ سوء إلا من حفظ الله ، وليس في شيء من الرقاع ـ ولله الحمد ـ أنَّ ابني يقول : إنَّ الله جسم ، ولا يُشبِّه به خلقه ، ولا أنَّ زوجتي تعتقد ذلك ، ولا غلامي ، فأيُّ الفريقين أوضح سبيلاً ؟! وقد ذكر ابن الأثير في « الكامل » (١٠/ ١٦٥ـ١٦٦) بعض فتن المشبهة التي أثاروها ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٨٩) .

(٢) انظر « عيون الأنباء » (ص٤٦٨ـ٤٧٠) .

(٣) أورد الأبيات ابن أبي أصيبعة في « عيون الأنباء » (ص٤٦٨) ، وابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٥٠ـ٢٥١) ، وابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٩٦) ، وزادوا جميعاً بعد البيت الثاني :

ولم نستفدْ مِنْ بحثِنا طولَ عُمْرنا ... سوىٰ أنْ جمعْنا فيه قيل وقالوا

(٤) قوله : (نهاية أقدام العقول) يقرأ (أقدام) بفتح الهمزة جمع قدم ، وبكسرها مصدراً . انظر « حاشية العكاري علىٰ شرح السنوسية الكبرىٰ » (ق/ ٣٩) .

وقيلَ : إنَّهُ أنشدَ مرَّةً بهَراةَ على المنبرِ عقيبَ كلامٍ عاتبَ فيهِ أهلَ البلدِ[1] : [من البسيط]

اَلْمَـرْءُ مَـا دَامَ حَيّـاً يُسْتَهَـانُ بِـهِ وَيَعْظُـمُ ٱلـرُّزْءُ فِيـهِ حِيـنَ يُفْتَقَـدُ

ويُقالُ : إنَّ شرفَ الدينِ ابنَ عُنينٍ الشاعرَ حضرَ مجلسَهُ يوماً شاتياً ، فسقطَتْ بالقربِ منهُ حمامةٌ وقد طردَها جارحٌ ، فوقعَتْ بالقربِ منهُ ، فقامَ وأخذَها ورقَّ لها ، فأنشدَ ابنُ عنينٍ أبياتاً ؛ منها[2] : [من الكامل]

يَا بْنَ ٱلْكِرَامِ ٱلْمُطْعِمِينَ إِذَا شَتَوْا فِي كُلِّ مَسْغَبَةٍ وَثَلْجٍ خَاشِفِ[3]

اَلْعَاصِمِينَ إِذَا ٱلنُّفُوسُ تَطَايَرَتْ بَيْنَ ٱلصَّوَارِمِ وَٱلْوَشِيجِ ٱلرَّاعِفِ[4]

مَـنْ نَـبَّـأَ ٱلْـوَرْقَـاءَ أَنَّ مَحَلَّكُـمْ حَـرَمٌ وَأَنَّـكَ مَلْجَـأٌ لِلْخَـائِـفِ

وَفَدَتْ عَلَيْكَ وَقَدْ تَدَانَى حَتْفُهَا فَحَبَـوْتَهَـا بِبَقَـائِهَـا ٱلْمُسْتَـأْنَـفِ

وَلَوَ ٱنَّـهَا تُحْبَى بِمَالٍ لَانْثَنَتْ مِـنْ رَاحَتَيْكَ بِنَـائِلٍ مُتَضَـاعِـفِ

جَاءَتْ سُلَيْمَانَ ٱلزَّمَانِ بِشَجْوِهَا وَٱلْمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحَيْ خَاطِفِ

قَـرِمٍ لَـوَاهُ ٱلْفَـوْتُ حَتَّـى ظِلُّـهُ بِـإِزَائِـهِ يَجْـرِي بِقَلْـبٍ رَاجِـفِ[5]

وُلِدَ الإمامُ فخرُ الدينِ سنةَ ثلاثٍ ـ وقيلَ : أربعٍ ـ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ

(١) أورده ياقوت الحموي في « معجمه » (٦/ ٢٥٩٠) ، وابن خلكان في « وفياته » (٤/ ٢٥٢) .

(٢) القصة مع الأبيات في « ديوانه » (ص٩٤ـ٩٥) ، وانظر « عيون الأنباء » (ص٤٦٢ـ٤٦٣) ، و« وفيات الأعيان » (٤/ ٢٥١) .

(٣) الخاشف : الخشن ، والثلج الخَشِف : الذي تسمع له خشفة عند المشي .

(٤) الوشيج : الرمح .

(٥) في « الديوان » : (القُوت) بدل (الفوت) ، و(واجف) بدل (راجف) ، والأخيران بمعنىً .

بالرَّيِّ ، وتُوفِّيَ يومَ عيدِ الفطرِ سنةَ ستٍّ وستٍّ مئةٍ بهَراةَ ، ودُفِنَ آخرَ النهارِ في الجبلِ المُصاقِبِ لقريةِ مُزْداخانَ[1] ، رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ وأرضاهُ ، وجزاهُ خيراً[2] .

* * *

(١) وقد أوصىٰ رحمه الله تعالىٰ أن يدفن في المكان المذكور . انظر « عيون الأنباء » (ص٤٦٨) .

(٢) انظر « عيون الأنباء » (ص٤٦٢ـ٤٧٠) ، و« وفيات الأعيان » (٤/ ٢٤٨) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٨١ ـ ٩٦) ، وجاء ضمن ترجمته في ورقتين مرفقتين ترجمةُ الإمام تقي الدين الحسين بن عبد الرحيم السعدي المالكي المتوفىٰ سنة (٦٨٥هـ) ، وقد وضعتها في مكانها المناسب في (٢/ ١٩٠ـ ١٩١) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ مجدُ الدينِ أبو عليٍّ يحيى بنُ الشيخِ الفقيهِ أبي الفضلِ الربيعِ بنِ سليمانَ بنِ حرازِ بنِ سليمانَ الواسطيُّ الشافعيُّ

تفقَّهَ بالنِّظَاميَّةِ على الشيخِ أبي النَّجيبِ عبدِ القاهرِ السُّهْرَوَرْدِيِّ ، ثمَّ رحلَ إلى خُراسانَ قاصداً للإمامِ أبي سعدٍ محمدِ بنِ يحيى صاحبِ الغزاليِّ ، وسمعَ مِنْ أبي الوقتِ وأضرابِهِ ومِنَ الحُفَّاظِ ، وعلَّقَ الخلافَ عنِ القاضي أبي يعلى[1] ، وأعادَ لأبي القاسمِ بنِ فَضْلانَ ، ونابَ في الحكمِ ، ودرَّسَ بالنِّظَاميَّةِ ، وكانَ عالماً بمذهبِ الإمامِ الشافعيِّ والخلافِ والأصولِ والفرائضِ والأدبِ والتفسيرِ والحديثِ ، جامعاً لفنونٍ لم تجتمعْ لغيرِهِ .

وُلِدَ بواسطٍ في سابعَ عشرَ شهرِ رمضانَ سنةَ ثمانٍ وعشرينَ وخمسِ مئةٍ[2] ، وتُوفِّيَ في السابعِ والعشرينَ مِنْ ذي القَعْدةِ سنةَ ستٍّ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[3] .

* * *

(١) هو القاضي أبو يعلى الصغير محمد بن أبي خازم بن أبي يعلى الفراء الحنبلي .

(٢) في « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ١٩٠) : (ومولده بواسط في ليلة السابع من شهر رمضان . . .) .

(٣) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ١٩٠) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٨/ ٣٩٣ـ٣٩٥) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ عمادُ الدينِ أبو حامدٍ محمدُ بنُ يونسَ بنِ محمدِ بنِ مَنَعَةَ بنِ مالكِ بنِ [محمدٍ] الفقيهُ الشافعيُّ[1]

كانَ إمامَ وقتِهِ في المذهبِ والأصولِ والخلافِ ، وكانَ لهُ صيتٌ عظيمٌ في زمانِهِ ، وقصدَهُ الفقهاءُ الشافعيَّةُ وغيرُهُم مِنَ البلادِ الشاسعةِ ، وتخرَّجَ عليهِ خلقٌ كثيرٌ صارُوا كلُّهُم مُدرِّسينَ يُشارُ إليهِم .

اشتغلَ علىٰ أبيهِ بالموصلِ ، وتوجَّهَ إلىٰ بغدادَ ، وتفقَّهَ بالمدرسةِ النِّظَاميَّةِ على السَّديدِ السَّلَماسيِّ[2] ، وعادَ إلى الموصلِ ودرَّسَ بها في عدَّةِ مدارسَ ، وصنَّفَ كتباً في المذهبِ ؛ منها : كتابُ « المحيطِ في الجمعِ بينَ المهذَّبِ والوسيطِ » ، و« شرحِ الوجيزِ » للغزاليِّ ، وصنَّفَ جدلاً[3] ، وعقيدةً ، وتعليقةً في الخلافِ لكنَّهُ لم يتمَّها .

وكانَتْ إليهِ الخطابةُ في الجامعِ المُجاهديِّ معَ التدريسِ في المدرسةِ النوريَّةِ والعِزِّيَّةِ والزينيَّةِ والعلائيَّةِ .

وتقدَّمَ في دولةِ نورِ الدينِ رسلان شاه صاحبِ الموصلِ ، ووجَّهَهُ رسولاً إلىٰ بغدادَ ، فناظرَ في ديوانِ الخلافةِ ، واستدلَّ في مسألةِ شراءِ الكافرِ العبدَ المسلمَ سنةَ ستٍّ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتولَّى القضاءَ بالموصلِ مدَّةً يسيرةً ، ثمَّ انفصلَ عنهُ إلىٰ أبي الفضائلِ القاسمِ بنِ يحيى بنِ عبدِ اللهِ بنِ القاسمِ

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) .

(٢) والسَّلَماسي سبقت ترجمته في (١/ ٤٨٤) .

(٣) وسمَّاه : « التحصيل » انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١١٠) .

الشَّهْرَزُوريُّ المُلقَّبِ (ضياءَ الدينِ) ، وانتهَتْ إليهِ رئاسةُ أصحابِ الشافعيِّ بالموصلِ .

وكانَ شديدَ الورعِ ، كثيرَ التقشُّفِ ؛ لا يلبَسُ ثوباً جديداً حتىٰ يغسلَهُ ، ولا يمَسُّ القلمَ للكتابةِ إلا ويغسلُ يدَهُ ، وكانَ دَمِثَ الأخلاقِ لطيفَ الخلوةِ ، وكانَ كثيرَ المُباطَنةِ لنورِ الدينِ صاحبِ الموصلِ ؛ يرجعُ إليهِ في الفتاوىٰ ، ويُشاوِرُهُ في الأمورِ ، ولهُ صنَّفَ « العقيدةَ » ، ولم يزلْ بهِ حتى انتقلَ عن مذهبِ أبي حنيفةَ إلىٰ مذهبِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُما ، ولم يُوجَدْ في بيتِ أتابكَ علىٰ كثرتِهم شافعيٌّ سواهُ .

وتوجَّهَ إلىٰ بغدادَ لمَّا ماتَ نورُ الدينِ ، وعادَ إلىٰ ولدِهِ الملكِ القاهرِ مسعودٍ بالخلعةِ والتقليدِ ، فقويَتْ حرمتُهُ عندَهُ ، وازدادَتْ منزلتُهُ أكثرَ ما كانَتْ عندَ أبيهِ .

وُلِدَ عمادُ الدينِ بإِرْبِلَ سنةَ خمسٍ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ يومَ الخميسِ التاسعِ والعشرينَ مِنْ جمادى الآخرةِ سنةَ ثمانٍ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٥٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٠٩ـ١١٣) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ الحافظُ سيفُ السنةِ شرفُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ المُفضَّلِ المقدسيُّ اللخميُّ المالكيُّ]

الشيخُ الإمامُ الحافظُ شيخُ الإسلامِ ناصرُ السنَّةِ سيفُ المِلَّةِ ؛ شرفُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي المكارمِ المُفضَّلِ بنِ عليِّ بنِ [مُفَرِّجِ] بنِ حاتِمِ بنِ الحسنِ بنِ جعفرِ بنِ إبراهيمَ بنِ الحسنِ ، المقدسيُّ ثمَّ الإسْكَندرانيُّ المالكيُّ اللَّخْميُّ ، الفقيهُ المفتي ، قدَّسَ اللهُ روحَهُ ونوَّرَ ضريحَهُ .

كانَ رحمَهُ اللهُ علمَ عصرِهِ في العلمِ ، جامعاً لفنونٍ مُتعدِّدةٍ منهُ ، ثقةً ثبتاً ، عارفاً بالأصولِ والفروعِ والحديثِ ، حسنَ التصنيفِ ، جيِّدَ النظمِ ، مُوفَّقاً للصوابِ في فتاويهِ ، بارعاً في علمِ الروايةِ وطرقِ الأحاديثِ وعللِها ومعانيها ، وأحوالِ الرجالِ وطبقاتِهم وبلدانِهم . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنْ علومِ الحديثِ .

تفقَّهَ علىٰ جماعةٍ ، وتفقَّهَ عليهِ جماعةٌ ، ودرَّسَ إلىٰ حينِ وفاتِهِ وأفتىٰ ، وهوَ شيخُ الحفَّاظِ .

قالَ الحافظُ رشيدُ الدينِ[1] : (سألتُهُ عن نسبتِهِ ، فقال : كانَتْ أمِّي ـ أو قالَ : كانَتْ جدَّتي ـ تقولُ : نحنُ مِنْ بني ريحانةَ ، فإنْ كانَ كذلكَ فنحنُ مِنْ لخمٍ) ، هٰذا لفظُهُ أو معناهُ .

ذكرَهُ الحافظانِ ؛ زكيُّ الدينِ عبدُ العظيمِ المنذريُّ[2] ، والحافظُ رشيدُ

(١) هو الحافظ أبو الحسين يحيى بن علي القرشي العطار ، من تلاميذ المترجم ، وسيترجم له المؤلف ترجمة حافلة في (٢/٨٦ ـ ٩٠) .

(٢) والزكي المنذري من تلاميذ المترجم ، قال في « التكملة » (٢/٣٠٧) : (قرأت عليه =

الدينِ أبو الحسينِ يحيى القرشيُّ [وقالَ][1] : لم نرَ مثلَهُ ، كانَ صحيحَ الاعتقادِ ، مخالفاً للطائفةِ التي تزعُمُ أنَّها أثريَّةٌ ، صنَّفَ كتابَهُ المعروفَ بـ « كتابِ الأصواتِ » ، أظهرَ فيها[2] تضعيفَ رواةِ أحاديثِ الأصواتِ وأوهامَهُم .

وحكى الشيخُ تقيُّ الدينِ شرفُ الحُفَّاظِ[3] ـ يحكي عن والدِهِ مجدِ الدينِ ـ قالَ : إنَّهُ بلغَ رتبةَ المجتهدينَ .

وُلِدَ في الرابعِ والعشرينَ مِنْ ذي القَعْدةِ سنةَ أربعٍ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ صبيحةَ يومِ الجمعةِ مُستهَلَّ شعبانَ سنةَ إحدىٰ عشرةَ وستِّ مئةٍ[4] .

* * *

= الكثير ، وكتبت عنه جملة صالحة ، وانتفعت به انتفاعاً كثيراً) ، ولم يُقرنه المترجم حتىٰ أعلن أنه علىٰ معتقد الإمام الأشعري ، وأنه بريء من معتقد أهل التشبيه والتجسيم ، كما سيذكره المؤلف ضمن ترجمة الإمام المنذري في (٢/ ٥٧) .

(١) ما بين معقوفين زيادة يقتضيها السياق .

(٢) كذا في (أ ، ب) ، والأولىٰ : (فيه) .

(٣) هو الإمام الكبير ابن دقيق العيد رضي الله عنه ، وستأتي ترجمته في (٢/ ٢٥٣ـ ٢٧٢) .

(٤) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ٣٠٦ـ ٣٠٧) ، و« وفيات الأعيان » (٣/ ٢٩٠ـ ٢٩٢) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ أبو القاسمِ عبدُ القاهرِ بنُ الشيخِ الفقيهِ أبي طاهرٍ إبراهيمَ بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ مهرانَ الجَزَريُّ الشافعيُّ

تفقَّهَ ببغدادَ على مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وحصَّلَ طَرَفاً حسناً مِنَ المذهبِ والأصولِ والخلافِ ، وصحبَ الحافظَ أبا بكرٍ الحازميَّ .

تُوفِّيَ في الثامنِ والعشرينَ مِنْ شعبانَ سنةَ تسعٍ وستٍّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ [. . .][1] ، وقيلَ : إنَّهُ يُعرَفُ بـ (ابنِ البَزْريِّ)[2] .

* * *

(١) بياض في (أ) بمقدار كلمتين .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ٢٥٧) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العارفُ القطبُ أبو الحسنِ عليُّ ابنُ إسماعيلَ المعروفُ بـ (ابنِ الصبَّاغِ)

صحبَ الشيخينِ عبدَ الرزاقِ بنَ [محمدٍ][1] ، والشيخَ عبدَ الرحيمِ ابنَ حجُّونَ[2] ، وكانَ يقولُ رضيَ اللهُ عنهُ : (شيخي في الأحوالِ والمقاماتِ الشيخُ عبدُ الرزاقِ) .

انتهتْ إلى الشيخِ أبي الحسنِ التربيةُ في زمانِهِ ؛ حتىٰ يُقالُ : إنَّهُ آخرُ المُربِّينَ ، لهُ العلومُ الربَّانيَّةُ .

سُئِلَ الشيخُ أبو الحسنِ الشاذليُّ رضيَ اللهُ عنهُ عن حالِ أبي الحسنِ وأصحابِهِ ، فأطرقَ ثمَّ رفعَ رأسَهُ فقالَ : اطَّلعتُ علىٰ حالِ أهلِ هـٰذا البيتِ ، فما رأيتُ لصغيرِهِم ولا لكبيرِهِم همَّةً إلا معرفةَ اللهِ ، وهـٰذا يدُلُّ علىٰ عُلُوِّ همَّةِ صاحبِهِم .

سُئِلَ الشيخُ أبو الحسنِ ابنُ الصبَّاغِ رضيَ اللهُ عنهُ عنِ التوحيدِ ، فقالَ : إثباتُ الذاتِ بنفيِ الجهةِ ، وإثباتُ الصفاتِ بنفيِ التشبيهِ[3] .

وكانَ يقولُ : (المرادُ بقولِهِ : « نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ ٱلنَّاسِ : ٱلصِّحَّةُ ، وَٱلْفَرَاغُ »[4] ؛ **المرادُ بالصحَّةِ** : صحَّةُ القلبِ وصفاؤُهُ وتحقُّقُهُ

(١) ما بين معقوفين بياض في الأصل بمقدار كلمة .

(٢) وتقدم في ترجمة ابن حجُّون (١/ ٥١٥) أنه يكفيه أن من جملة أصحابه الشيخ أبا الحسن ابن الصباغ .

(٣) انظر « الطالع السعيد » (ص٢٠٧) .

(٤) أخرجه البخاري (٦٤١٢) عن سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما .

بالتوحيدِ ، **وبالفراغِ** : فراغُهُ ممَّا سوى اللهِ عزَّ وجلَّ) .

وقالَ لجماعةٍ مِنَ الفقراءِ المُعتبَرِينَ : بمَ يأمرُكُم مشايخُكُم ؟ فقالُوا : بإيصالِ الراحةِ للإخوانِ ، فقالَ الشيخُ رضيَ اللهُ عنهُ : الخادمُ يخدمُ أهلَ السماءِ قبلَ أهلِ الأرضِ ، فقالُوا : وكيفَ ؟! فقالَ : يمنعُ البلاءَ النازلَ مِنَ السماءِ علىٰ أهلِ الأرضِ ، ويمنعُ الأفعالَ القِباحَ مِنْ أهلِ الأرضِ تصعدُ إلى السماءِ ، فتؤذي أهلَ السماءِ روائحُها .

وكانَ يقولُ : (ما يُعرَفُ الرجلُ مِنْ هنا ، وإنَّما يُعرَفُ مِنْ هناكَ) ، يُشيرُ إلى الدارِ الآخرةِ .

وقالَ : (لا يَحِلُّ لأحدٍ أنْ يتكلَّمَ في هٰذا العلمِ إلا مَنْ غابَ عن حسِّهِ في حضورِهِ ، وعادَ إلىٰ حسِّهِ بعدَ ظهورِهِ) .

وقالَ في قولِهِ : « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ ٱلْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ فِي ٱلسُّجُودِ »[1] : (هوَ موضعُ تحقيقِ العبوديَّةِ) .

وسُئِلَ عنِ علمِ القومِ ، فقالَ : أوَّلُهُ الذهابُ ؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ في قصَّةِ إبراهيمَ : ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الصافات : ٩٩] .

وقالَ : (العلمُ هوَ الحُجَّةُ ، والمُعلِّمُ هوَ المَحَجَّةُ) .

وقالَ : (كنتُ أمشي في الطريقِ ، فيُكشَفُ لي عمَّا يفعلُ الناسُ في منازلِهِم ، فسألتُ اللهَ أنْ يسترَ عنِّي مساويَهُم ، ففعلَ) .

ومِنْ كراماتِهِ : أنَّهُ قالَ : (ما يقدَمُ عليَّ أحدٌ إلا وتبدو لي صورتُهُ قبلَ أنْ يقدَمَ عليَّ) .

وقالَ بعضُ أصحابِهِ : (سمعتُهُ يقولُ في السفرةِ التي انتقلَ عقيبَها : أُمِرْتُ

(١) أخرجه مسلم (٤٨٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

الساعةَ بأمرٍ مِنْ أجلِ النِّيلِ ، وكانَ النيلُ قد طلعَ ، وجاءَ أوانُ نزولِهِ فلم ينزلْ ، ولم يُسمَعْ منهُ قبلَ ذلكَ في أمرِ النيلِ شيءٌ ، فقالَ : نخرجُ إلىٰ شاطئِ النيلِ ونُصلِّي ، فخرجَ والجماعةُ معَهُ ، وصلَّىٰ صلاةَ العصرِ علىٰ جانبِ البحرِ ، ثمَّ دعا بأسماءٍ سُمِعَتْ منهُ ، فتناقصَ النيلُ ، ثمَّ تمَّ نقصُهُ حتى انتفعَ الناسُ بالأرضِ) .

وحكى الشيخُ علمُ الدينِ في « مجموعِهِ »[1] ، قالَ : (حكىٰ لي بعضُ الفقراءِ ، قالَ : نزلَ بنا سيلٌ بقِنا ، فأحاطَ بالرباطِ الذي نحنُ فيهِ ، فأيقنَّا بتلافِ الرباطِ ، فخرجتُ إلى الشيخِ الإمامِ وقلتُ : يا سيِّدي ؛ فرغَ تدبيرُ الخلقِ ، ما بقيَ إلا تدبيرُ الحقِّ ، فقالَ : نعم ، وخرَّ ساجداً ثمَّ رفعَ رأسَهُ ، فقالَ : أنتم سالمونَ ، فقالَ الفقيرُ : فنقصَ الماءُ وسَلِمَ المكانُ ، فقالَ الشيخُ : مَنْ كانَ قطبَ الوجودِ كانَ مُتصرِّفاً بأمرِ المعبودِ) .

وقالَ الشيخُ : (كنتُ مرَّةً أسيحُ ، فوصلتُ مُقطَّمَ مصرَ ، وكنَّا ثلاثةَ نفرٍ ، فحانَ وقتُ الزوالِ ولم يكنْ ماءٌ نتوضَّأُ بهِ ، فقالَ أحدُنا : ما أتوضَّأُ إلا بماءِ المطرِ ، فمُطِرْنا ، فتوضَّأَ مِنْ ذلكَ المطرِ .

وقالَ الآخَرُ : ما أتوضَّأُ إلا أنْ تنبعَ لي عينُ ماءٍ ، فنبعَتْ عينُ ماءٍ فتوضَّأَ .

ثمَّ قالَ الآخَرُ : ما أتوضَّأُ إلا مِنَ النيلِ ، فالتقى البحرُ معَ الجبلِ فتوضَّأَ ، ولم يكنْ منَّا حركةٌ) .

(١) علم الدين : هو أبو الطاهر إسماعيل بن إبراهيم بن جعفر المنفلوطي القِنائي ، أحد تلاميذ سيدي ابن الصباغ ، وكان رحمه الله مالكياً جمع بين الشريعة والحقيقة ، وستأتي ترجمته في (٢/ ٣٧) ، وهـٰذا المجموع المشار إليه ذكر فيه نبذة من أحوال وكلام شيخه ابن الصباغ ، وشيخ شيخه عبد الرحيم القناوي ، وفيه أحاديث واستدلالات دلَّت علىٰ فهم وعلم ، وفيه مسائل فقهية ، ومقالات صوفية . انظر « الطالع السعيد » (ص٨٠) .

ثمَّ قالَ : (وحينَ رجوعي سرتُ في الجانبِ الغربيِّ ، ولم آكلْ ولم أشربْ إلىٰ قوصَ) .

وكراماتُهُ كثيرةٌ لا تُعدُّ ولا تُحصَرُ .

قالَ أبو الطاهرِ إسماعيلُ ابنُ جعفرٍ في « كتابِهِ » : (دخلتُ على الشيخِ أبي الحسنِ في مرضِهِ ، فسألْتُهُ عن حالِهِ ، فسمعتُهُ يقولُ : سألتُ ما الذي بي ؟ فقيلَ لي : ابتلَيْناكَ بالفقرِ فلم تشكُ ، وأفَضْنا عليكَ النِّعَمَ فلم تشغلْكَ عنَّا ، وما بقيَ إلا مقامُ الابتلاءِ ؛ لتكونَ حُجَّةً علىٰ أهلِ البلاءِ)[1] .

وقالَ : (دخلتُ عليهِ يوماً في مرضِهِ ، فسمعتُهُ يقولُ : مُنِعتُ مِنَ الطعامِ والشرابِ ، فسألتُ اللهَ أنْ يُطِيبَ ليَ الماءَ ، ففعلَ) .

قالَ : (وسمعتُ زوجتَهُ عائشةَ بنتَ الشيخِ عبدِ الرحيمِ رضيَ اللهُ عنهُم تقولُ : دخلتُ عليهِ يوماً في مرضِهِ ، فسمعتُهُ يقولُ هاتَينِ الكلمتَينِ يُرَدِّدُهُما وحدَهُ مراتٍ : السلامُ عليكُمُ ، السلامُ علىٰ مَنِ اتَّبعَ الهدىٰ ، ثمَّ ردَّ السلامَ بقولِ : وعليكُمُ السلامُ ، ولم يزلْ يُكرِّرُ الشهادتَينِ حتى انتقلَ إلى اللهِ تعالىٰ)[2] .

تُوفِّيَ بقِنا في نصفِ شعبانَ سنةَ اثنتي عشرةَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ ورحمَنا بهِ[3] .

* * *

(١) انظر « الطالع السعيد » (ص٢٠٦) .

(٢) انظر « الطالع السعيد » (ص٢٠٦) .

(٣) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ٣٤٠) ، و« الطالع السعيد » (ص٢٠٥ـ٢٠٨) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ تقيُّ الدينِ أبو العزِّ مُظفَّرُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عليٍّ الشافعيُّ المعروفُ بـ (المُقترَحِ)[1]

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وبرعَ في علمِ الأصولَينِ والخلافِ والفقهِ وتقدَّمَ فيهِ .

وسمعَ مِنْ أبي الطاهرِ ابنِ عوفٍ وطبقتِهِ ، ودرَّسَ بمدرسةِ الحافظِ السِّلَفيِّ بالإسكندريَّةِ ، ثمَّ حضرَ إلى مصرَ ، وتولَّى التدريسَ بمدرسةِ الشريفِ بنِ ثعلبٍ بالقاهرةِ بخطِّ المُلَحيِّينَ[2] ، وكانَ يجلسُ أيضاً بجامعِ مصرَ للاستدلالِ ، ولهُ تصانيفُ مفيدةٌ .

سمعتُ الشيخَ الإمامَ العلامةَ وجيهَ الدينِ عبدَ الوهابِ بنَ حسينٍ البَهْنسيَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ[3] : (جلسَ التقيُّ المُقترَحُ للاستدلالِ ، وكانَ المصريُّونَ يومَئذٍ مُطبِقينَ على الاشتغالِ بعلمِ الجدلِ والخلافِ مُكبِّينَ عليهِ ، فانتصبَ للاستدلالِ ، فأوردَ عليهِ مَنْ حضرَ نيِّفاً وثلاثينَ سُؤَالاً[4] : لواحدٍ اثنانِ ، ولآخرَ أربعةٌ ، ولآخرَ كذا ، ولآخرَ كذلكَ ، وهوَ مُنصِتٌ يسمعُ الجميعَ .

(١) ولقب بذلك ؛ لأنه كان يحفظ « المقترح في المصطلح » لأبي منصور البروي ، وهو كتاب في الجدل ، وقد شرحه بشرح مستوفىً ، وهـٰذا الإمام الكبير هو جدُّ الإمام المجدد المجتهد تقي الدين ابن دقيق العيد لأمه ، وانظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٢٥) .

(٢) والشريف بن ثعلب : هو الأمير فخر الدين إسماعيل الجعفري الزينبي ، أحد أمراء مصر في أيام الملك العادل . انظر « المواعظ والاعتبار » (٣/ ٢١٢ ، ٤/ ٢١٦) .

(٣) ستأتي ترجمة البهنسي في (٢/ ١٩٤ـ ١٩٧) .

(٤) وجمع (سُؤَال) : (أَسْولة) ، كما يستخدمه المؤلف بعد قليل ، وانظر (١/ ١٨١ـ ١٨٢).

فلمَّا فرغُوا مِنْ إيرادِ أسولتِهم قالَ التقيُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : هـٰذا لهُ سُوَالانِ ؛ الأولُ كذا والثاني كذا ، وقال : هـٰذا [لهُ] ثلاثةُ أَسْولةٍ ؛ الأولُ كذا والثاني كذا والثالثُ كذا ، وشرعَ يُعيدُ الأَسْولةَ على الترتيبِ الواقعِ إلىٰ أنْ أكملَ أسولةَ الجميعِ ، فأقسمَ عليهِ بعضُ مَنْ حضرَ مَحفِلَ الاستدلالِ مِنَ الأكابرِ ألا يُجيبَ عنها خوفاً عليهِ مِنَ العينِ ، فنهضُوا وتفرَّقُوا مُعترفِينَ بفضلِهِ ، مُقرِّينَ بنباهتِهِ ونُبلِهِ) .

سمعتُ الشيخَ وجيهَ الدينِ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (لم يكنْ في عصرِ المُقترَحِ مثلُهُ) .

وقالَ الحافظُ زكيُّ الدينِ رحمَهُ اللهُ في الثناءِ عليهِ : (لهُ تصانيفُ مفيدةٌ ، انتفعَ بهِ جماعةٌ كثيرةٌ ، وحدَّثَ بمكَّةَ ومصرَ ، سمعتُ منهُ ، وكانَ كثيرَ الإفادةِ ، مُنتصِباً لمَنْ يقرأُ عليهِ ، كثيرَ التواضعِ ، حسنَ الأخلاقِ ، جميلَ العِشْرةِ لأصحابِهِ ، ديِّناً ورعاً)[1] .

وُلِدَ سنةَ ستينَ - أو إحدىٰ وستينَ - وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في شعبانَ سنةَ اثنتي عشرةَ وستِّ مئةٍ[2] .

* * *

(١) التكملة لوفيات النقلة (٢/ ٣٤٣) .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ٣٤٣) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٧٢) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ الفاضلُ البارعُ الوزيرُ ، جمالُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ الإمامِ العالمِ أبي المنصورِ ظافرِ بنِ الحسينِ ، الأَزْديُّ المالكيُّ العدلُ

تفقَّهَ علىٰ والدِهِ الإمامِ أبي المنصورِ في المذهبِ والأصولَينِ والخلافِ[1] ، وقرأَ الأدبَ ، ونظرَ في تواريخِ الملوكِ والوزراءِ مِنَ العربِ والعجمِ وحفظَ منها جملةً كثيرةً ، خصوصاً ملوكَ الأعاجمِ ، ودرَّسَ بالمدرسةِ المالكيَّةِ الصَّلاحيَّةِ بمصرَ بعدَ وفاةِ والدِهِ ، وترسَّلَ للديوانِ العزيزِ وملوكِ الأطرافِ ، ووليَ الوزارةَ للملكِ الأشرفِ موسى بنِ الملكِ العادلِ ، ثمَّ انفصلَ عنهُ ، وقدمَ مصرَ ، وتولَّى الوكالةَ السلطانيَّةَ ، ثمَّ توجَّهَ للحجازِ ، وعادَ .

وكانَ مُتوقِّدَ الخاطرِ ، طلقَ العبارةِ ، وكانَ معَ تعلُّقِهِ بالدنيا لهُ ميلٌ كبيرٌ إلىٰ أهلِ الآخرةِ ، مُحِبّاً لأهلِ الخيرِ والصلاحِ[2] ، وكانَتْ نتيجةُ ذلكَ وثمرتُهُ ظهرَتْ في سيِّدِنا قطبِ العبادِ صفيِّ الدينِ الحسينِ ؛ فإنَّ الولدَ سرُّ أبيهِ[3] .

وكانَتْ للشيخِ جمالِ الدينِ مُصنَّفاتٌ حسنةٌ مفيدةٌ[4] .

(١) وأبو المنصور تقدمت ترجمته في (١/ ٥٢٣) .

(٢) وقال المنذري في « التكملة » (٢/ ٣٧٧) : (وأقبل في آخر عمره على السنة النبوية ومطالعتها ، وإدمان النظر فيها) .

(٣) وسيترجم المؤلف للإمام صفي الدين ترجمة حافلة في (٢/ ١٥٢ـ ١٦٠) .

(٤) ومن هذه الكتب : كتاب « الدول المنقطعة » قال الذهبي في « السير » (٢٢/ ٦١) : (أتىٰ فيه بنفائس) ، ومنها أيضاً : كتاب « بدائع البدائه » ، وغير ذلك .

وُلِدَ بمصرَ سنةَ سبعٍ وستينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ ليلةَ النصفِ مِنْ شعبانَ سنةَ ثلاثَ عشرةَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ٣٧٦ـ٣٧٧) وفيها ولادته سنة (٥٦٩هـ) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٢/ ٦٠ـ٦١) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ معينُ الدينِ أبو حامدٍ محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ أبي الفضلِ السُّهَيليُّ الجاجَرْميُّ الفقيهُ الشافعيُّ[1]

كانَ إماماً فاضلاً مُفتياً مُبرِّزاً ، سكنَ نيسابورَ ودرَّسَ بها ، وصنَّفَ في الفقهِ كتباً ؛ منها : « الكفايةُ » في مجلَّدٍ واحدٍ[2] ، ومنها : « إيضاحُ الوجيزِ » في مجلَّدَينِ ، ومنها : « القواعدُ » ، ولهُ طريقةٌ مشهورةٌ في الخلافِ .

تُوفِّيَ بكرةَ نهارِ الجمعةِ الحادي والعشرينَ مِنْ رجبٍ سنةَ ثلاثَ عشرةَ وستِّ مئةٍ[3] .

* * *

(١) في المصادر والمراجع التي وقفت عليها : (السهلي) بدل (السهيلي) .

(٢) وهو قريب من حجم « التنبيه » للإمام الشيرازي ، قال ابن خلكان في « وفياته » (٤/ ٢٥٦) : (وهو في غاية الإيجاز مع اشتماله على أكثر المسائل التي تقع في الفتوى) .

(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٥٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٢/ ٦٢ـ٦٣) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٨/ ٤٤ـ٤٥) .

ومنهُمُ :

الإمامُ ركنُ الدينِ أبو حامدٍ محمدُ بنُ محمدِ بنِ محمدٍ العَمِيديُّ الفقيهُ الحنفيُّ السمرقنديُّ

كانَ إماماً في فنِّ الخلافِ ؛ خصوصاً الجُسْتَ[1] ، وهوَ أوَّلُ مَنْ أفردَهُ بالتصنيفِ ، وكانَ اشتغالُهُ بهِ على الشيخِ رضيِّ الدينِ النيسابوريِّ .

وصنَّفَ « طريقتَهُ » ، وصنَّفَ « الإرشادَ » ، واعتنىٰ بشرحِها جماعةٌ مِنَ العلماءِ ؛ **منهُمُ** : القاضي شمسُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ الخليلِ بنِ سعادةَ الخُوَيِّيُّ قاضي دمشقَ[2] ، وصنَّفَ أيضاً كتابَ « النفائسِ » ، واختصرَهُ الخُوَيِّيُّ أيضاً وسمَّىٰ مختصرَهُ : « عرائسَ النفائسِ » ، **وانتفعَ بهِ جماعةٌ** ؛ **منهُم** : أوحدُ الدينِ الدُّونيُّ قاضي منبجَ ، ونجمُ الدينِ ألمَرَنْديُّ ، وبدرُ الدين المَراغيُّ[3] .

وانتفعَ بهِ : الشيخُ نظامُ الدينِ أحمدُ بنُ الشيخِ جمالِ الدينِ الحَصيريُّ الذي قتلَهُ التتارُ بنيسابورَ عندَ خروجِهم سنةَ ستَّ عشرةَ وستِّ مئةٍ .

تُوفِّيَ ركنُ الدينِ سنةَ أربعَ عشرةَ وستِّ مئةٍ[4] .

* * *

(١) **الجُسْت** : لفظة فارسية معناها : البحث ، ثم صارت تطلق على فرع من فن الخلاف .

(٢) **الخُوَيِّيُّ** : نسبة إلى (خُوَي) من بلاد أذربيجان ، وتحرَّفت في كثير من المصادر والمراجع ، وستأتي ترجمته في (١/ ٦١٧) .

(٣) **قوله** : (وانتفع به . . .) إلى آخره : سياق العبارة في هٰذا المكان موهم ، والعبارة في « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٥٧) : (وصنف « الإرشاد » ، واعتنى بشرحها جماعة من أرباب هٰذا الشأن ؛ **منهم** : القاضي شمس الدين الخويي ، والقاضي أوحد الدين الدوني ، ونجم الدين المرندي ، وبدر الدين المراغي ، وغيرهم) .

(٤) انظر «وفيات الأعيان» (٤/ ٢٥٧ـ٢٥٨)، و«الجواهر المضية في طبقات الحنفية» (٢/ ١٢٨).

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ القدوةُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ أبي بكرٍ التُّجِيبيُّ الحرَّارُ[1]
شيخُ شيخِنا الإمامِ العارفِ القدوةِ صفيِّ الدينِ
يُعرَفُ أبو العباسِ بـ(ابنِ الفصَّادِ)

ذكرَهُ ابنُ العربيِّ فقالَ : كانَ صُلْباً في دينِ اللهِ ، كانَ الغيبُ لهُ شهادةً ، صحبَ الشيخَ أبا أحمدَ مِنْ أصحابِ أبي مَدْينٍ وانتفعَ بهِ ، ورغبَ في رؤيةِ الصالحينَ .

ومِنْ كلامِهِ : (إنِّي لأَجهدُ أنْ أرىٰ سواهُ ، فلا أستطيعُ) .

وكانَ كثيراً ما ينشدُ[2] : [من الكامل]

يَا مُؤْنِسِي بِٱللَّيْلِ إِنْ هَجَعَ ٱلْوَرَىٰ وَمُحَدِّثِي مِنْ بَيْنِهِمْ بِنَهَارِ

كانَ مُقيماً بمسجدِ زُقاقِ القناديلِ المعروفِ بـ(ابنِ البَلَّانِ) ، وجاورَ بمكَّةَ مدَّةً .

ولهُ كراماتٌ كثيرةٌ ؛ ومِنْ كراماتِهِ : أنَّ مِنْ أصحابِهِ شيخَنا صفيَّ الدينِ الحسينَ رضيَ اللهُ عنهُما[3] .

تُوفِّيَ في الخامسَ عشرَ مِنْ جمادى الآخرةِ سنةَ ستَّ عشرةَ وستِّ مئةٍ[4] .

* * *

(١) الحرَّار : نسبة إلىٰ عمل الحرير .

(٢) أورده ابن عربي في « الفتوحات المكية » (١/ ٢٣٩) .

(٣) وذكر له سيدي العفيف اليافعي كراماتٍ عديدةً في كتابه المانع « روض الرياحين » انظره (ص٤٧٤ـ٤٧٧) ، وبعضها منقول عن تلميذه سيدي صفي الدين ، وأفرده بالترجمة الحافظ الشهاب القسطلاني بمؤلف سمَّاه : « نزهة الأبرار في مناقب الشيخ أبي العباس الحرَّار » .

(٤) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ٤٦٧) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٤/ ٢٨٢) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ ضياءُ الدينِ أبو القاسمِ عبدُ الرحمٰنِ بنُ الشيخِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ إسماعيلَ بنِ خالدِ بنِ الحسنِ القرشيُّ الشافعيُّ المعروفُ بـ (ابنِ الوزَّاقِ)

تفقَّهَ : على الإمامِ شهابِ الدينِ الطُّوسيِّ ، وانقطعَ إليهِ مدَّةً ، وكانَ أحدَ المُعيدينَ لهُ بالمدرسةِ المعروفةِ بمنازلِ العزِّ[1] ، وقرأَ الأصولَ على الإمامِ أبي المنصورِ ظافرِ بنِ الحسينِ المالكيِّ ، وسمعَ مِنْ عمرَ بنِ محمدٍ المقدسيِّ ، وشُهْدَةَ الأثريَّةِ ، وأضرابِهما .

وشهدَ عندَ قاضي القضاةِ صدرِ الدينِ أبي القاسمِ ابنِ دِرْباسٍ[2] ، وتولَّى الحكمَ بجيزةِ مصرَ وأعمالِها ، ووليَ التدريسَ بالمدرسةِ الناصريَّةِ الصلاحيَّةِ بمصرَ المجاورةِ للجامعِ العتيقِ ، وكانَ يصحبُ الشيخَ الزاهدَ أبا الحسنِ عليَّ بنَ إبراهيمَ بنِ المُسلَّمِ المعروفَ بـ (ابنِ بنتِ أبي سعدٍ) .

وكانَ مُتأدِّباً ، حسنَ الأخلاقِ ، كريمَ النفسِ ، وكانَ يكتبُ خطّاً حسناً ، وقيلَ : إنَّهُ كتبَ قريباً مِنْ أربعِ مئةِ سِفْرٍ .

وكانَ يصنعُ للطلبةِ الطعامَ والألوانَ التي لا يقدِرُونَ عليها ، ويستعيرُ منهُمُ الكتبَ اليومَ واليومَينِ ، فيردُّها إليهِم وفيها في رسِّها[3] بينَ الأوراقِ الدنانيرُ ،

(١) سبق التعريف بهٰذه المدرسة في (١/ ٥٢١) .

(٢) هو عبد الملك الماراني ، وقد سبقت ترجمته في (١/ ٥٣٣ـ ٥٣٤) .

(٣) الرسُّ : الدسُّ أو الطي ، وفي (ب) : (في رتبها) .

بحيثُ لا يلحقُهُم [ذِلَّةُ] المناولةِ[1] ، ولا ذِلَّةُ الرجاءِ والتأميلِ .

تخرَّجَ بهِ جماعةٌ وانتفعُوا عليهِ ، ويكفيهِ قاضي القضاةِ تاجُ الدينِ عبدُ الوهابِ بنُ خلفٍ[2] .

وُلِدَ يومَ الخميسِ ثاني عشرَ ذي الحجَّةِ سنةَ ستٍّ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في سابعَ عشرَ جمادى الآخرةِ سنةَ ستَّ عشرةَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[3] .

* * *

(١) في (أ ، ب) : (بذلة) ، والأولىٰ والأوضح ما أثبت ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) وممَّن تفقه علىٰ يديه : الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري رحمه الله تعالىٰ .

(٣) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ٤٦٧ـ ٤٦٨) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٧٦) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ جلالُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ نجمِ بنِ شاسِ بنِ نزارِ بنِ عشائرَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ شاسٍ الجُذاميُّ السعديُّ المالكيُّ المصريُّ

تفقَّهَ في مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ : على الفقيهِ أبي يوسفَ يعقوبَ بنِ يوسفَ المالكيِّ وغيرِهِ بمصرَ ، وسمعَ مِنِ ابنِ برِّيٍّ ، ودرَّسَ بالمدرسةِ الناصريَّةِ المجاورةِ لجامعِ مصرَ .

وصنَّفَ في مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ كتابَ « الجواهرِ الثمينةِ في مذهبِ عالمِ المدينةِ » حذا فيها حذوَ الغزاليِّ في « الوسيطِ »[1] .

وحجَّ ، وكانَ بعدَ عودِهِ مِنَ الحجِّ قدِ امتنعَ مِنَ الفُتيا إلىٰ حينِ وفاتِهِ ، ولمَّا استُفتيَ في الحشويَّةِ مِنَ المرازقةِ والكِيزانيِّينَ ، ورأىٰ أنَّ ذلكَ مِنْ فروضِ الأعيانِ . . بسطَ قلمَهُ ، ومدَّ مُنتهكاً لحرمةِ حَرَمِهِم يدَهُ وقدمَهُ[2] .

وتُوفِّيَ غازياً بثغرِ دِمياطَ في أحدِ الشهرينِ رجبٍ أو جمادى الآخرةِ سنةَ ستَّ عشرةَ وستِّ مئةٍ مُرابطاً قبلَ دخولِ الفرنجِ إليها[3] .

* * *

(١) **الذي وقفت عليه في المصادر والمراجع** : (الوجيز) بدل (الوسيط) ، والإمام الغزالي اختصر « الوجيزَ » من « الوسيط » ، و« الوسيطَ » من « البسيط » ، و« البسيطَ » من « نهاية المطلب » لشيخه أبي المعالي الجويني .

(٢) تحتمل في (أ) : المثبتَ و(قلمه) .

(٣) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/٤٦٨-٤٦٩) ، و« وفيات الأعيان » (٣/٦١) ، و« الديباج المذهب » (ص١٤١) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ أبو عليٍّ الحسنُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ الحسينِ[1] التونسيُّ المعروفُ بـ (الطويلِ) المالكيُّ

كانَ مِنْ أكابرِ الصالحينَ ، وأعيانِ المشايخِ المُحقِّقينَ ، مشهورٌ بالصلاحِ والزهدِ والتقلُّلِ مِنَ الدنيا ، وقفَ أكثرَ كتبِهِ على الفقهاءِ المشتغلينَ بالعلمِ عندَ خروجِهِ إلىٰ ثغرِ دِمياطَ في النوبةِ الأولىٰ ، وخرجَ طالباً للجهادِ والشهادةِ في سبيلِ اللهِ فلم يُقدَّرْ لهُ ذلكَ ، وتُوفِّيَ بثغرِ دِمياطَ والعدوُّ محيطٌ بها لم يدخلْها بعدُ .

وكانَ مُتقِناً لأصولِ الدينِ ، ورأيتُ بخطِّهِ مباحثَ علىٰ قواعدِ أبي الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ .

تُوفِّيَ في شعبانَ سنةَ ستَّ عشرةَ وستِّ مئةٍ[2] .

* * *

(١) في « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ٤٧٦) : (الخير) بدل (الحسين) .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ٤٧٦ـ٤٧٧) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ نظامُ الدينِ أحمدُ بنُ الشيخِ جمالِ الدينِ أبي المحامدِ محمودِ بنِ أحمدَ بنِ عبدِ السيِّدِ ، البخاريُّ التاجريُّ الحَصيريُّ

تأخَّرَتْ وفاةُ والدِهِ إلىٰ سنةِ ستٍّ وثلاثينَ ، الحَصيريُّ أحدُ طلبةِ ركنِ الدينِ أبي حامدٍ العَميديِّ[1] .

قتلَهُ التتارُ عندَ أوَّلِ خروجِهِم بنيسابورَ سنةَ ستَّ عشرةَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[2] .

* * *

(١) وسبق في (١/ ٥٥٩) أنه أحد المنتفعين بالركن العميدي .

(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٢٥٨ـ٢٥٩) ، و« الجواهر المضية » (١/ ١٢٤) .

ومنهُمُ :

الفقيهُ الصالحُ أبو القاسمِ عبدُ الرحمٰنِ بنُ أبي عبدِ اللهِ القاسمِ الجُزُوليُّ العَقيليُّ المالكيُّ النُّوَيريُّ ، المشهورُ بعدَ وفاتِهِ بـ (الناطقِ)

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وصحبَ جماعةً مِنَ الأولياءِ والصُّلحاءِ ، وتولَّى القضاءَ بالبَهْنَسا مِنَ الصعيدِ الأدنى بإشارةِ بعضِ الصُّلحاءِ .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ شهيداً بيدِ الفرنجِ في ذي القَعْدةِ سنةَ ستَّ عشرةَ وستِّ مئةٍ بظاهرِ دِمْياطَ ، وزُرتُ قبرَهُ في قبورِ الشهداءِ .

وسمعتُ غيرَ واحدٍ مِنْ أهلِ النُّوَيرِ وأهلِ دِمْياطَ يحكُونَ : أنَّهُ بعدَ أنْ قُتِلَ مرَّ عليهِ عِلْجٌ مِنْ علوجِ الفرنجِ ، فناداهُ : يا مسلمُ ؛ نبيُّكُم وكتابُكُم يُخبِرُ أنَّكُم أحياءٌ ، وأينَ حياتُكَ ؟! فاستوى الشيخُ عبدُ الرحمٰنِ قاعداً ، وقالَ لهُ : نعم يا علجُ ؛ نحنُ أحياءٌ عندَ ربِّنا نُرزَقُ فَرِحينَ .

وأخبرَني أيضاً بهٰذهِ الحكايةِ عنِ الشيخِ عبدِ الرحمٰنِ شيخي أبو محمدٍ عبدُ الرحيمِ بنُ أبي زيدٍ المهونيُّ .

ومِنْ كراماتِهِ أيضاً في حياتِهِ : ما أخبرَني بهِ الفقيهُ العالمُ أبو محمدٍ عبدُ المهيمنِ بنُ زكريا النُّوَيريُّ قالَ : كانَ والدي لا يعيشُ لهُ ولدٌ ، فأتى إلى الشيخِ عبدِ الرحمٰنِ الناطقِ ، فقالَ لهُ : يا سيِّدي ؛ ادعُ اللهَ لي أنْ يرزقَني ولداً ذكراً ، فقالَ : اللهمَّ ؛ ارزقْهُ أولاداً ذكوراً ، وبارِكْ لهُ فيهِم وأولادِهِم وأولادِ أولادِهِم ، قالَ : فنحنُ أكثرُ أهلِ النُّوَيرةِ أولاداً وأولادَ أولادٍ ذكوراً[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٢/ ٤٨٥ـ٤٨٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٤/ ٢٩٨) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ صدرُ الدينِ أبو الحسنِ محمدُ بنُ عمرَ الحمُّوييُّ الخراسانيُّ الجُوينيُّ الشافعيُّ]

الشيخُ الإمامُ العلامةُ شيخُ الشيوخِ صدرُ الدينِ أبو الحسنِ محمدُ بنُ شيخِ الشيوخِ عمادِ الدينِ أبي الفتحِ عمرَ بنِ أصيلِ خراسانَ أبي [الحسنِ] عليِّ بنِ الإمامِ الزاهدِ عَلَمِ الزُّهَّادِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ حمُّويه بنِ محمدِ بنِ حمُّويه الحمُّوييُّ الخراسانيُّ النيسابوريُّ الجُوينيُّ البحيراباذيُّ الشافعيُّ .

تفقَّهَ : على الإمامِ أبي طالبٍ محمودِ بنِ عليِّ بنِ [أبي] طالبٍ الأصفهانيِّ صاحبِ « التعليقةِ » المشهورةِ ، وقدمَ الشامَ وتفقَّهَ بها ، **وقرأَ** : على الإمامِ قطبِ الدينِ النيسابوريِّ ، **وسمعَ بهمَذانَ** : مِنْ والدِهِ شيخِ الشيوخِ وغيرِهِ ، **وسمعَ بدمشقَ** : مِنْ أبي الفرجِ يحيى بنِ محمودِ الثقفيِّ وغيرِهِ ، وولِيَ المناصبَ الجليلةَ بالديارِ المصريَّةِ وغيرِها .

وهوَ مِنْ بيتِ علمٍ ودينٍ وفضلٍ .

والدُهُ : أبو الفتحِ عمرُ ، سمعَ مِنْ غيرِ واحدٍ ، وحدَّثَ ، وقدمَ دمشقَ وسكنَ بها إلى أنْ تُوفِّيَ بها .

وجدُّهُ : أبو [الحسنِ] عليٌّ خرجَ إلى طُوسَ ، وأقامَ بها عندَ الإمامِ أبي حامدٍ الغزاليِّ رضيَ اللهُ عنهُ مدَّةً ، وصحبَهُ ، وسمعَ [بنيسابورَ] .

وجدُّ أبيه : عَلَمُ الزُّهادِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ حمُّويه ممَّنْ يُضرَبُ بهِ المثلُ في الزهدِ والورعِ ، صاحبُ كراماتٍ ، ولهُ تصانيفُ في علومِ القومِ ، ولهُ مريدُونَ تخرَّجُوا بهِ وبعدُوا في الطريقِ .

وُلِدَ صدرُ الدينِ بجُوينَ في شوَّالٍ سنةَ ثلاثٍ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بالموصلِ في جمادى الأولىٰ سنةَ سبعَ عشرةَ وستِّ مئةٍ ، ودُفِنَ في صحراءِ المعافى بنِ عمرانَ في تربةِ قضيبِ البانِ إلىٰ جانبِ قبرِهِ ، رحمَهُ اللهُ[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ١٥ـ ١٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٤/ ٣٧٦ـ ٣٧٧) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ الصالحُ مُوفَّقُ الدينِ عَقيلُ بنُ مُهلَّبٍ المُهلَّبيُّ البَهْنَسيُّ الشافعيُّ]

الشيخُ الإمامُ الفاضلُ الصالحُ مُوفَّقُ الدينِ عَقيلُ بنُ الشيخِ الفاضلِ أبي المحاسنِ مُهلَّبِ بنِ حسنِ بنِ بركاتِ بنِ عليِّ بنِ غياثِ بنِ قاسمِ بنِ مُهلَّبِ بنِ أبي صُفْرةَ المُهلَّبيُّ البَهْنَسيُّ الشافعيُّ .

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ ، واشتغلَ بالأصولِ ، وصحبَ جماعةً مِنَ الصالحينَ ، وأقرأَ بالجامعِ العتيقِ بمصرَ ، وكانَ مِنْ أعيانِ الفُضَلاءِ .

تُوفِّيَ ثامنَ عشرَ صفرٍ سنةَ ثمانٍ عشرةَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٣٦) ، وفيها : أنَّ وفاته في الخامس عشر من الشهر المذكور .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ سَديدُ الدينِ أبو عليٍّ الحسينُ بنُ أبي القاسمِ عبدِ الوهابِ بنِ حسنِ بنِ بركاتِ بنِ عليٍّ بنِ غياثِ بنِ قاسمِ بنِ مُهلَّبِ بنِ أبي صُفْرةَ

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، ووَلِيَ التدريسَ والإمامةَ بجامعِ السرَّاجينَ بالقاهرةِ إلى حينِ وفاتِهِ ، ونابَ في الحكمِ عن قاضي القضاةِ أبي القاسمِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ عبدِ العليِّ ابن السُّكَّريِّ مدَّةً ، ثمَّ تركَ ذلكَ ، وكانَ ورعاً زاهداً وَقوراً ، وهوَ والدُ شيخِنا الإمامِ وجيهِ الدينِ عبدِ الوهابِ[1] .

تُوفِّيَ غرَّةَ شعبانَ سنةَ ثمانِ عشرةَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ تعالى[2] .

* * *

(١) والمؤلف ينقل عن الوجيه كثيراً نقولاتٍ نفيسةً، وسيذكر له ترجمة حافلة في (٢/ ١٩٤ـ ١٩٧).

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥٣ـ٥٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٤/ ٣٩٩) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ الحافظُ أبو الفتوحِ برهانُ الدينِ ابنُ الحُصْريِّ الحنبليُّ نزيلُ مكَّةَ شرَّفَها اللهُ تعالىٰ وإمامُ الحنابلةِ بها[1]

ذكرَ الحافظُ رشيدُ الدينِ أبو الحسينِ يحيى بنُ عليٍّ العطَّارُ في « معجمِهِ » فقالَ : (سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ لبٍّ بنِ أحمدَ الأنصاريَّ الأندلسيَّ الشاطبيَّ أحدَ أصحابِ الشيخِ أبي الحسنِ ابنِ الصبَّاغِ رضيَ اللهُ عنهُما يقول : سألتُ صاحباً لي بمكَّةَ شرَّفَها اللهُ تعالىٰ مِنْ أهلِ المغربِ ؛ فقلتُ : أنتَ إذا فاتَتْكَ الصلاةُ خلفَ إمامِ العامَّةِ . . تُصلِّي خلفَ البرهانِ إمامِ الحنابلةِ ؟

فقالَ : قد كنتُ أتوقَّفُ في ذلكَ حتىٰ رأيتُ في المنامِ كأنِّي علىٰ شاطئِ نيلِ مصرَ وقد حضرَتْ جنازةٌ ، فقالَ لي مَنْ حضرَ : صلِّ عليهِ ، فقلتُ : لا أُصلِّي علىٰ مَنْ لا أعرفُهُ ، فقيلَ لي : رجلٌ مِنَ المسلمينَ ، وما عليكَ ألا تعرفَهُ ؟! تقدَّمْ فصلِّ عليهِ ، فقلتُ : لا أُصلِّي علىٰ مَنْ لا أعرفُهُ ، فكشفُوا لي عن وجهِهِ ؛ فإذا هوَ البرهانُ إمامُ الحنابلةِ ، فقلتُ : لا أُصلِّي عليهِ .

قالَ : فبينا نحنُ كذلكَ ؛ إذْ أقبلَتْ جماعةٌ عليهِم نورٌ عظيمٌ ، فإذا فيهِمُ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ لي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : تقدَّمْ فصلِّ عليهِ ؛ فإنَّهُ ليسَ منهُم ، فصلَّيتُ عليهِ وزالَ ما كانَ في قلبي منهُ) ، هٰكذا ذكرَها الشيخُ رشيدٌ .

(١) وهو : الإمام المقرئ المحدث الحافظ الزاهد نصر بن محمد الهَمْداني البغدادي . انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٦٩) .

وكنتُ سمعتُ قبلَ الوقوفِ عليها في « المعجمِ » : أنَّ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ ذهبَ إليهِ ليتحلَّلَ منهُ ، فحينَ وقعَ بصرُهُ عليهِ قالَ : يا أبا عبدِ اللهِ ؛ صلِّ عليَّ وورائي وأنتَ آمنٌ ، صدقَ اللهُ ورسولُهُ ، لستُ أعتقدُ اعتقادَ هؤلاءِ المُتأخِّرينَ .

لم يذكرِ الشيخُ لهُ وفاةً[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/٦٩ـ٧٠) ، وذكر ولادته في شهر رمضان سنة (٥٣٦هـ) ، ووفاته في المحرم ـ وقيل : في ربيع الأول ـ سنة (٦١٩هـ) ، وقيل : في ربيع الآخر ، وقيل : في ذي القعدة سنة (٦١٨هـ) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٤٤/٤٦٦ـ٤٦٨) .

ومنهُم :

قاضي القضاةِ تاجُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ السلامِ بنُ عليِّ بنِ منصورٍ الدِّمْياطيُّ المعروفُ بـ (ابنِ الخرَّاطِ) الشافعيُّ

رحلَ إلىٰ بغدادَ وقرأَ القرآنَ على ابنِ المقرونِ ، ثمَّ رحلَ إلىٰ واسطٍ فقرأَ علىٰ [أبي] بكرِ بنِ الباقلانيِّ المقرئِ .

وسمعَ : على ابنِ المعطوشِ ، وأبي عليٍّ الحسنِ بنِ عبدِ [الرحمٰنِ] بنِ الحسنِ الفارسيِّ .

ووليَ القضاءَ والتدريسَ بدِمْياطَ ، ثمَّ وليَ القضاءَ بمصرَ .

وُلِدَ سابعَ رمضانَ سنةَ إحدىٰ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بثغرِ دِمْياطَ سنةَ تسعَ عشرةَ وستِّ مئةٍ في ثالثَ عشرَ ربيعٍ الأوَّلِ[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٧١ـ٧٢) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٩٥ـ١٩٦) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ أمينُ الدينِ أبو الأسعدِ ـ ويُقالُ : أبو الخيرِ ـ مُظفَّرُ بنُ أبي الخيرِ بنِ إسماعيلَ بنِ عليٍّ ، التِّبْريزيُّ الوارانيُّ الشافعيُّ

تفقَّهَ ببغدادَ على مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ : على أبي القاسمِ بنِ فَضْلانَ ، وأعادَ بالنِّظَاميَّةِ مدَّةً ، وأمَّ بالناسِ بمسجدِ عزِّ الدينِ نجاحٍ الشَّرَابيِّ .

سمعَ : مِنْ أبي الفرجِ ابنِ كليبٍ الحرَّانيِّ ، وابنِ سُكينةَ .

وحجَّ ، وقدمَ مصرَ ، فدرَّس بالمدرسةِ الناصريَّةِ المُجاورةِ لجامعِ مصرَ مدَّةً ، ثمَّ توجَّهَ إلى العراقِ ، ومضى إلى شيرازَ ، وصنَّفَ في المذهبِ والأصولِ .

وُلِدَ سنةَ ثمانٍ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بشيرازَ سنةَ إحدى وعشرينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ١٣٤) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٨/ ٣٧٣ـ٣٧٤) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الفقيهُ أبو محمدٍ عطاءُ اللهِ بنُ أبي عليٍّ منصورِ بنِ نَصَرٍ الإِسْكَنْدرانيُّ المالكيُّ[1]

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، ونابَ في الحكمِ بثغرِ الإسكندريَّةِ ، **روىٰ بالإجازةِ** : عنِ السِّلَفِيِّ ، وعنِ الشريفِ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الرحمٰنِ العثمانيِّ .

وُلِدَ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في ليلةِ الثاني مِنْ رجبٍ سنةَ اثنتينِ وعشرينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[2] .

* * *

(١) **قوله** : (نَصَر) قال المنذري في « التكملة » (٣/ ١٥١) : (بالنون وفتح الصاد المهملة ، ويقال : نَصْر ؛ بإسكان الصاد ، **والمشهور الأول**) .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ١٥١) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٥/ ١١٩) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ العارفُ القدوةُ فخرُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ إبراهيمَ ابنِ الطاهرِ بنِ محمدِ بنِ طاهرِ بنِ أحمدَ بنِ أبي الفوارسِ الشِّيرازيُّ الخَبْريُّ الشافعيُّ الصوفيُّ

تفقَّهَ بالبلادِ ، ورحلَ قاصداً الديارَ المصريَّةَ ، فاشتغلَ على الحافظِ ثقةِ الدينِ ابنِ عساكرَ[1] ، وكانَ قرأَ على أبي الغنائمِ المُطهَّرِ بنِ خلفِ بنِ عبدِ الكريمِ النيسابوريِّ ، ثمَّ رحلَ إلى الإسكندريَّةِ ، فسمعَ بها مِنْ أبي طاهرِ السِّلَفِيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وصنَّفَ وأفتى ، وجاورَ بمكَّةَ شرَّفَها اللهُ تعالى مدَّةَ سنينَ ، وانقطعَ بعدَ ذلكَ بمعبدِ ذي النونِ المصريِّ رضيَ اللهُ عنهُ .

لهُ كلامٌ حسنٌ ضمَّنَهُ كتبَهُ الآتيَ ذكرُها وتَعدادُها ؛ فمِنْ ذلكَ : ما ذكرَهُ في أوَّلِ كتابِهِ المُسمَّى : « دَلالةَ المستنهجِ إلى معالمِ المعارفِ ، ورسالةَ المستبهجِ إلى عوالمِ العوارفِ » قالَ بعدَ الخطبةِ :

(أمَّا عقيدتُهُم : فقد أجمعَ أئمَّةُ هٰذهِ الطريقةِ ، وساداتُ شيوخِ الصوفيَّةِ أُولي الحقيقةِ ـ على ما دلَّتْ عليهِ مُتفرِّقاتُ كلامِهِم ، ومجموعاتُ أنفاسِهِم ، في [مُصنَّفاتِهِم] في التوحيدِ ، وتأسيسِهِم قواعدَ العقائدِ على أصحِّ الأصولِ وأوضحِ السبيلِ ، المصونِ عنِ التشبيهِ والتمثيلِ والتعطيلِ ، لمَّا عرفُوا ما هوَ

(١) كذا في (أ ، ب) ، وظاهر العبارة : أنه سمع من ابن عساكر في مصر ، وفي « تاريخ الإسلام » (٤٥/١٢٨) : أنه قدم دمشق سنة ست وستين وخمس مئة وعمره سبع وثلاثون سنة ، فسمع من الحافظ ابن عساكر ، ثم رحل إلى الإسكندرية فسمع من السِّلَفي .

حقُّ القديمِ[1] ، وتحقَّقُوا بما هوَ نعتُ الحادثِ عنِ العَدَمِ ـ علىٰ أنَّ العالَمَ بأسرِهِ ؛ جواهرِهِ وأعراضِهِ وأجسامِهِ ، لطيفِهِ وكثيفِهِ . . حادثٌ ؛ **ومعنى العالَمِ** : كلُّ موجودٍ سوى اللهِ .

والعالَمُ في وجودِهِ مُفتقِرٌ إلىٰ مُحدِثٍ مُخصِّصٍ أحدثَهُ وخصَّصَهُ بالوجودِ الجائزِ ، وأنَّ مُحدِثَهُ هوَ اللهُ الذي لا إلٰهَ غيرُهُ ، الموصوفُ بالصفاتِ الواجبةِ لهُ أزلاً وأبداً ، وأنَّ صفاتِهِ علىٰ ثلاثِ مراتبَ : المرتبةِ الأولىٰ . . .) ، وذكرَ صفاتِ الذاتِ إلىٰ أنْ قالَ : (**وجهُ تحقيقِ الإشارةِ في وصفِهِ** : بأنَّهُ لا يُشبِهُ شيئاً ، ولا يُشبِهُهُ شيءٌ ؛ أي : لا يتقدَّرُ بالعقولِ ، ولا يُتصوَّرُ في الأوهامِ ، وما سواهُ قابلٌ لهٰذهِ الصفةِ) .

ثمَّ قالَ في المرتبةِ الثانيةِ في الصفاتِ المعنويَّةِ : (**وجهُ تحقيقِ الإشارةِ أنَّهُ مُتكلِّمٌ بكلامٍ قديمٍ** : أنَّ كلامَهُ القديمَ [مِنَ المعاني القائمةِ بهِ المُتعلِّقةِ] بمُتعلَّقاتِها[2] ، لا يُشبِهُ كلامَ مَنْ سواهُ ، يستحيلُ عليهِ الانفصالُ عن ذاتِهِ ، والحلولُ بغيرِهِ) .

ثمَّ قالَ في المرتبةِ الثالثةِ في صفاتِ الأفعالِ : (**وجهُ التقريرِ** : أنَّهُ تعالىٰ معلومُ الوجودِ ، مرئيُّ الذاتِ بالأبصارِ ، وعداً منهُ في دارِ القرارِ ، قريبٌ ممَّا سواهُ لا بالذاتِ ، بعيدٌ عمَّا سواهُ لا بالصفاتِ ، قربُهُ مِنَ الخلقِ خلقُ الهدايةِ لهُم والإيمانِ ، وبُعْدُهُ خلقُ الشَّقاوةِ لهُم والخِذْلانِ)[3] .

صنَّفَ تصانيفَ في طريقِ الصوفيَّةِ وغيرِها مفيدةً ممتعةً ؛ **فمنها** : « دَلالةُ

(١) في « دلالة المستنهج » : (القدم) ، وهو أنسب بالسجعة .

(٢) في الأصل : (فإن كلامه القديم صفة قائمة به المتعلق بمتعلقاتها) انظر « دلالة المستنهج » (ق/ ٩) .

(٣) دلالة المستنهج (ق/ ٧ ـ ١٠) .

المستنهجِ » التي ذكرنا منها كلامَهُ ، وهيَ مُجلَّدانِ ، **ومنها** : « مطيَّةُ النقلِ وعطيَّةُ العقلِ » ، « الإعانةُ على دفعِ الإغانةِ » ، « سرُّ السيرِ منكَ إليهِ » ، « تحليةُ الذاهبِ بالواهبِ عنِ المواهبِ » ، « نسلُ الأسرارِ وسرُّ الإسكارِ » ، « المنتقى لأهلِ التقى » ، « جمحةُ النُّهى عن لمحةِ المَها » ، « الفارقُ بينَ الشوقِ والاشتياقِ » ، « الأجوبةُ الفارسيَّةُ عنِ الأسولةِ المصريَّةِ » ، « سلامةُ المِلَلِ مِنَ الزَّلَلِ » ، « تلقيحُ القرائحِ وتنقيحُ الفوادحِ » ، « قطعُ النفسِ للمفاوزِ في طلبِ الواجبِ والجائزِ » ، « برقُ التقى وصبحُ النَّقا عن شمسِ اللِّقا » ، « الرسالةُ الفاغيَةُ » ، « صبوةُ العقولِ والأسماعِ » ، « أستارُ المحرميةِ وأسرارُ المحرميَّةِ » ، « تصحيحُ الأسبابِ المُحقِّقةِ للأنسابِ والانتسابِ » ، « التذكرةُ والتبصرةُ » ، « بلغةُ الفاصلِ وعروةُ الواصلِ » .

لهُ كراماتٌ كثيرةٌ مشهورةٌ ، انتفعَ بهِ جماعةٌ مِنَ الصُّلَحاءِ والأكابرِ ، وتفقَّهَ على يديهِ المشايخُ والمريدُونَ .

ومِنْ مناقبِهِ : ما أفتى بهِ في واقعةِ المَرازقةِ والكِيزانيِّينَ ومَنْ يعتقدُ اعتقادَهُم ، وسيأتي ذكرُها[1] .

قيلَ : إنَّهُ كانَ مالكيَّ المذهبِ .

وُلِدَ تخميناً سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ سادسَ عشرَ ذي الحجَّةِ سنةَ اثنتينِ وعشرينَ وستِّ مئةٍ ، ودُفِنَ أمامَ معبدِ ذي النونِ في الموضعِ الذي عمرَهُ ، رحمَهُ اللهُ[2] .

* * *

(١) انظر (٢/ ٤٧٠) .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ١٦٤ـ١٦٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٥/ ١٢٨ـ١٣٠) .

ومنهُم :

أبو المحاسنِ يوسفُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ بُندارَ الدمشقيُّ الشافعيُّ

كانَ عالماً بالأصولِ والفروعِ ، استوطنَ بغدادَ ، ودرَّسَ بالمدرسةِ النِّظَاميَّةِ بها ، وولدُهُ قاضي القضاةِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي المحاسنِ المذكورِ وليَ قضاءَ القضاةِ بالديارِ المصريَّةِ .

تُوفِّيَ ولدُهُ المذكورُ في جمادى الآخرةِ سنةَ اثنتينِ وعشرينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/١٤٩-١٥٠)، و« سير أعلام النبلاء » (٢٠/٥١٣-٥١٤، ٢٢/٢٩٦) ، وأبو المحاسن توفي سنة (٥٦٣هـ) .

ومنهُمُ :

الشيخُ أبو أحمدَ وأبو جعفرٍ[1] بنُ عبدِ اللهِ بنِ سَيِّد بُونَه الخُزاعيُّ

مِنْ أهلِ وادي ياشَ ، وأصلُهُ مِنْ قُطرِ دانيةَ ، صحبَ الشيخَ أبا مدينٍ وائتمَّ بهِ ، وكانَ معاصراً للشيخِ أحمدَ الرفاعيِّ كأنَّهُما كِفَّتا الميزانِ .

ذكرَهُ أبو جعفرِ ابنُ الزبيرِ في « صلةِ الصلةِ » قالَ : (كانَ ذا فضلٍ وصلاحٍ ، قرأَ ببلنسيةَ وتفقَّهَ ، وكانَ يحفظُ نصفَ « المدوَّنةِ » أو أكثرَها[2] ، ويُؤثِرُ الحديثَ والتفسيرَ والفقهَ على غيرِ ذلكَ مِنَ العلومِ ، قرأَ القرآنَ : على أبي الحسنِ بنِ هذيلٍ ، وابنِ نعمةَ .

ورحلَ إلى المشرقِ ، فلقيَ في رحلتِهِ جملةً مِنَ الأعيانِ ، **أشهرُهُم وأكبرُهُم في بابِ الزهدِ والورعِ وسَنِيِّ المقاماتِ** : الشيخُ أبو مدينٍ شعيبُ بنُ الحسينِ المقيمُ ببجايةَ ، صحبَهُ كثيراً ، وارتوى مِنْ زُلالِهِ عذباً نميراً ، وغلبَتْ عليهِ العبادةُ وحسنُ التوجُّهِ إلى اللهِ تعالى ، فعُرِفَ بهِ وشُهِرَ ، ورحلَ إليهِ عالَمٌ للتيمُّنِ برؤيتِهِ ، فظهرَتْ بركتُهُ عليهِم ، وحظُّهُ مِنَ العملِ معَ علمِهِ الجليلِ موفورٌ[3] ، فعملُهُ وعلمُهُ نورٌ على نورٍ .

صحبتُ قريبَهُ الشيخَ أبا تمَّامٍ غالبَ بنَ حسنِ بنِ سيِّد بُونَه حينَ وردَ حضرةَ

(١) جاء اسمه في المصادر والمراجع التي وقفت عليها : أن اسمه (جعفر) ، وكنيته (أبو أحمد) فقط .

(٢) في « الإحاطة في أخبار غرناطة » : (وأقرأها) بدل (أو أكثرها) .

(٣) في « الإحاطة بأخبار غرناطة » : (من العلم مع عمله) بدل (من العمل مع علمه) .

غرناطةَ ، وقصدتُ موضعَهُ لآخذَ عنهُ فلم يُقضَ بذلكَ)[1] .

وكانَ الشيخُ أبو مدينٍ يُعظِّمُهُ ، قيلَ : إنَّهُ أقامَ في خلوةٍ عشرَ سنينَ ، وخدمَ أهلَ الابتلاءِ مِنَ الفقراءِ والمساكينِ عشرَ سنينَ ، وكانَ الشيخُ أبو مدينٍ إذا كاتبَهُ يكتبُ : (مِنَ الوالدِ الراضي إلى الولدِ المرضيِّ) .

نُقِلَ عنِ الشيخِ أبي العبَّاسِ الحرَّارِ أنَّهُ قالَ[2] : (لمَّا وردتُ على الشيخِ أبي أحمدَ وجدتُ عندَهُ في موضعٍ واحدٍ أربعَ مئةٍ شابٍّ ، كلُّ مَنْ جئتُ إليهِ منهُم كاشفَني) .

وُلِدَ سنةَ أربعٍ وعشرينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في شوَّالٍ سنةَ أربعٍ وعشرينَ وستِّ مئةٍ ، تأخَّرَتْ وفاتُهُ عن وفاةِ أبي العبَّاسِ الحرَّارِ[3] .

* * *

(١) انظر « الإحاطة في أخبار غرناطة » (١/ ٤٦٢ـ٤٦٣) .

(٢) وقد سبقت ترجمة أبي العباس الحرَّار في (١/ ٥٦٠) .

(٣) انظر « تاريخ قضاة الأندلس » (ص١٣٧) ، و« الإحاطة في أخبار غرناطة » (٤٦١ـ٤٦٣) ، ولم يذكر مولده ، بل ذكر وفاته وقال : (إنه نيَّف على الثمانين) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ أبو حفصٍ عمرُ بنُ الشيخِ الإمامِ أبي الحارثِ أعزِّ بنِ الشيخِ أبي حفصٍ عمرَ ابنِ عَمُّويه ، القرشيُّ التيميُّ البكريُّ السُّهْرَوَرْديُّ الأصلِ ، البغداديُّ المولدِ والدارِ

وهوَ ابنُ أخي الشيخِ أبي النَّجيبِ ، تفقَّهَ علىٰ عمِّهِ المذكورِ ، وأخذَ عنهُ الفقهَ والوعظَ والتصوُّفَ ، وسمعَ مِنْ أبي الوقتِ وأضرابِهِ ، وكانَتْ لهُ قدمٌ ثابتةٌ في طريقةِ التصوُّفِ .

وُلِدَ في رجبٍ سنةَ اثنتينِ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الثالثَ عشرَ مِنْ شهرِ ربيعٍ الأوَّلِ سنةَ أربعٍ وعشرينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٢٠٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٥/ ٢٠٢ـ٢٠٣) ، ونبَّه في هامش (أ) أن المترجَم ها هنا غير شهاب الدين أبي حفص السهروردي الآتي في (١/ ٥٩٥ـ٥٩٦) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ قاضي القضاةِ شيخُ العلماءِ شرفُ الخطباءِ عمادُ الدينِ أبو القاسمِ عبدُ الرحمٰنِ بنُ عبدِ العليِّ بنِ عليٍّ المعروفُ بـ (ابنِ السُّكَّريِّ) رحمَهُ اللهُ

صحبَ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ القرشيَّ ، وتفقَّهَ على الإمامِ شهابِ الدينِ الطُّوسيِّ ، وقرأَ عليهِ وعلىٰ أبي المنصورِ ظافرٍ علمَ الأصولِ ، وانقطعَ إلى الصالحينَ خصوصاً الشيخَ أبا عبدِ اللهِ القرشيَّ .

وليَ التدريسَ بمنازلِ العزِّ ، والخطابةَ بجامعِ الحاكمِ بالقاهرةِ المُعزِّيَّةِ ، وقضاءَ القضاةِ بالديارِ المصريةِ ، وكانَ ملازماً للخيرِ بظاهرِهِ وباطنِهِ ، لهُ كراماتٌ وأحوالٌ .

ولهُ « حواشٍ على الوسيطِ » ، وكتابٌ أجابَ فيهِ عن أسئلةٍ أوردَها بعضُ الحنابلةِ سمَّاهُ : « الكشفَ عمَّا التبسَ علىٰ بعضِ مَنِ التمسَ » ، قالَ في خُطبتِهِ :

(الحمدُ للهِ الذي أرشدَ العقولَ لمعرفتِهِ ، وهداها بنورِ هدايتِهِ ، ومكَّنَها مِنَ النظرِ في أسرارِ مملكتِهِ ، ثمَّ زجرَها عنِ التجاوزِ عن مَطْرحِ شُعاعِها ، ومنتهىٰ كمالِها ، وميدانِ مجالِها ، فوقفَ في مقامِ الاعترافِ بالقصورِ عن إدراكِ الغايةِ ، والإحاطةِ بأقصى النهايةِ ؛ فالعقولُ عن وصفِ جلالِهِ معقولةٌ ، ومعاقدُ العقودِ في نعتِ جلالِهِ محلولةٌ ، ومطايا الواجدينَ مشكولةٌ ، وأيدي المريدينَ إلى الأعناقِ مغلولةٌ ؛ فالأوهامُ مقهورةٌ ، والخيالاتُ مزجورةٌ ، غرقَتْ في بحورِ سرمديَّتِهِ عقولُ العقلاءِ .

فالعجبُ كلُّ العجبِ ممَّنْ يعزلُ نظرَ عقلِهِ ، ويقولُ [. . .][1] موافقاً للخاصَّةِ التي بها يمتازُ نوعُ الإنسانِ عمَّا سواهُ مِنَ الحيوانِ أنَّهُم عاملونَ لفعالِها !! فهـٰذا مسكينٌ لا يتجاوزُ حكمَ حواسِّهِ ، فلا يعلمُ إلا ما تسمعُهُ أُذُناهُ ، أو تبصرُهُ عيناهُ ، أو يتذوَّقُهُ لسانُهُ ، أو يُدرِكُهُ إحساسُهُ ، إنْ هم إلا كالأنعامِ بل هم أضلُّ سبيلاً .

ثمَّ ليتَ شعري !! هل هوَ معَ هـٰذا أصمُّ ؟! أمَا سمعَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ١٨٥]) ، وسردَ الآياتِ التي تدُلُّ على اعتبارِ شاهدِ العقلِ [. . .][2] في آياتِ الذاتِ والصفاتِ ، إلىٰ أنْ أكملَهُ .

ولمَّا وقفتُ عليهِ وتبرَّكتُ واستفدتُ منهُ [. . .][3] يصدعُ بالحقِّ ويهدي إلى الطريقِ الحريِّ ، هو سيفٌ يَقُدُّ قدَّ المناويِّ ببراهينِ عالمٍ أشعريٍّ ، أبرزَ البحرُ درَّهُ فهوَ يُزري في صفاءِ بجوهرِ الجوهريِّ [. . .][4] .

سمعَ : مِنِ ابنِ معزوزٍ الكوميِّ ، وابنِ سُمَّاقا ، ونظرائِهِما ، وظهرَتْ لهُ مكاشفاتٌ وكراماتٌ .

وُلِدَ بمصرَ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في ثامنَ عشرَ شوَّالٍ سنةَ أربعٍ وعشرينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ .

وكانَ قد تزوَّجَ ابنةَ الشيخِ شهابِ الدينِ الطوسيِّ[5] .

* * *

(١) ثلاث كلمات غير واضحات في (أ) بسبب رداءة التصوير .

(٢) ما بين معقوفين كلام غير واضح بسبب رداءة التصوير .

(٣) ما بين معقوفين كلام غير واضح بسبب رداءة التصوير .

(٤) ما بين معقوفين كلام غير واضح بسبب رداءة التصوير ، وعموماً : فهـٰذه الخطبة كتبت علىٰ هامش (أ) ، واختلطت وذهب قسم منها بسبب رداءة التصوير .

(٥) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٢١٠ـ٢١١) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٧٠ـ١٧٢).

ومنهُمُ :

الفقيهُ ثابتُ بنُ حسنِ بنِ خليفةَ بنِ عبدِ الكريمِ اللخميُّ النَّحْويُّ الإِسْكندريُّ الكَرْيُونيُّ[1]

كانَ حسنَ الديانةِ ، صحيحَ الاعتقادِ ، مالكيَّ المذهبِ ، أشعريَّ الاعتقادِ ، جيِّدَ النظمِ ، سمعَ السِّلَفيَّ وأضرابَهُ .

نقلَ الحافظُ رشيدُ الدينِ يحيى العطارُ عنهُ قالَ : كتبَ إليَّ الحافظُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ المُفضَّلِ المقدسيُّ وأنا بالقاهرةِ : [من الكامل]

إِنَّ ٱلفَقِيهَ أَبَا رَزِينٍ ثَابِتاً ... فِي ٱلْفَضْلِ مَعْدُودٌ بِعَقْدِ ٱلْخِنْصِرِ
صَحَّتْ عَقِيدَتُهُ وَجَادَ قَرِيضُهُ ... فَلأَجْلِ ذَلِكَ كَانَ أَشْعَرَ أَشْعَرِيّ[2]

وُلِدَ حادي عشرَ شعبانَ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في جمادى الأولى سنةَ خمسٍ وعشرينَ وستِّ مئةٍ[3] .

* * *

(١) ويكنى : (أبا الحسن) ، وقيل : (أبا رزين) .

(٢) وأورد له السيوطي في « بغية الوعاة » (١/ ٤٨١) من شعره : (من الكامل)

العلمُ يمنعُ أهلَهُ أنْ يُمنعا ... فاسمحْ بهِ تنلِ المحلَّ الأرفعا
واجعلْهُ عندَ المستحِقِّ وديعةً ... فهو الذي مِنْ حقِّهِ أنْ يُودَعا
والمستحِقُّ هو الذي إنْ حازَهُ ... يعملْ بهِ وإذا تلقَّفَهُ وعى

(٣) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٢٢٣) ، و« بغية الوعاة » (١/ ٤٨٠-٤٨١) .

ومنهُمُ :

الإمامُ شرفُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ الشيخِ [أبي حفصٍ عمرَ بنِ الشيخِ] أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ عمرَ بنِ جعفرٍ الأَزْديُّ الغسَّانيُّ المالكيُّ المعروفُ بـ (ابنِ اللَّهيبِ)

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ : على أبي المنصورِ ظافرٍ ، وعلى أبي البركاتِ ابنِ ثعلبٍ ، وعلى المرتضى أبي عليٍّ الحسنِ بنِ عتيقٍ القَسْطلانيِّ ، واشتغلَ أيضاً على الفقيهِ أبي إسحاقَ العراقيِّ الشافعيِّ خطيبِ الجامعِ بالأصولِ ، وأخذَ نُكَتاً عنِ الظهيرِ الفارسيِّ الحنفيِّ وناظرَ عندَهُ ، وتصدَّرَ بالجامعِ ، وخطبَ بجيزةِ مصرَ ، وتولَّى تدريسَ المدرسةِ الصاحبيَّةِ بالقاهرةِ .

وكانَ مُفرِطَ الذكاءِ ، سابقاً إلى مداركِ العلمِ ، مُتوقِّدَ الفطنةِ .

وهوَ مِنْ أهلِ بيتِ علمٍ وصلاحٍ وكرمٍ ؛ كانَ أبو العباسِ ابنُ اللَّهيبِ كثيرَ المعروفِ والبِرِّ ، مُجتهداً في إغاثةِ الملهوفِ ، معَ صلاحٍ وعبادةٍ ، والفقيهُ أبو محمدٍ ابنُ اللَّهيبِ كانَ المُتميِّزَ في وقتِهِ في المعارفِ .

تُوفِّيَ أبو عبدِ اللهِ شرفُ الدينِ في عشرِ رجبٍ سنةَ سبعٍ وعشرينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٢٦٦ـ٢٦٧) ، وفيها أنه سأله عن مولده ، فقال : سنة إحدى وسبعين وخمس مئة ، و« تاريخ الإسلام » (٤/ ١٨٣) ، وجاءت هـٰذه الترجمة ضمن ورقة مرفقة ، ولعله سقط بعدها ترجمة الإمام همام بن راجي الله . انظر ما سيأتي تعليقاً (٢/ ١١٥) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ الأوحدُ العلامةُ سيفُ المناظرينَ حُجَّةُ العلماءِ والمُتكلِّمينَ سيفُ الدينِ أبو الحسينِ عليُّ بنُ أبي عليٍّ بنِ محمدِ بنِ سالمِ بنِ محمدٍ الآمديُّ الفقيهُ الشافعيُّ المُتكلِّمُ

وجدتُ بخطٍّ ذُكِرَ أنَّهُ خطُّ ابنِ هشامٍ ، وذكرَ نسبَهُ إلىٰ (محمدٍ) فقالَ : الآمديُّ المولدِ ، البلديُّ الأصلِ ، التغلبيُّ النسبةِ ، الشافعيُّ المذهبِ .

وشهرتُهُ تُغني عن وصفِهِ ، وما عسىٰ أنْ يُقالَ في أُعجوبةِ الدهرِ ، وإمامِ أهلِ العصرِ ؟! مَنْ قد ملأَتْ فضائلُهُ الأسماعَ ، ووقعَ علىٰ تقدُّمِهِ وفضلِهِ الإجماعُ ، إمامُ علمِ الكلامِ ، ومَنْ أقرَّ لهُ فيهِ الخاصُّ والعامُّ ، صاحبُ المُصنَّفاتِ المشهورةِ ، والتعاليقِ المذكورةِ ، مِنْ أكبرِ جهابذةِ الإسلامِ ، ومَنْ يُرجَعُ إلىٰ قولِهِ في الحَلِّ والإبرامِ ، والحلالِ والحرامِ .

إِذَا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوهَا فَإِنَّ ٱلْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ[1]

وُلِدَ في سنةِ إحدىٰ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، ولمَّا بلغَ أربعَ عشرةَ سنةً انحدرَ إلىٰ بغدادَ ، واشتغلَ على الإمامِ أبي الفتحِ نصرِ بنِ فتيانَ بنِ المَنِيِّ الحنبليِّ بالخلافِ علىٰ مذهبِهِ مدَّةً ، ثمَّ صحبَ الإمامَ العلامةَ أبا القاسمِ يحيى بنَ أبي الحسنِ عليِّ بنِ الفضلِ بنِ هبةِ اللهِ بنِ بركةَ البغداديَّ ، المعروفَ بـ (ابنِ فَضْلانَ) ، الشافعيَّ ، وأخذَ عنهُ الخلافَ ، وتميَّزَ ، وحفظَ « طريقةَ

(١) بيت شهير ينسب للجيم بن صعب زوج حذام ، وهو من الوافر ، وانظر « جمهرة الأمثال » (٢/١١٦) ، و« مجمع الأمثال » (٢/١٠٦) .

الشريفِ » ، و« الزوائدَ » لأبي [سعيدٍ] المِيهَنيِّ ، وحفظَ أربعينَ جدلاً على ما قيلَ ، وقدمَ إلى حلبَ واجتمعَ بالشهابِ أبي الفتوحِ يحيى بنِ حبشِ بنِ أميرَكَ السُّهْرَورديِّ الحكيمِ المقتولِ .

وحكى عنهُ[1] أنَّهُ قالَ : رأيتُ كأنِّي شربتُ البحرَ ، وهـٰذا منامٌ رآهُ أيضاً أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ تومرتَ .

وعزمَ على الدخولِ إلى الديارِ المصريَّةِ ، روى عنهُ بعضُ أصحابِهِ أنَّهُ سمعَهُ يقولُ : لمَّا أردتُ الدخولَ إلى الديارِ المصريَّةِ كررتُ على « طريقةِ الشريفِ » ، ثمَّ دخلَ مصرَ والإسكندريَّةَ ، واشتغلَ عليهِ الطلبةُ ، وعُقِدَ لهُ مجلسُ المناظرةِ ، واستدلَّ بالتعيينِ ، ثمَّ خرجَ منها فاجتازَ بحماةَ ، فأرغبَهُ صاحبُها وأحسنَ إليهِ ، وأعطاهُ مدرسةً ، فأقامَ بها مدَّةً[2] .

ثمَّ إنَّ الملكَ المُعظَّمَ عيسى بنَ الملكِ العادلِ بنِ أيوبَ كتبَ إليهِ إلى حماةَ ووعدَهُ إنْ قدمَ عليهِ أنْ يُحسنَ إليهِ ، وحَبَّبَ إليهِ سكنى دمشقَ ، وكانَ سيفُ الدينِ يُحبُّها ويُؤثِرُ المُقامَ بها ، فخرجَ مِنْ حماةَ ليلاً ولم يعلمْ بهِ صاحبُها ، ودخلَ دمشقَ ، فأحسنَ إليهِ الملكُ المُعظَّمُ ، وولاهُ المدرسةَ العزيزيَّةَ المجاورةَ لتربةِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ رحمَهُ اللهُ .

وأقبلَ على الاشتغالِ والإشغالِ والتصنيفِ ، وعُقِدَ لهُ مجلسُ المناظرةِ ليلةَ الجمعةِ وليلةَ الثَّلاثاءِ بالحائطِ الشماليِّ مِنْ جامعِ دمشقَ ، وكانَ يحضرُهُ الأكابرُ مِنْ كلِّ مذهبٍ ، ورحلَ إليهِ الطلبةُ مِنْ جميعِ الآفاقِ مِنْ سائرِ الطوائفِ لطلبِ العلمِ .

وكانَ خيِّرَ الطباعِ ، سليمَ القلبِ ، حسنَ الاعتقادِ ، قليلَ التعصُّبِ ، وكانَ

(١) أي : حكى الآمدي عن السهروردي . انظر « سير أعلام النبلاء » (٢١/ ٢١١) .

(٢) في (أ ، ب) : (بها فأقام) بدل (فأقام بها) .

عندَهُ جماعةٌ مِنْ فقهاءِ أصحابِ الإمامِ أبي حنيفةَ ومالكٍ وأحمدَ رضيَ اللهُ عنهُم يشتغلُونَ عليهِ ، وهوَ في غايةِ الإكرامِ لهُم والإحسانِ إليهِم .

حكىٰ تلميذُهُ القاضي ضياءُ الدينِ أبو الروحِ عيسى بنُ القاضي أبي العباسِ أحمدَ بنِ داودَ الدَّشْتيُّ المعروفُ بـ (ابنِ قاضي تلِّ باشرٍ) ، قالَ : (سمعتُ شيخَنا الإمامَ سيفَ الدينِ يقولُ : رأيتُ في المنامِ كأنَّ قائلاً يقولُ لي : في هٰذا البيتِ الإمامُ الغزاليُّ[1] ، قالَ : فدخلتُ فوجدتُ تابوتاً ، فكشفتُهُ فوجدتُ الغزاليَّ فيهِ ، وعليهِ كفنُهُ وهوَ في القطنِ ، قالَ : فكشفتُ عن وجهِهِ وقبَّلتُهُ ، فلمَّا انتبهتُ قلتُ في نفسي : يليقُ أنْ أحفظَ مِنْ كلامِ الغزاليِّ شيئاً ، فأخذتُ في كتابِهِ المُسمَّىٰ بـ « المستصفىٰ » في أصولِ الفقهِ)[2] .

سمعَ الحديثَ ببغدادَ مِنَ الشيخِ أبي الفتحِ عبيدِ اللهِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ ابنِ نجا بنِ محمدِ بنِ عليٍّ[3] بنِ شاتيلَ الدبَّاسِ البغداديِّ بدمشقَ .

أنشدَ الأديبُ الكاتبُ الشاعرُ فخرُ القضاةِ أبو الفتحِ نصرُ اللهِ بنُ هبةِ اللهِ ابنِ عبدِ الباقي بنِ أبي البركاتِ المصريُّ المعروفُ بـ (ابنِ بُصَاقةَ) لنفسِهِ ، وكتبَ بها إلى السيفِ الآمديِّ في حقِّ عمادِ الدينِ أبي بكرٍ محمدِ بنِ عثمانَ بنِ إسماعيلَ بنِ خليلٍ السَّلَماسيِّ الكاتبِ ، وقد عزمَ علىٰ أنْ يقرأَ على الشيخِ سيفِ الدينِ شيئاً مِنْ تصانيفِهِ ؛ يُوصيهِ بِهِ ويُنبِّهُهُ علىٰ مكانتِهِ : [من البسيط]

يَـا سَيِّـداً جَمَّـلَ ٱللهُ ٱلـزَّمَـانَ بِـهِ ... وَأَهْلَهُ مِنْ جَمِيعِ ٱلْعُجْمِ وَٱلْعَرَبِ

ٱلْعَبْدُ يُذْكِرُ مَوْلانَا بِمَا سَبَقَتْ ... وُعُودُهُ لِعِمَادِ ٱلدِّينِ عَنْ كَثَبِ

(١) في « الوافي بالوفيات » : (هٰذا البيت للإمام الغزالي) .

(٢) العبارة في « الوافي بالوفيات » : (فأخذت كتابه « المستصفىٰ » في أصول الفقه ، فحفظته في مدة يسيرة) .

(٣) قوله : (بن علي) ليس موجوداً في « الوافي بالوفيات » .

وَمِثْلُ مَوْلاَيَ مَنْ جَاءَتْ مَوَاهِبُهُ مِنْ غَيْرِ وَعْدٍ وَجَدْوَاهُ بِلاَ طَلَبِ
فَأَصْفِ مِنْ بَحْرِكَ ٱلْفَيَّاضِ مَوْرِدَهُ وَأَغْنِهِ مِنْ كُنُوزِ ٱلْعِلْمِ لا ٱلذَّهَبِ
وَٱجْعَلْ لَهُ نَسَباً يُدْلِي إِلَيْكَ بِهِ فَلُحْمَةُ ٱلْعِلْمِ تَعْلُو لُحْمَةَ ٱلنَّسَبِ
وَلاَ تَكِلْهُ إِلَىٰ كُتْبٍ يُطَالِعُهَا فَٱلسَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ ٱلْكُتُبِ

قالَ : فوقعَتْ هٰذهِ الأبياتُ مِنَ الإمامِ سيفِ الدينِ أحسنَ موقعٍ ، وأقبلَ على العمادِ وأحسنَ إليهِ ، وقرأ بعدَ ذلكَ عليهِ .

ولقد حضرَ مجلسَهُ بعضُ الفضلاءِ المشهورينَ ، والأئمَّةِ المذكورينَ ، فلزمَ معَهُ الأدبَ ، وجعلَ دأبَهُ الاستماعَ والانتفاعَ دونَ الجدالِ ، وتركَ القيلِ والقالِ ، فقالَ لهُ الإمامُ سيفُ الدينِ : يا فلانَ الدينِ ؛ لمَ لا تُشرِّفُنا وتُشنِّفُ أسماعَنا بفوائدِكَ وفرائدِكَ ؟ فكانَ جوابُهُ أنْ أنشدَ : [من الطويل]

وَفِي أَرْضِنَا نَحْنُ ٱلْمَوَالِي لِأَهْلِهَا وَفِي أَرْضِ لَيْلَىٰ نَحْنُ بَعْضُ عَبِيدِهَا

فدعا لهُ سيفُ الدينِ ، وأكرمَهُ وبجَّلَهُ .

سُئِلَ الإمامُ عزُّ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ السلامِ رضيَ اللهُ عنهُ عن درسِ الإمامِ سيفِ الدينِ ، فقالَ : (ما سمعتُ أحداً يُلقي الدرسَ أحسنَ منهُ ، كأنَّهُ يخطُبُ ، وإذا غيَّرَ لفظاً مِنَ « الوسيطِ » كانَ لفظُهُ أمَسَّ للمعنىٰ مِنْ لفظِ صاحبِهِ) ، أو كما قالَ رضيَ اللهُ عنهُ .

قالَ ابنُ هشامٍ : وكفاكَ بهِ جلالةً ونبلاً ، وصحَّةَ اعتقادٍ ، وحسنَ حالٍ ، وإصابةً في الكلامِ ، وسلامةً عمَّا يرميهِ بهِ الكذبةُ مِنَ الحنابلةِ . . أنَّ الإمامَ عزَّ الدينِ مِنْ أصحابِهِ ، ومِنْ كبارِ طُلابِهِ ، مُلازماً لدرسِهِ ، راضياً طريقتَهُ ، معَ خُبْرِهِ علانيتَهُ وسريرتَهُ ، ولم يكنِ الشيخُ عزُّ الدينِ رضيَ اللهُ عنهُ يُغضي علىٰ حالةٍ لا تُرضىٰ ، ولم تكنْ تأخذُهُ في اللهِ لومةُ لائمٍ ، ولقد سُمِعَ وهوَ يقولُ :

(ما عرَفْنا قواعدَ البحثِ إلا مِنَ الإمامِ سيفِ الدينِ) ، وكانَ يُعظِّمُهُ ويُجِلُّهُ ويُبجِّلُهُ .

وكانَ الشيخُ عزُّ الدينِ يقولُ : (لو وردَ على الإسلامِ مُتكلِّمٌ أو مُشكِّكٌ . . لتعيَّنَ الإمامُ سيفُ الدينِ الآمديُّ لمناظرتِهِ ؛ لاجتماعِ أهليَّةِ ذلكَ فيهِ) .

وقالَ : سمعتُ الإمامَ جمالَ الدينِ أبا عمرٍو عثمانَ بنَ عمرَ بنِ أبي بكرٍ المالكيَّ المعروفَ بـ (ابنِ الحاجبِ) رحمَهُ اللهُ يقولُ : (ما صُنِّفَ في أصولِ الفقهِ مثلُ كتابِ سيفِ الدينِ الآمديِّ « الإحكامِ في أصولِ الأحكامِ ») ، ومِنْ محبَّتِهِ لهُ اختصرَهُ .

ولمَّا ماتَ الشيخُ سيفُ الدينِ ذكرَ زينُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ الحسنِ بنِ الحسنِ[1] بنِ عليِّ بنِ أبي المحاسنِ بنِ طاهرٍ الأنصاريُّ المقدسيُّ قالَ : أخبرَني بعضُ الفضلاءِ : أنَّهُ رأى الشيخَ سيفَ الدينِ في المنامِ بعدَ موتِهِ ، فقلتُ لهُ[2] : يا مولانا ؛ ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : أجلسَني بينَ يديهِ ، وقالَ لي : استدِلَّ علىَّ وَحْدانيَّتي بينَ ملائكتي ، فقلتُ : الحوادثُ اقتضتْ تعلُّقاً بمُحدِثٍ ؛ لتخرجَ عن حدِّ الاستحالةِ ، فكانَ لا بدَّ مِنْ مُحدِثٍ ، ثمَّ كانَ القولُ بالاثنينِ كالقولِ بالثلاثةِ والأربعةِ إلىَ ما لا يتناهىَ ، فلم يترجَّحْ منها شيءٌ ، فسقطَ ما وراءَ الواحدِ ، وبقيَ الواحدُ ، فقالَ : صدقتَ ، وأدخلَني الجنةَ .

وكانَ صاحبُ مدينةِ آمِدَ الملكُ المسعودُ ركنُ الدينِ مودودُ بنُ الملكِ الصالحِ بنِ نورِ الدينِ محمدٍ . . قد رغبَ في أنْ يكونَ الشيخُ سيفُ الدينِ الآمديُّ في آمِدَ ، وكاتبَهُ ووعدَهُ أنْ يجعلَهُ قاضيَ القضاةِ ، ويُقطِعَهُ جارياً

(١) في « الوافي بالوفيات » : (بن الحسن) مرة واحدة .

(٢) في الكلام التفات ، والأصل أن يقول : (فقال له) .

كبيراً ، وجهدَ في ذلكَ ، وكانَ أصحابُ الشيخِ يُؤثِرُونَ ذلكَ ؛ ليتَّسعَ عليهِمُ الرزقُ ؛ فإنَّ الشيخَ كانَ يُؤثِرُ الراحةَ والقناعةَ ، وكانَ يُحبُّ سكنىٰ دمشقَ ، ولمَّا تكرَّرَ طلبُهُ وعدَ بالإجابةِ ، وجعلَ يُدافِعُ عن ذلكَ مِنْ وقتٍ إلىٰ وقتٍ .

فلمَّا أخذَ الملكُ الكاملُ آمِدَ مِنْ صاحبِها ، ورتَّبَ فيها النُّوَّابَ . . أرادَ أنْ يُولِّيَ فيها قاضياً مِنْ جهتِهِ ، فأُجريَ الحديثُ في ذلكَ والسلطانُ الملكُ الأشرفُ موسى بنُ الملكِ العادلِ حاضرٌ ، وصاحبُ آمِدَ يسمعُ ، فقالَ صاحبُ آمِدَ : يا مولانا ؛ كانَ المملوكُ قد كاتبَ الشيخَ سيفَ الدينِ الآمديَّ في أنْ يجعلَهُ قاضياً في آمِدَ ، وأجابَ إلىٰ ذلكَ ، وأرادَ نفعَ الشيخِ سيفِ الدينِ بهٰذا القولِ ، فنظرَ السلطانُ الملكُ الكاملُ إلى الملكِ الأشرفِ ـ كالمُنكِرِ عليهِ أنْ يكونَ في بلدِهِ مثلُ هٰذا الرجلِ قد عزمَ علىٰ مُفارقتِها ، وهوَ يُكاتِبُ ملكاً آخَرَ ـ وأنتَ ما تعلمُ ذلكَ ؟!

فبقيَتْ في نفسِ الأشرفِ إلىٰ أنْ وردَ دمشقَ ، فأخذَ المدرسةَ العزيزيَّةَ منهُ ، ووقَّعَ بها لمحيي الدينِ بنِ الزكيِّ ، وقطعَ جاريَهُ ، وأمرَهُ أنْ يلزمَ دارَهُ ، فبقيَ علىٰ هٰذهِ الحالِ إلىٰ أنْ ماتَ رحمَهُ اللهُ .

تُوفِّيَ ليلةَ الاثنينِ وقتَ صلاةِ المغربِ ثانيَ صفرٍ سنةَ إحدىٰ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ بدمشقَ ، ودُفِنَ يومَ الاثنينِ بسفحِ جبلِ قاسيونَ .

ولمَّا ماتَ توقَّفَ أكابرُ دمشقَ عن حضورِ جنازتِهِ خوفاً مِنَ الملكِ الأشرفِ ؛ إذْ كانَ مُتغيِّراً عليهِ ، فخرجَ الشيخُ الإمامُ عزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ في جنازتِهِ ، وجلسَ تحتَ قُبَّةِ النسرِ حتىٰ صلَّىٰ عليهِ ، فلمَّا رأى الناسُ ذلكَ بادرُوا إليهِ وصلَّوْا عليهِ أجمعونَ ، رحمَهُمُ اللهُ تعالىٰ .

وأنشدَ الشيخُ الأديبُ العارفُ نجمُ الدينِ أبو المعالي محمدُ بنُ سَوَّارِ بنِ إسرائيلَ في عزلِهِ : [من السريع]

قَدْ عَزَلَ ٱلسَّيْفَ وَوَلَّى ٱلْقِرَابْ دَهْرٌ قَضَىٰ فِينَا بِغَيْرِ ٱلصَّوَابْ
فَٱضْحَكْ عَلَى ٱلْجَهْلِ وَأَرْبَابِهِ وَٱبْكِ عَلَى ٱلْفَضْلِ وَفَصْلِ ٱلْخِطَابْ

وللشيخِ نجمِ الدينِ ابنِ إسرائيلَ يرثي الإمامَ سيفَ الدينِ ، وكانَ وافقَ يومَ وفاتِهِ مطرٌ كثيرٌ عندَ دفنِهِ : [من الكامل]

بَكَتِ ٱلسَّمَاءُ عَلَيْهِ عِنْدَ وَفَاتِهِ بِمَدَامِعٍ كَٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَمْطُورِ[1]
وَأَظُنُّهَا فَرِحَتْ بِمَصْعَدِ رُوحِهِ لَمَّا سَمَتْ وَتَعَلَّقَتْ بِٱلنُّورِ
أَوَلَيْسَ دَمْعُ ٱلْغَيْثِ يَهْمِي بَارِداً وَكَذَا تَكُونُ مَدَامِعُ ٱلْمَسْرُورِ

وحضرَ نجمُ الدينِ في بستانِ الشيخِ سيفِ الدينِ بعدَ وفاتِهِ بأرضِ المِزَّةِ معَ جماعةٍ مِنْ أصحابِهِ ، فكتبَ علىٰ ساريةٍ تحتَ عريشٍ كانَ كثيراً ما يجلسُ الشيخُ سيفُ الدينِ إليها حينَ يُقرَأُ عليهِ العلمُ ؛ وهيَ : [من السريع]

يَا مَرْبَعاً قَلْبِي لَهُ مَرْبَعُ جَادَكَ غَيْثٌ أَبَداً يَهْمَعُ
عَهْدِي بِمَغْنَاكَ وَفِي أُفْقِهِ شَمْسُ ٱلْمَعَالِي وَٱلْحِجَا تَطْلُعُ
وَكُنْتَ غِمْدَ ٱلسَّيْفِ حَتَّىٰ قَضَىٰ وَٱلْغِمْدُ بَعْدَ ٱلسَّيْفِ لاَ يَنْفَعُ[2]

ذكرُ تصانيفِهِ التي اشتَهرَتْ :

وهيَ : « أبكارُ الأفكارِ » ، « منائحُ القرائحِ » مُختصرُهُ مُجرَّدُ عقيدةٍ ، في أصولِ الفقهِ كتابٌ لطيفٌ ، « الإحكامُ في أصولِ الأحكامِ » ، مختصرُهُ :

(١) في « الوافي بالوفيات » : (المنثور) .

(٢) في « الوافي بالوفيات » : (لا يقطع) ، وأورد هٰذه الترجمة بتمامها مع تغيير يسير الصفدي في « الوافي بالوفيات » (٢١/ ٢٢٥ـ ٢٢٩) نقلاً عن ابن خلكان في بعض تعاليقه ، وذكر المؤلف أنه وجدها بخط رجل اسمه ابن هشام ، ولعلَّ ابن هشام هٰذا أخذها من تعليقات ابن خلكان ، والله تعالىٰ أعلم .

« منتهى السولِ في علمِ الأصولِ » ، « دقائقُ الحقائقِ » في العلومِ الثلاثةِ ، « رموزُ الكنوزِ » ، « لبابُ الألبابِ » ، « فرائدُ الفوائدِ » في العلومِ الثلاثةِ[1] ، « الغرائبُ وكشفُ العجائبِ » ، « شرحُ جدلِ الشريفِ » ، « غايةُ الأملِ في علمِ الجدلِ » ، « الباهرُ في الحكمِ الزواهرِ » ، « غايةُ المرامِ في علمِ الكلامِ » في أصولِ الدينِ ، « كشفُ التمويهاتِ على شرحِ [الإشاراتِ والتنبيهاتِ] »[2] ، « ثلاثُ تعاليقِ خلافٍ » ، « مآخذُ على المحصولِ » ، « المآخذُ الجليَّةُ في المؤاخذاتِ الجدليَّةِ » .

* * *

(١) في « الوافي بالوفيات » (٢١/ ٢٢٩) : (« فرائد الفوائد » في الحكمة) .

(٢) في (أ ، ب) : (التنبيهات الترجيحات) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العارفُ القدوةُ شهابُ الدينِ أبو حفصٍ ـ ويُقالُ : أبو عبدِ اللهِ ـ[1] عمرُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ ابنِ عَمُّويه القرشيُّ التيميُّ البكريُّ المعروفُ بـ (السُّهْرَوَرْديِّ) الصوفيُّ الواعظُ

شيخُ شيخِنا محيي الدينِ بنِ الدَّميريِّ[2] ، وعمُّويه قد تقدَّمَ نسبُهُ[3] .

صحبَ عمَّهُ أبا النَّجيبِ وأقرانَـهُ مِنَ الصوفيَّةِ ، وتفقَّهَ على عمِّهِ المذكورِ ، وحصَّلَ طرفاً مِنَ الفقهِ والخلافِ .

ولهُ تصانيفُ كثيرةٌ مشهورةٌ؛ فمنها : كتابُهُ « عوارفُ المعارفِ » في الطريقِ .

فمِنْ كلامِهِ فيهِ في خُطبتِهِ : (نطقَتِ الكائناتُ بأنَّهُ الصانعُ المُبتدِعُ ، ولاحَ مِنْ صفحاتِ ذرَّاتِ الوجودِ بأنَّهُ الخالقُ المُخترِعُ ، وَسَمَ عقلَ الإنسانِ بالعجزِ والنقصانِ ، وألزمَ فصحاءَ الألسنِ وصفَ الحَصَرِ في حَلْبةِ البيانِ ، وأحرقَتْ سُبُحاتُ وجهِهِ أجنحةَ طائرِ الفهمِ ، وسدَّتْ تعزُّزاً وإجلالاً مسالكَ الوهمِ ، وأطرقَ طامحُ البصيرةِ تعظيماً وإجلالاً ، ولم يجدْ مِنْ فَرْطِ الهيبةِ في فضاءِ الجبروتِ مجالاً ، فعادَ البصرُ كليلاً ، والعقلُ عليلاً ، ولم ينتهِجْ إلى كُنْهِ الكبرياءِ سبيلاً ، فسبحانَ مَنْ عزَّتْ معرفتُهُ لولا تعريفُهُ ، وتعذَّرَ على العقولِ تحديدُهُ وتكييفُهُ !!)[4] .

(١) وقيل : أبو القاسم . انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٨/ ٣٣٨) .

(٢) وقد لبس منه خرقة التصوف ، كما في « الوافي بالوفيات » (١٨/ ١٩٩) .

(٣) انظر (١/ ٤٧٨) .

(٤) عوارف المعارف (١/ ٩٣) .

ومِنْ كلامِهِ : (قد دلَّتْنا عقولُنا على ما يجوزُ وصفُ اللهِ تعالىٰ بهِ وما لا يجوزُ ، واللهُ تعالىٰ مُنزَّهٌ أنْ يَحُلَّ بهِ شيءٌ أو يَحُلَّ بشيءٍ ، حتىٰ لعلَّ بعضَ المفتونينَ يكونُ عندَهُ ذكاءٌ وفطنةٌ غريزيَّةٌ ، ويكونُ قد سمعَ كلماتٍ تعلَّقَتْ بباطنِهِ ، فيتألَّفُ لهُ في فكرِهِ كلماتٌ ينسبُها إلى اللهِ تعالىٰ بأنَّها مكالمةُ اللهِ إيَّاهُ ؛ مثلُ أنْ يقولَ : « قالَ لي » ، و« قلتُ لهُ » ، وهٰذا رجلٌ [إمَّا] جاهلٌ بنفسِهِ وحديثِها ، جاهلٌ بربِّهِ وبكيفيَّةِ المكالمةِ ، وإمَّا عالمٌ ببطلانِ ما يقولُ ، يحملُهُ هواهُ على الدعوىٰ بذلكَ ؛ يتوهَّمُ أنَّهُ ظَفِرَ بشيءٍ[1] ، وكلُّ هٰذا ضلالٌ)[2] .

ثمَّ شرعَ في شرحِ معنى المخاطباتِ الواردةِ التي وقعَ إطلاقُها علىٰ ألسنةِ الأوائلِ ، ممَّا يطولُ شرحُهُ[3] .

وُلِدَ في أواخرِ رجبٍ ـ وقيلَ : شعبانَ ـ سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ مُستهَلَّ محرمِ سنةَ اثنتينِ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[4] .

* * *

(١) في « العوارف » : (ليوهم) بدل (يتوهم) .

(٢) عوارف المعارف (١/ ١٦٠) .

(٣) انظر « عوارف المعارف » (١/ ١٦٠ ـ ١٦١) .

(٤) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٣٨٠ـ٣٨١) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٣٨ـ٣٤١) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ قاضي القضاةِ بهاءُ الدينِ أبو المحاسنِ يوسفُ بنُ رافعِ بنِ تميمِ ابنِ محمدِ بنِ عتَّابٍ الأسديُّ الشافعيُّ الموصليُّ المعروفُ بـ (ابنِ شدَّادٍ)

تفقَّهَ : على القاضي أبي الرضا سعيدِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ القاسمِ الشَّهْرَزُوريِّ ، وعلى الخطيبِ أبي الفضلِ الطوسيِّ ، ورحلَ إلى البلادِ ، وسمعَ مِنْ شُهْدةَ بنتِ الإبريِّ وأقرانِها .

ودرَّسَ ، ووليَ قضاءَ القضاةِ بالعساكرِ في الأيامِ الناصريَّةِ مدَّةً ، ووليَ قضاءَ القضاةِ بمدينةِ حلبَ .

ولهُ تصانيفُ حسنةٌ ممتعةٌ في الحديثِ وغيرِهِ ، وحدَّثَ بحلبَ ودمشقَ ومصرَ ، وقفتُ لهُ على مجلسٍ ألقاهُ حينَ درَّسَ بحلبَ تقديرَ عشرِ كراريسَ في ربعِ المصريِّ ، ضمَّنَها مِنْ فنونِ العلومِ ما يدُلُّ على تمكُّنِهِ في كلِّ علمٍ .

وُلِدَ في شهرِ رمضانَ سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في صفرٍ سنةَ اثنتينِ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ في العشرِ الأولِ مِنَ الشهرِ المذكورِ ، وقالَ ابنُ أبي جرادةَ : في رابعَ عشرَ بعدَ صلاةِ العصرِ ، ودُفِنَ بتربتِهِ مِنَ المدرسةِ في دارِ الحديثِ بحلبَ[1] .

* * *

(١) انظر « وفيات الأعيان » (٧/ ٨٤ ـ ١٠٠) وترجمه ترجمةً حافلة ، و« التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٣٨٤ـ٣٨٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٨/ ٣٦٠ـ٣٦٢) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ جمالُ الدينِ أبو عليٍّ الحسينُ بنُ الفقيهِ الإمامِ أبي الفضائلِ عَتيقِ بنِ الحسينِ بنِ عتيقِ ابنِ رَشيقٍ ، الرَّبَعيُّ المالكيُّ الإسْكَندرانيُّ المولدِ ، المصريُّ الدارِ والوفاةِ

وُلِدَ بالإسكندريَّةِ ونشأَ بها ، وتفقَّهَ على أبي الطاهرِ ابنِ عوفٍ ، واشتغلَ عليهِ وعلى والدِهِ أبي الفضائلِ بالأصولَينِ والمذهبِ ، ودرَّسَ بالمسجدِ المعروفِ بهِ بفُسطاطِ مصرَ ، وأفتى ، وصنَّفَ كتابَ « المحصولِ في علمِ الأصولِ » ، « وتفسيرَ القرآنِ » ، و« ترتيبَ [. . .] في مذهبِ مالكٍ »[1] ، و« المختارَ في المذهبِ » أيضاً .

وهوَ [مِنْ] بيتِ علمٍ وديانةٍ وصلاحٍ وولايةٍ ، ويكفيهِ فخراً ولدُهُ الشيخُ بهاءُ الدينِ عبدُ العزيزِ ، وسيأتي ذكرُهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالى[2] .

وُلِدَ بالإسكندريَّةِ في ثالثِ شعبانَ سنةَ تسعٍ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الثالثِ والعشرينَ مِنْ شهرِ ربيعٍ الآخرِ سنةَ اثنتينِ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[3] .

* * *

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) .

(٢) انظر (٢/ ١٧) .

(٣) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٣٨٧ـ ٣٨٨) ، و« الديباج المذهب » (ص١٠٥) .

ومنهُم :

جدِّي الشيخُ الإمامُ العالمُ الصالحُ الناسكُ جمالُ الدينِ أبو حفصٍ عمرُ بنُ عبدِ الخالقِ بنِ حسنِ بنِ عبدِ الرحمٰنِ ، القرشيُّ المالكيُّ المقرئُ المغربيُّ الأصلِ ، المصريُّ المولدِ والدارِ والوفاةِ

وُلِدَ بمصرَ ، وقرأَ القرآنَ بالرواياتِ السبعِ : على الإمامِ أبي القاسمِ بنِ فِيرُّه الشاطبيِّ ، وتفقَّهَ في مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ : علىٰ أبي البركاتِ ابنِ ثعلبٍ ، وعلى الشيخِ أبي المنصورِ وأقرانِهما ، واشتغلَ عليهِما وعلى التقيِّ المُقترَحِ بعدَ كِبَرِ سنِّهِ ، وعلَّقَ عنهُ تعاليقَ ، وكانَ يدري النحوَ درايةً جيِّدةً ، وقفتُ علىٰ مسائلَ فيهِ وفي الأصولِ علَّقَها بخطِّهِ ، انتقلَتْ إلينا إرثاً عن عبدِ العظيمِ ولدِهِ .

وكانَ مُؤدِّباً ، يُعلِّمُ أولادَ الأكابرِ والرؤساءِ بمكتبِهِ بمصرَ بالفندقِ المقابلِ لدربِ ابنِ القَسْطلانيِّ ، المجاورِ لحمَّامِ ابنِ سليمٍ بزُقاقِ القناديلِ ، ثمَّ نقلَهُ السلطانُ الملكُ الكاملُ إلىٰ مكتبِهِ حينَ بنى القُبَّةَ على الإمامِ الشافعيِّ ، والمسجدَ الذي تُقامُ فيهِ الجمعةُ بالقَرافةِ الآنَ ، فانقطعَ بهِ .

وكانَ لهُ خطٌّ جيِّدٌ صحيحٌ وطريقةٌ في الكتابةِ تُعرَفُ بهِ ، كتبَ الكثيرَ في أنواعِ العلومِ .

ولم يزلْ مُواظِباً على الاشتغالِ بالعلومِ والإشغالِ ، مُستغرِقَ الأوقاتِ في التلاوةِ والتعليقِ والكتابةِ إلىٰ حينِ وفاتِهِ ، وكانَ أدركَهُ مرضٌ وهوَ مقيمٌ بالقَرافةِ ، فطلعَ إليهِ ولدُهُ جدِّي عثمانُ ونقلَهُ إلىٰ مصرَ ؛ خيفةَ أنْ يشتدَّ بهِ

المرضُ ولا يجدَ مَنْ يقومُ بمصالحِهِ ، فلمَّا دخلُوا مِنْ سورِ البلدِ قالَ الحمَّالُ الذي كانَ علىٰ رأسِهِ : الشيخُ قد ثقُلَ عليَّ ، وما أظنُّهُ إلا قد تُوفِّيَ ، فوضعُوهُ مِنْ علىٰ رأسِهِ ، فوجدُوهُ قدِ انتقلَ إلى اللهِ تعالىٰ .

وكانَ بحكمِ تيسيرِ اللهِ مستقبلَ القبلةِ ، فطلعُوا بهِ إلىٰ منزلِ ولدِهِ بدارِ الزعفرانِ ، وكانَ لهُ مشهدٌ عظيمٌ ، وصُلِّيَ عليهِ بالمصلَّىٰ ، ودُفِنَ بالقَرافةِ .

تُوفِّيَ في شهورِ سنةِ ثلاثٍ وثلاثينَ وستٍّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ ، **وهوَ المُعلِّمُ الذي اشتَهرَ بهِ أولادُهُ** .

* * *

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ الوليُّ الصالحُ الخطيبُ أبو الطاهرِ محمدٌ ـ ويُقالُ : إسماعيلُ أيضاً ـ ابنُ أبي عبدِ اللهِ الحسينِ بنِ عبدِ الرحمٰنِ الأنصاريُّ الجابريُّ الشافعيُّ المعروفُ بـ (المحلِّيِّ)

مِنْ ولدِ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ حرامٍ .

وُلِدَ بِجَوْجَرَ ، ونُقِلَ إلى المحلَّةِ ونشأَ بها ، وتفقَّهَ على الخطيبِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ هبةِ اللهِ الحمَويِّ وطبقتِهِ ، وصحبَ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ القرشيَّ ، وكانَ مِنْ خواصِّ أصحابِهِ .

وتولَّى الخطابةَ والإمامةَ بتاجِ الجوامعِ بمصرَ إلى حينِ وفاتِهِ[1] ، وانتفعَ بهِ جماعةٌ ممَّنْ أدركناهُم .

وكانَتْ لهُ يدٌ باسطةٌ في التوحيدِ وفنونِ المعارفِ ، وأمَّا الورعُ التامُّ فحكاياتُهُ في ذلكَ أشهرُ مِنْ أنْ تُذكَرَ ، وأكثرُ مِنْ أنْ تُحصَرَ .

وحصَّلَ مِنَ الكتبِ شيئاً كثيراً ، وكانَ الذي يتولَّى خدمتَها ورصَّها وقراءتَها لهُ والمطالعةَ جدِّي عثمانَ دفترخوانَ[2] ، وقيَّدَ عنهُ حكاياتٍ نقلَها عنهُ في زهدِهِ وورعِهِ ، وكانَ لا يمنعُ كتبَهُ ، وربَّما أعارَها لمَنْ لا يعرفُهُ .

(١) تاج الجوامع : هو نفسه جامع عمرو بن العاص رضي الله عنه ، ويقال له أيضاً : الجامع العتيق ، وهو أول مسجد أسس في مصر بعد الفتح الإسلامي لها . انظر « المواعظ والاعتبار » (٤/ ٥) .

(٢) الدفترخوان : هو الذي يقرأ الدفاتر بين أيدي الملوك والعلماء والأكابر . انظر « نفح الطيب » (٢/ ٣٠٠) .

وكانَ رحمَهُ اللهُ ينهضُ في إنكارِ المنكرِ كثيراً ، وقد وضعَ اللهُ لهُ القَبولَ في الأرضِ ؛ خصوصاً عندَ الملكِ الكاملِ ؛ فإنَّهُ كانَ يُعظِّمُهُ ويُبجِّلُهُ ، ويتلقَّاهُ ماشياً حينَ يقعُ بصرُهُ عليهِ ، وهٰذهِ بركةُ خدمتِهِ للشيخِ أبي عبدِ اللهِ القرشيِّ ، إمامِ الهدىٰ والحقِّ في زمانِهِ ، وكانَ مُدرِّساً بمدرسةِ يازكوجَ بمصرَ بسوقِ الغزلِ[1] .

سمعتُ والدي صانَهُ اللهُ تعالىٰ يقولُ : سمعتُ والدي عثمانَ رحمَهُ اللهُ يقولُ : لمَّا تُوفِّيَ شيخي أبو الطاهرِ رضيَ اللهُ عنهُ بتُّ عندَ قبرِهِ ، وتلوتُ تلكَ الليلةَ ختمةً ، ثمَّ أدركَتْني سِنَةٌ بعدَ فراغِ الخَتمةِ ، فرأيتُ الشيخَ أبا الطاهرِ علىٰ هيئةٍ حسنةٍ ، فقالَ لي : يا عثمانُ ؛ اقرأْ وأَعِدْ قراءتَكَ ؛ فإنَّ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ القرشيَّ حضرَ لاستماعِ قراءتِكَ .

وكانَتْ جدَّتي لأمِّي ربيبتَهُ ، فكانَتْ تحكي لنا مِنْ ورعِهِ وتقشُّفِهِ أموراً عظيمةً يطولُ شرحُها :

فمنها : أنَّهُ كانَ لا يأكلُ المسموطَ حتىٰ يُذهَبَ بهِ في شختورٍ إلىٰ وسَطِ البحرِ ، ويُغسَلَ تغطيساً في الماءِ[2] .

ومنها : أنَّهُ رأىٰ قشورَ البيضِ في مطبخِهِ ، وقد طُبِخَ لهُ في ذلكَ اليومِ فقاعيةٌ ، فرأىٰ بعضَها وسخاً مِنْ آثارِ بطنِ الدجاجةِ ، فقالَ : أظنُّكِ لم تغسلي البيضَ قبلَ وضعِهِ في القِدْرِ ؟ فقالَتْ : أُنسيتُ يا سيِّدي ، فقالَ : اذهبُوا بهِ وألقُوهُ في البحرِ .

(١) مدرسة يازكوج : بناها الأمير سيف الدين يازكوج بن عبد الله الأسدي . انظر « المقفَّى الكبير » (٥/ ٣١٤) .

(٢) المسموط : الشاة المنتوفة الصوف ، أو المنظفة بالماء الحار لأجل الشواء ، والشختور : السفينة الصغيرة .

ومنها : أنَّهُ أحضرَ لهُ بيَّاعٌ ـ يُقالُ لهُ : ابنُ السندانِ ـ بمصرَ عيناً مِنْ عسلِ نحلٍ على صدفٍ ليشتريَهُ ، فذاقَ منهُ بطرفِ إصبَعِهِ ، فقالَ : أُريدُ غيرَ هـٰذا ، فقلَّبَ لهُ مِنْ وعاءٍ آخرَ ، فلم يزلْ إلىٰ أنْ أراهُ ما يعجبُهُ ، فحينَ رآهُ قالَ : لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ ، يا فلانُ ؛ كم عندَكَ مِنْ وعاءٍ ؟ فذكرَ لهُ أنَّها عشرةُ أوعيةٍ ، فقالَ : خذْ ثمنَها ، فأخذَ منهُ ثمنَ عشرِ قناطيرِ عسلِ نحلٍ ، وأمرَ غلامَهُ خطلو[1] أنْ يذهبَ بها إلى البحرِ في شختورٍ ، ويقلبَها في وسطِهِ ، ففعلَ .

فقيلَ لهُ في ذلكَ ، فقالَ : كانَتْ علىٰ رأسِ إصبَعي نجاسةٌ أُنسيتُ غسلَها ، فتنجَّستْ كلُّ عينٍ أخرجَها لي ثمَّ أعادَها إلىٰ وعائِها ، فتنجَّسَ كلُّ ما في الوعاءِ مِنْ تلكِ العينِ النجسةِ .

ومنها : أنَّهُ كانَتْ لهُ حانوتُ شرابٍ ، فيها ابنُ أختِهِ عبدُ العظيمِ بنُ خليلٍ ، فاحتاجُوا إلىٰ أقراصِ راوندٍ ، فجمعَ عبدُ العظيمِ حوائجَ الأقراصِ ، فأرسلَها إلىٰ قاعةِ الشرابِ ، فعُرِضَتْ على الشيخِ ، فقالَ : أرُوني الراوندَ ، فكشفَهُ فوجدَهُ مُسوِّساً غيرَ أنَّهُ صينيٌّ ، فقالَ : عليَّ بعبدِ العظيمِ ، فأُحضِرَ إليهِ ، فقالَ : ما هـٰذا الذي صنعتَ ؟! تغشُّ المسلمينَ ، وتجعلُ في أدويتِهِمُ العقاقيرَ الرديئةَ ؟!

فقالَ : يا سيِّدي ؛ كانَ عندَنا راوندٌ صحيحٌ غيرُ دُهْنٍ بغيرِ سوسٍ ، وراوندٌ غيرُ صحيحٍ لـٰكنَّهُ قد دُهِنَ ، فأردتُ أنْ يُطحَنَ ويبقىٰ هـٰذا للاستعمالِ .

فأقسمَ ألا يُكلِّمَهُ مدَّةً ، ومنعَهُ مِنْ طلوعِ الحانوتِ حتىٰ تابَ ممَّا صدرَ منهُ ، وقالَ : الناسُ لا يدرُونَ في المخلوطاتِ هل صنعتَ طيباً أو مقارباً ، فاصنعِ

(١) جاء اسمه في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٥١) : (حطلح) .

الطيبَ فيها ، وبعِ المسوِّسَ لمَنْ يشتريهِ بمفردِهِ ، فينظرَ إلىٰ عينِهِ قبلَ أنْ يُقدِمَ عليهِ .

ومنها : أنَّهُ وَلَغَ كلبٌ في ماءٍ ، ثمَّ لم يشعرُوا بذلكَ إلا بعدَ أنْ طبخُوا شرابَ حُمَّاضٍ ، وكملُوا بهِ برانيَ كانَتْ عندَهُ مِنْ حُمَّاضٍ[1] ، وذكرُوا ذلكَ لهُ ، فأمرَ بإلقاءِ تلكَ البراني في بحرِ النيلِ .

ويُقالُ : **سببُ مرضِهِ** : أنَّ امرأةً وقفَتْ لهُ في الطريقِ ، فقالَتْ لهُ : يا سيِّدي ؛ هل يَحِلُّ شربُ الماءِ أم لا ؟ فقالَ : يا أمةَ اللهِ ؛ وما يمنعُ مِنْ شربِ الماءِ ؟! فقالَتْ : السلطانُ ضربَ هٰذهِ الورقَ ، وإنِّي آتي إلى السقَّاءِ فأشتري منهُ القِرْبةَ بنصفِ درهمٍ ورِقاً ، ومعي درهمٌ ، فيردُّ عليَّ نصفَ درهمٍ ورِقاً ، فكأنَّني قَدِ اشتريتُ منهُ ماءً ونصفَ درهمٍ بدرهمٍ ، فقالَ : لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ ، وأيضاً مغشوشٌ بمغشوشٍ ، ثمَّ نظرَ إلىٰ أصحابِهِ وقالَ : أكلُّ الناسِ يفعلُونَ ذلكَ ؟! مُستغرِباً لهٰذا الأمرِ ؛ فإنَّهُ كانَ يُسكَبُ لهُ بالمئةِ ، فقالُوا : نعم ، فقالَ : يفعلونَ ذلكَ ويشترُونَ مِنْ عبدِ العظيمِ ؟![2] ، أكلْنا الحرامَ عُمُرَنا ، وجعلَ يُكرِّرُها ويبكي ، ويقولُ : أكلْنا الحرامَ مِنْ حيثُ لا نشعرُ ، ثمَّ طلعَ مِنْ وقتِهِ إلى السلطانِ ، فتكلَّمَ معَهُ ، فأمرَ بضربِ الفلوسِ ، ولم يزلْ مهموماً ، كلَّما ذكرَ هٰذهِ القصَّةَ يتنفَّسُ الصُّعَداءَ ، ويقولُ : أجدُ ألماً في فؤادي منها ، وأجدُ كبدي تنفطِرُ منها ، ولم يزلْ ضَمِناً إلىٰ أنْ ماتَ[3] .

وقيلَ : **سببُ موتِهِ** : أنَّهُ كانَ بمصرَ فَناءٌ ووباءٌ كبيرٌ ، فصلَّى الجمعةَ وخرجَ

(١) **البراني** : أوعية الخزف .

(٢) في هامش (أ) : (فقال : ويشترون منه كذلك ، يرد عليهم ، فقال) ، ولم يرمز إلىٰ تصحيحه .

(٣) **الضَّمِن** : المريض .

ليُصلِّيَ على الجنائزِ ، فوجدَها مرصوصةً مِنْ بينِ المصحفينِ إلى القربِ مِنْ درابزينِ التسقيةِ بحريِّ الجامعِ[1] .

فقالَ ابنُ النقَّاشِ ـ وكانَ مديرَ الأمواتِ ـ : الصلاةَ على الجنائزِ وهم خمسةٌ وتسعونَ ، فقالَ : اسكتْ ؛ قطعتَ قلوبَ المسلمينَ ، وقطعتَ قلبي قبلَهُم ، فلم يخرجْ إلى الجمعةِ الأخرىٰ .

وُلِدَ بِجَوْجَرَ سنةَ أربعٍ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ تخميناً ، وتُوفِّيَ في سحرِ السابعِ مِنْ ذي القَعْدةِ سنةَ ثلاثٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[2] .

* * *

(١) تحتمل في (أ) : (إلى الغرب) بدل (إلى القرب) .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٤٢١ـ٤٢٢) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٤٨ـ٦٠) ، وترجمه ترجمة حافلة ، وأورد فوائد وقصصاً في ورعه وكراماته رحمه الله تعالىٰ .

ومنهُمُ :

الشيخُ شرفُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ القادرِ بنُ الشيخِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ الحسنِ ، البغداديُّ الأصلِ ، الدمشقيُّ المولدِ ، المصريُّ الدارِ والوفاةِ الشافعيُّ المعروفُ بـ (ابنِ البغداديِّ)

تفقَّهَ بدمشقَ : علىٰ أبي المعالي مسعودِ بنِ محمدٍ المنعوتِ بـ (القطبِ النيسابوريِّ) ، واشتغلَ عليهِ بعلومِهِ ، وتفقَّهَ بمصرَ : على الشيخِ شهابِ الدينِ الطُّوسيِّ ، ودرَّسَ بجامعِ السَّرَّاجينَ بالقاهرةِ ، ثمَّ درَّسَ بالمدرسةِ القطبيَّةِ إلىٰ حينِ وفاتِهِ .

وُلِدَ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الثاني والعشرينَ مِنْ شعبانَ سنةَ أربعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/٤٥٥ـ٤٥٦) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/٢٧٩) .

ومنهُمُ :

الشيخُ مرهفُ بنُ صارمِ بنِ فلاحِ بنِ راشدِ بنِ عَليقةَ بنِ مُنبِّهِ بنِ جوشنِ بنِ عمرانَ ، أبو عبدِ الرحمٰنِ وأبو المهندِ الجُذاميُّ المنظوريُّ النَّصْريُّ الشافعيُّ السَّفْطيُّ

سَفْطُ نَهْيَا مِنَ الجيزةِ .

صحبَ : أبا عبدِ اللهِ القرشيَّ ولازمَهُ مدَّةً ، وأمَّ بمسجدِهِ بزُقاقِ الطبَّاخِ ، ثمَّ أقامَ بمسجدِ الأندلسِ[1] .

وممَّا أوردَهُ الشيخُ وليُّ الدينِ مِنْ شعرِهِ : [من الوافر]

إِذَا صُرِفَ ٱلْجُنُونُ فَمَنْ يُجَنُّ ... وَإِنْ ضَحِكَ ٱلْحَزِينُ فَمَنْ يَئِنُّ

وَإِنْ لَمْ يَعْتَرِ ٱلْمُشْتَاقَ جِنٌّ ... إِذَا جَنَّ ٱلظَّلاَمُ فَمَنْ يُجَنُّ[2]

وُلِدَ سنةَ ثمانٍ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ تخميناً ، وتُوفِّيَ سنةَ أربعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[3] .

* * *

(١) وكان هٰذا المسجد بالقرافة .

(٢) كذا في (أ) بالجيم المعجمة في (جن) ، ولم تعجم في (يجن) ، ولعلها : (حَنَّ) و(يحنُّ) ، والحَنُّ : الجنون ، والله تعالى أعلم .

(٣) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٤٦٣ـ٤٦٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٦/ ٢٢٠ـ٢٢١) .

ومنهُم :

أبو العباسِ أحمدُ بنُ سليمانَ بنِ حميدِ بنِ إبراهيمَ بنِ مُهَلهِلٍ القرشيُّ المخزوميُّ الشافعيُّ البِلْبِيسيُّ المعروفُ بـ (ابنِ كِسَا)

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وسافرَ البلادَ على هيئةِ التصوُّفِ ، وتفقَّهَ بدمشقَ واشتغلَ بها ، وبالموصلِ وبغدادَ وخراسانَ ، واجتمعَ بالإمامِ فخرِ الدينِ بنِ الخطيبِ الرازيِّ وأخذَ عنهُ ، وكانَتْ لهُ خبرةٌ بالنظريَّاتِ والخلافيَّاتِ ، ولهُ كلامٌ حسنٌ .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ ابنَ النعمانِ كثيراً ما يُثني عليهِ[1] .

وسمعتُ غيرَهُ يحكي عنهُ : أنَّهُ حضرَ عندَ بعضِ مشايخِ العراقِ ـ وكانَ قد بلغَهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : لم يأتِنا مِنْ مصرَ فقيرٌ ـ فقالَ لهُ الشيخُ : ما صنعتُكَ ؟ قالَ : يا سيِّدي ؛ مَشاعليٌّ مِنْ أربابِ الضوءِ ، فقالَ : ونحنُ عازمُونَ على السفرِ إلى الحجازِ .

فلم يزلْ يحملُ معَ الشيخِ المشعلَ ذاهباً وعائداً ، فحينَ وافى بابَ الزاويةِ قبَّلَ الشيخَ وقالَ لهُ : يا سيِّدي ؛ أشتهي إذنَكَ في العودِ إلى بلدي ، قالَ : ومِنْ أيِّ البلادِ أنتَ ؟ قالَ : مِنْ مصرَ ، قالَ : بلغَنا أنَّ بها فقيراً يُقالُ لهُ : ابنُ كِسَا ، سلِّمْ لنا عليهِ ، فقالَ : يا سيِّدي ؛ وعليكَ السلامُ ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ ، فتيقَّظَ الشيخُ وقامَ موقفَ الاعتذارِ واستغفرَ ، فأقبلَ عليهِ الشيخُ أبو العباسِ بنُ كِسَا ، ومنعَهُ الشيخُ مِنَ السفرِ حتى قامَ بحقِّهِ مِنَ الضيافةِ والإكرامِ .

(١) ابن النعمان ستأتي ترجمته في (٢/ ١٦٣ـ ١٧٩) ، وهي ترجمة حافلة نفيسة .

وسمعتُ : أنَّ هـٰذا الشيخَ كانَ يجتمعُ بهِ الأولياءُ ويراهُم ، ويزورُونَ مكانَـهُ .

وُلِدَ ببِلْبِيسَ سنةَ سبعٍ وستينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بالقاهرةِ سنةَ خمسٍ وثلاثينَ وستٍّ مئةٍ في ربيعٍ الآخرِ[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٤٧٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٦/ ٢٢٩ـ٢٣٠) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ الزاهدُ الأصيلُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ الشيخِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ ، القَسْطلانيُّ الأصلِ ، المصريُّ الدارِ المالكيُّ

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ ، وصحبَ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ أحمدَ[1] مدَّةً طويلةً ، وأخذَ عنهُ التصوُّفَ والطريقَ ، وجمعَ مِنْ كلامِ الشيخِ كتاباً ممتعاً نافعاً ، ووليَ التدريسَ بالمدرسةِ المالكيَّةِ الصلاحيَّةِ بمصرَ ، وهوَ في خلالِ ذلكِ يجتمعُ إليهِ الصالحونَ والأولياءُ مِنْ أصحابِ القرشيِّ وغيرِهِم ، ودارُهُ المعروفةُ بسكنةَ نَمَتْ عليها بركةُ الصالحينَ ، فلم تزلْ محطَّ رحالِ الأولياءِ ، ومجتمعَ الزهَّادِ والأصفياءِ ، إلى يومِنا هٰذا ، وهيَ التي اجتمعَ فيها عندَهُ الجماعةُ أصحابُ سيِّدي أبي عبدِ اللهِ القرشيِّ وفيهِمُ الشيخُ أبو يوسفَ الدُّهْمانيُّ ، فأمرُوا قوَّالاً أنْ يقولَ لهُم شيئاً ، فغنَّى المُوشَّحَ الذي في آخرِهِ[2] :

أَمَـا تَـرَىٰ أَحْمَـدْ ... فِـي مَجْـدِهِ ٱلْعَـالِـي ... لاَ يُلْحَـقُ

أَطْلَعَـهُ ٱلْمَغْـرِبْ ... فَـأَرِنَـا مِثْلَـهْ ... يَـا مَشْـرِقُ

فطَرِبَ الشيخُ أبو يوسفَ الدُّهْمانيُّ ، ثمَّ جمعَ نفسَهُ وصعِدَ إلى أنْ دارَ في الهواءِ مُقابِلَ الإنبذاريَّةِ في المجلسِ الذي هم فيهِ إلى أنْ وصلَ إلى مكانِهِ[3] ،

(١) هو سيدي القرشي رحمه الله تعالى .

(٢) قطعة من موشح ليحيى بن بقيّ الأندلسي . انظر « نفح الطيب » (٦/٧) .

(٣) الإنبذارية : خزانة تكون في عرض الحائط .

فحطَّ نفسَهُ فيهِ وجلسَ ، فطالبَهُ الحاضرُونَ بشُكرانِ ذلكَ ، ففعلَ[1] .

وكانَ الشيخُ أبو العباسِ كثيرَ الإيثارِ معَ الإقتارِ[2] .

وُلِدَ بمصرَ في ربيعٍ الآخرِ سنةَ تسعٍ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بمكَّةَ شرَّفَها اللهُ تعالىٰ في مُستهَلِّ جمادى الآخرِ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[3] .

* * *

(١) وكان سيدي الدُّهماني صاحبَ كرامات عجيبة ، ومنها كرامة شهيرة أوردها ابن السبكي في « طبقاته » (٢/ ٣٣٨) ، وله ترجمة حافلة في « نزهة الأنظار » لمقديش (٢/ ٢٩٣ـ٢٩٦) .

(٢) في (ب) : (مع الافتقار) .

(٣) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥٠٨ـ٥٠٩) ، و« الديباج المذهب » (ص٦٧ـ٦٨) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ جمالُ الدينِ أبو المحامدِ محمودُ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ السيدِ البخاريُّ التاجريُّ المعروفُ بـ (الحَصِيريِّ)

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ أبي حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ ببخارىٰ وغيرِها علىٰ جماعةٍ ، وسمعَ : مِنْ أبي الفتحِ منصورِ بنِ عبدِ المنعمِ الفَراويِّ ، والمُؤيَّدِ الطوسيِّ ، وحدَّثَ ودرَّسَ ، وانتفعَ بهِ جماعةٌ .

وكانَ أحدَ أئمَّةِ أصحابِ أبي حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ ، والمُتقدِّمينَ في مذهبِهِ ، جامعاً للعلمِ والعملِ ، كثيرَ التواضعِ ، مُبجَّلاً عندَ الملوكِ ، وكانَ يدخلُ دارَ السعادةِ راكباً وابنُهُ معَهُ ، وهوَ الذي قامَ على الملكِ الأشرفِ في نوبةِ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ حينَ استمالَهُ بعضُ الحنابلةِ إلىٰ رأيِهِم ، والقصَّةُ مشهورةٌ[1] .

التاجريُّ : مَحَلَّةٌ ببخارىٰ يُصنَعُ فيها الحُصُرُ ؛ فلذلكَ قيلَ : التاجريُّ الحَصِيريُّ .

وُلِدَ رضيَ اللهُ عنهُ سنةَ ستٍّ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ ليلةَ الثامنِ مِنْ صفرٍ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[2] .

* * *

(١) وكان من القائمين معه أيضاً شيخ المالكية أبو عمرو ابن الحاجب ، وقد أفاض ابن السبكي في ذكر محنة الشيخ ابن عبد السلام في « طبقاته » (٨/ ٢١٨ـ ٢٣٩) ، وستأتي القصة في (٢/ ٥٠٠ـ ٥١٩) .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٤٩٩) ، و« الجواهر المضية » (٢/ ١٥٥) .

ومنهُمُ :

الفقيهُ الإمامُ العالمُ أبو عليٍّ حسانُ بنُ أبي القاسمِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ حسانَ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الواحدِ الجُهَنيُّ المهدويُّ الأصلِ ، الإِسْكَندرانيُّ المولدِ والدارِ

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ أبي عبدِ اللهِ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وقرأَ الأصولَ والطبَّ وبرعَ في ذلكَ ، وسمعَ بالإسكندريةِ مِنَ الحافظِ أبي طاهرٍ أحمدَ بنِ محمدِ ابنِ سِلَفَةَ الأصبهانيِّ .

تُوفِّيَ في أواخرِ رجبٍ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥١١) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٦/ ٢٨٧) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العلامةُ سعيدُ الدولةِ[1] أبو محمدٍ عبدُ المعطي بنُ منصورِ بنِ نجا بنِ منصورِ بنِ نجا ، المَخِيليُّ الأصلِ ، الإسكندرانيُّ المولدِ المالكيُّ

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ ، واشتغلَ بالعلومِ وعلومِ النظرِ والاستدلالِ ، وسمعَ مِنْ أبي طاهرٍ السِّلَفيِّ ، وتصدَّرَ بجامعِ العطَّارينَ بثغرِ الإسكندريَّةِ .

وولدُهُ : جمالُ الدينِ أبو الفضلِ [يوسفُ] ، كانَ مِنَ الأكابرِ الصُّلحاءِ العلماءِ المُتورِّعينَ[2] .

وولدُ ولدِهِ : تاجُ الدينِ أبو المعالي محمدُ بنُ أبي الفضلِ ، تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ ، وتصدَّرَ بثغرِ الإسكندريَّةِ ، ودرَّسَ مدَّةً بها وأفتى ، وتوجَّهَ رسولاً ، فأدركَهُ أجلُهُ بحمصَ [. . .][3] .

* * *

(١) في « التكملة لوفيات النقلة » : (٣/ ٥٢٩) : (سعد الدولة) .

(٢) في نسختينا : (عتيق) بدل (يوسف) ، والمثبت من المصادر والمراجع التي وقفت عليها .

(٣) بياض في (أ ، ب) ها هنا بمقدار سطر ، وفي هامش (أ) : (تُذكَر وفاتهم) ، **وتوفي التاج** : في حياة والده في السابع عشر من شهر ربيع الآخر سنة (٦٣٧هـ) ، **وتوفي الجمال** : في سابع جمادى الآخرة سنة (٦٤٢هـ) ، وانظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥٢٩ـ٥٣٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٣/ ١١٦ـ ١١٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٦/ ٣٤٩) .

ومنهُمُ :

الشيخُ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ إبراهيمَ بنِ عيسى بنِ مغنينَ بنِ عليِّ بنِ يوسفَ العَجِيسيُّ المَتِّيجيُّ

مِنْ مَتِّيجةَ قريةٍ مِنْ أعمالِ بِجايةَ ، صحبَ الشيخَ أبا محمدٍ عبدَ الرحيمِ بقِنا ، ثمَّ دخلَ الإسكندريَّةَ فاشتغلَ فيها بأصولِ الدينِ والفروعِ ، ثمَّ تزهَّدَ ولزمَ المحرسَ .

تُوفِّيَ ثامنَ شعبانَ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥١٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٦/ ٢٩٠) .

ومنهُمُ :

الشيخُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ إبراهيمَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ خلفِ بنِ وهبِ بنِ أحمدَ القرشيُّ المخزوميُّ البُوشيُّ

لهُ رحلةٌ إلىٰ بغدادَ ، سمعَ مِنِ ابنِ سُكَينةَ ، وحدَّثَ عن أبي الطاهرِ ابنِ عوفٍ ، وهوَ أحدُ المُعدِّلينَ بمصرَ ، وكانَ لهُ تصدُّرٌ بالجامعِ العتيقِ بمصرَ لإقراءِ الأصولَيِن ، وإفادةِ ما علمَهُ مِنَ العلومِ .

تُوفِّيَ سنةَ سبعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) في الحادي والعشرين من جمادى الآخرة . انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥٣٤) ، و« توضيح المشتبه » (١/ ٦٥١) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ شمسُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ الخليلِ بنِ سعادةَ بنِ جعفرِ بنِ عيسى الخُوَيِّيُّ

قرأَ الأصولَ والفقهَ ، ووليَ نيابةَ الحكمِ بالحسينيةِ ظاهرَ القاهرةِ ، وبالمقسمِ[١] ، وصنَّفَ في الأصولِ مختصراً[٢] ، ثمَّ وليَ قضاءَ قضاةِ الشامِ ، وكانَ مشهوراً بالخيرِ ، حدَّثَ عنِ المُؤيَّدِ الطوسيِّ[٣] .

تُوفِّيَ سنةَ سبعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[٤] .

* * *

(١) في المصادر والمراجع التي وقفت عليها : أنه ولي قضاء الشام فقط ، ولعل المثبت زيادة انفرد بها المؤلف ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) وهٰذا المختصر اسمه : « عرائس النفائس » ، وكان قد اختصر به « النفائس » لركن الدين العميدي ، كما ذكر ذلك ابن المعلم في (١/ ٥٥٩) ، وذكر أيضاً أنه شرح « الإرشاد » للركن العميدي ، وذكر ابن أبي أصيبعة أنه أكمل تفسير شيخه الإمام الفخر الرازي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) وقرأ العقليات علىٰ قطب الدين المصري ، وقيل : على الإمام الفخر الرازي ، والجدل على العلاء الطاوسي .

(٤) في السابع من شعبان . انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥٣٧) ، و« عيون الأنباء » (ص٦٤٦ـ٦٤٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٦ـ١٧) .

ومنهُمُ :

الإمامُ شرفُ الدينِ أبو البركاتِ المباركُ بنُ أبي الفتحِ أحمدَ ابنِ موهوبِ بنِ غنيمةَ بنِ غالبٍ ، اللَّخْميُّ المعروفُ بـ (ابنِ المستوفي) الإِرْبِليُّ

كانَ رئيساً جليلَ القدرِ ، كثيرَ التواضعِ ، وكانَ جمَّ الفضائلِ ، عارفاً بعدَّةِ فنونٍ ؛ منها : الحديثُ وعلومُهُ ، وأسماءُ رجالِهِ ، وكانَ ماهراً في فنونِ الأدبِ ؛ مِنَ النحوِ ، واللغةِ ، والعَروضِ ، والقوافي ، وعلمِ البيانِ ، وأشعارِ العربِ ، وكانَ بارعاً في علمِ الديوانِ وحسابِهِ ، وضبطِ قوانينِهِ على الأوضاعِ المُعتبَرَةِ عندَهُم .

وجمعَ لإربلَ تاريخاً في أربعِ مجلَّداتٍ ، ولهُ كتابٌ سمَّاهُ « أبا قماشٍ » جمعَ فيهِ أدباً كثيراً ، ولهُ كتابٌ في الوعظِ والتنزيهِ رتَّبَهُ أسولةً وأجوبةً ، ردَّ فيهِ على المُجسِّمةِ والحشويةِ والقائلينَ بالحرفِ والصوتِ .

وكانَ تولَّى الاستيفاءَ ؛ وهوَ منصبٌ في البلادِ الشاميَّةِ وبلادِ الشرقِ ليسَ بعدَهُ إلا الوزارةُ ، ثمَّ تولَّى الوزارةَ لمظفَّرِ الدينِ إلىٰ أنْ ماتَ ، فبطلَ شرفُ الدينِ وبقيَ في بيتِهِ بإربلَ إلىٰ أنِ استولى التتارُ ـ خذلَهُمُ اللهُ ـ عليها سنةَ أربعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ ، فاعتصمَ بالقلعةِ ، ثمَّ انتقلَ بعدَ انتزاحِ التتارِ عنها إلى الموصلِ ، وأقامَ بها إلىٰ أنْ ماتَ .

وُلِدَ في نصفِ شوَّالٍ سنةَ أربعٍ وستينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ يومَ الأحدِ لخمسٍ خلونَ مِنْ محرمٍ سنةَ سبعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ .

ومِمَّا ذُكِرَ أَنَّهُ نَظَمَهُ في نومِهِ[1] : [من المتقارب]

وَبِتْنَا جَمِيعاً وَبَاتَ ٱلْغَيُورُ يَعَضُّ يَدَيْهِ عَلَيْنَا حَنَقْ
نَوَدُّ غَرَاماً لَوَ ٱنَّا نُبَاعُ سَوَادَ ٱلدُّجَا بِسَوَادِ ٱلْحَدَقْ[2]

* * *

(١) أورد البيتين ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٤/ ١٤٩ـ١٥٠) .
(٢) انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ١٤٧ـ١٥٢) ، و« التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥٢٢) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الصالحُ أبو محمدٍ عبدُ المعطي بنُ محمودِ بنِ عبدِ المعطي اللَّخْميُّ الإِسْكَنْدرانيُّ

قالَ الشيخُ رشيدُ الدينِ العطَّارُ : (عبدُ المعطي هـٰذا مِنْ أعيانِ مشايخِ الإسكندريَّةِ ، مشهورٌ بالزهدِ والصلاحِ ، لهُ معرفةٌ بأصولِ الدينِ ومذهبِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، صنَّفَ كتباً في الرقائقِ وعلمِ الباطنِ ، وشرحَ « الرعايةَ » للمحاسبيِّ ، و« رسالةَ القشيريِّ ») .

تُوفِّيَ بمكَّةَ ليلةَ الجمعةِ الثالثِ والعشرينَ مِنْ ذي الحجَّةِ سنةَ ثمانٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥٦٦) ، « وتاريخ الإسلام » (٤٦/ ٣٧٠) .

محتوى الجزء الأول

بين يدي الكتاب ٥

ترجمة الإمام محمد بن محمد ابن المعلم القرشي ٩

كلمة عن كتاب « نجم المهتدي ورجم المعتدي » ٢٤

منهج العمل في تحقيق الكتاب ٣٦

وصف النسختين الخطيتين ٤١

صور من النسختين الخطيتين ٤٥

* * *

خطبة الكتاب ٥٣

الداعي إلى تأليف الكتاب ٥٨

جهود الدولة الناصرية في كسر شوكة أهل البدع ٦٨

فصلٌ : في الإشارة إلى المجلس الذي عقد لابن تيمية ، وما كتبه المؤلف ناصحاً له ٧٠

الإشارة إلى ابن القيم تلميذ ابن تيمية في المعتقد ٧١

جواب المؤلف عن اعتراض بعضهم على تقريع ابن تيمية في هذا الكتاب ٧٣

سلف المؤلف في الرد على أهل البدع ٧٤

إفتاء جماعةٍ من أئمة العصر على وجوب الرد على ابن تيمية في هذا التأليف ٧٦

شروع المؤلف في الرد على ابن تيمية ٧٧
مراتب إنزال القرآن ٨٠
الرد على ابن تيمية في فتياه المتعلقة بكلام الله ٨٤
منهج المؤلف إجمالاً في الكتاب ، مع ذكر محتواه ١٤٠

الباب الأول

فيما يؤيد أهل السنة في التأويل من جهة النقل المأثور من الكتاب والسنة الناطقة بالصواب ١٤٥

فصلٌ : فيما ورد في الكتاب العزيز مما يحتاج فيه إلى التأويل ١٤٨
تأويل قوله تعالى : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ ١٥١
تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ... ﴾ ١٥٢
تأويل قوله تعالى : ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾ ١٥٣
تأويل قوله تعالى : ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ ١٥٤
تأويل قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ﴾ ١٥٥
تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ ١٥٧
تأويل قوله تعالى : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ ١٥٩
تأويل قوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ... ﴾ ... ١٥٩
معنى قوله ﷺ : « من قال برأيه في القرآن فأصاب فقد أخطأ » ١٦٢
الحكمة من ورود المتشابه في القرآن والحديث ١٦٣
فصلٌ : فيما ورد في السنة مما يحتاج فيه إلى التأويل ١٦٤

تأويل قوله ﷺ : « والشر ليس إليك » ١٦٤
تأويل قوله ﷺ : « كنت نبياً وآدم بين الماء والطين » ١٦٤
تأويل قوله ﷺ : « قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمٰن » ١٦٥
تأويل قوله ﷺ : « لا تسبوا الدهر ؛ فإن الله هو الدهر » ١٦٦
تأويل قوله ﷺ : « فإن على رأس مئة سنةٍ . . . » ١٦٧
تأويل قوله ﷺ : « الحجر الأسود يمين الله في الأرض » ١٦٩
تأويل قوله ﷺ : « إني لأجد نفس الرحمٰن من قبل اليمن » ١٧٠
فصلٌ : في الاستدلال على التأويل من كلام سيد المرسلين ﷺ ... ١٧٢
فصلٌ : في ذكر آياتٍ وأحاديث نطق المخالف بتأويلها ١٧٥

الباب الثاني

فيما يعضد التأويل من أدلة العقل

١٧٩
الرد نقلاً وعقلاً على من استدل على تحريم علم الكلام بقوله تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ ١٨٢
الرد على استدلال المخالف بقوله ﷺ : « اللهم ؛ هل بلغت . . » ... ١٨٥
الدليل النقلي والعقلي على كون الرسول ﷺ يعلم الكلام بغير عبارات المتكلمين ١٨٦
من استدل بالأدلة العقلية على وجود الباريء وصفاته لم يخرج عن الكتاب والسنة ١٨٩
فصلٌ : في إثبات التأويل من خلال قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ ١٩٢

الحجة على إثبات التأويل من خلال ثلاثة مسالك ١٩٧
عودٌ إلى الكلام على إثبات التأويل من خلال آية الاستواء ٢٠٠
التركيب مستحيلٌ على الله تعالى لوجهين ٢٠٠
إلزام القول بالجسمية للقائلين بالجهة من غير تجسيم ٢٠١
فصلٌ : نذكر فيه طريقةً ثانيةً في الاستدلال على التأويل في الآية المذكورة ٢٠٤
فصلٌ : نذكر فيه طريقةً ثالثةً في الاستدلال ٢٠٥

الباب الثالث

فيمن قال بالتأويل وتكلم في تنزيه الرب الجليل من الصحابة والتابعين والعلماء الأولين على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم ٢٠٩

أنموذجٌ من أشعار العرب من جنس المنقول محمولاً ظاهرها على المجاز ٢١٢
استغناء الصحابة عن الخوض في التأويل لما ركز في فطرهم وشاع فيها من معرفة الألفاظ ومدلولاتها ٢٢٢
الشروع في ذكر من أول أو خاض في علم الكلام من الصحابة الكرام .. ٢٢٣
الصحابي الجليل أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه ٢٢٤
الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ٢٢٦
الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه ٢٢٨
الصحابي الجليل علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه ٢٣٠
الصحابي الجليل عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنهما ٢٣٥

الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ٢٣٨
الصحابية الجليلة عائشة رضي الله عنها ٢٣٩
الصحابي الجليل زيد بن ثابت بن الضحاك الخزرجي رضي الله عنه ... ٢٤٠
الصحابي الجليل عبد الله بن مسعودٍ الهذلي رضي الله عنه ٢٤١
الصحابي الجليل أبو المنذر أبي بن كعبٍ رضي الله عنه ٢٤٣
الصحابي الجليل معاذ بن جبلٍ الخزرجي رضي الله عنه ٢٤٥
الصحابي الجليل أبو موسىٰ عبد الله بن قيسٍ الأشعري رضي الله عنه .. ٢٤٦

الباب الرابع

فيمن رأى الخوض في علم الكلام والتأويل أو تكلم في العقائد من التابعين وتابعيهم

٢٤٧
التابعي الجليل سعيد بن جبيرٍ رضي الله عنه ٢٥٢
التابعي الجليل سعيد بن المسيب رحمه الله تعالىٰ ٢٥٣
التابعي الجليل الحسن بن أبي الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ ٢٥٤
التابعي الجليل مجاهد بن جبرٍ رحمه الله تعالىٰ ٢٥٦
التابعي الجليل أبو البختري سعيد بن فيروز رحمه الله تعالىٰ ٢٥٧
التابعي الجليل عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالىٰ ٢٥٨
التابعي الجليل عامر بن شراحيل الشعبي رحمه الله تعالىٰ ٢٥٩
التابعي الجليل التابعي الجليل ابن شهابٍ الزهري رحمه الله تعالىٰ ٢٦٠
التابعي الجليل أبو الحسن علي (زين العابدين) بن الحسين بن علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه ٢٦١

التابعي الجليل زيد بن علي بن الحسين رحمه الله تعالىٰ ٢٦٣

الباب الخامس
في ذكر من تأوّل ومن تكلم في التنزيه وخاض في علم الكلام
من الطبقة الثانية من التابعين وتابعيهم

٢٦٥
الإمام جعفر بن محمدٍ الصادق رضي الله عنه ٢٦٧
الإمام أبو سعيدٍ عبد الرحمٰن بن مهدي رحمه الله تعالىٰ ٢٦٩
الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالىٰ ٢٧١
توجيه ما ورد عن الشافعي رحمه الله تعالىٰ من النهي عن علم الكلام .. ٢٧٧
الإمام أبو علي الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي رحمه الله تعالىٰ ... ٢٨١
الإمام أبو العباس أحمد بن عمر بن سريجٍ رحمه الله تعالىٰ ٢٨٢
الإمام عبد الله بن سعيدٍ التميمي رحمه الله تعالىٰ ٢٨٣
الإمام الحسين بن الفضل البجلي رحمه الله تعالىٰ ٢٨٤
الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه ٢٨٥
الإمام مسلم بن الحجاج القشيري رضي الله عنه ٢٨٧
الإمام أبو جعفرٍ محمد بن جرير بن يزيد الطبري رحمه الله تعالىٰ ٢٨٨
قوة شوكة المبتدعة بعد هٰذه الطبقة وقبل ظهور إمام أهل السنة
أبي الحسن الأشعري ٢٩٠

الباب السادس
في ذكر من خاض في المعارف وذكر منها ما وافق معتقد أهل الحق
من علماء الكلام

٢٩٥
الإمام أبو سليمان عبد الرحمٰن بن عطية الداراني رحمه الله تعالىٰ ... ٢٩٨

الإمام عبد العزيز المكي رحمه الله تعالىٰ ٢٩٩
الإمام أبو عبد الله الحارث بن أسدٍ المحاسبي رحمه الله تعالىٰ ٣٠٠
الإمام أبو الفيض ذو النون المصري رحمه الله تعالىٰ ٣٠١
الإمام سري بن المغلس السقطي رحمه الله تعالىٰ ٣٠٢
الإمام سهل بن عبد الله التستري رحمه الله تعالىٰ ٣٠٣
الإمام أبو زكريا يحيى بن معاذٍ الرازي الواعظ رحمه الله تعالىٰ ٣٠٤
الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمدٍ القواريري رحمه الله تعالىٰ ٣٠٥
الإمام أبو الحسين أحمد بن محمدٍ النوري رحمه الله تعالىٰ ٣٠٨
الإمام أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي رحمه الله تعالىٰ ٣٠٩
الإمام أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي رحمه الله تعالىٰ ... ٣١٠
الإمام أبو سعيدٍ أحمد بن عيسى الخراز رحمه الله تعالىٰ ٣١١
الإمام أبو العباس أحمد بن محمد الأدمي رحمه الله تعالىٰ ٣١٢
الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص رحمه الله تعالىٰ ٣١٣
الإمام أبو الحسن علي بن محمد الدينوري ، المعروف بـ(ابن الصائغ)
رحمه الله تعالىٰ ٣١٤
الإمام أبو عبد الرحمٰن محمد بن الحسين الأزدي النيسابوري السلمي
رحمه الله تعالىٰ ٣١٥

الباب السابع

في فضل الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالىٰ ٣١٧
فصلٌ : في طريقة أبي الحسن الأشعري في الزهد والعبادة ٣٢٤
فصلٌ : في طريقة أبي الحسن الأشعري في الخوض مع أهل البدع ... ٣٢٥

فصلٌ : مما يدل على فضله كونه من خير القرون ٣٢٦
فصلٌ : في ثناءات أساطين العلم على الإمام أبي الحسن الأشعري
رحمه الله تعالى ونضالهم عنه ٣٢٨
الرسالة الأشعرية للإمام البيهقي في الثناء على أبي الحسن الأشعري
والنضال عنه ٣٢٩
رسالة الإمام القشيري « شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة »
في الثناء على أبي الحسن الأشعري والنضال عنه ٣٣٢
خطوط الأئمة في مدح أبي الحسن الأشعري ، وفي حكم من طعن فيه أو
سبه ٣٣٧
ثناء الإمام أبي الحسن القابسي القيرواني ٣٣٩
ثناء الإمام ابن أبي زيدٍ القيرواني ٣٤١
ثناء الإمام القاضي أبي المعالي شيذله ٣٤١
ثناء الإمام ضياء الدين أبي القاسم الرازي والد الفخر ٣٤١
فصلٌ : ذكر مصنفات الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى ... ٣٤٧
فصلٌ : التمهيد لذكر الطبقات التي ذكرها ابن عساكر في « تبيينه »
وما زاد عليه المؤلف في « النجم » ٣٥٠

الباب الثامن

في ذكر اتباع أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه وعنهم في معتقده

ممن ذكرهم الحافظ ابن عساكر رضي الله عنه على ما قدمته وهم طبقات ٣٥٣
ذكر الطبقة الأولى من أصحاب أبي الحسن ٣٥٥
الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيفٍ الشيرازي رضي الله عنه ٣٥٦

الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن مجاهدٍ الطائي رحمه الله تعالىٰ .. ٣٦٣
الإمام أبو الحسن الباهلي البصري رحمه الله ٣٦٤
الإمام أبو جعفرٍ محمد بن أحمد السلمي البغدادي النقاش رحمه الله تعالىٰ ٣٦٨
الإمام أبو عبد الله محمد بن القاسم المعروف بـ (الشافعي) الأصفهاني رحمه الله تعالىٰ ٣٧٠
الإمام أبو محمدٍ عبد الواحد بن أحمد الزهري المذكر رحمه الله تعالىٰ ٣٧١
الإمام أبو بكرٍ محمد بن عبد الله بن محمدٍ المعروف بـ (الأودني) رحمه الله تعالىٰ ٣٧٢
الإمام أبو منصورٍ محمد بن عبد الله بن حمشاذ النيسابوري رحمه الله تعالىٰ ٣٧٣
الإمام أبو الحسين محمد بن أحمد يعرف بـ (ابن سمعون الواعظ) رحمه الله تعالىٰ ٣٧٥
الإمام أبو عبد الرحمٰن محمد بن إسماعيل القطان الشروطي رحمه الله تعالىٰ ٣٧٩
الإمام أبو علي زاهر بن أحمد بن محمد السرخسي رحمه الله تعالىٰ ... ٣٨٠
ذكر الطبقة الثانية الذين صحبوا أصحاب أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه ٣٨١
الإمام أبو سعدٍ إسماعيل بن أحمد الإسماعيلي الجرجاني رحمه الله تعالىٰ ٣٨١
الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان العجلي رحمه الله تعالىٰ .. ٣٨٤
الإمام أبو بكرٍ محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني رحمه الله تعالىٰ .. ٣٨٩

الإمام أبو الحسن علي بن محمد ابن ميله ، ومحمدٌ يعرف بـ (ماشاذه)
رحمه الله ٣٩٢
الإمام أبو طالب ابن المهتدي الهاشمي الدمشقي رحمه الله تعالىٰ ٣٩٣
الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ رحمه الله تعالىٰ ٣٩٤
الإمام أبو سعد بن أبي عثمان الخركوشي الزاهد رحمه الله تعالىٰ ٣٩٨
الإمام أبو عمر محمد بن الحسين البسطامي رحمه الله تعالىٰ ٤٠٠
الإمام أبو القاسم بن أبي عمرٍو البجلي البغدادي رحمه الله تعالىٰ ٤٠٣
الإمام أبو معمر بن أبي سعد بن أبي بكرٍ الجرجاني رحمه الله تعالىٰ ... ٤٠٥
الإمام أبو حازمٍ العبدويي النيسابوري الحافظ رحمه الله تعالىٰ ٤٠٧
الإمام الحافظ أحمد بن عبد الله أبو نعيمٍ الأصبهاني رحمه الله تعالىٰ .. ٤٠٩
الإمام أبو حامدٍ أحمد بن محمد ابن دلويه الأستوائي رحمه الله تعالىٰ .. ٤١١
الإمام أبو علي ابن شاذان البغدادي رحمه الله تعالىٰ ٤١٢
ذكر الطبقة الثالثة ممن لقي أصحابَ أصحاب أبي الحسن ٤١٤
الإمام أبو الحسن علي بن أحمد النعيمي البصري رحمه الله تعالىٰ ٤١٥
الإمام أبو طاهر ابن خراشة الدمشقي رحمه الله تعالىٰ ٤١٧
الإمام أبو منصورٍ عبد القاهر بن طاهر البغدادي رحمه الله تعالىٰ ٤١٨
الإمام المسند أبو ذر عبد الله بن أحمد الهروي رحمه الله تعالىٰ ٤٢٠
الإمام أبو بكرٍ الدمشقي الزاهد رحمه الله تعالىٰ ٤٢٢
الإمام أبو محمدٍ عبد الله بن يوسف ابن حيويه الجويني رحمه الله تعالىٰ ٤٢٣
الإمام أبو جعفرٍ محمد بن أحمد ابن محمودٍ السمناني رحمه الله تعالىٰ ٤٢٦
الإمام أبو حاتمٍ محمود بن الحسن الطبري رحمه الله تعالىٰ ٤٢٧
الإمام أبو محمد بن اللبان رحمه الله تعالىٰ ٤٢٨

ذكر الطبقة الرابعة من أتباع أبي الحسن ٤٣٣
الإمام أبو بكرٍ البغدادي الحافظ المعروف بـ (الخطيب) رحمه الله تعالىٰ ٤٣٣
الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الأستوائي رحمه الله تعالىٰ ٤٣٥
الإمام أبو إسحاق الشيرازي رضي الله عنه ٤٤٣
الإمام أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي رحمه الله تعالىٰ ٤٥٣
الإمام أبو سعدٍ إسماعيل بن أحمد النيسابوري ، المعروف بـ (الكرماني) رحمه الله تعالىٰ ٤٥٦
الإمام أبو الحسن السلمي الدمشقي رحمه الله تعالىٰ ٤٥٧
الإمام أبو منصورٍ محمود بن أحمد ابن ماشاذه الأصفهاني رحمه الله تعالىٰ ٤٥٩
الإمام أبو الفتوح محمد بن الفضل ابن المعتمد الإسفرايني رحمه الله تعالىٰ ٤٦٠
الإمام أبو الفتح نصر الله بن محمد الأشعري المصيصي رحمه الله تعالىٰ ٤٦٢

الباب التاسع

في ذكر جماعة لم يذكرهم الحافظ ابن عساكر ٤٦٣

الإمام أبو القاسم إسماعيل بن عبد الملك الطوسي ، المعروف بـ (الحاكمي) رحمه الله تعالىٰ ٤٦٥
الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت رحمه الله تعالىٰ ٤٦٧
الإمام أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي رحمه الله تعالىٰ ... ٤٧٠
الإمام أبو عبد الله محمد بن علي التميمي المازري رحمه الله تعالىٰ ... ٤٧١

الإمام أبو العباس أحمد بن محمد الصنهاجي ، المعروف بـ (ابن العريف) رحمه الله تعالىٰ ٤٧٢
الإمام أبو بكرٍ محمد بن عبد الكريم الشهرستاني رحمه الله تعالىٰ ٤٧٤
الإمام أبو المعالي مجلي بن جميع بن نجا القرشي المخزومي الأرسوفي رحمه الله تعالىٰ ٤٧٥
الإمام أبو القاسم عمر بن محمد المعروف بـ (ابن البزري) الشافعي الجزري رحمه الله تعالىٰ ٤٧٦
الإمام أبو سعدٍ عبد الكريم بن الإمام محمد بن أبي المظفر رحمه الله تعالىٰ ٤٧٧
الإمام ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله ابن عمويه السهروردي رحمه الله تعالىٰ ٤٧٨
الإمام أبو منصورٍ محمد بن أسعد الطوسي ، المعروف بـ (حفدة) رحمه الله تعالىٰ ٤٨٠
الإمام كمال الدين أبو الفضل محمد بن أبي محمدٍ عبد الله ابن الشهرزوري رحمه الله تعالىٰ ٤٨٢
الإمام سديد الدين محمد بن هبة الله السلماسي رحمه الله تعالىٰ ٤٨٤
الإمام أبو طالبٍ أحمد بن المسلم اللخمي التنوخي الإسكندري رحمه الله تعالىٰ ٤٨٥
الإمام قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد النيسابوري الطريثيثي رحمه الله تعالىٰ ٤٨٦
الإمام أبو الطاهر إسماعيل بن مكي ابن عوفٍ الزهري الإسكندراني رحمه الله تعالىٰ ٤٨٨

الإمام أبو القاسم عبد الرحمٰن بن عبد الله الخثعمي السهيلي رحمه الله تعالىٰ ٤٨٩
الإمام أبو القاسم عبد الرحمٰن بن الحسين ابن الجباب التميمي رحمه الله تعالىٰ ٤٩٠
الإمام أبو سعدٍ عبد الله بن محمدٍ ابن أبي عصرون التميمي الموصلي الدمشقي رحمه الله تعالىٰ ٤٩١
الإمام أبو الحسين عبد الرحمٰن بن أبي عامرٍ أحمد الأشعري القرطبي رحمه الله تعالىٰ ٤٩٣
الإمام محيي الدين أبو حامدٍ محمد بن محمد بن الشهرزوري رحمه الله تعالىٰ ٤٩٤
الإمام أبو العباس أحمد بن عبد الرحمٰن بن وهبان المعروف بـ (ابن أفضل الزمان) رحمه الله تعالىٰ ٤٩٦
الإمام نجم الدين أبو البركات محمد بن الموفق الخبوشاني الصوفي رحمه الله تعالىٰ ٤٩٧
الإمام أبو البركات هبة الله بن عبد المحسن الأنصاري رحمه الله تعالىٰ ٥٠٠
الإمام محيي الدين أبو المعالي محمد بن أبي الحسن علي المعروف بـ (ابن زكي الدين) الدمشقي رحمه الله تعالىٰ ٥٠١
الإمام رضي الدين أبو الخير أحمد بن إسماعيل الطالقاني القزويني رحمه الله تعالىٰ ٥٠٢
الإمام أبو القاسم قاسم بن فيره الرعيني الأندلسي الشاطبي المقرىء رحمه الله تعالىٰ ٥٠٤
الإمام أبو مدينٍ شعيب بن الحسين رحمه الله تعالىٰ ٥٠٥

الإمام أبو محمدٍ عبد الرحيم بن أحمد بن حجون القنائي الحسيني رحمه الله تعالىٰ ٥١٥
الإمام قاضي القضاة أبو العباس أحمد بن عبد الرحمٰن اللخمي رحمه الله تعالىٰ ٥١٨
الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن منصور المصري ، المعروف بـ(العراقي) رحمه الله تعالىٰ ٥١٩
الإمام شهاب الدين أبو الفتح محمد بن محمود الطوسي الشافعي رحمه الله تعالىٰ ٥٢١
الإمام أبو المنصور ظافر بن الحسين الأزدي والأسدي الإسكندراني رحمه الله تعالىٰ ٥٢٣
الإمام أبو الحسن علي بن خلف الكومي المحمودي اليشروسي التلمساني رحمه الله تعالىٰ ٥٢٤
الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشي رحمه الله تعالىٰ ٥٢٥
الإمام وحيد الدين محمد بن محمودٍ المرورروذي الشافعي رحمه الله تعالىٰ ٥٢٩
الإمام ركن الدين أبو الفضل بن محمد بن العراقي القزويني المعروف بـ (الطاوسي) رحمه الله تعالىٰ ٥٣٠
الفقيه أبو الحسن علي بن علي بن سعادة بن الجنيس الفارقي رحمه الله تعالىٰ ٥٣١
الإمام أبو القاسم بن منصورٍ الإسكندراني المعروف بـ (القباري) رحمه الله تعالىٰ ٥٣٢

الإمام أبو القاسم عبد الملك بن عيسى ابن عبدوسٍ الماراني الشافعي رحمه الله تعالىٰ ٥٣٣
الإمام أبو منصورٍ فتح بن محمد السعدي الدمياطي رحمه الله تعالىٰ ... ٥٣٥
الإمام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي البكري رحمه الله تعالىٰ ٥٣٧
الإمام مجد الدين أبو علي يحيى بن الربيع الواسطي الشافعي رحمه الله تعالىٰ ٥٤٤
الإمام عماد الدين أبو حامدٍ محمد بن يونس ابن منعة الشافعي رحمه الله تعالىٰ ٥٤٥
الإمام شرف الدين أبو الحسن علي بن المفضل المقدسي اللخمي رحمه الله تعالىٰ ٥٤٧
الإمام أبو القاسم عبد القاهر بن إبراهيم ابن مهران الجزري رحمه الله تعالىٰ ٥٤٩
الإمام أبو الحسن علي ابن إسماعيل المعروف بـ (ابن الصباغ) رحمه الله تعالىٰ ٥٥٠
الإمام تقي الدين أبو العز مظفر بن عبد الله ، المعروف بـ (المقترح) رحمه الله تعالىٰ ٥٥٤
الإمام جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر الأزدي العدل رحمه الله تعالىٰ ٥٥٦
الإمام معين الدين أبو حامدٍ محمد بن إبراهيم السهيلي الجاجرمي رحمه الله تعالىٰ ٥٥٨

الإمام ركن الدين أبو حامدٍ محمد بن محمد العميدي السمرقندي رحمه الله تعالىٰ ٥٥٩
الإمام أبو العباس أحمد بن أبي بكرٍ التجيبي الحرار ، المعروف بـ (ابن الفصاد) رحمه الله تعالىٰ ٥٦٠
الإمام ضياء الدين أبو القاسم عبد الرحمٰن بن محمد القرشي ، المعروف بـ (ابن الوراق) رحمه الله تعالىٰ ٥٦١
الإمام جلال الدين أبو محمدٍ عبد الله بن نجم بن شاس الجذامي السعدي رحمه الله تعالىٰ ٥٦٣
الإمام أبو علي الحسن بن عبد الله التونسي المعروف بـ (الطويل) رحمه الله تعالىٰ ٥٦٤
الإمام نظام الدين أحمد بن محمود البخاري التاجري الحصيري رحمه الله تعالىٰ ٥٦٥
الإمام أبو القاسم عبد الرحمٰن بن القاسم الجزولي العقيلي النويري ، المشهور بـ (الناطق) رحمه الله تعالىٰ ٥٦٦
الإمام صدر الدين أبو الحسن محمد بن عمر الحمويي الجويني رحمه الله تعالىٰ ٥٦٧
الإمام موفق الدين عقيل بن مهلب المهلبي البهنسي رحمه الله تعالىٰ ... ٥٦٩
الإمام سديد الدين أبو علي الحسين بن عبد الوهاب ابن مهلب بن أبي صفرة رحمه الله تعالىٰ ٥٧٠
الإمام أبو الفتوح برهان الدين ابن الحصري الحنبلي رحمه الله تعالىٰ .. ٥٧١
الإمام تاج الدين أبو محمدٍ عبد السلام بن علي الدمياطي المعروف بـ (ابن الخراط) رحمه الله تعالىٰ ٥٧٣

الإمام أمين الدين أبو الأسعد مظفر بن أبي الخير التبريزي الواراني رحمه الله تعالىٰ ٥٧٤
الإمام أبو محمدٍ عطاء الله بن منصور الإسكندراني المالكي رحمه الله تعالىٰ ٥٧٥
الإمام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الشيرازي الخبري رحمه الله تعالىٰ ٥٧٦
الإمام أبو المحاسن يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي رحمه الله تعالىٰ ٥٧٩
الإمام أبو أحمد وأبو جعفر بن عبد الله بن سيد بونه الخزاعي رحمه الله تعالىٰ ٥٨٠
الإمام أبو حفصٍ عمر بن أعز ابن عمويه ، التيمي البكري السهروردي البغدادي رحمه الله تعالىٰ ٥٨٢
الإمام قاضي القضاة عماد الدين أبو القاسم عبد الرحمٰن بن عبد العلي ، المعروف بـ (ابن السكري) رحمه الله تعالىٰ ٥٨٣
الإمام ثابت بن حسن اللخمي النحوي الإسكندري الكريوني رحمه الله تعالىٰ ٥٨٥
الإمام شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الأزدي الغساني ، المعروف بـ (ابن اللهيب) رحمه الله تعالىٰ ٥٨٦
الإمام سيف الدين أبو الحسين علي بن محمد الآمدي رحمه الله تعالىٰ ٥٨٧
الإمام شهاب الدين أبو حفصٍ عمر بن محمد ابن عمويه ، التيمي البكري المعروف بـ (السهروردي) رحمه الله تعالىٰ ٥٩٥
الإمام قاضي القضاة بهاء الدين أبو المحاسن يوسف الأسدي الموصلي ، المعروف بـ (ابن شدادٍ) رحمه الله تعالىٰ ٥٩٧

الإمام جمال الدين أبو علي الحسين بن عتيق ابن رشيقٍ ، الربعي الإسكندراني رحمه الله تعالىٰ ٥٩٨
الإمام جمال الدين أبو حفصٍ عمر بن عبد الخالق القرشي رحمه الله تعالىٰ ٥٩٩
الإمام العالم أبو الطاهر محمدٌ ابن الحسين الأنصاري الجابري ، المعروف بـ (المحلي) رحمه الله تعالىٰ ٦٠١
الإمام شرف الدين أبو محمدٍ عبد القادر بن محمد الشافعي ، المعروف بـ (ابن البغدادي) رحمه الله تعالىٰ ٦٠٦
الإمام أبو عبد الرحمـٰن مرهف بن صارم الجذامي الشافعي السفطي رحمه الله تعالىٰ ٦٠٧
الإمام أبو العباس أحمد بن سليمان القرشي البلبيسي ، المعروف بـ (ابن كسا) رحمه الله تعالىٰ ٦٠٨
الإمام أبو العباس أحمد بن علي القسطلاني المصري المالكي رحمه الله تعالىٰ ٦١٠
الإمام جمال الدين أبو المحامد محمود البخاري التاجري المعروف بـ (الحصيري) رحمه الله تعالىٰ ٦١٢
الإمام أبو علي حسان بن عبد الرحمـٰن الجهني المهدوي الإسكندراني رحمه الله تعالىٰ ٦١٣
الإمام سعيد الدولة أبو محمدٍ عبد المعطي بن منصور بن نجا ، المخيلي الإسكندراني رحمه الله تعالىٰ ٦١٤
الإمام أبو محمدٍ عبد الله بن إبراهيم العجيسي المتيجي رحمه الله تعالىٰ ٦١٥

الإمام أبو الحسن علي بن إبراهيم القرشي المخزومي البوشي رحمه الله تعالىٰ ٦١٦
الإمام شمس الدين أبو العباس أحمد بن الخليل بن سعادة الخويي رحمه الله تعالىٰ ٦١٧
الإمام شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمد اللخمي ، المعروف بـ(ابن المستوفي) الإربلي رحمه الله تعالىٰ ٦١٨
الإمام أبو محمدٍ عبد المعطي بن محمود اللخمي الإسكندراني رحمه الله تعالىٰ ٦٢٠
محتوى الجزء الأول ٦٢١

* * *



نجم المهتدي ورجم المعتدي

تأليف

الإمام الفقيه القاضي المتكلم المقرئ المحدث الأديب

فخر الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن عثمان بن عمر ابن المعلم

القرشي المصري الشافعي

(٦٦٠ - ٧٢٥ هـ)

يطبع أول مرة

وعلى نسختين خطيتين إحداهما فريدة بخط المؤلف

حققه وعلق عليه

بلال محمد حاتم السقا

الجزء الثاني

دار التقوى

دمشق الشام


نجم المهتدي
ورجم المعتدي


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب : نجم المهتدي ورجم المعتدي

المؤلف : محمد بن محمد بن عثمان بن عمر ابن المعلم

الطبعة الأولى : ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م

الرقم الدولي : 978-9933-610-24-1



لايسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه ، وبأي شكل من الأشكال ، أو نسخه ، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه ، وكذلك ترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبق من الناشر.

دار التقوى
للطباعة والنشر والتوزيع

سورية - دمشق - حلبوني
هاتف : ٢٢١٥٤٦٤ ١١ ٩٦٣+ / ص . ب : ٣٠٧٢١
جوال : ٩٣٣٢٠٦٠٠٧ ٩٦٣+ / ٩٤١٩٤٤٣٨٧ ٩٦٣+
daraltaqwa.pu@gmail.com

ومنهُمُ :

[الإمامُ قاضي القضاةِ شرفُ الدينِ أبو المكارمِ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ الصَّفْراويُّ الإِسْكَنْدرانيُّ المصريُّ الشافعيُّ]

قاضي القضاةِ شرفُ الدينِ أبو المكارمِ محمدُ بنُ الرشيدِ أبي الحسنِ عبدِ اللهِ بنِ أبي المجدِ الحسنِ بنِ الرشيدِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ القاضي عينِ الدولةِ أبي القاسمِ [عليِّ بنِ] صدقةَ بنِ حفصٍ ، الصَّفْراويُّ الأصلِ ، الإِسْكَنْدرانيُّ المولدِ ، المصريُّ الدارِ .

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ : على الخطيبِ أبي إسحاقَ العراقيِّ ، وكتبَ لقاضي القضاةِ صدرِ الدينِ المارانيِّ ، ونابَ عنهُ في الحكمِ ، وكانَ يقولُ : (حكمَ مِنْ أعمامي وخُؤولتي بالإسكندريَّةِ وغيرِها سبعةَ عشرَ نفساً) .

ونابَ أيضاً في الحكمِ : عن قاضي القضاةِ ابنِ أبي عصرونَ ، وعن قاضي القضاةِ زينِ الدينِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ يوسفَ الدمشقيِّ ، وعن قاضي القضاةِ عمادِ الدينِ أبي القاسمِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ السُّكَّريِّ ، ثمَّ استقلَّ بالحكمِ بالقاهرةِ المحروسةِ والوجهِ البحريِّ في سنةِ ثلاثَ عشرةَ وستِّ مئةٍ ، وفي سنةِ سبعَ عشرةَ وستِّ مئةٍ تولَّى قضاءَ القضاةِ بالديارِ المصريَّةِ .

وكانَ عارفاً بالأحكامِ ، درَّاكاً في النظرِ ، مُستظهِراً في الاستدلالِ ، إلى ما انضمَّ إلى ذلكَ مِنْ نظمٍ حسنٍ ونثرٍ ونوادرَ نُقِلَتْ عنهُ .

وكانَ حسنَ الاعتقادِ ، قويّاً في الدينِ ، رادّاً على أهلِ البدعِ ، مَقْليّاً على

ذلكَ[1] ، لا يهابُ أحداً ، ولا يخافُ في ذاتِ اللهِ لومةَ لائمٍ ، يرُدُّ على الملوكِ كلامَهُم إذا تكلَّمُوا بغيرِ الشرعِ ، ويُرشِدُهُم إلى الحقِّ .

وهوَ الذي قالَ للكاملِ حينَ قالَ لهُ : احكُمْ في القضيَّةِ الفلانيَّةِ ؛ فإنَّها ثبتَتْ عندي ، قالَ : حتىٰ تثبُتَ عندي ، فأجابَهُ الكاملُ : (كن فراح) لفظةٌ باللسانِ الكرديِّ[2] ، قالَ لهُ : ما في الشرعِ (كن فراح) ، واستقالَهُ الكاملُ منها ، ورجعَ إلىٰ موافقتِهِ[3] .

أقامَ قاضياً ما بينَ نائبٍ ومُستقِلٍّ خمساً وخمسينَ سنةً .

وُلِدَ يومَ السبتِ مُستهَلَّ جمادى الآخرةِ سنةَ إحدىٰ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ تاسعَ عشرَ ذي القَعْدةِ سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[4] .

* * *

(١) مقلياً : مبغضاً .

(٢) في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٦٥) : (يا كنواخ) بدل (كن فراح) ، وقال : (هي كلمة شتم بالفارسية) .

(٣) انظر تفصيل هٰذه الحكاية وما علَّقه في خاتمتها الإمام ابن السبكي في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٦٥ـ٦٦) .

(٤) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥٩٠ـ٥٩١) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٦٣ـ٦٦) .

ومنهُم :

أبو محمدٍ جعفرُ بنُ مكِّيِّ بنِ عليِّ بنِ سعيدِ بنِ هبةِ اللهِ البغداديُّ الحاجبُ

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وقرأَ الخلافَ والأصولَينِ ، وحصَّلَ مِنَ الأدبِ قطعةً صالحةً ، ولهُ شعرٌ معروفٌ[1] ، وُوليَ حِجْبةَ بابِ المراتبِ مِنَ الديوانِ العزيزِ ببغدادَ .

وُلِدَ يومَ عاشوراءَ سنةَ ثلاثٍ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الثاني مِنْ صفرٍ سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[2] .

* * *

(١) ومن شعره : (من الطويل)

إلـهيَ يا مولى الموالي وخيرَ مَنْ ... تُمَـدُّ إليـهِ الـراحُ عنـدَ سـؤالِ
قطعتُ رجائي عـن سواكَ لأنَّني ... رجـوتُكَ إذ كنتَ العليمَ بحـالي
ومَنْ يكُ في كلُّ الأمورِ مُفوِّضاً ... إليـكَ فقـد حـازَ المنـى بكمـالِ

انظر « الوافي بالوفيات » (١١/ ١١٩) .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٥٧٢ـ٥٧٣) ، و« الوافي بالوفيات » (١١/ ١١٩) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ تاجُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ القاضي أبي العباسِ أحمدَ ، البكريُّ الشَّرِيشيُّ الصوفيُّ

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، واشتغلَ بعلومِ النظرِ ، وجمعَ مجاميعَ في الأصولِ وغيرِها ، وكانَ رحلَ إلى بغدادَ ولقيَ بها الشيخَ شهابَ الدينِ السُّهْرَوَرْديَّ .

تُوفِّيَ بمدينةِ الفَيُّومِ بظاهرِها في عاشرِ شهرِ ربيعٍ الآخرِ سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٦٠٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٦/ ٤٢٧ـ٤٢٨) ، وفيهما وفاته سنة (٦٤٠هـ) .

ومنهُمُ :

الشيخُ كمالُ الدينِ أبو الفتحِ موسى بنُ أبي الفضلِ يونسَ بنِ محمدِ بنِ مَنَعَةَ بنِ مالكِ بنِ محمدٍ ، الفقيهُ الشافعيُّ[1]

تفقَّهَ بالموصلِ علىٰ والدِهِ ، ثمَّ توجَّهَ إلىٰ بغدادَ سنةَ إحدىٰ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ، وأقامَ بالمدرسةِ النِّظَاميَّةِ يشتغلُ بها على السَّديدِ السَّلَمَاسيِّ ، وكانَ المُدرِّسُ بها الشيخَ رضيَّ الدينِ القزوينيَّ ، فقرأَ الخلافَ والأصولَ ، [وبحثَ الأدبَ على الكمالِ أبي البركاتِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ محمدٍ الأنباريِّ ، فتميَّزَ ومهرَ][2] ، وكانَ قرأَ الأدبَ علىٰ أبي بكرٍ يحيى بنِ سعدونَ القرطبيِّ بالموصلِ .

ثمَّ أُصعِدَ إلى الموصلِ وعكفَ على الاشتغالِ ، ودرَّسَ بعدَ وفاةِ والدِهِ بالمسجدِ المعروفِ بـ (الأميرِ زينِ الدينِ) صاحبِ إربلَ .

وكانَ الفقهاءُ يقولُونَ : إنَّهُ يدري أربعةً وعشرينَ فنّاً درايةً مُتقَنةً ، وكانَ في المذهبِ أوحدَ أهلِ زمانِهِ ، وكانَ جماعةٌ مِنَ الحنفيَّةِ يشتغلُونَ عليهِ بمذهبِهِم ويَحُلُّ لهم فيهِ إشكالاتٍ[3] ، وكانَ أتقنَ فنَّيِ الخلافِ البخاريِّ

(١) وهو والد شارح « التنبيه » شرف الدين أحمد بن موسى ابن يونس .

(٢) ما بين معقوفين من « الوفيات » (٥/ ٣١١) ، وهو مناسب للسياق .

(٣) العبارة في « وفيات الأعيان » : (ويحل لهم مسائل « الجامع الكبير » أحسنَ حلٍّ مع ما هي عليه من الإشكال المشهور) ، و« الجامع الكبير » : من كتب ظاهر الرواية الستة المعتمدة في المذهب الحنفي المروية عن الإمام محمد بن الحسن الشيباني بروايات الثقات ؛ فهي ثابتة إما متواترة عنه أو مشهورة ، وهي عبارة عن مسائل مروية غالباً عن الإمام أبي حنيفة والإمام أبي يوسف والإمام محمد ، وباقي الكتب هي : « المبسوط » ، و« الزيادات » ، و« الجامع الصغير » ، و« السير الكبير » ، و« السير الصغير » ، ونظمها ابن عابدين فقال : (من الرجز)=

والعراقيِّ ، وأصولَ الفقهِ وأصولَ الدينِ .

ولمَّا وردَتْ كتبُ الإمامِ فخرِ الدينِ الرازيِّ إلى الموصلِ وكانَ بها إذْ ذاكَ جماعةٌ مِنَ الفضلاءِ . . لم يفهَمْها أحدٌ منهُم إلا هوَ .

وكانَ يُقرِئُ كلَّ علمٍ مِنْ علومِ الإسلامِ ، وكانَ لهُ في التفسيرِ والحديثِ اليدُ الطُّولىٰ ، وكذلكَ أسماءُ الرجالِ والتواريخُ والأشعارُ والمحاضراتُ .

ولمَّا تولَّىٰ تدريسَ المدرسةِ البدريَّةِ حضرَ جماعةٌ مِنَ المدرِّسينَ أصحابِ الطيالسِ ، وكانَ العمادُ المغربيُّ [الصِّنهاجيُّ النحويُّ] حاضراً ، فأنشدَ : [من الطويل]

كَمَالُ كَمَالِ ٱلدِّينِ لِلْعِلْمِ وَٱلْعُلاَ ... فَهَيْهَاتَ سَاعٍ فِي مَسَاعِيكَ يَطْمَعُ
إِذَا ٱجْتَمَعَ ٱلنُّظَّارُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ... فَغَايَةُ كُلٍّ أَنْ تَقُولَ وَيَسْمَعُوا
فَلاَ تَحْسَبُوهُمْ مِنْ عِنَادٍ تَطَيْلَسُوا ... وَلَٰكِنْ حَيَاءً وَٱعْتِرَافاً تَقَنَّعُوا[1]

وللعمادِ فيهِ أيضاً : [من الوافر]

يَجُرُّ ٱلْمَوْصِلُ ٱلأَذْيَالَ فَخْراً ... عَلَىٰ كُلِّ ٱلْمَنَازِلِ وَٱلرُّسُومِ
بِدِجْلَةَ وَٱلْكَمَالِ هُمَا شِفَاءٌ ... لِهِيمٍ أَوْ لِذِي فَهْمٍ سَقِيمِ[2]
فَذَا بَحْرٌ تَدَفَّقَ وَهْوَ عَذْبٌ ... وَذَا بَحْرٌ وَلَٰكِنْ مِنْ عُلُومِ

= وكُتُبُ ظاهرِ الروايةِ أتَتْ ... ستّاً وبالأصولِ أيضاً سُمِّيَتْ
صنَّفها محمَّدُ الشَّيبانِي ... حرَّرَ فيها المذهبَ النُّعمانِي
الجامعُ الصغيرُ والكبيرُ ... والسِّيَرُ الكبيرُ والصغيرُ
ثم الزياداتُ مع المبسوطِ ... تواترت بالسندِ المضبوطِ

انظر « شرح عقود رسم المفتي » لابن عابدين (١/١٦) ضمن « مجموعة رسائل ابن عابدين » .

(١) في « الوفيات » و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » : (من غناء) بدل (من عناد) .

(٢) الهِيم : الإبل العطاش ، وهي جمع أهيم ، والأنثىٰ هيماء .

وُلِدَ بالموصلِ يومَ الخميسِ خامسِ صفرٍ سنةَ إحدىٰ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بها رابعَ عشرَ شعبانَ سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وستٍّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) ترجمه ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٥/ ٣١١ـ٣١٧) ترجمة حافلة ، وفيه شعر العماد المغربي السابق ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٧٨ـ ٣٨٦) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٣/ ٨٥ ـ ٨٧) .

ومنهُمُ :

الفقيهُ الإمامُ العالمُ محيي الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ أبي الفرجِ[1] مهرانَ بنِ عليِّ بنِ مهرانَ ، القَرْمِيسينيُّ الأصلِ

تفقَّهَ بالإسكندريَّةِ على مذهبِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وسمعَ مِنْ أبي الطاهرِ ابنِ عوفٍ ، ودرَّسَ .

وُلِدَ في رمضانَ سنةَ سبعٍ وستينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الحادي والعشرينَ مِنْ جمادى الأولى سنةَ إحدى وأربعينَ وستِّ مئةٍ[2] .

* * *

(١) زاد في (أ ، ب) : (بن) ، وأبو الفرج هـٰذا كان من رؤساء التجار ، وقد علَّق عنه الحافظ السِّلَفي بعض الفوائد ، وقال : (كان لي به أنس كثير) انظر « معجم السفر » (ص٣٨٤) .

(٢) انظر « التكملة لوفيات النقلة » (٣/ ٦٢١) وفيها ولادته سنة (٥٧٧هـ) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٧/ ٨٧) .

ومنهُم :

أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ الأنصاريُّ الأندلسيُّ الإِسْتِجيُّ

أخذَ بالأندلسِ : عن أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ يحيىٰ خطيبِ قرطبةَ ، ورحلَ إلى الحجازِ ، وتفقَّهَ بمصرَ : علىٰ أبي الحسنِ الأبياريِّ ، وأخذَ : عنِ الحافظَينِ عليِّ بنِ المُفضَّلِ ونصرِ بنِ أبي الفرجِ الحُصْريِّ ، وكانَ ثقةً فاضلاً ، علىٰ هديٍ واستقامةٍ واتِّباعٍ للسنَّةِ .

تُوفِّيَ في جمادى الأولىٰ سنةَ إحدىٰ وأربعينَ وستِّ مئةٍ بحصنِ المَرِيَّةِ مُتوجِّهاً إلىٰ تِلِمْسانَ[1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (١/ ٦٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٧/ ٧٨) .

ومنهُم :

أبو الوليدِ محمدُ بنُ أحمدَ[1] ابنِ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ التُّجِيبيُّ الأندلسيُّ القرطبيُّ المعروفُ بـ (ابنِ الحاجِّ)

وَلِيَ قضاءَ إشبيليةَ وغيرِها ، وروىٰ : عنِ ابنِ حُبيشٍ ، والـمَجْريطيِّ ، وأبي القاسمِ بنِ غالبٍ الشَّرَّاطِ ، ولهُ مشاركةٌ في فنونٍ مِنَ العلمِ ، واعتقادٌ صحيحٌ .

تُوفِّيَ سنةَ إحدىٰ وأربعينَ وستِّ مئةٍ[2] .

* * *

(١) كذا في « صلة التكملة » ، وفي « تاريخ الإسلام » زيادة : (بن محمد) .

(٢) انظر « صلة التكملة » (١/ ٨٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٧/ ٩٤ـ٩٥) .

ومنهُمُ :

الشيخُ أبو الحجَّاجِ يوسفُ بنُ عبدِ الرحيمِ الأَقْصَريُّ

صحبَ : الشيخَ عبدَ الرزَّاقِ ، والشيخَ عبدَ الرحيمِ ، وحبيباً العجميَّ ، وانتفعَ بهِم ، وكانَتْ لهُ كراماتٌ وخوارقُ ، وانتفعَ بهِ جماعةٌ ، ويكفيهِ أنَّ مِنْ أصحابِهِ الشيخَ مُفرِّجَ الدَّماميْنيَّ .

وحكىٰ : أنَّهُ لمَّا قصدَ الشيخَ عبدَ الرحيمِ قالَ : وجدتُ عندَ بابِهِ رجلينِ أحدُهُما مغربيٌّ ، فقالَ أحدُهُما لي : أتيتَ راكبَ حمارٍ ؟! فانتهرَهُ الآخرُ وهوَ المغربيُّ وكانَ مِنْ أربابِ الأحوالِ ، وقالَ : لم يأتِ إلا راكبَ أجنحةِ الملائكةِ ؛ ألا ترىٰ أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « إِنَّ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ ٱلْعِلْمِ » ؟![1]، وكأنَّ ذلكَ الشيخَ أُخبِرَ عن حالي ، ولقد رأيتُ في تلكَ الطريقِ أجنحةَ الملائكةِ مفروشةً لي أطأُ عليها ، ورأيتُ مِنَ العوالمِ تتلقَّاني ما لا يعلمُهُ إلا اللهُ عزَّ وجلَّ .

وقالَ : أُعطِيتُ في بدايتي التصريفَ بـ (كنْ) ، حتىٰ كنتُ أقولُ للحائطِ : (كوني ذهباً) فتكونُ[2] .

قالَ : وربَّما كنتُ أتوضَّأُ ، فيسيلُ بينَ يدَيَّ قُضبانُ الذهبِ والفضَّةِ ، فسكنَتْ نفسي إليهِ ، فحُجِبتُ عن مقامي ، فسألتُ اللهَ أنْ يصرفَ ذلكَ عنِّي ، فانصرفَ ، فلمَّا صرتُ إلىٰ ما أنا فيهِ أُمِرْتُ أنْ أدعوَ الناسَ إلى اللهِ تعالىٰ ، فصارَ الواردُ يَرِدُ عليَّ ، فقلتُ : يا ربِّ ؛ لو رددتَ عليَّ تلكَ الخِشْخاشةَ التي

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٤١) ، والترمذي (٢٦٨٢) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٢) كذا في الأصل بتأنيث الحائط ، والقياس التذكير .

أعطيتَنيها . . كنتُ أجودُ على الفقراءِ ، فسمعتُ هاتفاً يهتِفُ بي : تريدُ أنْ تكونَ ربّاً ، فقلتُ : كيفَ أكونُ ربّاً ؟! فقالَ : تكونُ درّاكاً ، فقلتُ : التوبةَ ، لا أعودُ إلىٰ مثلِها .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ بالأقصُرِ ، ودُفِنَ بها سنةَ اثنتينِ وأربعينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « الطالع السعيد » (ص٤١٦ـ٤١٨) ، و« الوافي بالوفيات » (٢٩/١٠٩ـ١١٠) .

ومنهُمُ :

الشيخُ بهاءُ الدينِ عبدُ العزيزِ بنُ الشيخِ جمالِ الدينِ أبي عليٍّ الحسينِ المالكيُّ

اشتغلَ : علىٰ أبيهِ ، وعلىٰ أكثرِ مشايخِ أبيهِ ؛ كأبي الطاهرِ ابنِ عوفٍ وغيرِهِ مِنَ العلماءِ ، كانَ الشيخُ علمُ الدينِ أخوهُ يحكي عنِ الشيخِ أبي عبدِ اللهِ القرطبيِّ ، قالَ : بلغَ الفقيهُ بهاءُ الدينِ درجةَ الاجتهادِ وهوَ ابنُ أربعٍ وعشرينَ سنةً .

وصنَّفَ كتباً جليلةً ؛ منها : « هدايةُ الـمُقتبِسِ لمسندِ مالكِ بنِ أنسٍ »[1] ، وتكملةً لهُ على « الموطأِ » ، ومُصنَّفاً على « التقصِّي » لابنِ عبدِ البرِّ ، وكتابَ « مسألةِ أيمانِ المسلمينَ » ، وكتاباً سمَّاهُ « رسالةَ الغفرانِ مِنَ المكثِ بحرَّانَ » ، ردَّ فيهِ على الخطيبِ الفخرِ ابنِ التيميةِ[2] ، وذكرَ قصَّتَهُ معَهُ ، وهيَ حسنةٌ ممتعةٌ ، رويتُها عنِ ابنِهِ قطبِ الدينِ عنهُ ، ولهُ تعاليقُ في أصولِ الدينِ وأصولِ الفقهِ .

وكانَ الشيخُ جمالُ الدينِ والدُهُ يقولُ : (عبدُ العزيزِ ولدي ، وأخي مِنَ الرَّضاعةِ ، ورفيقي علىٰ مشايخي) ، وكانَ الشيخُ جمالٌ رُزِقَهُ وهوَ صغيرُ السنِّ ؛ فلذلكَ أدركَ مشايخَ كثيرةً .

تُوفِّيَ في العشرِ الأخيرِ مِنْ شوالٍ سنةَ ثلاثٍ وأربعينَ وستِّ مئةٍ بإخبارِ ولدِهِ قطبِ الدينِ .

(١) وتحتمل في (أ) : (المغتلس) و(المقتنس) بدل (المقتبس) .

(٢) ذكر هٰذا الكتاب حاجي خليفة في « كشف الظنون » (١/ ٨٧٩) ، ولم ينص على اسم المؤلف والمردودِ عليه ، وعبارته : (مختصر لبعض العلماء ، ألفها ـ أي : « رسالة الغفران » ـ سنة « ٦٢٧ » ، ردَّ فيها علىٰ حنبلي مجسم منكر علىٰ قواعد علم الكلام) ، ولا تخفىٰ على القارئ الفائدة التي قدمها لنا ابن المعلم في كتابه هٰذا .

ومنهُم :

أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ يوسفَ بنِ زَيدانَ الفاسيُّ الأصوليُّ النحويُّ المُعدَّلُ المعروفُ[1]

كانَ مُتصدِّراً بالجامعِ العتيقِ بمصرَ لإقراءِ النحوِ وأصولِ الدينِ على طريقِ الإمامِ أبي الحسنِ الأشعريِّ ، وليَ الحسبةَ بمصرَ[2] ، وكانَ حسنَ الأخلاقِ ، جميلَ المعاشرةِ ، شديداً في إنكارِ المنكرِ ، صحيحَ الاعتقادِ .

وُلِدَ في العشرِ الأولِ مِنْ ذي القَعْدةِ سنةَ اثنتينِ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في السادسِ مِنْ جمادى الأولى سنةَ أربعٍ وأربعينَ وستِّ مئةٍ بمصرَ[3] .

* * *

(١) في « صلة التكملة » : (المعدل بمصر) .

(٢) في (ب) : (القضاء) بدل (الحسبة) .

(٣) انظر « صلة التكملة » (١/ ١٦٤) .

ومنهُم :

قاضي القضاةِ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ إبراهيمَ بنِ سعيدِ بنِ القائدِ الهلاليُّ الرِّيغيُّ المالكيُّ الخطيبُ الحاكمُ بثغرِ الإسكندريَّةِ

تفقَّهَ بالإسكندريَّةِ على مذهبِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، **وسمعَ** : مِنْ أبي الطاهرِ ابنِ عوفٍ ، ومخلوفِ ابنِ جارةَ ، وقدمَ مصرَ واشتغلَ بها مدَّةً ، ثمَّ أعادَ بمدرسةِ الناصرِ المالكيَّةِ المجاورةِ لجامعِ مصرَ[1] ، وتوجَّهَ إلى الإسكندريَّةِ ، ووليَ القضاءَ بها بعدَ موتِ القاضي عبدِ الرحمٰنِ بنِ سلامةَ .

واشتَهَرَتْ ديانتُهُ ، وثبوتُهُ في الأحكامِ وصلابتُهُ ، وهوَ أحدُ العلماءِ العاملينَ ، والفقهاءِ المُتورِّعينَ .

والرِّيغيُّ : بكسرِ الراءِ المهملةِ ، وسكونِ الياءِ آخرِ الحروفِ ، وغينٍ مُعجمةٍ .

وُلِدَ سنةَ تسعٍ وأربعينَ ، كذا ذكرَهُ الزينُ ، أو في سنةِ إحدىٰ وخمسينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الثامنِ والعشرينَ مِنْ شهرِ ربيعٍ الآخرِ سنةَ خمسٍ وأربعينَ وستِّ مئةٍ[2] .

* * *

(١) وسمع بها من الإمام أبي القاسم الشاطبي المقرئ جميعَ « الموطأ » .

(٢) انظر « صلة التكملة » (١/ ١٧٦ـ١٧٧) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٧/ ٢٧٢) .

ومنهُم :

قاضي القضاةِ أفضلُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ نامَاوَرَ بنِ عبدِ الملكِ الخُونَجيُّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ

كانَ عارفاً بالأصولَينِ والمنطقِ المعرفةَ التامَّةَ ، درَّسَ بالمدرسةِ الصالحيَّةِ ، وصنَّفَ ، ووليَ القضاءَ بمصرَ[1] .

تُوفِّيَ خامسَ شهرِ رمضانَ المُعظَّمِ سنةَ ستٍّ وأربعينَ وستِّ مئةٍ[2] .

* * *

(١) وكان شافعي المذهب .

(٢) انظر « صلة التكملة » (١/ ٢٠٠ـ٢٠١) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٣/ ٢٢٨) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٠٥ـ١٠٦) .

ومنهُمُ :

الشيخُ العارفُ قطبُ الوقتِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي القاسمِ بنِ غُزِّيٍّ الدِّمْياطيُّ المعروفُ بـ (ابنِ قُفْلٍ)

كانَ أحدَ المشايخِ المشهورينَ ، والصُّلَحاءِ المذكورينَ ، صحيحَ الاعتقادِ ، مُشفِقاً علىٰ أصحابِهِ ، ويكفيهِ فضلاً أنَّ الشيخَ شمسَ الدينِ أبا عبدِ اللهِ ابنَ النعمانِ مِنْ أصحابِهِ .

سمعتُهُ يقولُ : قالَ ليَ الشيخُ أبو الحسنِ : رأيتُكَ تُكثِرُ مِنْ فلانٍ ـ وأشارَ إلىٰ بعضِ المُحدِّثينَ ـ وإنِّي أخشىٰ أنْ يكونَ على اعتقادِ أهلِ كومِ الجارحِ[1] ، فقلتُ لهُ : ليسَ فيهِ شيءٌ ممَّا تظنُّ ، فقالَ لي ـ في قصَّةٍ طويلةٍ ـ : اطمأنَّ خاطري عليكَ وعليهِ ، لا يَحِلُّ لمسلمٍ يُؤمِنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أنْ يُسلِّمَ علىٰ أحدٍ ممَّنْ يعتقدُ اعتقادَهُم .

ومِنْ كراماتِهِ : أنَّهُ أسرَهُ الفرنجُ في نوبةِ المنصورةِ ، فكانُوا يُعظِّمونَهُ ولا يمتهنونَهُ ؛ لشهرتِهِ عندَهُم وصلاحِهِ[2] .

وكانَ مِنَ الرياضةِ علىٰ أمرٍ عظيمٍ ؛ مرَّ في الطريقِ وحولَهُ أصحابُهُ والفقراءُ الذينَ هم مِنْ أكابرِ المصريينَ وأولادِ أعيانِهِم ، فقالَ شخصٌ : هـؤلاءِ الذينَ

(١) انظر التعريف عن هـٰذه القرية تعليقاً أثناء ترجمة الحافظ المنذري في (٢/ ٥٧) .

(٢) انظر « النجوم الزاهرة » (٦/ ٢٣٨) ، وقد جمع كراماته تلميذه ابن النعمان في كتاب سماه « الدر المكنون في كرامات الشيخ أبي الحسن المدفون بجهة مكنون » ، وانظر « الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » (٣/ ١٢٧١) .

ومنهُمُ :

الشيخُ أبو عمرِو بنُ الحاجبِ عثمانُ بنُ أبي بكرِ ابنِ يونسَ الدُّوينيُّ الأصلِ الإسنائيُّ المولدِ الإسْكندرانيُّ الوفاةِ الفقيهُ المالكيُّ الأصوليُّ النَّحْويُّ

درَّسَ بمصرَ بجامعِها ، وتصدَّرَ بالفاضليَّةِ بالقاهرةِ في فتوَّتِهِ ، ثمَّ توجَّهَ إلى الشامِ وأقامَ بدمشقَ مُنتصِباً للتدريسِ ، وصنَّفَ تصانيفَهُ المشهورةَ نثراً ونظماً[1] .

قالَ الشريفُ عزُّ الدينِ : (وكانَ أحدَ الأئمَّةِ الأعلامِ وعلماءِ الإسلامِ)[2] .

وُلِدَ بإسْنا مِنْ صعيدِ مصرَ الأعلىٰ في أواخرِ سنةِ سبعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في السادسِ والعشرينَ مِنْ شوَّالٍ سنةَ ستٍّ وأربعينَ وستِّ مئةٍ[3] .

* * *

(١) **ومن أجلِّ تصانيفه وأهمها** : متن « الكافية » في علم النحو ، ومتن « الشافية » في الصرف والخط ، وقد نالا خدمة كبيرة لدى العلماء وطلاب العلم في حياته وبعد وفاته إلى يومنا هٰذا .

(٢) صلة التكملة (١/ ٢٠٤) ، والإمام ابن الحاجب كان له وقفة شهيرة في نصرة مذهب أهل السنة ، والدفاع عن إمامهم في ذلك الوقت سلطانِ العلماء العزِّ بن عبد السلام رحمه الله تعالى . انظر (٢/ ٤٧٢، ٥٠٦ـ٥٠٧) .

(٣) انظر « وفيات الأعيان » (٣/ ٢٤٨ـ٢٥٠) ، و« سير أعلام النبلاء » (٢٣/ ٢٦٤ـ٢٦٨) ، و« صلة التكملة » (١/ ٢٠٣ـ٢٠٤) .

يأكلُونَ الدنيا بالدينِ ، فأقبلَ عليهِ وقالَ : يا ولدي ؛ والآخرةَ أيضاً ، ومشى ولم يُمكِّنْ أحداً منهُ .

وقالَ بعضُ أصحابِهِ : كانَ سببُ رجوعي عن تناولِ ما يتناولُهُ المُسرِفُونَ على أنفسِهِم مِنَ التنبيهِ[1] : أنِّي تناولتُ شيئاً منها ليلةً ، ثمَّ حضرتُ الزاويةَ عندَهُ ، وكانَ لهُ قنديلٌ قد أُهدِيَ إليهِ مِنَ الزجاجِ الحلبيِّ الصافي ، وكانَ الشيخُ يُعجِبُهُ ذلكَ القنديلُ ، فأخذتُ أنحطُّ ، وخطرَ لي أنَّني قد أوثقتُ القنديلَ ، فرفعتُهُ فسقطَ ، فتكسَّرَ القنديلُ ، فقالَ لي : ما بالُكَ يا محمدُ ؟ فقلتُ : يا سيِّدي ؛ أنا محمومٌ ، فقالَ : يا ولدي ؛ لا ترجعْ تُحَمَّ .

صحبَ : الشيخَ أبا مروانَ عبدَ الملكِ بنَ قُفْلٍ ، وبهِ عُرِفَ .

وُلِدَ سنةَ ستٍّ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الرابعِ والعشرينَ مِنْ ذي الحجَّةِ سنةَ سبعٍ وأربعينَ وستِّ مئةٍ[2] .

* * *

(١) لعله نوع من المخدرات ، والمثبت موافق لرسم المخطوط وضبطه .

(٢) انظر « صلة التكملة » (١/ ٢١٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٧/ ٣٦٥ـ٣٦٦) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ العاملُ رشيدُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ الوهابِ المالكيُّ]

الشيخُ الإمامُ العالمُ العاملُ رشيدُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ [بنُ الشيخ أبي محمدٍ عبدِ الوهابِ] بنِ الفقيهِ الإمامِ أبي الطاهرِ ابنِ عوفٍ المُقدَّمِ ذكرُهُ[1] .

مِنْ مشاهيرِ فقهاءِ المالكيَّةِ ورُواةِ الحديثِ وعلماءِ الأصولِ ، كانَ زاهداً مُتورِّعاً ، خَشِناً في دينِهِ ، وعليهِ مدارُ الفُتيا بثغرِ الإسكندريَّةِ .

وُلِدَ سنةَ سبعٍ وستينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في عاشرِ صفرٍ سنةَ سبعٍ وأربعينَ وستِّ مئةٍ بثغرِ الإسكندريَّةِ[2] .

* * *

(١) انظر (١/ ٤٨٨) .

(٢) انظر « صلة التكملة » (١/ ٢٠٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٧/ ٣٦٢ـ٣٦٣) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ العاملُ بهاءُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ هبةِ اللهِ ابنُ الجُمَّيْزيِّ اللَّخْميُّ المصريُّ الشافعيُّ]

الشيخُ الإمامُ العالمُ بهاءُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ الشيخِ أبي الفضائلِ هبةِ اللهِ بنِ سلامةَ بنِ المُسلَّمِ بنِ أحمدَ بنِ عليٍّ ، اللَّخْميُّ المصريُّ الشافعيُّ الخطيبُ المعروفُ بـ(ابنِ الجُمَّيْزيِّ) رحمَهُ اللهُ .

قرأَ القرآنَ الكريمَ بالقراءاتِ العشرِ ببغدادَ : على الشيخِ أبي الحسنِ عليِّ ابنِ عساكرَ البطائحيِّ ، وبدمشقَ : على القاضي أبي سعدِ ابنِ أبي عصرونَ ، وتفقَّهَ عليهِ بدمشقَ ، وبمصرَ : على الشيخِ أبي إسحاقَ إبراهيمَ بنِ منصورٍ العراقيِّ ، والإمامِ شهابِ الدينِ أبي الفتحِ الطوسيِّ .

وسمعَ بمصرَ : مِنِ ابنِ بَرِّيٍّ ، ومِنَ الشريفِ أبي عليٍّ محمدِ بنِ أسعدَ الجَوَّانيِّ ، والشاطبيِّ .

وسمعَ بالإسكندريَّةِ : مِنَ الحافظِ أبي طاهرٍ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ سِلَفَةَ الأصفهانيِّ ، وأبي الطاهرِ ابنِ عوفٍ .

وسمعَ بدمشقَ : مِنَ الحافظِ أبي القاسمِ عليِّ بنِ الحسنِ[1] ، وابنِ أبي عصرونَ المذكورِ ، والخطيبِ أبي القاسمِ عبدِ الملكِ الدَّوْلَعيِّ .

وسمعَ ببغدادَ : مِنْ أبي الحسنِ ابنِ عساكرَ البطائحيِّ ، وأبي شاكرٍ صاحبِ

(١) هو حافظ الدنيا : الإمام ابن عساكر الشافعي الأشعري رحمه الله تعالى .

ابنِ بالانَ، وأبي عبدِ اللهِ العَيْشُونيِّ، وفخرِ النساءِ شُهْدةَ الإبْرِيَّةِ[1]، وأضرابِهم.

وكانَ رئيسَ العلماءِ في وقتِهِ، ودرَّسَ بزاويةِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ بتاجِ الجوامعِ بمصرَ، وخطبَ بالقاهرةِ بالجامعِ الأنورِ الحاكميِّ، وكانَ مُتقناً للأصولِ وعلمِ الكلامِ والخلافِ والجدلِ.

وذهبَ رسولاً إلى الديوانِ العزيزِ ببغدادَ، وخُلِعَ عليهِ وعلى رفقتِهِ مِنَ الطلبةِ هناكَ الخِلَعُ السَّنِيَّةُ، وأُذِنَ لهُ فانتصبَ للاستدلالِ بإحدى المدرستَينِ؛ إمَّا النِّظَاميَّةِ أوِ المستنصريَّةِ، وظهرَ على مَنْ حضرَهُ مِنْ علماءِ بغدادَ، وأنعمَ عليهِ الديوانُ العزيزُ، وضُوعِفَتْ صِلاتُهُ، ورجعَ مُكرَماً.

وكانَ قد رزقَهُ اللهُ معَ تمكُّنِهِ في العلمِ الوَجاهةَ في الدنيا؛ خصوصاً عندَ الكاملِ والصالحِ، وكانَ يأمرُ على القضاةِ، ويُفتي عليهِم ولا يعدلُونَ عن فُتياهُ.

سمعتُ الشيخَ الإمامَ وجيهَ الدينِ عبدَ الوهابِ بنَ الحسينِ البَهْنَسيَّ رحمَهُ اللهُ يقولُ غيرَ مرَّةٍ: (حضرتُ عندَ الشيخِ بهاءِ الدينِ ابنِ الجُمَّيزيِّ، وكانَ قد مرضَ وأَبَلَّ مِنْ مرضِهِ[2]، فعادَهُ شيخُنا الشيخُ عزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ، فقالَ لهُ الشيخُ الإمامُ بهاءُ الدينِ: يا سيِّدي؛ أشتهي أنْ تُكمِّلَ إحسانَكَ بالإقامةِ عندي في هٰذا اليومِ أتأنَّسُ بكَ.

وكانَتِ الفتاوى بمصرَ قد تعطَّلَتْ لأجلِ مرضِ الشيخِ بهاءِ الدينِ أياماً، فلمَّا سمعَ الناسُ أنَّ الشيخَ بهاءَ الدينِ قَدَرَ على الفُتيا لإبلالِهِ مِنْ مرضِهِ..

(١) قال السبكي في «الطبقات» (٨/ ٣٠٢) نقلاً عن شيخه الذهبي: (ولا نعلم أحداً سمع من السلفي وابن عساكر وشهدة سواه، إلا الحافظ عبد القادر بن عبد الله.

قلت: وفي سماع عبد القادر من الحافظ ابن عساكر ما لا يخفى)، وقد مرَّ في (١/ ٤٣٥-٤٣٦) أنه حدَّث عن ابن عساكر بالإجازة.

(٢) يقال: أَبَلَّ المريض: إذا برئ من مرضه.

أحضرُوا فتاويَهُم في ذلكَ اليوم ، فكانَتْ قريباً مِنَ المئةِ ورقةِ استفتاءٍ ، فقالَ الشيخُ بهاءُ الدينِ : عرِّفُوهُم أنْ نحنُ مشغولُونَ بخدمةِ الشيخِ .

فقالَ الشيخُ عزُّ الدينِ : لا أكونُ سبباً لحرمانِ هـٰؤلاءِ مقصودَهُم ، ولا لحرمانِ سيِّدي أجراً بسببِهِم ، فقالَ الشيخُ بهاءُ الدينِ : لا يُفتىٰ ومالكٌ بالمدينةِ ، وأشارَ إلى الشيخِ عزِّ الدينِ أنْ يكتبَ على الفتاوىٰ ؛ تأدُّباً معَهُ ، فقالَ الشيخُ عزُّ الدينِ : هـٰؤلاءِ لم يُحضِرُوا فتاويَهُم إلا إلىٰ سيِّدِنا ، فأنا إنْ كتبتُ كتبتُ في ورقةٍ بغيرِ إذنِ صاحبِها ، فسيِّدُنا يكتبُ ، وببركةِ ذلكَ تصحُّ وتكمُلُ لكَ العافيةُ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

فابتدأَ الشيخُ عزُّ الدينِ يفتحُ الفتاوىٰ ، ويُناوِلُ الشيخَ بهاءَ الدينِ وهوَ يكتبُ ـ لا يتوقَّفُ ولا يتروَّىٰ ـ أجوبةً سديدةً يُجيبُ عنِ المقصدِ ويُحصِّلُ المطلوبَ ، ويضعُ الهِناءَ مواضعَ النُّقْبِ[1] ، والشيخُ عزُّ الدينِ يتناولُها منهُ بعدَ الكتابةِ ويتأمَّلُها ، ويدعو لهُ بالبقاءِ وطولِ العُمُرِ ، ويُقرِّرُ جميعَ ذلكَ ويُوافِقُ عليهِ ، إلا مسألتَينِ أو ثلاثاً ـ شكَّ الشيخُ وجيهُ الدينِ ـ فقالَ الشيخُ بهاءُ الدينِ : أظنُّ سيِّدَنا انتقدَ الجوابَ في هـٰذهِ ، فقالَ الشيخُ عزُّ الدينِ : لم يظهرْ ليَ الجوابُ فيها[2] ، فقالَ : يا فلانُ ـ لبعضِ مَنْ كانَ مِنْ أولادِهِ حاضراً ـ هاتِ

(١) الهِناء : القَطِران الذي يُطلىٰ به ، والنُّقْب : جمع نُقْبة ؛ وهو الجرب أو أول ما يبدو منه ، قال في « أساس البلاغة » (٢/ ٢٩٧) : (ومن المجاز : فلان يضع الهِناء مواضع النُّقْب : إذا كان ماهراً مصيباً) .

(٢) مع أنه كان إمام الأئمة في زمانه ، وخصوصاً علم الفقه ، وكتابه « الغاية في اختصار النهاية » أبرز دليل علىٰ تمكنه ودقته في علم الفقه ، وكان الإمام الحافظ عبد العظيم المنذري امتنع من الفتيا عندما دخل العز بن عبد السلام مصر ، وقال : (كنا نفتي قبل حضور الشيخ عز الدين ، وأما بعد حضوره فمنصب الفتيا متعين فيه) ، بل نُقل عن الجمال ابن الحاجب أنه قال : عبد السلام أفقه من الغزالي ، ومع هـٰذا : فإنه توقف في هاتين المسألتين أو الثلاث ، وأفتىٰ بهما بهاء الدين دون تردد ، مما يدل علىٰ سعة علم بهاء الدين واستحضاره ، وبراعته=

ذاكَ الجزءَ الفلانيَّ مِنَ الكتابِ الفلانيِّ ، والجزءَ الفلانيَّ مِنْ كتابٍ آخرَ ، والجزءَ الفلانيَّ مِنْ كتابٍ آخرَ ، فحضرَتِ الأجزاءُ[1] ، فقالَ : يا سيِّدي ؛ هٰذهِ المسألةُ مسطورةٌ في هٰذا الجزءِ هنا في الصفحةِ اليمنىٰ ، وفتحَ المكانَ بعينِهِ ، فرأى الشيخُ النقلَ كما ذكرَهُ في كلِّ مسألةٍ ، يفعلُ ذلكَ في الأجزاءِ كلِّها ، فتظهرُ كما نقلَ الشيخُ بهاءُ الدينِ ، فدعا الشيخُ عزُّ الدينِ لهُ بامتدادِ العُمُرِ وفُسحةِ الأجلِ .

وأقاما ذلكَ النهارَ في مُباحثةٍ ، وتأدُّبٍ وحُسنِ مُنافثةٍ ، إلىٰ أنْ حضرَ ما كانَ الشيخُ بهاءُ الدينِ هيَّأَهُ للشيخِ عزِّ الدينِ ، فتناولَ منهُ ما قُدِّرَ لهُ هوَ ومَنْ كانَ معَهُ ، ودعا للشيخِ بهاءِ الدينِ وانصرفَ ، فلمَّا خرجَ قطعَ طريقَهُ بالثناءِ عليهِ والدعاءِ لهُ ، إلىٰ أنْ وصلَ إلىٰ منزلِهِ بالقاهرةِ ، رضيَ اللهُ عنهُما) .

ويكفي الشيخَ بهاءَ الدينِ فخراً أنَّ مِنْ طلبتِهِ الضياءَ عبدَ الحكمِ بنَ المقسطيِّ ، وغيرَهُ مِنَ الأكابرِ .

وُلِدَ الشيخُ بهاءُ الدينِ يومَ عيدِ الأضحىٰ سنةَ تسعٍ [وخمسينَ] وخمسِ مئةٍ[2] ، وتُوفِّيَ في الرابعِ والعشرينَ مِنْ ذي الحجةِ سنةَ تسعٍ وأربعينَ وستِّ مئةٍ[3] .

* * *

= في علم الفقه والفتوىٰ ، وورع واحتياط العز بن عبد السلام ، رحمهما الله تعالىٰ ورضي عنهما .

(١) ويحتمل : (فحُصِرت) بدل (فحضرت) .

(٢) في (أ، ب): (وتسعين) بدل (وخمسين)، وهو سهو من المؤلف، وكثيراً ما أصحح ضمن معقوفين اعتماداً على المصادر والمراجع دون الإشارة في الهامش، وقد أشرت إلى ذلك في منهج العمل.

(٣) انظر « صلة التكملة » (١/ ٢٥٥ـ ٢٥٦)، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٠١ـ ٣٠٤)، وله « مشيخة » بتخريج رشيد الدين العطار ، ذكر فيها شيوخه الذين أخذ عنهم ، وفي ترجمة المؤلف زيادات نفيسة ليست في « الصلة » و« الطبقات » وخصوصاً زيارة ابن عبد السلام لابن الجميزي ، وهٰكذا ديدنه في كثير من التراجم ، وكنت قد نبَّهت علىٰ ذلك مراراً .

ومنهُمُ :

السيدُ الشريفُ العالمُ القاضي شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ أبي عبدِ اللهِ الحسينِ بنِ محمدِ بنِ الحسينِ بنِ زيدِ بنِ الحسنِ بنِ ظَفَرٍ الحسينيُّ الأُرْمَويُّ الأصلِ المصريُّ الدارِ ، المعروفُ بـ (قاضي العسكرِ)

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ : على شيخِ الشيوخِ أبي الحسنِ بنِ حَمُّويه ، وعلى أضرابِهِ ، وحدَّثَ : عن فاطمةَ بنتِ سعدِ الخيرِ وأقرانِها ، ودرَّسَ بمدرسةِ ابنِ زينِ التُّجَّارِ ، وتولَّى نقابةَ الأشرافِ وقضاءَ العسكرِ ، وترسَّلَ إلى بغدادَ ، وكانَ أحدَ الرؤساءِ المشهورينَ ، والفقهاءِ المذكورينَ[1] .

وُلِدَ سنةَ ثمانٍ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الثالثَ عشرَ مِنْ شوالٍ سنةَ خمسينَ وستِّ مئةٍ[2] .

* * *

(١) في « صلة التكملة » : (الرؤساء المذكورين ، والفقهاء المشهورين) .

(٢) انظر « صلة التكملة » (١/ ٢٧٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٧/ ٤٤٩ـ٤٥٠) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العلامةُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ هابيلَ العَبْدَريُّ القَصْريُّ المعروفُ بـ (الأشقرِ)[1]

كانَ عالماً بالأصولِ والفروعِ على مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وكانَ زاهداً مُتقلِّلاً مِنَ الدنيا ، كانَ يُقرِئُ كتبَ الأصولِ ، قرأَ عليهِ عبدُ الوهابِ بنُ رُشَيِّقٍ كتابَ « الاصطلامِ » بحثاً[2] .

* * *

(١) في هامش (أ ، ب) : (لم يعرف لهذا الشيخ وفاة فأذكره في طبقته بحكم وفاته ، فإن وجدت فليحول إلى طبقته) .

(٢) و« الاصطلام » : تأليف أبي المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت٤٨٩) ، وهو جد السمعاني عبد الكريم صاحب « الأنساب » .

ومنهُمُ :

الشيخُ أبو محمدٍ عبدُ الوهابِ بنُ الشيخِ أبي الحجَّاجِ يوسفَ ابنِ محمدِ بنِ خلفِ بنِ محمدِ بنِ أيوبَ ، الأنصاريُّ القَصْريُّ مِنْ قَصْرِ عبدِ الكريمِ يُعرَفُ بـ (ابنِ رُشَيِّقٍ) بضمِّ الراءِ وفتحِ الشينِ

كانَ يُثني علىٰ شيخِهِ المُتقدِّمِ ، ويُنوِّهُ بذكرِهِ ، ويُصحِّحُ اعتقادَهُ ، قرأَ الأصولَ والفروعَ ، ومِنْ جملةِ ما قرأَ علىٰ أبي العباسِ القَصْريِّ : كتابُ « الاصطلامِ » .

وذكرَ أنَّهُ طرقَ علىٰ أبي العباسِ البابَ مرَّةً ، فخرجَ إليَّ مُلتحِفاً بِملْحَفةٍ ، فقلتُ لهُ[1] : ما هـٰذا ؟! فقالَ : [من الخفيف]

نَحْـنُ قَـوْمٌ إِذَا غَسَلْنَـا ٱلثِّيَـابَـا ... ٱتَّخَـذْنَـا بُيُـوتَنَـا جِلْبَـابَـا[2]

قلتُ : ولعلَّـهُ مأخوذٌ مِنْ بيتِ أبي الطيِّبِ الطبريِّ في وصفِ طلبةِ العلمِ[3] : [من الكامل]

قَـوْمٌ إِذَا غَسَلُـوا ثِيَـابَ جَمَـالِهِـمْ ... لَبِسُوا ٱلْبُيُوتَ إِلَىٰ فَرَاغِ ٱلْغَاسِلِ

أخذَ عبدُ الوهابِ ابنُ رُشَيِّقٍ عن أبيهِ وغيرِهِ مِنَ العلماءِ ، وكانَ أبوهُ لقيَ الإمامَ أبا بكرِ ابنَ العربيِّ ، وعياضَ بنَ موسىٰ ، وغيرَهُما .

تُوفِّيَ عبدُ الوهابِ المذكورُ سنةَ خمسينَ وستِّ مئةٍ[4] .

* * *

(١) في الكلام التفات من الغيبة إلى التكلم ، والأصل : (فخرج إليه . . . فقال له) .

(٢) أورد هـٰذه الحكاية ابن الصابوني في « تكملة إكمال الإكمال » (ص٦١) .

(٣) أورد البيت الثعالبي في « يتيمة الدهر » (٥/ ١٧١) من شعر أبي المظفر الجرجاني ، وللبيت قصة أوردها ابن خلكان في « وفياته » (٢/ ٥١٤) ، والذهبي في « السير » (٢٠/ ٣٣٥) .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٧/ ٤٤٨) ، و« توضيح المشتبه » (٤/ ١٩٥-١٩٦) .

ومنهُمُ :

الشيخُ أبو بكرٍ محمدُ بنُ عيسى الخزرجيُّ الأندلسيُّ المالَقيُّ

أحدُ الزهَّادِ والمُتورِّعينَ ، وعبادِ اللهِ المُتَّقينَ ، كانَ مُشتغِلاً بنفسِهِ ، مُتخلِّياً عمَّا في أيدي الناسِ ، يأكلُ مِنْ كسبِ يدِهِ ، وكانَتْ صنعتُهُ تطريقَ [القصديرِ][1] ، ولا يقبلُ مِنْ أحدٍ شيئاً ، صحيحَ الاعتقادِ على الكتابِ والسنَّةِ ، مالكيَّ المذهبِ ، يحضرُ بعضَ دروسِ العلمِ في بعضِ الأوقاتِ ، ويُشيِّعُ الجنائزَ ، وقلَّما شيَّعَ جنازةً إلا مشى معَها حتى تُدفَنَ .

كانَ يُكرِمُ العلماءَ والأشرافَ ، ولا يُعظِّمُ أحداً مِنْ أربابِ الدنيا ، كثيرَ الجِدِّ والعملِ ، لا يفتُرُ عنِ العبادةِ والاشتغالِ ، ولم يكنْ في زمنِهِ مثلُهُ ، وكانَ يدري النحوَ والقراءاتِ[2] ، قالَ شيخُنا رضيُّ الدينِ الشاطبيُّ : (وكانَ يعرفُ طرفاً جيِّداً مِنَ اللغةِ) .

كثيرَ الرياضةِ ؛ حُكِيَ عنهُ : أنَّهُ حكمَ عليهِ بعضُ أصحابِهِ بالطُّلوعِ معَهُ إلى دفنِ قريبٍ لهُ في القَرافةِ ، وكانَ [بهِ] أثرُ ضعفٍ[3] ، فقالُوا لهُ : يا سيِّدي ؛ لا بدَّ مِنْ ركوبِكَ ، فركبَ حماراً ، فقعدَ بهِ الحمارُ في أثناءِ الطريقِ ، فلم يضربْهُ ، ونزلَ مِنْ عليهِ وتركَهُ يتمرَّغُ .

فلمَّا أدركَهُ الناسُ قالُوا لهُ : يا سيِّدي ؛ ما تُعامَلُ الدوابُّ كذا ، اضربْهُ ،

(١) في (أ ، ب) : (القصطير) .

(٢) فهو معدود من النحاة ، وقد ذكره الإمام السيوطي في « بغية الوعاة » (١/ ٢٠٦) .

(٣) في (أ ، ب) : (من) بدل (به) ، والأقرب ما أثبت ، والضمير يرجع إلى المُترجَم ، والله تعالى أعلم .

فقالَ : لا أضربُ مخلوقاً مثلي مِنْ غيرِ جنايةٍ ولا ذنبٍ ، فقالُوا : نحنُ نضربُهُ حتىٰ يقومَ ، فقال : ولا أنتُم .

فبقيَ واقفاً والناسُ حولَهُ إلىٰ أنْ قامَ الحمارُ بعدَ زمانٍ طويلٍ ، وانتفضَ قائماً مِنَ الترابِ ، ثمَّ أتىٰ فوقفَ بينَ يدي الشيخِ ، فأركبُوهُ عليهِ ، ثمَّ حضرَ دفنَ الميتِ ورجعَ ، ولم يضربِ الحمارَ ولا استحثَّهُ في الطريقِ .

لهُ كراماتٌ كثيرةٌ يطولُ ذكرُها .

تُوفِّيَ ليلةَ الثامنِ والعشرينَ مِنْ شهرِ ربيعٍ الآخرِ سنةَ إحدىٰ وخمسينَ وستِّ مئةٍ ، ودُفِنَ بالقَرافةِ ، وقبرُهُ هناكَ يُزارُ ، وكانَ أوصىٰ أنْ يُجعَلَ قبرُهُ علىٰ ما هوَ عليهِ الآنَ ، فعُمِلَ بهـٰذهِ الوصيَّةِ بعدَ وفاتِهِ[1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (١/٢٧٩) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٨/١٠٩) ، و« بغية الوعاة » (١/٢٠٦) .

ومنهُمُ :

الشيخُ العارفُ الوليُّ أبو موسىٰ عيسى بنُ يخلفَ بنِ عليٍّ السندرانيُّ

ذكرَ أنَّهُ صَحِبَ الشيخَ أبا مدينٍ في حداثةِ سنِّهِ ، وماتَ قبلَ أنْ يكملَ حالُهُ ، فانتقلَ إلى الشيخِ أبي الصبرِ أيوبَ بعدَ انتقالِ الشيخِ أبي مدينٍ ، فصحبَهُ سنينَ .

قالَ : وخرجتُ سائحاً في البرِّيَّةِ ، وأَلِفتُ الوحوشَ والحيَّاتِ والسباعَ ، ثمَّ دخلتُ إلىٰ أبي الصبرِ ، فكساني حالةً أفهمَتْني وعرفتُ بها أنَّ تلكَ الحالَ التي كنتُ عليها ليسَتْ بشيءٍ .

فلمَّا عَلِمَ الشيخُ أبو الصبرِ أنَّهُ حصلَ لهُ حالٌ جيِّدةٌ . . قالَ لهُ : ارتحلْ إلى المشرقِ ينتفعْ بكَ الناسُ ، فجاءَ إلى الديارِ المصريَّةِ وانتفعَ عليهِ الناسُ .

وكانَ يُرىٰ بحالِ الملامتيَّةِ[1] ، وكانَتْ لهُ مُكاشفةٌ مصيبةٌ وسهامٌ سديدةٌ ، وكراماتُهُ مشهورةٌ عندَنا فلا نُطِيلُ بذكرِها .

سمعتُ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ الشيخِ القطبِ نصيرِ الدينِ العجَّانَ يقولُ : إنَّ الشيخَ في السنةِ التي انتقلَ فيها زارَ مساجدَ القاهرةِ والعراقَينِ ونَصيرٍ كلَّها ، يُصلِّي في كلِّ مسجدٍ ركعتينِ ، ولم ينزلْ مسجداً مهجوراً ولا عامراً مِنَ المدنِ والقرىٰ والطُّرُقِ مِنْ مصرَ إلىٰ قُوصَ حتىٰ صلَّىٰ فيهِ ، فقيلَ لهُ في ذلكَ ؟ فقالَ : يا ولدي ؛ رأيتُ أعلامَ الرحلةِ قد نُشِرَتْ ، فلا أدري هل هيَ السفرةُ الكبرىٰ أم سفرةُ الحجِّ ، فكانَتْ سفرةَ الموتِ والنقلةِ ، وكانَتْ تلكَ الصلواتُ التي صلاها في المساجدِ وداعاً لها .

تُوفِّيَ الشيخُ أبو موسىٰ سنةَ إحدىٰ وخمسينَ وستِّ مئةٍ بمدينةِ قُوصَ ، ودُفِنَ بها .

(١) سيأتي شرحها تعليقاً في (٢/ ٤٥) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ شمسُ الدينِ لسانُ المُتكلِّمينَ سيفُ المُناظِرينَ أبو محمدٍ عبدُ الحميدِ بنُ عيسى بنِ عمُّويه بنِ يونسَ بنِ خليلِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ يونسَ الخُسْرَوشاهيُّ الشافعيُّ الأصوليُّ المُتكلِّمُ

كانَ أوحدَ وقتِهِ في فنونِهِ .

وُلِدَ بخُسْرَوشاهَ ونشأَ بها ، وقرأَ علومَ المعقولِ على الإمامِ فخرِ الدينِ بنِ الخطيبِ[1] وبرعَ فيها ، وأقامَ مدَّةً بالقاهرةِ بالخانقاهِ المعروفةِ بـ (سعيدِ السعداءِ) ، واشتغلَ عليهِ مشايخُنا ، وانتفعَ بهِ جماعةٌ ؛ منهُمُ : الشريفُ شرفُ الدينِ الكَركيُّ ، وشهابُ الدينِ أحمدُ بنُ إدريسَ القَرافيُّ ، وكانا يَصفانِ عنهُ أموراً عظيمةً مِنَ الإتقانِ والدِّيانةِ وصحَّةِ الاعتقادِ .

رحلَ إلى البلادِ ، وسمعَ بنيسابورَ على المؤيَّدِ الطُّوسيِّ ، وحدَّثَ عنهُ وعن غيرِهِ .

وُلِدَ بخُسْرَوشاهَ سنةَ ثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بدمشقَ في الخامسِ والعشرينَ مِنْ شوَّالٍ سنةَ اثنتينِ وخمسينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[2] .

* * *

(١) هو الإمام الشهير والحبر النحرير فخر الدين الرازي بن الخطيب ضياء الدين .

(٢) انظر « صلة التكملة » (١/٣٠٦-٣٠٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٨/١٦١-١٦٢) .

ومنهُمُ :

الشيخُ أبو الفضلِ العباسُ بنُ خلفِ بنِ بكَّارِ بنِ عليٍّ بنِ كثيرٍ الزَّناتيُّ المغربيُّ الفاسيُّ

كانَ مِنْ أهلِ فاسٍ ، استوطنَ بمصرَ ، وكانَ مِنَ الصلحاءِ المجتهدينَ في العبادةِ ، لا يخرجُ مِنْ بيتِهِ في الغالبِ إلا مِنَ الجمعةِ إلى الجمعةِ ، وكانَ عارفاً بأصولِ الدينِ ، وصنَّفَ في طريقِ التصوُّفِ ، وعقيدةً في أصولِ الدينِ ، وكانَ قرأَ الأصولَ على الشيخِ أبي الحسنِ العطَّارِ ، وكانَ أبو الحسنِ العطَّارُ عارفاً بالمذاهبِ الأربعةِ والأصلَينِ والعربيةِ ، وكانَ يجلسُ لتذكيرِ الناسِ يومينِ في الجمعةِ .

قالَ أبو الفضلِ : (أقامَ شيخي أبو الحسنِ العطارُ في تفسيرِ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف : ١٣] . . سنةً كاملةً ، وكانَ أبو الحسنِ يزيدُ علىٰ علماءِ وقتِهِ بالتصوُّفِ) .

وُلِدَ أبو الفضلِ سنةَ اثنتينِ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ تخميناً ، وتُوفِّيَ سنةَ اثنتينِ وخمسينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) ذكر المترجَمَ عرضاً الإمامُ السيوطي في « بغية الوعاة » (٢/ ٢٠٣) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العارفُ علمُ الدينِ أبو الطاهرِ إسماعيلُ بنُ السديدِ أبي إسحاقَ إبراهيمَ بنِ جعفرِ بنِ عبدِ المنعمِ ، المعروفُ بـ (المنفلوطيِّ)

صحبَ الشيخَ أبا الحسنِ بنَ حُميدٍ المعروفَ بـ (ابنِ الصباغِ)[1] ، وانتفعَ بذلكَ .

وصنَّفَ الكتبَ في علمِ الطريقِ[2] ؛ فمنها : كتابُهُ المُسمَّىٰ : « أسرارَ علمِ المُناجينَ ومدحَ مقاماتِ السالكينَ » ، حذا فيهِ حذوَ « رسالةِ القشيريِّ » ، وبوَّبَهُ أبواباً علىٰ حالاتِ السلوكِ والمعارفِ ؛ ومنها : كتابُ « تنظيفِ القلبِ عمَّا يشغلُ عنِ الربِّ » ، ومنها : كتابُ « الحدودِ والوقوفِ على المقصودِ » ، ومنها : كتابُ « المطرفةِ بشمائلِ أهلِ الزمانِ مِنْ عطايا المنَّانِ » ، ومنها : كتابُ « جلاءِ الحَزَنِ ونفيسِ الثَّمَنِ » ، ومنها : كتابُ « المنائحِ وإبداءِ النصائحِ »[3] ، ومنها : كتابُ « علاماتِ الأعلامِ وسماتِ أهلِ الاستقامةِ والقوامِ » ، ومنها : كتابُ « ترتيبِ السلوكِ مِنَ النظمِ المفكوكِ » حذا في هٰذهِ حذواً حسناً بديعاً .

ولهُ نظمٌ حسنٌ لا يَسَعُ ذكرُهُ في هٰذا المختصرِ .

تُوفِّيَ في الثامنِ مِنْ صفرٍ سنةَ اثنتينِ وخمسينَ وستِّ مئةٍ[4] .

* * *

(١) هو أبو الحسن علي ابن إسماعيل بن الصباغ السابق في (١/ ٥٥٠ـ٥٥٣) .

(٢) وكان رحمه الله مالكي المذهب .

(٣) يحتمل في (أ) : (المصالح) بدل (النصائح) .

(٤) انظر « الطالع السعيد » (ص٨٠) ، و« الوافي بالوفيات » (٩/ ٥١) ، وانظر ما سبق تعليقاً في (١/ ٥٥٢) .

ومنهُمُ :

الشيخُ مجدُ الدينِ أبو المجدِ بنُ عليِّ بنِ أبي الثناءِ الإِخْميميُّ الصوفيُّ الفقيهُ الخطيبُ

صحبَ الشيخَ أبا الطاهرِ المحليَّ المُقدَّمَ ذكرُهُ[1] ، وانتفعَ بهِ ، وزوَّجَهُ الشيخُ أبو الطاهرِ ابنتَهُ .

وكانَ زاهداً ورعاً مُتقلِّلاً مِنَ الدنيا ، مُحافظاً على أورادِهِ ، مُلازِماً للإمامةِ في تاجِ الجوامعِ ، حافظاً لأوقاتِ حضورِهِ إلى الصلاةِ ، لا يختلُّ وقتٌ عن وقتٍ دقيقةً ولا بعضَ ساعةٍ ، كثيرَ الرِّفقِ ، حسنَ السَّمْتِ ، ساعياً في مصالحِ المسلمينَ وقضاءِ حوائجِهم على قدميهِ ماشياً .

وكانَ مَرْعيَّ الجانبِ عندَ أهلِ الدنيا والآخرةِ ، ولم يكنْ يقضي عندَهُم حاجةً لنفسِهِ ، ولا لمَنْ يختصُّ بهِ مِنَ الخُدَّامِ والفقراءِ ، وإنَّما كانَ يقضي حوائجَ الناسِ ، حتى إنَّهُ ذُكِرَ عنهُ أنَّهُ تردَّدَ في حاجةِ بعضِ مَنْ قصدَهُ إلى الصاحبِ الوزيرِ شرفِ الدينِ هبةِ اللهِ بنِ صاعدٍ الفائزيِّ مراراً تزيدُ على العشرينَ وهوَ يردُّهُ ويردُّها غيرَ مَقْضيَّةٍ ، فلمَّا كانَ في آخرِ مرَّةٍ قالَ لهُ : يا شيخَنا مجدَ الدينِ ؛ واللهِ ؛ ما رددتُكَ استخفافاً بحقِّكَ ، ولٰكنْ هوَ أمرٌ مقدورٌ ، ولقدِ استحييتُ مِنَ اللهِ كم أردُّكَ في هٰذهِ الحاجةِ .

فقالَ لهُ الشيخُ : وأنا واللهِ ما قصدتُكَ في قضاءِ هٰذهِ الحاجةِ ، ولم أقصِدْ إلا اللهَ عزَّ وجلَّ ، وهوَ لم يُسخِّرْكَ أوَّلَ دفعةٍ ، ثمَّ قصدتُهُ فلم يُسخِّرْكَ ، فأنا

(١) انظر (١/ ٦٠١ـ٦٠٥) .

لا أزالُ أقصِدُهُ إلىٰ أنْ يُسخِّرَكَ ، فالتزمَ ألا يرُدَّ الشيخَ في حاجةٍ بعدَها أبداً .

تُوفِّيَ في الحادي والعشرينَ مِنْ ذي القَعْدةِ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٤٨/ ١٦٠) ، و« نزهة الأنام » (ص٢٢٥) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ برهانُ الدين أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ أبي محمدٍ عبدِ المجيدِ بنِ سلطانَ بنِ أحمدَ بنِ الصَّبيحِ ، المصريُّ الشافعيُّ العدلُ ، المعروفُ بـ(ابنِ قراقيشَ)

كانَ أحدَ العلماءِ المُعيدينَ بمصرَ ، والعارفينَ بالأصولِ ، سمعَ : مِنْ أبي القبائلِ عَشيرِ بنِ عليٍّ الجبليِّ ، وأبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ حمدِ بنِ حامدٍ ، واشتغلَ بالعلومِ ، وتولَّى العقودَ بمصرَ ، والحكمَ بالجيزةِ .

وُلِدَ سنةَ تسعٍ وستينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في السابعِ والعشرينَ مِنْ ربيعٍ الأولِ سنةَ ثلاثٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (١/ ٣١٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٨/ ١٥٠) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الفقيهُ أبو الطاهرِ إسماعيلُ بنُ عبدِ المجيدِ بنِ علَّاسٍ المالكيُّ المُتكلِّمُ

تصدَّرَ بثغرِ الإسكندريَّةِ ، ودرَّسَ بها .

وتُوفِّيَ في ثاني عشرَ شوَّالٍ سنةَ أربعٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (١/ ٣٣٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٨/ ١٦٤) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ القدوةُ شرفُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ أبي الفضلِ ، السُّلَميُّ الأندلسيُّ المرسيُّ

اشتغلَ ببلادِ المغربِ بمذهبِ مالكٍ[1] ، وسمعَ بها مِنْ أَبَوَيْ محمدٍ : عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ عبيدِ اللهِ الحَجْريِّ ، وعبدِ المنعمِ[2] بنِ محمدِ ابنِ الفَرَسِ ، وقَدِمَ مصرَ وسمعَ بها ، وبالحجازِ والشامِ والعراقِ ، ودخلَ إلىٰ خراسانَ ، وسمعَ بأصفهانَ ومروَ ونيسابورَ ، وهوَ الذي استخرجَ خزانةَ كتبِ نيسابورَ كما تقدَّمَ في ترجمةِ الجُوَينيِّ[3] .

وسمعَ بهراةَ وغيرِها : مِنْ أبي الفتحِ منصورِ بنِ عبدِ المنعمِ الفَراويِّ ، وأبي روحٍ عبدِ العزيزِ بنِ محمدٍ الهرويِّ[4] ، وأبي الحسنِ المُؤَيَّدِ الطُّوسيِّ ، وطبقتِهم .

وحصَّلَ أصولَ سماعاتٍ ، وكتباً أمهاتٍ لا تكادُ تُوجَدُ معَ غيرِهِ ، وحدَّثَ بالكثيرِ ، وكانَ بارعاً في كلِّ علمٍ ، وكانَ مِنْ أعيانِ العلماءِ والأئمَّةِ الفُضَلاءِ ،

(١) فهو مالكي المذهب كما ذهب إليه القطب اليونيني في « ذيل مرآة الزمان » (١/ ٧٦) ، وعدَّه ابن السبكي في « طبقاته » (٨/ ٦٩ـ٧٢) من الشافعية ، ولعله تشفَّع عندما رحل إلى الشرق وأخذ عن شيوخه ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) في (أ، ب) : (وأبي محمد عبد المنعم) ، والأولىٰ ما أثبت استغناء بقوله قبلُ : (أبوي محمد) .

(٣) انظر (١/ ٤٢٤ـ٤٢٥) .

(٤) في غالب المصادر والمراجع : (عبد المعز) بدل (عبد العزيز) ، وفي بعضها كالمثبت .

عارفاً بالعربيَّةِ والتفسيرِ[1] ، ولهُ النظمُ الحسنُ والمعارفُ[2] ، وكانَ يُحِبُّ السفرَ ، وجَوْبَ البلادِ ، ورؤيةَ الصالحينَ .

وُلِدَ بمُرْسيةَ في ذي الحجةِ سنةَ تسعٍ وستِّينَ وخمسِ مئةٍ ، وقيلَ : سنةَ سبعينَ وخمسِ مئةٍ ، حكىٰ ذلكَ الشريفُ عزُّ الدينِ نقيبُ نقباءِ الأشرافِ في كتابِهِ « صلةِ وفياتِ الشيخِ زكيِّ الدينِ »[3] ، وتُوفِّيَ في النصفِ مِنْ شهرِ ربيعٍ الأولِ سنةَ خمسٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ بينَ الزَّعْقةِ والعريشِ مِنْ منازلِ الرَّمْلِ ، وهوَ مُتوجِّهٌ مِنْ مصرَ إلىٰ دمشقَ ، ودُفِنَ مِنْ يومِهِ بتلِّ الزعقةِ ، رحمَهُ اللهُ[4] .

* * *

(١) ومن مؤلفاته : « الضوابط النحوية في علم العربية » ، و« الإملاء على المفصل » ، أخذ على الزمخشري فيه سبعين موضعاً ، أقام علىٰ خطئها البرهان ، واستدل علىٰ سقمها بالبيان ، و« تفسير القرآن » قصد فيه ارتباط الآي بعضها ببعض . انظر « بغية الوعاة » (١/ ١٤٥) .

(٢) ومن شعره : (من الكامل)

قالوا محمَّدُ قد كبرتَ وقد أتىٰ ... داعي المَنونِ وما اهتممتَ بزادِ

قلتُ الكريمُ مِنَ القبيحِ لضيفِهِ ... عندَ القدومِ مجيئُهُ بالزادِ

(٣) صلة التكملة (١/ ٣٤٧) ، وزكي الدين : هو الحافظ عبد العظيم المنذري رحمه الله تعالىٰ .

(٤) انظر « معجم الأدباء » (٦/ ٢٥٤٦ـ٢٥٤٧) ، و« صلة التكملة » (١/ ٣٤٦ـ٣٤٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٦٩ـ٧٢) ، و« بغية الوعاة » (١/ ١٤٤ـ١٤٦) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ القطبُ العارفُ أبو زكريا
يحيى بنُ يَلِيمانَ بنِ هادي ، السبتيُّ المالكيُّ

جمعَ بينَ العلمِ والعملِ ، وكانَ لا يأكلُ الخبزَ ، ولا شيئاً فيهِ بُرٌّ ، وكانَ صحيحَ الاعتقادِ ، حسنَ الهيئةِ ، مُحبّاً لأهلِ العلمِ والخيرِ والصلاحِ ، مُحَبّاً في الأشرافِ مُعظِّماً لهُم ، وكانَتْ حالُهُ حالةَ المَلامتيَّةِ ، وقيلَ : إنَّهُ كانَ يُنفِقُ ما كانَ يُنفِقُهُ مِنَ الذهبِ الكثيرِ مِنَ الغيبِ .

سكنَ القرافةَ الصُّغرىٰ ، وكانَتْ لهُ الكلمةُ المسموعةُ عندَ الملوكِ والأمراءِ ، والأمرُ النافذُ عليهِم ، وكانَ حسنَ التربيةِ لأصحابِهِ المقيمينَ بزاويتِهِ ، لا يغذوهُم بشيءٍ غيرِ الفقرِ ، ويُعلِّمُهُمُ المجاهدةَ والإيثارَ .

وكانَ كثيرَ الإنصافِ في بحثِهِ ، وكانَ يقولُ : لي مِنَ المشايخِ عددٌ كثيرٌ لا أكادُ أُحصيهِ ، وكلُّ مَنْ أفادَني شيئاً مِنْ أمرِ الدينِ والدنيا لم يكنْ عندي . فهوَ شيخي ، حتىٰ صغيرٌ علَّمَني أشربُ الماءَ مِنَ اليرنراتِ النحاسِ بالشافعيِّ[1] أولَ ما وردتُ البلادَ .

ولهُ كراماتٌ كثيرةٌ لا تُحصىٰ ، وكانَ لا يُقصَدُ في شيءٍ إلا فعلَهُ .

ومِمَّا يُحكَىٰ عنهُ : أنَّ الفارسَ أقطايَ رأسَ البحريَّةِ في زمنِ المُعِزِّ كانَ كثيرَ الصَّولةِ سفَّاكاً للدماءِ ، لا يقومُ لغضبِهِ شيءٌ ، فجرتْ بينَهُ وبينَ الصاحبِ الوزيرِ فخرِ الدينِ مُشاجرةٌ ، فغضبَ عليهِ فطلبَهُ ، فأشارَ عليهِ والدُهُ الصاحبُ الوزيرُ

(١) كذا في الأصل ، ولعل المراد : تعليمه شربَ الماء من كؤوس النحاس بالموضع المُسمىٰ بـ (الشافعي) ، والله تعالىٰ أعلم .

بهاءُ الدينِ أنْ يستخفيَ عندَ السبتيِّ ، فقالَ : يا سيِّدي ؛ كيفَ أستخفي عندَهُ وقد تعصَّبتُ عليهِ معَ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ؟![1] ، فقالَ : اذهبْ إليه ؛ فإنَّهُ فتىٰ فتيانٍ .

فذهبَ إليهِ الصاحبُ فخرُ الدينِ مُستخفياً ، فقالَ : اصعَدْ هٰذهِ الغرفةَ ، فلمَّا استقرَّ بها دخلَ الفارسُ أقطايُ على الشيخِ يزورُهُ ، فقالَ لهُ : يا أقطايُ ؛ بلغَني أنَّكَ تطلبُ فخرَ الدينِ بنَ بهاءِ الدينِ ، فقالَ لهُ : يا سيِّدي ؛ وأينَ هوَ ؟ واللهِ ؛ إن ظَفِرْتُ بهِ لأفعلَنَّ كذا ، ولأفعلَنَّ كذا .

فقالَ لهُ الشيخُ أبو زكريا : يا أقطايُ ؛ فخرُ الدينِ عندي في هٰذهِ الغرفةِ التي تراها ، لٰكنَّكَ لا تقدرُ أنْ تتعرَّضَ لهُ ، وإنْ كانَتْ فيكَ رُجْلةٌ اصعَدْ إليهِ ، فقالَ : يا سيِّدي ؛ واللهِ ، لا تعرَّضتُ لهُ بعدَها بسوءٍ ، فقالَ لهُ الشيخُ : قلتُ لكَ : إنْ كانَتْ فيكَ رُجْلةٌ اصعَدْ إليهِ ، فقالَ لهُ : يا سيِّدي ؛ هوَ آمِنٌ علىٰ نفسِهِ ومالِهِ وولدِهِ ، فقالَ لهُ : قلتُ لكَ : إنْ كانَتْ فيكَ رُجْلةٌ اصعَدْ إليهِ ، أتظُنُّ أنَّكَ تقدرُ عليهِ بعدَ دخولِهِ إليَّ ، هٰذا ما خطرَ لي ؟! لٰكنْ قلتُ لكَ : إنْ كانَتْ فيكَ رُجْلةٌ فاصعَدْ إليهِ .

فحينَئذٍ فَهِمَ المرادَ منهُ ، فقالَ : يا سيِّدي ؛ السمعَ والطاعةَ ، فأخذَهُ الشيخُ

(١) ولعل تعصب الشيخ العز عليه كان في الظاهر فقط ؛ بناء علىٰ أن المترجم كانت حاله حال الملامتية ، وأصل الملامتية : أنهم كانوا لا يخافون في الله لومة لائم ؛ فلذلك لا يشتغلون بتزيين الظواهر للخلق ، بل يبتهلون إلى الله سبحانه في أن يزين أسرارهم لهم ، وقال عنهم أبو حفص الحداد : (أهل الملامة : قوم أظهروا للخلق قبائح الأفعال التي هم فيها ، وستروا عنهم محاسن ما هم فيه ، فلامهم الخلق علىٰ ظواهرهم ، ولاموا أنفسهم علىٰ ما يعرفونه من بواطنهم. . .) ، ومعلوم أن العز بن عبد السلام كان في الظاهر ينكر علىٰ مثل هٰؤلاء حفاظاً لظاهر الشريعة وفي الباطن كان معظماً لهم عارفاً لقدرهم ، ومن قرأ كتابه « قواعد الأحكام » يدرك هٰذه الحقيقة ، وفي ذلك قصة مشهورة مذكورة في كتب التراجم .

وصعِدَ إلى الصاحبِ فخرِ الدينِ في الغرفةِ ، فأصلحَ بينَهُما وطابا ، وخرجَ الصاحبُ مُكرَماً مُعظَّماً ، ولم يَعُدْ بينَهُ وبينَ الفارسِ حالةٌ سيئةٌ .

وكانَ الشيخُ يقولُ : (لا تأتِني مظلوماً ؛ فإنَّكَ إنْ أتيتَني مظلوماً أسأتَ ظنَّكَ بمَنْ ينصرُكَ ، لا تأتِني إلا ظالماً ؛ فإنِّي أرجو أنْ يهديَكَ اللهُ بي إلى الطريقِ) .

وكانَ يقولُ : (إنَّ الطبيبَ لا يُداوِي الأصحَّاءَ ، وإنَّما يُداوِي المرضىٰ) .

وكانَ يقولُ : (ليتَ شعري !! ما حُجَّةُ المُشبِّهةِ وليسَ كمثلِهِ شيءٌ ؟! وما حُجَّةُ المُعطِّلةِ وفي كلِّ شيءٍ لهُ آيةٌ ؟! وما حُجَّةُ المعتزلةِ وإنَّا كلَّ شيءٍ خلقناهُ بقدرٍ ؟!) .

ولهُ عندي كراماتٌ كثيرةٌ مسطورةٌ ـ بحكمِ أنَّهُ كانَ شيخَ جدِّي لأمِّي وأخوالي ـ لا يَسَعُ المصنَّفَ ذكرُها .

تُوفِّيَ نصفَ شوَّالٍ سنةَ خمسٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (١/ ٣٥٧) ، و« ذيل مرآة الزمان » (١/ ٨٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٨/ ٢٢١) ، والترجمة فيها عبارة عن أسطر قليلة ، وعقَّبَ الذهبي على عدم تناوله الخبزَ بقوله : (وهـٰذا يدل علىٰ قلة الإخلاص ، نسأل الله السلامة في الدين) ، ولا علاقة للإخلاص وعدمه بسبب تركه تناولَ الخبز ، بل عدم تناوله يحتمل احتمالاتٍ عديدةً ليس هـٰذا مكانَ ذكرها ، ومن قرأ سيرته هنا وخصوصاً صدر الترجمة يدرك أنه كان بعيداً أشدَّ البعد عما نسبه إليه الذهبي ، بل إن المُترجَم من الملامتية الذين تشرَّبت عروقهم طعم الإخلاص ، وتحقق بالصدق ومراقبة الله عز وجل ، نسأل الله السلامة من الطعن بأولياء الله المقربين وعباد الله الصالحين .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ نجمُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ أبي الوفاءِ محمدِ بنِ أبي [محمدٍ] الحسنِ بنِ أبي سعدٍ عبدِ اللهِ بنِ الحسنِ بنِ عثمانَ البغداديُّ البادَرَائيُّ الشافعيُّ سفيرُ الخلافةِ

كانَ أحدَ الرؤساءِ المشهورينَ ، والعلماءِ المذكورينَ ، درَّسَ بالنِّظَاميَّةِ ببغدادَ ، وتولَّى القضاءَ بها في آخرِ عمرِهِ ، وكانَ يترسَّلُ إلى الملوكِ .

قَدِمَ مصرَ والشامَ مرَّاتٍ مُتعدِّدةً ، وكانَ فيهِ خيرٌ كثيرٌ ومحبَّةٌ للصالحينَ ، وكانَ يعرفُ فنوناً ؛ منها : الأصلانِ ، والتفسيرُ ، والخلافُ ، وكانَ يُحِبُّ أهلَ الخيرِ والصلاحِ والفقهاءَ ، ويُؤثِرُهُم بمالِهِ ، ووقفَ المدرسةَ بدمشقَ المعروفةَ بهِ[1] .

سمعَ : مِنْ عبدِ العزيزِ ابنِ مَنِينا ، وأبي البركاتِ ابنِ الصبَّاغِ ، وأقرانِهِم .

وُلِدَ في آخرِ المُحرَّمِ سنةَ أربعٍ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في مُستهَلِّ ذي القَعْدةِ سنةَ خمسٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ ببغدادَ[2] .

كانَ رسولاً ، وردَ الديارَ المصريَّةَ مراراً ؛ منها : مرَّةً للصلحِ بينَ صاحبِ الشامِ الملكِ الناصرِ وصاحبِ مصرَ ، فأصلحَ بينَهُما ، وفي ذلكَ يقولُ السراجُ الورَّاقُ قصيدتَهُ التي أوَّلُها : [من الطويل]

بِكَ ٱلْتَأَمَ ٱلإِسْلَامُ بَعْدَ شَتَاتِهِ ... وَجَرَّدَ نَحْوَ ٱلْكُفْرِ حَدَّ شَبَاتِهِ

وَأُغْمِدَ سَيْفُ ٱلْخُلْفِ بَعْدَ ضَغَائِنٍ ... بِهَا حَمِيَتْ غَيْظاً صُدُورُ حُمَاتِهِ

(١) وقد دخلت هٰذه المدرسة مراتٍ عديدةً ، وحضرت فيها بعض دروس العلامة المقرئ الفقيه الحنفي شيخنا عبد الرزاق الحلبي ، رحمه الله تعالى وجمعنا به في عليين .

(٢) ونجَّاه الله من فتنة التتار التي كانت في ذي الحجة من السنة نفسها .

أُقِيمَ سِنَانُ ٱلدِّينِ مِنْ بَعْدِ زَيْغِهِ ... وَثُقِّفَ بَعْدَ ٱلْمَيْلِ عِطْفُ قَنَاتِهِ

هُدِينَا بِنَجْمِ ٱلدِّينِ وَٱلأَمْرُ مُشْكِلٌ ... فَكَانَتْ نُجُومُ ٱللَّيْلِ فِي كَلِمَاتِهِ

إِمَامٌ دَعَاهُ ٱلدِّينُ مُسْتَصْرِخاً بِهِ ... فَلَبَّاهُ بِٱلْمَفْعُولِ مِنْ نَجَدَاتِهِ

وَأَصْلَحَ ذَاتَ ٱلْبَيْنِ وَهْيَ جَدِيرَةٌ ... بِإِصْلاَحِهَا إِذْ قَامَ فِيهَا بِذَاتِهِ

وَقَدْ كَادَ دِينُ ٱللهِ يَثْنِي سِنَانَهُ ... إِلَىٰ نَحْرِهِ لَوْ لَمْ يُفِقْ مِنْ سُبَاتِهِ

وَكَادَتْ يَدُ ٱلإِسْلاَمِ تَقْطَعُ أُخْتَهَا ... فَتَطْمَعُ أَيْدِي ٱلشِّرْكِ فِي جَنَبَاتِهِ

فَمَا زَالَ حَتَّىٰ بَتَّ مَا كَانَ مِنْهُمَا ... وَدَانَا بِوَصْلٍ لَمْ يُخَفْ مِنْ بَتَاتِهِ

أَعَادَ إِلَى ٱلأَعْمَادِ كُلَّ مُهَنَّدٍ ... ثَنَاهُ وَحُسْنُ ٱلصَّفْحِ فِي صَفَحَاتِهِ

لَقَدْ رَغِمَ ٱلشَّيْطَانُ إِذْ كُنْتَ عُوذَةً ... بِهَا سَلِمَ ٱلإِسْلاَمُ مِنْ هَمَزَاتِهِ

رَعَى ٱللهُ عَبْدَ ٱللهِ إِنَّ قُصُورَهُ ... لأَحْسَنُ شَيْءٍ عُدَّ مِنْ حَسَنَاتِهِ

فَلا يَعْدَمِ ٱلإِسْلاَمُ رَأْيَكَ إِنَّهُ ... لَسُورٌ عَلَيْهِ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ

أَمُنْتَجَعَ ٱلآمَالِ وَٱلْعَامُ مُجْحِفٌ ... وَلِلْغَيْثِ فِيهِ نَبْوَةٌ عَنْ نَبَاتِهِ

وَنَاشِرَ أَعْلاَمِ ٱلْخِلاَفَةِ هَادِياً ... بِهَا حَائِراً أَوْضَحْتَ سُبْلَ نَجَاتِهِ

رَفَعْتَ لَنَا أَعْلاَمَهَا وَعُلُومَهَا ... [.]

وَأَعْدَيْتَ لِلآفَاقِ ذِكْرَ مَوَاقِفٍ ... سَرَتْ نَفَحَاتُ ٱلْمِسْكِ مِنْ نَفَحَاتِهِ

مَوَاقِفِ مَنْ أَضْحَىٰ لَدَيْهِنَّ وَاقِفاً ... يُطَهِّرُ بِٱلْغُفْرَانِ مِنْ شَنَآتِهِ

وَبَيْتٍ إِذَا طَافَ ٱلْعُفَاةُ بِرُكْنِهِ ... غَدَا ٱلنُّجْحُ مَصْرُوفاً لَدَىٰ عَتَبَاتِهِ

أَلاَ إِنَّ [.] دُونَهُ ... وَيَظْهَرُ سِرُّ ٱلْوَحْيِ مِنْ حُجُرَاتِهِ

عَلَيْهَا صَلاَةُ ٱللهِ فَهْيَ مَنَاسِكٌ ... بِهَا كُلُّنَا [.][1]

* * *

(١) انظر ترجمته في «صلة التكملة» (١/٣٥٩-٣٦٠)، و«تاريخ الإسلام» (٤٨/٢٠٠-٢٠٢)، و«الدارس في تاريخ المدارس» (١/١٥٤-١٥٥)، وما بين معقوفين في القصيدة ذهب من الأصل بسبب رداءة التصوير.

ومنهُمُ :

الفقيهُ العالمُ المُقرِئُ عمادُ الدينِ أبو عمرٍو عثمانُ ابنُ جمالِ الدينِ أبي حفصٍ عمرَ المُعلِّمُ رحمَهُ اللهُ

وُلِدَ بمصرَ ونشأَ بها، وقرأَ على والدِهِ القرآنَ، واشتغلَ على الفقيهِ: أبي الطاهرِ المحلِّيِّ ، وعلى أقرانِهِ ، وقرأَ القرآنَ الكريمَ بالرواياتِ السبعِ جمعاً وإفراداً : على الشيخِ جمالِ الدينِ أبي الفضلِ زيادةَ بنِ عمرانَ بنِ زيادةَ المقرئِ ، أحدِ المُتصدِّرينَ بمصرَ ، وأجازَهُ بالقراءةِ والإقراءِ ، وأوراقُ سندِهِ وفصلُ إجازتَيْهِ عندَنا .

وكانَ قد بعثَ إليهِ قاضي القضاةِ شرفُ الدينِ بنُ عينِ الدولةِ وكتبَ لهُ تقليداً بالنيابةِ في عملٍ مِنْ أعمالِ الديارِ المصريَّةِ ، فمنعَهُ الفقيهُ أبو الطاهرِ مِنْ ذلكَ ، وقالَ لهُ : يا عثمانُ ؛ تُؤثِرُ علينا عملاً مِنَ الأعمالِ ، فقالَ : لا واللهِ يا سيِّدي ، فبعثَ الشيخُ بالتقليدِ إلى ابنِ عينِ الدولةِ .

ولم يَزَلْ مُلازِماً لخدمةِ الشيخِ يقرأُ بينَ يديهِ دروسَهُ ، ويُطالِعُ لهُ ، ويقرأُ القرآنَ ، والشيخُ يسمعُ لهُ ، وكانَ يقولُ لأهلِ بيتِهِ : إذا كانَ عثمانُ بينَ يَدَيَّ فمَنْ شاءَ أنْ يدخلَ منكُم ويمرَّ في حاجتِهِ ؛ فإنَّهُ لا يلتفتُ إلى أحدٍ ولا ينظرُ إليهِ ، وليسَتْ همَّتُهُ إلا لي ، ولا نظرُهُ إلا إليَّ[1] .

وكانَ سَلْمانَ بيتِ الشيخِ[2] ؛ حتى إنَّهُ كانَ لهُ نوبةٌ في شهوةِ الطعامِ ، وكانَ

(١) وانظر ترجمة أبي الطاهر في (١/ ٦٠١ـ٦٠٥) .

(٢) أشار به : إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه : « سلمانُ منَّا أهلَ البيتِ » كما أخرجه الحاكم (٣/ ٥٩٨) ، والطبراني في « الكبير » (٦/ ٢١٢ـ٢١٣) من حديث سيدنا عمرو بن عوف المزني رضي الله عنه .

الشيخُ يطبخُ في بيتِهِ كلَّ يومٍ بشهوةِ واحدٍ ممَّنْ يَمُونُهُ ، حتى الصغيرِ مِنَ العبيدِ والإماءِ ؛ تسويةً بينَهُم .

وكانَ جدِّي عثمانُ رحمَهُ اللهُ حسنَ الخطِّ ، ويُقالُ : إنَّهُ جميلُ السَّمْتِ ، وكانَ حسنَ الاعتقادِ ، سمعتُ والدي نفعَ اللهُ بهِ يقولُ : كانَ الفقيهُ عُمَرُ جدِّي يكتبُ للصغارِ « عقيدةَ المهديِّ »[1] يحفظونَها معَ القرآنِ ، فلمَّا كبِرنا ألزمَنا جدُّكَ عثمانُ بحفظِ « عقيدةِ الغزاليِّ » ، وكانَ يُعلِّمُنا فيقولُ : (قُلْ : أنا شافعيُّ المذهبِ ، أشعريُّ الاعتقادِ) ، ولم أكنْ أعلمُ ما معنى (أشعريُّ الاعتقادِ) حتى كبِرتُ وسألتُ عن ذلكَ .

وحكى لي غيرُ واحدٍ عنِ الفقيهِ عثمانَ : أنَّهُ كانَ لهُ في كلِّ يومٍ وليلةٍ ختمةٌ كاملةٌ ترتيلاً .

وحكى لي والدي قالَ : كانَ جدُّكَ ينامُ ، فيتلو وهوَ نائمٌ ، فربَّما مرَّ على الحزبينِ والثلاثةِ[2] ، وأنا أستوفي عليهِ : هل يغلَطُ أم لا ؟ فلا يغلَطُ ولا يقفُ ؛ لكثرةِ مُمازجتِهِ للتلاوةِ في اليقظةِ .

وسمعتُ والدي يقولُ : (إنَّهُ مرَّةً جرتْ لهُ معَ السلطانِ الملكِ الكاملِ مُفاوضةٌ ، فأغضبَ السلطانَ ، فقامَ وأمرَ بتعويقِهِ والترسيمِ عليهِ ، فحُبِسَ في مسجدٍ بالجزيرةِ قبلَ بناءِ القلعةِ ، وكانَ السلطانُ إذْ ذاكَ في مقعدِهِ بالجزيرةِ ، فصلَّى جدُّكَ العشاءَ الآخرةَ ، واستفتحَ الختمةَ ترتيلاً بصوتِهِ الحسنِ إلى الصباحِ ، فصلَّى الصبحَ ثمَّ ختمَها ، فحينَ فراغِهِ مِنَ الدعاءِ وجدَ كنانيّاً واقفاً ينتظِرُهُ ، فقالَ : يا سيِّدي ؛ السلطانُ أمرَ برفعِ الترسيمِ عنكَ وعودِكَ إلى شُغْلِكَ دونَ بقيَّةِ رُفقتِكَ) .

(١) أي : عقيدة المهدي بن تومرت رحمه الله تعالى . انظر ما سبق تعليقاً في (١/ ٤٦٩) .

(٢) في (ب) : (الجزأين) بدل (الحزبين) .

ولم يَزَلْ يُلازِمُ التلاوةَ ـ كلَّ يومٍ وليلةٍ ختمةٌ ـ إلى أنْ مرضَ مرضَهُ الذي ماتَ فيهِ بالأُسْرِ ؛ وهوَ احتباسُ الإراقةِ[1] ، فتُوفِّيَ منها .

تُوفِّيَ في يومِ الجمعةِ الرابعِ والعشرينَ مِنْ شوَّالٍ سنةَ خمسٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ ، وصُلِّيَ عليهِ عصرَ الجمعةِ ، ودُفِنَ مِنْ نهارِهِ ، رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ .

سمعتُ الفقيهَ العالمَ المفتيَ شرفَ الدينِ محمدَ بنَ ضياءِ الدينِ عبدِ الحكمِ بنِ المقسطيِّ يقولُ : (رأيتُ جدَّكَ العمادَ في المنامِ ، فقلتُ لهُ : ما فعلَ اللهُ بكَ ؟ فقالَ : أعطاني توقيعَ الأمانِ وها هوَ بيدي ، ثمَّ أخرجَ توقيعاً ، فرأيتُ كتابةً بالنورِ على صَفَحاتِ الورقِ ، لكنِّي لم أُمْهَلْ لأنْ أستخرجَ القراءةَ ، فانتبهتُ) ، رحمَهُمُ اللهُ .

* * *

(١) أي : مرض احتباس البول .

ومنهُمُ :

[الإمامُ السيدُ العارفُ القطبُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ عبدِ اللهِ الشاذليُّ]

الشيخُ الإمامُ السيدُ العارفُ القطبُ أبو الحسنِ[1] عليُّ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الجبارِ بنِ تميمِ بنِ هُرْمُزَ بنِ حاتمِ بنِ قصيِّ بنِ يوسفَ بنِ يوشعَ بنِ وردِ ابنِ بطَّالِ بنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عيسى بنِ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ .

رأيتُ نسبَهُ بخطِّ الشريفِ عزِّ الدينِ نقيبِ نقباءِ العلويِّينَ ، ولم يذكرْ مِنْ تميمٍ إلى قصيٍّ[2] ، واللهُ أعلمُ بذلكَ ، ورأيتُ هـٰذهِ النسبةَ بخطِّ بعضِ أصحابِهِ في مجموعٍ مِنْ كلامِ الشيخِ المذكورِ[3] ، يُعرَفُ بـ (الشاذليِّ) .

قَدِمَ الديارَ المصريَّةَ مِنَ المغربِ ، وأقامَ بالإسْكَندريَّةِ مدَّةً ، وسافرَ إلى الحجازِ مراراً ، وكانَ عاليَ الهمَّةِ ، مُنطَّقاً بالحكمةِ ، مُهتدياً بأنوارِ سلفِهِ الصالحِ ، ولهُ كلامٌ نَثَرَ فيهِ الجواهرَ ، وظهرَتْ عليهِ بركةُ تلكَ المظاهرِ .

فمِنْ كلامِهِ رضيَ اللهُ عنهُ :

ـ المحبَّةُ : سِرٌّ في القلبِ مِنَ المحبوبِ ؛ فإذا ثبتَتْ قطعَتْكَ عن كلِّ مصحوبٍ .

ـ حقيقةُ المحبَّةِ : رؤيةُ المحبوبِ كالعِيانِ ، وكمالُها : فقدانُكَ في كلِّ وقتٍ وأوانٍ .

(١) هو الإمام الكبير المربي سيدي أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى .

(٢) صلة التكملة (١/ ٣٩٧)، وفيها: (بُرْد) بدل (ورد) .

(٣) انظر « لطائف المنن » لابن عطاء الله (ص٧٥) .

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (إذا قطعَكَ عمَّا تُحِبُّ ، وردَّكَ إلىٰ ما يُحِبُّ . . فهيَ علامةُ محبَّتِهِ لكَ) .

وقالَ : (المعرفةُ : ما قطعَكَ عن غيرِ اللهِ ، وردَّكَ إلى اللهِ) .

وقالَ : (ليسَ الرجلُ الكاملُ مَنْ حَيِيَ في نفسِهِ ، وإنَّما الرجلُ الكاملُ مَنْ حَيِيَ بهِ غيرُهُ) .

وقالَ : (كلُّ شيخٍ لم تصلْكَ العوائدُ منهُ مِنْ وراءِ حجابٍ[1] . . فليسَ بشيخٍ) .

وقالَ : (مَنْ دعا إلى اللهِ بغيرِ ما دعا بهِ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . فهوَ بدعيٌّ) .

وقالَ : (آدابُ الحضرةِ ثلاثةٌ : دوامُ النظرِ ، وإلقاءُ السمعِ ، والتوطينُ لما يَرِدُ مِنَ الحُكْمِ) .

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (وُسِمَ بالسعادةِ عبدٌ عرفَ الحقَّ فتواضعَ لأجلِهِ وإنْ عَمِلَ ما عملَ ، ووُسِمَ بالشقاوةِ عبدٌ جحدَ الحقَّ وتكبَّرَ علىٰ أهلِهِ وإنْ عملَ ما عملَ) .

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (خرجتُ لبستانٍ معَ أصحابي في مدينةِ تونسَ ، ثمَّ عُدْتُ إلى المدينةِ ، وكنَّا ركباناً على الحميرِ ، فلمَّا وصلْنا قريباً مِنَ المدينةِ نزلُوا ، وكانَ الطينُ كثيراً ، فقالُوا لي : يا سيِّدَنا ؛ انزلْ هنا ، فقلتُ : ولِمَ ؟ فقالُوا : هـٰذهِ المدينةُ ، ونستحيي أنْ ندخلَها على الحميرِ ، فثنَيْتُ رجلي وأردتُ مُوافقتَهُم ، فقيلَ لي : إنَّ اللهَ لا يُعذِّبُ علىٰ راحةٍ يصحبُها التواضعُ ، ولـٰكنْ يُعذِّبُ علىٰ تعبٍ يصحبُهُ الكِبْرُ) .

(١) في (ب) : (الفوائد) بدل (العوائد)، ويحتمله في (أ).

لهُ كراماتٌ كثيرةٌ شهيرةٌ ليسَ هٰذا موضعَ ذكرِها ، وكلامُهُ أيضاً كثيرٌ منقولٌ عنهُ يتداولُهُ أصحابُهُ وغيرُ أصحابِهِ ، وليسَ هٰذا موضعَ استيعابِهِ .

تُوفِّيَ بصحراءِ عيذابَ في العشرِ الأولِ مِنْ ذي القعدةِ سنةَ ستٍّ وخمسينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « مرآة الجنان » (٤/ ١٤٠ـ١٤٧) ففيها إطناب في ترجمته ، وأفرده وتلميذَهُ أبا العباس المرسي بالترجمة سيدي المربي ابنُ عطاء الله السكندريُّ في كتابه الماتع النفيس « لطائف المنن » ، وقد فوَّق ابن تيمية سهام نقده وطعنه على هٰذه الشخصية الجليلة المباركة المشهورة بالولاية والصلاح والمعرفة ، فعادت بفضل الله هٰذه السهام عليه ، ويكفي الإمامَ الشاذليَّ مدحاً تعظيمُ سلطان العلماء العز بن عبد السلام له ، وتلمذةُ وتعظيمُ واعتقاد الإمام المجتهد المجدد ابن دقيق العيد ، هٰذا ؛ وقد ترجمه الإمام الذهبي ترجمة مبتورة كعادته غالباً في تراجم أئمة الأشاعرة والتصوف ، ومع بتره هٰذا فإنَّ فيه غضّاً من حق هٰذا الإمام الجليل الكبير ، وقد ردَّ كلامه وكشف خباياه الإمام اليافعي في « مرآته » (٤/ ١٤٢ـ١٤٣) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ أبي حفصٍ عمرَ بنِ إبراهيمَ بنِ عمرَ الأنصاريُّ القرطبيُّ المالكيُّ ، المعروفُ بـ (ابنِ المُزيِّنِ) العدلُ[1]

سمعَ بقرطبةَ : مِنْ أبي الحسنِ ابنِ حفصٍ ، وبتِلِمْسانَ : مِنْ أبي عبدِ اللهِ التُّجِيبيِّ ، وبسبتةَ : مِنْ قاضيها أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ سليمانَ بنِ حوطِ اللهِ .

وقَدِمَ ديارَ مصرَ وسكنَ الإسكندريَّةَ ، واختصرَ « صحيحَ الإمامِ مسلمِ بنِ الحجاجِ » ، و« أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ إسماعيلَ البخاريِّ » ، وشرحَ « مُختصرَهُ لصحيحِ مسلمٍ » بكتابٍ سمَّاهُ « المفهمَ » ، وصنَّفَ غيرَ ذلكَ .

وكانَ مُتمسِّكاً بالكتابِ والسنَّةِ ، مُتمذْهِباً بمذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ ، صحيحَ الاعتقادِ ، أثنىٰ في كتابِهِ « مختصرِ البخاريِّ » على البخاريِّ في ردِّهِ علىٰ محمدِ بنِ يحيى الذُّهْليِّ ، ونوَّهَ بذكرِهِ ، ورفعَ بذلكَ شريفَ قدرِهِ .

وقالَ في الحديثَينِ اللذينِ ذكرَهُما البخاريُّ تعليقاً اللذينِ يُوهمانِ الصوتَ : (تنبيهٌ : هـٰذانِ الحديثانِ كلاهُما مُعلَّقٌ مقطوعٌ ، والأولُ موقوفٌ ، فلا يُعتمَدُ [عليهما] في كونِ اللهِ تعالىٰ مُتكلِّماً بصوتٍ ؛ فإنَّ كلامَهُ الذي هوَ صفتُهُ مُنزَّهٌ عنِ الحروفِ والأصواتِ ، لـٰكن يُعبَّرُ عنهُ بالحروفِ والأصواتِ ، كما دلَّتْ عليهِ الأدلَّةُ القاطعةُ)[2] .

(١) زاد في (أ ، ب) : (بالإسكندرية) ، ولعلها زيدت سهواً من « صلة التكملة » ، والسياق هنا مختلف عن الذي في « الصلة » .

(٢) أورده ابن الجوزي في « كشف المشكل » (٨/ ٣٨٧) ، والزركشي في « التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح » (ص ١٢٧٣) ، وانظر شبيه هـٰذا الكلام مختصراً في كتابه « المفهم » (٦/ ١٧١ـ١٧٢) .

وُلِدَ رضيَ اللهُ عنهُ بقرطبةَ سنةَ ثمانٍ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الرابعَ عشرَ مِنْ ذي القَعدةِ سنةَ ستٍّ وخمسينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (١/ ٤٠٠) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٨/ ٢٢٤ـ ٢٢٦) ، و« الديباج المذهب » (ص٦٨ـ ٧٠) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ الحافظُ زكيُّ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ العظيمِ بنُ أبي محمدٍ عبدِ القويِّ بنِ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ سلامةَ بنِ سعدِ بنِ سعيدٍ المُنذرِيُّ الشاميُّ الأصلِ المصريُّ الوفاةِ والدارِ ، الفقيهُ الشافعيُّ

مناقبُهُ أكثرُ مِنْ أنْ تُذكَرَ ، ومصنفاتُهُ أشهرُ ، منها المختصرُ ومنها الأخصرُ ، صنَّفَ في المذهبِ ، وتكلَّمَ على « المهذَّبِ » ، ولهُ « معجمُ أشياخِهِ » أعربَ فيهِ عن منازلِهِم ، وطرَّزَهُ بالتنبيهِ على شرفِ قدرِهِم وفخرِ أوائلِهِم ، ولهُ « التكملةُ » التي وصلَ بها « الوفياتِ » إلى عصرِهِ ، وعَدَّ فيها العلماءَ مِنْ مصرِهِ وغيرِ مصرِهِ[1] .

وكانَ رحمَهُ اللهُ يُستفادُ منهُ صحةُ الاعتقادِ ، ليسَ عليهِ في شيءٍ منهُ انتقادٌ ، سمعتُ غيرَ واحدٍ يذكرُ قصَّتَهُ معَ شيخِهِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ المُفضَّلِ المقدسيِّ حينَ أتاهُ ليقرأَ عليهِ ، فرآهُ وهوَ مُتردِّدٌ في أمرِهِ ـ في قصَّةٍ طويلةٍ ـ وقالَ لهُ : يا سيِّدي ؛ أنا أطلعُ على كرسيِّ القراءةِ ، وأقولُ في الميعادِ العامِّ : إنَّني على مُعتقَدِ الشيخِ أبي الحسنِ الأشعريِّ ، وإنَّني بريءٌ ممَّا يعتقدُهُ أهلُ كومِ الجارحِ[2] ، ففعلَ ذلكَ ، فحينَئذٍ أقرأَهُ وهوَ مُطمئنُّ الخاطرِ[3] .

كانَ الشيخُ عزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ يأتي مِنْ مدرسةِ الصالحِ إليهِ حتى يسمعَ

(١) ومن كتبه النفيسة الدالة على إتقانه في علم الحديث وإخلاصه : « الترغيب والترهيب » ، وهو مشهور متداول .

(٢) كوم الجارح : قرية بظاهر القاهرة ، وفي هذه القرية ولد الإمام المنذري رضي الله عنه .

(٣) انظر « نزهة الأنام » (ص٢٤٧) .

عليهِ ويستفيدَ منهُ ، وسُمِعَ غيرَ مرَّةٍ وهوَ يدعو لهُ في حضرتِهِ ومغيبِهِ بطولِ العمرِ[1] .

وفضائلُهُ كثيرةٌ ، **وكراماتُهُ شهيرةٌ** ، ويكفيهِ فخراً أنَّ مِنْ أصحابِهِ الشيخَ تقيَّ الدينِ بنَ دقيقِ العيدِ .

وُلِدَ رضيَ اللهُ عنهُ في غرَّةِ شعبانَ سنةَ إحدىٰ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ بمصرَ ، وتُوفِّيَ في رابعِ ذي القَعدةِ سنةَ ستٍّ وخمسينَ وستِّ مئةٍ ، ولمَّا ماتَ رثاهُ [. . .][2] .

* * *

(١) وحكى ابن السبكي في « طبقاته » (٨/ ٢٦١) عن والده : (أنَّ شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام كان يُسمع الحديث قليلاً بدمشق ، فلما دخل القاهرة بطَّل ذلك ، وصار يحضر مجلس الشيخ زكي الدين ويسمع عليه في جملة من يَسمع ولا يُسمع ، وأنَّ الشيخ زكي الدين أيضاً ترك الفتيا وقال : حيث دخل الشيخ عز الدين لا حاجة بالناس إليَّ) .

(٢) انقطاع في العبارة في (أ ، ب) ، وفي « طبقات الشافعيين » لابن كثير (ص ٨٧٦) بعد أن ذكر وفاته قال : (وشيَّعه خلق كثير ، ورثاه جماعة بقصائد) ، وللسراج الورَّاق مرثيَّة فيه ذكرها الحافظ السيوطي في « المحاضرات والمحاورات » (ص ٢٩٢ـ٢٩٣) ، ولعل المؤلف أراد أن يذكرها فلم يتيسَّر له ذلك ؛ إذ كثيراً ما ينقل عن السراج الورَّاق في كتابنا هٰذا ، وغالب هٰذا النقل يكون إمَّا بالسماع وإمَّا بالإجازة وإمَّا بكليهما ، وانظر « صلة التكملة » (١/ ٣٩٣ـ٣٩٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢٥٩ـ٢٦١) ، و« نزهة الأنام » (ص٢٤٦ـ٢٤٧) .

ومنهُمُ :

الشيخُ أبو الحسينِ يحيى بنُ عبدِ الوهابِ بنِ محمدِ بنِ عطيَّةَ التنوخيُّ المنعوتُ بـ (التاجِ) الإسكندريُّ

سمعَ الكثيرَ : مِنْ أبي الفضلِ جعفرِ بنِ أبي الحسنِ الهَمْدانيِّ ، وأبي القاسمِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ عبدِ المجيدِ الصَّفْراويِّ ، وكانَ فقيهاً أصولياً .

تُوفِّيَ تاسعَ جمادى الأولىٰ سنةَ سبعٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (١/ ٤١٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٨/ ٣٢٨) .

ومنهُمُ :

الإمامُ العالمُ الفاضلُ البارعُ شرفُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ الفِهْريُّ التِّلِمْسانيُّ الأصلِ المصريُّ الدارِ والمولدِ والوفاةِ

نشأَ بمصرَ ، وقرأَ بها القرآنَ الكريمَ ، وقرأَ الفقهَ على مشايخِ وقتِهِ ، والأصولَينِ على التقيِّ المُقترَحِ ، ومهرَ فيهما وبَرَعَ .

وسمعتُ غيرَ واحدٍ يقولُ : (كانَ قلمُ الشيخِ شرفٍ أفصحَ مِنْ لسانِهِ ، وكانَ لا يُجارَىٰ في البحثِ ، إلا أنَّهُ كانَ مُتثبِّتاً يبحثُ بتُؤَدَةٍ ، وكانَ يُفيدُ الطلبةَ ، ويُقرِّبُ لأذهانِهم) .

ومهرَ في العلومِ ، وصنَّفَ التصانيفَ ؛ فشرحَ « المعالمَينِ » أحسنَ شرحٍ[1] ، وشرحَ « لمعَ الأدلةِ » لإمامِ الحرمينِ وأتمَّهُ ، وأتمَّ « شرحَ المُقترحِ لإرشادِ إمامِ الحرمينِ »[2] ، وصنَّفَ في الخلافِ كتاباً سمَّاهُ : « إرشادَ السالكِ إلىٰ أبينِ المسالكِ » ، وشرحَ « التنبيهَ » لأبي إسحاقَ الشيرازيِّ ، وشرحَ « الجملَ » في النحوِ للزجَّاجِ ، ولهُ تعاليقُ في الخلافِ كثيرةٌ ، وفوائدُ .

وبالجملةِ : فانتفعَ عليهِ جماعةٌ مِنَ العلماءِ والفقهاءِ ، وتخرَّجَ بهِ الجمُّ

(١) أي : « معالم أصول الدين » و« معالم أصول الفقه » ، وكلاهما للإمام الكبير الفخر الرازي رحمه الله تعالى . انظر « فهرسة اللبلي » (ص٢٥) ، وذكر الإمام السيوطي في « حسن المحاضرة » (٢/٤١٣) أنَّ له شرحين على « المعالم » للإمام محيي الدين القليوبي ، والصواب ما ذكرت .

(٢) وكان الإمام المقترح قد وصل فيه إلى (بحث معجزات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم) انظر « فهرسة اللبلي » (ص٢٥) ، و« شرح الإرشاد » للمقترح (ص٥٢٢) .

الغفيرُ ، وكانَ حسنَ الديانةِ ، مستقيمَ الاعتقادِ .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ في صفرٍ سنةَ ثمانٍ وخمسينَ وستٍّ مئةٍ ، أخبرَني بذلكَ صِهْرُهُ[1] .

* * *

(١) انظر « فهرسة اللبلي » (ص٢٣ـ٢٧) ، و« طبقات الشافعية » للإسنوي (٢/ ١٥٢) ، ولم يعلما تاريخ وفاته ، وذكر الإمام السيوطي في « حسن المحاضرة » (١/ ٤١٣) أنه توفي سنة (٦٤٤هـ) ، ولعل ما أورده ابن المعلم ها هنا هو الصواب ؛ إذ ذكر اللبلي في « فهرسته » (ص١٢٤) أنَّ التلمساني حضر جنازة الخسروشاهي بدمشق سنة (٦٥٢هـ) ، وأيضاً الوفاة هنا منقولة عن أحد أقاربه اللصيقين به ، والله تعالى أعلم .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ ضياءُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الحكمِ بنُ زكيِّ الدينِ عبدِ المحسنِ الشافعيُّ

قرأَ العلمَ : على الضياءِ بنِ الورَّاقِ ، وأكملَ أشغالَهُ : على الفقيهِ بهاءِ الدينِ ابنِ الجُمَّيزيِّ[1] ، وتولَّى الإعادةَ عندَهُ ، وكانَ عالماً بالأصولَينِ ، وأُجيزَ بالفتيا .

ومِنْ غريبِ ما اتَّفقَ لهُ : أنَّهُ التمسَ مِنَ الفقيهِ بهاءِ الدينِ الإجازةَ بالفتيا ، فقالَ لهُ : ما شُيِّخَ الإمامُ ، لا بدَّ لكَ أنْ يكونَ على ذكرِكَ كتابٌ مِنْ كتبِ العراقيينَ تنقلُهُ وتُفتي منهُ ؛ فإنَّ العراقيينَ أقعدُ بنقلِ المذهبِ ، فانقطعَ عنهُ مدَّةً لطيفةً ، ثمَّ أتاهُ وقالَ لهُ : هـٰذا « المُهذَّبُ » قد قطعتُهُ قراءةً ، وأرجو أنْ أكونَ ذاكراً لهُ ، فأخذَ عليهِ الشيخُ بهاءُ الدينِ مواضعَ منهُ ، فوجدَهُ ذاكراً لجميعِهِ .

أخبرَني الشيخُ شهابُ الدينِ بنُ قاضي دمياطَ قالَ : (رأيتُهُ عقيبَ الصلواتِ يدعو ويبتهلُ ، ويقولُ : يا ربِّ ؛ شيخٌ كبيرٌ ، وقد فَنِيَ عمري في الاشتغالِ بكتابِكَ العزيزِ ، وسنَّةِ نبيِّكَ عليهِ السلامُ ، وقراءةِ العلمِ ، أسألُكَ بكتابِكَ الكريمِ ، ونبيِّكَ نبيِّ الرحمةِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ أنْ تُقيلَني عَثْرتي ، وأنْ تُحبِّبَ إليَّ ما حبَّبتَهُ إلىٰ نبيِّكَ ، يا أللهُ . . . ويتضرَّعُ ويبتهلُ .

فقلتُ : يا سيِّدي الشيخَ ضياءَ الدينِ ؛ لي مدَّةٌ مديدةٌ وأنا أنظرُكَ تتضرَّعُ وتبتهلُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ولا أعلمُ مطلوبَكَ ، قالَ : يا ولدي ؛ لا تَسَلْني ؛

(١) وبهاء الدين ابن الجميزي سبقت ترجمته في (٢/ ٢٥ـ ٢٨) ، وهو من أقران العز بن عبد السلام رحمهما الله تعالىٰ كما سبق في القصة التي أوردها المؤلف في ترجمته .

فإنِّي في ورطةٍ عظيمةٍ ، إنْ لم يُقِلْني اللهُ منها هلكتُ ، وبكى بكاءً شديداً ، فقلتُ : باللهِ عليكَ ـ وأقسمتُ عليهِ بأقسامٍ عظيمةٍ ـ إلا ما أخبرْتَني .

فقالَ : يا ولدي ؛ صحَّ عنِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ يحبُّ الدُّبَّاءَ وأجدُ باطني لا يميلُ إليهِ بل أكرهُهُ ، فباللهِ عليكَ ؛ اجمعْ لي بمَنْ تعرفُهُ مِنَ الصالحينَ وسَلْهُ أنْ يسألَ اللهَ أنْ يُحبِّبَهُ إليَّ ، قالَ : فزُرتُ جماعةً مِنَ المشايخِ والصلحاءِ وأخبرْتُهُم عن حالِهِ ، فكانُوا يدعُونَ لهُ ، وهوَ يدعو اللهَ عزَّ وجلَّ ويتضرَّعُ ويبتهلُ إلى أنْ أجابَ اللهُ دعاءَهُ .

فحضرَ معَنا ليلةً عندَ السَّنْجاريِّ ، فرأيتُهُ يُغالِبُنا على طبيخِ اليقطينِ كالسَّكْباجِ وغيرِها ، ويمعنُ منهُ ، فتعجَّبْنا لذلكَ !! فقالَ : واللهِ ؛ هوَ أحبُّ الأطعمةِ إليَّ اليومَ والحمدُ للهِ ، فعلمتُ أنَّ طالبَ العلمِ لا يُخيِّبُهُ اللهُ ، بل يحفظُهُ ويختمُ لهُ بالخيرِ) .

تُوفِّيَ سنةَ تسعٍ وخمسينَ وستِّ مئةٍ .

* * *

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ عزُّ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ السلامِ بنِ أبي القاسمِ السُّلَميُّ الشافعيُّ

قلتُ : هوَ الغوثُ الحاضرُ ، بلِ الغيثُ الماطرُ ، الذي رَدَعَ البدعَ ، وقَمَعَ أهلَ الرياءِ والسُّمَعِ ، ولم يَزَلْ لأدواءِ القلوبِ طبيباً ، وبالثناءِ على اللهِ تعالىٰ مُنزِّهاً وخطيباً ، وهوَ الشمسُ أضاءَ ، فملأَ الفضاءَ ، أطلعَهُ اللهُ علىٰ رأسِ المئةِ السابعةِ حينَ كادَتْ حُصونُ الحقِّ أنْ تطرقَ ، وجيوشُ أهلِ السنَّةِ أنْ تتفرَّقَ وتفرقَ ، فجدَّدَ لهـٰذهِ الأمَّةِ أمرَ دينِها ، وكبتَ عدوَّ السنَّةِ وسرَّ خَدينَها[1] ، الناطقُ بالحقِّ حينَ صُمَّتِ الآذانُ وصمتَتِ الألسنةُ ، والقائمُ بالحقِّ يدرأُ السيئةَ بالحسنةِ ، طالما عُرِضَ عليهِ المالُ فنفَّرَهُ إباؤهُ فأباهُ[2] ، وجاهدَ في اللهِ حقَّ جهادِهِ لمَّا هداهُ واجتباهُ ، وردَّ على الملوكِ أوامرَهُم ، وهدىٰ إلى الحقِّ أكابرَهُم ، ولم يكنْ ذلكَ بلينٍ مِنَ الكلامِ ، ولا مداهنةٍ في المَلقىٰ والسلامِ ،

(١) الخَدين : الصاحب والصديق .

(٢) بل طالما بذل المال الكثير ، حتىٰ يجبر القلب الكسير ، وينالَ من الله الأجر الكبير ؛ قال الإمام التاج ابن السبكي في « الطبقات » (٨/ ٢١٤) : (وحكىٰ قاضي القضاة بدر الدين ابن جماعة رحمه الله : أن الشيخ لما كان بدمشق وقع مرَّة غلاء كبير ، حتىٰ صارت البساتين تباع بالثمن القليل ، فأعطته زوجته مصاغاً لها ، وقالت : اشتر لنا به بستاناً نصيف به ، فأخذ ذلك المصاغ وباعه وتصدَّق بثمنه ، فقالت : يا سيدي ؛ اشتريت لنا ؟ قال : نعم ، بستاناً في الجنة ، إني وجدت الناس في شدة فتصدَّقت بثمنه ، فقالت له : جزاك الله خيراً .
وحكي أنه كان مع فقره كثيرَ الصدقات ، وأنه ربَّما قطع من عمامته وأعطىٰ فقيراً يسأله إذا لم يجد معه غير عمامته) .

بل يدخلُ راكباً إلىٰ إيوانِهم ، إعزازاً للعلمِ في أذهانِهم ، وهم معَ ذلكَ يُقابلُونَـهُ بالتعظيمِ والتبجيلِ ، ويُحلُّونَهُ إذْ يُجلُّونَهُ فوقَ الرؤوسِ كما يستحقُّهُ محلُّهُ الجليلُ ، ويتبرَّكُونَ بتقبيلِ بَنانِهِ ، ويتلقَّفُونَ صوبَ الصوابِ مِنْ هُدَىٰ فُتياهُ وهَدْيِ بيانِهِ ، ومناقبُهُ أكثرُ مِنْ أنْ تُحصَرَ .

سمعتُ الشيخَ الإمامَ العالمَ وجيهَ الدينِ أبا محمدٍ عبدَ الوهابِ بنَ حسينٍ يقولُ : (كانَ الشيخُ عزُّ الدينِ رحمَهُ اللهُ يقولُ : مَضَتْ لي ثلاثونَ سنةً لا أنامُ كلَّ ليلةٍ إلا بعدَ أنْ أُمِرَّ أبوابَ الشريعةِ علىٰ خاطري) .

وكانَ يقولُ عنهُ : (إنَّهُ كانَ يقولُ : ما احتجتُ في علمٍ مِنَ العلومِ إلىٰ أنْ أُكمِلَهُ على الشيخِ الذي كنتُ أقرؤُهُ عليهِ ، وما توسَّطتُ علىٰ شيخٍ مِنَ المشايخِ الذينَ كنتُ أقرأُ عليهِم في علمٍ إلا وقالَ ليَ الشيخُ : قدِ استغنيتَ عنِّي ، فاشتغلْ معَ نفسِكَ ، ولم أَقْنَعْ بذلكَ ، بل لا أبرحُ حتىٰ أُكمِلَ الكتابَ الذي أقرؤُهُ في ذلكَ العلمِ) .

صنَّفَ الشيخُ عزُّ الدينِ الكتبَ في سائرِ العلومِ[1] ؛ فمِنْ ذلكَ : « كتابُهُ في التفسيرِ » ، وقفتُ عليهِ بخطِّهِ في مجلدٍ ضخمٍ بخطٍّ دقيقٍ يكونُ تقديرَ مجلدينِ ، تكلَّمَ فيهِ على المعاني مُختصَراً .

ومنها : اختصارُهُ لـ « صحيحِ مسلمِ بنِ الحجاجِ القُشيريِّ » ، وقفتُ عليهِ بخطِّهِ ، وقُرِئَ في درسِ الإمامِ وجيهِ الدينِ بحضوري ، وكملَ عليهِ مرتينِ .

ومنها : كتابُهُ المُسمَّىٰ بـ « المجازِ » ، ومِنْ ذلكَ : كتابُهُ المُسمَّىٰ بـ « قواعدِ الإسلامِ »[2] ، ومِنْ ذلكَ : كتابُهُ في « مناسكِ الحجِّ » ، ومِنْ ذلكَ :

(١) انظر تعداد هـٰذه المؤلفات في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢٤٧ـ٢٤٨) .

(٢) قال الإمام التاج السبكي في « الطبقات » (٨/ ٢٤٧) عن هـٰذا الكتاب والذي قبله : (وهـٰذان الكتابان شاهدان بإمامته وعظيم منزلته في علوم الشريعة) .

كتابُهُ المُسمَّىٰ بـ « الغايةِ في اختصارِ النهايةِ »[1] ، ومِنْ ذلكَ : كتابُهُ الذي تكلَّمَ فيهِ على الإيمانِ ووجوهِهِ ومعانيهِ ، وفرَّقَ بينَهُ وبينَ الإسلامِ ، ومِنْ ذلكَ : كتابُهُ المُسمَّىٰ : « بدايةَ السولِ في تفضيلِ الرسولِ » .

ولهُ كتابٌ مفرَدٌ في الصومِ وفضلِهِ والكلامِ فيهِ ، ومِنْ ذلكَ : كتابُهُ المُسمَّىٰ : « مقاصدَ الصلاةِ » .

عقيدة العزّ بن عبد السلام في مسألة الكلام
المسمّاة : « الملحة في اعتقاد أهل الحق »[2]

ومِنْ ذلكَ : كتابُهُ المُسمَّىٰ بـ « الملحةِ في تصحيحِ العقيدةِ »[3] .

أخبرَني المشايخُ شرفُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عمرانَ الحسينيُّ[4] ، والشيخُ العارفُ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ ابنُ النعمانِ ، والشيخُ رضيُّ الدينِ محمدُ بنُ عمرَ القَسَنْطِينيُّ ، والشيخُ نورُ الدينِ عليُّ بنُ أبي الوحشِ بنِ أحمدَ العينيُّ ـ مِنْ رأسِ عينٍ ـ وغيرُ واحدٍ مِنْ أصحابِ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ؛ قالُوا كلُّهُم :

قالَ الشيخُ الإمامُ العالمُ الفقيهُ بقيَّةُ السلفِ ، عمدةُ الخلفِ ، شيخُ

(١) أي : « نهايةِ المطلب في درايةِ المذهب » لإمام الحرمين أبي المعالي الجويني .

(٢) وهٰذه العقيدة عبارة عن فتوىٰ أرسلها بعض المشبهة امتحاناً وافتتاناً للإمام ابن عبد السلام حتىٰ يسقطوا موضعه عند السلطان ، وكان الإمام قد اتصل به ذلك ، فلما جاءته الفتيا قال : (هٰذه الفتيا كُتبت امتحاناً لي ، والله ؛ لا كتبت فيها إلا ما هو الحق) ، وهٰذه الفتنة التي تعرض لها الإمام كانت في دمشق قبل قدومه إلىٰ مصر ، وألَّف ابنه عبدُ اللطيف بأمر منه مُصنَّفاً ذكر فيه المحنة التي تعرض لها والده ، وسماه : « إيضاح الكلام فيما جرىٰ للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام » ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢١٨) ، وما سيأتي في (٢/ ٥٠٠ـ ٥١٩) .

(٣) أو « الملحة في اعتقاد أهل الحق » كما في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢٣٩) .

(٤) كذا في (أ، ب)، وانظر ما سيأتي تعليقاً (٢/ ٢٠٧) .

الإسلامِ ، عزُّ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ السلامِ الشافعيُّ السُّلَميُّ رضيَ اللهُ عنهُ :

(الحمدُ للهِ ذي العِزَّةِ والجلالِ ، والقدرةِ والكمالِ ، والإنعامِ والإفضالِ ، الواحدِ الأحدِ ، الفردِ الصمدِ ، الذي لم يَلِدْ ولم يُولَدْ ، ولم يكنْ لهُ كُفُواً أَحَدٌ ، وليسَ بجسمٍ مُصوَّرٍ ، ولا جوهرٍ محدودٍ مُقدَّرٍ ، ولا يُشبِهُ شيئاً ، ولا يُشبِهُهُ شيءٌ ، ولا تُحيطُ بهِ الجهاتُ ، ولا تكتنفُهُ الأرَضُونَ ولا السماواتُ ، كانَ قبلَ أنْ كوَّنَ المكانَ ودبَّرَ الزمانَ ، وهوَ الآنَ على ما عليهِ كانَ .

خلقَ الخلقَ وأعمالَهُم، وقدَّرَ أرزاقَهُم وآجالَهُم ؛ فكلُّ نعمةٍ منهُ فهيَ فضلٌ، وكلُّ نِقْمةٍ فهيَ عدلٌ ، ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٣] .

استوىٰ على العرشِ المجيدِ على الوجهِ الذي قالَهُ ، وبالمعنى الذي أرادَهُ ، استواءً مُنزَّهاً عنِ المُماسَّةِ والاستقرارِ ، والتمكُّنِ والحلولِ والانتقالِ ، فتعالى اللهُ الكبيرُ المتعالِ ، عمَّا يقولُهُ أهلُ الغَيِّ والضلالِ ، بل لا يحملُهُ العرشُ ، بلِ العرشُ وحَمَلَتُهُ محمولُونَ بلطفِ قدرتِهِ ، ومقهورُونَ في قبضتِهِ ، أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً ، وأحصىٰ كلَّ شيءٍ عدداً ، مُطَّلِعٌ علىٰ هواجسِ الضمائرِ ، وحركاتِ الخواطرِ .

حيٌّ ، مُريدٌ ، سميعٌ ، بصيرٌ ، عليمٌ ، قديرٌ ، مُتكلِّمٌ بكلامٍ قديمٍ أزليٍّ ليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ ، ولا يُتصوَّرُ في كلامِهِ أنْ ينقلبَ مِداداً في الألواحِ والأوراقِ ، شَكْلاً ترمقُهُ العيونُ والأحداقُ ، كما زعمَ أهلُ الحشوِ والنفاقِ ، بلِ الكتابةُ مِنْ أفعالِ العبادِ ، ولا يُتصوَّرُ في أفعالِهِم أنْ تكونَ قديمةً ، ويجبُ احترامُها لدَلالتِها علىٰ كلامِهِ ، كما يجبُ احترامُ أسمائِهِ لدَلالتِها علىٰ ذاتِهِ ، وحُقَّ لما دلَّ عليهِ وانتسبَ إليهِ أنْ يُعتقَدَ [عظمتُهُ] ، وتُرعىٰ حُرْمتُهُ ؛ ولذلكَ

يجبُ احترامُ الكعبةِ والأنبياءِ ، والعُبَّادِ والعلماءِ .

أَمُرُّ عَلَى ٱلدِّيَارِ دِيَارِ لَيْلَىٰ أُقَبِّلُ ذَا ٱلْجِدَارَ وَذَا ٱلْجِدَارَا[1]

ولمثلِ ذلكَ يُقبَّلُ الحجرُ الأسودُ ، ويحرمُ على المُحدِثِ أنْ يمسَّ المصحفَ ؛ أسطرَهُ وحواشيَهُ التي لا كتابةَ فيها ، وجلدَهُ وخريطتَهُ التي هوَ فيها ، فويلٌ لمَنْ زَعَمَ أنَّ كلامَ اللهِ القديمَ شيءٌ مِنْ ألفاظِ العبادِ ، أو رسمٌ مِنْ أشكالِ المِدادِ .

واعتقادُ الأشعريِّ رحمَهُ اللهُ مُشتمِلٌ على ما دلَّتْ عليهِ أسماءُ اللهِ التسعةُ والتسعونَ ، التي سمَّى بها نفسَهُ في كتابِهِ وسنَّةِ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأسماؤُهُ مُندرِجةٌ في أربعِ كلماتٍ ؛ هُنَّ الباقياتُ الصالحاتُ :

الكلمةُ الأولى : قولُ : « سبحانَ اللهِ » ، ومعناها في كلامِ العربِ : التنزيهُ والسَّلْبُ ، فهيَ مُشتمِلةٌ على سلبِ النقصِ والعيبِ عن ذاتِ اللهِ تعالى وصفاتِهِ ؛ فما كانَ مِنْ أسمائِهِ سلباً فهوَ مُندرِجٌ تحتَ هذهِ [الكلمةِ] ؛ كالقُدُّوسِ ؛ وهوَ الطاهرُ مِنْ كلِّ عيبٍ ، والسلامِ ؛ وهوَ الذي سَلِمَ مِنْ كلِّ آفةٍ .

الكلمةُ الثانيةُ : قولُ : « الحمدُ للهِ » ، وهيَ مشتملةٌ على إثباتِ ضروبِ الكمالِ لذاتِهِ وصفاتِهِ ؛ فما كانَ مِنْ أسمائِهِ إثباتاً ؛ كالعليمِ والقادرِ والقديرِ والسميعِ والبصيرِ . . فهوَ مُندرِجٌ تحتَ الكلمةِ الثانيةِ .

فقد نفَينا بقولِنا : « سبحانَ اللهِ » كلَّ عيبٍ عَقَلْناهُ ، وكلَّ نقصٍ فَهِمْناهُ ، وأثبتْنا بـ « الحمدُ للهِ » كلَّ كمالٍ عَرَفْناهُ ، وكلَّ جلالٍ أدركْناهُ .

(١) البيت لمجنون ليلى قيس بن الملوح ، كما في « خزانة الأدب » (٤/٢٢٨) ، و« زهر الأكم » (٣/٧٦) ، وليس في « ديوانه » الذي برواية أبي بكر الوالبي ، وهو من الوافر .

ووراءَ ما نَفَيناهُ وأثبتْناهُ شأنٌ عظيمٌ ، قد غابَ عنَّا وجَهِلْناهُ ، فنُحقِّقُهُ مِنْ جهةِ الإجمالِ بقولِنا : « اللهُ أكبرُ » وهيَ الكلمةُ الثالثةُ ؛ بمعنىٰ : أنَّهُ أجلُّ ممَّا نفَيناهُ وأثبتْناهُ ؛ وذلكَ معنىٰ قولِهِ عليهِ السلامُ : « لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ »[1] ، فما كانَ مِنْ أسمائِهِ مُتضمِّناً لمدحٍ فوقَ ما عَرَفْناهُ وأدركْناهُ ؛ كالأعلىٰ والمُتعالي . . فهوَ مُندرِجٌ تحتَ قولِنا : « اللهُ أكبرُ » .

فإذا كانَ في الوجودِ مَنْ هٰذا شأنُهُ نَفَينا أنْ يكونَ في الوجودِ مَنْ يُشاكِلُهُ أو يُناظِرُهُ ، فحقَّقْنا ذلكَ بقولِنا : « لا إلٰهَ إلا اللهُ » ، وهيَ الكلمةُ الرابعةُ ؛ فإنَّ الألوهيَّةَ ترجعُ إلى استحقاقِ العبوديَّةِ لهُ ، ولا يستحقُّ العبوديَّةَ إلا مَنِ اتَّصفَ بجميعِ ما ذكرْناهُ .

فما كانَ مِنْ أسمائِهِ مُتضمِّناً للجميعِ على الإجمالِ ؛ كالواحدِ والأحدِ وذي الجلالِ والإكرامِ . . فهوَ مُندرِجٌ تحتَ قولِنا : « لا إلٰهَ إلا اللهُ » ، وإنَّما يستحقُّ العبوديَّةَ ؛ لما وَجَبَ لهُ مِنْ أوصافِ الجلالِ ، ونعوتِ الكمالِ ، الذي لا يصفُهُ الواصفُونَ ، ولا يعُدُّهُ العادُّونَ .

حُسْنُكَ لاَ تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ كَالْبَحْرِ حَدِّثْ عَنْهُ بِلاَ حَرَجِ[2]

فسبحانَ مَنْ عَظُمَ شأنُهُ ، وعزَّ سلطانُهُ !! يسألُهُ مَنْ في السماواتِ والأرضِ ؛ لافتقارِهِم إليهِ ، كلَّ يومٍ هوَ في شأنٍ ؛ لاقتدارِهِ عليهِ ، لهُ الخلقُ والأمرُ ، والسلطانُ والقهرُ ؛ فالخلائقُ مقهورُونَ في قبضتِهِ ، والسماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بيمينِهِ ، يُعذِّبُ مَنْ يشاءُ ويرحمُ مَنْ يشاءُ ، وإليهِ تُقلَبُونَ .

فسبحانَ الأزليِّ الذاتِ والصفاتِ ، ومُحيي الأمواتِ ، وجامعِ الرُّفاتِ ، العالِمِ بما كانَ وما هوَ آتٍ !!

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٢) البيت للشريف المرتضىٰ في « ديوانه » (١/ ٢٤٢) ، وهو من المنسرح .

ولو أُدرِجَتِ **الباقياتُ الصالحاتُ** في كلمةٍ منها على سبيلِ الإجمالِ ؛ وهيَ : « الحمدُ للهِ » . . لاندرجَتْ فيها ؛ كما قالَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ : « لو شئتُ أنْ أُوقِرَ بعيراً مِنْ قولِكَ : الحمدُ للهِ . . فعلتُ »[1] ؛ فإنَّ الحمدَ هوَ الثناءُ ، والثناءُ يكونُ بإثباتِ الكمالِ تارةً ، وبسلبِ النقصِ أخرىٰ ، وتارةً بالاعترافِ بالعجزِ عن دَرْكِ الإدراكِ ، وتارةً بإثباتِ التفرُّدِ بالكمالِ ، والتفرُّدُ بالكمالِ مِنْ أعلىٰ مراتبِ المدحِ والكمالِ .

فقدِ اشتملَتْ هـٰذهِ الكلمةُ علىٰ ما ذكرْنا في الباقياتِ الصالحاتِ ؛ لأنَّ الألفَ واللامَ فيها لاستغراقِ جنسِ المدحِ والحمدِ ممَّا علمْناهُ وجَهِلْناهُ ، ولا خروجَ للمدحِ عن شيءٍ ممَّا ذكرْناهُ ، ولا يستحقُّ الإلـٰهيَّةَ إلا مَنِ اتَّصفَ بجميعِ ما قرَّرْناهُ .

ولا يخرجُ عن هـٰذا اعتقادُ مَلَكٍ مُقرَّبٍ ، ولا نبيٍّ مُرسَلٍ ، ولا أحدٍ مِنْ أهلِ المِلَلِ ، إلا مَنْ خذلَهُ اللهُ ، فاتَّبعَ هواهُ ، وعصىٰ مولاهُ ، أولـٰئكَ قومٌ قد غمرَهُم ذُلُّ الحجابِ ، وطُرِدُوا عنِ البابِ ، وقعدوا عن ذلكَ الجَنابِ[2] ، وحُقَّ لمَنْ حُجِبَ في الدنيا عن إجلالِهِ ومعرفتِهِ ، أنْ يُحجَبَ في الآخرةِ عن إكرامِهِ ورؤيتِهِ .

اِرْضَ لِمَـنْ غَـابَ عَنْـكَ غَيْبَتَـهُ فَـذَاكَ ذَنْـبٌ عِقَـابُـهُ فِيـهِ[3]

فهـٰذا إجمالٌ مِنِ اعتقادِ الأشعريِّ ، واعتقادِ السلفِ ، وأهلِ الطريقةِ والحقيقةِ ، نسبتُهُ إلى التفصيلِ الواضحِ ، كنسبةِ القطرةِ إلى البحرِ الطافحِ .

(١) أورده أبو طالب المكي في « القوت » (١/١٥٢) ، والغزالي في « الإحياء » (٢/٣٠٢) بلفظ : (لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً في تفسير « فاتحة الكتاب ») .

(٢) في « طبقات الشافعية الكبرى » : (وبعدوا) بدل (وقعدوا) .

(٣) البيت لابن التلميذ الطبيب في « عيون الأنباء » (ص٣٦٢) ، و« وفيات الأعيان » (٦/٧٠) ، وهو من المنسرح .

يَعْـرِفُـهُ ٱلْبَـاحِـثُ مِـنْ جِنْسِـهِ وَسَـائِـرُ ٱلنَّـاسِ لَـهُ مُنْكِـرُ
لَقَدْ ظَهَرْتَ فَلاَ تَخْفَىٰ عَلَىٰ أَحَدٍ إِلا عَلَىٰ أَكْمَهٍ لاَ يَعْرِفُ ٱلْقَمَرَا[1]

والحشويَّةُ المُشبِّهةُ الذينَ يُشبِّهُونَ اللهَ بخلقِهِ ضربانِ :

أحدُهُما : لا يتحاشىٰ مِنْ إظهارِ الحشوِ ، ويحسبُونَ أنَّهُم علىٰ شيءٍ ، ألا إنَّهُم همُ الكاذبُونَ .

والآخَرُ : يتستَّرُ بمذهبِ السلفِ ؛ لسُحْتٍ يأكلُهُ ، أو حُطامٍ يأخذُهُ .

أَظْهَـرُوا لِلنَّـاسِ نُسْكـاً وَعَلَـى ٱلْمَنْقُـوشِ دَارُوا[2]

يريدُونَ أنْ يأمنُوكُم ويأمنُوا قومَهُم .

ومذهبُ السلفِ : إنَّما هوَ التوحيدُ والتنزيهُ ، دونَ التشبيهِ والتجسيمِ .

وكذلكَ جميعُ المبتدعةِ يزعمُونَ أنَّهُم علىٰ مذهبِ السلفِ ، وهم كما قالَ القائلُ : [من الوافر]

وَكُـلٌّ يَـدَّعُـونَ وِصَـالَ لَيْلَـىٰ وَلَيْلَـىٰ لا تُقِـرُّ لَهُـمْ بِـذَاكَـا[3]

وكيفَ يُدَّعىٰ على السلفِ أنَّهُم يعتقدُونَ التجسيمَ والتشبيهَ ، أو يسكتُونَ عندَ ظهورِ البدعِ ويخالفُونَ قولَهُ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٤٢] ، وقولَهُ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ ﴾ [آل عمران: ١٨٧] ، وقولَهُ : ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]؟!

(١) البيت الأول أورده سبط ابن الجوزي في « مرآة الزمان » (١٥/ ٤٤٣) ، وهو من السريع ، والبيت الثاني لذي الرمة في « ديوانه » (ص٩٤) ، وهو من البسيط .

(٢) أورده الجاحظ في « الحيوان » (٣/ ٤٦٧) ، وعزاه للعلاء بن الجارود ، وبنحوه ابن عبد ربه في « العقد الفريد » (٣/ ١٦٩) ، وعزاه لمحمود الوراق ، وهو من مجزوء الرمل ، والمنقوش : الدينار .

(٣) أورده ابن أبي حجلة في « ديوان الصبابة » (ص٤) .

والعلماءُ ورثةُ الأنبياءِ ، فيجبُ عليهم مِنَ البيانِ ما وجبَ على الأنبياءِ ؛ فقالَ تعالىٰ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران : ١٠٤] ، **ومِنْ أنكرِ المُنكراتِ التجسيمُ والتشبيهُ** ، ومِنْ أفضلِ المعروفِ التوحيدُ والتنزيهُ ، وإنَّما سكتَ السلفُ قبلَ ظهورِ البِدَعِ .

فوربِّ السماءِ ذاتِ الرَّجْعِ ، والأرضِ ذاتِ الصَّدْعِ ؛ لقد تشمَّرَ السلفُ للبدعِ لمَّا ظهرَتْ ، فقمعُوها أتمَّ القَمْعِ ، وردعُوا أهلَها أشدَّ الرَّدْعِ ، فردُّوا على القَدَرِيَّةِ والجَهْمِيَّةِ والجَبْرِيَّةِ وغيرِهم مِنْ أهلِ البِدَعِ ، فجاهدُوا في اللهِ حقَّ جهادِهِ ، **والجهادُ ضربانِ** : ضربٌ بالجدلِ والبيانِ ، وضربٌ بالسيفِ والسِّنانِ .

فليتَ شعري !! ما الفرقُ بينَ مُجادَلةِ الحشويَّةِ وغيرِهم مِنْ أهلِ البدعِ لولا خُبْثٌ في الضمائرِ ، وسوءُ اعتقادٍ في السرائرِ ؟! ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ ﴾ [النساء : ١٠٨] .

فإذا سُئِلَ أحدُهُم عن مسألةٍ مِنْ مسائلِ الحشوِ . . أمرَ بالسكوتِ [عنْ] ذلكَ ، وإذا سُئِلَ عن غيرِ الحشوِ مِنَ البدعِ . . أجابَ فيهِ بالحقِّ ، ولولا ما انطوىٰ عليهِ باطنُهُ مِنَ التجسيمِ والتشبيهِ . . لأجابَ في مسائلِ الحشوِ بالتوحيدِ والتنزيهِ[1] .

ولم تَزَلْ هٰذهِ الطائفةُ المُبتدِعةُ قد ضُرِبَتْ عليهِمُ الذِّلَّةُ أينَما ثُقِفُوا ، كلَّما أوقدُوا ناراً للحربِ أطفأَها اللهُ ، ويسعَوْنَ في الأرضِ فساداً ، واللهُ لا يُحِبُّ

(١) وسبق في (١/ ٢٩٣) قوله لأبي عبد الله الكركي شيخ المصنف : (ومن قال : « أنا لا أؤول ، إنما أنا على مذهب السلف أومن بها على ما جاءت » ، وسرد العبارات التي يصادم بها الحشوية . . فاعلم أنه في الباطن يقول بالظاهر ، ويعتقد مذهب الحشوية والمجسمة) .

المفسدينَ ، لا تلوحُ لهُم فُرْصةٌ إلا طارُوا إليها ، ولا فتنةٌ إلا أكبُّوا عليها .

وابنُ حنبلٍ وأصحابُهُ وسائرُ فضلاءِ علماءِ السلفِ . . بُرآءُ ممَّا نسبُوهُ إليهِم واختلقُوهُ عليهِم ، وكيفَ يُظَنُّ بأحمدَ وغيرِهِ مِنَ العلماءِ أنْ يعتقدُوا أنَّ وصفَ اللهِ القديمَ القائمَ بذاتِهِ هوَ عينُ لفظِ اللافظينَ ، ومِدادِ الكاتبينَ ؟! معَ أنَّ وصفَ اللهِ قديمٌ ، وهـٰذهِ الألفاظُ والأشكالُ حادثةٌ بضرورةِ العقلِ وصريحِ النقلِ ، وقد أخبرَ اللهُ تعالىٰ عن حدوثِها في ثلاثةِ مواضعَ مِنْ كتابِهِ :

الموضعُ الأولُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء : ٢] ، فجعلَ الآتيَ مُحدَثاً ، فمَنْ زعمَ أنَّهُ قديمٌ فقد ردَّ على اللهِ سبحانَهُ وتعالىٰ ، وإنَّما هـٰذا المُحدَثُ دليلٌ على القديمِ ، كما أنَّا إذا كتبْنا اسمَ اللهِ عزَّ وجلَّ في ورقةٍ لم يكُنِ الربُّ القديمُ حالّاً تلكَ الورقةَ . . فكذلكَ إذا كُتِبَ الوصفُ القديمُ في شيءٍ ؛ لم يحلَّ الوصفُ القديمُ حيثُ حلَّتِ الكتابةُ .

الموضعُ الثاني : قولُهُ : ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة : ٣٨-٤٠] ، وقولُ الرسولِ صفةٌ للرسولِ ، ووصفُ الحادثِ حادثٌ يدُلُّ على الكلامِ القديمِ ، فمَنْ زعمَ أنَّ قولَ الرسولِ قديمٌ فقد ردَّ علىٰ ربِّ العالمينَ .

ولم يقتصرْ سبحانَهُ على الإخبارِ بذلكَ حتىٰ أقسمَ علىٰ ذلكَ بأتمِّ الإقسامِ ؛ فقالَ : ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ أي : تُشاهِدُونَ ، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ أي : ما لا تَرَونَهُ ، واندرجَ في هـٰذا القَسَمِ صفاتُهُ ، وغيرُ ذلكَ مِنْ مخلوقاتِهِ .

الموضعُ الثالثُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ * ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ * وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [التكوير : ١٥-١٩] .

والعجبُ ممَّنْ يقولُ : « القرآنُ مُركَّبٌ مِنْ حروفٍ وأصواتٍ » ، ثمَّ يزعمُ أنَّهُ في المصحفِ !! وليسَ في المصحفِ إلا حرفٌ مُجرَّدٌ لا صوتَ معَهُ ؛ إذْ

ليسَ فيهِ حرفٌ مُتكوِّنٌ عن صوتٍ ؛ فإنَّ الحرفَ اللفظيَّ ليسَ هوَ الشكلَ الكتابيَّ ؛ ولذلكَ يُدرَكُ الحرفُ اللفظيُّ بالآذانِ ولا يُشاهَدُ بالعِيانِ ، ويُشاهَدُ الشكلُ الكتابيُّ بالعِيانِ ولا يُسمَعُ بالآذانِ ، ومَنْ توقَّفَ في ذلكَ لم يُعَدَّ مِنَ العقلاءِ ، فضلاً عنِ العلماءِ ، **فلا كثَّرَ اللهُ في المسلمينَ مِنْ أهلِ البدعِ والأهواءِ ، والإضلالِ والإغواءِ .**

ومَنْ قالَ بأنَّ الوصفَ القديمَ حالٌّ في المصحفِ . . لزمَهُ إذا احترقَ المُصحفُ أنْ يقولَ بأنَّ وصفَ اللهِ القديمَ احترقَ ، سبحانَهُ وتعالىٰ عمَّا يقولُونَ عُلُوّاً كبيراً !! ومِنْ شأنِ القديمِ ألا يلحقَهُ تغيُّرٌ ولا عدمٌ ؛ فإنَّ ذلكَ مُنافٍ للقِدَمِ .

فإن زعمُوا أنَّ القرآنَ مكتوبٌ في المصحفِ غيرُ حالٍّ فيهِ كما يقولُهُ الأشعريُّ . . فلِمَ يلعنُونَ الأشعريَّ رحمَهُ اللهُ ؟! وإنْ قالُوا بخلافِ ذلكَ ، فانظُرْ كيفَ يفترُونَ على اللهِ الكذبَ وكفىٰ بهِ إثماً مبيناً ، ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [الزمر : ٦٠] .

وأمَّا قولُهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ [الواقعة : ٧٧ـ ٧٨] . . فلا خلافَ بينَ أئمَّةِ العربيَّةِ أنَّهُ لا بدَّ مِنْ كلمةٍ محذوفةٍ يتعلَّقُ بها قولُهُ : ﴿ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ ، ويجبُ القطعُ بأنَّ ذلكَ المحذوفَ تقديرُهُ : مكتوبٌ في كتابٍ مكنونٍ ؛ لما ذكرْناهُ ، وما دلَّ عليهِ العقلُ الشاهدُ بالوَحدانيَّةِ وبصحَّةِ الرسالةِ ، وهوَ مَناطُ التكليفِ بإجماعِ المسلمينَ .

وإنَّما لم يُستدَلَّ بالعقلِ على القومِ ـ وكفىٰ بهِ شاهداً ـ لأنَّهُم لا يسمعُونَ شهادتَهُ ، معَ أنَّ الشرعَ قد عدَّلَ العقلَ وقَبِلَ شهادتَهُ ، واستدلَّ بهِ في مواضعَ مِنْ كتابِهِ ؛ كالاستدلالِ بالإنشاءِ على الإعادةِ ، وكقولِهِ : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] ، وقولِهِ : ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا

خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون : ٩١] ، وقولِهِ : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

فيا خيبةَ مَنْ ردَّ شاهداً قَبِلَهُ اللهُ ، وأسقطَ دليلاً نصبَهُ [اللهُ] ، وهم يرجعُونَ إلى المنقولِ ؛ فلذلكَ استدلَلْنا بالمنقولِ وتركْنا المعقولَ كَمِيناً ؛ إنِ احتجْنا إليهِ أبرزْناهُ ، وإنْ لم نحتجْ إليهِ أخَّرناهُ .

وقد جاءَ في الحديثِ : « مَنْ قَرَأَ ٱلْقُرْآنَ وَأَعْرَبَهُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَمْ يُعْرِبْهُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ »[1] ، والقديمُ لا يكونُ مَعِيباً باللحنِ وكاملاً بالإعرابِ ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٣٩] ، وإذا أخبرَ الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّا نُجزىٰ علىٰ قراءةِ القرآنِ . . دلَّ علىٰ أنَّهُ مِنْ أعمالِنا ، وليسَتْ أعمالُنا بقديمةٍ .

وإنَّما أُتِيَ القومُ مِنْ قِبَلِ جهلِهم بكتابِ اللهِ ، وسنَّةِ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ولسانِ العربِ ، وسَخافةِ العقلِ ، وبَلادةِ الذهنِ ؛ **فإنَّ القرآنَ لفظٌ يُطلَقُ** في الشرعِ واللسانِ على الوصفِ القديمِ ، **ويُطلَقُ** على القراءةِ الحادثةِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٧] **أراد بـ « قرآنَهُ »** : قراءتَهُ ؛ إذْ ليسَ للقرآنِ قرآنٌ آخرُ ، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٨] أي : قراءتَهُ ؛ فالقراءةُ غيرُ المقروءِ ، والقراءةُ حادثةٌ ، والمقروءُ قديمٌ ، كما أنَّا إذا ذكَرْنا اللهَ عزَّ وجلَّ ؛ كانَ الذكرُ حادثاً ، والمذكورُ قديماً .

[فهٰذهِ] **نبذةٌ مِنْ مذهبِ الأشعريِّ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ** .

إِذَا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوهَا ... فَإِنَّ ٱلْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ[2]

(١) أخرجه بنحوه الخطيب في « المتفق والمفترق » (١٤٥٤) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والطبراني في « الأوسط » (٤٩٢٠) عن سيدتنا عائشة رضي الله عنها .

(٢) سبق تخريجه (١/ ٥٨٧) .

والكلامُ في مثلِ هـٰذا يطولُ ، ولولا ما وجبَ على العلماءِ مِنْ إعزازِ الدينِ ، وإخمالِ المُبتدِعِينَ ، وما طوَّلَتْ بهِ الحشويَّةُ ألسنتَهُم في هـٰذا الزمانِ مِنَ الطعنِ في أعراضِ المُوحِّدينَ ، والإزراءِ علىٰ كلامِ المُنزِّهينَ . . لَمَا أطلْتُ النَّفَسَ في مثلِ هـٰذا الموضعِ معَ اتِّضاحِهِ ، ولـٰكنْ قد أمرَ اللهُ بالجهادِ في نصرةِ دينِهِ ؛ إلا أنَّ سلاحَ العالمِ علمُهُ ولسانُهُ ، كما أنَّ سلاحَ المَلِكِ سيفُهُ وسِنانُهُ ، وكما لا يجوزُ للملوكِ إغمادُ أسلحتِهِم عنِ المُلحدينَ والمشركينَ . . لا يجوزُ للعلماءِ إغمادُ ألسنتِهِم عنِ الزائغينَ والمبتدعينَ .

فمَنْ ناضلَ عنِ اللهِ وأظهرَ دينَ اللهِ كانَ جَدِيراً أنْ يحرسَهُ اللهُ بعينِهِ التي لا تنامُ ، ويُعِزَّهُ بعزِّهِ الذي لا يُضامُ ، ويحوطَهُ بُركنِهِ الذي لا يُثلَمُ ولا يُرامُ ، ويحفظَهُ مِنْ جميعِ الأنامِ ، ولو شاءَ لانتصرَ منهُم ، ولـٰكن ليبلوَ بعضَكم ببعضٍ .

وما زالَ المُنزِّهُونَ والمُوحِّدُونَ يُفتُونَ بذلكَ علىٰ رؤوسِ الأشهادِ في المحافلِ والمشاهدِ ، ويجهرُونَ بهِ في المدارسِ والمساجدِ ، وبدعةُ الحشويَّةِ كامنةٌ خَفِيَّةٌ لا يتمكَّنُونَ مِنَ المُجاهَرةِ بها ، بل يدُسُّونَها إلىٰ جهلةِ العوامِّ ، وقد جهرُوا بها في هـٰذا الأوانِ ، فنسألُ اللهَ أنْ يُعجِّلَ بإخمالِها علىٰ عادتِهِ ، ويقضيَ بإذلالِها كما سبقَ مِنْ سنَّتِهِ .

وعلىٰ طريقةِ المُنزِّهينَ والمُوحِّدينَ ، درجَ السلفُ والخَلَفُ رضيَ اللهُ عنهُم أجمعينَ .

والعَجَبُ : أنَّهُم يذمُّونَ الأشعريَّ رحمَهُ اللهُ بقولِهِ : « إنَّ الخُبْزَ لا يُشبِعُ ، والماءَ لا يُروِي ، والنارَ لا تُحرِقُ »[1] ، وهـٰذا كلامٌ أنزلَ اللهُ تعالىٰ معناهُ في

(١) وهـٰذا الاعتقاد من جملة ما هوَّله وضخَّمه بعض أعداء العز بن عبد السلام للملك الأشرف ، وهـٰؤلاء هم مبتدعة الحنابلة القائلون بالحرف والصوت . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/٢١٨) .

كتابِهِ !! فإنَّ الشِّبَعَ والرِّيَّ والإحراقَ حوادثُ انفردَ الربُّ سبحانَهُ وتعالىٰ بخلقِها ، فلم يخلُقِ الخبزَ للشَّبَعِ ، ولم يخلقِ الماءَ للرِّيِّ ، ولم يخلقِ النارَ للإحراقِ ، وإنْ كانَتْ أسباباً في ذلكَ والخالقُ هوَ المُسبِّبُ ؛ كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] ، نفىٰ أنْ يكونَ رسولُهُ خالقاً للرمي وإنْ كانَ سبباً فيهِ ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ * وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم : ٤٣-٤٤] ، فاقتطعَ الإضحاكَ والإبكاءَ والإماتةَ والإحياءَ عن أسبابِها وأضافَها إليهِ ؛ فكذلكَ قطعَ الأشعريُّ رحمَهُ اللهُ الشِّبَعَ والرِّيَّ والإحراقَ عن أسبابِها وأضافَها إلىٰ خالقِها ؛ لقولِهِ تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الرعد : ١٦] ، وقولِهِ : ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر : ٣] ، ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [يونس : ٣٩] ، ﴿ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل : ٨٤] .

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحاً ... وَآفَتُهُ مِنَ ٱلْفَهْمِ ٱلسَّقِيمِ[1]

فسبحانَ مَنْ رضيَ عن قومٍ فأدناهُم ، وسَخِطَ علىٰ آخرينَ فأقصاهُم !! لا يُسألُ عمَّا يفعلُ وهم يُسألُونَ .

وعلى الجملةِ : فينبغي لكلِّ عالمٍ إذا أُذِلَّ الحقُّ وأُخمِلَ الصوابُ . . أنْ يبذُلَ جهدَهُ في نصرِهما ، وأنْ [يجعلَ] نفسَهُ بالذُّلِّ والخمولِ أولىٰ منهُما ، وإنْ عَزَّ الحقُّ وظهرَ الصوابُ أنْ يستظلَّ بظلِّهما ، وأنْ يكتفيَ باليسيرِ مِنْ رَشاشِ غيرِهما .

قَلِيلٌ مِنْكِ يَنْفَعُنِي وَلَٰكِنْ ... قَلِيلُكِ لاَ يُقَالُ لَهُ قَلِيلُ[2]

(١) البيت لأبي الطيب المتنبي في « ديوانه » (٤/ ١٢٠) ، وهو من الوافر .

(٢) في (ب) : (يكفيني) بدل (ينفعني) ، والبيت أورده أبو العلاء المعري في « معجز أحمد » (١/ ١٧) ، وعزاه في « معاهد التنصيص » (٣/ ٢٥٩) لأبي نصر الميكالي ، وهو=

والمُخاطَرةُ بالنفوسِ مشروعةٌ في إعزازِ الدينِ ؛ ولذلكَ يجوزُ للرجلِ مِنَ المسلمينَ أنْ ينغمسَ في صفوفِ المشركينَ[1] ، وكذلكَ المُخاطَرةُ بالأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ ونصرةِ قواعدِ الدينِ بالحُجَجِ والبراهينِ ؛ فمَنْ خَشِيَ على نفسِهِ سقَطَ عنهُ الوجوبُ وبقيَ الاستحبابُ ، ومَنْ قالَ بأنَّ التغريرَ بالنفوسِ لا يجوزُ فقد بَعُدَ عنِ الحقِّ ونأىٰ عنِ الصوابِ .

وعلى الجملةِ : فمَنْ آثَرَ اللهَ علىٰ نفسِهِ آثَرَهُ اللهُ ، ومَنْ طلبَ رضا اللهِ بما يُسخِطُ الناسَ رضيَ اللهُ عنهُ وأرضىٰ عنهُ الناسَ ، ومَنْ طلبَ رضا الناسِ بما يُسخِطُ اللهَ سَخِطَ اللهُ عليهِ وسَخِطَ عليهِ الناسُ[2] ، وفي رضا اللهِ كفايةٌ عن رضا كلِّ أحدٍ .

فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَٱلْحَيَاةُ مَرِيرَةٌ ... وَلَيْتَكَ تَرْضَىٰ وَٱلْأَنَامُ غِضَابُ[3]

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا ضَيَّعْتَهُ عِوَضٌ ... وَمَا مِنَ ٱللهِ إِنْ ضَيَّعْتَهُ عِوَضُ[4]

وقد قالَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ : « ٱحْفَظِ ٱللهَ يَحْفَظْكَ ، ٱحْفَظِ ٱللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ »[5] ، وقد جاءَ في الحديثِ : « ٱذْكُرُوا ٱللهَ بِأَنْفُسِكُمْ ؛ فَإِنَّ ٱللهَ يُنْزِلُ ٱلْعَبْدَ مِنْ نَفْسِهِ حَيْثُ أَنْزَلَهُ ٱلْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ »[6] ؛ **المرادُ واللهُ أعلمُ** : أكثِرُوا

= من الوافر ، ويحتمل أن يكون البيت خطاباً للمذكر .

(١) في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » : (للبطل ، ينغمر) بدل (للرجل ، ينغمس) .

(٢) في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » : (وأسخط) بدل (وسخط) .

(٣) البيت لأبي فراس الحمداني في « ديوانه » (٢/ ٢٤) ، وهو من الطويل .

(٤) البيت من البسيط .

(٥) أخرجه الترمذي (٢٥١٦) ، والحاكم (٣/ ٥٤١) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وفي (ب) : (تجاهك) بدل (أمامك) ، وهو لفظ الترمذي .

(٦) أخرجه بنحوه الحاكم (١/ ٤٩٤ـ٤٩٥) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (١٨٦٥) ، والطبراني في « الأوسط » (٢٥٠١) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

ذكرَ اللهِ فيذكرَكُمُ اللهُ ، كما جاءَ في القرآنِ : ﴿ فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة : ١٥٢] ، فإذا أكثرَ العبدُ الذكرَ للهِ كثُرَ ذكرُ اللهِ لهُ ، فهوَ مِنَ التذكُّرِ لا مِنَ الذكرِ ، واللهُ أعلمُ ، حتَّىٰ قالَ بعضُ الأكابرِ : « مَنْ أرادَ أنْ ينظرَ كيفَ منزلتُهُ عندَ اللهِ فلينظُرْ كيفَ منزلةُ اللهِ عندَهُ »[1] .

اللهمَّ ؛ فانصُرِ الحقَّ وأظهرِ الصوابَ ، وأَبْرِمْ لهـٰذهِ الأمَّةِ أمراً رشيداً ؛ تُعِزُّ فيهِ وليَّكَ ، وتُذِلُّ فيهِ عدوَّكَ ، ويُعمَلُ فيهِ بطاعتِكَ .

والحمدُ للهِ الذي إليهِ استنادي ، وعليهِ اعتمادي ، وهوَ حسبي ونعمَ الوكيلُ ، وصلَّى اللهُ علىٰ سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِهِ وأزواجِهِ ، كلَّما ذكرَهُ الذاكرُونَ ، وغَفَلَ عنهُ الغافلُونَ)[2] .

وللشيخِ رضيَ اللهُ عنهُ فتاوىٰ في المبتدعةِ مِنَ الحشويَّةِ وغيرِهِم مشهورةٌ ، ولهُ معَهُم مواقفُ مذكورةٌ ، عادَتْ فيها السنَّةُ منصورةً ، وفئةُ الضلالِ

(١) ورد هـٰذا القول مرفوعاً كما أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٤ـ٤٩٥) ، وأبو يعلىٰ في « مسنده » (١٨٦٥) ، والطبراني في « الأوسط » (٢٥٠١) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٢) في (ب) : (عن ذكره) بدل (عنه) ، وأورد هـٰذه العقيدة كاملة الإمام ابن السبكي في « الطبقات » (٨/ ٢١٩ـ ٢٢٩)، وقد أطال الإمام عبد اللطيف بن الإمام العز بن عبد السلام في « إيضاح الكلام » في ذكر ما جرىٰ ووقع بعد أن وصلت هـٰذه الفتيا للملك الأشرف وما نتج عن ذلك مما كاد يودي بحياة الإمام العز بن عبد السلام لولا صدقه وإخلاصه ، ولولا وقوف إمامين جليلين معه في محنته هـٰذه ؛ وهما إمام المالكية أبو عمرو ابن الحاجب ، وإمام الحنفية جمال الدين الحَصيري ، ولولا وقوف الملك الكامل الذي كان على اعتقاد أهل السنة والجماعة ومنافحاً عن عقيدة الأشعري رحمه الله تعالىٰ ، وبعد ذهاب هـٰذه المحنة ، وانقشاع المسألة للملك الأشرف.. صرَّح بخجله وحيائه من الإمام ، وقال : (لقد غلطنا في حق ابن عبد السلام غلطة عظيمة) ، وصار يترضَّاه ويعمل بفتاويه وما أفتاه ، ويطلب أن يقرأ عليه تصانيفه الصغار . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢٢٩ـ٢٤٠) ، وما سيأتي في (٢/ ٥٠٠ـ ٥١٩) .

مدحورةً ، ليسَ هـٰذا موضعَ استقصائِها[1] .

ولهُ طبقةٌ عاليةٌ في السماعِ .

حضرَ : أبا الحسينِ أحمدَ ابنَ حمزةَ ابنِ الموازينيِّ ، وأبا طاهرٍ الخُشُوعيَّ ، وسمعَ : مِنْ أبي محمدٍ القاسمِ بنِ عليٍّ الدمشقيِّ ، وعبدِ اللطيفِ بنِ إسماعيلَ بنِ أبي سعدٍ ، وأبي حفصٍ ابنِ طبرزدَ ، وأبي عليٍّ حنبلِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الفرجِ ، وأبي القاسمِ عبدِ الصمدِ بنِ محمدٍ الحَرَسْتانيِّ[2] .

ووليَ القضاءَ بمصرَ والديارِ المصريَّةِ ، ثمَّ صرفَ نفسَهُ .

تُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ في عاشرِ جمادى الأولىٰ سنةَ ستينَ وستٍّ مئةٍ ، وصلَّىٰ عليهِ ولدُهُ شرفُ الدينِ إماماً ، وكانَ مِنْ جملةِ المأمومينَ الملكُ الظاهرُ بيبرسُ البُنْدُقْدَاريُّ الصالحيُّ ، رحمَهُمُ اللهُ أجمعينَ[3] .

ورثاهُ جماعةٌ مِنَ الشعراءِ ؛ منهُمُ : الأديبُ جمالُ الدينِ أبو الحسينِ يحيى بنُ عبدِ المنعمِ المعروفُ بـ (الجزَّارِ) ، شاعرُ مصرَ ، وأجازَنيها ؛ فممَّا أجازَهُ لي ثمَّ نقلتُها مِنْ خطِّهِ الأولِ[4] : [من السريع]

(١) ومنها ما سيأتي في (٢/ ٤٧١ـ ٤٧٢ ، ٥٠٠ـ ٥١٩) ، ومرَّ معنا سابقاً في (١/ ٢٩٢ـ ٢٩٣) عن الكركي شيخ المؤلف ؛ أنه لما قدم مصر قادماً من المغرب اجتمع بالإمام عبد العزيز بن عبد السلام ، فكان أولُ شيء سأله عنه المعتقدَ ، وذكر له من ضمن كلامه علامة يعرف بها الحشوية .

ومن مواقفه العظيمة رحمه الله تعالىٰ : إلهاب مشاعر الناس في الجهاد ضد حُفَالة التاريخ والحضارة البشرية المغول بقيادة الخبيث الهالك هولاكو ، فكان اللقاء في عين جالوت ، وكان النصر الساحق للمسلمين بعد أن أفنوا عدداً كبيراً من جيش المغول .

(٢) وقرأ الفقه : على الفخر ابن عساكر ، والأصول : على السيف الآمدي .

(٣) ولما بلغ الظاهرَ خبرُ موته قال : (لم يستقرَّ ملكي إلا الساعةَ ؛ لأنه لو أمر الناس فيما أراد لبادروا إلى امتثال أمره) انظر « طبقات الشافعية » لابن شهبة (٢/ ١٣٩) .

(٤) أوردها الإمام السيوطي في « المحاضرات والمحاورات » (ص٢٩٤ـ٢٩٥) ، وفيها زيادات=

أَمَّـا ٱلْفَتَـاوَىٰ فَعَلَيْهَـا ٱلسَّـلاَمْ ... مُذْ فُقِدَ ٱلشَّيْخُ ٱبْنُ عَبْدِ ٱلسَّلاَمْ

مَـاتَ فَمَـنْ يُـوضِـحُ إِشْكَـالَهَـا ... وَيَعْـرِفُ ٱلْحِـلَّ بِهَـا وَٱلْحَـرَامْ

إِنَّـا إِلَـى ٱللهِ لِفَقْـدِ ٱمْـرِئٍ ... قَـامَ بِحَـقِّ ٱللهِ خَيْـرَ ٱلْقِيَـامْ

مَـا خُـصَّ مِنْـهُ بِـٱلْعَـزَاءِ ٱمْـرُؤٌ ... وَٱلـرُّزْءُ قَـدْ عَـمَّ جَمِيـعَ ٱلأَنَـامْ

كُـلُّ أَخِـي عِلْـمٍ بَكَـىٰ فَقْـدَهُ ... لِأَنَّـهُ فِـي كُـلِّ عِلْـمٍ إِمَـامْ

يَـا مَـنْ بِـهِ ٱلسُّنَّـةُ قَـدْ أَصْبَحَـتْ ... غَنِيَّـةً عَـنْ ذَابِـلٍ أَوْ حُسَـامْ

مَـنْ ذَا ٱلَّـذِي يُطْمَـعُ فِـي جُـودِهِ ... بَعْـدَكَ إِنْ ضَـنَّ بِغَيْـثٍ غَمَـامْ

وَهَـاتِ قُـلْ لِـي ٱلْيَـوْمَ أَيُّ ٱمْـرِئٍ ... يَبْقَىٰ عَلَى ٱلْعَهْدِ وَيَرْعَى ٱلذِّمَامْ

كَـمْ مُهْجَـةٍ كَـادَتْ تُفَـدِّيـكَ لَـوْ ... أَمْكَنَ أَنْ يَرْضَىٰ فِدَاهَا ٱلأَنَامْ[1]

لاَ تَقْـدِرُ ٱلأَمْـلاَكُ تُثْنِيـكَ عَـنْ ... حَـقٍّ وَكَـمْ أَغْـرَاكَ مِنْهُـمْ مَـلاَمْ

زُخْـرِفَـتِ ٱلْجَنَّـةُ شَـوْقـاً إِلَـىٰ ... وَجْـهٍ لَـهُ تَشْتَـاقُ دَارُ ٱلسَّـلاَمْ

وَٱلْحُـورُ فِـي أَبْـوَابِهَـا قَـدْ غَـدَا ... لَهَـا عَلَـىٰ وَجْهِـكَ أَيُّ ٱزْدِحَـامْ

خُلِقْـتَ لِـلأَجْـرِ وَكَسْـبِ ٱلثَّنَـا ... فِـي ٱلـدِّينِ وَٱلـدُّنْيَا وَبِـرِّ ٱلأَنَـامْ

أَئِمَّـةُ ٱلـدِّيـنِ لِلُقْيَـاكَ فِـي ٱلْـ ... ـفِـرْدَوْسِ بِـٱلأَمْـسِ تَـرَاهُـمْ قِيَـامْ

حَسْبُ ٱبْنِ إِدْرِيسَ عُلاً شِدْتَهَا ... لَيْسَ لَهَا بَـاقِي ٱلـزَّمَـانِ ٱنْهِـدَامْ

يَـا بَحْـرَ عِلْـمٍ كُلُّنَـا بَعْـدَهُ ... لِلَفْظِـهِ ٱلْعَـذْبِ شَـدِيـدُ ٱلأُوَامْ[2]

بِمَـنْ يَلُـوذُ ٱلنَّـاسُ فِـي حَـادِثٍ ... لِخَطْبِـهِ فِـي كُـلِّ صُبْـحٍ ظَـلاَمْ

كَمْ ظُلْمَةٍ فِي ٱلْخَطْبِ قَدْ أَشْرَقَتْ ... بِطَلْعَـةٍ تُخْجِـلُ بَـدْرَ ٱلتَّمَـامْ

= واختلاف يسير عمَّا أورده المؤلف ها هنا ، وجاءت هذه القصيدة على هامش (أ) ، وعند قوله : (فمما أجازه لي) انتهت الصفحة ، وبعدها صفحة بيضاء كتب في صدرها : (يكتب هنا تكملة قصيدة أبي الحسين رضي الله عنه) .

(١) في « المحاضرات والمحاورات » : (الحمام) بدل (الأنام) .

(٢) الأُوام : حر العطش .

وَمَنْ تُرَىٰ بَعْدَكَ فِي عَصْرِنَا ... لَهُ بِهَٰذَا ٱلدِّينِ حُسْنُ ٱهْتِمَامْ

لاَ يَقْبَلُ ٱلدُّنْيَا عَلَىٰ ذَرَّةٍ ... مِنْ دِينِهِ فِي يَقْظَةٍ أَوْ مَنَامْ

وَأَشْجَعُ ٱلنَّاسِ بِنَفْسٍ لَهُ ... بِهَا غِنىً عَنْ كُلِّ جَيْشٍ لُهَامْ[1]

يَلْقَىٰ أَعَادِيهِ بِتَقْطِيبَةٍ ... وَيَلْتَقِي أَضْيَافَهُ بِٱبْتِسَامْ

تَٱللهِ مَا ٱلدُّنْيَا سِوَىٰ هَجْعَةِ ٱلطَّـ ... ـرْفِ وَمَا ٱلْعِيشَةُ إِلا مَنَامْ

وَكَيْفَ لاَ يَتْرُكُ مَا لَمْ يَدُمْ ... ذُو فِطْنَةٍ لَمْ يَرْضَ إِلا ٱلدَّوَامْ

وَصَلْتَ لِلرَّاحَةِ بَعْدَ ٱلْعَنَا ... وَفُزْتَ بِٱلصِّحَّةِ بَعْدَ ٱلسَّقَامْ

حَيِّ نَكِيراً وَأَخَاهُ إِذَا ... مَا أَحْجَمَا عَنْكَ لِفَرْطِ ٱحْتِشَامْ

وَبَاسِطِ ٱلْحُورَ ٱلَّتِي لَمْ تَزَلْ ... لِحُسْنِهَا مَقْصُورَةً فِي ٱلْخِيَامْ

وَٱسْتَخْدِمِ ٱلْوِلْدَانَ فِيمَا تَرَىٰ ... فَكُلُّ مَا فِيهَا تَرَاهُ غُلاَمْ

لاَ زِلْتَ لِلرَّحْمَةِ أَهْلاً وَلا ... عَدَتْ ثَرَىٰ قَبْرِكَ سُحْبُ ٱلْغَمَامْ

وممَّا أجازَنيهِ القاضي شمسُ الدينِ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ الأُسْوانيُّ الحاكمُ بها يُعرَفُ بـ (ابنِ الفضلِ) قالَ : أنشدَني الشيخُ عزُّ الدينِ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ السلامِ[2] : [من الكامل]

لَوْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ عَرَاهُ غَرَامُ ... مَا عَنَّفُوهُ فِي هَوَاهُ وَلاَمُوا[3]

وأمرَني أنْ أُكمِلَ عليهِ ، فعملتُ :

لَٰكِنَّهُمْ جَهِلُوا لَذَاذَةَ حُبِّهِ ... وَعَلِمْتُهَا فَلِذَا سَهِرْتُ وَنَامُوا

لَوْ يَعْلَمُونَ كَمَا عَلِمْتُ حَقِيقَةً ... جَنَحُوا إِلَىٰ ذَاكَ ٱلْجَنَابِ وَهَامُوا

(١) اللُّهام : الجيش العظيم ، كأنه يلتهم كل شيء .

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢٤٦ـ٢٤٧) ، و« البدر الطالع » (ص٢٤٠ـ٢٤١).

(٣) في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » : (ما عنفوني) بدل (ما عنفوه) ، وذكر العيَّاشي في « رحلته » (٢/ ٩٣) أنه لا يعرف للعز بن عبد السلام من الشعر إلا هذا البيت .

أَوْ لَـوْ بَـدَتْ أَنْـوَارُهُ لِعُيُـونِهِـمْ ... خَـرُّوا وَلَـمْ تَثْبُـتْ لَهُـمْ أَقْـدَامُ

وَبِحُبِّـهِ عَـزَّتْ قَـرُونَتِـيَ ٱلَّتِـي ... ذَلَّـتْ فَعِنْـدِي بِـٱلْغَـرَامِ غَـرَامُ[1]

فَبَقِيـتُ أَنْظُـرُهُ بِكُـلِّ مُصَـوَّرٍ ... وَبِكُـلِّ مَلْفُـوظٍ بِـهِ ٱسْتِعْجَـامُ

وَأَرَاهُ فِي صَافِي ٱلْجَدَاوِلِ إِنْ جَرَتْ ... وَأَرَاهُ إِنْ جَـادَ ٱلـرِّيَـاضَ غَمَـامُ

وَأَرَاهُ إِنْ سَنَحَ ٱلْغَزَالُ مِنَ ٱلْحِمَىٰ ... مُتَـدَلِّـلاً أَوْ بَـرْبَـرَ ٱلضِّـرْغَـامُ

لَـمْ يَثْنِنِـي عَمَّـنْ أُحِـبُّ ذَوَابِـلٌ ... سُمْـرٌ وَأَبْيَـضُ صَـارِمٌ صَمْصَـامُ

مَوْلاَيَ عِزَّ ٱلدِّينِ عَزَّ بِكَ ٱلْعُلاَ ... فَخْـراً فَـدُونَ حِـذَاكَ مِنْـهُ ٱلْهَـامُ

لَمَّـا رَأَيْنَـا فِيـكَ عِلْمـاً لَـمْ يَكُـنْ ... بِـٱلـدَّرْسِ قُلْنَـا إِنَّـهُ إِلْهَـامُ

جَاوَزْتَ حَدَّ ٱلْمَدْحِ حَتَّىٰ لَمْ يُطِقْ ... نَظْماً لِفَضْلِكَ فِي ٱلْوَرَى ٱلنَّظَّامُ[2]

لَوْلاَكَ عِزَّ ٱلدِّينِ تُنْعِشُ مُهْجَتِي ... مَـا كَـانَ لِـي بِـٱلْبَلْـدَتَيْـنِ مُقَـامُ

فَعَلَيْـكَ يَـا عَبْـدَ ٱلْعَـزِيـزِ تَحِيَّـةٌ ... وَعَلَيْكَ يَا عَبْدَ ٱلسَّلاَمِ سَلاَمُ[3]

* * *

(١) قَرُونتي : نفسي .

(٢) كذا ضبط قوله : (يُطِقْ) و(النَّظَّام) في« طبقات الشافعية الكبرىٰ » ، وتحتمل أنها : (تُطِقْ) و(النُّظَّام) .

(٣) ولما انتهىٰ من ارتجال هٰذه الأبيات في الدرس قال له الإمام العز بن عبد السلام : (أنت إذاً فقيه شاعر) ، وقد أطنب الإمام ابن السبكي في ترجمة ابن عبد السلام ، وأنت هٰذه الترجمة علىٰ كثير من محطات مسيرته العلمية والاجتماعية والسياسية رحمه الله تعالىٰ ، وانظر « ذيل مرآة الزمان » (٢/ ١٧٢ـ ١٧٦) ، و« صلة التكملة » (١/ ٤٦٦ـ٤٦٧) ، و(٢/ ٥٠٠ـ٥١٩) من هٰذا الكتاب .

ومنهُمُ :

[الإمامُ المقرئُ كمالُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ شجاعٍ العباسيُّ الشافعيُّ]

الشيخُ الإمامُ العالمُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي الفوارسِ شجاعِ بنِ أبي الفضلِ سالمِ بنِ عليٍّ بنِ موسى بنِ حسانَ بنِ طوقٍ ـ واسمُهُ : عبيدُ اللهِ ـ ابنِ سندِ بنِ عليِّ بنِ الفضلِ بنِ عليٍّ بنِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ عليِّ بنِ موسى بنِ عيسى بنِ موسى بنِ محمدِ بنِ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ العبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلبِ ، الهاشميُّ العباسيُّ المصريُّ المقرئُ الشافعيُّ الضريرُ المنعوتُ بـ(الكمالِ) .

مولدُهُ بالمعتمديةِ قريةٍ مِنْ أعمالِ الجيزيَّةِ .

تفقَّهَ على مذهبِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ : على الإمامِ أبي القاسمِ بنِ الورَّاقِ وغيرِهِ ، **وقرأَ الأدبَ** : على أبي الحسينِ النحويِّ ، وسمعَ مِنْ جماعةٍ مِنَ القادمينَ على البلدِ ، وجماعةٍ مِنْ أهلِها ، **وقرأَ القرآنَ الكريمَ** : على أبي الجودِ غياثِ بنِ فارسٍ اللخميِّ ، وروى الشاطبيَّةَ عن مُصنِّفِها .

وسمعَ : أبا الحسنِ شجاعَ بنَ سِيدْهُم المُدْلِجيَّ ، وأبا القاسمِ هبةَ اللهِ البوصيريَّ ، وأبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ عبدِ المولى اللبنيَّ ، وأبا الفضلِ الغزنويَّ ، وأبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ حَمْدٍ الأرتاحيَّ ، وأبا محمدٍ عبدَ المجيبِ ابنَ زهيرٍ ، وأبا روحِ المُطهَّرَ بنَ أبي بكرٍ البيهقيَّ ، وأبا نزارٍ ربيعةَ بنَ الحسنِ اليمنيَّ .

وتصدَّرَ بالجامعِ العتيقِ بمصرَ ، وبمسجدِ موسَكَ بالقاهرةِ ، وانتفعَ بهِ الناسُ ، وانتهتْ إليهِ رئاسةُ القرَّاءِ والإقراءِ بالديارِ المصريَّةِ ، وكانَ جميلَ الهيئةِ ، حسنَ الاعتقادِ .

[وُلِدَ] سنةَ اثنتينِ وسبعينَ وخمسِ مئةٍ ، سابعَ شعبانِها ، [وتُوفِّيَ في السابعِ مِنْ ذي الحجةِ سنةَ إحدىٰ وستينَ وستِّ مئةٍ][1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (١/٤٩٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٩/٨١ـ٨٣) ، و« نكت الهميان » (ص١٩٦) ، وما بين معقوفين غير واضح في الأصل بسبب رداءة التصوير .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ الحافظُ رشيدُ الدينِ أبو الحسينِ يحيى بنُ عليِّ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عليِّ بنِ مُفرجٍ ، القُرشيُّ الأمويُّ نسباً ، المالكيُّ مذهباً النابلسيُّ أصلاً المصريُّ داراً ومنشأً ووفاةً[1]

كانَ مِنْ عبادِ اللهِ الصالحينَ ، والزُّهَّادِ المنقطعينَ ، والثقاتِ المُبرِّزينَ ، والعدولِ المَرْضيِّينَ ، مِنَ الأولياءِ ، وممَّنْ نُقِلَتْ عنهُ كراماتٌ كثيرةٌ هوَ جديرٌ بها .

فأمَّا تحرُّزُهُ في الروايةِ فإليهِ المُنتهىٰ ، ويكفيهِ قصَّةُ البِرْزاليِّ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ يوسفَ بنِ محمدٍ ، وكانَ هـٰذا البِرْزاليُّ قد كتبَ استدعاءً لجماعةٍ مِنَ الشاميِّينَ والمصريِّينَ[2] ، وأخذَ فيهِ خطوطَ جماعةٍ مِنَ المشايخِ عندَ رحلتِهِ إلى العجمِ ، ثمَّ حضرَ بالاستدعاءِ ، وبعثَهُ للشيخِ زكيِّ الدينِ عبدِ العظيمِ ، فرأىٰ فيهِ اسمَ جماعةٍ منهُم يحيى بنُ عليٍّ القرشيُّ العطارُ ، فذكرَ ذلكَ للشيخِ رشيدِ الدينِ ، فقالَ لهُ : هـٰذا الرجلُ لم أعرفْهُ قبلَ اليومِ ، ولعلَّهُ قصدَ بهـٰذهِ التسميةِ غيري ، فكاتبَهُ الشيخُ زكيُّ الدينِ واستفهمَ منهُ ، فبعثَ وهوَ يقولُ : جزى اللهُ هـٰذا الرجلَ خيراً عن عدالتِهِ ؛ فإنِّي لم أقصدْهُ ، وإنَّما قصدْتُ غيرَهُ .

قالَ ولدُهُ جمالُ الدينِ أبو صادقٍ عنهُ : قالَ : كنتُ سمعتُ بدمشقَ على ابنِ البنَّا الصوفيِّ الجزءَ الثالثَ مِنْ « فوائدِ أبي الطاهرِ محمدِ بنِ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ

(١) وهو الشهير بـ (العطار) ، وقد سبق ذكره مراراً .

(٢) الاستدعاء : هو طلب إجازة من بعض أهل الحديث أو غيرهم من العلماء بواسطة المراسلة أو المكاتبة .

العباسِ المُخلِّصِ » انتقاءِ ابنِ البقَّالِ عليهِ ولم أُحصِّلْ منهُ نسخةً ، ثمَّ بعدَ ذلكَ وقعَتْ لي نسخةٌ فيها نقلُ سماعِ الشيخِ ، وقد سمعتُ عليهِ ، فنقلتُ منها نسخةً وقابلتُها ، ثمَّ داخلَني الوهْمُ فقلتُ : لعلَّ هـٰذهِ النسخةَ لا تكونُ مُوافقةً للأصلِ الذي سمعتُ منهُ ، فأنفذتُها إلىٰ دمشقَ ، فقُوبِلَتْ على الأصلِ الذي سمعتُ منهُ ، فوُجِدَ في النسخةِ التي كتبتُها بخطِّي أربعةُ أحاديثَ لم تكنْ في أصلِ سماعي الذي سمعتُ منهُ بدمشقَ .

قرأَ القرآنَ العظيمَ : على الشيخِ أبي محمدٍ زيادةَ بنِ عمرانَ بنِ زيادةَ المالكيِّ المقرئِ ، **واشتغلَ بالفقهِ** : علىٰ أبي الحسنِ عليِّ بنِ هبةِ اللهِ بنِ تغلبَ المالكيِّ .

سمعَ والدَهُ ، وسمعَ بنفسِهِ الكثيرَ بمصرَ والشامِ ومكَّةَ والمدينةِ ، وحدَّثَ وأعادَ ، وتعيَّنَ في فنِّهِ ، وانتهىٰ إليهِ الحفظُ والإتقانُ في وقتِهِ .

[**وسمعَ**][1] : أباهُ وعمَّهُ وجدَّهُ لأمِّهِ وأخاهُ لأبيهِ بانتقائِهِ ، وابنَ عمَّتِهِ أبا الحسينِ ، وأبا القاسمِ بنَ عليٍّ البوصيريَّ ، وأبا الطاهرِ الشَّفيقيَّ ، والحاجبَ أبا الحسنِ عليَّ بنَ حمزةَ البغداديَّ الكاتبَ ، وأبا الفضلِ الغزنويَّ ، وأبا الحسينِ الصوفيَّ ، وأبا الثناءِ الحرَّانيَّ ، وأبا اليُمْنِ الكنديَّ ، وأبا القاسمِ الحرستانيَّ ، والعمادَ الأصفهانيَّ ، وابنَ معزوزٍ الكُوميَّ ، وفاطمةَ بنتَ سعدِ الخيرِ[2] .

أخذَ عنهُ جماعةٌ مِنَ الحُفَّاظِ ؛ كأبي عبدِ اللهِ بنِ محمودِ بنِ الحسنِ ابنِ النجَّارِ صاحبِ « ذيلِ تاريخِ بغدادَ » ، وأبي بكرٍ محمدِ بنِ عبدِ الغنيِّ ابنِ نقطةَ صاحبِ « إكمالِ الإكمالِ » ، والحسنِ بنِ محمدِ بنِ محمدِ بنِ محمدِ ابنِ البكريِّ اليمنيِّ المُؤرِّخِ ، وأبي القاسمِ العقيليِّ صاحبِ « تاريخِ حلبَ » .

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) بمقدار كلمة .

(٢) وهي زوجته .

وصنَّفَ وأملىٰ كتباً كثيرةً ؛ مِنْ ذلكَ : « موافقاتُ الصحيحَينِ » و« موافقاتُ السننِ » ، و« عوالي مالكِ بنِ أنسٍ » ، و« عوالي اللَّيثِ بنِ سعدٍ » ، و« الأربعينَ حديثاً في فضلِ الصلاةِ على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ » ، و« في فضلِ الجهادِ أربعينَ حديثاً » ، وكتابُ « نزهةِ الناظرِ فيمَنْ روىٰ عنِ البغويِّ مِنَ الأكابرِ » ، وكتابُ « غررِ الفوائدِ المجموعةِ فيما وقعَ في صحيحِ مسلمٍ مِنَ الأحاديثِ المقطوعةِ » ، وكتابُ « الدلائلِ المُبينةِ في فضائلِ عالمِ المدينةِ » ، وكتابُ « تحفةِ المستفيدِ في الأحاديثِ الثُّمانيةِ الأسانيدِ » ، و« مصافحةُ الأئمَّةِ » جزءٌ واحدٌ ، وكتابُ « الإعلامِ بمَنْ حدَّثَ عن مالكِ بنِ أنسٍ مِنْ مشايخِهِ الأعلامِ » ، و« عوالي الصحيحَينِ » ، وكتابُ « غرائبِ الأخبارِ ومُلَحِ الحكاياتِ والأشعارِ » ، وكانَ جمعَ مُعجَماً لمشايخِهِ ولم يُحدِّثْ بهِ ؛ لأنَّهُ لم يكنْ قابلَهُ على الأصولِ رضيَ اللهُ عنهُ[1] .

كانَ يُوقِفُ كتبَهُ للانتفاعِ بها بالمدرسةِ الصاحبيَّةِ البهائيَّةِ بمصرَ ، واتُّبِعَ ذلكَ بعدَ وفاتِهِ ، وهيَ فيها الآنَ .

ولهُ النظمُ الحسنُ ؛ فمِنْ ذلكَ : ما أوردَهُ ولدُهُ أبو صادقٍ قالَ : أنشدَني والدي رضيَ اللهُ عنهُ لنفسِهِ : [من مجزوء الوافر]

تَقَضَّى ٱلْعُمْرُ فِي ٱللَّعِبِ ... وَمَا قَضَّيْتُ مِنْ أَرَبِ
وَلاَ ٱسْتَكْثَرْتُ مِنْ مَالٍ ... وَلاَ عِلْمٍ وَلاَ أَدَبِ
وَلاَ ٱسْتَوْثَقْتُ مِنْ عِلْمِي ... بِمَا يُنْجِي مِنَ ٱلْعَطَبِ
وَمَا لِي خَصْلَةٌ تُرْضَىٰ ... بِوَجْهٍ لاَ وَلاَ سَبَبِ

(١) وكثير من هٰذه المؤلفات التي ذكرها الإمام ابن المعلِّم لم تذكرها المصادر والمراجع ، وذكرت سابقاً في (٢٨/٢) أنَّ له تخريجاً لـ « مشيخة البهاء ابن الجمَّيزي » رحمهما الله تعالىٰ .

سِوَىٰ تَوْحِيدِ خَالِقِنَا ... وَتَصْدِيقِي لِخَيْرِ نَبِي

وَإِيمَانِي بِإِخْوَتِهِ ... وَمَا أُوتُوا مِنَ ٱلْكُتُبِ

وَحُبِّي جَمْعَ عِتْرَتِهِ ... وَجَمْعَ صِحَابِهِ ٱلنُّجُبِ

بِذَا أَرْجُوهُ يَغْفِرُ لِي ... وَيَحْمِينِي مِنَ ٱللَّهَبِ

وَيُدْخِلُنِي ٱلْجِنَانَ غَداً ... بِلاَ تَعَبٍ وَلاَ نَصَبِ

وَيَرْحَمُنِي بِرَحْمَتِهِ ... وَفَضْلٍ مِنْهُ مُنْسَحِبِ

فَإِنَّ ٱلْجُودَ عَادَتُهُ ... وَمَنْ يَقْصِدْهُ لَمْ يَخِبِ

صحبَ الشيخُ رشيدُ الدينِ : جماعةً مِنَ الزُّهَّادِ والصالحينَ ؛ كالشيخِ القرشيِّ ، والشيخِ أحمدَ بنِ محمدٍ اللخميِّ ، [وأبي] العباسِ إلياسَ[1] ، وأبي العبَّاسِ الحرَّارِ ، وأبي العبَّاسِ بنِ القسطلانيِّ .

وُلِدَ في شعبانَ سنةَ أربعٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ يومَ الاثنينِ الثاني مِنْ جُمادى الأولىٰ سنةَ اثنتينِ وستينَ وستِّ مئةٍ ، ودُفِنَ يومَ الثَّلاثاءِ الثالثِ مِنْ جمادىٰ .

ورثاهُ جماعةٌ مِنَ الشعراءِ ؛ فممَّنْ رثاهُ : أبو الحسينِ الجزَّارُ ، وأجازَنيهِ فيما أجازَهُ لي : [من الوافر]

تَعَطَّلَتِ ٱلْوَرَىٰ مِمَّنْ يُفِيدُ ... فَلاَ عَبْدُ ٱلْعَظِيمِ وَلاَ رَشِيدُ

وقالَ الورَّاقُ[2] : [من الرجز]

دَمْعِي عَلَى ٱلْحَبْرِ ٱلرَّشِيدِ مُرْسَلُ ... وَحُزْنُ قَلْبِي أَبَداً مُسَلْسَلُ

بَكَىٰ دَماً جَفْنِي ٱلْقَرِيحُ بَعْدَهُ ... لَوْ بِٱلْجَرِيحِ يُقْتَدَى ٱلْمُعَلَّلُ

(١) في (أ، ب) : (أبو) بدل (وأبي) .

(٢) انظر « فوات الوفيات » (٤/ ٢٩٦) ، و« المحاضرات والمحاورات » (ص٢٩٣ـ٢٩٤) .

أَيْـنَ إِمَـامٌ فِـي ٱلْحَـدِيـثِ مِثْلُـهُ ... تَضْـرِبُ آبَـاطَـاً إِلَيْـهِ ٱلإِبِـلُ

وَمَـنْ إِلَيْـهِ يَـرْجِـعُ ٱلْقَـوْمُ وَمَـنْ ... عَلَيْـهِ فِـي تَحْـرِيـرِهِ ٱلْمُعَـوَّلُ

وَمَـنْ إِذَا مَـا حَـلَّ صَـدْرَ مَحْفِلٍ ... قَـالَ مُفِيـداً فَـأَصَـاخَ ٱلْمَحْفِـلُ

وَمَـــنْ إِذَا أَتَيْتَـــهُ مُسَـــائِـــلاً ... يُحَـلُّ مُبْهَـمٌ وَيُجْلَـىٰ مُشْكِـلُ

ذَادَ عَـــنِ ٱلسُّنَّـــةِ كُـــلَّ مُفْتَـــرٍ ... لَيْـسَ لِمَـا أَدْخَـلَ فِيهَـا مَـدْخَـلُ

وَكَانَ فِي عِلْمِ ٱلرِّجَالِ أَوْحَداً ... بِحَيْثُ قَالَ ٱلْعِلْمُ هَـٰذَا ٱلرَّجُلُ

يَا جَامِعَ ٱبْنِ ٱلْعَاصِ قَدْ أَوْحَشْتَ مِنْ ... جَـارِكَ وَٱسْتَـوْحَـشَ صَـفٌّ أَوَّلُ

يَكْفِيـهِ إِسْحَـارُكَ عِنْـدَ ٱللهِ وَٱلْـ ... ـبُكُـورُ فِـي طَـاعَتِـهِ وَٱلأُصُـلُ

كَـمْ قَـامَ فِيـكَ خَـاشِعـاً لِـرَبِّـهِ ... وَصَـاحِبَـاهُ ٱلشَّـوْقُ وَٱلتَّمَلْمُـلُ

عَهْـدِي بِصَـدْرٍ مِنْـكَ مِنْـهُ خَـالِيـاً ... قَـدْ عَـادَ وَهْـوَ بَعْـدَهُ مُعَطَّـلُ

للهِ مَـا ضَـمَّ ٱلتُّـرَابُ مِـنْ حِجـاً ... يَطِيشُ رَضْـوَىٰ دُونَـهُ وَيَذْبُـلُ[1]

وَمِـنْ عَفَـافٍ وَتُقًـىً وَكَيْـفَ لا ... وَٱلْعِلْـمُ رَأْسٌ لَهُمَـا وَٱلْعَمَـلُ

إِنَّ ضَجِيعَـيْ لَحْـدِهِ لَسُنَّـةُ ٱلْـ ... ـهَادِي ٱلشَّفِيعِ وَٱلْكِتَابُ ٱلْمُنْزَلُ

لِمِثْـلِ ذَا فَلْيَعْمَـلِ ٱلْقَـوْمُ إِذَا ... رَامُـوا ٱلْعُـلاَ لِمِثْـلِ ذَا فَلْيَعْمَلُـوا

سَقَـاكَ يَـا يَحْيَـىٰ حَيـاً مُـرْتَجِـزٌ ... تَحْـدُو قُطَـارِيـهِ صَبـاً وَشَمْـأَلُ[2]

وَرَوَّضَـتْ قَبْـرَكَ كُـلُّ دِيمَـةٍ ... عَلَيْـكَ حُـزْنـاً بِـٱلـرُّعُـودِ تُعْـوِلُ

فَمَـا يَضِيـعُ كُـلُّ مَـا قَـدَّمْتَـهُ ... وَٱللهُ جَـازٍ وَٱلنَّبِـيُّ ٱلْمُـرْسَـلُ[3]

* * *

(١) رَضْوىٰ : اسم جبل قريب من المدينة المنورة ، ويذبُل : جبل في بلاد نجد .

(٢) الحيا : الغيث ، والمرتجز : السحاب البطيء الحركة لكثرة الماء فيه ، والقُطاري : المراد به : القطرات .

(٣) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٥٠٠ـ٥٠١) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٩/ ١٢٠ـ١٢١) ، و« ذيل مرآة الزمان » (٢/ ٣١٤ـ٣١٥) .

ومنهُمُ :

الشيخُ كمالُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الغنيِّ بنُ عليٍّ بنِ عبدِ الكافي البَهْنَسيُّ المنشأِ والمدفنِ المصريُّ الدارِ الفيوميُّ الوفاةِ

اشتغلَ بالفقهِ : على الشيخِ بهاءِ الدينِ ابنِ الجُمَّيزيِّ وأقرانِهِ ، ووليَ الإعادةَ بالزاويةِ المجديَّةِ ، **واشتغلَ بالأصولَينِ** : على الشيخِ شمسِ الدينِ الخُسْرَوشاهيِّ ، **وبفنونِ التفسيرِ والأصولِ** : على الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، وبرعَ ومهرَ ، وكانَ في الظاهرِ طالباً عندَ الشيخِ وجيهِ الدينِ البهنسيِّ ومُعيداً عندَهُ ، وفي الباطنِ مُفيداً لهُ .

وكانَ هوَ والشيخُ وجيهُ الدينِ يتعاورانِ مجلسَ الشيخِ عزِّ الدينِ وينتابانِهِ للاستفادةِ ، وكانَ كمالُ الدينِ يطلعُ إلى القاهرةِ ماشياً إذا لم يكنْ رفيقاً للوجيهِ ، فربَّما لم يحضُرِ الشيخُ وجيهُ الدينِ درسَ الشيخِ عزِّ الدينِ في بعضِ الأيامِ ولا درسَ الخُسْرَوشاهيِّ ، فينقُلُ لهُ كمالُ الدينِ جميعَ ما وقعَ مِنَ البحوثِ نقلَ المسطرةِ لا يُهمِلُ مِنْ ذلكَ شيئاً .

سمعتُ غيرَ واحدٍ مِنْ أصحابِ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ رحمَهُ اللهُ يقولُ : (كانَ الشيخُ عزُّ الدينِ رحمَهُ اللهُ يقولُ : عندَكُم في مصرَ بهنسيَّانِ وتِزْمَنْتِيَّانِ ؛ يعني : الشيخَ كمالَ الدينِ والشيخَ وجيهَ الدينِ بالبهنسيَّينِ ، وبالتِّزْمَنْتِيَّينِ : السديدَ والظهيرَ) ، رحمَهُمُ اللهُ .

صنَّفَ الشيخُ كمالُ الدينِ « مُقدِّمتَهُ في الأصولِ » ، وكانَ الشيخُ شمسُ الدينِ الأصفهانيُّ يُثني عليها ويُحرِّضُ على الاشتغالِ بها ، ويقولُ : (هـٰذا الرجلُ أبانَ فيها عن فضلٍ ورسوخٍ في علمِ الكلامِ والمنطقِ) .

تقلَّدَ القضاءَ بالفيومِ وما أُضِيفَ إليها مِنَ الأعمالِ مِنْ جهةِ قاضي القضاةِ تاجِ الدينِ عبدِ الوهابِ ، واتَّسعَتْ حالُهُ واستعانَ على عائلتِهِ وأخصبَ مَرْعاهُ ، وأنجحَ مَسْعاهُ ، غيرَ أنَّهُ أجْرَتْهُ الأيامُ على عادتِها في قطعِ اللَّذَّاتِ ، وقصدِ السادةِ بالأذاةِ ، فبينا هوَ يُهذِّبُ ثمراتِ تحصيلِهِ اليانعةَ ، هجمَتْ عليهِ المنيَّةُ القاطعةُ .

تُوفِّيَ بمدينةِ الفيومِ سنةَ اثنتينِ وستينَ وستِّ مئةٍ ، قيلَ : إنَّهُ أدركَتْهُ هَيْضَةٌ[1] ، فأُحضِرَ لهُ طبيبٌ يهوديٌّ خبيثٌ ففصدَهُ ، وسدَّدَ سهمَ المنيَّةِ إليهِ حينَ قصدَهُ ، فرحمَ اللهُ كمالَهُ ، وأحسنَ لديهِ مآبَهُ ومآلَهُ .

* * *

(١) الهيضة : المَرْضة بعد المَرْضة ، أو نكس المريض ، أو انطلاق البطن .

ومنهُم :

قاضي القضاةِ زينُ الدينِ أبو الفرجِ محمدُ بنُ القاضي المُوفَّقِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ أبي القاسمِ عبدِ الوهابِ بنِ محمدِ بنِ أبي الفرجِ الإسكندريُّ المالكيُّ

سمعَ مِنَ الحافظِ شرفِ الدينِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ المفُضَّلِ المقدسيِّ وأقرانِهِ ، واشتغلَ بمذهبِ مالكٍ ، ووليَ القضاءَ والخطابةَ بثغرِ الإسكندريَّةِ ، وفيهِ يقولُ سراجُ الدينِ وهيَ فيما أجازَهُ لي : [من الطويل]

أَمَا لَكَ يَا نَوْمِي بِجَفْنِي تَعَلُّقُ ... لَعَلَّ خَيَالَ ٱلْعَامِرِيَّةِ يَطْرُقُ

أَيَأْبَى ٱلْهَوَىٰ إِلا مُسَامَرَتِي ٱلدُّجَا ... وَلِي مُقْلَةٌ عَبْرَىٰ وَجَفْنٌ مُؤَرَّقُ

حَنَانَيْكَ يَا بَرْقَ ٱلْحِمَىٰ كَمْ تَشُوقُنِي ... كَأَنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرِي مِنَ ٱلنَّاسِ شَيِّقُ

تَأَمَّلْ فُؤَادِي كُلَّمَا بِتَّ خَافِقاً ... وَأَوْمَضْتَ مِنْ ذَاكَ ٱلْحِمَىٰ كَيْفَ يَخْفِقُ

وَدُونَكَ جَفْناً كُلَّمَا ذَرَّ شَارِقٌ ... مِنَ ٱلْحَيِّ أَمْسَىٰ وَهْوَ بِٱلدَّمْعِ يَشْرَقُ[1]

بَكَيْتُ زَمَانِي وَٱلشَّبِيبَةُ غَضَّةٌ ... وَغُصْنِيَ رَيَّانُ ٱلْمَعَاطِفِ مُورِقُ

وَأَجْرَيْتُ شُهْبَ ٱلدَّمْعِ مِنِّي وَحُمْرَهَا ... عَلَىٰ أَثَرِ ٱلْعِيسِ ٱلَّتِي لَيْسَ تُلْحَقُ

وَلَوْ أَنَّ وُرْقَ ٱلْبَانِ تَبْكِي بِأَدْمُعِي ... لَمَا لاَحَ مِنْهَا لِلْعُيُونِ مُطَوَّقُ

وَلَوْ أَنَّهَا طَارَتْ وَسِرْتُ إِلَى ٱلْحِمَىٰ ... عَلَىٰ قَدَمِي أَيْقَنَّ أَنِّيَ أَسْبِقُ

سَقَتْ عَبَرَاتِي لِلأَحِبَّةِ مَنْزِلاً ... بِطِيبٍ ثَرَاهُ مِسْكُ دَارِينَ يَعْبَقُ

وَقَفْتُ بِهِ مِنْ فَرْطِ شَوْقِيَ سَائِلاً ... وَدَمْعِي فَكَادَتْ دِمْنَةُ ٱلدَّارِ تَنْطِقُ

(١) ذرَّ شارق ؛ أي : كلما طلعت الشمس أو الضوء ، ويَشْرَق : يغصُّ .

وَقُمْتُ أَبُثُّ ٱلشَّوْقَ عَافِيَ رَسْمِهِ ... وَأُخْبِرُهُ مَاذَا جَنَاهُ ٱلتَّفَرُّقُ

وَحَاكَمْتُ أَيَّامِي لِقَاضٍ مُوَفَّقٍ ... يُؤَيِّدُ فِي أَحْكَامِهِ وَيُوَفَّقُ

إِمَامٌ عَلَى ٱلدُّنْيَا جَمَالٌ بِحُلْيَةٍ ... بَدَا وَعَلَى ٱلدِّينِ ٱلْحَنِيفِيِّ رَوْنَقُ

أَقَامَ مَنَاراً لِلشَّرِيعَةِ عَالِياً ... تَمُدُّ إِلَيْهِ ٱلشُّهْبُ طَرْفاً وَتَرْمُقُ

وَزَيَّنَ [. . .] رُتْبَتَهُ ٱلَّتِي ... تَلِيقُ بِهِ وَٱلْجِيدُ بِٱلْعِقْدِ أَلْيَقُ[1]

فَيُطْلِعُ شَمْساً مِنْ نَتَائِجِ فِكْرِهِ ... تَأَلَّقُ فِي لَيْلِ ٱلْخُطُوبِ وَتُشْرِقُ

يُقَلِّدُ أَجْيَادَ ٱلْمَنَابِرِ لَفْظُهُ ... عُقُوداً بِهَا يَزْدَانُ غَرْبٌ وَمَشْرِقُ

يَجُرُّ عَلَى سَحْبَانَ فَضْلَ ذُيُولِهِ ... إِذَا فَاهَ مِنْهُ فِي ٱلْمَحَافِلِ مَنْطِقُ

وَتَهْتَزُّ أَعْوَادٌ تَكَادُ إِذَا ٱعْتَلَى ... ذُرَاهَا وَأَغْنَاهَا عَنِ ٱلْوُرْقِ تُورِقُ

وَكَمْ أَنْشَأَتْ أَقْلاَمُهُ مِنْ خَمِيلَةٍ ... يُنَمْنِمُ مِنْهَا طِرْسُهُ وَيُنَمَّقُ

هِيَ ٱلرَّوْضَةُ ٱلْغَنَّاءُ لَكِنْ يَمِينُهُ ... أَسَحُّ مِنَ ٱلأَنْوَاءِ جُوداً وَأَغْدَقُ

مِنَ ٱلنَّفَرِ ٱلْغُرِّ ٱلَّذِينَ بِذِكْرِهِمْ ... تُغَرِّبُ رُكْبَانُ ٱلْعُلاَ وَتُشَرِّقُ

هُمُ أَعْرَقُوا فِي ٱلأَكْرَمِينَ مَحَامِداً ... فَمَا مِنْهُمُ إِلا كَرِيمٌ وَمُعْرِقُ

غَدَا ٱلْجُودُ خُلْقاً فِيهِمُ وَسِوَاهُمُ ... إِذَا جَادَ يَوْماً فَهْوَ فِيهِ تَخَلُّقُ

وَمَنْ كَانَ زَيْنُ ٱلدِّينِ مِنْهُمْ فَحَسْبُهُمْ ... فَخَارٌ عَلَى نَسْرِ ٱلسَّمَاءِ مُحَلِّقُ

هُمُ ٱلْمُطْعِمُونَ ٱلزَّادَ وَٱلْغَيْثُ مُمْسِكٌ ... وَأَيْدِيهِمُ بِٱلْمَكْرُمَاتِ تَدَفَّقُ

وَكَمْ لَيْلَةٍ بِتْنَا ضُيُوفاً بِرَبْعِهِ ... وَبَاتَ عَلَى ٱلنَّارِ ٱلنَّدَى وَٱلْمُحَلَّقُ[2]

(١) ما بين معقوفين غير واضح في الأصل ، وفي (ب) : (وزين كلتا رتبته التي) ، وهو غير مستقيم وزناً .

(٢) هٰذا الشطر أخذه من قول الأعشى :

تشبُّ لمقرورَيْنِ يصطليانها ... وباتَ على النار الندى والمُحلَّق

والمُحلَّق : لقب عبد العُزَّى بن حنتم ، وبعضهم ضبط اللام المشددة بالكسر ، ولبيته قصة ذكرها عبد القادر البغدادي وغيره . انظر « خزانة الأدب » (٧/ ١٥٤ـ١٥٥) .

أَمَوْلاَيَ زَيْنَ ٱلدِّينِ خُذْ بِنْتَ يَوْمِهَا أَتَـاكَ بِهَـا لِـي خَـاطِـرٌ يَتَـدَفَّـقُ
يُرِيكَ صَحِيحَ ٱلْوُدِّ فِي صَفَحَاتِهَا إِذَا كَـانَ لِـلأَقْـوَامِ وُدٌّ مُلَفَّـقُ

تُوفِّيَ زينُ الدينِ في عاشرِ رجبٍ سنةَ اثنتينِ وستينَ وستِّ مئةٍ ، سقطَ عليهِ جدارٌ فماتَ ، رحمَهُ اللهُ[1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٥٠٦) ، و« ذيل مرآة الزمان » (٢/ ٣٠٤) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ الفاضلُ نجمُ الدينِ أبو نصرٍ فتحُ بنُ موسى بنِ حمَّادِ بنِ عبدِ اللهِ ابنِ عيسى الجَزِيريُّ الأصلِ القَصْريُّ المَرْبى المصريُّ الدارِ السُّيُوطيُّ الوفاةِ[1]

سمعَ بدمشقَ : مِنَ الكِنْديِّ ، وببغدادَ : مِنِ ابنِ الدُّبَيْثيِّ ، واجتمعَ بالعلماءِ ودرَّسَ وأفتىٰ ، واشتغلَ بالأصولِ بالشامِ وبمصرَ وبغدادَ ، وكانَ فاضلاً أصولياً ، أديباً شاعراً ، ولهُ شعرٌ لم يحضُرْني[2] .

وُلِدَ بالجزيرةِ الخضراءِ مِنَ الأندلسِ في رجبٍ سنةَ ثمانٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بسُيوطَ مِنْ صعيدِ مصرَ في رابعِ جُمادى الأولىٰ سنةَ ثلاثٍ وستينَ وستِّ مئةٍ[3] .

* * *

(١) قوله : (القصري) نسبة إلىٰ (قصر ابن عبد الكريم) المعروف بـ (قصر كتامة) .

(٢) نَظَمَ « سيرة ابن هشام » علىٰ قافية الراء في اثني عشر ألف بيت ، كما نظم « المفصل » للزمخشري ، و« الإشارات » لابن سينا .

(٣) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٥١٨ـ٥١٩) ، و« ذيل مرآة الزمان » (٢/ ٣٢٧ـ٣٢٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٩/ ١٥٣ـ١٥٤) .

ومنهُم :

قاضي القضاةِ بدرُ الدينِ أبو المحاسنِ يوسفُ بنُ الحسنِ بنِ عليٍّ السِّنْجاريُّ

تفقَّهَ ببلادِ الشرقِ على العلماءِ ، ورحلَ إلىٰ بغدادَ ، ثمَّ عادَ إلى البلادِ ووليَ القضاءَ .

ثمَّ لمَّا تولَّى السلطانُ الملكُ الصالحُ نجمُ الدينِ أيوبُ بنُ أبي بكرٍ . . وجَّهَ إليهِ فحضرَ ، وكانَتْ لهُ عليهِ خِدَمٌ سلفَتْ ، فتمكَّنَ مِنْ دولةِ السلطانِ الملكِ الصالحِ تمكُّنَ الروحِ مِنَ الجسدِ ، ثمَّ ولاهُ قضاءَ القضاةِ بالديارِ المصريةِ ، وكانَ مُنطوياً علىٰ جميلِ أخلاقٍ وعلىٰ كرمِ نَفْسٍ ، وفتوَّةٍ ومروءةٍ ، واعتقادٍ صحيحٍ ، وكانَ أَمَرَ بضربِ بعضِ الحشويةِ ، وأخمدَ كلمتَهُم .

وممَّا يُحكىٰ عنهُ مِنْ مروءتِهِ وفتوَّتِهِ : أنَّهُ جرتْ عادتُهُ إذا حضرَ بينَ يديهِ شيءٌ . . يُطعِمُ منهُ مَنْ حولَهُ ، فكانَ ذاتَ يومٍ جالساً ، فأحضرَ لهُ شخصٌ قُفَّةً صغيرةً فيها ريحانٌ وعشرُ خياراتٍ في غيرِ وقتِ الخيارِ ، فمدَّ يدَهُ فأخذَ واحدةً فأكلَها وطرحَ بعضَ قشرِها ، ثمَّ أخذَ الثانيةَ ففعلَ بها كذلكَ ، ثمَّ الثالثةَ ، إلىٰ أنِ استكملَ العشرةَ ، ثمَّ أمرَ للذي قدَّمَ ذلكَ بحلوٍ ودراهمَ .

فتكلَّمَ معَهُ أصحابُهُ وقالوا لهُ بعدَ خروجِ الرجلِ : صنعتَ اليومَ شيئاً لم تكنْ تصنعُهُ قبلَ ذلكَ !!

فقالَ : قد أبقَيتُ مِنْ كلِّ خيارةٍ قطعةً شاهدةً لي أنَّهُ لمَّا مددتُ يدي أُريدُ جبرَهُ بأكلِ شيءٍ ممَّا قدَّمَهُ إليَّ . . وجدتُها مُرَّةً ، فقلتُ : آكلُ الثانيةَ أدفعُ بها مرارةَ الأولىٰ فوجدتُها مرَّةً أيضاً ، فلم يُمكنِّي إظهارُ التقزُّزِ منها ، فأخذتُ

الثالثةَ فوجدتُها مثلَ أختَيْها ، وكذلكَ إلى العاشرةِ .

قالَ الحاكي لذلكَ : فذُقْنا جميعَ القطعِ مِنَ الخيارِ فوجدْناها مُرَّةً ، ووجدْناهُ احتملَ مضغَها خيفةً على قلبِ الرجلِ ؛ لئلا يتألَّمَ وينكسرَ باطنُهُ ، رضيَ اللهُ عنهُ .

[تُوفِّيَ] في رابعَ عشرَ رجبٍ سنةَ ثلاثٍ وستينَ وستِّ مئةٍ .

* * *

[ومنهُمْ] :

الشيخُ الإمامُ العالمُ قاضي القضاةِ صدرُ الدينِ أبو منصورٍ موهوبُ بنُ عمرَ بنِ موهوبِ بنِ إبراهيمَ ، الجزريُّ الشافعيُّ النَّحْويُّ الأصوليُّ يُعرَفُ في بلادِهِ بـ (ابنِ الطبيبِ)

تفقَّهَ بالجزيرةِ : على أبي القاسمِ عبدِ القاهرِ بنِ مهرانَ المشهورِ بـ (ابنِ البَزْريِّ) ، واشتغلَ بالأصولِ وبَرَعَ ودرَّسَ وأفتىٰ[1] ، وتولَّىٰ قضاءَ الجزيرةِ ، وأوقفَني بعضُ الجَزَرِيِّينَ على انتخالِ مكتوبٍ باسمِهِ وعليهِ علامتُهُ ، ثمَّ حضرَ إلى الديارِ المصريَّةِ وأقامَ بها ودرَّسَ ، ووَلِيَ الحكمَ نيابةً عنِ الشيخِ عزِّ الدينِ ابنِ عبدِ السلامِ[2] ، ثمَّ وَلِيَ استقلالاً مرَّتينِ .

وكانَ يُقرِئُ النحوَ ، وكتبَ الأدبِ ، والتفسيرَ ، والفقهَ علىٰ مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ ، والأصولَ علىٰ مذهبِ الأشعريِّ ، وكانَ قد وُسِّعَ عليهِ مالُهُ ، وكانَ مُقتصِداً في نفسِهِ ونفقتِهِ ، وانتفعَ عليهِ جماعةٌ مِنْ أكابرِ المصريينَ .

وُلِدَ في نصفِ جمادى الآخرةِ سنةَ تسعينَ وخمسِ مئةٍ بالجزيرةِ ، وتُوفِّيَ في تاسعِ رجبٍ سنةَ خمسٍ وستينَ وستِّ مئةٍ فجأةً بالمعشوقِ بظاهرِ مصرَ رحمَهُ اللهُ[3] .

* * *

(١) وله فتوىٰ شهيرة في مولد سيد الأكوان صلى الله عليه وسلم ؛ قال رحمه الله تعالىٰ في ذلك : (هٰذه بدعة لا بأس بها ، ولا تكره البدع إلا إذا راغمت السنة ، وأما إذا لم تراغمها فلا تكره ، ويثاب الإنسان بحسب قصده في إظهار السرور والفرح بمولد النبي صلى الله عليه وسلم) انظر « سبل الهدىٰ والرشاد » (١/ ٤٤٣) .

(٢) وكان المُترجَم من تلاميذه .

(٣) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٥٤٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٨٧) ، و« رفع =

ومنهُم :

قاضي القضاةِ تاجُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الوهابِ بنُ خلفِ بنِ بدرٍ العَلاَميُّ الشافعيُّ ، يُعرَفُ بـ (ابنِ بنتِ الأَعَزِّ)

قلتُ : هوَ مَلَكٌ في صورةِ بشرٍ ، أظهرَ اللهُ بهِ العدلَ ونشرَ ، وحفيدُ وزارةٍ مِنْ عُشِّها دَرَجَ ، وفريدُ رئاسةٍ أوصلَتْهُ إلىٰ عرشِها الدَّرَجُ ، وعالمٌ وردَ شِرَعُ الشرائعِ عِدَّهُ[1] ، وتضلَّعَ مِنْ مَعْذَبِها بعلومٍ عِدَّةٍ ، همَّةٌ لا يُدرِكُها المُطاوِلُ ، ونُهوضٌ في ذاتِ اللهِ لا جَرَمَ أنَّهُ إذا صالَ لم يتركْ مَصالاً لصائلٍ ، وإنْ قالَ لم يتركْ مَقالاً لقائلٍ .

لهُ نوادرُ في العلمِ أتَتْ عَفْواً ، وبوادرُ حمتْ لهُ مِنْ حلمِهِ عنِ الكدرِ صَفْواً ، جمعَ السكينةَ والوقارَ ، وأُلقِيَتْ عليهِ المهابةُ مِنْ غيرِ استكبارٍ ، واتَّقى اللهَ فاتقىٰ لا خوفَ ظلمٍ ولكن خوفَ إكبارٍ ، قدِ ارتفعَ علىٰ مقامِ [أهلِ] الزمانِ تاجاً ، واستغنىٰ عن دنياهُم لكنْ كانَ دينُهُم إليهِ مُحتاجاً .

[**تفقَّهَ**] : على العالمِ ابنِ الورَّاقِ ، وابنِ السكَّريِّ ، **وقرأَ الأصولَ** : على الأفضلِ الخُونجيِّ ، **وأجازَهُ** : الشيخُ مجدُ الدينِ ابنُ دقيقِ العيدِ ، **وسمعَ** : مِنْ أبي الفضلِ بنِ **أبي** الحسنِ الهَمْدانيِّ ، وكانَ مُعظِّماً للشيخِ

= الإصر » (١/ ٤٤١ـ٤٤٢) ، **والمعشوق** : اسم لمكان فيه أشجار بظاهر مصر . انظر الحديث عنه في « المواعظ والاعتبار » (٣/ ٢٨٢) .

(١) **العِدّ** : الماء الجاري الذي لا ينقطع .

عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ[1] [. . .] الشافعية[2] .

ودرَّسَ أيضاً بالمدرسةِ الصَّلاحيَّةِ المجاورةِ للإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وكانَ قد ضربَ في كلِّ فنٍّ بسهمٍ ، مُحَبّاً في أهلِ الخيرِ والصلاحِ ، مُؤثِراً لأهلِ الديانةِ ، يُحِبُّ الفضائلَ وأهلَها ، وكانَ للأدباءِ عندَهُ مَحَلٌّ تبوَّأَ منهُ أبو الحسينِ يحيى بنُ عبدِ المنعمِ الجزَّارُ الذروةَ ، واستمسكَ مِنْ ودادِهِ بأوثقِ سببٍ وعُرْوةٍ ، وفيهِ يقولُ قصائدَ وأبياتاً يطولُ تَعدادُها ، ويَشغَلُ عنِ المُهِمِّ إيرادُها ؛ فمِنْ أبياتِهِ قولُهُ : [من البسيط]

لاَ تُنْكِرِ ٱلدِّينَ وَٱلدُّنْيَا إِذَا ٱجْتَمَعَا ... مِمَّنْ إِلَىٰ خَلَفٍ يُعْزَىٰ وَمِقْدَامِ

جَدٌّ تَتِيهُ مُلُوكُ ٱلْخَافِقَيْنِ بِهِ ... وَوَالِدٌ أَيُّ صَوَّامٍ وَقَوَّامِ

وشاركَهُ في بعضِ حظِّهِ ، والتشرُّفِ بعنايتِهِ ولَحْظِهِ . . السراجُ عمرُ الورَّاقُ ، فكانَ شاهدَ تلكَ المحاسنِ ، ووارِدَ تلكَ الأنهارِ التي سَلْسَلُها غيرُ آسِنٍ ، فنطقَ فيهِ بمدائحَ اقتضتْها المنائحُ ، يُخجِلُ ثَناءَ الزَّهْرِ على الغمامِ ؛ فمنها قولُهُ : [من الوافر]

تَتَوَّجَتِ ٱلشَّرِيعَةُ مِنْكَ تَاجَا ... بِهِ ٱمْتَلأَتْ سُرُوراً وَٱبْتِهَاجَا

إِمَامٌ لَمْ يُحَابِ وَلاَ يُحَابَىٰ ... وَقَاضٍ لَمْ يُدَاجِ وَلاَ يُدَاجَىٰ

إِذَا أَخَذَ النَّدِيَّ رَأَيْتَ طَوْداً ... إِذَا صَدَمَ ٱلْجِبَالَ غَدَتْ زُجَاجَا

(١) ونقل ابن السبكي عن الإمام المجتهد شيخ الإسلام تقي الدين ابن دقيق العيد قولَهُ : (لو تفرَّغ ابن بنت الأعز للعلم فاق ابن عبد السلام) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/٣١٩) ، وكان توليه القضاء بتعيين من الإمام عز الدين بن عبد السلام رحمهما الله تعالىٰ .

(٢) ما بين معقوفين غير واضح في الأصل بسبب رداءة التصوير .

وَإِنْ رَاقَ ٱلْمَسَامِعَ مِنْهُ لَفْظٌ ... غَدَا لِلنَّحْلِ مَنْطِقُهُ مُجَاجَا[1]

لَقَدْ أَمِنَتْ رَعِيَّتُهُ وَكَانَتْ ... لِفَرْطِ ٱلْخَوْفِ تَرْتَجُّ ٱرْتِجَاجَا

تَتَبَّعَهَا فَلَمْ يَدَعِ ٱخْتِلاَلاً ... وَثَقَّفَهَا فَلَمْ يَدَعِ ٱعْوِجَاجَا

أَمُغْتَرّاً بِلِينٍ فِيهِ رَاقِبْ ... وُثُوبَ ٱللَّيْثِ وَٱحْذَرْ أَنْ يُهَاجَا

فَلَوْلاَ ٱللِّينُ فِي ٱلْبِيضِ ٱلْمَوَاضِي ... لَمَا نَفَعَتْ وَلاَ قَطَعَتْ وِدَاجَا[2]

أَسَائِلَنِي عَنِ ٱلْعُلَمَاءِ إِنِّي ... لأَكْرَهُ لِلْمُسَاءَلِ أَنْ يُحَاجَىٰ

رَأَيْتُ بَنِي ٱلْعَلاَمِيِّ ٱسْتَقَلُّوا ... بِعِلْمٍ تَوَّجَ ٱلإِسْلاَمَ تَاجَا

أَرَى ٱلإِسْلاَمَ مُبْتَهِجاً بِقَاضٍ ... بِهِ عَادَ ٱلسُّرُورُ لَهُ وَعَاجَا

ومِنْ قصائدِهِ فيهِ : [من الكامل]

عِنْدِي لِمَوْلاَنَا ٱلْوَزِيرِ أَيَادِي ... بِثَنَائِهَا أَخْرَسْتُ قُسَّ إِيَادِ

وَصَنَائِعٌ أَرْقَى ٱلْمَنَابِرَ خَاطِباً ... بِبَيَانِهَا فِي حَاضِرٍ أَوْ بَادِ

أَلْهَمْنَنِي مِنْ بَعْدِمَا طَوَّقْنَنِي ... فَسَجَعْتُ سَجْعَ ٱلْوُرْقِ فِي ٱلأَعْوَادِ

أُنْشِي وَأُنْشِدُ فِي وَزِيرٍ وَصْفُهُ ... يُرْبِي عَلَى ٱلإِنْشَاءِ وَٱلإِنْشَادِ

وَإِذَا أَعَدْتُ عَلَى ٱلْمَسَامِعِ ذِكْرَهُ ... فَكَأَنَّنِي لَمْ آتِهَا بِمُعَادِ

تَزْدَادُ جِدَّتُهُ إِذَا رَدَّدْتُهُ ... وَٱلشَّيْءُ قَدْ يَبْلَىٰ عَلَى ٱلتَّرْدَادِ

تَتَشَوَّقُ ٱلأَسْمَاعُ مِنْهُ لِمِثْلِ مَا ... نَظَمَتْ أَيَادِيهِ عَلَى ٱلأَجْيَادِ

إِنَّ ٱلْوَزِيرَ بِمَا تَقَلَّدَ نَاهِضٌ ... لَمْ يَعْيَ عَاتِقُهُ بِحَمْلِ نِجَادِ

يَقِظٌ يُجَرِّدُ لِلأُمُورِ عَزَائِماً ... تُثْنِي عَلَيْهَا أَلْسُنُ ٱلأَغْمَادِ

أَدْنَتْ لَهُ ٱلْقَاصِي ٱلْبَعِيدَ وَسَهَّلَتْ ... مَا كَانَ [مَا] لَوْ كَانَ صَعْبَ قِيَادِ

(١) المُجاج : العسل .

(٢) الوِداج : العرق في العنق .

وَمَخَافَةَ ٱللهِ ٱلَّتِي مِنْ أَجْلِهَا ... رَعَدَتْ لَدَيْهِ فَرَائِصُ ٱلآسَادِ

وَيَرَاعَةٌ سَمْرَاءَ تَصْعَدُ كَفُّهُ ... فَتَرُوعُ بِيضَ ضُبَارِمٍ صَفَّادِ

خَرْسَاءَ زَادَ بَيَانُهَا لَمَّا ٱرْتَقَتْ ... تِلْكَ ٱلْبَنَانَ عَلَى بَيَانِ زِيَادِ

فِي رِيقِهَا شَهْدٌ وَسُمٌّ فِيهِمَا ... أَمْنُ ٱلْوَلِيِّ وَرَوْعَةُ ٱلأَضْدَادِ

أَكْرِمْ بِتَاجِ ٱلدِّينِ صَدْراً لَمْ يَزَلْ ... وَمَكَانُهُ فِي ٱلنَّاسِ صَدْرُ ٱلنَّادِي

قَدْ جَاءَ بِٱلْبُرْهَانِ فِيمَا حَلَّهُ ... حَتَّى ظَفِرْنَا مِنْهُ بِٱلإِرْشَادِ

فَأَقَامَ أَعْلاَمَ ٱلشَّرِيعَةِ هَادِياً ... مَنْ كَانَ ضَلَّ فَمَا لَهُ مِنْ هَادِ

اَلصَّاحِبُ ٱلْبَانِي عُلاً لَمْ يَبْنِهَا ... نَجْلُ ٱلْعَمِيدِ وَلاَ بَنُو عَبَّادِ

وَٱلطَّاهِرُ ٱلأَعْرَاقِ غَيْرَ مُدَافَعٍ ... فِي سُؤْدَدِ ٱلآبَاءِ وَٱلأَجْدَادِ

مِنْ مَعْشَرٍ لَهُمُ ٱلْمَكَارِمُ عَادَةٌ ... شُغِفُوا بِهَا فَخْراً عَلَى ٱلآبَادِ

اَلْجَامِعِينَ إِذَا حَبَوْا وَإِذَا ٱحْتَبَوْا ... لِنَدَى ٱلْبُحُورِ رَجَاحَةَ ٱلأَطْوَادِ

وَٱلصَّادِعِينَ إِذَا بَدَوْا غَسَقَ ٱلدُّجَا ... بِمَنَاشِبٍ وَمَنَابِتٍ وَأَيَادِي

هُمْ ثَبَّتُوا عَلْيَاءَهُمْ فِي تَاجِهِمْ ... وَيَبِينُ سِرُّ ٱلأَصْلِ فِي ٱلأَعْوَادِ

ذَبُّوا وَمَا ٱتَّكَلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ ... حَتَّى أَضَافُوا طَارِفاً لِتِلاَدِ

وَلَقَدْ لَجَأْتُ إِلَى ٱلْوَزِيرِ فَشَدَّ مِنْ ... أَيْدِي وَشَيَّدَ مَنْصِبِي وَعِمَادِي

وَبَلَغْتُ فِي أَيَّامِهِ ٱلأَمَلَ ٱلَّذِي ... أَلْقَى ٱلْعِنَانَ إِلَيَّ بَعْدَ عِنَادِ

يَا سَيِّدَ ٱلْوُزَرَاءِ دَعْوَةُ خَادِمٍ ... بِكَ عَادَ لاَ يَخْشَى ٱلزَّمَانَ ٱلْعَادِي

[وُلِدَ في مُستهَلِّ رجبٍ سنةَ أربعٍ وستِّ مئةٍ ، وتوفِّيَ ليلةَ السابعِ والعشرينَ مِنْ شهرِ رجبٍ سنةَ خمسٍ وستينَ وستِّ مئةٍ][1] .

(١) ما بين معقوفين بياض في الأصل، وعلى الهامش: (بعده يذكر المولد والوفاة ، ثم يقال : ورثاه جماعة من الشعراء بقصائد) وبناء على التاريخ المذكور كان حق الترجمة أن تُقدَّم .

ورثاهُ جماعةٌ مِنَ الشعراءِ بقصائدَ ؛ **فممَّا رثاهُ بهِ سراجُ الدينِ** : [من الخفيف]

عَرَفَ ٱلْمَوْتُ قَدْرَ مَنْ هُوَ طَالِبْ ... فَـأَلَحَّـتْ صُـرُوفُـهُ وَٱلنَّـوَائِـبْ

وَأَتَـىٰ رَاجِيـاً لِبَـابِـكَ عِلْمـاً ... أَنَّ رَاجِيكَ لَيْسَ يَرْجِعُ خَائِبْ

وَلَكَـمْ دَافَعَتْـهُ عَنْـكَ حَيَـاةٌ ... غَـالَبَتْـهُ عَلَيْـكَ وَٱلْمَـوْتُ غَـالِـبْ

قَدْ أَصَمَّ ٱلنَّاعِي بِكَ ٱلْيَوْمَ حَتَّىٰ ... رَجَباً فَـٱسْمُـهُ ٱلأَصَـمُّ مُنَـاسِـبْ

وَلَئِـنْ مُـتَّ فِيـهِ فَـٱلآنَ لاَ يَخْـ ... ـتَلِفُ ٱلنَّاسُ فِي ٱنْقِطَاعِ ٱلرَّغَائِبْ[1]

وَا عَنَـاً لِـلإِسْـلاَمِ بَعْـدَكَ وَا ضَيْـ ... ـعَةَ ٱلْمُلْـكِ وَا خُلُوَّ ٱلْمَنَـاصِـبْ

كَـمْ غَـدَا بَـاكِيـاً لِفَقْـدِكَ مِحْـرَا ... بُ إِمَـامٍ وَمِنْبَـرٌ تَحْـتَ خَـاطِـبْ

دَرَسَتْ بَعْدَكَ ٱلْمَدَارِسُ وَٱنْحَطَّ ... بِحُكْـمِ ٱلأَقْـدَارِ قَـدْرُ ٱلْمَـرَاتِـبْ

أَيْـنَ ذَبٌّ عَـنِ ٱلشَّـرِيعَـةِ مِـنْ عَـزْ ... مِكَ قَدْ أَرْغَمَ ٱلْقَنَا وَٱلْقَوَاضِبْ[2]

وَٱتِّبَـاعٌ لِمَـذْهَـبِ ٱلْحَـقِّ لاَ تَعْـ ... ـدِلُ عَنْهُ عَلَى ٱتِّسَاعِ ٱلْمَذَاهِبْ

كُنْتَ عَبْدَ ٱلْوَهَّابِ مِنْ أَنْعُمِ ٱللهِ ... عَلَيْنَـا وَمِـنْ أَجَـلِّ ٱلْمَـوَاهِـبْ

فَغَدَا ٱلْيَوْمَ سَالِباً مِنْكَ مَا أَعْـ ... ـطَاهُ وَٱللهُ خَيْـرُ مُعْـطٍ وَسَـالِـبْ

كُنْتَ تَاجاً عَلَى ٱلشَّرِيعَةِ تَكْفِيـ ... ـهَا مِنَ ٱلْمُلْحِدِينَ شَرَّ عَصَائِبْ

كُنْتَ كَٱلْبَدْرِ طَالِعاً فِي دُجَا ٱلْخَطْـ ... ـبِ وَلاَ بُدَّ أَنْ يُرَى ٱلْبَدْرُ غَائِبْ

أَيْـنَ تِلْـكَ ٱلأَنَـاةُ أَيْـنَ وَقَـارٌ ... يَسْتَخِفُّ ٱلْجِبَالَ ذَاتَ ٱلْهَوَاضِبْ

مَـنْ رَأَىٰ مَـا رَآهُ مِـنْ سُـؤْدَدٍ سَـا ... رَ لَـهُ فِـي مَشَـارِقٍ وَمَغَـارِبْ

(١) **أشار بذلك** : إلى صلاة الرغائب التي تفعل في شهر رجب ، وفيها خلاف بين الأئمة ؛ فالكثير منهم ذهب إلى كراهتها ، وذهب الغزالي وغيره إلى استحبابها ، وللحافظ الزبيدي كلام نفيس حول صلاة الرغائب . انظر « المجموع » (٣/ ٥٤٩) ، و« إحياء علوم الدين » (١/ ٧٥٠ـ٧٥١) ، و« إتحاف السادة المتقين » (٣/ ٤٢٢ـ٤٢٥) .

(٢) **القواضب** : جمع قضيب ؛ وهو السيف اللطيف الدقيق .

مَا رَأَى ٱلنَّاسُ حَاكِماً جَاءَ مِلْكُ ٱلْـ ... أَرْضَ يَسْعَىٰ لَهُ بِدَعْوَىٰ مُطَالِبْ
وَلَئِنْ عُدَّتِ ٱلْمَنَاقِبُ لِلْقَا ... ضِي فَلِلَّهِ مَا لَهُ مِنْ مَنَاقِبْ
قُلْ لِأَبْنَائِهِ وَصَدْرُهُمُ ٱلصَّدْ ... رُ وَأَصْبَاهُمُ لَهُ حِلْمُ شَائِبْ
إِنْ هَوَىٰ مِنْ سَمَائِكُمْ بَدْرُهَا ٱلتَّمُّ ... فَمَا عُطِّلَتْ وَأَنْتُمْ كَوَاكِبْ[1]

* * *

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣١٨ـ٣٢٣) ، و« مرآة الجنان » (٤/ ١٦٤ـ١٦٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٩/ ١٩٩ـ٢٠٠) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ تاجُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ الشيخِ أبي العباسِ أحمدَ بنِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ ابنِ ميمونٍ ابنُ القسطلانيِّ القيسيُّ المصريُّ المالكيُّ

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ ، وسمعَ بمكَّةَ : مِنْ أبي الفرجِ يحيى بنِ ياقوتٍ ، وأبي شجاعٍ زاهرِ بنِ رستمَ الأصفهانيِّ ، والشريفِ يونسَ بنِ يحيى الهاشميِّ ، وأبي الفتوحِ نصرِ بنِ أبي الفرجِ الحُضْريِّ ، وأبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ البنَّاءِ ، وغيرِهِم ، وبمصرَ : مِنْ أبي روحٍ المُطهَّرِ بنِ أبي بكرٍ البيهقيِّ ، وأبي الحسنِ عليِّ بنِ خلفٍ الكوميِّ ، والحافظِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ المُفضَّلِ المقدسيِّ ، وغيرِهِم ، وسمعَ مِنْ أبيهِ .

ودرَّسَ بمدرسةِ المالكيَّةِ ، وبدارِ الحديثِ بالقاهرةِ المحروسةِ ، وكانَ مِنَ الخيرِ والصلاحِ وحسنِ الاصطلاحِ على أمرٍ عظيمٍ ، وكانَ لهُ وجاهةٌ عندَ الأكابرِ .

وُلِدَ في ليلةِ السابعَ عشرَ مِنْ جمادى الأولى سنةَ ثمانٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في السابعَ عشرَ مِنْ شوالٍ سنةَ خمسٍ وستينَ وستِّ مئةٍ .

رثاهُ جماعةٌ مِنْ شعراءِ مصرَ ؛ منهُمُ : السراجُ عمرُ بنُ محمدِ بنِ حسنٍ الورَّاقُ بقصيدةٍ ، وهيَ ممَّا أجازَنيهِ ونقلتُها مِنْ خطِّهِ : [من الكامل]

هَـلْ لِلـرَّدَى عِلْـمٌ بِمَـنْ يَخْتَـارُ ... أَمْ هَمُّـهُ ٱلْعُلَمَـاءُ وَٱلأَخْيَـارُ

ذَهَبُوا فَأَظْلَمَتِ ٱلْمَسَالِكُ بَعْدَهُمْ ... وَمَضَوْا فَضَلَّ ٱلسَّالِكُونَ وَحَارُوا

غَابَتْ بُدُورُ حَنَادِسٍ تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ... مِنْهُمْ وَغَارَتْ فِي ٱللُّحُودِ بِحَارُ[1]

تَـٱللهِ لاَ وَٱللهِ لاَ أَبْقَـى ٱلْـوَرَىٰ ... لَيْـلٌ يَكُـرُّ عَلَيْهِـمُ وَنَهَـارُ

أَتَرَىٰ سِهَامَ ٱلْمَوْتِ تُخْطِئُ أَنْفُساً ... بَيْـنَ ٱلْحِمَـامِ وَبَيْنَهَـا أَوْتَـارُ

أَوْ أَنْ تَرُومَ مَزِيدَ عُمْرٍ وَٱلْقَضَا ... حَتْـمٌ بِـهِ ٱلأَرْزَاقُ وَٱلأَعْمَـارُ

لاَ يَمْنَـعُ ٱلْمَلِـكَ ٱلْمُتَـوَّجَ حِصْنُهُ ... مِـنْ حَتْفِـهِ وَٱلْجَحْفَـلُ ٱلْجَـرَّارُ

كَـلا وَلاَ لِلطِّفْـلِ مِنْـهُ رَأْفَـةٌ ... تُـرْجَـىٰ وَلاَ لِلشَّيْـخِ مِنْـهُ وَقَـارُ

غَادَاكَ تَاجَ ٱلدِّينِ صَوْبُ غَمَامَةٍ ... أَنْـوَاؤُهَـا كَـدُمُـوعِنَـا مِـدْرَارُ

وَلَقَـدْ بَكَتْـكَ كَمَـا بَكَيْنَـا سُنَّـةٌ ... قَـدْ سَنَّهَـا لِـلأُمَّـةِ ٱلْمُخْتَـارُ

جَلَّيْتَهَـا وَحَمَيْتَهَـا مِـنْ آفِـكٍ ... للهِ سُـورٌ حَفَّهَـا وَسِـوَارُ

بَلْ كُنْتَ إِذْ جَلَّيْتَ عَلْيَا تَاجِهَا ... وَجَمِيعُ لَفْظِكَ جَوْهَرٌ وَنُضَارُ

فَٱذْهَبْ كَمَا ذَهَبَتْ غَوَادِي مُزْنَةٍ ... أَثْنَـىٰ عَلَيْهَـا ٱلسَّهْـلُ وَٱلأَوْعَـارُ

وَٱفْخَرْ بِمَا لَكَ مِنْ فُرُوعٍ قَدْ زَكَتْ ... وَكَـذَا أُصُـولُـكَ سَـادَةٌ أَطْهَـارُ

وَأَرَىٰ سَمَاءً مِنْكَ تَغْرُبُ شَمْسُهَا ... طَلَعَـتْ بِهَـا وَتَجَلَّـتِ ٱلأَقْمَـارُ

وَأَرَى ٱلْـوَزِيـرَ عَلِيّـاً ٱبْـنَ مُحَمَّـدٍ ... جَـاراً لَهُـمْ يَبْقَـىٰ وَنِعْـمَ ٱلْجَـارُ

لاَ زَالَ مَحْرُوسَ ٱلْجَنَابِ مُؤَيَّداً ... مَا غَرَّدَتْ فِي دَوْحِهَا ٱلأَطْيَارُ[2]

* * *

(١) الحنادس : جمع حِنْدِس ؛ وهو الليل المظلم .

(٢) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٥٥٢ـ٥٥٣) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٩/ ٢٠٠ـ٢٠١) .

ومنهُمُ :

الشيخُ الإمامُ العالمُ العاملُ الورعُ الزاهدُ المُقرِئُ شهابُ الدينِ أبو القاسمِ عبدُ الرحمٰنِ بنُ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ ، المعروفُ بـ (ابنِ أبي شامةَ)

قرأَ القرآنَ الكريمَ على الشيخِ عَلَمِ الدينِ السخاويِّ ، واشتغلَ عليهِ وعلىٰ أبي عمرِو ابنِ الحاجبِ بالنحوِ ، وروىٰ عن جماعةٍ مِنَ المشايخِ المُحدِّثينَ .

وكانَ مِنَ العلماءِ الأكابرِ[1] ، أشعريَّ الاعتقادِ ، تابعاً في ذلكَ شيخيهِ السخاويَّ وابنَ الحاجبِ .

وكانَ السَّخاويُّ قد نَظَمَ قصيدةً يردُّ فيها على الحشويَّةِ ، فانتصبَ لمُنابذتِهِ وناقضَهُ في النظمِ نجمُ الدينِ بنُ حمدانَ الحنبليُّ ، وأفحشَ في الكلامِ وسفَّهَ ، ونسبَ للأشعريِّ ما لا يليقُ ، فنَظَمَ الشيخُ شهابُ الدينِ قصيدتَهُ الميميَّةَ رادّاً على ابنِ حمدانَ ، مُنتصِراً لمذهبِ الحقِّ وللشيخِ أبي الحسنِ الأشعريِّ ، وناصراً لشيخِهِ عَلَمِ الدينِ السَّخاويِّ ، وهيَ قصيدةٌ طويلةٌ لا يَسَعُ هٰذا المُصنَّفَ ذكرُها ، لٰكنْ نذكرُ منها بعضَها ؛ فمنها : [من الخفيف]

أَحْمَـدُ ٱللهَ ذَا ٱلْجَـلَالِ لَـهُ ٱلأَمْـ ... ـرُ [. . .] دَائِمـاً قَيُّـومَـا[2]
وَأُصَلِّـي مُسَلِّمـاً أَبَـدَ ٱلـدَّهْـ ... ـرِ عَلَـىٰ كُـلِّ مُـرْسَـلٍ تَسْلِيمَـا
وَنَبِـيِّ وَمَـلاَئِكٍ وَصَفِـيِّ ... وَوَلِـيِّ وَتَـابِعِيـنَ عُمُـومَـا

(١) وألف مؤلفات نفيسة ؛ منها : « الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية » ، و« الباعث علىٰ إنكار البدع والحوادث » ، و« كتاب البسملة الأكبر » ، و« كتاب البسملة الأصغر » انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٦٥) .

(٢) كذا في الأصل ، والشطر سقط منه ما يتم به وزنه .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ لاَ تَكُونُوا كَمَنْ ضَلَّـ ـوا عُقُولاً وَقَدْ أَضَلُّوا فُهُومَا
وَٱسْمَعُوا نَظْمَ مَنْ أَعَانَ عَلَى قَمْـ ـعِ أُولِي ٱلْحَشْوِ شَيْخَهُ ٱلْمَرْحُومَا
ٱلسَّخَاوِيَّ شَيْخَ أَشْيَاخِ ذَا ٱلْعَصْـ ـرِ لَهُ ٱلْفَضْلُ ظَاعِناً وَمُقِيمَا
جَامِعاً عِفَّةً وَزُهْداً وَدِيناً وَسَخَاءً وَرَأْفَةً وَعُلُومَا
قَالَ شِعْراً فِي ٱلأَشْعَرِيِّ إِمَاماً نَصَرَ ٱلدِّينَ أَحْسَنَ ٱلتَّعْلِيمَا
وَأُولُو ٱلْحَشْوِ وَٱلضَّلاَلَةِ وَٱلْبِدْ عَةِ يَدْعُونَهُ ظَلُوماً غَشُومَا
أَوْقَفُونِي عَلَى قَصِيدَةِ مَنْ رَا مَ ٱعْتِرَاضاً فَقَالَ قَوْلاً ذَمِيمَا
سَاقِطاً لَيْسَ يَسْتَحِقُّ جَوَاباً وَحَوَى بِدْعَةً وَمَعْنىً وَخِيمَا
سَاءَ فِعْلاً لَوْ لَمْ أَخَفْ مِنْ جَهُولٍ غِرَّةً مَا أَجَبْتُهُ تَنْظِيمَا

منها :

قَالَ قَدْ كَانَ ٱلأَشْعَرِيْ فِي ٱعْتِزَالٍ قَبْلَ مَا تَابَ عَدَّ ذَلِكَ شُومَا
قُلْتُ يَكْفِيكَ ذَا سَقَاماً لِفَهْمٍ إِنَّ مَنْ ظَنَّ ذَاكَ كَانَ ظَلُومَا
أَتَرَى ٱلإِعْتِزَالَ أَوْلَىٰ مِنَ ٱلشِّرْ كِ فَهَٰذَا ٱلْمَقَالُ لَنْ يَسْتَقِيمَا
عَيَّرَ ٱلتَّائِبِينَ وَٱللهُ أَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ وَٱلأَنْبِيَاءُ قَدِيمَا[1]
قَالَ فِيهِ مَثَالِبٌ قُلْتُ كَلا حَاشَ للهِ أَنْ يَكُونَ أَثِيمَا
إِنَّ ذَاكَ ٱلْجُزْءَ ٱلَّذِي كَذَبَ ٱلْجَا مِعُ فِيهِ بَغْياً وَعَدْواً وَلُومَا[2]
بَيَّنَ ٱلْحَافِظُ ٱلإِمَامُ ٱلَّذِي كَا نَ عَلَيْهِمْ مُصَمِّماً تَصْمِيمَا[3]

(١) وكأن سقام هٰذا الفهم قد أخذه من قدوته المفتري الأهوازي الذي نسب الأكاذيب الفاحشة لإمام أهل السنة والجماعة أبي الحسن الأشعري ، وأتى بجهالات شنيعة من جملتها عدم قبول توبة المبتدع . انظر « تبيين كذب المفتري » (ص١٤٢ ، ٦٦٩ـ٦٧٥ ، ٧٥٤ـ٧٥٥) .

(٢) في هامش (أ) : (يعني : الأهوازي) أي : في جزئه الذي سمَّاه « مثالب ابن أبي بشر » .

(٣) في هامش (أ) : (يعني : ابن عساكر) أي : في كتابه النفيس « تبيين كذب المفتري » =

كَذِبَ ٱلْمُفْتَرِيْ بِمَا فِيهِ أَضْحَىٰ ... مَنْ تَعَدَّىٰ مُلَوَّماً تَلْوِيمَا

إِنَّ لِلأَشْعَرِيْ مَنَاقِبَ شَتَّىٰ ... لاَ تُقَاتٍ بِمِثْلِهِ تَكْرِيمَا

عَضَّدَ ٱلدِّينَ بِٱلتَّصَانِيفِ حَتَّىٰ ... قَمَعَ ٱلْمُبْدِعِينَ قَمْعاً أَلِيمَا

وَرَأَى ٱلْمُصْطَفَىٰ يَقُولُ لَهُ ٱنْصُرْ ... مَذْهَبَ ٱلْحَقِّ رَاجِماً مَرْجُومَا

وَلَكَمْ تَابِعٍ لَهُ مِنْ إِمَامٍ ... طَبَّقَ ٱلأَرْضَ ذِكْرُهُ تَفْخِيمَا

كَأَبِي زَيْدَ ٱلْمَرْوَزِيِّ مَعَ ٱلْقَفَّـ ... ـالِ وَٱلصُّعْلُوكِيِّ فِيهِمْ زَعِيمَا

ثُمَّ ٱلإِسْمَاعِيلِيِّ وَٱبْنِ خَفِيفٍ ... وَٱبْنِ سَمْعُونَ مَعْ سَلِيمٍ سَلِيمَا[1]

وَأَبِي بَكْرِ ابْنِ فُورَكَ وَٱلْقَا ... ضِي وَٱلأُسْتَاذِ ٱلْحَائِزِينَ ٱلْمَرُومَا[2]

وَمِنَ ٱلشَّامِ وَٱلْعِرَاقِ ذَوِي عِلْـ ... ـمٍ وَدِينٍ قَدْ حُكِّمُوا تَحْكِيمَا

كُلُّ فَرْدٍ مِنْهُمْ مَكَانُ أُلُوفٍ ... ضِيمَ إِنْ قِسْتُمُ بِهِ إِقْلِيمَا

وَٱحْتَوَى ٱلْغَرْبُ بَعْدَ مِصْرَ عَلَىٰ جَمْـ ... ـعٍ كَثِيرٍ قَدْ قُدِّمُوا تَقْدِيمَا

مِنْ جَمِيعِ ٱلطَّرَائِقِ ٱلْغُرِّ إِلا ... فِرْقَةَ ٱلْحَشْوِ ٱلآكِلِينَ ٱللُّحُومَا

لاَ يُبَالِي مَنْ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءٌ ... مَا بِهِ كَانَ نَاطِقاً مَرْجُومَا

مَنْ يَكُنْ رَدَّ مَا يَقُولُ أُولُو ٱلْبِدْ ... عَةِ جَمْعاً يَكُنْ نَصِيراً قَوِيمَا

هِيَ لِلأَشْعَرِيِّ لاَ لِسِوَاهُ ... رُتْبَةٌ سُلِّمَتْ [لَهُ] تَسْلِيمَا

قَدَّسَ ٱللهُ رُوحَهُ وَجَزَاهُ ... جَنَّةً كَانَ مَاؤُهَا تَسْنِيمَا

مَنْ يَكُنْ قَالَ قَدْ كَانَ فِي ٱلْقُرْ ... آنِ خَلْقٌ وَلَمْ يَكُنْ تَعْلِيمَا[3]

= الذي قيل فيه : (كل سنّي لا يكون عنده كتاب « التبيين » لابن عساكر . . فليس من أمر نفسه على بصيرة) .

(١) أي : أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي . انظر (١/ ٤٣٠) .

(٢) المراد بالقاضي : أبو بكر الباقلاني ، والأستاذ : أبو إسحاق الإسفرايني ، رحمهما الله تعالى ، وانظر (١/ ٣٨٦ـ٣٨٧، ٤٠٨) .

(٣) بعض كلمات الشطر الأول غير واضحة في الأصل .

دَأْبُـهُ طُـولَ دَهْـرِهِ ذَمُّ هَـٰـذَا ... فِي ٱلتَّصَانِيفِ وٱلْجِدَالِ مُقِيمَا

لِمَ لَمْ يُلْزِمْهُ ٱلْخُصُومُ بِمَا قُلْـ ... ـتُمْ وَهُمْ مِنْكُمُ أَدَقُّ فُهُومَا

إِنَّمَا ٱلْخَلْقُ فِعْلُنَا لاَ صِفَاتُ ٱلرَّ ... بِّ فَٱعْرِفْ مُرَادَهُ تَقْسِيمَا

مَا رَأَيْنَا بَيْنَ ٱلَّذِي قَالَهُ أَحْـ ... ـمَدُ وَٱلأَشْعَرِيُّ فَرْقاً مُقِيمَا

أَنْتُمُ فِي ٱلضَّلاَلِ وَٱلْغَيِّ لاَ يَبْـ ... ـرَحُ مَا قَدْ تَبْنُونَهُ مَثْلُومَا

منها :

كَمْ قَدَ اغْوَيْتُمُ بِحَوْرَانَ وَٱلأَجْـ ... ـبَالِ قَوْماً نَوْكَىٰ وَطِفْلاً يَتِيمَا

وَبِحَرَّانَ ثُمَّ حَوْلاَنَ حَمْقَىٰ ... أَشْبَهُوا فِي ٱلضَّلاَلِ زِنْجاً وَرُومَا

كُلُّ مَنْ كَانَ هَكَذَا ٱغْتَرَّ بِٱلْحَرْ ... فِ وَبِٱلصَّوْتِ فَهْوَ يُبْدِي كُلُومَا

مَا يَرَىٰ غَيْرَ ظَاهِرِ ٱللَّفْظِ قَدْ ضَلَّ ... بِكُمْ عَالَمٌ وَعَادُوا رَمِيمَا

أَنْتُمُ كُنْتُمُ لَهُمْ سَبَبَ ٱلإِضْـ ... ـلاَلِ ذَاقُوا بِكُمْ عَذَاباً أَلِيمَا

كُلُّ ذَا فِي مِيزَانِكُمْ مَا عَلَيْكُمْ ... لَوْ سَكَتُّمْ لَقَدْ أَتَيْتُمْ عَظِيمَا

بِدْعَةً قُلْتُمُ ٱلْقُرَانُ بِحَرْفٍ ... وَبِصَوْتٍ وُهِّمْتُمُ تَوْهِيمَا

فَنَفَاهُ أَصْحَابُنَا وَأَبَانُوا ... لِلْوَرَى ٱلرَّقْمَ مِنْهُ وَٱلْمَرْقُومَا

فَصَلُوا ذَا مِنْ ذَا ٱلتِّلاَوَةِ وَٱلْمَتْـ ... ـلُوِّ فَصْلاً مُبَيَّناً مَعْلُومَا[1]

فَٱسْتَبَانَ ٱلْمُحَقِّقُونَ ضَلاَلاً ... فِي ٱعْتِقَادِكُمُ وَلَيْلاً بَهِيمَا

نَسَبُوكُمْ إِلَى ٱلْحُلُولِ فَقَالُوا ... اَلنَّصَارَىٰ أَخَفُّ مِنْكُمْ جُرُومَا

بِئْسَمَا قُلْتُمُ وَأَحْمَدُ يَبْرَا ... مِنْ مَقَالاَتِكُمْ وَكَانَ رَحِيمَا

مِثْلَ مَا جَعْفَرٌ بَرِيءٌ مِنَ ٱلشِّيـ ... ـعَةِ فِيمَا رَوَوْا وَكَانَ حَلِيمَا

(١) أي : فرقوا بين التلاوة والمتلو ، أو اللفظ والملفوظ ، أو الرقم والمرقوم ، كما سيأتي بيانه في (٢/ ٣٦٤ـ ٣٦٥) .

إِنَّ أَصْحَابَ ٱلأَشْعَرِيِّ هُمُ ٱلأَكْـ ـثَرُ عِلْماً مُحَقَّقاً وَفُهُومَا
نَسَبُوا لِلإِلَٰهِ أَكْمَلَ وَصْفٍ وَنَفَوْا كُلَّ مُوهِمٍ تَجْسِيمَا
اِبْنَ حَمْدَانَ لاَ حُمِدْتَ وَهَلْ يُحْـ ـمَدُ شَخْصٌ عَنْ غَيِّهِ لَنْ يَرِيمَا[1]
نَاصِباً نَفْسَهُ ضَلاَلاً وَبَغْياً وَٱعْتِدَاءً مُعَانِداً وَخَصِيمَا
نَاسِباً غَيْرَ مَا نَقُولُ إِلَيْنَا لَيْسَ فِينَا مَنْ يَجْحَدُ ٱلتَّكْلِيمَا
كَلَّمَ ٱللهُ مَنْ أَرَادَ لِهَٰذَا قَدْ دَعَوْنَا مُوسَى ٱلنَّجِيَّ ٱلْكَلِيمَا
قَالَ عِلْمُ ٱلْكَلاَمِ قَدْ أَجْمَعَ ٱلنَّا سُ عَلَىٰ ذَمِّهِ فَكُنْ مُسْتَقِيمَا
قُلْتُ عِلْمُ ٱلْكَلاَمِ عِلْمٌ شَرِيفٌ اِنْتِصَارٌ لِلدِّينِ إِنْ هُوَ ضِيمَا
لاَ تَقُلْ بَاطِلاً فَمَا ذَمَّ أَهْلُ ٱلْـ ـعِلْمِ إِلا ٱعْتِقَادَكَ ٱلْمَوْهُومَا
إِنَّمَا ذَمَّهُ ٱلإِمَامُ ٱبْنُ إِدْرِيـ ـسِ زَمَاناً [قَدْ]كَانَ فِيهِ وَخِيمَا
هَوَ كَٱلسَّيْفِ فِي يَدِ ٱلْحَقِّ حَقٌّ فَلَكَ ٱلْوَيْلُ حَاجِماً مَحْجُومَا

منها :

ثُمَّ يَا أَيُّهَا ٱلَّذِي نَظَمَ ٱلشِّعْـ ـرَ جَواباً وَخَالَفَ ٱلْمَرْسُومَا
مَا تَأَدَّبْتَ فِي ٱلْمَقَالِ وَقَدْ جِئْـ ـتَ بِنَظْمٍ قَدْ شَبَّهُوهُ ٱلْوَنِيمَا
أَتُبَارِي بِنَظْمِكَ ٱلْغَثِّ نَظْماً لإِمَامِ ٱلْبَلاَغَتَيْنِ عَمِيمَا
لَسْتَ أَهْلاً لَهَا وَمَا ٱسْتَوَتِ ٱلأَقْـ ـدَامُ مَا شَابَهَ ٱلسَّمُومُ ٱلنَّسِيمَا
أَنْتَ فِي ٱلنَّظْمِ مِثْلُ فَهْمِكَ فِي أَصْـ ـلِ ٱلدِّيَانَاتِ مَذْهَباً مَذْمُومَا
بَعُدَ ٱلْحَنْبَلِيُّ عَنْ مَكْرُمَاتٍ سَابِقَاتٍ لَنَا وَكَانَ نَؤُومَا[2]
وَأَتَىٰ بِٱلْقَبِيحِ فِي نُصْرَةِ ٱلْبَا طِلِ نَظْماً يُشَابِهُ ٱلتَّنُّومَا[3]

(١) لن يريم : لن يبرح .

(٢) المراد : ابن حمدان بدلالة السياق .

(٣) التَّنُّوم : شجر مُرٌّ فيه سواد ييبس عند دخول الشتاء ويذهب .

قَـالَ قَـوْلاً بِـهِ خَلِيـقٌ مَقَـالاً ... لَيْـسَ فِيـهِ مُشَـارَكـاً مَـزْحُـومَـا

مَـا لَنَـا عَـادَةٌ بِـأَنْ نَمْنَـعَ ٱلْكَلْـ ... ـبَ نُبَـاحـاً فَخَلِّـهِ مُسْتَـدِيمَـا[1]

قُلْـتُ لَـكِـنْ عَـادَاتُنَـا مَـعَ ٱلْكَلْـ ... ـبِ وَمَنْ أَشْبَهَ ٱلْكِلاَبَ هُجُومَا

أَنْ نَـرُضَّ ٱلـدِّمَـاغَ مِنْـهُ بِنَعْـلٍ ... أَوْ بِسَيْـفٍ حَتَّـىٰ نَـرَاهُ عَـدِيمَـا[2]

وَنَصُـونَ ٱلإِنَـاءَ مِنْـهُ وَلُـوغـاً ... وَنَكُـفَّ ٱلثِّيَـابَ عَنْـهُ دَمِيمَـا

إِنَّهُ أَنْجَسُ ٱلنَّجَاسَاتِ فِي ٱلشَّرْ ... عِ وَقَـدْ عُـدَّ مَـرُّهُ مَحْـرُومَـا

منها :

قَـدْ كَشَفْنَـا بِنَظْمِنَـا ذَا رُمُـوزاً ... وَفَضَحْنَـا كَـلاَمَـهُ ٱلْمَشْـؤُومَـا

وَرَجَمْنَـاهُ بِـٱلْمَعَـانِـي وَبِـٱللَّفْـ ... ـظِ لِئَـلا يَطْغَـىٰ وَكَـانَ رَجِيمَـا

لِلشَّيَاطِينِ لَمْ تَزَلْ أَنْجُمُ ٱلشُّهْـ ... ـبِ ٱلْمَصَابِيحُ فِي ٱلسَّمَاءِ رُجُومَا

وَشَيَـاطِيـنُ ٱلإِنْـسِ قَـدْ رَجَمَتْهَـا ... شُهُبُ ٱلأَرْضِ مَا تَقِيهَا ٱلنُّجُومَا

مِثْلُ عَبْدِ ٱلرَّحْمَـٰنِ وَهُوَ شِهَابٌ ... لَقَبـاً نَجْـلُ [ٱبْـنِ] إِبْـرَاهِيمَـا

والقصيدةُ مئةٌ وتسعةٌ وتسعونَ بيتاً لا يسعُ الحالُ ذكرَها كاملةً ، وإنَّما أثبتُّ منها هـٰذهِ الأبياتَ .

(١) في هامش (أ) : (من كلام ابن حمدان ضمنه) ، وهـٰذا السبُّ الذميم ، والكلام الأثيم ، الناشئان من ابن حمدان . . في حق إمام كبير في زمانه ، وخصوصاً في علم القراءات الذي كان له فيه القدح المعلَّىٰ ، وهـٰكذا هو ديدن المبتدعة في كل زمان ؛ حجتهم وعمدتهم الطعن في الأكابر ، وسبيلهم ومنهجهم الهجوم علىٰ من حازوا المفاخر ، قال الإمام الذهبي في « سيره » (٢٣/ ١٢٣) في حق علم الدين السخاوي : (وكان مع سعة علومه وفضائله ديِّناً حسن الأخلاق ، مُحبَّباً إلى الناس ، وافر الحرمة ، مُطَّرِحاً للتكلف ، ليس له شغلٌ إلا العلم ونشره) .

(٢) نَرُضَّ : ندق أو نكسر .

[تُوفِّيَ] الشيخُ شهابُ الدينِ يومَ الثلاثاءِ تاسعَ عشرَ مِنْ رمضانَ المُعظَّمِ سنةَ خمسٍ وستينَ وستِّ مئةٍ بدمشقَ ، ودُفِنَ يومَ الأربعاءِ خارجَ بابِ الفراديسِ رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ[1] .

* * *

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٦٥ـ ١٦٨) ، و« غاية النهاية » (١/ ٣٦٥ـ٣٦٦) ، و« الوافي بالوفيات » (١٨/ ٦٧ـ٧٠) .

ومنهُمُ :

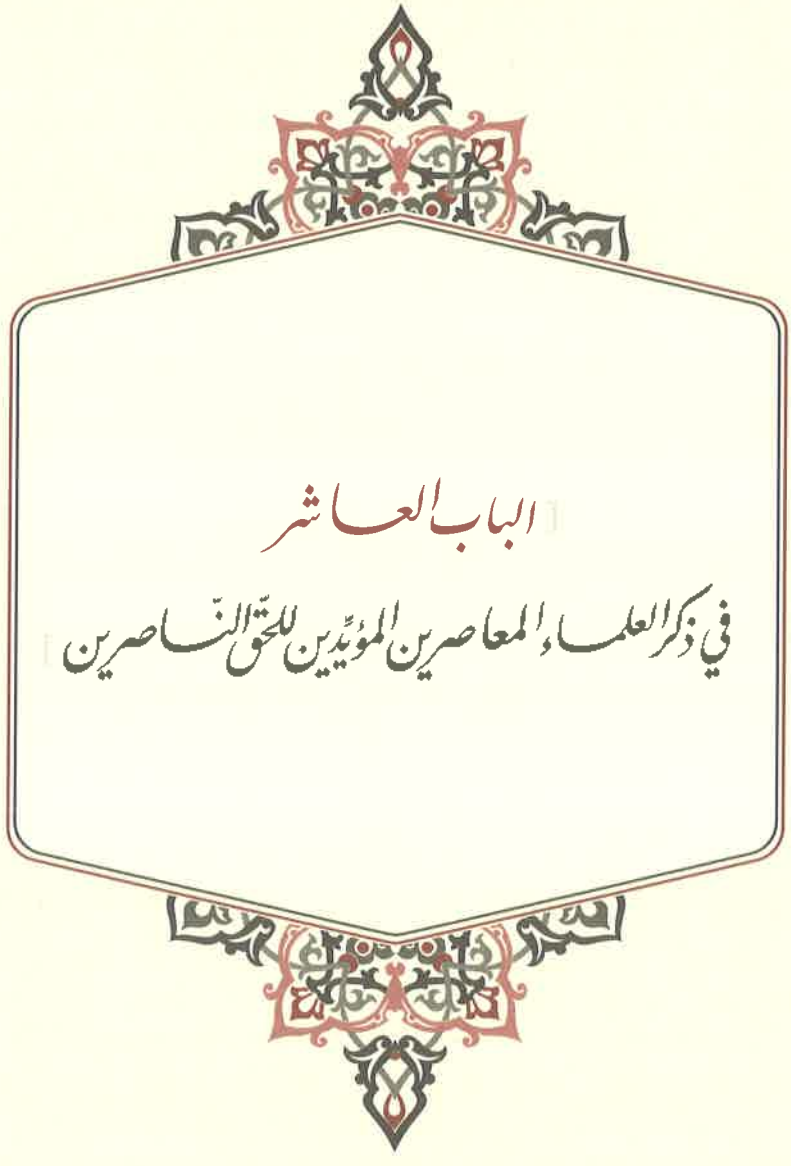
الفقيهُ الإمامُ العالمُ أبو محمدٍ عبدُ الكريمِ بنُ عطاءِ اللهِ بنِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ ، الإسكندرانيُّ المالكيُّ العدلُ

كانَ مِنْ أكابرِ الفقهاءِ المالكيَّةِ ، درَّسَ وأفتىٰ ، وحدَّثَ : عن أبي الفضلِ جعفرِ بنِ أبي الحسنِ الهَمْدانيِّ ، وأبي الحسنِ الأبياريِّ ، تُوفِّيَ بالإسكندريَّةِ عاشرَ رمضانَ سنةَ أربعٍ وستينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « الديباج المذهب » (ص١٦٧) ، و« حسن المحاضرة » (١/٤٥٦) ، ويلقب بـ (رشيد الدين) ، ومن أحفاده سيدي الإمام المربِّي تاج الدين ابن عطاء الله السكندري الشاذلي ، إمام التصوف في زمانه ، وأحدُ مَنْ قام على ابن تيمية في مسألة الزيارة المشهورة .

تتميم لتراجم هٰذا الباب : ومن أئمة الأشاعرة : الإمام الفقيه المفتي الأديب جلال الدين أبو العزائم هُمام بن راجي الله بن سرايا بن ناصر بن داود المصري خطيب الجامع الصالحي خارج باب زويلة ، ولد في ذي القعدة أو في ذي الحجة سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ وخمسين وخمس مئة ، وتوفي في ربيع الأول سنة ثلاثين وست مئة ، وقرأ العربية : على ابن بري ، والأصول : على ظافر بن الحسين ، وارتحل إلى العراق ، وتفقه : على المجير البغدادي وابن فضلان ، ثم عاد إلىٰ مصر ، قال الذهبي : وصنَّف ودرس وأفتىٰ وقال الشعر الجيد ، وله كتب في الأصول والخلاف والمذهب . ذكر جميع ذلك ابن قاضي شهبة في « طبقاته » (٢/٩٣ـ٩٤) ، ثم نقل عن إمامنا ابن المعلم قوله في حق الفقيه همام : (قرأت بخطه من تصنيفه في الأصلين والفقه نحو خمسين مجلداً) ، ولعل هٰذه الترجمة من جملة التراجم الساقطة من كتابنا هٰذا ، والله تعالىٰ أعلم .



الباب العاشر

في ذكر العلماء المعاصرين المؤيّدين للحقّ الناصرين

بابُ
العلماءِ المعاصرين المؤيِّدين للحقِّ الناصرين[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

هٰذا بابٌ أذكرُ فيهِ إنْ شاءَ اللهُ مَنْ أدركتُهُ مِنْ علماءِ عصرِنا ، وشاهدتُهُ مِنْ صلحاءِ مصرِنا وغيرِ مصرِنا ، وأنا أُوفي بما كنتُ وعدتُ أنْ أُفرِدَ لهُم باباً ، وأُسفِرَ عن محاسنِهِم حجاباً ، وأسرُدَ مِنْ مناقبِهِم ما يُلحِقُ أعجازَ الأزمنةِ بالصدورِ ، ويُبرِزُ النجومَ في صورةِ البدورِ ، وأذكرُ في أوَّلِ كلِّ ترجمةٍ ما يحضرُني مِنْ سجعٍ يروقُ ؛ قضاءً لما لهُم عليَّ مِنَ الحقوقِ .

وترتيبُهم أيضاً في الطبقاتِ : علىٰ قضاءِ نَحبِهِم ، وسبقِهِم إلىٰ ربِّهِم ؛ فأبتدئُ بِمَنْ عاصرتُهُ بسنِّ التمييزِ ، مِنْ أولي العلمِ والتبريزِ ، إلىٰ مَنِ انتقلَ إلى اللهِ حينَ تمامِ هٰذا المُصنَّفِ ، وكمالِ هٰذا التأليفِ الذي حظيَ ببركتِهِم وتشرَّفَ .

ولم أقتصِرْ علىٰ مَنْ لقيتُهُ ومَثُلْتُ بينَ يديهِ ، واستفدتُ منهُ وقرأتُ عليهِ ، بل ذكرتُ مَنْ حضرَني ذكرُهُ مِنْ علماءِ الزمانِ ، وفُضلاءِ الأوانِ ، والصلحاءِ الأولياءِ ، والعارفينَ الأتقياءِ ، على الترتيبِ المُقدَّمِ ذِكرُهُ .

وأسألُ اللهَ القبولَ والحمايةَ عنِ الزللِ بأتمِّ صونٍ ، وهوَ حسبي ونعمَ الوكيلُ .

(١) جاء في المقدمة (١/ ١٤١) : (مؤيدي الحق والناصرين) بدل (للحق الناصرين) ، والتراجم الآتية اقتصر فيها المؤلف على العلماء الموجودين في مصر أو القريبين منها ، ولم يذكر علماء المغرب الأقصىٰ ، وكذلك علماء الشرق والحجاز واليمن وغيرهم ، وقد نص علىٰ ذلك فيما سيأتي في (٢/ ٣٠٦) .

فمنهُمُ :

[الإمامُ مجدُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ وهبٍ ابنُ دقيقِ العيدِ القشيريُّ المالكيُّ]

الذي سعىٰ إلى العلياءِ مَجْداً ، وعلمَ أنَّ بقدرِ الجِدِّ يُدرَكُ العلا فنالَ بجدِّهِ جَدّاً ، وعلتْ همتُهُ فلم يسعَ لأدنىٰ معيشةٍ ولا لأعلاها مُتموَّلاً ، بل طلبَ العلا فنالَها ولا عجبَ أن يُدرِكَ المجدُ مجداً مُؤثَّلاً[1] : **الشيخُ الإمامُ العالمُ العلامةُ مجدُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي العطايا وهبِ بنِ مطيعِ بنِ أبي الطاعةِ ، القشيريُّ المنفلوطيُّ الأصلِ والمولدِ ، القوصيُّ الدارِ والوفاةِ .**

[**تفقَّهَ**] **علىٰ مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ** : علىٰ غيرِ واحدٍ ؛ **منهُمُ** : الحافظُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ المُفضَّلِ المقدسيُّ ، وصحبَهُ مدَّةً ، وسمعَ منهُ ومِنْ أقرانِهِ مِنْ أصحابِ السِّلَفيِّ ، واشتغلَ بالأصولَينِ على التقيِّ المُقترَحِ ، وصاهرَهُ .

وبرعَ في فنونٍ عديدةٍ ، ودرَّسَ وأفتىٰ ، وانتفعَ بهِ الناسُ عموماً ، وتخرَّجَ بهِ جماعةٌ مِنَ الفقهاءِ ، ويكفيهِ فخراً ابنُهُ الشيخُ تقيُّ الدينِ[2] ، وانتفعَ بهِ جماعةٌ ؛ كالجلالِ الدِّشْنائيِّ ، والبهاءِ القِفْطيِّ ، والسيدِ الشريفِ ضياءِ الدينِ ابنِ عبدِ الرحيمِ ، والقاضي تاجِ الدينِ عبدِ الوهابِ بنِ خلفٍ[3] ، والشمسِ بنِ

(١) لا يخفىٰ على الأديب أن هٰذا مأخوذ من قول امرىء القيس : (من الطويل)

ولـو أنَّ مـا أسعـىٰ لأدنـىٰ معيشـةٍ كفاني ـ ولم أطلبْ ـ قليلٌ من المالِ
ولٰكنَّمـا أسعـىٰ لمجـدٍ مُـؤثَّـلٍ وقد يُدرِكُ المجدَ المُؤثَّلَ أمثالي

انظر « ديوانه » (ص٣٩) ، **والمؤثل** : المثمر الذي له أصل ، وهو الكثير أيضاً .

(٢) أي : الإمام المجتهد تقي الدين ابن دقيق رحمه الله تعالىٰ .

(٣) وهٰؤلاء ستأتي تراجمهم .

المُفضَّلِ الأُسْوانيِّ ، وجماعةٌ لا يُحصَرُونَ .

وكانَ رحمَهُ اللهُ لَيِّنَ الجانبِ ، رقيقَ القلبِ ، حسنَ السَّمْتِ ، كريمَ الأخلاقِ ، مُحَبّاً في أهلِ الخيرِ والديانةِ .

صحبَ الشيخَ أبا الحسنِ ابنَ الصباغِ وتخرَّجَ بهِ ، وأخذَ عنهُ آدابَ الصوفيةِ وأخلاقَهُم ، ولهُ كراماتٌ وأحوالٌ يضيقُ هـٰذا المُختصَرُ عن ذكرِها .

وُلِدَ في شهرِ رمضانَ سنةَ إحدىٰ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في ثالثَ عشرَ مُحرَّمٍ سنةَ سبعٍ وستينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٥٧٠ـ٥٧١) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٩/ ٢٤٤) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ نصيرُ الدينِ أبو البركاتِ المباركُ بنُ يحيى ابنُ الطباخِ الشافعيُّ]

الفقيهُ إذا عُدَّ الفُقَها ، والمُحقِّقُ للأدلَّةَ إذا روَّجَها المُغالِطُ ولفَّقَها ، والسَّخِيُّ بالفوائدِ إذا امتنعَ الضابطُ أن يُنفِقَها ، ولقد كانَتْ لهُ رحمَهُ اللهُ همَّةٌ تعلو مواطِئُها الهامَ ، وسعيٌ إلى المعالي يُتحقَّقُ أنَّهُ إلهامٌ ، لا جَرَمَ مدَّ إلى العلا بباعٍ غيرِ قصيرٍ ، واهتدىٰ إلى المجدِ ببصرٍ غيرِ كالٍّ ولا حسيرٍ ، ونصرَ الحقَّ فكانَ نعمَ النصيرُ : **الشيخُ الإمامُ العالمُ الحَبْرُ نصيرُ الدينِ أبو البركاتِ المباركُ بنُ يحيى بنِ أبي الحسنِ بنِ أبي القاسمِ ، المصريُّ الصوفيُّ المعروفُ بـ(ابنِ الطباخِ)** .

تفقَّهَ علىٰ مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ : علىٰ طلبةِ مُجلِّي بنِ جُمَيعٍ ، وكانَ عارفاً بالجدلِ والخلافِ والأصولَينِ على المقترحِ ، وكانَ يقولُ : (أنا أُفتي في المذاهبِ الأربعةِ ، وأُفتي أيضاً علىٰ مذهبِ أهلِ البيتِ ، غيرَ أنِّي لا أنتحلُ إلا مذهبَ الإمامِ الشافعيِّ) .

برعَ في العلومِ ودرَّسَ وأفتىٰ ، وكتبَ مِنْ كلامِ الأشعريِّ شيئاً كثيراً ، وكانَ حسنَ السَّمْتِ ، صوفيَّ الأخلاقِ ، مُتقدِّماً عندَ الأكابرِ والوزراءِ والملوكِ .

وُلِدَ في الحادي والعشرينَ مِنْ ذي القعدةِ سنةَ ستٍّ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ[1] ،

(١) مولده في « صلة التكملة » : في الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة سبع وثمانين وخمس مئة ، وكذلك في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » ، إلا أن فيه (الخامس عشر) بدل (الحادي والعشرين) .

وتُوفِّيَ في الحادي عشرَ مِنْ جمادى الآخرةِ سنةَ سبعٍ وستينَ وستٍّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٥٧٦) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٦٧ـ ٣٦٨) ، وكان للمترجم عناية كبيرة بكتاب « التنبيه » لأبي إسحاق الشيرازي ؛ حتىٰ إنه نُوزِعَ مرَّةً في مسألة وقيل له : ليست هٰذه في « التنبيه » ، فغضب وقال : ما من مسألة إلا وهي في « التنبيه » ، فقيل له : أين في « التنبيه » : (إن لكلِّ جريةٍ حكماً في الماء الجاري) ؟ فقال : في قوله في (الطلاق) : (وإن قال لها وهي في ماء جار : إن خرجت من هٰذا الماء فأنت طالق ، وإن أقمت فيه فأنت طالق . . لم تطلق خرجت أو أقامت) ، فقد جعل لكل جرية حكماً .

ومنهُمُ :

[الإمامُ تقيُّ الدينِ أبو التقىٰ صالحُ بنُ الحسينِ الجعفريُّ الزينبيُّ]

الجعفريُّ أباً ، الهاشميُّ نَسَباً ، القاضي الناظرُ ، والمُناضِلُ المُناظِرُ ، والخطيبُ البليغُ ، والساقي فئةَ الكفرِ ما تتجرَّعُهُ ولا تكادُ تُسِيغُ ، جمعَ بينَ رئاسةِ العلمِ والدينِ ؛ فلذلكَ جمعَ بينَ النظرِ في الأحكامِ والمصالحِ ، وأمِنَ حينَ اتَّقىٰ وأصلحَ فهوَ تقيٌّ وصالحٌ : **الشيخُ الإمامُ العالمُ تقيُّ الدينِ أبو التقىٰ صالحُ بنُ الحسينِ بنِ طلحةَ ، الهاشميُّ الجعفريُّ الزينبيُّ** .

سمعَ : مِنْ أبي الحسنِ عليِّ بنِ أبي الكرمِ الخلَّالِ .

وكانَ مِنَ الفقهاءِ الأكابرِ ، والعلماءِ الأفاضلِ ، والمُتكلِّمينَ الأماثلِ ، صنَّفَ كتباً في العلومِ ؛ **منها** : كتابُهُ المُسمَّىٰ : « تخجيلَ أهلِ الإنجيلِ » ، وقفتُ عليهِ في مُجلَّدينِ ، ولهُ خُطَبٌ حسنةٌ ، ونثرٌ ونظمٌ حسنٌ ، تولَّىٰ قضاءَ قوصَ ونظرَها أيضاً .

وُلِدَ سنةَ إحدىٰ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ [. . .] ثمَّ[1] ، وتُوفِّيَ بالقاهرةِ في مُستهَلِّ ذي القعدةِ سنةَ ثمانٍ وستينَ وستِّ مئةٍ[2] .

* * *

(١) كذا في (أ ، ب) ، وما بين معقوفين بياض فيهما بمقدار كلمة ، ولعله أراد أن يذكر بلد الولادة إلا أنه لم يتيسر له أو لم يعثر عليه ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٥٩٤) ، و« ذيل مرآة الزمان » (٢/ ٤٣٨) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٩/ ٢٦٢) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ قاضي القضاةِ شرفُ الدينِ
أبو حفصٍ عمرُ بنُ عبدِ اللهِ السبكيُّ المالكيُّ]

الشيخُ الإمامُ ، والعَضْبُ الحسامُ ، فارسُ النقضِ والإبرامِ ، والناهي عنِ المنكرِ الحرامِ ، ومُصرِّفُ الأمرِ الجَموحِ كأنَّهُ قد زُمَّ مُصعَبُهُ لهُ بزِمامٍ ، المُجدِّدُ رسمَ المراسمِ المالكيَّةِ حينَ درسَ وعفا ، والعافي عنِ الهافي ومثلُهُ مَنْ قدرَ وعفا ، والعامرُ بسيادتِهِ معالمَ الشرفِ فلذلكَ سُمِّيَ عمرَ وشَرَفاً : **الشيخُ العالمُ العلامةُ الحبرُ قاضي القضاةِ شرفُ الدينِ أبو حفصٍ عمرُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ صالحِ بنِ عيسى ، السُّبكيُّ المالكيُّ** .

تفقَّهَ علىٰ مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ : على الفقيهِ الدِّرْعيِّ بمصرَ ، **وبالقاهرةِ** : على الحافظِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ المُفضَّلِ ، وسمعَ منهُ ومِنَ القاضي أبي محمدٍ عبدِ اللهِ ابنِ مُجلِّي ، وتولَّى الحسبةَ بالقاهرةِ ، ودرَّسَ وأفتىٰ ، ثمَّ تولَّى الحكمَ بالديارِ المصريةِ حينَ جُعِلَتِ القضاةُ أربعةً علىٰ مذاهبِ الأئمَّةِ الأربعةِ رضيَ اللهُ عنهُم[1] .

(١) وكان القضاء قبل ذلك مُتمحِّضاً للسادة الشافعية ، وكان هٰذا التغيير والتجديد علىٰ يد الملك الظاهر بيبرس ، **وكان سبب ذلك** : أنه سأل القاضي تاج الدين عبد الوهاب بن خلف العلامي المار في (٢/ ١٠٠ـ ١٠٥) في أمر ، فامتنع من الدخول فيه ، فقيل له : مُرْ نائبك الحنفي ، وكان القاضي ـ وهو الشافعي ـ يستنيب من شاء من المذاهب الثلاثة ، فامتنع من ذلك أيضاً ، وجرىٰ ما جرىٰ ، ثم أحدث مثل ذلك في دمشق ، وقيل : إنه ندم علىٰ ذلك . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣١٩ـ٣٢١) ففيها تفصيل لهٰذه الحادثة ، وكان هٰذا التغيير في حدود سنة (٦٦٤هـ) .

وكانَ سديداً في عقيدتِهِ ويقينِهِ ، شديداً في دينِهِ ، رادعاً للمبتدعةِ ، صادعاً بالحقِّ لا يضرُّهُ مَنْ خذلَهُ ولا مَنْ خدعَهُ .

وُلِدَ في عشرِ ذي الحجةِ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في الخامسِ والعشرينَ مِنْ ذي القعدةِ سنةَ تسعٍ وستينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٦١٠ـ٦١١) ، و« ذيل مرآة الزمان » (٢/ ٤٦١ـ٤٦٢) ، و« تاريخ الإسلام » (٤٩/ ٢٩١ـ٢٩٤) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي الفضلِ الهِنْتاتيُّ المالكيُّ]

الغريبُ المثلِ والوطنِ ، العجيبُ النُّبْلِ والفَطَنِ ، الصادعُ بالحقِّ إذا وهى الصادعُ وجَبَنَ ، والحسنُ فعلاً وقولاً فلذلكَ دُعِيَ أبا الحسنِ : **الشيخُ الإمامُ العالمُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي الفضلِ عباسِ بنِ خلفٍ ، الهِنْتاتيُّ المالكيُّ** .

كانَ مُشتغِلاً بالفقهِ على مذهبِ مالكٍ ، وبالأصولِ على مذهبِ الإمامِ أبي الحسنِ الأشعريِّ .

ونَظَمَ قصيدةً في مسألةِ الكلامِ جيِّدةً سلكَ فيها مسلكاً جيِّداً؛ وهيَ : [من الطويل]

بَدَأْتُ بِحَمْدِ ٱللهِ أَسْنَى ٱلْوَسَائِلِ ... إِلَىٰ كُلِّ مَأْمُولٍ مُهِمٍّ وَطَائِلِ

هُوَ ٱلْمُرْتَجَىٰ عِنْدَ ٱلشَّدَائِدِ إِنْ غَدَتْ ... وَمُسْعِفُ رَاجِيهِ [. . .][1]

سَأَلْتَ رَعَاكَ ٱللهُ عَنْ شَرْحِ غَامِضٍ ... مِنَ ٱلْعِلْمِ زَلَّتْ فِيهِ بَعْضُ ٱلْقَبَائِلِ

هُوَ ٱلْقَوْلُ فِي مَعْنَى ٱلْكَلَامِ وَحَدِّهِ ... وَهَلْ هُوَ مَخْلُوقٌ عَلَىٰ نَحْلِ نَاحِلِ

وَعَنْ مَذْهَبِ ٱلتَّحْقِيقِ فِيهِ وَكَشْفِهِ ... عَلَىٰ لُغَةِ ٱلأَعْرَابِ أَهْلِ ٱلْمَحَافِلِ

وَقَطْعِ نِزَاعِ ٱلْخَصْمِ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ ... بِأَوْضَحِ تِبْيَانٍ وَأَهْدَى ٱلدَّلَائِلِ

فَأَعْمَلْتُ فِكْرِي فِي جَوَابِكَ رَاغِباً ... إِلَى ٱللهِ فِي تَحْصِيلِ أَعْلَى ٱلْمَنَازِلِ

وَأَوْضَحْتُ عَنْ دِينِ ٱلنَّبِيِّ وَصَحْبِهِ ... وَمَذْهَبِ أَرْبَابِ ٱلْعُلُومِ ٱلأَفَاضِلِ

فَحَدُّ ٱلْكَلَامِ ٱلْقَوْلُ فِي ٱلنَّفْسِ عِنْدَنَا ... وَعِنْدَ جَمِيعِ ٱلْعَارِفِينَ ٱلأَوَائِلِ

وَمَا هُوَ إِلا فِي ٱلْفُؤَادِ حَدِيثُهُ ... نُحِسُّ بِهِ فِي ٱلنَّفْسِ مِنْ غَيْرِ حَائِلِ

(١) ما بين معقوفين في الأصل غير واضح بسبب رداءة التصوير .

وَلَيْسَ بِصَوْتٍ لاَ وَلاَ هُوَ أَحْرُفٌ ... وَلَيْسَ بِلَفْظٍ بِٱللِّسَانِ ٱلْمُنَاضِلِ

فَكُلُّ كَلاَمِ ٱلنَّفْسِ قَوْلٌ مُحَقَّقٌ ... تُتَرْجِمُ عَنْهُ مُفْصِحَاتُ ٱلْمَقَاوِلِ

لِسَانٌ وَخَطٌّ ثُمَّ رَمْزٌ مُبَيِّنٌ ... كَلاَمٌ ظَهِيرٌ لَيْسَ عَنْهُ بِمَائِلِ

فَمِنْهُ كَلاَمٌ فِي ٱلتَّقَاسِيمِ حَادِثٌ ... وَمِنْهُ قَدِيمٌ كَامِلٌ وَصْفُ كَامِلِ

فَلِلَّهِ مَا مِنْهُ قَدِيمٌ مُنَزَّهٌ ... وَحَادِثُهُ لِلْحَادِثِينَ ٱلأَمَاثِلِ

لِأَنَّ كَلاَمَ ٱللهِ وَصْفٌ لِذَاتِهِ ... يَجِلُّ جَلاَلُ ٱلذَّاتِ عَنْ كُلِّ بَاطِلِ

وَلَوْ كَانَ مَخْلُوقاً لَكَانَتْ عُلُومُهُ ... وَقُدْرَتُهُ مَفْعُولَتَيْنِ لِفَاعِلِ

وَمَا كَانَ ذَا عِلْمٍ قَدِيمٍ وَقُدْرَةٍ ... وَسَمْعٍ وَإِدْرَاكٍ مُحِيطٍ وَشَامِلِ

وَلاَ ذَا كَلاَمٍ قَبْلَ خَلْقِ كَلاَمِهِ ... وَذَاكَ مُحَالٌ لَيْسَ قَوْلاً لِعَاقِلِ

وَلَوْ جَازَ فِي ذَاتِ ٱلإِلَهِ حُدُوثُهُ ... لَجَازَ حُدُوثُ ٱلذَّاتِ مِنْ غَيْرِ فَاصِلِ

وَلَوْ جَازَ لاَ فِي ٱلذَّاتِ أَوْ ذَاتِ غَيْرِهِ ... لَمَا كَانَ مُخْتَصّاً بِهِ دُونَ قَائِلِ

وَلَكِنَّهُ وَصْفٌ لَهُ قَائِمٌ بِهِ ... كَعِلْمٍ وَسَمْعٍ لَيْسَ عَنْهُ بِزَائِلِ

وَمَا دُونَهُ مِنْ مُصْحَفٍ قَدْ تَضَمَّنَتْ ... فَذَلِكَ قُرْآنٌ عَظِيمُ ٱلْمَحَافِلِ

بِإِجْمَاعِ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ طُرّاً وَأَنَّهُ ... دَلِيلُ كَلاَمِ ٱللهِ عِنْدَ ٱلتَّعَاقُلِ

وَأَحْرُفُهُ مَخْلُوقَةٌ غَيْرَ أَنَّهَا ... تَدُلُّ عَلَى مَعْنَاهُ وَقْتَ ٱلتَّنَاوُلِ

وَلَوْ كَانَ ذَا صَوْتٍ وَحَرْفٍ كَلاَمُهُ ... لَكَانَ لَهُ ثَغْرٌ كَشَكْلِ ٱلْهَيَاكِلِ

وَلَوْ كَانَ جِسْماً كَانَ صُنْعاً لِصَانِعٍ ... كَسَائِرِ أَجْسَامِ ٱلَّذِي لِلتَّمَاثُلِ

فَلاَ تَلْتَفِتْ أَقْوَالَ مَنْ قَالَ إِنَّهُ ... كَصَلْصَلَةٍ أَوْ مِثْلُ جَرِّ ٱلسَّلاَسِلِ

وَهَلْ ذَاكَ إِلا صَوْتُ جِبْرِيلَ نَازِلاً ... بِوَحْيٍ إِلَى ٱلْمُخْتَارِ أَكْرَمِ نَازِلِ

كَذَا مُقْتَضَى ٱلأَخْبَارِ عِنْدَ شُيُوخِنَا ... فَكُنْ وَاعِياً قَوْلِي لَطِيفَ ٱلشَّمَائِلِ

وَلاَ قَوْلَ قَوْمٍ إِنَّ نَفْيَ مُخَاطَبٍ ... يُحِيلُ قَدِيمَ ٱلْقَوْلِ نُكْتَةَ سَائِلِ[1]

(١) وهٰذا من جملة الإيرادات التي أوردها المعتزلة على أهل السنة والجماعة ؛ وهي أنَّ =

فَمَا نَفْيُ قَوْلٍ لِانْتِفَاءِ مُخَاطَبٍ ... بِحُجَّةِ نِحْرِيرٍ ذَكِيٍّ مُجَادِلِ

كَمَا نَفْيُ مَعْلُومٍ إِذَا لَيْسَ ثَابِتاً ... لِعِلْمٍ بِهِ قَطْعاً لِأَهْلِ ٱلْغَوَائِلِ

وَقَالَتْ بِهِ قَوْمٌ سُمُوا قَدَرِيَّةً ... وَأَهْلُ ٱعْتِزَالٍ مِثْلُهُمْ حَذْوَ نَاعِلِ

وَقَالَ رَسُولُ ٱللهِ فِيهِمْ بِأَنَّهُمْ ... مَجُوسٌ عَلَى ٱلتَّصْحِيحِ فِي نَقْلِ نَاقِلِ[1]

فَتِلْكَ مَقَالاَتٌ لِكُلِّ مُعَانِدٍ ... وَكُلِّ غَبِيٍّ فَاسِدِ ٱلْعَقْلِ جَاهِلِ

فَهَذَا جَوَابٌ لَيْسَ يَخْفَىٰ صَوَابُهُ ... عَلَىٰ عَالِمٍ بِٱلشَّرْعِ وَٱلدِّينِ فَاضِلِ

تَضَمَّنَهُ نَظْمِي فَأَشْرَقَ نُورُهُ ... وَبُرْهَانُهُ مَاضٍ مَضَاءَ ٱلْمَنَاصِلِ[2]

فَيَا رَبِّ فَٱرْحَمْ مَنْ قَرَاهُ بِرَغْبَةٍ ... وَلاَ تُخْلِنِي مِنْ فَضْلِ شَرْحِ ٱلْمَسَائِلِ

وَيَسِّرْ لَنَا ٱلتَّقْوَىٰ لِنَحْظَىٰ بِوَصْفِهِ ... وَنَجْنِيْ ثِمَارَ ٱلأَمْنِ بَعْدَ ٱلتَّوَاصُلِ

وَصَلِّ عَلَى ٱلْمُخْتَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... صَلاَةَ رِضاً مَرَّ ٱلضُّحَىٰ وَٱلأَصَائِلِ

صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ تسليماً ، نقلتُها مِنْ نسخةٍ مسموعةٍ علىٰ ناظمِها وعليها خطُّهُ رحمَهُ اللهُ .

تُوفِّيَ في السادسِ والعشرينَ مِنْ شهرِ رمضانَ المُعظَّمِ سنةَ سبعينَ وستِّ مئةٍ .

* * *

= الخطاب لا بد أن يكون إلىٰ مخاطب موجود في الخارج . انظر « النبراس » للفرهاري (ص٣١٣) .

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٩١) ، والحاكم (١/ ٨٥) ، وأحمد (٢/ ٨٦) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) في هامش (أ) : (المروي : مُضِيَّ) أي : بدل (مضاء) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ قاضي القضاةِ كمالُ الدينِ أبو حفصٍ عمرُ بنُ بندارَ التَّفْليسيُّ الشافعيُّ]

الذي كانَ على الحقيقةِ كمالاً ، وللخليقةِ عِصْمةً ومآلاً ، وعلى المُبتدِعةِ نقمةً ونَكالاً ، طالما طَلَعَ بدراً في فلكِ المناظرةِ والتدريسِ ، وأنفقَ مِنْ حاصلِ فوائدَ صدرَتْ عن ملاءةٍ لا عن تَفْليسٍ ، وأردفَ تأسيسَ التقديسِ بتجنيسِ التأنيسِ[1] : الشيخُ الإمامُ العالمُ قاضي القضاةِ كمالُ الدينِ أبو حفصٍ عمرُ بنُ بندارَ بنِ عمرَ ، التَّفْليسيُّ الشافعيُّ الفقيهُ .

وُلِدَ بتفليسَ ، وتفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ ، وقرأَ الأصولَين وغيرَهُما ، وبرعَ في ذلكَ ، وسمعَ : مِنْ أبي المُنجَّى[2] عبدِ اللهِ بنِ عمرَ ابنِ اللَّتِّيِّ ، والإمامِ أبي عمرٍو عثمانَ بنِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ النصريِّ[3] ، ودرَّسَ وأفتى ، ووَلِيَ القضاءَ بدمشقَ ، وقدمَ مصرَ فأقامَ بالقاهرةِ يُدرِّسُ ويُفتي ويشتغلُ بالعلومِ .

وُلِدَ سنةَ اثنتينِ وستِّ مئةٍ تخميناً ، وتُوفِّيَ ليلةَ الرابعَ عشرَ مِنْ شهرِ ربيعٍ الأولِ سنةَ اثنتينِ وسبعينَ وستِّ مئةٍ[4] .

(١) في (ب) : (بتحقيق) بدل (بتجنيس) .

(٢) في نسختينا : (ابن أبي المنجى) ، والمثبت من المصادر والمراجع .

(٣) هو الإمام الكبير ، والمحدث النحرير ، والمفتي الشهير : التقي أبو عمرو بن الصلاح الشهرزوري رحمه الله تعالى .

(٤) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٦٤٤ـ٦٤٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٨/ ٣٠٩ـ٣١٠)، و« تاريخ الإسلام » (٥٠/ ١٠٣ـ١٠٤) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ أقضى القضاةِ سديدُ الدينِ أبو عمرٍو عثمانُ بنُ عبدِ الكريم التِّزْمَنْتيُّ الشافعيُّ]

العالمُ الحَبْرُ ، والحاكمُ الصَّدْرُ ، الذي كانَ في علمِهِ فريداً ، وفي ذاتِ الإلـهِ شديداً ، ومُنِحَ السيادةَ في العلمِ والسَّدادَ في الحكمِ فكانَ سيِّداً وسديداً .

الشيخُ الإمامُ أقضى القضاةِ سديدُ الدينِ أبو عمرٍو عثمانُ بنُ أبي محمدٍ عبدِ الكريمِ بنِ أحمدَ بنِ خليفةَ ، الصِّنْهاجيُّ التِّزْمَنْتيُّ الشافعيُّ .

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ : على الفقيهِ أبي الطاهرِ وأضرابِهِ ، وسمعَ قولَهُ : قاضي القضاةِ شرفُ الدينِ أبو المكارمِ بنُ عينِ الدولةِ ، واشتغلَ بالعلومِ ، ودرَّسَ بالمدرسةِ الفاضليَّةِ ، ونابَ في الحكمِ بالقاهرةِ .

تُوفِّيَ في الحادي عشرَ مِنْ ذي القعدةِ سنةَ أربعٍ وسبعينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٦٧٨ـ٦٧٩) ، و« طبقات الشافعية الكبرى » (٨/ ٣٣٦ـ٣٣٧) ، وقد سبق مدح ابن عبد السلام له في (٢/ ٩١) ، وكان من جملة تلاميذ المترجم إمام الشافعية في زمانه أبو العباس ابن الرفعة صاحب « الكفاية » و« المطلب العالي » .

ومنهُمُ :

[الإمامُ وجيهُ الدينِ أبو الطاهرِ إسماعيلُ بنُ محمدٍ الأنصاريُّ القيروانيُّ المالكيُّ]

الوجيهُ إذا عُدَّ الوُجَهاءُ ، والنبيهُ إذا ذُكِرَ النُّبَهاءُ ، المُشارِكُ في فضائلَ ، والسالكُ سبيلَ العلماءِ الأفاضلِ ، القريبُ وإنْ بَعُدَ مزارُهُ ، والغريبُ الذي حُمِدَتْ آثارُهُ : **الشيخُ الإمامُ وجيهُ الدينِ أبو الطاهرِ إسماعيلُ بنُ محمدِ بنِ محمدِ بنِ عمرَ بنِ محمدٍ ، الأنصاريُّ القيروانيُّ المالكيُّ** .

تفقَّهَ على مذهبِ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ ، وقرأَ الأصولَ والأدبَ ، وحدَّثَ ودرَّسَ وأفتى ، ونابَ عنِ القضاةِ المالكيَّةِ في بعضِ ضواحي القاهرةِ .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ في الرابعَ عشرَ مِنْ شهرِ رمضانَ سنةَ أربعٍ وسبعينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٦٨٦) ، و« تاريخ الإسلام » (٥٠/ ١٨١) ، وذكراه في وفيات سنة (٦٧٥هـ) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ قاضي القضاةِ برهانُ الدينِ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمدٍ البوشيُّ المالكيُّ]

العالمُ المُتورِّعُ ، والمُفضَّلُ المُتبرِّعُ ، والقانتُ المُتطوِّعُ : **الشيخُ الإمامُ برهانُ الدينِ قاضي القضاةِ أبو إسحاقَ إبراهيمُ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ ، البوشيُّ مولداً ونشأةً المصريُّ داراً المالكيُّ** .

تفقَّهَ على مذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ ، وتولَّى العقودَ والفروضَ بمصرَ مدَّةً ، ثمَّ تولَّى قضاءَ ثغرِ الإسكندريَّةِ مدَّةً ، ثمَّ انصرفَ .

وُلِدَ في شهرِ رمضانَ سنةَ إحدىٰ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بمصرَ في الحادي عشرَ مِنْ شعبانَ سنةَ خمسٍ وسبعينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « صلة التكملة » (٢/ ٦٨٥) ، و« عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان » (٢/ ١٧٣) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ شهابُ الدينِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ ميكائيلَ الرَّبَعيُّ الشافعيُّ]

الشِّهابُ المُتوقِّدُ ذكاءً ، والعالِمُ المُتزهِّدُ طلباً لثوابِ اللهِ ورجاءً ، والنعمانيُّ صحبةً وولاءً ، أقامَ بالشرقيَّةِ شَرَقاً في لهواتِ أولي الأصواتِ ، وخرقاً على القائلينَ بالجهةِ مِنْ كلِّ الجهاتِ ، يُناضِلُ ويُناظِرُ و[. . .][1] .

هوَ مُنتسِبٌ إلى ميكائيلَ ، **فأمَّا نسبُهُ** : فهوَ شهابُ الدينِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ ميكائيلَ الرَّبَعيُّ ، مِنْ ربيعةِ الفرسِ .

كانَ إماماً عالماً فاضلاً ، ينتحلُ مذهبَ الشافعيِّ ، وكانَ نحويّاً عارفاً بأصولِ الدينِ وأصولِ الفقهِ ، نظمَ قصائدَ في الردِّ على المُشبِّهةِ ، ولهُ تصانيفُ عديدةٌ في ذلكَ ، ولهُ نثرٌ حَسَنٌ ؛ **فمِنْ نظمِهِ**[. . .][2] .

تُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ يومَ الثَّلاثاءِ الحادي والعشرينَ مِنْ شهرِ جمادى الأولى سنةَ خمسٍ وسبعينَ وستِّ مئةٍ[3] .

* * *

ومنهُمُ : الشيخُ الإمامُ القائمُ في ذاتِ اللهِ أحسنَ القيامِ ، فهوَ الحافي الحازمُ[4] ، والمُشمِّرُ عنْ ساقِ مجتهدٍ[. . .][5] .

(١) ما بين معقوفين غير واضح في (أ) .

(٢) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) بمقدار سطرين .

(٣) انظر « المنهل الصافي » (٢/ ١٨٧) .

(٤) **الحافي** : القاضي .

(٥) جاء قوله : (عن ساقه) في الأصل خاتمة (ق/ ١٨٧/ أ) ، وابتدأت الصفحة (ب) بقوله : (الإسكندرية المحروسة) من ترجمة الجلال الدشنائي ، فلعله سقط ورقة أو أكثر ، وذهب فيها بعض التراجم وأولُ ترجمةِ جلال الدين الدشنائي ، والله تعالى أعلم .

ومنهُمُ :

[الإمامُ جلالُ الدينِ أحمدُ بنُ عبدِ الرحمٰنِ الدِّشْنائيُّ الشافعيُّ]

[. . .] الإسكندريَّة المحروسة إلى الشيخِ الإمامِ العابدِ الشريفِ أبي الحسنِ الشاذليِّ ، ودخلَ على يدِهِ الخلوةَ وانتفعَ بهِ ، ورابطَ بالثغرِ مدَّةً ، وصنَّفَ في الفقهِ « شرحَ التنبيهِ » ولم يستكملْ ذلكَ[1] ، وفي القراءاتِ ، والعربيَّةِ ، وأصولِ الدينِ ، وفي العروضِ ، وفي الجدلِ كتاباً سمَّاهُ : « غايةَ الاقتصادِ في طرقِ الاجتهادِ » ، وفي الأصولِ : « عجالةَ المقتنعِ في الاصطلاحِ المتَّبعِ » .

وعُرِضَ عليهِ قضاءُ الأعمالِ القوصيَّةِ فأباهُ ، أملىٰ عليَّ ذلكَ كلَّهُ ولدُهُ أبو الفتحِ محمدٌ ، وكانَ لهُ النظمُ الحسنُ ؛ فممَّا أجازَني مِنْ نظمِهِ وذكَّرَني بهِ ولدُهُ ، وكانَ قد لِيمَ على انقطاعِهِ عنِ الجماعةِ وعنِ الناسِ ؛ فقالَ[2] : [من مخلع البسيط]

يَـا لَائِمِـي كُـفَّ عَـنْ مَـلَامِـي ... عَلَـى ٱنْعِـزَالِـي عَـنِ ٱلأَنَـامِ
إِنَّ نَـذِيـرِي ٱلَّـذِي نَهَـانِـي ... يُخْبِـرُ حَـالِـي عَلَـى ٱلتَّمَـامِ
أَرَىٰ مَشِيبِـي وَوَهْـنَ عَظْمِـي ... قَـدْ أَدْنَيَـانِـي إِلَـى ٱلْحِمَـامِ
وَمَـا تَـزَوَّدْتُ لِٱرْتِحَـالِـي ... وَلَا لِـدَارٍ بِهَـا مُقَـامِـي
وَمَـا أَرَىٰ نَـافِعـاً عِـلَاجِـي ... لِـدَاءِ غَيْـرِي وَبِـي سَقَـامِـي
فَشُغْـلُ قَلْبِـي بِـدَاءِ غَيْـرِي ... يَصْـرِفُ عَـنْ غَيْـرِيَ ٱهْتِمَـامِـي

(١) وصل فيه إلىٰ (كتاب الصيام) في مجلدين لطيفين .

(٢) والأبيات الأربعة الأُوَل في « الطالع السعيد » (ص٣٩ـ٤٠) ، و« الوافي بالوفيات » (٧/ ٣٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢١) ، وذكر الأدفوي أنها طويلة ، واختصرها من خط ابنه الإمام أبي الفتح محمد ، وأتىٰ بها تامةً إمامُنا ابن المُعلِّم ، وهـٰذا يبرز قيمة كتابنا هـٰذا وأهميته للباحث .

فَإِنْ تَجِدْنِي بَرِئْتُ يَوْماً ... وَزَالَ مَا بِي مِنِ ٱغْتِمَامِي
وَقَدْ تَزَوَّدْتُ خَيْرَ زَادٍ ... فِعْلَ أُولِي ٱلْعَزْمِ لَا ٱلطَّغَامِ[1]
فَلُمْ إِذاً إِنْ طَوَيْتُ كَشْحِي ... وَلَمْ أُوَاجِهْكَ بِٱبْتِسَامِ
أَوْ لَمْ يَسَعْ قَاصِدِي مَكَانِي ... وَلَمْ أُبَادِرْهُ بِٱلسَّلَامِ
أَوْ لَمْ أُفِدْ طَالِباً عُلُوماً ... أُفِدْتُ قِدْماً مِنَ ٱلْكِرَامِ
أَوْ لَمْ أُعِنْ سَالِكاً مُرِيداً ... قَدْ جَاهَدَ ٱلنَّفْسَ بِٱلْحُسَامِ
أَوْ لَمْ أُجِبْ دَاعِيَ ٱنْتِصَارٍ ... وَلَمْ أُغِثْ لَهْفَ ذِي أُوَامِ[2]
فَلَيْسَ لِي إِنْ جَمَعْتُ نَفْسِي ... عُذْرٌ إِذَا تَمَّ لِي نِظَامِي
أَمَّا وَحَالِي بِهَا ٱعْوِجَاجٌ ... وَأَسْهُمِي لَمْ تُصِبْ مَرَامِي
فَصَرْفُ وَقْتِي لِفَرْضِ عَيْنِي ... أَوْجَبُ مِنْ سَائِرِ ٱلأَنَامِ
إِذْ لَيْسَ يُغْنِي سِوَايَ عَنِّي ... فِي دَفْعِ مَا أَخْتَشِي أَمَامِي
فَكُلُّ نَفْسٍ لَمَّا تُهَذَّبْ ... وَمَا ٱطْمَأَنَّتْ عَلَىٰ مَقَامِ
فَهَجْرُهَا لِلأَنَامِ شُغْلاً ... بِشَأْنِهَا لَيْسَ بِٱلْحَرَامِ
لَٰكِنْ مَنِ ٱرْتَاضَ بَعْدَ عِلْمٍ ... أَكْرِمْ بِهِ صَاحِ مِنْ إِمَامِ
فَهُوَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْغِيَاثُ يَبْدُو ... لِلنَّاسِ كَٱلشَّمْسِ وَٱلْغَمَامِ

ومِنْ كلامِهِ نثراً : وصيَّةٌ كتبَ بها لولدِهِ تاجِ الدينِ أبي الفتحِ ؛ وهيَ :

(**ربَّنا** ؛ آتِنا مِنْ لدنْكَ رحمةً ، وهيِّئْ لنا مِنْ أمرِنا رشداً .

يا بُنَيَّ أرشدَكَ اللهُ وأيَّدَكَ : **أُوصِيكَ بوصايا** إنْ أنتَ حفظتَها وحافظتَ عليها . . رجوتُ لكَ السعادةَ في دينِكَ ومعاشِكَ بفضلِ اللهِ ورحمتِهِ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ :

(١) **الطَّغام** : أوغاد الناس وأراذلهم .

(٢) **الأُوام** : العطش أو حره .

فأُولاها : مراعاةُ تقوى اللهِ العظيمِ بحفظِ جوارحِكَ كلِّها مِنْ معاصي اللهِ حياءً مِنَ اللهِ ، والقيامِ بأوامرِ اللهِ تعالىٰ عبوديَّةً للهِ .

وثانيها : ألا تستقرَّ علىٰ جهلِ ما تحتاجُ إلىٰ علمِهِ .

وثالثُها : ألا تُعاشِرَ إلا مَنْ تحتاجُ إليهِ في مصلحةِ دينِكَ أو معاشِكَ .

ورابعُها : أنْ تُنصِفَ مِنْ نفسِكَ ، ولا تنتصفَ لها إلا لضرورةٍ .

وخامسُها : ألا تُعادِيَ مسلماً ولا ذمِّيّاً .

وسادسُها : أنْ تقنعَ مِنَ اللهِ بما رزقَكَ مِنْ مالٍ وجاهٍ .

وسابعُها : أنْ تُحسِنَ التدبيرَ فيما بيدِكَ استغناءً عنِ الخلقِ .

وثامنُها : ألا تستهينَ بمِنَنِ الناسِ عليكَ .

وتاسعُها : أن تقمعَ نفسَكَ عنِ الخوضِ في الفضولِ ؛ بتركِ استعلامِ ما لم تعلمْ ، والإعراضِ عمَّا علمتَ .

وعاشرُها : أنْ تلقى الناسَ مُبتدِئاً بالسلامِ ، مُحسِناً في الكلامِ ، مُنطلِقَ الوجهِ ، مُتواضِعاً باعتدالٍ ، مُتباعِداً بما تجدُ إليهِ السبيلَ[1] ، مُتحبِّباً إلىٰ أهلِ الخيرِ ، ومُداريِاً لأهلِ الشرِّ ، مُتَّبِعاً في ذلكَ السُّنةَ)[2] .

وُلِدَ جلالُ الدينِ سنةَ تسعَ عشرةَ وستِّ مئةٍ ، وتُوفِّيَ سنةَ سبعٍ وسبعينَ وستِّ مئةٍ[3] .

* * *

(١) في « الطالع السعيد » : (مساعداً) بدل (متباعداً) .

(٢) أوردها الأدفوي في « الطالع السعيد » (ص٣٩) .

(٣) انظر « الطالع السعيد » (ص٣٨ـ٤١) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢٠ـ٢١) ، و« الوافي بالوفيات » (٧/ ٣٦ـ٣٧) ، وفيها أنَّ ولادته كانت سنة (٦١٥هـ) ، ومن كبار مشايخه : الإمام العز بن عبد السلام ، والحافظ عبد العظيم المنذري ، وكان المترجم يُعدُّ=

ومنهُمُ :

[الإمامُ أقضى القضاةِ عمادُ الدينِ
أبو الحسنِ عليُّ بنُ صالحٍ ابنُ أبي عمامةَ]

العالمُ الذي أُوتِيَ رشدَهُ مِنْ قبلُ ، وظهرَ عليهِ ببركةِ أبي الطاهرِ الفضلُ ، فاقتنى الفضائلَ ومثلُهُ مَنِ اقتنى ، وابتنى المكارمَ وهوَ المُتقِنُ لما أسَّسَ وابتنى ، وبوَّأَتْهُ ذروةَ المكارمِ همَّةٌ أنالَتْهُ المنى ، فهوَ الحاكمُ الذي بعثَ إليهِ الملكُ بالسَّدادِ ، والعمادُ الذي رفعَ به بيتَهُ وما انحطَّ بيتٌ رُفِعَ بالعمادِ : أقضى القضاةِ عمادُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ صالحِ بنِ عليٍّ ، عُرِفَ بـ (ابنِ أبي عمامةَ) .

اشتغلَ : على الفقيهِ أبي الطاهرِ ، والفقيهِ بهاءِ الدينِ ابنِ الجُمَّيزيِّ ، وابنِ السكريِّ ، واستفادَ مِنَ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ .

وتولَّى الحكمَ بمدينةِ بلبيسَ ، ثمَّ نابَ عنِ السناجرةِ في الحكمِ بمصرَ ، ثمَّ في آخرِ وقتِهِ تولَّى نيابةَ الحكمِ بالقاهرةِ المعزيةِ .

وكانَ مِنَ السياسةِ والرئاسةِ على أمرٍ عظيمٍ ، ومِنْ حسنِ المَلْقى ، ولينِ الكلمةِ ، وطلاقةِ الوجهِ وبشاشتِهِ ، ومِنَ التواضعِ .

= من الأبدال ؛ لصلاحه وزهده وورعه ، ويحكى ـ كما في المصادر السابقة ـ : أنَّ الشيخ نصير الدين بن الطباخ قال للشيخ عز الدين : ما أظنُّ في الصعيد مثل هذين الشابَّين ـ يعني : الدشنائي ، وابن دقيق العيد ـ فقال عز الدين : ولا في المدينتين ؛ أي : مصر والقاهرة ، وكان هو والحافظ المنذري يميلان إليهما ، والشيخ عز الدين إلى الدشنائي أميل ، والشيخ المنذري إلى ابن دقيق العيد أميل ، رحمهم الله جميعاً .

سمعَ : أبا بكرٍ عبدَ العزيزِ بنَ أحمدَ بنِ باقا ، وأقرانَهُ ، وسمعتُ عليهِ « مسندَ الإمامِ الشافعيِّ » رضيَ اللهُ عنهُ بروايتِهِ عنِ ابنِ باقا المذكورِ .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ سنةَ سبعٍ وسبعينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) في جمادى الآخرة ، وولد سنة (٥٩٥هـ) ، ووفاته في « تاريخ الإسلام » (٥٠/ ٢٣٦) ، و« ذيل التقييد » (٢/ ١٩٥) : سنة (٦٧٦هـ) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ عزُّ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الباقي بنُ عبدِ الرحمٰنِ بنِ خليلٍ الجابريُّ الأنصاريُّ]

شيخُنا الخطيبُ الذي أخرسَتْ بلاغتُهُ سَحْبانَ ، وألبسَتِ المنبرَ جلالةً بانَتْ عنهُ إذْ بانَ ، قد أحرزَ بخِلالِهِ الجميلةِ مناقبَ تلكَ المكارمِ لا قَعْبانِ[1] ، فهوَ مصباحٌ أضاءَ في مشكاةِ الأنوارِ ، وصباحٌ صدعَ بعلمِهِ مِنْ جلبابِ دُجا الجهلِ مُسدَفَ الإزارِ ، ونجمٌ طلعَ في فلكِ المنابرِ ، وفرعٌ أينعَ مِنْ دوحةِ الصحابيِّ جابرٍ .

هٰذا ؛ ولهُ مِنَ النظمِ ما يسترقُّ الخواطرَ ، ويسترقُ الحاسَّتينِ المِسْمعَ والناظرَ ، ويُذكِّرُ بنشرِهِ أيامَ الصِّبا ، ويُعطِّرُ بتأرُّجِ نشرِهِ الجَنوبَ والصَّبا .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ عزُّ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الباقي بنُ عبدِ الرحمٰنِ بنِ خليلٍ ، يجتمعُ معَ الفقيهِ أبي الطاهرِ في [. . .][2] ، ثمَّ ينتهيانِ إلىٰ جابرِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ حرامٍ الأنصاريِّ .

وُلِدَ بمصرَ ونشأَ بها ، **واشتغلَ** : علىٰ خالِ أبيهِ الفقيهِ أبي الطاهرِ المحلِّيِّ ، **وسمعَ** : على الشيخِ زكيِّ الدينِ عبدِ العظيمِ ، **واستفادَ** : مِنَ الفقيهِ بهاءِ الدينِ ابنِ الجُمَّيزيِّ ، ومِنَ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، وأعادَ بالمدرسةِ

(١) أخذه من قول الشاعر النابغة الجعدي : (من البسيط)

تلكَ المكارمُ لا قَعْبانِ مِنْ لبنٍ ... شِيبَا بماءٍ فعادا بعدُ أبوالا

انظر « إيضاح شواهد الإيضاح » (٢/ ٦١٧) .

(٢) قوله : (أبي الطاهر) أي : المحلي ، وما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) بمقدار كلمتين .

الصاحبيَّةِ البهائيَّةِ ، ودرَّسَ بزاويةِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ بتاجِ الجوامعِ بمصرَ ، وتولَّى الخطابةَ بمصرَ .

وكانَ حسنَ اللفظِ ، حلوَ العبارةِ ، جميلَ الوجهِ ، لهُ طريقةٌ حسنةٌ في الخطابةِ قلَّ مَنْ يحكيها .

وتقدَّمَ في الدولةِ الظاهريَّةِ ، وحَظِيَ بعنايةِ الصاحبِ بهاءِ الدينِ ، وعَلَّمَ الملكَ السعيدَ بنَ الملكِ الظاهرِ القرآنَ ، وكانَ قبلَ ذلكَ تولَّى نيابةَ الحكمِ في بعضِ الضواحي ثمَّ تركَها .

وكانَ كريمَ النفسِ ، مهيبَ الظاهرِ ، فإذا خلوتَ بهِ رأيتَ دُعابةً حلوةً ، وكانَ مُتديِّناً .

لهُ نثرٌ حسنٌ ونظمٌ رائقٌ ، ولم يحضُرْني مِنْ كلامِهِ الآنَ على كثرتِهِ إلا ما كتبَ جواباً عن أبياتٍ بائيَّةٍ بعثَ بها ناصرُ الدينِ بنُ النقيبِ إلى المقرِّ الصاحبيِّ الفخريِّ يستدعي منهُ شيئاً مِنْ نظمِهِ ، فأمرَهُ الصاحبُ فخرُ الدينِ أَنْ يُجيبَ ناصرَ الدينِ على الوجهِ الذي ذكرَهُ في جوابِهِ ، فأجابَ عنهُ نثراً ونظماً .

فأمَّا النثرُ : فهوَ : (نُؤدِّي واجباتِ خدمِهِ ، ونشكرُ ترادُفَ فضلِ مولانا وكرمِهِ ، ونُعوِّذُ فضائلَهُ بالسبعِ المثاني ، ونسألُ اللهَ دوامَ إحسانِهِ الذي عمَّ القاصيَ والدانيَ ، ونُنهي أنَّهُ امتثلَ ما رُسِمَ بهِ ولبَّى ، وسارعَ إلى ذلكَ مُتشرِّفاً وما تأبَّى ، بيدَ أنَّهُ أظهرَ على عمدٍ عُوارَهُ ، وانبسطَ عمَّا كانَ الصوابُ استتارَهُ ، وولجَ باباً يتعاظمُ قَرْعَهُ ، وسلكَ وادياً لا يُطِيقُ على جَزَعِهِ جِزْعَهُ[1] ، واستَهدَفَ للمُصمِياتِ مُتحرِّياً[2] ، وأتى ما أتاهُ تهوُّراً لا تحرِّياً ، وإنَّما الثقةُ بطِيبِ النِّجارِ ومكارمِ الأخلاقِ[3] . . سهَّلَتِ البُروزَ في زِيِّ الغنى معَ الإملاقِ ،

(١) جزْعه : قطعه .

(٢) استهدف : صار هدفاً ، والمصميات : السهام القاتلة .

(٣) النِّجار : الأصل والحسب .

والرغبةَ إلىٰ قُسِّ البلاغةِ وسَحْبانِها ، والذي أخذَ أنواعَ الفصاحةِ بعِنانِها ، في التجاوُزِ والصفحِ الجميلِ ، وهوَ حسبي ونعمَ الوكيلُ) .

[وأمَّا النظمُ : فهوَ :] {من الكامل}

يَا ذَا ٱلْيَرَاعَةِ وَٱلْحُسَامِ ٱلْقَاضِبِ ... وَأَخَا ٱلْبَرَاعَةِ وَٱلْبَيَانِ ٱلسَّالِبِ

إِنَّ ٱلْقَرِيضَ صِنَاعَةٌ مَعْذُوقَةٌ ... بِٱلنَّحْوِ وَٱلتَّصْرِيفِ ضَرْبَةَ لَازِبِ[1]

وَيَزِينُهَا عِلْمُ ٱلْعَرُوضِ مُصَاحِباً ... فَنَّ ٱلْقَوَافِي بَعْدَ ذِهْنٍ ثَاقِبِ

ثُمَّ ٱللُّغَاتُ وَحِفْظُ أَشْعَارٍ حَوَتْ ... جُمَلَ ٱلْبَيَانِ فَمَا لَهَا مِنْ عَائِبِ

وَمُحَرَّرُ ٱلتَّارِيخِ مَضْمُوماً إِلَىٰ ... مَا سَارَ أَمْثَالاً بِعَصْرٍ ذَاهِبِ

وَإِجَادَةُ ٱلْمَعْنَىٰ بِلَفْظٍ رَائِقٍ ... كَٱلدُّرِّ أُحْكِمَ لَقْطُهُ بِتَنَاسُبِ[2]

وَوَلَائِكَ ٱلْمَمْلُوكُ أَضْحَىٰ مُمْلِقاً ... مِمَّا يَقُولُ يَمِينُ غَيْرِ ٱلْكَاذِبِ

لَوْلَا ٱمْتِثَالِي مَا رَسَمْتَ وَأَنَّنِي ... أَبْغِي رِضَاكَ لَمَا بَعَثْتُ مَعَايِبِي

وَٱلسَّتْرُ مِنْ شِيَمِ ٱلْكِرَامِ فَجُدْ بِهِ ... إِنَّ ٱلسَّرِيَّ يَرَاهُ عَيْنَ ٱلْوَاجِبِ

ولهُ شعرٌ كثيرٌ كانَ يُنشِدُنا إيَّاهُ ، ويكفيهِ فخراً ولدُهُ قطبُ الدينِ محمدٌ ، كانَ قد برعَ في فنِّ الحديثِ ، وصنَّفَ أطرافاً علىٰ ترتيبٍ لم يُسبَقْ إليهِ ، غيرَ أنَّهُ حالَتِ المنيَّةُ بينَهُ وبينَ ذلكَ ، وكانَ يقولُ الشعرَ على اختلافِ أنواعِهِ .

تُوفِّيَ الشيخُ الخطيبُ [في جمادى الأولىٰ سنةَ سبعٍ وسبعينَ وستِّ مئةٍ][3] .

* * *

(١) معذوقة : موسومة .

(٢) في (ب) : (لفظه) بدل (لقطه) .

(٣) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وتوفي ولده محمد سنة (٦٩٦هـ) ، وترجمةُ عبد الباقي في « تاريخ الإسلام » (٥٠/ ٢٧١) ، و« تاريخ البرزالي » (١/ ٤٣١) عبارة عن أسطر قليلة ، وانظر ترجمة ولده محمد في « تاريخ الإسلام » (٥٢/ ٣١٠) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ أقضى القضاةِ نفيسُ الدينِ أبو البركاتِ محمدُ بنُ هبةِ اللهِ ابنِ شكرٍ الدَّميريُّ المالكيُّ]

أقضى القضاةِ وقاضيهِم ، ورادُّ الخصومِ بعدَ الشَّغْبِ إلىٰ تراضيهِم ، حفيدُ وزارةٍ مِنْ بيتِها نَشَا ، وفريدُ رئاسةٍ نمَّ عَرْفُها عليهِ ووشىٰ ، ووحيدُ سيادةٍ لا يُساجَلُ كيفَ وهوَ ماجدٌ يملأُ الدلوَ إلىٰ عقدِ الرِّشَا ؟! أحيا مذهبَ عالمِ المدينةِ حينَ قاربَ عَفاءً ودُروساً ، ونشرَ العلمَ بإفادتِهِ إملاءً ودُروساً ، ونافسَ في اقتناءِ الأجورِ فلم ترَ العيونُ مثلَهُ مُنافِساً ونفيساً : قاضي القضاةِ نفيسُ الدينِ أبو البركاتِ محمدُ بنُ القاضي ضياءِ الدينِ هبةِ اللهِ بنِ أبي السعاداتِ بنِ شكرٍ ، المالكيُّ الدَّميريُّ الأصلِ القاهريُّ المولدِ والدارِ والوفاةِ .

اشتغلَ بالقاهرةِ المعزيةِ بالقرآنِ المُعظَّمِ ، وبمذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ ، ونابَ في الحكمِ ، ثمَّ تولَّىٰ قضاءَ دمياطَ بتقليدٍ سلطانيٍّ استقلالاً ، ثمَّ تولَّىٰ قضاءَ قضاةِ المالكيَّةِ بمصرَ والقاهرةِ المحروستَينِ .

وكانَ جميلَ المنظرِ ، كريمَ النفسِ ، حسنَ الملقىٰ ، كثيرَ الفتوَّةِ والخيرِ ، يُجيرُ مَنْ يَرِدُ عليهِ مِنْ صغيرٍ أو كبيرٍ ، مُحافِظاً علىٰ دينِهِ ، حافظاً لصُحبةِ أصحابِهِ ، كثيرَ البِرِّ بهم ، مُتلطِّفاً في أحكامِهِ ، مُتورِّعاً ، جيِّدَ الاعتقادِ ، حُلْوَ المُباسَطةِ معَ الصلابةِ والتصميمِ على الحقِّ ، رادّاً علىٰ أهلِ البدعِ ، وكانَ شيخُنا أبو عبدِ اللهِ ابنُ النعمانِ كثيراً ما يستنصرُ بهِ ويستعينُ علىٰ إظهارِ الحقِّ .

تُوفِّيَ مُستهَلَّ ذي الحجةِ سنةَ ثمانينَ وستِّ مئةٍ[1] .

(١) وولد سنة (٦٠٥هـ) ، وانظر « رفع الإصر » (١/ ٤٢٦) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ الزاهدُ الورعُ علمُ الدينِ محمدُ بنُ الحسينِ بنِ عتيقِ ابنِ رشيقٍ الرَّبَعيُّ المالكيُّ]

العالمُ العريقُ النسبةِ في العلومِ ، والحَبْرُ على الإطلاقِ والبحرُ في النفعِ والعمومِ ، والسيِّدُ الذي امتطى الأفلاكَ رِفعةً وانتعلَ النجومَ ، مِنْ بيتٍ معمورٍ بالعبادةِ في الأرضِ ، قد شاركَ منهُ الولدُ الوالدَ في السيادةِ وإنْ لم يمضِ ، لا يعرفونَ في إصدارِهِم وإيرادِهِم إلا الحقَّ المحضَ ، ويكفيهِم هٰذا العالمُ الذي يُفزَعُ إليهِ في مُهمَّاتِ الأمورِ ، والعَلَمُ الذي تأتمُّ الهداةُ بما في رأسِهِ مِنَ النورِ[1] ، إنْ سُئِلَ تكفَّلَ بالوصولِ إلىٰ علمِ الفروعِ والأصولِ ، أو أجابَ رأيتَ الصوابَ مِنْ لُبابِ المحصولِ ، فهوَ عَلَمٌ يهدي نفوساً لولاهُ كانَ عُرْضتَها طامسُ الأعلامِ مجهولٌ[2] : **الشيخُ الإمامُ العالمُ العاملُ الورعُ الزاهدُ علمُ الدينِ محمدُ بنُ الشيخِ جمالِ الدينِ أبي عليٍّ الحسينِ بنِ عتيقِ ابنِ رشيقٍ ، المُقدَّمُ ذكرُ أبيهِ**[3] .

وُلِدَ بمصرَ ، واشتغلَ مبدأً اشتغالِهِ علىٰ والدِهِ ، ثمَّ أكملَ اشتغالَهُ علىٰ أخيهِ

(١) **أشار به** : إلىٰ بيت الخنساء الشهير : (من البسيط)

وإنَّ صخراً لَتأتمُّ الهداةُ بهِ ... كأنَّهُ عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ

(٢) يقال : فلان عُرْضة للشر ؛ إذا قوي عليه ، **وفي الكلام إشارة** : إلىٰ بيت سيدنا كعب بن زهير رضي الله عنه من قصيدته الاعتذارية (البردة) ؛ وهو : (من البسيط)

مِنْ كلِّ نضَّاخةِ الذِّفرىٰ إذا عَرِقَتْ ... عُرْضتُها طامسُ الأعلامِ مجهولُ

انظر « ديوانه » (ص٦٢) .

(٣) انظر (١/٥٩٨) .

بهاءِ الدينِ عبدِ العزيزِ المُقدَّمِ ذكرُهُ[1] ، ومهرَ وبرعَ ، واشتَهرَ بالصلاحِ والورعِ .

ودرَّسَ وأفتىٰ ، وكانَ مُؤيَّداً في فتياهُ ، حسنَ الهيئةِ ، جميلَ المنظرِ ، حُلْوَ العبارةِ ، أُلقِيَتْ عليهِ المهابةُ والسكينةُ .

سمعَ : أبا الحسينِ محمدَ بنَ أحمدَ بنِ جُبَيرٍ الكنانيَّ[2] ، وطبقتَهُ [. . .][3] .

تُوفِّيَ في ذي الحجةِ في سنةِ ثمانينَ وستِّ مئةٍ[4] .

* * *

(١) انظر (٢/ ١٧) .

(٢) هو ابن جبير الرحَّالة الكبير ، صاحب « الرحلة » الشهيرة .

(٣) بياض في (أ ، ب) بمقدار سطر .

(٤) انظر « تاريخ الإسلام » (٥٠/ ٣٦٧) ، و« الوافي بالوفيات » (٣/ ١٦) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ قاضي القضاةِ صدرُ الدينِ عمرُ بنُ عبدِ الوهابِ بنِ خلفٍ العلاَميُّ الشافعيُّ]

العالمُ الورعُ ، والرئيسُ الذي طُبِعَ على الخيرِ يومَ طُبِعَ[1] ، والحبرُ الذي حِيزَ لهُ ما تفرَّقَ مِنَ الفضلِ في غيرِهِ وجُمِعَ ، سليلُ وزارةٍ وقضاءٍ ، ووارثُ تنفيذٍ وإمضاءٍ ، قد أينعَتْ لهُ ثمراتُ العلومِ فهوَ يُهذِّبُها ، وخَطَبَتْهُ المناصبُ وغيرُهُ يخطُبُها ، ولقد كانَتْ دولتُهُ لآذانِ الأعصارِ شَنْفاً[2] ، وأشبهَتْ سيرتُهُ السيرةَ العُمَريَّةَ تسميةً ووَصْفاً : قاضي القضاةِ صدرُ الدينِ عمرُ بنُ قاضي القضاةِ تاجِ الدينِ عبدِ الوهابِ[3] .

اشتغلَ : على والدِهِ بالفقهِ وغيرِهِ ، وعلى الشيخِ عزِّ الدينِ ، والشيخِ زكيِّ الدينِ ، وجماعةٍ [مِنَ] المعاصرينَ في ذلكَ الوقتِ ، ودرَّسَ وأفتى ، ووَلِيَ قضاءَ القضاةِ للطائفةِ الشافعيَّةِ بالديارِ المصريَّةِ .

وكانَ مَهيباً ، شديدَ الوقارِ ، وافرَ الدينِ قويّاً ، لا يُوافِقُ المَلِكَ ولا مَنْ دونَهُ على مقصدِهِ ، ولا يسوسُهُم ، بل يفعلُ ما يقتضيهِ الشرعُ قهراً مِنْ غيرِ مُجامَلةٍ لهُم ، فكانَ ذلكَ سبباً لصرفِهِ عنِ القضاءِ ، وأراحوهُ مِنْ حيثُ لا يشعُرونَ ، وهنَّأَهُ بالعزلِ الشيخُ أبو عبدِ اللهِ ابنُ النعمانِ ، وأنشدَ في ذلكَ بيتينِ لم يحضُراني .

(١) أي : جُبل على الخير يوم خُلِق .

(٢) الشَّنْف : القرط .

(٣) هو عبد الوهاب بن خلف العلامي المار في (٢/ ١٠٠ـ ١٠٥) .

[وُلِدَ] في [القاهرةِ سنةَ خمسٍ وعشرينَ وستٍّ مئةٍ][1] ، وتُوفِّيَ في حادي عشرَ مُحرَّمٍ سنةَ ثمانينَ وستٍّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[2] .

* * *

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) .

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٨/ ٣١٠ـ٣١١) ، و« تاريخ الإسلام » (٥٠/ ٣٦٠) .

ومنهُمُ :

[السيدُ الشريفُ الإمامُ عمادُ الدينِ عبدُ الرحيمِ بنُ هاشمٍ العباسيُّ الهاشميُّ الشافعيُّ]

السيدُ الشريفُ النسيبُ ، والعالمُ الأريبُ الذي هوَ حسيبٌ ، مهرَ في العلومِ وبرعَ ، ونسيبٌ نزعَتْ بهِ أعراقُهُ وحبَّذا العرقُ إذا نزعَ ، قد جمعَ شرفَيِ العلمِ والنسبِ ، ولم يقنعْ بالحسَبِ الموروثِ حتىٰ ضمَّ إليهِ المُكتسَبَ ، تحرَّرَتْ أنابيبُ صَعْدَةِ دينِهِ لمَّا انتهىٰ إلى العبَّاسِ نبعتُها ، وتبحَّرَتْ عيونُ مسائلِهِ لمَّا تسلسلَ مِنْ عبدِ اللهِ نبعتُها ، وتجوهرَتْ فنونُ فضائلِهِ فهيَ كما نَصِفُها وفوقَ ما ننعتُها : **الشريفُ السيدُ عمادُ الدينِ عبدُ الرحيمِ بنُ هاشمِ بنِ محمدِ بنِ إبراهيمَ العباسيُّ الهاشميُّ الشافعيُّ** .

كذا بخطِّهِ في إجازتي ، ولم أَقِفْ علىٰ تتمَّةِ نسبِهِ ، وهوَ حمصيُّ الأصلِ مصريُّ الدارِ والوفاةِ .

كانَ مُدرِّساً عالماً رئيساً ، مُناظِراً علىٰ طريقةِ أهلِ العراقِ ، وكانَ جميلَ المنظرِ ، حسنَ المخبرِ ، كثيرَ التواضعِ ؛ لا يدخلُ عليهِ أحدٌ مِنَ الطلبةِ صغيرٌ ولا كبيرٌ . . إلا نهضَ قائماً إلىٰ أنْ يجلسَ ، ولم يُرَ قطُّ ما بعدَ الكوعِ لهُ مكشوفاً .

وكانَ يدري الأصولَ درايةً جيِّدةً ، وكانَ يُلقي الدرسَ أحسنَ إلقاءٍ مِنْ صدرِهِ ، لم ترَ عيني بعدَهُ مَنْ يحفظُ الدرسَ فيلقيهِ مثلَهُ .

وكانَ حسنَ الترتيبِ ، مُقتصِداً في حالِهِ ، جميلَ الهيئةِ ، لهُ ترتيبٌ لا يتعدَّاهُ علىٰ ممرِّ الأوقاتِ .

درَّسَ بمدرسةِ السلطانِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ رحمَهُ اللهُ بمصرَ ، وتردَّدَ في الرُّسْليةِ إلى البلادِ مراراً [1] .

تُوفِّيَ في حادي عشرَ مُحرَّمٍ سنةَ ثمانينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ .

* * *

(١) الرسلية : بمثابة رسل البريد أو الرسل التي توصل الرسائل .

[ومنهُمْ] :

[الإمامُ قاضي القضاةِ شمسُ الدينِ
أحمدُ بنُ محمدٍ ابنُ خَلِّكانَ الشافعيُّ]

الشمسُ المُشرِقةُ ، والمُزنةُ المُغدِقةُ ، الجامعُ فنونَ العلمِ ، واليانعُ مِنْ أفنانِهِ ثمارُ الحِجا والحلمِ : قاضي القضاةِ شمسُ الدينِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ إبراهيمَ بنِ أبي بكرِ بنِ خَلِّكانَ[1] .

قرأَ العلومَ بالديارِ الشاميَّةِ ، واشتغلَ وحصَّلَ وصنَّفَ التصانيفَ[2] ، وكانَ صحيحَ الاعتقادِ ، حسنَ البحثِ ، حُلْوَ العبارةِ ، عارفاً بأصولِ الدينِ معرفةً جيِّدةً .

دخلَ إلى مصرَ ، وأقامَ بها مدَّةً في زمنِ قاضي القضاةِ شرفِ الدينِ بنِ عينِ الدولةِ ، وأرسلَ إليهِ مَنْ يتحدَّثُ معَهُ أنْ يُولِّيَهُ بعضَ الأعمالِ ، فقالَ : مَنْ هوَ هـٰذا ؟ فقالُوا : ابنُ خَلِّكانَ ، فقالَ قاضي القضاةِ وكانَ كثيرَ التنذُّرِ : لا خَلَّ كانَ ، ولا عسلَ صارَ ، ما عندي شيءٌ أُولِّيهِ ، فلمَّا سمعَ أنَّ بدرَ الدينِ السِّنجاريَّ قد كَتَبَ [. . .][3] .

استخرتُ اللهَ تعالى وولَّيتُكَ الغربيةَ ، فأجابَهُ شمسُ الدينِ : يا مولانا ؛ لا شرقيَّةٌ ولا غربيَّةٌ ؛ كانَ هـٰذا قبلَ أن يُحَلَّ ركابُ الصاحبِ بدرِ الدينِ

(١) ويكنى : أبا العباس .

(٢) ومن مؤلفاته : كتاب « وفيات الأعيان » ، قال ابن السبكي في « الطبقات » (٨/ ٣٢) : (وهو كتاب جليل) .

(٣) ما بين معقوفين انقطاع في الكلام في (أ) ، وبياض في (ب) .

السِّنجاريِّ ، وأمَّا بعدَ أنْ حلَّ ركابَهُ في الديارِ المصريةِ وتركَ الرَّحلَ وراءَهُ . . فلا أتولَّىٰ إلا مِنْ جهتِهِ ، فاغتمَّ لذلكَ شرفُ الدينِ بنُ عينِ الدولةِ[1] .

تولَّىٰ قاضي القضاةِ شمسُ الدينِ نيابةَ الحكمِ كما [. . .][2] مِنْ قضاةِ الديارِ المصريةِ ، ثمَّ تولَّىٰ قضاءَ القضاةِ ورئاسةَ الأصحابِ بالديارِ الشاميةِ ، وتُوفِّيَ بها يومَ الخميسِ رابعَ عشرَ رجبٍ المعظَّمِ ، سنةَ إحدىٰ وثمانينَ وستِّ مئةٍ رحمَهُ اللهُ .

ووقفتُ علىٰ مجلدٍ كاملٍ احتوىٰ علىٰ ما قيلَ في شمسِ الدينِ مِنَ المدائحِ شعراً لا يسعُ الحالُ ذكرَها ولا ذكرَ بعضِها[3] .

* * *

(١) كذا في نسختينا ، وفي النص سقط أشرنا إليه ، وذكر الحافظ ابن حجر في « رفع الإصر » (١/ ٣٧٢) نحو ما ذُكِرَ مختصراً وفيه بعض مخالفة ، ولفظه : (ومن نوادره : أنَّ القاضي شمس الدين ابن خلكان استشفع عنده أن يوليه نيابة الحكم فامتنع ، وقال : « لا خل كان ، ولا عسل صار » ، فاتفق أنَّ البدر السنجاري لما قدم إلى القاهرة وخشي أبو المكارم أن ينضم ابن خلكان عن نادرته ، فقال : « لا شرقية ولا غربية » ، ثم قدم السنجاري فكان ما ظنه أبو المكارم) ، وأبو المكارم : هي كنية ابن عين الدولة ، والسنجاري سبقت ترجمته في (٢/ ٩٧ـ٩٨) .

(٢) ما بين معقوفين غير واضح في (أ) بسبب رداءة التصوير ، وبياض في (ب) بمقدار سطر .

(٣) انظر « ذيل مرآة الزمان » (٤/ ١٤٩ـ١٦٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٣ـ٣٤) ، و« مرآة الجنان » (٤/ ١٩٣ـ١٩٧) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ الزاهدُ المُربِّي صفيُّ الدينِ الحسينُ بنُ جمالِ الدينِ بنِ أبي المنصورِ الأَزْديُّ المالكيُّ]

قدوةُ المهتدينَ ، وهدايةُ المقتدينَ ، ونكايةُ المبتدعةِ المعتدينَ ، الذي كانَ قطبَ عرفانٍ ، ودوحةَ ولايةٍ استقلَّتْ بفنونٍ وأظلَّتْ بأفنانٍ ، طلعَ في فلكِ وزارةٍ أشرقَتْ بهِ أبراجُهُ ، ورُبِّيَ في حِجْرِ تَرَفٍ صفا عليهِ عبقريُّهُ وديباجُهُ ، وارتضعَ أفاويقَ علمٍ أنبتَ لحمَهُ وأنشزَ عظمَهُ سائغُ ثديها ، وانتفعَ بفضائلِ أبيهِ وجدِّهِ التي نفعَ الكافَّةَ بالغُ هديها .

فلمَّا كمَّلَ العلمُ نظرَهُ ، وأصفىٰ جوهرَهُ ، ولاحَ عليهِ عنوانُ الفطرةِ التي جبلَهُ اللهُ عليها وفطرَهُ . . لحظَ شمسَ سعادةِ أبيهِ بازغةً ، فقالَ : لا أُحِبُّ الآفلينَ ، وكرهَ بعدَ حسنِ التقويمِ أنْ يُرَدَّ أسفلَ سافلينَ ، فتجرَّدَ عن ملابسِ العزَّةِ الفاخرةِ ، ورغبَ عن أبناءِ الدنيا إلىٰ أبناءِ الآخرةِ ، داخلاً في سلكِ قومٍ شدُّوا على الكرمِ مآزرَهُم ، وأصبحَ التأييدُ الربَّانيُّ مُعاضِدَهُم ومُؤازِرَهُم ، فسدَّدَ سهمَ إصابتِهِ نحوَ الغرضِ الأسنىٰ ، ولم يَلْوِ بعدَ جوهرٍ على العَرَضِ الأدنىٰ .

فلزمَ طريقَ الإرادةِ ، مُستضيئاً بأنوارِ علومِهِ علىٰ سلوكِ العبادةِ ، خادماً للقومِ بنفسِهِ وبإيثارِهِ ، هادماً لبناءِ الرئاسةِ ماحياً لآثارِهِ ، فحرَّرَ لهُ الحرَّارُ[1] عبوديتَهُ التي بشرفِها تحقَّقَ ، وأعادَهُ إلى الحُرِّيةِ فاستحقَّ ولاءَهُ وإنَّما الولاءُ

(١) والحرَّار : من كبار الأولياء والمربين في زمانه ، صاحب كرامات عديدة ، وإشارات سديدة ، وقد سبقت ترجمته في (١/ ٥٦٠) .

لمَنْ أعتَقَ ، فاجتنىٰ ثمراتِ ما غرسَ ، وأشرقَ وجودُهُ بهدي النورِ الذي اقتبسَ ، وعمَّ ذلكَ النورُ مَنْ أرادَ طريقَهُ والتمسَ .

ونُشِرَتْ لهُ أعلامُ الولايةِ بعنايةِ الرحمٰنِ ، وأظلَّتْ دوحتُهُ مُثمِرةَ الأغصانِ ، وخدمَتْهُ الأكابرُ ومِنْ خَدَمِ خدمتِهِ الأعيانُ ، وألقى اللهُ عليهِ محبَّةً فالقلوبُ لا يصرفُها عنهُ صارفٌ ، وأُفِيضَتْ عليهِ خِلَعُ القَبولِ يسحبُ منها المطارفَ ، وتوسَّدَ مِنْ خملِهِ ما مَهَدَ علىٰ عبقريٍّ ورفارفَ ، وتعوَّضَ عن ذلكَ التذلُّلِ دلالاً ، ونادىٰ مُنادي تعظيمِهِ : هٰكذا هٰكذا وإلا فلا لا ، وهوَ معَ ذلكَ يقضي في المسيرِ إلى اللهِ تعالىٰ نفيسَ نَفْسِهِ ، ويُربي يومُهُ في العبادةِ علىٰ أَمْسِهِ .

ولم يَزَلْ علىٰ بابِ ربِّهِ داعياً ، وفي علاجِ مَنْ عَجَزَ عن طبِّهِ ساعياً ، ولتقويمِ اعوجاجِ مَنِ انتظمَ في صحبِهِ مُراعِياً . حتىٰ تخرَّجَتْ بهِ التلاميذُ ، وتدرَّجَتْ إلىٰ رتبةِ المشايخِ الأساتيذُ ، وأنالَهُم مِنْ معارفِهِ الأملَ والأمانيَ ، ورقَّاهُم رتبةً قلَّ مَنْ يبلُغُها أو يُداني ، إلىٰ أن بلغَتْ أقصى التعميرِ مستقلُّ رحالِهِ ، وألقى العصا وقرَّ عيناً ساري مسيرِهِ وتَرحالِهِ ، فانتقلَ خيرَ منقولٍ ، غيرَ مسؤومٍ ولا مملولٍ ، إلىٰ منازلِ الأبرارِ ، ومواطنِ الأخيارِ ، فاستوحشَتْ منهُ بقاعٌ كانَ أُنْسَها ، وتألَّمَتْ لفقدِهِ نفوسٌ كانَ أنفسَها ، ونَضَبَ ذلكَ المورِدُ عن كلِّ لهفانَ ، ونادىٰ ناعي مَعارفِهِ لعارفِهِ : قفا نبكِ مِنْ ذكرىٰ حبيبٍ وعرفانِ[1] .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ الشيخُ صفيُّ الدينِ الحسينُ بنُ الشيخِ جمالِ الدينِ بنِ أبي المنصورِ ، المُقدَّمُ ذكرُ أبيهِ وجدِّهِ[2] .

(١) أشار به : إلىٰ قول امرئ القيس في مطلع قصيدة له : (من الطويل)

قفا نبكِ من ذكرىٰ حبيبٍ وعرفانِ ورسمٍ عَفَتْ آياتُهُ منذُ أزمانِ

انظر « ديوانه » (ص٨٩) .

(٢) انظر (١/ ٥٢٣، ٥٥٦) .

وُلِدَ بمصرَ بخوخةِ السراجِ بالدارِ المعروفةِ بوالدِهِ ، وعُرِفَتْ بعدَ ذلكَ بسكنِ ابنِ الطبيبِ ، ورُبِّيَ إلىٰ أنْ ترعرعَ ، وقرأَ القرآنَ العظيمَ : على الشيخِ أبي العباسِ أحمدَ الخزرجيِّ المعروفِ بـ (التلمسانيِّ) ، وكانَ هٰذا الشيخُ زاهداً مُحدِّثاً وَرِعاً مِنْ أصحابِ السَّلَفيِّ وأقرانِهِ .

ثمَّ اشتغلَ بمذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ : على الشيخِ جمالِ الدينِ والدِهِ ، وعلى الشيخِ أبي العباسِ بنِ اللهيبِ ، ثمَّ سافرَ معَ والدِهِ إلىٰ بلادِ المشرقِ وانتهىٰ إلىٰ حرَّانَ ، ولقيَ جماعةً شهدُوا فيهِ الخيرَ وبشَّرُوهُ ، واجتمعَ بصلحاءَ وأكابرَ وأولياءَ ذكرَهُم في « رسالتِهِ » المعروفةِ المأثورةِ عنهُ ، ووقفتُ عليهِ بخطِّهِ[1] ؛ وهم قريبٌ مِنْ مئةٍ وثمانيةٍ مِنَ الرجالِ وامرأةٍ ، ولم يذكرْ فيها كلَّ مَنْ رآهُ .

ثمَّ رجعَ إلىٰ مصرَ وأقامَ بها بُرْهةً يسيرةً ، ثمَّ سافرَ والدُهُ رسولاً إلى الملكِ المسعودِ صاحبِ اليمنِ ، فحينَ غَيبةِ والدِهِ مرَّ يوماً بجامعِ مصرَ ، فرآهُ الأستاذُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ أبي بكرٍ التجيبيُّ المعروفُ بالحرَّارِ المُقدَّمُ ذكرُهُ رحمَهُ اللهُ[2] ، فأشهدَهُ اللهُ حالَهُ ، فجذبَهُ بخاطرِهِ معَ شبوبيتِهِ وقرافتِهِ[3] ، وحسنِ بزَّتِهِ وترفِهِ وهيئتِهِ ، فسَلَبَ ذلكَ وتبعَهُ ، وتجرَّدَ علىٰ يديهِ ، وحكَّمَهُ في نفسِهِ ، ولبسَ زِيَّ الصوفيةِ ، وشرعَ في خدمتِهِ وخدمةِ أصحابِهِ .

ولم يَزَلْ علىٰ ذلكَ إلىٰ أنْ قدمَ والدُهُ مِنَ اليمنِ ، فتلقَّاهُ وهوَ علىٰ تلكَ الحالِ ، فشقَّ عليهِ ما رأىٰ ، فأمرَهُ بالتركِ والعودِ إلىٰ ما كانَ عليهِ فأبىٰ ، فعاقبَهُ

(١) كذا في (أ، ب) : (عليه) بالتذكير ، والأنسب والأوضح : (عليها) ، ويحتمل أن يعود المثبت على المصدر المفهوم من (ذكر) ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) انظر (١/ ٥٦٠) .

(٣) أي : اكتسابه بالتجارة وهو في ريعان شبابه .

بتركِ الطعامِ والشرابِ ، فلم يأكُلْ ولم يشربْ ولم يرجِعْ عن حالِهِ .

إلىٰ أنْ أوقعَ اللهُ في باطنِ والدِهِ صدقَهُ في حالِهِ ، فأمرَهُ بالرجوعِ إلىٰ شيخِهِ ، فقالَ لهُ : ما يسألُ الشيخَ أنْ يقبلَني إلا أنتَ[1] ، فأخذَهُ ومشَيا إلى الشيخِ بمسجِدِهِ بزقاقِ القناديلِ ، فسألَهُ أن يقبلَهُ فقبلَهُ ، وقالَ لهُ : يا جمالَ الدينِ ؛ أرجو أنْ ينفعَكَ اللهُ بهِ ، فقالَ الشيخُ جمالُ الدينِ : وَدِدْتُ لو كنتُ مكانَهُ[2] .

ولم يَزَلْ في صحبةِ الشيخِ إلىٰ أنْ تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ ، فقالَ لهُ أصحابُهُ عندَ موتِهِ : يا سيِّدي ؛ علىٰ مَنْ نجتمعُ بعدَكَ ؟ فقالَ : على الصفيِّ ، سألُوهُ مراراً ، وأجابَ بذلكَ مراراً .

وكانَتْ أوقاتُ الشيخِ معمورةً ، كانَ وِرْدُهُ ليلاً ونهاراً سفراً وحضراً مئةَ ركعةٍ .

وكانَ يقولُ : (الصوفيُّ مَنْ يكونَ وردُهُ الفرضَ الأولَ) يعني : خمسينَ صلاةً[3] ، وكانَ يقرأُ في وردِهِ ليلاً عشرينَ حزباً .

وصرفَ اللهُ وجوهَ الصلحاءِ والأولياءِ والأكابرِ والعلماءِ إليهِ ، فكانَ الجميعُ يأتونَ إلىٰ زاويتِهِ مِنَ الشامِ والعراقِ ويتبركونَ بهِ ، ويسمعونَ منهُ .

وكانَ قدْ فُتِحَ عليهِ في المعارفِ ما لمْ يُفتَحْ علىٰ أحدٍ مِنْ أقرانِهِ في زمانِهِ ، وسارتْ لهُ وعنهُ كراماتٌ أوجبتْ تعلُّقَ خواطرِ الكافَّةِ بهِ في سائرِ الآفاقِ .

(١) وقصد بذلك : إعزازَ شيخه الحرَّار رحمهما الله تعالىٰ .

(٢) انظر هٰذه الحكاية في « روض الرياحين » (ص٤٧٧ـ ٤٧٩) ، وفيها طول عمَّا أورده المؤلف ها هنا ، وتفاصيل مؤثرة .

(٣) وهي الفرض الأول الذي فُرِض في السماء ، إلىٰ أن خُفِّف إلىٰ خمس صلوات ، علىٰ ما هو المشهور في قصة المعراج .

ولقد بلغَني أنَّهُ سافرَ إحدىٰ سفراتِهِ إلى الشامِ في زمنِ كبارِ مشايخِها ، فعُمِلَتْ لقدومِهِ الأعراسُ العظيمةُ ، وبالغَ الناسُ في إكرامِهِ مبالغةً يعجزُ عنْ وصفِها اللسانُ ؛ حتىٰ إنَّهُ رُشَّ عليهِ وعلىٰ أصحابِهِ ومَنْ كانَ معَهُ في السماعِ الواحدِ مِنْ بعضِ السماعاتِ ما يُقارِبُ عشرةَ قناطيرِ ماءِ وردٍ ، حتىٰ نزحُوا ماءَ الوردِ مِنْ بينِ أرجلِ الصوفيةِ بالطاساتِ ، وطلبُوا منهُ أنْ يُفيدَهُم ممَّا علَّمَهُ اللهُ ، فأفادَهُم وتكفَّلَ رشادَهُم ، وكانَ مفتوحاً عليهِ في المعاني بما لم يُفتَحْ علىٰ غيرِهِ بهِ .

لهُ مُصنَّفاتٌ ؛ فمنها : كتابُهُ المُسمَّىٰ : « فكُّ الأزرارِ عن عنقِ الأنوارِ ، وهتكُ الأستارِ عن معالمِ الأسرارِ ، ممَّا جُمِعَ مِنْ جوابِ السائلِ عن غريبِ المسائلِ » ، و« رسالتُهُ » التي ذكرَ فيها بعضَ مَنْ لقيَهُ مِنَ المشايخِ[1] ، وكتاباً سمَّاهُ : « العطايا الوهبيةَ في مراتبِ القطبيةِ » ، ولهُ جزءٌ لطيفٌ في « الفرقِ بينَ التمثلاتِ والتنزلاتِ والتطوراتِ والتصوراتِ » .

سمعَ : أبا الحسنِ عليَّ بنَ البناءِ المكيَّ البغداديَّ ، وروىٰ عنهُ « الترمذيَّ » سماعاً بحقِّ سماعِ ابنِ البنَّاءِ مِنَ الكَرُوخيِّ ، وسمعَ شيئاً مِنْ مصنفاتِ والدِهِ ، وأجازَ لهُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ اللهِ البغداديُّ جميعَ ما سمعَهُ مِنَ الإمامِ أبي الفرجِ ابنِ الجوزيِّ ، وجميعَ ما أجازَهُ لهُ مِنْ مُصنَّفاتِهِ ومقولاتِهِ ومنقولاتِهِ ، وجميعَ ما أجازَ لهُ شيوخُ العلمِ سنةَ سبعٍ وستِّ مئةٍ بحرَّانَ .

(١) وقال المقريزي في « المقفى الكبير » (٣/٥٦٧) عن هذه « الرسالة » : (وفيها فوائد كثيرة) ، علىٰ حين وقف عليها الذهبي وقال : (وفيها عظائم لا تحتمل ، والله الموعد) ، وليته ذكر دليلاً علىٰ هذه الدعوى الخطيرة !! خصوصاً أنَّ المترجم من كبار أئمة الزهد والصلاح والولاية ، وجرحُ الذهبي في الصوفية والأشاعرة يحتاج إلىٰ أخذٍ وردٍّ كبيرين قبل الأخذ به .

ومِنْ كلامِهِ : أنْ قالَ وقد سُئِلَ عمَّا وقعَ مِنَ الإطلاقِ عنِ الحقِّ سبحانَهُ مِنَ التجلِّياتِ والظهورِ والتنزُّلاتِ ، فأجابَ رضيَ اللهُ عنهُ :

أنَّ الإلـهَ سبحانَهُ وتعالىٰ علاهُ وشأنُهُ مُنزَّهٌ عنِ التجدُّداتِ ، مُتعالٍ عنِ التنقُّلاتِ ، لا يجوزُ عليهِ تغييرٌ ولا تبديلٌ .

وجودُهُ ثابتٌ بما هوَ عليهِ مِنْ كمالِ ذاتِهِ ، وأسماءُ وصفاتُ كياناتِهِ باقيةٌ بأحكامِها في مراتبِ الوجودِ ، كلُّ كيانٍ ثابتٌ بحكمِهِ في وجودِ ظهورِهِ لا يتغيَّرُ عن كيانٍ بحكمِ كيانٍ ، ولا تختلفُ عليهِ الأحوالُ بتغيُّرِ الأزمانِ ، كيانُ عرشِهِ على الماءِ باقٍ ، وتنوُّعاتُ عروشِهِ في الأكوانِ بحسبِها ثابتةٌ إلى انتهاءِ الأكوانِ واستقرارِ الأزمانِ ، ولا نهايةَ في الحقيقةِ ، وكلٌّ مِنْ ذلكَ ثابتٌ وجودُهُ ، وإنَّما التنوُّعُ في حقِّ إدراكِ المُتنزِّلينَ ، وعلمِ العالِمينَ ، وشهودِ المشاهِدينَ ، ومعرفةِ العارفينَ ، فتحيَّرَ كلٌّ منهُم عن كلِّ نوعٍ مِنَ التجلِّياتِ وصيغِ المظاهرِ والتنزُّلاتِ علىٰ حسَبِ إدراكِهِ وشهودِهِ للنوعِ المُختصِّ بالمنزلةِ والمرتبةِ التي انتهىٰ إليها مِنْ حيثُ التطورُ في الأطوارِ ، والكشفُ عمَّا ينتهي الكشفُ فيهِ إلىٰ ما لا حدَّ لهُ ولا عددَ ولا حصرَ ولا أمدَ .

وهوَ سبحانَهُ في عليِّ ذاتِهِ ، وسَنِيِّ صفاتِهِ . . لا يتجدَّدُ عندَهُ مُتجدِّدٌ ، ولا يتغيَّرُ عليهِ في كمالِ ربوبيَّتِهِ وثبوتِ وجودِهِ حادثٌ ؛ فالتجلِّي إنَّما هوَ حدوثُ كشفٍ للشاهدِ بما قُسِمَ لهُ مِنَ الفضلِ في الزمنِ اللازمِ لهُ ، كذلكَ الحجابُ بعدَ الكشفِ في حقِّ المحجوبِ لا في حقِّ الحقِّ سبحانَهُ ؛ فإنَّهُ سبحانَهُ لا يحجبُهُ حجابٌ ؛ إذِ المحجوبُ دونَ الحجابِ ، وكما لا يتجدَّدُ علىٰ ثبوتِ وجودِهِ تجدُّدُ ظهورٍ . . كذلكَ لا يتجدَّدُ في حقِّهِ حجابٌ ؛ إذِ الظهورُ والحَجْبُ في حقِّ أربابِ المراتبِ في الإدراكاتِ ، واللهُ أعلمُ .

قالَ : افتحْ بصرَكَ الحِسِّيَّ الظاهرَ لظاهرِ الوجودِ تجدْهُ ثابتاً قائماً على

الوصفِ الذي انتهىٰ بصرُكَ إليهِ ، [ثمَّ] أَرْخِ جفنَيْكَ علىٰ بصرِكَ تجدِ الوجودَ قدِ انحجبَ عنكَ ، وليسَ إلا سترُ جفنيكَ لعينيكَ ، فحجابُكَ أنتَ ومنكَ ، لم يتجدَّدْ للوجودِ ظهورٌ ولا حجابٌ منهُ ، كذلكَ بصيرةُ القلبِ إذا نُوِّرَتْ بأنوارِ العلمِ الملكوتيِّ تشهدُ الملكوتَ ثابتَ الوجودِ لم يتجدَّدْ عليهِ في نفسِهِ مُتجدِّدٌ .

اعتبرْ كذلكَ إلىٰ سِرِّ الحقِّ القائمِ بكَ إذا غُيِّبْتَ أنتَ عنهُ وكَشَفَ عن حكمِ سِرِّيَّتِهِ ، فشهدتَ وجودَهُ مُتَّصِلاً بصفةِ الربَّانيةِ التي هوَ هيَ اتِّصالاً لم يُكْنَ بعدَ أنْ لم يكُنْ ، وإنَّما ظهورُ حكمِهِ بسببِ حدوثِ غيبتِكَ وانكشافِكَ عنهُ ؛ للزومِ الحدوثِ بحدوثِكَ ، قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء : ٢] ، فالذكرُ كلامُ اللهِ تعالىٰ وهوَ قديمٌ ، وإنَّما الإتيانُ حادثٌ للزومِ حدوثِنا ، واللهُ أعلمُ[1] .

وسُئِلَ عن قولِهِ تعالىٰ ـ إخباراً عن موسىٰ عليهِ السلامُ حينَ المقابلةِ لفرعونَ وإلقاءِ السحرةِ ـ : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه : ٦٧] .

فقالَ : الجوابُ وباللهِ التوفيقُ : أنَّ معيَّةَ الحقِّ سبحانَهُ واحدةٌ مِنْ حيثُ ذاتُهُ ، مُتنوِّعةٌ مِنْ حيثُ تنوُّعاتُ مراتبِ موجوداتِهِ ، فلكلِّ مرتبةٍ مِنْ مراتبِ الوجودِ نوعٌ مِنَ المعيَّةِ يُناسِبُ تلكَ المرتبةَ .

وكانَ موسىٰ علىٰ نبيِّنا وعليهِ الصلاةُ والسلامُ عالماً بالمعيَّاتِ مُشاهِداً لها مِنْ حيثُ ظهرَتْ ، فلمَّا قابلَهُ فرعونُ بسحرِهِ لاحَتْ لهُ في بديهةِ الحالِ معيَّةُ الحقِّ معَ فرعونَ ، فسرىٰ إلىٰ محلِّهِ الشريفِ هاجسُ الخوفِ ، فداركَهُ الحقُّ بالثباتِ ؛ فقالَ لهُ : ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا﴾ [طه : ٤٦] بالنصرِ والتأييدِ ، فلمَّا تبيَّنَ لهُ ذلكَ زالَ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما كانَ وَجَسَ لهُ في البديهةِ ، وتبيَّنَ لهُ معيَّةُ

(١) وانظر ما قيل أيضاً في تأويل هذه الآية في (١/ ١٥٤ـ ١٥٥) .

الحقِّ معَ فرعونَ للإحاطةِ والعلمِ بما هوَ فيهِ والمكرِ بهِ والخديعةِ لهُ ، فعلىٰ هـٰذا يُحمَلُ ما أخبرَ بهِ عنهُ ؛ لشرفِ نبوَّتِهِ ورسالتِهِ وعصمتِهِ ، واللهُ أعلمُ .

وسُئِلَ رضيَ اللهُ عنهُ عن قولِهِ ـ إخباراً عن موسىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في آخرِ سؤالِهِ ربَّهُ أخاهُ هارونَ ـ : ﴿ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ﴾ [طه : ٣٥] ، ولم يَقُلْ : (بنا حفيّاً) ولا (لطيفاً) ، ولا غيرَ ذلك .

فأجابَ رضيَ اللهُ عنهُ : أنَّ مقدمةَ عطيَّةِ اللهِ سبحانَهُ لهُ أنْ أخذَهُ مِنْ يدِ الأسبابِ ؛ بإلقائِهِ في المهالكِ ، ووضعِهِ في التابوتِ ، وإلقائِهِ في اليمِّ ، وأخذِ عدوِّهِ لهُ ، فبيَّنَتِ القدرةُ العليَّةُ سِرَّ ذلكَ بقولِهِ سبحانَهُ : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾ [طه : ٣٩] ، فلمَّا سألَ أخاهُ هارونَ أنْ يكونَ معَهُ اعترفَ للحقِّ سبحانَهُ بسابقِ عطيَّتِهِ لهُ بصُنعِهِ علىٰ عينِهِ ومباشرةِ يدِ القدرةِ ؛ لتكونَ إجابتُهُ لهُ بأخيهِ تتمَّةَ تلكَ العطيَّةِ ، واللهُ أعلمُ .

مدحَهُ جماعةٌ مِنَ العلماءِ في حالِ حياتِهِ ، ورثَوْهُ بعدَ موتِهِ ؛ فممَّا قيلَ في حياتِهِ : ما قالَهُ الشيخُ شمسُ الدينِ محمدُ ابنُ يوسفَ الجزريُّ الخطيبُ المُلقَّبُ بـ (ملكِ النحاةِ) : [من الوافر]

تَبَارَكَ مَنْ أَبَاحَ حِمَى ٱلْمَعَالِي ... لِسِرِّكَ فَهْوَ يَسْرَحُ حَيْثُ شَاءَ

إِذَا لَيْلُ ٱلسُّلُوكِ دَجَا وَلاَحَتْ ... لَوَامِعُ نُورِهِ فِيهِ أَضَاءَ

وُلِدَ الشيخُ صفيُّ الدينِ في منتصفِ ذي القعدةِ سنةَ خمسٍ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ ، وتُوفِّيَ بعدَ عصرِ الجمعةِ ثاني عشرَ شهرِ ربيعٍ الآخرِ سنةَ اثنتينِ وثمانينَ وستِّ مئةٍ ، فجملةُ عمرِهِ ستٌّ وثمانونَ سنةً وأربعةُ أشهرٍ وسبعةٌ وعشرونَ يوماً ، وصُلِّيَ عليهِ مِنَ الغدِ ، ودُفِنَ بزاويتِهِ بالشهميَّةِ ، وخلفَهُ ولدُهُ إبراهيمُ .

أنشدَني الشيخُ الحافظُ تقيُّ الدينِ أبو بكرٍ عتيقُ بنُ الشيخِ وجيهِ الدينِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ أبي الفتحِ العمريُّ الصوفيُّ أحدُ أصحابِ الشيخِ صفيِّ الدينِ قالَ : أنشدَني بعضُ الفقراءِ للشيخِ صفيِّ الدينِ ولم أسمعْهُ منهُ ، فما أدري نظمَهُ أو تمثَّلَ [بهِ] : [من الكامل]

لَجَّجْتُ بَحْرَ هَوَاكُمُ بِسَفِينَتِي ... وَٱلْعَاشِقُونَ تَوَقَّفُوا فِي ٱلسَّاحِلِ
فَلَئِنْ هَلَكْتُ فَفِي سَبِيلِ هَوَاكُمُ ... وَلَئِنْ نَجَوْتُ لَقَدْ ظَفِرْتُ بِطَائِلِ

* * *

ومنهُمُ :

[الإمامُ الفقيهُ ظهيرُ الدينِ جعفرُ بنُ يحيى التِّزْمَنتيُّ الشافعيُّ]

الفروعيُّ الفارعُ ، والفقيهُ البارعُ ، المُتخلِّلُ بأحسنِ خَلَّةٍ ، والمُتجلِّلُ بثوبَيِ العلمِ والدينِ فجمُلَتْ حُلَّةً ، قد ضمَّ إلى الورعِ عزماً وحزماً ، وأُوتِيَ بسطةً في العلمِ خاصةً فهوَ كُنَيفٌ مُلِئ علماً[1] ، قدْ رفعَهُ علمُهُ فطرْفُهُ قريرٌ ، وظهرَ وظاهرَ فهوَ بالحقِّ ظاهرٌ وللحقِّ ظهيرٌ : **الفقيهُ الإمامُ العالمُ ظهيرُ الدينِ جعفرُ بنُ يحيى بنِ جعفرٍ ، [المخزوميُّ] التِّزْمَنتيُّ بلداً المصريُّ داراً ووفاةً .**

اشتغلَ : على الفقيه أبي الطاهرِ المحلِّيِّ ، وأدركَ أواخرَ أيامِ قاضي القضاةِ عمادِ الدينِ[2] ، واشتغلَ بمدرسةِ الفقيهِ بهاءِ الدينِ ابنِ الجُمَّيزيِّ ، وكانَ إماماً في مذهبِ الشافعيِّ ، واستفادَ مِنَ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، وكانَ الشيخُ يستحسنُ ذهنَهُ كما قدَّمْنا[3] ، وسمعَ شهادتَهُ قاضي القضاةِ بدرُ الدينِ السِّنجاريُّ[4] ، ولم يَزَلْ ذا مكانةٍ عندَ الأكابرِ ، وكلمةٍ نافذةٍ عندَ الحكامِ ؛ لاستحقاقِهِ مناصبَهُم ، وعدمِ إرادتِهِ لذلكَ .

(١) **الكُنيف** : الوعاء ، وهٰذا التركيب في الأصل قاله سيدنا عمر بن الخطاب في حق سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما ، كما أخرجه عبد الرازق في « المصنف » (١٨١٨٧) ، والطبراني في « الكبير » (٩/٤٠٨) .

(٢) أي : ابن السكري . انظر ترجمته في (١/٥٨٣ـ٥٨٤) .

(٣) وسبقت ترجمته في (٢/٩٧ـ٩٨) .

(٤) وأخذ عنه العلمَ فقيه زمانه أبو العباس ابن الرفعة شيخ التقي السبكي ومن دونه رحمهم الله تعالىٰ .

وكانَ علىٰ ذهنِهِ وقائعُ في العلمِ ، وفوائدُ كثيرةٌ ومباحثُ جمَّةٌ ، وانتفعَ بهِ جماعةٌ مِنَ العلماءِ والفقهاءِ .

وكانَ حسنَ الاعتقادِ ، وهوَ وإنْ لم يَكُنْ أصولياً ولا مُتوغِّلاً في علمِ الكلامِ لكنَّهُ كانَ أكثرُ ما يُحتاجُ إليهِ مِنْ مباحثِها علىٰ خاطرِهِ ؛ لكثرةِ الوقائعِ وحضورِ المحافلِ .

وكانَ مُعِيداً بمدرسةِ الإمامِ الشافعيِّ بالقرافةِ ، ومُدرِّساً بالمدرسةِ القطبيَّةِ بالقاهرةِ المعزيةِ ، ونابَ عنِ البرهانِ السِّنجاريِّ في زمنِ وزارتِهِ في التدريسِ بزاويةِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ بجامعِ مصرَ .

وكانَ ذا عبارةٍ فصيحةٍ ، ووجهٍ طلقٍ مُتهلِّلٍ ، وورعٍ ، وكانَ يُفتي لفظاً ويأبىٰ أنْ يكتبَ ، وتُوفِّيَ مِنْ طلوعٍ طلعَ لهُ في ظهرِهِ يُسمَّىٰ شقفةً .

تُوفِّيَ في جمادى الآخرةِ سنةَ اثنتينِ وثمانينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[1] .

* * *

(١) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٣٩) ، و« طبقات الشافعية » للإسنوي (١/ ١٥٣) ، و« المقفى الكبير » (٣/ ٦٦) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ موسى بنِ النعمانِ الهِنْتاتيُّ التِّلِمْسانيُّ المالكيُّ]

الأسدُ الصائلُ ، على المبتدعةِ بالغدوِّ والأصائلِ ، والعالمُ المتقنُ ، والفاضلُ المُتفنِّنُ ، والعارفُ المُتكلِّمُ ، والمُربِّي المُعلِّمُ ، والمُحدِّثُ الصادقُ ، والمُحدَّثُ الناطقُ ، المُجاهدُ في اللهِ حقَّ جهادِهِ ، والمُكايدُ لمَنِ استرسلَ في عنادِهِ .

سلَّهُ اللهُ سيفاً على المبتدعةِ فقهرَهُم ، وأذهبَ عينَهُم ومحا أثرَهُم ، سعياً على أقدامِهِ ، ومكافحةً لهُم بمُؤيَّدِ إقدامِهِ ، فنكَّسَ منهُمُ الرأسَ وأغضَّ الطرفَ ، وأخرسَ منهُمُ الصوتَ والحرفَ ، ثمَّ سعى في كشفِ مساجدَ داثرةٍ ، قدِ استولَتْ عليها الفئةُ الكافرةُ ، قِبْليَّ البلادِ وبحريَّها ، فعمَرَها بعدَما أظهرَها وأعلى منارَها ، وعمَرَ بذكرِ اللهِ تعالى والصلاةِ أفناءَها وأقطارَها ؛ حتى إنَّ لهُ بالديارِ المصريَّةِ قريباً مِنَ السبعينَ مسجداً ـ مُنشَأً أو مُجدَّداً ـ عامرةً آهلةً بأئمَّتِها ومُؤذِّنيها دارَّةً أرزاقُهُم .

وأولُ مساجدِهِ : مسجدُ البهنسا ، وثانيها : مسجدُ الفتحِ بقصرِ الشمعِ بمصرَ ، كانَ مكانُهُ ثلاثةَ مساجدَ قد دثرَتْ في الغلاءِ الكبيرِ ، فاستولى عليها النصارى وأضافُوها إلى الكنيسةِ ، فأظهرَها اللهُ على يديهِ ، وفي ذلكَ يقولُ المُخلِّصُ الكنانيُّ المُوقِّعُ : [من البسيط]

يَا مَسْجِدَ ٱلْفَتْحِ قَدْ شَابَهْتَ كَعْبَتَنَا ... فَحَظُّكَ ٱلآنَ تَهْلِيلٌ وَتَقْدِيسُ

وَكُنْتَ فِيمَا مَضَى يَحْوِيكَ كُلُّ أَذىً ... مِنَ ٱلنَّصَارَىٰ وَتَلْوِيثٌ وَتَنْجِيسُ

وقد عدَّ المساجدَ وذكرَها بأسمائِها وأصقاعِها أخونا وصاحبُنا في اللهِ ، المُحدِّثُ الضابطُ المُتقِنُ المُفِيدُ المُحصِّلُ ، الشيخُ نجمُ الدينِ أبو بكرٍ محمدُ بنُ عبدِ الحميدِ بنِ عبدِ اللهِ القرشيُّ . . في كتابِهِ المُسمَّى بـ « المواهبِ الرحمانيَّةِ في المناقبِ النُّعمانيَّةِ »[1] .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ الشيخُ الإمامُ ، مُحيِي السنَّةِ ، مُمِيتُ البدعةِ ، خادمُ الحديثِ النبويِّ : شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ موسى بنِ النعمانِ ، الهنتاتيُّ المزاليُّ ، التِّلِمْسانيُّ المولدِ ، الفاسيُّ المنشأِ والأصلِ .

كانَ أوحدَ أهلِ زمانِهِ ، أيَّدَهُ اللهُ في عَزَماتِهِ .

اشتغلَ بالقرآنِ الكريمِ بمدينةِ فاسٍ[2] : على الشيخِ أبي العباسِ الضريرِ ، وأبي القاسمِ الصفَّارِ ، **وقرأَ العربيةَ** : على الأستاذِ عبادٍ ، والأستاذِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ يعيشَ ، وأبي محمدٍ عبدِ العزيزِ ابنِ زيدانَ الفاسيِّ ، **وقرأَ بها الحديثَ** : على أبي القاسمِ بنِ القطانِ ، وأبي العباسِ بنِ أبي الربيعِ .

واشتغلَ بالأصولِ وعلمِ الكلامِ : على أبي العباسِ أحمدَ بنِ أحمدَ بنِ البقَّالِ في آخرِ عمرِهِ ، ثمَّ انتقلَ رحمَهُ اللهُ فقرأَ على جماعةٍ مِنْ أصحابِهِ ، ولازمَ مجلسَ الإمامِ أبي الحسنِ بنِ المصاليِّ ، وأخذَ عنهُ « العقيدةَ البرهانيةَ » للإمامِ أبي عمرٍو الفاسيِّ روايةً ودرايةً[3] ، وكانَ يرويها عنهُ وعنِ الإمامِ أبي العباسِ بنِ ناهضٍ ؛ كلاهُما عنِ الإمامِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ عبدِ الكريمِ الفِنْدلاويِّ ـ عُرِفَ بابنِ الكتانيِّ ـ عن مُؤلِّفِها .

(١) **وأفرد ترجمته أيضاً** : المحدث أبو حفص عمر بن أيوب الحنفي ، وسماه : « تحفة الإخوان » ، وأبو بكر عبد الله بن أبي البركات الأكرم ، وسماه : « الترجمان عن نقلة ابن النعمان » انظر « الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » (٣/ ١٢٧٥) .

(٢) أغلب شيوخه الآتين لم أتحقق من ضبطهم ؛ إذ لم أعثر على ترجمتهم .

(٣) **وأبو عمرو الفاسي** : هو عثمان بن عبد الله السلالجي (ت ٥٧٤هـ) .

ثمَّ خرجَ إلىٰ تونسَ ، فاجتمعَ بالحصريِّ أبي موسىٰ عيسىٰ ، وأبي عبدِ اللهِ السوسيِّ ، وسمعَ منهُم .

ثمَّ رحلَ إلى الديارِ المصريَّةِ ، فبلغَ الإسكندريةَ ، فلَقِيَ بها : أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ عمادٍ الحرَّانيَّ ، وأبا القاسمِ عبدَ الرحمٰنِ بنَ عبدِ الحميدِ بنِ الصفراويِّ[1] ، وأبا الفضلِ جعفرَ بنَ عليِّ بنِ هبةِ اللهِ الهمْدانيَّ ، وأبا إبراهيمَ محمدَ بنَ عبدِ الرحمٰنِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ الجبَّابِ ، وأبا البركاتِ محمدَ بنَ عليِّ بنِ محمودٍ يُعرَفُ بـ (ابنِ تاجرِ عينةَ) ، وأبا الندىٰ حسانَ بنَ أبي القاسمِ بنِ حسانَ المهدويَّ ، وأبا الفضلِ عبدَ العزيزِ بنَ عبدِ الوهابِ بنِ أبي الطاهرِ بنِ عوفٍ ، وأبا محمدٍ عبدَ الوهابِ بنَ رواجٍ ، وأبا الفضلِ يوسفَ بنَ عبدِ المعطي بنِ المَخِيليِّ ، وجماعةً غيرَهُم ، فأخذَ عنهُم .

ثمَّ دخلَ إلىٰ مصرَ ، فسمعَ : مِنْ أبي الحسنِ بنِ المُقيَّرِ ، وأبي الحسنِ عليِّ ابنِ بنتِ الجُمَّيزيِّ ، وأبي الحسنِ عليِّ بنِ محمودِ ابنِ الصابونيِّ ، وأبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ أبي عليٍّ النُّوقانيِّ ، والشريفِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ أبي بكرٍ الهاشميِّ المأمونيِّ ، وأبي القاسمِ عبدِ الرحيمِ بنِ يوسفَ ابنِ الطفيلِ الدمشقيِّ ، وأبي الحسنِ عليِّ بنِ إسماعيلَ ابنِ جبارةَ الكنديِّ ، وفخرِ القضاةِ ابنِ الجبَّابِ ، وأبي العباسِ أحمدَ بنِ يحيى بنِ صباحٍ ، وأبي عليٍّ الحسنِ ابنِ دينارٍ السمسارِ المقرئِ ، وأبي الحسنِ عليِّ بنِ عبدِ الصمدِ المعروفِ بـ (ابنِ الرمَّاحِ) المقرئِ ، وغيرِهِم .

ثمَّ انتقلَ في الديارِ المصريَّةِ قِبْليِّها وبحريِّها ، فسمعَ : مِنَ الأميرِ مكرمِ

(١) قوله : (عبد الحميد) : كذا في الأصل و« طبقات الحفاظ » (٤/ ١٤٢٤) ، وجاء في كثير من المصادر والمراجع : (عبد المجيد) . انظر « سير أعلام النبلاء » (٢٣/ ٤١) ، و« الوافي بالوفيات » (١٨/ ١٠٣) .

الدينِ بنِ اللمطيِّ، وأبي القاسمِ عبيدِ اللهِ بنِ عليِّ بنِ خلفٍ الكوميِّ التِّلِمْسانيِّ، وسمعَ مِنْ شيخِهِ أبي الحسنِ ابنِ قفلٍ .

وروىٰ عن جماعةٍ بالإجازةِ يطولُ تعدادُهُم .

وأخذَ عنهُ جماعةٌ مِنْ علماءِ الحديثِ ، ويكفي عن جميعِهِم شيخُ الوقتِ ، ورُحلةُ الزمانِ ، وعينُ الأعيانِ ، الإمامُ الحافظُ ، بقيةُ المجتهدينَ : تقيُّ الدينِ أبو الفتحِ محمدُ ابنُ دقيقِ العيدِ الآتي ذكرُهُ[1] ، والشيخُ الإمامُ الحافظُ رُحلةُ وقتِهِ ، المُنفرِدُ بفنِّهِ في زمانِهِ : شرفُ الدينِ عبدُ المؤمنِ بنُ خلفٍ الدمياطيُّ ؛ فإنَّهُما صحباهُ وأخذا عنهُ .

وممَّنْ صحبَهُ وأخذَ عنهُ ، وكانَ يستنصرُ بهِ ، وشاهدتُ ذلكَ غيرَ مرَّةٍ : الشيخُ الإمامُ العالمُ ، لسانُ المُتكلِّمينَ ، سيفُ المُناظِرينَ : أبو العباسِ أحمدُ بنُ إدريسَ الصَّنْهاجيُّ المالكيُّ المعروفُ بـ (القَرافيِّ)[2] ، وجماعةٌ يطولُ ذكرُهُم .

وانتفعَ بهِ جماعةٌ مِنَ المريدينَ والصوفيَّةِ ، ومَنْ سلكَ طريقَهُ في الإرادةِ ولبسَ منهُ الخرقةَ .

وكانَ الشيخُ قد لبسَ خرقةَ التصوفِ مِنْ ثلاثةٍ : مِنَ الشيخِ أبي الحسنِ ابنِ قفلٍ ، ومِنَ الشيخِ الإمامِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ هبةِ اللهِ بنِ سلامةَ المعروفِ بـ (ابنِ بنتِ الجُمَّيزيِّ) ، ومِنْ أبي الحسنِ عليِّ بنِ محمودِ ابنِ الصابونيِّ بأسانيدِهِمُ المعروفةِ بهِم ، والمذكورةِ في كتبِهِم .

ورأى الشيخُ أبو عبدِ اللهِ جماعةً مِنَ الأولياءِ والصلحاءِ ، وظهرَ علىٰ يديهِ كراماتٌ كثيرةٌ لا يُحصيها العدُّ ، ولا يحصُرُها الحدُّ ، وأسلمَ علىٰ يديهِ خلقٌ

(١) انظر (٢/ ٢٥٣ـ ٢٧٢) .

(٢) صاحب « الفروق » وغيره من المؤلفات النفيسة ، وستأتي ترجمته في (٢/ ١٩٨ـ ٢٠٠) .

كثيرٌ مِنَ النصارىٰ واليهودِ ، وتابَ علىٰ يديهِ جماعةٌ مِنَ المبتدعةِ ، وانخزلَ علىٰ يديهِ كبارُ المبتدعةِ بالشامِ وبالديارِ المصريَّةِ ، وذلُّوا وقُهِروا ، ووقائعُهُ معَهُم مشهورةٌ ، وطائفةُ أهلِ السنَّةِ لم تَزَلْ بعَزَماتِهِ منصورةً .

وكلُّ مَنْ نهضَ علىٰ مُبتدِعٍ ، أو سعىٰ في إخمادِ أمرِهِ ، وتنكيسِ رأسِهِ . . فبلسانِهِ يُناضِلُ ، وبسيفِهِ يُقاتِلُ .

سمعتُ الشيخَ الإمامَ ، العارفَ القدوةَ ، سيفَ المِلَّةِ ، ناصرَ الحقِّ ، مُفتِيَ المسلمينَ ، بقيَّةَ السلفِ ، عمدةَ الخلفِ : أبا عبدِ اللهِ محمدَ بنَ عبدِ الجبارِ القَيْروانيَّ نفعَ اللهُ ببركتِهِ . . يقولُ وقد حضرتُ إليهِ في جماعةٍ مِنْ طلبةِ العلمِ الشريفِ الشافعيَّةِ والمالكيَّةِ نُهنِّئُهُ بما يسَّرَ اللهُ علىٰ يديهِ مِنَ الفتحِ في كسرِ شوكةِ ابنِ تيميَّةَ وأصحابِهِ ، وكانَ أمراً عظيماً أنهضَهُ اللهُ فيهِ وأعانَهُ عليهِ ، فدعَونا لهُ ، **فكانَ جوابُهُ** : هٰذا أمرٌ ليسَ لي فيهِ شيءٌ ، إنَّما حسناتُهُ في صحائفِ سيِّدي أبي عبدِ اللهِ ابنِ النعمانِ ، وما تكلَّمتُ إلا بلسانِهِ ، ولا نهضتُ إلا بحالِهِ ، وأرادَ ـ تولَّى اللهُ جزاءَهُ ـ بذلكَ سترَ ما يسَّرَهُ اللهُ علىٰ يديهِ مِنْ ذلكَ ، فأجبْناهُ ممتثلينَ بقولِهِ [. . .][1] .

ولم يَزَلِ الشيخُ أبو عبدِ اللهِ علىٰ مُواظَبةِ الاشتغالِ ، وإكثارٍ مِنَ المجاهداتِ والأورادِ ، ولهُ في ذلكَ أحوالٌ مشهورةٌ ، ونسبةٌ مسطورةٌ في الكتبِ ، يعلمُها المُخالِفُ والمُوالِفُ ، ويشهدُ لهُ بها العدوُّ والصديقُ .

وصنَّفَ رضيَ اللهُ عنهُ كتباً كثيرةً ؛ **فمنها** : كتابُ « مصباحِ الظلامِ في المُستغيثينَ بخيرِ الأنامِ في اليقظةِ والمنامِ » ، وهوَ سماعي عليهِ سنةَ [. . .][2] .

(١) بياض بمقدار سطر في (أ ، ب) .

(٢) بياض بمقدار كلمتين في (أ ، ب) .

وفيهِ يقولُ الأديبُ الفاضلُ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ دانيالَ بنِ يوسفَ الخزاعيُّ الجزريُّ : [من الوافر]

لِشَمْسِ ٱلدِّينِ صَدْرٌ أَيُّ صَدْرٍ ... يُرِينَا نَحْرُهُ دُرَّ ٱلْكَلَامِ
بِهِ ظُلَمُ ٱلشُّكُوكِ لَنَا أَضَاءَتْ ... لِأَنَّ ٱلشَّمْسَ مِصْبَاحُ ٱلظَّلَامِ

وفُعِلَ في وصفِ هٰذا الكتابِ مِنَ الأشعارِ كثيرٌ ، وليسَ هٰذا موضعَ ذكرِها .

ومنها : كتابُ « ذخيرةِ أهلِ الإيمانِ في حفظِ جوارحِ الإنسانِ » ، وكتابُ « الإيضاحِ والبيانِ في ذكرِ مَنْ أسلمَ مِنَ النصارىٰ والرُّهبانِ علىٰ يَدَيِ الشيوخِ أهلِ الإتقانِ » ، وكتابُ « النصيحةِ والبيانِ في تركِ معاشرةِ الأحداثِ والنسوانِ » ، وكتابُ « الأنوارِ البهيَّةِ في أحكامِ خرقةِ الفقراءِ والصوفيَّةِ » ، وكتابُ « مَحَجَّةِ القاصدينَ إلىٰ منهجِ الصادقينَ » ، وكتابُ « تنبيهِ الأبرارِ علىٰ سننِ المهاجرينَ والأنصارِ » ، وكتابُ « النهيِ عن معاشرةِ النسوانِ والأحداثِ والرَّدِّ على المُبتدِعةِ أهلِ الأحداثِ »[1] ، وكتابُ « الجوهرِ المكنونِ في كراماتِ ذي النونِ » ، وكتابُ « فضلِ الحجِّ وثوابِ الحاجِّ » ، وكتابُ « فرائدِ الفوائدِ الإسكندريَّةِ في شيوخِ الحافظِ السِّلَفيِّ مِنَ الصوفيَّةِ » ، وكتابُ « الفوائدِ السِّلَفيَّةِ » ، وكتابُ « القوانينِ الشرعيَّةِ في وصيَّةِ الراعي بالرعيَّةِ » ، وكتابُ « الدُّرِّ المكنونِ في كراماتِ الشيخِ أبي الحسنِ المدفونِ بجهةِ مكنونٍ »[2] ، وكتابُ « الإعلامِ بالأعلامِ مِنَ الحُكَّامِ » ، وكتابُ « الفوائدِ السفريةِ في ذكرِ مَنْ تطهَّرَتْ نفسُهُ الزكيَّةُ » ، وكتابُ « ملحةِ اللَّحَنِ وعقلةِ اللَّسَنِ » ، وكتابُ « شاهدِ أولياءِ اللهِ في الأعيادِ » ، وكتابُ « الجوابِ المُغني عن كلامِ المرءِ فيما

(١) ضبطها في (أ) بفتح الهمزة وكسرها .

(٢) هو شيخه المربي أبو الحسن ابن قفل رحمه الله تعالىٰ السابق في (٢/ ٢٢ـ ٢٣) .

لا يعني » ، وكتابُ « خمودِ النارِ لأجلِ الأنوارِ » ، وكتابُ « الردِّ على المُعانِدِ الجاحدِ في إثباتِ مشيئةِ الواحدِ » ، وكتابُ « اللُّمَعِ في أحكامِ الكنائسِ والبِيَعِ » ، وكتابُ « التنبيهِ على الأسبابِ والقناعةِ في الاكتسابِ » ، وكتابُ « عمدةِ المسافرِ وعدةِ الحاضرِ » ، وكتابُ « تمهيدِ الأصولِ في تهذيبِ العدولِ » ، وكتابُ « الإبانةِ في المُتشبِّهينَ بأهلِ الكفرِ والخيانةِ » ، وكتابُ « الإذكارِ بفضلِ الأذكارِ » ، وكتابُ « معرفةِ الأشراطِ لمَنْ يسكنُ الرِّباطَ » ، وكتابُ « عمدةِ المجاهدينَ عندَ قتالِ الكفرةِ الجاحدينَ » ، وكتابُ « الفوزِ والرِّضوانِ فيمَنْ باعَ نفسَهُ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ بالجِنانِ » ، وكتابُ « النصيحةِ والإرشادِ في وصيَّةِ الأمراءِ والأجنادِ » ، وكتابُ « تحفةِ الإخوانِ فيما استقرَّ على أهلِ الإيمانِ » ، وكتابُ « نظمِ الدررِ واللآلي بجِيدِ الأجوادِ أهلِ الفتوَّةِ ذوي المعالي » ، وكتابُ « طبِّ الجَنانِ والأركانِ » ، وكتابُ « إرشادِ المريدِ السالكِ » ، وكتابُ « التمهيدِ في معرفةِ الشيخِ والمريدِ » ، وكتابُ « رياضةِ المُوحِّدينَ ونزهةِ المؤمنينَ » ، وكتابُ « الردِّ على الحُروفيَّةِ » ، وكتابُ « موافقةِ المعبودِ في تركِ مُغالاةِ النصارىٰ واليهودِ » .

وغيرُ ذلكَ مِنَ المُصنَّفاتِ والتعاليقِ والإملاءاتِ ، لا يَسَعُ الحالُ إحصاءَها ، ولا يتمكَّنُ مَنْ يرومُ استقصاءَها ، ولقد عدَّ لهُ نجمُ الدينِ بنُ عبدِ الحميدِ قريباً مِنْ مئتي مُصنَّفٍ بأسمائِها ، وذكرَ أنَّها فوقَ المئتينِ والستينَ تصنيفاً .

لهُ كلامٌ في المعارفِ ؛ فمِنْ كلامِهِ رضيَ اللهُ عنهُ : الإنسانُ تارةً يتكلَّمُ باللسانِ ، وتارةً يتكلَّمُ بالجَنانِ ، واللحنُ عندَ العلماءِ باللسانِ معروفٌ[1] .

كَرْمٌ لا يمتدُّ إلىٰ ما حوتْهُ مِنَ الطعامِ أيدي الطَّغامِ ، نوَّهَ بذكرِهِ فنامَ

(١) هنا انتهت الورقة (٢٠٠/أ) ، ويظهر أن ما بعدها ساقط أو مبتور ، والله تعالىٰ أعلم .

الغافلونَ ، وسَهِرَ في خدمةِ الرحمٰنِ ، وارتضاهُ لذاتِهِ فشهرَ عليهِ ألويةَ الرضا والأمانِ ، ونصبَهُ حرماً آمناً يلجأُ إليهِ أبناءُ الزمانِ ، وبيتاً مُقدَّساً يطوفُ بصخرتِهِ آمالُ الإخوانِ .

مُنَـاوِيـهِ مَـذْمُـومٌ بِكُـلِّ لِسَـانِ وَإِنْ كَـانَ مِـنْ أَعْـدَائِـهِ ٱلْقَمَـرَانِ

وَلِلّٰهِ سِـرٌّ فِـي عُـلَاهُ وَإِنَّمَـا كَلَامُ ٱلْعِدَا ضَرْبٌ مِنَ ٱلْهَذَيَانِ[1]

وممَّنْ مدحَهُ نثراً : الشيخُ الإمامُ المُحدِّثُ العالمُ ، الضابطُ المُسنِدُ البارعُ ؛ جمالُ الدينِ أبو حامدٍ محمدُ بنُ الشيخِ علمِ الدينِ عليِّ بنِ محمودٍ المحمودِيُّ الصابونيُّ ؛ فإنَّهُ كتبَ على كتابِهِ المُقدَّمِ ذكرُهُ المُسمَّىٰ بـ « الأنوارِ البهائيَّةِ البهيَّةِ »[2] : (وقفَ العبدُ الفقيرُ ، إلىٰ رحمةِ ربِّهِ القديرِ ؛ محمدُ بنُ عليِّ بنِ محمودٍ المحمودِيُّ أصلحَ اللهُ شانَـهُ ، ولا ألحقَ بهِ ما شانَـهُ ، علىٰ هٰذهِ الأنوارِ ، التي هيَ أزهىٰ مِنَ النُّوَّارِ ، وأرقُّ مِنْ نسيمِ الأسحارِ ، فجلا بصرَهُ بنظرِهِ إليها ، وشرحَ صدرَهُ وقوفُهُ عليها ، وتحقَّقَ أنَّ اللهَ سبحانَـهُ جمعَ لمُؤلِّفِها بينَ عِلْمَيِ الباطنِ والظاهرِ ، وخصَّهُ بصحبةِ المشايخِ والساداتِ الأكابرِ ، وميَّزَهُ برؤيةِ العلماءِ وتلكَ أعظمُ المفاخرِ ، فهيَ الأنوارُ المنسوبةُ إلىٰ جمعِ الشيخِ الزاهدِ العارفِ ، حُجَّةِ العارفينَ ، ومُرشِدِ السالكينَ ؛ أبي عبدِ اللهِ محمدِ ابنِ النعمانِ ، أبهىٰ مِنَ الأزهارِ وأبهجَ مِنْ شقائقِ النعمانِ ؛ فلقد أحسنَ فيما قصدَ ووُفِّقَ فيما اعتمدَ وأبانَ ، نفعَ اللهُ المسلمينَ ببركاتِهِ ، ولا أخلاهُم مِنْ صالحِ دعواتِهِ ؛ إنَّهُ كريمٌ منَّانٌ ، وعليهِ التُّكلانُ ، وصلواتُهُ علىٰ خيرِ خلقِهِ محمدٍ النبيِّ وآلِهِ وصحبِهِ والتابعينَ لهُم بإحسانٍ ، ما تناوحَ ضِدَّانِ[3] ، وما اختلفَ الجديدانِ) .

(١) البيتان للمتنبي في « ديوانه » (٤/ ٢٤٢) ، وهما من الطويل .

(٢) الذي سبق أثناء سرد مؤلفاته : (الأنوار البهية) دون كلمة (البهائية) .

(٣) تناوح : تقابل .

وممَّنْ نَظَمَ فيهِ : سيدُنا قاضي القضاةِ زينُ الدينِ مُفتي المسلمينَ : أبو القاسمِ محمدُ بنُ شيخِنا الإمامِ العالمِ العاملِ مُفتي المسلمينَ أبي الحسنِ محمدِ بنِ الحسينِ بنِ عتيقِ بنِ رشيقٍ الرَّبَعيُّ المالكيُّ ، أدامَ اللهُ إقبالَهُ ، وختمَ بالصالحاتِ أعمالَهُ ، يمدحُ بهِ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ ويُهنِّئُهُ بقدومِهِ مِنَ الحجازِ الشريفِ سنةَ اثنتينِ وستينَ وستِّ مئةٍ : [من الوافر]

لِيَهْنِكَ حَجُّكَ ٱلْمَبْرُورُ أَبْشِرْ ... فَقَدْ نِلْتَ ٱلْمَعَالِيَ وَٱلأَمَانِي
فَطَبَّقَ ذِكْرُكَ ٱلآفَاقَ حَتَّى ... نَرَاهُ لَيْسَ يَخْلُو مِنْ مَكَانِ
وَمَا هَذَا سُدىً لَكِنْ لِمَعْنىً ... خُصِصْتَ بِهِ وَ[كَانَ]ٱلْغَيْرُ عَانِي
وَسَوْفَ تَنَالُ فِي ٱلْفِرْدَوْسِ قَصْراً ... مُنِيفاً قَدْ بَنَاهُ أَجَلُّ بَانِي
مِنَ ٱلْعِقْيَانِ رُصِّعَ بِٱللآلِي ... بَلِ ٱلْمَرْجَانِ صُفِّحَ بِٱلْجُمَانِ
فَمَنْ تَعِبَ ٱسْتَرَاحَ وَفَازَ حَقّاً ... مِنَ ٱلْمَوْلَىٰ بِخَيْرَاتٍ حِسَانِ
كَوَاعِبَ قَاصِرَاتِ ٱلطَّرْفِ عِينٍ ... مَصُونَاتٍ لِأَرْبَابِ ٱلْمَعَانِي

وللشيخِ الإمامِ [. . .][1] أبي العباسِ أحمدَ بنِ موسى بنِ مُرهَفٍ الأنصاريِّ الشافعيِّ لمَّا اجتمعَ بهِ بمدينةِ الفَيُّومِ : [من الطويل]

رَأَيْنَا بِكَ ٱلأُنْسَ ٱلَّذِي عَمَّ نَفْعُهُ ... مِنَ ٱلْعِلْمِ وَٱلآدَابِ فِي ٱلنَّفْسِ وَٱلدَّرْسِ
وَعِشْنَا بِأُنْسٍ مِنْ عُلُومِكَ بُرْهَةً ... فَيَا حَبَّذَا أُنْسُ ٱلْعُلُومِ إِلَى ٱلنَّفْسِ
تَبَدَّيْتَ شَمْساً كَاشِفاً كُلَّ شُبْهَةٍ ... مِنَ ٱلشَّكِّ وَٱلإِشْكَالِ وَٱلرَّيْبِ وَٱللَّبْسِ
إِذَا غِبْتَ أَمْسَى ٱلْوَقْتُ بَعْدَكَ مُظْلِماً ... وَلا يُنْكَرُ ٱلإِظْلامُ فِي غَيْبَةِ ٱلشَّمْسِ

وللشيخِ الأديبِ الفاضلِ البارعِ شرفِ الدينِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ سعيدِ بنِ

(١) بياض بمقدار كلمتين في (أ ، ب) .

حمَّادِ البُوصيريِّ يمدحُهُ ، وأنشدَها لهُ بمدينةِ بلبيسَ : [من البسيط]

اَلْحَمْـدُ للهِ فِـي سِـرٍّ وَفِـي عَلَـنِ ... حَمْداً يَقُومُ بِحَقِّ ٱلْفَضْلِ وَٱلْمِنَنِ

وَجَـلَّ مَـنْ شُكْـرُهُ أَتْمَـانُ نِعْمَتِـهِ ... وَيَـا لَهَـا نِعَمـاً جَـاءَتْ بِـلا ثَمَـنِ

أَعْيَا ٱلْخَلائِقَ أَنْ يُحْصُوا لَهَا عَدَداً ... سِيَّـانِ ذُو لَكَـنٍ فِيهَـا وَذُو لَسَـنِ

فَٱفْطَنْ لِأَلْطَافِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ فَمَا ... تَكَـادُ أَلْطَـافُهُ تَخْفَـىٰ عَلَـىٰ فَطِـنِ

كَمْ أَوْجَبَتْ كُرَبٌ مِنْهُ لَنَا كَرَماً ... كَٱلْفَرْثِ وَٱلدَّمِ سَاقَا خَالِصَ ٱللَّبَنِ

وَطَالَمَا جَعَلَ ٱلْمَكْرُوهَ فِي مِنَحٍ ... لَنَا كَمَا جَعَلَ ٱلْمَحْبُوبَ فِي مِحَنِ

فَلا تَكُنْ بِٱلَّذِي أُوتِيتَ ذَا فَرَحٍ ... وَلا تَكُنْ بِٱلَّذِي أَخْطَأْتَ ذَا حَزَنِ

وَلا تُعَـاتِـبْ زَمَـانـاً فِـي تَصَـرُّفِـهِ ... فَٱلْحُكْمُ للهِ فِي ٱلتَّصْرِيفِ لا ٱلزَّمَنِ

وَٱلْمَرْءُ رَهْنُ مُجَازَاةٍ بِمَا صَنَعَتْ ... مِنَ ٱلْقَبِيحِ يَدَاهُ أَوْ مِنَ ٱلْحَسَنِ

فَٱجْهَدْ لِنَفْسِكَ فِي تَخْلِيصِ مَا ضَمِنَتْ ... لَكَ ٱلصَّحَائِفُ عِنْدَ ٱللهِ مِنْ رُهُنِ

وَأَزْهَدُ ٱلنَّاسِ فِي ٱلدُّنْيَا ٱمْرُؤٌ عَرَفَتْ ... عَنْ لَيِّنٍ نَفْسُهُ فِيهَا وَعَنْ خَشِنِ

مُحَمَّـدٌ وَإِلَـى ٱلنُّعْمَـانِ نِسْبَتُـهُ ... نِعْمَ ٱلإِمَامَانِ مِنْ أَصْلٍ وَمِنْ فَنَنِ

أَخْبَارُهُ فِي ٱلْوَرَىٰ طَابَتْ وَمَخْبَرُهُ ... فَفَضْلُهُ مِلْءُ عَيْنِ ٱلدَّهْرِ وَٱلأُذُنِ

وَذِكْرُهُ عَطِرٌ فِي ٱلأَرْضِ مُنْتَشِرٌ ... وَفِي ٱلسَّمَاءِ ٱنْتِشَارَ ٱلرُّوحِ فِي ٱلْبَدَنِ

يَجْنِي ٱلرُّوَاةُ ثِمَارَ ٱلْعِلْمِ يَانِعَةً ... مِنْهُ كَمَا تُجْتَنَى ٱلأَزْهَارُ مِنْ غُصُنِ

كَـأَنَّـهُ كَعْبَـةٌ تَـأْتِـي ٱلْـوُفُـودُ لَـهُ ... سَعْياً وَفَوْقَ عِتَاقِ ٱلْخَيْلِ وَٱلْبُدُنِ

أَبْدَىٰ لَنَا ٱلْغَرْبُ شَمْساً مِنْ فَضَائِلِهِ ... فَكَانَ فِينَا غَرِيبَ ٱلْفَضْلِ وَٱلْوَطَنِ

يُرِيكَ وَجْهاً نَضِيراً مِنْ تَقَشُّفِهِ ... فَٱزْهَدْ بِرُؤْيَتِهِ عَنْ خُضْرَةِ ٱلدِّمَنِ

وَدُونَكَ ٱلضَّامِرَ ٱلْمَهْزُولَ فَٱنْجُ بِهِ ... فَمَا حَوَىٰ قَصَبَاتِ ٱلسَّبْقِ ذُو سِمَنِ

فَٱلنَّاسُ قَدْ أَخَذُوا عَنْهُ مَنَاسِكَهُمْ ... وَحَظَّهُمْ مِنْ فُرُوضِ ٱلدِّينِ وَٱلسُّنَنِ

يَـدْعُـو ٱلأَنَـامَ عَلَـىٰ عِلْـمٍ وَبَيِّنَـةٍ ... إِلَى ٱلْهُدَىٰ إِنْ دَعَا دَاعٍ إِلَى ٱلْفِتَنِ

إِذَا نَظَـرْتَ إِلَـى ٱلـدُّنْيَـا بِنَـاظِـرِهِ ... عَدَدْتَ طَالِبَهَا مِنْ عَابِدِي ٱلْوَثَنِ

مَا فَاقَ وَالِدَهُ ٱلنُّعْمَانَ فِي شَرَفٍ ... مَاءُ ٱلسَّمَاءِ وَلا سَيْفُ بْنُ ذِي يَزَنِ

وَلا ٱبْنُ أَدْهَمَ فِي زُهْدٍ يُسَابِقُهُ ... إلا سِبَاقَ ٱلصَّبَاحِ ٱلشَّمْسَ فِي ٱلزَّمَنِ

ضَفَتْ مِنَ ٱلدِّينِ وَٱلدُّنْيَا مَلابِسُهُ ... فَمَا رَأَى ٱلنَّاسُ فِي ثَوْبَيْهِ مِنْ دَرَنِ[1]

وَأَنْهَجَ ٱلْجُودُ وَٱلتَّقْوَىٰ لَهُ سَنَناً ... أَصْلُ ٱلْهُدَىٰ وَٱلتُّقَىٰ مِنْ ذَلِكَ ٱلسَّنَنِ

فَٱخْتَالَ مِنْ كَرَمِ ٱلنُّعْمَانِ فِي حُلَلٍ ... مِنَ ٱلثَّنَاءِ وَمِنْ تَقْوَىٰ أَبِي ٱلْحَسَنِ

مَوْلَىٰ حَقَائِقُهُ فِي ٱلنَّاسِ ظَاهِرَةٌ ... كَٱلشَّمْسِ لَيْسَ بِهَا رَيْبٌ لِمُمْتَحِنِ

غَنِيَّـةٌ نَفْسُـهُ بِـٱلْفَقْـرِ وَا عَجَبـاً ... مِنِ ٱجْتِمَاعِ ٱلْغِنَىٰ وَٱلْفَقْرِ فِي قَرَنِ

رَحْبُ ٱلْفِنَاءِ لَنَا وَٱلصَّدْرِ لَمْ نَرَهُ ... كَغَيْـرِهِ ضَيِّـقَ ٱلأَكْنَـافِ وَٱلْعَطَـنِ

يَا نَازِعاً ثَوْبَ مُلْكٍ وَهْوَ مُقْتَدِرٌ ... وَلابِسـاً ثَـوْبَ فَقْـرٍ غَيْـرَ مُمْتَهَـنِ

بِمَنْ تَشَبَّهُ فِي عِلْمٍ وَفِي عَمَلٍ ... لَمْ أَدْرِ ذَاكَ فَهَلْ يَدْرِي ٱلْوَرَىٰ بِمَنِ

لَمَّا عَزَفْتَ عَنِ ٱلدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا ... جَاءَتْكَ عَدْواً بِلا سَوْطٍ وَلا رَسَنِ

وَمَـا تُلِـمُّ بِهَـا إِلا لِمَصْلَحَـةٍ ... مَتَى ٱسْتَعَنْتَ بِهَا فِي طَاعَةٍ تُعِنِ[2]

كُلٌّ لَهُ سَكَنٌ يَأْوِي إِلَيْهِ مِنَ ٱلدُّ ... نْيَا وَمَا لَكَ غَيْرَ ٱلْحَقِّ مِنْ سَكَنِ

وَلَسْتَ مَنْ شَاقَهُ مَالٌ وَلا وَلَدٌ ... فَقَدْ نَأَىٰ قَلْبُهُ بِٱلْبُخْلِ وَٱلْجُبُنِ

كَمِ ٱدَّعَى ٱلزُّهْدَ فِي ٱلدُّنْيَا سِوَاكَ وَلَمْ ... يَكُنْ عَلَىٰ مَا ٱدَّعَىٰ فِيهِ بِمُؤْتَمَنِ

يَبْنِي وَيَبْنِي وَمَا يَخْفَىٰ عَلَىٰ أَحَدٍ ... مَـا شِيـدَ للهِ مِـنْ طِيـنٍ وَمِـنْ لَبِـنِ

للهِ دَرُّكَ مَـوْلَـىٰ فِـي إِقَـامَتِـهِ ... يُقِيمُ فِينَا حُدُودَ ٱللهِ وَٱلظَّعَنِ[3]

(١) يقال : ضفا الثوب فهو ضافٍ ؛ أي : تام سابغ .

(٢) تعِن : ضبطت في (أ) بكسر العين ، وفي (ب) بفتحها .

(٣) قوله : (والظَّعَن) معطوف على (إقامته) .

سَلِ ٱلْمَسَاجِدَ عَنْهُ وَٱلْكَنَائِسَ مَا ذَا هُدَّ للهِ مِنْ جُدْرَانِهَا وَبُنِي[1]

بِبَيِّنَاتٍ عَلَى ٱلْكُفَّارِ قَاطِعَةٍ مِثْلِ ٱلسُّيُوفِ وَلِلإِسْلامِ كَٱلْجُنَنِ[2]

مَوْلىً يَرَىٰ ضُرَّهُ فِي ٱللهِ عَافِيَةً وَكُلُّ عَيْشٍ مِنَ ٱلْبَلْوَىٰ لَدَيْهِ هَنِي

مُطَهَّرُ ٱلنَّفْسِ مِنْ شَوْبِ ٱلْحُظُوظِ وَمَا أَزْكَى ٱلنُّفُوسَ إِذَا حَظُّ ٱلنُّفُوسِ فَنِي

فَإِنْ تَجِدْ هِمَّةٌ ضَعْفاً فَهِمَّتُهُ فِي طَاعَةِ ٱللهِ لَمْ تَضْعُفْ وَلَمْ تَهِنِ

تَقَرُّ عَيْنِي بِرُؤْيَاهُ وَرُؤْيَتِهِ إِنْ زُرْتُ فِي يَقْظَةٍ أَوْ زَارَ فِي وَسَنِ[3]

وللأديبِ أبي محمدٍ عبدِ الكريمِ بنِ عبدِ الرزاقِ بنِ عبدِ الخالقِ بنِ موسى الجُهَنيِّ المصريِّ الدارِ البِلفْيائيِّ الأصلِ ، المعروفِ بمدحِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . يمدحُهُ : [من الكامل]

اَلنَّفْسُ جَامِحَةٌ إِلَى ٱلْعِصْيَانِ مَحْفُوفَةٌ بِٱلْخِزْيِ وَٱلْخُسْرَانِ

تَطْغَىٰ وَتَطْعُنُ فِي ٱلْهَوَىٰ لِهَوَانِهَا إِنَّ ٱلْهَوَىٰ دَاعٍ إِلَى ٱلطُّغْيَانِ

منها :

وَأَرَى ٱلشُّيُوخَ ٱلزَّاهِدِينَ وَلا أَرَىٰ كَمُحَمَّدٍ وَلَدِ ٱلْفَتَى ٱلنُّعْمَانِ

ٱلْبَاذِلُ ٱلنُّعْمَىٰ وَلا مَنْعٌ وَمَنْ فِي ٱلْمُعْضِلاتِ بِهِ فَكَاكُ ٱلْعَانِي

منها :

وَمُرَاغِمٌ فِي ٱللهِ أَعْدَاءً لَهُ تَقْوَىٰ وَتَمْكِيناً بِكُلِّ مَكَانِ

زُهْدُ ٱبْنِ أَدْهَمَ وَٱلْجُنَيْدِ طَرِيقُهُ وَفَرَاغُهُ مِنْ سَائِرِ ٱلأَكْوَانِ

(١) في كلامه لفٌّ ونشر غير مرتب ؛ فالهدُّ للكنائس ، والبناء للمساجد .

(٢) الجُنَن : جمع جُنَّة ؛ وهي في الأصل : الدروع وكلُّ ما وقىٰ من السلاح .

(٣) في كلامه لف ونشر مشوش ؛ لأن الرؤيا في المنام ، والرؤية في اليقظة ، علىٰ ما هو المشهور .

نِعْمَ ٱلصَّمِيمُ وَخَيْرُ عَبْدٍ مُخْلِصٍ ... وَمُشَمِّرٍ لِعِبَادَةِ ٱلرَّحْمَٰنِ

وَلَهُ ٱلْحَقَائِقُ وَٱلدَّقَائِقُ وَٱلنُّهَىٰ ... مُتَفَرِّدٌ بِمَعَالِمٍ وَمَعَانِي

مَا زَالَ يَسْعَىٰ فِي تَمَامِ شَرِيعَةٍ ... حَتَّىٰ أَقَامَ دَعَائِمَ ٱلإِيمَانِ

عَمَرَ ٱلْمَسَاجِدَ وَٱلْبُيُوتَ لِرَبِّهِ ... بَرٌّ تَقِيٌّ بِٱلْمَسَاجِدِ عَانِ

وَصَلاتُهُ وَصِيَامُهُ وَوِصَالُهُ ... وَقِيَامُهُ للهِ لا بِتَوَانِي

وهٰذِهِ قصيدةٌ طويلةٌ كتبتُ منها هٰذِهِ الأبياتَ .

وممَّا أنشدَنيهِ الفقيهُ الأجلُّ الفاضلُ المقرئُ ، النحويُّ الأديبُ ؛ نفيسُ الدينِ أبو بكرِ بنُ محمدِ بنِ عبدِ اللهِ الأشعريُّ الشافعيُّ مدَّ اللهُ في عمرِهِ : [من الوافر]

سَلامٌ رَائِحٌ أَبَداً وَغَادِي ... عَلَىٰ عَلَمِ ٱلْهِدَايَةِ وَٱلرَّشَادِ

عَلَى ٱلْمَوْلَىٰ فَتَى ٱلنُّعْمَانِ حَقّاً ... وَشَمْسِ ٱلدِّينِ وَٱلْبَدْرِ ٱلْجَوَادِ

عَلَىٰ بَدْرٍ تَجَلَّىٰ فَٱسْتَنَارَتْ ... بِضَوْءٍ سَنَاهُ أَقْطَارُ ٱلْبِلادِ

عَلَىٰ فَجْرٍ بَدَا فَمَحَا ٱلدَّيَاجِي ... وَنَادَىٰ بِٱلْفَلاحِ لَهُ ٱلْمُنَادِي

عَلَىٰ مَنْ إِنْ عَرَا خَطْبٌ دَعَوْنَا ... بِهِ فَأَجَابَنَا رَبُّ ٱلْعِبَادِ

وَإِنْ مُنِعَ ٱلْحَيَا وَٱلْقَطْرُ دَرَّتْ ... بِيُمْنِ دُعَائِهِ مُزْنُ ٱلْعِهَادِ[1]

فَنِعْمَ ٱلذُّخْرُ وَٱلْوَزَرُ ٱلْمُرَجَّىٰ ... لِيَوْمٍ كَرِيهَةٍ وَلِيَوْمِ نَادِ[2]

عَلَىٰ مَنْ قَادَ أَفْئِدَةً فَلانَتْ ... وَقَدْ كَانَتْ مَنِيعَاتِ ٱلْقِيَادِ

عَلَىٰ مَنْ حَلَّ فِي مِصْرٍ فَتَاهَتْ ... بِرُؤْيَتِهِ عَلَىٰ كُلِّ ٱلْبِلادِ

يُنَادِي ٱلْحَائِرِينَ أَلا هَلُمُّوا ... وَيُوضِحُ لِلْوَرَىٰ طُرُقَ ٱلسَّدَادِ

وَأَسْمَعَ مَعْشَراً صُمّاً وَكَادَتْ ... بِهِ ٱلأَرْوَاحُ تَجْرِي فِي ٱلْجَمَادِ

(١) العِهاد : الأمطار الحديثة الهطول .

(٢) الوَزَر في الأصل : الجبل الذي يُعتصم به ويُلجأ إليه .

تَمُرُّ فَلا تَرَىٰ إِلا صَلاحاً ... وَدِيناً بَعْدَ كُفْرٍ وَٱرْتِدَادِ
وَبَيْتاً مِنْ بُيُوتِ ٱللهِ يُبْنَىٰ ... وَيُعْلَىٰ بَعْدَ وَهْنٍ وَٱنْهِدَادِ
وَقَلْباً عَامِراً أَضْحَىٰ مُنِيراً ... مَنِيعاً فِي تَوَقٍّ وَٱزْدِيَادِ
تَمَسَّكْ وَٱعْتَصِمْ مِنْهُ بِحَبْلٍ ... فَأَوْثَقُ عُرْوَةٍ حَبْلُ ٱلْوِدَادِ
مَعَاذَ ٱللهِ لا تَنْفَكُّ عَنْهُ ... وَأَنْتَ مُرِيدُهُ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ
وَكَيْفَ تُحِبُّهُ وَٱلْحُبُّ قُرْبٌ ... وَتَخْشَىٰ أَنْ تُعَذَّبَ بِٱلْبِعَادِ
أُحِبُّكَ سَيِّدِي حُبّاً عَجِيباً ... تَمَكَّنَ فِي سُوَيْدَاءِ ٱلْفُؤَادِ
وَأَسْأَلُكَ ٱلدُّعَا فِي كُلِّ وَقْتٍ ... عَلَيْكَ رَجَاءُ مِثْلِي وَٱعْتِمَادِي
فَعِشْتَ مُسَلَّماً فِي ظِلِّ أَمْنٍ ... وَإِسْعَادٍ عَلَىٰ رَغْمِ ٱلأَعَادِي

ولقد وقفتُ علىٰ مدائحَ للناسِ فيهِ ما بينَ قصائدَ ومقاطيعَ تُربي علىٰ مُجلَّدٍ كبيرٍ ليسَ هٰذا موضعَ استيعابِها .

تُوفِّيَ الشيخُ شمسُ الدينِ رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ عَقِيبَ أذانِ العصرِ يومَ السبتِ لثمانٍ خلونَ مِنْ شهرِ رمضانَ المُعظَّمِ سنةَ ثلاثٍ وثمانينَ وستِّ مئةٍ ، ودُفِنَ ثانيَ ذلكَ اليومِ بتربتِهِ فيما بينَ الشهميَّةِ وضريحِ شيخِهِ أبي الحسنِ ابنِ قفلٍ ، رضيَ اللهُ عنهُم أجمعينَ .

وأنشدَ كلٌّ مِنْ أصحابِهِ وغيرِ أصحابِهِ فيهِ قصائدَ يرثيهِ بها ؛ **فمِنْ ذلكَ** : ما نظمَهُ قاضي القضاةِ زينُ الدينِ مفتي المسلمينَ أبو القاسمِ محمدُ بنُ شيخِنا الإمامِ العالمِ الورعِ الزاهدِ علمِ الدينِ أبي الحسنِ محمدِ بنِ الحسينِ بنِ عتيقِ بنِ رشيقٍ الرَّبَعيُّ المالكيُّ حالةَ غسلِ الشيخِ وتكفينِهِ ارتجالاً : [من الخفيف]

هَـٰذِهِ ٱلدَّارُ مَوْطِنُ ٱلأَحْزَانِ ... لَيْسَ تَصْفُو يَوْماً لِذِي جُثْمَانِ
كُلَّ يَوْمٍ تَزْدَادُ فِي ٱلنُّقْصَانِ ... وَنَرَى ٱلدِّينَ وَاهِيَ ٱلأَرْكَانِ

يَذْهَبُ ٱلصَّالِحُونَ قُطْباً فَقُطْباً ... إِنَّ هَـٰذَا عَلامَةُ ٱلْخُسْرَانِ
عَيْنُ جُودِي بِدَمْعِكِ ٱلْهَتَّانِ ... وَٱبْكِ نَجْلَ ٱلنُّعْمَانِ قُطْبَ ٱلزَّمَانِ[1]
أَسْبِلِي دَمْعَكِ ٱلْمَصُونَ عَلَيْهِ ... بِشَبِيهِ شَقَائِقِ ٱلنُّعْمَانِ
وَٱسْقِ تُرْباً قَدْ ضَمَّ أَعْضَاءَ شَيْخٍ ... كَانَ فَرْداً فَمَا لَهُ مِنْ ثَانِي
كَمْ بَنَىٰ مَسْجِداً وَهَدَّ كَنِيساً ... وَهَدَىٰ كَافِراً إِلَى ٱلإِيمَانِ
مَسْجِدَ ٱلْفَتْحِ بُلِّهُ بِدُمُوعٍ ... كَدُمُوعِي وَٱنْطِقْ كَنُطْقِ لِسَانِي
وَٱسْأَلِ ٱللهَ أَنْ يُبَوِّئَهُ فِي ... وَاسِعِ ٱلرَّحْبِ مِنْ أَعَالِي ٱلْجِنَانِ
فِي جِوَارِ ٱلرَّحْمَٰنِ فِي حَضْرَةِ ٱلْقُدْ ... سِ مُهَنّاً بِٱلْحُورِ وَٱلْوِلْدَانِ

وأنشدَنيهِ الأديبُ الفاضلُ سراجُ الدينِ عمرُ المعروفُ بـ (الورَّاقِ) ، وهيَ ممَّا أجازَنيهِ : [من الطويل]

عَلَيْكَ فَتَى ٱلنُّعْمَانِ دَمْعِي شَقَائِقُ ... وَعِنْدَكَ أَنْهَارٌ جَرَتْ وَحَدَائِقُ
وَعِنْدَكَ مَا قَدَّمْتَ مِنْ كُلِّ صَالِحٍ ... فَيَا سَابِقاً لِلْخَيْرِ خَيْرُكَ سَابِقُ
أَبَى ٱللهُ أَنْ يُنْسَىٰ وَأَنْتَ مُلازِمٌ ... لِنُصْرَةِ دِينِ ٱللهِ لَسْتَ تُفَارِقُ[2]
تُرِيكَ خَفِيَّ ٱلأَمْرِ عَيْنٌ بَصِيرَةٍ ... تَجَلَّتْ لَهَا عِنْدَ ٱلْخَفَاءِ حَقَائِقُ[3]
فَشَيَّدْتَ فِينَا مَسْجِدَ ٱلْفَتْحِ مُعْلِياً ... مَنَاراً لَهُ يَأْوِي سَمَاءٌ وَطَارِقُ
وَأَعْلَنْتَ ذِكْرَ ٱللهِ فِيهِ فَأُخْرِسَتْ ... نَوَاقِيسُ أَخْزَاهَا مِنَ ٱلْحَقِّ نَاطِقُ
إِذَا زَأَرَ ٱلإِيمَانُ فِيهِ تَفَرَّقَتْ ... مِنَ ٱلشِّرْكِ عَانَاتٌ وَأُلْجِمَ نَاهِقُ[4]
وَفِي كُلِّ أَرْضٍ مَسْجِدٌ تَسْتَجِدُّهُ ... وَمَا لَكَ مِمَّا عَاقَ غَيْرَكَ عَائِقُ

(١) قوله : (وابكِ) حذفت الباء للضرورة ، ومثل ذلك يقال في (واسقِ) الآتي .
(٢) قوله : (أن ينسىٰ) أي : خيرك ، ويحتمل أن تكون (أن تُنسىٰ) .
(٣) ويجوز أيضاً : (عينٌ بصيرةٌ) دون إضافة .
(٤) العانات : جمع عانة ؛ وهي الأتان .

تَـوَدُّ بِـذِكْـرِ ٱللهِ لَـوْ أَنَّ أَرْضَـهُ ... مَغَـارِبُهَـا مَعْمُـورَةٌ وَٱلْمَشَـارِقُ

وَأَلا يَمَـسَّ ٱلأَرْضَ إلا مُـوَحِّـدٌ ... يَكُـونُ فِـدَاهُ كَـافِـرٌ وَمُنَـافِـقُ

وَلَمَّا أَرَدْتَ ٱلْخَيْرَ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ ... سَعَتْ لَكَ مِنْ كُلِّ ٱلْجِهَاتِ ٱلْخَلائِقُ

فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ مِثْلَ يَوْمِكَ مَشْهَداً ... تَكَادُ لَهُ تَهْوِي ٱلْجِبَالُ ٱلشَّوَاهِقُ

وَغَصَّ بِهِ وُسْعُ ٱلْفَضَاءِ فَذَا شَجٍ ... كَئِيـبٌ وَذَا بَـاكٍ وَذَلِـكَ شَـاهِـقُ

فَيَبْكِي أَخَاهُ مِنْكَ شَيْخٌ وَشَائِبٌ ... وَيَبْكِـي أَبَـاهُ بَـالِـغٌ وَمُـرَاهِـقُ

وَنَعْشُـكَ يَعْلُـوهُ وَقَـارُ سَكِينَـةٍ ... وَكُلُّ فُؤَادٍ مِنْ مُصَابِكَ خَافِقُ

وَقَامُوا صُفُوفاً لِلصَّلاةِ كَأَنَّهُمْ ... سُطُورٌ وَهَاتِيكَ ٱلْبِقَاعُ مَهَارِقُ[1]

تَحُفُّهُـمُ ثَـمَّ ٱلْمَـلائِـكُ خُشَّعـاً ... وَحَـوْلَـكَ وِلْـدَانٌ وَحُـورٌ عَـوَانِـقُ

وَقَدْ حَسَدَ ٱلْمِسْكُ ٱلتُّرَابَ بِطِيبِهِ ... بِقَبْرِكَ حَتَّى لَيْسَ لِلْمِسْكِ نَاشِقُ

وَفُتِّحَـتِ ٱلْجَنَّـاتُ مِنْـكَ لِقَـادِمٍ ... يُقَبِّلُـهُ رِضْـوَانُهَـا وَيُعَـانِـقُ

وَفَارَقَ شَهْرُ ٱلصَّوْمِ مُحْيِيَ لَيْلِهِ ... قِيَاماً إِلَى أَنْ قِيلَ قَدْ ذَرَّ شَارِقُ

وَصَـائِمَـهُ فِـي صَيْفِـهِ وَشِتَـائِـهِ ... يُـوَافِـقُ حَـالَيْـهِ وَنِعْـمَ ٱلْمُـوَافِـقُ

لَقَدْ كُنْتَ شَمْسَ ٱلدِّينِ شَمْساً لِسُنَّةٍ ... بِهَدْيِكَ فِيهَا لَيْسَ تَخْفَى ٱلطَّرَائِقُ

لَكَ ٱلسَّنَدُ ٱلْعَالِي بِهَا وَعَدَالَةٌ ... يَصُونُ حِمَاهَا حَافِظٌ مِنْكَ صَادِقُ

وَشَيْـخُ تَصَـانِيـفٍ جَـزَالَـةُ لَفْظِهَـا ... تُرَقِّقُ قَلْبَ ٱلصَّخْرِ وَهْيَ رَقَائِقُ

فَيَا وَحْشَةَ ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ وَيَثْرِبٍ ... لِرُفْقَةِ مَنْ لَمْ يَسْلُ عَنْهُ ٱلْمُرَافِقُ

وَكَمْ لَكَ تَسْمِيعٌ لَدَى حَرَمَيْهِمَا ... تُشَـدُّ إِلَـى مَغْنَـاكَ فِيـهِ ٱلأَيَـانِـقُ

تُحَدِّثُ عَنْ خَيْرِ ٱلْوَرَى عِنْدَ قَبْرِهِ ... وَأَنْـتَ بِمَـنْ أَسْنَـدْتَـهُ عَنْـهُ وَاثِـقُ

فَـتَرْوِي مِنَ ٱلْبَحْرِ ٱلَّذِي قَدْ وَرَدْتَهُ ... عَلَى شَاطِئَيْهِ وَهْوَ صَافٍ وَرَائِقُ

(١) المهارق : جمع مُهْرَق ؛ وهي الصحيفة .

مُحَمَّدُ قَدْ جَاوَزْتَ شَيْخَكَ حَبَّذَا ... دُنُوُّكَ مِنْهُ إِنَّ ذَا بِكَ لائِقُ

وَلا حَسَنٌ إِلا أَبُو ٱلْحَسَنِ ٱلَّذِي ... غَدَا سَابِقاً فِيهِ وَهَا أَنْتَ لاحِقُ

وَأَنْتَ فَنِعْمَ ٱلأَصْلُ طَابَتْ فُرُوعُهُ ... فَكُلُّهُمُ وَٱلْحَمْدُ للهِ بَاسِقُ

وَنَجْلُكَ زَيْنُ ٱلدِّينِ جَامِعُ شَمْلِهِمْ ... فَعَاشَ وَعَاشُوا مَا تَأَلَّقَ بَارِقُ

وَجَادَتْ ثَرَاكَ ٱلْهَاطِلاتُ وَلا تَزَلْ ... يَجُذُّ بِهَا حَادٍ إِلَيْكَ وَسَائِقُ

ولقد رُثِيَ الشيخُ أبو عبدِ اللهِ بأكثرَ مِنْ ثلاثينَ قصيدةً أصغرُها عشرةُ أبياتٍ ، وأُنشِدَتْ فيهِ مراثٍ قبلَ دفنِهِ وبعدَ دفنِهِ ، ولو لم تكنْ مسطورةً لأوردتُها في هٰذا الموضعِ ، لٰكنَّها مُدوَّنةٌ في الكتبِ ، وفيما ذكرتُهُ مقنعٌ وعنوانٌ علىٰ ما لم أذكرْهُ .

وفضائلُ الشيخِ تفوقُ العدَّ ، **وكراماتُهُ لا تُحصَرُ** ، رضيَ اللهُ عنهُ ورضيَ عنَّا بهِ[1] .

* * *

(١) وهٰذه الترجمة من أنفس التراجم التي وقفت عليها لهٰذا الإمام العظيم ، وفيها كثير مما لم يذكره غيره ، وخصوصاً ما قيل فيه من أشعار ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٥١/ ١٧٠ـ١٧١) ، و« الوافي بالوفيات » (٥/ ٦٠) ، و« مرآة الجنان » (٤/ ٢٠٠) ، وقال الذهبي في « العبر » (٣/ ٣٥٤) : (وكان أشعرياً منحرفاً على الحنابلة) ، وقال اليافعي تعقيباً علىٰ هٰذه العبارة : (هٰذه عبارة فيها من الغضِّ له ما فيها كما عُرف من عادته من التنقيص من أئمة منهج الحق وسادته) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ أبو القاسمِ بنُ أحمدَ ابنِ طولونَ المرايغيُّ القَرافيُّ المالكيُّ]

الشيخُ الإمامُ العارفُ ، والوليُّ المُكاشِفُ ، والساعي في الخيراتِ ومعَ الحقِّ واقفٌ ، حِليةُ الزمانِ ، ومُنيةُ كلِّ عصرٍ وأوانٍ ، وبُغيةُ كلِّ مصرٍ ومكانٍ ، وبركةُ المُتملِّينَ بهِ والمُمتلِئينَ منهُ المسمعِ والعِيانِ .

كمْ لمسَتْ يداهُ مُدنِفاً فعُوفيَ !! وكمْ نظرتْ عينُهُ صوفيّاً فصُوفِيَ !! أيّامُهُ في أوجهِ الدهرِ غررٌ ومواسمُ ، قد قسَمَها على وظائفِ الأعمالِ فهوَ أبو القاسمِ ، وقطعَ عمرَهُ الشريفَ مُترقِّياً في معارجِ الولايةِ ، ودارجاً في مدارجِ الهدايةِ ، إلى أنِ انتقلَ إلى الجِنانِ ، مُجتنِياً ثمراتِ ما قدَّمَ مِنَ الإحسانِ ، وقد أبقى لنا أولادَهُ ولا غروَ أنْ يُبقِيَ النفيسُ نفيساً ، وبوَّأَهُم رتبتَهُ ولا عجبَ أنْ يرثَ الأشبالُ مِنَ الأسدِ عِرِّيساً[1] .

وأمّا نسبُهُ : فهوَ الشيخُ أبو القاسمِ بنُ أحمدَ بنِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ نجمِ بنِ طولونَ المالكيُّ ، المَرَايغِيُّ المولدِ المصريُّ الدارِ القَرافيُّ[2] .

وُلِدَ بالمرايغِ مِنْ صعيدِ مصرَ ، وشبَّ بها وقرأَ القرآنَ ، وحضرَ إلى الشيخِ أبي الحسنِ ابنِ الصبَّاغِ ، فلبسَ منهُ سنةَ إحدىٰ وستِّ مئةٍ ، وأقامَ في صحبتِهِ إحدىٰ عشرةَ سنةً إلىٰ أنْ تُوفِّيَ الشيخُ أبو الحسنِ ، وكانَ أبو القاسمِ قد وَرِثَ مِنْ أبيهِ مالاً كثيراً فأنفقَهُ على الشيخِ .

(١) العِرِّيس : الشجر الملتف الذي يكون فيه مقام الأسد .

(٢) وينعت بـ (وقار الدين) .

ثمَّ حضرَ إلىٰ مصرَ ، فأدركَ بها جماعةً مِنْ علماءِ المالكيَّةِ ؛ كأبي العباسِ ابن القسطلانيِّ ، والشيخِ جمالِ الدينِ ابن رشيقٍ ، فاشتغلَ عليهِم ، وحفظَ « التلقينَ » للقاضي عبدِ الوهابِ ، وفاقَ نُظَراءَهُ ، ولم يَزَلْ مُشتهِراً بالعلمِ والمعرفةِ والدينِ وكمالِ الرتبةِ .

وكانَتْ لهُ أحوالٌ وكشوفٌ ، واطِّلاعاتٌ ومُشاهداتٌ ، وكانَ معَ ذلكَ عديمَ الدعاوي كثيرَ التواضعِ ، وكانَتْ لهُ حالٌ عظيمةٌ في السماعِ ، وكانَ يُؤثِرُ التخلِّيَ عنِ الناسِ والخمولَ .

وذكرَ لي ولدُهُ الشيخُ عمرُ : (أنَّ الشيخينِ العالمينِ علمَ الدينِ ابنَ رشيقٍ وجمالَ الدينِ بنَ اللهيبِ حضرا إليهِ ؛ ليأخذَ عليهِما العهدَ ، فامتنعَ مِنْ ذلكَ وتلا : ﴿ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ﴾ [العنكبوت : ١٣]) .

وكانَ رحمَهُ اللهُ مُواظِبَ العملِ ، مُلازِمَ الأورادِ إلىٰ حينِ وفاتِهِ .

وُلِدَ سنةَ ستٍّ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ تخميناً ، وتُوفِّيَ سنةَ ثلاثٍ وثمانينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ .

ورثاهُ بعدَ موتِهِ جماعةٌ ؛ منهُم سراجُ الدينِ الورَّاقُ ؛ فمِنْ مرثيَّتِهِ فيهِ : [من الخفيف]

مَـا لَقِينَـا مِـنَ ٱلْمَنُـونِ قَلِيـلا ... يَذْهَبُ ٱلصَّالِحُونَ جِيلاً فَجِيلا

بَعْدَ نَزْعِ ٱلأَوْتَادِ مِنْ هَـٰذِهِ ٱلدَّا ... رِ عَلَيْنَـا أَنْ نَسْتَعِـدَّ ٱلـرَّحِيـلا

يَـا ضُلُـوعِـي هَـلا بَـرَدْتِ قَلِيـلاً ... يَـا دُمُـوعِـي هَـلا شَفَيْـتِ غَلِيـلا

لَـوْعَـةٌ بَعْـدَ لَـوْعَـةٍ فِـي هُـدَاةٍ ... طَلَعُـوا أَنْجُمـاً وَغَـابُـوا أُفُـولا

طَالَ بَطْنُ ٱلثَّرَىٰ عَلَى ٱلظَّهْرِ لَمَّا ... نَـزَلُـوهُ فَخْـراً وَمَجْـداً أَثِيـلا

هُـمْ جَمَالُ ٱلدُّنْيَا وَقَدْ سَلَبَتْهُمْ ... وَسُلِبْنَـاهُـمُ فَصَبْـراً جَمِيـلا

منها :

يَا أَبَا ٱلْقَاسِمِ ٱقْتَسَمْنَا ٱلأَسَىٰ فِيـ ... ـكَ وَكُلٌّ حَوَىٰ نَصِيباً جَزِيلا[1]

وَإِذَا مَـا ٱلْفَقِيـدُ كَـانَ جَلِيـلاً ... كَـانَ حُـزْنُ ٱلْبَـاكِـي عَلَيْـهِ جَلِيـلا

كُنْتَ غَوْثَ ٱلْمَلْهُوفِ يَشْكُو فَتَدْعُو ... فَيَـرَىٰ لِلْعِثَـارِ مِنْـكَ مُقِيـلا

اِجْـنِ مَـا قَـدْ غَـرَسْـتَ هَنَّـأَكَ ٱللهُ ... وَلِيّـاً وَبَـرّاً وَصُـولا[2]

* * *

(١) زاد في (أ، ب) بعد (وكلٌّ) كلمة (قد) ، وهي مخلة بوزن البيت .

(٢) كذا في (أ، ب) ، والشطر الثاني مختل الوزن ، وانظر « نهاية الأرب » (٣١/ ١٢٤) ، و« تاريخ الإسلام » (٥١/ ١٧٤ـ١٧٥) ، وقد جاءت ترجمته بعد ترجمة ابن المنير الآتية ، وأشير في الهامش إلى تقديمها عليها .

ومنهُمُ :

[الإمامُ ناصرُ الدينِ أحمدُ ابنُ وجيهِ الدينِ منصورِ بنِ المُنيِّرِ السكندريُّ]

الشيخُ الإمامُ الكريمُ الأخلاقِ ، والفاضلُ على الإطلاقِ ، والناضلُ بالإصابةِ السبَّاقُ ، فهوَ الدُّرَّةُ التي افترَّ عنها مِنَ الثغرِ باسمُهُ ، وأضاءَ مِنْ جوهرِها دُجا الليلِ حتىٰ نظمَ العِقدَ ناظمُهُ ، والعالمُ الذي وردَ بحارَ العلومِ فارتوىٰ ، وسلكَ في التحصيلِ نهجَ مشايخِهِ حتىٰ قيلَ : سبقَهُم أو بهِمُ استوىٰ .

زادَهُ اللهُ بسطةً في العلمِ والجسمِ ، وآتاهُ مِنْ كلِّ فنٍّ أوفرَ قسمٍ ، فهوَ يتردَّدُ بينَ مراتبِ خطابةٍ وقضاءٍ وتدريسٍ ، آخذاً بزِمامِ فصاحةٍ قُسٍّ عندَها كالذَّرَّةِ إذا قيسَ ، ارتفعَ بهِ منارُ الثغرِ علىٰ سائرِ الثغورِ ، وانتفعَ بهِ أهلُ العصرِ بل وما بعدَهُ مِنَ العصورِ ، وانتصرَ بمناظرتِهِ الحقُّ وكيفَ لا وهوَ ناصرُ الدينِ وأبوهُ منصورٌ ؟!

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ ناصرُ الدينِ[1] أحمدُ ابنُ وجيهِ الدينِ منصورِ بنِ المُنيِّرِ المُقدَّمِ ذكرُهُ[2] .

وُلِدَ بثغرِ الإسكندريةِ المحروسِ ونشأَ بهِ ، وقرأَ القرآنَ ، واشتغلَ بمذهبِ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ علىٰ علماءِ الثغرِ والواردينَ عليهِ مِنْ بلادِ المغربِ ، واشتغلَ بالعربيَّةِ والحديثِ والتفسيرِ والأصولَينِ، ومهرَ وبرعَ ، وأُوتِيَ مِنْ

(١) ويكنىٰ بـ (أبي العباس) .

(٢) لم يتقدَّم ، ولعله من جملة التراجم الساقطة .

فصاحةِ المنطقِ ما يسحرُ بهِ أولي الألبابِ ، ويحكمُ لهُ بتفرُّدِهِ بالحكمةِ وفصلِ الخطابِ ، قلَّ أنْ رأيتَهُ يتكلَّمُ إلا مسجوعاً ، قد حلاهُ مِنْ أنواعِ البديعِ رونقاً بديعاً لا يُمَلُّ سماعُهُ لأنَّهُ أطايبُ ما قيلَ مسموعاً .

سمعَ في ابتداءِ أمرِهِ : أصحابَ السِّلَفِيِّ ، وأصحابَ البوصيريِّ ، **واجتمعَ** : بالشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ[1] ، وبالشيخِ زكيِّ الدينِ ، وبالفقيهِ بهاءِ الدينِ ، والإمامِ أبي عمرِو ابنِ الحاجبِ[2] ، وصادفَ منهُم حظّاً وافراً ، وقد عدَّ مشايخَهُ في مقدمةِ كتابِهِ ، فلا حاجةَ إلىٰ تَعدادِهِم هنا .

وصنَّفَ كتباً كثيرةً ؛ **فممَّا صنَّفَهُ** : كتابُهُ في التفسيرِ المُسمَّىٰ بـ « البحرِ الكبيرِ » ، وكتابُهُ المُسمَّىٰ بـ « المقتفىٰ في شرفِ المصطفىٰ » وهوَ سماعي عليهِ ، وأرجوزةٌ في التفسيرِ نَظَمَ فيها « العُزيزيَّ »[3] ، وخُطَباً أبدعَ فيها ؛ لم يأتِ فيها بلفظٍ مِنْ حُوشِيِّ اللغةِ ، ولا ممَّا يُشكِلُ على العامَّةِ تفسيرُهُ[4] ، وصنَّفَ كتاباً يرُدُّ فيهِ على الزمخشريِّ في « كشَّافِهِ »[5] .

ولهُ نظمٌ ونثرٌ وإنشاءٌ ؛ **فمِنْ نثرِهِ** : ما بعثَ بهِ إلى السراجِ الورَّاقِ رحمَهُما اللهُ حينَ سيَّرَ مقدمةَ كتابِهِ « البحرِ » في التفسيرِ ؛ ليُوقِفَ المُعزَّ الصاحبيَّ التاجيَّ عليها ، ومعَها أبياتٌ للسراجِ عقيبَ حجِّهِ ورسالةٌ .

(١) وقال ابن عبد السلام مادحاً له : (الديار المصرية تفتخر برجلين في طرَفَيها : ابن دقيق العيد بقوص ، وابن المنير بالإسكندرية) .

(٢) وقيل : إن المترجم لم يجتمع به حتىٰ حفظ متنه الفرعي والأصولي .

(٣) واسمها : « التيسير العجيب في تفسير الغريب » ، والعُزيزي : هو أبو بكر محمد بن عُزيز السجستاني صاحب كتاب « غريب القرآن » .

(٤) واسمها : « عقود الجواهر علىٰ أجياد المنابر » .

(٥) وسماه : « الانتصاف من الكشاف » ، وذكرت سابقاً في (١/ ٥٣٢) أن له مؤلفاً في مناقب الشيخ أبي القاسم القباري .

فأمَّا الأبياتُ : فهيَ : [من الكامل]

لله رَكْبٌ هُذِّبَتْ طُرُقَاتُهُ ... حَتَّى ٱسْتَقَامَ لِأَهْلِهِ ٱلْمِنْهَاجُ

لَهُمُ إِذَا عَشَّى ٱلْهَجِيرُ أَدِلَّةٌ ... وَلَهُمْ إِذَا جَنَّ ٱلظَّلامُ سِرَاجُ

يَا طِيبَ نَغْمَتِهِ وَيَا طُوبَى لَهُ ... إِذْ عَجَّ فَٱرْتَاحَتْ لَهُ ٱلْحُجَّاجُ[1]

وَٱلْعَجُّ رُوحُ ٱلْحَجِّ قِيلَ لِأَنَّهُ ... يَرْوِي عَوَالِيَهُ رُبًا وَفِجَاجُ

لِيُسَلِّمِ ٱلشُّعَرَاءُ بَعْدُ لِفَضْلِكُمْ ... هَلْ فِيهِمُ أَوْ مِنْهُمُ ٱلْعَجَّاجُ

وأمَّا الرسالةُ : فمنها : (مقبولاً منكَ ، ومحفوظاً عليكَ ، ولقد كانَتِ القلوبُ قبلَ العيونِ مُتطلِّعةً إليكَ ، فالحمدُ للهِ على ما يسَّرَ وسنَّى[2] ، وهيَّأَ وهنَّا ، قد بعثتُ مُقدِّمةَ « البحرِ الكبيرِ في نُخَبِ التفسيرِ » ، واسمُها : « عجبُ البحرِ ودررُ النحرِ » ، وعينُها مزارُها ، وقد جُلِّدَ مِنَ النسخةِ ستُّ مجلداتٍ إلى سورةِ « النساءِ » ، وهيَ إنْ شاءَ اللهُ تُبعَثُ ، وقد وصلتُها إلى نواحي الحرفِ الأخيرِ والحمدُ للهِ ، ونبَّهْ لها عُمَراً ، وما ثَمَّ نومٌ إلا نومُ العافيةِ إنْ شاءَ اللهُ[3] ، وهيَ مُتَّصِلةٌ على يدِ السيدِ الشريفِ الفاضلِ الصالحِ شهابِ الدينِ بنِ الشيخِ الكبيرِ الشاذليِّ ، نفعَ اللهُ ببركتِهِ ، وهيَ عاريَّةٌ عندَهُ يقفُ عليها المجلسُ المولويُّ السراجيُّ المُعِزُّ الصاحبيُّ التاجيُّ ، ويُطرِي ويُطنِبُ ، ولولا حرمةُ العلمِ التي هيَ فيهِ ما استوجبْنا عليهِ ذلكَ ، والسلامُ) .

(١) **العجُّ** : رفع الصوت بالتلبية .

(٢) **سنَّى** : سهَّل .

(٣) في الكلام إشارة إلى قول بشار بن برد الشاعر : (من المتقارب)

إذا أيقظَتْكَ حروبُ العِدا ... فنبِّهْ لها عُمَراً ثمَّ نمْ

وعُمرُ : هو ابن العلاء مولى عمرو بن حريث صاحب المهدي ، كان كريماً جواداً شجاعاً مقداماً ، يضرب به المثل في ذلك .

فأجابَهُ سراجُ الدينِ ، وهيَ ممَّا أجازَنيهِ أيضاً : [من الكامل]

لَكَ فِي ٱلْكِرَامِ مَوَارِدٌ أَمْوَاهُهَا ... غَـدِقَـتْ وَأَمْـوَاهُ ٱلأَنَـامِ أُجَـاجُ
وَجَوَاهِرٌ أَصْدَافُهَا ٱلْكُتُبُ ٱلَّتِي ... صَنَّفْـتَ بَـلْ أَدْرَاجُهَـا ٱلأَدْرَاجُ
أَتَتِ ٱلْمُقَدِّمَةُ ٱلَّتِي أَضْحَتْ لَهَا ... غُـرَرُ ٱلْمَعَـانِي ٱلـزَّاهِـرَاتِ نِتَـاجُ
كَٱلرَّوْضَةِ ٱلْغَنَّاءِ ضَاحَكَ زَهْرَهَا ... مِنْ صَوْبِ جُودِكَ عَارِضٌ ثَجَّاجُ
جُلِيَتْ بِنَادِي ٱلصَّاحِبِ ٱبْنِ مُحَمَّدٍ ... فَهِيَ ٱلْعَرُوسُ وَمَنْ جَلاهَا ٱلتَّاجُ
بَهَرَتْ أَشِعَّتُهَا فَلا شَمْسُ ٱلضُّحَى ... شَمْسُ ٱلضَّحَاءِ وَلا ٱلسِّرَاجُ سِرَاجُ

وأمَّا النثرُ : فهوَ : (ويُنهي وصولَ المجلسِ العالي الشهابيِّ نفعَ اللهُ ببركةِ أسلافِهِ ، وأيَّدَهُ بإسعادِهِ وإسعافِهِ ، وعلى يدِهِ المقدمةُ الشريفةُ ، والمُقدمةُ التي تُحمَلُ على الرؤوسِ ، فقبَّلَها المملوكُ بعدَ تقبيلِ المشرفِ العالي ، ونثرِهِ في تلكَ الجواهرَ ولا أقولُ هيَ تلكَ اللآلي ، وبادرَ بحملِ المقدمةِ إلى المخدومِ ، فاغتبطَ بها اغتباطَ الأنيسِ ، واتَّخذَ كتابَها خيرَ جليسٍ ، وهجرَ لأجلِها سَرْجَ كُلِّ سَابحٍ ، وعلمَ أنَّهُ بهـٰذهِ الصفقةِ أربحُ رابحٍ ، وطالعَها مُطالَعةَ المُغتبِطِ ، والتقطَ مِنْ فرائدِها ما يتكفَّلُ بالمعنى للمُلتقِطِ .

وفي خلالِ ذلكَ وردَ الجزءُ الكبيرُ مِنَ « البحرِ الكبيرِ » وهوَ خمسةُ أجزاءٍ ، وردَّ المخدومُ المقدمةَ والعواري تُستردُّ ، ووردَ مِنَ « البحرِ الكبيرِ » أعذبَ ما وردَ ، واللهُ يُمتِّعُ الإسلامَ ببقاءِ سيدِنا ناصرِ الدينِ ومؤيِّدِهِ ، ومرسلِ سهمِ الحقِّ بهِ ومُسدِّدِهِ ، وجامعِ الحقِّ بعدَ تشتُّتِهِ وتبدُّدِهِ) .

كانَ لهُ النثرُ والنظمُ ؛ **فمِنْ نثرِهِ** : الخطبُ والترسُّلُ ، **ومِنْ نظمِهِ** : ما كتبَ بهِ جواباً للأميرِ الأديبِ الفاضلِ ناصرِ الدينِ عن قصيدتِهِ الرائيَّةِ[1] : [من الخفيف]

(١) **ناصر الدين** : هو الشاعر الأديب الحسن بن شاور الكناني (ت٦٨٧هـ) انظر « الوافي بالوفيات » (١٢/ ٢٩ـ٣٦) .

يَـا أَمِيـراً لَـهُ ٱلْكَـلامُ مُطِيـعٌ ... طَـاعَـةَ ٱلْحُـبِّ لا ٱنْقِيَـادَ ٱلـرِّيَـاءِ
وَحَبِيبـاً إِلَـى ٱلْقُـوَافِـي جَمِيعـاً ... كَيْفَمَـا كَـانَ لا حَبِيـبَ ٱلطَّـائِـي
أَتَـتِ ٱلـرَّاءَاتُ ٱللَّـوَاتِـي تَنَـاهَبْـ ... ـنَ عَلَىٰ خَدِّهِنَّ لَحْظَ ٱلرَّائِي
مَنْ رَآهَا ٱشْتَهَىٰ عَلَىٰ حُسْنِهَا ٱلْوَصْـ ... ـلَ وَلَـوْ كَـانَ وَاصِـلَ بْـنَ عَطَـاءِ
بَيَّضَتْهَـا يَـدُ ٱلأَمِيـرِ ٱلْكِنَـانِـيِّ ... فَقُـلْ فِـي تِلْـكَ ٱلْيَـدِ ٱلْبَيْضَـاءِ
مُفْـرَدٌ فِـي كِنَـانِـهِ صَـانَـهُ ٱللهُ ... عَنِ ٱلرَّمْيِ يَوْمَ خَصْلِ ٱلرِّمَاءِ
فَلْيَقُـمْ فِـي أَوْطَـانِـهِ يَنْصُـرُ ٱلْفَضْـ ... ـلَ بِـرَأْيٍ وَحِكْمَـةٍ وَذَكَـاءِ

فأجابَهُ ناصرُ الدينِ على الوزنِ والرويِّ :

يَـا إِمَـامَ ٱلأَنَـامِ فِـي كُـلِّ فَـنٍّ ... وَحُسَـامَ ٱلْكَـلامِ عِنْـدَ ٱلْمَضَـاءِ
وَٱلْجَـوَادَ ٱلسَّخِـيَّ بِـٱلْعِلْـمِ وَٱلْمَـا ... لِ وَفَـرْدَ ٱلأَعْـلامِ وَٱلأَسْخِيَـاءِ
أَنْتَ مَنْ فَاقَ فِي ٱلْقَوَافِي وَفِي ٱلْجُو ... دِ وَمَـنْ سَـادَ فِيهِمَـا كُـلَّ طَـائِـي
نَشَأَتْ مِنْ سَمَاءِ فَضْلِكَ سُحْبٌ ... وَٱسْتَهَلَّـتْ إِذْ قُمْـتُ لاسْتِسْقَـاءِ
كَلِمَـاتٌ مَـا حَـاكَهُـنَّ زِيَـادٌ ... شَهِـدَ ٱللهُ فِـي ٱبْنِ مَـاءِ ٱلسَّمَـاءِ
شَـرَّفَتْنِـي وَشَنَّفَتْنِـي عَلَـى ٱلْبُعْـ ... ـدِ وَأَهْـدَتْ إِلَـيَّ رَوْحَ ٱلثَّنَـاءِ
وَٱلْقَلِيـلُ ٱلَّـذِي أَتَـانِـيَ مِنْهَـا ... فَهُـوَ وَٱللهِ بُلْغَـةُ ٱلْبُلَغَـاءِ
فَسَقَـى ٱللهُ عَهْـدَ أَحْمَـدَ وَٱلْـوُدَّ ... عِهَـاداً مِـنَ ٱلْحَيَـا وَٱلْحَيَـاءِ

وللأديبِ الأميرِ ناصرِ الدينِ ابنِ النقيبِ يمدحُ قاضيَ القضاةِ ناصرَ الدينِ المذكورَ ، وهيَ ممَّا أجازَني : [من الطويل]

أَسَائِلَ دَمْعِي صِرْتَ بِٱلسِّرِّ مُخْبِرَا ... وَأَظْهَرْتَ مِنْهُ كُلَّ مَا كُنْتُ مُضْمِرَا
فَهَلْ صِرْتَ نَمَّاماً فَكُفَّ وَلا تَكِفْ ... وَحَسْبُكَ يَكْفِي مِنْكَ يَا دَمْعُ مَا جَرَىٰ
فَقَدْ شَاعَ مَا بِي ثُمَّ ذَاعَ حَدِيثُهُ ... وَمَنْ كَانَ لا يَدْرِي بِذَلِكَ قَدْ دَرَىٰ

وَكَيْفَ جُحُودِي لَوْعَتِي وَصَبَابَتِي ... وَقَدْ صَارَ جِسْمِي بِٱلسَّقَامِ كَمَا تَرَىٰ

وَلَمْ أَنْسَ بَيْناً لَمْ يَكُنْ فِي حِسَابِنَا ... وَإِنْ كَانَ فِي أَذْهَانِنَا قَدْ تَقَرَّرَا

فَيَا لَيْتَنِي زَوَّدْتُ أُذْنِيَ مَنْطِقاً ... وَيَا لَيْتَنِي زَوَّدْتُ عَيْنِيَ مَنْظَرَا

وَيَا لَيْتَ أَحْبَابِي ٱلَّذِينَ أَلِفْتُهُمْ ... يَعُودُ بِهِمْ عَيْشِي كَمَا كَانَ أَخْضَرَا

وَأَسْمَعُ مِنْهُمْ كُلَّ مَا كُنْتُ سَامِعاً ... وَأُبْصِرُ مِنْهُمْ كُلَّ مَا كُنْتُ مُبْصِرَا

أُنَاسٌ عَرَفْتُ ٱلنَّاسَ مُنْذُ عَرَفْتُهُمْ ... تُرَىٰ تَجْمَعُ ٱلأَيَّامُ شَمْلِي بِهِمْ تُرَىٰ

بِهِمْ صُوَرُ ٱلْعَلْيَاءِ قَامَتْ وَسُوقُهَا ... وَشَاهَدْتُ مَعْنَى ٱلْحُسْنِ فِيهِمْ مُصَوَّرَا

وَأَهْدَىٰ إِلَيَّ ٱلْفِكْرُ طَيْفَ خَيَالِهِمْ ... فَأَهْدَىٰ إِلَى عَيْنِي عَلَى ٱلنَّأْيِ مَنْظَرَا

أَلَذَّ مِنَ ٱلأَنْفَاسِ عِنْدَ ٱتِّصَالِهَا ... وَأَلْطَفَ فِي ٱلأَجْفَانِ مِنْ سِنَةِ ٱلْكَرَىٰ

وَكُنْتُ كَثِيرَ ٱلشَّوْقِ بِٱلسَّمْعِ نَحْوَهُمْ ... فَشَاهَدْتُهُمْ بِٱلْعَيْنِ فَٱزْدَدْتُ أَكْثَرَا

فَيَا لَيْتَ عَيْنِي لَمْ تُشَاهِدْ كَمَالَهُمْ ... فَمَا زَادَنِي مَرْآهُ إِلا تَحَسُّرَا

وَلا زَادَ نَارَ ٱلْقَلْبِ إِلا تَضَرُّماً ... وَلا زَادَ مَاءَ ٱلْعَيْنِ إِلا تَفَجُّرَا

وَمُذْ شَاهَدَتْ مَا شَاهَدَتْ عِنْدَ أَحْمَدٍ ... رَأَتْ كُلَّ حُسْنٍ عَنْ حِلاهُ مُقَصِّرَا

فَلا تُكْبِرَنَّ ٱلْبَدْرَ وَٱلشَّمْسَ بَعْدَهُ ... فَإِنَّكَ مِنْ هَـٰذَيْنِ شَاهَدْتَ أَكْبَرَا

وَلا تُعْظِمَنَّ ٱلْغَيْثَ وَٱلْبَحْرَ عِنْدَهُ ... فَكَمْ قَعَدَا عَنْ رَاحَتَيْهِ وَقَصَّرَا

جَوَادٌ رَأَىٰ أَنَّ ٱلثَّنَاءَ أَجَلُّ مَا ... يُحَصِّلُ ذُخْراً فَٱقْتَنَى ٱلْحَمْدَ وَٱشْتَرَىٰ

خَطِيبٌ يُرِيكَ ٱبْنَ ٱلْمُقَفَّعِ خَاطِباً ... وَإِلا فَقُسّاً قَدْ تَسَنَّمَ مِنْبَرَا

وَقَاضِي قُضَاةٍ مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِهِ ... تَنَاصَفَ فِي أَحْكَامِهِ سَائِرُ ٱلْوَرَىٰ

وَأَبْلَغُ مُفْتٍ فِي ٱلْمَذَاهِبِ كُلِّهَا ... وَأَوْجَزُ أَلْفَاظٍ لِمَنْ خَطَّ أَوْ قَرَا

إِذَا رَقَمَتْ يُمْنَاهُ طِرْزَ صَحِيفَةٍ ... أَرَاكَ مِنَ ٱلأَلْفَاظِ فِيهَا مُحَرَّرَا

وَإِنْ شَهَرَتْ أَلْفَاظُهُ سَيْفَ مَنْطِقٍ ... فَقَدْ شَهَرَتْ سَيْفاً مُحَلًّى مُجَوْهَرَا

وَإِنْ قَالَ نَثْراً كَانَ أَنْثَرَ نَاثِرٍ ... وَإِنْ قَالَ شِعْراً كَانَ فِي ٱلنَّظْمِ أَشْعَرَا

وَمَهْمَا دَجَا لَيْلُ ٱلْكَلامِ أَنَارَهُ ... وَأَقْمَرَهُ حَتَّى يُلَذُّ بِهِ ٱلسُّرَىٰ

فَكَمْ حَلَّلَ ٱلأَلْفَاظَ مِنْ عُقَدٍ بِهَا ... وَفَكَّكَ أَزْرَارَ ٱلْمَعَانِي مِنَ ٱلْعُرَا

كَذَا فَلْيَكُنْ مَنْ أَمَّ بِٱلنَّاسِ أَوْ قَضَىٰ ... وَمَنْ أَقْرَأَ ٱلطُّلابَ أَوْ مَنْ تَصَدَّرَا

وَمَنْ شَاءَ أَنْ يُلْقِيْ ٱلدُّرُوسَ وَيَشْرَحَ ٱلطُّـ ... ـرُوسَ وَيَهْدِيْ سَائِلاً مُتَحَيِّرَا

وَإِلا لِيَدْرُجْ لَيْسَ هَٰذَا بِعُشِّهِ ... وَإِنْ غَرَّهُ مِنْ ذَاكَ أَلا يُنَفِّرَا

وَحَقِّكَ إِنِّي ذَاكِرٌ وَمُرَدِّدٌ ... حَدِيثَ ثَنَاءٍ لَمْ يَكُنْ فِيكَ مُفْتَرَىٰ

أُكَرِّرُ مِنْهُ كُلَّمَا قُلْتُ سُكَّراً ... وَأَنْشَقُ مِنْهُ كُلَّمَا فُهْتُ عَنْبَرَا

وَيَا مُبْسِمَ ٱلثَّغْرِ ٱلَّذِي رَاقَ مَنْظَراً ... وَطَابَ وَلَوْلا أَنْتَ مَا طَابَ مَخْبَرَا

تَجَاوَزْ عَنِ ٱلشِّعْرِ ٱلَّذِي قَدْ بَعَثْتُهُ ... فَلَوْ أَنَّهُ ٱلشِّعْرَىٰ لَكَانَ مُحَقَّرَا

فَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يُهْدِي إِلَى ٱلْبَحْرِ قَطْرَةً ... وَمَنْ ذَا ٱلَّذِي يُهْدِي إِلَى ٱلشَّمْسِ أَكْدَرَا

وَمَا فِيهِ إِلا أَنَّ مَدْحَكَ صُغْتُهُ ... وَذَاكَ ٱلَّذِي مَا فِيهِ مَيْنٌ وَلا مِرَا

ومِنْ نظمِ القاضي ناصرِ الدينِ : [من المتقارب]

إِذَا كُنْتَ مُسْتَبْصِراً فِي ٱلذَّكَاءِ ... فَلا تَكْشِفَنْ عَوَرَاتِ ٱلأَنَامِ

فَإِنَّ عَلَىٰ كُلِّ نُعْمَىٰ زَكَاةً ... وَإِنَّ زَكَاةَ ٱلذَّكَاءِ ٱلتَّعَامِي[1]

* * *

(١) وبعد هٰذين البيتين بياض بمقدار أربعة أسطر ، وكانت ولادته في ثالث ذي القعدة سنة (٦٢٠هـ) ، وتوفي بالإسكندرية ليلة الخميس مستهل ربيع الأول سنة (٦٨٣هـ) ، ودفن بتربة والده عند الجامع الغربي ، وانظر « ذيل مرآة الزمان » (٤/٢٠٦-٢١٠) ، و« الديباج المذهب » (ص٧٠-٧٤) ، و« حسن المحاضرة » (١/٣١٦-٣١٧) .

[ومنهُمُ :

الشيخُ تقيُّ الدينِ أبو عليٍّ الحسينُ بنُ عبدِ الرحيمِ ابنِ شاسِ السعديُّ المالكيُّ المصريُّ]

وارثُ السيادةِ ، ونجلُ العلماءِ السادةِ ، والجامعُ بينَ فضيلتَيِ الجودِ والإجادةِ ، الذي بنىٰ كما بنَتْ أوائلُهُ ، حتىٰ شُيِّدَتْ بهِ حصونُ الشرفِ ومعاقلُهُ ، وبانَ أنَّهُ بدرُ المنزلِ الذي بانَ آهلُهُ ، وأنَّهُ الفريدةُ التي أكنَّها صاحبُ الجواهرِ ، والشِّبْلُ الذي أنتجَهُ ذلكَ الأسدُ الخادرُ ، فارتقىٰ في رُتَبٍ لم يستطعْ أقرانُهُ لها رُقيّاً ، واتَّقى اللهَ فورِثَ الجنةَ التي يُورِثُها اللهُ مَنْ كانَ تقيّاً ، وأحسنَ كما أحسنَ اللهُ إليهِ ولم يزلْ صادقَ الوعدِ وفيّاً ، وقلَّدَ أهلَ زمانِهِ مِنَناً أُلبِسُوا جمالَها ، فنطقتِ الألسنُ فيهِ بمحامدَ تبقىٰ ويذهبُ مَنْ قالَها ، واللهُ المسؤولُ أنْ يُعوِّضَهُ عن ذلكَ أجراً ، وأنْ يَسُرَّهُ كما سرَّ الناسَ في الدنيا في الأخرىٰ[1] .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ تقيُّ الدينِ الحسينُ بنُ الشيخِ شرفِ الدينِ [أبي الفضلِ عبدِ الرحيمِ] بنِ جلالِ الدينِ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ نجمِ بنِ شاسِ السَّعْديُّ المالكيُّ المصريُّ مولداً وداراً ووفاةً .

نشأَ بمصرَ ، واشتغلَ ودرَّسَ وأفتىٰ ، واقتنىٰ مِنَ الكتبِ ما يَعجزُ غيرُهُ مِنْ أبناءِ زمانِهِ عنهُ ، ولم يقتصرْ علىٰ كتبِ مذهبٍ ، بل كانَ يقتني الكتبَ في سائرِ العلومِ ، سمعَ أصحابَ السِّلَفِيِّ وغيرَهُم .

وكانَ مُتواضِعاً ، حسنَ الاعتقادِ ، كثيرَ السكينةِ والوقارِ ، مُحسِناً لطلبةِ

(١) **قوله** : (**في الدنيا**) متعلق بـ (سرَّ) ، **وقوله** : (**في الأخرىٰ**) متعلق بـ (يسره) .

العلمِ خصوصاً أهلَ بلدِهِ ، وكانَ يمشي مِنْ مسجدِهِ إلىٰ درسِهِ بالمدرسةِ الناصريَّةِ المالكيَّةِ المجاورةِ لجامعِ مصرَ ، ويقولُ : لا أركبُ علىٰ رقابِ أهلِ بلدي .

أقامَ ما بينَ نائبِ حكمٍ وحاكمٍ فوقَ الأربعينَ سنةً .

وُلِدَ يومَ الثَّلاثاءِ ثانيَ صفرٍ سنةَ تسعٍ وستٍّ مئةٍ ، وتُوفِّيَ يومَ الجمعةِ مُستهَلَّ ذي الحجَّةِ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وستٍّ مئةٍ ، ودُفِنَ بقَرافةِ مصرَ[1] .

* * *

(١) وهٰذه الترجمة جاءت ضمن ورقتين مرفقتين عند ترجمة الفخر الرازي ، كما أشرت إليه في (١/ ٥٤٣) ، وقد قمت بنقلها إلىٰ ها هنا .

ومنهُمُ :

[الإمامُ عبدُ المؤمنِ بنُ إسماعيلَ الدَّهْروطيُّ البكريُّ المالكيُّ]

العالمُ المتواضعُ ، والناسكُ الخاشعُ ، والوليُّ العارفُ ، والمُربِّي المُلاطِفُ ، الحافظُ لحُرُماتِ ربِّهِ ، والمُساعِدُ في إنكارِ المُنكَرِ بيدِهِ ولسانِهِ وقلبِهِ ، لا يرضىٰ أنْ يمضيَ وقتُهُ في غيرِ العلمِ والعملِ ، ولا يسأمُ مِنْ كثرةِ الأورادِ ولا يَمَلُّ ، راسخُ القدمِ في العلمِ فجوابُهُ صوابُهُ ، صادقُ الحالِ وكيفَ لا وإلى الصِّدِّيقِ انتسابُهُ ؟!

لا يملُّهُ الرفيقانِ كتابُهُ ومحرابُهُ ، ولم يَزَلْ بينَ ملهوفٍ يَنقَعُ غُلَّتَهُ[1] ، وسقيمٍ يُبرِئُ علَّتَهُ ، وعلمٍ ينشرُهُ ، ومنكرٍ ينكرُهُ ، ومعروفٍ يأمرُ بهِ ويُظهِرُهُ ، إلىٰ أنِ ارتحلَ إلىٰ ما أسلفَ في خالي أيامِهِ ، وانتقلَ إلىٰ مَقيلِهِ مِنَ الجِنانِ ومقامِهِ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ عبدُ المؤمنِ بنُ فخرِ الدينِ أبي الطاهرِ إسماعيلَ بنِ رشيدِ الدينِ أبي محمدٍ عبدِ المحسنِ بنِ تقيِّ الدينِ أبي الحسينِ يحيى بنِ الحسنِ بنِ موسى بنِ يحيى بنِ يعقوبَ بنِ نجمِ بنِ عيسى بنِ شعبانَ بنِ عيسى بنِ داودَ بنِ محمدِ بنِ نوحِ بنِ طلحةَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ أبي بكرٍ الصديقِ ، كذا كتبَ نسبتَهُ بعضُ أصحابِهِ مِنَ البكريِّينَ .

نشأَ بدَهْروطَ ، واشتغلَ بها على ابنِ عمِّهِ الزكيِّ عبدِ العظيمِ البكريِّ المُقدَّمِ ذكرُهُ ، وكانَ عارفاً بمذهبِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ معرفةً جيدةً ، مُستحضِراً

(١) **ينقع** : يُسكِّن ، **والغُلَّة** : حرارة العطش .

لنقلٍ كثيرٍ فيهِ ، ولهُ كتابٌ في علمِ التصوفِ لطيفُ الحجمِ كثيرُ الفوائدِ ، ولهُ ترتيبُ كتابِ « موطَّأِ مالكٍ » رضيَ اللهُ عنهُ على حروفِ المعجمِ ، ولهُ « الدرُّ المنظومُ مِنْ مناقبِ العلومِ » .

كانَ مُتبرِّئاً مِنِ اعتقادِ الأصواتيةِ ، مُظهِراً للمُباينةِ لهُم ، ولقد كانَ في غالبِ حالِهِ يُعاضِدُ الشيخَ أبا عبدِ اللهِ ابنَ النعمانِ في إنكاءِ هـٰؤلاءِ المُبتدعةِ وإخمادِ أمرِهِم .

وكانَ لا يحضرُ السماعَ .

ولهُ كراماتٌ ؛ فمنها : ما ذكرَهُ عنهُ بعضُ أصحابِهِ قالَ : كُنَّا ذاتَ ليلةٍ والمصباحُ يقدُ علينا ، فخمَدَ ضوءُ المصباحِ ، فقمتُ إليهِ ، فوجدتُ الزيتَ الذي فيهِ قد فَنِيَ ، فعدلتُ إلى كوزِ الزيتِ ، فلم أجدْ فيهِ شيئاً ، فعُدتُ ولم أُصلِحِ السراجَ ، فقالَ لي : لمَ لا أصلحتَهُ ؟ فقلتُ : يا سيدي ؛ لم أجدْ زيتاً لا في السراجِ ولا في كوزِ الزيتِ ، فقامَ وأخذَ إبريقاً بينَ يديهِ فيهِ ماءٌ شربْنا منهُ ، فقالَ : هلا سكبتَ هـٰكذا ، وسكبَ بيدِهِ مِنَ الإبريقِ الماءَ في السراجِ ، فأُشعِلَ لوقتِهِ وعادَ إليهِ ضوءُهُ ، وبقيَ ذلكَ السراجُ يَقِدُ إلى آخرِ تلكَ الليلةِ .

قالَ الحاكي : فكنتُ بعدَ ذلكَ أُذكِّرُهُ بهـٰذهِ الواقعةِ ، فيقولُ : يا ولدي ؛ أبصرتَ صنعَ اللهِ بنا ولطفَهُ تلكَ الليلةَ ، ولا يُسنِدُ إلى نفسِهِ شيئاً مِنْ ذلكَ .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ ليلةَ السابعِ والعشرينَ مِنْ محرمٍ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وستِّ مئةٍ ، وصُلِّيَ عليهِ مِنَ الغدِ ، ودُفِنَ بتربتِهِ المعروفةِ بهِ بالقرافةِ الصغرىٰ .

* * *

ومنهُمُ :

[الإمامُ وجيهُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الوهابِ بنُ سديدِ الدينِ المُهَلَّبيُّ البَهْنسيُّ الشافعيُّ]

قاضي القضاةِ ، ذو الخِلالِ الجميلةِ والصفاتِ ، بحرٌ طفَحَتْ أمواجُهُ ، وعَذُبَ ثَجَّاجُهُ ، ولم تُثَبِّجْ على مُستفيدِهِ أثباجُهُ ، شادَ معالمَ الآباءِ والأجدادِ ، وأفادَ مغانمَ فوائدَ هيَ قرةُ العيونِ وبردُ الأكبادِ ، وسادَ مكارمَ حقَّقَتْ أنَّها أرواحٌ لها آلُ المُهلَّبِ أجسادٌ ، همَّةٌ في العلومِ لا تعرفُ الريثَ ، وخُلُقٌ كالنسيمِ في منظرٍ كالليثِ ، وحِدَّةٌ كالرعدِ والبرقِ يأتي بعدَهُ الغيثُ ، فهوَ العالمُ الذي ما رأتِ العيونُ مثلَهُ ولا ترىٰ ، والحاكمُ الذي إذا قالَ قولاً أنبطَ الماءَ في الثرىٰ ، لو رأيتَهُ لرأيتَ مَلَكاً في صورةِ إنسانٍ ، وقاضياً جمعَ المأمورَ بهِما العدلَ والإحسانَ ، طالَما أثنتِ العلماءُ الأكابرُ تنبيهاً علىٰ شرفِ منزلتِهِ وتنويهاً ، ورُزِقَ الوجاهةَ عندَهُم إذ كانَ عندَ اللهِ وجيهاً .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ وجيهُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الوهابِ بنُ أقضى القضاةِ سديدِ الدينِ الحسينِ المُهَلَّبيِّ ، المُقدَّمِ ذكرُهُ[1] .

اشتغلَ بمذهبِ الشافعيِّ بمدرسةِ منازلِ العزِّ علىٰ قاضي القضاةِ عمادِ الدينِ ابنِ السُّكَّريِّ في أواخرِ أيامِهِ ، وعلىٰ علماءِ مصرَ ؛ كالفقيهِ بهاءِ الدينِ ابنِ الجُمَّيزيِّ .

ورحلَ إلى البلادِ الشاميَّة ، فاجتمعَ بالشيخِ تقيِّ الدينِ أبي عمرِو بنِ

(١) انظر (١/ ٥٧٠) .

الصلاحِ ، والشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، وتولَّى التدريسَ بالزاويةِ المجديةِ بمصرَ بتفويضٍ مِنْ خالِهِ وابنِ عمِّ أبيهِ مجدِ الدينِ .

وحضرَ إلىٰ مصرَ ، فباشرَ تدريسَ الزاويةِ المجديةِ ونظرَها[1] ، وجلسَ أولَ جلوسِهِ في محفلٍ عظيمٍ ، وكانَ لهُ درسٌ مِنْ أصولِ الدينِ يُؤخَذُ كلَّ يومٍ بعدَ فراغِ الدرسِ العامِّ ، يحضرُهُ جماعةٌ مِنْ كبارِ طلبتِهِ بالزاويةِ المذكورةِ ، محافظةً علىٰ شرطِ واقفِها .

وكانَ اشتغلَ بالأصولَين : على المصريينَ بالطريقِ الأُولىٰ ، **ثمَّ اشتغلَ** : على السيفِ الآمديِّ حينَ حضورِهِ إلىٰ مصرَ بطريقةِ الإمامِ فخرِ الدينِ ، **وقرأَ** : على الأفضلِ الخُونَجيِّ ، وعلى الشيخِ شمسِ الدينِ الخُسْرَوشاهيِّ ، واستفادَ مِنَ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، **وسمعَ** : مِنَ الشيخِ زكيِّ الدينِ عبدِ العظيمِ ، وكانَ لهُ عندَ هـٰؤلاءِ الثلاثةِ المذكورينَ أخيراً وعندَ قاضي القضاةِ تاجِ الدينِ[2] مِنَ التمكُّنِ وشريفِ المنزلةِ . . ما لا يُدرَكُ بالاجتهادِ .

ولم يَزَلْ بعدَ هـٰؤلاءِ مُترشِّحاً للحكمِ مُؤهَّلاً لهُ مُشاراً إليهِ بهِ ، يشيرُ على الحكامِ ، فيرجعونَ إليهِ ويشاورونَهُ في النقضِ والإبرامِ ، ويعتمدونَ عليهِ ؛ لعلمِهِم باستحقاقِهِ مكانَهُم ومنزلتَهُم .

وكانَ مُتواضِعاً مُتخلِّياً عنِ الناسِ ، مُباشِراً أكثرَ مُهمَّاتِهِ بنفسِهِ ، ولا يتَّكلُ في أكثرِ أمورِهِ علىٰ وكيلٍ ولا غلامٍ ، وهوَ معَ ذلكَ يُكِبُّ على الاشتغالِ والإشغالِ والمباحثةِ والإفادةِ والاستفادةِ .

(١) **الزاوية المجدية** : مكان وقفه مجد الدين المهلبي علىٰ من يدرس بمكان معين بجامع عمرو بن العاص ، وكان يعد التدريس فيها من المناصب الجليلة . انظر « المواعظ والاعتبار » (٤/ ٢٢) .

(٢) أي : تاج الدين ابن بنت الأعز ، المار في (٢/ ١٠٠ـ ١٠٥) .

ولقد رأيتُهُ في المحافلِ العظيمةِ أوائلَ جلوسِ المدرِّسينَ حينَ يجتمعُ أهلُ الحَلِّ والعقدِ ، وجهابذةُ النظرِ والنقدِ . لا يُشَقُّ غُبارُهُ ، ولا يُلحَقُ مضمارُهُ ، ولا يُتوقَّعُ عِثارُهُ ، وكانَ مُعتمدُهُ في كلِّ مَحفِلٍ يحضرُ فيهِ الانتصارَ لصاحبِ المحفلِ والقيامَ مقامَهُ في المناظرةِ والمناضلةِ جبراً لهُ[1] .

وتولَّىٰ مشيخةَ الميعادِ المعروفِ بعلاءِ الدينِ الضريرِ بمصرَ المحروسةِ ، ويكفيهِ فضلاً مَنْ تخرَّجَ بهِ مِنَ الأكابرِ وفقهاءِ العصرِ ؛ كعلمِ الدينِ العراقيِّ[2] ، وعلمِ الدينِ السمنوديِّ[3] ، وعزِّ الدينِ بنِ السيفِ ، وعلمِ الدينِ بنِ الصفيِّ القِمَّنيِّ[4] ، وكمالِ الدينِ عبدِ الغنيِّ[5] ، وظهيرِ الدينِ يحيىٰ[6] ، وغيرِ هٰؤلاءِ مِنْ مشايخِ عصرِنا الحلبةِ السابقينَ لنا ، والحلبةِ الذينَ تبعوهُم بإحسانٍ ؛ كالزينِ بنِ البياعِ ، والقاضي فلكِ الدينِ بنِ بنتِ السكريِّ ، والعمادِ المُهلَّبيِّ ، وغيرِهِم ممَّنْ أدركْنا أواخرَ اشتغالِهِم ، والحلبةِ الذينَ كانُوا رفقةً لنا ، وحلبةٍ وردَتْ علىٰ آثارِنا ؛ كلُّهُمُ استفادُوا منهُ واعترفُوا لهُ وتخرَّجُوا بهِ وتهذَّبُوا بتهذيبِهِ ، فلسانُ حالِهِم يُنشِدُ[7] : [من الطويل]

(١) وقال ابن السبكي في « الطبقات » (٨/ ٣١٨) : (وحضر عنده الشيخ شهاب الدين القرافي ـ أي : صاحب « الفروق » ـ مرَّةً وقت التدريس ، وهو يتكلم في الأصول ، فشرع القرافي يناظره والوجيه يعلو بكلامه عليه ، فقام طالب يتكلم بينهما ، فأسكته الوجيه وقال له : فرُّوج يصيح بين الدِّيَكة !!) .

(٢) ستأتي ترجمته في (٢/ ٢٧٨ـ ٢٨١) .

(٣) ستأتي ترجمته في (٢/ ٢١٢ـ ٢١٣) .

(٤) ستأتي ترجمته في (٢/ ٢٠١ـ ٢٠٥) .

(٥) ستأتي ترجمته في (٢/ ٢٢٦ـ ٢٢٧) .

(٦) ستأتي ترجمته في (٢/ ٢٢٠ـ ٢٢١) .

(٧) البيت لنُصيب يمدح سليمان بن عبد الملك ، كما في « البيان والتبيُّن » (١/ ٨٣) ، و« التذكرة الحمدونية » (٤/ ٨٦) .

وَعَاجُوا فَأَثْنَوْا بِالَّذِي هُوَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْهِ ٱلْحَقَائِبُ

وأرجو أنْ ينفعَهُ اللهُ بعلمِ مَنْ علَّمَهُ ، فهم بمنزلةِ أولادِهِ وقد قالَ في الحديثِ : « وَوَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ »[1] .

وبالجملةِ : فما رأيتُ معَ كِبَرِ سنِّهِ وتقدُّمِهِ في العلومِ أكثرَ اشتغالاً منهُ ؛ قطعَ عمرَهُ بينَ قراءةٍ وإقراءٍ ، ولم يَزَلْ كذلكَ إلىٰ أنْ وَلِيَ الحكمَ بالديارِ المصريَّةِ ، ثمَّ رأىٰ أنَّهُ لا يقدرُ علىٰ براءةِ الذمَّةِ في العملَينِ ، فاستعفىٰ مِنَ القاهرةِ والوجهِ البحريِّ ، وكانَ قد درَّسَ أيضاً بالمدرسةِ الناصريةِ الصلاحيةِ بمصرَ ، فأُقِيلَ منها أيضاً ، واقتصرَ على الزاويةِ .

وكانَ غنيّاً ، ولم يتناولْ على الحكمِ معلوماً ، إلىٰ أنْ تُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ وهوَ علىٰ حُسْنِ اعتقادٍ وصلاحٍ وسَدادٍ .

تُوفِّيَ في جمادى الأولىٰ سنةَ خمسٍ وثمانينَ وستِّ مئةٍ ، ودُفِنَ بتربةِ الشيخِ عبدِ المؤمنِ الدَّهْروطيِّ ، رحمَهُ اللهُ[2] .

* * *

(١) أخرجه مسلم (١٦٣١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣١٧ـ ٣١٨) ، و« رفع الإصر » (ص٢٥٦ـ ٢٥٧) ، ونقل المؤلف عنه في هٰذا الكتاب نقولاتٍ نفيسةً .

ومنهُمُ :

[الإمامُ الأصوليُّ شهابُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ إدريسَ القَرَافيُّ المالكيُّ]

الطاهرُ القلبِ واللسانِ ، الظاهرُ بمناقبَ أحلَّتْهُ مِنَ العلياءِ كلَّ مكانٍ ، فاقَ بنفسِهِ العصاميةِ مَنْ سادَ ميراثاً ، وبهرَ مَنْ عَدَّ إنِ افتخرَ عظماً رميماً وأجداثاً[1] ، قدِ انتهى الشرفُ إلىٰ حيثُ انتهىٰ ، وشنَّفَ المسامعَ عذبُ ألفاظِهِ التي أصبحَ بسحرِها نفَّاثاً في عُقَدِ النُّهىٰ ، قد طبَّقَ الأقاليمَ بتصانيفِهِ النافعةِ ، وفوائدِهِ التي إذا جمحَتْ عن غيرِهِ أتتْ لهُ طائعةً ، وشوارِدِهِ التي وردَتْ شِرَعَ الشرعِ شارعةً ، ثاقبُ العقلِ ولا يُنكَرُ أنْ يكونَ الشهابُ ثاقباً ، أظهرَهُ الضياءُ حينَ كانَ غيرُهُ مِنَ الشُّهُبِ غارباً ، فأشرقَ بنورِ علومِهِ كلُّ مدلهمٍّ حالكٍ ، وتبيَّنَ بهِ المذهبُ للمُسترشِدِ السالكِ ، وكانَ مُنتحِلاً مذهبَ مالكٍ ، ولا غروَ أنِ انتهى ابنُ إدريسَ لمالكٍ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ شهابُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ إدريسَ ، البُوشيُّ أصلاً ، القَرَافيُّ منشأً[2] ، المالكيُّ مذهباً ، الأشعريُّ مُعتقَداً ، المصريُّ داراً ووفاةً .

اشتغلَ بمذهبِ الإمامِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ : علىٰ علماءِ عصرِهِ مِنَ

(١) **الأجداث** : جمع جَدَث ؛ وهو القبر .

(٢) قال الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٥١/ ١٧٦) : (ونُسِب إلى القرافة ولم يسكنها ، وإنما سُئل عنه عند تفرقة الجامكية بمدرسة الصاحب بن شكر ، فقيل : هو بالقرافة ، فقال بعضهم : اكتبوه « القرافي » ، فلزمته هٰذه النسبة) .

المالكيةِ ؛ كابنِ رشيقٍ والسبكيِّ وغيرِهم[1] ، **وبالنحوِ** : على الشيخِ ضياءِ الدينِ بنِ القرطبيِّ ، وكانَ مُلازِماً لهُ ، ثمَّ تردَّدَ إلى الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ واستفادَ منهُ ، **وقرأَ الأصولَينِ أيضاً** : على الشيخِ شمسِ الخُسْرَوشاهيِّ أيضاً في آخرِ وقتِهِ[2] ، واستفادَ مِنَ الشيخِ شرفِ الدينِ الكركيِّ ، ولم يَزَلْ مُعترِفاً بذلكَ في غَيبةِ الشيخِ شرفِ الدينِ وحضورِهِ ، ووليَ التدريسَ بالمدرسةِ الصالحيةِ بالقاهرةِ للطائفةِ المالكيَّةِ ، وبالمدرسةِ العلائيةِ الطَّيْبرسيَّةِ بمصرَ[3] ، والزاويةِ الصاحبيةِ بجامعِ مصرَ .

وأفتى وصنَّفَ كتباً نافعةً مُفيدةً ؛ **منها** : « شرحُ المحصولِ » في أربعِ مُجلَّداتٍ مِنْ خطِّهِ[4] ، وكتابُ « تنقيحِ الفصولِ في علمِ الأصولِ » ، و« شرحُهُ » أيضاً ، وكتابُ « الاستثناءِ » ، وكتابُ « الإنقاذِ في الاعتقادِ » ، و« شرحُ الأربعينَ » تعليقاً ، وكتاباً عارضَ بهِ كتابَ إمامِ الحرمينِ « مغيثَ الخلقِ في اختيارِ الأحقِّ » ، يذهبُ إلى أنَّ أحقَّ العلماءِ أنْ يُقلَّدَ دونَ غيرِهِ الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ ، كما عيَّنَ إمامُ الحرمينِ في كتابِهِ الإمامَ الشافعيَّ ، وكتابَ « الذخيرةِ » في مذهبِ مالكٍ ، و« مختصرَ شرحِ التِّلِمْسانيِّ » للجلَّابِ ، وكتاباً سمَّاهُ « القواعدَ » نحا فيهِ نحوَ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ في كتابِهِ « القواعدِ »[5] ، وغيرَ ذلكَ[6] .

(١) **والسبكي** : هو شرف الدين أبو حفص عمر بن عبد الله بن صالح، الماؤ في (٢/ ١٢٥ـ ١٢٦).

(٢) كذا في الأصل بزيادة (أيضاً) في الموضعين ، ولعل الصواب حذفها ، والله تعالى أعلم .

(٣) وهذه المدرسة بجوار الجامع الأزهر ، وهي غَرْبيُّه مما يلي الجهة البحرية ، أنشأها الأمير علاء الدين طيبرس الخازنداري نقيب الجيوش . انظر « المواعظ والاعتبار » (٤/ ٢٣١) .

(٤) و« المحصول » للإمام الفخر الرازي رحمه الله تعالى .

(٥) وهو كتابه النفيس المسمى : « أنوار البروق في أنواء الفروق » .

(٦) سرد مؤلفاته ابن فرحون في « الديباج المذهب » (ص٦٤ـ٦٥) .

وكانَ رحمَهُ اللهُ حسنَ الهيئةِ ، رائقَ المنظرِ ، فصيحَ العبارةِ ، حلوَ الكلامِ ، ليِّنَ الجانبِ ، جميلَ الهيئةِ ، يُقرِّبُ للطالبِ البعيدَ ، ويُوضِّحُ لهُ المشكلَ ، ولم يَزَلْ بينَ إفادةٍ وتصنيفٍ ، وجمعٍ وتأليفٍ ، وقراءةٍ وإقراءٍ . . إلى أنِ انتقلَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ .

تُوفِّيَ في سنةِ أربعٍ وثمانينَ وستٍّ [مئةٍ][1] .

* * *

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٥١/١٧٦ـ١٧٧) ، و« الوافي بالوفيات » (٦/١٤٦ـ١٤٧) ، و« الديباج المذهب » (ص٦٢ـ٦٧) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ المقرئُ الأصوليُّ النحويُّ علمُ الدينِ أحمدُ بنُ إبراهيمَ القِمَّنيُّ الشافعيُّ]

العلمُ الفردُ بينَ الأعلامِ ، والحليمُ الرشيدُ الذي تحيَّرَتْ فيهِ النُّهىٰ والأفهامُ ، ولم يقدُرِ المادحونَ قدرَهُ حتىٰ قالوا : قدرُهُ إلهامٌ[1] ، عُوِّضَ عن بصرِهِ ببصيرتِهِ ، وعن سرورِ سرِّهِ بنظرةِ حسنِ سريرتِهِ ، ينظرُ مِنْ ذكائِهِ ببصرٍ حديدٍ ، ويستمدُّ مِنْ إدراكِهِ ببحرٍ مديدٍ ، وينفقُ فوائدَ مِنْ حاصلٍ لا يخلو ساعةً مِنْ محفوظٍ جديدٍ ، طالما حفظَ الكثيرَ مِنْ مرَّةٍ ، وانخذلَ خصمُهُ مِنْ كرَّةٍ .

فللَّهِ درُّهُ مِنْ حافظٍ ذاكرٍ ثقَّفَ الذِّكرُ حفظَهُ تثقيفاً ، ونظَّارٍ بزَّ النُّظَّارَ وإنْ كانَ كفيفاً ، ومُهذِّبٍ جمعَ المهابةَ واللِّيانَ فأصبحَ جليلاً في العيونِ لطيفاً !![2] .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ علمُ الدينِ أحمدُ بنُ صفيِّ الدينِ إبراهيمَ بنِ حسنٍ القِمَّنيُّ ، المقرئُ النحويُّ الأصوليُّ .

وُلِدَ بقِمَّنَ ونشأَ بها ، وحضرَ إلىٰ مصرَ ، **وقرأَ القرآنَ الكريمَ** : على الزينِ بنِ دينارٍ ، وعلى الشيخِ كمالِ الدينِ بنِ شجاعٍ ، وعلى الكريمِ المعروفِ

(١) أخذ هٰذا المعنىٰ من قول أبي تمام في مدح المأمون : (من الكامل)

مَنْ لا يحيطُ الواصفونَ بقدرِهِ ... حتىٰ يقولوا قدرُهُ إلهامُ

انظر « ديوانه » (٣/ ١٥٣) .

(٢) في الكلام إشارة إلىٰ بيت أبي تمام : (من الكامل)

قَطَبَ الخشونةَ واللِّيانَ بنفسِهِ ... فغدا جليلاً في العيونِ لطيفا

انظر « ديوانه » (٢/ ٣٨١) ، و« ديوان المعاني » (١/ ٥٦) .

بـ (عصا عبدِ الظاهرِ) ، وقرأَ الفقهَ : على الشيخِ ضياءِ الدينِ بنِ المقسطيِّ ، وحضرَ درسَ الشيخِ بهاءِ الدينِ ابنِ الجُمَّيزيِّ ، والفقيهِ وجيهِ الدينِ البهنسيِّ وقرأَ عليهِ ، وقرأَ أصولَ الدينِ والفقهِ : علىٰ أبي الكرمِ بنِ المقسطيِّ ، وعلى الشيخِ ضياءِ الدينِ بنِ المقسطيِّ ، وعلى الشيخِ شرفِ الدينِ بنِ التِّلِمْسانيِّ .

واستفادَ : مِنَ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، ومِنَ الشيخِ شمسِ الدينِ الخُسْرَوشاهيِّ ، وسمعَ : الشيخَ زكيَّ الدينِ وأقرانَهُ ، وسمعَ الكثيرَ ، وأعادَ في المدرسةِ الظاهريةِ في درسِ قاضي القضاةِ تقيِّ الدينِ بنِ رُزينٍ ، وأعادَ في مدارسَ .

وسمعتُ بعضَ الأصحابِ مِنَ المشايخِ يقولُ : (لقَّنتُ علمَ الدينِ بنَ الصفيِّ في صحبتي لهُ اثني عشرَ كتاباً)[1] .

وقد قدَّمتُ عنهُ ما كانَ يتَّفقُ لهُ معي ومعَ والدي ممَّا يُؤذِنُ بذكائِهِ وتفرُّدِهِ في ذُكرِهِ[2] .

وأنا أُردِفُها الآنَ بحكايةٍ أخرىٰ حكاها لي بعضُ العدولِ الأكابرِ عنهُ ، قالَ : (ركبَ العَلَمُ في سفينةٍ مصعداً ، فاتَّفقَ أنَّهُ صادفَ في المركبِ رجلاً نصرانياً ، فتولَّعَ بهِ المسلمونَ يُعنِّفونَهُ علىٰ نصرانيَّتِهِ ، ويذكرونَ لهُ أنَّهُ ليسَ علىٰ شيءٍ ، وأنَّ أهلَ دينِهِ تغلبُ عليهِمُ البلادةُ وإظلامُ الذهنِ بالكفرِ ، وأنَّ أهلَ دينِ الإسلامِ يغلبُ عليهِمُ الذكاءُ ؛ لاستضاءتِهِم بنورِ الإيمانِ .

قالَ النصرانيُّ : فأَرُوني مِنْ أذكيائِكُم رجلاً ، فقالُوا : معَنا في السفينةِ

(١) قوله : (لقَّنت) غير معجمة في الأصل ، فاجتهدت في ضبطها ، ولعل المراد : أنه كان قرأ له اثني عشر كتاباً وهو يستمع ؛ لكونه ضريراً ، والله تعالىٰ أعلم ، وفي (ب) : (لقيت) .

(٢) انظر (١/ ١٢٧) .

الشيخُ علمُ الدينِ مِنْ أذكى خليقةِ اللهِ تعالى ، يحفظُ سبعينَ بيتاً مِنْ مرَّةٍ واحدةٍ ، ويُسلِّمُ عليهِ الشخصُ في عمرِهِ مرَّةً واحدةً ، فلا يعودُ يسألُهُ حينَ يُسلِّمُ عليهِ ثانياً : مَنْ أنتَ ؟ بل يُسمِّيهِ باسمِهِ .

قالَ : اجمعوا بيني وبينَهُ ، فقالَ لهُمُ الشيخُ علمُ الدينِ ـ وطمعَ في إسلامِهِ ـ : اشرطُوا عليهِ أنَّهُ يُسلِمُ متى اتَّفقَ لهُ منِّي هٰذا ، فشرطُوا عليهِ أنْ يحضرَ إلى الشيخِ علمِ الدينِ بعدَ ثلاثِ سنينَ ، ويُسلِّمُ عليهِ مِنْ غيرِ شعورٍ بهِ ، فيُسمِّيهِ باسمِهِ ويرُدُّ عليهِ : وعليكَ السلامُ يا فلانُ ، ومتى اتَّفقَ مِنَ الشيخِ ذلكَ فهوَ مسلمٌ ، فأعطاهُم صفقةَ يدِهِ ، وأشهدَهُم على نفسِهِ بذلكَ طامعاً أنَّ ذلكَ لا يكونُ أبداً ، ثمَّ حضرَ إلى الشيخِ علمِ الدينِ ، فسلَّمَ عليهِ ، ورافقَهُ في المركبِ إلى أنْ بلغَ كلٌّ منهُم مقصدَهُ وتفرَّقُوا .

ثمَّ بعدَ ثلاثِ سنينَ حضرَ النصرانيُّ إلى القاهرةِ في قضاءِ شغلٍ لهُ ، فصادفَ الشيخَ علمَ الدينِ في الطريقِ ، فقالَ : لأَمتحنَنَّهُ ؛ ظنّاً منهُ أنَّ الذي شرطَهُ علمُ الدينِ لا يكونُ ، فأتى إليهِ وقالَ : السلامُ عليكُم سيِّدَنا علمَ الدينِ ، قالَ : فجذبَ يدَهُ مِنْ يدِ طالبٍ كانَ يقودُهُ ، ووضعَها على ذقَنِهِ لمحةً لطيفةً مُفكِّراً ، ثمَّ قالَ : وعليكَ السلامُ يا شيخُ فلانُ ـ باسمِهِ ـ هل قلعتَ ثنيَّةً مِنْ ثناياكَ ؟ قالَ : نعم ، قالَ : لعلَّها اليسرى ؟ قالَ : نعم ، فقالَ لهُ الشيخُ علمُ الدينِ : هل وفَّيتُ بما قلتُ ؟ قالَ : نعم وزِدْتَ أيُّها الشيخُ بارَكَ اللهُ فيكَ ، فقالَ لهُ الشيخُ : أَوْفِ بشرطِكَ ، فقالَ : نعم ، أشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وأشهدُ أنَّ محمَّداً رسولُ اللهِ ، وصحبَ الشيخَ علمَ الدينِ وانتفعَ بهِ) .

وحكى الشيخُ الأديبُ سراجُ الدينِ الورَّاقُ قالَ : (حضرتُ في مأتمٍ ، فأنشدتُ قصيدةً ، ولم أكنْ قطُّ رأيتُ العلمَ القِمَّنيَّ قبلَ ذلكَ ، فوقعَتْ مِنَ الحاضرينَ أحسنَ موقعٍ واستُحسِنَتْ .

فلمَّا تفرَّقَ الناسُ اجتمعَ بي جماعةُ الأكابرِ الذينَ حضرُوا المأتمَ ، فجبرُوا وشكرُوا مِنْ حسنِ القصيدةِ ، ومعَهُم رجلٌ ضريرٌ ، فقالُوا لهُ : هـٰذا الأديبُ سراجُ الدينِ ـ وذكرُوا أوصافاً كثيرةً ـ فلمَّا فرغُوا قالَ : أنشدَ الأديبُ سراجُ الدينِ القصيدةَ إنشاداً حسناً ، لـٰكنْ يا مولايَ سراجَ الدينِ ؛ فضائلُكَ مشهورةٌ ، وما كانَ فلانُ الدينِ ـ عنِ الميِّتِ ـ يستحقُّ عليكَ أنْ تنشئَ لهُ قصيدةً ترثيهِ بها حتى انتحلتَ قصائدَ الناسِ ورثيتَهُ بها !!) .

قالَ : (فقلتُ : واللهِ ؛ هـٰذهِ القصيدةُ مِنْ نظمي وأنشأتُها البارحةَ ، ولم يقفْ أحدٌ عليها إلىٰ أنْ أنشدتُها ، فقالَ علمُ الدينِ : واللهِ ؛ هـٰذهِ حفظتُها مِنْ مُدَّةٍ وما رأيتُ قائلَها مِنْ أهلِ عصرِنا ، فأخذَني ما قَدُمَ وما حَدَثَ ، فقالَ : يا جماعةُ ؛ خُذوها عليَّ) ، قالَ[1] : (فأنشدَني إيَّاها لم يُغيِّرْ فيها إلا مواضعَ بأحسنَ مِنْ لفظي) .

قالَ : (فلم أتركِ المِراءَ بل قلتُ : قد يقعُ الخاطرُ على الخاطرِ كما يقعُ الحافرُ على الحافرِ ، قالَ : يا سيِّدي ؛ يقعُ الحافرُ على الحافرِ مِنْ أولِ الميدانِ إلىٰ آخرِهِ ؟! قالَ : فأُسكِتُّ ولم أُحِرْ جواباً .

وكانَ قد وصَّى الحاضرينَ وأنا لا أعرفُ خبرَهُ ، فرجعَ وقالَ لي : يا سيِّدي سراجَ الدينِ ؛ القصيدةُ لكَ لا لغيرِكَ ، لـٰكنِّي حفظتُها مِنْ إنشادِكَ الآنَ ، فقلتُ : واللهِ ؛ شككتَني في نفسي ، كيفَ تحفظُ هـٰذهِ القصيدةَ وهيَ تزيدُ على الستينَ بيتاً مِنْ مرَّةٍ ؟! فأقرَّ الحاضرُونَ لهُ بذلكَ ، وكانَتْ بدايةَ الصحبةِ بيني وبينَهُ) .

واتَّفقَ لشيخِنا محيي الدينِ بنِ الدَّميريِّ قارئِ المصحفِ بجامعِ مصرَ معَهُ

(١) زاد في الأصل : (قال) .

نظيرُ ذلكَ ، في تصديقةٍ صنعَها لهُ بعضُ أدباءِ دمشقَ ، وحفظَها ، ولم يكتبْ لغيرِهِ نسخةً منها ، فقالَها محيي الدينِ عقيبَ ختمِ القرآنِ في شهرِ رمضانَ ، وكانَ العلمُ حاضراً فحفظَها وعرضَها ، فأقسمَ عليهِ محيي الدينِ ألا يُمليَها لأحدٍ ، فسمعَ منهُ ، وأبرَّ قسمَهُ .

هٰذا الذكاءُ الذي يبلغُ عَنانَ السماءِ ، لا ذكاءُ أبي العلاءِ .

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ ٱلشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ[1]

هٰذا معَ أنَّهُ يغتذي ما وجدَ ، وذاكَ يرتاضُ فلا يأكلُ مِنْ ذي روحٍ في جسدٍ[2] ، إنَّما هوَ نورٌ يهبُهُ علامُ الغيوبِ ؛ فإنَّها لا تعمى الأبصارُ ولٰكنْ تعمى القلوبُ .

وُلِدَ هٰذا الشيخُ علمُ الدينِ بقِمَّنَ يومَ الأربعاءِ ثامنِ شعبانَ ، سنةَ عشرينَ وستٍّ مئةٍ ، [وتُوفِّيَ في جمادى الأولىٰ سنةَ ستٍّ وثمانينَ وستٍّ مئةٍ] ، رحمَهُ اللهُ[3] .

* * *

(١) البيت للمتنبي في « ديوانه » (٣/ ٨١) ، وهو من البسيط .

(٢) ومعنىٰ هاتين العبارتين : أن العلم القِمَّني لا ينتقي ما يأكله ، بل كان يأكل كل ما وجده وتيسَّر له ، بينما كان أبو العلاء المعري ينتقي ما يأكله ويتخيره ، فما كان يأكل اللحوم وغيرها من كل ما كان فيه روح حالة في جسد مما يؤثر على الحفظ والذكاء . انظر « تاريخ بغداد » (٤/ ٤٦٤) ، و« إنباه الرواة » (١/ ٨٣) .

(٣) انظر « الوافي بالوفيات » (٦/ ١٣٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٥) ، و« نكت الهميان » (ص٦٦-٦٧) ، وما بين معقوفين بياض في الأصل .

ومنهُمُ :

[الإمامُ الشريفُ شرفُ الدينِ
محمدُ بنُ عمرانَ الفاسيُّ المالكيُّ الشافعيُّ]

السيدُ الشريفُ ، والعفيفُ الظريفُ ، والمُنفرِدُ بخلائقَ لو مازجَتْ خُلُقَ الزمانِ الفَدْمِ غدا وهوَ لطيفٌ[1] ، فهوَ بدرُ هدىً طلعَ ، ونهرُ ندىً نبعَ ، ودوحةُ مجدٍ فاقَ باسقُها المُطاوِلَ وفَرَعَ ، سادَ بعلمِهِ كلَّ مُسوَّدٍ ، ونزعَتْ بهِ أعراقُهُ حتىٰ بلغْنَ إلى النبيِّ محمَّدٍ ، صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، قدِ استظلَّ مِنَ الشرعِ بظلٍّ وارفٍ ، ولم يقنعْ بالحسبِ التليدِ حتىٰ ضمَّ إليهِ الطارفَ ، فهوَ المُعلَّمُ الطرفَينِ ، والشرفُ الحائزُ بالعلمِ والأصالةِ الشرفَينِ .

مِنْ مدينةِ فاسٍ منبتُهُ ، ومِنْ محاضرِ حضرتِها لسانُهُ ، ومِنْ بحارِ علمائِها نهرُهُ ، ومِنْ زاهرِ دوحِهِم ثمرُهُ ، أحرزَ بهِم وبها مِنَ العلمِ نصيباً وافراً ، ثمَّ ظعنَ عنها مُسافِراً ، وسارَ عنِ المغربِ مُواصِلاً تأويبَهُ بإدلاجِهِ[2] ، مُنتقِلاً انتقالَ الهلالِ في أبراجِهِ ، وهوَ في ضمنِ ذلكَ يزدادُ في كلِّ قُطْرٍ إضاءةً ، ويُوافقُ التوفيقُ مرامَهُ واقتضاءَهُ ، حتىٰ أدركَ بالمشرقِ شمسَ الدينِ شمسَ علمِ الكلامِ[3] ، وعلمَ الأعلامِ ابنَ عبدِ السلامِ[4] ، فتكفَّلا كمالَهُ ، وكمَّلا جمالَهُ ،

(١) أخذه من قول أبي تمام : (من الكامل)

وحلاوةُ الشِّيَمِ التي لو مازجَتْ خُلُقَ الزمانِ الفَدْمِ عادَ ظريفا

انظر « ديوانه » (٢/ ٣٨٧) ، والفَدْم : الرجل البعيد الفهم غير الفطن .

(٢) التأويب : السير نهاراً ، والإدلاج : السير ليلاً .

(٣) وهو الإمام لسان المتكلمين شمس الدين الخسروشاهي المار ترجمته في (٢/ ٣٥) .

(٤) وكان أول شيء سأله عنه ابن عبد السلام أثناء حضوره عنده عن المعتقد ، كما تقدم ذلك=

وأطلعاهُ بدراً مِنَ المشرقِ وهوَ نجلُ الإشراقِ ، وأطلقا في ميدانِ التصويبِ أعنَّةَ جيادِ إجادتِهِ أيَّما إطلاقٍ ، فلم يَزَلْ بينَ الديارِ المصريةِ والشاميةِ يُطيِّبُ واديَيهِما ، ويَعمُرُ ناديَيهِما ، حتى استقرَّ بمصرَ عصا تَسْيارِهِ ، وأضاءَ بها لامعُ أنوارِهِ ، فأقامَ بها ومكثَ ، حتىٰ وارىٰ جسدَهُ الجَدَثُ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ شرفُ الدينِ محمدُ بنُ عمرانَ بنِ موسى القاضي الخطيبِ ـ يعني : بفاسٍ ـ ابنِ عبدِ العزيزِ بنِ محمدِ بنِ حزمِ بنِ حميرِ بنِ معدِّ بنِ عبيدِ اللهِ بنِ إدريسَ بنِ إدريسَ[1] ـ أيضاً ـ ابنِ إبراهيمَ بنِ موسى بنِ موسى بنِ جعفرِ الصادقِ بنِ محمدِ الباقرِ بنِ عليِّ زينِ العابدينَ بنِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، رضيَ اللهُ عنهُ وعنهُم .

قرأَ القرآنَ الكريمَ[2] : علىٰ أبي سالمٍ الغماريِّ بالرواياتِ السبعِ جمعاً وإفراداً ، وأعربَ عليهِ القرآنَ بفاسٍ ، وبها تُوفِّيَ هٰذا الشيخُ المقرئُ سنةَ أربعٍ وأربعينَ وستِّ مئةٍ ، **وقرأَ بالسبعِ أيضاً** : على الشيخِ أبي الحجاجِ بنِ إبراهيمَ الكفيفِ ، كلاهُما عن أبي الجودِ محمدِ بنِ سنانٍ ، عنِ ابنِ الطراوةِ ، عنِ الدانيِّ .

ولبسَ مِنْ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ محمدٍ الفِشْتاليِّ خرقةَ التصوفِ ، عنِ ابنِ

= في (١/ ٢٩٢) ، وأثمر هٰذا اللقاء الأول فوائدَ نفيسة .

(١) في هامش (أ) : (منقول من خطه في مشيخته كذا ، **وهو فيه نظر** ؛ فإن إدريس بن إدريس حسني وليس حسينياً ، ثم وقفت بعد ذلك على ما أملاه لابن عبد الحميد في نسب إدريس بن إدريس على الصحة ، وانتهىٰ به إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ، **فليحرر ذلك**) ، وجاء نسبه في «المقفى الكبير» (٦/ ٢١٥) ، و« بغية الوعاة » (١/ ٢٠٢) على النحو التالي : (محمد بن عمران بن موسى بن عبد العزيز بن محمد بن حزم بن حمير بن معد بن عبيد بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب) ، ولعله أقرب إلى الصواب ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) بعض شيوخه الآتين لم أتحقق من ضبطه ؛ إذ لم أعثر على ترجمته .

حمُّويه ، عنِ الأعزبِ ، عنِ الشيخِ أحمدَ الرفاعيِّ .

وروى الحديثَ : عن أبي يوسفَ يعقوبَ بنِ عبدِ المؤمنِ بنِ موسى الفرُّوجيِّ ، وعن خالِهِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ أبي زكريا يحيى بنِ أبي فيَّاضٍ الهِزْميريِّ « مسندَ الشافعيِّ » رضيَ اللهُ عنهُ ، عن أبي القاسمِ الوريكيِّ بسندِهِ إلى الربيعِ ، ولقيَ الشيخَ الصالحَ أبا محمدٍ عبدَ السلامِ بنَ محمدٍ الويرانيَّ ، وكانَ قد زادَ على الثمانينَ سنةً ، وكانَ تاركاً لشربِ الماءِ مِنْ سنينَ ، وروىٰ هـٰذا الشيخُ لهُ عن أبي مدينَ شيئاً مِنْ كلامِهِ .

وصحبَ الشيخَ أبا محمدٍ صالحَ بنَ كَنُّونَ الهَسْكوريَّ الفاسيَّ ، **وروىٰ** : عن أبي محمدٍ عبدِ العزيزِ بنِ عبدِ اللهِ المعروفِ بـ (الإمامِ بجامعِ بوبو) ، يروي عن أبي زيدٍ عبدِ الرحمـٰنِ بنِ زيدونَ السبتيِّ ، **وروىٰ** : عن أبي محمدٍ عبدِ الجبارِ بنِ أبي الخيرِ الصِّنهاجيِّ الجيليِّ ، سمعَ السُّهَيليَّ وأقرانَهُ .

وروىٰ شرفُ الدينِ أيضاً : عن أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ عبدِ اللطيفِ النَّفْيُوسيِّ خطيبِ جامعِ أويماسَ مِنْ أغماتَ . . « إحياءَ علومِ الدينِ » وغيرَهُ مِنْ مصنفاتِ الغزاليِّ المُثبتةِ في « مشيختِهِ » التي جمعَها عن صالحِ بنِ سعدونَ السوسيِّ ، عن أبي سعيدٍ يخلفَ بنِ سنانٍ الحاحائيِّ ، عنِ المهديِّ ، عنِ الغزاليِّ ، وكذلكَ روىٰ بهـٰذا الإسنادِ « عقيدةَ المهديِّ »[1] ، وشافهَنا بقراءتِها .

قالَ الشيخُ شرفُ الدينِ : (وكانَ النَّفْيُوسيُّ يعطي السواكَ لمَنْ أرادَ أن ينسبَ إليهِ) ، فأعطاهُ سواكاً ، وكانَ عندَهُ [. . .][2] .

شيوخُهُ في الفروعِ : أبو القاسمِ بنُ قطرالَّ القرطبيُّ الحاكمُ بمدينةِ فاسٍ ؛

(١) انظر ما تقدم تعليقاً (١/ ٤٦٩) .

(٢) بياض في الأصل بمقدار كلمة تقريباً ، ولعلها : (يتبرك به) أو نحو ذلك .

قرأَ عليهِ كتبَ مذهبِ مالكٍ ، واستفادَ منهُ وتخرَّجَ بهِ ، وروىٰ عنهُ « صحيحَ مسلمٍ » بروايتِهِ عنِ ابنِ اللَّوانِ ، عن سفيانَ القاصِّ بسندِهِ إلىٰ مسلمٍ .

وقرأَ الشيخُ أيضاً كتابَ « أمالي السمعانيِّ » : علىٰ أبي إسحاقَ إبراهيمَ بنِ محمدٍ الريديِّ ، عن أبي عليٍّ الغسَّانيِّ ، عنِ ابنِ رندةَ ، عنِ المُصنِّفِ .

وقرأَ كتبَ الأدبِ : علىٰ أبي جعفرٍ أحمدَ بنِ أبي خالدٍ الجيَّانيِّ المقيمِ بأغماتَ ، **وقرأَ كتبَ العربيةِ** : على الشيخِ أبي محمدٍ عبدِ الجبارِ بنِ أبي الخيرِ الصِّنهاجيِّ الجيليِّ الأغماتيِّ ، **وقرأَ كتابَ « الجملِ » و« الإيضاحِ » بحثاً** : على الشيخِ الأديبِ أبي القاسمِ الزَّناتيِّ ، **وقرأَ علىٰ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ عقزا الغُماريِّ** : كتابَ « الإيضاحِ » و« ديوانَ حبيبِ بنِ أوسٍ الطائيِّ » ، كلُّ ما ذكرَهُ علىٰ ما ذكرَهُ في « مشيختِهِ » التي جمعَها بخطِّهِ ، ونقلتُ ذلكَ منها مُختصراً ، ولهُ مشايخُ آخرُونَ ذكرَهُم في « مشيختِهِ » المذكورةِ لا يسعُ الحالُ استيعابَهُم .

كانَ رحمَهُ اللهُ حسنَ الهيئةِ ، لطيفَ المعنىٰ ، كريمَ الأخلاقِ ، حلوَ العبارةِ ، ثاقبَ الفكرةِ ، مُوضِّحاً للمعاني الخفيَّةِ باللفظِ الجليِّ ، حريصاً علىٰ نفعِ الطلبةِ ، مُؤدِّباً لهُم أحسنَ تأديبٍ بتلطُّفٍ ، باشّاً في الملقىٰ ، كثيرَ الحفظِ سريعَهُ ، قلَّ مَنْ كانَ منَّا يقدرُ على استيعابِ ما يُلقيهِ مِنْ حفظِهِ مِنَ « الوسيطِ » مطالعةً ، وكانَ ماهراً في كلِّ علمٍ على انفرادِهِ ؛ مِنَ الحديثِ ، والتفسيرِ ، والفقهِ ، والعربيةِ ، والنحوِ ، وأصولِ الدينِ ، وأصولِ الفقهِ ، والخلافِ ، والمنطقِ ، وعلمِ المواقيتِ والهيئةِ ، والطبيعياتِ ، والرياضياتِ ، وكانَ مُطَّلِعاً علىٰ مسائلِ الخلافِ وأدلَّتِهِ[1] .

(١) بل قال الشهاب القرافي ـ وهو أحد من تخرج عليه وأخذ عنه علماً غزيراً وخصوصاً المذهب المالكي ـ : (إنه تفرَّد بمعرفة ثلاثين علماً وحده ، وشارك الناس في علومهم) انظر « الديباج المذهب » (ص٣٣٢) .

ويكفيهِ علماً أنَّهُ كانَ ينتحلُ مذهبَ الإمامِ مالكِ بنِ أنسٍ ، فلمَّا حضرَ مِنَ الكَرَكِ إلىٰ مصرَ شغرَتِ المدرسةُ التي بإطفيحَ وهيَ شافعيةٌ ، فقالَ الصاحبُ بهاءُ الدينِ : لو أنَّ الشيخَ شرفَ الدينِ شافعيُّ المذهبِ ولَّيناهُ مدرسةَ إطفيحَ ، فقالَ لهُ الصاحبُ زينُ الدينِ عن ذلكَ ، فقالَ : الشافعيُّ ومالكٌ والأئمَّةُ كلُّهُم على الحقِّ ، أُشهِدُكُم أنِّي انتحلتُ مذهبَ الشافعيِّ في الفروعِ وقلَّدتُهُ فيها ، فوقَّعَ لهُ بالمدرسةِ ، وكانَ يُقرِّرُ مذهبَ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ أحسنَ تقريرٍ ، وطالعَ كتبَ الشافعيةِ ، وحفظَ أكثرَ « الوسيطِ » ، وكانَ يُلقي الدرسَ مِنْ صدرِهِ .

[وليَ] قضاءَ الكَرَكِ والشَّوْبَكِ وأعمالِهما ، ثمَّ اقتصرَ على الكَرَكِ ، وكانَ معَهُ مشهدُ الإمامِ جعفرِ بنِ أبي طالبِ المنعوتِ بالطيَّارِ رضيَ اللهُ عنهُ ، ثمَّ حضرَ إلىٰ مصرَ فأقامَ بها مدَّةً لطيفةً ، ثمَّ درَّسَ بإطفيحَ بمدرستِها .

وكانَ يحضرُ في أشهرِ البطالةِ إلىٰ مصرَ ، ويُقرَأُ عليهِ بالجامعِ بعدَ الصبحِ ميعادٌ عامٌّ مِنَ الحديثِ والتفسيرِ والرقائقِ ، ثمَّ تأخذُ عليهِ الطلبةُ دروساً مِنْ أصولِ الفقهِ والدينِ ، والتفسيرِ ، والحديثِ ، ومذهبِ مالكٍ والشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُما ، ثمَّ يحضرُ بعدَ العصرِ بالجامعِ ، وتستمرُّ القراءةُ عليهِ إلى المغربِ ، ثمَّ يجلسُ بينَ العشاءينِ .

وكنتُ آخذُ عليهِ في تلكَ المدَّةِ في كلِّ يومٍ ثلاثةَ دروسٍ مِنْ أصولِ الفقهِ وأصولِ الدينِ في الثلاثةِ أوقاتٍ اغتناماً لزمنِهِ[1] .

فلمَّا بنى الأميرُ علاءُ الدينِ طَيْبرسُ الوزيريُّ رحمَهُ اللهُ المدرسةَ التي تُعرَفُ بهِ بمصرَ . خطبَهُ لتدريسِها ، فذكرَ لهُ أنَّهُ ذو عائلةٍ وأنَّ جامكيَّةَ المدرسةِ

(١) قوله : (الثلاثة أوقات) كذا في نسختينا ، والقياس : (الثلاثة الأوقات) .

لا تقومُ بهِ ، فتكفَّلَ لهُ بكلِّ ما يحتاجُ إليهِ ، فباشرَ تدريسَها للطائفةِ الشافعيَّةِ ، ثمَّ أخذَ لهُ الإعادةَ بمدرسةِ الإمامِ الشافعيِّ بجانبِ ضريحِ الإمامِ الشافعيِّ ، وكانَتْ إذْ ذاكَ أعظمَ مِنَ التدريسِ ، ولم يَزَلْ بالمدرسةِ الطَّيْبرسيَّةِ إلى أنْ تُوفِّيَ في الحادي والعشرينَ مِنْ شهرِ ربيعٍ الآخرِ ، سنةَ ستٍّ وثمانينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

(١) انظر « الديباج المذهب » (ص٣٣٢) ، و« المقفى الكبير » (٦/ ٢١٥) ، و« بغية الوعاة » (١/ ٢٠٢ـ٢٠٣) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ علمُ الدينِ عبدُ اللهِ بنُ جمالِ الدينِ المُدْلجيُّ]

الشيخُ الإمامُ الصالحُ ، والمبايعُ الرابحُ ، والغادي في رضا مولاهُ والرائحُ ، الورعُ إذا تخيَّلَ الحرجَ ، والشافي بفتاويهِ وأحكامِهِ فكَمْ خناقٍ بهما انفرجَ !! فهوَ العلمُ المنتصبُ للهدايةِ ، والعالمُ الذي أحكمَتْ مبادئَهُ الدرايةُ ، وحكمَتْ نهايتَهُ العنايةُ ، أوقاتُهُ معمورةٌ بالأذكارِ ، والبحثِ والتَّكرارِ ، لا يصرفُها في شيءٍ غيرِ العبادةِ ، ولا يُضيِّعُها في غيرِ إفادةٍ أوِ استفادةٍ ، شديدُ البأسِ إذا انتُهِكَتِ المحارمُ ، حادُّ النفسِ إلا على الأخيارِ فهوَ متواضعٌ راحمٌ ، لم يَزَلْ على استقامةِ الحالِ ، إلىٰ [أنْ] زُمَّتْ مطاياهُ للارتحالِ ، فتولَّىٰ لمَنْ كانَ يتولاهُ ، وتُوفِّيَ إلىٰ رحمةِ اللهِ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ الشيخُ علمُ الدينِ عبدُ اللهِ بنُ جمالِ الدينِ أبي الحجاجِ يوسفَ بنِ عليِّ بنِ حمودِ بنِ ظاعنِ بنِ سليمانَ المُدْلجيُّ .

وُلِدَ بمِنْيةِ سمنودَ ، ثمَّ حضرَ إلىٰ مصرَ ـ بعدَ أنْ قرأَ القرآنَ ببلدِهِ ، وعلى الفقيهِ لقمانَ بسمنودَ[1] ـ **فاشتغلَ بالعلمِ الشريفِ** : على الشيخِ أبي الطاهرِ وابنِ الجُمَّيزيِّ ، وحضرَ دروساً يسيرةً مِنْ دروسِ القاضي عمادِ الدينِ ابنِ السكَّريِّ ، **ثمَّ أتمَّ اشتغالَهُ بالمدرسةِ المعروفةِ بـ (منازلِ العزِّ)** : على الشيخِ أبي العباسِ الأَهْناسيِّ ، وعلى الشيخِ سيفِ الدينِ منصورٍ ، المُقدَّمِ ذكرُهُما .

(١) زاد في (أ، ب) : (ثم حضر إلىٰ مصر) ، ولعل الصواب حذفها ، والله تعالىٰ أعلم .

وقرأَ الأصولَين : على القاضي جمالِ الدينِ ابنِ رشيقٍ ، وعلى الشيخِ ضياءِ الدينِ عبدِ الحكمِ بنِ المقسطيِّ ، وسمعَ شهادتَهُ وسجَّلَ عدالتَهُ : قاضي القضاةِ شرفُ الدينِ أبو المكارمِ بنُ عينِ الدولةِ ، ووليَ العقودَ : لقاضي القضاةِ بدرِ الدينِ السِّنْجاريِّ .

ثمَّ لم يَزَلْ مُتنقِّلاً في المناصبِ الدينيةِ ، ودرَّسَ بالفيومِ وبلبيسَ . . إلىٰ أنْ عادَ إلىٰ مصرَ ، وتولَّىٰ نيابةَ الحكمِ بالحسينيةِ ، وأُذِنَ لهُ في الحكمِ بالقاهرةِ المعزيةِ نائباً ، ثمَّ نابَ في الحكمِ بمصرَ المحروسةِ عن قاضي القضاةِ محيي الدينِ بنِ عينِ الدولةِ في أواخرِ أيامِهِ مِنْ غيرِ أنْ يجلسَ في موضعِ النيابةِ ، ثمَّ استمرَّ على العقودِ والفروضِ والفسوخِ إلىٰ زمنِ قاضي القضاةِ وجيهِ الدينِ البَهْنسيِّ ، فولاهُ نيابةَ الحكمِ بمصرَ ، ثمَّ صرفَ نفسَهُ منها سنةَ أربعٍ وثمانينَ .

واستمرَّ علىٰ أخذِ العلمِ وتدريسِهِ ، وملازمةِ جامعِ مصرَ ، وإقراءِ العلومِ وإفادةِ الطلبةِ .

وكانَ حسنَ الاعتقادِ ، مُتواضِعاً ، طلقَ الوجهِ ، باشّاً للطلبةِ وأهلِ العلمِ ، مُحِبّاً لهُم ، مُشفِقاً عليهِم ، حريصاً علىٰ نفعِهِم ، شديدَ الإنكارِ علىٰ أهلِ البدعِ في المُعتقَداتِ وغيرِها .

تُوفِّيَ ليلةَ الخميسِ الحادي والعشرينَ مِنْ شهرِ ربيعٍ الآخرِ سنةَ ستٍّ وثمانينَ وستِّ مئةٍ ، وصُلِّيَ عليهِ باكرَ النهارِ ، ودُفِنَ بقرافةِ مصرَ ، رحمَهُ اللهُ .

* * *

ومنهُمُ :

[الإمامُ أمينُ الدينِ عبدُ الصمدِ بنُ عبدِ الوهابِ ابنُ عساكرَ الدمشقيُّ المكيُّ]

الذي جمعَ السيادةَ تالداً وطارفاً ، واستظلَّ مِنَ الشرعِ ظلّاً وارفاً ، ولم يَزَلْ طولَ دهرِهِ معكوفاً على الحرمِ وبهِ عاكفاً ، وأحرزَ بأسلافِهِ وإسلافِهِ الشرفَ وحبَّذا المشرَّفانِ سلفاً وسالفاً .

سلِ الحشويةَ عنهُ [تقلْ] : ما أشبهَ الليلةَ بالبارحةِ ، والعصابةَ المقيمةَ بالنازحةِ !! طالَما نزلَ بساحتِهِم فساءَ صباحُ المُباكَرِ لا المُباكِرِ ، وهُزِمَ بهِ جمعُ البدعِ كيفَ لا وهوَ ابنُ عساكرَ ؟! وكُسِرَ بهِ مِنْ جوارحِ المُجسِّمةِ كلُّ عُقابٍ كاسرٍ ، ورجعَتْ منهُ الأصواتيَّةُ بصفقةِ المغبونِ الخاسرِ ، وقدحَ في معتقدِهِم بما ورثَهُ مِنَ الكلامِ وبيانِهِ ، وجرحَ شهودَهُم فاستحقَّ أن يُنعَتَ بالجرَّاحِ كيفَ لا وهوَ أمينُ أهلِ زمانِهِ ؟!

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ أمينُ الدينِ عبدُ الصمدِ بنُ عبدِ الوهابِ بنِ [الحسنِ بنِ محمدِ بنِ هبةِ اللهِ] ابنُ عساكرَ[1] ، الدمشقيُّ الأصلِ والمولدِ ، المكيُّ الدارِ والجوارِ .

كانَ ذا حالٍ معَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، كثيرَ الزهدِ غزيرَ الورعِ ، مشهوراً بإكرامِ الواردينَ على كثرتِهِم ، مذكوراً بالتواضعِ على عظيمِ المنزلةِ ، ولم يَزَلْ على حالٍ مرضيَّةٍ في دينِهِ ودنياهُ إلى أنْ رأى رؤيا أوجبَتِ انتقالَهُ إلى حرمِ سيِّدِنا

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) .

رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فتُوفِّيَ بالمدينةِ ، ولهُ مِنَ الكراماتِ ما لا يسعُ الحالُ ذكرَهُ[1] .

تُوفِّيَ [في المدينةِ في سلخِ جمادى الأولىٰ سنةَ ستٍّ وثمانينَ] وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[2] .

* * *

(١) وكانت تجمعه بالإمام النووي محبة وصداقة ، قال الشيخ علاء الدين العطار : لما ودَّعت الشيخ الإمام العالم العلامة الزاهد محيي الدين النووي رحمه الله تعالىٰ بنوىٰ حين أردت السفر إلى الحجاز . . حمَّلني رسالة في السلام عنه للإمام جار الله أبي اليمن عبد الصمد ابن عساكر ، فلما بلَّغته سلامه ردَّ عليه السلام ، وسألني عنه : أين تركته ؟ فقلت : ببلده نوىٰ ، فأنشدني بديهاً : [من الكامل]

أمُخَيِّمِينَ علىٰ نوىٰ أشتاقُكم ... شوقاً يُجدِّدُ لي الصبابةَ والجوىٰ

وَأرومُ قربَكُمُ لأنيَ مُرتجٍ ... يا سادتي قربَ المقيمِ علىٰ نوىٰ

وانظر « فوات الوفيات » (٢/ ٣٢٨) .

(٢) ومن مؤلفاته الماتعة : « إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النبي صلى الله عليه وسلم » ، وانظر « تاريخ الإسلام » (٥١/ ٢٦٨ـ٢٧٠) ، و« فوات الوفيات » (٢/ ٣٢٨ـ٣٣٠) ، و« التحفة اللطيفة » (٣/ ١٨ـ٢٠) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ شرفُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عبدِ الحكمِ السعديُّ الشافعيُّ المعروفُ بـ (ابنِ الماشطةِ)]

الضابطُ المُحصِّلُ ، والمُتوسِّلُ إلىٰ رضا ربِّهِ بخُلُقِهِ الجميلِ والمُتوصِّلُ ، الذي أفنىٰ عمرَهُ بينَ قراءةٍ وإقراءٍ ، وتسبيحٍ وإملاءٍ ، وإفادةٍ واستفادةٍ ، وتجويدٍ وإجادةٍ ، وعمارةِ الأوقاتِ بالذكرِ والعبادةِ ، مُستضيئاً بنورِ السنَّةِ التي اتَّبعَها ، مُتَّبِعاً للتابعينَ الذينَ قطعُوا عنِ النفوسِ طمعَها ، مُحلِّياً نفسَهُ بحليةِ التقوى التي أفادَتْها ورعَها .

لا جرمَ أنَّهُ سُمِّيَ شرفاً ، حينَ سما وحسبُهُ ما حازَ مِنَ المناقبِ فخراً وكفىٰ .

ولم يَزَلْ خادماً سنَّةَ الرسولِ يكتبُ ويُملي ، ويقرأُ ويُقري . . إلىٰ أنِ انتقلَ إلىٰ ما أعدَّ ، ووجدَ الزُّلفىٰ أسوةَ أمثالِهِ ممَّنْ وجدَ مَا لَهُ جَدَّ ، فوافى الرضوانَ ، وجاورَ رضوانَ ، رحمَهُ اللهُ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ شرفُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ[1] محمدُ بنُ عبدِ الحكمِ السعديُّ الشافعيُّ ، يُعرَفُ بـ (ابنِ الماشطةِ) .

سمعَ الكثيرَ مِنَ الحديثِ : علىٰ أبي العباسِ ابنِ تَامتِّيتَ ، والشيخِ رشيدِ الدينِ ، والشيخِ زكيِّ الدينِ عبدِ العظيمِ ، وأقرانِهِم ، وكتبَ الكثيرَ وقرأَ ، وكانَ لهُ خطٌّ سفرٍ تغلبُ عليهِ الصحةُ .

وكانَ كثيرَ التحصيلِ ، حريصاً على الفوائدِ ، علَّقَ التعاليقَ الكثيرةَ والحواشيَ

(١) كنيته في « المقتفي » (٢/ ١٢٢) : (أبو القاسم) .

المستحسنةَ ، ولم يَزَلْ على طريقةٍ حميدةٍ ، وحالٍ مِنَ الورعِ جميلةٍ ، وأقامَ في آخرِ عمرِهِ نحوَ عشرينَ سنةً لم يدخلِ الحمَّامَ خيفةً مِنْ نظرِ العوراتِ ، وكانَ يقرأُ الميعادَ بينَ الصلاتَينِ في الجامعِ ، وكانَ شيخاً بالرباطِ الصاحبيِّ بسوقِ وردانَ .

ولم يَزَلْ حسنَ الاعتقادِ ، مُتبرِّئاً مِنِ اعتقادِ الحشويةِ ، مُحِبّاً لأهلِ السنَّةِ ، هاجراً لأهلِ البدعةِ ، مُؤثِراً للخمولِ على الظهورِ ، مُتواضِعاً ، حسنَ المَلْقى . . حتى قبضَهُ اللهُ إليهِ .

تُوفِّيَ في خامسَ عشرَ رمضانَ سنةَ ستٍّ وثمانينَ وستِّ مئةٍ رحمَهُ اللهُ ، ورثاهُ السراجُ الورَّاقُ بأبياتٍ ، وهيَ ممَّا أجازَنيهِ : [من الطويل]

بَكَى جَامِعُ ٱبْنِ ٱلْعَاصِ فَقْدَكَ طَائِعًا ... غَدَا مُسمِعاً قَوْلَ ٱلرَّسُولِ وَسَامِعَا
يُقَضِّي بِهِ حَرَّ ٱلْهَوَاجِرِ رَاغِباً ... إِلَى ٱللهِ فِي طُرْقِ ٱلْجِنَانِ مُسَارِعَا

منها :

أَتَالِيَ ذِكْرِ ٱللهِ فِي غَسَقِ ٱلدُّجَا ... أَنِيساً فَقَدْ أَمْسَى أَنِيساً مُضَاجِعَا
وَفِي ٱلْعِلْمِ قَدْ أَنْفَقْتَ عُمْرَكَ كُلَّهُ ... فَمَا كَانَ عِنْدَ ٱللهِ أَجْرُكَ ضَائِعَا
وَمَا زِلْتَ تَسْعَى مُسْتَفِيداً وَبَعْدَ ذَا ... مُفِيداً إِلَى أَنْ نِمْتَ فِي ٱلْخُلْدِ وَادِعَا
حَمِدْتَ ٱلسُّرَى عِنْدَ ٱلصَّبَاحِ وَقَدْ جَلا ... لَكَ ٱللهُ صُبْحاً مِنْ يَقِينِكَ سَاطِعَا
وَقَدْ كُنْتَ فِي ٱلدُّنْيَا عَلَى قَدَمٍ بِهَا ... تُظَنُّ صَحَابِيّاً وَإِلا فَتَابِعَا
وَكُنْتَ مَلِيئاً مِنْ كِتَابٍ وَسُنَّةٍ ... جَمَعْتَهُمَا هُنِّيتَ لِلْخَيْرِ جَامِعَا
يُقَالُ لَكَ ٱقْرَأْ وَٱرْقَ فِي دَرَجِ ٱلْعُلا ... بِجَنَّاتِ عَدْنٍ يَا لَسَعْدِكَ طَالِعَا

آخرُها :

عَلَيْكَ سَلامُ ٱللهِ مَا لَمَعَ ٱلضُّحَى ... وَمَا أَخَذَتْ شُهْبُ ٱلنُّجُومِ ٱلْمَطَالِعَا[1]

(١) انظر « المقتفي » (٢/ ١٢٢ـ١٢٣) ، و« تاريخ الإسلام » (٥١/ ٢٨٢ـ٢٨٣) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ قطبُ الدينِ أبو بكرٍ محمدُ بنُ كمالِ الدينِ أبي العباسِ أحمدَ القسطلانيُّ]

الجامعُ شرفَ العلمِ إلىٰ كرمِ الأصالةِ ، السالكُ طريقَ الإرادةِ برياضةِ أدامَتْ وصالَهُ ، الذي فُتِحَ عليهِ في المعارفِ حينَ أمالَهُ السلوكُ إليها فيا حسنَهُ مِنْ فتحٍ وإمالةٍ !!

نشأَ بالحرمِ الآمنِ ، وظهرَ فيهِ سرُّ أبيهِ الكامنُ ، ولاحَتْ عليهِ بشائرُ إشاراتِ القرشيِّ في الظاهرِ والباطنِ ، وعُمِّرتْ بعباداتِهِ تلكَ الأماكنُ الشريفةُ والمواطنُ ، وخدمَ السنَّةَ وحديثَها ، لا وانيَ العزمةِ ولا مُستريثَها ، فدأبَ في الدرايةِ والروايةِ ، والرحلةِ التي رفعَتْ لهُ أشهرَ رايةٍ ، وبلَّغَتْهُ أبعدَ غايةٍ ، حتىٰ لُحِظَ بالعِيانِ ، وأُشِيرَ إليهِ بالبَنانِ ، هـٰذا وهوَ لابسٌ حُلَّةَ التصوفِ المُعلَمةَ ، وغارسٌ مِنْ سلوكِهِ ما يجتني ثمرَهُ ويجتبي مغنمَهُ ، ومُنافِسٌ في جواهرِ معارفِهِ المكرَّمةِ ، مُتواضِعاً للهِ كلَّما ازدادَ رفعةً ، طائعاً لربِّهِ مِنْ غيرِ رياءٍ ولا سمعةٍ ، وطالَما ربَّ المريدينَ وربَّىٰ ، وأَلَبَّ بالبيتِ العتيقِ ولبَّىٰ ، وذبَّ عنِ الحديثِ النبويِّ ذبّاً ، وكانَ عليهِ مدارُ الروايةِ والدرايةِ فلذلكَ استحقَّ أنْ يُسمَّىٰ قُطباً .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ الشيخُ الإمامُ العالمُ قطبُ الدينِ أبو بكرٍ محمدُ بنُ الشيخِ الإمامِ العالمِ كمالِ الدينِ أبي العباسِ أحمدَ بنِ عليِّ بنِ محمدِ بنِ الحسنِ بنِ عبدِ اللهِ ابنِ الميمونِ .

وُلِدَ بدارِ القرشيِّ بمصرَ بزقاقِ الطباخِ ، وهوَ مِنْ درجةِ القرشيِّ[1] ، وبشَّرَ

(١) قوله : (درجة) كذا في (أ، ب) ، ويحتمل أن تكون (دوحة) .

بهِ القرشيُّ ، وقرأَ العلمَ واشتغلَ بالحديثِ ، ورحلَ وحصَّلَ ، وجاورَ بمكَّةَ .

سمعَ أبا الحسنِ عليَّ ابنَ الخلَّالِ ، وسمعَ « الترمذيَّ » بمكَّةَ شرَّفَها اللهُ تعالىٰ[1] ، وسمعَ جماعةً مِنَ الرواةِ أسماؤُهُم مثبتةٌ في « مشيختِهِ » ، ودرَّسَ بدارِ الحديثِ الكاملية ، ولم يَزَلْ مُدرِّساً بها إلىٰ حينِ وفاتِهِ .

وكانَ حسنَ الهيئةِ ، جميلَ الرُّواءِ ، مُتواضِعاً معَ خلقِ اللهِ ، ليِّنَ الجانبِ ، منخفضَ الجناحِ ، مُنافِياً لاعتقادِ هـٰؤلاءِ الأصواتيَّةِ رادّاً عليهِم .

وُلِدَ يومَ الاثنينِ السابعِ والعشرينَ مِنْ ذي الحجةِ سنةَ أربعَ عشرةَ وستِّ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في السابعِ والعشرينَ[2] مِنْ محرمِ سنةَ سبعٍ وثمانينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[3] .

* * *

(١) سمعه من أبي الحسن ابن الخلال رحمه الله تعالىٰ .

(٢) في « تاريخ الإسلام » ، و« المقفى الكبير » : (في الثامن والعشرين) .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٥١/ ٢٧٧ـ ٢٧٩) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٤٣ـ٤٤) ، و« المقفى الكبير » (٥/ ١٢٨ـ١٢٩) ، ووفاته فيها سنة (٦٨٦هـ) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ ظهيرُ الدينِ يحيى بنُ عبدِ المنعمِ البَهْنسيُّ الشافعيُّ]

العالمُ العاملُ ، والنبيهُ الخاملُ ، والمُحتملُ الأذىٰ وللأعباءِ حاملٌ ، دأبَ في تحصيلِ العلومِ الشرعيةِ ، والانتظامِ في سلكِ الطائفةِ المعنيةِ بالتوفيقِ المرعيةِ ، حتىٰ أحرزَ البراهينَ العقليةَ والسمعيةَ ، وأبرزَ فوائدَ ليستْ في تامورِ غيرِهِ مَوْعِيَّةً[1] .

ولم يَزَلْ بينَ علومٍ يقتبسُها ، ونفسٍ في مرضاةِ اللهِ يحتسبُها ويحتبسُها ، ومكابدةِ عيشٍ لا يغبطُهُ عليها أهلُ الدنيا ولا ينفسُها ، ومَبانٍ للآخرةِ يُشيِّدُها ويُؤسِّسُها . . حتىٰ دنا أَجَلُهُ ، وفنيَ مَهَلُهُ ، فركبَ البحرَ حاجّاً ، فأضحىٰ بنفسِهِ في أمواجِهِ زاجّاً ، حين أصبحَ بالتلبيةِ عاجّاً ، وما هوَ إلا دُرَّةٌ استقرَّ في البحرِ مغاصُها ، وجوهرةٌ تعذَّرَ مِنَ البحرِ خلاصُها ، ونفسٌ زُكِّيَتْ فكانَ بالشهادةِ اختصاصُها ، فهوَ دفينُ اللُّجَّةِ ، والشهيدُ الذي أوجبَ بتلكَ الخَرْجةِ ، فيا قرَّةَ عينِهِ حينَ يُبعَثُ مُلبِّياً بحَجَّةٍ !!

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ ظهيرُ الدينِ يحيى بنُ عبدِ المنعمِ ، البَهْنسيُّ مولداً المصريُّ نشأةً وداراً .

قرأَ : علىٰ قاضي القضاةِ وجيهِ الدينِ عبدِ الوهابِ البَهْنسيِّ ، وعلىٰ كمالِ الدينِ عبدِ الغنيِّ البَهْنسيِّ معيدِ وجيهِ الدينِ ، وعلى الشيخِ كمالِ الدينِ يحيىٰ وأقرانِهِ ، **وسمعَ قولَه** : قاضي القضاةِ محيي الدينِ بنُ عينِ الدولةِ ،

(١) **التامور** : الوعاء .

وأعادَ : للشيخِ وجيهِ الدينِ بالزاويةِ[1] .

ووليَ قضاءَ إخميمَ ، ثمَّ وليَ قضاءَ قوصَ وأعمالِها ، ثمَّ فوَّضَ إليهِ قاضي القضاةِ تقيُّ الدينِ بنُ تاجِ الدينِ نيابةَ الحكمِ بمصرَ وقَلْيوبَ ، ثمَّ عَنَّ لظهيرِ الدينِ السفرُ إلى الحجازِ الشريفِ مِنَ البحرِ ، فتُوفِّيَ في بحرِ عَيْذابَ غريقاً .

وممَّا حكىٰ عنهُ بعضُ مَنْ كانَ رفيقاً لهُ في المركبِ : (أنَّ المركبَ حينَ غرقَتْ وطلعَ إليهِمُ الماءُ سألَ ظهيرُ الدينِ عنِ الرُّبَّانِ ، فقيلَ لهُ : إنَّهُ لمَّا أحسَّ بالغرقِ نزلَ في القاربِ وتركَهُم ومضىٰ ، فقالَ ظهيرُ الدينِ : ذهبَ رُبَّانُكُم وبقيَ لكُم ربُّكُم .

ثمَّ أقامَ علىٰ خشبةٍ عائماً إلىٰ نصفِ الليلِ وهوَ يقرأُ القرآنَ ويذكرُ اللهَ عزَّ وجلَّ ، فاشتكىٰ في أثناءِ ذلكَ مِنْ أكلِ السمكِ مِنْ ساقَيهِ وأفخاذِهِ .

قالَ الذي رافقَهُ في الغرقِ : ثمَّ لم يَزَلْ صوتُهُ يخفىٰ عنِّي حتىٰ لم أسمعْهُ ، فانقطعَ حسُّهُ عنِّي ، فلمَّا أصبحتُ لم أرَ شيئاً مِنْ أثرِهِ ولا الخشبةَ التي كانَ عليها ، فعلمتُ أنَّهُ غُلِبَ عن نفسِهِ فغرقَ) ، رحمَهُ اللهُ .

وردَ الخبرُ بوفاتِهِ في سنةِ ثمانٍ ـ أو سبعٍ ـ وثمانينَ وستِّ مئةٍ .

* * *

(١) أي : الزاوية المجدية التي كان مدرِّساً فيها الإمامُ وجيه الدين . انظر (٢/ ١٩٥) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ محمودٍ العِجْليُّ الأصفهانيُّ الشافعيُّ]

الإمامُ العالمُ مُتكلِّمُ أهلِ السنَّةِ بهـٰذا المِصْرِ ، والواضعُ عن أهلِها مِنَ المُناضَلةِ أعباءَ الإصْرِ ، والقائمُ بفرضِ التعليمِ والتفهيمِ حينَ تعيَّنَ في هـٰذا العصرِ ، المُجرَّدُ مِنْ عبارتِهِ بَواترَ إذا تكلَّمَتْ ، فبحدِّها جسومُ المجسِّمةِ تكلَّمَتْ[1] ، طالَما أعشَتْ أشعةُ علومِهِ عيونَ البدعِ[2] ، وسَطَتْ براهينُهُ فلم تَذَرْ شبهةً ولم تَدَعْ ، ودعا إلى التوحيدِ والتنزيهِ فما قلاهُ ربُّهُ ولا ودعَ .

جمعَ علوَّ الهمةِ والمكانةِ ، والتوغُّلَ في العلومِ العقليةِ معَ تمكُّنِ الديانةِ ، والمهابةَ معَ السكينةِ والوقارِ ، والتواضعَ علىٰ شرفِ السابقةِ وكرمِ النُّجارِ[3] .

أبلغُ مَنْ درَّسَ أو أملىٰ أو كتبَ ، فهوَ ليثُ الشَّرىٰ وهوَ مِنْ عِجْلٍ إذا انتسبَ[4] ، إنْ هبَّتْ ريحُ المبتدعةِ أرسلَ عليها إعصارَ الكلامِ فوقفَتْ ولم يقفْ ، وإنِ استوكفَتْ كفُّهُ جادَتْ إذا بخلَ الغمامُ ولم يَكِفْ[5] ، ولِمَ لا يكونُ كذلكَ وجدُّهُ القاسمُ أبو دُلَفَ ؟![6] .

(١) أي : جُرحت .

(٢) أعشَتْ : أعمت .

(٣) النُّجار : الأصل والحسب .

(٤) الشَّرىٰ : طريق في جبل سلمىٰ كثيرة الأسود ، أو جبل بتهامة كثير السباع .

(٥) يَكِفُ : يقطر .

(٦) وهو ابن عيسى بن إدريس (ت٢٢٦هـ) ، من بني عِجْل بن لُجيم ، وكان كريماً سرِيّاً جواداً ممدَّحاً شجاعاً مُقدَّماً ، أخذ عنه الأدباء والفضلاء ، وكان أحد قواد المأمون ثم المعتصم . =

قطعَ عمرَهُ بينَ مناظرةٍ تُوضِّحُ الخفيَّ للأفهامِ ، وتُوضِحُ مِنَ المبتدعةِ عَصِيَّ الهامِ ، وتُفصِحُ بجليِّ الكلامِ عن خفيِّ الإلهامِ ، حتى استوفى عمرَهُ المكتوبَ ، فانقلبَ إلى ربِّهِ غيرَ خَجِلٍ ولا معتوبٍ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ محمودِ بنِ عبدِ اللهِ العِجْليُّ الأصفهانيُّ[1] ، ينتهي نسبُهُ إلى أبي دُلَفَ ، على ما ذكرَهُ أخصُّ أصحابِهِ بهِ .

كانَ والدُهُ نائبَ السلطنةِ بأصفهانَ عن ملكِها في ذلكَ الوقتِ ، فاشتغلَ بأصفهانَ بجملةٍ مِنَ العلومِ في حياةِ أبيهِ بحيثُ إنَّهُ تعيَّنَ وفاقَ نظراءَهُ .

ثمَّ لمَّا استولى العدوُّ على أصفهانَ رحلَ إلى بغدادَ على هيئةِ الجندِ بقباءٍ وشَرْبُوشٍ[2] ، وفي يدِهِ خاتَمٌ فيهِ فَصٌّ ياقوتٍ .

قالَ : فجعلتُ أحضرُ حَلْقةً حَلْقةً في بغدادَ في كلِّ نوعٍ مِنَ العلومِ التي كنتُ أشتغلُ بها فلا أعلمُ ما يقولُونَ ، فتحقَّقتُ في نفسي أنِّي لا أعلمُ شيئاً ، وأنَّ تلكَ العلومَ التي كنتُ أعلمُها كالجهلِ بالنسبةِ إلى هؤلاءِ العلماءِ ، وكانَ والدي في البلادِ يدعو إلى مناظرتي العلماءَ فيعترفُونَ بالعجزِ ، فتبيَّنَ لي أنَّ ذلكَ كانَ مراءاةً لي أو لقصورِهِم .

فلمَّا رأيتُ نفسي في بغدادَ على حالةٍ مِنَ القصورِ والعجزِ . . بعتُ ما كانَ عليَّ ، واشتريتُ كتباً منها « الوجيزُ » ، **وانقطعتُ إلى الاشتغالِ** : على الشيخِ سراجِ الدينِ الهرقليِّ ، **وبالعلومِ العقليةِ** : على الشيخِ تاجِ الدينِ الأُرْمَويِّ .

= انظر « وفيات الأعيان » (٤/ ٧٣ـ٧٩) .

(١) في المصادر الآتية آخر ترجمته : (بن عباد) بدل (بن عبد الله) .

(٢) **الشَّرْبوش** : قلنسوة عالية على شكل مثلث يُعتمر لها من غير عمامة .

ثمَّ قصدتُ الرومَ إلى الشيخِ أثيرِ الدينِ الأبهريِّ ، فاشتغلتُ عليهِ بالجدلِ والعلومِ البحثيَّةِ والحكميَّةِ ، ثمَّ وصلتُ في صحبتِهِ إلى الموصلِ ، ونزلتُ إلىٰ بغدادَ ، ثمَّ رحلتُ منها إلىٰ حلبَ .

وأقامَ الشيخُ شمسُ الدينِ بالشامِ مدَّةً طويلةً ، ووليَ القضاءَ بقلعةِ جعبرٍ ، وكانَ ينوبُ عن قاضي حلبَ في دروسِهِ .

ثمَّ حضرَ إلى الديارِ المصريةِ ، وتردَّدَ في المناصبِ الدينيةِ بينَ القضاءِ بقوصَ وأعمالِها[1] ، والإعادةِ والتدريسِ بالمدرسةِ الصاحبيةِ البهائيةِ بمصرَ ، والإعادةِ بالشافعيِّ ، ودرَّسَ بمشهدِ الحسينِ رضيَ اللهُ عنهُ ، ثمَّ درَّسَ بمدرسةِ السلطانِ الملكِ الناصرِ صلاحِ الدينِ رحمَهُ اللهُ المجاورةِ للإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ .

وصنَّفَ التصانيفَ في فنونٍ متعددةٍ[2] .

ولم يَزَلْ بينَ إقراءٍ للعلومِ الشرعيةِ والعقليةِ ، وإفادةٍ وحسنِ اعتقادٍ ، وملازمةٍ للديانةِ والخيرِ . . إلىٰ حينِ انتقالِهِ[3] .

(١) **وقيل** : إن ابن دقيق العيد كان يحضر درسه بقوص .

(٢) **ومن تصانيفه القيمة** : شرحه لـ « لمحصول » المسمَّىٰ بـ « الكاشف عن المحصول في علم الأصول » ، وهو في مجلدات ، مات ولم يكمله ، وقال التاج السبكي في « الطبقات » (٨/ ١٠١) : (وشرحُهُ لـ « المحصول » حَسَنٌ جدّاً ، وإن كان قد وقف علىٰ « شرح القرافي » وأودعه الكثيرَ من محاسنه ، لكنه أوردها علىٰ أحسن أسلوب وأجود تقرير ؛ بحيث إنك ترى الفائدة من كلام القرافي ـ وإن كان هو المبتكرَ لها ـ كالعجماء ، وتراها من كلام هـٰذا الشيخ الأصبهاني قد تنقَّحت وجرت علىٰ أسلوب التحقيق ، ولكن الفضل للقرافي) .

(٣) وقال التاج السبكي في « الطبقات » (٨/ ١٠٢) : (وكان يعتقد كرامات الأولياء ؛ قال له مرةً بعضُ الطلبة : يا سيدي ؛ أيصحُّ أنَّ في هـٰذه الأمة من يمشي على الماء ويطير في =

تُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ ليلةَ الرابعِ والعشرينَ مِنْ رجبٍ سنةَ ثمانٍ وثمانينَ وستِّ مئةٍ[1] .

* * *

= الهواء ؟ فقال : يا بُني ؛ هـٰذه الأمةُ أكرمها الله بنبيِّها صلى الله عليه وسلم ، فانفِ عن أوليائها مقام النبوة والرسالة ، وأثبتْ ما شئت من الخوارق) .

(١) انظـر « طبقـات الشـافعيـة الكبـرىٰ » (٨/ ١٠٠ـ١٠٣) ، و« تـاريـخ الإسـلام » (٥١/ ٣٤٨ـ٣٤٩) ، و« فوات الوفيات » (٤/ ٣٨) ، و« طبقات الشافعية » لابن قاضي شهبة (٢/ ١٩٩ـ٢٠١) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ كمالُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الغنيِّ بنُ السديدِ جعفرِ بنِ أبي الطاهرِ الأنصاريُّ]

الورعُ عندَ الشُّبَهِ ، والتاركُ لما رابَ واشتبهَ ، الذي قطعَ دهرَهُ تنسُّكاً وزَهادةً ، وتمسُّكاً بالخيرِ وعبادةً ، ومجانبةً لأبناءِ الدنيا في السرِّ والعلنِ ، ونائياً عن رؤوساءِ العصرِ والزمنِ ، خائفاً على نفسِهِ مِنْ دنسِ الباطنِ والظاهرِ ، مُشفِقاً على قلبِهِ وقالَبِهِ اللذَينِ كلٌّ منهُما طَهُورٌ طاهرٌ ، وهوَ معَ ذلكَ يُظهِرُ البشاشةَ للواردِ ، ويُريهِ منهُ محبَّةَ الوالدِ لولدِهِ وإكرامَ الولدِ للوالدِ ، ويقومُ بحقوقِهِم أحسنَ قيامٍ ، ويعمُّهُم برِفْدِهِ ولو كانوا ألفاً مِنَ الفِئامِ[1] ، حتى انتقلَ إلى الرِّضوانِ ، وارتحلَ إلى مقرِّهِ مِنَ الجِنانِ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ كمالُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الغنيِّ بنُ السديدِ أبي الفضلِ جعفرِ بنِ أبي الطاهرِ إسماعيلَ بنِ محمدٍ ، ينتهي نسبُهُ إلى سمرةَ بنِ جندبٍ الأنصاريِّ رضيَ اللهُ عنهُ .

كانَ مشهوراً بالصلاحِ الوافرِ والزَّهادةِ الظاهرةِ ، والاحتياطِ في الطهارةِ ؛ بحيثُ لا يُلامِسُ أحداً مِنَ الناسِ إلا جماعةً مخصوصينَ بخدمتِهِ عرفَ منهُمُ التحرُّزَ في ذلكَ ، نشأَ على ذلكَ مِنْ صغرِهِ .

وقرأَ القرآنَ الكريمَ والقراءاتِ و«الشاطبيةَ» : على أبي يعقوبَ الهَسْكوريِّ ، وأدركَ جماعةً مِنْ كبارِ المشايخِ الصالحينَ ؛ كأبي معينٍ المغائيِّ[2] ، والشيخِ

(١) الفِئام : الجماعة من الناس ، لا واحد له من لفظه .

(٢) وتحتمل في الأصل : (موسى) بدل (معين) .

أبي الحجاجِ بنِ سليمانَ القُلُوسيِّ ، ولقيَ أبا يحيى بنَ شافعٍ في قدمةٍ قَدِمَها البلادَ لطنبذا وصحبَهُ حينَ ذاكَ[1] ، ثمَّ لزمَ الانقطاعَ بمنزلِهِ بالبهنسا بحيثُ لا يخرجُ منهُ إلا لصلاةِ الجمعةِ أو لصلاةِ جنازةٍ في النادرِ .

وكانَ مشهوراً بالصلاحِ ذا حظٍّ وافرٍ ، وكانَ صاحبَ قبولٍ وإقبالٍ مِنَ العامَّةِ والخاصَّةِ ، مُنيرَ الوجهِ ، بهيَّ المنظرِ ، ذا بشاشةٍ وبِشْرٍ معَ هيبةٍ ووقارٍ ، لا يلتفتُ إلى كبارِ أربابِ الأمورِ وأبناءِ الدنيا .

ولم يَزَلْ مُلازِماً للانقطاعِ والعُكوفِ على الخيرِ ، وإغاثةِ الملهوفِ ، والحديثِ في قضاءِ حوائجِ الناسِ بكتبِهِ ورسلِهِ ، والشفاعةِ في المهماتِ ، وكانَ عامَّ النفعِ بذلكَ لا يخصُّ أحداً بشيءٍ مِنْ ذلكَ ، ولا يمنعُ أحداً ممَّنْ يقصدُهُ . . إلى أَنْ تُوفِّيَ إلى رحمةِ اللهِ تعالى .

قالَ نسيبُهُ الشيخُ رشيدُ الدينِ بنُ سمرةَ : وغالبُ ظنِّي أنَّ وفاتَهُ كانَتْ في سنةِ تسعينَ وستِّ مئةٍ ، ولهُ مِنَ العمرِ ما يقاربُ الثمانينَ سنةً ، ودُفِنَ بمدينةِ البهنسا في باطنِها ، وبُنِيَ على قبرِهِ مشهدٌ يُزارُ .

* * *

(١) ويقال أيضاً : (لطنبدا) بالدال المهملة ، وهي قرية بصعيد مصر .

[ومنهُمُ] :

[الإمامُ أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ بنِ سعيدِ الدَّميريُّ الدِّيرِينيُّ الرفاعيُّ الشافعيُّ]

الشيخُ الإمامُ الأديبُ ، والأجنبيُّ الحبيبُ ، الفقيهُ العابدُ ، والورعُ الزاهدُ ، قد ضمَّ إلى العلمِ والصلاحِ ، جميلَ الآثارِ والاطِّراحِ ، وإلى الزهدِ والسماحِ ، حسنَ الإيثارِ والارتياحِ ، وسرىٰ بسرِّهِ لنَيْلِ المعارفِ في ليلِ المخاوفِ فحمدَ السُّرىٰ عندَ الصباحِ .

خَدَمَ الأولياءَ فخُدِمَ ، وهاجرَ إلىٰ ربِّهِ فيا بُشراهُ حينَ قدمَ ، وسبكَتْهُ الخبرةُ [. . .] الإبريز[1] ، وأهانَ نفسَهُ في رضا ربِّهِ فعزَّ وعبدُ العزيزِ عزيزٌ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ أبو محمدٍ عبدُ العزيزِ بنُ أحمدَ بنِ سعيدِ بنِ سعيدِ بنِ عبدِ اللهِ ، الدَّميريُّ الأصلِ ، المعروفُ بـ (الدِّيرِينيِّ) ، الفقيهُ العالمُ الأديبُ الصوفيُّ الرفاعيُّ .

كانَ مِنْ أصحابِ أبي الفتحِ بنِ أبي الغنائمِ الواسطيِّ ، تخرَّجَ بهِ وتكلَّمَ في الطريقِ ، **وكانَ سابقةُ اشتغالِهِ بالعلوم** : على الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، وعلىٰ مَنْ هوَ معاصرٌ لهُ مِنَ العلماءِ ، غيرَ أنَّهُ غلبَ عليهِ الميلُ إلى التصوُّفِ وتركُ ملازمةِ المدارسِ .

ولهُ النظمُ الحسنُ في مدحِ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وفي الزهدِ

(١) ما بين معقوفين كلمتان غير واضحتين في الأصل ، ولعلهما : (كما يسبك) أو (عن فرائد) ، أو نحوهما ، وفي (ب) : (أفاما نيد) ؟

والرقائقِ ، وصنَّفَ مصنفاتٍ كثيرةً في التفسيرِ وغيرِهِ ؛ منها : « المصباحُ المنيرُ في علمِ التفسيرِ » .

ونظمَ أرجوزةً في التفسيرِ سمَّاها : « التيسيرَ في علمِ التفسيرِ » تزيدُ على ثلاثةِ آلافٍ ومئتي بيتٍ .

وصنَّفَ في علومِ القومِ كتباً ؛ فمنها : « أنوارُ المعارفِ وأسرارُ العوارفِ » ، و« تفسيرُ أسماءِ اللهِ الحسنى » ، ومنها : كتابُ « طهارةِ القلوبِ » في الرقائقِ .

و« رجزُ التنبيهِ » ، وحينَ لقيتُهُ ذكرَ لي أنَّهُ شرعَ في ترجيزِ « الوسيطِ » ، ولهُ قصيدةٌ اختصرَ فيها « الوجيزَ » للغزاليِّ تزيدُ على خمسةِ آلافِ بيتٍ ، ولهُ أرجوزةٌ في نظمِ السيرةِ النبويةِ .

ومِنْ مصنفاتِهِ : كتابُ « الوسائلِ والرسائلِ » في التوحيدِ ومدحِ الرسولِ تقديرُ ألفٍ وخمسِ مئةِ بيتٍ ، ولهُ قصيدةٌ ميميةٌ في المدحِ أيضاً تقديرُ مئةٍ وخمسينَ بيتاً ، وقصيدةٌ أخرى في المدحِ مئةٌ وعشرونَ بيتاً ، وأرجوزةٌ نظمَ فيها « اليواقيتَ في علمِ المواقيتِ » ، و« عمدةَ الطلابِ في علمِ الأصطرلابِ » مئتا بيتٍ لتكملةِ ثمانِ مئةِ بيتٍ .

ولهُ أرجوزةٌ سمَّاها : « الحديقةَ في الحقيقةِ » ، وقصيدةٌ سمَّاها : « الحجةَ في التوحيدِ » .

ولهُ مِنَ النظمِ والنثرِ ما لا يُحصيهِ إلا اللهُ عزَّ وجلَّ .

وكانَ قد بُورِكَ لهُ في عمرِهِ ، مُشتغِلاً مُتواضِعاً كريمَ الأخلاقِ ، حسنَ الشِّيَمِ ، مستقيمَ العقيدةِ .

وممَّا قالَهُ في كتابِهِ المسمَّى : « طهارةَ القلوبِ والخضوعَ لعلامِ الغيوبِ » في خطبةِ صدرِ الكتابِ لا في خطبِ الفصولِ :

(رحمتُهُ ورأفتُهُ : إرادتُهُ البِرَّ والإحسانَ والإنعامَ ، ووِدادُهُ ومحبتُهُ : إرادتُهُ التقريبَ والإكرامَ[1] ، وحلمُهُ : إرادةُ تأخيرِ العقوباتِ ، [وجمالُهُ] وبرُّهُ : إرادةُ جميعِ الخيراتِ .

المُتكلِّمُ بكلامٍ قديمٍ أزليٍّ لا يُشبِهُ كلامَ الخلقِ ، بهِ يأمرُ وينهى ، ويُنذِرُ ويَعِدُ[2] ، [ويتوعَّدُ] ويخبرُ) .

فهذا مِنَ الشيخِ إشارةٌ إلى أنَّ الكلامَ صفةٌ واحدةٌ ، وأنَّها لا تختلفُ بالأمرِ والنهيِ وغيرِهِ مِنْ صفاتِ الكلامِ كما يزعمُ الأصواتيةُ .

ثمَّ قالَ : (والقرآنُ كلامُهُ القديمُ ، ليسَ بمخلوقٍ فيفنى بتصرُّفِ الأيامِ ، ولا صفةٍ لمخلوقٍ فتثبتَهُ الأقلامُ ، جلَّتْ صفاتُ المهيمنِ العلامِ ، عن إحاطةِ الأوهامِ)[3] .

فهذا مِنَ الشيخِ دليلٌ على الفرقِ بينَ الكتابةِ والمكتوبِ .

ثمَّ قالَ في خطبةِ (الفصلِ الأولِ في الإيمانِ) : (صفاتُهُ قديمةٌ ثابتةٌ بالنقلِ والعقلِ ، فمَنْ عطَّلَ فهوَ بتخيُّلاتِهِ يُجادِلُ ، وتنزيهُهُ عن أوصافِ الحدوثِ معلومٌ [بالدليلِ] ، فمَنْ شبَّهَ فهوَ مِنْ أهلِ الباطلِ ، كيفَ يُشبِّهُ القديمُ الأزليُّ بالحادثِ الزائلِ ؟! أم كيفَ تماثلُ الصنعةُ الصانعَ أو تضارعُ الأفعالُ الفاعلَ ؟! لا تُدرِكُهُ الأبصارُ ، ولا تُمثِّلُهُ الأفكارُ ، ولا يُحِيطُ بهِ عقلُ عاقلٍ ، انقطعَتِ الأوهامُ ، وحارَتِ الأفهامُ ، وبحرُ المعرفةِ ليسَ لهُ ساحلٌ)[4] .

(١) في « طهارة القلوب » زيادة : (ومغفرته : إرادته الستر على الزلات ، وعفوه : إرادته محو آثار السيئات) .

(٢) في « طهارة القلوب » : (ويعد) .

(٣) طهارة القلوب (ص٦) .

(٤) طهارة القلوب (ص٩) .

وقالَ دعاءً في خطبةِ الثلاثينَ[1] الذي ختمَ بهِ الكتابَ : (. . . الواحدِ الأحدِ فمَنِ ادَّعىٰ معَهُ إلٰهاً آخرَ فقدِ ادَّعىٰ ما ليسَ لهُ عليهِ برهانٌ ، الحيِّ العليمِ السميعِ البصيرِ فسواءٌ عندَهُ السرُّ والإعلانُ ، المريدِ القديرِ فبقدرتِهِ وإرادتِهِ جميعُ الآثارِ والأعيانِ ، المُتكلمِ بكلامٍ قديمٍ في الأزلِ تكلَّمَ بالقرآنِ[2] ، صفاتُهُ قديمةٌ ثابتةٌ بالأدلَّةِ فمَنْ عطَّلَ فهوَ في بيداءِ الضلالِ حيرانُ ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورىٰ : ١١] ومَنْ شبَّهَ فقد مالَ إلىٰ عَبَدةِ الأوثانِ ، جلَّ العليُّ الأعلىٰ عمَّا يُصوِّرُهُ الوَهْمُ فقد كبُرَتْ كلمةُ المُشبِّهينَ في الوزرِ وخفَّتْ في الميزانِ)[3] .

ثمَّ قالَ في خاتمةِ الكتابِ : (إلٰهي ؛ إنْ نظرْنا إلىٰ فضلِكَ فالعجبُ ممَّنْ هلكَ كيفَ هلكَ ؟! وإنْ نظرْنا إلىٰ عدلِكَ فالعجبُ ممَّنْ نجا كيفَ نجا ؟!

إلٰهي ؛ إن حاسبْتَنا بفضلِكَ نِلْنا رضوانَكَ ، وإنْ حاسبْتَنا بعدلِكَ لم نَنَلْ غفرانَكَ .

إلٰهي ؛ كيفَ أرجوكَ وأنا أنا ؟! وكيفَ لا أرجوكَ وأنتَ أنتَ ؟!

مَا زِلْتُ أَغْرَقُ فِي ٱلإِسَاءَةِ دَائِماً ... وَيَكُونُ مِنْكَ ٱلْعَفْوُ وَٱلْغُفْرَانُ

لَمْ تَنْتَقِصْنِي إِذْ أَسَأْتُ وَزِدْتَنِي ... حَتَّىٰ كَأَنَّ إِسَاءَتِي إِحْسَانُ

تُولِي ٱلْجَمِيلَ عَلَى ٱلْقَبِيحِ تَكَرُّماً ... فَٱغْفِرْ فَأَنْتَ ٱلْمُنْعِمُ ٱلْمَنَّانُ[4]

إلٰهي ؛ إنْ كُنَّا لا نقدرُ علىٰ تركِ ذنبٍ كتبتَهُ علينا . . فأنتَ تقدرُ علىٰ مغفرتِهِ لنا .

(١) أي : خطبة الفصل الثلاثين .

(٢) في « طهارة القلوب » : (بكلام قديم أزلي تكلَّم في الأزل بالقرآن) .

(٣) طهارة القلوب (ص٢٧٥) .

(٤) الأبيات من الكامل ، وهي لمحمود الورَّاق في « ديوانه » (ص ١٩٠) .

إلـهي ؛ إنْ كُنَّا عصَيناكَ بجهلٍ ، فقد دعوناكَ بعقلٍ ؛ حيثُ علمْنا أنَّ لنا ربّاً يغفرُ ولا يُبالي .

إلـهي ؛ أنتَ أعلمُ بالحالِ مِنْ قبلِ الشكوىٰ ، وأنتَ قادرٌ علىٰ تحقيقِ الآمالِ وكشفِ البلوىٰ .

أُجِلُّكَ أَنْ أَشْكُوْ إِلَيْكَ ٱلَّذِي ٱلْقَىٰ ... وَأَنْتَ تَرَىٰ حَالِي وَتَعْلَمُهُ حَقَّا

وَإِنْ رُمْتُ أَخْفِي مَا أُلاقِي مِنَ ٱلأَسَىٰ[1] ... وَشَى ٱلدَّمْعُ بِٱلشَّكْوَىٰ فَيَسْبِقُنِي سَبْقَا[2]

وَتُطْمِعُنِي ٱلأَشْوَاقُ حَتَّىٰ إِذَا بَدَا ... جَمَالُكَ لَمْ أَمْلِكْ لِسَاناً وَلا نُطْقَا

إِذَا مَا تَمَنَّى ٱلنَّاسُ رَوْحاً وَرَاحَةً ... تَمَنَّيْتُ أَنْ أَفْنَىٰ وَسِرُّ ٱلْهَوَىٰ يَبْقَىٰ

بِجُودِكَ فَٱجْبُرْ قَلْبَ عَبْدٍ قَطَعْتَهُ ... إِلَيْكَ وَلا غَرْباً يَرُومُ وَلا شَرْقَا

تَعَطَّفْ وَلا تَقْطَعْهُ عَنْكَ فَإِنَّهُ ... مُقِيمٌ عَلَىٰ بَابِ ٱلرَّجَا أَبَداً مُلْقَىٰ[3]

إلـهي ، يا مَنْ سترَ الزلاتِ ، وغفرَ التَّبِعاتِ ؛ أجِرْنا مِنْ مكرِكَ ، وزيِّنَّا بذكرِكَ ، ووفِّقْنا لشكرِكَ ، واغفرْ لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمينَ)[4] .

أجازَ لي هـٰذا الشيخُ أنْ أرويَ عنهُ جميعَ ما تجوزُ لهُ روايتُهُ ، وجميعَ ما تجوزُ روايتُهُ عنهُ مِنْ كلامِهِ المنظومِ والمنثورِ ، وشافهَني بذلكَ ، وكتبَ خطَّهُ ، ونقلتُ ما نقلتُهُ مِنْ نسخةٍ بخطِّهِ رحمَهُ اللهُ .

تُوفِّيَ عصرَ يومِ الخميسِ سابعِ رجبٍ ، سنةَ أربعٍ وتسعينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ ورحمَنا بهِ[5] .

* * *

(١) في « طهارة القلوب » : (أخفي) بدل (أحكي) .

(٢) عجز البيت في « طهارة القلوب » : (فشاهدُ هـٰذا الدمع يسبقني سبقاً) .

(٣) الأبيات من الطويل .

(٤) طهارة القلوب (ص٢٩٠ـ٢٩١) .

(٥) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/١٩٩ـ ٢٠٨) ، و« الوافي بالوفيات » =

ومنهُمُ :

[الإمامُ تقيُّ الدينِ أبو القاسمِ عبدُ الرحمٰنِ بنُ قاضي القضاةِ عبدِ الوهابِ العَلاميُّ الشافعيُّ]

الوزيرُ القاضي ، والصارمُ الماضي ، والرضيُّ للدينِ والدنيا عندَ كلِّ مسلمٍ بحكمِ الشرعِ راضي ، ورثَ العلومَ والسيادةَ ، وأشبهَ أباهُ إذْ كانَ سيِّدَ السادةِ ، وأحرزَ بطارفِ شرفِهِ تلادَهُ وبلادَهُ ، خطبَتْهُ المنابرُ فهوَ الخطيبُ المخطوبُ ، وندبَهُ تعيُّنُهُ لمناصبِ والدِهِ ندبَ الوجوبِ ، فورثَ القضاءَ والوزارةَ وليسَ الوارثُ كالمحجوبِ ، فهوَ وإنْ غابَ التاجُ خلاصةُ إبريزِهِ ، قدِ اجتمعَ فيهِ جواهرُ تقدُّمِهِ وفرائدُ تبريزِهِ .

قاضٍ إذا التبسَ الأمرانِ عَنَّ لهُ رأيٌ يُفرِّقُ ويفرِقُ[1] ، ماضي العزائمِ في ذاتِ اللهِ ولا مُضيَّ السيفِ في المفرِقِ ، وبحرٌ يُروي بما يَرْوي ولا يُغرِقُ ، وبدرٌ أطلعَهُ المغربُ وما أرانا مثلَهُ المَشرِقُ[2] ، أبيٌّ يكشفُ البلوىٰ ويُستنزَلُ القطرُ مِنْ ديباجةِ وجهِهِ المُشرِقِ .

وما ضرَّهُ حسدُ حاسدٍ ، ولا كيدُ كائدٍ ، قصَرَ عن أصالتِهِ وفضلِهِ ، وقصُرَ

= (١٨/ ٢٨٤ـ٢٨٥) ، و« المنهل الصافي » (٧/ ٢٦٩ـ٢٧١) ، واختلف في وفاته على أقوال عديدة ، ولعل ما ذكره المؤلف أقرب إلى الصحة ، والله تعالى أعلم .

(١) أخذه من قول المتنبي : (من البسيط)

قاضٍ إذا التبسَ الأمرانِ عنَّ لـه رأيٌ يُخلِّصُ بينَ الماءِ واللبنِ

انظر « ديوانه » (٤/ ٢١٥) .

(٢) أخذ هٰذا المعنىٰ من موشح سبق في (١/ ٦١٠) .

عن وجاهتِهِ ونبلِهِ ، لكنْ طيَّشَتْهُ رئاسةٌ أتتْ بغتةً ، واستخفَّتْهُ ولايةٌ كانَتْ تبعتُها فلتةً ، فأقدمَ عليهِ مُنتهكاً لحرمتِهِ ، مُستهلِكاً لنعمتِهِ ، مُسدِّداً سهامَ الاجتياحِ إليهِ وهوَ غيرُ مُسدَّدٍ ، هادماً لما شادَهُ أوائلُهُ مِنْ عرشِ عزِّهِ المُشيَّدِ ، فأطاشَ القَدَرُ سهامَهُ ، وخيَّبَ أملَهُ ومرامَهُ ، وأجراهُ على عادتِهِ في لطفِهِ ، وشلَّ يدَهُ عندَهُ فأنقذَهُ مِنْ كفِّهِ[1] ، ورجعَ إليهِ مَناصبَهُ ، وخذلَ مُناوئَهُ ومُناصبَهُ ، وأذاقَهُ وبالَ أمرِهِ ، وألبسَهُ ما لَبَّسَهُ مِنْ كيدِهِ ومكرِهِ ، وأراهُ في نفسِهِ أنواعَ النَّكالِ ، وأحلَّ بهِ ما أضمرَهُ لغيرِهِ مِنَ الإخراقِ والوبالِ ، فوقعَ في البئرِ التي حفرَها ، وأُخفِرَتِ الذمَّةُ التي أَخْفَرَها[2] .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ تقيُّ الدينِ أبو القاسمِ عبدُ الرحمٰنِ بنُ قاضي القضاةِ تاجِ الدينِ عبدِ الوهابِ المُقدَّمِ ذكرُهُ[3] .

اشتغلَ بالفقهِ : على أخيهِ الصدرِ عمرَ المُقدَّمِ ذكرُهُ[4] ، وعلى السديدِ التِّرْمَنتيِّ[5] ، وبالنحوِ : على الخفَّافِ ، وبالأصولَينِ : على القَرافيِّ ، والعلمِ العراقيِّ .

ودرَّسَ بالمدرسةِ الشَّريفيةِ والمنصوريةِ والصالحيةِ ، ثمَّ وَلِيَ النظرَ على الخزائنِ السلطانيَّةِ ، ثمَّ وليَ قضاءَ القاهرةِ وأعمالِها ، ثمَّ كملَ لهُ العملانِ بموتِ قاضي القضاةِ وجيهِ الدينِ البَهْنسيِّ ، ثمَّ وليَ الوزارةَ للمنصورِ مدَّةً ، ثمَّ انقطعَ عنها وبقيَ معَهُ القضاءُ بالعملَينِ ، ثمَّ صُرِفَ منهُ في محنتِهِ على يدِ ابنِ

(١) الأفصح : أن يقال : (وأشلَّ) بدل (وشلَّ) .

(٢) يقال : أخفر بالعهد ؛ إذا نقضه ، والمقصود من هٰذا الكلام : ابن سلعوس ، وسيأتي الحديث عنه بعد قليل .

(٣) انظر (٢/ ١٠٠ـ ١٠٥) .

(٤) انظر (٢/ ١٤٦ـ ١٤٧) .

(٥) وتفقه أيضاً : على والده وعلى العز بن عبد السلام رحمهما الله تعالى .

سَلْعوسِ[1] ، ثمَّ عادَ إلىٰ قضاءِ القضاةِ بالعملَينِ ، ولم يَزَلْ مُتولِّياً إلىٰ أنْ ماتَ .

وكانَ إماماً بارعاً جمعَ حِدَّةَ الذهنِ والتحصيلَ ، وكانَ عزيزَ الدينِ ، مهيبَ المنظرِ ، لطيفَ المخبرِ ، لهُ النثرُ والنظمُ ، وكانَ حافظاً لحرمةِ الشرعِ والناموسِ ، وكانَ إماماً في التفسيرِ وفي كلِّ علمٍ .

وكانَ يُعجِبُهُ الشعرُ الحسنُ ، وقلَّ أنْ رأيتَهُ يُمكِّنُ أحداً مِنَ الإنشادِ بينَ يديهِ ، بل يتناولُ القصيدةَ منهُ ويقرؤُها إلىٰ آخرِها ، ويُعِيدُ تأمُّلَها ، ويستحسنُ ما يُعجِبُهُ منها .

مدحَهُ جماعةٌ مِنَ الشعراءِ بقصائدَ كثيرةٍ ؛ فممَّنْ مدحَهُ : سراجُ الدينِ الورَّاقُ بقصائدَ ؛ منها : قصيدتُهُ فيهِ حينَ وَلِيَ الوزارةَ ، وهيَ ممَّا أجازَنيهِ : [من الكامل]

اَلآنَ قَـدْ ثَبَتَـتْ وَقَـرَّ قَـرَارُهَـا ... وَعَلا عَلَى ٱلْفَلَكِ ٱلأَثِيرِ مَنَارُهَا
وَبِكَ ٱطْمَأَنَّتْ دَارُهَا وَلَدَيْكَ عَزَّ ... جِـوَارُهَـا وَعَلَيْـكَ كَـانَ مَـدَارُهَـا
خَطَبَتْـكَ كُفْئـاً وَٱلْكَفَـاءَةُ مِنْكُـمُ ... صَدَرَتْ وَمِلْءُ صُدُورِكُمْ أَسْرَارُهَا
وَهِـيَ ٱلَّتِـي خُطَّابُهَـا عَـنْ بَـابِهَـا ... دُفِعَتْ وَمَا رُفِعَتْ لِغَيْرِكَ نَارُهَا
كَانَتْ تُسِرُّ لَكَ ٱلْهَوَىٰ وَيَصُدُّهَا ... عَنْهُ وَقَارُكَ فِي ٱلْوَرَىٰ وَوَقَارُهَا
حَتَّـىٰ إِذَا بَـرِحَ ٱلْخَفَـا وَبَـدَا لَهَـا ... يُمْنُ ٱلْغَرَامِ بَدَتْ لَهَا أَعْذَارُهَا
عَرَفَتْ أَبَاكَ فَمَا أَبَاكَ لَهَا ٱلْحِجَا ... وَعَلَىٰ فُرُوعِ ٱلْمَجْدِ دَلَّ نُجَارُهَا
وَإِذِ ٱلأُصُولُ زَكَتْ بِهَا أَغْصَانُهَا ... وَأَقَـرَّ عَيْنَـكَ مَـاؤُهَـا وَثِمَـارُهَـا

منها :

أَوَلَسْـتَ جَـوْهَـرَةً لِتَـاجِ مُلْـوكِنَـا ... جَادَتْ ثَرَاهُ مِنَ ٱلسَّحَابِ غِزَارُهَا

(١) انظر هذه المحنة في « رفع الإصر » (ص٢٢٣) .

مَنْ صِيغَ مِنْ كَرَمٍ فَعَزَّ نَظِيرُهُ ... وَلِفَقْدِهِ ٱلتِّيجَانُ غَابَ نُضَارُهَا

هَٰذَا وَذَاتُكَ أَسْعَدَتْ أَحْسَابَهَا ... بِمَنَاقِبٍ يَمْحُو ٱلدُّجَا أَنْوَارُهَا

وَمَآثِرٍ فِي ٱلْجُودِ لا آثَارُهَا ... تَخْفَىٰ عَلَىٰ أَحَدٍ وَلا إِيثَارُهَا

وَمَكَانَةٍ فِي ٱلْعِلْمِ سَلْ أَحْبَارَهَا ... عَنْهَا فَكُلٌّ عِنْدَهُ أَخْبَارُهَا

تُصْغِي ٱلْمَحَافِلُ مِنْهُ نَحْوَ عِبَارَةٍ ... يُلْقِي ٱلْجَوَاهِرَ فِي ٱلدُّرُوسِ نِثَارُهَا

وَلَكَمْ جَلا عَنَّا ٱلشُّكُوكَ كَمَا جَلا ... سُودَ ٱللَّيَالِي ٱلْمُظْلِمَاتِ نَهَارُهَا

وَحَمَىٰ حِمَى ٱلشَّرْعِ ٱلشَّرِيفِ بِعَزْمِهِ ... مَا لِلصَّوَارِمِ فِي ٱلطُّلَىٰ آثَارُهَا[1]

فَٱلشَّاةُ لَيْسَ تَخَافُ ذُؤْبَانَ ٱلْفَلا ... وَٱلْعَدْلُ أَنْسَهَا فَزَالَ نِفَارُهَا

فَلْتَهْنَ مَرْتَبَةُ ٱلْوِزَارَةِ إِنَّهَا ... قُرِنَتْ بِمَرْتَبَةٍ يَعِزُّ جِوَارُهَا

وَحَوَاهُمَا ذُو هِمَّةٍ فِي جَنْبِهَا ... أَعْلَى ٱلْكِبَارِ مِنَ ٱلأُمُورِ صِغَارُهَا

ٱلصَّاحِبُ ٱبْنُ ٱلصَّاحِبِ ٱلذَّرِبُ ٱلَّذِي ... شَرُفَتْ بِهِ لَخْمٌ وَتَمَّ فَخَارُهَا[2]

وَحَوَتْ بِهِ آلَ ٱلْعَلامِيِّ ٱلْعُلا ... وَبِبَيْتِهِ عَلَتِ ٱلْكَوَاكِبَ دَارُهَا

فَلْيَفْخَرِ ٱلْمَنْصُورُ مِنْهُ بِصَاحِبٍ ... فِي دَوْلَةٍ كَثُرَتْ بِهِ أَنْصَارُهَا

ٱخْتَارَ فِيهِ مَحَاسِناً وَمُحَمَّدٍ ٱلـ ... ـمُخْتَارِ مَا ضَلَّ ٱمْرُؤٌ يَخْتَارُهَا

وَلَقَدْ أَفَاضَ عَلَيْهِ مِنْ خِلَعِ ٱلرِّضَا ... لَوْناً تَزِيدُ سَناً بِهِ أَقْمَارُهَا

فَٱسْلَمْ تَقِيَّ ٱلدِّينِ وَٱبْقَ لِدَوْلَةٍ ... تَبْقَىٰ وَبَابُكَ سُورُهَا وَسِوَارُهَا

ولهُ فيهِ قصائدُ ، ولغيرِهِ مِنَ الشعراءِ نظمٌ كثيرٌ ، لو ذكرتُهُ لطالَ ، وكنتُ تشرَّفْتُ بمدحِهِ بقصيدةٍ ؛ منها : [من الكامل]

قَصَدَتْ حِمَاكَ نَجَائِبُ ٱلآمَالِ ... لِتَؤُولَ مِنْ نُعْمَاكَ خَيْرَ مَآلِ

(١) الطُّلَىٰ : جمع طُلاة أو طُلْية ؛ وهو العنق .

(٢) الذَّرِب : الفصيح ، أو هو الذي صار حديداً ماضياً .

مَا زِلْتُ أُنْضِيهَا وَأَمْنَحُهَا ٱلْمُنَىٰ ... وَأَحُثُّهَا بِٱلشَّدِّ وَٱلتَّرْحَالِ[1]

وَأَذُودُهَا عَنْ وِرْدِهَا بَعْدَ ٱلظَّمَا ... صَافِي ٱلْعُيُونِ وَآسِنَ ٱلأَوْشَالِ[2]

أَخْطُو بِهَا لَيْلَ ٱلْخُمُولِ مُكَابِداً ... لِمَهَامِهِ ٱلإِقْتَارِ وَٱلإِقْلَالِ

حَتَّىٰ إِذَا يَئِسَتْ وَطَالَ عَنَاؤُهَا ... سَمَحَتْ لَهَا ٱلأَيَّامُ بَعْدَ مِطَالِ

حَمِدَتْ سُرَاهَا حِينَ أَدَّاهَا إِلَىٰ ... خَضِلِ ٱلرِّيَاضِ وَسَابِغِ ٱلأَظْلالِ[3]

أَرْسَلْتُهَا تَرْعَى ٱلْمَرِيعَ وَطَالَمَا ... أَمْسَكْتُهَا لِتَعَفُّفِي بِعِقَالِ

وَنَقَعْتُ غُلَّتَهَا بِبَحْرٍ مُعْذِبٍ ... سَاغَتْ مَشَارِبُهُ لِذِي بَلْبَالِ

قَالَتْ وَقَدْ رَأَتِ ٱلْوَزِيرَ وَجُودَهُ ... حَسْبِي بَلَغْتُ نِهَايَةَ ٱلآمَالِ

هَٰذَا ٱلْوَزِيرُ ٱبْنُ ٱلْوَزِيرِ ٱلْحَاكِمُ ٱبْـ ... ـنُ ٱلْحَاكِمِ ٱلنَّدْبُ ٱلْكَرِيمُ ٱلآلِ

جَمَعَ ٱلْمَهَابَةَ وَٱلسَّكِينَةَ وَٱرْتَدَىٰ ... بُرْدَيْ جَلالٍ بَاهِرٍ وَجَمَالِ

قَاضٍ يُوَافِقُ حُكْمُهُ حُكْمَ ٱلإِلَٰـ ... ـهِ فَلا يَخَافُ مَلامَةَ ٱلْعُذَّالِ

ثَبْتُ ٱلْجَنَانِ فَلا تَطِيشُ سِهَامُهُ ... فِي يَوْمِ آرَاءٍ وَيَوْمِ جِدَالِ

وَتَرَى ٱلصَّوَابَ مُوَكَّلاً بِمَقَالِهِ ... أَكْرِمْ بِهِ مِنْ مَنْطِقٍ وَمَقَالِ

يَا رَاقِياً دَرَجَ ٱلْمَكَارِمِ سَاحِباً ... فَوْقَ ٱلسِّمَاكِ سَوَابِغَ ٱلأَذْيَالِ

حَقّاً بِكَ ٱلتَّدْرِيسُ تَاهَ وَمِنْبَرٌ ... يَهْتَزُّ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ أَحْوَالِ

شَرَّفْتَ ذَا بِغَزِيرِ عِلْمِكَ مِثْلَمَا ... شَنَّفْتَ ذَا بِجَوَاهِرٍ وَلآلِي

خُطَبٌ هِيَ ٱلرَّوْضُ ٱلأَرِيضُ يَجُودُهَا ... غَيْثُ ٱلْعُلُومِ بِمُغْدِقٍ سَلْسَالِ

سَحَبَتْ قُوَىٰ سَحْبَانَ عَجْزاً بَعْدَمَا ... جَرَّتْ جَرِيراً نَحْوَ عِيٍّ كَلالِ

وَعْظٌ هُوَ ٱلدُّرُّ ٱلنَّظِيمُ مُفَوَّفٌ ... بِبَدَائِعِ ٱلأَخْبَارِ وَٱلأَمْثَالِ

(١) أنضيها : أهزلها حتىٰ يذهب لحمها .

(٢) الأوشال : مياه تسيل من أعراض الجبال فتجتمع ثم تساق إلى المزارع .

(٣) الخَضِل : كل شيء نديٍّ يترشَّف .

وَكَسَوْتَ مِنْبَرَكَ ٱلْعَلِيَّ إِضَاءَةً ... مَلأَتْ قُلُوبَ ٱلْخَلْقِ بِٱلإِجْلالِ
عَجَباً لِسَاعِدَةٍ بِكَفِّكَ كَيْفَ لَمْ ... تُورِقْ بِقَبْضِ بَنَانِكَ ٱلْهَطَّالِ

منها :

أَإِمَامَنَا كُلُّ ٱلْمَنَاصِبِ أَظْهَرَتْ ... شَوْقاً إِلَيْكَ وُقِيتَ عَيْنَ كَمَالِ[1]
وَٱلشَّافِعِيُّ ٱشْتَاقَ قُرْبَكَ حَيْثُ لَمْ ... يَسْمَحْ لِغَيْرِكَ مَرَّةً بِوِصَالِ
أَحْيَيْتَ مَذْهَبَهُ فَحُقَّ لَهُ إِذَا ... وَافَاكَ مَنْصِبُهُ بِغَيْرِ سُؤَالِ
فَلَكَ ٱلْهَنَاءُ بِهِ وَحُقَّ لَهُ ٱلْهَنَا ... يَا غُنْيَةَ ٱلإِعْدَامِ وَٱلإِقْلالِ
يَا مَنْ بِهِ عَمَرَتْ مَعَالِمُ لِلْهُدَىٰ ... لَوْلاكَ أَضْحَىٰ دَارِسَ ٱلأَطْلالِ

ولي فيهِ قصائدُ غيرُ هٰذهِ .

وُلِدَ قاضي القضاةِ تقيُّ الدينِ [في ثاني عشرَ رمضانَ سنةَ تسعٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ][2] ، وتُوفِّيَ يومَ الخميسِ سادسِ جمادى الأولىٰ سنةَ خمسٍ وتسعينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ[3] .

* * *

(١) قوله : (عين كمال) قال الثعالبي في « ثمار القلوب » (١/ ٤٩٩) : (إذا انتهى الشيء إلىٰ منتهاه وبلغ غايته ، ووافق ذلك إعجاب من يراه ، ثم عرض له بعض أعراض الدنيا . . قيل : قد أصابته عين الكمال ، وفي الدعاء : صرف الله عنك عين الكمال) .

(٢) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وقد استدركناه من « تاريخ الإسلام » (٥٢/ ٢٦٢) ، وقال الذهبي : (نقلته من خط الحافظ سعد الدين الحارثي رحمه الله ، وهو عزيز الوجود ؛ أعني : ذكر مولده ؛ فإنه كان لا يخبر به أحداً) ، وبذلك يتبين سبب البياض الذي في (أ ، ب) ، وخصوصاً أن (أ) لم يتح للمؤلف تبييضها تبييضاً تاماً .

(٣) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٧٢-١٧٥) ، و« تاريخ الإسلام » (٥٢/ ٢٦١-٢٦٢) ، و« رفع الإصر » (ص٢٢٢-٢٢٤) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ الشريفُ ضياءُ الدينِ جعفرُ بنُ محمدِ بنِ عبدِ الرحيمِ بنِ حجُّونَ الحسينيُّ القِنائيُّ الشافعيُّ]

العالمُ الذي تفرَّعَ عن أصلٍ انتمى الأمجادُ إلىٰ دوحةِ مجدِهِ[1] ، وتدرَّجَ حللَ الفخرِ التي وَرِثَها عن أبيهِ وجدِّهِ ، وتفرَّدَ في زمانِهِ فهوَ نسيجُ وحدِهِ ، يسرُّكَ منهُ المنظرُ والمخبرُ ، ويسري إليكَ اليمنُ مِنْ مُحيَّاهُ المشرقِ الأنورِ ، وتتحلَّىٰ مِنْ فرائدِ فوائدِهِ بما يفضحُ الجوهرَ ، وتتملَّىٰ بعذوبةِ إيرادِهِ حتىٰ تقولُ : هـٰذا بحرٌ لا جعفرٌ[2] ، تولَّى المجدَ بدربتِهِ فأسعدَ جَدَّهُ[3] ، فهوَ عالمٌ عارفٌ ما ظلمَ حينَ أشبهَ أباهُ وجَدَّهُ[4] .

وبالجملةِ : فهوَ ضياءٌ طلعَ بينَ شموسٍ وبدورٍ ، وقمرٌ سطعَ قبلَ الغروبِ فهوَ نورٌ علىٰ نورٍ ، فهوَ السيِّدُ الشريفُ ضياءُ الدينِ[5] جعفرُ ابنُ السيِّدِ الشريفِ كمالِ الدينِ محمدِ ابنِ السيِّدِ الشريفِ الوليِّ العارفِ عبدِ الرحيمِ بنِ حجُّونَ الحسينيِّ المُقدَّمِ ذكرُهُ[6] .

(١) في (ب) : (انتهىٰ) ، وتحتمله في (أ) ، وتحتمل أيضاً : (أنهىٰ) ، والمثبت أقرب رسماً ومعنىً .

(٢) الجعفر : النهر الصغير ، وفي كلامه تورية ظاهرة لا تخفىٰ .

(٣) أي : أنمىٰ حظَّه .

(٤) أخذ هـٰذا المعنىٰ من بيت رؤبة الشهير : (من الرجز)

بـأبـهِ اقتـدىٰ عَـدِيٌّ فـي الكَـرَمْ ... ومَـنْ يشـابِـهْ أبَـهُ فمـا ظَلَـمْ

(٥) ويكنىٰ : أبا الفضل .

(٦) انظر (١/ ٥١٥ـ٥١٧) .

اشتغلَ : على الشيخِ مجدِ الدينِ ابنِ دقيقِ العيدِ ، **وسمعَ** : الشيخَ زكيَّ الدينِ ، والبهاءَ ابنَ الجُمَّيزيِّ ، والشيخَ عزَّ الدينِ بنَ عبدِ السلامِ ، واستفادَ منهُم .

أعادَ بالشافعيِّ بالمدرسةِ الناصريةِ ، ودرَّسَ بمشهدِ الإمامِ الحسينِ بالقاهرةِ ، ودرَّسَ بالمدرسةِ الناصريةِ الصلاحيةِ المجاورةِ لجامعِ مصرَ ، وتُوفِّيَ مُدرِّساً بها .

وكانَ حسنَ العبارةِ والصورةِ ، خطيباً عَلِيَّ المعاني ، طالعَ الكثيرَ ، **واشتغلَ بالأصولَين** : على الشيخِ مجدِ الدينِ ، وعلى الشيخِ شمسِ الدينِ الخُسْرَوشاهيِّ أيضاً[1] .

وكانَ لهُ النظمُ الحسنُ ، ونظمَ أرجوزةً في أصولِ الفقهِ وأصولِ الدينِ نظماً للمَعالِمَينِ[2] .

وكانَ كثيرَ البِشْرِ طلقَ المُحيَّا ، مليحَ الدُّعابةِ ، مُتوسِّعَ العبارةِ في الفُتيا[3] .

وُلِدَ في مدينةِ قِنا في أواخرِ سنةِ ثمانِ عشرةَ وستِّ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في [ثاني عشرَ ربيعٍ الآخرِ سنةَ] ستٍّ وتسعينَ وستِّ مئةٍ رحمَهُ اللهُ[4] .

* * *

(١) **ومن جملة من تخرَّج عليه** : أبو العباس ابن الرفعة صاحبُ « المطلب العالي » رحمه الله تعالىٰ .

(٢) أي : « معالم أصول الفقه » و« معالم أصول الدين » ، وكلاهما للإمام الفخر الرازي رحمه الله تعالىٰ .

(٣) وأفتىٰ بضعاً وأربعين سنة على السداد رحمه الله تعالىٰ .

(٤) انظر « الطالع السعيد » (ص٩٤ـ٩٥) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ١٣٧ـ١٣٨) ، و« المقفى الكبير » (٣/ ٣٨) .

ومنهُمُ :

[الإمامُ بهاءُ الدينِ هبةُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سيِّدِ الكلِّ العذريُّ القِفْطيُّ الشافعيُّ]

الشيخُ الإمامُ بهاءُ الدينِ الذي بهِ استبانَ بهاؤُهُ ، والنبيهُ إذا عُدَّ فضلاءُ الصعيدِ ونبهاؤُهُ ، والمهاجرُ في طلبِ العلومِ ، والهاجرُ للدَّعَةِ في رضا الحيِّ القيومِ ، إذا تأمَّلتَ كلامَهُ في صوابِهِ وسدادِهِ، تيقَّنتَ أنَّهُ هبةُ اللهِ لعبادِهِ .

فهوَ بهاءُ الدينِ[1] هبةُ اللهِ بنُ عبدِ اللهِ بنِ سيِّدِ الكلِّ ، العذريُّ الشافعيُّ المعروفُ بـ(القِفْطيِّ) .

نشأَ بالصعيدِ ، واشتغلَ بالأصولَينِ : على الشيخِ مجدِ الدينِ ابنِ دقيقِ العيدِ ، ورحلَ إلى مصرَ واجتمعَ بالشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، والشيخِ زكيِّ الدينِ ، واستفادَ منهُما ، ثمَّ عادَ إلى الصعيدِ ، ودرَّسَ وأفتى بقوصَ وإسْنا .

وشرحَ « تنقيحَ الشيخِ مجدِ الدينِ » في الأصولِ ، وشرحَ « مقدمةَ المطرِّزِ » في النحوِ ، وشرحَ « الهاديَ »[2] ، وشرحَ « عمدةَ الطبريِّ » ، وصنَّفَ كتاباً في مناقبِ الصحابةِ[3] ، وصنَّفَ كتاباً في ثناءِ القرابةِ على

(١) ويكنى : (أبا القاسم) .

(٢) وهو مختصر نفيس في الفقه ، تأليف الإمام الكبير قطب الدين أبي المعالي الطُّرَيْثِيثي النيسابوري .

(٣) وسمَّاه : « الأنباء المستطابة في مناقب الصحابة والقرابة » ، وحكى الفقيه فخر الدين عبد الرحيم بن حريز الإسنائي أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم والشيخُ بهاء الدين بين يديه=

الصحابةِ وثناءِ الصحابةِ على القرابةِ[1] .

وكانَ مُتفنِّناً في العلمِ ، وليَ نيابةَ الحكمِ بقوصَ عنِ ابنِ عتيقٍ ، ثمَّ استقالَ مِنْ ذلكَ .

ولم يَزَلْ عاكفاً على الاشتغالِ والإشغالِ إلىٰ أنْ تُوفِّيَ [بإسنا سنةَ سبعٍ وتسعينَ وستٍّ مئةٍ][2] .

* * *

= يقرأ عليه هٰذا الكتاب والنبي يقول له : « أحسنت أحسنت » انظر « الطالع السعيد » (ص٣٩٨) .

(١) **والهدف من هٰذا المؤلف والذي قبله** : الردُّ علىٰ بقايا الرافضة والشيعة المقيمين بإسنا الذين لم يعتقدوا اعتقاد المصريين ، وانظر مؤلفاته في « الطالع السعيد » (ص٣٩٨) .

(٢) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وانظر « البدر الطالع » (ص٣٩٦ـ٤٠١) وترجمه ترجمةً حافلة ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٣٩٠ـ٣٩٢)، و«بغية الوعاة» (٢/ ٣٢٥)، وقال ابن السبكي في « الطبقات » : (**اختلف في مولده** ؛ **فقيل** : سنة سبع وتسعين وخمس مئة ، **وقيل** : سنة ست مئة ، **وقيل** : سنة إحدىٰ وست مئة ، **ولعله الأقرب**) ، ورأىٰ راءٍ في المنام أن الإمام الشافعي قد مات ، فانتبه فإذا المنادي ينادي : مات البهاء القفطي ، رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه .

ومنهُمُ :

[الإمامُ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ المَرْجانيُّ القرشيُّ التونسيُّ المالكيُّ]

الشيخُ الإمامُ القدوةُ ، المستمسكُ مِنَ التُّقى بأوثقِ عروةٍ ، العارفُ الذي سُلِبَ لديهِ كلُّ عارفٍ ، والمستملي مِنَ الغيبِ ما ينطقُ بهِ مِنَ المعارفِ ، الراسخُ في العلمِ والحكمةِ ، والناسخُ بضياءِ معارفِهِ دياجيَ المشكلاتِ المُدلهمَّةِ ، والسافرُ لِثامَ الإبهامِ عن وجوهِ التفسيرِ ، والمقولُ للمسترشدِ بهِ : سقطتَ على الخبيرِ ، والحبرُ الذي لا يحسنُ إلا عن مثلِهِ التحبيرُ ، والآتي بما في النفسِ والمكاشفُ بما في الضميرِ ، قدِ افترعَ أبكارَ المعاني التي لم يطمثْها إنسٌ قبلَهُ ولا جانٌّ[1] ، وأنبعَ مِنْ علومِهِ بحاراً كلُّ البحارِ لديها خُلجانٌ ، وأطلعَ مِنْ تلكَ البحارِ جواهرَ ألفاظِهِ فهوَ جوهريٌّ انتسبَ إلى المَرْجانِ .

دخلَ مصرَ على حينِ غفلةٍ مِنْ أهلِها ، وحَيْنِ نُقْلةٍ ذهبَتْ بأكابرِ علمائِها وجُلِّها ، فجلا صدأَ القلوبِ بما أظهرَهُ مِنْ معارفِهِ وجلَّاهُ ، وأخرجَ أهلَها مِنَ الظلماتِ إلى النورِ حينَ ذكَّرَهُم بأيامِ اللهِ ، وأحيا قلوبَهُم بما يُلقيهِ مِنَ التذكيرِ ، وعرَّفَ جاهلَهُم بعدَ التنكيرِ ، وحجَّ مرَّتينِ ، وزارَ كرَّتينِ .

ثمَّ أقامَ بمصرَ يسيراً ، وأزمعَ عنها إلى بلادِهِ رحيلاً ومسيراً ، فاستوحشَتْ مصرُ لفراقِهِ ، وانتقلَ إلى الغربِ منيرُ إشراقِهِ ، وكانَ بها أفولُ شمسِهِ ، ومنها قفولُ ناعي نفسِهِ ، فوردَ الخبرُ بانتقالِهِ ، فأحرقَ القلوبَ وأصمَّ الآذانَ مسمعُ مقالِهِ .

(١) الافتراع في الأصل : الافتضاض .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ القرشيُّ .

وُلِدَ بتونسَ ونشأَ بها ، **وقرأَ العلمَ** : على أبي فارسٍ عبدِ العزيزِ بنِ بَزيزةَ ، وعلى أبي عليٍّ بنِ رُشيدٍ ، **وقرأَ النحوَ** : على أبي عليٍّ الحسنِ الزبيديِّ أحدِ الإخوةِ الثلاثةِ الزبيديينَ ، **وصحبَ في التصوفِ** : أبا عليٍّ ابنَ السمَّاطِ ، وأخذَ عنهُ طريقَ القومِ .

وجعلَ لهُ اللهُ وُدّاً في قلوبِ أهلِ المشرقِ والمغربِ ، وألقى عليهِ محبَّةً منهُ ، وأجمعَ عليهِ العامَّةُ والخاصَّةُ مُحِبِّينَ لهُ ومُعظِّمَينِ لهُ بما يجبُ مِنْ تعظيمِهِ .

وكانَتْ لهُ اليدُ الطُّولى في الفقهِ ، وأصولِ الدينِ ، والتفسيرِ ، والمعارفِ ، وإيضاحِ المعاني الخفيَّةِ باللفظِ الجليِّ الواضحِ ، الذي يفهمُهُ العاميُّ كما يفهمُهُ العالمُ .

وكانَ يُقالُ لهُ : مِنْ أينَ لسيِّدي هـٰذا كلِّهِ ؟! فيقولُ : أسمعُ كما تسمعونَ ، وصدقَ في ذلكَ رضيَ اللهُ عنهُ ، لم يكنْ ذلكَ في قوَّةِ بشرٍ[1] .

ومِنْ كلامِهِ : ما استملاهُ سيِّدُنا الإمامُ العالمُ الأصيلُ ، عمادُ الدينِ شرفُ العلماءِ ، فخرُ المدرِّسينَ أبو الحسنِ عليُّ بنُ السكَّريِّ نفعَهُ اللهُ ونفعَ بهِ ، ثمَّ عرضَهُ عليهِ فقبلَهُ منهُ ، واستصوبَ فعلَهُ ، ونقلتُهُ عنهُ مُتذكِّراً بهِ ما سمعتُهُ مِنَ الشيخِ .

(١) وقال الصفدي في « الوافي بالوفيات » (١٧/ ٣٢٠) : (ولا كان أحد يقدر يعيد ما يقوله ؛ لكثرة ما يقول على الآية ، ولربما فسَّر الآية الواحدة على لسان القوم ثلاثة أشهر) ، وقال اليافعي في « مرآة الجنان » (٤/ ٢٣٢) : (ومما بلغني عنه : أنه قيل له : قال فلان : رأيت عمود نور ممتداً من السماء إلى فم الشيخ أبي محمد المرجاني في حال كلامه ، فلما سكت ارتفع ذلك العمود ، فتبسَّم الشيخ ، وقال : ما عرف يعبر ، بل لما ارتفع العمود سكتُّ) .

فمِنْ ذلكَ : قولُهُ في تفسيرِ سورةِ (البروج) في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [البروج : ١٦] في آخرِ كلامِهِ في ذلكَ : (﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ ؛ أي : لا يُنكَرُ فعلُهُ ؛ فتارةً يُرقِّي العبدَ إلى الملأِ الأعلىٰ ، وتارةً يُنزِلُهُ إلىٰ قعرِ البَهْموتِ[1] ، ولا يُقالُ : « كيفَ ؟ » ولا « لِمَ ؟ » إذ هوَ المُتفرِّدُ بالجلالِ لا يُسأَلُ عمَّا يفعلُ ، ومِنْ ها هنا يظهرُ قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تُفَضِّلُوني عَلَىٰ يُونُسَ بْنِ مَتَّىٰ »[2] .

قيلَ : إنَّ بعضَ العلماءِ سُئِلَ عن هٰذهِ المسألةِ ، فقالَ ما معناهُ : إنَّ بذلَ جميعِ ما يُقدَرُ عليهِ مِنَ المالِ قليلٌ في إفادةِ الجوابِ ، والجوابُ عن ذلكَ أنَّهُ : كأنَّهُ يقولُ صلواتُ اللهِ عليهِ وسلامُهُ : البارئُ سبحانَهُ وتعالىٰ لا يتحيَّزُ ، ولا يختصُّ بجهةٍ ولا مكانٍ ، فلا فرقَ بينَ معنىٰ إسرائي ومُجاوزتي لسدرةِ المنتهىٰ ، وبينَ يونسَ بنِ متَّىٰ وهوَ في بطنِ الحوتِ ، الحكمُ في الاتِّصالِ واحدٌ ؛ إذِ التجلِّي لمَنْ هوَ في بطنِ الحوتِ وفي مقامِ مجاوزةِ السماواتِ والمرورِ علىٰ سدرةِ المنتهىٰ . . واحدٌ ، وذلكَ أفعالُ البارئِ ، يُظهِرُ عبدَهُ في صورةٍ وينقلُهُ إلى الضدِّ ، والقدرةُ صالحةٌ للضدِّ والنقيضِ) .

انظرْ وفَّقَكَ اللهُ كيفَ صرَّحَ بنفيِ الجهةِ ، رضيَ اللهُ عنهُ وعنَّا بهِ .

ومِنْ كلامِهِ رضيَ اللهُ عنهُ : ما استطردَ بهِ في تفسيرِ سورةِ (سبِّحِ اسمَ ربِّكَ الأعلىٰ) فقالَ بعدَ ذكرِهِ مقامَ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : (وإذا تُحقِّقَ ذلكَ ، وأُلهِمَ العبدُ ما وقعَتِ الإشارةُ بطلبِهِ مِنَ العبدِ أولَ ما يفتحُ بصرَهُ علىٰ تسبيحِ المولىٰ سبحانَهُ وتعالىٰ وإجلالِهِ في كبريائِهِ ، وعظمتِهِ وجلالِهِ ، ثمَّ يعودُ بعدَ ذلكَ . . يُلاحِظُ جميلَ مخلوقاتِهِ ، وبدائعَ مصنوعاتِهِ .

(١) البهموت : الحوت الذي يُزعم أنه يحمل الثور الحاملَ للأرض .

(٢) أخرجه بنحوه البخاري (٣٤١٦) ، ومسلم (٢٣٧٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

فإذا تفهَّمَ معنىٰ قولِهِ : ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام : ١٢٢] . . فحقيقٌ بالعبدِ ألا يركنَ بسرِّهِ إلىٰ زخارفِ المخلوقاتِ، ولا إلى الرتبِ الدنيويةِ والولاياتِ .

وإنَّ كلَّ مَنْ وجدَ لهُ رسماً أُقِيمَ فيهِ ، ويداً قَوِيَ بها علىٰ أبناءِ جنسِهِ . . يُلاحِظُ في ذلكَ جلالَ مَنْ أقامَهُ وقوَّىٰ يدَهُ ، ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح : ١٠] ليسَتْ يدَ الجارحةِ ، وإنَّما هيَ يدُ القوَّةِ ؛ إذِ البارئُ سبحانَهُ مُنزَّهٌ عن ذلكَ ، وإنَّما لمَّا كانَتِ اليدُ محلاً للبطشِ والقوَّةِ كانَ مرادُهُ لمعناها لا لذاتِها ؛ إذِ اليدُ الشلاءُ لا منفعةَ فيها ، فلمَّا تقرَّرَ ذلكَ خاطبَ عبيدَهُ بما يفهمونَهُ مِنَ القوَّةِ والمنَعةِ) .

قالَ الشيخُ رحمَهُ اللهُ : (فإنْ قيلَ : فقد ثنَّى اليدَ في موضعٍ آخرَ ؛ فقالَ : ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾ [ص : ٧٥] ، وقالَ في الجمعِ : ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ * وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس : ٧١-٧٣] وأنتُم قلتُم : إنَّ المرادَ باليدِ القوَّةُ ، والقوةُ شيءٌ واحدٌ ، فكيفَ تُثنَّىٰ وتُجمَعُ ؟

فالجوابُ عن ذلكَ : أنَّهُ حيثُ أفردَ أرادَ الاتِّصافَ بالقوَّةِ علىٰ كلِّ ذي قوَّةٍ مِنْ سائرِ المخلوقاتِ كما بُيِّنَ ، وحيثُ ثنَّىٰ في آيةِ آدمَ عليهِ السلامُ فقالَ : ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ . . وكلكَ أنَّهُ لمَّا قسمَ ذريةَ آدمَ عليهِ السلامُ إلىٰ قسمينِ في السعادةِ والشقاوةِ . . أنَّ كلاً منهُما بتقديرِهِ ، فأطلقَ التثنيةَ باعتبارِ القسمينِ المخلوقينِ ، فثنَّىٰ باعتبارِ المخلوقيةِ لا باعتبارِ أصلِ الخلقِ .

وكذلكَ يُفهَمُ مِنَ الجمعِ في الآيةِ الأخرىٰ ؛ حيثُ تعدَّدَتِ المخلوقاتُ مِنْ سائرِ الانتفاعاتِ ؛ كما قالَ : ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ . . .﴾ [النحل : ٥-٧] لما فيهِ

مِنَ المِنَّةِ بخلقِ الأنعامِ ، وها هنا عدَّدَ المنافعَ ؛ التذلُّلَ والركوبَ والأكلَ والشربَ وغيرَ ذلكَ ، وجمعَ باعتبارِ المنافعِ المخلوقاتِ كأنَّها مِنْ أيدٍ عملَتْ ذلكَ لا باعتبارِ أصلِ الخلقِ) .

انظرْ أرشدَكَ اللهُ إلى الشيخِ : كيفَ أوَّلَ اليدَ بالقوةِ ، وقوَّىٰ ذلكَ وناظرَ عليهِ وناضلَ عنهُ بردِّ الأسولةِ ، ولو تصدَّيتُ لما في كلامِهِ ممَّا يدُلُّ علىٰ حسنِ اعتقادِهِ ، وموافقتِهِ لأهلِ الحقِّ . . لطالَ ذلكَ .

عقيدة الإمام المرجاني

وممَّا يُناسِبُ ما نحنُ فيهِ : أنْ نذكرَ عنهُ « عقيدتَهُ » التي كانَ يقرؤُها معَ حزبِهِ في صبيحةِ كلِّ يومٍ ، ويأمرُ أصحابَهُ ومَنْ حضرَ عندَهُ بقراءتِها معَ الحزبِ ، ويحثُّ علىٰ حفظِها ؛ وهيَ :

(اعلموا وفَّقَنا اللهُ وإيَّاكُم لتوحيدِهِ ، وأعانَنا علىٰ لزومِ تمجيدِهِ : أنَّهُ يجبُ علىٰ كلِّ بالغٍ عاقلٍ أنْ يعلمَ أنْ لا إلٰهَ إلا اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ ، وأنَّهُ واحدٌ لا شريكَ لهُ ، قديمٌ لا أولَ لهُ ، دائمٌ لا آخرَ لهُ ، ليسَ لهُ ضدٌّ ولا نظيرٌ ، ولا مُعينٌ ولا وزيرٌ ، ولا تُماثِلُهُ الموجوداتُ ولا يماثلُها ، ولا تحويهِ الأزمانُ ولا الجهاتُ ولا يَحُلُّ فيها ، ولا يحتاجُ إلىٰ مكانٍ ، ولا يفتقرُ إلىٰ زمانٍ ، هوَ اللهُ سبحانَهُ الآنَ مِنَ التنزيهِ والتمجيدِ والتقديسِ والتعظيمِ علىٰ ما كانَ ، موصوفٌ بصفاتِهِ الأزليَّةِ ، ونعوتِهِ الجليلةِ الأبديَّةِ .

فهوَ سبحانَهُ حيٌّ عالمٌ بجميعِ المعلوماتِ ، قادرٌ علىٰ جميعِ الممكناتِ ، مريدٌ لجميعِ الكائناتِ ، سميعٌ لجميعِ المسموعاتِ ، مُبصِرٌ لجميعِ المرئيَّاتِ ، مُدرِكٌ لجميعِ المُدرَكاتِ ، مُتكلِّمٌ بكلامٍ أزليٍّ ليسَ بحروفٍ ولا أصواتٍ ، لا تتحرَّكُ ذرَّةٌ إلا بإذنِهِ ، ولا يتكوَّنُ موجودٌ إلا بمشيئتِهِ وقدرتِهِ ، فلا يقعُ في

ملكِهِ إلا ما أرادَ ، ولا يجري في خلقِهِ إلا ما قدَّرَ ، لا يشُذُّ عن قدرتِهِ مقدورٌ ، ولا يعزُبُ عن علمِهِ خفيَّاتُ الأمورِ ، لا تُحصىٰ مقدوراتُهُ ، ولا تتناهىٰ معلوماتُهُ ولا مراداتُهُ .

أنشأَ الموجوداتِ كلَّها ، وخلقَ أفعالَهُم بأسرِها ، وقدَّرَ أقواتَهُم وآجالَهُم بجملتِها ؛ فلا يزيدُ ولا ينقصُ ولا يتقدَّمُ ولا يتأخَّرُ شيءٌ عن شيءٍ منها ، وهيَ جاريةٌ علىٰ ما رتَّبَها وقدَّرَها في سابقِ علمِهِ ووَفْقِ إرادتِهِ .

مُنزَّهٌ عن صفاتِ الخلقِ ، مُبرَّأٌ عن سماتِ الحدوثِ والنقصِ ؛ فلا تُشبِهُ صفاتُهُ العليَّةُ صفاتِهِم ، كما لا تُشبِهُ ذاتُهُ القدسيةُ ذواتِهِم ؛ فلا يتجدَّدُ عليهِ علمُ معلومٍ ، ولا تحدثُ لهُ إرادةٌ لم تكنْ ، ولا يعتريهِ عجزٌ ولا قصورٌ ، ولا يلحقُهُ سهوٌ ولا فتورٌ ، ولا يغفلُ سبحانَهُ عن أمرٍ مِنَ الأمورِ ، ولا يفعلُ بآلةٍ ، ولا يستعينُ بجارحةٍ ، ولا يسمعُ بأذنٍ ، ولا يبصرُ بحدقةٍ وجفنٍ ، ولا يبطشُ بيدٍ ، ولا يُوصَفُ بلونٍ ، ولا يعلمُ بقلبٍ ، ولا يُدبِّرُ بفكرٍ ، ولا يتكلَّمُ بلسانٍ ، ولا هوَ عرضٌ ولا جوهرٌ ولا جُثْمانٌ ، سبحانَهُ العظيمِ الشانِ !! فلهُ الصفاتُ العلا والأسماءُ الحسنىٰ .

أرسلَ الرسلَ بالبيناتِ ، وأيَّدَهُم وقوَّاهُم بالمعجزاتِ ، وجعلَ آخرَهُم وخاتَمَهُم خيرَ أهلِ الأرضِ والسماواتِ ؛ محمدَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ عبدِ المطلبِ النبيَّ الأميَّ العربيَّ القرشيَّ المكيَّ المدنيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وشرَّفَ وكرَّمَ ، أرسلَهُ بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى اللهِ بإذنِهِ وسراجاً مُنيراً ، إلىٰ جميعِ الخلقِ كافَّةً ؛ أسودِهِم وأحمرِهِم ، عربيِّهِم وعجميِّهِم ، إنسِهِم وجنِّهِم ، فبلَّغَ الرسالةَ ، وأدَّىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الأمانةَ ، ونصبَ الأدلَّةَ علىٰ صدقِهِ ، والبراهينَ الساطعةَ علىٰ صحَّةِ قولِهِ ، فكلُّ ما أخبرَ بهِ عنِ اللهِ سبحانَهُ فهوَ حقٌّ ، وجميعُ ما قالَهُ فهو لا محالةَ صدقٌ .

فممَّا أخبرَ بهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : أنَّ المؤمنينَ يرونَ ربَّهُم في الآخرةِ بأبصارِهِم ، وأنَّهُ يبعثُهُم وجميعَ الخلقِ بعدَ الموتِ ، ويحشرُهُم للحسابِ والثوابِ والعقابِ ، وأنَّ الجنةَ والنارَ ، والحوضَ والميزانَ ، والصراطَ والشفاعةَ ، وسؤالَ الملكَينِ المُلقَّبينِ بمنكرٍ ونكيرٍ الميِّتَ في قبرِهِ عن معبودِهِ ونبيِّهِ ودينِهِ . . كلُّ هٰذا حقٌّ صحيحٌ ثابتٌ ، جاءَتْ بهِ الآثارُ ، والصحيحُ مِنَ الأخبارِ .

كلُّ هٰذا حقٌّ صحيحٌ ثابتٌ[1] .

هٰذا اعتقادُ أهلِ السنَّةِ ، وعلماءِ الأمَّةِ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ)[2] .

وقد كانَ الشيخُ أبو محمدٍ رحمَهُ اللهُ قد عزمَ على التوجُّهِ إلىٰ بلادِ المغربِ ، فأرسلَ المنصورُ علىٰ يدِ بعضِ الأمراءِ كتاباً إلىٰ مجدِ الدينِ معالي بنِ معالي بنِ قرطاسٍ الجزريِّ ، يسألُهُ أنْ يتلطَّفَ في سؤالِ الشيخِ أبي محمدٍ أنْ يُقيمَ في مصرَ ؛ إنشاءَ البرهانِ بنِ الطرائفيِّ أبدعَ فيهِ كلَّ الإبداعِ .

ومُدِحَ الشيخُ في سائرِ الآفاقِ بالنظمِ والنثرِ ، فممَّنْ مدحَهُ : الأديبُ الفاضلُ كمالُ الدينِ محمدُ بنُ علمِ الدينِ بنِ بشائرَ بأبياتٍ ؛ منها : [من الكامل]

يَا مَنْ مُرُوجُ ٱلْعِلْمِ مَوْطِنُ نَفْسِهِ ... مَا بَالُهُمْ سَمَّوْكَ بِٱلْمَرْجَانِي

إِنْ كَانَ قَصْدُهُمُ ٱلنَّفَاسَةَ وَٱلْعُلا ... فَلأَنْتَ فَوْقَ ٱلدُّرِّ وَٱلْمَرْجَانِ

وللأديبِ الفاضلِ سراجِ الدينِ عمرَ الورَّاقِ ، وبعثَ بها[3] إلى الشيخِ وهوَ بالإسكندريةِ حينَ توجَّهَ إلى المغربِ : [من الطويل]

(١) هٰذه الجملة ليست في « فتاوى البرزلي » ، ويحتمل أنها زائدة ، أو راجعة إلىٰ جميع العقيدة ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) عزا الإمام البرزلي هٰذه العقيدة في « فتاويه » (٦/ ٣٦١ـ٣٦٢) إلى الإمام أبي جعفر أحمد بن يوسف بن علي الفهري اللَّبْلي صاحب « الفهرس » المشهور ، واللبلي توفي سنة (٦٩١هـ) أي : قبل وفاة المرجاني بثماني سنوات تقريباً .

(٣) قوله : (وبعث بها) أي : بالقصيدة ، وهي مفهومة من السياق .

شَكَا ٱلْمَغْرِبُ ٱلأَقْصَىٰ لَكُمْ مَا شَكَتْ مِصْرُ ... مِنَ ٱلشَّوْقِ لا حَدٌّ لَدَيْهِ وَلا حَصْرُ

وَحُـقَّ لِأَقْطَـارِ ٱلْبِـلادِ ٱشْتِيَـاقُهَـا ... لَكُمْ وَبِكُمْ فِي ٱلْجَذْبِ يُسْتَنْزَلُ ٱلْقَطْرُ

وَحُبُّكُـمُ قَـدْ طَـارَ شَـرْقـاً وَمَغْـرِبـاً ... وَفِـي كُـلِّ قَلْـبٍ مُـؤْمِـنٍ فَلَـهُ وَكْـرُ

وَحَيْثُ حَلَلْتُمْ حَلَّتِ ٱلرَّحْمَةُ ٱلَّتِي ... بِهَا تُرْفَعُ ٱلْبَلْوَىٰ وَيُسْتَدْفَعُ ٱلضُّرُّ

وَمَـنْ لا يَـرَاكُـمْ قَـائِـلٌ إِذْ يَـرَاكُـمُ ... فَلَمَّـا ٱلْتَقَيْنَـا صَغَّـرَ ٱلْخَبَـرَ ٱلْخُبْـرُ

أَأَحْبَابَنَا كَمْ شِمْتُ فِي ٱلْجَوِّ بَارِقاً ... كَـأَنَّ سَنَـاهُ مِـنْ أَسِـرَّتِكُـمْ بِشْـرُ

وَأَخْفَيْتُ فِي طَيِّ ٱلنَّسِيمِ رَسَائِلِي ... فَنَـمَّ عَلَـىٰ سِرِّي لَكُـمْ ذَلِـكَ ٱلنَّشْـرُ

وَكَمْ جَهْدَ مَا أُخْفِي ٱلْهَوَىٰ فَتُذِيعُهُ ... دُمُوعِي وَهَلْ لِلصَّبِّ مَعْ دَمْعِهِ سِرُّ

وَكُنْتُ أُرَجِّي ٱلطَّيْفَ فِي سِنَةِ ٱلْكَرَىٰ ... فَبَـانَـا كَمَـا بَـانَ ٱلتَّجَلُّـدُ وَٱلصَّبْـرُ

وَأَرَّقَ جَفْنِـي نَـوْحُ وَرْقَـاءَ سُحْـرَةً ... يُـؤَثِّـرُ فِـي ٱلأَلْبَـابِ مَـا أَثَّـرَ ٱلسِّـحْـرُ

شَكَتْ وَشَكَوْتُ ٱلْحُبَّ لَـٰكِنْ أَشَدُّنَا ... هَـوىً وَٱشْتِيَـاقـاً مَـنْ مَـدَامِعُـهُ غُـزْرُ

وَأَحْسَبُهَـا بَـاتَـتْ تُكَفْكِـفُ أَدْمُعِـي ... فَقَـدْ رَابَنِـي مِنْهَـا أَنَـامِلُهَـا ٱلْحُمْـرُ

فَهَلْ مِنْ جُنَاحٍ لَوْ أَعَارَتْ جَنَاحَهَا ... مَشُـوقـاً إِلَـىٰ أَحْبَـابِـهِ شَفَّـهُ ٱلْهَجْـرُ

أَمَـا وَٱلْهَـوَى ٱلْعُـذْرِيِّ وَهْـيَ أَلِيَّـةٌ ... يَقُومُ بِهَا لِي بَيْنَ أَهْلِ ٱلْهَوَىٰ عُذْرُ

لَقَـدْ شَـرُفَ ٱلْمَـرْجَـانُ مِنْكُـمْ بِنِسْبَـةٍ ... بِصِحَّتِهَـا مِـنْ لَفْظِكُـمْ شَهِـدَ ٱلـدُّرُّ

وَقَـدْ سَعِـدَ ٱلثَّغْـرُ ٱلَّـذِي قَـدْ حَلَلْتُـمُ ... بِـهِ فَلْيُقَبِّـلْ كَفَّكُـمْ عَنِّـيَ ٱلثَّغْـرُ

تَبَسَّـمَ عَـنْ شَـذْرٍ تَنَسَّـمَ عَـنْ شَـذىً ... تَضَوَّعُ مِنْ رَيَّاهُ دَارِينُ وَٱلشِّحْرُ[1]

وَأَصْبَحَ مَحْسُـوداً مِـنَ ٱلْمُـدْنِ كُلِّهَـا ... وَذُو ٱلْفَضْلِ مَحْسُودٌ عَلَىٰ ذَا مَضَى ٱلدَّهْرُ

وَمَجْـدُكُـمُ أَسْمَـىٰ وَأَعْلَـىٰ مَنَـارَهَـا ... فَطَالَ إِلَىٰ أَنْ طَارَ مِنْ دُونِهِ ٱلنَّسْرُ[2]

كَمَـا سَعِـدَ ٱلْفُسْطَـاطُ مِنْكُـمْ بِـزَوْرَةٍ ... قَـدِ ٱشْتَـدَّ لِلـدِّيـنِ ٱلْحَنِيـفِ بِهَـا أَزْرُ

(١) الشَّذْر : صغار اللؤلؤ .

(٢) في (ب) : (أمسىٰ) بدل (أسمىٰ) .

وَطَـالَ بِـهِ ٱلإِيمَـانُ شَـأْواً فَنُكِّسَـتْ ... مِنَ ٱلذُّلِّ هَامٌ كَانَ شَمَّخَهَا ٱلْكُفْرُ

وَصُمَّـتْ لِـذِكْـرِ ٱللهِ فِيـهِ مَحَـافِـلٌ ... عَـلا بَيْـنَ أَمْـلاكِ ٱلسَّمَـاءِ لَهَـا ذِكْـرُ

وَزَادَ بِـهِ ٱلنِّيـلُ ٱلْـوَفِـيُّ بِنُبْلِكُـمْ ... وَفَـاءً فَمَـا لِلْبَيْـنِ شِيمَتُـهُ ٱلْغَـدْرُ

وَفَـاضَ وَفِضْتُـمْ بِـٱلْفَـوَائِـدِ لِلْـوَرَىٰ ... فَقَالَ ٱلْوَرَىٰ يَا مِصْرُ أَيُّهُمَا ٱلْبَحْرُ

وَجَامِعَ عَمْرٍو كُنْتَ جَامِعَ شَمْلِنَا ... بِـهِ حَيْـثُ لا زَيْـدٌ يُفَـارِقُـهُ عَمْـرُو

وَكَـمْ طَيَّبَـتْ أَسْحَـارَهُ مِنْـكَ رَوْضَـةٌ ... تَفَتَّـحَ لِلْعِلْـمِ ٱلشَّـرِيـفِ بِهَـا زَهْـرُ

وَهَـذَّبَـهُ عِلْـمُ ٱلأُصُـولِ مِـنَ ٱلْـوَرَىٰ ... فُرُوعاً بِهَا لِلدِّينِ كَمْ أَيْنَعَتْ ثُمْرُ

وَأَظْهَـرْتَ فِـي ٱلْقُـرْآنِ بَعْـدَ خَفَـائِهَـا ... كُنُـوزاً فَـلا وَٱللهِ مَـا بَعْـدَهَـا فَقْـرُ

وَبَيَّنْـتَ فِيـهِ مُشْكِـلاتٍ كَـأَنَّمَـا ... بَدَا فِي دُجَاهَا مِنْ عِبَارَتِكَ ٱلْفَجْرُ

فَكُـلُّ تَصَـانِيـفِ ٱلتَّفَـاسِيـرِ قَطْـرَةٌ ... إِذَا جَاشَ مِنَّا ٱلْبَحْرُ وَٱلْحَبْرُ وَٱلْبَرُّ

وَأَيَّـدْتَ أَحْكَـامَ ٱلْكِتَـابِ بِسُنَّـةٍ ... فَأَشْرَقَ مِنْ نُورَيْهِمَا ٱلشَّمْسُ وَٱلْبَدْرُ

وَأَوْضَحْتَ أَنْوَارَ ٱلْمَذَاهِبِ مِنْهُمَا ... فَلاحَتْ وَهَلْ تَحْكِي كَوَاكِبَهَا ٱلزُّهْرُ

وَأَوْضَحَ شَيْخُ ٱلشَّرْقِ وَٱلْغَرْبِ سُبْلَهَا ... فَأَصْبَحَ سَهْلاً مِنْ مَسَالِكِهَا ٱلْوَعْرُ

وَزَادَ أَحَـادِيـثَ ٱلصَّحِيحَيْـنِ صِحَّـةً ... طَبِيـبُ عُلُـومٍ مِنْـكَ أَفْـرَدَهُ ٱلْعَصْـرُ

وَمَنْ هُوَ فِي عِلْمِ ٱلطَّرِيقَةِ تُعْتَلَىٰ ... طَـرِيقَتُـهُ ٱلْمُثْلَـىٰ إِذَا أَبْهَـمَ ٱلأَمْـرُ

وَمَا ضَمَّتِ ٱلدَّهْنَاءُ مَا ضَمَّ صَدْرُهُ ... فَلَوْ جَالَسَ ٱلأَفْلاكَ كَانَ لَهُ ٱلصَّدْرُ

وَذَلِـكَ سِـرُّ ٱللهِ فِـي كُـلِّ عَـارِفٍ ... بِهِ عَامِلٍ مِنْهُ ٱسْتَوَى ٱلسِّرُّ وَٱلْجَهْرُ

إِلَيْـكَ إِمَـامَ ٱلْعَصْـرِ مِنَّـا تَحِيَّـةً ... لِكُـلِّ نَسِيـمٍ هَـبَّ مِـنْ نَشْـرِهَـا عِطْـرُ

وَمِمَّـا ٱزْدَهَـانَـا كُتْـبُ قَـوْمٍ أَفَـاضِـلٍ ... بِـذِكْـرِكَ فِيهَـا شُـرِّفَ ٱلنَّظْـمُ وَٱلنَّثْـرُ

وَعُذْرِيَ فِي ٱلتَّقْصِيرِ بَادٍ كَعُذْرِهِمْ ... وَمَـدْحُهُـمُ جَهْـدُ ٱلْمُقِـلِّ وَهُـمْ كُثْـرُ

وَعَلَيْـاكَ قَـدْ طَـالَـتْ إِلَيْهَـا مَسَـافَـةٌ ... وَنَحْـنُ بِهَـا سَفْـرٌ يُبَـاحُ لَنَـا ٱلْقَصْـرُ

فَهَبْنَـا إِذَا نَـاجَيْـتَ رَبَّـكَ دَعْـوَةً ... تَكُـونُ لَنَـا ذُخْـراً وَيَـا حَبَّـذَا ٱلـذُّخْـرُ

ولو تصدَّيتُ لذكرِ مدائحِهِ لأفنيتُ الأوراقَ .

تُوفِّيَ رضيَ اللهُ عنهُ [سنةَ تسعٍ] وتسعينَ وستِّ مئةٍ بتونسَ[1] .

* * *

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) ، وانظر « مرآة الجنان » (٤/ ٢٣٢ـ٢٣٣) ، و« الوافي بالوفيات » (١٧/ ٣٢٠) ، وفي (ب) : (تم الجزء الأول من كتاب « نجم المهتدي ورجم المعتدي » بحمد الله وعونه ، ويليه الجزء الثاني منه ، وأوله : « ومنهم : الشيخ العالم الذي توحَّد في العلوم ، فهو لِعَينِ الزمان إنسانُها » ، والحمد لله أولاً وآخراً) ، وهٰذا التقسيم من الناسخ ، ولم يرد في نسخة المؤلف .

ومنهُم[1] :

[الإمامُ المجتهدُ المُجدِّدُ تقيُّ الدينِ أبو الفتحِ محمدُ بنُ عليٍّ ابنُ دقيقِ العيدِ[2] القشيريُّ القوصيُّ المنفلوطيُّ المالكيُّ الشافعيُّ]

الشيخُ العالمُ الذي توحَّدَ في العلومِ فهوَ لِعَيْنِ الزمانِ إنسانُها ، وتفرَّدَ في المكارمِ فعنهُ تُسنَدُ أحاديثُها صِحاحُها وحِسانُها ، طالَما وصلَ المنقطعَ وأسندَ الغريبَ ، وتسلسلَ موردُ فضلِهِ وحلا فما الضَّرَبُ لهُ بضريبٍ[3] ، وأحيا قديمَ مآثرِ السلفِ بفضلِهِ الحديثِ ، ونشرَ العلومَ لما عُلِّمَ مِنْ تأويلِ الأحاديثِ ، ورُفِعَتْ رايةُ الروايةِ فتلقَّاها باليمينِ ورفعَها[4] ، وجمعَ أشتاتَ الفضائلِ حتىٰ سمعَ المقالةَ فأدَّاها كما سمعَها ، فهوَ اللافظُ إذا اجتهدَ بالصوابِ ، والحافظُ الذي عندَهُ علمٌ مِنَ الكتابِ ، جوهرةُ ذلكَ البحرِ الذي أبرزَتِ العنايةُ مكنونَهُ ، وسليلُ المجدِ فلأجلِ ذلكَ ما جازَهُ مجدٌ ولا حلَّ دونَهُ[5] .

(١) زاد قبلها في (ب) : (بسم الله الرحمٰن الرحيم ، وبه نستعين) .

(٢) وسبب شهرته بـ (ابن دقيق العيد) : أن جده لبس في يوم عيد ثياباً بيضاً ، فرآه جماعة من أهل الريف ، فقال قائل منهم : كأن ثيابه دقيق العيد ، فلزمه هٰذا اللقب واشتهر به . انظر « نهاية الأرب » (٣٢/ ٢٢) .

(٣) الضَّرَب : العسل الأبيض الغليظ .

(٤) لا يخفىٰ على القارئ النبيه أخذُه هٰذا المعنىٰ من قول الشمَّاخ : (من الوافر)

إذا مـــا رايـــةٌ رُفِعَـــتْ لمجـــدٍ تلقَّـــاهـــا عَـــرابـــةُ بـــاليمـــنِ

(٥) أشار به : إلىٰ قول أبي نواس يمدح الخصيب ملك مصر : (من الطويل)

فمـــا جـــازَهُ جـــودٌ ولا حـــلَّ دونَـــهُ ولٰكـــنْ يصيـــرُ الجـــودُ حيـــثُ يصيـــرُ

انظر « ديوانه » (ص٩٩) .

اشتغلَ على والدِهِ ، تابعاً لهُ في مصادرِهِ وموارِدِهِ ، ورحلَ في طلبِ الحديثِ ، غيرَ وانٍ ولا مستريثٍ ، وقدمَ مصرَ فزكَّاهُ زكيُّها[1] ، وأعلى بهاهُ بهاؤُها وعليُّها[2] ، وعزَّزَهُما بعزِّ الإسلامِ ، ابنِ عبدِ السلامِ .

واجتهدَ فأصابَ ، وغنيَ بما جمعَهُ مِنَ المسائلِ وغيرُهُ لم يُكمِلِ النصابَ ، وألحقَهُ الجدُّ بالأبِ فما فترَ ولا ونى ، وسبقَ أقرانَهُ مِنْ طلبةِ أبيهِ فنالَ المُنى ، ولقد مدُّوا بأيديهِمُ المجدَ فنالَ فوقَ أيديهِم ثمَّ ثَنى[3] .

ولم يَزَلْ بينَ تصنيفٍ ، ومطالعةٍ وتأليفٍ ، وإفادةٍ واستفادةٍ ، واستيلاءٍ على الحشويةِ والمبتدعةِ والأصواتيةِ وغيرِهِم مِنْ طوائفِ البدعِ .

هـٰذا ؛ ولهُ التصانيفُ التي أحرزَ علومَها ميراثاً ، والتواليفُ التي أصبحَ الحقُّ بها مُعاناً ومُغاثاً ، والنظمُ الذي غدا سحرُهُ في عُقَدِ النُّهى نفَّاثاً ، ويغدو لدَيها أحذقُ الشعراءِ في بلدِ بَلادتِهِ حَرَّاثاً .

وَلِيَ القضاءَ بالديارِ المصريةِ حينَ تعيَّنَ عليهِ مسؤولاً ، وانتُدِبَ لنصرةِ الشرعِ صارماً مسلولاً ، ثمَّ حدثَ ما أوجبَ تغيُّرَ خاطرِهِ مرَّتينِ ، فصرفَ نفسَهُ كرَّتينِ ، وفي كلتيهِما يُسألُ ويُسترضى ، وتُستأنَفُ لهُ الولايةُ ويُستقضى ، ولم يَزَلْ مُدرِّساً قاضياً ، إلى أنِ انتقلَ إلى اللهِ مَرْضِيّاً راضياً ، جادَ قبرَهُ الغمامُ ، ورحمَهُ الملكُ العلامُ .

(١) أي : حافظ عصره الإمام عبد العظيم المنذري زكي الدين .

(٢) أي : الإمام القاضي الفقيه بهاء الدين ابن الجمَّيزي .

(٣) قوله : (المجدَ) كذا في (أ ، ب) ، وهو منصوب على نزع الخافض ، والعبارة مأخوذة من قول الخنساء : (من المتقارب)

إذا القومُ مدُّوا بأيديهِمُ ... إلى المجدِ مدَّ إليهِ يدا
فنالَ الذي فَوقَ أيديهِمُ ... مِنَ المجدِ ثم مضى مُصعِدا

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ تقيُّ الدينِ أبو الفتحِ محمدُ بنُ الشيخِ الإمامِ مجدِ الدينِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ وهبِ بنِ مطيعِ بنِ أبي الطاعةِ المُقدَّمِ ذكرُهُ[1] .

اشتغلَ : علىٰ أبيهِ الشيخِ مجدِ الدينِ[2] ، ثمَّ رحلَ إلىٰ مصرَ[3] ، فسمعَ : الشيخَ زكيَّ الدينِ والفقيهَ بهاءَ الدينِ ، وأصحابَ أصحابِ السِّلَفيِّ ، ثمَّ سمعَ : ابنَ الجبَّابِ ، وابنَ رواحٍ ، وسبطَ السِّلَفيِّ ، وابنَ المُقيَّرِ ، وجماعةً مِنْ أصحابِ البوصيريِّ ، وجماعةً مِنْ أصحابِ أصحابِ أبي الوقتِ[4] ، ورحلَ إلى الإسكندريَّةِ وإلىٰ دمشقَ ، وكتبَ الكثيرَ وطالعَ وأفتىٰ ، ودرَّسَ ووليَ حكمَ قوصَ مِنْ جهةِ المالكيةِ ، ودرَّسَ بالبلادِ وخطبَ .

ثمَّ دخلَ إلى القاهرةِ ، فوليَ تدريسَ المدرسةِ الفاضليةِ ، ثمَّ دارِ الحديثِ الكاملية ، ثمَّ مدرسةِ الإمامِ الشافعيِّ التي أنشأَها الملكُ الناصرُ صلاحُ الدينِ المجاورةِ لضريحِ الإمامِ الشافعيِّ ، ثمَّ تولَّى القضاءَ بالديارِ المصريةِ ، وتدريسَ المدارسِ التي جرتْ عادةُ القضاةِ بولايتِها معَ القضاءِ .

وكانَ كريمَ النفسِ ، حسنَ المحاضرةِ ، قويَّ الحفظِ ، كثيرَ الصفحِ والحلمِ علىٰ قدرةٍ ، لا يجزي بالسيئةِ سيئةً ، مُتقشِّفاً مُتحرِّزاً علىٰ دينِهِ في أمرِ الطهارةِ[5] ، وربَّما عرضَ لهُ في ليلةٍ النزولُ في البحرِ بثيابِهِ في الليلةِ الباردةِ

(١) انظر (٢/ ١٢٠ـ ١٢١) ، وذكر في « الديباج المذهب » (ص٣٢٤) أنه من ذرية بهز بن حكيم القشيري .

(٢) بمدينة قوص ، وعليه تخرَّج في دراية الفقه المالكي ، هٰذا وقد ذكرت في (١/ ٥٥٤) أن والدته هي بنت الإمام الكبير الشيخ المقترح ، فأصلاه كريمان من بيوت علم وورع وفضل .

(٣) وفيها تحوَّل إلىٰ مذهب الإمام الشافعي ، وحصَّل فيه الغاية روايةً ودراية وتوجيهاً واستدلالاً حتىٰ قيل : إنه آخر المجتهدين .

(٤) أي : أبي الوقت السجزي الزاهد الصوفي المسند المعمر المتوفىٰ سنة (٥٥٣هـ) .

(٥) قال الحافظ ابن حجر في « رفع الإصر » (ص٣٩٤) : (ومن أعظم ما حكي عنه : أنه كان يقول : ما تكلَّمت بكلمة ، ولا فعلت فعلاً . . إلا أعددت له جواباً بين يدي الله تعالىٰ) .

مراراً [. . .][1] ، مُبارِزاً لأهلِ البدعِ مِنَ الحشويَّةِ والأصواتيةِ والقائلينَ بالجهةِ وسائرِ الطوائفِ مِنَ المبتدعةِ ، مُنكِراً عليهِم بيدِهِ ولسانِهِ ، ولفظِهِ وجَنانِهِ ، يُغري ويُؤلِّبُ عليهِم ، ولا يدعُ لهُم رأساً قائمةً إلا اقتطعَها[2] ، ولا شجرةً يُخشىٰ شرُّها إلا اقتلعَها .

وكانَ رحمَهُ اللهُ لا يحتقرُ فائدةً ولو مِنْ صغيرٍ[3] ، كثيرَ المطالعةِ ، قليلَ النومِ ، كثيرَ السهرِ ، يستعملُ الأدويةَ المُعِينةَ عليهِ ، وربَّما أتىٰ في الليلةِ الواحدةِ على المجلدِ مِنْ مطالعةٍ وانتقادٍ .

ومِنْ تصانيفِهِ : « شرحُ العمدةِ في الأحكامِ » لعبدِ الغنيِّ[4] ، وكتابُهُ في الأحكامِ المُسمَّىٰ بـ « الإمامِ » ، والمختصرُ المُسمَّىٰ بـ « الإلمامِ »[5] ، و« الاقتراحُ في اختصارِ علومِ ابنِ الصلاحِ » ، و« فوائدُ حديثِ بريرةَ » قرَّبَها

(١) ما بين معقوفين بياض بمقدار ثلاث كلمات في (أ ، ب) .

(٢) كذا في الأصل بالتأنيث في (قائمة) و(اقتطعها) ، والأولىٰ : أن يكون بالتذكير ؛ لأن الرأس أجمعوا علىٰ أنه مذكر ، والمثبت علىٰ تأويل .

(٣) وكان رحمه الله له اعتقاد حسن في المشايخ وأهل الصلاح ؛ حتىٰ إنه كان يزور بعض المشايخ ، فإذا بلغ إلىٰ بابه نزل عن البغلة ونزع الطيلسان والعمامة ، ودخل عليه بطاقية علىٰ رأسه ، وشكا إلىٰ بعض الفقراء من أرباب القلوب وسوسةً يجدها في الصلاة ، فقال له : أفٌّ لقلب يكون فيه غيرُ الله ، فقال ابن دقيق العيد وقد ذكر هٰذا الفقير المذكور : هو عندي خيرٌ من ألف فقيه . انظر « مرآة الجنان » (٤/ ٢٣٦ـ٢٣٧) .

(٤) أي : المقدسي الحنبلي .

(٥) قال الحافظ ابن حجر في « رفع الإصر » (ص٣٩٥) : (وقد كنتُ أسمع شيخنا حافظ العصر أبا الفضل بن الحسين ـ أي : الحافظ العراقي صاحب « الألفية » في السيرة والمصطلح ـ يحكي : أن الشيخ أكملَ « الإمام » فجاء في عشرين مجلداً ، وأن بعض المحدثين حسده عليه ، فترقَّب وفاته ، فأخذ الكتاب فأعدمه ، وكان شيخُنا في بعض الأحيان يُسمي الذي أخذ الكتاب ، وهو من الحنابلة ، فلا أوثر تسميته ؛ لأن شيخنا كان يجزم بذلك) .

مِنْ مئتي فائدةٍ ، ولهُ خطبٌ جمعيةٌ[1] ، وخرَّجَ العواليَ ، وعلَّقَ تعاليقَ كثيرةً ، وكانَتْ لهُ اليدُ الطُّولىٰ في الأصولَينِ والخلافِ والمنطقِ .

وصنَّفَ عقيدةً علىٰ طريقةِ أهلِ السنَّةِ ؛ وهيَ :

عقيدة الإمام تقي الدين ابن دقيق العيد

(الحمدُ للهِ إلـٰهِ العالمِ ، والصلاةُ علىٰ نبيِّهِ محمدٍ سيِّدِ ولدِ آدمَ .

نؤمنُ بأنَّ اللهَ تعالىٰ موجودٌ حيٌّ حقٌّ ، لا أوَّلَ لوجودِهِ ولا انتهاءَ ، وكلُّ ما عداهُ مِنْ مَلَكٍ وفلكٍ ونفسٍ وإنسٍ وجنٍّ . . فوجودُهُ مِنْ صنعِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ ، لا يستحقُّ الوجودَ الواجبَ شيءٌ سواهُ .

وأنَّ السماواتِ والأرضَ مُحدَثةٌ مُبدَعةٌ بعدَ العدمِ ، كانَتْ بعدَ أنْ لم تكنْ ، ومَنِ اعتقدَ قِدَمَها فقد كفرَ .

ونؤمنُ بأنَّهُ تعالىٰ عالمٌ بجميعِ المعلوماتِ ، مُحيطٌ علمُهُ بالكليَّاتِ والجزئيَّاتِ ، سميعٌ يُدرِكُ المسموعاتِ ، بصيرٌ يُدرِكُ المُبصَراتِ ، سواءٌ في علمِهِ أجلى الجليَّاتِ وأخفى الخفيَّاتِ ، لا يعزُبُ عن علمِهِ مثقالُ ذرَّةٍ في الأرضِ ولا في السماءِ .

وبأنَّهُ قادرٌ علىٰ جميعِ الممكناتِ ، لا يمنعُ قدرتَهُ مانعٌ ، ولا يدفعُ مشيئتَهُ دافعٌ ، قدرتُهُ على الأشياءِ بلا مزاجٍ ، وصنعُهُ لها بلا علاجٍ ، وهوَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ .

وبأنَّهُ مريدٌ مُخصِّصٌ بعضَ الجائزاتِ بالوجودِ دونَ بعضٍ علىٰ حسَبِ

(١) وذكر له ابن السبكي في « طبقاته » (٩/ ٢٣٠ـ٢٤٤) خطباً بالغة في الإجادة مما أورده في مقدمات كتبه .

مشيئتِهِ ، ويَميزُ صفاتِ بعضِها عن بعضٍ على حسَبِ إرادتِهِ ، وصدورُ العالَمِ عنهُ بالمشيئةِ والقدرةِ ؛ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس : ٨٢] .

وأنَّهُ مُتكلِّمٌ آمرٌ ناهٍ ، أنزلَ القرآنَ المجيدَ على نبيِّهِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ هدىً للناسِ وبيِّناتٍ مِنَ الهدىٰ والفرقانِ .

وأنَّهُ لا يُشبِهُهُ شيءٌ مِنَ المحدثاتِ ، ولا يُشبِهُ صفاتِهِ صفاتُ المخلوقاتِ ، كما لا يُشبِهُ ذاتَهُ شيءٌ مِنَ الذواتِ ، ولا تَحُلُّ ذاتَهُ ولا صفاتُهُ في شيءٍ ، وكلُّ صفةٍ لا تكونُ إلا للمحدَثاتِ فهيَ مُحالٌ عليهِ تعالىٰ وتقدَّسَ ؛ لوجوبِ قدمِهِ .

مُتقدِّسٌ عن تخييلاتِ الأوهامِ[1] ، مُتعالٍ عن إحاطةِ الأوهامِ[2] ، مُتعالٍ عن إحاطةِ الأفهامِ ، مُتكبِّرٌ عن نقصِ الأجسامِ ؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ : ١١] .

مُتَّصِفٌ بكلِّ كمالٍ ، مُبرَّأٌ مِنْ كلِّ نقصٍ ، مُنتهى الحاجاتِ ، إليهِ يرجعُ الأمرُ كلُّهُ ، مُنفردٌ بالإلهيَّةِ ؛ فلا شريكَ لهُ ولا ضدَّ ولا ندَّ ولا ولدَ ؛ ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾ [مريم : ٩٣] .

ونؤمنُ بالقدرِ كلِّهِ خيرِهِ وشرِّهِ ؛ فكلُّ مُتحرِّكٍ مِنْ ذاتٍ وصفةٍ وحركةٍ وسكونٍ . . فمُستنِدٌ إلىٰ قدرتِهِ وإرادتِهِ ؛ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان : ٣٠] .

قدرتُهُ العُظمىٰ حاكمةٌ على جميعِ القُدَرِ ، ومشيئتُهُ العُلْيا قاهرةٌ لجميعِ المشيئاتِ ، يحولُ بينَ المرءِ وقلبِهِ ، ويمنعُ إراداتِ المخلوقاتِ أنْ تقعَ إذا

(١) في (ب) : (تخيلات) .

(٢) قوله : (متعال عن إحاطة الأوهام) كذا في (أ، ب) ، ولعلها زائدة .

شاءَ ، ويُوقِعُها في نفسِ مَنْ شاءَ ، مِنْ غيرِ سببٍ إذا أرادَ ، ويمنعُ الأسبابَ عن مُسبَّباتِها ، ويقتطعُ المُسبَّباتِ عن أسبابِها ؛ ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ [الأنبياء : ٦٩] .

وأنَّهُ تعالىٰ تجوزُ رؤيتُهُ ، وتقعُ في الآخرةِ كما أخبرَ عنهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . . بالمعنى الذي أرادَهُ ، والوجهِ الذي قصدَهُ ، معَ التنزيهِ عمَّا لا يجوزُ على اللهِ تعالىٰ .

وكذلكَ نقولُ في الألفاظِ المُشكِلةِ الواردةِ في الكتابِ والسنَّةِ : نُنزِّهُ اللهَ تعالىٰ عمَّا لا يليقُ بجلالِهِ ، ونؤمنُ بأنَّها حقٌّ وصدقٌ على الوجهِ الذي أرادَهُ ورسولُهُ[1] .

مَنْ أوَّلَ شيئاً منها : فإنْ كانَ تأويلُهُ قريباً علىٰ ما يقتضيهِ لسانُ العربِ وتفهمُهُ في مُخاطَباتِها . . لم نُنكِرْهُ عليهِ ولم نُبدِّعْهُ ، وإنْ كانَ تأويلُهُ بعيداً توقَّفْنا عن قبولِهِ واستبعدْناهُ ، ورجعْنا إلى القاعدةِ في الإيمانِ بمعناهُ والتصديقِ بهِ على الوجهِ الذي أُريدَ بهِ ، معَ التنزيهِ .

وما كانَ معناهُ مِنْ صفةِ الألفاظِ ظاهراً مفهوماً في تخاطُبِ العربِ . . قُلْنا بهِ مِنْ غيرِ توقُّفٍ ؛ كما في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُّ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر : ٥٦] ، فنحملُهُ علىٰ « حقِّ اللهِ » وما يجبُ لهُ ، أو علىٰ قريبٍ مِنْ هٰذا المعنىٰ ، ولا نتوقَّفُ فيهِ .

وكذلكَ قولُهُ عليهِ السلامُ : « قَلْبُ ٱلْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ ٱلرَّحْمَٰنِ »[2] ؛ فنحملُهُ علىٰ أنَّ إراداتِ القلبِ واعتقاداتِهِ مُتصرِّفةٌ بقدرةِ اللهِ تعالىٰ وما يُوقِعُهُ في القلوبِ .

(١) في (ب) : (أراد حصوله ورسوله) .

(٢) سبق تخريجه (١/ ١٦٥) .

وهكذا سائرُ الأمورِ الظاهرةِ المعنى المفهومِ عندَ سامعيها ممَّنْ يعرفُ كلامَ العربِ[1] .

ونؤمنُ بجميعِ ملائكتِهِ وكتبِهِ ورسلِهِ إيماناً كليّاً ، فمَنْ ثبتَ نعتُهُ ؛ كجبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ ومَلَكِ الموتِ وجبَ الإيمانُ بهِ عيناً ، ومَنْ لم يُعرَفِ اسمُهُ آمنَّا بهِ إجمالاً ، وكذلكَ الكتبُ المنزلةُ .

والأنبياءُ المرسلونَ ؛ مَنْ علمْنا اسمَهُ وجبَ الإيمانُ بعينِهِ ، ومَنْ لم نعلمِ اسمَهُ آمنَّا بهِ إجمالاً .

وما كانَ مِنْ ذلكَ ثابتاً بالنصِّ والتواترِ كفرَ مَنْ يكفرُ بهِ .

ونؤمنُ بأنَّهُ أرسلَ محمَّداً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ كافَّةِ خلقِهِ بالحقِّ ، وأيَّدَهُ بالمعجزاتِ الباهرةِ ، التي منها القرآنُ المجيدُ ، الذي لا يأتيهِ الباطلُ مِنْ بينِ يديهِ ولا مِنْ خلفِهِ تنزيلٌ مِنْ حكيمٍ حميدٍ ، أعجزَ البلغاءَ ، وأفحمَ الفصحاءَ ، بعدَ أنْ تحدَّاهُم أنْ يأتوا بمثلِهِ ؛ فقالَ : ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء : ٨٨] ، ثمَّ تحدَّاهُم بسورةٍ منهُ ؛ فقالَ : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة : ٢٣] ، فقهرَهُمُ العجزُ أجمعينَ ، وأجابَ مَنْ سبقَتْ لهُ الحسنىٰ مِنَ اللهِ تعالىٰ .

ثمَّ أيَّدَهُ معَ ذلكَ بالآياتِ المُتعدِّدةِ التي ظهرَتْ علىٰ يديهِ ؛ كالإخبارِ عنِ الغيوبِ ، وتكثيرِ الطعامِ والماءِ ، وانقيادِ الشجرِ ، وحنينِ الجذعِ ، وانشقاقِ القمرِ ، وغيرِ ذلكَ ممَّا صحَّ بهِ الخبرُ ، ونقلَهُ أهلُ العدالةِ ومَنْ يُقطَعُ بصحَّةِ اعتقادِهِم وتديُّنِهِم بتحريمِ الكذبِ .

(١) في (ب) : (يفهم) بدل (يعرف) .

مع ما كانَ عليهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنَ الزَّهادةِ في الدنيا ، والرغبةِ في الآخرةِ وما عندَ اللهِ تعالىٰ ، والاعتمادِ عليهِ في الأمورِ كلِّها ، واطِّراحِ الأسبابِ في الاعتقادِ ، والاعتمادِ علىٰ ربِّ الأربابِ ، وكثرةِ الذكرِ والعبادةِ والتذكيرِ والتبتُّلِ الذي اقتضىٰ تفطيرَ قدمَيهِ مِنَ القيامِ... إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنْ أحوالِهِ الشريفةِ ، التي لا تُحصىٰ كثرةً ، ولا يحتاجُ مُوفَّقٌ معَها إلىٰ سواها دليلاً ولا غيرَهُ .

ونؤمنُ بأنَّ كلَّ ما جاءَ بهِ مِنْ عندِ اللهِ تعالىٰ حقٌّ وصدقٌ ؛ مِن انفطارِ السماءِ ، وانكدارِ النجومِ ، وتكويرِ الشمسِ ، وزوالِ هيئةِ العالَمِ ، وانتقالِ الخليقةِ بأجسامِهِم إلىٰ دارِ الآخرةِ ليُرَوا أعمالَهُم ، ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧ـ ٨] ، ووقوفِهِم للحسابِ ، ووزنِ أعمالِهِم ، وجوازِهِم على الصراطِ ، واستقرارِهِم في دارِ النعيمِ وهيَ الجنةُ ، أو دارِ العذابِ وهيَ النارُ ، كلُّ ذلكَ راجعٌ إلىٰ أمورٍ محسوسةٍ في الجنةِ والنارِ مِنَ النعيمِ والعذابِ .

وكلُّ ما وردَ في القرآنِ الكريمِ وصحَّتْ بهِ الروايةُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . آمنَّا بهِ علىٰ ظاهرِهِ إذا كانَ ظاهراً جائزاً في العقلِ .

ونؤمنُ بعذابِ القبرِ ونعيمِهِ ، ومُساءلةِ المَلَكَينِ عنِ الإيمانِ ، والصُّورِ والنفخِ فيهِ لردِّ الأرواحِ إلى الأجسادِ ، وبجميعِ ما صحَّ مِنْ أشراطِ الساعةِ علىٰ وجهِهِ وحقيقتِهِ ؛ كنزولِ عيسى ابنِ مريمَ صلَّى اللهُ عليهِ ، وقتلِهِ الدجَّالَ ، وخروجِ يأجوجَ ومأجوجَ ، ودابَّةِ الأرضِ .

ونتولَّىٰ جميعَ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ؛ فلا نسبُّ أحداً منهُم ، ولا نُضمِرُ لهم كراهةً ولا نقصاً ليسَ فيهِم ، ونعرفُ لهُم سوابقَهُم وفضائلَهُم ونصرَهُم لدينِ اللهِ تعالىٰ وتمهيدَهُمُ الإسلامَ إلىٰ يومِ الدينِ ؛ فلا

لسانَ ينطقُ بالشهادتينِ بعدَهُم ، ولا ضميرَ يشتملُ على خصلةٍ مِنْ خصالِ الإيمانِ . . إلا وهوَ في جملةِ حسناتِهم ؛ لتأسيسِ القواعدِ بهِم ، ولأنَّهُ مَنْ سنَّ سنَّةً حسنةً فلهُ أجرُها وأجرُ مَنْ عملَ بها إلى يومِ القيامةِ ، والإيمانُ أفضلُ الحسناتِ وأعظمُ السننِ ، ولا بلدَ ولا مسجدَ يُذكَرُ فيهِ اسمُ اللهِ تعالى إلا ولهُم في ذلكَ نصيبٌ مِنَ الأجرِ .

وما نُقِلَ فيما شَجَرَ بينَهُم واختلفوا فيهِ فمنهُ ما هوَ باطلٌ وكذبٌ فلا التفاتَ إليهِ ، وما كانَ منهُ صحيحاً أوَّلناهُ على أحسنِ التأويلاتِ ، وطلبْنا لهُ أجودَ المخارجِ ؛ لأنَّ الثناءَ عليهِم مِنَ اللهِ تعالى سابقٌ ، وما يُنقَلُ يحتملُ التأويلَ ، والمشكوكُ لا يُبطِلُ المعلومَ .

ونعتقدُ صحةَ إمامةِ أبي بكرٍ الصديقِ وعمرَ الفاروقِ وعثمانَ وعليٍّ رضوانُ اللهِ عليهِم أجمعينَ ، لم يَقُمْ منهُم أحدٌ في مقامِ الخلافةِ إلا بحقٍّ ووجهٍ شرعيٍّ ، لا ظلمَ فيهِ ولا حيدَ ولا حيفَ ولا غصبَ .

وسُئِلَ مالكٌ رضيَ اللهُ عنهُ عن أفضلِ الناسِ بعدَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فقالَ : أبو بكرٍ وعمرُ ، أَوَفي ذلكَ شكٌّ ؟![1] .

وعلى هـٰذا أئمَّةُ الفتوى وأكابرُ أصحابِ الحديثِ المُتَّسِمينَ بالسنَّةِ .

ونعتقدُ أنَّ الآجالَ التي علمَ اللهُ بوقتِها لا تتقدَّمُ ولا تتأخَّرُ عمَّا علمَهُ ؛ فلا ينقطعُ أجلُ أحدٍ عنِ الوقتِ الذي علمَ اللهُ تعالى وقوعَهُ فيهِ .

ونرى وجوبَ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ على مَنْ قَدَرَ عليهِ وعلمَ المعروفَ والمنكرَ ولم يَخَفْ على نفسِهِ ضرراً شديداً يشقُّ عليهِ احتمالُهُ ، واللهُ المُوفِّقُ للعصمةِ ، ولا ربَّ غيرُهُ) .

(١) المدونة (٤/ ٦٧١) ، وانظر « التهذيب في اختصار المدونة » (٤/ ٦٠٨) .

كانَ للشيخِ تقيِّ الدينِ نثرٌ يفضَحُ الزهرَ ، ونظمٌ يفوقُ نظمَ الدُّرِّ ، استوتْ بديهتُهُ ورويَّتُهُ في ذلكَ .

رسالة الإمام ابن دقيق العيد إلى نوابه في القضاء

فمِنْ منثورِهِ : كتابُ وصيةٍ كَتَبَهُ ، وكتبَ بهِ نُسَخاً ، وبعثَ إلى كلِّ نائبٍ عنهُ في كلِّ إقليمٍ مِنْ أعمالِ الديارِ المصريةِ بنسخةٍ منهُ ؛ وهوَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم : ٦] .

هٰذهِ المكاتبةُ إلى مجلسِ فلانٍ حاكمِ المسلمينَ ، وفَّقَهُ اللهُ لقبولِ النصيحةِ ، وآتاهُ لما يُقرِّبُهُ إليهِ قصداً صالحاً ونيةً صحيحةً .

أصدرْنا إليهِ[1] بعدَ حمدِ اللهِ الذي يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تُخفي الصدورُ ، ويُمهِلُ حتى يلتبسَ الإمهالُ بالإهمالِ على المغرورِ ، نُذكِّرُهُ بأيَّامِ اللهِ تعالى وإنَّ يوماً عندَ ربِّكَ كألفِ سنةٍ ممَّا تعدُّونَ ، ونُحذِّرُهُ صفقةَ مَنْ باعَ الدنيا بالآخرةِ فما أحدٌ سواهُ مغبونٌ ، عسى اللهُ أنْ يُرشِدَهُ بهٰذا التَّذكارِ وينفعَهُ ، وتأخذَ هٰذهِ النصائحُ بحُجَزِهِ عنِ النارِ فإنِّي أخشى أنْ يتردَّى فيجرَّ والعياذُ باللهِ مَنْ ولاهُ معَهُ .

والمقتضي لإصدارِها : ما لمحناهُ مِنَ الغفلةِ المُستحكِمةِ على القلوبِ ، ومِنْ تقاعُدِ الهممِ عنِ القيامِ بما يجبُ للربِّ على المربوبِ ، ومِنْ أُنسِهِم بهٰذهِ الدارِ وهم يُزعَجُونَ عنها ، وعلمِهِم بما بينَ أيديهِم مِنْ عقبةٍ كَؤودٍ وهم

(١) في « نهاية الأرب » : (أصدرناها) بدل (أصدرنا) .

لا يتخلَّصُونَ منها ، ولا سيَّما القضاةِ الذينَ تحمَّلُوا عبءَ الأمانةِ على كواهلَ ضعيفةٍ ، وظهرُوا بصُوَرِ كبارٍ وهِمَمٍ نحيفةٍ .

ووالله ؛ إنَّ الأمرَ لعظيمٌ ، وإنَّ الخطبَ لجسيمٌ ، ولا أرى معَ ذلك أمناً ولا قراراً ولا راحةً ، اللهمَّ إلا رجلٌ نبذَ الآخرةَ وراءهُ ، واتَّخذَ إلـٰهَهُ هواهُ ، وقصرَ همَّهُ وهمتَهُ على حظِّ نفسِهِ ودنياهُ ، فغايةُ مطلبِهِ حبُّ الجاهِ ، والمنزلةُ في قلوبِ الناسِ ، وتخيُّرُ الزيِّ والملبسِ ، والرِّكْبةِ والمجلسِ ، غيرَ مُستشعرٍ خُسْرَ حالِهِ ولا ركاكةَ مقصدِهِ ، وهـٰذا لا كلامَ معَهُ ؛ فإنَّكَ لا تُسمعُ الموتى ، وما أنتَ بمُسمعٍ مَنْ في القبورِ ، فاتَّقِ اللهَ الذي يراكَ حينَ تقومُ ، واقصرْ أملَكَ عليهِ ؛ فإنَّ المحرومَ مِنْ فضلِهِ غيرُ مرحومٍ .

وما أنا وأنتُم أيُّها النفرُ إلا كما قالَ حبيبٌ العجميُّ وقد قالَ لهُ قائلٌ : ليتَنا لم نُخلَقْ ، فقالَ : قد وقعتُم فاحتالُوا .

وإنْ خفيَ عليكَ بعضُ هـٰذا الخطرِ ، وشغلَتْكَ الدنيا أنْ تقضيَ مِنْ معرفتِهِ الوطرَ . . فتأمَّلْ مِنْ كلامِ النبوَّةِ : « ٱلْقُضَاةُ ثَلاثَةٌ »[1] ، وقولَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لبعضِ أصحابِهِ مُشفقاً عليهِ[2] : « لا تَأَمَّرَنَّ عَلَى ٱثْنَيْنِ ، وَلا تَلِيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ »[3] .

لا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ[4] ، هيهاتَ !! جفَّ القلمُ ، ونفذَ أمرُ اللهِ ، ولا رادَّ لما حكمَ .

(١) أخرجه أبو داود (٣٥٧٣) ، والترمذي (١٣٢٢) ، والحاكم (٤/ ٩٠) عن سيدنا بريدة بن الخصيب رضي الله عنه .

(٢) هو سيدنا أبو ذر رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم (١٨٢٦) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه .

(٤) زاد النويري في « نهاية الأرب » (٢١/ ٣٠٢) بيتاً شعرياً ؛ وهو : (من المتقارب)

وما أنا والسيرَ في مَتْلَفٍ ... يُبَرِّحُ بالذَّكَرِ الضابطِ

ومِنْ هنالكَ شمَّ الناسُ مِنْ فمِ الصدِّيقِ رائحةَ الكبدِ المشويِّ[1] ، وقالَ الفاروقُ : (ليتَ أمَّ عمرَ لم تلدْهُ)[2] ، واستسلمَ عثمانُ وقالَ : (مَنْ أغمدَ سيفَهُ فهوَ حرٌّ)[3] ، وقالَ عليٌّ والخزائنُ بينَ يديهِ مملوءةٌ : (مَنْ يشتري منِّي سيفي هـٰذا ؟ فلو وجدتُ ما أشتري بهِ رداءً ما بعتُهُ)[4] ، وقطَّعَ الخوفُ نِياطَ قلبِ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ مِنْ خشيةِ العرضِ[5] ، وعلَّقَ بعضُ السلفِ سوطاً يُؤدِّبُ بهِ نفسَهُ إذا فترَ[6] .

أفترىٰ ذلكَ سدىً ؟! أم صحَّ أنَّا المُقرَّبونَ وهمُ البُعَداءُ ؟!

وهـٰذهِ أحوالٌ لا تُؤخَذُ مِنْ (كتابِ السَّلَمِ) و(الإجارةِ) و(الجناياتِ) .

نعم ؛ كلُّها يُنالُ بالخضوعِ والخشوعِ ، وبأنْ تظمأَ وتجوعَ ، وتحميَ عينيكَ الهجوعَ .

وممَّا يُعِينُكَ علىٰ هـٰذا الأمرِ الذي دعوتُكَ إليهِ ، ويُزوِّدُكَ في سفرِكَ إلى العرضِ عليهِ : أنْ تجعلَ لكَ وقتاً تعمرُهُ بالتذكُّرِ والتفكُّرِ ، وآناءً تجعلُها مُعدَّةً لجلاءِ قلبِكَ ؛ فإنَّهُ إنِ استحكَمَ صدؤُهُ صعُبَ تلافيهِ ، وأعرضَ عنهُ مَنْ هوَ أعلمُ

(١) انظر « مرآة الجنان » (١/ ٦٨) .

(٢) أخرجه ابن المبارك في « الزهد » (٢٣٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٦٩) .

(٣) أورده ابن كثير في « البداية والنهاية » (٧/ ١٨١) ، وقاله سيدنا عثمان لأرقَّائه عندما كان محاصراً ، وكانوا مئة عبد ، وقيل : أربع مئة ، وكانوا يريدون حمايته والمدافعة عنه . انظر « مرآة الجنان » (١/ ٩١) .

(٤) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٧١٩٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢/ ٤٨٢) .

(٥) انظر « سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز » لابن الجوزي (ص٢٢١) وما بعدها ؛ فإنه عقد باباً ذكر فيه خوفه من الله تعالىٰ .

(٦) ومنهم التابعي الجليل الزاهد القدوة حكيم هـٰذه الأمة أبو مسلم الخولاني ، كما أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٢/ ١٢٧) .

بما فيهِ ، واجعلْ أكبرَ همومِكَ الاستعدادَ للمَعادِ ، والتأهُّبَ لجوابِ الملكِ الجوادِ ؛ فإنَّهُ يقولُ : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ٩٢ـ٩٣] .

وربَّما وجدتَ مِنْ همَّتِكَ قصوراً ، واستشعرتَ مِنْ نفسِكَ عمَّا يُذلِّلُها نفوراً ، فاجْأَرْ إليهِ ، وقِفْ ببابِهِ ؛ فإنَّهُ لا يُعرِضُ عمَّنْ صدقَ ، ولا يعزُبُ عن علمِهِ خفايا الضميرِ ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ ﴾ [الملك : ١٤] .

هٰذهِ نصيحتي إليكَ ، بينَ يدي اللهِ إذا سُئِلتُ عليكَ .

أسألُ اللهَ لي ولكَ قلباً واعياً ونفساً مطمئنةً ؛ بمنِّهِ وكرمِهِ ، والحمدُ للهِ وصلواتُهُ علىٰ سيدِنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ[1] .

ومِنْ نظمِهِ الفائقِ : ما قالَهُ علىٰ رأيِ أهلِ التصوفِ : [من الخفيف]

بِتُّ شَوْقاً إِلَى ٱلْحِمَىٰ أَتَمَنَّىٰ ... أَنْ أَرَىٰ بَرْقَهُ مِنَ ٱللَّيْلِ وَهْنَا
وَلِعاً أَرْقُبُ ٱلنُّجُومَ فَلا أَدْ ... رِي هُدُوّاً وَلا أُغَمِّضُ جَفْنَا
فَإِذَا لاحَ بَعْدَ طُولِ عَنَاءٍ ... رَاحَ مِنْ حِينِهِ فَمَا أَتَهَنَّىٰ
إِنَّمَا ٱلْبَرْقُ حِينَ يَبْدُو سَنَاهُ ... سَبَبٌ فِي عَذَابِ قَلْبِي ٱلْمُعَنَّىٰ
آهِ مِنْ وَحْشَةِ ٱلْفِرَاقِ وَيَا حَسْـ ... ـرَةَ مَنْ خَابَ بَعْدَمَا قَدْ تَعَنَّىٰ
لَيْتَ شِعْرِي أَكَانَ هَجْرِي لِمَعْنًىٰ ... عِنْدَ أَهْلِ ٱلْعَقِيقِ أَوْ لا لِمَعْنَىٰ

ولهُ رادّاً على ابنِ الجوزيِّ حينَ سمعَ قصيدتَهُ في الصفاتِ التي مِنْ جملتِها[2] : [من الرجز]

(١) أورد هٰذه الرسالة كاملة تلميذُ المترجَمِ الإمامُ النويري في « نهاية الأرب » (٣١/ ٣٠٠ـ٣٠٤) ، والأدفوي في « الطالع السعيد » (ص٣٣٦ـ٣٣٧) ، وذكر أنه كتبها إلى المخلص البهنسي قاضي إخميم .

(٢) القصيدة الدالية في السنة (ق/ ٧٠) ضمن مجموع ، وفيها : (ناجىٰ) بدل (نادىٰ) .

كَـلامُـهُ حَـرْفٌ وَصَـوْتٌ وَبِـهِ نَـادَى ٱلْكَلِيـمَ جَـلَّ مِـنْ مُنَـادِ

فقالَ رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ[1] : [من السريع]

دَقَّقْـتَ فِـي [ٱلْفِطْنَـةِ] حَتَّـىٰ لَقَـدْ جِئْـتَ بِمَـا يَسْحَـرُ أَوْ يَسْبِـي[2]

وَصِـرْتَ فِـي أَعْلَـىٰ سَمَـاءِ ٱلْعُـلا حَيْثُ يَرَاكَ ٱلنَّاسُ كَٱلشُّهْبِ[3]

ثُـمَّ تَنَـازَلْـتَ إِلَـىٰ حَيْـثُ لا يَنْـزِلُ ذُو عَقْـلٍ وَلا لُـبٍّ

تُثْبِـتُ مَـا تَجْحَـدُهُ فِطْـرَةُ ٱلْـ ـعَقْـلِ وَلا تَشْعُـرُ بِـٱلْخَطْـبِ

أَنْـتَ دَلِيـلٌ [لِـي] عَلَـىٰ أَنَّـهُ يَحُـولُ بَيْـنَ ٱلْمَـرْءِ وَٱلْقَلْـبِ[4]

ولهُ أيضاً : [من المتقارب]

تَخَـوَّنَ مَـالِـي وَأَوْدَىٰ بِـهِ وَلَيْـسَ غِنَـايَ ضَعِيـفَ ٱلسَّبَـبْ

جَفَـاءُ ٱلصُّـدُورِ وَطَبْـعٌ يَجُـورُ فَـلا يَـرْعَـوِي وَشِـرَاءُ ٱلْكُتُـبْ

مدحَهُ جماعةٌ مِنْ شعراءِ الزمانِ بقصائدَ وأبياتٍ ؛ فمِمَّنْ مدحَهُ : صاحبُنا الفقيهُ العالمُ الفاضلُ الأديبُ البارعُ العدلُ جمالُ الدينِ أبو الحجاجِ يوسفُ بنُ الأديبِ الفاضلِ البارعِ النحويِّ زينِ الدينِ أحمدَ بنِ قطنةَ حينَ فرغَ الشيخُ مِنْ « شرحِ العمدةِ » : [من البسيط]

يَا مُنْسِيَ ٱلنَّاسِ حِفْظَ ٱلْحَافِظِ ٱلسَّلَفِي وَيَـا بَقِيَّـةَ مُخْتَـارٍ مِـنَ ٱلسَّلَـفِ

لَمَّا شَرَحْتَ مَعَانِي «ٱلْعُمْدَةِ» ٱنْشَرَحَتْ صُدُورُنَا إِذْ رَأَيْنَا عُمْدَةَ ٱلْخَلَفِ

(١) أوردها الأدفوي في « الطالع السعيد » (ص٣٣٣) ، والصفدي في « أعيان العصر » (٤/ ٥٩٥) ، و« الوافي بالوفيات » (٤/ ١٤٥) .

(٢) في (أ) : (الفكر) وهو غير ملائم للوزن ، والمثبت من المصادر السابقة ، ويحتمل أنها في (أ) : (الفكرة) ، وعليه فلا إشكال .

(٣) في المصادر السابقة : (مقاماتها) بدل (سماء العلا) .

(٤) في المصادر السابقة : (يُحال) بدل (يحول) .

وَكَيْفَ لَمْ تَنْشَرِحْ مِنَّا ٱلصُّدُورُ وَقَدْ ... بَدَا ٱلسَّمَاعُ عَلَىٰ رَوْضٍ لَهَا أُنُفِ
كَأَنَّمَا فِكْرُكَ ٱلْغَوَّاصُ يُخْرِجُ مِنْ ... بَحْرٍ بِلا سَاحِلٍ دُرّاً بِلا صَدَفِ

ولجمالِ الدينِ أيضاً في الشيخ وفي كتابِهِ المُسمَّىٰ بـ« الإمام » : [من الكامل]

وَضَعَ « ٱلإِمَامَ » لَنَا ٱلإِمَامُ مُحَمَّدٌ ... فَلَكَمْ أَقَرَّ بِهِ ٱلْعُيُونَ لِمُسْلِمِ
فَإِذَا بَدَتْ كُتُبُ ٱلْجَمَاعَةِ كُلُّهَا ... كَانَ « ٱلإِمَامُ » أَحَقَّهُمْ بِتَقَدُّمِ
فَهُوَ ٱلْمُصَلِّي وَٱلْمُجَلِّي عِلْمُهُ ... حَتَّىٰ يُفَهِّمَ كُلَّ مَنْ لَمْ يَفْهَمِ[1]
لَوْ أَنْصَفُوا هَـٰذَا ٱلإِمَامَ لَمَا سُمِي ... أَحَدٌ سِوَاهُ بِٱلإِمَامِ ٱلأَعْظَمِ

ولهُ فيهِ أيضاً مِنْ قصيدةٍ : [من البسيط]

حُزْتَ ٱلْبَلاغَةَ إِسْهَاباً وَإِيجَازَا ... حَتَّىٰ ظَنَنَّا ٱلَّذِي تُبْدِيهِ إِعْجَازَا
عِبَارَةٌ لَكَ تُسْتَحْلَىٰ عُذُوبَتُهَا ... فَكَمْ تُقَيِّدُ مَنْ يَأْتِيكَ مُجْتَازَا
نَسِيمُ لَفْظِكَ يَسْرِي فِي ٱلْقُلُوبِ وَمَا ... يَحْتَاجُ لِلإِذْنِ فِي أُذْنٍ إِذَا جَازَا
حَامَتْ خَوَاطِرُ أَهْلِ ٱلْعِلْمِ طَالِبَةً ... صَيْدَ ٱلْمَعَانِي فَكُنْتَ ٱلأَشْهَبَ ٱلْبَازَا

منها :

كَمْ حَازَ غَيْرُكَ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ عَمَلٍ ... لَـٰكِنَّ شِبْهَ ٱلَّذِي قَدْ حُزْتَ مَا حَازَا
لَمَّا رَأَى ٱللهُ شُكْرَ ٱلْعَالَمِينَ لَهُ ... جَازَاهُمُ بِكَ فِي ٱلنُّعْمَى ٱلَّتِي جَازَىٰ
فَأَنْتَ سَيِّدُ سَادَاتٍ إِذَا جَلَسُوا ... كَانُوا صُدُوراً وَبَاقِي ٱلْقَوْمِ أَعْجَازَا

آخرُها :

خُلِقْتَ سَيْفَ جِدَالٍ قَاطِعاً شُبَهاً ... فَٱسْمَعْ مَدِيحاً لِهَـٰذَا ٱلسَّيْفِ هَزَّازَا

وُلِدَ رحمَهُ اللهُ علىٰ ظهرِ البحرِ حينَ توجَّهَ والدُهُ إلى الحجازِ الشريفِ في

(١) المُصلِّي : هو الذي يأتي ثانياً في السباق ، والمُجلِّي : الذي يأتي أولاً .

رجبٍ سنةَ خمسٍ وعشرينَ وستِّ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في ثاني عشرَ صفرٍ سنةَ اثنتينِ وسبعِ مئةٍ ، وهوَ الذي يسَّرَهُ اللهُ للأمَّةِ على رأسِ المئةِ الثامنةِ ؛ لأنَّهُ لم يجتمعْ في أحدٍ ما اجتمعَ فيهِ مِنَ العلومِ والديانةِ .

رثاهُ جماعةٌ مِنَ الشعراءِ بعدَ موتِهِ ؛ فممَّنْ رثَاهُ : صاحبُنا جمالُ الدينِ ابنُ قطنةَ المذكورُ بأبياتٍ ؛ وهيَ : [من الكامل]

مَنْ مَاتَ خَلَّىٰ مُشْبِهِيهِ كَثِيرَا ... وَٱلشَّيْخُ مَاتَ وَلَمْ يُخَلِّ نَظِيرَا

أَحْيَا ٱلْعُلُومَ وَمُنْذُ يَوْمَ مَمَاتِهِ ... هَيْهَاتَ لا يَلْقَىٰ لَهُنَّ نُشُورَا

كَمْ مِنْ أَحَادِيثٍ وَأَخْبَارٍ مَضَتْ ... لا تَلْتَقِي أَحَداً بِهِنَّ خَبِيرَا

مَنْ لِلْقَدِيمِ وَلِلْحَدِيثِ مُفَسِّراً ... يَدَعُ ٱلْعَسِيرَ عَلَى ٱللَّبِيبِ يَسِيرَا

مَنْ لِلدَّلائِلِ مُظْهِراً تَحْقِيقَهَا ... مَنْ لِلْمَعَانِي مُبْرِزاً وَمُشِيرَا

مَنْ يُذْهِبُ ٱلشُّبُهَاتِ وَٱلإِشْكَالَ عَنْ ... أَعْمَى ٱلْهُدَىٰ حَتَّىٰ يَعُودَ بَصِيرَا

مَنْ لِلْفَصَاحَةِ بَعْدَ عَذْبِ عِبَارَةٍ ... مِنْ طِيبِ أَنْفَاسٍ تَفُوحُ عَبِيرَا

كُنَّا إِذَا ضَلَّتْ أَدِلَّةُ فَهْمِنَا ... نَلْقَاهُ فِي ظُلَمِ ٱلْمَسَائِلِ نُورَا

مَا مَلَّتِ ٱلأَسْمَاعُ طُولَ حَدِيثِهِ ... بَلْ كَانَ عُمْرُ ٱلدَّهْرِ مِنْهُ قَصِيرَا

قَدْ كَانَ خَاتَمَ كُلِّ مُجْتَهِدٍ مَضَىٰ ... وَهُوَ ٱلْمُقَدَّمُ قَدْ أَتَاكَ أَخِيرَا

مَنْ مُبْلِغُ ٱلسَّارِي إِلَيْهِ وَفَاتَهُ ... كَيْمَا يُعَطِّلَ رِحْلَةً وَمَسِيرَا

لَوْ كُنْتَ تَخْبُرُ قَلْبَهُ وَلِسَانَهُ ... لَوَجَدْتَ فَضْلَ ٱلأَصْغَرَيْنِ كَبِيرَا

مَا كَانَ أَصْبَرَهُ عَلَىٰ حَمْلِ ٱلأَذَىٰ ... حِلْماً وَكَانَ عَلَى ٱلْجَزَاءِ قَدِيرَا

بِخَلائِقٍ مَرْضِيَّةٍ وَمَكَارِمٍ ... تُنْسِي ٱلْمَحَاضِرَ رَوْضَةً وَغَدِيرَا

بَحْرٌ وَمَوْلِدُهُ بِبَحْرٍ زَاخِرٍ ... فَلَنَا سَحَابُ نَدَاهُ كَانَ مَطِيرَا

قَدْ جَاءَنَا ٱلنَّاعِي نَذِيرَ وَفَاتِهِ ... لَكِنْ إِلَىٰ أَهْلِ ٱلْقُبُورِ بَشِيرَا

كَمْ عَالِماً أَجْرَىٰ مَدَامِعَهُ وَكَمْ ... أَبْكَىٰ وَزِيراً قَدْ مَشَىٰ وَأَمِيرَا[1]

كَمْ أَنْزَلَ ٱلْفُرْسَانَ عَنْ مَرْكُوبِهِمْ ... بِرُكُوبِهِ نَحْوَ ٱلضَّرِيحِ سَرِيرَا

مَاتَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعِيشُ بِفَضْلِهِ ... وَأَضَاعَ مِنْ هَٰذَا ٱلأَنَامِ كَثِيرَا

فَٱلطَّرْفُ يُورِدُنَا بِحَارَ مَدَامِعٍ ... وَٱلْقَلْبُ يُصْلِينَا عَلَيْهِ سَعِيرَا

إِنْ أَخْرَبَ ٱلْمَوْتُ ٱلْمَنَازِلَ بَعْدَهُ ... فَلَقَدْ بَنَىٰ وَسْطَ ٱلْقُبُورِ قُصُورَا

كَمْ كَانَ يَنْصُرُ فِي ٱلْقَضَاءِ مُحِقَّهُ ... وَأَتَى ٱلْقَضَاءُ فَمَا ٱسْتَطَاعَ نَصِيرَا

فَٱلنَّاسُ مُشْتَرِكُونَ فِي هَٰذَا ٱلْعَزَا ... إِذْ كَانَ أَمْراً فِي ٱلنُّفُوسِ خَطِيرَا

وَٱللهُ يَجْبُرُ فِي مُصَابِ مُحَمَّدٍ ... قَلْباً لِأَهْلِ ٱلْعِلْمِ بَاتَ كَسِيرَا

وَسُقِي نَدَىٰ يَحْكِي غَزَارَةَ عِلْمِهِ ... فَلَقَدْ عَهِدْتُ ٱلْعِلْمَ مِنْهُ غَزِيرَا

كانَتِ القصيدةُ أطولَ مِنْ هٰذا ، لٰكنَّني اختصرتُها خشيةَ الإطالةِ .

ورثيتُهُ بأبياتٍ ؛ وهيَ : [من الكامل]

أَسَفِي وَهَلْ يُجْدِي طَوِيلُ تَأَسُّفِي ... أَوْ يَدْفَعُ ٱلأَقْدَارَ فَرْطُ تَلَهُّفِي

هَيْهَاتَ لا يَثْنِي ٱلْحِمَامَ عَنِ ٱلْفَتَىٰ ... نَوْحُ ٱلْحَزِينِ وَلَوْعَةُ ٱلْمُتَأَسِّفِ

أَمْضَىٰ مِنَ ٱلسَّهْمِ ٱلْمُصِيبِ إِصَابَةُ ٱلْـ ... ـحَتْفِ ٱلسَّرِيعِ إِلَى ٱلنُّفُوسِ ٱلْمُوجِفِ

هَوَتِ ٱلنُّجُومُ وَكُوِّرَتْ شَمْسُ ٱلضُّحَىٰ ... فَٱلآنَ نَحْنُ بِجُنْحِ لَيْلٍ مُسْدِفِ

وَأَرَى ٱلْبِحَارَ أَوَاجِناً وَنَوَاضِباً ... وَٱلنَّاسُ سَكْرَىٰ مِنْ مُصَابٍ مُرْجِفِ[2]

وَٱغْبَرَّتِ ٱلدُّنْيَا وَزُلْزِلَ أَهْلُهَا ... وَبَدَا لَهُمْ عُنْوَانُ هَوْلِ ٱلْمَوْقِفِ

عَظُمَ ٱلْمُصَابُ فَلا مُصَابٌ مِثْلُهُ ... فِيمَا مَضَىٰ كَلا وَلا ٱلْمُسْتَأْنَفِ

(١) قوله : (عالماً) القياس : (عالمِ) بالجر ، والمثبت على لغة قليلة . انظر « همع الهوامع » (٢/ ٢٧٥) .

(٢) أواجن : جمع آجن ؛ وهو الماء المُتغيِّر .

يَا نَفْسِ ذُوبِي حَسْرَةً لِمُصَابِ مَنْ ... عَظُمَتْ رَزِيَّتُهُ وَيَا عَيْنِي ٱذْرِفِي

يَا مَعْشَرَ ٱلأَصْحَابِ وَٱلأَحْبَابِ وَٱلـ ... ـإِخْوَانِ هَلْ مِنْ مُسْعِدٍ أَوْ مُسْعِفِ

مَاتَ ٱلتَّقِيُّ ٱلصَّالِحُ ٱلْحَبْرُ ٱلإِمَا ... مُ ٱلْعَالِمُ ٱلْعَلَّامَةُ ٱلْحَبْرُ ٱلْوَفِي

ٱلطَّائِعُ ٱلرَّاضِي ٱلأَمِينُ عَلَى ٱلْوَرَىٰ ... وَٱلْمُكْتَفِي بِٱلْحُزْنِ فَهْوَ ٱلْمُقْتَفِي

نَـالَ ٱلشَّهَـادَةَ وَٱلْجِنَـانُ مَقَـرُّهُ ... فِـي حَـالِ نُقْلَتِـهِ لِأَكْـرَمِ مَـأْلَـفِ

وَا وَحْشَـةَ ٱلأَذْكَـارِ وَٱلأَوْرَادِ مِنْـ ... ـكَ وَوَحْشَةَ ٱلْمِحْرَابِ ثُمَّ ٱلْمُصْحَفِ

وَا وَحْشَةَ ٱلتَّدْرِيسِ وَٱلْفُتْيَا وَذِرْ ... وَةِ مِنْبَـرِ بِـكَ مُشْـرِفٍ وَمُشَـرَّفِ

حَنَّتْ إِلَيْكَ مَنَـاصِـبٌ وَمَـرَاتِـبٌ ... بِسِـوَاكَ لَـمْ تَـأْنَسْ وَلَـمْ تَتَـأَلَّـفِ

مَـنْ لِلْيَتَـامَىٰ وَٱلأَرَامِـلِ بَعْـدَهُ ... مَنْ لِلْفَقِيرِ ٱلْبَائِسِ ٱلْمُسْتَضْعَفِ

تَلْقَـاهُـمُ طَلْـقَ ٱلْمُحَيَّـا بَـاسِمـاً ... بِتَـرَحُّـمٍ وَتَحَنُّـنٍ وَتَعَطُّـفِ[1]

مَنْ لِلْحَدِيثِ سَقِيمِهِ وَصَحِيحِهِ ... مَـنْ لِلـرُّوَاةِ مُـوَثَّـقٍ وَمُضَعَّـفِ

مَـنْ لِلْمُنَـاظِـرِ إِذْ يُصَـوِّرُ شُبْهَـةً ... لَـوْ رَامَ غَيْـرُكَ حَلَّهَـا لَـمْ يَعْـرِفِ

وَمُسَـائِـلٍ عَـنْ دِينِـهِ بِتَلَهُّـفٍ ... فَـتُجِيبَـهُ عَجِـلاً بِغَيْـرِ تَـوَقُّـفِ

يَا رُحْلَةَ ٱلطُّلَّابِ يَطْوُونَ ٱلْفَلا ... طَـيَّ ٱلسِّجِـلِّ وَكُـلَّ قَفْـرٍ نَفْنَـفِ

تُثْنِي عَلَيْكَ صَحَائِفٌ أَسْفَارُهَا ... مَـا بَيْـنَ مُنْتَسَـخٍ وَبَيْـنَ مُصَنَّـفِ

وَحَدِيثُ خَيْرِ ٱلرُّسْلِ كُنْتَ تَصُونُهُ ... عَنْ وَضْعِ وَضَّـاعٍ وَقَوْلِ مُحَرِّفِ

يَـا سَيِّـدَ ٱلْفُقَهَـاءِ وَٱلْعُلَمَـاءِ بَيْـ ... ـنَ مُهَـذَّبٍ وَمُفَهَّـمٍ وَمُصَنِّـفِ

يَـا سَيِّـدَ ٱلْخُطَبَـاءِ وَٱلْبُلَغَـاءِ وَٱلْـ ... ـفُصَحَاءِ بَيْنَ مُدَبَّجٍ وَمُفَوَّفِ[2]

يَا سَيِّدَ ٱلصُّلَحَاءِ وَٱلأَقْطَابِ بَلْ ... وَٱلنَّاسِ مُنْصِفِهِمْ وَغَيْرِ ٱلْمُنْصِفِ

(١) قوله : (بترحم) كُتب فوقها في (أ ، ب) : (ببشاشة) .

(٢) المدبَّج في الأصل : المزين أطراف الثوب بالديباج ، والبرد المفوَّف : الرقيق ، أو الذي فيه خطوط بيض .

أَبْكِيكَ بِٱلدَّمْعِ ٱلْغَزِيرِ فَإِنْ يَغِضْ ... أَبْكِي دَماً بَدَلَ ٱلدُّمُوعِ ٱلذُّرَّفِ

وَلَقَدْ وَدِدْتُ بِأَنْ أَكُونَ لَكَ ٱلْفِدَا ... وَمَعَ ٱلْفِدَاءِ بِبَعْضِ حَقِّكَ لَمْ أَفِ

بِـٱلـرَّغْـمِ مِنِّـي إِذْ أُنَـادِي مُسْعِفـاً ... أَلا تُجِيـبَ إِجَـابَـةَ ٱلْمُتَعَطِّـفِ

يَـا قَبْـرُ قَـدْ غَيَّبْـتَ عَـنْ أَبْصَـارِنَـا ... شَمْسَ ٱلْعُلُومِ فَلَيْتَهَا لَمْ تُكْسَفِ

يَـا رَوْضَـةً أَزْهَـارُهَـا وَثِمَـارُهَـا ... لِسِوَاهُ لَمْ تُجْنَى وَلَمَّا تُقْطَفِ[1]

جَادَتْ عَلَيْكَ سَحَائِبٌ مِنْ رَحْمَةٍ ... يُزْرِي حَيَاهَا بِٱلْغَمَامِ ٱلْوُكَّفِ[2]

* * *

(١) **قوله** : (لم تجنَ) كذا في (أ) بإثبات الألف ، وهو إما ضرورة ، وإما بسبب إشباع الفتحة ، فنشأ بسبب ذلك حرف الألف .

(٢) انظر « الطالع السعيد » (ص٣١٧ـ٣٣٨) ، « وطبقات الشافعية الكبرى » (٩/ ٢٠٧ـ٢٤٩) ، و« الوافي بالوفيات » (٤/ ١٣٧ـ ١٤٨) ، و« رفع الإصر » (ص٣٩٤ـ٤٠٣) ، والترجمة في هذه المصادر حافلة .

هذا ولا بد من التنبيه : إلى أنه نُقِلَ عن الإمام ابن دقيق العيد ـ كما في بعض المصادر ـ مدحُهُ لابن تيمية ، وجعلَ أتباعُه هذا المدحَ والإطراء كالحجة لهم في تصحيح طريقة شيخهم وقدوتهم ، وقد بين في « براءة الأشعريين » بطلان هذا النقل وعدم صحته ، **وعلى تسليم صحته** : فإنه يحمل إطراؤه ومدحه على أول أمر ابن تيمية لمَّا كان مُتستِّراً بالسلف متظاهراً بالتنسك والعفة ، وقبل أن تشيع مقالاته في أصول الدين وغيره . انظر « براءة الأشعريين » (٢/ ٦١) وما بعدها .

ومنهُمُ :

[الإمامُ الصالحُ عبدُ العليِّ المغربيُّ المالكيُّ]

الفقيهُ الوليُّ ، والعارفُ الزكيُّ ، والعازفُ عنِ الدنيا الأبيُّ ، الذي كانَ معَ الناسِ كائناً بائناً ، مُصاحِبَهُم مُجانبَهم فيا حسنَهُ مفارِقاً مقارِناً !! لم تُبقِ منهُ العبادةُ إلا الرسمَ الروحانيَّ ، والشبحَ النورانيَّ ، بدتْ عليهِ سيما القومِ وظهَرَتْ ، لمَّا زكتْ سريرتُهُ وطهَرَتْ ، وهوَ معَ ذلكَ يتكتَّمُ حالَهُ والمسكُ يُظهِرُ نشرَهُ الكتمانُ ، ويُخفي نفسَهُ وهيهاتَ تخفى الشمسُ عندَ العيانِ !!

فأمَّا اسمُهُ : فهوَ عبدُ العليِّ بنُ [. . .] بنِ [. . .] المغربيُّ المالكيُّ[1] ، أخونا في اللهِ ، ورفيقُنا في الاشتغالِ على المشايخِ العلماءِ ؛ كالسيدِ الشريفِ شرفِ الدينِ الكركيِّ ، والعلمِ العراقيِّ ، والسراجِ عمرَ الضريرِ المقرئِ .

وكانَ مِنَ العلماءِ العاملينَ المُتورِّعينَ المنقطعينَ إلى اللهِ تعالىٰ ، يُؤثِرُ الخمولَ وعدمَ الظهورِ ، علىٰ مكانةٍ في العلمِ ، وبسطةٍ في الفهمِ ، وانجماعٍ عنِ الناسِ ، واشتغالٍ بالعملِ وإضناءِ البدنِ ، وإنصابِهِ في السيرِ إلى اللهِ تعالىٰ ، وتشميرٍ في الاجتهادِ ، وتصحيحٍ في الاعتقادِ ، وإظهارٍ للسنَّةِ وموالاةِ أهلِها ، ونفورٍ عنِ البدعةِ وقطعٍ لحبلِها ، وإخلاصٍ في الأعمالِ .

وكانَ رضيَ اللهُ عنهُ يُصرِّحُ بلعنِ المُجسِّمةِ والمُشبِّهةِ ، والقائلينَ بقدمِ الحروفِ ، والقائلينَ بالجهةِ .

حجَّ قبلَ موتِهِ ، وظهرَتْ لهُ كراماتٌ قبلَ موتِهِ وبعدَ موتِهِ .

(١) ما بين معقوفين في كلا الموضعين بياض بمقدار كلمة في (أ ، ب) .

أمَّا قبلَ موتِهِ فمنها : ما ذكرَتْهُ حَماتُهُ أمُّ [. . .][1] وهيَ مِنَ الخيِّراتِ ، قالَتْ : (كانَ قد وضعَ عندَنا نفقةً لمَّا سافرَ إلى الحجازِ ، فعرضَ لنا عارضٌ اقتضى أنْ أنفقْناها كلَّها ولم يبقَ عندَنا شيءٌ ، فطرقَ علينا البابَ طارقٌ في شهرِ ذي الحجةِ ، فخرجتُ فعرَّفَني بهِ ، فأردتُ أنْ أصيحَ ، فمنعَني وقالَ : خذي هـٰذهِ النفقةَ فأنفقِيها إلى أنْ أحضرَ مِنَ السفرِ ، وإيَّاكِ أنْ تُخبري بهـٰذا الأمرِ في حياتي أحداً فتُعاقَبي في جسمِكِ ، قالَتْ : فعرفتُ صدقَ قولِهِ ، وامتنعتُ مِنَ الإخبارِ بها إلا بعدَ موتِهِ) ، رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ .

وفي ثاني يوم وفاتِهِ كانَتِ الزلزلةُ العظيمةُ التي بالديارِ المصريةِ ، وحقَّقَ ذلكَ عندَ أهلِها أنَّهُ كانَ عندَما يُظَنُّ بهِ مِنَ الولايةِ ، وأنَّهُ مِنَ الشيوخِ الرُّكَّعِ الذينَ يمسكُ اللهُ بهِمُ العذابَ عنِ البلادِ .

وكانَ خلَّفَ عليهِ دَيناً وصداقاً لزوجتِهِ ، وخلَّفَ موجوداً لا يفي بعُشرِ ما عليهِ ، فوقعَتِ المزايدةُ في تلكَ الآثارِ المباركةِ إلى أنْ وفَّتْ بعونِ اللهِ بما عليهِ ، وذلكَ مِنْ كراماتِهِ رضيَ اللهُ عنهُ وعنَّا بهِ .

تُوفِّيَ في الثاني والعشرينَ مِنْ ذي الحجةِ سنةَ اثنتينِ وسبعِ مئةٍ .

* * *

(١) بياض بمقدار كلمة في (أ ، ب) .

ومنهُمُ :

[الشريفُ علاءُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي القاسمِ عبدِ الرحمٰنِ الحسينيُّ الحنفيُّ]

الشريفُ السَّيِّدُ ، والقويُّ على الطاعةِ الأَيِّدُ ، والزكيُّ الأعراقِ والمولدِ ، ضربَ في كلِّ العلومِ بنصيبٍ ، وأصابَ في اجتهادِهِ لمَّا تحقَّقَ أنَّ كلَّ مجتهدٍ مصيبٌ ، وقرَّبَهُ مِنَ الأكابرِ خُلُقُهُ الجميلُ ، فهوَ الغريبُ القريبُ ، يُستنزَلُ بغُرَّتِهِ الواضحةِ الغمامُ ، ويُشاهَدُ مِنْ ميمونِ نقيبتِهِ بدرُ التمامِ ، ويهتدي بإمامتِهِ أمَّهُ فهوَ المأمومُ الإمامُ ، قد تشرَّفَ بهِ ذَرا محرابٍ وذُرا منبرٍ ، ورُفِعَ أعلى المراتبِ فتواضعَ وما استكبرَ ، وجُمِعَتْ فيهِ محاسنُ الأخلاقِ وليسَ للهِ بمُستنكَرٍ .

غيرَ أنَّهُ أجرتْهُ الأيامُ على ما لها مِنَ العاداتِ ، وأجَرَّتْهُ أذيالَ الخمولِ أسوةَ أمثالِهِ مِنَ الساداتِ ، فأُتيحَ لهُ اجتباءُ الوزيرينِ ، فأصبحا لهُ على الأيامِ ظهيرينِ ؛ الحبابِ التاجيِّ ، والحبابِ الزينيِّ ، فأمدَّاهُ بما شاءَ مِنْ سرورٍ واغتباطٍ ، وساعدا بما شاءَ مِنَ المالِ والقوةِ والرباطِ ، واصطفياهُ معاملةً لجدِّهِ المصطفى ، وشفيا ببلوغِ المنى أملَهُ بعدَ أنْ كانَ مِنَ اليأسِ على شَفاً ، وأظلَّاهُ غمامتينِ تجودانِ إنْ بَخِلَ الغمامُ ، وتذودانِ بإبراقِهما وإرعادِهما عنهُ نوائبَ الأيامِ ، وسنَّيا مآربَهُ فالنجحُ لهُ عبدٌ والزمانُ غلامٌ ، وآواهُ حماهُما الذي لم يُرَ عافياً مِنْ عَافٍ[1] ، وأورداهُ برَّهُما الذي أغدقَتْ عليهِ بهِ سحائبُ الألطافِ ،

(١) أي : خالياً من سائل ، وأشار به : إلى قول أبي تمام : (من الكامل)

حتمٌ عليكَ إذا حللتَ مَعانَهُم ألا تراهُ عافياً مِنْ عافِ

انظر « ديوانه » (٢/ ٣٩٣) .

فأخصبَ مرعاهُ فتخيَّرَ وما انتجعَ ، ولم يخترِ الخروجَ مِنْ تلكَ الروحِ التي لهُ بها مصطافٌ ومُرتبَعٌ ، لا جرمَ أثنتْ عليهما حقائبُهُ ولسانُهُ ، ودعا لهُما بيانُهُ وجَنانُهُ .

غَدَا يَجْتَنِي نَوْرَ ٱلْوِدَادِ وَيَكْتَسِي ... مِنَ ٱلْوَرَقِ ٱلْغَضِّ ٱلَّذِي يُلْبِسَانِهِ
وَيَأْخُذُ مِنْ أَيْدِيهِمَا وَهَوَاهُمَا ... فَلا عَجَبٌ أَنْ يَأْخُذَا مِنْ لِسَانِهِ[1]

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ الشريفُ علاءُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ أبي القاسمِ عبدِ الرحمٰنِ بنِ أحمدَ بنِ مُجلِّي بنِ حسينِ بنِ أبي الصقرِ بنِ سليمانَ بنِ إبراهيمَ بنِ عليِّ بنِ أبي القاسمِ محمدِ بنِ أبي الروحِ عيسى بنِ الحسينِ بنِ يحيى بنِ الحسينِ بنِ زيدِ بنِ عليِّ زينِ العابدينَ ابنِ الإمامِ الحسينِ بنِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ .

صحبَ الشيخَ : كمالَ الدينِ أبا العباسِ أحمدَ العلويَّ التاجوريَّ ، وبعثَ إليهِ الشيخُ شهابُ الدينِ السُّهرَورديُّ بخرقةٍ على يدِ والدِهِ الشريفِ أبي القاسمِ ، **وصحبَ الشيخَ** : شمسَ الدينِ بنَ سودكينَ أيضاً عنِ الشيخِ شهابِ الدينِ ، **ولبسَ خرقةَ التصوفِ أيضاً** : مِنَ الشيخِ ابنِ نعيمٍ ، وهيَ خرقةُ سيدي أحمدَ بنِ الرفاعيِّ ، **وصحبَ** : شرفَ الدينِ عبدَ العزيزِ شيخَ شيوخِ حماةَ ، وأفادَ واستفادَ ، وقرأَ القرآنَ على جماعةٍ مِنَ المشايخِ ذكرَهُم في « مشيختِهِ » .

واشتغلَ بمذهبِ الإمامِ أبي حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ ، ومهرَ فيهِ وفي علمِ النحوِ والتفسيرِ ، ووليَ تدريسَ المدرسةِ المعروفةِ بـ (الملكِ الناصرِ) ببيتِ المقدسِ ، ثمَّ أُحضِرَ إلى مصرَ ووليَ الخطابةَ بالجامعِ الحاكميِّ مدَّةً ، ثمَّ

(١) البيتان لأبي تمام في « ديوانه » (ص٣٠٣) طبعة المكتبة العلمية ، وسقط الأول من طبعة المعارف (٣/ ٢٩٦) ، وهما من الطويل .

خطبَ بجامعِ قلعةِ الجبلِ مدَّةً ، ثمَّ تركَهُ وانقطعَ مُقبِلاً على الزَّهادةِ والعبادةِ والورعِ التامِّ .

وكانَ جمعَ حسنَ المنظرِ ، وجميلَ المخبَرِ .

وصحبَ الشيخَ : أبا محمدٍ المرجانيَّ لمَّا قدمَ مصرَ مدَّةَ إقامتِهِ بمصرَ ، وكانَ يحضرُ مجلسَ تذكيرِهِ قائماً على قدميهِ إلى حينِ فراغِهِ ، وكانَ حلوَ العبارةِ ، حسنَ التأنِّي ، غزيرَ الحلمِ ، وافرَ الأناةِ ، رفيقاً رقيقَ القلبِ ، بهيَّ السمتِ ، كثيرَ التواضعِ .

وبالجملةِ : فقلَّ أنْ رأيتُ شريفاً مثلَهُ .

وصنَّفَ تصانيفَ وعلَّقَ تعاليقَ غسلَ أكثرَها ؛ لأنَّهُ عارضَهُ في الإخلاصِ معارضٌ ، وقالَ : (في تصانيفِ العلماءِ المُتقدِّمينَ كفايةٌ ، وأنا لا آمنُ الخطأَ ؛ فربَّما أُخطئُ فأُضِلُّ أحداً بذلكَ ، فلا أتركُ شيئاً منها) .

تُوفِّيَ في خامسِ المحرمِ سنةَ ثلاثٍ وسبعِ مئةٍ .

* * *

ومنهُمُ :

[الإمامُ الفقيهُ الأصوليُّ المناظرُ علمُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الكريمِ بنُ عليٍّ الأنصاريُّ الأوسيُّ الشافعيُّ المعروفُ بـ(ابنِ بنتِ العراقيِّ)]

الفاضلُ المُتفنِّنُ ، والمُتحلِّي بالعلومِ المُتزيِّنُ ، والمُوضِّحُ المشكلاتِ المُبيِّنُ ، لو رأيتَهُ لرأيتَ العالَمَ في صورةِ إنسانٍ ، والعالِمَ الذي تحلَّى بحُلِيِّ الإجادةِ والإحسانِ ، يضربُ في كلِّ فنٍّ بسهمٍ ، ويُقدِمُ في المناظرةِ إقدامَ البطلِ الشَّهمِ .

همَّةٌ تعلَّقَتْ بمناطِ الفرقدِ ، وفطنةٌ تألَّقَتْ كأنَّها دُرِّيٌّ يُوقَدُ ، وعلمٌ يتلألأُ في رأسِهِ نورُ الهدايةِ ، ويُدرَكُ بلقائِهِ غايةُ النهايةِ ، حفيدُ خطابةٍ ، ومُقدَّمُ عصابةِ الإصابةِ .

لم يَزَلْ بينَ اشتغالٍ وإشغالٍ ، وإدآبِ نفسٍ في الحفظِ وإعمالٍ ، لا يقتصرُ على فنٍّ ، ولا يقنعُ في علمٍ بظنٍّ ، قطعَ عمرَهُ بين تدريسٍ وتصدُّرٍ ، وتفسيرٍ وتدبُّرٍ ، وشرحِ مسائلَ ، وشفاءِ غليلِ السائلِ ، وفتيا وإملاءٍ ، وتصنيفٍ وإقراءٍ . . إلى أنِ استوفى أجلَهُ ، فانتقلَ مُوفَّىً عملَهُ ، أحلَّهُ اللهُ دارَ الرِّضوانِ ، ومنحَهُ العفوَ والغُفرانَ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ علمُ الدينِ أبو محمدٍ عبدُ الكريمِ بنُ عليِّ بنِ عمرَ ، المعروفُ بـ(ابنِ بنتِ العراقيِّ)[1] الأنصاريُّ الأوسيُّ الشافعيُّ .

(١) أي : أبي إسحاق شارح « المهذَّب » فعلم الدين يكون سبطاً له ، ومرَّ سابقاً في (١/ ٥١٩) أن أبا إسحاق لم يكن عراقياً ، وإنما رحل إلى العراق لطلب العلم ثم قدم مصر ، فلُقِّب بالعراقي .

وُلِدَ بقرافةِ مصرَ الصُّغرىٰ بتربةِ أمِّ الأشرفِ ، ونشأَ بمصرَ ، **وقرأَ القرآنَ بالرواياتِ السبعِ** : على الشيخِ كمالِ الدينِ الضريرِ المُقدَّمِ ذكرُهُ[1] ، وأُجيزَ منهُ بها ، **واشتغلَ بالفقهِ بزاويةِ ابنِ الجُمَّيزيِّ** : علىٰ ضياءِ الدينِ عبدِ الحكمِ بنِ المقسطيِّ علىٰ مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ ، وعلى الشيخِ شرفِ الدينِ بنِ التِّلِمْسانيِّ بالفقهِ والأصولَينِ ، وعلى الشيخِ زكيِّ الدينِ عبدِ العظيمِ بفنِّ الحديثِ قراءةً وسماعاً ، وعلى الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ ، وعلى الشيخِ شمسِ الدينِ الخُسْرَوشاهيِّ .

ومهرَ وبرعَ ، وتصدَّرَ بتاجِ الجوامعِ بمصرَ المحروسةِ مكانَ ابنِ عينِ الدولةِ ، ووليَ الإعادةَ بالمدرسةِ الصالحيةِ بالقاهرةِ المعزيةِ في أواخرِ زمنِ قاضي القضاةِ تاجِ الدينِ وصدراً مِنْ ولايةِ صدرِ الدينِ ولدِهِ ، ثمَّ أعادَ بالشريفيةِ بالقاهرةِ بالملحيينَ ، ثمَّ درَّسَ بمشهدِ السيدِ الحسينِ بعدَ أقضى القضاةِ جمالِ الدينِ يحيىٰ ، ثمَّ انتقلَ عنهُ ، ثمَّ تولَّىٰ تدريسَ الشريفيةِ التي كانَ مُعيداً بها ، ثمَّ تولَّىٰ تدريسَ التفسيرِ بالقبَّةِ المنصوريةِ ، ومشيخةَ ميعادِ علاءِ الدينِ بالجامعِ العتيقِ[2] .

وصنَّفَ كتباً وعلَّقَ تعاليقَ ، وأفردَ الاعتزالَ عنِ « الكشافِ » ونبَّهَ عليهِ .

وكانَ رحمَهُ اللهُ حسنَ المعاشرةِ ، حلوَ الفكاهةِ ، مليحَ التنذُّرِ ، حادَّ الجوابِ ، كثيرَ الحفظِ ، فكهَ المحاضرةِ ، ذا فنونٍ عديدةٍ ، وأجوبةٍ بالصوابِ عتيدةٍ .

(١) انظر (٢/ ٨٤ ـ ٨٥) .

(٢) **ومن جلة تلاميذه الذين تخرَّجوا عليه في التفسير** : الإمام الكبير المجتهد تقي الدين السبكي رحمه الله تعالىٰ .

كتبَ إليهِ الأميرُ الأديبُ ناصرُ الدينِ حسنُ بنُ النقيبِ : [من المنسرح]

يَـا عَلَمـاً يَهْتَـدِي بِـهِ أَبَـداً ... فِـي طُـرُقِ ٱلْعِلْـمِ قَـادَةُ ٱلْعُلَمَـا
وَمَـنْ يُجَلِّـي صُبْـحَ ٱلْبَيَـانِ لَنَـا ... وَمَـنْ يُحَلِّـي بِلَفْظِـهِ ٱلْكَلِمَـا
أَنْـتَ ٱلَّـذِي كُلَّمَـا دَجَـتْ ظُلَـمٌ ... مِنْ مُشْكِلِ ٱلْبَحْثِ كَشَّفَ ٱلظُّلَمَا
وَمَـنْ إِذَا نُسْخَـةٌ شَكَـتْ سَقَمـاً ... طَـالَـعَ فِيهَـا فَـأَذْهَـبَ ٱلسَّقَمَـا
يَـا سِبْطَ ذَاكَ ٱلإِمَـامِ نَجْـلَ أَبِـي ... إِسْحَـاقَ ذَاكَ ٱلَّـذِي غَـدَا عَلَمَـا
جُـدْ لِـي بِشِعْـرٍ كَخَمْـرَةٍ مُـزِجَـتْ ... بِلَفْظِـكَ ٱلْعَـذْبِ لا بِعَـذْبِ لَمَـىٰ
تَفْتِـنُ مُسْتَيْقِظـاً مَحَـاسِنُـهُ ... وَنَـائِمـاً فِـي ٱلْكَـرَىٰ بِـهِ ٱحْتَلَمَـا
يُشَـرِّفُ ٱلطِّـرْسَ إِذْ يُخَـطُّ بِـهِ ... وَٱلْكَـفَّ إِنْ سَطَّـرَتْـهُ وَٱلْقَلَمَـا
نَظْـمٌ إِذَا مَـا ٱلْحَسُـودُ فَضَّلَـهُ ... أَنْصَـفَ فِـي حُكْمِـهِ وَمَـا ظَلَمَـا
لا دَنِـسٌ مَـا تَضِـنُّ بِـهِ ... مِنْ عِرْضِكَ ٱلْمُنْتَقَىٰ ولا ثُلِمَا[1]

فأجابَهُ الشيخُ علمُ الدينِ :

يَـا أَوْحَـدَ ٱلأَكْـرَمِيـنَ وَٱلْعُلَمَـا ... وَمَـنْ غَـدَا فِـي فُنُـونِـهِ عَلَمَـا
يَـا كَعْبَـةً أَمَّهَـا مُـؤَمِّلُهَـا ... مُقَبِّـلاً رُكْنَهَـا وَمُسْتَلِمَـا
فَحَقَّقَـتْ مِـنْ رَجَـائِـهِ أَمَـلاً ... وَبَـاعَـدَتْ عَـنْ ضَمِيـرِهِ أَلَمَـا
يَـا نَـاصِرَ ٱلـدِّيـنِ ثُـمَّ يَـا حَسَنـاً ... قَدْ هَدَّ رُكْنَ ٱلضَّلالِ وَٱضْطَلَمَا
كَمْ مُشْكِلاتٍ قَدْ أَعْضَلَتْ أُمَماً ... جَلَـوْتَ عَنْهَـا بِعِلْمِـكَ ٱلظُّلَمَـا
قَـدْ سَـادَ كُـلَّ ٱلْـوَرَىٰ بِمَحْتِـدِهِ ... وَحِلْمِـهِ مُنْـذُ نَـاهَـزَ ٱلْحُلُمَـا
وَلَـمْ تَشُقْـهُ وُرْدُ ٱلْخُـدُودِ وَلا ... وِرْدُ عُـذَيْـبٍ وَلا عُـذَيْـبُ لَمَـىٰ

(١) كذا البيت في (أ، ب) ، والشطر الأول غير موزون ، ويستقيم إذا أضفنا كلمة (منك) أو نحوها بعد (دنس) ، والله تعالىٰ أعلم .

بَـلْ يَقْظَـةٌ [لِلْعُلُـومِ] هِمَّتُـهُ ٱلْـ ـعُلْيَا وَنَامَ ٱلْجَهُولُ فَٱحْتَلَمَا[1]

فَـأَسَّسَ ٱلْمَجْـدَ مِـنْ قَـوَاعِـدِهِ وَشَـادَ مَـا قَـدْ وَهَـى وَمَـا ٱنْثَلَمَـا

أَمَـرْتَنِـي أَنْ أُجِيـزَ مَـا بَهَـرَ ٱلْـ ـعَقْـلَ وَأَعْيَـا ٱللِّسَـانَ وَٱلْقَلَمَـا

وَإِنَّ سَحْبَـانَ لا يُقَـابِلُـهُ بَـاقِـلُ عِـيٌّ مَجْمَـجَ ٱلْكَلِمَـا[2]

وَدَافِـعُ ٱلسَّيْـلِ بِـٱلْغُثَـاءِ غَـوٍ كَـدَابِـغٍ وَٱلأَدِيـمُ قَـدْ حَلِمَـا

وَمَنْ يُصَوِّرْ مِنْ عِرْضِهِ غَرَضاً بِمِثْـلِ ذَا ٱلنَّظْـمِ قَلَّمَـا سَلِمَـا

فَـٱمْنُـنْ بِعَفْـوٍ عَمَّـا جَنَتْـهُ يَـدِي مِثْلُكَ يَا بْنَ ٱلنَّقِيبِ مَنْ حَلُمَا

لا زِلْـتَ كَهْفـاً وَمَلْجَـأً أَبَـداً تَأْسُو مِنَ ٱلدَّهْرِ كُلَّمَا كَلَمَا[3]

وُلِدَ علمُ الدينِ يومَ السبتِ تاسعَ جمادى الأولىٰ سنةَ اثنتينِ وعشرينَ وستِّ مئةٍ ، وتُوفِّيَ في سادسِ صفرٍ سنةَ أربعٍ وسبعِ مئةٍ ، وصُلِّيَ عليهِ بالمُصلَّىٰ ظاهرِ القاهرةِ ، ودُفِنَ بقرافةِ مصرَ الصُّغرىٰ بالقربِ مِنْ تربةِ الكِيزانيِّ[4] .

* * *

(١) في الأصل : (للعلم) بدل (للعلوم) ، والمثبت أنسب بالوزن .

(٢) يقال : مجمج الكتاب : خلطه ولم يبين حروفه .

(٣) ويحتمل أن يكون في (أ) : (يأسو) بدل (تأسو) .

(٤) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (١٠/ ٩٥ـ ٩٦) ، و« الوافي بالوفيات » (١٩/ ٦٥) ، و« الدرر الكامنة » (٣/ ٢٠٠ـ ٢٠١) ، وفي هٰذه المصادر ولادته سنة (٦٢٣هـ) ، والمثبت ذكره في « الدرر الكامنة » قولاً ثانياً .

ومنهُمُ :

[الإمامُ الوزيرُ الصاحبُ زينُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ ابنُ حنَّا الشافعيُّ]

الصاحبُ الوزيرُ ، والعالمُ الخبيرُ ، والفتى المشيرُ ، الذي هوَ تليدُ وزارةٍ أعرقَ انتسابُها ، ونصبَتْ على مشرعِهِ المكارمَ قبابُها ، وألفَ وألَّفَ الواردينَ رحابُها وتَرحابُها ، رُبِّيَ ما بينَ بطنِ مهادٍ مُدبَّجٍ ، وظهرِ جوادٍ مُسْرَجٍ ، يقصُرُ عن لَحاقِهِ لاحقٌ ويَعوجُّ لديهِ أعوجُ ، يرتضعُ أفاويقَ التوفيقِ ، مُراضعاً للجَدِّ والسعدِ اللذينِ تحالفا أنْ لا تفريقَ ، إلى أنِ استحقَّ أنْ تُفارِقَهُ تمائمُهُ ، ويُعوَّضَ عنها ما يُناسِبُهُ مِنْ ملابسِ السيادةِ ويلائمُهُ ، فدأبَ في تحصيلِ الفضائلِ ، وتلقِّيها مِنَ العلماءِ الأفاضلِ ، حتى أحرزَ منها الحظَّ المكينَ ، ووفاهُ نُجحُهُ ما الطلبُ بهِ كفيلٌ ، والاجتهادُ بهِ ضمينٌ ، وحقَّقَ لهُ تفردُهُ أنَّهُ الذي نفرَ عن أهلِهِ ليتفقَّهَ في الدينِ ، فحينَئذٍ سادَ عشيرتَهُ أمردا ، وحازَ حلَّةَ الفخرِ حينَ ائتزرَ بالمكارمِ وبالتقوى ارتدى[1] ، فأدركَتْ عشيرتُهُ بهِ سرورَ الصديقِ وكبتَ العدا .

تولَّى التدريسَ بمدرسةِ جدِّهِ سنينَ ، يُلتقَطُ مِنْ فوائدِهِ الجوهرُ الثمينُ ، ولم تَزَلْ تلكَ المدرسةُ محطَّ رحالِ العلماءِ ، ومنتهى رغبةِ الفضلاءِ ؛ يُقصَدُ مِنَ الشامِ والعراقِ ، وتُرسَلُ أعنَّةُ جيادِ الإجادةِ بها في طَلَقِ الاستباقِ ، فمَنْ رجحَ

(١) لا يخفى أخذه هذه المعاني من بيتي الخنساء : (من المتقارب)

طويلُ النجادِ رفيعُ العمادِ ... سادَ عشيرتَهُ أمردا

وإنْ ذُكِرَ المجدُ ألفيتَهُ ... تأزَّرَ بالمجدِ ثمَّ ارتدى

دليلُهُ ، أنجحَ تأميلُهُ ، ومَنْ قَصُرَ في معرفتِهِ ساعدُهُ ، فغيرُهُ مُساعدُهُ ، قد ترتَّبُوا كما رتَّبَ العقدَ ناظمُهُ ، وتهذَّبُوا فيحاربُ القِرْنُ قِرْنَهُ وهوَ ثَمَّ مُسالمُهُ ، فهم في مصافِّ الاجتهادِ لا الجهادِ ، ومُعترَكِ فوارسِ الجدالِ لا الجِلادِ .

وبالجملةِ : فما زالَ حمىٰ مقرِّهِ العالي ، مرتقىٰ مَنْ عرجَ في درجِ المعالي ، وملتقىٰ مَنْ خرجَ مِنْ حَرَجِ الأيامِ والليالي ، ومزارَ الصلحاءِ الأولياءِ ، وقرارَ الورعينَ الأزكياءِ ، ومُودَعَ أسرارِ المعارفِ ، ومجمعَ الأبرارِ ما بينَ سالكٍ وعارفٍ ، إلىٰ أنْ ظهرَ كامنُ الإرادةِ ، وانتهىٰ عمرُهُ معَ ما كانَ فيهِ لصلةِ رحمِهِ مِنَ الزيادةِ ، فانتقلَ حميداً ، وارتحلَ مُفيداً ، وجديرٌ بمَنْ عاشَ سعيداً ، أنْ يموتَ مثلَهُ شهيداً [1] .

وقد مدحَهُ جماعةٌ مِنَ الشعراءِ ؛ **فممَّنْ مدحَهُ** : الأديبُ سراجُ الدينِ الورَّاقُ بأبياتٍ وقصائدَ ؛ **فمنها** : قصيدتُهُ التي يقولُ فيها : [من الطويل]

بَدَا طَالِعٌ يَهْدِيكَ مِنْ بَعْدِ غَارِبِ ... فَمَا غَائِبٌ عَنْ نَاظِرَيْكَ بِغَائِبِ

وَلا عُطِّلَتْ مِنْهُمْ سَمَاءُ سَعَادَةٍ ... تُزَانُ بِأَقْمَارٍ لَهُمْ وَكَوَاكِبِ

إِذَا خَلَفَتْ أَصْلاً كَرِيماً فُرُوعُهُ ... أَرَتْكَ ٱلْمَبَادِي حُسْنَهَا فِي ٱلْعَوَاقِبِ

وَإِنْ تَلَتِ ٱلأَشْبَالُ تِلْوَ أُسُودِهَا ... حَمَتْ بِنُيُوبٍ غَيْلَهَا وَمَخَالِبِ

أَآلَ عَلِيٍّ أَسْعَدَ ٱللهُ جَدَّكُمْ ... وَجَدَّكُمُ مَا أَعْتَرَّ عَوْدٌ بِرَاكِبِ

حَمَىٰ مِسْنَدَيْ عِلْمٍ لَكُمْ وَوَزَارَةٍ ... كَرِيمَانِ حَازَا ٱلْمَجْدَ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

وَحَاطَا ٱلْفَتَاوَىٰ وَٱلْفُتُوَّةَ فَٱلْتَقَىٰ ... جَدِيدَا شَبَابٍ هَذَّبَا كُلَّ شَائِبِ

وَقَدْ جَمَعَا ٱلتَّدْرِيسَ وَٱلْجُودَ رَغْبَةً ... لِأَنْ يُسْأَلا مِنْ كُلِّ رَاجٍ وَطَالِبِ

وَأَلا يَرُدَّا سَائِلاً أَمْرَ دِينِهِ ... وَدُنْيَاهُ فِي عِلْمٍ وَفَيْضِ مَوَاهِبِ

(١) ويجوز أيضاً أن يقرأ (مثله) بالرفع .

وَلَمْ يَأْتِ نَسْلُ ٱلصَّاحِبِ ٱبْنِ مُحَمَّدٍ ... بِغَيْرِ إِمامٍ فِي ٱلشَّرِيعَةِ صَاحِبِ
وَمَا لِلْعَوَالِي فِي أَطْرَادِ مُنَاسِبٍ ... كَمَا لِعَلِيٍّ فِي أَطْرَادِ ٱلْمُنَاسِبِ
وَمَنْ ظَهَرَتْ آثَارُهُ فِي أَجَانِبٍ ... فَأَوْلَىٰ لَهَا أَوْلَىٰ لَهَا فِي ٱلأَقَارِبِ
وَيَوْمٍ بِزَيْنِ ٱلدِّينِ أَحْمَدَ زَانَهُ ... ثَنَاءٌ كَمَا فَاحَتْ لَطِيمَةُ جَالِبِ[1]
بَدَا صَدْرَ حَفْلٍ وَهْوَ دُونَ مَحَلِّهِ ... وَفَاضَ لَنَا بَحْراً أَتَىٰ بِعَجَائِبِ
فَلَوْ مَلَكَ ٱلْبِيضُ ٱلْحِسَانُ كَلامَهُ ... لَنَظَّمْنَ مِنْهُ حِلْيَةً لِلتَّرَائِبِ
وَلَوْ سَمِعَتْ بِيضُ ٱلْقَوَاضِبِ مِقْوَلاً ... لَهُ فُلَّ حَدُّ ٱلْمُرْهَفَاتِ ٱلْقَوَاضِبِ
أَوِ ٱبْنُ خَطِيبِ ٱلرَّيِّ حَلَّ بِدَرْسِهِ ... غَدَا ٱلْفَخْرُ لابْنِ ٱلْفَخْرِ أَوَّلَ خَاطِبِ
وَمَنْ مِثْلُ زَيْنِ ٱلدِّينِ أَوْ مِثْلُ صِنْوِهِ ... وَصِنْوِ أَبِيهِ فِي ٱتِّسَاقِ ٱلْمَنَاسِبِ
تَبَارَكَ مَنْ أَعْطَى ٱلْوَزِيرَ سَعَادَةً ... أَحَلَّتْهُ مِنْهَا فِي ٱلذُّرَا وَٱلْغَوَارِبِ
وَأَسْعَدَهَا ذُرِّيَّةٌ أَحْدَقَتْ بِهِ ... فَلاحَ كَبَدْرِ ٱلتِّمِّ بَيْنَ ٱلْكَوَاكِبِ

وهيَ قصيدةٌ طويلةٌ اقتصرتُ منها علىٰ هٰذهِ الأبياتِ .

[وقالَ الشاعرُ][2] سراجُ الدينِ أيضاً في الصاحبِ حينَ جلسَ بعدَ انقطاعِهِ عنِ الدرسِ لأمرٍ اقتضاهُ[3] : [من الطويل]

يَمِيناً لَقَدْ سَرَّ ٱلإِمَامَ ٱبْنَ إِدْرِيسِ ... جُلُوسُكَ فِي يَوْمِ ٱلْخَمِيسِ لِتَدْرِيسِ
وَتَشْيِيدُ مَا قَدْ كَانَ جَدُّكَ بَانِياً ... بُنَاكَ مِنَ ٱلتَّقْوَىٰ عَلَىٰ حَدِّ تَأْسِيسِ
وَهَلْ صَائِبٌ أَوْلَىٰ مِنَ ٱلْغَيْثِ بِٱلرُّبَا ... وَهَلْ صَائِلٌ أَوْلَىٰ مِنَ ٱللَّيْثِ بِٱلْخِيسِ[4]

(١) اللطيمة : المسك .

(٢) ما بين معقوفين في الأصل بياض بمقدار كلمتين .

(٣) أوردها ابن فضل الله العمري في « مسالك الأبصار » (١٩/ ١٢٥ـ ١٢٨) .

(٤) الخِيس : بيت الأسد .

لَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتْ مَنَازِلَ عِزِّكُمْ ... لَمَا عَدِمَتْ وَٱللهِ مِنْ عِلْمِكَ ٱلطُّوسِي
رَكِبْتَ إِلَيْهَا فِي خَمِيسٍ مُبَارَكٍ ... وَلِلْعِلْمِ أَعْلامٌ رُفِعْنَ عَلَى ٱلرُّوسِ
وَصُلْتَ بِسَيْفِ ٱلْحَقِّ فِي كُلِّ بِدْعَةٍ ... فَمَكَّنْتَ جُنْدَ ٱللهِ مِنْ جُنْدِ إِبْلِيسِ
فَيَا حُسْنَ مَنْقُولٍ هُنَاكَ نَقَلْتَهُ ... وَيَا حُسْنَ مَعْقُولٍ وَيَا حُسْنَ مَحْسُوسِ
سَعَيْتَ بِحُبِّ ٱلْعِلْمِ مُذْ كُنْتَ يَافِعاً ... وَغَلَّسْتَ فِي لَيْلِ ٱلصِّبَا خَيْرَ تَغْلِيسِ
وَلَمْ تَبْغِ مِنْ دُنْيَاكَ حَظّاً تَنَالُهُ ... وَحَظُّكَ مِنْ أُخْرَاكَ لَيْسَ بِمَبْخُوسِ
وَكَمْ زُفَّتِ ٱلدُّنْيَا إِلَيْكَ وَأَقْبَلَتْ ... عَرُوساً فَمَا هَنَّأْتَهَا يَوْمَ تَعْرِيسِ
سَتَجْنِي ٱلَّذِي أَصْبَحْتَ للهِ غَارِساً ... أَلَذَّ جَنَاءٍ طَابَ مِنْ خَيْرِ مَغْرُوسِ[1]
فَبَلَّغَكَ ٱللهُ ٱلَّذِي أَنْتَ آمِلٌ ... لَهُ مِنْ نَعِيمٍ لا يُكَدَّرُ بِٱلْبُوسِ

وأنشدَني الأديبُ جمالُ الدينِ أبو الحسينِ الجزَّارُ فيهِ وقد تقطَّرَ مِنْ علىٰ فرسِهِ[2] : [من الطويل]

يَقُولُونَ إِنَّ ٱلصَّاحِبَ ٱبْنَ مُحَمَّدٍ ... تَقَطَّرَ عَنْ مَرْكُوبِهِ فَتَأَثَّرَا
فَقُلْتُ هَوَ ٱلْغَيْثُ ٱلَّذِي عَمَّ نَفْعُهُ ... فَلا تَعْجَبُوا لِلْغَيْثِ أَنْ يَتَقَطَّرَا

وُلِدَ في [. . .] وستِّ مئةٍ[3] ، وتُوفِّيَ في ثامنِ صفرٍ سنةَ أربعٍ وسبعِ مئةٍ[4] .

* * *

(١) ويحتمل في (أ) : (جَنِيٌّ) بدل (جناء) .
(٢) تقطَّر : سقط .
(٣) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) وكذلك في « المقفى الكبير » .
(٤) انظر « المقتفي » (٢/ ٢٦٦) ، و« المقفى الكبير » (١/ ٣٨٠) ، وفيه وفاته في سابع صفر .

ومنهُمُ :

[الإمامُ العارفُ الشريفُ أبو فارسٍ عبدُ العزيزِ ابنُ أبي محمدٍ عبدِ الغنيِّ ابنِ أبي الأفراحِ سرورِ الإسكندرانيُّ الينبعيُّ المنوفيُّ]

الشريفُ نفساً ونسباً ، والظريفُ خلقاً وأدباً ، والنجيبُ وحُقَّ لهُ أنْ أشبهَ آباءَهُ النُّجَبا ، المفتوحُ عليهِ في أحوالِهِ ، والممنوحُ صيِّبَ المعارفِ المُتخيَّرِ جواهرُها مِنْ درِ مقالِهِ ، طالَما وعظَ وذكَّرَ ، وأخبرَ عن مقامٍ ومظهرٍ ، وترجمَ معانيَ أسرارِ الملكوتِ بأجلى لفظٍ وأظهرَ ، وعمَرَ أوقاتَهُ فعُمِّرَ ، فيا لَهُ مِنْ مُعمِرٍ مُعمَّرٍ !!

خدمَ الأكابرَ في صغرِهِ فخُدِمَ كبيراً ، وأهانَ نفسَهُ في رضاهُم فعزَّ كثيراً ، وخصَّصَهُم بإيثارِهِ فأضحى حميدُ آثارِهِ مأثوراً ، فتباركَ مَنْ جعلَ معارفَهُ لمعارفِهِ هدىً ونوراً ، وأطلعَهُ لأهلِ زمانِهِ في سماءِ الفضائلِ قمراً منيراً .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ أبو فارسٍ عبدُ العزيزِ بنُ أبي محمدٍ عبدِ الغنيِّ بنِ أبي الأفراحِ سرورِ بنِ أبي الرجاءِ سلامةَ بنِ أبي اليمنِ بركاتِ بنِ أبي الحمدِ داودَ بنِ أبي العباسِ أحمدَ بنِ الهادي يحيى بنِ زكريا بنِ القاسمِ بنِ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ أحمدَ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ بنِ إبراهيمَ طباطبا بنِ إسماعيلَ الديباجِ ابنِ إبراهيمَ الغَمْرِ بنِ الحسنِ المُثنَّى بنِ أبي محمدٍ الحسنِ بنِ الإمامِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، المعروفُ بـ(المنوفيِّ) .

صحبَ الشيخَ : أبا الفتحِ الواسطيَّ وتخرَّجَ بهِ ، وسلكَ طريقَ الإرادةِ ، وظهرَتْ لهُ كراماتٌ ؛ **منها** : نطقُهُ بالشعرِ على طريقِ القومِ بأحسنِ عبارةٍ وأوضحِ إشارةٍ ، لهُ قصائدُ في مدحِ سيِّدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ولهُ

قصيدةٌ سمَّاها « اليعسوبةَ » ذكرَ فيها مراتبَ القومِ مِنَ الغوثِ والقطبِ والبدلِ والعينِ والوتدِ[1] .

وكانَ يرىٰ أنَّ لكلِّ وقتٍ خَضِراً ، وأنَّ خَضِرَ زماننا اسمُهُ حسينُ بنُ يوسفَ الزُّبَيديُّ[2] ، وأنَّ الخَضِريةَ اسمٌ للمنزلةِ .

وكانَ كثيراً ما يُثني على الشيخِ نجيبِ الدينِ فتحِ ابنِ خلفٍ السعديِّ المُقدَّمِ ذكرُهُ[3] ، ويقولُ : (كان عارفاً عالماً) .

وكانَ عبدُ العزيزِ كثيراً ما يتمثَّلُ مِنْ شعرِ فتحِ ابنِ خلفٍ الدمياطيِّ بقولِهِ وشعرِهِ ، وكانَ كثيراً ما يتمثَّلُ ببيتينِ مِنَ الأبياتِ التي أوردَها الحافظُ ابنُ عساكرَ ؛ وهما[4] : [من الكامل]

قُـلْ لِلْمُشَبِّهَـةِ ٱلَّـذِيـنَ تَجَـاوَزُوا ... حُجَجَ ٱلْعُقُولِ بِكُلِّ قَوْلٍ مُنْكَرِ

يَا وَيْحَكُمْ قِسْتُمْ صِفَاتِ إِلَـٰهِكُمْ ... بِصِفَـاتِكُـمْ هَـٰذَا قِيَاسُ ٱلأَخْسَرِ

ومِنْ غرِّ قصائدِهِ : [من الكامل]

مَـلأَ ٱلْـوُجُـودَ بِجُـودِهِ فَتَعَمَّـرَا ... وَبَـدَتْ حَقَـائِقُـهُ لَـهُ فَتَنَـوَّرَا

وَأَلاحَ مِنْ شَرْقِ ٱلْمَعَارِفِ لِلْحِجَا ... فَجْرُ ٱلْمَعَارِفِ فَٱسْتَطَالَ وَأَسْفَرَا

جَـذَبَ ٱلْقُلُـوبَ بِسِـرِّ مِغْنَـاطِيسِـهِ ... فَغَـدَتْ مُعَـرَّفَـةً وَرَاحَ مُنَكِّـرَا

وَسَقَىٰ بِكَأْسِ ٱلأُنْسِ صِرْفَ شَرَابِهِ ... كَرَماً فَأَصْحَىٰ مَنْ أَرَادَ وَأَسْكَرَا

أَفْنَـىٰ وَأَبْقَـىٰ بِـٱلْبَقَـاءِ مُـؤَيَّـداً ... وَحَبَا وَخَصَّصَ عَالِماً وَٱسْتَأْثَرَا

(١) وذكر فيها أيضاً أماكن وجودهم ، وهي من محفوظات المكتبة الأزهرية برقم : (٨٣٠٦٨) .

(٢) في « الدرر الكامنة » (٣/ ١٧١) : (حسن) بدل (حسين) .

(٣) انظر (١/ ٥٣٥ـ٥٣٦) .

(٤) انظر « تبيين كذب المفتري » (ص٧٤٦) .

وَمَحَا وَأَثْبَتَ مَا يَشَاءُ بِحِكْمَةٍ ... خَفِيَتْ وَأَخْلَبَ فِي ٱلْبُرُوقِ وَأَمْطَرَا

أَوْرَىٰ عَلَىٰ طُورِ ٱلتَّنَاجِي مِنْحَةً ... نَاراً لِمُوسَى ٱلْقَصْدَ تَهْدِي لِلْقُرَىٰ

أَبْدَىٰ فَمَنْ فِي ٱلْفَرْقِ يَشْهَدُ مُظْهِراً ... وَبَدَا فَمَنْ فِي ٱلْجَمْعِ يَشْهَدُ مَظْهَرَا

فَٱلْكُلُّ عَنْ عِلْمٍ وَعَيْنٍ آخِذٌ ... وَبِفَتْقِ رَتْقِ ٱلْقَلْبِ يَفْقَهُ مَا جَرَىٰ

إِعْلَمْ رَعَاكَ ٱللهُ مَا سَتَرَ ٱلأُلَىٰ ... حَذَراً مِنَ ٱلأَغْيَارِ أَنْ تَتَغَيَّرَا

رَمَزُوا وَمَا كَشَفُوا وَيَكْفِي ضَرْبُهُمْ ... مَثَلاً بِأَنَّ ٱلصَّيْدَ فِي جَوْفِ ٱلْفَرَا

فَإِذَا رَأَيْتَ مِنَ ٱلأُمُورِ وَقَائِعاً ... لا تُفْشِهَا حَتَّىٰ تَمُوتَ وَتُنْشَرَا

كَيْ لا يَظُنَّ ٱلأَجْنَبِيُّ جَهَالَةً ... بِكَ ظَنَّ سَوْءٍ فِي ٱلْمَآلِ مُحَسَّرَا

يَا لِلْعَجَائِبِ هَلْ يَكُونُ تَبَصُّرٌ ... مَعَ قَوْلِ سُلْطَانِ ٱلْحَقِيقَةِ لا مِرَا

لَوْلاهُ قُلْتُ وَلَمْ أَقُلْ لَوْلا عَلَىٰ ... حُكْمِ ٱلتَّهَجُّمِ بَلْ أَرُومُ تَسَتُّرَا

مَا يَقْطَعُ ٱلأَهْوَالَ إِلا طَالِبُ ٱلـ ... ـعَلْيَاءِ وَٱلْبَيْدَاءَ إِلا مَنْ سَرَىٰ

ولهُ أيضاً رحمَهُ اللهُ[1] : [من الطويل]

إِذَا فُتِقَتْ بِٱلسَّلْبِ فِيكَ رُتُوقُ ... وَسُدَّتْ عَلَى ٱلأَفْهَامِ مِنْكَ طَرِيقُ

بَدَا مِنْ شُمُوسِ ٱلْقُرْبِ نُورٌ مُبَشِّرٌ ... لَهُ فِي وُجُودِ ٱلْعَالِمِينَ شُرُوقُ[2]

إِذَا نَهَضَتْ لِلْكُلِّ بِٱلْكُلِّ هِمَّةٌ ... أَضَاءَ لَهَا عِنْدَ ٱلنُّهُوضِ بُرُوقُ

تُبَايِنُكَ ٱلأَغْيَارُ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ ... فَأَيُّ بَقَايَا فِي ٱلْوُجُودِ تَعُوقُ[3]

فَيُصْبِحُ لا وَصْلٌ يَسُرُّ وَلا نَوىً ... يَضُرُّ وَلا رَحْبٌ عَلَيْهِ يَضِيقُ

هَنَاكَ يَكُونُ ٱلْعَبْدُ عَبْداً مُخَلَّصاً ... وَيَحْسُنُ أَنْ يُدْعَىٰ بِهِ وَيَلِيقُ

(١) أورد الأبيات العز ابن جماعة في « منتخب نزهة الألباء » (ص٢٨٠) ، وحُرِّف فيه كثير من العبارات ، واختل وزن بعض الأبيات .

(٢) كتب فوق (العالمين) في (أ) : (العارفين) .

(٣) ويحتمل في (أ) : (تعاينك) بدل (تباينك) .

فَمَا كُلُّ كَأْسٍ سَائِغٌ عِنْدَ شُرْبِهِ وَلا كُلُّ مَخْتُومٍ يُقَالُ رَحِيقُ

تُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ عشيَّةَ الأحدِ خامسَ عشرَ جمادى الأولىٰ سنةَ خمسٍ وسبعِ مئةٍ[1] .

* * *

(١) عن مئة وعشرين سنة . انظر « أعيان العصر » (٣/ ٩٩ـ١٠١) ، و« الدرر الكامنة » (٣/ ١٧٠ـ١٧٢) ، و« المنهل الصافي » (٧/ ٢٨٠ـ٢٨١) ، و« النجوم الزاهرة » (٨/ ٢١٤) ، وفيها وفاته سنة : (٧٠٣هـ) ، وعليه : فيجب أن تكون الترجمة مقدمة على هذا المحل .

ومنهُمُ :

[الإمامُ الفقيهُ الأصوليُّ أبو عليٍّ عمرُ بنُ عبدِ الحميدِ القيروانيُّ المالكيُّ]

الزائرُ الذي نَمَّ عليهِ عَرْفُهُ ، والحاضرُ الذي أشبهَ الصحابةَ وصفُهُ ، والهادي الذي أضاءَ بنورِ معرفتِهِ السبيلُ ، والمُتجرِّدُ عن ملابسِ التصنُّعِ فكلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ[1] ، وَرَعٌ لم يتَّصفْ أحدٌ ممَّنْ رأينا بمثلِهِ ، ومراقبةٌ للهِ في قولِهِ وفعلِهِ ، ومحاسبةٌ على النفَسِ بماذا شغلَهُ فهوَ قلقٌ لأجلِهِ .

علومٌ جمَّةٌ ، ومباحثُ مؤيدةٌ بما يُتلى مِنَ الآياتِ والحكمةِ ، وإنصافٌ في الإفادةِ والاستفادةِ حُفَّ بالسلامةِ مِنَ الخطأِ والعصمةِ .

مجاهدةٌ حرَّمَتْ عليهِ لذيذَ العيشِ ، وجهادٌ في سبيلِ اللهِ لا يقفُ لديهِ الكميُّ ولا الجيشُ ، يحاسبُ نفسَهُ على ما يَعُدُّهُ الغيرُ حسنةً ، ويتيقَّظُ لأفعالِهِ وحاشاهُ أنْ يستحكمَ عليهِ فيها غفلةٌ أو سِنَةٌ[2] .

أظلَّ على مصرَ إظلالَ المزنةِ الماطرةِ ، وأطلَّ إطلالَ السحابةِ العابرةِ ، ثمَّ لم يقمْ بها إلا ريثَما تزوَّدَ وتحوَّلَ ، إلى أشرفِ بيتٍ وُضِعَ أوَّلُ ، يقضي المناسكَ مُتقرِّباً ، وبادرَ إلى زيارةِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مُقرِّباً ، ثمَّ عادَ إلى وطنِهِ والنفوسُ مُستوحِشةٌ لغيابِهِ ، مُتعطِّشةٌ لإيابِهِ ، فكانَ كالقمرِ طلعَ بعدَ

(١) ضمَّن كلامه شطر بيت السموءل الشهير : (من الطويل)

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤمِ عِرْضُهُ فكلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ

انظر « ديوانه » (ص٦٦) .

(٢) ويحتمل في (أ) : (عُقْلة) بدل (غفلة) .

المُحاقِ ، وسطعَ نورُهُ على الآفاقِ ، فأضاءَ على أهلِها تألُّقُهُ ، ورَوَّى ثراهُم مُغدِقُهُ ، ثمَّ أقلعَ غمامُهُ ، وقُوِّضَتْ إلى الآخرةِ خيامُهُ ، فللّٰهِ درُّهُ مِنْ جوهرةٍ لم يُعرَفْ قدرُها فرُدَّتْ إلى الصُّوانِ ، وثمرةٍ اقتُطِفَتْ مِنْ جنةٍ فغُرِسَتْ في الجِنانِ ، وغيثٍ ما أمطرَ حتى أقلعَ ، وغوثٍ ما سلَّمَ حتى وَدَّعَ !!

كانَ قد رمزَ إلى وفاتِهِ ، وأرسلَ إلى بعضِ أخصَّائِهِ أنْ يحضرَ للصلاةِ عليهِ ومواراتِهِ ، فحضرَ الجمُّ الغفيرُ ، والمأمورُ والأميرُ ، وكانَ وقتاً يُعجَزُ عن وصفِهِ ، كموقفِ الحجيجِ بل ضِعفِ ضِعفِهِ ، فصُلِّيَ عليهِ بالمصلَّى خارجَ السورِ ، ودُفِنَ بتربةِ الشيخِ ابنِ أبي جمرَةَ في أحدِ القصورِ ، ولا أقولُ : القبورِ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ أبو عليٍّ عمرُ بنُ عبدِ الحميدِ القيروانيُّ .

صحبَ جماعةً ؛ **منهُمُ** : الشيخُ أبو محمدٍ المرجانيُّ[1] .

كانَ مِنَ العارفينَ بالفروعِ والأصولِ ، وكانَتْ مدةُ إقامتِهِ بمصرَ زمناً لطيفاً لم يسعْ تتبعَ أحوالِهِ ، قدمَ مصرَ في سنةِ خمسٍ وسبعِ مئةٍ ، فحجَّ ثمَّ زارَ النبيَّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ قدمَ مصرَ فأقامَ بها إلى أنْ تُوفِّيَ رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ ليلةَ السادسَ عشرَ مِنْ شوالٍ سنةَ ستٍّ وسبعِ مئةٍ .

* * *

ومنهُمُ : الوليُّ الصالحُ ، والحفيُّ الناصحُ ، والوفيُّ المانحُ ، الوافدُ بعميمِ الفوائدِ ، والرافدُ بكريمِ الفرائدِ ، والواحدُ الذي قابلَ الحشويةَ ففازَ بالنصرِ وانثنى راشد ، والواردُ كالنجمِ أحرقَ بأشعَّةِ براهينِهِ شيطانَهُمُ الماردَ ، فأصبحَ المبتدعُ وهوَ في كلِّ نادٍ نادمٌ ، قد أُلبِسَ بإذلالِهِ حلةَ عادٍ عادمٍ ، حينَ أُتيحَ لبنائِهِ يدُ هادٍّ هادمٍ ، وقصَّ مِنْ جناحِهِ الخوافيَ والقوادمَ ، وعصى

(١) سبقت ترجمته في (٢/ ٢٤٣ـ ٢٥٢) .

أطرافَ الزِّجاجِ فقهرَتْهُ العوالي باللَّهاذمِ[1] .

فجزاهُ اللهُ خيراً عن أهلِ السنَّةِ ، وسرَّهُ كما سرَّهُم بالجنَّةِ ؛ فلقد كانَ للمؤمنينَ إماماً ، وللموفقينَ هادياً وزِماماً ، طالَما أفرقَ المبتدعَ ، وأرفقَ المتَّبعَ ، خُلُقٌ كالعذبِ الباردِ مازجَ المدامَ ، ووجهٌ تنكشفُ بهِ البلوىٰ ويُستنزَلُ الغمامُ ، [. . .][2] ، ورثاهُ جماعةٌ مِنَ الشعراءِ ؛ فمنهُم [. . .][3] .

* * *

(١) أشار به : إلىٰ بيت زهير في « معلقته » : (من الطويل)

ومن يعصِ أطرافَ الزِّجاجِ فإنَّهُ يُطِيعُ العوالي رُكِّبَتْ كلَّ لَهْذَمِ

انظر « ديوانه » (ص١١١) .

(٢) بياض في (أ ، ب) بمقدار نصف لوحة .

(٣) بياض في (أ ، ب) بمقدار (٦) أسطر تقريباً .

فصل

في ذكر بعض الأساطين الذين قاموا على ابن تيمية بسبب فتياه الفاتنة

[الإمامُ القاضي أبو الحسنِ عليُّ بنُ مخلوفِ بنِ ناهضِ النُّويريُّ المالكيُّ]

ولقائلٍ أنْ يقولَ لكَ : خذْ ما تراهُ ودعْ شيئاً سمعتَ بهِ[1] ، قد أقبلَ كلُّ عالمٍ مِنْ علماءِ مصرَ في موكبِهِ ؛ لنصرةِ الحقِّ مِنْ معتقدِهِ ومذهبِهِ ، فتقدَّمَ عليٌّ لمحاربتِكَ مُؤيَّداً ، وكذلكَ مضتِ العادةُ في الحروبِ أنْ يتقدَّمَ عليٌّ محمداً[2] ، فقلتَ : مَنْ هٰذا الفارسُ ؟ فقيلَ : هٰذا الأسدُ العابسُ ، القائمُ في ذاتِ اللهِ حقَّ القيامِ ، والهاجمُ على مُسْتأسدي البدعِ الإجامَ[3] .

كم قتلَ بسيفِ الحقِّ مرحبَ نفاقٍ[4] !! وكم ضربَ أعناقَ ذوي زندقةٍ

(١) أشار به : إلى بيت المتنبي الشهير : (من البسيط)

خُذْ ما تراهُ ودَعْ شيئاً سمعتَ بهِ ... في طلعةِ الشمسِ ما يُغنيكَ عن زُحَلِ

انظر « ديوانه » (٣/ ٨١) .

(٢) لعله يشير : إلى تقدُّم سيدنا علي لمبارزة العدو اللدود عمرو بن عبد وَدٍّ العامري في غزوة الخندق بعد الاستئذان من سيد السادات محمد صلى الله عليه وسلم ، والمراد بـ (علي) على المعنى القريب : المُترجَم ، وبـ (محمد) : بدر الدين ابن جماعة الآتي بعد قليل ، ففي كلامه تورية بديعة .

(٣) الإجام : جمع أَجَمة ؛ وهي الشجر الملتف الذي تبيت به الأسود .

(٤) أشار بمرحب : إلى مرحب اليهودي الذي قتله سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه مبارزةً في غزوة خيبر . انظر « الكامل في التاريخ » (٢/ ٩٨) .

وشقاقٍ !! لا يتبعُ فارّاً إلا كشفَ سوءتَهُ ، وقتلَهُ إنْ لم يُسرعْ فيتّتَهُ ، زادَهُ اللهُ بسطةً مِنَ العلمِ ، وزيَّنَه بالتقوىٰ والحلمِ ، قد أخلصَ نُضارَهُ سبكُ السُّبْكيِّ[1] ، وصاغَهُ مِنَ الكرمِ الاعتناءُ الربانيُّ المُلْكيُّ ، فأصبحَ زينَ الدُّوَلِ ، وعالماً أشبهَ العلماءَ الأُوَلَ ، آمراً بالمعروفِ ناهياً عنِ المنكرِ ، حافظاً لحدودِ اللهِ الأكبرِ .

هٰذا قاضي القضاةِ زينُ الدنيا والدينِ ، أبو الحسنِ [عليُّ] بنُ أبي العطايا مخلوفِ ابنِ تاجِ الدينِ أبي المعالي ناهضِ المالكيُّ ، ثبَّتَ اللهُ عَزَماتِهِ ، ورفعَ بهِ شدائدَ الابتداعِ وأَزَماتِهِ ، وهزمَ بهِ داعيَهُ علىٰ عادةِ مَنْ تقدَّمَهُ في هَزَماتِهِ ، فليسَ قولُكَ : (مَنْ هٰذا ؟!) بضائرِهِ[2] ، وهل يخفى القمرُ إلا علىٰ مفجوعٍ ببصرِهِ وبصائرِهِ ؟!

فصرعَكَ عن مركبِكَ الصعبِ حينَ دخلتَ الضِّيقَ ، وألقاكَ في غَيابةِ الجبِّ ولستَ الصدِّيقَ[3] ، شكرَ اللهُ سعيَهُ ، ولا أسمعَ نعيَهُ ، وحرسَهُ في نفسِهِ وولدِهِ ، وحفظَهُ في يومِهِ وغدِهِ[4] .

(١) لعله يقصد التورية بالإمام شرف الدين السبكي المالكي المتقدم في (٢/ ١٢٥ـ١٢٦) .

(٢) أشار به : إلىٰ بيت الفرزدق الشهير في قصيدته التي يمدح بها عليّاً زين العابدين رحمه الله تعالىٰ : (من البسيط)

وليسَ قولُكَ مَنْ هٰذا بضائرِهِ العُرْبُ تعرفُ مَنْ أنكرتَ والعجمُ

انظر « ديوانه » (٢/ ٣٥٣) .

(٣) أي : لم يكن إلقاؤك به كإلقاء سيدنا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام ؛ فإلقاء ابن تيمية أعقبه الإهانة والتعنيف ، وإلقاء سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام أعقبه التكريم والتشريف .

(٤) وكانت وفاته سنة (٧١٨هـ) ، وانظر « الوافي بالوفيات » (٢٢/ ١١٨) ، و« رفع الإصر » (ص٢٨٠ـ٢٨١) .

[الإمامُ قاضي القضاةِ بدرُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ إبراهيمَ ابنُ جَماعةَ الكِنانيُّ الحمويُّ الشافعيُّ]

ثمَّ على أثرِهِ : أقبلَ ملكُ العلماءِ في جيشٍ تضيقُ بهِ الأرضُ بما رحُبَتْ ، والصدورُ التي مِنْ بعضِ ذلكَ قد وجبَتْ ، فقد تقدَّمَ ميمنتَهُ يُمْنُ صحةِ الاعتقادِ ، وميسرتَهُ يُسْرُ التوفيقِ والسدادِ ، والشموسُ في مُجنِّبَتَيْهِ مُشرِقةٌ[1] ، والأنجمُ المُعدَّةُ للرجمِ والهدايةِ بهِ مُحدِقةٌ ، والقلبُ ببدرِها قويٌّ ، فهوَ في صعودِ السعودِ والمبتدعةُ منهُ في هُوِيِّ الغويِّ ، قد حملَتْ لهُ عصابةُ الإصابةِ ، رفعاً خفضَتْ أعلامَ المبتدعةِ المصابةِ ، وكيفَ لا وقد أخذَ عنِ العلماءِ الأعلامِ ، جماهيرِ أئمَّةِ الإسلامِ ، فرُفِعَتْ لهُ رايةُ روايةِ الحديثِ المرفوعِ ، ووُضِعَتْ عندَهُ منزلةُ المتروكِ والموضوعِ ، وثُنِيَتْ لهُ الوسادةُ فملأَها علماً مِنْ أطايبِ المسموعِ ، ووليَ مناصبَ استحقاقُهُ لها غيرُ مدفوعٍ ، وسلَّمَ لهُ في الفضلِ كلُّ قابلٍ مسلِّمٌ أو ممنوعٌ .

بحرٌ عذُبَتْ لناهلِهِ مناهلُهُ ، وعمَّتْ فواضلُهُ وتمَّتْ فضائلُهُ ، ومعتصمٌ باللهِ قد عُصِمَتْ بهِ عُرا الدينِ والتفَّتْ عليهِ وسائلُهُ .

رَعَـى ٱللهُ فِيـهِ لِلـرَّعِيَّـةِ رَأْفَـةً تُزَايِلُهُ ٱلدُّنْيَا وَلَيْسَتْ تُزَايِلُهْ[2]

أكرمْ بهِ مِنْ غيثٍ تُحمَدُ منهُ الآثارُ ، وليثٍ لا يُجاوِرُهُ مبتدعٌ إلا ولهُ مِنْ جوارِهِ جُؤارٌ ، وبدرٍ أخجلَ بضيائِهِ شمسَ النهارِ ، يسري بمسرةِ الشرعِ وكالنجمِ يغيرُ حينَ يَغارُ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ قاضي القضاةِ بدرُ الدنيا والدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ

(١) المُجنِّبتان في الأصل : الميمنة والميسرة من الجيش .

(٢) البيت لأبي تمام في « ديوانه » (٣/ ٢٦) ، وهو من الطويل .

الشيخِ العالمِ برهانِ الدينِ أبي إسحاقَ إبراهيمَ بنِ سعدِ اللهِ بنِ جَماعةَ الكنانيُّ الحمويُّ الشافعيُّ [. . .][1] .

فرمقَكَ ببصرِ العاتبِ ، وأعرضَ عنكَ إعراضَ الكارهِ لحالِكَ العائبِ ، وناداكَ بلسانِ التوبيخِ والتقريعِ ، وقد كادَ يقدُّ بيتَ بُنيتِكَ بالتصريعِ : أنا الذي تعرفُهُ ، أُوَجِّهُ إليكَ وجهَ الملامِ ولا أصرفُهُ ، سلْ عنِّي نفسَكَ ، ولا تُكابِرْ فيَّ حسَّكَ ، ألم أستبْكَ مراراً ؟! ألم أُعنِّفْكَ جهاراً ؟! ألم أروِ لكَ الخبرَ : « لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً » ؟![2] ، انتهزتَ الفرصةَ بعدَ بُعْدي ، ولبئسَما خلفتَني مِنْ بَعْدي ، لكنَّ قبولَ التوبةِ مِنْ مذهبي المذهبِ ، فبادِرْ قبلَ أنْ تطلعَ عليكَ شمسٌ مِنَ المغربِ ، فتُمزِّقَ إهابَكَ ، ولا تقبلَ متابكَ[3] .

[الإمامُ قاضي القضاةِ شمسُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ إبراهيمَ السروجيُّ الحنفيُّ]

فحينَ بخلتَ بتعجيلِها ، ومالَتْ نفسُكَ إلى تحجيلِها عن تنحيلِها بأداةِ سيِّدِنا قاضي القضاةِ العالمِ الحبرِ ، والمنهلِ الغَمرِ ، الجامعِ بينَ علمي المعقولِ والمنقولِ ، والمانعِ لسانَ الابتداعِ مِنْ أنْ ينطقَ أو يقولَ ، ملجمِ الأجاودِ عنِ المجاراةِ في ميدانِ المماراةِ والإقدامِ ، ومفحمِ المعاندِ عنِ المحاورةِ في مجلسِ المناظرةِ والكلامِ ، قد كملَتْ خصالُهُ ، وسُدِّدَتْ نحوَ المبتدعةِ نصالُهُ ، واستوَتْ في الإضاءةِ بُكَرُهُ وآصالُهُ ، فلا ناهلٌ إلا وهوَ مِنْ

(١) بياض في (أ ، ب) بمقدار نصف لوحة .

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٧٧) ، ومسلم (٦٦/ ١٢٠) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٣) وكانت وفاته سنة (٧٣٣هـ) ، وانظر ترجمته في « طبقات الشافعية الكبرى » (٩/ ١٣٩ـ١٤٧) ، و« أعيان العصر » (٤/ ٢٠٨ـ٢١٣) ، و« الدرر الكامنة » (٥/ ٤ـ٧) .

فضلِهِ مغترفٌ ، ولا فاضلٌ إلا وهوَ بفضلِهِ معترفٌ ، فللّٰهِ درُّهُ سميّاً قارنَ بدراً ، وبحراً مازجَ بحراً !![1] .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ قاضي القضاةِ شمسُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ [. . .][2] .

تفدِ نفسَكَ كلُّ النفوسِ ، أنا مكانُ النعمانِ وهـٰذا اليومُ على المبتدعِ يومُ البوسِ ، وناداكَ بلسانِ حالِهِ : أراغبٌ عنِ الحقِّ أنتَ ، ومُنحرفٌ في الاستقبالِ عنِ السمتِ ؟! لئنْ لم تنتهِ لتعودَنَّ عيرةً ، ولتجودَنَّ بدمائِكَ لنفادِ ذَمائِكَ عَبرةً ، ولتذهبَنَّ نفسُكَ خسراناً وحسرةً[3] .

[الإمامُ أقضى القضاةِ نجمُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ عليٍّ ابنُ الرفعةِ الشافعيُّ]

ولئنْ كنتُ غائباً فالنجمُ طالعٌ قد أضاءَ ، ووافقَتْ فتياهُ فيكَ القضاءَ[4] ، وماذا يعوقُهُ عنكَ ويمنعُهُ منكَ ، وهوَ عالمُ المذهبِ ، وشافعيُّ هـٰذا العصرِ المُذهَبِ ؟! قدِ ارتضعَ بلبانِ « الأمِّ » ، مِنْ لدنِ فطامِهِ عنِ الأمِّ ، وأقبلَ على الإملاءِ والتصنيفِ ، إذْ صِينَ بهِ « الإملاءُ » مِنَ التحريفِ ، والإفادةِ والتأليفِ ، حينَ جذبَ القلوبَ بأحسنِ التأليفِ ، وهوَ أشرفُ مَنِ انتصرَ لـ « البويطيِّ »

(١) في (ب) : (فراتاً بحراً) .

(٢) بياض في الأصل بمقدار صفحة إلا ربعاً ، ولعل المترجَم هو شمس الدين السروجي الحنفي ، ويستأنس له بقوله الآتي : (أنا مكان النعمان) أي : الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان بن ثابت ، والله تعالى أعلم .

(٣) وكانت وفاة السروجي سنة (٧١٠هـ) ، وهو من الذين ردوا على ابن تيمية . انظر « أعيان العصر » (١/ ١٥٩ـ١٦١) ، و« الجواهر المضية » (١/ ٥٣ـ٥٥) ، و« رفع الإصر » (ص ٤١ـ٤٢) .

(٤) وكان ممن شهد على توبة ابن تيمية كما سيأتي في (٢/ ٥٤١) .

و« المختصرِ » ، زادَهُ اللهُ بسطةً في العلمِ والجسمِ والبصيرةِ والنظرِ ، وسعةً مِنَ المالِ فشكرَ ، وقُلِّدَ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عنِ المنكرِ فنهىٰ وأمرَ .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ أقضى القضاةِ نجمُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ القاضي زينِ النجارِ أبي عبدِ اللهِ محمدِ بنِ زينِ الدينِ أبي الحسنِ عليِّ ابنِ مرتفعِ الأنصاريُّ .

وُلِدَ بمصرَ ونشأَ بها ، **واشتغلَ بالعلمِ الشريفِ علىٰ مذهبِ الإمامِ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ** : علىٰ علماءِ عصرِهِ ؛ كالشريفِ عمادِ الدينِ العباسيِّ ، وظهيرِ الدينِ التِّرْمَنتيِّ ، ووجيهِ الدينِ البهنسيِّ ، ودأبَ في الاشتغالِ والمطالعةِ ، وفاقَ الأقرانَ ، وتوحَّدَ في هٰذا الأوانِ .

وصنَّفَ كتباً في العلمِ الشريفِ ؛ **فمنها** : كتابُهُ المُسمَّىٰ : « كفايةَ النبيهِ في شرحِ التنبيهِ » في ستةَ عشرَ مجلداً ، وكتابُهُ « المطلبُ العالي في شرحِ وسيطِ الغزالي » ، وكتاباً مفرداً في مسألةِ إباحةِ لحومِ الخيلِ ، وكتاباً مفرداً سمَّاهُ : « النفائسَ في هدمِ البِيَعِ والكنائسِ » [. . .][1] .

وبالجملةِ : فلو عاشَ أبو إسحاقَ لسُرَّ بهِ ، أو أبو حامدٍ لاستفادَ مِنْ « مطلبِهِ » ، أوِ الطوسيُّ لقالَ : أنا شهابٌ مِنْ كوكبِهِ[2] .

يُخاطِبُكَ خطابَ مُتشرِّعٍ مُتدرِّعٍ ، لزجرِكَ متسرِّعٌ ، ألم يَأْنِ أنْ يُقلِعَ أمرُهُ عمَّا امترىٰ ، وينزعَ يدَهُ مِنْ أوهى العُرا ؟! فقد صرفَ النجمُ لأجلِكَ العنانَ عنِ السُّرىٰ ، ووقفَ واكفُ الغمامِ لقولِكَ عمَّا يبلُّ الثرىٰ[3] ، ﴿ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) بمقدار ثلاثة أسطر .

(٢) **المراد بالطوسي** : الإمام الفقيه شهاب الدين محمد بن محمود الطوسي أبو الفتح السابقة ترجمته في (١/ ٥٢١ـ ٥٢٢) .

(٣) يقال : وكف البيت بالمطر ، والعين بالدمع ؛ إذا سال قليلاً قليلاً .

عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴾ [طه : ٦١] ، هـٰذهِ نصوصُ محمدِ بنِ إدريسَ ، وقد بيَّنَ الصبحُ لذي عينينِ بغيرِ تغليسٍ[١] .

فحينَ أخبرَكَ عنِ النصوصِ ، جنحتَ إلى النكوصِ ، وتبرَّأتَ مِنْ ذلكَ القولِ الذي بهِ تجرَّأتَ ، وابتعدتَ عمَّا كنتَ اعتقدتَ ، ورجعتَ إلىٰ ما بهِ انتفعتَ ، فاللهُ يُديمُ عليك منَنَهُ ، ويدُلُّكَ على المناهجِ الحسنةِ ، ويُعظِّمُكَ ما دمتَ سالكاً مِنْ صحَّةِ الاعتقادِ سننَهُ[٢] .

وما ضاعَ حقٌّ علىٰ صحَّةِ الاعتقادِ يدورُ ، ولا يبقىٰ ظلامٌ بينَ شموسٍ ونجومٍ وبدورٍ ، سيَّما الشمسينِ المتقاربينِ سنّاً وسناءً ، المتفقينِ آباءً وأسماءً ، المتحدينِ بلداً ، المُوحِّدينِ قولاً ومعتقَداً ، رضيعا لبانِ علمٍ عليهِ تحالفا ، ورفيقا حبٍّ في اللهِ إنْ توافقا أو تخالفا .

أنجدَ اشتغالُهُما على المشايخِ ، واشتمالُهُما علىٰ طولِ باعٍ في الاتِّباعِ وقدمٍ في العلمِ راسخٍ ، وانتقالُهُما في طلبِ العلمِ وتنقُّلُهُما للجدِّ الباذخِ .

فلمَّا استكملا الرحلةَ ، وأحرزَ كلٌّ منهُما علماً أحرزَ بهِ قصبَ السبقِ وحصَّلَهُ ، تبوَّأا مِنْ مصرَ بيوتاً وجعلا بيوتَهُما للتعبدِ قبلةً ، فخطبَتْهُما المناصبُ الدينيةُ مِنَ الفتاوىٰ والتدريسِ ، لما استقرَّ في صدورِهِما الرحيبةِ مِنْ قواعدِ العقائدِ وتأسيسِ التقديسِ[٣] ، فهما غَرْبا حسامٍ[٤] ، وقُطبا سماءِ

(١) قوله : (بيَّن) بمعنىٰ : تبيَّن ، وفي كلامه إشارة إلىٰ مثل شهير يُضرب للأمر ينكشف ويظهر . انظر « جمهرة الأمثال » (٢/ ١٢٦) ، و« مجمع الأمثال » (٢/ ٩٩) .

(٢) وكانت وفاته سنة (٧١٠هـ) ، وانظر ترجمته في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٩/ ٢٤ـ٢٧) ، و« أعيان العصر » (١/ ٣٢٤ـ٣٢٦) ، و« الدرر الكامنة » (١/ ٣٣٦ـ٣٣٩) .

(٣) لا تخفى التورية على القارئ النبيه بكتابي الإمام الغزالي والفخر الرازي .

(٤) الغَرْب : الحَدُّ من كل شيء .

الإسلامِ ، مدَّ اللهُ عمرَهُما ، وأيَّدَ بالنصرِ نهيَهُما وأمرَهُما .

فأمَّا نسبُهُما : فكلٌّ منهُما محمدُ بنُ يوسفُ .

[الإمامُ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ يوسفَ بنِ أبي بكرٍ الجزريُّ المقرئُ الشافعيُّ]

فأحدُهُما : لقبُ والدِهِ قوامُ الدينِ وجدُّهُ أبو بكرِ بنُ هبةِ اللهِ .

وُلِدَ بجزيرةِ ابنِ عمرَ ونشأَ بها وقرأَ القرآنَ[1] ، ثمَّ رحلَ إلى الشامِ المحروسِ **وقرأَ بها القرآنَ العظيمَ بالسبعِ** : على الشيخِ علمِ الدينِ الأرقيِّ ، **وسمعَ بسنجارَ** : على الشيخِ جمالِ الدينِ محمدِ بنِ الصفارِ المحدثِ أجزاءً مِنْ جملتِها جزءُ المحمدينَ ، **وأجازَهُ الشيخُ علمُ الدينِ الأرقيُّ** : بـ « كتابِ سيبويهِ » و« الحماسةِ التمَّاميةِ » و« الخطبِ النُّباتيةِ » و« المقاماتِ » و« أدبِ الكاتبِ » ، كلُّ ذلكَ عنِ الشيخِ تاجِ الدينِ الكنديِّ ، **واشتغلَ بدمشقَ** : على الشيخِ شرفِ الدينِ بنِ المقدسيِّ بالنحوِ .

ثمَّ رحلَ إلى الديارِ المصريةِ ، **فسمعَ بها** : على الشيخِ كمالِ الدينِ الضريرِ الشاطبيةَ وأجازَهُ بها وبغيرِها ، ثمَّ سافرَ إلى قوصَ ، **فاشتغلَ بها بالفقهِ** : على الشيخِ تقيِّ الدينِ وعلى الجلالِ الدِّشنائيِّ المقدَّمِ ذكرُهُ[2] ، **وقرأَ الأصولَين** : على الشيخِ شمسِ الدينِ الأصفهانيِّ المقدَّمِ ذكرُهُ[3] ، وحصَّلَ جانباً جيِّداً مِنْ ذلكَ ، **وسمعَ** : على الشيخِ تقيِّ الدينِ الكبيرِ ، ثمَّ عادَ إلى مصرَ ، **فاشتغلَ بها** : على الشيخِ شهابِ الدينِ القرافيِّ المُقدَّمِ ذكرُهُ[4] .

(١) في (أ) : (ابني) بدل (ابن) انظر « وفيات الأعيان » (٣/ ٣٤٩) .

(٢) انظر (٢/ ١٣٥ـ ١٣٧) .

(٣) انظر (٢/ ٢٢٢ـ ٢٢٥) .

(٤) انظر (٢/ ١٩٨ـ ٢٠٠) .

وسمعَ قولَهُ قاضي القضاةِ تقيُّ الدينِ بنُ رزينٍ في مصرِ قاضي القضاةِ[1] ، وأعادَ للصاحبِ برهانِ الدينِ السنجاريِّ ، ووليَ تدريسَ مدرسةِ منازلِ العزِّ بمصرَ ، وأعادَ بمدرسةِ الشافعيِّ وميعادِ علاءِ الدينِ الضريرِ ، وأفتىٰ وانتفعَ بهِ جماعةٌ مِنْ أقرانِنا ، وهوَ شيخُنا وأستاذُنا مدَّ اللهُ في عمرِهِ .

وصنَّفَ كتاباً في الردِّ على المشبِّهةِ .

وُلِدَ بالجزيرةِ ليلةَ الأحدِ رابعَ عشرَ ذي الحجةِ سنةَ ستٍّ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ[2] .

[الإمامُ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ يوسفَ بنِ عبدِ اللهِ الجزريُّ الشافعيُّ]

وأمَّا الشيخُ شمسُ الدينِ : فهوَ [. . .][3] .

[الإمامُ القاضي بهاءُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ العباسِ بنِ صفيِّ الدينِ بنِ أبي المنصورِ المالكيُّ]

ومِنَ العلماءِ الأحياءِ ، الذينَ تدارَكَ فضلُهُم ما ماتَ مِنَ السننِ بالإحياءِ ، وسارَتْ سيرتُهُمُ الجميلةُ في الأحياءِ . . العالمُ الأصيلُ ، والحاكمُ ذو البيانِ والتحصيلِ ، الذي ورثَ الردَّ على المبتدعةِ مِنَ الآباءِ والأجدادِ ، وجَدَّ طَلْعَ

(١) قوله : (في مصر) كذا في (ب) ، وهي غير واضحة وضوحاً تاماً في (أ) .

(٢) وكانت وفاته في مصر ليلة الاثنين سنة (٧١١هـ) ، ودفن بسفح المقطم ، وانظر « الدرر الكامنة » (٦/ ٧١ـ٧٢) ، و« المقفى الكبير » (٧/ ٢٦٦) .

(٣) وهو غير السابق كما صرح المؤلف بذلك في (٢/ ٢٩٩) ، وتوفي يوم الخميس سادس ذي القعدة سنة (٧١١هـ) ، وما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) بمقدار ربع صفحة ، وانظر ترجمته في « المقفى الكبير » (٧/ ٢٦٨) ، و« الدرر الكامنة » (٦/ ٥٤ـ٥٥) .

شجرتِهِمُ النابتةِ في أصلِ الجحيمِ قبلَ أوانِ الجدادِ ، فهوَ حادٌّ على مَنْ حادَّ اللهَ تبينًا بهِ أنَّ خيارَ هـٰذهِ الأمةِ الحِدادُ .

قد تناسبَتْ أحوالُهُ ابتداءً وانتهاءً ، وسمتْ بهِ همَّةٌ أشبهَ بها سلفَهُ وازدادَ بها بهاءً ، ولم يَزَلْ في النصرةِ يميناً لعليٍّ ، ويميناً برَّةً لكلِّ وليٍّ ، سهمٌ مُؤيَّدٌ بالسدادِ والإصابةِ ، وشهمٌ مُؤيِّدٌ لعصابةِ الحقِّ أكرمْ بها مِنْ عصابةٍ ، ماضي العزائمِ ، تجنحُ منهُ أبطالُ الباطلِ إلى الهزائمِ ، يجاهدُ في سبيلِ اللهِ لا يخافُ لومةَ لائمٍ ، أصبحَ بهِ كلُّ ممدودٍ في الغيِّ مقصوراً ، وكلُّ حاجٍّ حجَّاجِ بحُبْسةِ العِيِّ محصوراً ، لا جرمَ أظهرَ اللهُ بهِ الحقَّ الذي لم يَزَلْ بأبناءِ أبي المنصورِ منصوراً .

فأمَّا نسبُهُ : فهوَ بهاءُ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ بنُ الإمامِ العالمِ المدرسِ جمالِ الدينِ أبي العباسِ أحمدَ بنِ شيخِ المشايخِ صفيِّ الدينِ بنِ أبي المنصورِ المقدَّمِ ذكرُهُ[1] .

نشأَ بمصرَ واشتغلَ بها على علماءِ عصرِهِ المقدَّمِ ذكرُهُم مِنَ المالكيةِ ، وقرأَ الأصولَ واشتغلَ ، وسلكَ طريقَ الإرادةِ ، وتجرَّدَ عنِ الدنيا ولزمَ الرحلةَ والحجَّ مراراً ، وأُجِيزَ مِنْ جدِّهِ الشيخِ صفيِّ الدينِ بإلباسِ خرقةِ التصوفِ ، وصحبَ جدَّهُ وخدمَهُ سفراً وحضراً ، واستفادَ منهُ معارفَ وأموراً وأحوالاً ، فأطلعَهُ على أسرارٍ لا يعرفُها غيرُهُ ، ورزقَهُ اللهُ جودةَ الذهنِ وصحةَ الاعتقادِ ، وحلاوةَ العبارةِ في كلِّ ما يتكلَّمُ فيهِ مِنَ الفقهِ والأصولِ والخلافِ والمعارفِ والآدابِ .

ودرَّسَ وأفتى ، ووليَ النيابةَ في القضاءِ بمصرَ وما أُضيفَ إليهِ ، وتخرَّجَ بهِ جماعةٌ مِنَ الصوفيةِ ، واستفادَ منهُ جماعةٌ مِنَ الطلبةِ ، وهوَ على تمكنِهِ مِنَ

(١) انظر (٢/١٥٢ـ١٦٠) .

العلمِ ووجاهتِهِ وأصالتِهِ . . كثيرُ التواضعِ ، حسنُ المَلْقىٰ ، طَلْقُ المُحيَّا ، يؤثرُ الانقطاعَ عن أربابِ الدنيا .

وقد رأيتُ أنْ أجعلَ أوصافَهُ الشريفةَ مسكَ رحيقِ هٰذا البابِ ، ومناقبَهُ خاتمةً لعقدِ جواهرِ ذوي الألبابِ ، فأصبتُ الغرضَ ، وإنْ لم أبلغْ مِنِ استيعابِ مناقبِهِ بعضَ المفترضِ ، نفعَ اللهُ بهِ وبآبائِهِ ، وحرسَ الكافَّةَ ببقاءِ وجهِهِ الجميلِ وحَوْبائِهِ ؛ بمحمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ[1] .

* * *

(١) وتُوفي بهاء الدين سنة (٧٢٤هـ) ، وانظر « الدرر الكامنة » (١/ ١١٢) .

خاتمة

فيها وصف عام بديع للمترجمين السابقين

فهؤلاءِ أصلحَكُمُ اللهُ أئمَّةُ الهدى ، المُنقِذونَ مِنَ الردى ، الجماهيرُ المشاهيرُ نجومُ سماءِ الإيمانِ ، ورجومُ المبتدعةِ أهلِ الخذلانِ ، وكاشفو الغَمَّاءِ ، وصارفو الفتنةِ الصمَّاءِ ، لا يُقِرُّونَ علىٰ بِدْعةٍ ، ولا يَقَرُّونَ أو يُحسَمَ ثُؤلُولُها خشيةَ أنْ يبقىٰ سِلعةٌ[1] ، فهم أبداً على الحقِّ متظافرُونَ ، وبتأييدِ الحقِّ إيَّاهُم على الأعداءِ ظاهرُونَ ، وبِهم ظافرُونَ .

سلُوا عنهُم أوائلَكُم ، كيفَ كَفَوُا المسلمينَ غوائلَهُم كما كُفينا بِهِم غوائلَكُم ، قد طلعَتْ كتيبتُهُمُ الخضراءُ ، وقدِ امتلأَتْ منها الغبراءُ ، خافقةً أعلامُها في كل أفقٍ ، خافقةً قلوبُ مُناوِئِها مِنَ الفرقِ ، راشقةً سهامَها في نحورِ مَنْ ناصبَها مِنَ الفِرَقِ ، مُشرِعةً أدلَّتَها التي هيَ أقومُ مِنَ الصِّعادِ[2] ، وأنفذُ في أكبادِ الأضدادِ مِنَ الأسنَّةِ الحِدادِ ، شاهرةً مَشْرَفياتِ براهينِها القاطعةِ ، باهرةً بشموسِ حُجَجِها الساطعةِ ، قد أخذَتْ عليكُمُ الطرقَ ، وغصَّ منها سَعَةُ الأفقِ ، وسدَّتْ عليكُم سعةَ المذاهبِ ، وأبطلَتْ منكُم سخيفَ المذاهبِ .

فليسَ إلا الاستسلامُ ، وتجديدُ التوبةِ التي هيَ ركنُ الإسلامِ ، والرجوعُ إلىٰ عقائدِهِمُ التي سردتُها ، والاغترافُ مِنْ مناهلِهِمُ التي أوردتُها ،

(١) الثؤلول : خراج صغير صلب مستدير على صور شتىٰ ، والسِّلْعة : خراج كهيئة الغدة يتحرك بالتحريك .

(٢) الصِّعاد : جمع صَعْدة ؛ وهي الرمح المستوية التي لا تحتاج إلىٰ تثقيف .

والاعترافُ بفضائلِهِمُ التي خصَّهُمُ اللهُ بها فعددتُها .

أشهدُ أنَّ اللهَ لم يجمعْهُم على ضلالةٍ ، ولا أقرَّهُم معَ تواترِ الأعصارِ مِنْ غيرِ إنكارٍ على خطأٍ في فعلٍ ولا مقالةٍ ، وأنَّ الهدايةَ معَهُم وإنْ رغمَ أنفُ المبتدعِ لا أبا لهُ .

همُ القومُ كلُّ القومِ ، لم يزالوا ظاهرينَ على الحقِّ مِنْ لدنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى اليومِ .

لا يضرُّهُم مَنْ خذلَهُم ، إنْ عُدَّتْ مَكرُمةٌ أو أُعِدَّتْ كرامةٌ فمنهُم ولهُم ، أو منقبةٌ تبعَ آخرُهُم فيها أوَّلَهُم ، لا يقومُ لواحدِهِمُ الألوفُ فكيفَ إذا اجتمعُوا ؟! ولا يهابُونَ الحُتوفَ إذا أخذُوا في ردعِ المبتدعةِ وشرعُوا ، ولا يغيِّرُ أحدٌ ما قرَّرُوا مِنْ صحَّةِ الاعتقادِ وشرعُوا ، همُ القومُ إنْ حاربُوا وضعُوا ، أو سالمُوا رفعُوا[1] .

جَمَالَ ذِي ٱلأَرْضِ كَانُوا فِي ٱلْحَيَاةِ وَهُمْ ... بَعْدَ ٱلْمَمَاتِ جَمَالُ ٱلْكُتْبِ وَٱلسِّيَرِ
مِنْ كُلِّ أَزْهَرَ لَمْ تَأْشَرْ ضَمَائِرُهُ ... لِلَثْمِ خَدٍّ وَلا تَقْبِيلِ ذِي أُشُرِ
لَكِنْ يُقَبِّلُ فُوهُ مَسْمَعَيْ رَجُلٍ ... ذِي فِطْنَةٍ كَضِيَاءِ ٱلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ
خَفَّ ٱلْوَرَىٰ وَأَقَرَّتْهُمْ حُلُومُهُمُ ... وَٱلْجَمْرُ تُعْدَمُ فِيهِ خِفَّةُ ٱلشَّرَرِ
قَالَتْ عُدَاتُهُمُ مَا ٱلْمَجْدُ مُكْتَسَبٌ ... مَقَالَةَ ٱلْهُجْنِ لَيْسَ ٱلسَّبْقُ بِٱلْحُضُرِ
أُعِيذُ مَجْدَهُمُ بِٱللهِ خَالِقِهِمْ ... مِنْ أَعْيُنِ ٱلشُّهْبِ لا مِنْ أَعْيُنِ ٱلْبَشَرِ[2]

(١) أخذ هٰذا المعنى من قول ابن هرمة : (من البسيط)

إنْ حاربُوا وضعُوا أو سالمُوا رفعُوا ... أو عاقدُوا ضَمِنُوا أو حدَّثُوا صدقُوا

انظر « التذكرة الحمدونية » (٤/ ٢١ـ٢٢) .

(٢) الأبيات لأبي العلاء المعري في ديوانه « سقط الزند » (ص٥٩ـ٦٢) ، وهي من البسيط ، وغيَّر المؤلف بعض الألفاظ حتى تتناسب مع المقام والسياق .

هـٰذا ؛ وهم بعضٌ مِنْ كلٍّ ، وقطرةٌ مِنْ بحرٍ ، ويسيرٌ مِنْ كثيرٍ ، ولم أقدرْ علىٰ حصرِهم ، ولا على استيعابِ ذكرِهم ، وكيفَ يُحصىٰ رملُ عالجٍ ، أو تُحصرُ أمواجُ البحرِ[1] ، أو تُكاثَرُ نجومُ السماءِ ؟! إنَّما هـٰذهِ سَرِيَّةٌ مِنْ تلكَ الجيوشِ السَّرِيَّةِ ، وبقيةُ قائِلِنا تلكَ الجُنوسَ الشقيَّةَ[2] .

ولم نذكرْ إلا مَنْ لهُ على المبتدعةِ استطالةٌ ، وإنكارُ فعلٍ أو مقالةٍ ، أو نُقِلَ عنهُ كلامٌ يُوافِقُ أهلَ السنَّةِ ، ويُفارِقُ بهِ المبتدعةَ أهلَ المحنةِ ، أو نكايةٌ في داعيةٍ مِنْ دُعاتِهم ، أو حكايةٌ ظهرَ فيها علىٰ رَعاعِهم أو رُعاتِهم ، أو سدَّدَ إليهِم أسهُمَ المناضلةِ ، أو روَّىٰ مِنْ دمائِهم رماحَ الإنكارِ ومناصلَهُ ، أو برىٰ لمَنْ يُراميهِم سهماً ، أوِ انبرىٰ لمحاربتِهم يوماً ما ، أو أعانَ عليهِم بكلمةٍ تُؤثِّرُ فيهِم كَلْماً .

هـٰذا ؛ ولم أستنجِدْ إخوانَنا مِنَ المغربِ الأقصىٰ ، ولم أسترفِدْ جيرانَهُم مِنَ المشرقِ الذينَ هم لمَساوِيهِم أجمعُ وأحصىٰ ، ولم أستدعِ علماءَ الحجازِ واليمنِ ، الذينَ يشرونَ نفوسَهُم ابتغاءَ مرضاةِ اللهِ بغيرِ عرضٍ مِنَ الدنيا ولا ثمنٍ ، ولم أستنهضْ بقيَّةَ علماءِ هـٰذا العصرِ ، ولم أستوعبْ مَنْ مضىٰ مِنْ أحبارِ هـٰذا المِصْرِ ، الذي لا تظهرُ فيهِ بدعةٌ إلا نُكِّسَتْ رايتُها ، وكانَ إلى الخمولِ مآلُها وغايتُها .

فالحمدُ للهِ الذي أهَّلَ أهلَهُ لذلكَ ، ولهُ الشكرُ علىٰ فضلِهِ المتواترِ ولطفِهِ المُتدارِكِ ، وهوَ المسؤولُ أنْ يُوفِّقَنا كما وفَّقَ مَنْ قبلَنا ، وأنْ يحميَ مِنَ الابتداعِ قولَنا وفعلَنا .

* * *

(١) زاد في (ب) : (الهائج) .

(٢) قوله : (قائلنا) هو بمعنى : رافع عنا ومزيل ؛ أي : رافعٌ عنَّا ومزيلٌ عثرات المبتدعة الأشقياء .

الباب الحادي عشر

في الطعن على رواة أحاديث مناكير وتجريح رجالهم بشهادة العلماء المشاهير

بابُ
الطعن على رواة أحاديث مناكير وتجريح رجالهم بشهادة العلماء المشاهير

بسم الله الرحمن الرحيم

هٰذا بابٌ أذكرُ فيهِ إنْ شاءَ اللهُ ما أوردَهُ المُشبِّهةُ مِنْ أحاديثَ لفَّقُوها ، وزياداتٍ علىٰ ما في الصحيحِ زعمُوا أنَّهُم عنِ الرواةِ تلقَّفُوها ، مُستدلِّينَ بذلكَ علىٰ مذاهبِهِمُ الفاسدةِ ، سالكينَ في ذلكَ طريقَهُمُ التي لم تَزَلْ عنِ الحقِّ حائدةً .

[اعلَمْ ـ أرشدَنا اللهُ] وإيَّاكَ ـ[1] : أنَّ بعضَ المبتدعةِ أوردُوا أحاديثَ مُلفَّقةً ، برواياتٍ غيرِ مُتقنةٍ ولا مُحقَّقةٍ ، مُروِّجينَ لبَهْرَجِها على الأغبياءِ لا على النُّقَّادِ ، مُخرجينَ لها وهيَ معلولةُ المتنِ والإسنادِ ، تقشعرُّ الجلودُ مِنْ سماعِها ، ويُتحقَّقُ وضعُها مِنْ فسادِ أوضاعِها ، والعبدُ بعونِ اللهِ ومشيئتِهِ يُبيِّنُ بَهْرَجَها ، ويفضحُ بها مَنْ خرَّجَها .

فاعلمْ : أنَّها منقسمةٌ إلىٰ قسمينِ : قسمٍ وقعَتِ العلةُ في متنِهِ ، وقسمٍ وقعَتْ في سندِهِ .

[حكمُ الأحاديثِ الواقعِ في سندِها رجالٌ متَّفَقٌ علىٰ تضعيفِهم أو مختلَفٌ فيهِ]

فأمَّا ما وقعَتِ العلةُ في سندِهِ . . فهوَ علىٰ قسمينِ : قسمٍ متفقٍ علىٰ تضعيفِ بعضِ رواتِهِ ، وقسمٍ مختلفٍ فيهِ .

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) بمقدار ثلاث كلمات .

فأمَّا المتفقُ عليهِ فيردُ لكَ على حالتينِ : حالةٍ يُصرَّحُ فيها بأسمائِهم أو كُناهُم أو ما يُعرفونَ بهِ ، والحالةُ الثانيةُ : يُدلِّسونَ بهِم ؛ فيذكرونَ كُناهُم دونَ أسمائِهم ، أو أسماءَهُم دونَ كُناهُم ، أوِ اسماً هم غيرُ مُشتهرينَ بهِ ويُعرَفونَ بغيرِهِ ، أو صنعةً ، أو غيرَ ذلكَ مِنْ أنواعِ التدليساتِ التي يُعاينُها أهلُ هٰذهِ الصناعةِ .

وهاتانِ الحالتانِ مِنْ نوعِ التدليسِ المذمومِ ، قالَ أبو عبدِ اللهِ الحاكمُ بسندِهِ إلى حمَّادِ بنِ زيدٍ قالَ : (المُدلِّسُ مُتشبِّعٌ بما لَم يُعطَ)[1] .

وبسندِهِ إلى عبدِ الصمدِ بنِ عبدِ الوارثِ عن أبيهِ قالَ : (التدليسُ ذلٌّ)[2] .

وقالَ سليمانُ بنُ داودَ المنقريُّ : (التدليسُ والغشُّ والغرورُ والخداعُ والكذبُ تُحشَرُ يومَ تُبلى السرائرُ في نفاذٍ واحدٍ)[3] .

وذُكِرَ لعبدِ اللهِ بنِ المباركِ رجلٌ ممَّنْ كانَ يُدلِّسُ ، فقالَ فيهِ قولاً شديداً ثمَّ أنشدَ : [من السريع]

دَلَّسَ لِلنَّاسِ أَحَادِيثَهُ ... وَاللهُ لا يَقْبَلُ تَدْلِيسَا[4]

والعجبُ منهُم أنَّهُم ظنُّوا أنَّ ذلكَ عوارٌ قد سُتِرَ ، وقتيلٌ قد قُبِرَ ، لا يعثرُ على ذلكَ عاثرٌ ، ولا يهتدي لهُ ذاكرٌ ولا آثِرٌ !! ويأبى اللهُ والمسلمونَ ذلكَ ، والحمدُ للهِ قد ضُبِطَتِ الشريعةُ واستقرَّتْ قواعدُ الدينِ ، وحُرِسَتْ سماءُ النقلِ بنجومِ العلماءِ مِنْ شياطينِ الغوايةِ في الروايةِ .

(١) معرفة علوم الحديث (ص١٠٣) .

(٢) معرفة علوم الحديث (ص١٠٣) .

(٣) معرفة علوم الحديث (ص١٠٣) .

(٤) أخرجه الحاكم في « معرفة علوم الحديث » (ص١٠٣) ، ومن طريقه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢/ ٤٤٣) .

فهـٰذهِ الأقسامُ ساقطةٌ بالكليةِ .

فأمَّا القسمُ المختلفُ فيهِ : فأسانيدُ بعضِ رواتِها مختلفٌ فيهِ ؛ فقائلٌ بتجريحِهِ ، وقائلٌ بتعديلِهِ والأخذِ عنهُ .

فنقولُ : قد تقرَّرَ عندَ علماءِ الفروعِ : أنَّهُ إذا تعارضَ الجرحُ والتعديلُ قُدِّمَ الجرحُ على التعديلِ ، وقالَ علماءُ الحديثِ : إنَّ المثبتَ مُقدَّمٌ على النافي ، والذي يُجرِّحُ يذكرُ أمراً زائداً على المُعدِّلِ ، فوجبَ الرجوعُ إليهِ وتقديمُ الجرحِ على التعديلِ ، سيَّما إذا عَضَدَ الجرحَ كونُ الحديثِ متنُهُ مخالفٌ لأصلٍ مِنْ أصولِ الشريعةِ ، أو يقتضي نقضَ قاعدةٍ مِنَ القواعدِ العقليةِ والنقليةِ .

فهـٰذا القسمُ أيضاً ساقطُ الاعتبارِ لا يُشتغَلُ بتأويلِهِ .

[حكمُ الأحاديثِ التي خالفَتِ العقلَ والتنزيهَ مِنْ جميعِ وجوهِهِ]

والقسمُ الثاني مِنَ القسمينِ الأوَّلينِ : ما ليسَ في سندِهِ مُضعَّفٌ ، ولا في رواتِهِ قدحٌ .

وهـٰذا أيضاً على قسمينِ : قسمٍ خالفَ العقلَ والتنزيهَ مِنْ جميعِ وجوهِهِ ؛ بحيثُ لا يحتملُ تأويلاً ما ألبتةَ ، فحينَئذٍ يُعلَمُ أنَّ الحديثَ موضوعٌ ، قالَ الإمامُ أبو الفرجِ عبدُ الرحمـٰنِ ابنُ الجوزيِّ : (وقد يتَّفقُ أنْ يكونَ رجالُ الحديثِ كلُّهُم ثقاتٍ والحديثُ موضوعٌ أو مقلوبٌ ، وهـٰذا مِنْ أشكلِ الأمورِ)[1] .

وقد روىٰ محمدُ بنُ جبيرِ بنِ مطعمٍ عن أبيهِ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا حَدَّثْتُمْ عَنِّي مِمَّا تُنْكِرُونَهُ فَلا تَأْخُذُوا بِهِ ؛ فَإِنِّي لا أَقُولُ ٱلْمُنْكَرَ وَلَسْتُ مِنْ أَهْلِهِ »[2] .

(١) الموضوعات (١/ ١٥١) .

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في « الكفاية » (ص٤٣٠) ، وابن الجوزي في « الموضوعات » =

وقالَ الأوزاعيُّ : (كنَّا نسمعُ الحديثَ فنَعرِضُهُ على أصحابِنا كما يُعرَضُ الدرهمُ الزائفُ ؛ فما عرفوا منهُ أخذْنا ، وما أنكروا منهُ تركْنا)[1] .

وقالَ الربيعُ بنُ خُثيمٍ : (إنَّ للحديثِ ضوءاً كضوءِ النهارِ تعرفُهُ ، وظلمةً كظلمةِ الليلِ تُنكِرُها)[2] .

وقالَ أبو الفرجِ أيضاً في (كتابِ التوحيدِ) مِنْ « كتابِهِ في الموضوعاتِ » بعدَ أنْ تكلَّمَ على رواةِ حديثٍ موضوعٍ : (واعلمْ : أنَّا إنَّما جرَّحْنا رواةَ هٰذا الحديثِ على عادةِ المُحدِّثينَ ؛ لنُبيِّنَ أنَّهُم وضعوا هٰذا الحديثَ ، وإلا فمثلُ هٰذا الحديثِ لا يُحتاجُ إلى اعتبارِ رواتِهِ ؛ لأنَّ المستحيلَ لو وردَ عنِ الثقاتِ رُدَّ ونُسِبَ إليهِمُ الخطأُ ، فكلُّ حديثٍ يُخالِفُ المعقولَ ، أو يُناقِضُ الأصولَ . . فاعلمْ أنَّهُ موضوعٌ ، فلا تتكلَّفِ اعتبارَهُ)[3] .

ومِنْ مختصرِ كلامِ إمامِ الحرمينِ في « الشاملِ » حينَ تكلَّمَ على السمعيَّاتِ قالَ : (الأصلُ في جميعِ السمعيَّاتِ : أنَّ ما ثبتَ النقلُ فيهِ برواياةِ الثقاتِ ، ولم يكنْ خلافَ المعقولِ ، ولم يتضمَّنْ قلبَ الحقيقةِ . . فيجبُ أنْ يُتلقَّى بالقبولِ)[4] ، فهٰذا يقتضي : أنَّ ما كانَ على الضدِّ مِنْ جميعِ ذلكَ لا يُتلقَّى بالقبولِ ؛ عملاً بمفهومِ الشرطِ .

= (١٤٦/١) ، وأخرجه البيهقي في « المدخل » (٢٥١) مرسلاً عن محمد بن جبير بن مطعم رحمه الله تعالى .

(١) أخرجه أبو نعيم في « المستخرج على صحيح مسلم » (٤١) ، والبيهقي في « المدخل » (٥٨١) .

(٢) أخرجه البيهقي في « المدخل » (٥٦٨) ، والخطيب البغدادي في « الكفاية » (ص٤٣١)، ولفظه فيهما : (إن من الحديث حديثاً له ضوء كضوء النهار تعرفه ، وإن من الحديث حديثاً له ظلمة كظلمة الليل تنكره) .

(٣) الموضوعات (١/ ١٥٠ـ١٥١) .

(٤) انظر « الكامل في اختصار الشامل » (٢/ ٨٠٦) .

وقالَ الإمامُ فخرُ الدينِ في المسألةِ الثامنةِ والثلاثينَ مِنْ كتابِ « الأربعينَ » : (إنَّ التمسُّكَ بالدلائلِ النقليَّةِ موقوفٌ على مُقدِّماتٍ عشرٍ . . .) ، ثمَّ عدَّها إلى أنْ قالَ : (العاشرةُ : شرطُهُ أيضاً : عدمُ المعارضِ العقليِّ القاطعِ ؛ لأنَّهُ بتقديرِ وجودِهِ يفتقرُ الظاهرُ السمعيُّ إلى تأويلٍ)[1] .

قلتُ : كلامُ الإمامِ فخرِ الدينِ فيما يحتملُ التأويلَ ، والفَرْضُ أنَّهُ لا يحتملُ التأويلَ ألبتةَ .

فهٰذهِ الأحاديثُ أيضاً ساقطةٌ .

[كيفَ أسقطتُمُ الأحاديثَ التي رواها الثقاتُ لمجرَّدِ مخالفتِها العقلَ ؟!]

فإنْ قيلَ : قد فرضتُم أنَّ رواتَها ثقاتٌ ، فكيفَ أسقطتُم حديثَهُم لمخالفةِ العقلِ ؟!

فالجوابُ : أنَّهُ قد يكونُ على وجهينِ :

أحدُهُما : أنْ يكونَ الراوي ثقةً ، ويُدخَلَ في حديثِهِ ما ليسَ منهُ ، فيُحدِّثَ بهِ وهوَ لا يشعرُ ، ولا يُخرِجُهُ ذلكَ عن أهليةِ الروايةِ ، ولا يحطُّهُ عن درجةِ التوثيقِ ، وقدِ ابتُلِيَ جماعةٌ مِنَ السلفِ بذلكَ .

قالَ ابنُ عديٍّ الحافظُ : (كانَ ابنُ أبي العوجاءِ ربيبَ حمادِ بنِ سلمةَ ، فكانَ يدُسُّ في كتبِهِ أحاديثَ)[2] .

وقالَ أبو حاتمِ بنُ حبانَ الحافظُ : (امتُحِنَ جماعةٌ مِنْ أهلِ المدينةِ

(١) الأربعين في أصول الدين (ص٤١٦ـ ٤١٨) ، وفيه : (يجب صرف الظاهر) بدل (يفتقر الظاهر) .

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال (٣/ ٤٧) ، وأورده ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/ ١٤٢) ، و« العلل المتناهية » (١/ ٢٣) .

بحبيبِ بنِ أبي حبيبٍ الورَّاقِ ، وكانَ يُدخِلُ عليهِمُ الحديثَ)[1] .

وكانَ عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ كاتبُ الليثِ صدوقاً صادقاً ، لـٰكنْ وقعَتِ المناكيرُ في حديثِهِ مِنْ قبلِ جارٍ لهُ[2] .

وذكرَ ابنُ خزيمةَ قالَ : (كانَ لهُ ـ يعني : عبدَ اللهِ بنَ صالحٍ ـ جارٌ بينَهُ وبينَهُ عداوةٌ ، فكانَ يضعُ الحديثَ على شيخِ عبدِ اللهِ بنِ صالحٍ ، ويكتبُهُ في قرطاسٍ بخطٍّ يُشبِهُ خطَّ عبدِ اللهِ بنِ صالحٍ ، ويطرحُهُ في دارِهِ في وسطِ كتبِهِ ، فيجدُهُ عبدُ اللهِ فيتوهَّمُ أنَّهُ خطُّهُ ، فيُحدِّثُ بهِ)[3] .

وكانَ لسفيانَ بنِ وكيعِ بنِ الجرَّاحِ كاتبٌ يُقالُ لهُ : قرطبةُ ـ أو قرطمةُ ـ يُدخِلُ عليهِ الحديثَ[4] .

قلتُ : أفتُراكَ تُسقِطُ روايةَ حمادِ بنِ سلمةَ وغيرِهِ مِنَ الثقاتِ ، وقد خرَّجَ عنهُ العلماءُ الأكابرُ ؟!

دائماً ما كانَ مِنْ حديثِهِم بهـٰذهِ الصفةِ المُتقدِّمةِ . . فليُعلَمْ أنَّهُ أُتِيَ عليهِم فيهِ مِنَ الوجهِ الذي قدَّمناهُ ، واللهُ أعلمُ[5] .

والوجهُ الثاني مِنْ وجهيِ الجوابِ : أنَّ الزنادقةَ وضعَتْ أحاديثَ ؛

(١) أورده ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/ ١٤٢) .

(٢) انظر « الموضوعات » (١/ ١٤٢) .

(٣) أورده ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/ ١٤٢) .

(٤) أورده ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/ ١٤٢) ، وفيه : (ورَّاق) بدل (كاتب) .

(٥) ذكر الإمام البيهقي في « الأسماء والصفات » بعض هـٰذه الأحاديث ، وقال الإمام الكوثري في إحدىٰ تعليقاته على الكتاب (ص٤١٠) : (وأحاديث حماد بن سلمة في الصفات تحتوي غرائب تحتاج إلىٰ تدوين كتاب خاص ، والدفاعُ عن حماد بن سلمة ومحاولة تصحيح مثل هـٰذا الحديث . . لا يصدر إلا ممن لا يعي ما يقول ، فتبّاً لعقل يستسيغ الوثنية في الإسلام ، ويحاول الدفاع عن ضعفاء الأحلام ، بعد وضوح العلل وتبين الخلل ، فيما يتمسك به أهل الزلل) .

ليشوِّشوا بها عقائدَ المسلمينَ ، وركَّبوا عليها أسانيدَ صحيحةً ليسَتْ في رواتِها علةٌ ، بل أسانيدَ معروفةَ الرواةِ ، ودسُّوها في مصنفاتِ أكابرَ ، ثمَّ أكَّدوها بالسماعاتِ وكتبِ الطباقِ بخطوطٍ [. . .][1] ، فاتَّصلَتْ وهيَ على هـٰذهِ الحالةِ السيئةِ ، ولا يُظهِرُ بهرجَها إلا مَنْ حصرَ مسانيدَ الصحابةِ والتابعينَ ، ولا يفطنُ لهـٰذا البابِ إلا كبارُ الحفاظِ .

[حكمُ الأحاديثِ التي خالفَتِ العقلَ واحتُمِلَ تأويلُها]

والقسمُ الثاني مِنَ التقسيمِ الأخيرِ : ما صحَّ سندُهُ ومتنُهُ لـٰكنَّ ظاهرَهُ يأباهُ العقلُ ، ويحتملُ التأويلَ ، ويمكنُ تأويلُهُ ، فحينَئذٍ يُشتغَلُ بتأويلِهِ كما يُشتغَلُ بتأويلِ الظواهرِ المتواترةِ .

وهـٰذا القسمُ مِنْ بينِ سائرِ الأقسامِ هوَ المعتبرُ والمعمولُ بهِ والمُعوَّلُ عليهِ ، وهـٰذا القسمُ قد أفردتُ لهُ باباً يلي هـٰذا البابَ .

[لا يُشتغَلُ بالتأويلِ إلا بعدَ صحةِ المتنِ والسندِ]

واعلمْ : أنَّا إنَّما نشتغلُ بالتأويلِ بعدَ صحةِ المتنِ والسندِ ، وإلا فكيفَ نبني على جُرُفٍ هارٍ ؟! وكانَ جماعةٌ مِنَ المشايخِ ينتقدونَ على الأستاذِ أبي بكرِ ابنِ فُورَكَ رضيَ اللهُ عنهُ اشتغالَهُ في كتابِهِ بتأويلِ أحاديثَ مناكيرَ لا أصلَ لها ، وذُكِرَ أنَّهُ إنَّما أوَّلَها بتقديرِ صحتِها[2] ، **ومستندُهُم في ذلك** : أنَّهُم خشُوا أنَّ ذلكَ يبقى ذريعةً إلى تداولِها ، وربَّما لا يظهرُ لبعضِ الجهلةِ تأويلُها ؛ فيكونُ ذلكَ سبباً لضلالِهِ .

(١) ما بين معقوفين غير واضح في الأصل بسبب رداءة التصوير .

(٢) بدليل أنه لم يؤول حديثَ : (إن الله عز وجلَّ خلق نفسه من عرق الخيل) ، وهو ما رواه حماد بن سلمة عن أبي المهزم عن أبي هريرة ؛ لكونه منكراً موضوعاً . انظر « مشكل الحديث وبيانه » (ص٣٥٠) .

واعلمْ : أنَّ سائرَ الأقسامِ التي قدَّمتُها قد أوردَها المُحدِّثونَ وأهلُ الأثرِ في كتبِهم ، وقد تداولُوها خَلَفاً عن سَلَفٍ ، ودوَّنوها في أجزائِهم لا على وجهِ الطعنِ على رواتِها ، ولا القدحِ فيهم ، ولا التنبيهِ على ضَعفِ نَقَلتِها ، بل على وجهٍ سوَّدوا بهِ صحائفَهُم صورةً ومعنىً .

والعجبُ كلُّ العجبِ مِنْ إمامٍ ماهرٍ في علمِ الحديثِ قدوةٍ فيهِ ينقلُ أمثالَ هٰذهِ الأحاديثِ ويأثرُها ، ويستشهدُ بها على صفاتِ البارئِ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ !!

فهوَ لا يخلو : إمَّا أنْ يعتقدَ بطلانَها أو لا يعتقدَ ؛ فإنِ اعتقدَ بطلانَها أو توهَّمَهُ فهوَ لا يَحِلُّ لهُ نقلُها إلا على سبيلِ الإنكارِ والاستبعادِ ، وإظهارِ خللِ رواتِها والتنديدِ بهِم والنعيِ عليهِم ؛ لتُجتنَبَ ، كما قالَ[1] : [من الهزج]

عَرَفْتُ ٱلشَّرَّ لا لِلشَّرِّ ... لَكِنْ لِتَوَقِّيهِ
وَمَنْ لا يَعْرِفِ ٱلشَّرَّ ... مِنَ ٱلْخَيْرِ يَقَعْ فِيهِ

فكيفَ ينقلُها على سبيلِ الاستشهادِ على الصفاتِ ولا يُنبِّهُ عليها ، وقد صحَّتِ الروايةُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وكادَتْ تبلغُ حدَّ التواترِ أنَّهُ قالَ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ » ؟![2] .

وقولُهُ : « مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَىٰ أَنَّهُ كَذِبٌ[3] . . فَهُوَ أَحَدُ ٱلْكَاذِبَيْنِ »

(١) البيتان لأبي فراس الحمداني في « ديوانه » (٣/ ٤٣١) .

(٢) أخرجه البخاري (١١٠) ، ومسلم (٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وقد أفرد الحافظ ابن الجوزي باباً في كتابه « الموضوعات » أورد فيه طرق هٰذا الحديث ، وذكر أن رواته من الصحابة بلغوا ثماني وتسعين نفساً ، ثم ذكر الأحاديث جميعها . انظر « الموضوعات » (١/ ٥٠ـ ١٢٩) .

(٣) قال ملا علي القاري في « مرقاة المفاتيح » (١/ ٢٨٢) : (يُرىٰ : روي بضم الياء من الإراءة ؛ أي : يظن ، وبفتحها من الرأي ؛ أي : يعلم) .

أو « أَحَدُ ٱلْكَاذِبِينَ » على اختلافِ الروايةِ[1] ، فقد منعَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الحديثَ عنهُ بما يُتخيَّلُ فيهِ الكذبُ ، كما منعَ الحديثَ بما يُتحقَّقُ فيهِ الكذبُ .

فلا بدَّ مِنْ تحقُّقِ الصحةِ قبلَ أنْ يقولَ : (قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ) .

وإنْ لم يعتقدْ بطلانَهُ فقد نبَّهَ على بطلانِهِ مَنْ هوَ دونَهُ في المنزلةِ في هـٰذا الشأنِ مِنَ المتأخرينَ[2] ، فيبعدُ أنْ يعلمَ المُتأخِّرُ مِنْ هـٰذا الأمرِ ما لا يعلمُهُ المُتقدِّمُ .

بل كانَ الأحسنُ بهـٰؤلاءِ الأئمَّةِ الذينَ بهِم يُقتدىٰ ، وإلىٰ طرقِهِم يُهتدىٰ . . أنْ يَضربوا صفحاً عن هـٰذهِ الأحاديثِ ولا يُورِدُوها في كتبِهِم ؛ لوجوهٍ :

الأولُ : لما في رجالِها مِنَ الخللِ .

الثاني : لما في متونِها مِنْ مخالفةِ المعقولِ والتنزيهِ .

الثالثُ : تحرُّجاً مِنَ الكذبِ على رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

الرابعُ : أنَّ تركَهُ لا يُؤدِّي إلىٰ مفسدةٍ في الدينِ ولا في المعتقدِ .

الخامسُ : لما يُؤدِّي إليهِ نقلُهُ مِنْ إضلالِ الجمِّ الغفيرِ مِنَ المسلمينَ .

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٦٢) ، وأحمد (٤/ ٢٥٥) عن سيدنا المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، وابن حبان (٢٩) عن سيدنا سمرة بن جندب رضي الله عنه ، وضبطُ النون والباء من (الكاذبين) موافق لضبط المؤلف ، وقال الإمام النووي في « شرح مسلم » (١/ ٦٤ـ٦٥) : (الكاذبين : ضبطناه بكسر الباء وفتح النون على الجمع ، وهـٰذا هو المشهور ، قال القاضي عياض : الرواية فيه عندنا : « الكاذبينَ » على الجمع ، ورواه أبو نعيم الأصبهاني في كتابه « المستخرج على صحيح مسلم » في حديث سمرة « الكاذبَينِ » بفتح الباء وكسر النون على التثنية ، واحتج به على أن الراوي له يشارك البادئ بهـٰذا الكذب) .

(٢) قوله : (بطلانه) في الموضعين : الأنسب : (بطلانها) بالتأنيث كما مرَّ قبل قليل .

السادسُ : لما يظهرُ لأهلِ الملَلِ وأهلِ الضلالةِ والزنادقةِ ممَّا يزيدُهُم مروقاً وطغياناً .

السابعُ : لما فيهِ مِنْ إثارةِ سوءِ الظنِّ بقومٍ مستورينَ أو ثقاتٍ .

الثامنُ : أنَّهُ لا ينبغي للعالمِ أنْ يُورِدَ في علمِهِ ما يُنفِّرُ القلوبَ عنهُ ، ويجرُّ إلىٰ سوءِ الظنِّ بهِ .

التاسعُ : أنَّهُ لا ينبغي للمُحدِّثِ المُحرِّرِ المُتحرِّرِ أنْ يُدوِّنَ في كتبِهِ الغثَّ والسمينَ ، « كَفَىٰ بِالْمَرْءِ كَذِباً أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ »[1] .

وذكرَ الإمامُ الحافظُ أبو عبدِ اللهِ الحاكمُ النيسابوريُّ في « علومِ الحديثِ » بسندِهِ إلىٰ عبدِ اللهِ بنِ وهبٍ قالَ : (سمعتُ مالكَ بنَ أنسٍ يقولُ : « لقد حدَّثتُ بأحاديثَ وَدِدتُ أنِّي ضُرِبتُ لكلِّ حديثٍ سوطينِ ولم أُحدِّثْ بها » ، فمالكُ بنُ أنسٍ رضيَ اللهُ عنهُ علىٰ تحرُّجِهِ وتحرُّرِهِ ونقدِهِ الحديثَ ـ وهوَ كما قيلَ : أميرُ المؤمنينَ في حديثِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وهوَ مُقِلٌّ مِنْ تدوينِ الحديثِ ـ يتقي الحديثَ بها هٰذهِ التقيةَ ، فما ظنُّكَ بمَنْ حدَّثَ بالطِّمِّ والرِّمِّ)[2] ، ويُقدِمَ علىٰ إشحانِ كتبِهِ بهٰذا الغمِّ[3] ؟! إنَّما أمرُهُم إلى اللهِ .

* * *

(١) أخرجه مسلم في مقدمة « صحيحه » (١/ ٨) ، وأبو داود (٤٩٩٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) معرفة علوم الحديث (ص ٦١) ، والطِّم : الغثاء الذي علىٰ وجه الماء ، أو العجيب ، والرِّم : ما تحمله الريح ، وقيل غير ذلك . انظر « تاج العروس » (٣٢/ ٢٨٤) ، مادة : (ر م م) .

(٣) وتحتمل في (أ) : (الهم) بدل (الغم) .

نماذج من الأحاديث السقيمة التي أوردوها في باب الاعتقاد

إذا ثبتَ ما ذكرتُهُ وعلمتَهُ وتقرَّرَ عندَكَ فاعلمْ : أنَّهُم أوردوا أحاديثَ في أبوابٍ مُتعدِّدةٍ مِنَ الاعتقادِ :

[حكمُ حديثِ : « منهُ بدأَ وإليهِ يعودُ »]

فمنها : الحديثُ الذي أشارَ المفتي في كلامِهِ إليهِ مُنبِّهاً عليهِ بقولِهِ : « مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ »[1] ، وهٰذا الحديثُ أوردوهُ بإسنادٍ فيهِ محمدُ بنُ يحيى بنِ رزينٍ ، قالَ أبو حاتمٍ البستيُّ : (كانَ كذَّاباً دجَّالاً يضعُ الأحاديثَ)[2] .

[حكمُ أحاديثَ واردةٍ في تكفيرِ مَنْ قالَ بخلقِ القرآنِ]

ومنها : أحاديثُ فيها تكفيرُ مَنْ قالَ بخلقِ القرآنِ :

فالأولُ[3] : بإسنادٍ فيهِ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ حربٍ ، وقد قالَ فيهِ ابنُ عديٍّ : (مشهورٌ بالكذبِ ووضعِ الحديثِ)[4] ، وكذلكَ قالَ أبو حاتمٍ[5] ، وفيهِ أيضاً ابنُ حميدٍ ؛ وهوَ محمدُ بنُ حميدِ بنِ حيانَ ، وقد كذَّبَهُ أبو زرعةَ ، وقالَ صالحُ بنُ محمدٍ : ما رأيتُ أحذقَ بالكذبِ منهُ[6] .

(١) المفتي هو ابن تيمية ، والحديث أخرجه ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/ ١٥٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وانظر ما سبق (١/ ٨٤) .

(٢) انظر « المجروحين » (٢/ ٣١٢) .

(٣) وهو قوله : « القرآنُ كلامُ اللهِ ، لا خالقٌ ولا مخلوقٌ ، ومَنْ قالَ غيرَ ذلكَ فهوَ كافرٌ » ، وقد أخرجه ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/ ١٥٢-١٥٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٤) انظر « الكامل في ضعفاء الرجال » (١/ ٣٣٠) .

(٥) انظر « المجروحين » (١/ ١٥٤) .

(٦) انظر « الموضوعات » (١/ ١٥٣) .

والثاني[1] : أوردوهُ بإسنادٍ فيهِ مجاهيلُ ، وفيهِ أبو عمارةَ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ المهديِّ ، قالَ الدارقطنيُّ : (أبو عمارةَ ضعيفٌ جدّاً)[2] .

قالَ ابنُ الجوزيِّ : (قد رُوِيَ في هٰذا البابِ أحاديثُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لا يثبتُ منها شيءٌ)[3] .

[حكمُ حديثِ : « إنَّ اللهَ قرأَ (طهَ) و(يسَ) قبلَ خَلقِ آدمَ بألفِ عامٍ »]

ومنها : حديثُ : « إنَّ ٱللهَ قَرَأَ (طَهَ) وَ(يَسَ) قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ بِأَلْفِ عَامٍ » .

وهو أوردَهُ جماعةٌ مِنَ المُحدِّثينَ بأسانيدَ ترجعُ إلىٰ إبراهيمَ بنِ المنذرِ ، عن إبراهيمَ بنِ المهاجرِ بنِ مسمارٍ ، عن عمرَ بنِ حفصِ بنِ ذكوانَ ، عن إبراهيمَ مولى الحُرَقةِ ، عن أبي هريرةَ ، عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بهِ مُطوَّلاً[4] ، قال ابنُ عديٍّ : (لم أجدْ لإبراهيمَ حديثاً أنكرَ مِنْ هٰذا)[5] ، وقالَ البخاريُّ : (إبراهيمُ بنُ المهاجرِ ضعيفٌ منكرُ الحديثِ)[6] .

وأمَّا عمرُ بنُ حفصٍ : فقالَ أحمدُ ابنُ حنبلٍ : (خرَّقْنا حديثَهُ)[7] ، قالَ

(١) وهو قوله : « القرآنُ كلامُ اللهِ ليسَ بخالقٍ ولا مخلوقٍ ، فمَنْ زعمَ غيرَ ذلكَ فقد كفرَ بما أنزلَ اللهُ علىٰ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ » ، وقد أخرجه ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/ ١٥٣) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) انظر « الموضوعات » (١/ ١٥٤) .

(٣) الموضوعات (١/ ١٥٥) .

(٤) ومنهم الدارمي في « مسنده » (٣٤٥٧) ، والطبراني في « الأوسط » (٤٨٧٦) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٢٢٦ـ٢٢٧) .

(٥) الكامل في ضعفاء الرجال (١/ ٣٥٣) .

(٦) التاريخ الكبير (١٠٣٣) ، الضعفاء الصغير (ص٢٢) .

(٧) انظر « الموضوعات » (١/ ١٥٧) ، وضبط في الأصل (خرَّقنا) بالخاء والحاء .

يحيى بنُ معينٍ : (ليسَ بشيءٍ)[1] ، وقالَ النسائيُّ : (متروكُ الحديثِ)[2] ، وقالَ أبو حاتمِ بنُ حبانَ الحافظُ : (هـٰذا متنٌ موضوعٌ)[3] .

[نقلُ نموذجٍ مِنْ كلامِ ابنِ المفضلِ المقدسيِّ في ردِّ أحاديثَ واردةٍ في بابِ الصوتِ]

ومنها : أحاديثُ أوردوها في بابِ الصوتِ واستشهدوا بها عليهِ ، وهـٰذا البابُ قد كفانا مؤنتَهُ الأستاذُ الإمامُ العالمُ الحافظُ ناصرُ السنَّةِ قامعُ البدعةِ شرفُ الدينِ أبو الحسنِ عليُّ بنُ المفضلِ ابنُ المقدسيِّ رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ ؛ **إذْ صنَّفَ فيهِ جزأينِ** :

أحدُهُما : تكلَّمَ فيهِ على حديثِ جابرٍ عن عبدِ اللهِ بنِ أنيسٍ قالَ : سمعتُ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يقولُ : « يَحْشُرُ ٱللهُ ٱلنَّاسَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ : أَنَا ٱلْمَلِكُ ، أَنَا ٱلدَّيَّانُ »[4] ، واستوعبَ الكلامَ فيهِ عليهِ ، ولم يتركْ فيهِ لمَنْ بعدَهُ ما يقولُهُ ، ولا لمَنْ يحتجُّ بهِ مستنَداً .

والجزءُ الآخَرُ سمَّاهُ : « الجوابَ عن أحاديثِ الأصواتِ بأحوالِ الرواةِ واختلافِ الرواياتِ »[5] ، تكلَّمَ فيهِ على أربعةَ عشرَ حديثاً سُئِلَ عنها ، فيها ذكرُ الصوتِ ، واستوعبَ الكلامَ فيهِ أحسنَ استيعابٍ ، حقَّقَ بهِ أنَّهُ لم يتركِ الأولُ للآخِرِ شيئاً[6] .

(١) انظر « الموضوعات » (١/ ١٥٧) .

(٢) الضعفاء والمتروكون (٤٦١) .

(٣) المجروحين (١/ ١٠٨) .

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٥) ، والحاكم (٢/ ٤٣٨) ، والبخاري معلقاً قبل حديث رقم : (٧٤٨١) .

(٥) وقد سبقت الإشارة إلى هـٰذا الكتاب أثناء ترجمته في (١/ ٥٤٨) .

(٦) وانظر ما سبق عن هـٰذا الإمام الكبير وقصته مع الحافظ المنذري في (٢/ ٥٧) .

وإنْ أوردتُ ما ذكرَهُ مُستوعِباً لكلامِهِ عليها طالَ هٰذا الكتابُ ، وإنْ ذكرتُ بعضَ كلامِهِ لم يتمَّ المقصودُ ؛ فإنَّهُ مرتبطٌ بعضُهُ ببعضٍ لا يُترَكُ منهُ شيءٌ ، لٰكنْ رأيتُ أنْ أذكرَ السؤالَ والجوابَ الجُمْليَّ الذي أجابَ بهِ الفتيا ، وأمَّا التفصيلُ فليُكشَفْ مِنْ هٰذا الجزءِ المشارِ إليهِ ، وهوَ روايتُنا عنِ الشيخِ الإمامِ المُقرئِ العدلِ[1] محيي الدينِ خواجا إمام أبي محمدٍ عبدِ الرحيمِ بنِ القاضي العدلِ علمِ الدينِ عبدِ المنعمِ بنِ خلفٍ اللخميِّ الدَّميريِّ قارئِ المصحفِ بتاجِ الجوامعِ بمصرَ ، وإمامِ السلطانِ رحمَهُ اللهُ ، قالَ : قُرِئَ على الشيخِ الإمامِ شرفِ الدينِ أبي الحسنِ عليِّ بنِ المفضَّلِ المقدسيِّ وأنا أسمعُ قالَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نسخةُ السؤالِ : (ما يقولُ سيدُنا القاضي الفقيهُ الإمامُ العالمُ الحافظُ ، فخرُ الحفاظِ ، قدوةُ الأئمَّةِ ، سيفُ الأمَّةِ ، قامعُ البدعةِ ، بقيةُ السلفِ ، عمدةُ الخلفِ ، مفتي المسلمينَ ، شرفُ الدينِ ، أبو الحسنِ عليُّ بنُ القاضي الأجلِّ الأنجبِ أبي المكارمِ بنِ عليٍّ المقدسيُّ متَّعَ اللهُ المسلمينَ ببقائِهِ . . في الأحاديثِ الواردةِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في ذكرِ الصوتِ عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ هل هيَ مِنَ الأحاديثِ الصحاحِ المُتفقِ على صحتِها كلِّها أو بعضِها أوِ المختلفِ في صحتِها ، أم هيَ مِنَ الأحاديثِ الحسانِ المعروفةِ رجالُها ممَّا لهُ علةٌ قادحةٌ أو غيرُ قادحةٍ أو ممَّا لا علةَ لهُ ، أم هيَ مِنَ الأحاديثِ الضِّعافِ الواهيةِ التي لا تقومُ بها حجةٌ ولا يُعوَّلُ عليها في حكمٍ ، أم هيَ مِنَ الأحاديثِ الموضوعةِ المحكومِ بكذبِ نَقَلَتِها وإسقاطِ روايتِهم وتركِها ؟

والمطلوبُ منهُ : أنْ يتكلَّمَ على أسانيدِها وما ذُكِرَ في نَقَلَتِها على طريقةِ أصحابِ الحديثِ في الجرحِ والتعديلِ ، دونَ طريقةِ المُتكلِّمينَ في التأويلِ

(١) تحتمل في (أ) : (المعدل) ، وكذلك في الموضع الآتي .

والتنزيلِ على المعقولِ ، مُبيِّناً ذلكَ بأوضحِ بيانٍ ، وأشملِ تِبيانٍ ، مأجوراً مشكوراً إنْ شاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ) .

وعدَّ أربعةَ عشرَ حديثاً بأربعةَ عشرَ إسناداً في كلِّ حديثٍ منها ذكرُ الصوتِ إلىٰ أنْ فرغَ منها .

فقالَ الشيخُ شرفُ الدينِ : (الجوابُ واللهُ الموفِّقُ للصوابِ : أنَّ هٰذهِ الأحاديثَ ليسَ في جميعِها ذكرُ الصوتِ ، وإنَّما قصدَ مُورِدُها تكثيرَ العددِ بها ، وأكثرُها معلولةٌ أو ضعيفةٌ أو موضوعةٌ ، والذي في الكتبِ المشهورةِ منها أقلُّها ، ونحنُ نوردُها مُفصَّلةً حديثاً حديثاً حتىٰ نأتيَ علىٰ جميعِها بعونِ اللهِ وتأييدِهِ ، ونذكرُ ما قيلَ في رواتِها مِنَ الجرحِ ، ولا نبالي بعدَ ذلكَ بالتعديلِ ؛ إذ قولُ المُجرِّحِ مُقدَّمٌ علىٰ قولِ المُعدِّلِ ، وذلكَ خاصٌّ بمَنْ جَرَحَهُ قومٌ وعدَّلَهُ آخرونَ ، فأمَّا مَنْ لم يُذكَرْ إلا بالجرحِ فلا خلافَ في ردِّ خبرِهِ ، ولا يكفي أيضاً أنْ يكونَ ممَّنْ لم يُتعرَّضْ لهُ بجرحٍ ولا تعديلٍ ، فلا يثبتُ الخبرُ ولا يجبُ العملُ بهِ إلا بعدَ التعديلِ ، فأمَّا روايةُ المجاهيلِ فلا حُجَّةَ فيها ، وكذلكَ إذا كانَ في الإسنادِ مَنْ لم يُسَمَّ ، كما سيأتي بيانُهُ إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ) .

وقد وفَّىٰ رحمَهُ اللهُ بما ذكرَهُ وأتىٰ علىٰ كلِّ الأحاديثِ حديثاً حديثاً ، ولا يتهيَّأُ ذكرُها ، فأقتصرُ منها على الحديثِ الأولِ ؛ وهوَ حديثُ جابرٍ ، عن عبدِ اللهِ بنِ أنيسٍ .

[كلامُ ابنِ المفضلِ في حديثِ : « يحشرُ اللهُ الناسَ يومَ القيامةِ ، فيناديهِم بصوتٍ . . . »]

قالَ الشيخُ شرفُ الدينِ رحمَهُ اللهُ : (أمَّا حديثُ جابرٍ عن عبدِ اللهِ بنِ أنيسٍ : فقد كنَّا أفردْنا لهُ جزءاً خاصّاً بهِ ، والسببُ في ذلكَ : إخراجُ البخاريِّ لهُ تعليقاً بغيرِ إسنادٍ ، فاشتَهرَ بسببِ ذكرِ البخاريِّ إيَّاهُ في الجملةِ ، ولفظُ

البخاريُّ أنَّهُ قالَ : « ويُذكَرُ عن جابرٍ »[1] ، فذكرَهُ مختصراً دونَ القصةِ التي فيهِ ، وقد أوردْناها بإسنادِها مِنْ طرقٍ ، وهوَ حديثٌ مدارُهُ على عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ عقيلٍ عن جابرٍ ، لم يروِهِ عنهُ أمثلُ منهُ ، وليسَ ابنُ عقيلٍ ممَّنْ خرَّجَ لهُ البخاريُّ ولا مسلمٌ شيئاً ؛ إذْ ليسَ مِنْ شرطِهما ، ولذلكَ لم يُسمِّهِ البخاريُّ ، بل قالَ : « ويُذكَرُ عن جابرٍ » كما قدَّمناهُ .

وللبخاريِّ رضيَ اللهُ عنهُ شروطٌ في كتابِهِ : أنَّهُ لا يُسمِّي مَنْ يجزمُ بردِّ حديثِهِ ، ويُسمِّي مَنْ لا يجزمُ بردِّ حديثِهِ إذا وافقَهُ مَنْ هوَ حُجَّةٌ عندَهُ ، فأمَّا ما ذكرَهُ العلماءُ في ابنِ عقيلٍ فقدِ استوعبْناهُ في الجزءِ المُقدَّمِ ذكرُهُ ، ونذكرُ ها هنا لمعةً كافيةً لمَنْ يفهمُ .

قالَ عليُّ بنُ المدينيِّ : « حدَّثَنا بشرُ بنُ عمرَ قالَ : كانَ مالكٌ لا يروي عن عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ عقيلٍ ، وكانَ يحيى بنُ سعيدٍ لا يروي عنهُ »[2] .

وقالَ ابنُ عيينةَ : « أربعةٌ مِنْ قريشٍ لا يُروى عنهُم » ، فذكرَهُ فيهم[3] .

وقالَ أبو معمرٍ : « كانَ سفيانُ بنُ عيينةَ لا يَحمَدُ حفظَهُ »[4] .

وقالَ يحيى بنُ معينٍ : « هوَ ضعيفٌ في كلِّ أمرِهِ »[5] .

وقالَ مسلمُ بنُ الحجاجِ : قلتُ ليحيى بنِ معينٍ : عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ عقيلٍ أحبُّ إليكَ أو عاصمُ بنُ عبيدِ اللهِ ؟ فقالَ : ما أحبُّ واحداً منهُما في الحديثِ[6] .

(١) سبق تخريجه (٢/ ٣٢١) .

(٢) أخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٢/ ٢٩٨) .

(٣) أخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٢/ ٢٩٨) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم الرازي في « الجرح والتعديل » (٥/ ١٥٤) .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم الرازي في « الجرح والتعديل » (٥/ ١٥٤) .

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم الرازي في « الجرح والتعديل » (٥/ ١٥٤) .

وقالَ أبو حاتمٍ الرازيُّ : « عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ عقيلٍ : ليِّنُ الحديثِ ليسَ بالقويِّ ولا ممَّنْ يُحتَجُّ بحديثِهِ »[1] .

وقالَ عليُّ بنُ المدينيِّ : « لم يُدخِلْ مالكٌ في حديثِهِ ابنَ عقيلٍ ولا ابنَ أبي فروةَ »[2] .

وقالَ السعديُّ : « عبدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ عقيلٍ يُوقَفُ عنهُ ، عامَّةُ ما يُروىٰ عنهُ غرائبُ »[3] .

وقالَ أبو عيسى الترمذيُّ : « تكلَّمَ فيهِ بعضُهُم مِنْ قِبَلِ حفظِهِ »[4] .

وقالَ أبو حاتمِ بنُ حبانَ : « كانَ رديءَ الحفظِ ، يُحدِّثُ بالتوهُّمِ ، فيجيءُ بالخبرِ علىٰ غيرِ سننِهِ ، فوجبَ تجانبُهُ »[5] .

وقد تفرَّدَ بهٰذا الحديثِ عنِ ابنِ عقيلٍ القاسمُ بنُ عبدِ الواحدِ ، وليسَ ممَّنْ يُحتَجُّ بحديثِهِ ، كذلكَ قالَ أبو حاتمٍ الرازيُّ ، فهوَ حديثٌ انفردَ بهِ مَنْ لا يُحتَجَّ بهِ عن ضعيفٍ .

وقد رواهُ عنِ القاسمِ همَّامُ بنُ يحيىٰ وعبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ ، ومعَ ذلكَ فقد وقعَ في ألفاظِهِ مِنْ طريقِهِما اضطرابٌ كثيرٌ ؛ منها : أنَّهُ قالَ فيهِ عن جابرٍ : « فقدمتُ الشامَ » في روايةِ همَّامٍ عنِ القاسمِ ، وقالَ فيهِ : « فقدمتُ مصرَ » في روايةِ عبدِ الوارثِ عنهُ .

ومنها : أنَّهُ قالَ في روايةِ عبدِ الوارثِ : « ينادي بصوتٍ » ، وفي روايةِ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم الرازي في « الجرح والتعديل » (٥/ ١٥٤) .
(٢) أخرجه ابن عدي في « الكامل » (٥/ ٢٠٦) .
(٣) أخرجه ابن عدي في « الكامل » (٥/ ٢٠٦) .
(٤) أورده ابن الجوزي في « الضعفاء والمتروكون » (٢١١٢) .
(٥) المجروحين (٢/ ٣) .

همَّامٍ : « ينادي نداءً » على اختلافٍ فيهِ عن همَّامٍ .

ومنها : أنَّهُ قالَ فيهِ : « قلتُ : حديثٌ بلغَني عنكَ سمعتَهُ مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لم أسمعْهُ ، فخشيتُ أنْ أموتَ أو تموتَ قبلَ أنْ أسمعَهُ » ، هٰكذا في روايةِ همَّامٍ ، وفي روايةِ عبدِ الوارثِ : « بلغَني أنَّكَ تُحدِّثُ بهِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في القصاصِ ، فما أعلمُ أحداً يحفظُهُ غيرَكَ ، فأحببتُ أنْ تُذاكرَنيهِ » ، وهٰذا يُشعِرُ بأنَّ جابراً سمعَهُ وأرادَ استثباتَهُ .

واختُلِفَ على همَّامٍ أيضاً ؛ فرُوِيَ عنهُ هٰكذا ، ورُوِيَ عنهُ : « لم أسمعْهُ » كما في حديثِ عبدِ الوارثِ[1] .

واختُلِفَ فيهِ أيضاً على همَّامٍ وعبدِ الوارثِ جميعاً ؛ فرُوِيَ [عنهُما] تسميةُ عبدِ اللهِ بنِ أنيسٍ ، ورُوِيَ عنهُما : « رجلٍ مِنْ أصحابِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ » غيرِ مُسمّىً[2] .

وهٰذا حديثٌ لم يُخرِّجْهُ البخاريُّ إلا تعليقاً ، ولم يخرِّجْهُ مسلمٌ ولا الترمذيُّ ، ولا أبو داودَ ولا النسائيُّ ولا ابنُ ماجه ، وأخرجَهُ أحمدُ[3] ، وفي « المسندِ » مِنَ الأحاديثِ الضعيفةِ الواهيةِ أعدادٌ كثيرةٌ ؛ فإنَّهُ لم يشرطِ الصحةَ ، بل فيهِ ما اعترفَ أحمدُ بضعفِهِ ، ومَنْ تأمَّلَ ما ذكرْناهُ وكانَ لهُ بصرٌ بهٰذهِ الصناعةِ تحقَّقَ ما قلْناهُ ، واللهُ أعلمُ ، فهٰذا أمثلُ طرقِهِ .

(١) كذا في (أ، ب) ، والمار قبل قليل في رواية همام أنه لم يسمعه ، وفي رواية عبد الوارث أنه سمعه .

(٢) ذكر روايات هٰذا الحديث وطرقه ابنُ ناصر الدين في « مجلس في حديث جابر » (ص٢٠٣ـ٢٢٦) ضمن « رسائله » .

(٣) مسند أحمد (٣/ ٤٩٥) .

وقد رواهُ أبو نعيمٍ عمرُ بنُ صبحٍ ، عن مقاتلِ بنِ حيَّانَ ، عن أبي الجارودِ العبسيِّ ، عن جابرٍ[1] ، وعمرُ بنُ صبحٍ كذَّابٌ يضعُ الحديثَ .

ورواهُ ابنُ لهيعةَ عن يزيدَ بنِ أبي حبيبٍ : أنَّ جابراً دخلَ مصرَ فأتى منزلَ عقبةَ بنِ عامرٍ ، فسألَهُ عنِ الحديثِ ، وابنُ لهيعةَ ضعيفٌ جدّاً لا تقومُ بروايتِهِ حُجَّةٌ ، وأمرُهُ أسهلُ مِنْ أنْ يُطوَّلَ بذكرِهِ) انقضى كلامُ ابنِ المفضَّلِ رحمَهُ اللهُ .

ولم أُثبِتْ كلامَهُ على هٰذا الحديثِ دونَ باقي الأحاديثِ إلا لأنَّهُ أوردَهُ البخاريُّ تعليقاً في كتابِهِ ، فاحتيجَ إلى الاعتناءِ بذكرِهِ وذكرِ ما عليهِ مِنَ الكلامِ والتضعيفِ ، وأمَّا باقي الأحاديثِ فيكفي فيها جوابُهُ الإجماليُّ ، فمَنْ أرادَ تفصيلَها فليكشفْ ذلكَ مِنْ كتابِهِ المذكورِ ، واللهُ أعلمُ .

وقالَ الإمامُ أبو العباسِ أحمدُ بنُ عمرَ بنِ إبراهيمَ القرطبيُّ رضيَ اللهُ عنهُ في « مختصرِهِ للبخاريِّ » في الحديثينِ المشارِ إليهما اللذينِ ذكرَهُما البخاريُّ تعليقاً : (تنبيهٌ : هٰذانِ الحديثانِ غيرُ صحيحينِ ، كلاهُما مُعلَّقٌ مقطوعٌ ، والأولُ موقوفٌ ، فلا يُعتمَدُ في كونِ اللهِ تعالى مُتكلِّماً بصوتٍ ؛ فإنَّ كلامَهُ الذي هوَ صفتُهُ مُنزَّهٌ عنِ الحروفِ والأصواتِ التي نُعبِّرُ عنها بالحروفِ والأصواتِ ؛ لما دلَّتْ عليهِ الأدلَّةُ القاطعةُ)[2] .

قلتُ : إنَّما أوردتُ كلامَ القرطبيِّ ؛ ليكونَ لهُ حظٌّ في الردِّ ، وأجرٌ في المناضلةِ ، وإلا ففيما أوردَهُ ابنُ المفضَّلِ رحمَهُ اللهُ كفايةٌ ، واللهُ أعلمُ .

(١) أخرجه الخطيب في « الرحلة في طلب الحديث » (ص١١٥) .

(٢) وقد سبق كلام القرطبي في (٢/ ٥٥) ، وذكر ابن الجوزي له في « كشف المشكل » ، والزركشي في « التنقيح » ، وليس فيهما : (التي نعبر عنها بالحروف والأصوات) .

[حكمُ حديثِ : « مِنْ ها هنا عرجَ ربُّكَ إلى السماءِ »]

ومنها : حديثٌ أوردوهُ عن أبي الحسنِ الدارقطنيِّ ، عن أبي حاتمِ بنِ حبانَ : حدَّثَنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ ، حدَّثَنا عبدُ اللهِ بنُ سليمانَ بنِ عميرةَ ، حدَّثَنا بكرُ بنُ زيادٍ الباهليُّ ، حدَّثَنا ابنُ المباركِ ، عن سعيدِ بنِ أبي عَروبةَ ، عن قتادةَ ، عن زرارةَ بنِ أوفى ، عن أبي هريرةَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَىٰ بَيْتِ ٱلْمَقْدِسِ . . . » ، وقالَ في آخرِهِ : « ثُمَّ أَتَى ٱلصَّخْرَةَ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ مِنْ هَا هُنَا عَرَجَ [رَبُّكَ] إِلَى ٱلسَّمَاءِ »[1] ، قالَ أبو حاتمٍ : (هٰذا حديثٌ لا يشكُّ عوامُّ أصحابِ الحديثِ أنَّهُ موضوعٌ ، فكيفَ بالبُزَّلِ في هٰذا الشأنِ ؟!)[2] ، وكانَ بكرُ بنُ زيادٍ دجَّالاً يضعُ الحديثَ على الثقاتِ[3] .

[حكمُ حديثِ التاجِ]

ومنها : حديثٌ ذُكِرَ فيهِ التاجُ ؛ نصُّهُ : « رَأَيْتُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ ؛ حَتَّىٰ رَأَيْتُ تَاجاً مُخَوَّصاً مِنْ زَبَرْجَدٍ » ، وهوَ حديثٌ حدَّثَ بهِ أبو العلاءِ ، عن عبدِ اللهِ بنِ محمدِ بنِ اليسعِ ، ثمَّ قالَ أبو العلاءِ : حدَّثَنا ابنُ اليسعِ بهٰذا الحديثِ في جملةِ أحاديثَ كثيرةٍ بهٰذا الإسنادِ ، ثمَّ رجعَ عن جميعِ النسخةِ ، وقالَ : (وهمتُ ؛ إذْ رويتُها عنِ ابنِ فيلٍ ، وإنَّما حدَّثَني بجميعِها قاسمُ بنُ إبراهيمَ الملطيُّ عن لُوينٍ)[4] .

(١) أخرجه ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/ ١٦٢) .

(٢) المجروحين (١/ ١٩٧) .

(٣) انظر « الموضوعات » (١/ ١٦٢) .

(٤) انظر « الموضوعات » (١/ ١٦٥) ، و« اللآلىء المصنوعة » (١/ ٢٠) .

قالَ أبو الفرجِ ابنُ الجوزيِّ : (أخبرَنا عبدُ الرحمـٰنِ ـ يعني : ابنَ محمدٍ [القزَّازَ] ـ قالَ : أخبرَنا أبو بكرٍ الخطيبُ قالَ : سألتُ الأزهريَّ عنِ ابنِ اليسعِ ، فقالَ : ليسَ بحُجَّةٍ ، كنتَ تقعدُ معَهُ ساعةً فيقولُ لكَ : ختمتُ ختمةً منذُ قعدتَ) .

قالَ أبو الفرجِ : (أمَّا ابنُ اليسعِ : فليسَ بثقةٍ ، وقاسمُ بنُ إبراهيمَ الذي أحالَ عليهِ ثانياً ليسَ بشيءٍ أصلاً ، قالَ الدارقطنيُّ : هوَ كذَّابٌ ، ومثلُ هـٰذا الحديثِ لا يخفىٰ أنَّهُ موضوعٌ ؛ فإنَّهُ مُثبِتٌ البعضيةَ ، فكافأَ اللهُ مَنْ عملَهُ)[1] .

[حكمُ الحديثِ الواردِ في تفسيرِ المقامِ المحمودِ]

ومنها : حديثٌ روَوهُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء : ٧٩] قالَ : « يجلسُهُ معَهُ على العرشِ »[2] ، وهـٰذا الحديثُ في رواتِهِ ليثُ بنُ أبي سليمٍ ، وسيأتي الكلامُ فيهِ[3] ، وبتقديرِ ألا يكونَ فيهِ ليثٌ فهوَ خلافُ قولِ هـٰؤلاءِ الظاهريةِ وخلافُ قولِنا ، فنحنُ وإيَّاهُم نأبىٰ صحتَهُ ، أمَّا هم فلأنَّ طريقَهُمُ الجمودُ على الظاهرِ ، والآيةُ فيها المقامُ المحمودُ ، وهو مَفعلٌ مِنَ القيامِ ، وهم قالوا : يجلسُهُ ، فيكونُ ذلكَ مَقعداً لا مقاماً .

وأمَّا الوجهُ الثاني : فلأنَّهُ وردَ في الحديثِ الصحيحِ أنَّ المرادَ بذلكَ الشفاعةُ العظمىٰ ؛ وهوَ المقامُ الذي يَحمَدُهُ فيهِ الأوَّلونَ والآخرونَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ[4] .

وأمَّا علىٰ رأينا : فنحنُ نقولُ : هـٰذا مخالفٌ للمعقولِ مِنْ وجوهٍ :

(١) الموضوعات (١/ ١٦٢) ، وانظر « تاريخ بغداد » (١٠/ ١٣٤) .

(٢) أخرجه أبو بكر الخلال في « السنة » (٢٤٢) من كلام مجاهد رحمه الله تعالىٰ .

(٣) انظر (٢/ ٣٣٩) .

(٤) كما أخرجه البخاري (٧٤٤٠) من حديث سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

الأولُ : أنَّهُ يلزمُ منهُ المماسَّةُ على اللهِ تعالىٰ .

الثاني : يلزمُ منهُ علىٰ قولِهِم أنْ يكونَ العرشُ أكبرَ مِنَ الذاتِ الشريفةِ ؛ لأنَّهُ علىٰ زعمِهِم وسعَ الذاتَ والجالسَ معَها ، وهـٰذهِ زندقةٌ لا تخفىٰ ، ومروقٌ مِنَ الدينِ ، وهوَ محالٌ عقلاً ، وكذبٌ سمعاً ، وإساءةٌ عرفاً .

الثالثُ : أنَّهُ يلزمُ منهُ الحدُّ والنهايةُ ؛ فإنَّ الذاتَ لا تخلو : إمَّا أنْ تكونَ مماسَّةً لجسدِ سيدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، أو بينَهُما خلاءٌ وفضاءٌ ، فإنْ فرضتَ الذاتَ مماسَّةً لجسدِ سيدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ . فيلزمُ منهُ المماسَّةُ والتحيزُ ، وإنْ فرضتَ بينَهُما فضاءً . فنهايةُ الفضاءِ تماسٌّ وتحيُّزٌ .

فهـٰذا الحديثُ مُخالِفٌ للعقلِ مِنْ كلِّ وجوهِهِ ، فلا يُشتغَلُ بتأويلِهِ[1] .

[حكمُ حديثِ : « يأخذُ السماواتِ بيمينِهِ والأرضينَ بشمالِهِ »]

ومنها : حديثٌ رَوَوهُ فيهِ : « يَأْخُذُ ٱلسَّمَاوَاتِ بِيَمِينِهِ وَٱلأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ » ، ومرادُهُم بذلكَ : الزيادةُ في التشبيهِ حتىٰ باليمينِ والشمالِ ، فهو مردودٌ مِنْ وجوهٍ :

الأولُ : أنَّ ذكرَ الشمالِ تفرَّدَ بهِ عمرُ بنُ حمزةَ عن سالمٍ[2] ، وعمرُ بنُ حمزةَ هـٰذا : هوَ عمرُ بنُ حمزةَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ بنِ الخطابِ العمريُّ الذي يروي عن سالمٍ ، قالَ أحمدُ [والرازيُّ][3] : (أحاديثُهُ مناكيرُ) ، وقالَ

(١) وممَّن ذهب إلىٰ أن المراد بالمقام المحمود إقعاد النبي مع الله على العرش : المجسِّم أبو بكر المروزي ، وقد حدثت بسببه فتنة ذهب ضحيتها كثير من الأنفس . انظر « الكامل في التاريخ » (٦/ ٧٤٦ـ٧٤٧) .

(٢) كما أخرجه العقيلي في « الضعفاء الكبير » (٣/ ١٥٣) .

(٣) في (أ، ب): (الرازي) دون واو، والمثبت من « الضعفاء والمتروكون » لابن الجوزي .

يحيى بنُ معينٍ : (ضعيفٌ) ، وقالَ النسائيُّ كذلكَ ، وقالَ النسائيُّ : (ليسَ بالقويِّ)[1] .

الثاني : أنَّ هـٰذا الحديثَ رواهُ نافعٌ وعبيدُ اللهِ بنُ مِقْسمٍ عن عبدِ اللهِ بنِ عمرَ ، ولم يذكرْ فيهِ الشمالَ[2] .

الثالثُ : أنَّ أبا داودَ خرَّجَ حديثَ عمرَ بنِ حمزةَ هـٰذا ولم يذكرْ فيهِ الشمالَ ، قالَ أبو داودَ : أخبرَنا أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ ومحمدُ بنُ العلاءِ : أنَّ أبا أسامةَ أخبرَهُم عن عمرَ بنِ حمزةَ قالَ : قالَ سالمٌ : أخبرَني عبدُ اللهِ بنُ عمرَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَطْوِي ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ ٱلسَّمَاوَاتِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ ٱلْيُمْنَىٰ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا ٱلْمَلِكُ ، أَيْنَ ٱلْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ ٱلْمُتَكَبِّرُونَ ؟! ثُمَّ يَطْوِي ٱلأَرَضِينَ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ ـ قالَ ابنُ عمرَ[3] : بيدِهِ الأخرىٰ ـ ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا ٱلْمَلِكُ »[4] ، فلم يذكرْ أبو داودَ الشمالَ والإسنادُ واحدٌ .

فإنْ قيلَ : قد وردَ ذكرُ الشمالِ في حديثٍ آخرَ في غيرِ هـٰذهِ القصَّةِ .

قلنا : قالَ البيهقيُّ : (إنَّهُ ضعيفٌ بمرَّةٍ ، وردَ مِنْ طريقينِ تفرَّدَ بإحداهُما جعفرُ بنُ الزبيرِ[5] ، وبالأخرىٰ يزيدُ الرقاشيُّ[6] ، [وهما متروكانِ] ، وكيفَ

(١) انظر « الكامل في ضعفاء الرجال » (٦/٣٦) ، و« الضعفاء والمتروكون » للنسائي (٤٧٠) ، و« الضعفاء والمتروكون » لابن الجوزي (٢٤٥٣) .

(٢) كما أخرجه البخاري (٧٤١٢) ، وقوله : (لم يذكر) كذا في (أ ، ب) ، ولعل الأولىٰ والأقرب : (يذكرا) بالتثنية .

(٣) في « سنن أبي داود » : (ابن العلاء) بدل (ابن عمر) .

(٤) سنن أبي داود (٤٧٣٢) .

(٥) كما أخرجه الطبراني في « الكبير » (٨/٢٨٨) من حديث سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٦) كما أخرجه ابن أبي عاصم في « السنة » (٢٠٣) ، وابن بطة في « الإبانة » (١٣٣٢) من حديث سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

يصحُّ ذلكَ وصحيحٌ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ سمَّىٰ كلتا يديهِ يميناً ؟!)[1] .

قالَ الخطابيُّ : (ليسَ فيما يُضافُ إلى اللهِ تعالىٰ مِنْ صفةِ اليدينِ شمالٌ ؛ لأنَّ الشمالَ محلُّ النقصِ والضَّعفِ ، وقد رُوِيَ « كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ »[2] ، وليسَ معنى اليدِ عندَنا الجارحةَ ، وإنَّما هيَ [صفةٌ] جاءَ بها التوقيفُ ، فننتهي إلىٰ حيثُ انتهىٰ)[3] .

قلتُ : يُؤيِّدُ ما ذكرَهُ الحافظُ البيهقيُّ مِنْ تضعيفِ جعفرِ بنِ الزبيرِ . . ما أذكرُهُ مِنْ تضعيفِ العلماءِ لهُ ؛ فإنَّ جعفراً هٰذا : هوَ جعفرُ بنُ الزبيرِ البصريُّ ، ويُقالُ : الشاميُّ ، يروي عنِ القاسمِ عن أبي أمامةَ ، قالَ شعبةُ : كانَ يُحدِثُ ؛ يعني : الإحداثَ في الدينِ ، وقالَ يحيى بنُ معينٍ : ليسَ بثقةٍ ، وتركَهُ أحمدُ ابنُ حنبلٍ ، وقالَ السعديُّ : نبذوا حديثَهُ ، وقالَ البخاريُّ والرازيُّ والنسائيُّ وعليُّ بنُ الجنيدِ والأزديُّ والدارقطنيُّ : متروكٌ[4] .

ويكفي يزيدَ الرقاشيَّ تضعيفُ الحافظِ البيهقيِّ لهُ .

[حكمُ الحديثِ الواردِ فيهِ : أنَّ الكرسيَّ بينَ يدي العرشِ ، وهوَ موضعُ قدميهِ]

وأيضاً : حديثٌ روَوهُ عنِ ابنِ عباسٍ ، وعنِ ابنِ مسعودٍ ، وعن أبي موسى الأشعريِّ رضيَ اللهُ عنهُم .

فرواهُ السديُّ عن أبي مالكٍ وعن أبي صالحٍ عنِ ابنِ عباسٍ ، وعن مرةَ

(١) الأسماء والصفات (ص٣٠٦) .

(٢) أخرجه مسلم (١٨٢٧) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٣) انظر « الأسماء والصفات » (ص٣١٣-٣١٤) .

(٤) الكلام بنصه في « الضعفاء والمتروكون » (٦٦٦) .

الهَمْدانيِّ عنِ ابنِ مسعودٍ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، قالوا : السماواتُ والأرضُ في جوفِ الكرسيِّ ، والكرسيُّ بينَ يَدَيِ العرشِ ، وهوَ موضعُ قدميهِ ، وأمَّا ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ﴾ [البقرة : ٢٥٥] : لا يثقلُ عليهِ[١] .

كذا روَوهُ مِنْ هٰذهِ الطرقِ : (موضعُ قدميهِ)[٢] ، وهوَ مردودٌ مِنْ وجوهٍ :

الأولُ : أنَّ سعيدَ بنَ جبيرٍ رواهُ عنِ ابنِ عباسٍ : (موضعُ القدمينِ) بالتعريفِ مِنْ غيرِ إضافةٍ ، [قالَ] : ولا يُقدَّرُ قدرُ عرشِهِ[٣] ، قالَ البيهقيُّ : (وكذا قالَ أبو موسى الأشعريُّ مِنْ غيرِ إضافةٍ ، وكأنَّهُ أصحُّ) ، ثمَّ قالَ : (والخبرُ موقوفٌ لا يصحُّ رفعُهُ إلى النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأمَّا المُتقدِّمونَ مِنْ أصحابِنا فإنَّهُم لم يُفسِّروا هٰذا ولم يشتغلوا بتأويلِهِ)[٤] .

ومنها : حديثُ عبدِ اللهِ بنِ رواحةَ ، ذكرَهُ بعضُ الفروعيينَ الشافعيينَ في كتابِهِ فقالَ : إنَّ عبدَ اللهِ بنَ رواحةَ رأتْهُ امرأتُهُ معَ جاريةٍ لهُ ، وذكرَ أنَّها لمَّا طالبتْهُ أنْ يقرأَ قالَ : [من الوافر]

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ ٱللهِ حَقٌّ ... وَأَنَّ ٱلنَّارَ مَثْوَى ٱلْكَافِرِينَا

وَأَنَّ ٱلْعَرْشَ فَوْقَ ٱلْمَاءِ طَافٍ ... وَفَوْقَ ٱلْعَرْشِ رَبُّ ٱلْعَالَمِينَا

وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةٌ شِدَادٌ ... مَلَائِكَةُ ٱلإِلَهِ مُسَوِّمِينَا[٥]

(١) أخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣٣٢ـ٣٣٤) .

(٢) انظر « الأسماء والصفات » (ص٣٣٤) .

(٣) كما أخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣٣٣) .

(٤) الأسماء والصفات (ص٣٣٣) .

(٥) ذكره الإمام الماوردي في « الحاوي الكبير » (١/١٤٨) ، والعمراني في « البيان » (١/٢٤٩) .

وتابعَهُ عليهِ بعضُ أئمَّةِ الحديثِ ، فساقَهُ بمعناهُ[1] ، ثمَّ قالَ بعضُ المغاربةِ : فهـٰذا دليلٌ علىٰ أنَّ ذلكَ كانَ مُستقرّاً عندَهُم عندَ الرجالِ والنساءِ ، وهـٰذا فيهِ إبطالٌ لجميعِ تأويلاتِ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] .

قلتُ : هـٰذا الحديثُ ذكرَهُ أئمَّةُ المُحدِّثينَ علىٰ خلافِ هـٰذا السياقِ : فلمَّا انتهىٰ عبدُ اللهِ بنُ رواحةَ إلى القراءةِ . ذكرَ لها أبياتَهُ المعروفةَ بهِ ؛ وهيَ : [من الطويل]

وَفِينَا رَسُولُ ٱللهِ يَتْلُو كِتَابَهُ

إلىٰ آخرِها .

وذكرَها أيضاً أبو الفرجِ ابنُ الجوزيِّ في كتابِ « الأذكياءِ » بسندِهِ إلىٰ عكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ : أنَّ عبدَ اللهِ بنَ رواحةَ كانَ مُضطجعاً إلىٰ جنبِ امرأتِهِ ، فخرجَ فواقعَ جاريةً لهُ ، وأنَّ امرأتَهُ رأتْهُ ، فأنكرَتْ ذلكَ ، وأرادَتْ أنْ تقتلَهُ مِنَ الغَيرةِ ، فقالَ : إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يمنعُ أنْ يقرأَ الجنبُ شيئاً مِنَ القرآنِ ، فقالَتْ : إنْ كنتَ صادقاً فاقرأْ لي ، فقالَ : [من الطويل]

وَفِينَا رَسُولُ ٱللهِ يَتْلُو كِتَابَهُ كَمَا ٱنْشَقَّ مَرْمُوقٌ[2] مِنَ ٱلصُّبْحِ سَاطِعُ
أَرَانَا ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ ٱلْعَمَىٰ فَقُلُوبُنَا بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ
يَبِيتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا ٱسْتَثْقَلَتْ بِٱلْمُشْرِكِينَ ٱلْمَضَاجِعُ

فذكرَ ذلكَ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فضحكَ حتىٰ بدتْ نواجذُهُ[3] .

(١) أخرجه الدارمي في « الرد على الجهمية » (٨٢) .

(٢) قوله : (مرموق) كذا في الأصل ، وفي (ب) : (يرموق) ، وفي « أخبار الأذكياء » : (مشهور) ، وفي بعض المصادر : (معروف) .

(٣) أخبار الأذكياء (ص٥٧) .

فنقولُ للفقيهِ الفروعيِّ : حديثُكَ مقطوعٌ لا يُرجَعُ إليهِ ، ونقولُ للمُسنِدِ المُحدِّثِ : متابعتُكَ للجماعةِ المُحدِّثينَ أَولىٰ مِن انفرادِكَ بهـٰذا السردِ .

ولا يُقالُ : يُحمَلُ الأمرُ في ذلكَ علىٰ واقعتينِ ؛ لأنَّ الغالبَ أنَّ الحيلةَ إذا ظهرَتْ واشتَهرَتْ لا تخفىٰ عنِ امرأةِ عبدِ اللهِ بنِ رواحةَ ، فلا تقنعُ منهُ في المرةِ الثانيةِ بما يقولُ لها مِنَ الأبياتِ ، كيفَ وقد أخبرَ بها رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بمَحضَرٍ مِنْ أصحابِهِ ، وضحكَ مُتعجِّباً منها ؟! فالغالبُ ظهورُها ، فلا تقنعُ امرأتُهُ بهـٰذا منهُ مرةً أخرىٰ[1] .

[حكمُ الحديثِ الواردِ فيهِ : أنَّ الربَّ استلقىٰ ووضعَ إحدىٰ رجليهِ على الأخرىٰ]

ومنها : حديثٌ رواهُ الحافظُ أبو عبدِ اللهِ الحاكمُ : حدَّثَنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ ، أخبرَنا محمدُ بنُ إسحاقَ الصغانيُّ ، أخبرَنا إبراهيمُ بنُ المنذرِ الحزاميُّ ، أخبرَنا محمدُ بنُ فُليحٍ ، عن أبيهِ ، عن سعيدِ بنِ الحارثِ ، عن عُبيدِ بنِ حُنينٍ قالَ : بينا أنا جالسٌ إذْ جاءَ قتادةُ بنُ النعمانِ ، فجلسَ فتحدَّثَ ، فثابَ إليهِ ناسٌ ، ثمَّ قالَ : انطلقْ بنا إلىٰ أبي سعيدٍ الخدريِّ ، فوجدْناهُ مُستلقياً واضعاً رجلَهُ اليمنىٰ على اليسرىٰ ، فرفعَ قتادةُ يدَهُ إلىٰ رجلِ أبي سعيدٍ ، فقرصَها قرصةً شديدةً ، فقالَ أبو سعيدٍ : سبحانَ اللهِ !! يا بنَ آدمَ أوجعتَني !! قالَ : ذاكَ أردتُ ، إنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِنَّ ٱللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا قَضَىٰ خَلْقَهُ ٱسْتَلْقَىٰ ، ثُمَّ وَضَعَ إِحْدَىٰ رِجْلَيْهِ عَلَى ٱلأُخْرَىٰ ، ثُمَّ قَالَ : لا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِي أَنْ يَفْعَلَ هَـٰذَا » .

(١) وانظر ما علقه العلامة الكوثري على « السيف الصقيل » (ص١٤٣-١٤٤) حول هذه القصة .

قالَ البيهقيُّ رضيَ اللهُ عنهُ بعدَ أنْ أوردَهُ عنِ الحافظِ أبي عبدِ اللهِ الحاكمِ بهٰذا السندِ : (هٰذا حديثٌ منكرٌ ، ولم أكتبْهُ إلا مِنْ هٰذا الوجهِ ، وفُليحُ بنُ سليمانَ معَ كونِهِ مِنْ شرطِ البخاريِّ ومسلمٍ فلم يُخرِّجا حديثَهُ هٰذا في الصحيحِ ، وهوَ عندَ بعضِ الحفَّاظِ غيرُ مُحتجٍّ بهِ)[1] .

قالَ العباسُ بنُ محمدٍ : (سمعتُ يحيى بنَ معينٍ يقولُ : فليحٌ ضعيفٌ)[2] .

قالَ البيهقيُّ : (وبلغَني عن أبي عبدِ الرحمٰنِ النسائيِّ أنَّهُ قالَ : فُليحُ بنُ سليمانَ ليسَ بالقويِّ)[3] .

قالَ البيهقيُّ : (وإذا كانَ فُليحُ بنُ سليمانَ المريُّ مُختلَفاً في جوازِ الاحتجاجِ بهِ عندَ الحفاظِ . . لم يثبتْ بروايتِهِ مثلُ هٰذا الأمرِ العظيمِ .

وفيهِ علةٌ أخرىٰ ؛ وهيَ : أنَّ قتادةَ بنَ النعمانِ ماتَ في خلافةِ عمرَ بنِ الخطابِ ، وصلَّىٰ عليهِ عمرُ بنُ الخطابِ ، وعُبيدُ بنُ حُنينٍ ماتَ سنةَ خمسٍ ومئةٍ ولهُ خمسٌ وسبعونَ سنةً في قولِ الواقديِّ وابنِ بكيرٍ ، فتكونُ روايتُهُ عن قتادةَ بنِ النعمانِ منقطعةً ، وقولُ الراوي : « فانطلقْنا حتىٰ دخلْنا علىٰ أبي سعيدٍ » لا يرجعُ إلىٰ عبيدِ بنِ حنينٍ ، وإنَّما يرجعُ إلىٰ مَنْ أرسلَهُ عنهُ ، ونحنُ لا نعرفُهُ ، ولا نقبلُ المراسيلَ في الأحكامِ ، فكيفَ في هٰذا الأمرِ العظيمِ ؟!

ثمَّ إنْ صحَّ واتَّصلَ مِنْ وجهٍ آخرَ فيحتملُ أنْ يكونَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ حكاهُ عن بعضِ أهلِ الكتابِ مُنكِراً عليهِم ، فلم يفهمْ عبيدُ بنُ حنينٍ عن قتادةَ بنِ النعمانِ إنكارَهُ)[4] ، واللهُ أعلمُ .

(١) الأسماء والصفات (ص٣٣٤) .

(٢) انظر « الأسماء والصفات » (ص٣٣٤) .

(٣) الأسماء والصفات (ص٣٣٤) ، وانظر « الضعفاء والمتروكون » للنسائي (٤٨٦) .

(٤) الأسماء والصفات (ص٣٣٥) .

[حكمُ حديثِ : « لا شخصَ أغيرُ مِنَ اللهِ »]

ومنها : حديثُ : « لا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ ٱللهِ ، وَلا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ ٱلْعُذْرُ مِنَ ٱللهِ ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ ٱلْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ، وَلا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ ٱلْمِدْحَةُ مِنَ ٱللهِ ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ بِٱلْجَنَّةِ »[1] .

قالَ البيهقيُّ : (قالَ أبو سليمانَ الخطابيُّ فيما بلغَني عنهُ : إطلاقُ « الشخصِ » في صفةِ اللهِ تعالىٰ غيرُ جائزٍ ؛ وذلكَ لأنَّ الشخصَ لا يكونُ إلا جسماً مُؤلَّفاً ، وإنَّ ما يُسمَّىٰ شخصاً لما كانَ لهُ شخوصٌ وارتفاعٌ ، ومثلُ هٰذا النعتِ مُنتفٍ عنِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وخليقٌ ألا تكونَ هٰذهِ اللفظةُ صحيحةً ، وأنْ تكونَ تصحيفاً مِنَ الراوي ، فمَنْ لم يُنعمِ الاستماعَ لم يأمنِ الوهمَ) .

قالَ : (وليسَ كلُّ الرواةِ يراعونَ لفظَ الحديثِ حتىٰ لا يتعدَّوهُ ، بل كثيرٌ منهُم يُحدِّثُ على المعنىٰ ، وليسَ كلُّهُم بفقيهٍ ، وقد قالَ بعضُ السلفِ في كلامٍ لهُ : « نعمَ المرءُ ربُّنا ، لو أطعناهُ ما عصانا » ، ولفظُ « المرءِ » إنَّما يُطلَقُ في الذكورِ مِنَ الآدميينَ ، وقائلُ هٰذهِ الكلمةِ لم يقصدْ بها المعنى الذي لا يليقُ بصفاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، ولٰكنَّهُ أرسلَ الكلامَ علىٰ عادتِهِ في بديهةِ الطبعِ مِنْ غيرِ تدبُّرٍ ولا تنزيلٍ لهُ على المعنى الأخصِّ بهِ ، وحريٌّ أنْ يكونَ لفظُ « الشخصِ » إنَّما جرىٰ مِنَ الراوي علىٰ سبيلِ هٰذا ، إنْ لم يكنْ ذٰلكَ مِنْ قِبَلِ التصحيفِ)[2] ، واللهُ أعلمُ .

* * *

(١) أخرجه البخاري (٧٤١٦) ، ومسلم (١٤٩٩) واللفظ له عن سيدنا المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .

(٢) الأسماء والصفات (ص٢٧٥) ، وفي (ب) : (من قبيل) بدل (من قبل) .

فصل

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا فصل أذكر فيه أحاديث أوردها الدارقطني في كتاب «الرؤيا والصفات»

فمنها : حديثُ أنسٍ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ وَفِي كَفِّهِ كَٱلْمِرْآةِ ٱلْبَيْضَاءِ » وأوردَهُ مُطوَّلاً ، وفيهِ : « هَبَطَ مِنْ عِلِّيِّينَ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ » ، وفي آخرِهِ : « ثُمَّ يَرْتَفِعُ عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ »[1] .

وفي بعضِ طرقِهِ : « فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتِهِ : ٱرْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ » ، وفيهِ مِنْ كلامِ أهلِ الجنةِ : « وَأَسْمَعْتَنَا لَذَاذَةَ مَنْطِقِكَ » ، وفيها : « فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتِهِ » ، وفيها : « وَأَسْمَعْتُكُمْ لَذَاذَةَ مَنْطِقِي »[2] .

أوردَ هٰذا الحديثَ مِنْ خمسِ طرقٍ لا يثبتُ منها شيءٌ[3] :

أمَّا الأولىٰ : فهيَ عن أنسٍ ، وطريقُها فيها سلامُ بنُ سليمانَ بنِ سوارٍ أبو العباسِ ـ وقيلَ : أبو المنذرِ ـ المدائنيُّ الدمشقيُّ ، حدَّثَ عن شعبةَ وغيرِهِ ، قالَ ابنُ عديٍّ : (منكرُ الحديثِ) ، وقالَ أبو حاتمٍ الرازيُّ : (ليسَ بالقويِّ) ، وقالَ ابنُ عديٍّ : (عامَّةُ ما يرويهِ لا يُتابَعُ عليهِ)[4] .

(١) رؤية الله (٥٩) .

(٢) رؤية الله (٦٤) .

(٣) انظر « رؤية الله » (٥٩ـ٦٥) ، وكل ما سيحال إليه فيما سيأتي هو ضمن هٰذه الأرقام .

(٤) النقل من « الضعفاء والمتروكون » لابن الجوزي (١٤٦٠) ، وانظر « الكامل » (٢/ ٣٢٣ ، ٣٢٨) ، و« الجرح والتعديل » (٤/ ٢٥٩) .

وهوَ قد ذكرَ في هـٰذهِ الطريقِ الأولىٰ : أنَّ لفـظَ أبي صالحٍ تفرَّدَ بهِ سلامٌ[1] .

وفيها : ليثٌ ، دلَّسَ بهِ ، ولم يقلْ : ابنُ أبي سليمٍ ، وهـٰذا ليثُ بنُ أبي سليمِ بنِ زُنَيمٍ الليثيُّ الكوفيُّ ، واسمُ أبي سليمٍ : أنسٌ ، يروي عنِ التابعينَ ، ضعَّفَهُ ابنُ عيينةَ والنسائيُّ ، قالَ أحمدُ : (مُضطَرِبُ الحديثِ ، ولـٰكنْ قد حدَّثَ عنهُ الناسُ ، وقالَ السعديُّ بضعفِ حديثِهِ) ، وقالَ أبو حاتمٍ الرازيُّ وأبو زرعةَ : (لا يُشتغَلُ بهِ ، هوَ مضطربُ الحديثِ) ، وقالَ ابنُ حبانَ : (اختلطَ في آخرِ عمرِهِ ، فكانَ يقلبُ الأسانيدَ ، ويرفعُ المراسيلَ ، ويأتي عنِ الثقاتِ بما ليسَ مِنْ حديثِهِم ، تركَهُ يحيى القطانُ ويحيى بنُ معينٍ وابنُ مهديٍّ وأحمدُ)[2] .

وفيها أيضاً : عثمانُ بنُ عميرٍ أبو اليقظانِ ، دلَّسَ بهِ ، فقالَ : (عن عثمانَ بنِ أبي حميدٍ) ، وعميرٌ هوَ أبو حميدٍ ، وغيرُهُ يُدلِّسُ بهِ أبو زرعةَ ، وسيأتي الكلامُ عليهِ في الطريقِ الثانيةِ .

الطريقُ الثانيةُ مِنْ حديثِ أنسٍ واهيةٌ لوجهينِ :

الأولُ : أنَّهُ ذكرَ عاصماً عن عثمانَ بنِ عميرٍ الذي يروي عنهُ موسى بنُ سفيانَ بنِ زيادٍ السكريُّ ، ولم يُبيِّنْهُ ولم يُعرِّفْهُ ؛ فإنَّ هـٰذا الاسمَ قد شاركَ الأقوياءَ فيهِ جماعةٌ مِنَ الضعفاءِ وهوَ ، فلم يُعرِّفْهُ لا بنسبِهِ ولا بقبيلتِهِ ، فهوَ بينَ مجهولٍ أو ضعيفٍ ، ونحنُ لا نثبتُ الحديثَ إلا بعدَ معرفةِ راويهِ .

(١) رؤية الله (ص١٧٣) تحت رقم : (٥٩) .

(٢) النقل من « الضعفاء والمتروكون » لابن الجوزي (٢٨١٥) ، وانظر « الضعفاء والمتروكون » للنسائي (٥١١) ، و« الجرح والتعديل » (٧/ ١٧٨ـ ١٧٩) ، و« المجروحين » (٢/ ٢٣١) .

الوجهُ الثاني : أنَّ فيهِ عثمانَ بنَ عميرٍ أبا اليقظانِ ، وهوَ كوفيٌّ ، وهوَ الذي يُقالُ لهُ : عثمانُ بنُ أبي حميدٍ ، ويُقالُ : عثمانُ بنُ أبي زرعةَ ، وعثمانُ بنُ عميرٍ ، [ويُقالُ] : قيسٌ ، وعثمانُ أبو اليقظانِ ، وأعشى ثقيفٍ . . كلُّهُم واحدٌ يروي عن أنسٍ وأبي الطفيلِ ، قالَ أحمدُ رضيَ اللهُ عنهُ : (عثمانُ بنُ عميرٍ ـ ويُقالُ : عثمانُ بنُ قيسٍ ـ ضعيفُ الحديثِ) ، وقالَ يحيى بنُ معينٍ : (حديثُهُ ليسَ بشيءٍ) ، وقالَ النسائيُّ : (ليسَ بالقويِّ) ، وقالَ الدارقطنيُّ : (ضعيفٌ) ، وقالَ ابنُ حبانَ : (اختلطَ حتى لا يدري ما يقولُ ، لا يجوزُ الاحتجاجُ بهِ)[1] .

وأمَّا الطريقُ الثالثةُ والرابعةُ : فمُستنِدةٌ إلى عثمانَ بنِ عميرٍ المذكورِ ، فحكمُهما حكمُها ، **والطريقُ الرابعةُ** فيها ليثُ بنُ أبي سليمٍ ، وقد تقدَّمَ الكلامُ عليهِ في الطريقِ الأولى ، **وفي الطريقِ الثالثةِ** عنبسةُ بنُ سعيدٍ ؛ وهوَ عنبسةُ بنُ سعيدِ بنِ غنيمٍ الكَلاعيُّ ، قالَ أبو زرعةَ : (أحاديثُهُ منكرةٌ)[2] .

وأمَّا الطريقُ الخامسةُ : ففيها محمدُ بنُ سعيدٍ القرشيُّ ، ودلَّسَ بهِ ولم يقلْ جَدَّهُ ، وجدُّهُ زيادٌ الأثرمُ ، وهوَ المعروفُ [بالكُريزيِّ] ، قالَ أبو حاتمٍ الرازيُّ : (هوَ منكرُ الحديثِ ، مضطربُ الحديثِ ، ضعيفٌ) ، وقالَ أبو زرعةَ : (ضعيفٌ ، وليسَ بشيءٍ)[3] .

(١) الكلام منقول من كتاب « الضعفاء والمتروكون » لابن الجوزي (٢٢٨٠) ، وانظر « الضعفاء والمتروكون » للنسائي (٤١٧) ، و« الضعفاء والمتروكون » للدارقطني (٤٠٣) ، و« المجروحين » (٢/ ٩٥) .

(٢) انظر « الضعفاء والمتروكون » لابن الجوزي (٢٦١٦) ، و« الضعفاء » لأبي زرعة (١٧١) ، و« الجرح والتعديل » (٦/ ٤٠٠) .

(٣) الكلام منقول من كتاب « الضعفاء والمتروكون » (٣٠١١) ، وانظر « الجرح والتعديل » (٧/ ٢٦٥) .

فلا نحكمُ بصحةِ هٰذا الحديثِ ؛ لما بيَّنَّاهُ في طرقِهِ مِنْ ضَعفٍ ، ولا نحتاجُ إلىٰ تأويلِهِ ، بل نسقطُهُ مِنَ الأصلِ ، واللهُ أعلمُ .

قلتُ : وقد أوردَهُ مِنْ طريقٍ سادسةٍ : رواها عن عمرَ مولىٰ غفرةَ أختِ بلالِ بنِ رباحٍ ، يروي عن أنسٍ وهشامِ بنِ عروةَ ، قالَ يحيىٰ والنسائيُّ : (ضعيفٌ) ، وقالَ ابنُ حبانَ : (يقلبُ الأخبارَ ، ولا يُحتَجُّ بهِ)[1] .

قلتُ : وقدِ استوعبَ الحافظُ أبو الحسنِ عليُّ بنُ المفضلِ المقدسيُّ رضيَ اللهُ عنهُ الكلامَ على الطريقِ الخامسةِ في كتابِ « الأصواتِ » .

ومنها : حديثٌ أوردَهُ عن جماعةٍ مِنَ الصحابةِ بأسانيدَ مُتعدِّدةٍ ينتهي إلىٰ كلٍّ صحابيٍّ ، وهوَ عن معاذِ بنِ جبلٍ قالَ : (أبطأَ عنَّا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في صلاةِ الفجرِ حتىٰ كادَتِ الشمسُ أنْ تطلعَ ، ثمَّ خرجَ وأُقيمَتِ الصلاةُ . . .) وسردَ الحديثَ ، ثمَّ قالَ فيهِ : « إِنِّي قُمْتُ مِنَ ٱللَّيْلِ فَتَوَضَّأْتُ ، ثُمَّ صَلَّيْتُ مَا قَضَى ٱللهُ لِي ، وَإِنِّي رَأَيْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فِي مَنَامِي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، فَقَالَ لِي : فِيمَ يَخْتَصِمُ ٱلْمَلأُ ٱلأَعْلَىٰ ؟ قُلْتُ : لا أَدْرِي ، فَوَضَعَ كَفَّهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ ، فَوَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ . . . » وسردَ الحديثَ[2] .

أوردَ هٰذا الحديثَ مِنْ عدَّةِ طرقٍ عن معاذٍ[3] ، ومِنْ عدَّةِ طرقٍ عنِ ابنِ عائشٍ[4] ، ومِنْ عدَّةِ طرقٍ عن عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ[5] ، وعن أنسِ بنِ مالكٍ[6] ،

(١) انظر « الضعفاء والمتروكون » (٢٤٧٨) ، و« المجروحين » (٢/ ٨١) .
(٢) رؤية الله (٢٢٧) .
(٣) رؤية الله (٢٢٧ـ٢٣٢) .
(٤) رؤية الله (٢٣٣ـ٢٤٠) .
(٥) رؤية الله (٢٤١ـ٢٤٣ ، ٢٤٦) .
(٦) رؤية الله (٢٤٧) .

وعن أبي أمامةَ[1] ، وعن ثوبانَ[2] ، وعن أبي هريرةَ[3] ، وهيَ إذا تأمَّلتَها لم يُعجبْكَ شيءٌ مِنْ طرقِها .

أمَّا طُرُقُ ابنِ عائشٍ : فمدارُها علىٰ عبدِ الرحمٰنِ بنِ يزيدَ بنِ جابرٍ ، وهوَ الذي يروي عنهُ الوليدُ بنُ مسلمٍ ؛ وهوَ عبدُ الرحمٰنِ بنُ يزيدَ بنِ تميمٍ الشاميُّ الدمشقيُّ ، يروي عنِ الزهريِّ ، روىٰ عنهُ الوليدُ بنُ مسلمٍ وقالَ : (هوَ كذابٌ) ، قال أحمدُ : (قلبَ أحاديثَ شهرِ بنِ حوشبٍ ، فصيَّرَها حديثَ الزهريِّ) ، وجعلَ يُضعِّفُهُ ، قالَ عليُّ بنُ الجنيدِ : (ضعيفٌ) ، وقالَ البخاريُّ : (منكرُ الحديثِ) ، قالَ : (ويُقالُ : هوَ الذي روىٰ عنهُ أهلُ الكوفةِ ، فقالوا : عبدُ الرحمٰنِ بنُ يزيدَ بنِ جابرٍ)[4] .

وأمَّا طرقُ ابنِ عباسٍ : ففيها قتادةُ يعنعنُهُ ، وقالَ أبو عبدِ اللهِ الحاكمُ : (قالَ سليمانُ الشاذكونيُّ : مَنْ أرادَ التدينَ بالحديثِ فلا يأخذْ عنِ الأعمشِ ولا عن قتادةَ إلا ما قالا : « سمعْنا »)[5] ، وطرقُ ابنِ عباسٍ في هٰذا الحديثِ مدارُها علىٰ قتادةَ معنعنةً ، وبعضُها عن أبي قلابةَ مرسلاً .

وأمَّا طريقُ أنسِ بنِ مالكٍ : ففيها يوسفُ بنُ عطيةَ الصفارُ الباهليُّ البصريُّ ، وهوَ أبو سهلٍ السعديُّ ، يروي عن قتادةَ وثابتٍ ، قالَ يحيىٰ : (ليسَ بشيءٍ) ، وقالَ السعديُّ : (لا يُحمَدُ حديثُهُ) ، وقالَ النسائيُّ : (متروكُ الحديثِ) ، وقالَ [عمرُو] بنُ عليٍّ : (كثيرُ الوهمِ والخطأِ ،

(١) رؤية الله (٢٤٨ـ٢٥٠) .

(٢) رؤية الله (٢٥٣ـ٢٥٦) .

(٣) رؤية الله (٢٥٧) .

(٤) الكلام منقول من كتاب « الضعفاء والمتروكون » لابن الجوزي (١٩١٠) ، وانظر « التاريخ الكبير » (٥/ ٣٦٥) ، و« الجرح والتعديل » (٥/ ٣٠٠) .

(٥) معرفة علوم الحديث (ص١٠٧) .

وما علمتُهُ كانَ يكذبُ) ، وقالَ أبو زرعةَ والدارقطنيُّ : (ضعيفُ الحديثِ) ، وقالَ ابنُ حبانَ : (يقلبُ الأخبارَ ، ويلزقُ المتونَ الموضوعةَ بالأسانيدِ الصحيحةِ ، لا يجوزُ الاحتجاجُ بهِ)[1] .

وأمَّا طرقُ أبي أمامةَ : فمدارُها على ليثِ بنِ أبي سليمٍ ، وقد تقدَّمَ الكلامُ عليهِ في حديثِ الدارقطنيِّ الذي قبلَهُ .

وأمَّا طريقُ عمرانَ بنِ حصينٍ[2] : فلم يُذكَرْ فيها زيادةُ : « فَوَضَعَ كَفَّهُ » ، **وكذلكَ طريقُ عبدِ اللهِ بنِ عمرَ**[3] .

وأمَّا طريقُ ثوبانَ : فمدارُها على معاويةَ بنِ صالحٍ ، قالَ ابنُ الجوزيِّ : (كانَ يحيى بنُ سعيدٍ لا يرضاهُ ، وقال الرازيُّ : لا يُحتجُّ بهِ ، وقالَ الأزديُّ : ضعيفٌ)[4] .

وأمَّا إسنادُ أبي هريرةَ : ففيهِ سفيانُ بنُ وكيعِ بنِ الجرَّاحِ ، يروي عن أبيهِ ، قالَ البخاريُّ : (يتكلَّمونَ فيهِ) ، وقالَ أبو زرعةَ : (لا يُشتغَلُ بهِ ، قيلَ لهُ : أكانَ يُتَّهمُ بالكذبِ ؟ فقالَ : نعم) ، وقالَ ابنُ عديٍّ : (كانَ إذا لُقِّنَ تلقَّنَ) ، وقالَ النسائيُّ : (ليسَ بشيءٍ) ، وقالَ ابنُ حبانَ : (قيلَ لهُ في أشياءَ لُقِّنَها فلم يرجعْ عنها ، فاستحقَّ التركَ لإصرارِهِ)[5] .

(١) الكلام من « الضعفاء والمتروكون » (٣٨٥٤) ، وانظر « الضعفاء والمتروكون » للدارقطني (٥٩٩) ، و« الضعفاء » لأبي زرعة (٣٧٣) ، و« المجروحين » (٣/ ١٣٤) ، و« الجرح والتعديل » (٩/ ٢٢٦ـ٢٢٧) .

(٢) رؤية الله (٢٥١) .

(٣) رؤية الله (٢٥٢) .

(٤) الضعفاء والمتروكون (٣٣٥٥) ، وانظر « الجرح والتعديل » (٨/ ٣٨٢ـ٣٨٣) .

(٥) الكلام من « الضعفاء والمتروكون » (١٤٥٢) ، وانظر « التاريخ الأوسط » (٢/ ٣٨٥) ، و« الضعفاء » لأبي زرعة (٢/ ٤٠٤) ، و« الكامل » (٤/ ٤٨٢) ، و« الضعفاء والمتروكون » للنسائي (٢٨٩) ، و« المجروحين » (١/ ٣٥٩) .

ومنها : حديثٌ أوردَهُ مِنْ طريقينِ عن قتادةَ ، عن عكرمةَ عنِ ابنِ عباسٍ[1] .

ولم يمكنْ أنْ أذكرَ اللفظَ ؛ لما فيهِ مِنْ سوءِ الإطلاقِ الذي لا يحسنُ أنْ يُطلِقَهُ بعضُ الآدميينَ علىٰ بعضٍ ، فأنا أُجِلُّ سيدَنا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنْ يُطلِقَ هـٰذا اللفظَ ، وأُجِلُّ ابنَ عباسٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنْ يأثرَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ما لا يمكنُ أنْ يقولَهُ ممَّا يأباهُ التعظيمُ ، وكذلكَ قتادةُ ، وكلُّ الرواةِ كذلكَ ، وأُجِلُّ الدارقطنيَّ أنْ يرويَ مثلَ هـٰذا علىٰ تمكُّنِهِ في العلمِ ورسوخِهِ فيهِ ، وتعظيمِهِ للهِ ولرسولِهِ .

ولا نقولُ هنا : إنَّ هـٰذا ممَّا عنعنَهُ قتادةُ ، بل نقولُ : هـٰذا لا يصحُّ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وكيفَ يصحُّ وقد روىٰ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ حديثٍ طويلٍ : « أَرَانِي ٱللَّيْلَةَ عِنْدَ ٱلْكَعْبَةِ فِي ٱلْمَنَامِ » ، وذكرَ صفةَ المسيحِ ابنِ مريمَ علىٰ نبيِّنا وعليهِ السلامُ ، ثمَّ ذكرَ صفةَ الدجالِ ؛ فقالَ : « وَرَأَيْتُ وَرَاءَهُ رَجُلاً جَعْداً قَطَطاً ، أَعْوَرَ عَيْنِ ٱلْيُمْنَىٰ . . . » وسردَ الحديثَ ، وفي آخرِهِ : « فَقُلْتُ : مَنْ هَـٰذَا ؟ فَقِيلَ : ٱلْمَسِيحُ ٱلدَّجَّالُ »[2] .

فمعاذَ اللهِ أنْ يرىٰ ربَّهُ في اليقظةِ أو في المنامِ علىٰ صورةٍ أصلاً ورأساً !!

(١) لم أجد هـٰذين الطريقين في مطبوع « رؤية الله » ، وانظر « الأسماء والصفات » (٤١٠ـ ٤١١) ، وما سيأتي عن المؤلف بعد قليل ، وفي هامش (أ، ب) : (هـٰذا الحديثُ في إيراده عن قتادةَ عن عكرمةَ نظرٌ ؛ فإن الحافظ ابن عساكرَ روىٰ عن أبي القاسم ـ يعني : ابنَ السمرقندي ـ بسنده إلىٰ قتادة قال : «ما حفظتُ عن عكرمة إلا بيتَ شعرٍ » ، فهـٰذا دليلٌ علىٰ أنه لم يرضَ رواية الحديث عن عكرمة) ، وانظر « تاريخ دمشق » (٤١/ ١١٧) .

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٤٠) ، ومسلم (١٦٩/ ٢٧٤) .

فكيفَ علىٰ صورةٍ قد ذُكِرَ مثلُها أو أكثرُها عنِ المسيحِ الدجَّالِ ؟! تعالى اللهُ عن ذلكَ ، وحاشا سيدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ ذكرِهِ ، وحاشا العلماءِ والصحابةِ والتابعينَ مِنْ نقلِهِ .

وإنَّما هٰذا سندٌ رُكِّبَ علىٰ متنٍ ودُسَّ في كتابِ الدارقطنيِّ ، **والدليلُ علىٰ ذلكَ** : أنَّهُ في آخرِ الجزءِ ، فلعلَّ بعضَ النسَّاخِ تركَ في الجزءِ بياضاً يسعُ هٰذا الخبرَ ، فألحقَهُ بهِ بعضُ الزنادقةِ ، أو مَنْ يعتقدُ التجسيمَ ويُصرِّحُ بهِ ممَّنْ ليسَ لهُ خلاقٌ ، فلمَّا نُقِلَتْ إلىٰ نسخةٍ أخرىٰ وُجِدَتْ علىٰ هٰذهِ الصورةِ ، فنُقِلَتْ وقُوبلَتْ ثمَّ سُمِعَتْ .

والغالبُ مِنْ شيوخِ الروايةِ : عدمُ الحفظِ ، وليسَ لهُم نقدُ شيوخِ الدرايةِ ، خصوصاً المتأخرينَ الذينَ يروونَ الكتبَ المدونةَ ، فسُمِعَتْ عليهِمُ النسخةُ ، ثمَّ نُقِلَتِ النسخُ مِنْ تلكَ النسخةِ ، فاطَّلعَ عليها شيوخُ الدرايةِ ، فلم يكنْ لهم فيها حيلةٌ ؛ إذ هيَ مِنَ الأصلِ في الظاهرِ ، ومسموعةٌ على الرواةِ ، فلم يكنْ لهم تغييرُها ، فبقيَتْ علىٰ هٰذهِ الصورةِ .

ويبقىٰ مَنْ يعتقدُ الاعتقادَ الفاسدَ ، فيستطيلُ ويقولُ : هٰذا مرويٌّ وذكرَهُ الدارقطنيُّ ، وأقسمُ باللهِ أنَّ الدارقطنيَّ بريءٌ مِنْ ذلكَ .

وهٰذا مِنَ القسمِ الذي خالفَ فيهِ النقلُ العقلَ مِنْ كلِّ وجوهِهِ ، فلا يُشتغَلُ برواتِهِ ، بل يُقطَعُ بعدمِ صحتِهِ .

وبتقديرِ أنْ نتتبَّعَ رواتَهُ : فمدارُهُ علىٰ عكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ ، وقد قالَ ابنُ عمرَ لنافعٍ : (لا تكذبْ عليَّ كما كذبَ عكرمةُ على ابنِ عباسٍ)[1] ، وكذلكَ

(١) أخرجه ابن أبي خيثمة في « التاريخ الكبير » (٢٣٦٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠٨/٤١) .

قالَ سعيدُ بنُ المسيبِ لمولاهُ بردٍ[1] ، وقد كذَّبَهُ مجاهدٌ وابنُ سيرينَ ويحيى بنُ سعيدٍ ومالكُ بنُ أنسٍ[2] .

ومنها : حديثٌ أوردَهُ عن عبدِ اللهِ بنِ أبي سلمةَ قالَ : بعثَ عبدُ اللهِ بنُ عمرَ إلىٰ عبدِ اللهِ بنِ عباسٍ يسألُهُ : هل رأىٰ محمدٌ ربَّهُ ؟ فبعثَ إليهِ : أنْ نعم ، فردَّ رسولَهُ إليهِ : كيفَ رآهُ . . . ، وسردَ حديثاً يُشبِهُ الذي يليهِ[3] .

قلتُ : هـٰذا لا يصحُّ عنِ ابنِ عباسٍ ؛ لوجوهٍ :

الأولُ : أنَّ عبدَ اللهِ بنَ عمرَ مِنْ علماءِ الصحابةِ كما قدَّمْنا ، وهوَ لا يسألُ عنِ الرؤيةِ بـ (كيفَ) .

الثاني : أنَّ في سندِهِ أحمدَ بنَ عبدِ الجبارِ العطارديَّ ، وقد قالَ أبو عبدِ اللهِ الحاكمُ في « علومِ الحديثِ »[4] : (**النوعُ الحادي والخمسونَ مِنْ علومِ الحديثِ** : هـٰذا النوعُ معرفةُ جماعةٍ مِنَ الرواةِ مِنَ الصحابةِ والتابعينَ لم يُحتجَّ بحديثِهِم في الصحيحِ ولم يُسقَطوا) ، وذكرَ طبقاتِهِم ، ثمَّ قالَ : (**ومثالُ ذلكَ في الطبقةِ السادسةِ مِنَ المحدثينَ** : أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ العُطارديُّ) ، وعدَّ معَهُ جماعةً ، ثمَّ قالَ : (فجميعُ مَنْ ذكرْنا في هـٰذا الموضعِ بعدَ الصحابةِ والتابعينَ قومٌ قدِ اشتَهرُوا بالروايةِ ، ولم يُعَدُّوا في طبقةِ [الأثباتِ المتقنينَ الحفَّاظِ])[5] .

قالَ ابنُ الجوزيِّ : (**أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ أبو عمرَ العُطارديُّ الكوفيُّ** :

(١) أخرجه ابن أبي خيثمة في « التاريخ الكبير » (٢٣٦٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١/١٠٩) .

(٢) انظر « الضعفاء والمتروكون » لابن الجوزي (٢٣٣٤) .

(٣) انظر « الأسماء والصفات » (ص٤٠٩) ، و« العلل المتناهية » (١/٢٤) .

(٤) زاد في (أ ، ب) : (فقال) ، ولا داعي لها .

(٥) معرفة علوم الحديث (ص٢٥٤ ، ٢٥٦) ، وما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) .

يروي عن أبي بكرِ بنِ عيَّاشٍ ، قالَ ابنُ عديٍّ : رأيتُ أهلَ العراقِ مُجمِعينَ علىٰ ضَعفِهِ ؛ لأنَّهُ حدَّثَ عمَّنْ لم يلقَهُ ، وقالَ أبو حاتمٍ الرازيُّ : ليسَ بالقويِّ)[1] .

قلتُ : وبتقديرِ ألا يكونَ في العُطارديِّ كلامٌ : فالحديثُ أيضاً لا يُحتَجُّ بهِ ؛ فإنَّهُ صحابيٌّ بعثَ إلىٰ صحابيٍّ رسولاً لا يُعرَفُ مَنْ هوَ ؛ فهوَ بينَ أنْ يكونَ عبدُ اللهِ بنُ أبي سلمةَ رواهُ عن مجهولٍ ، أوِ الرسولُ معروفٌ ، فيكونُ موقوفاً على ابنِ عباسٍ .

ومنها : حديثٌ رواهُ عنِ الحسنِ بنِ رَشيقٍ بسندِهِ إلىٰ أنسِ بنِ مالكٍ : أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « رَأَيْتُ رَبِّي فِي مَنَامِي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ . . . » وسردَ الحديثَ[2] ، وهٰذا أيضاً لا يُحتَجُّ بهِ ؛ لوجوهٍ :

الأولُ : أنَّ فيهِ الحسنَ بنَ رَشيقٍ ، قالَ ابنُ الجوزيِّ : (تكلَّمَ فيهِ عبدُ الغنيِّ الحافظُ ، وأنكرَ عليهِ الدارقطنيُّ أنَّهُ كانَ يقبلُ ممَّنْ يقولُ لهُ الشيءَ فيُغيِّرُ كتابَهُ)[3] .

الثاني : أنَّ فيهِ عبدَ الرحمٰنِ بنَ خالدِ بنِ نَجيحٍ عن أبيهِ خالدٍ ، وخالدٌ هٰذا : هوَ المصريُّ ، قالَ أبو حاتمٍ الرازيُّ : (كذابٌ ، يفتعلُ الأحاديثَ ويضعُها في كتبِ ابنِ أبي مريمَ وكاتبِ الليثِ ، والأحاديثُ التي أُنكِرَتْ علىٰ كاتبِ الليثِ يُتوهَّمُ أنَّها مِنْ فعلِهِ)[4] .

(١) الضعفاء والمتروكون (١٩٥) ، وانظر « الكامل » (١/ ٣١٣ـ٣١٤) ، و« الجرح والتعديل » (٢/ ٦٢) .

(٢) رؤية الله (٢٨٥) .

(٣) الضعفاء والمتروكون (٨١٩) .

(٤) الجرح والتعديل (٣/ ٣٥٥) ، وفيه : (وأبي صالح) بدل (وكاتب الليث) ، وأبو صالح : هو كاتب الليث .

الثالثُ : أنَّ في سندِهِ إسحاقَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ أبي فروةَ ، **واسمُ أبي فروةَ** : كيسانُ ، أبو سليمانَ المدينيُّ مولىً لآلِ عثمانَ ، يروي عنِ الزهريِّ وزيدِ بنِ أسلمَ وابنِ المنكدرِ ، قالَ أحمدُ : (لا يَحِلُّ عندي الروايةُ عنهُ) ، وقالَ عليٌّ : (هوَ منكرُ الحديثِ) ، وقالَ يحيىٰ : (ليسَ بشيءٍ) ، وقالَ البخاريُّ : (تركوهُ) ، وقالَ الفلَّاسُ والنسائيُّ وعليُّ بنُ الجنيدِ والدارقطنيُّ : (متروكُ الحديثِ)[1] .

قلتُ : وذكرَ الشيخُ زكيُّ الدينِ عبدُ العظيمِ رحمَهُ اللهُ في « حواشيهِ علىٰ كتابِ ابنِ الجوزيِّ » : (قالَ محمدُ بنُ سعدٍ في [إسحاقَ بنِ عبدِ اللهِ أيضاً : كانَ إسحاقُ ـ يعني : ابنَ عبدِ اللهِ بنِ أبي فروةَ][2] ـ كثيرَ الحديثِ ، روىٰ أحاديثَ منكرةً ، ولا يُحتَجُّ بحديثِهِ ، وقالَ مسلمٌ : ضعيفٌ ، وقالَ محمدُ بنُ عبدِ اللهِ بنِ عمارٍ : ضعيفٌ ذاهبٌ ، وقالَ يعقوبُ الفسويُّ : لا يُكتَبُ حديثُهُ ، وقالَ ابنُ خراشٍ : إسحاقُ ابنُ أبي فروةَ كذابٌ)[3] .

ومنها : حديثُ أمِّ الطفيلِ[4] ، وذكرَ عن رجالِهِ أنَّ أبا زرعةَ الدمشقيَّ قالَ في رجالِهِ : (كلُّ هؤلاءِ معروفونَ ، لهُم أنسابٌ قويةٌ بالمدينةِ ، **فأمَّا مروانُ بنُ عثمانَ** : فهوَ مروانُ بنُ عثمانَ بنِ أبي سعيدِ بنِ المُعلَّى الأنصاريُّ ، **وأمَّا عمارةُ** : فهوَ ابنُ عامرِ بنِ عمرِو بنِ حزمٍ صاحبِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ

(١) الكلام منقول من « الضعفاء والمتروكون » (٣٢٢) ، وانظر « التاريخ الكبير » (١٢٦٠) ، و« الضعفاء والمتروكون » للنسائي (٥٠) ، و« الضعفاء والمتروكون » للدارقطني (٩٢) ، و« الجرح والتعديل » (٢/ ٢٢٧ـ٢٢٨) .

(٢) في (أ ، ب) : (قال محمد بن سعد في عبد الله أيضاً : كان أبو إسحاق ؛ يعني : ابن أبي فروة) ، والتصويب من المصادر والمراجع .

(٣) انظر « تاريخ دمشق » (٨/ ٢٤٦ـ٢٥٥) .

(٤) رؤية الله (٢٨٦) ، وأخرجه ابن الجوزي في « الموضوعات » (١/ ١٨١) .

وسلَّمَ ، وعمرُو بنُ الحارثِ وسعيدُ بنُ أبي هلالٍ : فلا يُشَكُّ فيهما ، وحسبُكَ بعبدِ اللهِ بنِ وهبٍ مُحدِّثاً في دينِهِ وفضلِهِ)[1] .

قلتُ : ووقفَ ها هنا ؛ لأنَّهُ انتهىٰ إلىٰ أحمدَ بنِ صالحٍ ؛ لأنَّهُ مُتكلَّمٌ فيهِ ، وهوَ يُكنَّىٰ بأبي جعفرٍ ، قالَ ابنُ حبانَ : (يأتي عنِ الثقاتِ بالمُعضلاتِ ، وعنِ المجروحينَ بالطامَّاتِ ، تجبُ مجانبةُ ما روىٰ)[2] .

وبتقديرِ أنْ لا كلامَ فيهِ : فقد قالَ أبو عبدِ الرحمٰنِ النسائيُّ : ومَنْ مروانُ حتىٰ يصدقَ على اللهِ عزَّ وجلَّ ؟![3] ، وقالَ مهنّىٰ : سألتُ أحمدَ عن هٰذا الحديثِ ، فحوَّلَ وجهَهُ عنِّي ، وقالَ : هٰذا حديثٌ مُنكَرٌ ، وهٰذا رجلٌ مجهولٌ ـ يعني : مروانَ ـ ، قالَ : ولا يُعرَفُ أيضاً عمارةُ[4] .

قلتُ : إذا تعارضَ كلامُ النسائيِّ وأحمدَ ابنِ حنبلٍ معَ كلامِ أبي زرعةَ . . فلا التفاتَ إلىٰ أبي زرعةَ ، واللهُ أعلمُ .

وأوردَ حديثَ أمِّ الطفيلِ بسندٍ آخرَ فيهِ نعيمُ بنُ حمادٍ عنِ ابنِ وهبٍ[5] ، وقد قالَ ابنُ عديٍّ : كانَ يضعُ الحديثَ ، وكانَ يحيى بنُ معينٍ يُهجِّنُهُ في روايةِ حديثِ أمِّ الطفيلِ[6] .

قالَ ابنُ الجوزيِّ : (نعيمُ بنُ حمادٍ : يروي عنِ ابنِ المباركِ ، وثَّقَهُ أحمدُ ، ووثَّقَهُ يحيىٰ في روايةٍ ، وقالَ مرةً : شُبِّهَ لهُ فيروي ما ليسَ لهُ أصلٌ ، وقالَ النسائيُّ : ليسَ بثقةٍ ، وقالَ الدارقطنيُّ : كثيرُ الوهمِ .

(١) رؤية الله ، تحت رقم : (٢٨٦) .
(٢) المجروحين (١/ ١٤٩) .
(٣) انظر « الموضوعات » (١/ ١٨١) .
(٤) انظر « الموضوعات » (١/ ١٨٢) .
(٥) رؤية الله (٢٨٧) .
(٦) انظر « الموضوعات » (١/ ١٨١) .

وقالَ أبو الفتحِ الأزديُّ : قالوا : كانَ يضعُ الحديثَ في تقويةِ السنَّةِ ، وحكاياتٍ مزوَّرةً في ثلبِ أبي حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ كلُّها كذبٌ) ، قالَ ابنُ الجوزيِّ : (وكذلكَ ذكرَ ابنُ عديٍّ)[1] .

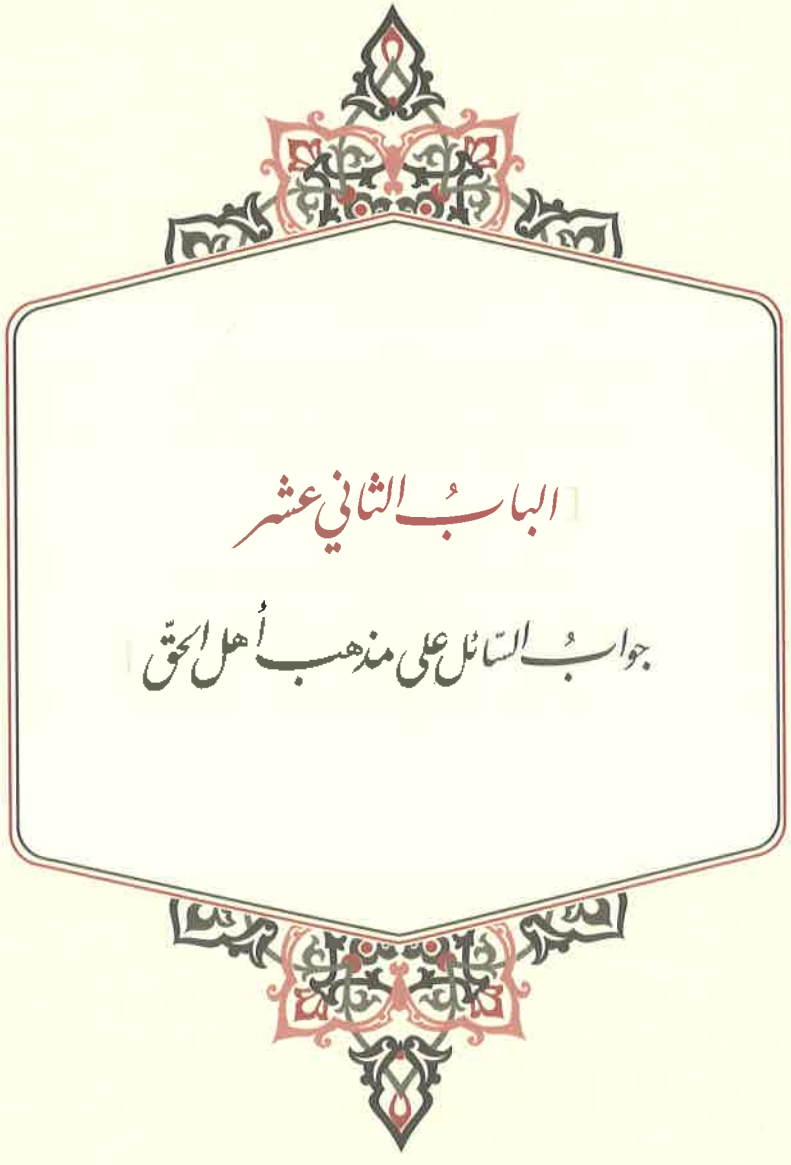
فهٰذهِ الأحاديثُ كلُّها لا يُحتَجُّ بها ، ولا تنهضُ بها دلالةٌ ، ولا يُتكلَّفُ لها تأويلٌ .

وأمَّا ما وردَ مِنَ الأحاديثِ في الصحيحينِ أو علىٰ شرطِ الصحيحينِ . . فقد أفردتُ لها باباً لذكرِها وذكرِ ما ذكرَهُ العلماءُ في تأويلِها مِنْ غيرِ استيعابٍ ، واللهُ المُوفِّقُ للصوابِ[2] .

* * *

(١) الضعفاء والمتروكون (٣٥٤٣) ، وانظر « الضعفاء والمتروكون » للنسائي (٥٨٩) ، و« الكامل » (٨/ ٢٥١) .

(٢) انظر (٢/ ٣٩٣ـ٤٠٨) .



الباب الثاني عشر

جواب السائل على مذهب أهل الحق

بابُ
جوابِ السائلِ على مذهبِ أهلِ الحقِّ

اعلمْ أرشدَنا اللهُ وإيَّاكَ : أنَّكَ سألتَ عن أربعِ مسائلَ : إحداها : أنَّ ما بينَ الدَّفَّتينِ هل هوَ كلامُ اللهِ القديمُ ، أو هوَ عبارةٌ عنهُ ؟ وهل هوَ حادثٌ أو قديمٌ ؟ وهل كلامُ اللهِ بحرفٍ وصوتٍ ؟ والمادةُ في هٰذهِ الأسولةِ كلِّها واللهِ واحدةٌ[1] .

فالجوابُ وباللهِ التوفيقُ وهوَ أعلمُ بالصوابِ : أنْ نقولَ : إنَّا لا نحكمُ بحقيقةٍ على حقيقةٍ إلا بعدَ تصوُّرِهما ؛ فإنَّ التصديقَ فرعُ التصوُّرِ ، فاعرفْ أوَّلاً حقيقةَ الكلامِ ، ثمَّ على ماذا يُطلَقُ بالإضافةِ إلينا ، ثمَّ بالإضافةِ إلى اللهِ تعالى ، ثمَّ بعدَ ذلكَ تصلُ إلى المعنى الذي اقتضى إطلاقَهُ على ما بينَ الدَّفَّتينِ ، وحينَئذٍ يتَّضحُ لكَ ما سألتَ عنهُ ، وأرجو أنْ أذكرَ لك ما فيهِ مقنعٌ ، وتستعينَ بهِ على جوابِ المسألةِ الثانيةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى ، مُستمِدّاً بعونِ اللهِ ولطفِهِ وهدايتِهِ ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ .

[الاختلافُ في إطلاقِ الكلامِ عندَ النحاةِ]

اعلمْ : أنَّ العلماءَ اختلفوا في (الكلامِ) على ماذا يُطلَقُ ؟ **فالنحاةُ على قسمينِ** :

أحدُهُما : طائفةٌ تقولُ : **إنَّ الكلامَ يُقالُ بالاشتراكِ على معانٍ** :

(١) أو العبارة : (واللهُ أعلم) بدل (واللهِ) ، وهٰذه الأسئلة سُئل عنها ابن تيمية ، فأجاب على خلاف مذهب أهل السنة ، ومن جملة الأسئلة مسألة الإستواء والتأويل للظواهر الموهمة كما سيأتي في (٢/ ٣٧٤ ، ٣٨٣) ، وانظر « نهاية الأرب » (٣٢/ ١٠١) .

المعنى الأولُ : كلامُ النفسِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة : ٨] .

وقولِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُ : (زوَّرْتُ في نفسِي كلاماً فسبقَني إليهِ أبو بكرٍ)[١] .

وقولِ الشاعرِ[٢] : [من الكامل]

إِنَّ ٱلْكَلَامَ لَفِي ٱلْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ ٱللِّسَانُ عَلَى ٱلْفُؤَادِ دَلِيلا

المعنى الثاني : أنَّ الكلامَ يُطلَقُ على المكتوبِ ؛ كقولِكَ : هٰذا كلامُ سيبويهِ ، وهٰذا كلامُ أبي بكرٍ ، وهٰذا كلامُ عليِّ بنِ أبي طالبٍ ، و[هٰذا] كلامُ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وما بينَ الدَّفَّتينِ كلامُ اللهِ .

الثالثُ : يُطلَقُ على العباراتِ الخاصَّةِ ؛ كقولِكَ : الكلامُ : هوَ اللفظُ المُركَّبُ المفيدُ بالوضعِ .

الرابعُ : يُطلَقُ على لسانِ الحالِ ؛ كقولِكَ : امتلأَ الحوضُ وقالَ : قَطْني[٣] .

الخامسُ : على الإشارةِ ؛ كقولِهِ[٤] : [من الطويل]

إِذَا كَلَّمَتْنِي بِٱلْعُيُونِ ٱلْفَوَاتِرِ رَدَدْتُ عَلَيْهَا بِٱلدُّمُوعِ ٱلْبَوَادِرِ

(١) أخرجه بنحوه البخاري ضمن حديث طويل (٦٨٣٠) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) أورده الجاحظ في « البيان والتبيُّن » (١/ ٢١٨) ، وينسب للأخطل . انظر « التذييل والتكميل » (١/ ٢٣) ، و« ذيل مرآة الزمان » (٣/ ١٨٩) .

(٣) انظر « شرح نهج البلاغة » (١٠/ ٨٣) ، و« أمالي ابن الشجري » (٢/ ٥٠ـ٥١) .

(٤) البيت لإبراهيم بن المهدي كما في « الوافي بالوفيات » (٦/ ٧٥) ، وانظر « التذييل والتكميل » (١/ ٢٧) .

وإلى الاشتراكِ ذهبَ جماعةٌ مِنَ النحاةِ ؛ منهُمُ ابنُ عصفورٍ مِنَ المُتأخِّرينَ[1] .

القسمُ الثاني مِنَ النحاةِ قالوا : الكلامُ حقيقةٌ في اللفظِ المركبِ المفيدِ بالوضعِ ، وما عداهُ فمجازٌ ، وإلى هٰذا ذهبَ غالبُ النحاةِ مِنَ المُتقدِّمينَ والمُتأخِّرينَ ، وهوَ قولُ المعتزلةِ .

[تفسيرُ الكلامِ عندَ أهلِ السنَّةِ]

وأمَّا علماءُ الأصولِ : فقالَ أهلُ السنَّةِ : الكلامُ حقيقةٌ في النفسانيِّ الذي هوَ حديثُ النفسِ ، ثمَّ اختلفوا في العباراتِ التي هيَ ألفاظٌ وأصواتٌ :

فصارَ معظمُهُم : إلى أنَّها دلالاتٌ على الكلامِ ، وليسَتْ بكلامٍ حقيقةً ، وإطلاقُ الكلامِ عليهِ مجازٌ[2] ، وبهِ قالَ الشيخُ أبو الحسنِ والقاضي أبو بكرٍ في أحدِ قولَيْهِما .

وقالَ الشيخُ أبو الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ : إنَّهُ يُطلَقُ حقيقةً على ما في النفسِ ، وعلى العباراتِ أيضاً ، فيكونُ على هٰذا مشتركاً بينَهُما .

وقالَتِ المعتزلةُ والحشويةُ : إنَّهُ لا كلامَ حقيقةً إلا الحروفُ والأصواتُ مكتوبةً أو ملفوظاً بها[3] ، ثمَّ افترقوا فرقتينِ :

ففرقةٌ أفرطوا حتى وقعوا في الكفرِ ونفَوُا الصفاتِ الثابتةَ للهِ تعالى

(١) شرح جمل الزجاجي (١/ ١٥) ، وانظر « التذييل والتكميل » (١/ ٢٤ـ٢٦) .

(٢) قوله : (عليه) أي : المذكور من الألفاظ والأصوات .

(٣) إلا أن المعتزلة يقولون بحدوث الأصوات والحروف ، وهي غير قائمة بذاته ، والحشوية يقولون بقدمها ، حتى تجاوز بعض الجهلة منهم : فقال : إن غلاف المصحف قديم ، وانظر ما سيأتي بعد قليل .

بالنصوصِ ؛ وهمُ المعتزلةُ الذينَ قالوا بخلقِ القرآنِ وخلقِ الكلامِ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ[1] .

وفرقةٌ فرَّطوا ؛ وهمُ الجهلةُ الحشويةُ الذينَ قالوا : إنَّ اللهَ تعالىٰ مُتكلِّمٌ بحرفٍ وصوتٍ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ علوّاً كبيراً ، **ثمَّ افترقَ هـٰؤلاءِ فرقتينِ** :

فرقةٌ قالوا ذلكَ ؛ بمعنىٰ : أنَّ الصفةَ القائمةَ بهِ مِنَ الكلامِ هيَ الحروفُ والأصواتُ ، وهـٰؤلاءِ يلزمُهُم قيامُ الحوادثِ بذاتِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وذلكَ محالٌ .

وفرقةٌ قالوا : كلامُنا نحنُ الذي هوَ حروفٌ وأصواتٌ هوَ كلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ بمعنىٰ : أنَّ الصفةَ القديمةَ حلَّتْ بكلامِنا ، وفي ذلكَ مِنَ الجهلِ والكفرِ ما لا يخفىٰ مِنْ حلولِ القديمِ بالحادثِ ، وهم شرٌّ مِنَ النصارىٰ ؛ لأنَّ النصارىٰ قالوا بحلولِ الصفةِ القديمةِ بعيسى ابنِ مريمَ خاصَّةً ، وهـٰؤلاءِ يُثبتونَها لكلِّ مَنْ قرأَ القرآنَ العظيمَ أو شيئاً منهُ ، ويجعلونَ الحادثَ قديماً .

قالَ إمامُ الحرمينِ في كتابِهِ « الشاملِ » : (وقد جمعْنا على القائلينَ بقدمِ الحروفِ كتاباً ، ورأَينا تنزيهَ كتابِنا هـٰذا عنِ التشاغلِ بهِم) .

وقد ألَّفَ القاضي رضيَ اللهُ عنهُ « النقضَ الكبيرَ » وهوَ في أربعينَ سفراً ، وتكلَّمَ في مسألةِ القرآنِ في ثلاثِ مجلداتٍ ، وجمعَ الكلامَ على القائلينَ بقدمِ الحروفِ في ثلاثةِ أسطرٍ ، فقالَ : (مَنْ زعمَ أنَّ السينَ مِنْ « باسمِ » بعدَ الباءِ ، والميمَ بعدَ السينِ الواقعةِ بعدَ الباءِ : لا أولَ لهُ . . فقد خرجَ عنِ المعقولِ ، وجحدَ الضرورةَ ، وأنكرَ البديهةَ ؛ فإنَّ مَنِ اعترفَ بوقوعِ شيءٍ بعدَ شيءٍ فقدِ اعترفَ بأوَّليتِهِ ، فإذا ادَّعىٰ أنَّهُ لا أولَ لما لهُ أوَّلٌ فقد سقطَتْ مُحاجَّتُهُ ، وتبيَّنَ

(١) **المعتمد** : أن المعتزلة منكري الصفات مبتدعة فسقة لا كفار .

لحوقُهُ بالسفسطةِ ، وكيفَ يُرجىٰ أنْ يُرشَدَ بالدليلِ مَنْ يتواقحُ في جحدِ الضروريِّ ؟!)[1] .

[الأدلَّةُ النقليةُ علىٰ إثباتِ الكلامِ النفسيِّ]

ودليلُ أهلِ السنَّةِ علىٰ إثباتِ كلامِ النفسِ : مِنَ المعقولِ والمنقولِ ؛ أمَّا المنقولُ : فقد مضتْ أقوالُ النحاةِ الذينَ همُ المهرةُ في هٰذا التِّبيانِ والمرجوعُ إليهِم فيهِ[2] .

[الأدلةُ العقليةُ علىٰ إثباتِ الكلامِ النفسيِّ]

وأمَّا المعقولُ : فمِنْ وجوهٍ :

الأولُ : أنَّا نقولُ : الكلامُ لهُ أقسامٌ ، فلنأخذْ أحدَ الأقسامِ علىٰ سبيلِ المثالِ ، وننصبِ الدليلَ عليهِ ، ويتبيَّنَ بهِ ما عداهُ ؛ فنقولُ :

الأمرُ : اقتضاءُ الطاعةِ مِنَ المأمورِ ، والنهيُ : اقتضاءُ تركِ المنهيِّ عنهُ مِنَ المنهيِّ ، ونحنُ نجدُ في أنفسِنا اقتضاءَ الآمرِ الطاعةَ مِنَ المأمورِ وإنْ تصرَّمَ صوتُهُ ، وانقضتْ حروفُهُ ، وصمتَ عمَّا في ضميرِهِ ، وهوَ مُصمِّمٌ على اقتضائِهِ ودعائِهِ ، واقتضاءُ الطاعةِ أمرٌ ، والأمرُ كلامٌ .

ولا يُقالُ : إنَّ ذلكَ الاقتضاءَ إرادةٌ ؛ لوجهينِ :

أحدُهُما : أنَّ الآمرَ يجوزُ أنْ يأمرَ بما لا يريدُ .

الثاني : أنَّ الإرادةَ إنَّما ثبتَتْ معَ اللفظِ أو مُتقدِّمةً عليهِ بزمانٍ ، وإذا

(١) انظر « الكامل في اختصار الشامل » (٢/ ٤٥٧) ، وما سبق في (١/ ٩٥ـ٩٦) .

(٢) انظر (٢/ ٣٥٣ـ٣٥٥) .

تصرَّمَتِ اللفظةُ استحالَ استمرارُ الإرادةِ لها ؛ لأنَّ الإرادةَ تطلبُ الاستقبالَ ، ونحنُ نجدُ أنَّ مَنْ أمرَ عبدَهُ إذا انقضتِ اللفظةُ يجدُ نفسَهُ مُصمِّماً على الاقتضاءِ والطلبِ ، وقدِ انقضتِ اللفظةُ ، والمُتصرِّمُ لا يُرادُ ، وإنَّما يُتلهَّفُ عليهِ ، فبطلَ انصرافُ اقتضاءِ النفسِ إلى الإرادةِ ، وتبيَّنَ أنَّ الذي يجدُهُ العاقلُ في نفسِهِ مِنَ الاقتضاءِ كلامٌ ، وهوَ الذي يُقالُ لهُ : حديثُ النفسِ أيضاً ، وتدلُّ عليهِ العباراتُ والكتابةُ والإشارةُ .

ولا يُقالُ أيضاً : إنَّ الاقتضاءَ الذي هوَ كلامُ النفسِ اعتقادٌ ؛ فإنَّ الاعتقادَ علمٌ أو جهلٌ أو ظنٌّ ، واقتضاءُ الأمرِ الطاعةَ يخالفُ ذلكَ كلَّهُ ؛ فإنَّهُ ليسَ بعلمٍ ولا جهلٍ ولا ظنٍّ ، وإنَّما هوَ طلبٌ ، ولو جُعِلَ حديثُ النفسِ اعتقاداً لجازَ جعلُ النظرِ اعتقاداً .

فقد تبيَّنَ بذلكَ ثبوتُ كلامِ النفسِ بالنسبةِ إلينا .

الوجهُ الثاني في إثباتِ كلامِ النفسِ : **أنْ يُقالَ** : إنَّ السيدَ إذا أشارَ إلى عبدِهِ بأمرٍ . . فهمَهُ عبدُهُ مِنْ مواضعةٍ تقدَّمَتْ بينَهُ وبينَهُ ، ودلَّتْ تلكَ الإشارةُ العبدَ على تحتُّمِ ذلكَ الفعلِ الذي دلَّتْ عليهِ الإشارةُ المسبوقةُ بالمواضعةِ ، فذلكَ التحتُّمُ هوَ الإيجابُ ، ولا إيجابَ إلا معَ أمرٍ مِنَ المُوجِبِ[1] ، ولم يصدرْ منهُ في هٰذهِ الصورةِ كلامٌ فيهِ حرفٌ ولا صوتٌ ، وقد أجمعَ المحققونَ على أنَّ الحركاتِ ليسَتْ كلاماً ، فلم يبقَ وجهٌ إلا تقديرُ كلامٍ في النفسِ تدُلُّ عليهِ الإشاراتُ ، ومِنَ المستحيلِ تقديرُ مأمورٍ مِنْ غيرِ توجُّهِ مأمورٍ بهِ ، فيستحيلُ تقديرُ أمرٍ وليسَ بكلامٍ .

الثالثُ : قالَ الإمامُ أبو [سعدٍ] المتولِّي : (**ومِنَ الدليلِ على ما قلنا** : أنَّ

(١) كتب في (أ) فوق كلمة (مع) : (بعد) ، وفي (ب) : (إلا مع تقدير) بدل (إلا مع) .

صيغةَ « افعلْ » قد تردُ للإيجابِ ؛ كقولِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة : ٤٣] ، وللاستحبابِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾ [الحج : ٧٧] ، وللإباحةِ ؛ كقولِهِ : ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾ [المائدة : ٢] ، وللتهديدِ ؛ كقولِهِ : ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت : ٤٠] ، وإذا كانَ لفظُ الأمرِ يتردَّدُ علىٰ هٰذهِ الوجوهِ [فقد] يقولُ : « افعلْ » ويريدُ بهِ الوجوبَ ، ويريدُ بهِ الإباحةَ ، ويريدُ بهِ النهيَ ، وقد يريدُ بهِ التهديدَ ، وصورةُ الحروفِ والأصواتِ واحدةٌ ، ولو كانَ الأمرُ نفسَ اللفظِ لما اختلفَ .

فعُلِمَ : أنَّ الأمرَ صفةٌ قائمةٌ بالنفسِ يتميَّزُ بوصفِهِ الخاصِّ [عنِ] الاستحبابِ والإباحةِ والتهديدِ)[1] .

قالَ أبو [سعدٍ] رضيَ اللهُ عنهُ : (فإنْ قيلَ : ما ألزمتُمونا ينعكسُ عليكُم ؛ فإنَّكُم جعلتُمُ العبارةَ دلالةً علىٰ ما في النفسِ ، ولا يجوزُ أنْ يكونَ دليلُ الإيجابِ ودليلُ الاستحبابِ واحداً .

قلنا : التمييزُ يحصلُ بالقرائنِ ، لا بنفسِ الأصواتِ والحروفِ)[2] .

الرابعُ : في إثباتِ كلامِ النفسِ في غيرِ الأمرِ : وهوَ أنْ تقولَ : كلُّ مَنِ اتَّصفَ بالعلمِ فهوَ متصفٌ بكلامِ النفسِ ، وإنَّما قلنا ذلكَ ؛ لأنَّ العلمَ إمَّا تصوُّرٌ وإمَّا تصديقٌ ؛ فالتصديقُ حكمُ الذهنِ بحقيقةٍ علىٰ حقيقةٍ ، وذلكَ الحكمُ هوَ الذي يتصفُ بالجهلِ والعلمِ والظنِّ والشكِّ ، ويكونُ مطابقاً وغيرَ مطابقٍ ، والذي حكمَ بحقيقةٍ علىٰ حقيقةٍ نفسُهُ مُتكيِّفةٌ بذلكَ وإنْ لم ينطقْ بهِ ، ونحنُ لا نعني بالكلامِ النفسانيِّ إلا ذلكَ .

(١) الغنية في أصول الدين (ص ١٠١) .

(٢) الغنية في أصول الدين (ص ١٠٢) .

فإذا ثبتَ أنَّا نعقلُ كلاماً نفسانيّاً ليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ ، وقد ثبتَ بالدليلِ العقليِّ والسمعيِّ أنَّ اللهَ تعالىٰ مُتكلِّمٌ بكلامٍ ، ودلَّ الدليلُ العقليُّ على استحالةِ اتِّصافِ كلامِهِ بالحروفِ والأصواتِ ، ودلَّ علىٰ أنَّ الكلامَ مِنْ صفاتِ الذاتِ لا مِنْ صفاتِ الأفعالِ ؛ فليسَ كلامُ الذاتِ إلا النفسانيَّ ، وإذا ثبتَ أنَّ الكلامَ هوَ الكلامُ النفسانيُّ حقيقةً كما قالَ الإمامُ أبو الحسنِ . . فقولُنا : (ما بينَ الدَّفَّتينِ كلامُ اللهِ) مِنْ بابِ إطلاقِ المدلولِ على الدليلِ علىٰ أحدِ قولَيْ أبي الحسنِ رضيَ اللهُ عنهُ .

وأحكامُ اللهِ تعالىٰ جاريةٌ بتعظيمِهِ علىٰ لسانِ رسولِهِ وحملةِ الشرعِ ، فجاحدُهُ أو جاحدُ شيءٍ منهُ كافرٌ ، ولا يمسُّهُ إلا المطهرونَ ، ومَنِ امتهنَهُ حكمْنا بكفرِهِ ، كما حكمْنا بكفرِ مَنْ جحدَ ما يُنطَقُ بهِ ويُتلفَّظُ بهِ مِنَ القرآنِ ، أو جحدَ شيئاً منهُ أو تنقَّصَهُ ، ومنعْنا الجنبَ والحائضَ مِنَ القراءةِ احتراماً لهُ ؛ لكونِهِ دالّاً علىٰ كلامِ اللهِ القديمِ .

وكلامُ اللهِ حقيقةٌ على القولِ الآخرِ عندَهُ ، ومعَ نفيِ ما يُوهِمُ مِنَ الظواهرِ علىٰ كلا القولينِ عندَهُ رضيَ اللهُ عنهُ ، وإنْ كانَ في القولِ الثاني لا يُعيِّنُ تأويلاً ؛ لكنَّهُ ينفي الإيهامَ ، وهـٰذا هوَ أحدُ قولَيِ السلفِ رضيَ اللهُ عنهُم ، لا كما يظنُّ بعضُ مُتأخِّري الحنابلةِ .

* * *

فصل

في أنَّ كلامَ اللهِ قديمٌ قائمٌ بذاتِه، والأصواتَ والحروفَ دلالاتٌ عليه

قالَ علماءُ السنَّةِ : كلامُ اللهِ تعالىٰ قديمٌ قائمٌ بذاتِهِ ، ليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ ، والحروفُ والأصواتُ دلالاتٌ عليهِ ، وكلامُ اللهِ تعالىٰ موجودٌ واحدٌ يتعلَّقُ بجميعِ مُتعلَّقاتِ الكلامِ ، كما أنَّ علمَهُ واحدٌ يتعلَّقُ بجملةِ المعلوماتِ[1] ، وقدرتَهُ مُتعلِّقةٌ بجميعِ المقدوراتِ ، وكلُّ هٰذهِ الصفاتِ صفاتٌ أزليَّةٌ قائمةٌ بذاتِهِ لا تُزالُ عنهُ إلىٰ غيرِهِ ، ولا تَحُلُّ بشيءٍ مِنْ مخلوقاتِهِ ، وأنَّ كلامَهُ الأزليَّ متصفٌ بالأمرِ والنهيِ والخبرِ ؛ إذ قد ثبتَ أنَّهُ مُتكلِّمٌ ، ولا يُعقَلُ كلامٌ خارجٌ عن هٰذهِ الصفاتِ .

[الدليلُ علىٰ أنَّ الكلامَ الواحدَ يُتصوَّرُ أنْ يكونَ أمراً ونهياً وغيرَهُما]

فإنْ قيلَ : كيفَ يُتصوَّرُ أنْ يكونَ الكلامُ الواحدُ الذي هوَ صفةٌ واحدةٌ أمراً نهياً خبراً استخباراً تحضيضاً ، فنحنُ لا نعقلُ ما ذكرتُموهُ ؟ فإنَّ الشيءَ الواحدَ لا يكونُ مجتمعاً معَ ضدٍّ واحدٍ ، فكيفَ معَ أضدادٍ ؟ فهٰذا الذي ذهبتُم إليهِ خلافُ المعقولِ أيضاً .

فالجوابُ عن نفيِ الإمكانِ : أنَّ الرجلَ إذا قالَ لأحدِ عبيدِهِ : إذا قلتُ لكَ : (اضربْ) . . فاعلمْ أنِّي آمرُكَ بضربِ زيدٍ ، وقالَ لعبدٍ آخرَ : إذا سمعتَ قولي : (اضربْ) . . فاعلمْ أنِّي نهيتُكَ عن قيامِكَ ، وقالَ لآخرَ : إذا سمعتَ

(١) أي : بجميعها .

منِّي : (اضربْ) . . فإنِّي أخبرتُكَ عن موتِ خالدٍ ، وقالَ لآخرَ : إذا سمعتَ : (اضربْ) . . فاعلمْ أنِّي أطلبُ منكَ أنْ تخبرَني عنِ الحالةِ الفلانيةِ ، وقالَ لآخرَ : إذا سمعتَ منِّي : (اضربْ) . . فإنِّي أنكرُ عليكَ الحالةَ التي أنتَ مُتلبِّسٌ بها ، وقالَ لآخرَ : إذا سمعتَ منِّي : (اضربْ) . . فإنِّي أحضُّكَ على الحالةِ الفلانيةِ ، فقالَ بمَحضَرٍ مِنْ هـٰؤلاءِ العبيدِ كلِّهم : (اضربْ) ، ففهمَ هـٰذا منهُ الأمرَ ، وهـٰذا منهُ النهيَ ، وهـٰذا منهُ الخبرَ ، وهـٰذا منهُ الاستخبارَ ، وهـٰذا الإنكارَ ، وذلكَ التحضيضَ ، وذلكَ التوبيخَ[1] ، ولم يسمعْ أحدٌ منهُم غيرَ (اضربْ) .

فقد صَلَحَ أنْ يكونَ الكلامُ الواحدُ دالّاً على الأمرِ والنهيِ والخبرِ والاستخبارِ وعلى الضدِّ والأضدادِ ، فانتفتِ الاستحالةُ .

[قد يُفهَمُ مِنَ الأمرِ الواحدِ أمورٌ مُتعدِّدةٌ مِنْ غيرِ تقدُّمِ مواضعةٍ]

فإنْ قيلَ : إنَّما فهمَ أولـٰئكَ هـٰذهِ الحالاتِ مِنْ هـٰذا اللفظِ الواحدِ بسابقِ المواضعةِ وتقدُّمِ الاصطلاحِ معَهُ على هـٰذا .

قلنا : في الممكنِ أنَّ الشخصَ الواحدَ يخلقُ اللهُ لهُ قدرةً على أنْ يفهمَ ما في نفسِ الإنسانِ فيعملَ بهِ مِنْ غيرِ تقدُّمِ مواضعةٍ حتى يأتيَ على وَفقِ كلامِهِ النفسانيِّ ، يُؤيِّدُ ذلكَ : (زوَّرتُ في نفسي كلاماً فسبقَني إليهِ أبو بكرٍ)[2] ، وها نحنُ نرى في الشاهدِ بعضَ الغلمانِ يفهمونَ أوامرَ ساداتِهم مِنْ غيرِ تقدُّمِ مواضعةٍ ولا سابقِ اصطلاحٍ .

إذا ثبتَ هـٰذا فقد أمكنَ فهمُ المدلولِ مِنْ غيرِ مواضعةٍ ، وإذا فُهِمَ المدلولُ

(١) كذا في (أ، ب) ، ولم يذكر التوبيخ قبلُ .

(٢) سبق تخريجه في (١/ ٢٢٤) .

مِنْ غيرِ مواضعةٍ فقد صحَّ أنَّ الكلامَ يجوزُ أنْ يكونَ أمراً نهياً خبراً استخباراً ، وهوَ شيءٌ واحدٌ لا يتغيرُ بتغيُّرِ مدلولاتِهِ .

[كلامُ اللهِ يُسمَعُ مِنْ غيرِ واسطةِ الحرفِ والصوتِ]

ويُتصوَّرُ لنا سماعُ كلامِ اللهِ مِنْ غيرِ حرفٍ ولا صوتٍ ، بل بمعنىٰ إدراكٍ يهبُهُ اللهُ لمَنْ شاءَ مِنْ عبادِهِ زائدٍ على العلمِ يحصلُ عندَهُ علمٌ ضروريٌّ بوجودِ السماعِ ، ولا يُستبعَدُ ذلكَ ؛ لأنَّا نصِفُ اللهَ تعالىٰ بالسميعِ والبصيرِ كما وصفَ بهِ نفسَهُ ، ونقولُ : إنَّ السمعَ والبصرَ صفتانِ زائدتانِ على العلمِ ، واللهُ تعالىٰ متصفٌ بهِما مِنْ غيرِ واسطةِ جارحةِ السماعِ ولا أداةِ البصرِ ، فكما عقلْنا وجودَ سماعٍ ولا جارحةَ كذلكَ نعقلُ وجودَ إسماعِ كلامٍ ولا حرفَ ولا صوتَ ، ونعقلُ سماعَ كلامٍ [ولا حرفَ] ولا صوتَ .

[رؤيةُ اللهِ عندَ أهلِ السنَّةِ مِنْ غيرِ تقليبِ حدقةٍ ولا انبثاثِ أشعَّةٍ]

وكذلكَ قالَ أهلُ السنَّةِ رضيَ اللهُ عنهُم في رؤيةِ اللهِ عزَّ وجلَّ التي أجمعوا عليها أنَّها واقعةٌ مِنْ غيرِ انطباعِ الأشعَّةِ المنبثةِ مِنَ الناظرِ إلى المنظورِ ؛ فإنَّ ذلكَ لا يكونُ إلا بواسطةِ الأجسامِ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ علوّاً كبيراً ، وكذلكَ رؤيةُ اللهِ لنا ليستْ بواسطةِ تقليبِ حدقةٍ ولا انبعاثِ أشعَّةٍ .

وإذا عقلْنا أنَّ الكلامَ يُسمَعُ مِنْ غيرِ واسطةِ الأصواتِ وقد دلَّ الدليلُ العقليُّ على استحالةِ الأصواتِ والحروفِ علىٰ كلامِ اللهِ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ علوّاً كبيراً ؛ لأنَّ كلامَ اللهِ تعالىٰ صفةٌ قديمةٌ أزليةٌ قائمةٌ بذاتِهِ ، والحروفَ يسبقُ بعضُها بعضاً ويتأخَّرُ بعضُها عن بعضٍ ، والمسبوقَ بغيرِهِ حادثٌ . . فالحروفُ على الصفةِ الأزليَّةِ محالٌ ، وما أفضىٰ إلى المحالِ فهوَ محالٌ .

قاعـــدة

[في أنَّ القراءةَ غيرُ المقروءِ والتلاوةَ غيرُ المتلوِّ عندَ أهلِ السنَّةِ]

مذهبُ أهلِ السنَّةِ رضيَ اللهُ عنهُم : أنَّ القراءةَ غيرُ المقروءِ ، والتلاوةَ غيرُ المتلوِّ ؛ فالقراءةُ حادثةٌ والقرآنُ كلامُ اللهِ قديمٌ ، كما أنَّا إذا ذكرْنا لفظةَ (اللهِ) كانَ الذكرُ حادثاً والمذكورُ قديماً .

[أوجهُ الفرقِ بينَ القراءةِ والمقروءِ]

فالفرقُ بينَ القراءةِ والمقروءِ مِنْ وجوهٍ :

الأولُ : أنَّ القراءةَ لها أولٌ وآخرٌ ، والمقروءَ لا أوَّلَ لهُ .

الثاني : قالَ أبو منصورٍ الأيوبيُّ[1] : (**الفرقُ بينَ القراءةِ والمقروءِ** : أنَّ القراءةَ تارةً تكونُ طاعةً مِنْ مطيعٍ يُثابُ عليها ، وكلامُ اللهِ تعالىٰ ليسَ بطاعةٍ ، وكذلكَ إذا صدرَتْ عن حائضٍ أو جنبٍ ؛ فإنَّها معصيةٌ ، وكلامُ اللهِ ليسَ بمعصيةٍ)[2] .

الثالثُ : أنَّ القراءةَ قد تكونُ لحناً وخطأً ، وكلامُ اللهِ ليسَ بلحنٍ ولا خطأٍ .

الرابعُ : أنَّ القراءةَ تحدثُ بعدَ السكوتِ وتنقضي وتنعدمُ ، وكلامُ اللهِ

(١) هو محمد بن الحسن بن أبي أيوب ، وقد سبقت ترجمته في (١/ ٤١٤) ، وهٰذا الإمام هو الذي حثَّ الإمام البيهقي علىٰ تصنيف كتاب « الأسماء والصفات » لنصرة السنة وقمع المبتدعة ، كما صرَّح البيهقي نفسُه بذلك في « الأسماء والصفات » (ص٢٧٦) .

(٢) ذكر مثلَ هٰذا الفرق الإمامُ الباقلاني في « الإنصاف » (ص٩٦) .

تعالىٰ لا يحدثُ ولا ينقطعُ ولا يُعدَمُ[1] ؛ ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف : ١٠٩] .

أنَّىٰ يقترنُ الأزليُّ بالمُحدَثِ ، والأبديُّ بالمنقطعِ ؟! هيهاتَ !! قد بَيَّنَ الصبحُ لذي عينينِ .

* * *

(١) كذا في (أ ، ب) ، والأنسب مع ما قبله : (ينعدم) .

فصل

في إثبات الكلام النفساني بمثال توضيحي

وممَّا يزيدُ لكَ مسألةَ الكلامِ وضوحاً ، ويجعلُ رمزَها تصريحاً : أنْ نضربَ مثالاً ونتكلَّمَ عليهِ ، فنقولَ :

إذا قالَ زيدٌ لعمرٍو : (بلِّغْ خالداً أمري لهُ بأنْ يدخلَ المسجدَ ، ونهيي لهُ عنِ الركوبِ ، وأنِّي أُبشِّرُهُ بقدومِ عبدِ اللهِ مِنْ سفرِهِ ، وأُحذِّرُهُ مِنْ بَكْرٍ ؛ فإنَّهُ يسعىٰ بهِ عندَ السلطانِ ، وبلِّغْهُ كلامي هٰذا مِنْ غيرِ زيادةٍ ولا نقصٍ) ، فأتىٰ عمرٌو وقالَ لخالدٍ جميعَ ذلكَ وقالَ : (هٰذا كلامُ زيدٍ لم أَزِدْ عليهِ ولم أنقصْ منهُ أيَّ شيءٍ) المشارُ إليهِ بكلامِ زيدٍ مِنْ هٰذا كلِّهِ[1] : لا يتهيَّأُ أنْ يكونَ المشارُ إليهِ بكلامِ زيدٍ مِنْ هٰذا كلِّهِ إلا الكلامَ النفسانيَّ حقيقةً ؛ وذلكَ لأنَّ معنى الكلامِ النفسانيِّ الذي لزيدٍ عُبِّرَ عنهُ بعباراتِهِ ، فارتسمَ في ذهنِ عمرٍو مثلُ معانيهِ ومقاصدِهِ ، فعبَّرَ عنهُ بكلامٍ لهُ ارتسمَ في ذهنِ خالدٍ المُبلِّغِ مثلُ ما في نفسِ عمرٍو المماثلِ لما في نفسِ زيدٍ .

فنقولُ : عباراتُ زيدٍ قدِ انقضتْ ومضتْ ، ولم يبقَ منها شيءٌ في الوجودِ أصلاً ، فلا نتصوَّرُ مِنْ خالدٍ سماعَ كلامِ زيدٍ الذي هوَ عبارتُهُ أصلاً ، وليسَ كلامُ عمرٍو كلامَ زيدٍ حقيقةً ؛ لأنَّ فعلَ عمرٍو لا يكونُ فعلَ زيدٍ ، وليسَ المحفوظُ عن زيدٍ الذي ارتسمَ في ذهنِ عمرٍو لا نفسَ حروفِهِ المنطوقِ بها ولا المعنى النفسانيَّ القائمَ بذاتِ زيدٍ ؛ لأنَّ الأعراضَ حالةَ قيامِها بمحلٍّ لا تقومُ بمحلٍّ آخرَ .

(١) كذا في (أ ، ب) ، ويحتمل أنه مكرر مع ما بعده ، والله تعالىٰ أعلم .

فتعيَّنَ : أنَّ المرتسمَ في ذهنِ عمرٍو الذي حفظَهُ مِنْ زيدٍ ليبلغَهُ لخالدٍ . . مثلُ ما في نفسِ زيدٍ ، فعبَّرَ عنهُ بعبارةٍ دلَّتْ تلكَ العبارةُ على مرتسمٍ في النفسِ ، ذلكَ المرتسمُ نشأَ عن سماعِ كلامٍ وعبارةٍ هيَ دليلٌ على كلامِ زيدٍ النفسانيِّ الذي هوَ مدلولٌ رابطٌ لهـٰذهِ الوسائطِ كلِّها .

فانظرْ هـٰذهِ الوسائطَ التي بينَ كلامِ زيدٍ وكلامِ عمرٍو ؛ حتىٰ يقولَ خالدٌ : (أتاني كلامُ زيدٍ يأمرُني وينهاني ويُبشِّرُني ويُحذِّرُني) ، وتدبَّرْهُ ؛ فإنَّهُ يُعينُكَ علىٰ فهمِكَ ما سبقَ مِنَ الكلامِ على الكلامِ .

وعلىٰ نسقِ هـٰذا المعنىٰ نقولُ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّمَا ٱلأَعْمَالُ بِـٱلنِّيَّاتِ »[1] ، و(إنَّما الأعمالُ بالنياتِ) مِنْ كلامِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، والمُتكلِّمُ بها أنتَ ، عبَّرتَ بعبارتِكَ عمَّا ارتسمَ في ذهنِكَ مِنْ معنىٰ عبارةٍ نقلَها لكَ غيرُكَ ، عبَّرَ بها عمَّا ارتسمَ في ذهنِهِ مِنْ معنىٰ عبارةٍ نقلَها لهُ غيرُهُ ، وكذلكَ إلىٰ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

ولِمَ لا يكونُ الأمرُ كذلكَ وقد قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « نَضَّرَ ٱللهُ ٱمْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ » ؟![2] .

موضعُ الاستشهادِ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فَأَدَّاهَا » ، فجعلَ المُؤدَّىٰ نفسَ المقالةِ وإنْ كانَتْ قد ذهبَتْ ، والمؤدَّىٰ دالٌّ علىٰ ما ارتسمَ في الذهنِ مِنْ مثلِ مدلولِها ؛ حثّاً علىٰ عدمِ التحريفِ والتغييرِ والزيادةِ والنقصِ ، وأنْ تكونَ العبارةُ مثلَ العبارةِ ، وذلكَ مبالغةٌ في المجازِ في أدائِها وتقويةٌ لهُ .

(١) سبق تخريجه في (١/ ١٠٨) .

(٢) أخرجه الطبراني في « الأوسط » (٥٢٩٢) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وبنحوه الترمذي (٢٦٥٨) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، والدارمي (٢٣٤) عن سيدنا جبير بن مطعم رضي الله عنه .

إذا ثبتَ ذلكَ : فقد قرَّرْنا استحالةَ الحروفِ والأصواتِ علىٰ كلامِ اللهِ تعالىٰ .

بقيَ الكلامُ النفسانيُّ الذي أسمعَهُ مَنْ شاءَ ، وارتسمَتْ في أذهانِهم معانٍ عبَّروا عنها بعباراتٍ مختلفةِ اللغاتِ ؛ سُمِّيَتْ كلامَ اللهِ تعالىٰ مِنْ بابِ المجازِ الغالبِ .

* * *

فصل

في ذكر كلام مؤيد لمسألة الكلام النفساني منقول عن إمام الحرمين

وممَّا يُؤيِّدُ مسألةَ الكلامِ أيضاً : ما قالَهُ إمامُ الحرمينِ رضيَ اللهُ عنهُ عقيبَ مسألةِ الكلامِ ؛ وهوَ أنْ قالَ : (وعَضَدَ المُحصِّلونَ ذلكَ بأمورٍ سمعيَّةٍ ؛ منها : أنَّ الذي اعتلَّ لسانُهُ ولم يتمكَّنْ مِنَ التعبيرِ عمَّا في ضميرِهِ . . يَنفُذُ طلاقُهُ وعتقُهُ وبيعُهُ وفسخُهُ وإيمانُهُ وكفرُهُ ، وإنَّما يُستبانُ ذلكَ بالإشاراتِ ، وقد قالَ بعضُ العلماءِ : إنَّهُ يصحُّ منهُ القذفُ ويلزمُهُ الحدُّ ويُلاعِنُ ، وخالفَ في ذلكَ بعضُ العلماءِ ، وكذلكَ اختلفَ العلماءُ في شهادتِهِ ؛ فصارَ صائرونَ إلىٰ تصحيحِ شهادتِهِ ، وامتنعَ مِنْ ذلكَ آخرونَ .

وغرضُنا يتمُّ بحكمِ واحدٍ مِنْ هٰذهِ الأحكامِ ، فنفرضُ الكلامَ في الطلاقِ مثلاً ونقولُ : إنَّما يقعُ طلاقٌ بتقديرِ نطقٍ ؛ إذْ إرادةُ الطلاقِ لا تُوقِعُ الطلاقَ إجماعاً ما لم يُقدَّرْ بهِ نطقٌ ، وعلىٰ هٰذا الوجهِ يطَّردُ الدليلُ في بيعِهِ وعتاقِهِ .

فإنْ قالوا : لو كانَ ما في النفسِ كلاماً لوقعَ بهِ كلامُ الناطقِ ؛ حتىٰ يُقالُ : المُعبِّرُ القادرُ على التعبيرِ إذا جزمَ في نطقِ نفسِهِ طلاقاً . . يُحكَمُ بوقوعِهِ وإنْ لم يُعبِّرْ عنهُ ، وأنتم لا تقولونَ بهِ ، فدلَّ علىٰ أنَّ الذي في النفسِ ليسَ بكلامٍ .

فالجوابُ عنهُ مِنْ وجهينِ :

الأولُ : أنَّا نقولُ : إنَّ مِنَ العلماءِ مَنْ صارَ إلىٰ أنَّ القادرَ على النطقِ إذا جزمَ في نفسِهِ طلاقاً . . وقعَ ، وإنَّهُ صارَ إليهِ بعضُ أصحابِ مالكٍ رضيَ اللهُ عنهُ .

وعلى القولِ بأنَّهُ لا يقعُ : فالجوابُ[1] : أنَّ الطلاقَ لا يقعُ بكلِّ نطقٍ

(١) وهٰذا هو الجواب الثاني .

وكلامٍ ، وإنَّما يقعُ بما ظهرَ واشتَهرَ ، أو كانَ لهُ علاقةٌ مُرشِّحةٌ لمجازِ الطلاقِ ؛ لأنَّهُ لو قالَ : « اقعدي » ونوى الطلاقَ لا يقعُ عليهِ طلاقٌ ، بخلافِ ما لو قالَ : « أنتِ بائنٌ » و« حبلُكِ علىٰ غاربِكِ » لإشعارِهِ بمعنى الطلاقِ معَ النيةِ ، ولو قالَ لها : « أنتِ طالقٌ » وقعَ الطلاقُ وإنْ لم ينوِ ، فصارَ الكلامُ مختلفَ الأحكامِ ؛ لا لكونِهِ مُتردِّداً بينَ أنْ يكونَ كلاماً أو لا يكونَ ، بل لقوَّتِهِ في المعنى الذي سيقَ لأجلِهِ ، فلمَّا جازَ الفصلُ بينَ قولٍ وقولٍ جازَ الفصلُ في حقِّ المُعبِّرِ بينَ ما يُظهِرُ وما يُضمِرُهُ ؛ ولهٰذا إذا عجزَ عنِ التعبيرِ وإظهارِ ما في النفسِ [بالحروفِ] والأصواتِ[1] . . اكتفىٰ في الدَّلالةِ عليها بالإشاراتِ ، ومعَ هٰذا فقد قالَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : لو أشارَ الناطقُ إشارةَ الأخرسِ لوقعَ طلاقُهُ ، وكذلكَ لو قالَ لامرأتِهِ : « أنتِ طالقٌ هٰكذا » وأشارَ بأصابعِهِ الثلاثِ ؛ وقعَ الثلاثُ[2] .

فقد صحَّ أنَّهُ لا يُشترَطُ التعبيرُ مِنْ كلِّ وجهٍ ، ولٰكنْ يُشترَطُ إظهارُ ما في الضميرِ مِنَ الكلامِ النفسانيِّ إلى الخارجِ بما يدُلُّ عليهِ ؛ إمَّا بإشارةٍ أو بعبارةٍ تُقوِّي دلالتَهُما علىٰ ذلكَ) ، واللهُ أعلمُ[3] .

* * *

(١) في (أ ، ب) : (من الحروف) .

(٢) انظر « الأم » (٥/ ٢٦٢) ، و« البيان » (١٠/ ١١٢) ، و« روضة الطالبين » (٨/ ١٧٥) .

(٣) انظر « الكامل في اختصار الشامل » (٢/ ٤٣٢) .

فصل

في الاستدلال على الكلام النفساني بغير ما سبق

ومِمَّا يُستدَلُّ بهِ علىٰ كلامِ النفسِ : أنَّ القائلَ إذا قالَ : (افعلْ) . . فقد صدرَتْ منهُ حروفٌ متواليةٌ ، ولم يُوجَدِ المُتأخِّرُ إلا بعدَ ذهابِ المُتقدِّمِ ، والحرفُ الواحدُ لا يكونُ كلاماً ، فلو كانَ الكلامُ هوَ الحروفَ . . لوجبَ وجودُها جميعاً ، أوِ الحكمُ بأنَّ الحرفَ الواحدَ كلامٌ ، وكلاهُما باطلٌ ، فوجبَ أنْ يكونَ الكلامُ حقيقةً هوَ كلامَ النفسِ لا [غيرُ] .

ولأنَّ في جوازِ إطلاقِ أنَّ (افعلْ) عبارةٌ عمَّا في الضميرِ : مِنَ الكلامِ النفسانيِّ ، وهوَ أيضاً لا يُوجَدُ المتأخرُ إلا بعدَ ذهابِ المُتقدِّمِ ، ومعَ هـٰذا أطلقتَ عليهِ لفظَ العبارةِ ومنعتَ عنهُ لفظَ الكلامِ .

والجوابُ : أنَّا نعني بقولِنا : (الحروفُ عبارةٌ عمَّا في النفسِ) : أنَّها أمارةٌ وعلامةٌ دالَّةٌ علىٰ ما في النفسِ ، والعدمُ يصلحُ أنْ يكونَ أمارةً وعلامةً دالَّةً علىٰ ما في النفسِ ، بخلافِ الحرفِ المعدومِ ؛ فإنَّهُ لا يُسمَّىٰ كلاماً[1] .

* * *

(١) انظر « الكامل في اختصار الشامل » (٢/ ٤٣٢) .

فصل

في أن كلام الله صفة قديمة قائمة به لا تفارقه

اعلمْ : أنَّ كلامَ اللهِ تعالىٰ صفةٌ قديمةٌ قائمةٌ بهِ لا تفارقُهُ ، غيرُ متغايرٍ ولا مختلفٍ ، لا يُقالُ : هيَ هوَ ولا هيَ غيرُهُ ، ولا يُقالُ : إنَّهُ يتكلَّمُ إذا شاءَ ويسكتُ إذا شاءَ ، ولا يُقالُ : يقدرُ أنْ يتكلَّمَ ؛ فإنَّ [القدرةَ] لا تتعلَّقُ إلا بما يصحُّ حدوثُهُ عقلاً ، وكلامُ اللهِ تعالىٰ ليسَ بحادثٍ ولا يمكنُ أنْ يحدثَ ، فيستحيلُ أنْ تتعلَّقَ القدرةُ بهِ أوِ الإرادةُ .

وفي حكايةِ امتحانِ إبليسَ للعالِمِ الفاسقِ والجاهلِ العابدِ حينَ اختلفَ هوَ وجنودُهُ : أيُّهُما أقوىٰ عليكُم ؟ فقالوا : العابدُ الجاهلُ ، فخالفَهُم في ذلكَ ، ثمَّ حُكِيَ عنهُ في حكايةٍ طويلةٍ : أنَّهُ قالَ للعابدِ : هل يَقدِرُ أنْ يخلقَ اللهُ مثلَهُ ؟ فقالَ : إنَّ اللهَ علىٰ كلِّ شيءٍ قديرٌ ، وقالَ لهُ العالمُ الفاسقُ : اذهبْ يا لعينُ !! فأينَ القِدَمُ ؟! فهٰذا استشهادٌ علىٰ أنَّ القدرةَ لا تتعلَّقُ إلا بما يمكنُ حدوثُهُ ، وكذلكَ الإرادةُ .

قلتُ : قالَ أبو منصورٍ الأيوبيُّ : اعلمْ : أنَّ كلامَ اللهِ تعالىٰ يُسمَّىٰ توراةً إذا كانَ بالعبرانيةِ[1] ، وإنجيلاً إذا قُرِئَ بالسريانيةِ ، ويُسمَّىٰ قرآناً إذا قُرِئَ بالعربيةِ ، فالقراءةُ مخلوقةٌ وكلامُ اللهِ تعالىٰ ليسَ بمخلوقٍ ولا مُحدَثٍ ، وهٰذا يجري مَجرىٰ أنَّ البارئَ تعالىٰ يُسمَّىٰ بالعربيةِ (الله) ، وبالفارسيةِ (إيزد) و(خداي) ، وبالتركيةِ (ينكري) ، فالأسامي مختلفةٌ والمُسمَّىٰ بها واحدٌ ،

(١) قوله : (كان) كذا في الأصل ، والأنسب مع ما بعده أن يقول : (قُرئ) .

ثمَّ التسمياتُ مختلفةٌ والمعنيُّ بها واحدٌ ؛ وهوَ اللهُ ، فكذلكَ القولُ فيما ذكرْناهُ .

[تلخيصُ جوابَيِ السائلِ الأولِ والثاني]

فقد ثبتَ بما تقرَّرَ في هٰذا الكلامِ جميعِهِ مِنِ ابتداءِ الجوابِ إلى الآنَ أيُّها السائلُ : أنَّ ما بين الدَّفَّتينِ يُطلَقُ عليهِ كلامُ اللهِ حقيقةً على أحدِ القولينِ[1] ، ومجازاً على قولِ الجمهورِ ، وأنَّهُ دالٌّ على الكلامِ القديمِ القائمِ بالذاتِ ، وأنَّ المدادَ المكتوبَ والصوتَ الخارجَ مِنَ اللَّهَواتِ بأيِّ لغةٍ كانَ . . حادثٌ ، وأنَّ كلامَ اللهِ ليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ ، وأنَّ كلامَهُ صفةٌ قديمةٌ قائمةٌ بذاتِهِ ؛ ليسَتْ حرفاً ولا صوتاً ، وأنَّ صفتَهُ لا تَحُلُّ في شيءٍ مِنْ عبادِهِ ولا مِنْ مخلوقاتِهِ ؛ لا حالَ قراءةٍ ، ولا حالَ خشوعٍ ، ولا حالَ اصطلامٍ ولا وجدٍ ولا مشاهدةٍ[2] ، كما يزعمُ بعضُ جهلةِ الصوفيةِ .

فهٰذا جوابُكَ أيُّها السائلُ عنِ السؤالِ الأولِ والثاني مشروحاً أوَّلاً ، ومُلخَّصاً في هٰذهِ الأسطرِ الأربعةِ .

[خاتمةٌ : فيها نقولاتٌ عنِ السَّادةِ الصوفيةِ مُتعلِّقةٌ بمسألةِ الكلامِ]

ولنختمْ ذلكَ بكلامٍ نُقِلَ في هٰذا البابِ عن جماعةٍ مِنْ ساداتِ الصوفيةِ :

قالَ الشبليُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (جلَّ الواحدُ المعروفُ ، قبلَ الحدودِ وقبلَ الحروفِ)[3] .

(١) مع نفي ما يوهم من الظواهر . انظر ما سبق (٢/ ٣٦٠) .

(٢) الاصطلام في الأصل : الاستئصال والإبادة .

(٣) أخرجه القشيري في « رسالته » (ص٨٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٦/ ٦٠) ، وقال القشيري تعقيباً : (هٰذا صريحٌ من الشبلي : أن القديم سبحانه لا حدَّ لذاته ، ولا حروف لكلامه) .

وقالَ ابنُ عطاءٍ : (إنَّ اللهَ تعالىٰ لمَّا خلقَ الأحرفَ جعلَها سرّاً له ، فلمَّا خلقَ آدمَ بثَّ فيهِ ذلكَ السرَّ ، ولم يبُثَّ ذلكَ السرَّ في أحدٍ مِنْ ملائكتِهِ ، فجرتِ الأحرفُ علىٰ لسانِ آدمَ عليهِ السلامُ بفنونِ الجِرْياتِ وفنونِ اللغاتِ ، فجعلَها اللهُ صوراً لها)[1] .

وقالَ الأستاذُ أبو القاسمِ : (صرَّحَ ابنُ عطاءٍ بأنَّ الحروفَ مخلوقةٌ)[2] .

وقالَ سهلُ بنُ عبدِ اللهِ : (إنَّ الحروفَ لسانُ فعلٍ لا لسانُ ذاتٍ ؛ لأنَّها فعلٌ في مفعولٍ) ، فهـٰذا أيضاً تصريحٌ بخلقِ الحروفِ[3] .

[الجوابُ عن السؤالِ الثالثِ المُتعلِّقِ بمسألةِ الاستواءِ]

الثالثُ : الكلامُ علىٰ قولِهِ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] .

وأمَّا سؤالُكَ عن قولِهِ تباركَ وتعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ . . فقد قدَّمتُ لكَ في بابِ الدليلِ على التأويلِ مِنْ جهةِ العقلِ ، وإقامةِ الدليلِ الدائرِ بينَ النفيِ والإثباتِ ، وإلزامِ ما ينشأُ مِنَ الحملِ على الظاهرِ ، ووجوبِ الرجوعِ إلى التأويلِ . . ما فيهِ غنيةٌ عنِ الإعادةِ هنا[4] ، **والكلامُ الآنَ علىٰ ما ذكرَهُ العلماءُ في تأويلِ هـٰذهِ الآيةِ** .

اعلمْ أرشدَنا اللهُ وإيَّاكَ : أنَّ العلماءَ انقسموا في تأويلِ هـٰذهِ الآيةِ قسمينِ ؛ **فمنهُم** مَنْ أوَّلَ التركيبَ ، **ومنهُم** مَنْ أوَّلَ الأفرادَ[5] ، **وهـٰؤلاءِ علىٰ قسمينِ** ؛ **منهُم** مَنْ أوَّلَ (استوىٰ) ، **ومنهُم** مَنْ أوَّلَ (العرشَ) .

(١) أورده القشيري في « رسالته » (ص٩٥ـ٩٦) .

(٢) الرسالة القشيرية (ص٩٦) .

(٣) الرسالة القشيرية (ص٩٦) .

(٤) انظر (١/ ١٩٢) وما بعدها .

(٥) في هامش (أ) : (المفردات) دون إشارة إلىٰ تصحيح .

ونحنُ نسردُ التأويلاتِ المذكورةَ مِنْ غيرِ تعيينِ جنسِ المجازِ ؛ فإنَّ ذلكَ يظهرُ لمتأمِّلِهِ ، واللهُ المُوفِّقُ للصوابِ .

الأولُ : ذكرَهُ الإمامُ عبدُ القاهرِ التميميُّ في كتابِ « تفسيرِ أسماءِ اللهِ الحسنىٰ » فقالَ : (هوَ إخبارٌ عن فعلٍ فعلَهُ اللهُ في عرشِهِ سمَّاهُ استواءً ، ووصفَ نفسَهُ مِنْ ذلكَ الفعلِ بهـٰذا الوصفِ)[1] .

وهـٰذا وإنْ كانَ نائياً عنِ التأويلِ في بادئِ الرأيِ لـٰكنَّهُ صرفٌ للفظِ عن ظاهرِهِ إلىٰ معنىً محتملٍ .

الثاني[2] : أنْ يكونَ الكلامُ في الآيةِ مُنقطِعاً ، ويكونَ الوقفُ علىٰ قولِهِ : ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [طه : ٥] ، والابتداءُ بقولِهِ : ﴿ٱسْتَوَىٰ * لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [طه : ٥ـ٦] أي : تمَّ لهُ وكملَ[3] ، وقولُهُ : ﴿عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ كما قالَ : ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام : ١٨] ، وقالَ : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد : ٣٣] .

الثالثُ : وافقَ خلقُهُ الإرادةَ ، وهـٰذا قولُ الفراءِ وغيرِهِ[4] .

الرابعُ : (استوىٰ علىٰ العرشِ) : علىٰ الخلقِ ، ذكرَهُ التميميُّ ، واستشهدَ بقولِ متمِّمِ بنِ نويرةَ : [من الطويلِ]

[عُرُوشٌ تَفَانَوْا بَعْدَ عِزٍّ وَأُمَّةٌ هَوَوْا بَعْدَمَا نَالُوا ٱلسَّلَامَةَ وَٱلْبَقَا][5]

(١) انظر هـٰذا القول في « أصول الدين » لعبد القاهر (ص١١٣) .

(٢) في هامش (أ) : (وإليه ذهب الجنيد والشبلي) .

(٣) انظر « الدر المصون » (٨/ ١٣) .

(٤) انظر « معاني القرآن » للفراء (ص٢٥) .

(٥) انظر « أصول الدين » (ص١١٣) ، و« تفسير القرطبي » (٩/ ٢٦٤) .

الخامسُ : أنْ يكونَ العرشُ هنا وأمثالُهُ بمعنى المُلْكِ ، **وهـٰذا كثيرٌ في شعرِ العربِ** ، قالَ زهيرٌ[1] : [من الطويل]

[تَدَارَكْتُمَا] ٱلأَحْلافَ قَدْ ثُلَّ عَرْشُهَا

السادسُ : (استوىٰ على العرش) أي : استأثرَ بملكِهِ وانفردَ بهِ كافَّةً ، وقالَ أميةُ بنُ أبي الصلتِ : [من الكامل]

سُبْحَانَ مَنْ خَضَعَتْ لِعِزَّةِ عَرْشِهِ سَبْـعٌ وَسَبْـعٌ بَيْنَهَـا ٱلآيَـاتُ
قَمَرٌ وَشَمْسٌ وَٱلسَّحَابُ رَوَاكِدٌ وَٱلـرِّيـحُ وَٱلأَنْهَـارُ وَٱلظُّلُمَـاتُ

فليسَ المرادُ العرشَ نفسَهُ الذي هوَ جسمٌ ؛ لأنَّهُ ليسَ الخضوعُ لهُ ، وإنَّما الخضوعُ لعزَّةِ ملكِ اللهِ تباركَ وتعالىٰ ، وكذلكَ السماواتُ في قولِهِ : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة : ٢٩] ؛ فإنَّهُ لم يهبْ لأحدٍ مِنَ المخلوقينَ ملكَها ، وإنَّما جعلَ الخلفاءَ في الأرضِ .

فإنْ قيلَ : تأويلُكُم هـٰذا بهـٰذينِ التأويلينِ يدلُّ علىٰ أنَّ العرشَ معنىً ، والحديثُ الصحيحُ يدلُّ علىٰ أنَّ العرشَ جسمٌ لا معنىً ، ألا ترىٰ قولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَا ٱلسَّمَاوَاتُ ٱلسَّبْعُ فِي جَانِبِ ٱلْعَرْشِ إِلا كَسَبْعٍ مُلْقَاةٍ فِي فَلاةٍ »[2] .

فالجوابُ : هـٰذا صحيحٌ ، لـٰكنْ مِنْ أينَ لكَ أنَّ ذلكَ هوَ المرادُ ها هنا ؟!

السابعُ : في قولِهِ : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ﴾ : أنَّ أفعالَهُ وأحكامَهُ وما كتبَ في

(١) ديوان زهير (ص ٨٦) ، وعجز البيت : (وذبيانَ قد زلَّتْ بأقدامِها النعلُ) ، وفي (أ، ب) : (تذكرنا) بدل (تداركتما) .

(٢) أخرجه ابن حبان (٣٦١) عن سيدنا أبي ذر رضي الله عنه ، وفيه : (كحلقة) بدل (كسبع) .

الكتابِ : (أنَّ رحمتَهُ سبقَتْ غضبَهُ) المُودَعِ . . فوقَ عرشِهِ ، فيكونُ صيغةُ التأويلِ مِنِ ﴿ ٱسْتَوَىٰ ﴾ تمَّ حكمُهُ ، ويدُلُّ على ذلكَ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في قصةِ سعدِ بنِ معاذٍ : « لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ ٱلْمَلِكِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ أَرْقِعَةٍ »[1] ؛ يعني : أنَّكَ وافقتَ ما هوَ مثبتٌ مِنَ الحكمِ في بني قريظةَ ، وقولُهُ : « مِنْ فَوْقِ سَبْعِ أَرْقِعَةٍ » عائدٌ على الحكمِ لا على الملكِ .

الثامنُ : ﴿ ٱسْتَوَىٰ ﴾ صنعُهُ وأمرُهُ واقتدارُهُ ، ذكرَهُ أبو إسحاقَ الإسفراينيُّ .

التاسعُ : ﴿ ٱسْتَوَىٰ ﴾ بمعنى : استولىٰ ، وهٰذا تأويلُ جماعةٍ منهُمُ المعتزلةُ ، واستُشهِدَ على ذلكَ بقولِهِ[2] : [من الرجز]

قَدِ ٱسْتَوَىٰ بِشْرٌ عَلَى ٱلْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقِ

وبقولِ الشاعرِ[3] : [من الطويل]

إِذَا مَا غَزَا قَوْماً أَبَاحَ حَرِيمَهُمْ وَأَضْحَىٰ عَلَىٰ مَا مُلِّكُوهُ قَدِ ٱسْتَوَىٰ

العاشرُ : ذكرَهُ الإمامُ أبو نصرِ بنُ القشيريِّ ، وأشارَ إليهِ أبو إسحاقَ الإسفراينيُّ ؛ فإنَّهُ صنَّفَ كتاباً مفرداً في هٰذهِ المسألةِ .

قالَ أبو نصرٍ : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ : أقبلَ على خلقِهِ وقصدَ إليهِ ، ثمَّ قالَ في آخرِ كلامِهِ : (فإنَّ كلَّ ما يُجوِّزُهُ العقلُ ، ووردَ بهِ الخبرُ . . فالأصلُ

(١) أخرجه البخاري (٣٠٤٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه دون قوله : « مِنْ فوقِ سبعِ أرقعةٍ » ، وانظر « سيرة ابن هشام » (٢/ ٢٤٠) .

(٢) البيت للبَعِيث المجاشعي كما في « الأزمنة والأمكنة » (ص٣٦) ، وبشر : هو ابن مروان أخو الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان .

(٣) أورده ابن الجوزي في « دفع شبه التشبيه » (ص٢٠) .

إجراؤُهُ على الظاهرِ ، إلا أنْ يقومَ دليلٌ على تأويلٍ ، فأمَّا ما يُوهِمُ في حقِّ الربِّ انتقالاً أو زوالاً أو تخصيصاً بجهةٍ . . فيجبُ تأويلُهُ ؛ لاستحالةِ أنْ يتطرَّقَ إلى حقِّهِ سبحانَهُ نقصٌ وآفةٌ ، أو يجوزَ عليهِ مسافةٌ) انتهى كلامُ ابنِ القشيريِّ رضيَ اللهُ عنهُ .

قلتُ : يدُلُّ على تأويلِهِ الاستواءَ بالقصدِ : قولُ الشاعرِ : [من البسيط]

ثُـمَّ ٱسْتَـوَيْتُـمْ لَنَـا تَـرْمُـونَ أَنْكُبَنَـا بَغْياً وَفِي ٱلْبَغْيِ إِنْ لَـمْ تَنْتَهُوا ٱلنُّكُلُ

وقولُهُ سبحانَهُ : ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مُؤوَّلٌ بالاتفاقِ ؛ فإنَّهُ لم يكنْ في تلكَ الحالةِ شمسٌ ولا فجرٌ يكونُ طلوعُهُما وغروبُ الشمسِ لليومِ بدايةً ونهايةً حتى يُسمَّى يوماً ، وتأويلُهُ واللهُ أعلمُ : في مقدارِ ستةِ أيامٍ ؛ إمَّا مِنْ أيامِ الآخرةِ في ستةِ آلافِ سنةٍ ، أو مقدارِ ستةِ أيامٍ مِنْ أيامِ الدنيا ، ذكرَ التأويلينِ ابنُ القشيريِّ وجماعةٌ مِنَ المفسرينَ .

الحادي عشرَ : استوى على خلقِهِ ؛ كما تقولُ : (استوى فلانٌ في صنعتِهِ) و(على صنعتِهِ) : إذا أتقنَها ، ويدُلُّ على ذلكَ : قولُهُ : ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ [القيامة : ٣٨] أي : أتقنَ ، وقولُهُ : ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم : ١٧] يعني : كاملَ الخلقِ .

الثاني عشرَ : ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ : بمعنى سوَّى ، و﴿عَلَى﴾ : صلةٌ ؛ وذلك كما تقولُ : ازدجرَ واصطبرَ ؛ بمعنى : زجرَ وصبرَ ، واكتتمَ : بمعنى كتمَ ، ذكرَ هٰذينِ التأويلينِ أبو إسحاقَ الإسفراينيُّ .

الثالثَ عشرَ : ذكرَهُ الشيخُ الإمامُ محمدُ بنُ عمرَ القرطبيُّ[1] ؛ وهوَ أنَّ الاستواءَ بمعنى العلوِّ بالعظمةِ والعزَّةِ ، وأنَّ صفاتِهِ تعالى أرفعُ مِنْ صفاتِ

(١) كذا في (أ ، ب) ، وفي « الوافي بالوفيات » (٢/ ٨٧) وغيره : (أحمد) بدل (عمر) .

العرشِ على جلالةِ قدرِهِ ، وهوَ قولُ أبي جعفرٍ السمنانيِّ وأبي المنصورِ[1] .

قلتُ : شرحُ هـٰذا التأويلِ أنْ يُقالَ : خلقُ السماواتِ والأرضِ التي خلقُها أكبرُ مِنْ خلقِ الناسِ ، وعظمتُهُ تقتضي ذلكَ ، بلِ العرشُ الذي تقرَّرَتْ عظمتُهُ عندَكُم لا تُذكَرُ عظمتُهُ وعُلوُّهُ بالنسبةِ إلىٰ عظمةِ الباريِ وعلوِّهِ وعزَّتِهِ ، ونظيرُ هـٰذا : ما ذُكِرَ مِنْ أحدِ التأويلاتِ في قولِهِ : ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة : ١] ، ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ [الانشقاق : ١٦] : لا أقسمُ بهـٰذهِ المخلوقاتِ وإنْ كانَتْ عظيمةً عندَكُم ، بل أطرحُها وأقسمُ بربِّها ؛ فإنَّ عظمتَها ليسَتْ بشيءٍ بالنسبةِ إلىٰ عظمةِ ربِّها بها .

الرابعَ عشرَ : أنَّهُ سبحانَهُ قهرَ العرشَ علىٰ عظمتِهِ واتِّساعِ عرشِهِ[2] ، فتضمَّنَ القهرَ والغلبةَ لما دونَهُ، وهوَ قولُ أبي المعالي إمامِ الحرمينِ ومَنْ ذهبَ مذهبَهُ[3] .

ويُؤيِّدُ ذلكَ : أنَّهُ أخبرَ عن قهرِهِ السماواتِ بقولِهِ : ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت : ١١] ، فكذلكَ أخبرَ عن قهرِهِ للعرشِ أيضاً بقولِهِ : ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ .

الخامسَ عشرَ : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ هو وغيرُهُ بالنسبةِ [إلى] العلوِّ والعظمةِ والقدرةِ ، وهـٰذا القولُ ذكرَهُ القرطبيُّ عن محمدِ بنِ مروانَ ، عنِ الكلبيِّ ، عن أبي صالحٍ ، عنِ ابنِ عباسٍ قالَ : (ثمَّ استوىٰ عندَهُ الخلائقُ القريبُ منهُم والبعيدُ ، فصاروا عندَهُ سواءً)[4] ، وهـٰذا التأويلُ وإنْ كانَ جيِّداً فرواتُهُ مُضعَّفونَ[5] .

(١) انظر « الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ » (٢/ ١٢٣) .

(٢) في « الأسنىٰ » (٢/ ١٢٣) : (واتساع حرمه) .

(٣) انظر « الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ » (٢/ ١٢٣) .

(٤) انظر « الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ » (٢/ ١٢٩) .

(٥) انظر تفصيل ذلك في « الأسنىٰ » (٢/ ١٣٠) .

فقد ظهرَ لكُم أيَّدَكُمُ اللهُ هٰذهِ التأويلاتُ ، فمهما رجحَ عندَكُم فاحملوا اللفظَ عليهِ ؛ فإنَّ الظاهرَ منفيٌّ بإجماعِ علماءِ السنَّةِ ، فللّٰهِ الحمدُ على اتِّباعِهم .

وقالَ الشيخُ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ سعدِ بنِ أبي جمرةَ رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاهُ في كتابِهِ المُسمَّىٰ : « بهجةَ النفوسِ وتحلِّيها بمعرفةِ ما عليها وما لها » لمَّا ذكرَ قولَهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَمَّا قَضَى ٱللَّهُ تَعَالَى ٱلْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ ٱلْعَرْشِ : إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي »[1] : (وقد يكونُ هٰذا الحديثُ تفسيراً لقولِهِ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ أي : إنَّ ما شاءَهُ مِنْ أثرِ قدرتِهِ وحكمتِهِ وكتابِهِ هوَ الذي استقرَّ على العرشِ ، لا ذاتُهُ الجليلةُ ، ولو أرادَ ذلكَ لأكَّدَهُ بالمصدرِ ، كما في كلامِهِ جلَّ وتعالىٰ حيثُ قالَ : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] ، فأكَّدَهُ بالمصدرِ ؛ لأنَّ العربَ تقولُ : « جاءَ زيدٌ » ، ويعنونَ : خبرَهُ أو كتابَهُ ، فإذا أرادوهُ بذاتِهِ قالوا : « جاءَ زيدٌ نفسُهُ » ، فأثبتوا بذلكَ الحقيقةَ حقّاً ، فذهبَ ما زعمُوهُ بنظرِهِمُ الفاسدِ ، والحمدُ للهِ)[2] .

قلتُ : ويزيدُ هٰذا المعنىٰ وضوحاً : بأنْ نُظهرَ ما أومأَ إليهِ وسبقَ إلىٰ إدراكِهِ مِنَ المعنىٰ ؛ فنقولُ : يكونُ التقديرُ علىٰ هٰذا : (كتابُ رحمةِ الرحمٰنِ على العرشِ استوىٰ) ، وتكونُ (استوىٰ) علىٰ بابِها ، ويؤيدُ ذلكَ : ذكرُ صفةِ الرحمٰنِ ، ولم يقلِ : اللهُ على العرشِ ، ولا ربُّكُم على العرشِ ، بل ذكرَ الوصفَ الذي يشيرُ إلى الرحمةِ ؛ فالمعنىٰ : أنَّهُ كتبَ الكتابَ واستقرَّ على العرشِ ، ولا يردُ علينا قولُهُ : « عِنْدَهُ » ؛ فإنَّ العنديةَ وردَتْ كثيراً مُتجوَّزاً بها ، واللهُ أعلمُ .

* * *

(١) أخرجه « البخاري » (٣١٩٤) ، ومسلم (٢٧٥١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) انظر « بهجة النفوس » (١/ ٣٩) .

خاتمة

في ذكر جمل وردت عن العلماء والمشايخ تؤيد عقيدة أهل السنة

ولنختمِ البابَ بجملٍ وردَتْ عنِ العلماءِ والمشايخِ في الكتبِ تشهدُ بقواعدِ عقائدِهم :

ذكرَ الأستاذُ أبو القاسمِ القشيريُّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : (سمعتُ الإمامَ أبا بكرٍ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : سمعتُ أبا عثمانَ المغربيَّ يقولُ : كنتُ أعتقدُ شيئاً مِنْ حديثِ الجهةِ ، فلمَّا قدمتُ بغدادَ زالَ عنِّي ذلكَ ، فكتبتُ إلى أصحابي بمكَّةَ : إنِّي قد أسلمتُ جديداً)[1] .

[وقالَ : (سمعتُ][2] الأستاذَ أبا بكرِ ابنَ فُورَكَ رضيَ اللهُ عنهُ يقولُ : سمعتُ محمداً المحبوبَ خادمَ أبي عثمانَ المغربيِّ يقولُ : قالَ لي يوماً أبو عثمانَ : يا با محمد[3] ؛ لو قالَ لكَ أحدٌ : أينَ معبودُكَ ؟ أيشٍ تقولُ ؟ قالَ : قلتُ : أقولُ : حيثُ لم يَزَلْ ، قالَ : فإنْ قالَ لكَ : أينَ كانَ في الأزلِ ؟ أيشٍ تقولُ ؟ قالَ : قلتُ : أقولُ : حيثُ الآنَ ؛ يعني : أنَّهُ كما كانَ ولا مكانَ ، فهوَ الآنَ كما كانَ ، فارتضى منِّي ذلكَ ، ونزعَ قميصَهُ وأعطانيهِ)[4] .

(١) الرسالة القشيرية (ص٩٠) .

(٢) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) بمقدار كلمتين .

(٣) في « الرسالة القشيرية » : (يا محمدُ) .

(٤) الرسالة القشيرية (ص٨٩ ـ ٩٠) .

وذكرَ الشيخُ أبو عبدِ الرحمٰنِ السلميُّ قالَ : (سمعتُ محمدَ بنَ محمدِ بنِ غالبٍ قالَ : سمعتُ أبا نصرٍ أحمدَ بنَ سعيدٍ الإسفنجانيَّ يقولُ[1] : قالَ الحسينُ بنُ منصورٍ : ألزمَ الكلَّ الحدثَ ؛ لأنَّ القدمَ لهُ ، فالذي بالجسمِ ظهورُهُ فالعرضُ يلزمُهُ ، والذي بالأداةِ اجتماعُهُ فقواها تمسكُهُ ، والذي يُؤلِّفُهُ وقتٌ يُفرِّقُهُ وقتٌ ، والذي يقيمُهُ غيرُهُ فالضرورةُ تمسُّهُ ، والذي يظفرُ الوَهْمُ بهِ فالتصويرُ يرتقي إليهِ ، ومَنْ آواهُ محلٌّ أدركَهُ أينٌ ، ومَنْ كانَ لهُ جنسٌ طالبَهُ تكييفٌ[2] .

إنَّهُ سبحانَهُ لا يظلُّهُ فوقٌ ، ولا يقطعُهُ تحتٌ ، ولا يقابلُهُ حدٌّ ، ولا يزاحمُهُ عندٌ ، ولا يأخذُهُ خلفٌ ، ولا يحدُّهُ أمامٌ ، ولم يُظهِرْهُ قبلٌ ، ولم يُفنِهِ بعدٌ ، ولم يجمعْهُ كلٌّ ، ولم يوجدْهُ كانَ ، ولم يفقدْهُ ليسَ .

وصفُهُ لا صفةَ لهُ ، وفعلُهُ لا علَّةَ لهُ ، وكونُهُ لا أمدَ لهُ .

مُنزَّهٌ عن أحوالِ خلقِهِ ، ليسَ لهُ مِنْ خلقِهِ مزاجٌ ، ولا في فعلِهِ علاجٌ ، باينَهُم بقدمِهِ كما باينوهُ [بحدوثِهِم] .

إنْ قلتَ : « متىٰ » فقد سبقَ الوقتَ كونُهُ ، وإنْ قلتَ : « هوَ » فالهاءُ والواوُ خلقُهُ ، وإنْ قلتَ : « أينَ » فقد تقدَّمَ المكانَ وجودُهُ .

فالحروفُ دلائلُ آياتِهِ ، ووجودُهُ حقيقةُ إثباتِهِ ، ومعرفتُهُ توحيدُهُ ، وتوحيدُهُ تمييزُهُ مِنْ خلقِهِ .

ما تُصوِّرَ في الأوهامِ فهوَ بخلافِهِ .

(١) في « الرسالة القشيرية » : (الإسفيجابي) بدل (الإسفنجاني) .

(٢) في « الرسالة القشيرية » : (مكيف) بدل (تكييف) .

كيفَ يَحُلُّ بهِ ما منهُ بدا ، أو يعودُ إليهِ ما هوَ أنشا ؟! لا تماثلُهُ العيونُ[1] ، ولا تقابلُهُ الظنونُ .

قربُهُ كرامتُهُ ، وبُعدُهُ إهانتُهُ ، عُلُوُّهُ مِنْ غيرِ توقُّلٍ[2] ، ومجيئُهُ مِنْ غيرِ تنقُّلٍ ، هوَ الأولُ والآخرُ ، والظاهرُ والباطنُ ، ليسَ كمثلِهِ شيءٌ وهوَ السميعُ البصيرُ)[3] .

[عودٌ إلى السؤالِ السابقِ]

الكلامُ على السؤالِ :

وأمَّا سؤالُكَ عن إجراءِ ما وردَ في الكتابِ العزيزِ والسنَّةِ النبويةِ على ظاهرِهِ . . فقد قدَّمتُ لكَ أرشدَكَ اللهُ مِنَ الأدلَّةِ على التأويلِ ما فيهِ مقنعٌ وكفايةٌ[4] .

واعلمْ : أنَّ مِنَ العلماءِ مَنْ أوَّلَ ، ومنهُم مَنْ سكتَ عنِ التأويلِ أدباً ؛ لئلا يقولَ : المرادُ بهذا الكلامِ كذا ويكونُ المرادُ بالكلامِ غيرَهُ .

وكلا الفريقينِ اتَّفقا على نفيِ ما يُوهِمُ مِنَ الظواهرِ قولاً واحداً ؛ فيقولانِ في اليدينِ مثلاً : نحنُ نقطعُ بأنَّهُ ليسَ المرادُ بهما الجارحتينِ ؛ [بل] إمَّا يدُ النعمةِ ، أوِ الكرمِ ، أوِ القوةِ ، فيفترقانِ هنا ، فمَنْ سكتَ عنِ التأويلِ أدباً لا يُعيِّنُ شيئاً مِنْ هذهِ التأويلاتِ ، بل ينفي ما يُوهِمُ قطعاً ، ومَنْ أوَّلَ ذكرَ

(١) في « الرسالة القشيرية » : (لا تماثله) بدل (لا تماثله) أي : لا تراه بالمقلة متحيزاً .

(٢) التوقُّلُ : الصعود ، أو الإسراع فيه .

(٣) أخرجه القشيري في « رسالته » (ص٨٦ ـ ٨٨) .

(٤) وخصَّص في ذلك الباب الأول والثاني .

ما يسَّرَهُ اللهُ لهُ مِنَ التأويلِ عندَهُ ، وكلا جانبَيْ هَرْشىٰ طريقٌ لسالكٍ[1] ، وكلا الفريقينِ على الحقِّ .

هـٰذا كلُّهُ في تلكَ الأزمنةِ المُتقدِّمةِ ؛ حيثُ النفوسُ مطمئنةٌ بالإيمانِ ، والصدورُ سليمةٌ مِنْ شُبَهِ أهلِ الزيغِ والطغيانِ ، وحيثُ لم يكنْ عدمُ التأويلِ ذريعةً إلى الوقوعِ في الفجورِ ، ووصفِ اللهِ تباركَ وتعالىٰ بما يستحيلُ عليهِ ، ودعاءِ الناسِ إليهِ ، وحملِهِم علىٰ آراءِ أهلِ الأهواءِ والبدعِ مِنَ القولِ بالحرفِ والصوتِ والتجسيمِ وإثباتِ الجهةِ ، فأمَّا إذا صارَ السكوتُ عنِ التأويلِ ذريعةً إلىٰ ذلكَ . . فليسَ إلا التأويلُ كما قالَ الشيخُ عزُّ الدينِ بنُ عبدِ السلامِ للشيخِ شرفِ الدينِ الكركيِّ : (إنَّهُم يُظهِرونَ في الظاهرِ عدمَ التأويلِ ، وقلوبُهُم في الباطنِ منطويةٌ على اعتقادِ التحيُّزِ ، والحرفِ والصوتِ ، والجهةِ والجسميةِ)[2] .

ولهـٰذا إنَّهُم إذا وجدوا غفلةً مِنْ أهلِ السنَّةِ أظهروا مُعتقدَهُمُ الفاسدَ ، وإذا أظهروهُ فلا يُجيبُهُم في الغالبِ إلا جفاةُ الأكرادِ وحفاةُ الجمَّالينَ وفلاحو البلادِ ، وقد قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْفِتْنَةُ مِنْ هَا هُنَا » وأشارَ إلى المشرقِ[3] ، وقالَ : « ٱلْغِلْظَةُ وَٱلْجَفَاءُ فِي ٱلْفَدَّادِينَ أَهْلِ ٱلْوَبَرِ قِبَلَ مَطْلِعِ ٱلشَّمْسِ »[4] .

وحسبُكَ بمَنِ انتهىٰ حالُهُم إلىٰ ما بلغَني مِنْ غيرِ واحدٍ : أنَّ بعضَ جفاةِ الشرقيَّةِ مِنْ أعمالِ مصرَ ممَّنْ يعتقدُ هـٰذا الاعتقادَ في وقتِ رياضةِ باطنِهِم ،

(١) هرشىٰ : موضع في طريق مكة ، وفي كلامه مثل مأخوذ من قول الشاعر : (من الطويل)

خـذا بطـنَ هَـرْشـىٰ أو قفـاهـا فـإنَّـهُ كـلا جـانبَـيْ هَـرْشـىٰ لهُـنَّ طـريـقُ

وهو مثل يضرب للأمر يسهل من وجهين . انظر « جمهرة الأمثال » (٢/ ١٤٨) .

(٢) سبق هـٰذا القول ضمن قصة مطولة . انظر (١/ ٢٩٣) .

(٣) أخرجه البخاري (٥٢٩٦) ، ومسلم (٢٩٠٥) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٤) سبق تخريجه في (١/ ٢٢٠ـ ٢٢١) .

وظهورِ صفاءِ أحوالِهم ، ووجدِهم وخشوعِ قلبِهم . . يجتمعونَ في موضعٍ بظاهرِ بلدِهم ويقولُ مِنْ بينِهم قائلٌ بأنكرِ الأصواتِ : إنَّ في الجنةِ حماراً ذنبُهُ مِنْ زعفرانٍ ، ليتَني ذاكَ الحمارُ ، وحمارُ بنُ حمارٍ .

فمَنِ انتهتْ حالُهُم إلىٰ أنْ تمنَّوا أنْ يكونوا حميراً لا يعقلونَ ؛ بُعْداً عنِ التأويلِ ، وسدّاً لأبوابِ فهمِ التنزيلِ ، واختاروا صفةَ البهائمِ التي لا تعرفُ التوحيدَ ولا التمجيدَ ولا الإيمانَ بهِ ، ولا اعتقادَ شيءٍ مِنَ الأشياءِ ، وتمنَّوا زوالَ التكليفِ الذي هوَ سببٌ لتحصيلِ الآخرةِ ، ومقدمةٌ نتيجتُها الأجورُ الفاخرةُ ، وما أظنُّ ذلكَ واللهُ أعلمُ إلا حالَهُم يومَ القيامةِ حينَ يقولُ مَنْ يرىٰ إذا رأى البهائمَ وقد صارَتْ تراباً : يا ليتَني كنتُ تراباً . . سبقَتْ لهُم في الدنيا : لا تعجلْ أيُّها القائلُ ، سوفَ تظهرُ بهِ ندامتُكَ في قابلٍ .

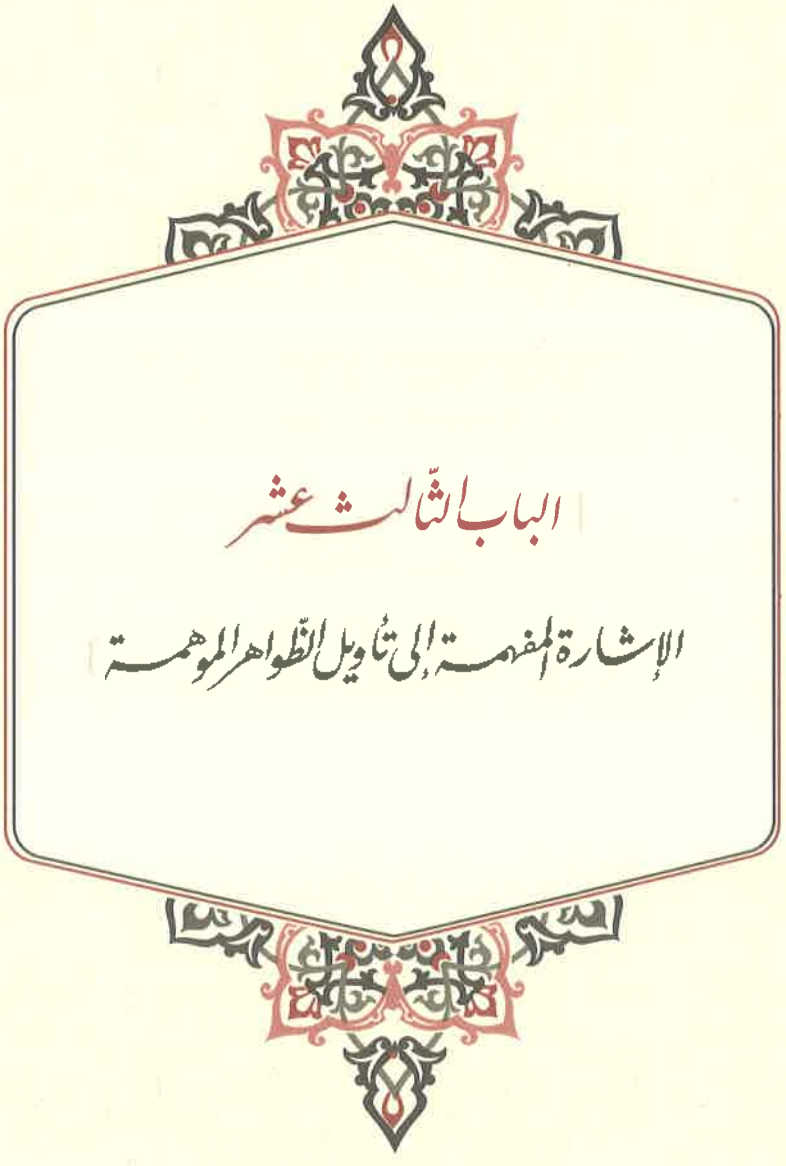
تَـرَفَّـقْ بِـدَمْعِـكَ لا تُفْنِـهِ ... فَبَيْـنَ يَـدَيْـكَ بُكَـاءٌ طَـوِيـلُ[1]

فالذي يتعيَّنُ علىٰ كلِّ مَنْ لهُ فهمٌ صحيحٌ : معرفةُ التأويلاتِ التي وردَتْ عنِ العلماءِ في المواضعِ التي تحتاجُ إلى التأويلِ مِنْ كتابِ اللهِ تعالىٰ وسنَّةِ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقد صنَّفَ العلماءُ في ذلكَ كتباً مفردةً ، ونقلوا أقاويلَ أوائلِ العلماءِ فيها ، ونقلَ جماعةٌ في ضمنِ التفاسيرِ أقاويلَ العلماءِ في التأويلاتِ ، فتتبَّعْ ذلكَ في مظانِّهِ أرشدَنا اللهُ وإيَّاكَ .

ولنذكُرْ مِنْ ذلكَ نبذةً يسيرةً مِنْ غيرِ استيعابٍ في بابٍ يلي هٰذا البابَ ؛ ليكونَ طِرازاً للكتابِ ، وميزاناً يظهرُ بها رجحانُ الصوابِ .

* * *

(١) أورده الصولي في « أشعار أولاد الخلفاء » (ص١٥) ، وعزاه لسليمان بن أبي جعفر ، وهو من المتقارب .



الباب الثالث عشر

الإشارة المفهمة إلى تأويل الظواهر الموهمة

بابُ
الإشارةِ المفهمةِ إلى تأويلِ الظواهرِ الموهمةِ

هٰذا بابٌ أذكرُ فيهِ تأويلاتِ ظواهرِ آيٍ في كتابِ اللهِ ، وأحاديثَ وردَتْ عن رسولِ اللهِ ليسَ في رجالِها علَّةٌ ولا في متونِها ، يحتاجُ ظاهرُها إلىٰ تأويلٍ .

[ما الحكمةُ في التعبيرِ بالمتشابهِ الموهمِ ؟]

فإنْ قالَ سائلٌ : ما الحكمةُ في العدولِ عنِ الباطنِ السالمِ عنِ التأويلِ إلى الظاهرِ المُؤوَّلِ ؟ وهلا ذُكِرَ ذلكَ أوَّلاً .

فالجوابُ عنهُ[1] : أنَّ سيدَنا رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بُعِثَ مُعلِّماً مُبيِّناً ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[النحل : ٤٤] ، وذلكَ علىٰ مقتضىٰ ما اطَّردَ في الحكمةِ الإلهيَّةِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤] .

فرسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مأمورٌ بالبيانِ ، ومُكلَّفٌ بإيصالِ المعارفِ إلى الأذهانِ ، وأنْ يُخاطِبَ كلَّ أحدٍ علىٰ مقدارِ ما يصلُ إلىٰ ذهنِهِ ، فليسَ خطابُهُ لأبي بكرٍ وعمرَ وعليٍّ وعائشةَ وأمثالِهم كخطابِهِ لمَنْ هوَ دونَ هٰذهِ الطبقةِ ، وليسَ خطابُهُ لهٰؤلاءِ كخطابِهِ لأهلِ البوادي ، وليسَ خطابُهُ لأهلِ

(١) وهٰذا هو الوجه الأول ؛ وهو التقريب للأذهان ، ومخاطبة الناس علىٰ قدر عقولهم ، وستأتي أربعة وجوه أخرىٰ .

البادية كخطابِهِ لجُفاةِ الأعرابِ ، فرُبَّ مَنْ لا يفهمُ إذا ذُكِرَتْ لهُ الحقيقةُ ، ولا يُدرِكُ ذلكَ إلا بضربٍ مِنَ المجازِ مِنَ الاستعارةِ أوِ التمثيلِ أو قياسِ شيءٍ على شيءٍ !!

ألا ترىٰ قولَهُ تعالىٰ : ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾ [الطارق : ١] ، فسيدُنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ومَنْ آتاهُ اللهُ قدرةً على الفهمِ مِنْ أصحابِهِ . . يأخذُ مِنْ قرينةِ الكلامِ وملازمةِ السماءِ معَهُ أنَّ الطارقَ هنا المرادُ بهِ النجمُ ، لٰكنْ أرادَ اللهُ تعالىٰ تفهيمَ مَنْ لم يعرفْ ذلكَ مِنْ أمَّتِهِ ؛ فقالَ : ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ [الطارق : ٢] ، والخطابُ لهُ والمرادُ غيرُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ [الطارق : ٣] ، ففهمَ بالكلامِ الثاني مَنْ لم يفهمْ بالكلامِ الأولِ .

وهٰذا كثيرٌ في القرآنِ وفي الحديثِ ؛ كقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى ٱلْفِطْرَةِ ، وَإِنَّمَا أَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ » ، فخشيَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ألا يظهرَ لمَنْ سمعَ معنىٰ وقوعِ العيبِ والنقصِ بتبعيَّةِ الآباءِ ؛ فقالَ مُمثِّلاً لهُم : « كَمَا تُنْتَجُ ٱلْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ ـ أي : سليمةَ الخَلْقِ ـ هَلْ تَجِدُونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ حَتَّىٰ تَكُونُوا أَنْتُمْ تَجْدَعُونَهَا ؟! » ، ثمَّ قرأَ : ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم : ٣٠][1] ، ففهمَ مَنْ لم يفهمْ قبلُ ، وتأكَّدَ المعنىٰ عندَ مَنْ فهمَ .

وكذلكَ لمَّا سُئِلَ : أيأتي الخيرُ بالشرِّ ؟ فقالَ : « إِنَّ ٱلْخَيْرَ لا يَأْتِي إِلا بِـٱلْخَيْرِ ، وَإِنَّ مِنَ ٱلرَّبِيعِ مَا يَقْتُلُ حَبَطاً أَوْ يُلِمُّ . . . » الحديثَ[2] .

(١) أخرجه البخاري (١٣٥٨) ، ومسلم (٢٦٥٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيهما الآية مدرجة من قول سيدنا أبي هريرة .

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٤٢) ، ومسلم (١٠٥٢) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، والربيع : الجدول الذي يُستقىٰ منه ، والحَبَط : انتفاخ البطن من كثرة الأكل ، ويُلِمُّ : يقرب أن يقتل . انظر « إرشاد الساري » (٥/ ٦٥) .

فقولُهُ : « إِنَّ ٱلْخَيْرَ لا يَأْتِي إِلا بِـٱلْخَيْرِ » ظاهرٌ لأولي العرفانِ مِنَ الصحابةِ رضيَ اللهُ عنهُمُ الذينَ لا يحتاجونَ إلىٰ ضربِ مثالٍ ، ومثَّلَ لمَنْ يحتاجُ إلى المثالِ في شدَّةِ الانهماكِ على الدنيا والتشوُّفِ إليها : بأنَّ الربيعَ يقتُلُ حَبَطاً ، ومثَّلَ المقتصدَ منها بآكِلَةِ الخَضِرِ . . . إلىٰ آخرِهِ ، فاستوى الجميعُ بالنسبةِ إلى الفهمِ .

فالذي وردَ مِنَ الظواهرِ المـُوهِمةِ . . مِنْ بابِ التقريبِ للأذهانِ ، وخطابِ الناسِ علىٰ قدرِ عقولِهم ؛ محافظةً على البيانِ ، وحرصاً مِنْ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ فهمِ معاني القرآنِ ، كلُّ ذلكَ لطفٌ مِنَ اللهِ بعبادِهِ ، وتلطُّفٌ مِنْ رسولِهِ بالمؤمنينَ .

وكانَتِ المخاطبةُ بهـٰذهِ الظواهرِ للذينَ أُنزِلَ عليهِمُ الكتابُ ، وبلغتِهم وقعَ الخطابُ ، وإليهِم صُرِفَ وجهُ التحدِّي برقيقِ كلامِهِ وجزلِهِ ، وعليهِم وقعَ التنديدُ بالعجزِ عنِ الإتيانِ بمثلِهِ ، فهمُ الفَهَمَةُ لهـٰذهِ اللطائفِ ، والمندوبونَ لذلكَ لا غيرُهُم مِنْ سائرِ الطوائفِ ، والمعنيُّونَ بقولِهِ : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ [الزخرف : ٤٤] .

فوردَ الكتابُ العزيزُ وجوامعُ الكَلِمِ منهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ علىٰ منوالِ كلامِهِم ، ومِنْ جنسِ ما ينطقونَ بهِ في ألسنتِهِم ، وعلىٰ منهاجِ تفنينِهِمُ المعانيَ مِنَ المجازاتِ والاستعاراتِ ، وضروبِ الظواهرِ التي نحتاجُ نحنُ في فهمِها إلىٰ تأويلاتٍ ، وهم لا يحتاجونَ إلىٰ ذلكَ ؛ ليكونَ التحدِّي بمَأْتيٍّ بهِ مِنْ جنسِ كلامِهِم وعلىٰ طريقتِهِم ؛ لأنَّهُ لو كانَ علىٰ خلافِ ذلكَ لقالوا : عُذْرُنا أنَّ ذلكَ ليسَ علىٰ طريقةِ كلامِنا ، ولا علىٰ سَنَنِهِ ، ولا علىٰ ما نألفُهُ مِنَ التجوُّزاتِ في العجزِ عنهُ .

الوجهُ الثاني : ليرتقيَ المُتفهِّمُ لهُ رتبةً بعدَ رتبةٍ ، إلىٰ أنْ يحصلَ لهُ درجةُ الرسوخِ في العلمِ .

الثالثُ : لو كانَ كلُّ القرآنِ وكلامِ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُشبِهُ واحداً عارياً عنِ التجوُّزِ بالظواهرِ . . لم يكنْ عالمٌ ولا مُتعلِّمٌ .

الرابعُ : لتقعَ المثوبةُ مِنَ اللهِ تعالىٰ علىٰ بذلِ المجهودِ في طلبِ التأويلِ .

الخامسُ : كما قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا﴾ [البقرة : ٢٦] ؛ ألا ترىٰ أنَّ اللهَ تعالىٰ لمَّا أنزلَ التوراةَ والإنجيلَ وفيها ظواهرُ ، فسدَّ أهلُ الكتابِ أبوابَ التأويلِ . . أُتِيَ عليهِم وكفروا ووقعوا في التثليثِ ، **كلُّ ذلكَ مِنْ حملِ الأبوَّةِ والبنوَّةِ علىٰ ظواهرِها** ، ولم يحملوها على الرحمةِ والبِرِّ والمعاملةِ كمعاملةِ الأبِ الرحيمِ لولدِهِ ؛ ولذلكَ قالَ المسيحُ عليهِ السلامُ للماءِ : (هٰذا أبي) ، وللخبزِ : (هٰذا أمي) لأنَّ قوامَ الأبدانِ بهما ، وبقاءَ الروحِ مدارُهُ عليهما ، فهما كالأبوينِ اللذينِ منهُما النشأةُ ويحصلُ بهما النماءُ ؛ فقد رأيتَ ما ترتَّبَ علىٰ ظواهرِ التوراةِ والإنجيلِ ممَّا قدَّرَ اللهُ وقوعَهُ مِنْ ضلالِ هٰذهِ الطوائفِ ، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود : ١١٨-١١٩] .

* * *

نماذج لظواهر من القرآن والسنة تفنن العلماء في تأويلها

إذا ثبتَ ذلكَ فاعلمْ : أنَّ ظواهرَ القرآنِ والسنَّةِ تتبَّعَها جماعةٌ مِنَ العلماءِ وتفنَّنوا في التأويلاتِ ، وليسَ هٰذا موضعَ استقصائِهِ لٰكنْ نذكرُ علىٰ سبيلِ الإيماءِ والإشاراتِ .

[تأويلُ ما وردَ في إثباتِ اليدِ واليدينِ والأيدي]

فمِنْ ذلكَ : ما وردَ في الكتابِ العزيزِ في معنى اليدِ واليدينِ والأيدي لا تفهمُ مِنْ كلِّ موطنٍ وردَتِ اليدُ فيهِ الجارحةَ ؛ ألا ترىٰ أنَّ اللهَ تعالىٰ قالَ في القرآنِ : ﴿ لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ﴾ [فصلت : ٤٢] ، وقالَ : ﴿ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ﴾ [المجادلة : ١٢] ، فقولُهُ : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة : ٦٤] إظهارٌ لصفةِ الكرمِ والنعمةِ والجودِ ، ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ [آل عمران : ٢٦] ، والخيرُ كلُّهُ في يديكَ[1] ، واكتفىٰ بأحدِ القسمينِ عنِ الآخرِ ؛ كما قالَ : ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ [النحل : ٨١] .

وينتظمُ في هٰذا السلكِ : معنى الحديثِ النبويِّ : « يَمِينُ ٱللهِ مَلأَىٰ لا يَغِيضُهَا شَيْءٌ ، سَحَّاءُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ . . . » إلىٰ آخرِهِ[2] ، وما يشبهُهُ .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص : ٧٥] : في ذلكَ مزيدُ تشريفٍ علىٰ غيرِهِ ، وظهورُ زيادةِ تفضيلٍ علىٰ غيرِهِم وتكريمٍ ؛ ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

(١) **أشار به** : إلىٰ حديث أخرجه مسلم (٧٧١) من حديث سيدنا علي رضي الله عنه .

(٢) سبق تخريجه بداية الكتاب (١/ ٥٣) .

ومثلُهُ مِنَ الحديثِ : « إِنَّ ٱللهَ يَأْخُذُ ٱلصَّدَقَةَ بِيَمِينِهِ ، فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ »[1] ؛ كنايةً عنِ الاعتناءِ بجزاءِ الصدقةِ وتشريفِها منهُ ، وتلقِّيها بالقبولِ وحسنِ المكافأةِ عليها .

وقولُهُ تعالىٰ : ﴿ مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا ﴾ [يس : ٧١] اليدُ هنا بمعنىٰ : القدرةِ والإنشاءِ ؛ إذْ لا تسبُّبَ مِنَ الآدميينَ فيها .

فإنْ قيلَ : إذا أوَّلتُمُ اليدَ بالقدرةِ ، وقدرةُ اللهِ تعالىٰ معلومٌ واحدٌ . فكيفَ جمعَ فقالَ : ﴿ أَيْدِينَآ ﴾ ؟

فالجوابُ عنهُ مِنْ وجهينِ :

الأولُ : أنَّهُ لمَّا كنَّىٰ عنِ القدرةِ بما يُثنَّىٰ ويُجمَعُ وهوَ اليدُ . حسنَ أنْ يجمعَ باعتبارِ الكنايةِ لا باعتبارِ المكنيِّ ؛ كما ثنَّىٰ في كلامٍ وكلمةٍ وكلماتٍ ، ومذهبُ أهلِ السنَّةِ : أنَّهُ معلومٌ واحدٌ .

الثاني : أنَّ أنواعَ المِنَّةِ مُتعدِّدةٌ باعتبارِ تعدُّدِ المنافعِ مِنَ الملكِ والتذليلِ للركوبِ ، ثمَّ الأكلِ مِنْ لحومِها والشربِ مِنْ ألبانِها ، ومِنْ أصوافِها وأوبارِها وأشعارِها أثاثاً ومتاعاً إلىٰ حينٍ ، فجمعَ باعتبارِ تعدُّدِ المقدورِ لا باعتبارِ تعدُّدِ القدرةِ .

وقيلَ : إنَّ اليدَ هنا صلةٌ ، والمعنىٰ : ممَّا عملناهُ ؛ كما قالَ : ﴿ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾ [البقرة : ٢٣٧] أي : الذي لهُ عقدةُ النكاحِ .

(١) أخرجه مسلم (١٠١٤/ ٦٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وفيه : (قلوصه) بدل (فصيله) ، والفَلُوُّ ـ وفيه لغة بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو ـ : المُهر ، وسمي بذلك ؛ لأنه فُلِّيَ عن أمه ؛ أي : فُصل وعُزل ، والفَصيل : ولد الناقة إذا فُصل من إرضاع أمه ، فعيل بمعنىٰ مفعول ، والقَلُوص : الناقة الفتية . انظر « شرح النووي علىٰ مسلم » (٧/ ٩٩) .

ويتَّصلُ بذلكَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر : ٦٧] ، المرادُ بذلكَ : كمالُ القدرةِ والقوةِ ؛ تقولُ : (فلانٌ في قبضتي) ، وأهلُ العرفِ مِنَ العربِ وغيرِهم يعتقدونَ أنَّ كمالَ القوةِ في اليمينِ ، وهوَ كما تقولُ : (كيفَ تنكرُ قدرتي وأنا الذي فعلتُ كذا وكذا ؟!) .

[ويحتملُ] أنْ يكونَ في قبضتِهِ[1] : في ملكِهِ ، وتخصيصُ ذلكَ بيومِ القيامةِ وإنْ كانَ كلُّ شيءٍ في ملكِهِ في يومِ القيامةِ وغيرِهِ ؛ لأنَّ في ذلكَ اليومِ تنقطعُ الدعاوىٰ ويعترفُ كلُّ جاحدٍ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾[الانفطار: ١٩]، والأمرُ لهُ في ذلكَ اليومِ وغيرِهِ ، وإنَّما هناكَ تنقطعُ المشاركاتُ الوهبيةُ ؛ ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]، ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[غافر: ١٦]، فلا مِلكَ ولا مُلكَ إلا للهِ ، ويتأكَّدُ في ذلكَ اليومِ ؛ لظهورِ عينِ اليقينِ وانقطاعِ الأوهامِ كما كانَتْ مُتعلِّقةً بهِ مِنَ الأسبابِ .

وقيلَ : اليمينُ هنا تأكيدٌ للملكِ ؛ كقولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ﴾ [النساء : ٣] ؛ فإنَّهُ لم يُرِدْ هنا اليمينَ المقابلةَ للشمالِ ، وقد مضىٰ في الحديثِ : « وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ »[2] .

وقيلَ : ﴿ بِيَمِينِهِۦ ﴾ ؛ أي : ذاهباتٌ بقَسَمِهِ[3] ، وهوَ يفني الأجسامَ بعدَ إماتةِ الحيواناتِ ؛ كما قالَ : ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ [القصص : ٨٨] ، يدُلُّ علىٰ أنَّ الطَّيَّ بمعنى الفَناءِ : أنَّ العربَ تقولُ : (هٰذا أمرٌ قد طُوِيَ) أي :

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) بمقدار كلمة .

(٢) انظر (٢/ ٣٣٢) .

(٣) لأنه أقسم أن يفنيها . انظر « تفسير الرازي » (٢٧/ ٤٧٥) .

ذهبَ واضمحلَّ ولم يبقَ لهُ ذكرٌ ؛ فقولُهُ : ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر : ٦٧] ؛ أي : يُفنيها بقدرتِهِ .

وعلىٰ مِنوالِ هٰذهِ التأويلاتِ فقسْ كلَّ ما وردَ عليكَ ممَّا صحَّ .

[تأويلُ ما وردَ في إثباتِ السَّاقِ]

ومِنْ ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ . . . ﴾ الآيةَ [القلم : ٤٢] .

ويتَّصلُ بهِ حديثُ أبي سعيدٍ الخدريِّ : أنَّ ناساً في زمنِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالوا : يا رسولَ اللهِ ؛ هل نرىٰ ربَّنا يومَ القيامةِ . . . الحديثَ ، وفيهِ : « فيَقُولُ : هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَـهُ بِهَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ، فَلا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلا أَذِنَ ٱللهُ لَهُ فِي ٱلسُّجُودِ ، وَلا يَبْقَىٰ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ ٱتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلا جَعَلَ ٱللهُ ظَهْرَهُ كَطَبَقَةٍ وَاحِدَةٍ ؛ كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَىٰ قَفَاهُ »[1] .

قالَ الجوهريُّ وغيرُهُ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ أي : عن شدَّةٍ ؛ كما يُقالُ : (قامتِ الحربُ علىٰ ساقٍ)[2] .

قالَ القرطبيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (وقالَ ابنُ عباسٍ : هٰذا يومُ كربٍ وشدَّةٍ)[3] .

وقالَ أبو سليمانَ الخطابيُّ : وقالَ غيرُهُ مِنْ أهلِ التفسيرِ والتأويلِ في قولِهِ

(١) أخرجه مسلم (١٨٣) .

(٢) الصحاح (٤/١٤٩٩) ، مادة : (س وق) .

(٣) انظر « تفسير القرطبي » (١٨/٢٤٩) ، وتأويل ابن عباس أخرجه الحاكم (٢/٤٩٩ـ٥٠٠) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣٢٥) .

تعالىٰ : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ أي : عنِ الأمرِ الشديدِ ، وأنشدَ : [من الرجز]

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا وَجَدَّتِ ٱلْحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا[1]

وقالَ رؤبةُ[2] : [من مشطور الرجز]

عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إِشْفَاقِهَا

وَمِنْ طِرَادِي ٱلطَّيْرَ عَنْ أَرْزَاقِهَا

فِي سَنَةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا

وروىٰ عليُّ بنُ طلحةَ عنِ ابنِ عباسٍ في قولِهِ عزَّ وجلَّ : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قالَ : (هوَ الأمرُ الشديدُ المفظعُ مِنْ هولِ يومِ القيامةِ)[3] .

وعن عمرِو بنِ دينارٍ عنِ ابنِ عباسٍ : أنَّهُ قرأَ : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يريدُ : يومَ القيامةِ[4] .

قالَ الخطابيُّ : (فإنَّما جاءَ ذكرُ الكشفِ عنِ الساقِ علىٰ معنى الشِّدَّةِ .

ويحتملُ أنْ يكونَ معنى الحديثِ : أنْ يبرزَ مِنْ أهوالِ يومِ القيامةِ وشدَّتِها ما يرتفعُ معَهُ سواترُ الامتحاناتِ ، فيُميَّزُ عندَ ذلكَ أهلُ اليقينِ والإخلاصِ ، فيُؤذَنُ لهُم في السجودِ ، فينكشفُ الغطاءُ عن أهلِ النفاقِ ، فتعودُ ظهورُهُم طبقاً لا يستطيعونَ السجودَ .

وقد تأوَّلَهُ بعضُهُم فقالَ : لا يُنكَرُ أنْ يكونَ اللهُ سبحانَهُ قد يكشفُ لهُم عن

(١) انظر « الأسماء والصفات » (ص٣٢٥) .

(٢) أوردها ابن حمدون في « التذكرة الحمدونية » (٣/ ٢٢٣) ، وعزاها لرؤبة بن عيينة ، وانظر « الأسماء والصفات » (ص٣٢٥) .

(٣) صحيفة علي بن طلحة (١٣٠٣) ، وأخرجه الطبري في « تفسيره » (٢٣/ ٥٥٥) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣٢٥ـ٣٢٦) .

(٤) أخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣٢٦) .

ساقٍ لبعضِ المخلوقينَ مِنْ ملائكتِهِ أو غيرِهِم ، فيجعلُ ذلكَ سبباً لبيانِ ما شاءَ مِنْ حكمتِهِ في أهلِ الإيمانِ والنفاقِ)[1] .

قالَ الخطابيُّ : (ويحتملُ أنْ يكونَ المرادُ بهِ : التجلِّيَ لهُم وكشفَ الحجبِ) بعدَ أنْ قدَّمَ أنَّ الساقَ قد يُرادُ بها الذاتُ نفسُها ، واستشهدَ بقولِ عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ حينَ راجعَهُ أصحابُهُ في قتالِ الخوارجِ ، فقالَ : واللهِ ؛ لأقاتلنَّهُم ولو تَلِفَتْ ساقي ؛ يريدُ : نفسَهُ ، قالَ : (ولستُ أقطعُ بهِ)[2] .

قلتُ : ولا اعتبارَ بما رُوِيَ عن روحِ بنِ جناحٍ ، عن مولىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ ، عن أبي بردةَ ، عن أبي موسىٰ ، عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في قولِهِ : ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ ﴾ قالَ : « عَنْ نُورٍ عَظِيمٍ يَخِرُّونَ لَهُ سُجَّداً »[3] ، تفرَّدَ بهِ روحُ بنُ جناحٍ ، وهوَ شاميٌّ يأتي بأحاديثَ مُنكرةٍ لا يُتابَعُ عليها ، ومولىٰ عمرَ بنِ عبدِ العزيزِ فيهِم كثرةٌ ، ونحنُ لا نحتاجُ إلىٰ ذلكَ ، واللهُ أعلمُ[4] .

[تأويلُ ما وردَ في إثباتِ الجَنْبِ والقدمِ والرجلِ]

قولُهُ تعالىٰ : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ ﴾ [الزمر : ٥٦] . . مضىٰ تأويلُهُ[5] .

أخبارُ القدمِ والرجلِ مضىٰ تأويلُها أيضاً[6] .

(١) انظر « الأسماء والصفات » (ص٣٢٦-٣٢٧) .

(٢) انظر « الأسماء والصفات » (ص٣٢٧) .

(٣) أخرجه الطبري في « تفسيره » (٢٣/ ٥٥٩) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٣٢٧) .

(٤) انظر « الأسماء والصفات » (ص٣٢٧) .

(٥) انظر (١/ ٢١٥) .

(٦) انظر (٢/ ٣٣٥) .

[تأويلُ ما وردَ في إثباتِ العينِ]

قولُهُ تباركَ وتعالىٰ : ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا وَوَحۡيِنَا ﴾ [هود : ٣٧] ، وقولُهُ : ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ [طه : ٣٩] ، وقولُهُ : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [الطور : ٤٨] ، وقولُهُ : ﴿ تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [القمر : ١٤] ، قالَ البيهقيُّ رضيَ اللهُ عنهُ وغيرُهُ مِنَ العلماءِ : عرفْنا بقولِهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ ﴾ [الشورىٰ : ١١] أنَّها ليستْ بحدقةٍ ، وأنَّ الوجهَ ليسَ بصورةٍ ، وأنَّها صفةُ ذاتٍ[1] .

قالَ البيهقيُّ : (ومِنْ أصحابِنا مَنْ حملَ العينَ المذكورةَ في الكتابِ : على الرؤيةِ ، [وقالَ : قولُهُ] : ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾ أي : بمرأىً منِّي ، وقولُهُ : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ أي : بمرأىً منَّا ، وهيَ صفةٌ واحدةٌ ، والجمعُ فيها علىٰ معنى التعظيمِ ؛ كقولِهِ : ﴿ مَا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان : ٢٧] .

ومنهُم مَنْ حملَها : على الحفظِ والكَلاءةِ ، وزعمَ أنَّها مِنْ صفاتِ الفعلِ ، والجمعُ فيها سائغٌ)[2] .

قالَ ابنُ فُورَكَ : (العينُ في كلامِ العربِ تُستعمَلُ علىٰ معانٍ كثيرةٍ :

منها : ما يُرادُ بهِ المشاهدةُ والرؤيةُ .

ومنها : ما يُرادُ بهِ الحفظُ والكلاءةُ .

ومنها : ما يُرادُ بهِ الجودةُ .

ومنها : ما يُرادُ بهِ الدَّلالةُ .

ومنها : ما يُرادُ بهِ الجارحةُ .

(١) انظر « الأسماء والصفات » (ص٢٩٧) .

(٢) الأسماء والصفات (ص٢٩٧) ، وانظر « مشكل الحديث وبيانه » (ص٢٥٩ـ٢٦٠) .

وإذا كانَ لفظُ العينِ مشتركاً بينَ هٰذهِ المعاني المختلفةِ ، وكانَ وصفُ اللهِ تعالىٰ بالجارحةِ مستحيلاً . . وجبَ أنْ يكونَ محمولاً علىٰ بعضِ هٰذهِ المعاني)[1] .

[تأويلُ ما وردَ في إثباتِ الوجهِ]

قولُهُ تباركَ وتعالىٰ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [القصص : ٨٨] ، ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمن : ٢٧] ، ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ١١٥] ، ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٧٢] . . قد مضىٰ تأويلُهُ[2] .

وقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ بَنَىٰ مَسْجِداً يَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ . . بَنَى اللهُ لَهُ مِثْلَهُ فِي الْجَنَّةِ »[3] .

وقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي فَلا يَبْصُقْ قِبَلَ وَجْهِهِ ؛ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قِبَلَ وَجْهِهِ »[4] .

وقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « حِجَابُهُ النُّورُ ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَىٰ إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ »[5] .

وقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لمَّا نزلَ قولُهُ تعالىٰ : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [الأنعام : ٦٥] : « أَعُوذُ بِوَجْهِكَ »[6] .

(١) مشكل الحديث وبيانه (ص٢٥٩ـ٢٦٠) .

(٢) انظر (١/ ٢١٧ـ٢١٨) .

(٣) أخرجه البخاري (٤٥٠) ، ومسلم (٥٣٣) عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه .

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٦) ، ومسلم (٥٤٧) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما ، ولعل هٰذا الحديث لا شاهد فيه على الوجه ، والله تعالىٰ أعلم .

(٥) أخرجه مسلم (١٧٩) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

(٦) أخرجه البخاري (٤٢٦٨) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

اعلمْ : أنَّ العلماءَ ذكروا : أنَّ الوجهَ الذي هوَ عضوٌ مِنَ الآدميِّ تقعُ بهِ المواجهةُ . . مستحيلٌ على اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ فليُؤوَّلْ كلُّ موضعٍ بما يليقُ بهِ .

فقولُهُ : ﴿ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ أي : الوجهُ الذي وجَّهَكُم إليهِ ، وقيلَ : الذي تصادفونَ باجتهادِكُم حكمَهُ فتتوجَّهونَ إليهِ ، وقيلَ : فثَمَّ رضا اللهِ وثوابُهُ .

وقولُهُ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ قالَ أبو المعالي : وأمَّا الوجهُ فالمرادُ بهِ : وجودُ الباريِ عندَ معظمِ أئمَّتِنا ، وهـٰذا الذي ارتضاهُ شيخُنا[1] ، ومِنَ الدليلِ على ذلكَ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ ، والموصوفُ بالبقاءِ وجودُ الباريِ تعالىٰ ، قالَ[2] : [من مخلع البسيط]

قَضَىٰ عَلَىٰ خَلْقِهِ ٱلْمَنَايَا ... فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَاهُ فَانِ

وقيلَ : المرادُ بالوجهِ : القصدُ ، وأنشدوا[3] : [من البسيط]

أَسْتَغْفِرُ ٱللهَ ذَنْباً لَسْتُ مُحْصِيَهُ ... رَبَّ ٱلْعِبَادِ إِلَيْهِ ٱلْوَجْهُ وَٱلْعَمَلُ

وقولُهُ : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ قالَ الخطابيُّ في قولِهِ : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ : إنَّهُ صفةٌ للذاتِ .

وينتظمُ في ذلكَ : « أَعُوذُ بِوَجْهِكَ » ، و﴿ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ [الليل : ٢٠] ، ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ﴾ ، وما وردَ مِنْ ذلكَ على رأيِ جماعةٍ مِنَ العلماءِ منهُم شيخُنا أبو محمدٍ المرجانيُّ قالَ : (العابدُ عابدانِ ؛ فعابدٌ عبدَ رجاءَ ثوابِ اللهِ وخشيةً مِنْ عقابِهِ ، وهوَ المرادُ بقولِهِ : « أَكْثَرُ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ ٱلْبُلْهُ »[4] ، وعابدٌ عبدَ اللهَ تعالىٰ ؛ لأنَّ ذاتَ اللهِ مستحقةٌ العبادةَ ، وهـٰذهِ درجةٌ

(١) انظر « الإرشاد » (ص١٥٥-١٥٧) ، و« الكامل في اختصار الشامل » (٢/ ٤٩١-٤٩٢) .

(٢) البيت لأبي العتاهية في « ديوانه » (ص٢٧٠) .

(٣) أورده ابن قتيبة في « أدب الكاتب » (ص٥٢٤) ، وابن فارس في « الصاحبي » (ص٢٩١).

(٤) انظر « كشف الخفاء » (١/ ١٦٤) .

رفيعةٌ ، وقد ثبتَ أنَّهُ يمكنُ أنَّ المرادَ بالوجهِ الذاتُ) .

وقولُهُ : « فَإِنَّ ٱللهَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ » : فإنَّ رحمةَ اللهِ أو ثوابَ اللهِ قِبَلَ وجهِهِ ، فلا يحسنُ بالأدبِ أنْ يُهدِيَ الملكُ العظيمُ إليكَ هديةً فتقابلَها بأنْ تتفلَ في مقابلتِها ، بل يقبحُ ذلكَ ، **ويُؤيِّدُ هٰذا التأويلَ** : ما رواهُ الترمذيُّ عن أبي ذرٍّ عنِ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ إِلَى ٱلصَّلاةِ فَلا يَمْسَحِ ٱلْحَصَىٰ ؛ فَإِنَّ ٱلرَّحْمَةَ تُوَاجِهُهُ »[1] .

وقولُهُ : « سُبُحَاتُ وَجْهِهِ » قالَ البيهقيُّ : (**سُبُحَاتُ وجهِهِ** : مِنَ التسبيحِ ، والتسبيحُ تنزيهُ اللهِ مِنْ كلِّ[سوءٍ]، فليسَ فيهِ إثباتُ [النورِ للوجهِ][2] ، وإنَّما فيهِ أنَّهُ لو كشفَ الحجابَ الذي علىٰ أعينِ الناسِ ولم يُثبِّتْهُم لرؤيتِهِ . . لاحترقوا .

وفيهِ عبارةٌ أخرىٰ ؛ وهيَ أنَّهُ لو كشفَ عنهُمُ الغطاءَ لأفنىٰ جلالُهُ وهيبتُهُ وقهرُهُ ما أدركَهُ بصرُهُ ـ يعني : كلَّ شيءٍ أوجدَهُ ـ مِنَ العرشِ إلى الثرىٰ ، ولا نهايةَ للبصرِ ، واللهُ أعلمُ)[3] .

[تأويلُ ما وردَ في إثباتِ الصورةِ]

قولُهُ عليهِ السلامُ : « خَلَقَ ٱللهُ آدَمَ علىٰ صُورَتِهِ ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعاً . . . » الحديثَ[4] ، قالَ الخطابيُّ : ([الهاءُ] وقعَتْ كنايةً بينَ اسمينِ ظاهرينِ ، فلم يصلحْ أنْ تُصرَفَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ لقيامِ الدليلِ علىٰ أنَّهُ سبحانَهُ ليسَ بذي صورةٍ ؛ إذْ ليسَ كمثلِهِ شيءٌ ، فكانَ مرجعُها إلىٰ آدمَ عليهِ السلامُ ، **والمعنىٰ** :

(١) سنن الترمذي (٣٧٩) .

(٢) في (أ ، ب) : (شيء ، الوجه للنور) بدل (سوء ، النور للوجه) ، والمثبت من « الأسماء والصفات » .

(٣) الأسماء والصفات (ص٢٩٤) .

(٤) أخرجه البخاري (٦٢٢٧) ، ومسلم (٢٨٤١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

أنَّ ذريةَ آدمَ إنَّما خُلِقوا أطواراً ؛ كانوا في مبدأِ الخِلْقةِ نطفةً ، ثمَّ علقةً ، ثمَّ مضغةً ، ثمَّ صاروا أجِنَّةً إلىٰ أنْ تتمَّ مدةُ الحملِ ، ويُولَدونَ أطفالاً ، وينشؤونَ صغاراً إلىٰ أنْ يكبروا ، فيتمَّ طولُ أجسادِهِم ، يقولُ : إنَّ آدمَ عليهِ السلامُ لم يكنْ خلقُهُ علىٰ هٰذهِ الصفةِ ، لٰكنَّهُ أولَ ما تناولَتْهُ الخلقةُ وُجِدَ خلقاً تامّاً طولُهُ ستونَ ذراعاً)[1] ؛ أي : هٰذهِ صفتُهُ عندَ خلقِهِ .

ويتَّصلُ بهِ : قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِذَا قَاتَلَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَجْتَنِبِ ٱلْوَجْهَ ؛ فَإِنَّ ٱللهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ » قيلَ : المرادُ : علىٰ صورةِ هٰذا الأخِ المقاتَلِ ، وذهبَ بعضُ أهلِ النظرِ : إلىٰ أنَّ الصورةَ للهِ تعالىٰ علىٰ معنى الملكِ ، ثمَّ وردَ التخصيصُ بإضافتِها إلى اللهِ عزَّ وجلَّ تشريفاً وتكريماً ، كما قالَ : (ناقةُ اللهِ) ، و(بيتُ اللهِ) ، و(مسجدُ اللهِ)[2] .

وأسندَ ابنُ أبي شيبةَ إلى ابنِ عمرَ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لا تُقَبِّحُوا ٱلْوَجْهَ ؛ فَإِنَّ ٱبْنَ آدَمَ خُلِقَ عَلَىٰ صُورَةِ ٱلرَّحْمَـٰنِ »[3] .

قالَ البيهقيُّ : (ويحتملُ أنْ يكونَ لفظُ الخبرِ في الآخرِ : كما رويناهُ في حديثِ أبي هريرةَ ؛ يعني : « علىٰ صورتِهِ ») قالَ : (فأدَّاهُ بعضُ الرواةِ علىٰ ما وقعَ في قلبِهِ مِنْ معناهُ ، واللهُ أعلمُ)[4] .

قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ روايةِ أبي هريرةَ وأبي سعيدٍ : « فَيَأْتِيهِمُ ٱللهُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ ٱلَّتِي يَعْرِفُونَ ، فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ ، فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِٱللهِ

(١) انظر « الأسماء والصفات » (ص٢٧٧) .

(٢) انظر « الأسماء والصفات » (ص٢٧٨) ، و« مشكل الحديث وبيانه » (ص٥٨) .

(٣) أخرجه البيهقي في « الأسماء والصفات » (ص٢٧٨) ، والآجري في « الشريعة » (٧٢٥) .

(٤) الأسماء والصفات (ص٢٧٨) .

مِنْكَ ، هَـٰذَا مَكَانُنَا حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا رَبُّنَا ، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ ، فَيَأْتِيهِمْ فِي ٱلصُّورَةِ ـ وفي بعضِها : فِي صُورَتِهِ ـ ٱلَّتِي يَعْرِفُونَهُ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتَّبِعُونَـهُ . . . » الحديثَ[1] .

معناهُ : فيأتيهِمُ اللهُ بصورةٍ ، و(في) بمعنى الباءِ .

قالَ العلماءُ : هـٰذا مقامٌ هائلٌ ؛ لمَّا بقيَ في هـٰذهِ الأمةِ منافقوها أرادَ اللهُ تعالىٰ أنْ يُميِّزَ هـٰؤلاءِ عن هـٰؤلاءِ ، فأتاهُم بتلكَ الصورةِ ، فقالَتْ بإذنِهِ : (أنا ربُّكم) ، فأجابَ المؤمنونَ بإنكارِ ذلكَ والتعوُّذِ منهُ ؛ لما قد سبقَ لهُم مِنْ معرفةِ اللهِ تعالىٰ في الدنيا وأنَّهُ مُنزَّهٌ عن هـٰذهِ الصورةِ ؛ إذْ سماتُها سماتُ المحدثاتِ ؛ ولذلكَ قالَ في حديثِ أبي سعيدٍ الخدريِّ : « فَيَقُولُونَ : نَعُوذُ بِٱللهِ مِنْكَ لا نُشْرِكُ بِٱللهِ شَيْئاً » مرتينِ أو ثلاثاً ؛ حتىٰ إنَّ بعضَهُم ليَكادُ أنْ ينقلبَ[2] .

ولا يُستبعَدُ أنْ تأتيَ (في) بمعنى الباءِ ؛ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ [البقرة : ٢١٠] أي : بظُلَلٍ مِنَ الغمامِ .

وأمَّا الصورةُ الثانيةُ التي يعرفونَ عندَما يتجلَّىٰ لهُمُ الحقُّ سبحانَهُ . . فهيَ صفتُهُ التي لا يشاركُهُ فيها شيءٌ مِنَ الموجوداتِ ، وهوَ المُعبَّرُ عنهُ بقولِهِ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورىٰ : ١١] ، والصورةُ قد تُطلَقُ ويُرادُ بها الوصفُ ؛ تقولُ : (هـٰذهِ صورةُ الأمرِ كذا) أي : صفتُهُ[3] .

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٧) ، ومسلم (١٨٢) .

(٢) أخرجه مسلم (١٨٣) .

(٣) قوله : (هـٰذه) كذا في (أ ، ب) بإثباتها ، والأولىٰ حذفها كما في « مشكل الحديث وبيانه » (ص٧٠) .

[تأويلُ ما وردَ في إثباتِ النفسِ]

قولُهُ تعالىٰ : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ [المائدة : ١١٦] ، و﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام : ٥٤] ، ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران : ٢٨] .

وقولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ فيما يروي عن ربِّهِ : « يَقُولُ ٱللهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا عِنْدَ حُسْنِ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ؛ فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي . . . » الحديثَ[1] .

قالَ البيهقيُّ : (النفسُ في كلامِ العربِ علىٰ وجوهٍ ؛ منها : نفسٌ منفوسةٌ ، مُجسَّمةٌ مَرُوحةٌ ، ومنها : مُجسَّمةٌ غيرُ مروحةٍ ، تعالى اللهُ عن هٰذينِ علوّاً كبيراً .

ومنها : نفسٌ بمعنىٰ إثباتِ الذاتِ ؛ كما تقولُ : « هٰذا نفسُ الأمرِ » ، تريدُ إثباتَهُ ، لا أنَّ لهُ نفساً منفوسةً ، فعلىٰ هٰذا المعنىٰ يُقالُ في حقِّ اللهِ تعالىٰ)[2] .

وقد قيلَ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾ أي : تعلمُ ما أُكِنُّهُ وأُسِرُّهُ ، ولا علمَ لي بما تُسِرُّهُ وتُغَيِّبُهُ عنِّي ، وكذلكَ : « فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ » أي : بحيثُ لا يطَّلعُ عليهِ أحدٌ . « ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي » يعني : جازيتُهُ حيثُ لا يعلمُ بهِ أحدٌ .

وقالَ المرجانيُّ في قولِهِ : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ أي : ويُحذِّرُكُمُ اللهُ إيَّاهُ ، وقيلَ : ويُحذِّرُكُم عقابَهُ .

وللنفسِ محاملُ أخرُ لا يُحتاجُ إلىٰ ذكرِها هنا .

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) الأسماء والصفات (ص٢٧٤) .

[تأويلُ ما وردَ في إثباتِ الشخصِ]

قولُهُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في حديثِ سعدٍ : « لا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ ٱللهِ » . . قد مضىٰ تأويلُهُ[1] .

[تأويلُ ما وردَ في إثباتِ الروحِ]

قولُهُ تعالىٰ : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر : ٢٩] .

قالَتِ العلماءُ : (الروحُ الذي نُفِخَ في آدمَ عليهِ السلامُ كانَ خلقاً مِنْ خلقِ اللهِ جعلَ اللهُ تعالىٰ حياةَ الأجسامِ بهِ ، وإنَّما أضافَهُ إليهِ علىٰ طريقِ الخلقِ والملكِ)[2] .

وقولُهُ : ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ [النحل : ٢] ، و﴿ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ ﴾ [غافر : ١٥] أي : الوحي ؛ لأنَّ الوحيَ حياةٌ مِنَ الجهلِ ، وسُمِّيَ المسيحُ روحاً ؛ لأنَّ اللهَ يهدي بهِ مَنِ اتبعَهُ .

[تأويلُ ما وردَ في إثباتِ الدنوِّ والتدلِّي]

قولُهُ تعالىٰ : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم : ٨ ـ ٩] .

وفي حديثِ الإسراءِ : ثمَّ هبطَ حتىٰ بلغَ موسىٰ فاحتبسَهُ موسىٰ ، فقالَ : يا محمدُ ؛ ماذا عهدَ إليكَ ربُّكَ ؟ قالَ : « عَهِدَ إِلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً بِكُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ » ، وقالَ : إنَّ أمَّتَكَ لا تستطيعُ ، فارجعْ فليُخفِّفْ عنكَ ربُّكَ وعنهُم ، فالتفتَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلىٰ جبريلَ كأنَّهُ يستشيرُهُ ، فأشارَ إليهِ جبريلُ : أنْ نعم ، قالَ : فعلا بهِ إلى الجبَّارِ تباركَ وتعالىٰ ، فقالَ وهوَ في

(١) انظر (٢/ ٣٣٧) .

(٢) انظر « الأسماء والصفات » (ص٣٤١) .

مكانِهِ : « يَا رَبِّ ؛ خَفِّفْ »[1] ، وفي الحديثِ الصحيحِ ذكرُ المراجعةِ بينَ الرسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وبينَ موسىٰ بمشورةِ موسىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وقالَ : فإنِّي قد بلوتُ بني إسرائيلَ وخبرتُهُم[2] .

حكىٰ مكيٌّ والماورديُّ عنِ ابنِ عباسٍ قالَ : (دنا مِنْ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، فتدلَّىٰ إليهِ أمرُهُ وحكمُهُ)[3] .

وأمَّا الحديثُ فهوَ حديثُ شريكِ بنِ عبدِ اللهِ بنِ أبي نمرٍ عن أنسٍ .

وقالَ الخطابيُّ : (وفي حديثِ شريكٍ لفظةٌ أخرىٰ تفرَّدَ بها شريكٌ لم يذكرْها غيرُهُ ؛ وهيَ قولُهُ : « فقالَ وهوَ في مكانِهِ »)[4] ، والمكانُ لا يُضافُ إلى اللهِ سبحانَهُ ، إنَّما هوَ مكانُ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ومقامُهُ الأولُ الذي أُقيمَ فيهِ .

قالَ القاضي عياضٌ رضيَ اللهُ عنهُ : (اعلمْ : أنَّ ما وقعَ مِنْ إضافةِ الدُّنُوِّ والقربِ مِنَ اللهِ أو إلى اللهِ تعالىٰ . . فليسَ بدنوِّ مكانٍ ولا قربِ مدىً ، وإنَّما دنوُّ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ مِنْ ربِّهِ [وقربُهُ] منهُ إبانةُ عظيمِ المنزلةِ ، وتشريفُ رتبتِهِ ، وإشراقُ أنوارِ معرفتِهِ ، ومشاهدةُ أسرارِ غيبِهِ وقدرتِهِ ، ومِنَ اللهِ تعالىٰ مَبَرَّةٌ وتأنيسٌ وبسطٌ وإكرامٌ ، ويُتأوَّلُ فيهِ ما يُتأوَّلُ في قولِهِ : « يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى ٱلسَّمَاءِ ٱلدُّنْيَا »[5] نزولَ إفضالٍ وإجمالٍ ، وقبولٍ وإحسانٍ)[6] .

قلتُ : ومرَّ بي في « مسندِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ » رضيَ اللهُ عنهُ حينَ سماعي لهُ

(١) أخرجه البخاري (٧٥١٧) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) أخرجه مسلم (١٦٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) الهداية إلىٰ بلوغ النهاية (١١/ ٧١٤٦) ، وانظر « النكت والعيون » (٥/ ٣٩٣) .

(٤) انظر « الأسماء والصفات » (ص٤٠٧) .

(٥) أخرجه البخاري (١١٤٥) ، ومسلم (٧٥٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) الشفاء (ص٢٥٦ـ٢٥٧) .

على ابنِ خطيبِ المِزَّةِ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « يَنْزِلُ أَمْرُ رَبِّنَا إِلَىٰ سَمَاءِ ٱلدُّنْيَا » ، لـٰكنْ عسرَ عليَّ تتبعُهُ مِنْ مسنداتِ الصحابةِ ، فليُكشَفْ .

فنزولُهُ نزولُ لطفٍ وكرمٍ وإحسانٍ .

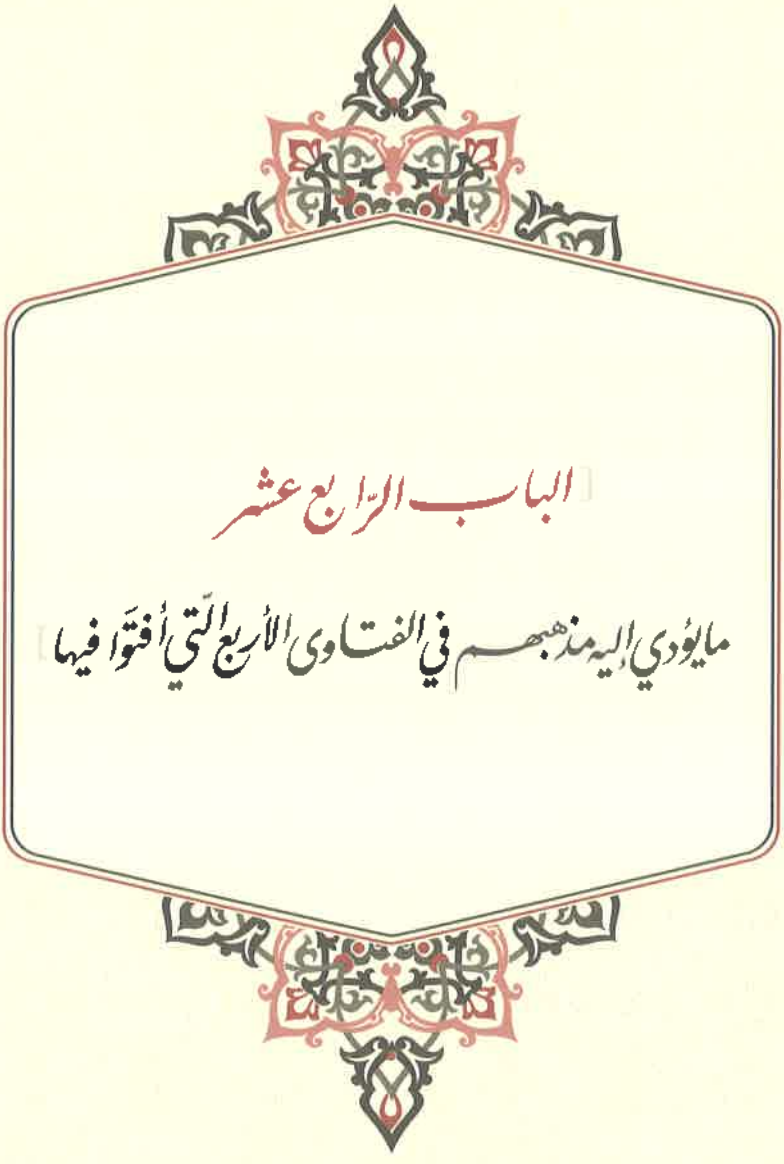
قالَ القاضي : (وقولُهُ : ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم : ٩] فمَنْ جعلَ الضميرَ عائداً إلى اللهِ تعالىٰ لا إلىٰ جبريلَ . . كانَ عبارةً عن نهايةِ القربِ ، ولطفِ المحلِّ ، وإيضاحِ المعرفةِ ، والإشرافِ على الحقيقةِ مِنْ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وعبارةً عن إجابةِ الرغبةِ ، وقضاءِ المطالبِ ، وإبانةِ المنزلةِ والرتبةِ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، ويُتأوَّلُ فيهِ ما يُتأوَّلُ في قولِهِ عليهِ السلامُ مُخبِراً عنِ اللهِ : « مَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعاً ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعاً تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعاً ، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً »[1] ، قربٌ بالإجابةِ والقبولِ ، وإتيانٌ بالإحسانِ وتعجيلِ المأمولِ)[2] .

فهـٰذهِ تأويلاتُ الأحاديثِ الصحيحةِ قد ذكرتُ منها لمعةً ، ولم أستوعبْ أقوالَ العلماءِ في التأويلاتِ ، وفيما ذكرتُهُ مقنعٌ ، واللهُ أعلمُ .

* * *

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥) ، ومسلم (٢٦٧٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) الشفاء (ص٢٥٧) .



الباب الرابع عشر

مايؤدي إليه مذهبهم في الفتاوى الأربع التي أفتوا فيها

بابُ
مايؤدي إليه مذهبهم في الفتاوى الأربع التي أفتوا فيها

قد تقدَّمَ الكلامُ في بابِ الأدلَّةِ العقليةِ وما بعدَهُ على ما يُؤدِّي إليهِ مذهبُهُم ، وفي إقامةِ الدليلِ على إبطالِهِ ، لكنْ كانَ ممازجاً لمذهبِ أهلِ الحقِّ ، فربَّما استترَ عَوارُهُ ، وخفيَ إلا على الناقدِ بهرجُهُ ، فالآنَ حصحصَ الحقُّ ، وتبيَّنَ النورُ مِنَ الظلامِ ، والصيِّبُ مِنَ الجَهامِ[1] ، وتميَّزَ الزُّبْدُ مِنَ الزَّبَدِ بالمخضِ ، ولاحَ نورُ اليقينِ بشروقِ شمسِ الرشادِ .

وكما ميَّزنا مذهبَ أهلِ الحقِّ في بابٍ مُفردٍ ليُتَّبعَ . . فكذلكَ ميَّزنا مذهبَ أهلِ الباطلِ ليُجتنبَ ، واللهُ المُوفِّقُ ، ونسألُهُ النجاةَ مِنْ غوائلِ الأهواءِ والبدعِ ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بهِ ، وهوَ حسبُنا ونعمَ الوكيلُ .

أمَّا مسألةُ الكلامِ ، ويتَّصلُ بها مسألةُ ما بينَ الدَّفَّتينِ ، والقِدَمِ في الحروفِ . . فإنَّهُم قالوا بالحرفِ والصوتِ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ ، وقالوا بذلكَ قولاً مُجمَلاً .

فنُفصِّلُ نحنُ ونقولُ :

قولُكُم : (إنَّ كلامَهُ بحرفٍ وصوتٍ) لا يخلو : مِنْ أنْ يكونَ مرادُكُم : كلامَ اللهِ الذي هوَ صفةٌ لذاتِهِ الأزليةِ الأبديةِ بحرفٍ وصوتٍ ؛ إذْ كلامُنا نحنُ بالقرآنِ الذي تنطقُ بهِ ألسنتُنا بأصواتِنا الخارجةِ مِنْ لهواتِنا ، وكذلكَ ما بينَ الدَّفَّتينِ الذي كُتِبَ على ورقٍ مُحدَثٍ بمدادٍ مُحدَثٍ كتبَتْهُ يدٌ مُحدَثةٌ .

(١) الجَهام : السحاب الذي لا ماء فيه .

إنْ قلتُم : إنَّ الصفةَ القائمةَ بالذاتِ هيَ الحروفُ والأصواتُ . . **لزمَكُم قيامُ الحوادثِ بالذاتِ** ؛ لأنَّ الحروفَ والأصواتَ حوادثُ ، وصفاتِ الذاتِ قديمةٌ أزليةٌ بالاتفاقِ ، **والدليلُ على أنَّ الحروفَ والأصواتَ حوادثُ** : أنَّ بعضَها مُتقدِّمٌ على بعضٍ ؛ كالباءِ مِنْ (باسمِ اللهِ) تتقدَّمُ السينَ ، والسينِ تتقدَّمُ الميمَ ؛ فالباءُ كما تراها أولُهُ ، والسينُ تعقبُها ، والميمُ تعقبُ السينَ .

فإنْ قلتُم بحدوثِها فقد صحَّ إلزامُكُم قيامَ الحوادثِ بالذاتِ ، وذلكَ كفرٌ .

وإنْ منعتُم أنَّها حادثةٌ ، وقلتُم : بل هيَ قديمةٌ . . فقد جحدتُمُ الضرورةَ ، وأنكرتُمُ البديهةَ ، وخرجتُم مِنْ معاقلِ العقلِ إلى بيداءِ فنونِ الجنونِ .

وإنْ قلتُم : إنَّ كلامَنا نحنُ بالقرآنِ وأصواتَنا الخارجةَ مِنْ لهواتِنا كلامُ اللهِ تعالى القديمُ وصفتُهُ الذاتيةُ . . لزمَكُمُ القولُ بحلولِ القديمِ بالحادثِ ، وتكونونَ شرّاً مِنَ النصارى ؛ لأنَّهُم قالوا بحلولِ الصفةِ بعيسى ابنِ مريمَ ، وأنتُم تقولونَ بحلولِ الصفةِ القديمةِ التي هيَ كلامُ اللهِ تعالى القديمُ في قراءةِ كلِّ مَنْ قرأَ القرآنَ أو شيئاً منهُ ، وأنَّ الصفةَ القديمةَ حلَّتْ بكلِّ مصحفٍ كُتِبَ وكلِّ حجرٍ نُقِشَ عليهِ شيءٌ مِنَ القرآنِ مِنْ لدنْ سيدِنا رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ وإلى الآنَ ، ويلزمُ عليهِ أنَّهُ إذا مُحِيَ زالَتِ الصفةُ عنهُ على رأيِهِم .

إذا ثبتَ ذلكَ فنقولُ : هم بينَ جاحدٍ للضرورةِ معدودٍ مِنَ السوفسطائيَّةِ ، وبينَ معتقدٍ قيامَ الحوادثِ بالذاتِ ؛ وهوَ كفرٌ ، وبينَ معتقدٍ حلولَ الصفاتِ القديمةِ بالحوادثِ ؛ وهـٰذا كفرٌ ؛ إذِ اعتقادُ المسلمينَ أنَّ اللهَ تعالى لا يَحُلُّ في شيءٍ ، ولا يَحُلُّ فيهِ شيءٌ ، وكذلكَ صفاتُ ذاتِهِ ؛ لا تَحُلُّ في غيرِهِ .

[عقيدةٌ لبعضِ المُشبِّهةِ القائلينَ بالحرفِ والصوتِ]

وجدتُ في كتابٍ ذكرَ كاتبُهُ أنَّهُ عقيدةُ بعضِ مشايخِ البلادِ وصرَّحَ باسمِهِ ، وأنَّهُ نقلَهُ عنهُ ، قالَ بعدَ الخطبةِ :

(أولُ نعمةٍ أنعمَ بها على العبدِ أنْ كتبَ الإيمانَ في قلبِهِ) ، ثمَّ قالَ : (ثمَّ بعدَ ذلكَ معرفةُ البارئِ وجبَتْ بالشرعِ لا بالعقلِ ؛ لقولِهِ تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] ، فلو كانَتِ المعرفةُ واجبةً بالعقلِ لقالَ : « وما كُنَّا معذبينَ حتىٰ نرزقَهُم عقولاً ») .

ثمَّ ذكرَ حديثاً آخرَ ، ثمَّ قالَ : (ودليلٌ ثالثٌ : أنَّ المعرفةَ لو كانَتْ بالعقلِ لكانَ كلُّ عاقلٍ عارفاً ، ولمَّا وجدْنا جماعةً مِنَ العقلاءِ كُفَّاراً دلَّ علىٰ أنَّ المعرفةَ لم تحصُلْ بالعقلِ ؛ أَمَا ترىٰ أنَّ ما يُدرَكُ بالنظرِ لا يختلفُ أربابُ النظرِ فيهِ) .

ثمَّ قالَ : (وأنَّ القرآنَ كلامُ اللهِ منزلٌ غيرُ مخلوقٍ ، منهُ بدأَ وإليهِ يعودُ ، تكلَّمَ بهِ في القِدَمِ بحرفٍ وصوتٍ ؛ حرفٍ يُكتَبُ ، وصوتٍ يُسمَعُ ، ومعنىً يُعلَمُ . . .) ، وذكرَ الأحاديثَ التي قدَّمتُها المطعونَ فيها قبلَ التي قدَّمتُها التي يستدلُّونَ بظواهرِها[1] .

ثمَّ قالَ : (وأنَّ التلاوةَ هيَ المتلوُّ ، وأنَّ القراءةَ هيَ المقروءُ ، وأنَّ ما جاءَ في المصاحفِ وما في صدورِ الرجالِ والألواحِ والصبيانِ . . كلامُ اللهِ بعينِهِ ، لا عبارةٌ ولا حكايةٌ) .

ثمَّ أردفَ ذلكَ بقولِهِ : (وأنَّ اللهَ علىٰ عرشِهِ بائنٌ مِنْ خلقِهِ كما وصفَ نفسَهُ بلا كيفٍ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] ، ثمَّ استدلَّ

(١) أي : في الباب الحادي عشر .

علىٰ ذلكَ بحديثٍ اختلقَهُ فقالَ : سألَتْ أمُّ سلمةَ رضيَ اللهُ عنها رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : كيفَ استوىٰ ؟ فقالَ : « ٱلِاسْتِوَاءُ [غَيْرُ مَجْهُولٍ ، وَٱلْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ ، وَٱلإِقْرَارُ بِهِ إِيمَانٌ ، وَٱلْجُحُودُ بِهِ كُفْرٌ] »)[1] .

* * *

(١) ما بين معقوفين سقط من (أ ، ب) ، ولعله سقط أيضاً رد المؤلف علىٰ هٰذه العقيدة ، والله تعالىٰ أعلم ، ويؤخذ الرد عليها عموماً من ثنايا هٰذا الكتاب ، وانظر « فتح الباري » (٤٠٦/١٣) .

فصل

في بيان أقسام المشبهة المعتقدين الظاهر من قوله تعالى:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾

وأمَّا اعتقادُهُم في ظاهرِ قولِهِ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] . . فهم في ذلكَ على أقسامٍ : قسمٌ أثبتُوا الجسميةَ ، وقسمٌ نفَوْها .

فالذينَ أثبتُوا الجسميةَ : منهُم قومٌ يُقالُ لهُم : غلاةُ المُجسِّمةِ ؛ وهمُ الذينَ كَذَبوا على اللهِ وجوَّزوا عليهِ المماسَّةَ في المكانِ ، وهم هشامُ بنُ الحكمِ الرافضيُّ ، وهشامٌ الجواليقيُّ[1] ، وعليُّ بنُ منصورٍ ، وداودُ الجواربيُّ ، وجمهورُ الكراميةِ .

ثمَّ اختلفَ هـٰؤلاءِ : فجوَّزَ بعضُهُمُ الحركةَ والانتقالَ والزوالَ مِنْ مكانٍ إلىٰ مكانٍ ، وقالَ هشامٌ : الحركةُ فعلُهُ ، وفعلُهُ غيرُ مفعولِهِ ، وليسَتْ حركتُهُ مِنْ مكانٍ إلىٰ مكانٍ ، وأجازَ عليهِ السكاكُ الزوالَ مِنْ مكانٍ إلىٰ مكانٍ كما أجازَها هشامٌ عليهِ ؛ إذ لم يجدْ بينَهُما فرقاً .

واختلفَتْ عباراتُ الكراميةِ : فأطلقَ أوائلُهُم لفظَ المماسَّةِ بينَهُ وبينَ العرشِ ، وزعموا أنَّ الصفيحةَ العليا مِنَ العرشِ مكانٌ لهُ ، تعالى اللهُ عن ذلكَ علوّاً كبيراً .

وقالَ بعضُهُم : لا نقولُ : إنَّهُ مماسٌّ لهُ ، ولـٰكنْ نقولُ : إنَّهُ ملاقٍ لهُ بغيرِ واسطةٍ بينَهُما .

(١) وفرقته مع الذي قبله تدعىٰ بـ (الهشامية) انظر « نهاية المرام » (ص٥٩٤) .

وكلُّ ذلكَ محالٌ عقلاً وكفرٌ شرعاً ؛ أمَّا محالٌ عقلاً : فلِمَا تقدَّمَ أنَّ الجسميةَ يلزمُ منها التركيبُ ، والتركيبَ يلزمُ منهُ الحدوثُ ، والحدوثُ على اللهِ تعالىٰ محالٌ[1] .

وأمَّا كفرٌ شرعاً : فلأنَّهُ قد تقرَّرَ أنَّ اللهَ تعالىٰ ليسَ بجسمٍ ، وقد ثبتَ بالدليلِ العقليِّ استحالةُ الجسميةِ عليهِ[2] .

والذي يعبدُ جسماً علىٰ عرشٍ كبيرٍ ، ويجعلُ جسمَهُ كقدرِ أبي قبيسٍ أو سبعةِ أشبارٍ بشبرِهِ كما حُكِيَ عن هشامٍ الرافضيِّ ، أو كلاماً آخرَ تقشعرُّ منهُ جلودُ الذينَ يخشَونَ ربَّهُم[3] . . فقد عبدَ غيرَ اللهِ ، فهوَ كافرٌ ، فلعنَ اللهُ مَنْ يعتقدُ هٰذا الاعتقادَ .

ولم يُشارِكْهُم في هٰذا الاعتقادِ إلا بعضُ اليهودِ لعنَهُمُ اللهُ .

والقسمُ الثاني ممَّنْ أطلقوا الجسميةَ منعوا التأليفَ والتركيبَ ، وقالوا : عنَيْنا بكونِهِ جسماً : وجودَهُ ، وهٰؤلاءِ كفروا ككفرِ النصارىٰ في إطلاقِ لفظِ الجوهرِ عليهِ .

قالَ الإمامُ أبو [سعدٍ] المُتولِّي في كتابِ « غنيةِ المقبولِ في علمِ الأصولِ » : (فإنْ قالوا : نحنُ نريدُ بقولِنا : « جسمٌ » أنَّهُ موجودٌ ، ولا نريدُ التأليفَ .

قلنا : هٰذهِ التسميةُ في اللغةِ ليسَ كما ذكرتُم ، وهيَ منبئةٌ عنِ المستحيلِ ، فلمَ أطلقتُم ذلكَ مِنْ غيرِ ورودِ سمعٍ ؟! وما الفصلُ بينكُم وبينَ مَنْ يُسمِّيهِ جسداً

(١) انظر (١/ ٢٠٠ـ٢٠١) .

(٢) انظر (١/ ٢٠١ـ٢٠٣) .

(٣) انظر « نهاية المرام » (ص٥٩٤) .

ويريدُ بهِ الموجودَ وإنْ كانَ يُخالِفُ مقتضى اللغةِ ؟!)[1] .

قالَ أبوَ [سعدٍ] رحمَهُ اللهُ : (فإنْ قيلَ : أليسَ تَسَمَّى نفساً ؟

قلنا : اتَّبَعْنا فيهِ السمعَ ؛ وهوَ قولُهُ سبحانَهُ : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة : ١١٦] ، ولم يَرِدِ السمعُ بالجسمِ)[2] ، وكذلكَ قالَ الإمامُ رضيَ اللهُ عنهُما[3] .

وأمَّا القسمُ الذينَ نفَوُا الجسميَّةَ وقالوا : لا نقولُ بالمماسَّةِ ولا بالملاقاةِ ؛ لأنَّ ذلكَ لا يكونُ إلا بواسطةِ الجسميةِ ، وذلكَ مُحالٌ على اللهِ تعالى ، وإنَّما نقولُ بالجهةِ مِنْ غيرِ جسميَّةٍ ولا مماسَّةٍ ولا ملاقاةٍ ، وبهِ قالَ المُتأخِّرونَ مِنَ الحنابلةِ . . [فهوَ] أيضاً باطلٌ ؛ لما تقدَّمَ في (بابِ الاستدلالِ على التأويلِ مِنْ جهةِ العقلِ) ، وأنَّ القائلَ بالجهةِ لا يخلو مِنْ أنْ يجعلَهُ شاغلاً لحيِّزٍ أو لأحيازٍ إلى آخرِهِ[4] .

فلزمَهُم مِنَ القولِ بالجهةِ القولُ بالشغلِ ، ومِنَ القولِ بالشغلِ القدرُ والنهايةُ أوِ التركيبُ ، والتركيبُ مِنْ أوصافِ الجسميةِ ، وقد تقدَّمَ تكفيرُ القائلينَ بالجسميةِ[5] .

فنعوذُ باللهِ مِنْ هذهِ الضلالاتِ في المقالاتِ ، والإطالاتِ في الجهالاتِ ، ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ * مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات : ١٥٩-١٦٣] .

(١) الغنية في أصول الدين (ص٨١) .
(٢) الغنية في أصول الدين (ص٨١) .
(٣) الإرشاد إلى قواطع الأدلة (ص٤٣-٤٤) .
(٤) انظر (١/ ٢٠١) .
(٥) انظر (١/ ٨٩) متناً وتعليقاً .

[قالَ] الإمامُ أبو عبدِ اللهِ محمدُ بنُ عمرَ[1] الأنصاريُّ القرطبيُّ رضيَ اللهُ عنهُ : (والذي يقتضي بطلانَ الجهةِ والمكانِ معَ ما قرَّرناهُ مِنْ كلامِ شيخِنا وغيرِهِ مِنَ العلماءِ . . وجهانِ :

أحدُهُما : أنَّ الجهةَ لو قُدِّرَتْ لكانَ فيها نفيُ الكمالِ ، وخالقُ الخلقِ مُستغنٍ بكمالِ ذاتِهِ عمَّا لا يكونُ بهِ كاملاً[2] .

والثاني : أنَّ الجهةَ إمَّا أنْ تكونَ قديمةً أو حادثةً ؛ فإنْ كانَتْ قديمةً أدَّىٰ إلىٰ محالينِ :

أحدُهُما : أنْ يكونَ معَ البارئِ في الأزلِ غيرُهُ ، والقديمانِ ليسَ أحدُهُما بأنْ يكونَ مكاناً للثاني بأَولىٰ مِنَ الآخرِ ، فافتقرا إلىٰ مُخصِّصٍ يُنقَلُ الكلامُ إليهِ ، وما يُفضِي إلى المحالِ محالٌ .

المحالُ الثاني : أنَّ الجهةَ والمكانَ إنَّما يكونانِ جسمينِ ، وهٰذا يُؤدِّي إلىٰ جوازِ وجودِ الأجسامِ أزلاً ، وفيهِ القولُ بقِدَمِ العالَمِ ، نعوذُ باللهِ مِنْ قولٍ يُؤدِّي إليهِ .

وإنْ كانَتِ الجهةُ حادثةً فالحادثُ كيفَ يحتاجُ إليهِ القديمُ ؟! فإنَّهُ قبلَ كونِهِ كانَ مُستغنياً [عنهُ] ، وهوَ على استغنائِهِ عنهُ لم يَزَلْ ، فكذلكَ لا يزالُ .

وفيهِ محالٌ ثالثٌ يجمعُ التقديرينِ ؛ وهوَ أنَّ الجهةَ لو قُدِّرَتْ لكانَتْ مخلوقةً ، ومُحالٌ أنْ يكونَ خالقُ الكلِّ يفتقرُ إلىٰ بعضِ مخلوقاتِهِ .

فقفوا عندَ هٰذا التحقيقِ ، واللهُ يُوفِّقُنا وإيَّاكُم إلىٰ سواءِ الطريقِ)[3] .

(١) كذا في (أ ، ب) ، وفي « الوافي بالوفيات » (٢/ ٨٧) وغيره : (أحمد) .

(٢) العبارة في « الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ » : (عمَّا يكون به كاملاً) .

(٣) الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ (٢/ ١٤٣) .

قلتُ : هـٰذا كلُّهُ تقدَّمَ بالمعنىٰ في بابِ الاستدلالِ بالعقلِ ، وإنَّما أثبتُّهُ هنا تبرُّكاً بكلامِ هـٰذا الإمامِ ممَّنْ حضرَني .

* * *

بيان أقسام المشبهة القائلين بظواهر الكتاب والسنة

وأمَّا قولُهُم في الظواهرِ الواردةِ في الكتابِ والسنَّةِ النبويةِ . . ها هنا جاءَهُمُ السوداءُ المُستحكِمةُ ، والجنونُ المطبقُ ، والصرعُ الدائمُ ، والماليخوليا الغالبةُ[1] ، والتفنُّنُ في أنواعِ الكفرِ ، ولم يُبْقِ الجهلُ لهُم تصوُّراً ولا تدبُّراً ، نعوذُ باللهِ مِنَ الخذلانِ .

وانقسموا في ذلكَ إلىٰ أقسامٍ :

فغُلاةُ المُجسِّمةِ حملوها علىٰ ظاهرِها في جميعِ ما وردَ مِنْ ذكرِ اليدينِ والعينينِ والساقِ والقدمِ ، **وإلىٰ هٰذا ذهبَ** إبراهيمُ بنُ أبي يحيىٰ ، وداودُ الجواربيُّ ؛ حيثُ سُئِلَ عن **معبودِهِ** ، فقالَ : اعفُوني مِنَ الفرجِ واللحيةِ ؛ يعني : أنَّهُ أثبتَ لهُ ما سواهُما[2] .

ومنهُم قومٌ يُقالُ لهُمُ : البيانيةُ مِنَ الرافضةِ ، يُنسَبونَ إلىٰ بيانِ بنِ سمعانَ التميميِّ قالَ : إنَّ معبودَهُ علىٰ صورةِ الآدميِّ ، وإنَّهُ يهلكُ كلُّهُ إلا وجهَهُ ؛ جموداً علىٰ ظاهرِ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾[3] [القصص : ٨٨] .

ومنهُمُ المغيريةُ : وهم أيضاً مِنَ الروافضِ ، يُنسَبونَ إلى المغيرةِ بنِ سعيدِ العجليِّ ، يقولونَ أيضاً بذلكَ ، ويزيدونَ القلبَ لمعبودِهِم ، وأنَّهُ ينبعُ منهُ

(١) **الماليخوليا** : ضرب من الجنون .

(٢) انظر « التبصير في الدين » (ص١٢٠) ، و« الملل والنحل » (١/ ١٠٥) .

(٣) انظر « مقالات الإسلاميين » (ص٥ـ ٦) ، و« التبصير في الدين » (ص١١٩) ، و« الملل والنحل » (١/ ١٥٢ـ١٥٣) ، وما سبق في تأويل الآية (١/ ٢١٧ـ٢١٨) .

الحكمةُ ، وأنَّ حروفَ أبجدَ على عددِ أعضائِهِ[1] .

وهـٰؤلاءِ كلُّهُم كفرةٌ ، لعنَهُمُ اللهُ ولعنَ مَنْ يقولُ بقولِهِم ، اللهمَّ ؛ إنِّي أتقرَّبُ إليكَ بذلكَ ، فتقبَّلْ منِّي ؛ إنَّكَ أنتَ السميعُ العليمُ .

والقسمُ الثاني مِنَ الظاهريَّةِ قالوا : إنَّ جميعَ ما وردَ في الكتابِ العزيزِ والسنَّةِ النبويةِ مِنَ الظواهرِ ؛ مِنَ اليدينِ والرجلِ والقدمِ والعينِ والنفسِ . . كلُّها صفاتٌ ثابتةٌ لهُ مِنْ غيرِ جسميَّةٍ .

وهـٰؤلاءِ انقسموا قسمين :

فقسمٌ لم يسوقوها مَساقَ الأبعاضِ ، ولم ينزلوها منزلةَ التشبيهِ ، **وهـٰؤلاءِ مُتأخِّرو الأثريةِ** ، وإلى هـٰذا ذهبَ جماعةٌ مِنَ المُحدِّثينَ ، **والفرقُ بينَهُ وبينَ مذهبِ أوائلِ السلفِ** : أنَّ السلفَ رضيَ اللهُ عنهُم أمرُّوهُ مِنْ غيرِ حكمٍ عليهِ ؛ لا بكونِهِ صفةً ولا بكونِهِ مُؤوَّلاً ، بل يجعلونَـهُ مِنْ قبيلِ الغيبِ الذي يؤمنونَ بهِ ويكِلُونَ علمَهُ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ .

والقسمُ الثاني : **نزَّلوا هـٰذهِ الصفاتِ منزلةَ الأعضاءِ** ، وأجرَوْها مُجرى التشبيهِ بالتركيبِ الآدميِّ ، وصنَّفوا فيهِ كتباً في الصفاتِ ، **وإلى هـٰذا ذهبَ جماعةٌ مِنْ مُتأخِّري الحنابلةِ** ؛ كأبي يعلى وأبي الهيثمِ ، وبوَّبَ أبو يعلى ؛ فقالَ : (بابُ اليدينِ ، بابُ العينينِ ، بابُ كذا ، بابُ كذا . . .) إلى أنْ قالَ : (بابُ الفَرْجِ) ، فقالَ : (لم يَرِدْ فيهِ شيءٌ) .

قالَ بعضُ أكابرِ العلماءِ : (سلحَ أبو يعلى على الحنابلةِ سلحةً لا يغسلُها دجلةُ)[2] .

(١) انظر « مقالات الإسلاميين » (ص٦) ، و« التبصير في الدين » (ص١٢٥) ، و« الملل والنحل » (١/ ١٧٦ـ١٧٧) .

(٢) انظر ما تقدم (١/ ١١٦) تعليقاً .

وهـؤلاءِ أيضاً وقعوا في تِيهِ التشبيهِ ، وفرُّوا مِنْ نارٍ إلىٰ نيرانٍ ، وعليهِم مِنَ المناقضاتِ ما تقدَّمَ في الأدلَّةِ .

ويلزمُهُم أنْ يقولوا أيضاً ببقاءِ كلِّ ظاهرٍ علىٰ ما هوَ عليهِ .

ويلزمُهُم أنْ يجعلوا المعيَّةَ والاستواءَ والقربَ في حالةٍ واحدةٍ ، وذلكَ تناقضٌ .

ويلزمُهُم أنْ يقولوا أيضاً فيما وردَ ممَّا يُوهِمُ الحدوثَ أنَّهُ صفةٌ ذاتيَّةٌ ثابتةٌ ؛ كالضحكِ والنزولِ والمجيءِ : إنَّها صفاتٌ مِنْ غيرِ تأويلٍ ، فإنْ قالوا بذلكَ لزمَهُم قيامُ الحوادثِ بذاتِهِ ، **وإنَّ ذلكَ محالٌ** .

وإنْ أوَّلوها أو نفَوُا الظاهرَ فيها خاصَّةً . . فذلكَ تخصيصٌ مِنْ غيرِ مُخصِّصٍ .

وبالجملةِ : فهـٰذا كلُّهُ لا يطرأُ إلا عن جهلٍ مُفرِطٍ ، أو نفاقٍ كامنٍ في الصدورِ يبرزُ في هـٰذهِ الصورِ مِنَ البدعِ .

أخبرَني الشيخُ العارفُ قطبُ الوقتِ علمُ الزهَّادِ إمامُ العبَّادِ شمسُ الدينِ أبو عبدِ اللهِ محمدُ ابنُ النعمانِ قدَّسَ اللهُ روحَهُ[1] بما ذكرَهُ في كتابِهِ المُسمَّىٰ بـ « نظمِ الجوهرِ في جوابِ المسترشدِ مِنْ أهلِ جوجرَ » قالَ :

(وقد ألَّفَ الشيخُ عبدُ القادرِ الجيليُّ كتاباً سمَّاهُ : « إبطالَ التأويلاتِ لأخبارِ الصفاتِ »[2] ، وقفتُ عليهِ عندَ بعضِ علمائِنا المعتنينَ في وقتِنا ، وقطعَهُ وغسلَهُ وقصدَ الردَّ عليهِ ، فأخذتُ ورقةً مِنَ الكتابِ المذكورِ وجدتُ عليها خطَّ ولدِهِ عبدِ الجبارِ ، وكانَ الشيخُ عبدُ القادرِ ذكرَ في الورقةِ التي

(١) وقد ترجم المؤلف لابن النعمان في (٢/ ١٦٣ـ ١٧٩) ترجمة حافلة .

(٢) لعل هـٰذا الكتاب من تأليف أبي يعلى الفراء ، والله تعالىٰ أعلم .

وجدتُها بإسنادِهِ عن مجاهدٍ قالَ : « إذا كانَ يومُ القيامةِ ذكرَ داودُ ذنبَهُ ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : كنْ أمامي ، فيقولُ : ربِّ ؛ ذنبي ، فيقولُ لهُ : خُذْ بقدمي » .

وذكرَ بإسنادِهِ عنِ ابنِ سيرينَ في قولِهِ : ﴿ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ [ص : ٢٥] قالَ : « إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ليقرِّبُ داودَ حتىٰ يضعَ قدمَهُ علىٰ فخذِهِ ، فيقولَ : ادنُ منَّا ازلفْ إلينا »[١] .

ثمَّ اعلمْ[٢] : أنَّهُ غيرُ ممتنعٍ حملُ هـٰذا الخبرِ علىٰ ظاهرِهِ ؛ إذْ ليسَ فيهِ ما يُحيلُ صفاتِهِ ولا يُحرِّفُها بما تستحقُّهُ[٣] ؛ فإنَّا لا نُثبتُ قدماً وفخذاً جارحةً ، بل نثبتُ ذلكَ صفةً[٤] .

فكتبَ ولدُهُ عبدُ الجبَّارِ علىٰ حاشيةِ الكتابِ : « ويحَكَ يا مُصنِّفُ !! ما قولُ مجاهدٍ وابنِ سيرينَ ؟! ما قولُهُما بحُجَّةٍ ، ومِنْ أينَ أخذوا هـٰذا ؟! ومِنْ أينَ علموا بهِ ؟! وظاهرُ الكلامِ يقتضي : أنَّهُ ما أسندوهُ إلى الرسولِ ، بل هوَ مِنْ عندِهِم ، فلا يُلتفَتُ إليهِم » .

وكتبَ : « يا مُصنِّفُ ؛ واللهِ ثمَّ واللهِ ؛ غنيٌّ عن هـٰذا أنْ تجمعَ كلامَ مجاهدٍ وابنِ سيرينَ في مثلِ هـٰذا فتتكلَّمَ عليهِ وتُدوِّنَهُ ، وللعاقلِ شغلٌ عن هـٰذا ، وإنَّ سماعَ هـٰذا مزعجٌ ، فكيفَ مَنْ لا إيمانَ لهُ بهِ ؟! ما حكيتَ شيئاً مِنَ الجوارحِ إلا وقد أضفتَهُ إلى اللهِ تعالىٰ ، ثمَّ تقولُ : لا نقولُ جارحةً ولا أبعاضاً !! كيفَ يندفعُ القولُ الأولُ بهـٰذا الاعتذارِ الركيكِ الذي ما يدخلُ في القلبِ منهُ شيءٌ ؟!

(١) انظر « إبطال التأويلات » للقاضي أبي يعلى الفراء (١/٢٠٦) ، وفيه : (يده) بدل (قدمه) .

(٢) القائل : عبد القادر الجيلي .

(٣) في « إبطال التأويلات » (ص٢٠٦) : (ولا يخرجها عمَّا تستحقه) .

(٤) الكلام بلفظه في « إبطال التأويلات » (١/٢٠٦-٢٠٧) .

هـٰذا واللهِ الاشتغالُ بغيرِهِ أصلحُ في حقِّ العاقلِ ، وطوبىٰ لمَنْ وُفِّقَ لمذهبِ العجائزِ[1] ، وصلَّى اللهُ علىٰ سيدِنا محمدٍ .

وكتبَ : أقلُّ غلامِ الحنابلةِ ؛ عبدُ الجبارِ بنُ عبدِ القادرِ بنِ أبي صالحِ بنِ عبدِ اللهِ الجيليُّ ، ما كتبَهُ أشعريٌّ ولا مُعطِّلٌ ولا جهميٌّ ، بل تابعٌ سُنِّيٌّ »[2] .

قلتُ : اعلمْ وفَّقَكَ اللهُ : أنَّ مِنْ هـٰؤلاءِ خاصَّةً مَنْ يقولُ بالظواهرِ وأنَّها صفاتٌ . . لا يُنجيهِ ذلكَ مِنَ الدخولِ في سوءِ الاعتقادِ ؛ فإنَّ المُشبِّهَ بقولِ يشبهُ قولَ الكفارِ واقعٌ في المحذورِ ، وقد ذمَّ اللهُ قوماً مِنَ اليهودِ والنصارىٰ ؛ فقالَ : ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة : ٣٠] : يشابهونَ بقولِهم قولَ الذينَ كفروا مِنْ قبلُ .

وهـٰؤلاءِ الذينَ قالوا : إنَّ البُنوَّةَ ليستْ علىٰ حقيقتِها ، وإنَّما هيَ صفةٌ ثابتةٌ وردَتْ في الإنجيلِ ، فنحنُ نجعلُها صفةً ، ومعَ ذلكَ فقد كفروا .

فأنتُم معشرَ المتأخرينَ مِنَ الحنابلةِ لا يُنجيكُمُ اعتقادُكُمُ الصفةَ معَ نفيِ الجسميَّةِ مِنْ مشابهتِكُمُ المبتدعةَ ؛ فإنَّ اللهَ تعالىٰ ذمَّ مَنْ أطلقَ الإطلاقَ الذي يُوهِمُ النقصَ في الباطنِ وإنْ كانَ لا يعتقدُهُ أحدٌ[3] .

ورُوِيَ عن كعبِ الأحبارِ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قالَ : (في التوراةِ مكتوبٌ : الثورُ يعرفُ مربطَهُ ، والحمارُ يعرفُ آريَّهُ ، وبنو إسرائيلَ لا يعرفونَ

(١) للإمام السنوسي كلام نفيس حول إطلاق هـٰذه العبارة وأمثالها . انظر « شرح العقيدة الكبرى » (ص ١٥٢ـ١٥٧) .

(٢) انظر « دفع شبه التشبيه » (ص٤٤ـ٤٥) .

(٣) وذكرت أن الإمام ابن الجوزي عقد مؤلفاً في الرد علىٰ هـٰؤلاء المتأخرين من الحنابلة ، وسمَّاه : « دفع شبه التشبيه » انظر ما سبق (١/ ١١٦ ، ١٣١ ، ١٣٢) تعليقاً .

ربَّهُم)[1] ، ما أشبهَ الليلةَ بالبارحةِ !! هـٰذهِ بقايا مِنْ تلكَ البلايا ، وخبايا مِنْ أولـٰئكَ الخزايا .

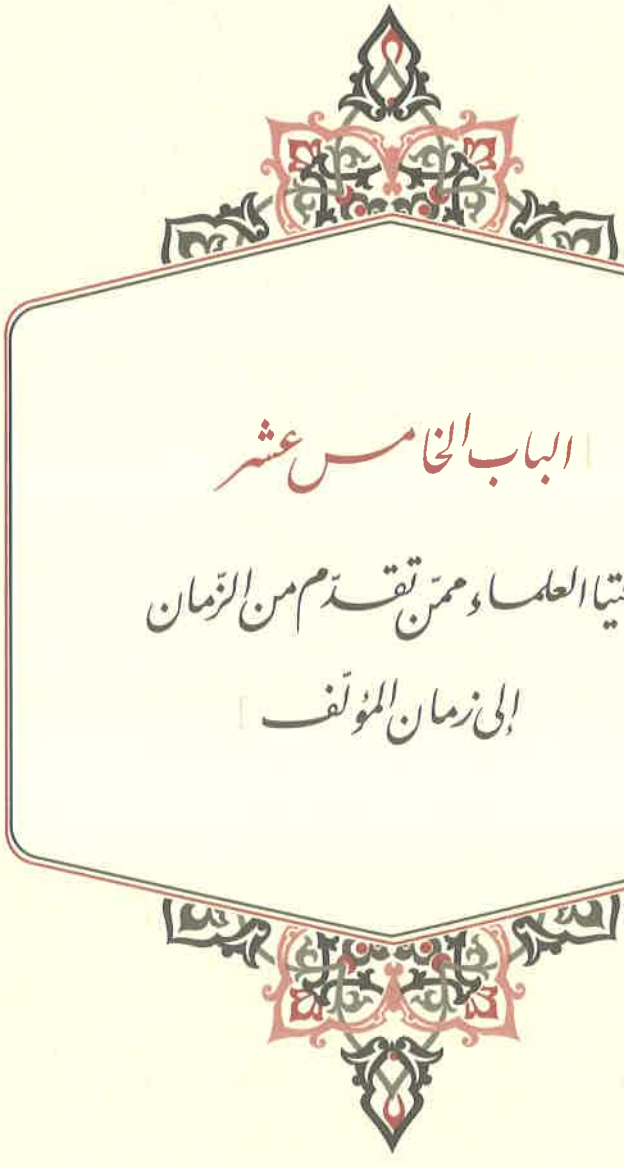
وقد قالَ سيدُنا رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَتَسْلُكُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ شِبْراً بِشِبْرٍ وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ ؛ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمْ خَلْفَهُمْ » قالَ الراوي : قُلْنا : يا رسولَ اللهِ ؛ اليهودَ والنصارىٰ ؟ قالَ : « فَمَنْ ؟! »[2] .

سبحانَ ربِّكَ ربِّ العزَّةِ عمَّا يصفونَ ، وسلامٌ على المرسلينَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ .

* * *

(١) أخرجه الربيع بلاغاً في « مسنده » (٨٤٧) ، والآريُّ : معلف الدواب .

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) ، ومسلم (٢٦٦٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .



الباب الخامس عشر

فتيا العلماء ممن تقدم من الزمان إلى زمان المؤلف

بابُ
فتيا العلماء ممن تقدم من الزمان إلى زماننا فيهم

هٰذا بابٌ أذكرُ فيهِ مفترقاتِ أقوالِ العلماءِ حكماً لا استدلالاً ، وفتوىٰ ماضيةً لا جدالاً ، تتبَّعتُها وأثبتُّها هنا ، وأودعتُها منذُ ظهرَتْ هٰذهِ البدعةُ وإلىٰ هٰذا الحينِ ؛ لتكونَ مثالاً يُحتذىٰ حذوُهُ ، ومنهاجاً يُقتفىٰ نحوُهُ ، باقياً علىٰ تداولِ الأعصارِ ، عوناً لمَنْ يأخذُ علىٰ أيديهِم بالإنكارِ ؛ لتبقىٰ كلمةً باقيةً في العَقِبِ ، وجُنَّةً واقيةً علىٰ توالي الحقبِ ، وصارماً عندَ الحاجةِ إليهِ يُنتضىٰ[1] ، ورسماً يعملُ فيهِم بما أوجبَهُ الحكمُ واقتضىٰ ، ونسألُ اللهَ التوفيقَ لما أحبَّهُ وارتضىٰ ؛ بمحمدٍ وآلِهِ .

[نصوصٌ عنِ السلفِ والخلفِ في حكمِ أهلِ البدعِ المكفِّرةِ]

سُئِلَ عبدُ الرحمٰنِ بنُ مهديٍّ عنِ الصلاةِ خلفَ أهلِ الأهواءِ ، فقالَ : تصحُّ إلا الرافضةَ والجهميةَ[2] .

وروىٰ عبدُ الرحمٰنِ بنُ عمرَ قالَ : كنتُ عندَ عبدِ الرحمٰنِ بنِ مهديٍّ ، وذُكِرَ عندَهُ رجلٌ مِنَ الجهميَّةِ أنَّهُم ذكروا عندَهُ حديثَ : « إنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ » ، فقالَ : عجنَهُ بيدِهِ وحرَّكَ يدَهُ بالعجينِ ، فقالَ عبدُ الرحمٰنِ : لوِ استشارَني هٰذا السلطانُ في الجهميةِ لأشرتُ عليهِ أنْ

(١) يُنتضىٰ : يقال : انتضى السيفَ من غمده ؛ إذا أخرجه .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٧/٩) .

يستتيبَهُم ، فإنْ تابوا ، وإلا ضربَ أعناقَهُم[1] .

ونقلَ الشيخُ محيي الدينِ النواويُّ رضيَ اللهُ عنهُ في كتابِهِ « الروضةِ » عنِ الشيخِ أبي حامدٍ ومَنْ تابعَهَ : أنَّهُم جزموا بردِّ شهادةِ أهلِ الأهواءِ ، وحملوا نصَّ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ حيثُ قالَ : (أقبلُ شهادَةَ أهلِ الأهواءِ) على المخالفينَ في الفروعِ ، وقالوا : هـٰؤلاءِ أولىٰ بردِّ الشهادةِ مِنَ الفسقةِ[2] .

ونقلَ الشيخُ الإمامُ أقضى القضاةِ نجمُ الدينِ في كتابِهِ المُسمَّىٰ : « كفايةَ النبيهِ في شرحِ التنبيهِ » في قولِ الشيخِ أبي إسحاقَ رضيَ اللهُ عنهُ في (بابِ صفةِ الأئمَّةِ) : (ولا تجوزُ الصلاةُ خلفَ كافرٍ) : (لأنَّهُ لا صلاةَ لهُ ، وكيفَ يُقتدىٰ بهِ ؟!) ، قالَ : (وهـٰذا ينظِمُ مَنْ كُفرُهُ مُجمَعٌ عليهِ ومَنْ كفَّرْناهُ مِنْ أهلِ القبلةِ ؛ كالقائلينَ بخلقِ القرآنِ ، وبأنَّهُ لا يعلمُ المعدوماتِ قبلَ وجودِها ، ومَنْ لا يؤمنُ بالقدرِ ، وكذا مَنْ يعتقدُ أنَّ اللهَ جالسٌ على العرشِ ، كما حكاهُ القاضي الحسينُ هنا عن نصِّ الشافعيِّ رضيَ اللهُ عنهُ)[3] .

ثمَّ نقلَ في (كتابِ الشهاداتِ) في (بابِ مَنْ تُقبَلُ شهادتُهُ ومَنْ لا تُقبَلُ) فقالَ : (وقالَ الشيخُ أبو حامدٍ وتبعَهُ البندنيجيُّ ـ وقالَ القاضي الحسينُ : إنَّ بهِ قالَ أصحابُنا ـ : **أهلُ الأهواءِ علىٰ ثلاثةِ أضربٍ** :

ضربٌ يُكفَّرونَ باعتقادِهِم ، وسنذكرُهُم ؛ فلا تُقبَلُ شهادتُهُم .

وضربٌ يُفسَّقونَ ولا يُكفَّرونَ ؛ كمَنْ سبَّ القرابةَ مِنَ الخوارجِ ، والصحابةَ مِنَ الروافضِ ؛ فلا نحكمُ بشهادتِهِم أيضاً .

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٧) .

(٢) روضة الطالبين (١١/ ٢٤٠) .

(٣) كفاية النبيه (٤/ ٢٤) .

وضربٌ لا يُكفَّرونَ ولا يُفسَّقونَ ؛ ولكن يُخطَّؤونَ ، قالَ القاضي الحسينُ : كالبغاةِ ، وقالَ غيرُهُ : الذينَ اختلفوا في علمِ الشريعةِ)[1] .

ثمَّ ذكرَ لذلكَ ستةَ شروطٍ ، ثمَّ مثَّلَ الضربَ الأولَ ، ثمَّ حكىٰ بعدَ ذلكَ عنِ البَنْدَنيجيِّ ، فقالَ : (قال البَنْدَنيجيُّ : فلا تَحِلُّ مناكحةُ مَنْ ذكرْناهُم ، ولا تُؤكَلُ ذبيحتُهُم ، وحكمُهُم في هٰذا حكمُ الكفارِ ، هٰذا مذهبُ الشافعيِّ)[2] .

نقلَ الإمامُ أبو القاسمِ عمرُ بنُ حسينِ بنِ الحسنِ المكيُّ في كتابِهِ المُسمَّىٰ : « نهايةَ المرامِ في علمِ الكلامِ » قالَ : (حكى القاضي أبو بكرٍ ـ يعني : ابنَ الباقلانيِّ ـ عن أبي الحسنِ رحمَهُ اللهُ : أنَّهُ قالَ في كتابِ « النوادرِ » عندَ سؤالِهِ نفسَهُ : هل يعرفُ اللهَ تعالىٰ عبدٌ اعتقدَ أنَّهُ جسمٌ ؟ فقالَ : إنَّ هٰذا القائلَ غيرُ عارفٍ باللهِ تعالىٰ ، وإنَّهُ كافرٌ بهِ ، قالَ القاضي رحمَهُ اللهُ : وكذلكَ القولُ عندَهُ علىٰ مَنْ زعمَ أنَّ كلامَ اللهِ تعالىٰ مخلوقٌ .

قالَ الأستاذُ أبو بكرِ ابنُ فوركَ رضيَ اللهُ عنهُ : وليسَ لشيخِنا رحمَهُ اللهُ كلامٌ في التكفيرِ ؛ لا في إثباتِهِ ولا في نفيِهِ ، إلا أنَّا تتبَّعْنا كتبَهُ واستدلَلْنا بألفاظِهِ علىٰ أنَّ مذهبَهُ تكفيرُ مَنْ نذكرُهُ) .

وذكرَ بعدَ ذلكَ كلامَهُ في المعتزلةِ ، ثمَّ قالَ : (وقالَ في كتابِ « النوادرِ » في « بابِ المعلومِ والمجهولِ » : هل يجوزُ أنْ [يكونَ] البارئُ تعالىٰ معلوماً مِنْ وجهٍ مجهولاً مِنْ وجهٍ آخرَ ؟ ثمَّ قالَ علىٰ طريقةِ مَنْ قالَ بتكفيرِ المتأوِّلينَ مِنْ أصحابِنا : يجوزُ مِنْ طريقِ العقلِ ، ولا يجوزُ مِنْ طريقِ الشرعِ ؛ لأنَّ إجماعَ

(١) وهٰؤلاء أيضاً لا تقبل شهادتهم .

(٢) كفاية النبيه (١٩/ ١٣٨ـ١٤٠) .

الأمةِ على أنَّهُ لا يجوزُ أنْ يكونَ الإنسانُ مؤمناً مِنْ وجهٍ كافراً مِنْ وجهٍ ، فلو قلنا : إنَّهُ يعلمُ مِنْ وجهٍ ويجهلُ مِنْ وجهٍ . . لزمَ أنْ يكونَ مؤمناً [مِنْ ذلكَ الوجهِ] كافراً بالوجهِ الذي جهلَهُ ، وذلكَ لا يجوزُ .

أمَّا الأستاذُ أبو بكرِ ابنُ فوركَ فإنَّهُ لمَّا سُئِلَ فقيلَ لهُ : ما تقولُ في مُخالفينا في الأصولِ ؟ قالَ : أقولُ فيهِم ما يقولونَ فينا)[1] .

قالَ الإمامُ أبو القاسمِ عمرُ بنُ الحسينِ المكيُّ : (وهـٰذا حسنٌ جدّاً ، ثمَّ قالَ الأستاذُ رحمَهُ اللهُ في « المختصرِ » : إنَّ التكفيرَ أمرٌ يتعلَّقُ بالشريعةِ ؛ فما قامَتِ الدَّلالةُ المُوجِبةُ لحكمٍ . . أعطيناهُ ذلكَ الحكمَ)[2] .

قالَ القاضي رضيَ اللهُ عنهُ : (الكفرُ خصلةٌ واحدةٌ ؛ وهوَ الجحدُ باللهِ تعالىٰ والجهلُ بهِ ، ومنهُم مَنْ جعلَ الجحدَ جهلاً ، ومنهُم مَنْ قالَ : الجحدُ يتضمَّنُ الجهلَ ، والجحدُ ضدُّ التصديقِ ـ الذي هوَ قولٌ في النفسِ ـ المتضمِّنِ علماً .

فمتىٰ علمْنا جاهلاً باللهِ تعالىٰ أو جاحداً وجودَهُ . . حكمْنا بكفرِهِ ، ومتىٰ علمْنا أنَّهُ معتقدٌ لمذهبٍ لا يصحُّ معَ مُقامِهِ عليهِ معرفةُ اللهِ تعالىٰ . . علمْنا بذلكَ أنَّهُ كافرٌ ، ومتىٰ وردَ الشرعُ بجعلِ بعضِ أفعالِ القلوبِ والجوارحِ علامةً علىٰ كفرِ مَنْ وقعَ ذلكَ منهُ . . حكمْنا بكفرِهِ ؛ لكونِ ما ظهرَ منهُ دلالةً علىٰ كفرِهِ)[3] .

* * *

(١) نهاية المرام (ص٣٠١ـ٣٠٢) .

(٢) نهاية المرام (ص٣٠٢) ، والعبارة فيه : (فما قامت عليه الدلالة الموجبة للعداوة تلقَّيناه بالقبول ، وما لا دليل عليه امتنعنا عنه) .

(٣) انظر « نهاية المرام » (ص٢٩٧ـ٢٩٨) .

فتوى الأئمة التي أوردها ابن عساكر فيمن كفر الأشعرية ولعنهم

ذكرَ الإمامُ الحافظُ ثقةُ اللهِ أبو القاسمِ ابنُ عساكرَ قالَ : وجدتُ في جزءٍ بخطِّ الثقاتِ سؤالاً يعقبُهُ ما أذكرُهُ بعدَهُ مِنَ الجواباتِ ، نقلتُهُ على نصِّهِ ونسختِهِ ؛ ليقفَ عليهِ مَنْ ينتفعُ بمعرفتِهِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى ، وهوَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ما قولُ السادةِ الجِلَّةِ الأئمَّةِ الفقهاءِ ـ أحسنَ اللهُ توفيقَهُم ورضيَ عنهُم ـ **في قومٍ أجمعُوا على لعنِ فِرقةِ الأشعريةِ وتكفيرِهِم ؟ ما الذي يجبُ عليهِم في هٰذا القولِ ؟ يُفتونا في ذلكَ مُنعِمينَ مثابينَ إنْ شاءَ اللهُ تعالى .**

[فتوى الإمامِ الدامَغانيِّ]

الجوابُ وباللهِ التوفيقُ : أنَّ كلَّ مَنْ أقدمَ على لعنِ فِرقةٍ مِنَ المسلمينَ وتكفيرِهِم . . فقدِ ابتدعَ ، وارتكبَ ما لا يجوزُ الإقدامُ عليهِ ، وعلى الناظرِ في الأمورِ ـ أعزَّ اللهُ أنصارَهُ ـ الإنكارُ عليهِ ، وتأديبُهُ بما يرتدعُ هوَ وأمثالُهُ عنِ ارتكابِ مثلِهِ .

وكتبَ : محمدُ بنُ عليٍّ الدامَغانيُّ

[فتوى الإمامِ أبي إسحاقَ الشيرازيِّ]

وبعدَهُ : الجوابُ وباللهِ التوفيقُ : أنَّ الأشعريةَ أعيانُ أهلِ السنَّةِ ، وأنصارُ الشريعةِ ، انتصبوا للردِّ على المبتدعةِ مِنَ القدريةِ والرافضةِ وغيرِهِم ، فمَنْ طعنَ فيهِم فقد طعنَ على أهلِ السنَّةِ ، وإذا رُفِعَ أمرُ مَنْ يفعلُ ذلكَ إلى الناظرِ في أمورِ المسلمينَ . . وجبَ عليهِ تأديبُهُ بما يرتدعُ بهِ كلُّ أحدٍ .

وكتبَ : إبراهيمُ بنُ عليٍّ الفيروزابادِيُّ

[فتوى الإمامِ الشاشيِّ]

وبعدَهُ : جوابي مثلُهُ .

وكتبَ : محمدُ بنُ أحمدَ الشاشيُّ[1]

رحمةُ اللهِ عليهِم أجمعينَ .

[فتوىٰ ثانيةٌ للإمامِ أبي إسحاقَ الشيرازيِّ]

وجدتُ في جزءٍ لطيفٍ قطعِ المعتزليِّ نسخةَ استفتاءٍ نسَخْتُهُ[2] ؛ وهوَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ما تقولُ الأئمَّةُ العلماءُ ـ أحسنَ اللهُ توفيقَهُم ، وأجزلَ مِنْ كلِّ خيرٍ مزيدَهم ـ فيمَنْ يقولُ : كلامُ اللهِ تعالى القديمُ يَحُلُّ المُحدَثاتِ المخلوقاتِ ، وإنَّ الحروفَ التي ينطقُ بها المخلوقُ ، ويقطعُ عقلاً بأنَّ لها أوَّلاً وآخراً . تَحُلُّ ذاتَ القديمِ ، وإنَّها قديمةٌ ، وإنَّ القديمَ يُمَسُّ ويُلمَسُ ، وإنَّ المُحدَثَ المخلوقَ ينقلبُ قديماً ، وإنَّ الصفةَ القديمةَ تنفصلُ عنِ القديمِ ؟ تعالى اللهُ عن ذلكَ علوّاً كبيراً !!

هل يجبُ تضليلُهُ وتفسيقُهُ وتبديعُهُ ؟ وهل يتعيَّنُ علىٰ إمامِ المسلمينَ ـ أعزَّ اللهُ أنصارَهُ وأعلىٰ شأنَهُ ـ ردعُهُ وزجرُهُ واستتابتُهُ وإبعادُهُ ، أم لا ؟

الجوابُ وباللهِ التوفيقُ : أنَّ هٰذا القولَ قولُ الكفارِ والضُّلالِ ، ومَنْ قالَ هٰذا حُكِمَ بكفرِهِ ، ويجبُ أنْ يُستتابَ ، فإنْ تابَ ، وإلا وجبَ قتلُهُ .

وكتبَ : إبراهيمُ بنُ عليٍّ الفيروزباديُّ

(١) تبيين كذب المفتري (ص٥٩٩ـ٦٠٠) .

(٢) قوله : (المعتزلي) ضبطت التاء فقط في (أ) ، وفي (ب) : (المعترك) .

نسخةُ جوابِ أبي [سعدٍ] المُتولِّي : القولُ بهـٰذا كفرٌ وضلالٌ ، ومُعتقِدُ هـٰذا المذهبِ يُستتابُ ، فإنْ تابَ ، وإلا وجبَ ضربُ رقبتِهِ ، وباللهِ التوفيقُ .

وكتبَ : عبدُ الرحمـٰنِ بنُ المأمونِ النيسابوريُّ

نسخةُ جوابِ الشاشيِّ : بجنبِ جوابِ الشيخِ أبي إسحاقَ : جوابي مثلُ ذلكَ .

وكتبَهُ : محمدُ بنُ أحمدَ الشاشيُّ

رحمَهُمُ اللهُ أجمعينَ .

[فتوىٰ أخرىٰ مُفصَّلةٌ للإمامِ الشاشيِّ في المسألةِ]

وتلا ذلكَ بالخطِّ نسخةٌ لفتيا :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ما قولُ سيِّدِنا الشيخِ الأجلِّ السيدِ الإمامِ ـ أحسنَ اللهُ توفيقَهُ ـ في أصواتِ الآدميينَ في القراءةِ وغيرِها مِنَ الكلامِ كلامِ المخلوقينَ : هل هيَ مخلوقةٌ أم قديمةٌ ؟ وفي حروفِ المعجمِ التي هيَ تسعةٌ وعشرونَ حرفاً : أهيَ مخلوقةٌ أم قديمةٌ ؟ وفي إيمانِ العبادِ باللهِ تعالىٰ وبرسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : هل هوَ قديمٌ أم مخلوقٌ ؟

فإذا أوضحَ ذلكَ مُتفضِّلاً أنعمَ بالقولِ فيمَنْ يعتقدُ أنَّ أصواتَ الآدميينَ في القراءةِ وغيرِها مِنْ كلامِ المخلوقينَ قديمةٌ ، ويعتقدُ أنَّ مَنْ خالفَ ذلكَ كافرٌ باللهِ تعالىٰ ، معَ اعتقادِهِ أنَّ البارئَ صورةٌ لا كالصُّورِ : ما حكمُهُ ؟ تُفتينا مُثاباً في ذلكَ مأجوراً إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ ، وصلواتُهُ علىٰ سيِّدِنا نبيِّهِ محمدٍ وآلِهِ الطاهرينَ وسلامُهُ .

وتُنعِمُ أيضاً بالقولِ فيمَنْ يُصرِّحُ بأنَّ صوتَ القارئِ صوتُ اللهِ سبحانَهُ على الحقيقةِ : ما حكمُهُ ؟ مُوفَّقاً إنْ شاءَ اللهُ .

نسخةُ جوابِ الشاشيِّ الثاني : الجوابُ وباللهِ التوفيقُ : أنَّ بذكرِ الحدودِ تُعرَفُ حقائقُ الأشياءِ عندَ العقلاءِ ، **وحدُّ القديمِ** : ما لا أولَ لوجودِهِ ، وكلُّ شيءٍ في المخلوقِ مخلوقٌ ، فيجبُ أنْ يُعرَضَ عليهِ ما وقعَ النزاعُ فيهِ ؛ فإنَّهُ يتَّضحُ بهِ الصوابُ إنْ أنصفَ نفسَهُ وتركَ الهوىٰ بمعزلٍ ، وهوَ شرطُ النظرِ المُؤدِّي إلى العلمِ ، والأصواتُ كلُّها مخلوقةٌ في القراءةِ وغيرِها ؛ لأنَّها تُوجَدُ عن عدمٍ وتُعدَمُ بعدَ الوجودِ ، ويعتريها التغيُّرُ في حالِ وجودِها ؛ فتكونُ مرَّةً مُستلَذَّةً تميلُ إليها النفسُ ، ومرَّةً قبيحةً وَحْشةً تنفرُ عنها الطباعُ ، والقديمُ لا يتغيَّرُ .

وأحسنُ أحوالِ مَنْ يدَّعي قِدَمَ الأصواتِ صورةً وهوَ أقبحُها حقيقةً : أنْ يكونَ مُقلِّداً لمُقلِّدٍ لا تمييزَ عندَهُ بينَ القديمِ والمُحدَثِ ، مُتَّبِعاً لصاحبِ هوىً يُظهِرُ لهُ خلافَ ما يُبطِنُ إنْ كانَ عندَهُ تحصيلٌ ، والتقليدُ في معرفةِ اللهِ تعالىٰ وصفاتِهِ حرامٌ ، وبهِ ذمَّ اللهُ الكفارَ لما اعتذروا في تركِهِمُ النظرَ فيما جاءَتْ بهِ الرسلُ مِنَ المعجزاتِ بقولِهِ : ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة : ١٧٠] .

وقولُ هٰذا القائلِ فيما يذكرُهُ شبيهٌ بقولِ السوفسطائيةِ الذينَ ينكرونَ حقائقَ الأشياءِ : إنَّ القُبْلةَ يجوزُ أنْ تكونَ لطمةً .

وقولُهُ : (**إنَّ مَنْ قالَ : « إنَّ الأصواتَ مخلوقةٌ » كافرٌ**) فلولا أنَّا لا نستحسنُ أنْ نُطلِقَ علىٰ أحدٍ مِنْ أهلِ القبلةِ اسمَ الكفرِ . . لقُلْنا لهُ : يكفيكَ مِنَ المحنةِ وقلةِ الفطنةِ كفرُكَ بالتقليدِ عن تكفيرِ غيرِكَ ، والتقليدُ في فروعِ الدينِ إنَّما هوَ حُجَّةٌ في حقِّ المُقلِّدِ خاصَّةً ، لا لتخطئةِ غيرِهِ والإنكارِ عليهِ ، فكيفَ

بذلكَ فيما لا يُشرَعُ فيهِ التقليدُ مِنْ أصولِ الدينِ؟! ومَنْ كانَ هـٰذا كلامَهُ فجوابُهُ: أنْ يُقالَ لهُ ما قالَ اللهُ تعالىٰ في جوابِهِ مثلَ ذلكَ: ﴿سَلَـٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقولُهُ: (إنَّ إيمانَنا قديمٌ) فمِنْ جنسِ قولِهِ: (إنَّ أصواتَنا قديمةٌ)، وذلكَ فسادٌ حِسٌّ؛ لأنَّ إيمانَنا مِنْ صفاتِنا المُكتسبةِ بأفعالِنا بعدَ وجودِنا وكمالِنا، وصفاتُ المخلوقِ مخلوقةٌ، كما أنَّ صفاتِ القديمِ قديمةٌ، وقبلَ خلقِ الخلقِ لم يكنْ مِنْ جهتِهِم إيمانٌ.

فإنْ زعمَ: أنَّ إيمانَنا كانَ موجوداً قبلَ خلقِنا.. فقدِ التحقَ بالمعتزلةِ في قولِهِم: إنَّ المعدومَ شيءٌ[1]، وحسبُهُ مِنَ الجهالةِ أنْ ينتقلَ مِنْ ضلالةٍ وهوَ لا يشعرُ إلىٰ ضلالةٍ.

والإيمانُ القديمُ هوَ إيمانُ اللهِ تعالىٰ؛ وهوَ تصديقُهُ نفسَهُ في أنَّهُ أحدٌ صمدٌ، لم يلدْ ولم يُولَدْ، ولم يكنْ لهُ كفواً أحدٌ، فهوَ إيمانٌ قديمٌ لم يَزَلْ صفةً لهُ في الأزلِ، وتستحيلُ مفارقتُهُ لهُ.

وأمَّا إثباتُ الصورةِ للهِ تعالىٰ: فتجسيمٌ محضٌ، **فكانَ ينبغي أنْ يقولَ:** جسمٌ لا كالأجسامِ، وهـٰذا يلعنُ المجسمةَ، فكأنَّهُ يلعنُ نفسَهُ ولا يدري، ويريدُ أنَّ صوتَ القارئِ صوتُ اللهِ عزَّ وجلَّ على الحقيقةِ، فهـٰذا ثمرةُ الجهلِ ونتيجةُ التقليدِ ومخالفةِ العقلِ، حملَهُ ذلكَ على التجرُّؤِ على اللهِ في وصفِهِ بالمستحيلِ.

والعجبُ ممَّنْ يدَّعي التمسُّكَ بظواهرِ الألفاظِ المقتضيةِ للتجسيمِ والتشبيهِ ويمتنعُ مِنْ تأوُّلِها بالحملِ علىٰ موجبِ اللغةِ صَرْفاً لها عنِ التجسيمِ!! كيفَ يكونُ لهُ لسانٌ ينطقُ بقولِهِ: (صوتُ المخلوقِ صوتُ اللهِ تعالىٰ) لو كانَ للهِ صوتٌ علىٰ ما يُخيَّلُ إليهِ؟!

(١) انظر «تحفة المريد» (ص ٣١٦)، و«شرح العقائد النسفية» (ص ١٠٧) وما بعدها.

هٰذا لمَّا استعملَ عقلَهُ وأظهرَ فضلَهُ. . قالَ هٰذا القولَ وطربَ لهُ ، وإذا سمعَ تنزيهَ البارئِ تعالىٰ عن سماتِ المحدثاتِ ، وصفاتِ النقصِ في المخلوقاتِ. . اقشعرَّ جسمُهُ واشمأزَّ قلبُهُ ؛ ولذلكَ مثالٌ في سورةِ (الزمرِ)[1] .

ثمَّ العاقلُ منَّا يعلمُ أنَّ صوتَهُ ليسَ بصوتِ غيرِهِ على الحقيقةِ ، فكيفَ صارَ صوتُ المخلوقِ صوتَ القديمِ عندَهُ حقيقةً ؟! أترىٰ أيُّما أقربُ : المخلوقُ إلى القديمِ أوِ المخلوقُ إلى المخلوقِ ؟!

فإنْ قالَ : أريدُ بهِ أنَّ صوتَهُ كصوتِهِ .

قيلَ : فليسَ هٰذا صوتَهُ على الحقيقةِ ، فرجعتَ فيما قلتَ ، ثمَّ وقعتَ في التشبيهِ ؛ فإنَّهُ إذا أشبهَ المخلوقُ القديمَ أشبهَ القديمُ المخلوقَ أيضاً ، وهوَ يلعنُ المُشبِّهةَ .

وأمَّا حروفُ المعجمِ : فمخلوقةٌ ؛ لأنَّ لها أوَّلاً وآخراً ، وما لهُ أولٌ وآخرٌ فمخلوقٌ ، وهيَ محدودةٌ معدودةٌ ، والخالقُ سبحانَهُ وتعالىٰ لا أولَ لهُ ولا آخرَ ، وصفاتُهُ كذاتِهِ لا حدَّ لهُ ، ومَنِ اعتقدَ في خالقِهِ أنَّهُ موصوفٌ بصفاتِ النقصِ في المخلوقِ. . فما عرفَهُ .

نسألُ اللهَ البصيرةَ في الدينِ ، والسلامةَ مِنْ غلبةِ الهوىٰ ، فما بقيَ أعزُّ على الإنسانِ وأضرُّ بالدينِ مِنِ استيلاءِ الهوىٰ ، سيَّما معَ الجهالةِ وانضمامِ التقليدِ إليهِ ، والحمدُ للهِ وحدَهُ ، وصلواتُهُ علىٰ سيدِنا محمدٍ وآلِهِ .

وكتبَ : محمدُ بنُ أحمدَ الشاشيُّ

(١) قال تعالىٰ : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر : ٤٥] .

[فتوى الإمامِ أبي عليٍّ الحسنِ بنِ عطاءٍ]

نسخةُ استفتاءٍ آخرَ استُفتيَ فيهِ أبو عليٍّ الحسنُ بنُ عطاءٍ :

بسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ

ما يقولُ سيدُنا الشيخُ الإمامُ الأوحدُ الفقيهُ ـ أطالَ اللهُ بقاءَهُ ، وأدامَ توفيقَهُ ، وأجزلَ مِنَ الخيراتِ حظَّه ومزيدَهُ ـ في أصواتِ الآدميينَ في القراءةِ وغيرِها مِنَ الكلامِ كلامِ المخلوقينَ : هل هيَ مخلوقةٌ أم قديمةٌ ؟ وفي حروفِ المعجمِ التي هيَ تسعةٌ وعشرونَ حرفاً : هل هيَ مخلوقةٌ أم قديمةٌ ؟ وفي إيمانِ العبادِ باللهِ تعالىٰ ورسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : هل هوَ قديمٌ أم مخلوقٌ ؟

وإذا أوضحَ ذلكَ مُتفضِّلاً أنعمَ بالقولِ فيمَنْ يعتقدُ أنَّ أصواتَ الآدميينَ في القراءةِ وغيرِها مِنْ كلامِ المخلوقينَ قديمةٌ ، ويعتقدُ أنَّ مَنْ خالفَ ذلكَ كافرٌ باللهِ تعالىٰ ، معَ اعتقادِهِ أنَّ البارئَ تعالىٰ صورةٌ لا كالصُّورِ ، ما حكمُهُ ؟

ويُنعِمُ أيضاً بالقولِ فيمَنْ يُصرِّحُ بأنَّ صوتَ القارئِ صوتُ اللهِ سبحانَهُ على الحقيقةِ ، ما حكمُهُ ؟ وقد نَسَبَ ذلكَ فيما قيلَ في الحروفِ والإيمانِ إلى الإمامِ أبي حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ ، هل لذلكَ حقيقةٌ أم لا ؟ يُنعِمُ بالجوابِ مُثاباً إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ .

نسخةُ جوابِ الشيخِ : مذهبُ أهلِ السنَّةِ مِنْ أئمَّةِ الدينِ : أنَّ اللهَ تباركَ وتعالىٰ موجودٌ حيٌّ عالمٌ قادرٌ [مريدٌ] سميعٌ بصيرٌ مُتكلِّمٌ باقٍ قديمٌ واجبُ الوجودِ ، كانَ ولا شيءَ معَهُ ، وهوَ بصفاتِهِ واحدٌ ، خلقَ الخلقَ ولم يتغيَّرْ عن صفتِهِ القديمةِ ؛ إذْ لا يجوزُ عليهِ التغيُّرُ ؛ لكونِهِ قديماً .

واللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ خالقُ الجواهرِ والأعراضِ ، وليسَ هوَ مِنْ جنسِ الخلقِ ، وهوَ مُصوِّرٌ غيرُ مُصوَّرٍ ، مُقدِّرٌ غيرُ مُقدَّرٍ ، خالقُ الصورِ والهيئاتِ ،

لا يُوصَفُ بالصورةِ والهيئةِ ؛ لأنَّ الصورةَ مُقدَّرٌ داخلٌ في حكمِ الجائزاتِ ؛ جازَ أنْ يكونَ أكبرَ مِنْ ذلكَ ، وجازَ أنْ يكونَ أصغرَ مِنْ ذلكَ ، فإذا اختصَّ بقدرٍ معلومٍ وصورةٍ محدودةٍ . . يفتقرُ إلىٰ مُخصِّصٍ مُقدِّرٍ ، وهوَ إلحادٌ في صفةِ القديمِ .

وليسَ ذاتُهُ بجسمٍ ، ولا صفاتُهُ بجوارحَ ، وذاتُهُ واحدٌ لا ينقسمُ ، وصفاتُهُ متحدةٌ غيرُ مُتعدِّدةٍ .

وكلامُهُ سبحانَـهُ وتعالىٰ صفتُهُ قائمةٌ بذاتِهِ ، مُتكلِّمٌ ، وأصواتُ القرَّاءِ صفاتُهُم ونغماتُهُم تحدثُ فيهِم وتفنىٰ عنهُم ؛ فإنْ قرؤوا على الطهارةِ كانَتْ تلكَ القراءةُ والأصواتُ طاعةً منهُم يستحقُّونَ الثوابَ ، وإذا قرؤوا على الجنابةِ كانَتِ القراءةُ والأصواتُ منهُم معصيةً يستحقُّونَ علىٰ ذلكَ العقابَ ، وصفةُ اللهِ سبحانَـهُ ليسَتْ بطاعةٍ ولا معصيةٍ ؛ لأنَّ الطاعةَ امتثالُ أمرِ الآمرِ ، والمعصيةَ ارتكابُ نهيِ الناهي ، وليسَ للهِ سبحانَـهُ آمرٌ وناهٍ[1] ؛ لأنَّهُ هوَ الآمرُ والناهي ، فلا يُتصوَّرُ في وصفِهِ طاعةٌ ولا معصيةٌ ، وقراءةُ القراءِ بأصواتِهِم طاعةٌ في وقتٍ ، معصيةٌ في وقتٍ ، دلَّ علىٰ أنَّها صفتُهُم لا صفةُ الحقِّ سبحانَـهُ وتعالىٰ ، وأنَّ الصفةَ لا تُفارِقُ الموصوفَ ، والنبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ : « زَيِّنُوا ٱلْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ »[2] ، أضافَ الأصواتَ إلى القُرَّاءِ ، وهٰذهِ مشاهدةٌ ، ومَنْ قالَ غيرَ هٰذا فقد جحدَ الضرورةَ وأنكرَ المشاهدةَ .

وليسَ للهِ تباركَ وتعالىٰ صوتٌ ؛ لأنَّ الصوتَ لا يخرجُ إلا مِنْ جسمينِ ،

(١) لعل القياس أن يقول : (ولا ناهٍ) بتكرار النفي .

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٦٨) ، والنسائي (٢/١٧٩) ، والدارمي (٣٥٤٣) ، وابن حبان (٧٤٩) عن سيدنا البراء بن عازب رضي الله عنهما .

وليسَ للهِ تعالىٰ جسمٌ ، وكلُّ ما يُضافُ إلى اللهِ تعالىٰ مِنَ الأجسامِ والحواسِّ فهوَ إضافةُ ملكٍ لا إضافةُ صفةٍ .

والحروفُ شكولٌ ورقومٌ وعلاماتٌ تخرجُ مِنْ مخارجَ لها معلومةٍ ، والمشاهدةُ تُغني عنِ الكشفِ والبيانِ ؛ فإنَّ الحروفَ مسبوقٌ بعضُها ببعضٍ ، والمسبوقُ لا يتقرَّرُ في العقولِ أنَّهُ قديمٌ ؛ فإنَّ القديمَ لا ابتداءَ لوجودِهِ ، وما مِنْ حرفٍ وصوتٍ إلا ولهُ ابتداءٌ ، وصفاتُ البارئِ جلَّ جلالُهُ قديمةٌ لا ابتداءَ [لوجودِها][1] ، ومَنْ تكلَّمَ بالحروفِ يترتَّبْ كلامُهُ ، ومَنْ ترتَّبَ كلامُهُ يشغلُهُ كلامٌ عن كلامٍ ، واللهُ تباركَ وتعالىٰ لا يشغلُهُ كلامٌ عن كلامٍ ، وهوَ سبحانَهُ يُحاسِبُ الخلقَ يومَ القيامةِ في ساعةٍ واحدةٍ بدَفعةٍ واحدةٍ ، يُسمِعُ كلَّ واحدٍ مِنْ كلامِهِ خطابَهُ إيَّاهُ ، ولو كانَ كلامُهُ بحرفٍ ما لم يتفرَّغْ عن (يا إبراهيمُ) ، ولا يقدرُ أنْ يقولَ : (يا محمدُ) ، فيكونُ الخلقُ محبوسينَ ينتظرونَ فراغَهُ مِنْ واحدٍ ، وهٰذا محالٌ جدّاً .

عرفْنا أنَّ كلامَهُ سبحانَهُ ليسَ بحرفٍ ؛ فإنَّ الحروفَ مخلوقةٌ مسبوقٌ بعضُها ببعضٍ .

وأمَّا الإيمانُ باللهِ تعالىٰ : صفةُ المؤمنِ لا صفةُ اللهِ تعالىٰ ، والمؤمنُ إذا كانَ مخلوقاً كيفَ يُتصوَّرُ أنْ تكونَ صفتُهُ قديمةً ؟! فالتصديقُ بالقلبِ مُحدَثٌ لم يكنْ فكانَ ، والقولُ باللسانِ مُحدَثٌ لم يكنْ فكانَ ، والعملُ بالأركانِ لم يكنْ فكانَ ، فهوَ مُحدَثٌ مخلوقٌ ، واللهُ تعالىٰ قديمٌ ، وصفاتُهُ قديمةٌ ، وصفاتُ الخلقِ مخلوقةٌ لا شكَّ فيها ولا ريبَ .

وهٰذا قولُ الأئمَّةِ مِنْ أهلِ السنَّةِ والجماعةِ مِنْ علماءِ السلفِ وعلماءِ المذاهبِ ؛ كالشافعيِّ ومالكٍ وأحمدَ مِنْ أصحابِ الحديثِ ، وأبي حنيفةَ

(١) في (أ ، ب) : (لوجوده) .

ومحمدِ بنِ الحسنِ وأبي يوسفَ وغيرِهم مِنْ أصحابِ الرأيِ ؛ اتَّفقوا علىٰ هٰذا ، ومَنْ عزا إلىٰ أبي حنيفةَ غيرَ ما في هٰذا الذكرِ . . فقدِ افترىٰ علىٰ أبي حنيفةَ ، ومَنِ اعتقدَ غيرَ هٰذا الذي ذُكِرَ وشُرِحَ . . فهوَ مُبتدِعٌ ضالٌّ يُستتابُ ، فإنْ تابَ وإلا [. . .][1] .

نصرَ اللهُ تعالىٰ الدينَ والسنَّةَ وأهلَها .

كتبَهُ : الحسنُ بنُ عطاءٍ بخطِّهِ في الثامنِ والعشرينَ مِنْ ذي الحِجَّةِ سنةَ إحدىٰ وثمانينَ وأربعِ مئةٍ

[فتوىٰ مُفصَّلةٌ للإمامِ أبي الطاهرِ إسماعيلَ بنِ عبدِ الملكِ الحاكميِّ]

وهٰذهِ نسخةُ استفتاءٍ استُفتيَ فيها الإمامُ ركنُ الإسلامِ أبو الطاهرِ إسماعيلُ بنُ عبدِ الملكِ الحاكميُّ[2] ؛ وهيَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ما يقولُ سيدُنا الشيخُ الإمامُ الأجلُّ الفقيهُ الأوحدُ ، ركنُ الإسلامِ ناصرُ السنَّةِ ـ أدامَ اللهُ علوَّهُ ، وحرسَ في دائمِ العزِّ سموَّهُ ـ في أصواتِ الآدميينَ في القراءةِ وغيرِها مِنَ الكلامِ كلامِ المخلوقينَ : هل هيَ مخلوقةٌ أم قديمةٌ ؟ وفي إيمانِ العبادِ باللهِ وبرسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : هل هوَ قديمٌ أم مخلوقٌ ؟

يُفتينا في ذلكَ تطوُّلاً .

ونسألُهُ ـ لا زالَ قدوةً لأهلِ الحقِّ ـ أنْ يُوضِّحَ لنا القولَ فيمَنْ يعتقدُ أنَّ

(١) بياض في (أ ، ب) بمقدار كلمتين ، وفي هامشهما : (كان الحكم مذكوراً في الأصل فكُشط ، ولم أعلم ما هو حتىٰ أكتبه ، فليكشف من نسخة أخرىٰ وليلحق) ، ولعل المحذوف : (ضربت عنقه) أو نحوه ، والله تعالىٰ أعلم .

(٢) وأبو الطاهر الحاكمي سبقت ترجمته في (١/ ٤٦٥ـ٤٦٦) .

أصواتَ الآدميينَ في القراءةِ وغيرِها مِنْ كلامِ المخلوقينَ قديمةٌ ، ويعتقدُ أنَّ مَنْ خالفَ ذلكَ كافرٌ باللهِ تعالىٰ ، معَ اعتقادِهِ أنَّ البارئَ تعالىٰ صورةٌ لا كالصُّورِ ، ما حكمُهُ ؟ يتفضَّلُ بذلكَ .

والقولَ فيمَنْ يُصرِّحُ بأنَّ صوتَ القارئِ صوتُ اللهِ سبحانَهُ على الحقيقةِ ، ما حكمُهُ ؟

وقد نَسَبَ ممَّا قيلَ في الحروفِ والإيمانِ إلىٰ أبي حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ ، فهل لذلكَ حقيقةٌ أم لا ؟

يُنعِمُ في ذلكَ مُتفضِّلاً ، ويغتنمُ الأجرَ مِنَ اللهِ والثوابَ ؛ إنَّهُ جوادٌ وهَّابٌ .

نسخةُ الجوابِ لهٰذهِ الفتيا وهوَ طويلٌ لم يمكنِ اختصارُهُ ؛ لارتباطِ بعضِهِ ببعضٍ ، **وها هوَ الجوابُ وباللهِ التوفيقُ** : المستفتي جمعَ في استفتائِهِ بينَ مسائلَ عدَّةٍ ، لو كانَ الجوابُ علىٰ حدِّ السؤالِ أورثَ ذلكَ انغلاقاً في الجوابِ ، فالأَوْلىٰ تفصيلُ ما وقعَ عنهُ السؤالُ في ترتيبِ الجوابِ عليهِ ، **ومجموعُ ما وقعَ الاستفتاءُ عنهُ تسعُ مسائلَ** :

[هل أصواتُ الآدميينَ حادثةٌ أو قديمةٌ ؟]

المسألةُ الأولىٰ : في أصواتِ الآدميينَ ، وأنَّها هل هيَ حادثةٌ أم لا .

وجوابُها : أنَّ الأصواتَ حادثةٌ كائنةٌ بعدَ أنْ لم تكنْ مستفتحَ الوجودِ مبتدأَ الثبوتِ ، لا اختصاصَ لأصواتِ الآدميينَ بالحدوثِ ؛ إذِ الحدوثُ حكمٌ يعمُّ جميعَ المخلوقاتِ وأصواتَ جميعِ الصائتينَ مِنَ الملائكةِ والإنسِ والجنِّ ، وكيفَ يُشَكُّ في حدوثِ هٰذهِ الأصواتِ وأوَّلُها مُتقدِّمٌ علىٰ ما بعدَها ، وما بعدَها مُتأخِّرٌ عن أوَّلِها ، والتقدُّمُ والتأخُّرُ مِنْ أعلامِ الحدوثِ ، ومعلومٌ أنَّ القديمَ لا يقبلُ الزيادةَ والنقصانَ ، والأصواتُ تارةً تكونُ منخفضةً ، ومرَّةً

تكونُ مرتفعةً ؛ إذْ أصواتُ الحيوانِ ما هيَ على حدٍّ واحدٍ ؛ يُستطابُ البعضُ منها ويُكرَهُ منها البعضُ ، والقديمُ ما يجبُ وجودُهُ على وجهٍ لا يُفرَضُ زوالُهُ وتغيُّرُهُ ، والأصواتُ لا يجبُ وجودُها ؛ إذْ ربَّما يُوجَدُ الصوتُ وربَّما لا يُوجَدُ ، يجوزُ وجودُهُ ويجوزُ عدمُهُ ، وما جازَ عدمُهُ وجازَ وجودُهُ استحالَ وصفُهُ بالقدمِ ؛ فإنَّ ما ثبتَ قدمُهُ استحالَ عدمُهُ .

هٰذا ؛ وأصواتُ جميعِ الحيواناتِ صفاتٌ تطرأُ عليهِم ، وعوارضُ تعتورُهُم نحوَ الحركاتِ والسكناتِ ، والفرحِ والسرورِ ، والغمِّ والجهلِ ، والصحةِ والمرضِ ، والإنسانُ تارةً يتحرَّكُ وتارةً يسكنُ ، ومرةً يعلمُ وأخرىٰ يجهلُ ، يكونُ في بعضِ أحوالِهِ فرحاناً ، وفي بعضِ أوقاتِهِ غضباناً ، يحيا مرةً ويموتُ أخرىٰ ، وكما لا يجوزُ أنْ تكونَ هٰذهِ الصفاتُ قديمةً مثلَ الحركةِ والسكونِ والصحةِ والمرضِ . . لم يجزْ أنْ تكونَ الأصواتُ قديمةً ؛ فإنَّ اعتوارَ الأصواتِ كتعاورِ هٰذهِ الصفاتِ ، ولا أحدَ يذهبُ إلىٰ قِدَمِ هٰذهِ الأحوالِ ، وكما لا يُعتقَدُ قِدَمُها لا يُعتقَدُ قدمُ الأصواتِ ؛ فإنَّها بمثابتِها .

علىٰ أنَّ مِنَ الأصواتِ صوتَ الرعدِ ، وصوتَ الطبولِ والبوقاتِ ، وتصفيقَ الأيدي ، ولا عاقلَ يخطرُ ببالِهِ قدمُ [صوتِ] الرعدِ وصوتِ الطبلِ ، ولا فرقَ بينَ ضربِ الطبلِ ونهيقِ الحمارِ وصهيلِ الفرسِ وتغاريدِ الطيورِ ، [ولو] جازَ الذهابُ إلى اعتقادِ قدمِ صوتِ هٰذهِ الحيواناتِ . . لجازَ الذهابُ إلى اعتقادِ قدمِ صوتِ هٰذهِ الجماداتِ معَ اشتراكِ الكلِّ في الصوتِ ، علىٰ أنَّ الإنسانَ قد يُوجَدُ الصوتُ منهُ فيُوجَدُ ما يخالفُهُ إذا كانَ تاركاً لهُ ، ولو كانَ صوتُهُ قديماً لكانَ ما يُترَكُ بهِ الصوتُ إذا لم يكنْ صائتاً قديماً ، وذلكَ يُوجِبُ أنْ يكونَ صائتاً غيرَ صائتٍ ، فاعلاً للصوتِ غيرَ فاعلٍ لهُ في حالةٍ واحدةٍ ، وفسادُ ذلكَ ممَّا لا خفاءَ بهِ علىٰ مَنْ لهُ مُسكةٌ مِنَ العقلِ والتمييزِ .

ثمَّ ليتَ شعري !! ما يقولُ الذاهبُ إلىٰ قدمِ الصوتِ في الصائتِ ؟! يقولُ : إنَّ الصائتَ قديمٌ كما أنَّ الصوتَ قديمٌ ، أو يُثبِتُ قدمَ الصوتِ دونَ الصائتِ ويصفُ الصائتَ بالحدوثِ ؟

فإنْ ذهبَ إلىٰ قدمِ الصائتِ يلزمُهُ أنْ يقولَ : إنَّ الطيورَ والحيواناتِ والبهائمَ كلَّها قديمةٌ ، وإنَّ كلَّها موجودةٌ أزليةٌ لا أولَ لها ولا صانعَ لها ، معَ أنَّ الآباءَ تقدَّمَتْ على الأولادِ ، وهـٰذا جهلٌ لا ينتهي إليهِ عاقلٌ ، ولا غبيٌّ جاهلٌ .

فإنْ ذهبَ إلىٰ أنَّ الصائتَ وهوَ محلُّ الصوتِ حادثٌ كائنٌ عن عدمٍ . . قيلَ لهُ : الصوتُ وُجِدَ منهُ ، وإذا كانَ هوَ حادثاً وصوتُهُ بعدَهُ . . كانَ الصوتُ الموجودُ منهُ أدخلَ في الحدوثِ ؛ إذْ تأخُّرُهُ فوقَ تأخُّرِهِ ، والحادثُ هوَ الذي تأخَّرَ عنِ القديمِ الأزليِّ في الوجودِ .

علىٰ أنَّ مِنْ أصواتِ الآدميينَ ما هوَ غِناءُ المُغنِّينَ وترديدُ نغماتِهم وتكريرُ ألحانِهم علىٰ ترتيبٍ معلومٍ إذا وقعَ ذلكَ مُستطاباً ، وإذا وقعَ علىٰ خلافِهِ كانَ مكروهاً تأباهُ الطِّباعُ وتردُّهُ الأسماعُ ، ومِنْ أصواتِ الآدميينَ النِّياحةُ والبكاءُ عندَ ضيقِ الصدرِ ، ومِنْ أصواتِهم أنينُ المرضىٰ ، ومَنِ اعتقدَ قدمَ الغناءِ وإنشادِ الأبياتِ ونياحةِ النائحاتِ . . كانَ عنِ المعقولِ خارجاً ، وفي تِيهِ الجهلِ والجاً .

ويُقالُ للذاهبِ إلىٰ قدمِ الأصواتِ : [الأصواتُ] التي اعتقدتَ قدمَها مِنْ فعلِ اللهِ تعالىٰ ، أو مِنْ فعلِ الصائتِ ؛ آدميّاً كانَ أو غيرَهُ مِنَ الحيواناتِ ، أو فعلِ فاعلٍ لهُ ، أو هوَ موجودٌ قديمٌ مِنَ الأزلِ إلى الأبدِ ما لهُ ابتداءٌ ولا لوجودِهِ انتهاءٌ ؟

فإنْ ذهبَ إلىٰ أنَّ هـٰذهِ الأصواتَ التي نسمعُها مرةً ولا نسمعُها أخرىٰ لم

تَزَلْ موجودةً ولا تزالُ كذلكَ . . **قطعَ الطمعَ عن رشدِهِ** .

وإنْ ذهبَ إلىٰ أنَّها فعلُ اللهِ تعالىٰ أو فعلُ الآدميينَ . . **قيلَ لهُ** : الفاعلُ مِنْ ضرورتِهِ أنْ يتقدَّمَ في وجودِهِ علىٰ وجودِ فعلِهِ ، وإذا تقدَّمَ غيرُهُ عليهِ خرجَ مِنْ أنْ يكونَ قديماً ؛ إذِ القديمُ هوَ الذي يكونُ في بقاءٍ لا يسبقُهُ شيءٌ .

علىٰ أنَّهُ يُقالُ للذاهبِ إلىٰ قدمِ الصوتِ : ما الذي تريدُ بقدمِ الصوتِ ؟ تريدُ بهِ وجودَ الصوتِ لا غيرُ ؟ **إنْ كانَ أرادَ بهِ** محضَ الوجودِ كانَ معنىٰ كونِهِ قديماً هوَ أنَّهُ موجودٌ ، ولا أحدَ يذهبُ إلىٰ أنَّ الصوتَ ليسَ بموجودٍ .

وإنْ أرادَ بهِ أنَّهُ لا أوَّلَ لوجودِهِ **قيلَ لهُ** : صوتُكَ هٰذا كانَ معَ اللهِ في الأزلِ موجوداً لم يتأخَّرْ عنهُ ؟

فإنْ قالَ : بلىٰ . . **تُرِكَ علىٰ جهلِهِ** ؛ ليعتبرَ العقلاءُ بهِ كيفَ مسخَهُ اللهُ تعالىٰ في عقلِهِ .

وإنْ قالَ : لم يكنْ صوتُهُ معَ اللهِ تعالىٰ موجوداً ثمَّ وُجِدَ . . **قيلَ لهُ** : الذي لم يكنْ موجوداً ثمَّ وُجِدَ لا يكونُ إلا حادثاً ؛ فإنَّهُ لا معنىٰ للحدوثِ إلا أنْ يكونَ تقدَّمَهُ العدمُ .

ويُعَدُّ مِنَ الأصواتِ : صريرُ البابِ وخريرُ المياهِ ، والماءُ حادثٌ ؛ إذْ أنزلَهُ اللهُ مِنَ السماءِ وقد شاهدْناهُ نزلَ مِنَ السماءِ ثمَّ جرىٰ ، وهوَ في جريانِهِ يخرُّ ، والبابُ كمثلِ [ذا] إذا اتُّخِذَ مِنْ خشبةٍ مقطوعةٍ مِنْ شجرةٍ غرسْناها فنبتَتْ .

وإذا استحالَ بما ذكرْناهُ قدمُ خريرِ الماءِ وصريرِ البابِ . . استحالَ قدمُ الأصواتِ ؛ فإنَّ الحيواناتِ يُوجَدُ صوتُهُم مرةً ولا يُوجَدُ أخرىٰ ، وخريرُ الماءِ يلازمُهُ كيفَ سالَ وجرىٰ .

وبعدُ : **يُقالُ للذاهبِ إلىٰ قدمِ الأصواتِ** : ما تقولُ في نفخةِ الصورِ

والصيحةِ التي تكونُ عندَها : أهيَ قديمةٌ أو حادثةٌ ؟

فإنْ قالَ : إنَّها قديمةٌ . . بانَ جهلُهُ ؛ لأنَّ النفخةَ في الصورِ لم تتَّفقْ بعدُ ، لٰكنَّهُ معدومٌ مُحقَّقٌ .

وإنْ قالَ : إنَّها حادثةٌ . . قيلَ : كانَتْ تلكَ الصيحةُ حادثةً [وصياحُ] الناسِ وزعقاتُهُم قديمةً ؟![1] .

فإنْ قالَ : تلكَ الصيحةُ لم تُوجَدْ بعدُ ، فلا يمكنُ وصفُها بالقدمِ والحدوثِ ، ولٰكنْ إذا وُجِدَتْ تُوجَدُ قديمةً . . قيلَ : هٰذا هوَ النهايةُ في الجهلِ ؛ كيفَ يُوجَدُ الشيءُ قديماً والقديمُ ما لا أولَ لهُ والحادثُ ما لهُ أولٌ ؟! والشيءُ الواحدُ كيفَ يُعقَلُ علىٰ وصفٍ لهُ أولٌ في حالٍ ولا أولَ لهُ ؟! وهٰذا عينُ السفسطةِ التي لا يقولُها عاقلٌ .

وحرامٌ علىٰ مَنْ يظنُّ بنا أنَّا نقصدُ بإيرادِ هٰذهِ الكلماتِ إقامةَ الدليلِ علىٰ حدوثِ الأصواتِ ؛ إذِ العلمُ بحدوثِها يقعُ ضرورةً ، لٰكنَّا أوردْناها تنبيهاً للجهَّالِ .

[هل صوتُ الآدميِّ في القراءةِ حادثٌ أو لا ؟]

المسألةُ الثانيةُ هيَ : أنَّ صوتَ الآدميِّ هل هوَ حادثٌ في القراءةِ أم لا ؟

وجوابُها وباللهِ التوفيقُ : أنَّ صوتَ الآدميِّ حادثٌ علىٰ كلِّ حالٍ ؛ إذْ صوتُهُ صفتُهُ ، والآدميُّ موصوفٌ بهِ ، وإذا كانَ الموصوفُ حادثاً كانَتِ الصفةُ حادثةً .

وكيفَ لا يكونُ صوتُهُ حادثاً وقد وُجِدَ بعدَ أنْ لم يكنْ ، وسُمِعَ ذلكَ بعدَ أنْ لم يُسمَعْ ؟! ولو جازَ أنْ يكونَ صوتُهُ قديماً وهوَ فعلُهُ . . جازَ أنْ تكونَ جميعُ أفعالِهِ قديمةً ؛ نحوَ قيامِهِ وقعودِهِ ، وحركتِهِ وسكونِهِ ، وذهابِهِ ورجوعِهِ

(١) في (أ ، ب) : (أو صياح) بدل (وصياح) .

وإيابِهِ ، وإذا استحالَ ذلكَ أنْ يكونَ قديماً استحالَ أنْ يكونَ صوتُهُ قديماً .

وأمَّا قراءتُهُ التي هيَ فعلُهُ : فحادثٌ ، وهيَ التي يُؤمَرُ بها مرةً ويُنهىٰ عنها أخرىٰ ، يُثابُ عليها ويُعاقَبُ علىٰ تركِها ، والقراءةُ عبادةٌ في بعضِ الأوقاتِ إذا كانَ القارئُ طاهراً ، ومعصيةٌ إذا كانَ جنباً ، والذي يُؤمَرُ بهِ ويُنهىٰ عنهُ حادثٌ ؛ إذِ المقصودُ بالأمرِ التحصيلُ ، والمقصودُ بالنهيِ الترْكُ ، والقديمُ لا يُوجَدُ ولا يُحصَّلُ ، ولا يمكنُ تركُهُ .

أمَّا القرآنُ الذي هوَ كلامُ اللهِ القديمُ : فلا يتَّصفُ بالحدوثِ ؛ إذْ هوَ صفةٌ مِنْ صفاتِ اللهِ تعالىٰ ؛ نحوَ علمِهِ وقدرتِهِ وإرادتِهِ وسمعِهِ وبصرِهِ وهٰذهِ الصفاتِ الأزليةِ ؛ إذ هيَ صفاتُ اللهِ ، وذاتُ اللهِ قديمةٌ ، وصفاتُهُ كذاتِهِ في القدمِ والأزليةِ .

وكيفَ يجوزُ أنْ تكونَ القراءةُ قديمةً ، والقراءةُ قد تكونُ جيدةً قويمةً ، وقد تكونُ ملحونةً سقيمةً ؟! ولا لحنَ في كلامِ اللهِ ولا خطأَ ، إنَّما اللحنُ والخطأُ في قراءةِ القراءِ ، **تعالىٰ كلامُ اللهِ عن أنْ يُوصَفَ باللحنِ والاعوجاجِ والانحرافِ** .

ولا يجوزُ أنْ يُعتقَدَ أنَّ كلامَ اللهِ قراءةُ الآدميِّ ، وقراءةُ الآدميِّ قد تقعُ بسرعةٍ وينقطعُ صوتُهُ ، وكلامُ اللهِ الأزليُّ باقٍ قبلَ وجودِ القراءِ ، وبعدَ تركِهِمُ القراءةَ وطريانِ الموتِ عليهِم ، **تعالى اللهُ وتعالىٰ كلامُ اللهِ عن قولِ الظالمينَ علوّاً كبيراً** .

ولقد تُوصَفُ القراءةُ بأوصافٍ لا يجوزُ وصفُ كلامِ اللهِ تعالىٰ بها ؛ فيُقالُ : قراءةُ فلانٍ قراءةٌ طيبةٌ ، وقراءةُ فلانٍ قراءةٌ كريهةٌ مستبشعةٌ ، والاستطابةُ والاستبشاعُ إنَّما يقعُ في قولِ الآدميينَ لا في كلامِ اللهِ تعالىٰ .

علىٰ أنَّ الناسَ لو تركوا قراءةَ القرآنِ إمَّا بموتٍ أو نسيانٍ أو غفلةٍ عامَّةٍ . . **لم**

يخلُ : إمَّا أنْ كانَ للهِ كلامٌ أو لم يكنْ لهُ كلامٌ .

فإنْ لم يكنْ لهُ كلامٌ كانَ محالاً ؛ إذِ الربُّ لم يَزَلْ مُتكلِّماً ولا يزالُ كذلكَ ، وُجِدَ الخلقُ أو لم يُوجَدوا .

وإنْ كانَ للهِ كلامٌ عُلِمَ أنَّ كلامَ اللهِ غيرُ قراءةِ القارئِ ؛ إذِ القراءةُ تفنىٰ وتُعدَمُ ، وكلامُ اللهِ يستحيلُ عدمُهُ ، ويمتنعُ فناؤُهُ .

علىٰ أنَّ القارئَ كما يقرأُ القرآنَ يذكرُ الذاكرُ الربَّ سبحانَهُ وتعالىٰ ، والربُّ تعالىٰ وعزَّ ذكرُهُ غيرُ ذكرِهِ ، بلِ الذكرُ صفةُ الذاكرِ ، فكذا القراءةُ صفةُ القارئِ ، والقرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ ، لا أوَّلَ لوجودِهِ ؛ إذ هوَ موجودٌ أزلاً وأبداً ، وقراءةُ القارئِ حدثَتْ بعدَ أنْ لم تكنْ ، كما حدثَ القارئُ بعدَ أنْ لم يكنْ ، وقد رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « فَضْلُ كَلامِ ٱللهِ عَلَىٰ كَلامِ خَلْقِهِ كَفَضْلِ ذَاتِ ٱللهِ عَلَىٰ ذَاتِ خَلْقِهِ »[1] ، ثمَّ ذاتُ القديمِ قديمةٌ ، وذاتُ غيرِهِ حادثةٌ ، وكذا كلامُهُ يكونُ قديماً ، وكلامُ غيرِهِ يكونُ مخلوقاً .

[هلِ الكلامُ مخلوقٌ أم لا ؟]

المسألةُ الثالثةُ : هيَ أنَّ الكلامَ هل هوَ مخلوقٌ أم لا ؟

وجوابُها واللهُ المُوفِّقُ للصوابِ : أنَّ الكلامَ قديمٌ وحادثٌ ، فالكلامُ القديمُ كلامُ اللهِ تعالىٰ ، والكلامُ الحادثُ كلامُ الخلقِ ، فكلامُ اللهِ قديمٌ غيرُ مخلوقٍ ، وكلامُ الخلقِ مُحدَثٌ مسبوقٌ ؛ إذْ كلامُ الخلقِ صفتُهُم ، وإذا كانَ الخلقُ حادثاً كانَتْ أوصافُهُ حادثةً .

هٰذا ؛ والعبدُ تارةً يتكلَّمُ بلسانِهِ وأخرىٰ يتكلَّمُ بقلبِهِ ، وعلى الكلامِ القلبيِّ

(١) أخرجه الترمذي (٢٩٢٦) ، والدارمي (٣٣٩٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

دلَّ قولُهُ : ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الملك : ١٣] ، وقولُهُ : ﴿وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ [المجادلة : ٨] ، وهٰذا النوعُ مِنَ الكلامِ لم يُنكِرْهُ أربابُ اللسانِ وهمُ العربُ ، وعليهِ دلَّ قولُ الأخطلِ[1] : [من الكامل]

إِنَّ ٱلْكَلَامَ لَفِي ٱلْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ ٱللِّسَانُ عَلَى ٱلْفُؤَادِ دَلِيلا

وكلامُ العبدِ النفسيُّ واللسانيُّ حادثٌ ؛ إذْ كلامُهُ النفسيُّ : قولُهُ السِّرِّيُّ [ومحلُّهُ] قلبُهُ ، وقلبُ الآدميِّ بعضٌ مِنْ أبعاضِهِ ، وإذا كانَ الآدميُّ مُحدَثَ الجملةِ كانَ حادثَ التفصيلِ ، ومتىٰ كانَ قلبُ الآدميِّ حادثاً كانَ فعلُهُ في قلبِهِ حادثاً ، كما يكونُ فعلُهُ في جوارحِهِ الظاهرةِ حادثاً .

وأمَّا كلامُهُ باللسانِ : فحادثٌ ؛ إذْ هوَ حروفٌ وأصواتٌ وترديداتٌ ونغماتٌ ، والحروفُ حادثةٌ ؛ إذْ يتقدَّمُ البعضُ منها على البعضِ ، ويتأخَّرُ البعضُ عنِ البعضِ ، ولو لم تكنِ الحروفُ حادثةً لكانَتِ اللغاتُ كلُّها قديمةً ؛ لغةُ العربِ ، ولغةُ التركِ ، ولغةُ العجمِ . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنَ اللغاتِ ؛ فإنَّ جميعَها مُتركِّبٌ مِنَ الحروفِ والأصواتِ ، وإذا كانَتِ اللغاتُ كلُّها [قديمةً] وكانَ كلامُ الخلقِ مُتركِّباً منها قديماً . كانَ كلامُ الخلقِ مِثْلاً لكلامِ اللهِ تعالىٰ في القِدَمِ ، وكلامُ اللهِ تعالىٰ هوَ القديمُ ، ويدُلُّ كلامُ الخلقِ علىٰ ما دلَّ عليهِ الحديثُ الذي رويناهُ[2] .

وكيفَ يُعتقَدُ قدمُ الحروفِ التي هيَ أصواتٌ ، والأصواتُ علىٰ ضربينِ : أصواتٍ مُغفلةٍ ، وأصواتٍ مُقطَّعةٍ ؟!

الأصواتُ المُغفلةُ : حادثةٌ ؛ نحوُ أصواتِ البهائمِ وسائرِ الحيواناتِ على اختلافِ أصنافِها وتباينِ أوصافِها .

(١) سبق تخريجه (٢/ ٣٥٤) .

(٢) انظر (٢/ ٤٤٩) .

والأصواتُ المقطَّعةُ : مثلُ الأصواتِ المغفلةِ إلا أنَّها مقطَّعةٌ تقطيعاً مخصوصاً ، وتقطُّعُها كذلكَ لا يُوجِبُ قدمَها ، وبعضُ هٰذهِ الحروفِ وُجِدَتْ بعدَ أنْ لم تُوجَدْ ؛ فإنَّها سُمِعَتْ مِنَ الآدميِّ بعدَ أنْ لم تكنْ مسموعةً ، والموجودُ بعدَ العدمِ لا بدَّ وأنْ يكونَ حادثاً .

علىٰ أنَّ هٰذهِ الحروفَ لها مخارجُ مخصوصةٌ ، وهيَ منقسمةٌ إلىٰ حلقيةٍ وإلىٰ شفهيةٍ ، وذلكَ يُحيلُ قدمَها ؛ فإنَّها فيها أحرفُ الغيرِ المعادةِ ؛ أي : النطقُ بهِ لا يُوجدُ إلا عندَ تحرُّكِ اللهواتِ والحلقِ والشفةِ ، وما لا يكونُ وجودُهُ إلا عندَ وجودِهِ صفةٌ ثابتةٌ للآدميِّ والآدميُّ حادثٌ . . كيفَ يكونُ قديماً ؟! وعلىٰ أيِّ وجهٍ يُعتقَدُ قدمُهُ ؟! لولا كثرةُ الجهلِ وقلةُ التأمُّلِ والتحصيلِ ، نسألُ اللهَ تعالى التثبتَ علىٰ سواءِ السبيلِ .

وقد يُوجَدُ مِنَ الواحدِ ألفاتٌ ولاماتٌ المئةُ وأكثرُ منها ، وهٰذهِ الألفاتُ واللاماتُ بينَ أنْ تكونَ حادثةً وبينَ أنْ تكونَ قديمةً ، فإنْ كانَتْ حادثةً فهوَ الحقُّ الذي ندعوكَ إليهِ ، وإنْ كانَتْ قديمةً فمِنْ شأنِ القديمِ ألا يُعدَمَ ؛ إذْ يستحيلُ عدمُهُ ، والواحدُ مِنْ هٰذهِ الألفاتِ واللاماتِ لا يُوجَدُ إلا بعدَ عدمِ ما قبلَهُ ؛ إذْ لو كانَ الخلقُ يمكنُهُم أنْ يجمعوا بينَ ألفينِ ولامينِ تُسمَعُ منهُما في النطقِ على التعددِ كما تُسمَعُ عندَ الاتِّحادِ . . لم يقدروا عليهِ .

وإذا ثبتَ عدمُ هٰذهِ الحروفِ ليوجدَ أمثالُها . . عُلِمَ أنَّها حادثةٌ ؛ إذْ هيَ منقسمةٌ إلىٰ ماضٍ وإلىٰ مستقبلٍ ؛ الماضي منها : يدُلُّ علىٰ حدوثِهِ مضيُّهُ وانعدامُهُ[1] ، والمستقبلُ منها : يدُلُّ علىٰ حدوثِهِ إتيانُها واستقبالُها ، وبعضُ الحروفِ التي يُركَّبُ منهُ قذفُ الآدميينَ وسبُّهُم للهِ ورسولِهِ ـ أعني : الكفارَ منهم ـ . . لم يخلُ : إمَّا أنْ كانَتْ قديمةً ، وإمَّا أنْ كانَتْ حادثةً .

(١) كذا في (أ ، ب) ، والأنسب والأولىٰ : (مضيُّها وانعدامها) .

فإنْ كانَتْ حادثةً كانَتِ الحروفُ التي تُركِّبُ السبَّ أوِ الدعاءَ ، والتمجيدَ أوِ التعظيمَ . . حادثةً ؛ فإنَّ الحروفَ لا تتبدَّلُ ولا تتغيَّرُ ، ولها عددٌ محصورٌ لا يُزادُ عليهِ ولا ينقصُ .

وإنْ كانَتْ قديمةً [**فمحالٌ**] **لشيئينِ** :

أحدُهُما : أنَّ هـٰذهِ الحروفَ لا تصوُّرَ لها دونَ تركيبِ اللسانِ والمخارجِ المعلومةِ ، ولا وجودَ لهـٰذهِ المخارجِ في الأزلِ .

الثاني : هوَ أنَّ هـٰذهِ الحروفَ إذا كانَتْ قديمةً وكلامُ الآدميِّ لا يُدخِلُ عليها مِنَ السبِّ والثناءِ . . كانَ الواجبُ ألا يُثابَ عليها ولا يُعاقَبَ عليها ؛ إذِ الإنسانُ إنَّما يُثابُ علىٰ فعلِهِ المندوبِ إليهِ ، وإنَّما يُعاقَبُ علىٰ فعلِهِ المحظورِ ، والقديمُ لا يقبلُ الحظرَ والندبَ ؛ إذِ الغرضُ منهُما التركُ والفعلُ ، والموجودُ الأزليُّ لا وجودَ لهُ عن أوَّلٍ فلا لهُ مَدىً وعدمٌ[1] .

علىٰ أنَّ هـٰذهِ الحروفَ لو كانَتْ قديمةً . . **لم تخلُ** : إمَّا أنْ كانَ لها محلٌّ ، أو لا يكونَ لها محلٌّ .

إنْ لم يكنْ لها محلٌّ فمحالٌ ؛ إذْ هيَ أعراضٌ وصفاتٌ ، والصفاتُ لا وجودَ لها دونَ موصوفاتِها ، وكذلكَ اللسانُ وجودُ حركتِهِ لا يُدرىٰ فيها مدركٌ .

وإنْ كانَ لها محلٌّ لم يخلُ محلُّها : إمَّا أنْ كانَ جماداً ، أو كانَ حيّاً ، وأيُّ الأمرينِ فُرِضَ فمحالٌ ؛ إذْ جواهرُ العوالمِ كلُّها حادثةُ الأحياءُ منهُم والجماداتُ ، ومتى استحالَ قدمُ محلِّها وثبتَ أنَّها لم تُوجَدْ إلا في مَحالَّ . . عُرِفَ بهِ نفيُ قدمِها وثبوتُ حدوثِها .

(١) يحتمل في (أ) : (مدرك) بدل (مدىً) .

وهٰذا الذي جئنا بهِ مِنَ التفسيراتِ لن نقصدَ بها إلا التنبيهَ ، وإلا فحدوثُ الحروفِ معلومةٌ على القطعِ والاضطرارِ ، مِنْ غيرِ نَظَرٍ واعتبارٍ .

[هل إيمانُ العبادِ باللهِ ورسولِهِ قديمٌ أو حادثٌ ؟]

المسألةُ الرابعةُ : أنَّ إيمانَ العبادِ باللهِ ورسولِهِ قديمٌ أو حادثٌ ؟

وجوابُها وما توفيقي إلا باللهِ : أنَّ إيمانَ العبادِ مُحدَثٌ مخلوقٌ ؛ إذِ الإيمانُ صفةٌ مِنْ صفاتِ العبدِ وطاعةٌ مِنْ طاعاتِهِ ، وطاعاتُ العبدِ مخلوقةٌ ، وكيفَ لا يكونُ إيمانُهُ مخلوقاً وإيمانُهُ إمَّا أنْ يكونَ عبارةً عنِ العلمِ باللهِ وصفاتِهِ الواجبةِ والجائزةِ والمستحيلةِ ، أو يكونَ عبارةً عنِ التصديقِ ، أو يكونَ عبارةً عن كلمتَيِ الشهادةِ ، أو يكونَ عبارةً عن صلاتِهِ وجميعِ طاعاتِهِ ؟!

وما مِنْ قسمٍ مِنْ هٰذهِ الأقسامِ إلا وذهبَ إليهِ ذاهبونَ ، وفي القرآنِ ما يدلُّ على ذلكَ ؛ إذْ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] ، وذلكَ أمرٌ بالإيمانِ ؛ إذِ العلمُ باللهِ واجبٌ ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [يوسف : ١٧] ؛ أي : بمُصدِّقٍ لنا ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ [البقرة : ١٤٣] ؛ **أرادَ بهِ** : الصلاةَ التي أدَّوها إلىٰ بيتِ المقدسِ .

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « بُنِيَ ٱلإِسْلامُ عَلَىٰ خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ ٱللهِ ، وَإِقَامِ ٱلصَّلاةِ ، وَإِيتَاءِ ٱلزَّكَاةِ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ ، وَحَجِّ ٱلْبَيْتِ »[1] ، جعلَ كلمتَيِ الشهادةِ مِنَ الإسلامِ .

وقالَ في حديثٍ : « أَجْزَاءُ ٱلإِيمَانِ سِتَّةٌ وَسَبْعُونَ بَاباً ، أَعْلاهُ كَلِمَةُ أَنْ لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ ، وَأَدْنَاهُ إِمَاطَةُ ٱلأَذَىٰ عَنِ ٱلطَّرِيقِ »[2] .

(١) أخرجه البخاري (٨) ، ومسلم (١٦/ ٢١) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٤) ، وابن حبان (١٨١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، =

وقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا : لا إِلَـٰهَ إِلا ٱللهُ ، فَإِذَا قَالُوهَا عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ »[1] .

وإذا لم يُرَدَّ الإيمانُ [إلا] علىٰ هـٰذهِ الأقسامِ وجبَ حدوثُهُ[2] ؛ فإنَّ العلمَ والتصديقَ بالقلبِ أوِ اللسانِ ، أو كلمةَ الشهادةِ أوِ الصومَ والصلاةَ . . كلُّ ذلكَ فعلٌ حادثٌ بعدَ أنْ لم يكنْ ، وكيفَ لا يكونُ حادثاً والعبدُ مأمورٌ بالإيمانِ وأنْ يكتسبَهُ ؟! وإذا كانَ مأموراً بهِ لم يجزْ أنْ يكونَ مأموراً بفعلِ ما هوَ قديمٌ وتقدَّمَ عليهِ في الوجودِ ؛ إذِ الفاعلُ للفعلِ والمُكتسِبُ لهُ في الوجودِ لا بدَّ وأنْ يتقدَّمَ عليهِ حتىٰ يصحَّ أنْ يُضافَ إليهِ في جهةِ الفعليةِ والاكتسابِ .

هـٰذا قولُنا في إيمانِ العبادِ باللهِ ورسولِهِ ، بل إنَّها مِنَ اللهِ تعالىٰ بمعنى التصديقِ القوليِّ لا يكونُ حادثاً ؛ إذْ تصديقُ اللهِ تعالىٰ كلامُهُ ، وكلامُ اللهِ قديمٌ لا حدوثَ لهُ .

فإذا سألَ السائلُ مطلقاً وقالَ : الإيمانُ قديمٌ أو حادثٌ ؟ **لا يُجابُ عنهُ ولا يُقالُ** : إنَّهُ حادثٌ ، ومَنْ قالَ : إنَّهُ قديمٌ يكونُ قد أخطأَ ، وكذا مَنْ قالَ : إنَّهُ حادثٌ ، هـٰكذا قالَ أحمدُ رضيَ اللهُ عنهُ .

الواجبُ أنْ نُفصِّلَ ونقولَ : الإيمانُ الذي سألتَ عنهُ : أردتَ بهِ إيمانَ اللهِ أو إيمانَ الخلقِ ؟ **إنْ أردتَ بهِ إيمانَ اللهِ تعالىٰ وتصديقَهُ** فذلكَ قديمٌ أزليٌّ ؛ لعودِهِ إلىٰ كلامِهِ ، وكلامُ اللهِ علىٰ ما بيَّنَّاهُ أزليٌّ .

وإنْ أردتَ بهِ إيمانَ العبدِ فإيمانُهُ بهِ مخلوقٌ موجودٌ بعدَ أنْ لم يكنْ .

= وبنحوه في « صحيح مسلم » (٥٨/٣٥) .

(١) أخرجه البخاري (٢٥) ، ومسلم (٢٢) عن سيدنا ابن عمر رضي الله عنهما .

(٢) ما بين معقوفين زيادة يقتضيها السياق .

[ما حكمُ مَنْ يعتقدُ قِدَمَ أصواتِ الآدميينَ والقراءةِ ؟]

المسألةُ الخامسةُ : السؤالُ عن حالِ مَنْ يعتقدُ قِدَمَ أصواتِ الآدميينَ والقراءةِ .

وجوابُها : أنَّ مَنِ اعتقدَ قدمَ أصواتِ الآدميينَ **بينَ أمرينِ** : أنْ يعتقدَ قدمَ كلِّ صوتٍ مِنَ الآدميِّ ؛ كانَ ذلكَ كلاماً أو لم يكنْ كلاماً ، وبينَ أنْ يعتقدَ قدمَ الصوتِ الذي هوَ كلامُهُ .

فإنِ اعتقدَ قدمَ كلِّ صوتٍ يُوجَدُ مِنَ الآدميِّ . . فالاعتقادُ هٰذا باطلٌ لا استرابةَ فيهِ ؛ إذِ الآدميُّ يخرجُ منهُ أصواتٌ مختلفةٌ ؛ نحوُ ما يُوجَدُ مِنَ التصفيرِ عندَ الحركاتِ المخصوصةِ ، وما يُسمَعُ مِنَ الآدميِّ مِنَ الأصواتِ المرتفعةِ والمنخفضةِ في المحالِّ المتباينةِ والمخارجِ المتباينةِ .

ومَنِ اعتقدَ قدمَ هٰذهِ الأصواتِ وزعمَ أنَّهُ لا أوَّلَ لوجودِها وأنَّها أزليةٌ . . فهٰذا عنادٌ يُعلَمُ كذبُهُ فيهِ .

ويستحيلُ أنْ يكونَ للإنسانِ اعتقادٌ في الباطنِ هٰذا وصفُهُ ؛ إذْ هٰذا الذي يُخبِرُ عن نفسِهِ بهٰذا الاعتقادِ بينَ أنْ يكونَ مُكلَّفاً عاقلاً ، وبينَ أنْ يكونَ مجنوناً مُختبِلَ العقلِ .

فإنْ كانَ عاقلاً مُكلَّفاً فالعاقلُ المُكلَّفُ لو أرادَ أنْ يُكلِّفَ نفسَهُ هٰذا الاعتقادَ لا تطاوعُهُ نفسُهُ وكانَ ذلكَ منهُ تكليفَ شططٍ ؛ مثالَ أنْ يُكلِّفَ نفسَهُ ليعتقدَ كونَ الليلِ نهاراً ، والضياءِ ظلمةً ، والاثنينِ واحداً ، والواحدِ اثنينِ . . . إلىٰ غيرِ ذلكَ مِنْ إنكارِ المُشاهَداتِ ، ورفعِ الحقائقِ والمعقولاتِ ، ومَنْ أخبرَ عن نفسِهِ باعتقادِ هٰذهِ الجملةِ وهوَ ممَّنْ تظهرُ منهُ أماراتُ العقلِ . . عُدَّ كاذباً مُستهزِئاً ؛ إمَّا بنفسِهِ أو غيرِهِ .

وإنْ كانَ مجنوناً فالمجنونُ لا يتأتَّىٰ منهُ فعلُ هٰذا الاعتقادِ ؛ إذِ الاعتقادُ في أصلِهِ ربطُ العقلِ بمُعتقَدٍ مخصوصٍ علىٰ وصفٍ خاصٍّ ، ولا يتأتَّىٰ ذلكَ إلا بتكليفٍ يكونُ مِنَ المُعتقِدِ ، والمجنونُ ما هوَ أهلٌ بهٰذا التكليفِ والجِبِلَّةِ .

وإذا كانَ كذلكَ بانَ بهِ أنَّهُ لا تصوُّرَ لهٰذا الاعتقادِ وجوداً في النفسِ ، وأنَّ المخبرَ عنهُ كاذبٌ ، وإذا ثبتَ أنَّهُ كاذبٌ [كانَ] حكمُهُ حكمَ مَنْ يكابرُ المحسوسَ ؛ يُعمَلُ معَهُ مثلُ ما يُعمَلُ معَ مَنْ ينكرُ المحسوسَ ؛ يُمنَعُ مِنَ الدعاءِ إليهِ بالحبسِ والضربِ والتأديبِ إذا كانَ ذلكَ يُورِثُ فساداً في الرعيَّةِ ، وإنْ لم يقبلِ الناسُ قولَهُ كانَ حكمُهُ حكمَ عابثٍ أو أحمقَ لا يُؤبَهُ لهُ .

هٰذا أنْ لو كانَ يعتقدُ قدمَ الأصواتِ الصادرةِ مِنَ الآدميينَ مِنْ غيرِ تفصيلٍ ، **وإنِ اعتقدَ فيما أخبرَ قدمَ أصواتِ الآدميينَ في القراءةِ** . . نُبيِّنْ لهُ بالبينةِ والدليلِ الذي ذكرْناهُ أنَّ أصواتَ الآدميِّ في القراءةِ فعلُهُ ، وفعلَ الآدميِّ وغيرِ الآدميِّ مِنَ الفاعلينَ لا يكونُ قديماً ، فإنْ رجعَ عنهُ بعدَ الاستتابةِ منهُ فذاكَ ، وإنْ لم يرجعْ حُمِلَ على الرجوعِ عنهُ قهراً ، وأُدِّبَ بما يعتبرُ بهِ غيرُهُ .

ولو قالَ : أنا أعلمُ وأعتقدُ أنَّ القراءةَ فعلُ الآدميِّ ، وأنَّ الصوتَ صفةُ القارئِ ، إلا أنِّي لا أقولُ : صوتُ القارئِ حادثٌ ؛ خوفاً مِنْ أنْ يُعتقَدَ حدوثُ كلامِ اللهِ تعالىٰ .

قيلَ لهُ : إذا قلتَ : صوتُ القارئِ الذي هوَ فعلُهُ ويُسمَعُ منهُ مِنَ الترديداتِ حادثٌ . . لا يُفهَمُ منهُ حدوثُ كلامِ اللهِ ولا إيهامَ فيهِ ، وإنَّما الإيهامُ فيما أطلقتَ ؛ إذْ يُعتقَدُ منهُ ذهابُكَ إلىٰ قدمِ الأصواتِ التي للصائتينَ صفاتٌ ، وعلىٰ هٰذا يسهلُ أمرُهُ ، ويُؤخَّرُ عنِ المذهبِ الذي يتعاطاهُ قهراً .

[ما حكمُ مَنْ يُكفِّرُ معتقدَ حدوثِ الحروفِ والأصواتِ ؟]

المسألةُ السادسةُ : السؤالُ عن حالِهِ في تكفيرِهِ مَنْ صارَ إلىٰ حدوثِ الحروفِ والأصواتِ .

وجوابُها والنصرُ مِنَ اللهِ : أنَّ الحروفَ والأصواتَ علىٰ ما سبقَتِ الإشارةُ إليهِ حادثةٌ ، **هٰذا مذهبُ العقلاءِ كلِّهِم** ، والصائرُ إلىٰ تكفيرِ المسلمينَ يكفرُ إنْ كانَ مِنْ أهلِ التكليفِ .

هٰذا ؛ ومُعتقِدُ قدمِ الحروفِ والأصواتِ ليسَ ممَّنْ يُعَدُّ مِنَ العقلاءِ ، وأحكامُ أفعالِ العقلاءِ هيَ التي تُتَّبَعُ ويُنظَرُ فيها ، فأمَّا مَنْ كانَ في عقلِهِ خبلٌ لا يُنظَرُ إلىٰ أقوالِهِ ولا أفعالِهِ ، وهوَ مُلحَقٌ بالبهائمِ والمجانينِ .

[ما حكمُ مَنْ يعتقدُ أنَّ اللهَ تعالىٰ لهُ صورةٌ لا كالصُّوَرِ ؟]

المسألةُ السابعةُ : السؤالُ عن حالِ مَنِ اعتقدَ أنَّ القديمَ لهُ صورةٌ لا كالصُّوَرِ .

وجوابُها وما التوفيقُ إلا باللهِ تعالىٰ : أنَّ الصورةَ عبارةٌ عنِ الهيئةِ والتركيبِ ، والاجتماعِ علىٰ ضربٍ مِنَ التأليفِ والترتيبِ ، وذلكَ محالٌ على اللهِ تعالىٰ ؛ إذِ المُصوَّرُ مُقدَّرٌ ، والمُقدَّرُ مخلوقٌ ، والربُّ مُقدِّرٌ لا مُقدَّرٌ ، مُصوِّرٌ لا مُصوَّرٌ ؛ ولذلكَ وصفَ اللهُ نفسَهُ بكونِهِ مُصوِّراً كما وصفَ نفسَهُ بكونِهِ خالقاً في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحشر : ٢٤] ، وصفَ نفسَهُ بكونِهِ خالقاً ومُصوِّراً ، ولمَّا كانَ خالقاً لم يكنْ مخلوقاً ، وإذا كانَ مُصوِّراً لم يكنْ مُصوَّراً .

وليسَ لقائلٍ أنْ يقولَ : أنا أُسمِّي اللهَ تعالىٰ صورةً وإنْ لم أعتقدِ التركيبَ والتأليفَ والاجتماعَ والانضمامَ ؛ إذْ أسامي اللهِ تعالىٰ تُؤخَذُ توقيفاً ،

ولا توقيفَ يدلُّ على أنَّهُ تعالىٰ يُسمَّىٰ بهـٰذا الاسمِ ، وقولُ مَنْ قالَ : إنَّ اللهَ تعالىٰ مُصوَّرٌ وأنَّ لهُ صورةً لا كالصورِ . . بمثابةِ قولِ مَنْ يقولُ : إنَّ اللهَ تعالىٰ جسمٌ لا كالأجسامِ ، وجوهرٌ لا كالجواهرِ ، وعرضٌ لا كالأعراضِ ، وحيوانٌ لا كالحيواناتِ ، وإنسانٌ لا كالناسِ ، وزيدٌ لا كالزيدينَ ، **وذلكَ باطلٌ بالاتِّفاقِ** .

فإذا استحالَ أنْ يكونَ الربُّ جسماً وجوهراً وعرضاً ومُتألِّفاً ومُتركِّباً . . استحالَ أنْ يكونَ مُصوَّراً .

ويُقالُ لمَنْ زعمَ أنَّ اللهَ تعالىٰ صورةٌ لا كالصورِ : ما الذي أردتَ بهـٰذهِ الصورةِ ؟ **إنْ أردتَ بها ما يُفهَمُ مِنَ الصورةِ ؛ مثلُ التأليفِ والتركيبِ** . . فذلكَ على اللهِ تعالىٰ محالٌ ، ومُعتقِدُهُ في اللهِ تعالىٰ جلَّ جلالُهُ مُشبِّهٌ ضالٌّ مُبتدِعٌ ، **وفي تكفيرِهِ للعلماءِ كلامٌ** .

وإنْ أردتَ بها معنىً لا يُفهَمُ منها فبيِّنْ ذلكَ المعنىٰ ؛ فإنْ بيَّنَ **نُظِرَ فيهِ** : إنْ كانَ اللهُ جائزَ الوصفِ بهِ صُوِّبَ في المعنىٰ ويُخطَّأُ في اللفظِ ، وإنْ لم يجزْ وصفُ اللهِ تعالىٰ بهِ ولا وصفُ القديمِ بهِ . . لم يُقبَلْ منهُ .

ولا يمكنُ تكفيرُهُ بما لم يُفهَمْ معناهُ الذي يستحيلُ ثبوتُهُ في حقِّ اللهِ تعالىٰ ، فإذا فُهِمَ ذلكَ كُفِّرَ إنْ كانَ مُقتضِياً للتكفيرِ .

فأمَّا إذا قالَ : إنِّي أقولُ : إنَّ للهِ صورةً لا كالصورِ ؛ إذْ وردَ في بعضِ الأخبارِ أنَّ للهِ صورةً[1] .

قيلَ لهُ : لا تتجاوزِ الحديثَ ، وأطلقْ ما أطلقَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

(١) انظر (٢/ ٤٠٢ـ ٤٠٤) .

هٰذا ؛ ولم يثبتْ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إثباتُ الصورةِ للهِ تعالىٰ ، وما نُقِلَ فغيرُ صحيحٍ ، وما يصحُّ منهُ فمُؤوَّلٌ محمولٌ علىٰ غيرِ ما يُفهَمُ مِنَ الظاهرِ .

[ما حكمُ مَنْ يعتقدُ أنَّ صوتَ القارئِ هوَ صوتُ اللهِ تعالىٰ ؟]

المسألةُ الثامنةُ : السؤالُ عن حالِ مَنْ يزعمُ أنَّ صوتَ القارئِ صوتُ اللهِ تعالىٰ .

وجوابُها : **هوَ أنْ يُقالَ** : لا صوتَ للهِ تعالىٰ ؛ إذِ الصوتُ عبارةٌ عن أعراضٍ حادثةٍ محالُّها بنيةٌ مخصوصةٌ ومخارجُ معلومةٌ فيما أجرى اللهُ تعالى العادةَ بهِ ، والأعراضُ لا يجوزُ فيها قيامُها بذاتِ اللهِ تعالىٰ .

هٰذا ؛ والأصواتُ إنَّما تحدثُ عندَ اصطكاكِ الأجرامِ ومماستِها ، وكذلكَ يخرجُ الصوتُ مِنَ اليدينِ عندَ التصفيقِ ، ومثلُهُ يخرجُ مِنَ الطبلِ عندَ الضربِ ، وللعلماءِ كلامٌ في أنَّ الصوتَ الحاصلَ عندَ الاصطكاكِ هوَ الاصطكاكُ أم أمرٌ زائدٌ عليهِ ، وكيفَما كانَ لا وجهَ لفَرْضِهِ في حقِّ اللهِ تعالىٰ ؛ إذْ ليسَ القديمُ جسماً حتىٰ يماسَّ جسماً يخرجُ منهُما صوتٌ عندَ التماسِّ والاصطكاكِ .

علىٰ أنَّ هٰذا الذاهبَ إذا قالَ : صوتُ القارئِ صوتُ البارئِ . . كانَ ذلكَ محالاً آخرَ ؛ فإنَّ ما يكونُ صوتاً لإنسانٍ لا يُتصوَّرُ أنْ يكونَ صوتاً لإنسانٍ آخرَ ، كما أنَّ ما كانَ حركةً لإنسانٍ لا يُتصوَّرُ أنْ يكونَ حركةً لغيرِهِ ، وكيفَ يكونُ صوتُ زيدٍ صوتَ عمرٍو ، وصوتُ كلِّ واحدٍ منهُما لا بدَّ وأنْ يُوجَدَ بهِ في محالَّ مخصوصةٍ ؟! فإذا استحالَ أنْ يكونَ صوتُ زيدٍ صوتَ عمرٍو . . كيفَ يُعتقَدُ أنْ يكونَ صوتُ غيرِ اللهِ صوتاً للهِ ؟!

هٰذا ؛ والربُّ يستحيلُ أنْ يكونَ لهُ صوتٌ أو يُوجَدَ لهُ صوتٌ ، بلِ الربُّ

يخلقُ الأصواتَ ويفعلُها ، ولكنْ لا يُضافُ إليهِ إضافةَ الصفةِ إلى الموصوفِ ، كما أنَّهُ تعالىٰ يخلقُ الألوانَ والحركاتِ ولا يُقالُ : (حركةُ اللهِ) و(لونُ اللهِ) . . فكذا لا يُقالُ : صوتُ اللهِ تعالىٰ ، ومَنِ اعتقدَ أنَّ الصوتَ يقومُ بذاتِ اللهِ ويكونُ القديمُ موصوفاً بهِ . . كانَ مُخطِئاً في اعتقادِهِ ، ذاهباً إلىٰ أنَّهُ تعالىٰ يقبلُ الأعراضَ الحادثةَ لا يخلو منها ، وما لا يخلو منها كانَ حادثاً ، ولا شكَّ في أنَّ مَنْ زعمَ أنَّ القديمَ يكونُ لهُ صوتٌ كانَ مُخطِئاً فيهِ ضالّاً مُبتدِعاً فاسقاً ، وفي تكفيرِهِ للعلماءِ كلامٌ .

[الجوابُ عمَّا نُسِبَ إلى الإمامِ أبي حنيفةَ مِنَ القولِ بقدمِ الحروفِ]

المسألةُ التاسعةُ : في السؤالِ عن حالِ مَنْ أضافَ إلى الإمامِ أبي حنيفةَ رضيَ اللهُ عنهُ القولَ بقدمِ الحروفِ .

وجوابُها وباللهِ التوفيقُ : أنَّ الإمامَ أبا حنيفةَ شيخُ المسلمينَ ، وقدوةُ المُعلِّمينَ ، وهوَ بريءٌ عنِ الذهابِ إلى اعتقادِهِ قدمَ هذهِ الحروفِ والأصواتِ ، ومَنْ نسبَ ذلكَ إليهِ فقدِ افترىٰ عليهِ ، وسيُجازيهِ اللهُ علىٰ سوءِ صنيعِهِ .

وهذا الذي يَنسُبُ هذا المذهبَ الباطلَ إلىٰ هذا الإمامِ المقبولِ قولُهُ . . إنَّما ينسبُ إليهِ معَ علمِهِ بأنَّ هذا الإمامَ ما ذهبَ إليهِ ؛ ليقبلَ الناسُ قولَهُ ، وينظرونَ إليهِ ويعتمدونَ فيما يقولُ[1] ، وحتمٌ علىٰ والي العصرِ والزمانِ أنْ يُؤدِّبَ هذا الكذَّابَ ؛ ليعتبرَ بهِ غيرُهُ فلا يُقدِمَ على الكذبِ علىٰ أئمَّةِ الدينِ وأعلامِ المسلمينَ .

وقد رُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ

(١) كذا في (أ ، ب) ، والأولىٰ والأنسب : (وينظروا إليه ويعتمدوا فيما يقول) .

مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ »[1] ، وقد قالَ عليهِ السلامُ في حديثٍ آخرَ : « ٱلْعُلَمَاءُ وَرَثَةُ ٱلأَنْبِيَاءِ »[2] ، وهٰذا إنَّما وردَ في العلماءِ عامَّةً ، وفي أصحابِ المذاهبِ خاصَّةً ؛ نحوُ الأئمَّةِ المشهورينَ ؛ مثلُ أبي حنيفةَ ومالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ ومَنْ عداهُم ، رحمةُ اللهِ عليهِم أجمعينَ .

هٰذا ؛ وإنْ كانَ الكاذبُ عليهِم مُتوعَّداً مِنَ اللهِ تعالىٰ بأليمِ العذابِ في الآخرةِ ؛ لأنَّهُ زُجِرَ في الدنيا ؛ رجاءَ أنْ ينزلَ عن ما هوَ عليهِ ، ويعودَ إلى الحقِّ الذي بهِ يرجو أنْ يُحشَرَ عليهِ .

هٰذا جوابُ هٰذهِ المسائلِ ، وقدِ اتَّفقَ التجاوزُ عن حدِّ الفتوىٰ ، والداعي إليهِ العلمُ بنقلِ هٰذا الجوابِ إلىٰ بلادٍ بعيدةٍ يعسرُ الاستفتاءُ علىٰ أهلِها في كلِّ وقتٍ وحينٍ ، فاقتضى النظرُ إليهِم ذكرَ طرفٍ مِنَ الأدلةِ ؛ لكيلا يكونَ الجوابُ عَرِيّاً عنِ البرهانِ والحُجَّةِ ؛ إذْ ما وقعَ السؤالُ عنهُ مِنْ مسائلِ الأصولِ لا بدَّ مِنْ معرفتِها بأدلتِها ، واللهُ الموفقُ للصوابِ .

وكتبَ هٰذهِ الأسطرَ بيدِهِ : إسماعيلُ بنُ عبدِ الملكِ الحاكميُّ الطوسيُّ

ولم أطلْ بذكرِ فتياهُ على التمامِ والكمالِ إلا لأُظهرَ كلامَهُ ؛ فإنِّي لم أقفْ لهُ علىٰ تصنيفٍ غيرِ هٰذا ، وسألتُ مِنْ جماعةٍ عنهُ[3] ، فلم أسمعْ مَنْ رأىٰ لهُ تصنيفاً غيرَ هٰذا ، وهوَ جليلُ القدرِ ، ذكرَهُ ابنُ عساكرَ في « تاريخِ دمشقَ » كما تقدَّمَ عندَ ترجمتِهِ[4] ، والحمدُ للهِ .

(١) سبق تخريجه (٢/ ٣١٦) .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٤١) ، والترمذي (٢٦٨٢) ، والدارمي (٣٥٤) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٣) قوله : (من جماعة) كذا في (أ ، ب) بزيادة (من) علىٰ مذهب الأخفش .

(٤) انظر (١/ ٤٦٥ـ٤٦٦) .

[فتوى الإمامِ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ التبَّانِ المالكيِّ]

رأيتُ بخطِّ الوليِّ الصالحِ أبي عليٍّ الحسنِ الطويلِ المالكيِّ رضيَ اللهُ عنهُ على ظهرِ كتابٍ مِنْ كتبِ أصولِ الدينِ مِنْ وقفِ المدرسةِ المالكيةِ الصلاحيةِ بمصرَ المحروسةِ . . **فائدةً أثبتُّها هنا ، ونسختُها** :

سؤالٌ سُئِلَ عنهُ الشيخُ الجليلُ الفقيهُ أبو محمدٍ عبدُ اللهِ بنُ التبَّانِ المالكيُّ القرويُّ بحضرةِ الفقيهِ الشيخِ الجليلِ أبي محمدٍ عبدِ اللهِ بنِ أبي زيدٍ رضيَ اللهُ عنهُ ؛ **فقالوا لهُ** : القرآنُ مخلوقٌ ؟ **فقالَ لهُمُ الشيخُ أبو محمدٍ** : القرآنُ كلامُ اللهِ ، ومَنْ قالَ : إنَّهُ مخلوقٌ . . فهوَ كافرٌ .

قالوا : ما تقولونَ فيمَنْ قرأَ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة : ٢ـ٣] ؟ وما تقولونَ في التوراةِ والإنجيلِ والزَّبورِ وما في الصُّحُفِ المنزلةِ على كلِّ نبيٍّ : أهوَ كلامُ اللهِ في الحقيقةِ غيرُ مخلوقٍ أم لا ؟

فأجابَهُمُ الإمامُ أبو محمدٍ رضيَ اللهُ عنهُ : وأنا أقولُ : فيمَنْ قرأَ : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ .

أمَّا قولُكَ أيُّها السائلُ : (قرأَ) . . فهوَ فعلٌ ماضٍ مثلُ قولِكَ : (قضى) و(مشى) و(غدا) ، وهٰذهِ أفعالٌ ماضيةٌ بإجماعِ الأمَّةِ ، وكذلكَ (تلا) وهوَ فعلٌ ماضٍ ، والمستقبلُ منهُ : (يقرأ) و(يسعى) و(يقضي)[1] ؛ لأنَّ الماضيَ يحسنُ فيهِ (قد قرأ) و(قد قرأَ القرآنَ أمسِ) ، والمستقبلُ منهُ يُقالُ فيهِ : (يقرأُ زيدٌ القرآنَ غداً إنْ شاءَ اللهُ) ، وما حَسُنَ فيهِ الاستثناءُ فهوَ فعلٌ ؛ لقولِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [الكهف : ٢٣ـ٢٤] ، وإذا ثبتَ أنَّ القراءةَ فعلٌ بإجماعِ الأمَّةِ ثبتَ أنَّها مُحدَثةٌ غيرُ

(١) لعل الأنسب أن يقول : (ويمشي) بدل (ويسعى) ، والله تعالى أعلم .

قديمةٍ ، وأنَّ مَنْ قالَ : إنَّها قديمةٌ . . فهوَ كافرٌ بإجماعِ الأمَّةِ ؛ لأنَّهُ أوجبَ قدمَ الأفعالِ ، وهـٰذا شركٌ باللهِ تعالىٰ .

وأمَّا قولُكَ : (هوَ كلامُ اللهِ تعالىٰ في الحقيقةِ) : فلأنَّ الدليلَ دلَّ علىٰ أنَّ القراءةَ فعلٌ مِنَ الأفعالِ مُحدَثةٌ ، وأنَّ كلامَ اللهِ ليسَ هوَ فعلٌ لأحدٍ ، ومَنْ زعمَ بأنَّهُ فعلٌ فقد قالَ بأنَّهُ مخلوقٌ ؛ كما قالَتِ الجهميةُ : إنَّ القرآنَ فعلُ اللهِ والقراءةَ فعلُ القارئِ ، ونحنُ نقولُ : ليسَ مِنْ صفاتِ الفعلِ ، وإنَّما هوَ مِنْ صفاتِ الذاتِ للهِ تعالىٰ .

وأمَّا قولُكَ هـٰكذا : التوراةُ والإنجيلُ والزبورُ وما في الصحفِ المنزلةِ علىٰ كلِّ نبيٍّ : هل هوَ كلامُ اللهِ في الحقيقةِ غيرُ مخلوقٍ ؟

فالجوابُ : أنَّا نقولُ : المقروءُ منها كلِّها كلامُ اللهِ تعالىٰ غيرُ مُحدَثٍ ولا مخلوقٍ ، وإنَّ القراءةَ بها غيرُها ، وهيَ غيرُ قديمةٍ ، بل هيَ مُحدَثةٌ مخلوقةٌ ، ولنا في ذلكَ أدلةٌ نحنُ ذاكروها إنْ شاءَ اللهُ ، ثمَّ ذكرَ أدلَّةً ؛ منها : قالَ :

يُقالُ لكَ : هل تقولُ : إنَّ القرآنَ لم يَزَلْ متلوّاً ومقروءاً ومكتوباً ؟

فإنْ قلتَ : نعم . . كفرتَ بالإجماعِ ؛ لأنَّكَ أوجبتَ قِدَمَ التالي والقارئِ والكتابةِ ، وهـٰذا كلُّهُ قولُ الزنادقةِ والدهريةِ الذينَ يقولونَ بقِدَمِ العالمِ بأسرِهِ .

وإنْ قلتَ : إنَّ القرآنَ قد كانَ في الأزلِ غيرَ متلوٍّ ولا مقروءٍ ولا مكتوبٍ . . أصبتَ الحقَّ ، فصحَّ أنَّ التلاوةَ والقراءةَ والكتابةَ مخلوقةٌ غيرُ قديمةٍ ؛ لأنَّها كلَّها أفعالُ الخلقِ ، والخلقُ وأفعالُهُم مُحدَثٌ مخلوقٌ .

ويُقالُ : أخبرونا عن قرآنِكُم ؛ أليسَ بصوتٍ وحرفٍ ؟ فلا بدَّ مِنْ نعم أو لا ، فيُقالُ لكَ : أخبرْنا عن كلامِ اللهِ سبحانَهُ ؛ أليسَ هوَ عندَكَ بصوتٍ وحرفٍ ؟

فإنْ قالَ : نعم . . قيلَ لهُ : فإذا قرأتَ أنتَ القرآنَ فظهرَ صوتُكَ وسُمِعَ . . هل تقولُ : إنَّهُ صوتُ اللهِ المسموعُ أو هوَ غيرُ صوتِهِ ؟

فإنْ قالَ : صوتُ اللهِ المسموعُ . . كفرَ بالإجماعِ ، وأوجبَ أنَّ اللهَ تعالىٰ هوَ المُتكلِّمُ علىٰ لسانِ الخلقِ ، وهٰذا قولُ أهلِ الحلولِ ، وهم طائفةٌ مِنَ الأثريَّةِ بالبصرةِ وبحرَّانَ ، قالَ محمدُ بنُ سحنونَ : وهم بذلكَ كفارٌ .

وإنْ قالَ : صوتي بالقرآنِ غيرُ صوتِ اللهِ . . تُرِكَ قولُهُ ، ورجعَ إلىٰ أنَّ القراءةَ مُحدَثةٌ ، فيُقالُ لهُ : مِنْ أينَ قلتَ : إنَّ اللهَ تعالىٰ مُتكلِّمٌ بصوتٍ وحرفٍ ؟ هل معَكَ بهٰذا آيةٌ مِنْ كتابِ اللهِ أو سنَّةٌ عن رسولِ اللهِ أو إجماعُ الأمَّةِ ؟ فإنَّ الحُجَّةَ لا تقومُ إلا بواحدةٍ مِنْ هٰذهِ الثلاثةِ ، فإنْ كنتَ إنَّما قلتَ ذلكَ بقياسٍ فيلزمُكَ علىٰ قياسِكَ أنْ تقولَ : إنَّ اللهَ تعالىٰ مُتكلِّمٌ بلسانٍ وشفتينِ وحلقٍ يتنفَّسُ ، كما قلتَ ذلكَ في الصوتِ ، وإلا فما الفرقُ ؟

فإنْ قلتَ ذلكَ في اللهِ فقد كفرتَ ، وإنْ لم تقلْهُ خُصِمتَ وتناقضَ قولُكَ .

ثمَّ اعكسْ ذلكَ عليكَ ، فقيلَ لكَ : بلِ اللهُ تعالىٰ مُتكلِّمٌ ، وليسَ مُتكلِّماً بحرفٍ ولا صوتٍ ، وكلُّ حُجَّةٍ تحتجُّ بها فهيَ حُجَّةٌ عليكَ في الصوتِ والحرفِ .

ثمَّ يُقالُ لكَ : لو جازَ أنْ تضيفَ إلى اللهِ سبحانَهُ صوتاً بغيرِ نصٍّ . . جازَ لغيرِكَ أنْ يضيفَ إلى اللهِ سبحانَهُ اسماً بغيرِ نصٍّ ، فيقولَ : يا فقيهُ ؛ اغفرْ لي ، كما اخترتَ أنتَ لهُ الصوتَ ، ولو جازَ ذلكَ لكانَ لآخَرَ أنْ يضيفَ إلى اللهِ تعالى القلبَ والضميرَ ، فيقولَ : إنَّ اللهَ تعالىٰ بقلبٍ وضميرٍ ، كما قلتَ أنتَ في الصوتِ .

ولجازَ لآخرَ أنْ يقولَ : إنَّ لهُ عينينِ جارحةً ؛ لأنِّي لا أعقلُ إلا جارحةً في رأسٍ ، وأنْ يضيفَ إليهِ تعالىٰ أنَّ سمعَهُ بأذنينِ كما أُضيفَ إليهِ السمعُ .

ولجازَ لآخرَ أنْ يقولَ : إنَّ للهِ تعالىٰ جسماً مُؤلَّفاً ؛ لأنِّي لا أعقلُ الكلامَ المفهومَ بالأصواتِ إلا مِنَ الأجسامِ .

ولجازَ لآخرَ أنْ يقولَ : إنَّهُ تعالىٰ لا يُرىٰ في الدارِ الآخرةِ إلا مُتلوِّناً ذا حيِّزٍ وشعاعٍ ؛ لأنِّي لا أعقلُ منظوراً إليهِ إلا ولهُ لونٌ وحيِّزٌ .

وباعتقاداتِكُم كفرتُم ، واللهُ المعينُ على الصوابِ .

وأمَّا القرآنُ الذي هوَ كلامُ اللهِ ، مكتوبٌ في المصاحفِ [على] الحقيقةِ[1] ، ومتلوٌّ بالألسنِ على الحقيقةِ ، ومحفوظٌ في الأذهانِ ومسموعٌ بالآذانِ على الحقيقةِ . . غيرُ حالٍّ في شيءٍ مِنْ ذلكَ ، كما أنَّ اللهَ المعبودَ المذكورَ بألسنتِنا [والمعلومَ] بقلوبِنا[2] . . غيرُ حالٍّ في شيءٍ مِنْ ذلكَ ، تعالى اللهُ عنِ الحلولِ والمُماسَّةِ والمجاورةِ لشيءٍ مِنَ المخلوقاتِ .

فمَنْ قالَ غيرَ هـٰذا وزعمَ أنَّ القرآنَ حالٌّ في الألسنِ والقلوبِ والمصاحفِ على الحقيقةِ . . فقد قالَ قولاً عظيماً أعظمَ مِنْ قولِ النصارىٰ ؛ لأنَّ النصارىٰ قالَتْ : إنَّ الكلمةَ حلَّتْ في عيسىٰ كامتزاجِ الماءِ باللبنِ ؛ فلذلكَ عبدوهُ وقالوا : فيهِ شيءٌ مِنْ ذاتِ اللهِ ، تعالى اللهُ عن قولِهم .

وقالَتِ الدهريةُ : في كلِّ إنسانٍ جزءٌ مِنَ القديمِ الذي يعبدونَـهُ ، فإذا ماتَ الإنسانُ رُفِعَ ما فيهِ إلىٰ عنصرِهِ ، وكذلكَ قالَتِ العكرميةُ والنجرانيةُ وأهلُ الحلولِ ، تعالى اللهُ عمَّا يقولونَ علوّاً كبيراً .

* * *

(١) في (أ ، ب) : (في الحقيقة) .

(٢) في (أ ، ب) : (ومعلوم) بدل (والمعلوم) .

فتاوى منقولة من خطوط بعض الأئمة فيمن اعتقد الحرف والصوت لله تعالى وغير ذلك

وجدتُ نسخةَ فتيا نُقِلَتْ مِنْ خطوطِ مشايخَ أُودِعَتْ بالخزانةِ السلطانيةِ زمنَ السلطانِ الملكِ الظاهرِ بيبرسَ تغمَّدَهُ اللهُ برحمتِهِ بخطِّ قاضي بلبيسَ ، وقابلَ عليها ، ثمَّ أخذَها السلطانُ تبرُّكاً بخطوطِ مَنْ فيها مِنَ المشايخِ ؛ **مثالُها** :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصلواتُهُ علىٰ سيدِنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسلامُهُ

شاهدتُ ما مثالُهُ : يقولُ العبدُ الفقيرُ الحقيرُ ، المعترفُ بالزللِ والتقصيرِ ، الراجي عفوَ الملكِ الكبيرِ ؛ محمدُ بنُ المفضَّلِ بنِ يحيى بنِ عقيلٍ الشافعيُّ مولداً ومذهباً ، الأشعريُّ معتقداً ، النعمانيُّ بلدةً ، عفا اللهُ عنهُ : **شاهدتُ صورةَ استفتاءٍ سُئِلَ عنهُ جماعةٌ مِنَ الفقهاءِ الأئمَّةِ الأجلاءِ ، وجوابِهم عليهِ ، وهـٰذهِ صورتُهُ** :

ما يقولُ سيدُنا الفقيهُ الإمامُ العالمُ الأوحدُ الأمينُ شرفُ المتكلمينَ ، مفتي العراقينِ ، إمامُ الأئمَّةِ ، ملكُ العلماءِ ، شهابُ الدينِ ـ أدامَ اللهُ توفيقَهُ ، ويسَّرَ إلى الخيراتِ طريقَهُ ـ في الحشويةِ الذينَ علىٰ مذهبِ ابنِ مرزوقٍ وابنِ الكيزانيِّ[1] الذينَ يعتقدونَ أنَّ اللهَ سبحانَهُ مُتكلِّمٌ بحرفٍ وصوتٍ تعالى اللهُ ،

(١) وابن مرزوق وابن الكيزاني هما من حشوية الحنابلة ، وقد ظن التاج السبكي ابنَ الكيزاني هـٰذا من الشافعية فترجم له في « طبقاته » تبعاً لابن خلكان . انظر تعليقات الإمام الكوثري على « السيف الصقيل » (ص٤٩) ، و(٢/ ٤٧٠) تعليقاً .

وأنَّ أفعالَ العبادِ قديمةٌ : هل تنفذُ أحكامُهُم على أهلِ التوحيدِ وعامَّةِ المسلمينَ ؟ وهل تُقبَلُ شهاداتُهُم على المسلمينَ أم لا ؟

الجوابَ رحمَكَ اللهُ .

[فتوى الإمامِ محمدٍ الطوسيِّ]

صورةُ جوابِ الطوسيِّ الشافعيِّ رحمَهُ اللهُ : تُقبَلُ شهادةُ عدولِهِم على أصحابِهِم ، ولا تُسمَعُ شهاداتُهُم على أهلِ الحقِّ مِنَ الموحِّدينَ ، ولا ينفذُ حكمُ قاضيهِم على الموحِّدينَ ؛ فإنَّهُم أعداءُ الحقِّ ، واللهُ أعلمُ .

كتبَهُ : محمدٌ الطوسيُّ[1]

[فتوى الإمامِ يوسفَ الأُرْمَويِّ]

صورةُ خطِّ الأُرْمَويِّ : ما نُصَّ عليهِم أعلاهُ اقترفوا حوبةً عظيمةً ، يجبُ عليهِمُ القفولُ عمَّا اعتقدوهُ ، وهم كفارٌ عندَ أكثرِ المُتكلِّمينَ .

وكيفَ يسوغُ قبولُ أقوالِهِم ؟!

ويجبُ على مَنْ إليهِ الأمرُ إحضارُهُم واستتابتُهُم عمَّا هم عليهِ ، فإنْ تابُوا ، وإلا قُتلوا ، وحكمُهُم في الاستتابةِ حكمُ المرتدِّ في إمهالِهِ ثلاثةَ أيامٍ ، أو يُقتَلَ في الحالِ ، واللهُ أعلمُ .

كتبَهُ : يوسفُ الأُرْمَويُّ

(١) وقد سبقت ترجمته (١/ ٥٢١ـ ٥٢٢) .

[فتوى الإمامِ محمدِ بنِ إبراهيمَ الحمويِّ ابنِ جماعةَ]

صورةُ خطِّ الحمويِّ : مَنِ اعتقدَ أنَّ أفعالَ العبادِ قديمةٌ فقد قالَ قولاً يلزمُهُ فيهِ القولُ بقدمِ العالمِ ، ومَنْ قالَ بقدمِ العالمِ فهو كافرٌ لا تصحُّ ولايتُهُ ، ولا تُقبَلُ شهادتُهُ ، واللهُ أعلمُ .

كتبَهُ : محمدُ بنُ إبراهيمَ الحمويُّ[1]

استفتاءٌ ثانٍ وجدتُهُ في الدرجِ ، صورتَهُ :

ما يقولُ السادةُ الفقهاءُ الأئمةُ ، والقادةُ علماءُ هـٰذهِ الأمةِ ـ أدامَ اللهُ إرشادَهُم ، ووفَّقَ إصدارَهُم وإيرادَهُم ـ في الحشويةِ الذينَ علىٰ مذهبِ ابنِ مرزوقٍ وابنِ الكيزانيِّ الذينَ يعتقدونَ أنَّ اللهَ سبحانَهُ مُتكلِّمٌ بحرفٍ وصوتٍ ، وأنَّ أفعالَ العبادِ قديمةٌ : هل تُقبَلُ شهاداتُهُم علىٰ أهلِ الحقِّ المُوحِّدينَ الأشعريةِ ؟ وهل تنفذُ أحكامُ قضاتِهِم على الأشعريةِ أم لا ؟

الجوابَ مأجورينَ رحمَكُمُ اللهُ .

[فتوى الإمامِ أبي المنصورِ ظافرِ بنِ الحسينِ الأزديِّ]

صورةُ جوابِ أبي المنصورِ جدِّ شيخِ المشايخِ صفيِّ الدينِ رحمَهُ اللهُ : لا تُقبَلُ شهادةُ مَنْ يقولُ : إنَّ اللهَ يتكلَّمُ بحرفٍ وصوتٍ ؛ لأنَّهُم مرتكبونَ كبيرةً ، وهيَ أعظمُ مِنْ مُرتكِبِ المعاصي ؛ كالزنا وشربِ الخمرِ ؛ لأنَّها كبيرةٌ تتعلَّقُ بأصلٍ مِنْ أصولِ الدينِ .

وكتبَ : ظافرُ بنُ حسينٍ الأزديُّ[2]

(١) وقد سبقت ترجمته (٢/ ٢٩٥ـ٢٩٦) .

(٢) وقد سبقت ترجمته (١/ ٥٢٣) .

[فتوى الإمامِ أبي إسحاقَ العراقيِّ]

صورةُ خطِّ العراقيِّ أبي إسحاقَ : جوابي كذلكَ .

كتبَهُ : إبراهيمُ العراقيُّ[1]

[صورةٌ أخرىٰ لفتوى الإمامِ ابنِ جماعةَ]

صورةُ خطِّ الحمويِّ : مَنْ قالَ : إنَّ اللهَ مُتكلِّمٌ بحرفٍ وصوتٍ . . فقد قالَ قولاً يلزمُ منهُ أنَّ اللهَ جسمٌ ، ومَنْ قالَ : إنَّهُ جسمٌ . . فقد قالَ بحدوثِهِ ، ومَنْ قالَ بحدوثِهِ . . فقد كفرَ ، والكافرُ لا يصحُّ ولايتُهُ ، ولا تُقبَلُ شهادتُهُ ، واللهُ أعلمُ .

كتبَهُ : محمدُ بنُ إبراهيمَ الحمويُّ

[فتوى الإمامِ جمالِ الدينِ ابنِ رشيقٍ]

صورةُ خطِّ الشيخِ جمالِ الدينِ ابنِ رشيقٍ أحدِ فقهاءِ المالكيةِ : لا تُقبَلُ شهادتُهُم ، ولا يجوزُ أنْ يُولَّوُا الحكمَ ولا غيرَهُ مِنَ المناصبِ الدينيةِ ؛ لأنَّهُم بينَ جاهلٍ مُصِرٍّ على جهلِهِ بما يتعيَّنُ عليهِ اعتقادُهُ مِنْ صفاتِ اللهِ سبحانَهُ ، وبينَ عالمٍ مُعاندٍ للحقِّ ، ومَنْ هذهِ صفتُهُ يتعيَّنُ تأديبُهُ وزجرُهُ عمَّا صارَ إليهِ بأبلغِ الأدبِ ، ومِنْ جملةِ ذلكَ : ردُّ الشهادةِ ، وباللهِ التوفيقُ .

وكتبَ : حسينُ بنُ عتيقٍ ابنُ رشيقٍ[2]

(١) وقد سبقت ترجمته في (١/ ٥١٩ـ ٥٢٠) .

(٢) وقد سبقت ترجمته في (١/ ٥٩٨) .

[فتوى الإمامِ فخرِ الدينِ محمدٍ الفارسيِّ]

صورةُ خطِّ الشيخِ العارفِ فخرِ الدينِ الفارسيِّ : اللهُ المعينُ ، مَنْ قالَ : إنَّ اللهَ تعالىٰ مُتكلِّمٌ بالصوتِ والحرفِ . . فقد أثبتَ الجسميةَ ، وصارَ بقولِهِ مُجسِّماً ، والمُجسِّمُ كافرٌ .

ومَنْ قالَ : إنَّ أفعالَ العبادِ قديمةٌ . . فقد كذَّبَ اللهَ تعالىٰ في قولِهِ : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] ، ومُكذِّبُ اللهِ بصفةِ الإصرارِ كافرٌ ، ولا تثبتُ عدالتُهُم ، ولا تُقبَلُ شهادتُهُم ولا الصلاةُ خلفَهُم ، ويجبُ على الإمامِ أو علىٰ نوَّابِهِ في الأقاليمِ استتابتُهُم ، فإنْ لم يرجعوا عمَّا هم فيهِ مِنَ الكفرِ . . فيعاقبُهُم علىٰ كفرِهِم أو يقبلُ منهُمُ الجزيةَ إذلالاً كاليهودِ والنصارىٰ ، بل كفرُهُم أشنعُ وأبشعُ مِنْ مقالةِ النصارىٰ واليهودِ ؛ أمَّا اليهودُ فشبَّهوهُ بالحادثِ صفاتٍ ، وأمَّا النصارىٰ فقالوا : إنَّهُ جوهرٌ شريفٌ ، والمُجسِّمةُ يثبتونَ الجسمَ للهِ ، **تعالى اللهُ عمَّا يقولُ الظالمونَ علوّاً كبيراً** .

وكتبَ : محمدٌ الفارسيُّ بخطِّهِ[1]

(١) وقد سبقت ترجمته (١/٥٧٦ـ ٥٧٨) ، قال الإمام الكوثري في تعليقه على « السيف الصقيل » (ص٥١ـ٥٢) : (وفي تلك الفتاوىٰ ما ينزجر به من يخاف مقام ربه من تلك البدع الشنيعة ، وبها يُعلَم أيضاً أن أبا عمرو عثمان بن مرزوق الحنبلي وأبا عبد الله الكيزاني الحنبلي مشتركان في إثارة البدع المذكورة بمصر ، ولا مانع من أن يكون بينهما بعض اختلاف في فرع من فروع تلك البدع ، ومن حاول تبرئة أحدهما منها فلا حجة عنده أصلاً ، وقد تكلَّف ابن رجب في « طبقاته » تبرئة ابن مرزوق عن ذلك بدون جدوىٰ ، بعد أن أقرَّ بذلك الناصح الحنبلي وابن القطيعي الحنبلي ، ولو كان ابن رجب رأىٰ تلك النصوص من فتاوىٰ علماء عصر ابن مرزوق وابن الكيزاني المنقولة من خطوطهم المحفوظة في خزانة الملك الظاهر بيبرس . . لما سعىٰ في تبرئة ساحته من تلك البدعة الشنيعة ، ونسبةُ القول بتلك البدعة إلى ابن الكيزاني في « مرآة الزمان » لسبط ابن الجوزي . . لا تُبرِّئ ابن مرزوق منها ، علىٰ أن ابن رجب قال بعد ذلك : « ثم وجدت لأبي عمرو بن مرزوق مصنفاً في =

وجدتُ بخطِّ بعضِ الفضلاءِ صورةَ استفتاءٍ مثالُهُ :

ما يقولُ السادةُ الفقهاءُ رضيَ اللهُ عنهُم في كلامِ اللهِ القديمِ القائمِ بذاتِهِ : هل يجوزُ أنْ يُقالَ : إنَّهُ عينُ صوتِ القارئِ وحروفِهِ المُتقطِّعةِ ، وعينُ الأشكالِ التي يُصوِّرُها الكاتبُ في المصحفِ ؟

وهل يجوزُ أنْ يُقالَ : إنَّ كلامَ اللهِ القديمَ القائمَ بذاتِهِ حروفٌ وأصواتٌ على المعنى الظاهرِ فيها ، وإنَّهُ عينُ ما جعلَهُ اللهُ تعالىٰ معجزةً لرسولِهِ .

وما الذي يجبُ علىٰ مَنِ اعتقدَ جميعَ ذلكَ ، وصرَّحَ بهِ وأذاعَهُ وغرَّ بهِ ضعفاءَ المسلمينَ ؟ وهل يَحِلُّ للعلماءِ المعتبرينَ إذا علموا أنَّ ذلكَ قد شاعَ . . أنْ يسكتوا عن بيانِ الحقِّ في ذلكَ وإظهارِهِ ، والردِّ علىٰ مَنْ أظهرَهُ واعتقدَهُ ؟

أفتونا مأجورينَ .

[فتوى الإمامِ العزِّ بنِ عبدِ السلامِ]

صورةُ جوابِ الشيخِ الإمامِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ :

القرآنُ كلامُ اللهِ ، صفةٌ مِنْ صفاتِهِ ، قديمٌ بقدمِهِ ، ليسَ بحروفٍ ولا أصواتٍ ، ومَنْ زعمَ أنَّ الوصفَ القديمَ هوَ عينُ أصواتِ القارئِ وكتابةِ الكاتبينَ . . فقد ألحدَ في الدينِ ، وخالفَ إجماعَ المسلمينَ ، بل إجماعَ العقلاءِ مِنْ غيرِ أهلِ الدينِ ، ولا يَحِلُّ للعلماءِ كتمانُ الحقِّ ، ولا تركُ البدعِ ساريةً في المسلمينَ .

ويجبُ علىٰ ولاةِ الأمرِ إعانةُ العلماءِ المُنزِّهينَ المُوحِّدينَ ، وقمعُ المبتدعةِ

= أصول الدين ، ورأيته يقول فيه : إن الإيمان غير مخلوق ؛ أقواله وأفعاله ، وإن حركات العباد مخلوقة ، لكن القديم يظهر فيها كظهور الكلام في ألفاظ العباد » انتهىٰ ، هـٰذا طرازٌ آخرُ في التخريف ، يدل علىٰ أنه قائل بالحلول علىٰ مذهب السالمية ، ومثله لا يمكن ترقيع كلامه) ، وقد سبق ذكر ابن الكيزاني في أكثر من موضع في هـٰذا الكتاب .

المُشبِّهينَ المُجسِّمينَ ، ومَنْ زعمَ أنَّ المعجزةَ قديمةٌ فقد جهلَ حقيقتَها ، ولا يَحِلُّ لولاةِ الأمرِ تمكينُ أمثالِ هـٰؤلاءِ مِنْ إفسادِ عقائدِ المسلمينَ ، ويجبُ عليهِم أنْ يلزموهُم بتصحيحِ عقائدِهِم بمباحثةِ العلماءِ المعتبرينَ ، فإنْ لم يفعلوا أُلجِئوا إلىٰ ذلكَ بالحبسِ والضربِ والتعزيرِ ، واللهُ أعلمُ .

وفي الأصلِ : كتبَ : عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ السلامِ[1]

[فتوى الإمامِ أبي عمرِو ابنِ الحاجبِ]

صورةُ جوابِ الشيخِ الإمامِ جمالِ الدينِ أبي عمرٍو عثمانَ ابنِ الحاجبِ المالكيِّ : مَنْ زعمَ أنَّ أصواتَ القارئِ وحروفَهُ المقطَّعةَ والأشكالَ التي يُصوِّرُها الكاتبُ في المصحفِ هوَ نفسُ كلامِ اللهِ تعالى القديمِ . . فقدِ ارتكبَ بدعةً عظيمةً وخالفَ الضرورةَ ، وسقطَتْ مكالمتُهُ في المناظرةِ فيهِ ، ولا يستقيمُ أنْ يُقالَ : إنَّ كلامَ اللهِ تعالى القديمَ القائمَ بذاتِهِ هوَ الذي جعلَهُ اللهُ معجزةً لرسولِهِ ؛ فإنَّ ذلكَ يُعلَمُ بأدنىٰ نظرٍ ، وإذا شاعَ ذلكَ ، أو سُئِلَ عنهُ العلماءُ . . وجبَ عليهِم بيانُ الحقِّ في ذلكَ وإظهارُهُ .

ويجبُ علىٰ مَنْ لهُ الأمرُ وفَّقَهُ اللهُ أخذُ مَنْ يعتقدُ ذلكَ ويُغرِّرُ بهِ ضعفاءَ المسلمينَ ، وزجرُهُ وتأديبُهُ وحبسُهُ عن مخالطةِ مَنْ يُخافُ منهُ إضلالُهُ إلىٰ أنْ تظهرَ توبتُهُ عنِ اعتقادِ مثلِ هـٰذهِ الخرافاتِ التي تأباها العقولُ السليمةُ ، واللهُ المُسلِّمُ .

في الأصلِ : كتبَ : عثمانُ ابنُ الحاجبِ[2]

(١) وقد سبقت ترجمته في (٢/ ٦٤ـ ٨٣) ، وهي ترجمة حافلة ، وفيها ذكرُ الحادثة التي وقعت له مع المشبهة في خصوص مسألة الكلام ، وانظر ما سيأتي أيضاً في خصوص هـٰذه الحادثة في (٢/ ٥٠٠ـ ٥١٩) .

(٢) وقد سبقت ترجمته (٢/ ٢١) .

[فتوى الإمامِ علمِ الدينِ أبي الحسنِ السخاويِّ]

صورةُ جوابِ الإمامِ علمِ الدينِ أبي الحسنِ عليٍّ السخاويِّ : كلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ قديمٌ ، صفةٌ مِنْ صفاتِهِ ، ليسَ بمخلوقٍ ، وأصواتُ القراءِ وحروفُ المصاحفِ أمرٌ خارجٌ عن ذلكَ ؛ ولهذا يُقالُ : (صوتٌ قبيحٌ) ، و(قراءةٌ غيرُ حسنةٍ) و(خطٌّ قبيحٌ غيرُ جيدٍ) ، ولو كانَ ذلكَ كلامَ اللهِ لم يجزْ ذمُّهُ على ما ذُكِرَ ؛ لأنَّ أصواتَ القراءِ بهِ تختلفُ باختلافِ مخارجِها ، واللهُ تعالى مُنزَّهٌ عن ذلكَ .

والقرآنُ عندَنا مكتوبٌ في المصاحفِ ، متلوٌّ في المحاريبِ ، محفوظٌ في الصدورِ ، غيرُ حالٍّ في شيءٍ مِنْ ذلكَ ، والمصحفُ عندَنا مُعظَّمٌ محترمٌ لا يجوزُ للمُحدِثِ مسُّهُ ، ومَنِ استخفَّ بهِ أوِ ازدراهُ فهوَ كافرٌ مباحُ الدمِ .

والصفةُ القديمةُ القائمةُ بذاتِهِ سبحانَهُ وتعالى ليستِ المعجزةَ ؛ لأنَّ المعجزةَ ما تحدَّى بها الرسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وطالبَ بالإتيانِ بمثلِهِ[1] ، ومعلومٌ أنَّهُ لم يتحدَّهُم بصفةِ البارئِ القديمةِ ، ولا طالبَهُم بالإتيانِ بها ، ومَنِ اعتقدَ ذلكَ وصرَّحَ بهِ ، أو دعا إليهِ . . فهوَ ضالٌّ مُبتدِعٌ ، بل خارجٌ عمَّا عليهِ العقلاءُ إلى تخليطِ المجانينِ ، والواجبُ على علماءِ المسلمينَ إذا ظهرَتْ هذهِ البدعةُ إخمادُها وتبيينُ الحقِّ ، واللهُ أعلمُ[2] .

(١) كذا في (أ ، ب) بتذكير الضمير ، وهو راجع على لفظ (ما) .

(٢) قال الإمام الكوثري في تعليقه على « السيف الصقيل » (ص٤٨ـ ٤٩) بعد أن نقل فتاوى العلماء السابقة : (انظر يا رعاك الله كيف كان العلماء يتكاتفون في قمع البدع وإحقاق الحق على اختلاف مذاهبهم في تلك العصور الزاهرة ، بخلاف غالب أهل العلم في زماننا هذا ؛ فإنَّ لهم منازعَ وراء اختلاف المذاهب ، لا يهمهم ذيوعُ الباطل ، وقد خانوا دينهم الذي ائتمنهم الله عليه ، وبه يعيشون ، ويوم الخائنين يوم رهيب) ، ولم يترجم إمامنا ابن المعلم=

صورةُ جوابِ القاضي الإمامِ العالمِ شمسِ الدينِ محمدٍ [. . .][1] .

* * *

= للإمام السخاوي مع كونه من أئمة الأشاعرة ، ويحتمل أنه ترجمه ضمن الأوراق الساقطة ، والله تعالىٰ أعلم .

وفي زماننا هٰذا اتَّسع الخرق على الراقع ، فإذا أردت أن تدفع شبهة من شبههم الكاذبة ، أو تدرأ مفسدة بسبب تدليساتهم الخائبة . . قام بعض المُترسِّمين بالعلم ممَّن أخذوا علمهم عن تقليد ، أو ممَّن في قلبه بعض حشوية وتشبيه ، وقال : كلامك هٰذا فيه تفريق بين المسلمين ، وكسر لبيضة الدين ، وناهيك عن بعض أهل العلم ممن هم في سبات عميق ، وليلٍ من الغفلة سحيق ، فحسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، وانظر فتوى القيرواني الآتية ؛ ففيها تأييد لكلام الإمام الكوثري رحمه الله تعالىٰ .

(١) ما بين معقوفين بياض في الأصل بمقدار نصف صفحة .

[الفتاوىٰ في ابنِ تيميةَ بعضُها انتهىٰ إلى التصنيفِ الكاملِ ، وبعضُها تجاوزَ الأوراقَ الكثيرةَ]

وقدِ استُفتِيَ فيمَنْ يقولُ بقولِكَ ، ونقلتُ لهُم نصَّ فتياكَ ، فكتبَ جماعةٌ مِنْ علماءِ عصرِنا عليكَ بالإنكارِ ، وذكرُ نصِّ فتياهُم يطولُ ؛ لأنَّ بعضَ الفتاوى انتهتْ إلى التصنيفِ الكاملِ ، وبعضَها تجاوزَ الأوراقَ الكثيرةَ ، وأخصرُ مَنْ رأيتُ أفتىٰ فيكَ شيخُ المشايخِ قطبُ الوقتِ أبو عبدِ اللهِ القرويُّ ، نفعَ اللهُ ببركتِهِ .

[فتوى الإمامِ محمدِ بنِ عبدِ الجبارِ القيروانيِّ في حقِّ ابنِ تيميةَ]

صورةُ جوابِ الشيخِ أبي عبدِ اللهِ القرويِّ : الحمدُ للهِ حقَّ حمدِهِ ، مَنْ كانَ بهـٰذهِ الصفةِ فضالٌّ زائغٌ عنِ الطريقِ ، فإنْ كانَ مُعتقِداً لذلكَ استُتيبَ ، فإنْ تابَ قُبِلَتْ توبتُهُ ، وإنْ لم يتبْ فاختلفَ في كفرِهِ ؛ فعلى القولِ بكفرِهِ فكالمرتدِّ ، وإلا ففاسقٌ يُسجَنُ ، ويُضرَبُ المرةَ بعدَ المرةِ ، ويتأكَّدُ ذلكَ في حقِّ مَنْ كانَ منظوراً إليهِ ومسموعاً منهُ .

ويجبُ منعُ الناسِ مِنَ الاجتماعِ بهِ بعدَ ظهورِ توبتِهِ ، وقد حذَّرَ العلماءُ منهُ تحذيراً شديداً ، ويُمنَعُ مِنَ الانتصابِ ، ويُمنَعُ مِنْ المكالمةِ معَهُ فيما يعتقدُهُ ، بل ليسَ إلا التوبةُ ، أو وقوعُ العقوبةِ بهِ ، وفي فتحِ بابِ الكلامِ معَهُم إشارةٌ لمجدِهِم وإظهارٌ لمعاليهِم ، وقد حذَّرَ العلماءُ مِنْ ذلكَ ، وفيهِ أيضاً تشكيكٌ للعوامِّ والضعفاءِ مِنَ المشتغلينَ ، فليسَ إلا حسمُ مادَّتِهِم ، وحملُهُم علىٰ طريقِ أهلِ الحقِّ .

وقد قالَ العلماءُ أيضاً : لا يجوزُ أنْ يُستعانَ بهِم في كتابةٍ ولا عملٍ مِنْ أعمالِ المسلمينَ ؛ لأنَّ فيهِ إرهاصاً لأهلِ الدينِ ، واللهُ أعلمُ .

كتبَهُ : محمدُ بنُ عبدِ الجبارِ القيروانيُّ[1]

* * *

(١) وانظر ما سبق (٢/ ١٦٧) من زيارة ابن المعلم لهـٰذا الإمام بعد كسره شوكة ابن تيمية .

[فهؤلاءِ] رحمَكُمُ اللهُ[1]، فتاوىٰ أهلِ الأمصارِ، وأقوالُ أهلِ الأعصارِ، سلفاً وخلفاً، وماضياً وأُنُفاً، طبقةً بعدَ طبقةٍ، مُبيِّنةٌ لحكمِ اللهِ فيكُم محققةٌ، نقلَها غابرٌ عن غابرٍ، وآثِرٌ عن دائرٍ، شاهدةً بما سمعتُم، فلا نبالي بئستُم بها أو نعمتُم.

ولعمرُ اللهِ؛ إنَّ تظافُرَ أربابِ المذاهبِ على اختلافِها، واجتماعَ أقوالِ الأمَّةِ وائتلافَها، واتِّفاقَ خَلَفِها معَ أسلافِها.. ينوبُ عنِ الإجماعِ، ويدفعُ عواديَ المماراةِ والنزاعِ؛ فإنَّ الأمةَ لا تُجمِعُ على الخَطَا، وإنَّها في ذلكَ أصدقُ مِنَ القَطَا.

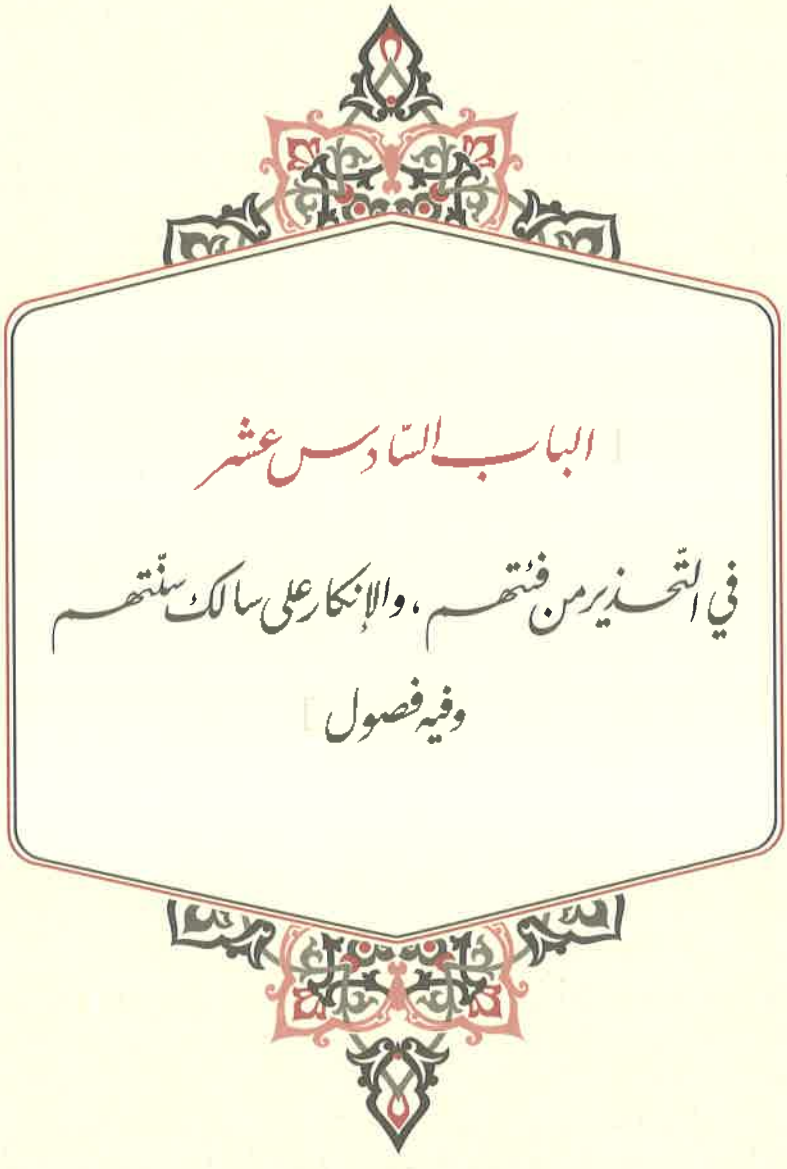
ولقد وافقتْ حكمَ الملكِ فيكُمُ المثبتَ في اللوحِ مِنْ فوقُ، فارجعوا إنْ كانَ لكُم إلى الحياةِ تَوْقٌ؛ فرأيُكُم معَ الجماعةِ أحبُّ مِنْ رأيِكُم وحدَكُم إلينا، وإنْ أبيتُم فعقوبةُ ذلكَ تعزُّ عليكُم لا علينا، والمرادُ بكُمُ اليسرُ لا العسرُ، والقصدُ لكُمُ الربحُ لا الخسرُ، والمأمولُ لكُمُ الهدايةُ لا الضلالُ، والأخوةُ في الإسلامِ تقتضي النصحَ لا النكالَ.

نسألُ اللهَ أنْ يهدينا ويهديكُم، ويكفَّ عنِ السوءِ ألسنتَكُم وأيديَكُم، ﴿قُلْ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾[2] [الأنبياء: ١١٢].

* * *

(١) ما بين معقوفين بياض بمقدار ورقة في الأصل، والمثبت متوافق مع السياق.

(٢) قراءة حفص: ﴿قَٰلَ رَبِّ﴾، والمثبت قراءة الباقين. انظر «إتحاف فضلاء البشر» (ص٣٩٥).



الباب السادس عشر

في التحذير من فتنهم، والإنكار على سالك سننهم

وفيه فصول

بابُ
التحذير من فتنهم، والإنكار على سالك سننهم
وفيه فصول

الفصل الأوّل
فيما ورد عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

روىٰ أبو سعيدِ الخدريُّ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلَكُمْ ؛ شِبْراً بِشِبْرٍ ، وَذِرَاعاً بِذِرَاعٍ ؛ حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَتَبِعْتُمُوهُمْ » ، قلنا : يا رسولَ اللهِ ؛ اليهودُ والنصارىٰ ؟ قالَ : « فَمَنْ ؟ »[1] .

ورُوِيَ عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أنَّهُ قالَ : « شَرُّ ٱلأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ »[2] .

وعن نافعٍ ، عنِ ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهُما قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أَعْرَضَ عَنْ صَاحِبِ بِدْعَةٍ بِوَجْهِهِ بُغْضاً لَهُ فِي ٱللهِ . . مَلأَ ٱللهُ قَلْبَهُ أَمْناً وَإِيمَاناً ، وَمَنِ ٱنْتَهَرَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ أَمَّنَهُ ٱللهُ يَوْمَ ٱلْفَزَعِ ٱلأَكْبَرِ ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَىٰ صَاحِبِ بِدْعَةٍ وَلَقِيَهُ بِٱلْبُشْرَىٰ وَٱسْتَقْبَلَهُ بِمَا يَسُرُّ . . فَقَدِ ٱسْتَخَفَّ بِمَا

(١) أخرجه البخاري (٧٣٢٠) ، ومسلم (٢٦٦٩) .

(٢) أخرجه مسلم (٨٦٧) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

أُنْزِلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ »[1] .

وفي روايةٍ عنِ ابنِ عمرَ مثلُهُ ، وزادَ : « وَمَنْ أَهَانَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ رَفَعَهُ ٱللهُ فِي ٱلْجَنَّةِ دَرَجَةً »[2] .

والأحاديثُ في ذلكَ كثيرةٌ ، وقصدُنا الاختصارُ .

* * *

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/١٩٩) ، وانظر « تنزيه الشريعة المرفوعة » (١/٣١٤) .

(٢) أخرجها الخطيب البغدادي في « تاريخه » (٢٠/١٠١) .

الفصل الثاني

فيما ورد في ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم

روى الحارثُ الهَمْدانيُّ قالَ : بلغَ عليّاً رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ قوماً مِنْ عسكرِهِ فوَّضوا وشبَّهوا ، فأتىٰ فخطبَ الناسَ ، فحمدَ اللهَ وأثنىٰ عليهِ بما هو أهلُهُ ، ثمَّ قالَ : أيُّها الناسُ ؛ اتقوا هٰذهِ المارجةَ ، قالوا : وما المارجةُ ؟ قالَ : قومٌ يُشبِّهونَ اللهَ تعالىٰ بأنفسِهم ، قالَ : يُضاهونَ قولَ الذينَ كفروا مِنْ قبلُ[1] .

وعن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ : سيرجعُ قومٌ مِنْ هٰذهِ الأمةِ عندَ اقترابِ الساعةِ كُفَّاراً ، فقالَ رجلٌ : يا أميرَ المؤمنينَ ؛ كفرُهُم بماذا ؟ أبالإحداثِ أم بالإنكارِ ؟ فقالَ : بل بالإنكارِ ؛ ينكرونَ خالقَهُم فيصفونَهُ بالجسمِ والأعضاءِ ، أولٰئكَ لا خلاقَ لهُم في الآخرةِ ، ولهُم عذابٌ أليمٌ .

وروىٰ عيسى بنُ زيدٍ ، عن إبراهيمَ النخَعيِّ قالَ : مرَّ عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ بحلقةٍ ورجلٌ يُحدِّثُهُم عنِ التوراةِ ، فقامَ عندَهُم ، فسكتَ الرجلُ المذكورُ ، فقالَ عبدُ اللهِ : ما يُحدِّثُكُم صاحبُكُم هٰذا ؟ قالوا : حدَّثَنا عنِ التوراةِ وعن ربِّنا ، فقالَ : عن ربِّكُم ماذا ؟! إنَّهُ لا يُحدَّثُ عنِ اللهِ إلا بالتحقيقِ إيماناً بالغيبِ لا تدركُهُ الأبصارُ ، ولا يحيطُ بهِ علمٌ .

قالوا : حدَّثَنا أنَّ اللهَ لمَّا خلقَ السماواتِ والأرضَ صَعِدَ إلى السماءِ مِنْ بيتِ المقدسِ ، فوضعَ قدمَهُ على الصخرةِ ، وأنَّهُ ينزلُ إلى السماءِ الدنيا ليلةَ النصفِ مِنْ شعبانَ .

(١) أخرجه الربيع بن حبيب في « مسنده » (٨٣٦) ، وفيه : (المارقة) بدل (المارجة) في الموضعين .

فقالَ ابنُ مسعودٍ رضيَ اللهُ عنهُ : إنَّا للهُ وإنَّا إليهِ راجعونَ ، أكفرٌ بعدَ إيمانٍ ؟! ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النساء : ٨٩] ، ألا قلتُم كما قالَ إبراهيمُ : ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٦] .

ألا إنَّ ربَّكُم ليسَ بزائلٍ ، فاتَّهِمُوا اليهودَ علىٰ دينِكُم ؛ فإنَّهُم سيُضِلُّونَ مِنْ هٰذهِ الأمةِ أقواماً كما أضلَّ بولسُ أصحابَ عيسىٰ ، **ألا إنَّ ربَّكُم** ليسَ بزائلٍ ، فاتقوا أنْ تشركوا باللهِ شيئاً ، **ألا إنَّ الشركَ** بضعٌ وسبعونَ باباً ، **ألا إنَّ الشركَ** أخفىٰ مِنْ ذرَّةٍ سوداءَ ، **ألا إنَّ الشركَ** أخفىٰ مِنْ دبيبِ النملِ في ليلةٍ ظلماءَ علىٰ صخرةٍ سوداءَ ، **ألا مَنْ وصفَ** اللهَ بأنَّهُ زائلٌ فقد أنكرَهُ ، **ألا لا تُصدِّقوا** اليهودَ على التوراةِ ؛ فإنَّهُ ليسَ في التوراةِ تكذيبٌ لقرآنِكُم ، فما صدَّقَهُ قرآنُكُم فصدِّقُوهُ ، وما خالفَهُ قرآنُكُم فكذِّبُوهُ ؛ فإنَّهُ سيكونُ رجالٌ مِنْ هٰذهِ الأمةِ يتَّخذُهُمُ الناسُ رؤساءَ وقادةً يتحوَّلونَ عنِ الإيمانِ إلى الكفرِ كما يتحوَّلُ الرجلُ مِنْ دارٍ ، يصفونَ اللهَ بالحدِّ ، وسبحانَ اللهِ عمَّا يصفونَ !!

* * *

الفصل الثالث

فيما جاء من ذلك عن التابعين والصلحاء

رُوِيَ عنِ الفضيلِ بنِ عياضٍ قالَ : (مَنْ أحبَّ صاحبَ بدعةٍ أحبطَ اللهُ عملَهُ ، وأخرجَ نورَ الإسلامِ مِنْ قلبِهِ)[1] .

وقالَ : (إذا رأيتَ مبتدعاً في طريقٍ فخذْ في طريقٍ أخرىٰ)[2] .

وقالَ : (لا يرتفعُ لصاحبِ بدعةٍ إلى اللهِ عملٌ)[3] .

وقالَ : (مَنْ زوَّجَ كريمتَهُ مِنْ مبتدعٍ فقد قطعَ رحمَها)[4] .

وقالَ : (نظرُ المؤمنِ إلى المؤمنِ جلاءُ القلبِ ، ونظرُ الرجلِ إلىٰ صاحبِ البدعةِ يُورِثُ العمىٰ)[5] .

وقالَ : (أكلٌ عندَ اليهوديِّ والنصرانيِّ أحبُّ إليَّ مِنْ أكلٍ عندَ صاحبِ بدعةٍ ؛ فإنِّي إذا أكلتُ عندَهُما لا يُقتدىٰ بي ، وإذا أكلتُ عندَ صاحبِ بدعةٍ اقتدى الناسُ بي ، وعملٌ قليلٌ في سُنَّةٍ خيرٌ مِنْ عملٍ كثيرٍ مِنْ صاحبِ بدعةٍ .

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٣) .

(٢) أخرجه ابن بطة في « الإبانة الكبرىٰ » (٤٩٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٣) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٣) .

(٤) أخرجه ابن حبان في « الثقات » (١٢٧٧٩) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٣) من كلام الفضيل ، وأخرجه ابن حبان في « الثقات » (١٣١٦٣) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٤/ ٣١٤) ، والبيهقي في « الشعب » (٨٣٣٤) من كلام الشعبي رحمه الله تعالىٰ ، وأخرجه ابن حبان في « المجروحين » (١/ ٢٣٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً .

(٥) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٣) .

ومَنْ جلسَ معَ صاحبِ بدعةٍ لم يُعطَ الحكمةَ ، ومَنْ جلسَ إلىٰ صاحبِ بدعةٍ فاحذروهُ ، وصاحبَ بدعةٍ لا تأمنْهُ في دينِكَ ، ولا تُشاوِرْهُ في أمرِكَ ، ولا تجلسْ إليهِ ، فمَنْ جلسَ إليهِ أورثَـهُ العمىٰ .

وإذا علمَ اللهُ مِنْ رجلٍ أنَّهُ مبغضٌ لصاحبِ بدعةٍ . . رجوتُ أنْ يغفرَ اللهُ لهُ وإنْ قلَّ عملُهُ .

وصاحبُ البدعةِ لا يرتفعُ لهُ عملٌ وإنْ كَثُرَ عملُهُ)[1] .

وقالَ الفضيلُ أيضاً : (إنَّ للهِ ملائكةً يطلبونَ حِلَقَ الذكرِ ، فانظرْ معَ مَنْ يكونُ مجلسُكَ ؛ لا يكونُ معَ صاحبِ بدعةٍ ؛ فإنَّ اللهَ لا ينظرُ إليهم ، **وعلامةُ النفاقِ** : أنْ يقومَ الرجلُ ويقعدَ معَ صاحبِ بدعةٍ)[2] .

وقالَ رضيَ اللهُ عنهُ : (**مِنْ علامةِ البلاءِ** : أنْ يكونَ الرجلُ صاحبَ بدعةٍ)[3] ، [. . .][4] .

[هل يُعتبَرُ التقشُّفُ وكثرةُ العبادةِ مِنْ أصحابِ البدعِ ؟]

فإنْ قيلَ : فما بالُنا نرىٰ أكثرَ مَنْ يعتقدُ هـٰذا الاعتقادَ يُظهِرُ التقشُّفَ والتنسُّكَ ، ويُكثِرُ مِنَ الصلاةِ والصومِ والاحترازِ عنِ النجاسةِ ، ويَظهَرُ علىٰ أيديهِم ما يُشبِهُ الكراماتِ ، وربَّما يُخبِرونَ بالمُغيَّباتِ ؟

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٣) .

(٢) أخرجه ابن بطة في « الإبانة » (٤٣٨) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٤) .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٠٨) .

(٤) ما بين معقوفين بياض في الأصل بمقدار نصف صفحة .

هـٰذا ؛ ومن العجب أن بعض أئمة الحشوية والمشبهة قديماً وحديثاً يسوقون هـٰذه الآثار وأمثالها للتحذير من الفرق المبتدعة !! ويجهلون أو يتجاهلون أنها وردت فيهم وفي أمثالهم ممن خالفوا عقيدة أهل السنة والجماعة التي دعمها ودافع عنها إمام أهل السنة والجماعة أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالىٰ .

قلنا : أمَّا إظهارُ التقشُّفِ والورعِ وكثرةِ الأعمالِ . . فكالهباءِ ؛ لوجهينِ :

أحدُهُما : أنَّ فيهِم مَنْ يفعلُ ذلكَ تصنُّعاً ؛ لتنقادَ إليهِ العامَّةُ وتُحسِنَ الظنَّ بهِ وتُقلِّدَهُ في معتقدِهِ الفاسدِ ، فيفعلُ ذلكَ كيداً وشَرَكاً وأُحبولةً على صيدِ عقولِ الأغمارِ الذينَ ليسَ لهُم معرفةٌ .

والوجهُ الثاني : أنَّ رأسَ المالِ في ذلكَ كلِّهِ الإخلاصُ ، والإخلاصُ رأسُ مالِهِ الإيمانُ ، والإيمانُ مخدوشٌ مخدوجٌ بهذا الاعتقادِ الفاسدِ[1] .

وكأنَّ إبليسَ لعنَهُ اللهُ قالَ لهُم : ارجعوا إليَّ في أنْ تعبدوا غيرَ ربِّكُم ، أو في أنْ تُنقِّصوهُ ، أو تعتقدوا أنَّهُ على صفةِ النقصِ ، ولكُم عليَّ ألا أُطالبَكُم بأمرٍ آخرَ ، ولا أُثبِّطَكُم عن عملٍ تعملونَهُ وتُتعبونَ بهِ أجسادَكُم وتنصبونَ بهِ أبدانَكُم لا يُنتَجُ لكُم منهُ نتيجةٌ ولا يعودُ عليكُم منهُ نفعٌ ، ومصداقُ ذلكَ : في الكتابِ العزيزِ ؛ قالَ اللهُ تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴾ [الغاشية : ٢ـ٥] .

[السببُ في ظهورِ الخوارقِ على يدِ بعضِ المبتدعةِ]

والجوابُ عن سؤالِ الكراماتِ أيضاً مِنْ وجهينِ :

[الجوابُ الأولُ] : أنَّ اللهَ تعالى لهُ في ملكِهِ سرٌّ وإرادةٌ في اختلافِ الأديانِ واختلافِ الأهواءِ ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [هود : ١١٨] ، ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس : ٩٩] ، فربَّما قدَّرَ اللهُ وقوعَ شيءٍ مِنْ ذلكَ ؛ فتنةً لمَنْ يتَّبعُهُم ، وزيادةً في ضلالِهِ ، وهوَ يفعلُ ما يشاءُ ويحكمُ ما يريدُ ، ويكفي ما وردَ في الحديثِ الصحيحِ : أنَّ الدجَّالَ يُعطى الإحياءَ في

(١) المخدوج : الناقص .

الرجلِ الذي يضعُ المنشارَ على رأسِهِ حتىٰ يقدَّهُ بنصفينِ ، ويقولُ : أرأيتُم إنْ أحييتُهُ لكُم ؟ أتشكُّون في الأمرِ ؟

فيقولُ الأغمارُ الذينَ ليسَ لهُم ملاحظةٌ لبواطنِ الأمورِ ومعرفةٌ بعلاماتِ الإلـٰهيةِ وما يجبُ لها ويستحيلُ عليها : إنِ اتَّفقَ ذلكَ لا نشكُّ ، فيُحييهِ ويقولُ : أتؤمنُ بي ؟ فيقولُ : ما كنتُ قطُّ أبصرَ بي منكَ الآنَ ، أنتَ المسيحُ الدجَّالُ[1] .

وما كانَ كذلكَ إلا لأنَّ قدمَهُ راسخةٌ في العلمِ بحقوقِ الإلـٰهيةِ ، وأولـٰئكَ جُهَّالٌ أغمارٌ ، **وكذلكَ هـٰؤلاءِ القومُ لا يتَّبعُهُم علىٰ معتقداتِهِم إلا أجلافُ الفلاحينَ ، وجفاةُ الحمَّالينَ**[2] .

والجوابُ الثاني : أنَّ المُمخرِقينَ ربَّما يظهرُ عليهِم ما يشبهُ الكراماتِ[3] ، ويخبرونَ بالمُغيَّباتِ ، وكذلكَ الرهبانُ ، ومعَ ذلكَ فلا يُعتقَدُ في أحدٍ منهُم أنَّهُ على الحقِّ ، ولا يغترُّ بذلكَ إلا مَنْ جهلَ حقَّ الحقِّ ، ولم يكُ في قلبِهِ مِنَ التعظيمِ مثقالُ ذرَّةٍ .

روىٰ يونسُ بنُ عبدِ الأعلىٰ قالَ : قالَ صاحبُنا ـ يريدُ : الليثَ بنَ سعدٍ ـ : لو رأيتُ صاحبَ هوىً يمشي على الماءِ ما قبلتُهُ ، فقالَ الشافعيُّ رضيَ اللهُ

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٨/ ١١٣) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وعقيدة التشبيه من العقائد المُسهِّلة لافتتان الناس بالمسيح الدجال ، والخروج عن ربق العبودية للواحد ذي الجلال ؛ إذ عقيدة التشبيه والتجسيم مأخوذة من عقائد يهودية تجلبب بهـٰذه العقيدة دعاتها ممن يدعون اتباع السلف ؛ لإضلال العوام وفتنتهم ، والوصول إلىٰ غايات دنيوية فانية ، وللمؤلف نظرة ثاقبة في ذلك أشار إليها في (١/ ٩١) .

(٢) انظر ما سيأتي تعليقاً (٢/ ٥٢٣ـ ٥٢٤) .

(٣) المُمخرِق : المموِّهُ .

عنهُ : أَمَا إنَّهُ حصرَ ؛ لو رأيتُهُ يمشي في الهواءِ أيضاً ما قبلتُهُ[1] .

وروىٰ عبدُ الرحمٰنِ بنُ عمرَ قالَ : ذُكِرَ عندَ عبدِ الرحمٰنِ بنِ مهديٍّ قومٌ مِنْ أهلِ البدعةِ واجتهادُهُم في العبادةِ ، فقالَ : لا يقبلُ اللهُ إلا ما كانَ على الأمرِ والسنَّةِ ، ثمَّ قرأ ﴿ وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ . . . ﴾ إلىٰ آخرِ الآيةِ [الحديد : ٢٧] ، فلم تُقبَلْ منهُم ووبَّخَهُم عليها ، ثمَّ قالَ : الزمِ الطريقَ والسنَّةَ[2] .

وقالَ : سألتُ عبدَ الرحمٰنِ : الرجلُ يكتبُ عهدَهُ أو تكونُ لهُ خصومةٌ ، فيأتي إلىٰ أهلِ البدعِ ؟ قالَ : لا ، مشيُكَ إليهِم توقيرٌ ، وقد جاءَ فيمَنْ وقَّرَ صاحبَ بدعةٍ ما جاءَ[3] .

* * *

(١) أخرجه البيهقي في « مناقب الشافعي » (١/ ٤٥٣) ، وفيه : (قصَّر) بدل (حصر) ، وهو في « الحلية » (٩/ ١١٦) دون قول الإمام الشافعي .

(٢) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٨) ، والطريقُ والسنة ما عليه جماهير علماء الأمة أتباع الإمامين الأشعري والماتريدي رحمهما الله تعالىٰ .

(٣) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٩/ ٨) ، وانظر ما سبق من الآثار (٢/ ٤٨١ـ٤٨٦) .

الفصل الرابع

في ذكر تواريخ تنبئ مَن وقف عليها مِن بعد على مقاصدهم ويظهر له الكامن من مكايدهم

اعلموا وفَّقنا اللهُ وإيَّاكم : أنَّ ممَّا أوضحَتْهُ التواريخُ ودلَّتْ عليهِ التجاربُ : أنَّ هـٰؤلاءِ لم يزالوا في كلِّ وقتٍ وأوانٍ يُوسِعونَ الحيلةَ ويُعمِلونَ الفكرةَ في أذىٰ أهلِ السنَّةِ والتنزيهِ ، **والسببُ في ذلكَ** : أنَّهُم يتحيَّلونَ على القربِ مِنَ الملوكِ والخلفاءِ ، فإنْ لم يمكنْهُم تقرَّبوا مِنَ الأمراءِ ووجوهِ الدولةِ ، ويبثُّونَ الدعاةَ مُتستِّرينَ غيرَ مُظهِري بدعتِهم ، ثمَّ يسرقونَ عقولَهُم مِنْ حيثُ لا يشعرونَ ، فترجعُ إليهِمُ الدعاةُ ويخبرونَهُم بما وصلَتْ حالُهُم إليهِ ؛ كلُّ إنسانٍ معَ مَنْ يصحبُهُ .

فإذا أوثقوا أمرَهُم أظهروا بدعتَهُم ، فيحصلُ لهُم بعضُ المقصودِ مِنْ نكايةِ أهلِ السنَّةِ زمناً ما ، لـٰكنَّ اللهَ يردُّ كيدَهُم ، ويُضعِفُ قوَّتَهُم وأيدَهم ، ويعيدُ الحقَّ إلىٰ نصابِهِ ، والعزَّ إلىٰ أهلِ السنَّةِ الذينَ هم أولىٰ بهِ ، ولله العزةُ ولرسولِهِ وللمؤمنينَ .

انظرْ ما اتَّفقَ لهُم حينَ ولَّى المأمونُ محمدَ بنَ عبدِ الرحمـٰنِ المخزوميَّ قضاءَ عسكرِ المهديِّ ، فأعملَ بشرُ بنُ الوليدِ الحيلةَ حتىٰ عزلَ محمداً ، وولاهُ المأمونُ القضاءَ بالجهةِ المذكورةِ ، وفي ذلكَ يقولُ محمدٌ : [من الكامل]

يَـا أَيُّهَـا ٱلْمَلِـكُ ٱلْمُعَظَّـمُ رَبَّـهُ قَاضِيكَ بِشْرُ بْنُ ٱلْوَلِيدِ حِمَارُ
يَنْفِي شَهَـادَةَ مَـنْ يَـدِيـنُ بِمَـا بِـهِ نَطَـقَ ٱلْكِتَـابُ وَجَـاءَتِ ٱلأَخْبَـارُ

وَيَعُدُّ عَدْلاً مَنْ يَقُولُ بِأَنَّهُ شَيْخٌ يُحِيطُ بِجِسْمِهِ ٱلأَقْطَارُ[1]

تعالى اللهُ عن ذلكَ .

[مكيدةُ وفتنةُ المبتدعةِ زمنَ الإمامِ أبي القاسمِ القشيريِّ]

ومِنْ ذلكَ : أنَّ الملكَ طُغْرُلْبَكَ المُكنَّى أبا طالبٍ محمدَ بنَ ميكائيلَ كانَ حنفيّاً سنيّاً ، وكانَ لهُ وزيرٌ يُلقَّبُ بـ (عميدِ المُلْكِ) أبي نصرِ بنِ منصورِ بنِ محمدٍ الكُنْدُريِّ ، وكانَ معتزليّاً رافضيّاً ، فأمرَ السلطانُ بلعنِ المبتدعةِ ، فسُقِطَ في يدِ الوزيرِ ، وجعلَ يعملُ في درءِ هٰذا الأمرِ عنهُ وعن طائفتِهِ ، فدسَّ عليهِ بعضُ الشياطينِ مَنْ نبَّهَهُ لمخزيةٍ ؛ وهيَ أنْ يلعنَ الطائفةَ الأشعريَّةَ المبتدعةَ ؛ ستراً لحالِهِ ، فتمَّتْ لهُ الحيلةُ ولهُم ، فأمرَ بلعنِهِم ، فامتحنَ حينَئذٍ الأماثلَ ، وعَزلَ أبا عثمانَ بنَ الصابونيِّ عن خطابةِ نيسابورَ ، وولاها بعضَ الحنفيةِ ، وخرجَ حينَئذٍ الإمامُ أبو المعالي الجوينيُّ إمامُ الحرمينِ والأستاذُ أبو القاسمِ القشيريُّ ، وهانَ عليهِما [في مخالفتِهِ] مفارقةُ وطنِهِما ، وتولَّى مكانَ الإمامِ في التدريسِ مَنْ يُكنِّي عنهُ في « النهايةِ » بـ (بعضِ المُصنِّفينَ)[2] .

سمعتُ هٰذهِ الحكايةَ مِنْ شيخِنا الأستاذِ الإمامِ قاضي القضاةِ وجيهِ الدينِ البهنسيِّ[3] .

(١) كذا أورد ابن المعلم القصة بهٰذا السياق ، وفي المصادر والمراجع أن بشر بن الوليد من أئمة أهل السنة وممن قاموا على المبتدعة كالمعتزلة ، وأن قائل هٰذه الأبيات من المعتزلة ذامّاً له ، وقوله : (شيخ يحيط بجسمه الأقطار) هو على اعتقاد المعتزلة في نسبة أهل السنة إلى التجسيم والتشبيه ، وكأن المؤلف توهَّم من هٰذه العبارة كونَ بشر بن الوليد من المشبهة والمجسمة ، فساق القصة على النحو المذكور ، والله تعالى أعلم . انظر « الكامل في التاريخ » (٥/ ٥٣٥) ، و« الجواهر المضية » (١/ ١٦٦) .

(٢) لعله الإمام أبو القاسم الفُوراني صاحب « الإبانة » ، والله تعالى أعلم .

(٣) وانظر ما سبق حول فتنة الكندري (١/ ٣٢٩) وما بعدها .

ورأيتُ بعدَ ذلكَ الإمامَ الأستاذَ أبا القاسمِ ابنَ عساكرَ ذكرَ أكثرَها كذلكَ ، وأوردَ للأستاذِ أبي القاسمِ القشيريِّ رسالةً كتبَها إلىٰ أهلِ الآفاقِ يستنصرُ ببواطنِهم وظواهرِهم علىٰ أهلِ الابتداعِ ، أبدعَ فيها كلَّ الإبداعِ[1] .

(١) زاد في (أ ، ب) : (الحمد لله المجمل في بلائه ، المجزل في عطائه ، العدل في قضائه ، المكرم لأوليائه ، المنتقم من أعدائه ، الناصر لدينه بإيضاح الحق وتبيينه ، المبيد للإفك وأهله ، المجتث الباطلَ من أصله ، فاضح البدع بلسان العلماء ، وممهل الغُواة غير مهملهم ، ومجازٍ كلّاً غداً علىٰ مقتضىٰ عملِهم .

نحمده علىٰ ما عرَّفنا من توحيده ، ونستوفقه علىٰ أداء ما كلَّفنا من رعاية حدوده ، ونستعصمه من الخطأ والخطل ، والزيغ والزلل ، في القول والعمل ، ونسأله أن يصلي علىٰ سيدنا المصطفىٰ ، وآله مصابيح الدجا ، وأصحابه أئمة الورىٰ .

هٰذهِ قصة سمَّيناها : « شكاية أهل السنة ما حصل لهم من المحنة » ، تُخبِرُ عن بَثَّة مكروب ، ونَفْثة مغلوب ، وشرح ملم مؤلم ، وذكر مهم موهم ، وبيان خطب فادحٍ ، ونشر سانح ، للقلوب جارح ، رفعها عبد الكريم بن هوازن القشيري إلى العلماء والأعلام ، بجميع بلاد الإسلام .

أمَّا بعد :

فإنَّ الله إذا أراد أمراً قدَّره ، فمن الذي أمسك ما يسَّره ، أو قدَّم ما أخَّره ، أو غلبه علىٰ أمر وقهرَهُ ؟! كلاَّ ، بل هو الله الواحد القهار ، الماجد الجبار .

ومما ظهر ببلدة نيسابورَ من قضايا التقدير ، مفتتحَ سنة خمس وأربعين وأربع مئة من الهجرة . . ما دعا أهل الدين إلىٰ شق صدور صبرهم ، وكشف قناع ضُرِّهم ، بل ظلَّت الملَّةُ الحنيفية تشكو غليلها ، وتبدي عويلها ، وتنصب عَزالي رحمة الله علىٰ من يسمع شَكْوها ، وتصغي ملائكة السماء حين تندب شَجْوها ؛ وذلك من لعن إمام الدين ، وسراج ذوي اليقين ، محيي السنة ، وقامع البدعة ، وناصر الحق ، وناصح الخلق ، الولي الرضي ، أبي الحسن الأشعريِّ ، قدَّس الله روحه ، وسقىٰ بماء الرحمة ضريحه .

وهو الذي ذبَّ عن الدين بأوضح حُجَجٍ ، وسلك في قمع المبتدعة وسائر أنواع المعتزلة أبينَ نَهَجٍ ، واستنفد عمره في الفحص عن الحق .

ولمَّا مَنَّ الله الكريم علىٰ أهل الإسلام بزمان السلطان المعظَّم المُحكَّم ، بالقوَّة السماوية في رقاب الأمم ، يمينِ خليفة الله ، وغياث عباد الله ؛ طُغْرُلْبَك أبي طالب محمد بن ميكائيل ، وقام بإحياء السنة ، والمناضلة عن الملة ، حتىٰ لم يبق من أصناف المبتدعة حزباً إلاَّ سلَّ =

.

لاستئصالهم سيفاً عضباً ، وأذاقهم ذُلاً وخسفاً ، ونسف آثارهم نسفاً . . حرجت صدور أهل البدع عن تحمل هٰذه النِّقَم ، وضاق صبرهم عن مقاساة هٰذا الألم ، ومُنُوا بلعن أنفسهم على رؤوس الأشهاد بألسنتهم ، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت بانفرادهم بالوقوع في مَهْواة محنتهم ، فسوَّلت لهم أنفسهم أمراً ، وظنُّوا أنَّهم [بنوعٍ] تخنيس ، أو ضرب تدليس ، [لعلهم] يجدون لعسرهم يسراً .

فسعَوْا إلى عالي مجلس السلطان بنوع نميمة ، ونسبوا الأشعري إلى مذاهب ذميمة ، وحكَوْا عنه مقالاتٍ لا يوجد في كتبه منها حرفٌ ، ولم يُرَ في المقالات المصنفة للمتكلمين الموافقين والمخالفين من وقت الأوائل إلى زماننا هٰذا لشيء منها . . حكايةٌ ولا وصفٌ ، بل كلُّ ذلك تزوير ، وبهتان بغير تقرير .

ثم قال : « وما نَقَمُوا من الأشعري إلا أنه قال كذا وكذا . . . » ، وذكر معتقده ، ثم قال في آخره : « وما لا يخفى من مسائل الأصول التي تخالف طريقُهُ طريقةَ المعتزلة والمجسمة فيها .

معاشرَ المسلمينَ ؛ الغياثَ الغياثَ ، سعوا في إبطال الدين ، وراموا هدم قواعد المسلمين ، وهيهات هيهات ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ ﴾ [التوبة : ٣٢] !! وقد وعد الله للحق نصره وظهوره ، وللباطل محقه وثبوره » .

ثم قال : « ولمَّا ظهر ابتداء هٰذه الفتنة بنيسابور ، وانتشر في الآفاق خبرُهُ ، وعظم على قلوب كافة المسلمين من أهل السنة والجماعة أثره ، ولم يبعدْ أن يخامر قلوبَ بعض أهل السلامة والوداعة توهُّمٌ في بعض هٰذه المسائل أن الإمام أبا الحسن قال ببعض هٰذه المقالات في كتبه ، ولقد قيلَ : « مَنْ يسمعْ يَخَلْ » . . أثبتْنا هٰذه الفصول في شرح هٰذه الحالة ، وأوضحنا صورة الأمر بذكر هٰذه الجملة ؛ ليصرف كلُّ من كان من أهل السنة مُهمَّه في الانتصار لدين الله تعالى ؛ من دعاء يخلصه ، واهتمام يصدقه ، وكَلٌّ عن قلوبنا بالاستماع إلى هٰذه القصة يحمله ، بل ثواب من الله تعالى على التوجُّع بذلك يستوجبه ، والله غالب على أمره ، وله الحمد على ما يمضيه من أحكامه ويبرمه ، ويقضيه من أفعاله فيما يؤخره ويقدمه .

وصلواتُهُ على سيدنا المصطفى وسلامُهُ ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ») .

وفي هامشها : (مرَّت هٰذه الرسالة ، فلا تكتب بعد قولي : « الإبداع » ، وقد قدَّمتُها في « باب فضائل أبي الحسن » ، وكأنَّ ذكرها هنا أمسُّ من هناك) ، وفيها اختلاف في الألفاظ وسقط يسير عما ورد سابقاً . انظر (١/ ٣٣٢ـ٣٣٦) .

قالَ الحافظُ ابنُ عساكرَ ـ وغيرُهُ معنىً ، واللفظُ لابنِ عساكرَ ـ : فلم يكنْ إلا يسيراً حتىٰ تقشَّعَتْ تلكَ الضبابةُ[1] ، وتبدَّدَ بهُلْكِ الوزيرِ شملُ تلكَ العصابةِ ، ومات ذلكَ السلطانُ ، ووليَ ابنُهُ ألب أرسلان[2] ، واستوزرَ الوزيرَ الكاملَ ، والصدرَ العالمَ العاملَ أبا عليٍّ الحسنَ ابنَ إسحاقَ[3] ، فأعزَّ أهلَ السنَّةِ وقمعَ أهلَ البدعةِ والنفاقِ ، وأمرَ بإسقاطِ ذكرِهم مِنَ السبِّ ، وإفرادِ مَنْ عداهُم مِنَ المبتدعةِ باللعنِ والثلبِ ، واسترجعَ مَنْ خرجَ منهُم إلىٰ وطَنِهِ ، واستقدمَهُ مُكرَّماً بعدَ بُعدِهِ وظَعَنِهِ ، وبنىٰ لهُمُ المساجدَ والمدارسَ ، وعقدَ لهُمُ الحِلَقَ والمجالسَ ، وبُنِيَ لهُمُ الجامعُ المَنيعيُّ في أيامِ ذلكَ السلطانِ[4] .

وكانَ ذلكَ تداركاً لما سلفَ في حقِّهم مِنَ الامتحانِ ، فاستقامَ في وزارتِهِ [الدينُ] بعدَ اعوجاجِهِ ، وصفا عيشُ أهلِ السنَّةِ بعدَ تكدُّرِهِ وامتزاجِهِ ، واستقرَّ الأمرُ بيُمْنِ نقيبتِهِ علىٰ ذلكَ إلىٰ هـٰذا الوقتِ[5] ، ونُظِرَ أربابُ البدعِ بعينِ

(١) في « التبيين » : (السحابة) .

(٢) كذا في نسختينا و« التبيين » ، وإنما هو ابن أخيه . انظر « سير أعلام النبلاء » (١٨/ ٤١٤)، و« شذرات الذهب » (٥/ ٢٧٣) .

(٣) في « التبيين » : (العادل) بدل (العامل) ، وهـٰذا الوزير هو : الإمام الشهيد الفاضل الصالح العادل ، صاحب المناقب الكثيرة التي لا تعد ولا تحصىٰ : أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي الملقب بـ (نظام الملك) (ت٤٨٥هـ) ، وهو باني المدارس العديدة التي شُهرت باسمه ، ومن أشهرها : نظامية بغداد التي درَّس بها كبار الأئمة ؛ كالإمام أبي إسحاق الشيرازي ، والإمام ابن الصباغ صاحب « الشامل » ، والإمام الغزالي ، وغيرهم رحمهم الله تعالىٰ ، وانظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٣٠٩) وما بعدها .

(٤) والباني لهـٰذا الجامع : هو أبو علي حسان بن سعيد المخزومي الرئيس المَنيعي الحاجِّي (ت٤٦٣هـ)، وقد بنىٰ هـٰذا الجامعَ من خالص ماله ، وأنفق في بنائه الأموال الجزيلة ، وكان خطيبه الإمام الكبير أبا المعالي الجويني . انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٤/ ٣٠٠).

(٥) يقال : رجل ميمون النقيبة؛ إذا كان مبارك النفس، مظفَّراً بما يحاول ، مُنجَح الفعال ، نافذ الرأي .

الاحتقارِ والمقتِ ، ولم يضرَّ جمعَ الفرقةِ المنصورةِ ، ما فرطَ في حقِّهم في المدَّةِ اليسيرةِ ، ممَّنْ قصدَهُم بالمساءةِ ، ورماهُم بالشناعةِ ؛ لما ظهرَ بهِم مِنَ اللعنِ ؛ إذْ كانوا بُرآءَ عندَ العقلاءِ والعلماءِ مِنَ الابتداعِ والذمِّ والطعنِ ، ولهُم في أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضيَ اللهُ عنهُ أسوةٌ حسنةٌ ؛ فقد كانَ يُسَبُّ على المنابرِ في الدولةِ الأمويةِ نحواً مِنْ ثمانينَ سنةً ، فما ضرَّ ذلكَ عليّاً رضوانُ اللهِ عليهِ ، ولا التحقَ بهِ ما نُسِبَ إليهِ .

وقُتِلَ الوزيرُ شرَّ قِتْلةٍ ، بعدَ أنْ مُثِّلَ بهِ كلَّ مُثْلةٍ[1] ، وفيهِ يقولُ الأستاذُ أبو القاسمِ القشيريُّ : [من الوافر]

عَمِيدَ ٱلْمُلْكِ سَاعَدَكَ ٱللَّيَالِي ... عَلَىٰ مَا رُمْتَ مِنْ دَرَكِ ٱلْمَعَالِي[2]

فَلَمْ يَكُ مِنْكَ شَيْءٌ غَيْرَ أَمْرٍ ... بِلَعْنِ ٱلْمُسْلِمِينَ عَلَى ٱلتَّوَالِي

فَقَابَلَكَ ٱلإِلَهُ بِمَا تُلاقِي ... فَذُقْ مَا تَسْتَحِقُّ مِنَ ٱلنَّكَالِ

انتهىٰ كلامُ الحافظِ ابنِ عساكرَ[3] .

وقالَ غيرُهُ مِنَ المؤرخينَ : (كانَ قتلُ الكُنْدُريِّ يومَ الأحدِ السادسَ عشرَ مِنْ ذي الحجَّةِ سنةَ ستٍّ وخمسينَ وأربعِ مئةٍ ، ومُثِّلَ بهِ ؛ فدُفِنَتْ مذاكرُهُ بخوارزمَ ، ودُفِنَ جسدُهُ بكُنْدُرَ ، ودماغُهُ وعظمُ رأسِهِ بنيسابورَ ، وسوءتُهُ وجلدةُ رأسِهِ حُشِيَتْ تبناً وطِيفَ بها ثمَّ دُفِنَتْ بكرمانَ)[4] .

ألحقَ اللهُ بهِ كلَّ مُبتدعٍ ، ولا أتاحَ لهُ القَدَرُ اصطناعَ مُصطنعٍ .

(١) انظر ما سبق تعليقاً (١/ ٣٢٩) .

(٢) في « التبيين » : (ما شئت) بدل (ما رمت) .

(٣) تبيين كذب المفتري (ص٢٣٧ـ٢٤٠) .

(٤) انظر « وفيات الأعيان » (٥/ ١٤٢) ، و« البداية والنهاية » (١٢/ ٩٣) ، وانظر ما سبق تعليقاً (١/ ٣٢٩) من كلام الذهبي في الكُنْدُري هٰذا وردِّه .

[مكيدةُ وفتنةُ المبتدعةِ زمنَ الإمامِ أبي نصرٍ القشيريِّ]

ومِنْ ذلكَ : قضيَّتُهُم معَ الإمامِ أبي نصرٍ عبدِ الرحيمِ بنِ عبدِ الكريمِ القشيريِّ ، وكانَ قدِ اشتغلَ على إمامِ الحرمينِ ، وخرجَ إلى الحجِّ ، فوصلَ إلى بغدادَ ، وعقدَ بها مجلسَ وعظٍ ، وحصلَ لهُ قَبولٌ عظيمٌ ، وحضرَ الشيخُ أبو إسحاقَ الشيرازيُّ رضيَ اللهُ عنهُ مجلسَهُ ، وأطبقَ علماءُ بغدادَ على أنَّهُم لم يرَوا مثلَهُ ، وكانَ يعظُ في المدرسةِ النظاميةِ ورباطِ شيخِ الشيوخِ ، فجرى لهُ معَ الحنابلةِ الخصامُ بسببِ الاعتقادِ ؛ لأنَّهُ تعصَّبَ للأشاعرةِ ، وانتهى الأمرُ فيهِ إلى فتنةٍ قُتِلَ فيها جماعةٌ مِنَ الفريقينِ ، وركبَ أحدُ أولادِ نظامِ المُلْكِ حتى سكَّنَها ، وبلغَ الأمرُ نظامَ الملكِ وهوَ بأصفهانَ ، فسيَّرَ إليهِ واستدعاهُ ، فلمَّا حضرَ إليهِ زادَ في كرامتِهِ ، ثمَّ جهَّزَهُ إلى نيسابورَ ، فلمَّا وصلَها لازمَ التدريسَ والاشتغالَ والإشغالَ والتذكيرَ إلى أنْ تُوفِّيَ في التاريخِ المذكورِ في ترجمتِهِ رحمَهُ اللهُ ورضيَ عنهُ[1] .

[مكيدةُ وفتنةُ المبتدعةِ زمنَ الإمامِ فخرِ الدينِ الرازيِّ]

ومِنْ ذلكَ : ما أثاروهُ مِنَ الفتنةِ بفَيْرُوزكوهَ مِنْ خراسانَ ؛ وذلكَ أنَّ الإمامَ فخرَ الدينِ بنَ الخطيبِ الرازيَّ كانَ قدمَ إلى غياثِ الدينِ الغوريِّ أخي شهابِ الدينِ صاحبِ غزنةَ ، فأكرمَهُ غياثُ الدينِ واحترمَهُ ، وبنى لهُ مدرسةً بهراةَ بالقربِ مِنَ الجامعِ ، فقصدَهُ الفقهاءُ مِنَ البلادِ ، فعظُمَ ذلكَ على الكراميةِ وهم كثيرٌ بهراةَ ، وأمَّا الغوريةُ فكلُّهُم كراميةٌ ، فكرهوهُ ، وكانَ أشدُّ الناسِ عليهِ الملكَ ضياءَ الدينِ ، وهوَ ابنُ عمِّ غياثِ الدينِ وزوجُ ابنتِهِ .

(١) الإحالة إلى ترجمته تؤكد وجود السقط الذي نبَّهت عليه سابقاً . انظر « تبيين كذب المفتري » (٥٦٥ـ٥٧٤) ، و (١/ ٤٤٧ ، ٤٥١) .

فاتَّفقَ أنْ حضرَ الفقهاءُ مِنَ الكراميةِ والحنفيةِ والشافعيةِ عندَ غياثِ الدينِ بفيروزكوهَ للمناظرةِ ، وحضرَ فخرُ الدينِ الإمامُ ومجدُ الدينِ عبدُ المجيدِ بنُ عمرَ المعروفُ بـ (ابنِ القدوةِ) وهوَ مِنَ الكراميةِ الهيصميةِ[1] ، ولهُ عندَهُم محلٌّ لزهدِهِ ، فتكلَّمَ الإمامُ فخرُ الدينِ ، فاعترضَ عليهِ ابنُ القدوةِ ، فاستطالَ عليهِ الإمامُ فخرُ الدينِ وبالغَ وشتمَهُ ، وابنُ القدوةِ لا يزيدُ على أنْ يقولَ : لا يفعلُ مولانا ، لا واخذَكَ اللهُ ، أستغفرُ اللهَ ، فانفصلوا على هذا ، وقامَ الملكُ ضياءُ الدينِ ، وشكى إلى غياثِ الدينِ ، وذمَّ الإمامَ فخرَ الدينِ ، ونسبَهُ إلى ما لا يليقُ بهِ ، وحاشاهُ ممَّا رماهُ بهِ .

فلمَّا كانَ مِنَ الغدِ وعظَ ابنُ عمٍّ للمجدِ ابنِ القدوةِ بالجامعِ ، فلمَّا صعدَ المنبرَ قالَ بعدَ أنْ حمدَ اللهَ تعالى وصلَّى على النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : (لا إلهَ إلا اللهُ ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران : ٥٣] .

أيُّها الناسُ ؛ إنَّا لا نقولُ إلا ما صحَّ عندَنا عن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وأمَّا علمُ أرسطاطاليسَ ، وكفرياتُ ابنِ سينا ، وفلسفةُ الفارابيِّ . . فلا نعلمُها ، فلأيِّ معنىً ولأيِّ حالٍ يُشتَمُ بالأمسِ شيخٌ مِنْ شيوخِ الإسلامِ يذبُّ عن دينِ اللهِ وعن سنَّةِ نبيِّهِ ؟!) ، وبكى ، وضجَّ الناسُ ، وبكى الكراميةُ واستغاثوا ، وأعانَهُم مَنْ يُؤثِرُ بُعدَ الإمامِ فخرِ الدينِ ، وكادَ الناسُ يقتتلونَ[2] .

فرأى الإمامُ فخرُ الدينِ تسكينَ هذهِ الثائرةِ بعودِهِ إلى هَراةَ ، وكانَ ذلكَ

(١) نسبة إلى محمد بن الهيصم رأس الكرامية في زمانه . انظر « اعتقادات فرق المسلمين والمشركين » للفخر الرازي (ص٦٧) .

(٢) ولم يأتِ هذا المبتدع بكلام علمي في رده على الإمام الفخر الرازي ، وإنما ذكر جعجعة خطابية عاطفية ، كما هو شأن المبتدعة في كل زمان ؛ فإنهم يلجؤون إلى البكاء والصراخ والعويل وشق الصدور ، عندما يفحمهم الخصم ويبين فساد قلوبهم وعقائدهم .

سنةَ خمسٍ وتسعينَ ، ولم يزلِ الملكُ شهابُ الدينِ مُعظِّماً للإمامِ فخرِ الدينِ يُحضِرُهُ مجلسَهُ ، فيعظُهُ وينذرُهُ ويحثُّهُ على الخيرِ والبرِّ[1] .

ورأيتُ الإمامَ عزَّ الدينِ ابنَ الأثيرِ الجزريَّ عدَّ مِنْ مناقبِ الملكِ شهابِ الدينِ الغوريِّ ؛ قالَ (وكانَ فخرُ الدينِ الرازيُّ يعظُ في دارِهِ ، فقالَ لهُ يوماً : يا سلطانُ ؛ لا سلطانُكَ يبقىٰ ولا كلامُ الرازيِّ ، وبكىٰ ، وبكى الملكُ شهابُ الدينِ ، وبكىٰ كلُّ مَنْ حولَهُ)[2] .

[مكيدةُ وفتنةُ المبتدعةِ زمنَ الوزيرِ نظامِ الملكِ مسعودِ بنِ عليٍّ]

ومِنْ ذلكَ : ما فعلوهُ مِنَ الحسدِ ؛ فإنَّ الوزيرَ نظامَ المُلكِ [مسعودَ بنَ عليٍّ][3] وزيرَ خوارزم شاه علاءِ الدينِ تُكَشَ . . كانَ قد بنىٰ جامعاً بمروَ مُشرِفاً علىٰ جامعِ الخليفةِ ، فغضبَ شيخُ الإسلامِ مقدَّمُ الحنابلةِ بها[4] ، فجمعَ الأوباشَ وأحرقَهُ ، فأنفذَ خوارزم شاه فأحضرَ شيخَ الإسلامِ وجماعةً ممَّنْ سعىٰ في ذلكَ فأغرمَهُم مالاً كثيراً ، وعنَّفَهُم علىٰ ما صدرَ منهُم ، وذلكَ في سنةِ ستٍّ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ .

ثمَّ بعدَ ذلكَ دُسَّ عليهِ مَنْ قتلَهُ مِنَ الإسماعيليةِ[5] .

انظرْ هٰذهِ الجرأةَ ، وهٰذا التعدِّيَ للحسدِ المفرطِ ، لا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ العليِّ .

(١) انظر « الكامل في التاريخ » (١٠/ ١٦٥ـ ١٦٦) ، وما سبق في ترجمة الفخر الرازي (١/ ٥٣٨ـ٥٣٩ ، ٥٤١) .

(٢) الكامل في التاريخ (١٠/ ٢١٨) .

(٣) ما بين معقوفين بياض في الأصل بمقدار ثلاث كلمات .

(٤) في « الكامل في التاريخ » (فتعصَّب) بدل (فغضب) .

(٥) انظر « الكامل في التاريخ » (١٠/ ١٧٢) .

[فتنةٌ ثانيةٌ زمنَ الإمامِ فخرِ الدينِ الرازيِّ]

ومِنْ ذلكَ : ما روَّجوهُ في سنةِ اثنتينِ وستِّ مئةٍ ؛ وذلكَ أنَّهُ لمَّا عزمَ شهابُ الدينِ أبو المظفرِ محمدُ بنُ سامٍ الغوريُّ ملكُ غزنةَ على قصدِ الخِطَا[1] . . كانَ في مخيمِهِ ذاتَ ليلةٍ ، فدخلَ نفرٌ مِنَ الملاحدةِ إلى مطافِهِ ، فقتلَ أحدُهُم بعضَ الحرسِ ببابِ سرادقِ شهابِ الدينِ ، فلمَّا قتلوهُ ثارَ أصحابُهُ فاشتغلوا به ، فقطعَ اثنانِ مِنَ الملاحدةِ قطعةً مِنَ السرادقِ ودخلا على شهابِ الدينِ الخركاهُ[2] ، فضرباهُ بالسكاكينِ اثنتينِ وعشرينَ ضربةً ، فماتَ ، فدخلَ أصحابُهُ فوجدوهُ قتيلاً وهوَ ساجدٌ ، فقُتِلَ الملاحدةُ .

وسارَ الوزيرُ مؤيدُ الملكِ وأتابكُ العساكرِ بجسدِهِ إلى غزنةَ في قصَّةٍ طويلةٍ ، فجاءَ بعضُ المفسدينَ إلى الغوريةِ ، وقالَ للمماليكِ : إنَّ فخرَ الدينِ الرازيَّ قتلَ مولاكُم ؛ لأنَّهُ نفذَ إليهِ مَنْ قتلَهُ ، وبالغوا في ذلكَ ، وألحُّوا على جماعةٍ مِنَ المماليكِ والغوريةِ ، وكانَ أكثرُ الغوريةِ كراميةً يبغضونَ الإمامَ فخرَ الدينِ ، فقالوا : ما قتلَ أستاذَنا إلا فخرُ الدينِ ؛ لأنَّهُ بموضعٍ مِنْ خوارزم شاه ، فثاروا بهِ ليقتلوهُ ، فهربَ وقصدَ مؤيدَ الملكِ الوزيرَ ، فأعلَمَهُ بالحالِ ، فأخفاهُ عندَهُ وأرسلَهُ إلى مأمنِهِ ، وردَّ مكيدتَهُم[3] .

(١) والخِطَا : جنس من الترك ، بلادهم متاخمة لبلاد الصين . انظر « صبح الأعشى » (٤/٤٨١) .

(٢) الخركاه : بيت من خشب مصنوع على هيئة مخصوصة ، ويغشَّى بالجوخ ونحوه ، يحمل في السفر ليكون في الخيمة للمبيت في الشتاء لوقاية البرد . انظر « صبح الأعشى » (٢/١٤٦) .

(٣) انظر « الكامل في التاريخ » (١٠/٢١٥ـ٢١٦) .

[مكيدةُ وفتنةُ المبتدعةِ زمنَ العزِّ بنِ عبدِ السلامِ]

فأمَّا قضيتُهُم معَ الشيخِ عزِّ الدينِ بنِ عبدِ السلامِ . . فهيَ أشهرُ مِنْ أنْ تُذكَرَ[1] ، ونهضَ الشيخُ جمالُ الدينِ محمودُ بنُ أحمدَ البخاريُّ الحنفيُّ المعروفُ بـ (الحَصيريِّ) فيها للهِ عزَّ وجلَّ ، وأرغمَ اللهُ بهِ معاطسَهُم ، وعادَ الأشرفُ إلى وُدِّ الشيخِ عزِّ الدينِ وإكرامِهِ وتبجيلِهِ والتحيُّلِ على رضاهُ ، وذلكَ فيما أخبرَني بهِ ولدُهُ الشيخُ الإمامُ العلامةُ شرفُ الدينِ محمدٌ إجازةً[2] ؛ قالَ : (لمَّا دخلَ الملكُ الأشرفُ دمشقَ ، واتَّصلَ بهِ ما عليهِ والدي . . أحبَّهُ وصارَ يلهجُ بذكرِهِ ، ويتعرَّضُ إلى الاجتماعِ بهِ ، وهوَ يعرضُ عن ذلكَ ، ويُؤثِرُ الانقطاعَ إلى ملكِ الملوكِ ، والوقوفَ ببابِهِ ، والعكوفَ على جنابِهِ .

وكانَ للشيخِ أعداءٌ في الدينِ ، مِنَ الحنابلةِ المبتدعينَ ، وكانوا في تلكَ الدولةِ مُتقدِّمينَ ، وكانَ الملكُ الأشرفُ رحمَهُ اللهُ قد صحبَ جماعةً منهُم ممَّنْ يقولُ بالحرفِ والصوتِ ، وكانوا يقولونَ لهُ : هٰذا اعتقادُ السلفِ واعتقادُ الإمامِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ وفضلاءِ أصحابِهِ ، وقرَّروا ذلكَ عندَ السلطانِ ، حتى اختلطَ اعتقادُهُ لذلكَ بلحمِهِ ودمِهِ ، وصارَ يعتقدُ أنَّ مَنْ خالفَ ذلكَ كافرٌ مباحُ الدمِ .

فقالَتْ لهُ طائفةٌ منهُم : ابنُ عبدِ السلامِ أشعريُّ المذهبِ ، غيرُ معتقدٍ للحرفِ والصوتِ ، بل يُخطِّئُ مَنْ يعتقدُ الحرفَ والصوتَ ، ويسبُّهُ ويذمُّهُ ويقدحُ في دينِهِ أتمَّ القدحِ ، **ومِنْ جملةِ اعتقادِهِ** : أنَّهُ يقولُ بقولِ الأشعريِّ : إنَّ

(١) وسبقت الإشارة إليها في (٢/ ٦٦، ٧٩) .

(٢) وقد أفرد شرف الدين هٰذه الفتنة والواقعة بمؤلف خاص ، كما أشار عليه والده بذلك ، وسمَّى هٰذا المؤلف : « إيضاح الكلام فيما جرى للعز بن عبد السلام في مسألة الكلام » ، وانظر (٢/ ٦٦) ، و« إيضاح الكلام » (ص٣) .

الخبزَ لا يُشبِعُ ، والماءَ لا يُروي ، والنارَ لا تُحرِقُ ، فاستهولَ السلطانُ ذلكَ واستعظمَهُ ، واتَّهمَهُم في ذلكَ ولم يُصدِّقْهُم ، ونسبَهُم إلى التعصُّبِ عليهِ ، فكتبوا فتيا في مسألةِ الكلامِ وأحضروها .

وكانَ الشيخُ قدِ اتَّصلَ بهِ ما ألقَوهُ إلى السلطانِ في ذلكَ ، فقالَ : إنَّ هٰذهِ الفتيا كُتِبَتِ امتحاناً ، واللهِ ؛ لأكتبَنَّ فيها بمُرِّ الحقِّ[1] ، فكانَ مِنْ جملةِ ما كتبَ فيها بعدَ حمدِ اللهِ وتعظيمِهِ وتنزيهِهِ وتوحيدِهِ[2] :

وأنَّهُ حيٌّ ، [مريدٌ] ، سميعٌ ، بصيرٌ ، عليمٌ ، قديرٌ ، مُتكلِّمٌ بكلامٍ قديمٍ أزليٍّ ليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ ، ولا يُعتقَدُ في كلامِهِ أنْ ينقلبَ مداداً في الألواحِ والأوراقِ[3] ، شكلاً ترمقُهُ العيونُ والأحداقُ ، كما زعمَ أهلُ الحشوِ والنفاقِ ، بلِ الكتابةُ مِنْ أفعالِ العبادِ ، ولا يُتصوَّرُ في أفعالِهِم أنْ تكونَ قديمةً ، ويجبُ احترامُها لدَلالتِها على ذاتِهِ[4] ، كما يجبُ احترامُها لدَلالتِها على صفاتِهِ ، وحُقَّ لمَنْ دلَّ عليهِ وانتسبَ إليهِ أنْ تُعتقدَ عظمتُهُ[5] ، وتُرعى حرمتُهُ ؛ ولذلكَ

(١) وهٰذه العقيدة الآتية هي المسماة بـ « الملحة في اعتقاد أهل الحق » ، وقد تقدمت بطولها في (٢/ ٦٦ـ ٧٩) ، وفيها اختلاف يسير في الألفاظ عما ورد سابقاً ، وذكر المؤلف قبلُ جملةَ من أخبره بهٰذه العقيدة ؛ ومنهم الأئمة : الشريف أبو عبد الله الكركي الفاسي ، وأبو عبد الله ابن النعمان ، ورضي الدين القسنطيني ، ونور الدين العيني ، وأما في هٰذا الفصل : فإنه شرح حال الفتنة التي تعرض لها الإمام ابن عبد السلام ، مسندةً عن ابنه شرف الدين ، وانظر (٢/ ٦٦) .

(٢) وقد ذكر المؤلف في (٢/ ٦٧) نقلاً عن الأئمة المصرح بهم في التعليق السابق . . ديباجةَ هٰذه العقيدة ، والاختصارُ المذكور هنا هو لفظ شرف الدين بن العز بن عبد السلام . انظر « إيضاح الكلام » (ص٤) .

(٣) في « إيضاح الكلام » وفيما مرَّ : (ولا يتصور) بدل (ولا يعتقد) .

(٤) كذا في الأصل و« إيضاح الكلام » ، والذي سبق في (٢/ ٦٧) : (على كلامه) بدل (على ذاته) .

(٥) قوله : (لمن) كذا في الأصل ، والذي في « إيضاح الكلام » وما سبق في (٢/ ٦٧) : (لما) .

يجبُ احترامُ الكعبةِ والأنبياءِ ، والعُبَّادِ والعلماءِ .

أَمُرُّ عَلَى ٱلدِّيَارِ دِيَارِ لَيْلَىٰ أُقَبِّلُ ذَا ٱلْجِدَارَ وَذَا ٱلْجِدَارَا[1]

ولمثلِ ذلكَ يُقبَّلُ الحجرُ الأسودُ ، ويحرمُ على المُحدِثِ أنْ يمَسَّ المصحفَ ؛ أسطرَهُ وحواشيَهُ التي لا كتابةَ عليها ، وجلدَهُ وخريطتَهُ التي هوَ فيها ، فويلٌ لمَنْ زعمَ أنَّ كلامَ اللهِ القديمَ شيءٌ مِنْ ألفاظِ العبادِ ، أو رسمٌ مِنْ أشكالِ المدادِ[2] .

وأحمدُ ابنُ حنبلٍ وفضلاءُ أصحابِهِ وسائرُ علماءِ السلفِ . . برآءُ ممَّا نسبوهُ إليهِم واختلقُوهُ عليهِم ، وكيفَ يُظَنُّ بأحمدَ وغيرِهِ مِنَ العلماءِ أنْ يعتقدوا أنَّ وصفَ اللهِ القديمَ القائمَ بذاتِهِ هوَ عينُ لفظِ اللافظينَ والكاتبينَ ، معَ أنَّ وصفَ اللهِ قديمٌ ، وهٰذهِ الألفاظَ والأشكالَ حادثةٌ بضرورةِ العقلِ وصريحِ النقلِ ، **وقد أخبرَ اللهُ تعالىٰ عن حدوثِها في ثلاثةِ مواضعَ مِنْ كتابِهِ** :

الموضعُ الأولُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء : ٢] ، جعلَ الآتيَ مُحدَثاً ، فمَنْ زعمَ أنَّهُ قديمٌ فقد ردَّ على اللهِ تعالىٰ ، وإنَّما هٰذا المُحدَثُ دليلٌ على القديمِ ، كما أنَّا إذا كتبْنا رسمَ اللهِ عزَّ وجلَّ في ورقةٍ[3] ؛ لم يكنِ الربُّ القديمُ حالّاً في الورقةِ . . وكذلكَ إذا كتبتَ الوصفَ

(١) سبق تخريجه في (٢/ ٦٨) ، وزاد في « إيضاح الكلام » :

وما حبُّ الديارِ شغفْنَ قلبي ولٰكنْ حبُّ مَنْ سكنَ الديارا

(٢) سبق في (٢/ ٦٨ـ ٧٣) في هٰذا الموضع زيادة بمقدار خمس صفحات ليست موجودة في « إيضاح الكلام » ، وقد حدَّث المؤلف بالعقيدة سابقاً عن مشايخه ؛ شرف الدين الفاسي ، والشمس ابن النعمان ، وغيرهما ، وحدَّث بها هنا عن ابن العز بن عبد السلام ضمن شرح الواقعة والفتنة التي تعرضت لوالده .

(٣) قوله : (رسم الله) كذا في (أ، ب) ، والذي في « إيضاح الكلام » وما سبق في (٢/ ٧٣) : (اسم الله) .

القديمَ في شيءٍ ؛ لم يَحُلَّ الوصفُ المكتوبُ حيثُ حلَّتِ الكتابةُ .

الموضعُ الثاني : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ * وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ * إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ [الحاقة : ٣٨ـ٤٠] ، وقولُ الرسولِ صفةٌ للرسولِ ، ووصفُ الرسولِ لا بدَّ وأنْ يكونَ حادثاً ؛ لأنَّ الرسولَ حادثٌ ، فمَنْ زعمَ[1] أنَّ قولَ الرسولِ قديمٌ فقد ردَّ علىٰ ربِّ العالمينَ[2] .

الموضعُ الثالثُ : قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ * ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ * وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ * وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴾ [التكوير : ١٥ـ١٩] .

والعجبُ ممَّنْ يقولُ : القرآنُ مُركَّبٌ مِنْ حرفٍ وصوتٍ ، ثمَّ يزعمُ أنَّهُ في المصحفِ !! وليسَ في المصحفِ إلا حرفٌ مُجرَّدٌ لا صوتَ معَهُ ؛ إذْ ليسَ فيهِ حرفٌ مُتكوِّنٌ عن صوتٍ ؛ فإنَّ الحرفَ اللفظيَّ ليسَ هوَ الشكلَ الكتابيَّ ؛ ولذلكَ يُدرَكُ الحرفُ اللفظيُّ بالآذانِ ولا يُشاهَدُ بالعِيانِ ، ويُشاهَدُ الشكلُ الكتابيُّ بالعِيانِ ولا يُسمَعُ بالآذانِ ، ومَنْ توقَّفَ في ذلكَ لم يُعَدَّ مِنَ العقلاءِ ، فضلاً عنِ العلماءِ ، فلا كثَّرَ اللهُ مِنْ أهلِ البدعِ والأهواءِ ، [والإضلالِ والإغواءِ] .

ومَنْ قالَ : إنَّ الوصفَ القديمَ حالٌّ في المصحفِ . . لزمَهُ إذا احترقَ المصحفُ أنْ يقولَ : إنَّ وصفَ اللهِ القديمَ احترقَ ، سبحانَهُ وتعالىٰ عمَّا يقولونَ علوّاً كبيراً !! ومِنْ شأنِ القديمِ ألا يلحقَهُ تغيُّرٌ ولا عدمٌ ؛ فإنَّ ذلكَ مُنافٍ للقدمِ .

فإنْ زعموا أنَّ القرآنَ مكتوبٌ في المصحفِ غيرُ حالٍّ فيهِ كما يقولُهُ الأشعريُّ

(١) العبارة في « إيضاح الكلام » : (ووصف الحادث حادث يدل على الكلام القديم ، فمن زعم . . .) بدل (ووصف الرسول . . .) .

(٢) يوجد هنا زيادة ليست في « إيضاح الكلام » ، وقد سبقت في (٢/ ٧٣) ، وهي بمقدار ثلاثة أسطر .

رحمَهُ اللهُ . . فلِمَ يلعنونَ الأشعريَّ ؟! وإنْ قالوا بخلافِ ذلكَ فانظرْ كيفَ يفترونَ على اللهِ الكذبَ وكفىٰ بهِ إثماً مبيناً [1] .

وأمَّا قولُهُ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ * فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ [الواقعة : ٧٧ـ٧٨] . . **فلا خلافَ بينَ أئمَّةِ العربيةِ** أنَّهُ لا بدَّ مِنْ كلمةٍ محذوفةٍ يتعلَّقُ بها قولُهُ تعالىٰ : ﴿ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴾ ، ويجبُ القطعُ بأنَّ ذلكَ المحذوفَ تقديرُهُ : مكتوبٌ في كتابٍ مكنونٍ ؛ لما ذكرْناهُ ، وما دلَّ عليهِ العقلُ الشاهدُ بالوحدانيةِ وبصحَّةِ الرسالةِ ، وهوَ مَناطُ التكليفِ بإجماعِ المسلمينَ .

وإنَّما لم نستدلَّ بالعقلِ على القومِ وكفىٰ بهِ شاهداً ؛ لأنَّهُم لا يسمعونَ شهادتَهُ ، معَ أنَّ الشرعَ قد عدَّلَ العقلَ وقبلَ شهادتَهُ ، واستدلَّ بهِ في مواضعَ مِنْ كتابِهِ الكريمِ ؛ كالاستدلالِ بالإنشاءِ على الإعادةِ ، وكقولِهِ تعالىٰ : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء : ٢٢] ، وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون : ٩١] ، وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

فيا خيبةَ مَنْ ردَّ شاهداً قبلَهُ اللهُ ، وأسقطَ دليلاً نصبَهُ اللهُ ، فهُم يرجعونَ إلى المنقولِ ؛ فلذلكَ استدلَلْنا بالمنقولِ وتركْنا المعقولَ كَمِيناً ؛ إنِ احتجْنا إليهِ أبرزْناهُ ، وإنْ لم نحتجْ إليهِ أخَّرْناهُ .

وقد جاءَ في الحديثِ المشهورِ : « مَنْ قَرَأَ ٱلْقُرْآنَ وَأَعْرَبَهُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ مِنْهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ ، وَمَنْ قَرَأَهُ وَلَمْ يُعْرِبْهُ فَلَهُ بِكُلِّ حَرْفٍ حَسَنَةٌ »[2] ، والقديمُ لا يكونُ مَعيباً باللحنِ وكاملاً بالإعرابِ ، وقد قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٣٩] ، فإذا أخبرَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ بأنَّا

(١) سبق في (٢/ ٧٤) في هذا الموضع زيادة آية ، وهي ليست في « إيضاح الكلام » .

(٢) سبق تخريجه (٢/ ٧٥) .

نُجزىٰ علىٰ قراءةِ القرآنِ . . دلَّ علىٰ أنَّهُ مِنْ أعمالِنا ، وليستْ أعمالُنا بقديمةٍ .

وإنَّما أُتِيَ القومُ مِنْ قِبَلِ جهلِهم بكتابِ اللهِ ، وسنَّةِ رسولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ولسانِ العربِ ، وسخافةِ العقلِ ، وبلادةِ الذهنِ ؛ **فإنَّ لفظَ القرآنِ يُطلَقُ في الشرعِ واللسانِ** على الوصفِ القديمِ ، **ويُطلَقُ** على القراءةِ الحادثةِ[1] .

والعجبُ أنَّهُم يذمُّونَ الأشعريَّ رحمَهُ اللهُ بقولِهِ : (إنَّ الخبزَ لا يُشبِعُ ، والماءَ لا يُروي ، والنارَ لا تُحرِقُ) ، وهٰذا كلامٌ أنزلَ اللهُ تعالىٰ معناهُ في كتابِهِ الكريمِ !! فإنَّ الشِّبَعَ والرِّيَّ والإحراقَ حوادثُ انفردَ الربُّ سبحانَهُ وتعالىٰ بخلقِها ، فلم يخلُقِ الخبزُ الشِّبَعَ ، ولم يخلقِ الماءُ الريَّ ، ولم تخلقِ النارُ الاحتراقَ[2] ، وإنْ كانَتْ أسباباً في ذلكَ ؛ فالخالقُ هو المُسبِّبُ ؛ كما قالَ تعالىٰ : ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال : ١٧] ، نفىٰ أنْ يكونَ رسولُهُ خالقاً للرمي وإنْ كانَ سبباً فيهِ ، وقد قالَ تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ * وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ [النجم : ٤٣ـ٤٤] ، فاقتطعَ الإضحاكَ والإبكاءَ والإماتةَ والإحياءَ عن أسبابِها ، وأضافَها إليهِ ، فكذلكَ اقتطعَ الأشعريُّ رحمَهُ اللهُ الشِّبَعَ والريَّ والإحراقَ عن أسبابِها وأضافَها إلىٰ خالقِها ؛ لقولِه تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الرعد : ١٦] ، ولقولِهِ تعالىٰ : ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾ [فاطر : ٣] ، ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ﴾ [يونس : ٣٩] ، ﴿ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل : ٨٤] .

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلاً صَحِيحاً ... وَآفَتُهُ مِنَ ٱلْفَهْمِ ٱلسَّقِيمِ[3]

(١) سبق في (٢/ ٧٥ـ٧٦) في هٰذا الموضع زيادة بمقدار صفحة ليست في « إيضاح الكلام » .

(٢) الذي سبق في (٢/ ٧٧) : (فلم يخلق الخبزَ للشبع ، ولم يخلق الماءَ للري ، ولم يخلق النارَ للإحراق) .

(٣) سبق تخريجه (٢/ ٧٧) ، وانظر « إيضاح الكلام » (ص٣ـ٧) .

قالَ الشيخُ شرفُ الدينِ : (وهـٰذا بعضُ ما كتبَ في الفتيا[1] ، فلمَّا فرغَ مِنْ كتابتِهِ ما رامُوهُ رماهُ إليهِم[2] وهوَ يضحكُ عليهِم ، فطاروا بالجوابِ وهم يعتقدونَ أنَّ الحصولَ عليهِ مِنَ الفرصِ العظيمةِ التي ظَفِروا بها ، ويقطعونَ بهلاكِهِ واستئصالِهِ ، واستباحةِ دمِهِ ومالِهِ .

فأوصلوا الفتيا إلى الملكِ الأشرفِ رحمَهُ اللهُ ، فلمَّا وقفَ عليها استشاطَ غضباً ، وقالَ : صحَّ عندي ما قالوهُ عنهُ ، وهـٰذا رجلٌ كُنَّا نعتقدُ أنَّهُ مُتوحِّدٌ في زمانِهِ في العلمِ والدينِ ، فظهرَ بعدَ الاختبارِ أنَّهُ مِنَ الفُجَّارِ ، لا بل مِنَ الكفارِ .

وكانَ ذلكَ في رمضانَ عندَ الإفطارِ ، وعندَهُ علىٰ سماطِهِ عامَّةُ الفقهاءِ مِنْ جميعِ الأقطارِ ، فلم يستطعْ أحدٌ منهُم أنْ يردَّ على السلطانِ ، بل قالَ بعضُ أعيانِهِمُ : السلطانُ أولىٰ بالعفوِ والصفحِ لا سيَّما في مثلِ هـٰذا الشهرِ ، وموَّهَ آخرونَ بكلامٍ مُوجَّهٍ يوهمُ صحَّةَ مذهبِ الخصمِ يُظهِرونَ أنَّهُم قد أفتَوا بموافقتِهِ .

فلمَّا انفصلوا تلكَ الليلةَ مِنْ مجلسِهِ بالقلعةِ . . اشتغلَ الناسُ في البلدِ بما جرىٰ في تلكَ الليلةِ عندَ السلطانِ .

وأقامَ الحقُّ سبحانَهُ وتعالى الشيخَ العلامةَ جمالَ الدينِ أبا عمرو ابنَ الحاجبِ المالكيَّ ، وكانَ عالمَ زمانِهِ[3] ، وقد جمعَ بينَ العلمِ والعملِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ في هـٰذهِ القضيةِ ، ومضىٰ إلى الأعيانِ القضاةِ والعلماءِ الذينَ

(١) وقد سبقت تامَّةً في (٢/ ٦٦ـ ٧٩) ، وذكرها تامَّةً أيضاً الإمامُ ابن السبكي في « طبقاته » كما سبقت الإشارة إليه تعليقاً في (٢/ ٧٩) ، إلا أنَّ نقل ابن المُعلِّم فيه زيادة توثيق ؛ إذ حدَّث بهـٰذه الفتيا عن كثيرين من أشياخه رحمهم الله تعالى . انظر (٢/ ٦٦) .

(٢) زاد في (أ، ب) : (وقال) .

(٣) وقد مرت ترجمته في (٢/ ٢١) ، وأشرت تعليقاً إلىٰ بعض ما ذُكِر هنا .

حضروا هٰذهِ القضيةَ عندَ السلطانِ ، وشدَّدَ عليهِمُ النكيرَ وقالَ : العجبُ أنَّكُم كلَّكُم على الحقِّ وغيرَكُم على الباطلِ ، وما فيكُم مَنْ نطقَ بالحقِّ ، وسكتُّم وما انتخَيْتُم للهِ تعالىٰ وللشريعةِ المُطهَّرةِ[1] !! ولمَّا تكلَّمَ منكُم مَنْ تكلَّمَ قالَ : السلطانُ أولىٰ بالعفوِ والصفحِ ولا سيَّما في هٰذا الشهرِ ، وهٰذا غلطٌ يُوهِمُ الذنبَ ؛ فإنَّ العفوَ والصفحَ لا يكونانِ إلا عن جُرْمٍ وذنبٍ ، أَمَا كنتُم سلكْتُم طريقَ التلطُّفِ في إعلامِ السلطانِ بأنَّ ما قالَهُ ابنُ عبدِ السلامِ مذهبُكُم وهوَ مذهبُ الحقِّ ، وأنَّ جمهورَ السلفِ والخلفِ علىٰ ذلكَ ، ولم يُخالِفْهُم في ذلكَ إلا طائفةٌ مخذولةٌ يخفونَ مذهبَهُم ويدسُّونَهُ علىٰ تخوُّفٍ إلىٰ مَنْ يستضعفونَ علمَهُ وعقلَهُ ، وقد قالَ تعالىٰ : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٤٢] ؟!

ولم يَزَلْ يُعنِّفُهُم ويُوبِّخُهُم إلىٰ أنِ اصطلحَ معَهُم علىٰ أنْ تُكتَبَ فتيا بصورةِ الحالِ ويكتبوا فيها بموافقةِ ابنِ عبدِ السلامِ[2] ، فوافقوهُ ، وأخذَ خطوطَهُم بموافقتِهِ ، والتمسَ ابنُ عبدِ السلامِ مِنَ السلطانِ أنْ يعقدَ مجلساً للشافعيَّةِ والحنابلةِ وتحضرَهُ المالكيةُ والحنفيةُ وغيرُهُم مِنْ علماءِ المسلمينَ ، وذكرَ أنَّهُ أخذَ خطوطَ الفقهاءِ الذينَ كانوا بمجلسِ السلطانِ لمَّا قُرِئَتْ عليهِ الفتيا بموافقتِهِم لهُ ، وأنَّهُ لم يمكنْهُمُ الكلامُ بحضرةِ السلطانِ في ذلكَ الوقتِ ؛ لغضبِهِ وما ظهرَ مِنْ حِدَّتِهِ في ذلكَ المجلسِ .

وقالَ : الذي يُعتقَدُ في السلطانِ أنَّهُ إذا ظهرَ لهُ الحقُّ يرجعُ إليهِ ، وأنَّهُ يُعاقِبُ مَنْ مَوَّهَ الباطلَ عليهِ ، وهوَ أولى الناسِ بموافقةِ والدِهِ السلطانِ الملكِ

(١) قوله : (وما انتخيتم) : أي : ما أصابتكم النخوة والغيرة ، وفي « إيضاح الكلام » : (وما انتصرتم) بدل (وما انتخيتم) .

(٢) في هامش (أ ، ب) : (قلت : هي الفتيا التي قدَّمتُ نسختها قبلُ) ، وانظر (٢/ ٤٧١ـ ٤٧٤) .

العادلِ تغمَّدَهُ اللهُ برحمتِهِ ؛ فإنَّهُ كانَ قد عزَّرَ جماعةً مِنْ أعيانِ الحنابلةِ المبتدعةِ تعزيراً بليغاً رادعاً ، وبدَّعَ بهِم وأهانَهُم .

فلمَّا اتَّصلَ ذلكَ بالسلطانِ استدعىٰ دَواةً وورقةً ، **وكتبَ فيها بخطِّ يدِهِ ما مثالُهُ** :

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلَ إليَّ ما التمسَهُ الفقيهُ ابنُ عبدِ السلامِ أصلحَهُ اللهُ تعالىٰ مِنْ عقدِ مجلسٍ وجمعِ المفتينَ والفقهاءِ ، وقد وقفْنا علىٰ خطِّهِ وما أفتىٰ بهِ ، وعلمْنا مِنْ عقيدتِهِ ما أغنىٰ عنِ الاجتماعِ بهِ ، ونحنُ نتَّبعُ ما عليهِ الخلفاءُ الراشدونَ الذينَ قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في حقِّهم : « عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ ٱلْخُلَفَاءِ ٱلرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي »[1] ، وعقائدُ الأئمَّةِ الأربعةِ فيها كفايةٌ لكلِّ مسلمٍ يغلبُ هواهُ ويتبعُ الحقَّ ويتخلَّصُ مِنَ البدعِ ، اللهمَّ إلا إنْ كنتَ تدَّعي الاجتهادَ ، فعليكَ أنْ تُثبِتَ ؛ ليكونَ الجوابُ علىٰ قَدْرِ الدعوىٰ لتكونَ صاحبَ مذهبٍ خامسٍ .

وأمَّا ما ذكرتَهُ عنِ الذي جرىٰ في أيامِ والدي تغمَّدَهُ اللهُ برضوانِهِ . فذلكَ الحالُ أنا أعلمُ بهِ منكَ ، وما كانَ السببُ إلا فتحَ بابِ السلامِ ، لا لأمرٍ دينيٍّ .

وَجُرْمٍ جَرَّهُ سُفَهَاءُ قَوْمٍ ... فَحَلَّ بِغَيْرِ جَانِيهِ ٱلْعَذَابُ[2]

ومعَ هٰذا : فقد وردَ في الحديثِ : « ٱلْفِتْنَةُ نَائِمَةٌ ، لَعَنَ ٱللهُ مُثِيرَهَا »[3] ،

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٧٦) ، والدرامي (٩٦) ، والحاكم (١/ ٩٥ـ ٩٦) عن سيدنا العرباض بن سارية رضي الله عنه .

(٢) البيت للمتنبي في « ديوانه » (١/ ٨١) ، وهو من الوافر .

(٣) انظر « كشف الخفاء » (٢/ ٨٣) .

ومَنْ تعرَّضَ إلىٰ إثارتِها قابلْناهُ[1] بما يُخلِّصُنا مِنَ اللهِ وما يعضدُ كتابَ اللهِ وسنَّةَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، ثمَّ استدعىٰ رسولاً وسيَّرَ الرقعةَ معَهُ .

فلمَّا وفدَ بها عليهِ فضَّها وقرأَها وطواها ، وقالَ للرسولِ : قد وصلَتْ وقرأتُها ، وفهمتُ [ما فيها ، فاذهبْ بسلامٍ] ، فقالَ الرسولُ : قرَّرَتِ الأوامرُ المطاعةُ السلطانيةُ إليَّ بإحضارِ جوابِها ، فاستحضرَ الشيخُ دَواةً وورقةً ، وكتبَ فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر : ٩٢-٩٣] .

أمَّا بعدَ حمدِ اللهِ ـ جلَّتْ قدرتُهُ ، وعلَتْ حكمتُهُ ، وعمَّتْ رحمتُهُ ، وسبغَتْ نعمتُهُ ـ[2] . . فإنَّ اللهَ تعالىٰ قالَ لأحبِّ خلقِهِ إليهِ ، وأكرمِهم لديهِ : ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام : ١١٦] .

وقد أنزلَ اللهُ تعالىٰ كتبَهُ وأرسلَ رسلَهُ بنصائحِ خلقِهِ ؛ فالسعيدُ مَنْ قَبِلَ نصائحَهُ ، وحفظَ وصاياهُ ، وكانَ فيما أوصىٰ بهِ خلقَهُ أنْ قالَ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات : ٦] ، وهوَ سبحانَهُ وتعالىٰ أولىٰ مَنْ قُبِلَتْ نصيحتُهُ ، وحُفِظَتْ وصيتُهُ .

وأمَّا طلبُ المجلسِ وجمعُ العلماءِ والمفتينَ . . فما حملَني عليهِ إلا النصحُ للسلطانِ وعامَّةِ المسلمينَ ، وقد سُئِلَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ عنِ الدينِ

(١) ويحتمل في (أ) أيضاً : (قاتلناه) ، وهو كذلك في « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢٣١) .

(٢) سقط من « إيضاح الكلام » قوله : (جلت قدرته . . . نعمته) .

فقالَ : « ٱلدِّينُ ٱلنَّصِيحَةُ » ، قيلَ : لمَنْ يا رسولَ اللهِ ؟ قالَ : « للهِ ، وَلِكِتَابِهِ ، وَرَسُولِهِ ، وَأَئِمَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ »[1] .

فنصحُ اللهِ تعالىٰ : بامتثالِ أوامرِهِ واجتنابِ نواهيهِ ، ولكتابِهِ : بالعملِ بمواجبِهِ ، ولرسولِهِ : باتِّباعِ سنَّتِهِ ، وللأئمَّةِ : بإرشادِهِم إلىٰ أحكامِهِ ، والوقوفِ عندَ أوامرِهِ ونواهيهِ ، ولعامَّةِ المسلمينَ : بدلالتِهِم علىٰ ما يُقرِّبُهُم إليه ، ويزلفُهُم لديهِ ، وقد أدَّيتُ ما عليَّ في ذلكَ .

والفتيا التي وقعَتْ في هٰذهِ القضيةِ يُوافِقُ عليها علماءُ المسلمينَ مِنَ الشافعيةِ والمالكيةِ والحنفيةِ والفضلاءِ مِنَ الحنبليةِ ، وما يُخالِفُ في ذلكَ إلا رَعاعٌ لا يعبأُ اللهُ بهِم ، وهوَ الحقُّ الذي لا يجوزُ دفعُهُ ، والصوابُ الذي لا يمكنُ رفعُهُ .

ولو حضرَ [العلماءُ] مجلسَ السلطانِ لعلمَ صحةَ ما أقولُ ، والسلطانُ أقدرُ الناسِ علىٰ تحقيقِ ذلكَ ، وقد كتبَ الجماعةُ خطوطَهُم بمثلِ ما قلتُهُ ، وإنَّما سكتَ مَنْ سكتَ في أولِ الأمرِ ؛ لما رأَوْا مِنْ غضبِ السلطانِ ، ولولا ما شاهدوهُ مِنْ غضبِ السلطانِ لما أفتَوْا أوَّلاً إلا بما رجعوا إليهِ آخراً ، ومعَ ذلكَ : فيُكتَبُ ما ذكرتُهُ في هٰذهِ الفتيا وما ذكرَهُ الغيرُ ، ويُبعَثُ إلىٰ بلادِ الإسلامِ ؛ ليكتبَ فيها كلُّ مَنْ يجبُ الرجوعُ إليهِ ، ويُعتمَدُ في الفتيا عليهِ ، ونحنُ نحضرُ كتبَ العلماءِ المعتبرينَ ليقفَ عليها السلطانُ .

وبلغَني أنَّهُم ألقَوا إلىٰ سمعِ السلطانِ أنَّ الأشعريَّ يستهينُ بالمصحفِ ، ولا خلافَ بينَ الأشعريةِ وجميعِ علماءِ المسلمينَ أنَّ تعظيمَ المصحفِ واجبٌ ، وعندَنا : أنَّ مَنِ استهانَ بالمصحفِ أو بشيءٍ منهُ . فقد كفرَ ، وانفسخَ نكاحُهُ ، وصارَ مالُهُ فيئاً للمسلمينَ ، وتُضرَبُ عنقُهُ ، ولا يُغسَّلُ ولا يُكفَّنُ

(١) أخرجه مسلم (٥٥) عن سيدنا تميم الداري رضي الله عنه .

ولا يُصلَّىٰ عليهِ ، ولا يُدفَنُ في مقابرِ المسلمينَ ، بل يُترَكُ بالقاعِ ، طعمةً للسباعِ .

ومذهبُنا : أنَّ كلامَ اللهِ سبحانَهُ وتعالىٰ قديمٌ أزليٌّ قائمٌ بذاتِهِ ، لا يُشبِهُ كلامَ الخلقِ ، كما لا تُشبِهُ ذاتُهُ ذاتَ الخلقِ ، ولا يُتصوَّرُ في شيءٍ مِنْ صفاتِهِ أنْ يُفارِقَ ذاتَهُ ، ولو فارقَتْهُ لصارَ ناقصاً ، تعالى اللهُ عمَّا يقولُ الظالمونَ علوّاً كبيراً .

وهوَ معَ ذلكَ مكتوبٌ في المصاحفِ ، محفوظٌ في الصدورِ ، مقروءٌ بالألسنِ ، وصفةُ اللهِ القديمةُ ليسَتْ بمدادِ الكاتبينَ ، ولا ألفاظِ اللافظينَ ، ومَنِ اعتقدَ ذلكَ فقد فارقَ الدينَ ، وخرجَ عن عقائدِ المسلمينَ ، بل لا يعتقدُ ذلكَ إلا جاهلٌ غبيٌّ ، وربُّنا المستعانُ علىٰ ما يصفونَ .

وليسَ ردُّ البدعِ وإبطالُها مِنْ بابِ إثارةِ الفتنِ ؛ فإنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالىٰ أمرَ العلماءَ بذلكَ ، وأمرَهُم ببيانِ ما علموهُ ، ومَنِ امتثلَ أمرَ اللهِ ونصرَ دينَهُ لا يجوزُ أنْ يلعنَهُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ .

وأمَّا ما ذُكِرَ مِنْ أمرِ الاجتهادِ والمذهبِ الخامسِ : فأصولُ الدينِ ليسَ فيها مذاهبُ ؛ فإنَّ الأصلَ واحدٌ ، والخلافَ في الفروعِ ، ومثلُ هٰذا الكلامِ ممَّا اعتمدتُم فيهِ قولَ مَنْ لا يجوزُ أنْ يُعتمَدَ قولُهُ ، واللهُ أعلمُ بمَنْ يعرفُ دينَهُ ويقفُ عندَ حدودِهِ .

وبعدَ ذلكَ : فإنَّا نزعمُ أنَّا مِنْ جملةِ حزبِ اللهِ وأنصارِ دينِهِ وجندِهِ ، وكلُّ جنديٍّ لا يُخاطِرُ بنفسِهِ فليسَ بجنديٍّ .

وأمَّا ما ذُكِرَ مِنْ أمرِ بابِ السلامِ : فنحنُ تكلَّمْنا فيهِ بما ظهرَ لنا مِنْ أنَّ السلطانَ الملكَ العادلَ تغمَّدَهُ اللهُ برحمتِهِ إنَّما فعلَ ذلكَ إعزازاً للدينِ ونصرةً للحقِّ ، ونحنُ نحكمُ بالظاهرِ ، واللهُ يتولَّى السرائرَ .

والحمدُ للهِ وحدَهُ ، وصلَّى اللهُ على محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ) .

قالَ الشيخُ شرفُ الدينِ : (وكانَ يكتبُها وهوَ مسترسلٌ مِنْ غيرِ توقُّفٍ ولا تردُّدٍ ولا تلعثُمٍ ، فلمَّا أنهى كتابتَها طواها وختمَها ودفعَها للرسولِ .

وكانَ عندَهُ حالةَ كتابتِها رجلٌ مِنَ العلماءِ الفضلاءِ وممَّنْ يحضرُ مجلسَ السلطانِ ، فأوقفَهُ على الرُّقعةِ الواردةِ عليهِ مِنَ الملكِ الأشرفِ ، فتغيَّرَ لونُهُ ، واعتقدَ أنَّ الشيخَ يعجزُ عنِ الجوابِ ؛ لما في ورقةِ السلطانِ مِنْ تشديدِ الخطابِ ، فلمَّا خطَّ الشيخُ الكتابَ مُسترسِلاً عَجِلاً وهوَ يُشاهِدُ ما يكتبُهُ . . بطلَ عندَهُ ما كانَ يحسبُهُ ، وقالَ لهُ : لو كانَتْ هٰذهِ الرُّقعةُ التي وصلَتْ إليكَ وصلَتْ إلى قُسِّ بنِ ساعدةَ . . لعجَزَ عنِ الجوابِ ، وعَدِمَ الصوابَ ، ولٰكنَّ هٰذا تأييدٌ إلٰهيٌّ .

فلمَّا عادَ الرسولُ إلى السلطانِ رحمَهُ اللهُ وأوصلَهُ الرُّقعةَ ؛ فلمَّا فضَّها وقُرِئَتْ عليهِ اشتدَّ استشاطتُهُ ، وعَظُمَ غضبُهُ ، وتيقَّنَ العدوُّ تلفَ الشيخِ وعطبَهُ ، ثمَّ استدعى الغرزَ خليلاً ، وكانَ إذ ذاكَ أستاذَ دارِهِ ، وكانَ مِنَ المُحبِّينَ للشيخِ والمعتقدينَ فيهِ ، فحمَّلَهُ رسالةً إلى الشيخِ وقالَ لهُ : تعودُ إليَّ سريعاً بالجوابِ .

فجاءَ الغرزُ إليهِ ، وجلسَ بينَ يديهِ بحسنِ تودُّدٍ وتأدُّبٍ وتأتٍّ[1] ، ثمَّ قالَ لهُ : أنا رسولٌ ، وما على الرسولِ إلا البلاغُ المبينُ ، واللهِ ؛ لقد تعصَّبوا عليكَ ، وأعنتَهُم على نفسِكَ بعدمِ اجتماعِكَ في مبدأِ الأمرِ بالسلطانِ ، ولو كانَ رآكَ ولو مرَّةً واحدةً لما تمَّ شيءٌ مِنْ هٰذهِ الأمورِ أصلاً ، وكنتَ أنتَ عندَهُ الأعلى .

فقالَ لهُ : أدِّ الرسالةَ كما قيلَتْ لكَ .

فقالَ : لا تسألْ ما حصلَ عندَ السلطانِ عندَ وقوفِهِ على ورقتِكَ ، ولا سيَّما أنَّهُ وجدَ فيها ما لا يعهدُهُ مِنْ مخاطبةِ الناسِ للملوكِ ، مُضافاً إلى ما ذكرتَهُ مِنْ

(١) في « طبقات الشافعية الكبرى » : (وتأنٍّ) بدل (وتأت) .

مخالفةِ اعتقادِهِ ، فقالَ : اذهبْ إلى ابنِ عبدِ السلامِ وقلْ لهُ : إنَّا قد شرطْنا عليهِ ثلاثةَ شروطٍ : أحدُها : أنَّهُ لا يُفتي ، والثاني : أنَّهُ لا يجتمعُ بأحدٍ ، والثالثُ : أنَّهُ يلزمُ بيتَهُ .

فقالَ لهُ : يا غرزُ ؛ إنَّ هـٰذهِ الشروطَ مِنْ نعمِ اللهِ الجزيلةِ عليَّ ، المستوجبةِ للشكرِ للهِ تعالىٰ على الدوامِ ؛ أمَّا الفتيا : فإنِّي واللهِ كنتُ مُتبرِّماً بها وأكرهُها وأعتقدُ أنَّ المفتيَ علىٰ شفيرِ جهنَّمَ ، ولولا أنِّي كنتُ أراها مُتعيِّنةً عليَّ لما أفتيتُ ، والآنَ فقد سقطَ عنِّي الوجوبُ وتخلَّصَتْ ذِمَّتي ، وللهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

وأمَّا تركُ اجتماعي بالناسِ ولزومي لبيتي : فهـٰذا مِنْ سعادتي ؛ لتفرُّغي لعبادةِ اللهِ تعالىٰ ، والسعيدُ مَنْ لزمَ بيتَهُ ، وبكىٰ علىٰ خطيئتِهِ ، واشتغلَ بطاعةِ اللهِ تعالىٰ ، وهـٰذا تسليكٌ[1] مِنَ الحقِّ وهديةٌ مِنَ اللهِ تعالىٰ إليَّ أجراها علىٰ يدِ السلطانِ وهوَ غضبانُ وأنا بها فرحانُ[2] .

واللهِ يا غرزُ ؛ لو كانَ عندي خلعةٌ تصلحُ لكَ علىٰ هـٰذهِ الرسالةِ المُتضمِّنةِ لهـٰذهِ البشارةِ . . لخلعتُ عليكَ ونحنُ على الفتوحِ ، خُذْ هـٰذهِ السَّجَّادةَ صلِّ عليها ، فقبلَها وقبَّلَها ، وودَّعَهُ وانصرفَ إلى السلطانِ ، وذكرَ لهُ ما جرىٰ بينَهُ وبينَهُ ، فقالَ لمَنْ حضرَهُ : قولوا لي : ما أفعلُ بهِ ؟ هـٰذا رجلٌ يرى العقوبةَ نعمةً ، اتركوهُ ، بيننا وبينَهُ اللهُ .

ثمَّ إنَّ الشيخَ بقيَ علىٰ تلكَ الحالِ ثلاثةَ أيامٍ .

ثمَّ إنَّ الشيخَ جمالَ الدينِ الحَصيريَّ شيخَ الحنفيةِ في زمانِهِ ، وكانَ قد جمعَ بينَ العلمِ والعملِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ[3] . . ركبَ حماراً لهُ وحولَهُ أصحابُهُ ،

(١) في « إيضاح الكلام » : (وهـٰذا تسلية) .

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢٣٥) .

(٣) وقد سبقت ترجمته (١/ ٦١٢) ، وقد ألمحنا فيها تعليقاً إلىٰ مجمل ما ذكره المؤلف هنا .

وقصدَ السلطانَ ، فلمَّا بلغَ الملكَ الأشرفَ دخولُ الحَصيريِّ إلى القلعةِ . . أرسلَ إليهِ خاصَّتَهُ يتلقَّونَـهُ ، وأمرَهُم أنْ يدخلوا بهِ إلىٰ دارِهِ راكباً علىٰ حمارِهِ ، فلمَّا رآهُ السلطانُ وثبَ قائماً ، ومشىٰ إليهِ ، وأنزلَهُ عن حمارِهِ ، وأجلسَهُ علىٰ تكرمتِهِ ، واستبشرَ بوفودِهِ عليهِ ، وكانَ في رمضانَ قريبَ غروبِ الشمسِ .

فلمَّا دخلَ وقتُ المغربِ وأذَّنَ المُؤذِّنُ صلَّوا صلاةَ المغربِ ، ثمَّ أُحضِرَ للسلطانِ قدحُ شرابٍ ، فتناولَهُ وناولَهُ للشيخِ ، فقالَ لهُ : ما جئتُ إلىٰ طعامِكَ ولا إلىٰ شرابِكَ ، فقالَ لهُ : يرسمُ الشيخُ ونحنُ نمتثلُ مرسومَهُ .

قالَ لهُ : أيشِ بينَكَ وبينَ ابنِ عبدِ السلامِ ؟! هـٰذا رجلٌ لو كانَ في الهندِ أو في أقصى الدنيا كانَ ينبغي للسلطانِ أنْ يسعىٰ في حلولِهِ في بلدِهِ ؛ لتتمَّ بركتُهُ عليهِ وعلىٰ بلادِهِ ، ويفتخرَ بهِ علىٰ سائرِ الملوكِ ؟! قالَ : عندي خطُّهُ باعتقادِهِ في فتيا ، وخطُّهُ أيضاً في رُقعةِ جوابِ رقعةٍ سيَّرتُها إليهِ ، فيقفُ الشيخُ عليهما ويكونُ الحَكَمَ بيني وبينَهُ .

ثمَّ أحضرَ الورقتَينِ ، فوقفَ عليهما وقرأَهُما إلىٰ آخرِهما ، وقالَ لهُ : هـٰذا اعتقادُ المسلمينَ ، وشعارُ الصالحينَ ، ونَفَسُ المؤمنينَ[1] ، وكلُّ ما فيها صحيحٌ ، **ومَنْ خالفَ ما فيهما وذهبَ إلىٰ ما قالَهُ الخصمُ مِنْ إثباتِ الحرفِ والصوتِ . . فهوَ حمارٌ** .

فقالَ السلطانُ رحمَهُ اللهُ : نحنُ نستغفرُ اللهَ ممَّا جرىٰ ، ونستدركُ الفارطَ في حقِّهِ ، واللهِ ؛ لأجعلَنَّهُ أغنى العلماءِ ، وأرسلَ إلى الشيخِ واسترضاهُ ، وطلبَ مُحاللتَهُ ومُخاللتَهُ .

وكانَتِ الحنابلةُ قدِ استَضْرَوا علىٰ أهلِ السنَّةِ[2] ، وعلتْ كلمتُهُم علىٰ

(١) في « إيضاح الكلام » : (ويقين) بدل (ونفس) .

(٢) في « إيضاح الكلام » : (استنصروا) بدل (استضروا) .

كلمتِهم ؛ بحيثُ إنَّهُم صاروا إذا خلَوا بهِم في المواضعِ الخاليةِ . . يسبُّونَهُم ويضربونَهُم ويذمُّونَهُم ، فعندَما اجتمعَ الشيخُ جمالُ الدينِ الحَصيريُّ بالسلطانِ وتحقَّقَ ما عليهِ الجمُّ الغفيرُ مِنِ اعتقادِ أهلِ الحقِّ . . تقدَّمَ إلى الفريقينِ بالإمساكِ عنِ الكلامِ في مسألةِ الكلامِ ، وألا يُفتيَ أحدٌ فيها بشيءٍ ؛ سدّاً لبابِ الخصامِ ، فانكسرَتِ المبتدعةُ بعضَ الانكسارِ ، وفي النفوسِ ما فيها .

ولم يَزَلِ الأمرُ مُستمرّاً علىٰ ذلكَ إلىٰ أنِ اتَّفقَ وصولُ السلطانِ الملكِ الكاملِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ إلىٰ دمشقَ مِنَ الديارِ المصريةِ ، وكانَ اعتقادُهُ صحيحاً ، وهوَ مِنْ أهلِ الحقِّ[1] ، قائلٌ بقولِ الأشعريِّ رحمَهُ اللهُ في الاعتقادِ ، وكانَ وهوَ بالديارِ المصريةِ قد سمعَ ما جرىٰ في دمشقَ في مسألةِ الكلامِ ، فرامَ الاجتماعَ بالشيخِ ، فاعتذرَ إليهِ ، فطلبَ منهُ أنْ يكتبَ لهُ ما جرىٰ في هٰذهِ القضيَّةِ مُستقصىً مُستوفىً ، فأمرَني والدي رحمَهُ اللهُ بكتابةِ ما سقتُهُ في هٰذا الجزءِ مِنْ أولِ القضيةِ إلىٰ آخرِها .

فلمَّا وصلَ ذلكَ إليهِ ووقفَ عليهِ أسرَّ ذلكَ في نفسِهِ ، إلىٰ أنِ اجتمعَ بالسلطانِ الملكِ الأشرفِ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ ، وقالَ لهُ : يا خواند ؛ كنتُ سمعتُ أنَّهُ جرىٰ بينَ الشافعيةِ والحنابلةِ خصامٌ في مسألةِ الكلامِ ، وأنَّ القضيةَ اتَّصلَتْ بالسلطانِ ، فماذا صنعتَ فيها ؟

فقالَ : يا خواند ؛ منعتُ الطائفتَينِ مِنَ الكلامِ في مسألةِ الكلامِ ، وانقطعَ بذلكَ الخصامُ .

فقالَ السلطانُ الملكُ الكاملُ رحمَهُ اللهُ تعالىٰ : واللهِ ؛ مليحٌ !! ما هٰذهِ إلا سياسةٌ وسلطنةٌ ؛ تُساوِي بينَ أهلِ الحقِّ والباطلِ ، وتمنعُ أهلَ الحقِّ مِنَ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ وأنْ يكتموا ما أنزلَ اللهُ إليهِم ؟!

(١) العبارة في « إيضاح الكلام » : (وهو من المتعصبين لأهل الحق) .

كانَ الطريقُ أنْ تُمكِّنَ أهلَ السنَّةِ مِنْ أنْ يلحنوا بحُجَّتِهم ، وأنْ يُظهِروا دينَ اللهِ ، وأنْ تشنقَ مِنْ هـٰؤلاءِ المبتدعةِ عشرينَ نفساً ليرتدعَ غيرُهُم ، وأنْ تُمكِّنَ المُوحِّدينَ مِنْ إرشادِ المسلمينَ ، وأنْ يُبيِّنوا لهُم طريقَ المؤمنينَ .

فعندَ ذلكَ ذلَّتْ رقابُ المبتدعةِ ، وانقلبوا خائبينَ ، وعادوا خاسرينَ ، وردَّ اللهُ الذينَ كفروا بغيظِهِم لم ينالوا خيراً ، وكفى اللهُ المؤمنينَ القتالَ على يدِ السلطانِ الملكِ الكاملِ رحمَهُ اللهُ .

وانقشعَتِ المسألةُ للسلطانِ الملكِ الأشرفِ رحمَهُ اللهُ ، وصرَّحَ بخجلِهِ وحيائِهِ مِنَ الشيخِ ، وقالَ : لقد غَلِطْنا في حقِّ ابنِ عبدِ السلامِ غلطةً عظيمةً ، وصارَ يترضَّاهُ ، ويعملُ بفتاويهِ وما أفتاهُ ، ويطلبُ أنْ يُقرَأَ عليهِ تصانيفُهُ الصغارُ ؛ مثلُ « الملحةِ في اعتقادِ أهلِ الحقِّ » التي ذكرَ بعضَها في الفتيا ، وقُرِئَتْ عليهِ « مقاصدُ الصلاةِ » في يومٍ ثلاثَ مرَّاتٍ ، تُقرَأُ عليهِ وكلَّما دخلَ عليهِ أحدٌ مِنْ خواصِّهِ يقولُ للقارئِ : اقرأْ « مقاصدَ الصلاةِ » لابنِ عبدِ السلامِ حتىٰ يسمعَها فلانٌ وينفعَهُ اللهُ تعالىٰ بسماعِها ، حتىٰ قالَ والدي رحمَهُ اللهُ : لو قُرِئَتْ « مقاصدُ الصلاةِ » علىٰ بعضِ مشايخِ الزوايا أو علىٰ مُتزهِّدٍ أو مريدٍ أو مُتصوِّفٍ مرَّةً واحدةً في مجلسٍ . . لما أعادَها فيهِ مرَّةً أخرىٰ[1] .

ولقد دخلَ على السلطانِ الملكِ الأشرفِ الشيخُ شمسٌ سبطُ ابنِ الجوزيِّ ، وكانَ واعظَ الزمانِ ، وكانَ لهُ قَبولٌ عظيمٌ ، ويحضرُ مجلسَهُ الألوفُ مِنَ الناسِ .

ولقد شاهدتُ منهُ عَجَباً ؛ كانَ يطلعُ على المنبرِ في بعضِ الأيامِ ، ويُحدِقُ الناسُ إليهِ ، فيطرقُ ساعةً وينتحبُ ويبكي ، ويبكي الناسُ معَهُ ، ويقتلونَ أنفسَهُم ، وينزلُ عنِ المنبرِ ولا يتكلَّمُ بكلمةٍ واحدةٍ ، ويذهبُ هائماً علىٰ

(١) وقد طبعت هـٰذه الرسالة مستقلة ، وطبعت طبعة أخرىٰ مضافاً إليها « مقاصد الصيام » و« مناسك الحج » للإمام ابن عبد السلام .

وجهِهِ ، ويذهبُ الناسُ مِنْ مجلسِهِ وهم سُكارىٰ حَيارىٰ !! وهـٰذا لم أرَهُ لأحدٍ غيرِهِ .

وكـانَ يجلـسُ فـي الثـلاثـةِ الأشهـرِ رجـبٍ وشعبـانَ ورمضـانَ فـي كـلِّ [سبتٍ][1] ، وكانَ الناسُ يتأهَّبونَ لحضورِ مجلسِهِ قبلَ السبتِ بثلاثةِ أيامٍ .

فلمَّا دخلَ على السلطانِ ناولَهُ « مقاصدَ الصلاةِ » ، وقالَ لهُ : اقرأْها ، فقرأَها بينَ يديهِ واستحسنَها ، وقالَ : لم يُصنِّفْ أحدٌ مثلَها ، فقالَ : طَرِّزْ مجلسَكَ الآتيَ بذكرِها ، وحَرِّضِ الناسَ علىٰ تحصيلِها وتعلُّمِها[2] .

ولم يَزَلْ يعظمُ السلطانُ الشيخَ ويتبرَّكُ بأقوالِهِ إلىٰ أنْ مرضَ مرضةَ الموتِ ويئسَ مِنَ الحياةِ ، فقالَ لأكبرِ أصحابِهِ : اذهبْ إلى ابنِ عبدِ السلامِ وقُلْ لهُ : مُحِبُّكَ موسى بنُ العادلِ أبي بكرٍ يُسلِّمُ عليكَ ، ويسألُكَ أنْ تعودَهُ وتدعوَ لهُ وتُوصِيَهُ بما ينتفعُ بهِ غداً عندَ اللهِ تعالىٰ .

فلمَّا وصلَ الرسولُ إليهِ بهـٰذهِ الرسالةِ قالَ : نعم ، إنَّ هـٰذهِ العيادةَ لَمِنْ أفضلِ العباداتِ ؛ لما فيها مِنَ النفعِ المُتعدِّي إنْ شاءَ اللهُ تعالىٰ ، فتوجَّهَ إليهِ وسلَّمَ عليهِ ، فسُرَّ برؤيتِهِ سروراً عظيماً ، وقبَّلَ يدَهُ ، وقالَ لهُ : يا عزَّ الدينِ ؛

(١) في (أ ، ب) : (سنة) بدل (سبت) .

(٢) زاد في « إيضاح الكلام » : (فلمَّا جاء الميعاد طلع على المنبر ، وحمد الله وأثنىٰ عليه ، وصلىٰ علىٰ نبيه صلى الله عليه وسلم وقال : اعلموا رحمكم الله : أن أفضل العبادات البدنية الصلاة ، وهي صلة بين العبد وربه ، فعليكم بـ« مقاصد الصلاة » تصنيفِ ابن عبد السلام ، فاسمعوها وعوها ، واحفظوها واعملوا بها ، وعلِّموها أولادكم ومن يَعِزُّ عليكم ، وكانت عروساً وهو ماشطتها ، فحلاها عليهم وأهداها إليهم ، وكان لها وقعٌ عظيم في ذلك المجلس ، وعندما انفضَّ المجلس قَصَدَنا الناسُ لكتابتها وتعلُّمها وتحصيلها ، فأحالهم والدي عليَّ ، فعيَّنت لهم جماعة من النساخ ، وكتبوا منها من النسخ ما لا يحصىٰ عدده ، وكان الناس يُحصِّلونها ، ويسمعونها على الشيخ) ، وقوله : (فحلاها) كذا فيه ، ويحتمل أن يكون : (فجلاها) بالمعجمة ، والله تعالىٰ أعلم .

اجعلْني في حِلٍّ وادعُ اللهَ لي ، وأوصِني وانصحْني .

فقالَ لهُ : **أمَّا محاللتُكَ** : فإنِّي في كلِّ ليلةٍ أُحالِلُ الخلقَ ، وأبيتُ وليسَ لي عندَ أحدٍ مظلمةٌ ، وأرىٰ أنْ يكونَ أجري على اللهِ تعالىٰ ولا يكونَ على الناسِ ؛ عملاً بقولِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورىٰ : ٤٠] ، فلأَنْ يكونَ أجري على اللهِ ولا يكونَ علىٰ خلقِهِ أحبُّ إليَّ .

وأمَّا السلطانُ : فإنِّي أدعو لهُ في كثيرٍ مِنَ الأحيانِ ؛ لما في صلاحِهِ مِنْ صلاحِ المسلمينَ والإسلامِ ، واللهُ تعالىٰ يُبصِّرُ السلطانَ بما يُبيِّضُ بهِ وجهَهُ عندَهُ يومَ يلقاهُ .

وأمَّا وصيَّتي ونصيحتي للسلطانِ: فقد وجبَتْ وتعيَّنَتْ لقبوليَّتِهِ وتقاضيهِ[1] .

وكانَ قُبيلَ مرضِهِ قد وقعَ بينَهُ وبينَ أخيهِ السلطانِ الملكِ الكاملِ واقعٌ ووحشةٌ ، وأمرَ وهوَ في ذلكَ المرضِ بنصبِ دهليزِهِ إلىٰ صوبِ مصرَ ، فضربَ علىٰ منزلةٍ تُسمَّى الكسوةَ ، وكانَ في ذلكَ الزمانِ قد ظهرَ التترُ بالشرقِ .

فقالَ الشيخُ : السلطانُ الملكُ الكاملُ أخوكَ الكبيرُ ورحِمُكَ ، وأنتَ مشهورٌ بالفتوحاتِ والنصرِ على الأعداءِ ، والتترُ قد خاضوا بلادَ المسلمينَ ، تتركُ ضربَ دهليزِكَ وتضربُهُ إلىٰ جهةِ التترِ أعداءِ اللهِ وأعداءِ المسلمينَ[2] ، ولا تقطعُ رحِمَكَ في هٰذهِ الحالةِ ، وتنوي معَ اللهِ تعالىٰ نصرَ دينِهِ وإعزازَ كلمتِهِ ؛ فإنْ مَنَّ اللهُ تعالىٰ بعافيةِ السلطانِ رجَوْنا مِنْ أخيهِ الصلحَ والمعونةَ)[3] .

(١) في « إيضاح الكلام » : (لقبوله) بدل (لقبوليته) .

(٢) العبارة في « إيضاح الكلام » : (تترك ضرب دهليزك إلىٰ أعداء الله وأعداء المسلمين وتضربه إلىٰ جهة أخيك ؟!) ، والفرق بين العبارتين واضح .

(٣) انظر « إيضاح الكلام » (ص٣ـ١٧) ، و« طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٨/ ٢١٨ـ٢٤٠) .

قلتُ : تُوفِّيَ السلطانُ الملكُ الأشرفُ رحمَهُ اللهُ مِنْ مرضِهِ ذلكَ في [يومِ الخميسِ رابعِ المحرمِ بدمشقَ][1] سنةَ خمسٍ وثلاثينَ وستِّ مئةٍ ، رحمَهُ اللهُ تعالىٰ .

* * *

(١) ما بين معقوفين بياض في (أ ، ب) بمقدار خمس كلمات ، وانظر « النجوم الزاهرة » (٦/ ٣٠١) .

الفصل الخامس

في بيان تحذيرٍ وذكر تذكيرٍ بوقائعَ دلّت التواريخ عليها وهدت العبرة إليها

منها : أنَّ هـٰذهِ البدعةَ ـ أعني : القولَ بالجهةِ والحرفِ والصوتِ ، وحملَ الظواهرِ على ما يُنافي التنزيهَ ـ لم تظهرْ بينَ قومٍ ، ولم ينهضْ أهلُ الحَلِّ والعقدِ في ذلكَ الزمانِ لإخمادِها ورَدْعِ أهلِها وزَجْرِهِم عن ذلكَ . . إلا آذنَتْ بوبالِهِم ، وكانَتْ سبباً لشؤمِ مآلِهِم ، وكذلكَ ما فشتْ في قُطْرٍ مِنْ أقطارِ الأرضِ إلا دمَّرَتْهُ وكانَتْ سبباً في خرابِهِ ، ولا كانَتْ بينَ قومٍ إلا غشيَتْهُمُ الذِّلَّةُ ، وسُلِّطَ عليهِمُ الأعداءُ ؛ وذلكَ لأنَّها تُضاهي قولَ اليهودِ ، فيشاركونَهُم في الإهانةِ والصَّغارِ ، وتأمَّلِ التواريخَ تهدِكَ إلى ذلكَ[1] .

[نماذجُ مِنْ شؤمِ المُشبِّهةِ على البلادِ التي حلُّوا بها]

فأمَّا شُؤمُها على الأقوامِ في سالفِ الأعوامِ : فانظرْ : لمَّا اشتهَرَتْ هـٰذهِ البدعةُ في طائفةٍ مِنْ أهلِ البصرةِ . . سُلِّطَ عليهِم بنو عامرٍ مرتَينِ ؛ مرةً في صفرٍ سنةَ ثمانٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ ، ومرةً ثانيةً في سنةِ ثلاثٍ وتسعينَ وخمسِ مئةٍ ، فقتلوا ونهبوا ، وفعلوا كلَّ قبيحةٍ .

(١) ولم تفشُ هـٰذه البدعة في زمن من الأزمان كما فشت في زماننا هـٰذا ، ولقد لقيت تأييداً مضاعفاً ، وتغلغلت في صفوف المسلمين ، بل صوَّر أعداء الدين ، أنه هو الإسلام الذي جاء به سيد المرسلين ؛ فلذلك لم نرَ ذلّاً وصَغاراً ، وانحلالاً وتفرُّقاً ، وفساداً وتمزُّقاً ، وصل إليه المسلمون كما وصلوا إليه في زماننا هـٰذا ، نسأل الله أن يأذن بالفرج القريب عاجلاً غير آجل .

وكذلكَ لمَّا ظهرَتْ بهراةَ وفيروزكوهَ وخراسانَ في زمنِ الغوريةِ وكانَ أكثرُهُم كراميةً ؛ فاضمحلَّ ملكُهُم وسُلِّطَ عليهِم خوارزم شاه .

ثمَّ ظهرَتْ بعدَ وفاةِ الإمامِ فخرِ الدينِ بالريِّ وتفاقمَ أمرُها ، فسُلِّطَ عليهِمُ التتارُ في سنةِ سبعَ عشرةَ وستِّ مئةٍ .

وجعلَتْ هٰذهِ البدعةُ كلَّما ظهرَتْ بإقليمٍ أو قُطْرٍ . . سُلِّطَ عليهِمُ التتارُ بالقتلِ وسفكِ الدماءِ ، يطوونَ البلادَ طيّاً ، فلا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيمِ .

فالحمدُ للهِ الذي ألهمَ أهلَ الحلِّ والعقدِ في هٰذا الزمانِ ، الرجوعَ إلىٰ جهابذةِ النقدِ مِنْ علماءِ الأوانِ ، فقمعوا هٰذهِ البدعةَ ، وطهَّروا منها مصرَنا الذي جعلَهُ اللهُ بعدَ الأَحْرامِ مِنْ أشرفِ بقعةٍ .

وأمَّا شُؤْمُها على البقاعِ : فيكفي إقليمَ خراسانَ أنَّهُ لم يبقَ منهُ إلا ربعُهُ ، والعراقَ قد دثرَ بشؤمِها صقعُهُ ، وكرسيُّ ملكِها حرَّانُ قد خلا مِنَ الأنيسِ رَبعُهُ ، بل دمَّرَ اللهُ عليهِ أشدَّ دمارٍ[1] ، فما بهِ نافخُ ضَرَمةٍ ولا مضرمُ نارٍ[2] .

فالحمدُ للهِ الذي جعلَ خرابَ كومِ الجارحِ مِنْ أخطاطِ مصرَ بأيدي المؤمنينَ الأبرارِ[3] ، ولم يُسلِّطْ عليهِ عدداً مِنَ الكفَّارِ ، وهوَ وإنْ كانَ مأوى المبتدعةِ لٰكنَّهُ بجوارِ أهلِ السنَّةِ محفوفٌ ؛ فلأجلِ ذلكَ ساعدُ العدوانِ عنهُ مكفوفٌ .

واللهُ المسؤولُ أنْ يُطهِّرَ جبلَ قاسيونَ مِنْ أهلِ البدعِ[4] ، ويُفرِّقَ مِنْ شملِهِم

(١) وذكرت سابقاً قصة نزوح أسرة ابن تيمية من حرَّان إلىٰ دمشق ، وكان ابن تيمية في ذلك الوقت صغير السن . انظر (١/ ٦٥) .

(٢) قوله : (فما به نافخ ضَرَمة) الضَّرَمة : الجمرة ، وقيل : النار نفسها ، وهو مثل ضربه ، وأراد به : أنه لم يبقَ بحرَّان أحد من أهلها . انظر « مجمع الأمثال » (٢/ ٢٨٧) .

(٣) انظر ما سبق عن هٰذه القرية في (٢/ ٥٧) .

(٤) قاسيون : جبل مشرف علىٰ مدينة دمشق .

بيدِ المملكةِ الناصريةِ ما اجتمعَ ، وأنْ يتداركَ ما تصدَّرَهُ مِنَ الصَّدا بجلائِهِ ، ومَنْ بقيَ مِنْ دُعاةِ العدا بجَلائِهِ ، قبلَ أنْ يتجلَّى لهُ تجلِّيَ الغَضَبِ ، ويصبَّ عليهِ سوطَ العذابِ والعَطَبِ ، فيدكَّهُ أو ينسفَهُ نَسْفاً ، أو يخسفَ بهِ الأرضَ أو يسقطَ عليهِ مِنَ السماءِ كِسْفاً ، وكلُّ ذلكَ بشؤمِ بعضِ سُكَّانِهِ ، وفسادِ عقائدِ بعضِ قُطَّانِهِ[1] .

فالجسدُ الصحيحُ لِمَا حلَّ بهِ مِنَ الخلطِ يألمُ ، وبسكَّانِها تشقى البقاعُ وتنعمُ[2] ؛ ولأجلِ ذلكَ هُجِرَ مسجدُ الضرارِ ، وخُسِفَ بقارونَ وبالدارِ ، فحذارِ حذارِ معاشرَ سكانِ الجبلِ ، وبَدارِ بَدارِ إلى الإقلاعِ عن هٰذا الخَبَلِ ، قبلَ أنْ يسبقَ السيفُ العتابَ ، ويقعَ عليكُمُ القولُ ويُوضَعَ الكتابُ ، نسألُ اللهَ أنْ يخيرَ لكُم ، وأنْ يُطهِّرَ مِنْ هٰذهِ البدعةِ جِبِلَّتَكُم وجبلَكُم ؛ إنَّهُ قريبٌ مجيبٌ .

تنبيهٌ

[في سببِ تسميةِ جبلِ قاسيونَ بـ (جبلِ الصالحيَّةِ)]

الجبلُ المعروفُ بـ (سكنِ الجماعةِ) كانَ اسمُهُ قاسيونَ ، وإنَّما سُمِّيَ جبلَ الصالحيةِ باسمِ الملكِ الصالحِ بنِ [.][3] ، فليُعلَمْ ذلكَ .

(١) ومن قطانه : ثلة من المقدسيين والحرَّانيين وغيرهم الذين نزحوا عن بلادهم إثر الغزو المغولي والصليبي واستقروا في جبل قاسيون ، وكان من هٰؤلاء ممن نبتَ على عقيدة التشبيه ، وغرس في صفوف بعض المسلمين بذورَها وشؤمها .

(٢) أخذ هٰذا الكلام من قول أبي تمام :

وإذا تـأمَّلـتَ البقـاعَ وجـدتَهـا تشقى كما تشقى الرجالُ وتسعدُ

انظر « وفيات الأعيان » (١/ ٤٤٢-٤٤٣) .

(٣) بياض في الأصل بمقدار ثلاث كلمات ، والملك الصالح : هو السلطان المشهور صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولعل المؤلف أراد أن ينبه على ما يتوهم في « معجم البلدان » =

تنبيهٌ ثانٍ

[في سببِ تسمية القائلينَ بالحرفِ والصوتِ بـ (الحشويةِ)]

إنَّما سُمِّيَ معتقدو هـٰذا الاعتقادِ (الحشويةَ) لما يؤولُ أمرُهُم مِنَ التجسيمِ الذي يقتضي تحيُّزَ الجسمِ في الجهةِ وحشوَهُ فيها .

وقيلَ : لأنَّ القائلينَ بالحرفِ والصوتِ مصرِّحونَ بأنَّ الكلامَ لا ينفكُّ عنهُما ، والصوتَ لا يكونُ إلا بينَ جسمينِ ، فهوَ حينَ بروزِهِ إلى الوجودِ صادرٌ بينَ جسمينِ حشوٌ لهُما ، **تعالى اللهُ عن ذلكَ** .

[رأيُ المؤلِّفِ في سببِ تسميتِهِم بـ (الحشويةِ)]

والذي يظهرُ لي : أنَّهُ مأخوذٌ مِنْ حشوِ الكلامِ ؛ وهوَ الذي لا فائدةَ فيهِ ، وحشوِ الناسِ الذينَ لا غَناءَ عندَهُم وليسَ لهُم علمٌ ولا يُشارُ إليهِم ، ولمَّا كانَ القائلونَ بهـٰذهِ المقالاتِ الغالبُ أنْ يكونوا مِنْ جُفاةِ الناسِ وسُقَّاطِهِم ، ومَنْ لا مُسكةَ لهُ مِنْ عقلٍ ولا مَلَكَةَ لهُ في علمٍ ، دهماءَ غوغاءَ لا يعبأُ اللهُ بهِم شيئاً ؛ ما بينَ جمَّالٍ أو فلاحٍ أو جافي الطبعِ مُقلِّدٍ جاهلٍ . . صدقَ عليهِم : حشوٌ ، ليسَ بهِم كمالٌ في الظاهرِ ، ولا نفعٌ في الباطنِ[1] .

= (٣/ ٣٩٠) أنها سميت بذلك لصلاح بعض القاطنين بها وأكثرُهم كانوا من المقدسيين الحنابلة ، والله تعالىٰ أعلم .

(١) **ومن الأمور المضحكات والمصائب المبكيات في الوقت نفسه** : أن رجلاً من كبار الحشوية المعاصرة ، والذي انتشر على يده هـٰذا الإثم الكبير ، والإفساد المستحكم الخطير . . غيَّر اعتقاده من مذهب أهل السنة إلىٰ مذهب الحشوية بسبب فلاَّح جاهل غُمْرٍ غُتْميٍّ ، بعد أن أطلعه علىٰ كتاب لأحد كبار أئمتهم ، وكان هـٰذا الفلاَّح قد أخذ آراءه الفاسدة من إنسان رمَّالٍ كان يبث سمومه على الطَّغام والأغتام من العمال والفلاحين والكنَّاسين وغيرهم ، وهـٰكذا أهل الابتداع من قديم الزمان ، إلىٰ عصر المؤلف ، حتىٰ زماننا هـٰذا ؛ ينشرون اعتقادهم أوَّلاً بين الجاهلين ، أو طلاب العلم المغمورين ، الذين أخذوا علمهم عن تكرار ، وتقلَّدوه=

ويُؤيِّدُ ذلكَ : أنَّ المأمونَ لمَّا كتبَ كتابَهُ في أولِ المحنةِ قالَ في أثنائِهِ : (وقد بلغَنا أنَّ قوماً مِنْ حشوِ الرَّعاعِ وسُقَّاطِ الدَّهْماءِ. . .) ، ثمَّ ذكرَ باقيَ الكتابِ ، وهوَ مُسطَّرٌ في التواريخِ ، فمَنْ أرادَ الوقوفَ عليهِ فليتبعْهُ في مظانِّهِ[1] .

[تنبيهٌ] ثالثٌ

[في التحقُّقِ مِنْ نسبةِ بعضِ الأثريةِ المبتدعةِ لبعضِ الأئمةِ القولَ بخلقِ القرآنِ]

اعلَمْ : أنَّ بعضَ مَنْ يتتبَّعُ أحوالَ الرواةِ والعلماءِ مِنْ جماعةِ المبتدعةِ الذينَ يُسمُّونَ أنفسَهُمُ (الأثريةَ) . . مُتسرِّعونَ إلىٰ إطلاقِهِم : (فلانٌ كانَ يقولُ بخلقِ القرآنِ) مِنْ غيرِ تثبُّتٍ ولا نظرٍ في أمرِهِ ، ولعلَّهُم لا يجدونَ في كلامِهِ تصريحاً بذلكَ ، وإنَّما يقولُ قولاً مثلَ قولِ الأشعريِّ أو يُقاربُهُ مِنْ غيرِ أنْ يجترئَ علىٰ إطلاقِ الخلقِ ، وحاشَ للهِ مِنْ ذلكَ .

هـٰذا العسكريُّ صاحبُ « الأوائلِ » قالَ : (أولُ مَنْ قالَ بخلقِ القرآنِ فلانٌ)[2] ، وحاشا ذلكَ الإمامِ الذي ذكرَهُ العسكريُّ مِنْ ذلكَ ، وإنَّما هـٰذا مِنَ

= من دون فهم واستبصار ، ثم يظهرونه على العلن عندما تستحكم قوتهم ويلقون دعماً وتأييداً ما ؛ ﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الرعد : ٣٣] .

(١) وغرض المؤلف من هـٰذا الاستشهاد : تأييدُ ما ذهب إليه من تفسير (الحشوية) بما ذكره ، وقال السبكي في « الإبهاج » (١/ ٣٦٢) : (الحشوية : طائفة ضلوا عن سواء السبيل ، وعميت أبصارهم ، يجرون آيات الصفات علىٰ ظاهرها ، ويعتقدون أنه المراد ، سمُّوا بذلك ؛ لأنهم كانوا في حلقة الحسن البصري رحمه الله تعالىٰ ، فوجدهم يتكلمون كلاماً ساقطاً ، فقال : ردوا هـٰؤلاء إلىٰ حشا الحلقة ـ أي : جانبها ـ وقيل : سموا بذلك ؛ لأن منهم المجسمة والجسم محشوٌّ ، فعلىٰ هـٰذا : القياس فيه : « الحشْوية » بسكون الشين ؛ إذ النسبة إلى الحَشْو) ، وانظر « تاريخ الإسلام » (١٥/ ٢٠) ، و« النجوم الزاهرة » (٢/ ٢١٨) .

(٢) انظر « الأوائل » (ص٣٦٩) ، ويقصد بـ (فلان) : الإمام أبا حنيفة رحمه الله تعالىٰ .

التعصُّبِ وإغماضِ العينِ عنِ المحاسنِ واختلاقِ المعايبِ ، وبموجَبِ ذلكَ يُلزَمونَ تلازمَ أقوالِهم .

وهـٰذهِ نكتةٌ إنْ أردتَ تحقيقَها فاكشفْ كلامَ كلِّ شخصٍ نسبوا إليهِ ذلكَ ممَّنْ يشهدُ باطنُكَ ببراءتِهِ . . تجدْ كلامَهُ لا يقتضي شيئاً مِنْ ذلكَ ، **فتأمَّلْ ذلكَ وحقِّقْهُ** ، إلا أنَّ قوماً معروفونَ بذلكَ ، فأولـٰئكَ لا كلامَ فيهِم ، **فاعلمْ ذلكَ** .

* * *

الفصل السادس

في ذكر ما عاملهم به ولاة الأمور، في سالف الدهور ليقوم إجراؤه على المستمعين، مقام رأي العين

وأنا أذكرُ فيهِ مراسمَ المُتقدِّمينَ وهلمَّ جرّاً، وأنقلُ ما نكَّلوا بهم ردعاً وزجراً.

وإنَّما أثبتْنا ذلكَ ؛ ليظهرَ أنَّ هٰذهِ الدولةَ المنيرةَ أدامَ اللهُ على أهلِ السنَّةِ إشراقَها ، وبوَّأَهُم حرمَها الآمنَ ورِواقَها ، وروَّىٰ ظمأَهُم مِنْ أغداقِ جودِها ، وذهبَ بأبصارِ المبتدعةِ وأسماعِهم بإبراقِها ورعودِها ، ولا زالَتْ ألويتُها المنصورةُ في الخافقَينِ خافقةً، وقلوبُ الأعداءِ في صدورِهِمُ الحرجةِ خافقةً . . لم تأتِ في ردعِ المبتدعةِ ببِدْعٍ ، ولا خالفَتْ في ذلكَ منهجَ شرعٍ ، وأنَّها وافقَتْ مَنْ تقدَّمَها بالنكالِ والإخراقِ ، لٰكنِّي لم أظفَرْ بهِ ، فمَنْ ظَفِرَ بهِ علىٰ نصِّهِ فليُنبِّهْ في هٰذا الموضعِ .

[ذكرُ ما عاملَ بهِ الملكُ الناصرُ ابنَ تيميةَ ومَنْ لفَّ لفَّهُ][1]

وبالجملةِ : فقد أحيا مولانا السلطانُ الملكُ الناصرُ العادلُ المُؤيَّدُ المُظفَّرُ[2]، سيدُ الملوكِ والسلاطينِ ، قاهرُ المبتدعةِ الشياطينِ ، مُذِلُّ رقابِ

(١) قال الإمام الكوثري في تعليقه على « السيف الصقيل » (ص١٨ـ ١٩) : (ولم يكن له ـ أي : الملك الناصر ـ عداء شخصي نحو ابن تيمية أصلاً ، كما اعترف بذلك أشياع ابن تيمية ، لٰكن لمَّا رأىٰ توالي فِتَنِهِ ، واتَّفق علماء المذاهب علىٰ ضده ، ومعهم قاضي قضاة الحنابلة . . لم يسعْهُ إلا أن يصدر مرسوماً لأهل دمشق ومرسوماً لسائر البلدان أسوةً بما أصدره بمصر ضد هٰذا الزائغ ، وقد تُليت تلك المراسيم على المنابر ؛ نصحاً للأمة وإفهاماً لها أن ذلك الرجل مُجسِّم زائغٌ اعتقاداً وعملاً ، فلا يجوز الاغترار به) ، وسيأتي نصُّ هٰذا المرسوم في (٢/ ٥٣٠ـ ٥٣٤) .

(٢) هو أبو الفتح محمد بن قلاوون الصالحي ، من كبار سلاطين الدولة القلاوونية ،=

الكفارِ ، ومُبِيدُ أعداءِ اللهِ التتارِ . . مآثرَ الملوكِ الأُوَلِ والخلفاءِ السالفينَ ، فكانَتْ دولتُهُ مربيةً علىٰ تلكَ الدولِ ، ومناقبُهُ مُنسيةً مناقبَ الملوكِ الأُوَلِ ، وللهِ القائلُ[1] : [من البسيط]

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئاً سَمِعْتَ بِهِ ... فِي طَلْعَةِ ٱلشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلِ

وممَّا أُرِّخَ مِنْ مناقبِهِ ، وممَّا قامَتْ سطوتُهُ فيهِ مَقامَ مقانبِهِ[2] : نهضةٌ أخلصَ للهِ فيها القيامَ ؛ رفعَ بها مِنَ الباطلِ الغبارَ والقَتامَ ، وأعلىٰ فيها رايةَ أهلِ السنَّةِ ، ومحا آيةَ الحشويةِ أولي المحنةِ ، فأصبحَتْ عَلَماً علىٰ حُلَّةِ الزمانِ ، وعِلْماً إلى الساعةِ يُعمَلُ بهِ ويُدانُ ، وسنَّةً حسنةً اقتضَتْ سعادتَهُ الأعمالُ في سببِها ، وحكمَتْ إرادةُ الشريعةِ بالسبقِ إلىٰ هٰذهِ الخصلةِ الجميلةِ فلهُ أجرُها وأجرُ مَنْ عملَ بها ؛ حينَ ظهرَتْ فتيا ابنِ التيميةِ في أثناءِ سنةِ خمسٍ وسبعِ مئةٍ حينَ استخفَّ قومَهُ[3] ، واستعجلَ يومَهُ .

فبعثَ[4] إلى النُّوَّابِ بكفِّهِ ، مُوعِزاً لهُم أنْ يُغِضَّ مِنْ صوتِهِ ويحذفَ مِنْ حرفِهِ ، ثمَّ لم يقنعْ بأمرِهِ السريعِ المَضاءِ ، وزجرِهِ المُؤيَّدِ بالتأييدِ الإلهيِّ ونفوذِ القضاءِ ، فاستحضرَهُ علىٰ خيلِ البريدِ ، وأشخصَهُ إلى القلعةِ المحروسةِ

= وانظر ما تقدم (١/ ٦٨ـ٦٩) .

(١) البيت للمتنبي في « ديوانه » (٣/ ٨١) .

(٢) المقانب : جماعة الفرسان .

(٣) أفاض ابن الدواداري في « كنز الدرر » (٩/ ١٣٣ـ١٤٥) ، والنويري في « نهاية الأرب » (٣٢/ ١٠١) وما بعدها في التاريخ لحادثة ابن تيمية وشرح أسبابها وموجباتها من بدايتها إلىٰ نهايتها ، وقد ذكر المؤلف مواضع من هٰذه الفتيا في بداية الكتاب ، وقد قمت بفضل الله بتوثيقها وتخريجها كاملةً بحيث ينقطع الشك والريب في نسبة هٰذه الفتيا لابن تيمية . انظر (١/ ٧٧ـ١٣٩) .

(٤) أي : الملك الناصر .

بالاستحثاثِ المزعجِ والإرهاقِ الشديدِ ، وألقاهُ في غَيابةِ الجُبِّ الجديدِ .

ثـمَّ تقـدَّمَ أمـرُهُ المطـاعُ ، المُقـابَـلُ بـالامتثـالِ عنـدَ السمـاعِ ، المُتَّبِـعُ لمراضي اللهِ ، والمُوافِقُ لرأيِ الراضي باللهِ . أنْ يُكتَبَ كتابٌ يتهدَّدُ فيهِ مَنِ اتَّبعَ رأيَهُ وسعىٰ سعيَهُ مِنَ القائلينَ بالحروفِ والأصواتِ ، والمُحيِّزينَ لربِّهم في الجهاتِ ، مُنكِراً لمذهبِهِمُ السخيفِ ، مُنكِّراً لمعارفِهِمُ المنكرةِ عندَ التعريفِ ، مُستوقِفاً لهُم عنِ اعتقادِهِمُ الذي ابتدعوهُ مِنْ غيرِ توقيفٍ ؛ ليكونَ ذلكَ سَنَناً تتبعُهُ الملوكُ مِنْ أعقابِهِ ، ويعاملونَ بهِ مَنْ تظاهرَ منهُم علىٰ توالي الزمانِ وأحقابِهِ .

فانتدبَ لهـٰذهِ المنقبةِ مَنْ محبةُ اللهِ ورسولِهِ ، قضتْ لهُ ببلوغِ مناهُ ونُجْحِ سولِهِ ، وأعطىٰ رايتَهُ مَنْ تباشيرُ الفتحِ مُتحقِّقةٌ مِنْ ميمونِ طلعتِهِ ، وعنوانُ النُّجْحِ مُستقرىً مِنْ إخلاصِهِ المُبرَّأِ مِنْ شنعةِ الرياءِ وسمعتِهِ ، رأسُ ديوانِ الإنشاءِ ، وصدرُ أعيانِ الكفاةِ والأكفاءِ ، يمينُ المملكةِ الناصريةِ القاهرةِ ، وأمينُ الدولةِ المنيرةِ الزاهرةِ ، ولسانُها المُعرِبُ عن مُرادِها ، وترجمانُها الموافقُ سدادُهُ لسدادِها ، ثمرةُ دوحةِ المآثرِ ، ووارثُ المعالي كابراً عن كابرٍ ، السابقُ في حَلْبةِ الفضائلِ ، والباسقُ فرعاً زاهيَ الجنىٰ زاهرَ الخمائلِ .

المُعْيي مَنْ يُجاريهِ في مجدِهِ ، والمُحْيي مناقبَ المُحْيي جدِّهِ ؛ الحبابُ العلائيُّ ، العالميُّ الفاضلُ البارعيُّ ، الأصيلُ الكفيلُ الزعيمي ، القواميُّ العلائيُّ علاءُ الدينِ ، عينُ الأعيانِ جمالُ الإسلامِ ، حسنةُ الأيامِ ، ذخرُ الأنامِ ، يمينُ الإمامِ ، أبو الحسنِ عليٌّ نجلُ المعزِّ الأشرفِ ، العالي العالميِّ العامليِّ ، الفاضلِ البارعيِّ القواميِّ ، النظاميِّ الوزيريِّ الصاحبيِّ ، الفتحيِّ فتحِ الدينِ شرفِ الأصحابِ ، خالصةِ أميرِ المؤمنينَ ، لا زالَ علاؤُهُ متبوِّئاً مِنَ الشرفِ المكانَ المكينَ ، ونهوضُهُ في ذاتِ اللهِ نهوضَ المعانِ المعينِ ، ونصرتُهُ

في اللهِ نصرةَ المخلصينَ ، وعزمُهُ عزمَ الأسرةِ المُنعَمِ عليهِم بالاجتباءِ المُخصَّصينَ .

فأجابَ إجابةَ المجاهدِ باليدِ واللسانِ ، وأعملَ قلمَهُ الذي أغنىٰ عنِ المرهفِ والسِّنانِ ، واستمطرَ سحائبَ الحججِ المغدقةِ [. . .][1] ، وطرَّزَ أرديةَ الشمسِ بما معناهُ كضياءِ النهارِ ، ولونُهُ كسوادِ الليلِ فأرعدَ وأبرقَ ، وتهدَّدَ بما هو إنْ داموا علىٰ معتقدِهِم مُحقَّقٌ ، مُؤيَّداً في ذلكَ باتباعِ الكتابِ والسنَّةِ ، مُسدِّداً نحوَهُم شديدَ الكلامِ الذي هوَ أبلغُ مِنْ وقعِ السهامِ ووخزِ الأسنَّةِ ، ذاهباً في التحذيرِ والإنذارِ كلَّ مذهبٍ ، مُبالِغاً في إنكارِهِ عليهِم سوءَ المَذهَبِ ، مُفصِّلاً بجواهرِ المعاني قلائدَ اللفظِ المُذهَبِ ، آتياً بما هوَ شفاءٌ لأكبادِ السنَّةِ مِنَ الظما ، وشقاءُ المبتدعةِ والذينَ لا يؤمنونَ في آذانِهِم وقرٌ وهوَ عليهِم عمىً .

فوافقَ مِنَ السلطانِ عزَّ نصرُهُ ما كانَ في النفسِ ، وأشرقَ وجهُهُ مِنَ المسرَّةِ بهِ إشراقَ الشمسِ ، وشكرَهُ وهوَ جديرٌ بأنْ يُشكَرَ ، وكافأَهُ عليهِ ولأَجْرُ الآخرةِ أكبرُ .

وتوجَّهَ بالعلامةِ الشريفةِ ، واستنهضَ لهُ جماعةَ البُرْدِ التي هيَ على الأعداءِ ثقيلةٌ وفي السُّرىٰ خفيفةٌ ، وأمرَهُ أنْ يكتبَ نسخاً علىٰ أُنموذجِهِ النظيمِ ، وأنْ تُشنَّفَ بهِ آذانُ المنابرِ في كلِّ إقليمٍ ، وأنْ يحضرَ قراءتَها أهلُ الحَلِّ والعقدِ ، والموافقةِ والردِّ مِنَ الحُرِّ والعبدِ ، وأنْ يُعلَنَ بذلكَ علىٰ رؤوسِ الأشهادِ ؛ ليستفيضَ ذلكَ عندَ كلِّ حاضرٍ وبادٍ .

(١) ما بين معقوفين كلمة غير واضحة علىٰ هامش الأصل .

[المرسومُ السلطانيُّ الذي صدرَ في حقِّ ابنِ تيميةَ والحنابلةِ]

فكانَ مِنْ جملةِ نسخِهِ : ما قُرِئَ في جامعِ القاهرةِ بعدَ صلاةِ الجمعةِ ، وبمصرَ بعدَ عصرِ الجمعةِ ، سلخَ شهرِ رمضانَ سنةَ خمسٍ وسبعِ مئةٍ ؛ وهوَ :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي تنزَّهَ عنِ الشبيهِ والنظيرِ ، وتعالىٰ عنِ المثيلِ فقالَ عزَّ وجلَّ : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورىٰ : ١١] ، نحمدُهُ علىٰ أنْ ألهمَنا العملَ بالسنَّةِ والكتابِ ، ورفعَ في أيامِنا أسبابَ الشكِّ والارتيابِ ، ونشهدُ أنْ لا إلـٰهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، شهادةَ مَنْ يرجو بإخلاصِهِ حسنَ العقبىٰ والمصيرِ ، ويُنزِّهُهُ خالقَهُ عنِ التحيُّزِ في جهةٍ ؛ لقولِهِ : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤] .

ونشهدُ أنَّ محمداً عبدُهُ ورسولُهُ الذي نهجَ سبيلَ النجاةِ لمَنْ سلكَ سبيلَ مرضاتِهِ ، وأمرَ بالتفكُّرِ في آلاءِ اللهِ ونهىٰ عنِ التفكُّرِ في ذاتِهِ[1] ، صلَّى اللهُ عليهِ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ الذينَ علا بهِم منارُ الإيمانِ وارتفعَ ، وشيَّدَ اللهُ بهِم مِنْ قواعدِ الدينِ الحنيفِ ما شرعَ ، وأخملَ بهِم كلمةَ مَنْ حادَ عنِ الحقِّ ومالَ إلى البدعِ[2] .

وبعدُ : فإنَّ العقائدَ الشرعيةَ ، وقواعدَ الإسلامِ المرعيَّةَ ، وأركانَ الإيمانِ العليَّةَ ، ومذاهبَ الدينِ المرضيَّةَ . هيَ الأساسُ الذي يُبنىٰ عليهِ ، و[الموئلُ

(١) أخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (١) ، والطبراني في « الأوسط » (٦٣١٩) ، والبيهقي في « الشعب » (١١٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وانظر « كشف الخفاء » (١/ ٣١١-٣١٢) .

(٢) في « نهاية الأرب » ، و« كنز الدرر » : (وأخمد) بدل (وأخمل) .

الذي] يرجعُ كلُّ أحدٍ إليهِ ، والطريقُ التي مَنْ سلكَها فقد فازَ فوزاً عظيماً ، ومَنْ حادَ عنها فقدِ استوجبَ عذاباً أليماً .

فلهذا يجبُ أنْ تُنفَّذَ أحكامُها ، ويُؤكَّدَ دوامُها ، وتُصانَ عقائدُ المِلَّةِ عنِ الاختلافِ ، وتُزانَ قواعدُ الأئمَّةِ بالائتلافِ ، وتُخمَدَ ثوائرُ البدعِ ، ويُفرَّقَ مِنْ فِرَقِها ما اجتمعَ .

وكانَ ابنُ التيميةِ في هذهِ المُدَّةِ قد بسطَ لسانَ قلمِهِ ، ومدَّ عِنانَ كَلِمِهِ ، وتحدَّثَ في مسائلِ الذاتِ والصفاتِ ، ونصَّ في كلامِهِ على أمورٍ مُنكراتٍ ، وتكلَّمَ فيما سكتَ عنهُ الصحابةُ والتابعونَ ، وتحدَّثَ فيما تجنَّبَهُ السلفُ الصالحونَ[1] ، وأتى في ذلكَ بما أنكرَهُ أئمَّةُ الإسلامِ ، وانعقدَ على خلافِهِ إجماعُ العلماءِ والحكامِ ، وشَهَرَ مِنْ فتاويهِ في البلادِ ما استخفَّ بهِ عقولَ العوامِّ ، وخالفَ في ذلكَ فقهاءَ عصرِهِ ، وعلماءَ شامِهِ ومِصْرِهِ ، وبعثَ برسائلِهِ إلى كلِّ مكانٍ ، وسمَّى فتاويَهُ أسماءً ما أنزلَ اللهُ بها مِنْ سلطانٍ .

ولمَّا اتَّصلَ بنا ذلكَ ، وما سلكَ المريدونَ لهُ مِنْ هذهِ المسالكِ ، وأظهروهُ مِنْ هذهِ الأحوالِ وأشاعوهُ ، وعَلِمْنا أنَّهُ استخفَّ قومَهُ فأطاعوهُ ؛ حتى قيلَ : إنَّهُم صرَّحوا في حقِّ اللهِ تعالى بالحرفِ والصوتِ والتجسيمِ . . قُمْنا في اللهِ تعالى مشفقينَ مِنْ هذا النبأِ العظيمِ ، وأنكرْنا هذهِ البدعةَ ، وعزَّنا أنْ تشيعَ عمَّنْ تضمُّهُ ممالكُنا هذهِ السمعةُ ، وكرهْنا ما فاهَ بهِ المبطلونَ ، وتلَوْنا قولَهُ تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات : ١٥٩] ؛ فإنَّهُ تنزَّهَ في ذاتِهِ وصفاتِهِ عنِ العديلِ والنظيرِ ، ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] .

وتقدَّمَتْ مراسمُنا باستدعاءِ المذكورِ إلى أبوابِنا العاليةِ عندَما سارَتْ فتاويهِ

(١) في « نهاية الأرب » ، و« كنز الدرر » : (وفاه بما) بدل (وتحدث فيما) .

شاماً ومصراً ، وصرَّحَ فيها بألفاظٍ ما سمعَها ذو لُبٍّ إلا وتلا قولَهُ تعالىٰ : ﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ [الكهف : ٧٤] .

ولمَّا وصلَ إلينا تقدَّمْنا إلىٰ أُولي الحَلِّ والعَقْدِ ، وذوي التحقيقِ والنقدِ ، وحضرَ قضاةُ الإسلامِ ، وحكامُ الأنامِ ، وعلماءُ الدينِ ، وفقهاءُ المسلمينَ ، وعُقِدَ لهُ مجلسُ شرعٍ ، في ملأٍ وجمعٍ ، فثبتَ عندَ ذلكَ عليهِ ، ما نُسِبَ إليهِ ، وبمقتضىٰ خطِّ يدِهِ ، الدالِّ علىٰ مُعتقدِهِ ، وانفصلَ ذلكَ الجمعُ وهم لعقيدتِهِ منكرونَ ، وواخذوهُ بما شهدَ قلمُهُ عليهِ تالينَ لهُ ﴿سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف : ١٩] .

ونُقِلَ إلينا أنَّهُ كانَ استُتيبَ فيما تقدَّمَ ، وأُخِّرَ لمَّا تعرَّضَ إلىٰ ذلكَ وأقدمَ[1] ، ثمَّ عادَ بعدَ منعِهِ ، ولم تدخلْ تلكَ النواهي في سمعِهِ ، وصحَّ ذلكَ في مجلسِ الحكمِ العزيزِ المالكيِّ ووضحَ ، وصدقَ فيهِ أملُ الراجينَ للحقِّ فنجحَ ، واقتضى الشرعُ الشريفُ أنْ يُسجَنَ هـٰذا المذكورُ ، وأنْ يُمنَعَ مِنَ التصرُّفِ والظهورِ ؛ لما في ذلكَ مِنْ مصالحِ الجمهورِ .

ومرسومُنا هـٰذا : يأمرُ بألا يسلكَ أحدٌ هـٰذهِ المسالكَ ، وينهىٰ عنِ اعتقادِ مثلِ ذلكَ ، أو يغدوَ لهُ في هـٰذا القولِ مُتَّبعاً ، أو لمثلِ ألفاظِهِ مُستمعاً ، وأنْ يسريَ في التجسيمِ مسراهُ ، أو أنْ يفوهَ في ذلكَ كما فاهَ[2] ، أو أنْ يتحدَّثَ أحدٌ في صوتٍ أو حرفٍ ، أو يُوسِعَ القولَ في ذاتٍ أو وصفٍ ، أو يتفوَّهَ بتجسيمٍ ، أو ينطقَ بلفظٍ في ذلكَ غيرِ مستقيمٍ[3] ، أو يخرجَ عن رأيِ الأئمَّةِ ، أو ينفردَ عن

(١) في « نهاية الأرب » ، و« كنز الدرر » : (وأخَّرَه الشرع الشريف) بدل (وأُخِّر) .

(٢) في « نهاية الأرب » : (أو أن يفوه بجهة العلو مُخصِّصاً أحداً كما فاه) .

(٣) العبارة في « كنز الدرر » : (أو يطلق لسانه بتجسيم ، أو يحيد عن طريق الحق المستقيم) بدل (أو يتفوَّه بتجسيم . . .) .

علماءِ الأمَّةِ ، أو يُحيِّزَ اللهَ تعالىٰ في جهةٍ ، أو يتعرَّضَ إلىٰ حيثُ أو كيفَ ، فليسَ لمَنْ يعتقدُ هٰذا المجموعَ عندَنا إلا السيفُ .

فليقفْ كلُّ أحدٍ علىٰ هٰذا الحدِّ ، ولله الأمرُ مِنْ قبلُ ومِنْ بعدُ ، وليُلزَمْ كلُّ مِنَ الحنابلةِ بالرجوعِ عن هٰذهِ العقيدةِ ، والخروجِ عن هٰذهِ المشتبهاتِ الشديدةِ ، ولزومِ ما أمرَ اللهُ بهِ مِنَ التمسُّكِ بمذاهبِ أهلِ الإيمانِ الحميدةِ ؛ فإنَّهُ مَنْ خرجَ عن أمرِ اللهِ فقد ضلَّ سواءَ السبيلِ ، وليسَ لهُ غيرَ السجنِ الطويلِ مِنْ مقيلِ[1] .

ومتىٰ أصرُّوا على الامتناعِ ، وأَبَوا إلا الدفاعَ . . أَمَرْنا بإسقاطِهِم مِنْ مناصبِهِم ، ووضعِهِم مِنْ مراتبِهِم ، وليسَ لهُم عندَنا قضاءٌ ولا حكمٌ ولا إمامةٌ ، ولا نسمحُ لهُم في بلادِنا بتدريسٍ ولا شهادةٍ ولا إقامةٍ ؛ فإنَّنا أزلْنا دعوةَ هٰذا الرجلِ مِنَ البلادِ ، وأبطلْنا هٰذهِ العقيدةَ التي أضلَّ بها كثيراً مِنَ العبادِ أو كادَ ، وقد أعذرْنا وحذَّرْنا ، وأنصفْنا حيثُ أنذرْنا .

وليُقرَأْ مرسومُنا هٰذا على المنابرِ ؛ ليكونَ أبلغَ واعظٍ وزاجرٍ ، وأعدلَ ناهٍ وآمرٍ ، إنْ شاءَ الله تعالى[2] .

(١) زاد النويري في « نهاية الأرب » : (رسَمْنا بأن يُنادىٰ في دمشقَ المحروسة ، والبلادِ الشامية وتلك الجهاتِ . . بالنهي الشديد ، والتخويف والتهديد ، لمَنْ يتَّبعُ ابن تيمية في الأمر الذي أوضحناه ، ومَنْ تبعه فيه تركناه في مثل مكانه وأحللناه ، ووضعناهُ من عيون الأمم كما وضعناه) .

(٢) زاد ابن الدواداري في « كنز الدرر » : (وليُبلِّغ للغائب الحاضرُ ، والخطُّ الشريف أعلاه ، حُجَّةٌ بمقتضاه) ، وقال : (وكتب هٰذا المرسوم عدةَ نسخ ، ونفذ إلىٰ سائر الممالك الإسلامية ، وتولىٰ قراءة هٰذا المرسوم الوارد بدمشق القاضي شمس الدين محمد بن شهاب الدين محمود المُوقِّع ، وبلَّغ عنه ابن صبيح المؤذن ، وأحضروا الحنابلة بعد ذلك ، واعترفوا عند قاضي القضاة جمال الدين المالكي بأنهم جميعهم يعتقدون ما يعتقده الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه ؛ وهو قوله : « آمنت بالله وما جاء عن الله عمَّن آمن=

والحمدُ للهِ وحدَهُ ، وصلواتُهُ علىٰ سيِّدِنا محمدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسلامُهُ .

فلمَّا وصلَ إليهِمُ المثالُ الشريفُ ، وقُرِئَ عليهِم ما فيهِ مِنَ التهديدِ والتخويفِ ، مِنَ الخلفاءِ والملوكِ ، في اقتفاءِ المناهجِ والسلوكِ . . شكرَ اللهُ سعيَها وصنيعَها ، وتقبَّلَ أعمالَها التي أخلصَتْها راجيةً ألا يضيعَها ، فلقد شفتْ أكباداً ، وشقَّتْ أعداءً وأضداداً ، وأظهرَتِ الحقَّ ، وأنكرَتْ مِنَ الباطلِ ما استوجبَ الإنكارَ واستحقَّ ، واتَّبعَتْ في ذلكَ هديَ الرسولِ ، واقتدتْ بما سمعَتْ مِنَ المنقولِ .

روىٰ عبدُ اللهِ بنُ المباركِ بسندِهِ إلىٰ أنسِ بنِ مالكٍ قالَ : قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَنْ أَنْعَشَ حَقّاً بِلِسَانِهِ جَرَىٰ لَهُ أَجْرُهُ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللهَ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَيُوَفِّيَهُ ثَوَابَهُ » ، وقالَ حبانُ بنُ موسىٰ : « حَقّاً يُعْمَلُ بِهِ بَعْدَهُ »[1] .

[ذكرُ ما عاملَ بهِ الخليفةُ الراضي البَربَهاريَّ وأصحابَهُ]

ذكرَ الشيخُ عزُّ الدينِ عليُّ بنُ محمدِ ابنِ عبدِ الكريمِ الجزريُّ المعروفُ بـ (ابنِ الأثيرِ) في « تاريخِهِ » قالَ : (ثمَّ دخلَتْ سنةُ ثلاثٍ وعشرينَ وثلاثِ مئةٍ) ، وعدَّدَ وقائعَ جرتْ في السنةِ المذكورةِ ، ثمَّ قالَ : (وفيها عَظُمَ أمرُ الحنابلةِ ، وقَوِيَتْ شوكتُهُم ، وصاروا يكبسونَ دورَ القُوَّادِ والعامَّةِ ، وإنْ وجدوا نبيذاً أراقوهُ ، وإنْ وجدوا مُغنِّيةً ضربوها وكسروا آلةَ الغناءِ ، واعترضوا في البيعِ والشراءِ ، ومشيِ الرجالِ معَ النساءِ والصبيانِ ، فإذا رأَوْا ذلكَ سألوهُ

= باللهِ ، وآمنت برسولِ اللهِ وما جاء عن رسولِ اللهِ عن مرادِ رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم ») .

(١) أخرجه أبو نعيم في « الحلية » (٨/ ١٧٩) ، والطبراني في « مكارم الأخلاق » (٧٦) ، وبنحوه أحمد في « المسند » (٣/ ٢٦٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وحبان بن موسىٰ : من الرجال الواردين في طرق أبي نعيم في « الحلية » .

عنِ الذي معَهُ مَنْ هوَ ، فإنْ أخبرَهُم ، وإلا ضربوهُ ، وحملوهُ إلىٰ صاحبِ الشرطةِ وشهدوا عليهِ بالفاحشةِ ، فأوهجوا بغدادَ[1] .

فركبَ بدرٌ الخَرْشَنيُّ ـ وهوَ صاحبُ الشرطةِ ـ عاشرَ جمادى الآخرةِ ، ونادىٰ في جانبَيْ بغدادَ في أصحابِ أبي محمدٍ البربهاريِّ : أنَّ الحنابلةَ لا يجتمعُ منهُمُ اثنانِ ، ولا يتناظرونَ في مذهبِهِم ، ولا يُصلِّي منهُم إمامٌ إلا إذا جهرَ بـ « بسمِ اللهِ الرحمٰنِ الرحيمِ » في صلاةِ الصبحِ والعشاءينِ ، فلم يُفِدْ فيهِم ، وزادَ شرُّهُم وعنتُهُم ، واستظهروا بالعميانِ الذينَ كانوا يأوونَ المساجدَ ، وكانوا إذا مرَّ بهِم شافعيُّ المذهبِ أَغْرَوا بهِ [العميانَ] ، فيضربونَهُ بعِصِيِّهِم حتىٰ يكادُ يموتُ .

فخرجَ توقيعُ الراضي باللهِ بما يُقرأُ على الحنابلةِ يُنكِرُ عليهِم فعلَهُم ويُوبِّخُهُم باعتقادِهِم وغيرِهِ ؛ فمنهُ : (إنَّهُ تارةً تزعمونَ أنَّ صورةَ وجوهِكُمُ القبيحةِ السمجةِ علىٰ مثالِ ربِّ العالمينَ ، وهيئتَكُمُ الرذلةَ علىٰ هيئتِهِ ، وتذكرونَ الوجهَ واليدينِ والأصابعَ ، والرجلينِ والنعلينِ [المذهبينِ] ، والشعرَ القططَ ، والصعودَ إلى السماءِ ، والنزولَ [إلى الدنيا] ، تباركَ اللهُ عمَّا يقولُ الظالمونَ علوّاً كبيراً .

ثمَّ طعنُكُم علىٰ خيارِ الأمةِ ، ونسبتُكُم شيعةَ آلِ محمدٍ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ إلى الكفرِ والضلالِ ، ثمَّ استدعاؤُكُمُ المسلمينَ إلى الدينِ بالبدعِ الظاهرةِ والمذاهبِ الفاجرةِ التي لا يشهدُ بها القرآنُ[2] ، وإنكارُكُم زيارةَ قبورِ الأئمَّةِ وتشنيعُكُم علىٰ زُوَّارِها بالابتداعِ ، وأنتم معَ ذلكَ تجتمعونَ لزيارةِ قبرِ رجلٍ مِنَ

(١) في « الكامل » : (فأرهجوا) بالراء ؛ يقال : أرهج بينهم ؛ إذا أثار الفتنة ، وأوهج ؛ إذا أوقدها .

(٢) زاد في « تجارب الأمم » : (ولا يقتضيها فرائض الرحمٰن) .

العوامِّ ليسَ بذي شرفٍ ولا نسبٍ ولا سببٍ برسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ ، وتأمرونَ بزيارتِهِ ، وتدَّعونَ لهُ معجزاتِ [الأنبياءِ][1] ، وكراماتِ الأولياءِ ، فإنَّ الشيطانَ[2] زيَّنَ لكُم هٰذهِ المنكراتِ بإغوائِهِ .

وأميرُ المؤمنينَ يقسمُ باللهِ قسماً جهداً أليَّةً يلزمُهُ الوفاءُ بها ؛ لئنْ لم تنتهوا عن مذمومِ مذهبِكُم ، ومُعْوَجِّ طريقتِكُم . . لَيُوسعَنَّكُم ضرباً وتشريداً ، وقتلاً وتبديداً[3] ، ويستعملُ السيفَ في رقابِكُم ، والنارَ في منازلِكُم)[4] .

[ما عاملَ بهِ علاءُ الدينِ تُكَشَ الحنابلةَ وشيخَهم عندَما هدموا جامعَ أهلِ السنَّةِ الذي بناهُ الوزيرُ نظامُ الملكِ]

ومِنْ ذلكَ : ما أوقعَهُ خوارزم شاه علاءُ الدينِ تُكَشَ بشيخِ الإسلامِ وبالحنابلةِ حينَ هدموا جامعَ نظامِ الملكِ الذي بناهُ لأهلِ السنَّةِ ، وقد مضىٰ ذكرُ هٰذهِ القصَّةِ قبلُ[5] .

[ما عاملَ به الملكُ الكاملُ الحنابلةَ الذينَ أضرُّوا بالعزِّ بنِ عبدِ السلامِ]

ومِنْ ذلكَ : ما كتبَ بهِ السلطانُ الملكُ الكاملُ إلىٰ أخيهِ الأشرفِ في واقعةِ ابنِ عبدِ السلامِ يُعنِّفُهُ علىٰ ما صدرَ منهُ ، ويأمرُهُ أنْ يوقعَ بأضدادِ ابنِ عبدِ السلامِ[6] .

ولمَّا سُقِطَ في أيديهِم ، وتحقَّقوا المقابلةَ علىٰ تعدِّيهِم ، فحاصوا حيصةَ حُمرِ الوحشِ ، وخافوا مِنَ النَّكالِ والبطشِ ، وشاوروا أبلةَ قلوبِهِم ، فأشارَ

(١) في (أ ، ب) : (الأبدال) ، والمثبت من « الكامل في التاريخ » .

(٢) في « الكامل » : (فلعن الله شيطاناً) بدل (فإن الشيطان) .

(٣) في (أ) : (وتنديداً) .

(٤) الكامل في التاريخ (٧/ ٤٠ـ٤١) ، وانظر « تجارب الأمم » (٥/ ٤١٤ـ٤١٥) .

(٥) انظر (٢/ ٤٩٨) .

(٦) وقد سبق شرح هٰذه الواقعة مفصلاً . انظر (٢/ ٥٠٠ـ٥١٩) .

عليهم بالتوبةِ وأصابَ ، وهل يختارُ الصَّغارَ على غرةِ الدنيا والآخرةِ إلا معتوهٌ أو مصابٌ ؟! فدخلوا في السِّلْمِ ، وأظهروا متابعةَ أهلِ العلمِ ، وأظهرَ مَنْ كانَ يتظاهرُ بالخلافِ وِفاقاً ، وتابَ عمَّا كانَ عليهِ إمَّا صدقاً أو نفاقاً ، وتلكَّأَ بعضُ مَنْ كانَ قدوةً لهُم في فنونِهم ، داعيةً إلى ما يزيدُ في فتونِهم ، مختاراً مذهبَهُ على ما بيدِهِ مِنَ المَناصبِ ، مُظهِراً وقوفَهُ موقفَ المناوئِ والمُناصبِ ، مُتربِّصاً بأهلِ السنَّةِ الدوائرَ، طامعاً أنْ تعودَ لهُ كرةٌ [. . .][1] بعدَ ردعِ الدبرِ وقطعِ الدابرِ .

فلمَّا يئسَ مِنَ المطالِ ، وإعمالِ الحيلةِ في العملِ فحصلَتْ لهُ حالةُ البطالِ ، ورأى أنَّهُ يُلاحَظُ بالازدراءِ ، ويُنبَذُ لسُقْمِ معتقدِهِ بالعَراءِ ، وعلمَ أنَّهُ يُعلِّلُ نفسَهُ بعللِ العاشقِ بالمنى والطيفِ ، وتيقَّنَ أنَّهُ إنْ لم يرجع بحكمِ الوقتِ فالوقتُ سيفٌ . . دخلَ فيما دخلَ فيهِ أصحابُهُ ، وتابَ والعلمُ للهِ هل صحيحٌ أم سقيمٌ مَتابُهُ ؟ فقرَّتْ عينُهُ ، وتباعدَ حَيْنُهُ ، وعادَ إليهِ مِنَ المناصبِ ما لو دامَ على حالِهِ ما عادَ ، وتُلقِّيَ قدومُهُ بالإسعافِ والإسعادِ ، وانتظمَ شملُ الكافَّةِ في الظاهرِ ، وخابَ أملُ المعاندِ للحقِّ والمظاهرِ .

ولله لُطْفٌ في غَضِّ ناظرِ البدعِ المَرِهِ[2] ، وفضِّ جمعِهِ وفَلِّ عسكَرِهِ ، وإعلاءِ الحقِّ وإنْ أبغضَ ذلكَ المُبطِلُ وكَرِهَ .

وَعَادَاتُ نَصْرٍ لَمْ تَزَلْ تَسْتَعِيدُهَا ... عِصَابَةُ حَقٍّ فِي عِصَابَةِ بَاطِلِ

وَمَا هُوَ إِلا ٱلْوَحْيُ أَوْ حَدُّ مُرْهَفٍ ... تُمِيلُ ظُبَاهُ أَخْدَعَيْ كُلِّ مَائِلِ[3]

فَهَـٰذَا دَوَاءُ ٱلدَّاءِ مِنْ كُلِّ عَالِمٍ ... وَهَـٰذَا دَوَاءُ ٱلدَّاءِ مِنْ كُلِّ جَاهِلِ

(١) ما بين معقوفين كلمة مطموسة في (أ) .

(٢) المَرِه في الأصل : فاسد العين لترك الكحل .

(٣) الظُّبا : حدُّ السيف أو السنان ونحوه ، والأَخْدَعان : عِرْقان في موضع الحجامة ، وقيل : هما عرقان في الرقبة .

فَيَا أَيُّهَا ٱلنُّوَّامُ عَنْ رَيِّقِ ٱلْهُدَىٰ وَقَدْ جَادَكُمْ مِنْ دِيمَةٍ بَعْدَ وَابِلِ
هُوَ ٱلْحَقُّ إِنْ تَسْتَيْقِظُوا فِيهِ تَغْنَمُوا وَإِنْ تَغْفُلُوا فَٱلسَّيْفُ لَيْسَ بِغَافِلِ[1]

[عودٌ إلىٰ ذكرِ ابنِ تيميةَ ومراجعتِهِ في التوبةِ]

هٰذا ؛ وابنُ تيميةَ يُراجَعُ في التوبةِ فلا يرجعُ ، ويُصعَدُ بهِ مِنَ السجنِ فينحدرُ لمقالةِ السوءِ ولا يُقلِعُ ؛ حرصاً علىٰ أنْ يُوقَعَ بهِ أمرٌ مُفظِعٌ ، فيعظُمَ أمرُهُ عندَ أتباعِهِ ، وينجمَ بدرُهُ عندَ أشياعِهِ ، وتسيرَ السمعةُ عنهُ غرباً وشرقاً أنَّهُ لم يُثنِهِ عن مذهبِهِ ما يُقاسيهِ مِنَ النكالِ ، ويكفي هٰذا والشفعاءُ يسعَوْنَ فلا تغني شفاعتُهُم ، ويُقابَلُ بالردِّ أفرادُهُم وجماعتُهُم ، ويُناديهِم مُنادي الإخفاقِ : ارضَوْا مِنَ الغنيمةِ بالإيابِ ، فليسَ لهُ خلاصٌ إلا بالمتابِ ، وهوَ في تضاعيفِ ذلكَ ترشقُهُ الألسنةُ بأسهُمِ الكلامِ المطلقةِ ، وترمقُهُ العيونُ بعينِ المقتِ لا المِقَةِ[2] .

ونُظِمَتْ فيهِ القصائدُ والمقاطيعُ ، وكَثُرَتْ فيهِ الأقوالُ ما بينَ مُتوسِّطٍ وقِطٍّ فظيعٍ[3] .

ومِنَ المُتوسِّطِ في ذلكَ : ما أنشدَنيهِ القاضي الأجلُّ العالمُ ، النحويُّ الأديبُ الفاضلُ ، البارعُ المفيدُ ، ناصرُ الدينِ ، شرفُ الفضلاءِ ، فخرُ الأدباءِ ، لسانُ العربِ ، حُجَّةُ الأدبِ ؛ شافعُ بنُ عليٍّ لنفسِهِ[4] : [من المتقارب]

وَلَمَّا أَتَانَا ٱبْنُ تَيْمِيَّةٍ وَصَغَّرَ بِٱلْخُبْرِ سُوءُ ٱلْخَبَرْ[5]

(١) الأبيات لأبي تمام في « ديوانه » (٣/ ٨٦ ـ ٨٧) ، وهي من الطويل .
(٢) المِقَة : المحبة .
(٣) القِطُّ : الصحيفة المكتوبة .
(٤) ورواهما الصفدي في « أعيان العصر » (٢/ ٥١٢) .
(٥) في « أعيان العصر » : (وحقق) بدل (وصغَّر) .

أَذَبْنَـــا عَقِيـــدَةَ تَجْسِيمِـــهِ بِـرِيـقِ بَـرِيـقِ سُيُـوفِ ٱلنَّظَـرِ

وأنشدَني أيضاً لنفسِهِ[1] : [من السريع]

قَـالُـوا أَمَـا تَسْمَـعُ مَـا قَـدْ جَـرَىٰ مِـنْ حَنْبَلِـيٍّ تَـاهَ فِـي حَشْـوِهِ[2]

فَقُلْـتُ هَـٰـذَا خُشْكَنَـانُ أَنَـا وَٱللهِ لا أَدْخُـلُ فِـي حَشْـوِهِ[3]

عُدْنا إلىٰ سياقةِ الكلامِ : فحينَ بطلَتْ شفاعةُ الشافعينَ ، ولم يبقَ إلا الاعتمادُ علىٰ ربِّ العالمينَ . . هدى اللهُ قلبَهُ للتوبةِ ، وقدَّرَ لهُ الرجوعَ والأوبةَ ، فأذعنَ للطاعةِ ، وكانَ منهُ ما ذكرتُهُ في ترجمةِ قاضي القضاةِ بدرِ الدينِ ابنِ جماعةَ .

فاقترحَ عليهِ أنْ يكتبَ بخطِّهِ ما يُؤاخَذُ بهِ إنْ لم يقفْ عندَ شرطِهِ ، وكتبَ مُمتثِلاً ، مُكابِداً للمشقَّةِ مُحتمِلاً ، وتوَّجَ خطَّهَ بالعلامةِ الشريفةِ : (قاضي القضاةِ) .

وشهدَ عليهِ جماعةٌ مِنَ العلماءِ بمقتضاهُ ، وإنْ لم يكنْ رَضَاهُ ، وذلكَ في شهرِ ربيعٍ الآخرِ سنةَ سبعٍ وسبعِ مئةٍ .

[نصُّ توبةِ ابنِ تيميةَ]

وكُتِبَتْ مِنْ توبتِهِ نسخٌ منقولةٌ مِنْ خطِّ يدِهِ ؛ لتكونَ مقابلةً لإنكارِهِ في غدِهِ ، وحُجَّةً علىٰ تابعيهِ في معتقدِهِ ، ولتُجعَلَ كلمةً في عقبِهِ باقيةً ، ولِلَسْبِ عقاربِهِم عندَ إظهارِ مذاهبِهِم راقيةً[4] .

(١) ورواهما الصفدي في « أعيان العصر » (٢/ ٥١٢) .

(٢) في « أعيان العصر » : (في لغوه) بدل (في حشوه) .

(٣) **الخُشْكَنان** : خبز يصنع من خالص دقيق الحنطة ، وتملأ بالسكر واللوز أو الفستق وتقلىٰ .

(٤) **اللَّسْب** : اللَّدْغ ، وأكثر ما يستعمل في العقرب .

وهـٰذهِ نسختُها :

(الحمدُ للهِ ، الذي أعتقدُهُ : أنَّ القرآنَ معنىً قائمٌ بذاتِ اللهِ ، وهوَ صفةٌ مِنْ صفاتِ ذاتِهِ القديمةِ الأزليَّةِ ، وهوَ غيرُ مخلوقٍ ، وليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ ، وليسَ هوَ حالّاً في مخلوقٍ أصلاً ؛ لا ورقٍ ولا خشبٍ ولا غيرِ ذلكَ .

والذي أعتقدُهُ في قولِهِ : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] : أنَّهُ على ما قالَهُ الجماعةُ الحاضرونَ ، وليسَ على حقيقتِهِ وظاهرِهِ ، ولا أعلمُ كنهَ المرادِ بهِ ، بل لا يعلمُ ذلكَ إلا اللهُ ، والقولُ في النزولِ كالقولِ في الاستواءِ ، أقولُ فيهِ ما أقولُ فيهِ ؛ لا أعلمُ كنهَ المرادِ بهِ ، بل لا يعلمُ ذلكَ إلا اللهُ ، وليسَ على حقيقتِهِ وظاهرِهِ كما قالَ الجماعةُ الحاضرونَ .

وكلُّ ما يُخالِفُ هـٰذا الاعتقادَ فهوَ باطلٌ ، وكلُّ ما في خطِّي أو لفظي مما يُخالفُ ذلكَ فهوَ باطلٌ ، وكلُّ ما في ذلكَ ممَّا فيهِ إضلالُ الخلقِ أو نسبةُ ما لا يليقُ باللهِ إليهِ فأنا بريءٌ منهُ ، وقد بَرِئْتُ منهُ ، وتائبٌ إلى اللهِ مِنْ كلِّ ما يُخالِفُ الدينَ .

كتبَهُ : أحمدُ ابنُ تيميةَ ، وذلكَ يومَ الخميسِ سادسِ شهرِ ربيعٍ الآخرِ سنةَ سبعٍ وسبعِ مئةٍ ، وكلُّ ما كتبتُهُ وقلتُهُ في هـٰذهِ الورقةِ فأنا مختارٌ في ذلكَ غيرُ مُكرَهٍ ، كتبَهُ : أحمدُ ابنُ تيميةَ ، حسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ) .

وبأعلى هـٰذا المكتوبِ على [. . .][1] بالحمدلةِ بخطِّ سيِّدِنا قاضي القضاةِ بدرِ الدينِ . . ما صورتُهُ : (اعترفَ عندي بكلِّ ما كتبَ بهِ خطُّهُ في التاريخِ المذكورِ ، كتبَهُ : محمدُ بنُ إبراهيمَ الشافعيُّ) .

وبحاشيةِ الخطِّ ما صورتُهُ : (اعترفَ بكلِّ ما كتبَ بخطِّهِ ، كتبَهُ : عبدُ الغنيِّ بنُ محمدٍ الحنبليُّ) .

(١) ما بين معقوفين كلمة غير واضحة في (أ)، وتحتمل : (يسراه) ، وفي (ب): (سر) !!

[صُوَرُ رسومِ شهاداتِ العلماءِ في اعترافِ ابنِ تيميةَ وتوبتِهِ]

وبآخرِ خطِّ ابنِ تيميةَ رسومُ شهاداتٍ هذهِ صورتُها :

صورةُ خطِّ الشيخِ الإمامِ العالمِ أقضى القضاةِ ، نجمِ الدينِ شيخِ المُصنِّفينَ ، مهذبِ المؤلفينَ ، ابنِ الرفعةِ ، أدامَ اللهُ عزَّهُ : (كتبَ المذكورُ بخطِّهِ أعلاهُ بحضوري ، واعترفَ بمضمونِهِ ، كتبَهُ : أحمدُ ابنُ الرفعةِ) .

صورةُ خطٍّ آخرَ : (أقرَّ بذلكَ ، كتبَهُ : عبدُ العزيزِ النِّمْراويُّ) .

صورةُ خطٍّ آخرَ : (أقرَّ بذلكَ كلِّهِ بتاريخِهِ ؛ وهوَ سادسُ ربيعٍ الآخرِ سنةَ سبعٍ وسبعِ مئةٍ ، كتبَهُ : عليُّ بنُ محمدِ ابنِ خطابِ الباجيُّ الشافعيُّ) .

صورةُ خطٍّ آخرَ : (أقرَّ بذلكَ وكتبَهُ بحضوري ، كتبَهُ : محمدُ ابنُ عَدْلانَ الكنانيُّ الشافعيُّ ، لطفَ اللهُ تعالىٰ بهِ ، آمينَ) .

صورةُ خطٍّ آخرَ : (جرىٰ ذلكَ بحضوري في تاريخِهِ ، كتبَهُ : الحسنُ بنُ أحمدَ بنِ محمدٍ الحسينيُّ) .

وبالحاشيةِ أيضاً ما مثالُهُ : (كتبَ المذكورُ أعلىٰ قرينةَ خطِّهِ بحضوري واعترفَ بهِ ، كتبَهُ : عبدُ اللهِ ابنُ جماعةَ) .

مثالُ خطٍّ آخرَ : (أقرَّ بذلكَ وكتبَهُ بحضوري ، كتبَهُ : محمدُ بنُ عثمانَ البوريجيُّ ، عفا اللهُ عنهُ بكرمِهِ) .

فالحمدُ للهِ علىٰ ما منحَهُ مِنَ التوبةِ والرجوعِ[1] .

(١) قال الإمام الكوثري في تعليقه على « السيف الصقيل » (ص٩٥ـ٩٦) : (وكلُّ هؤلاء من كبار أهل العلم في ذلك العصر ، وابنُ الرفعة وحده له « المطلب العالي في شرح وسيط الغزالي » في أربعين مجلداً ، وفي ذلك عِبَرٌ . =

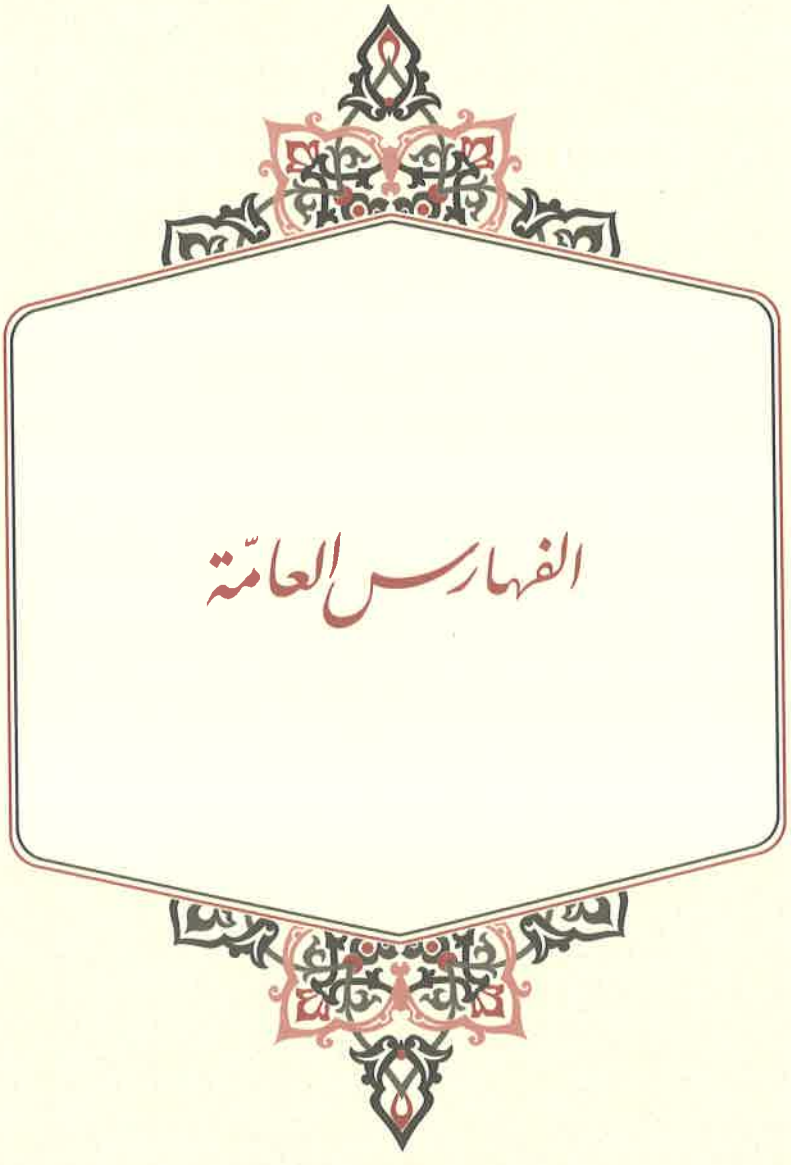
.

* * *

= ولولا أن ابن تيمية كان يدعو العامة إلى اعتقاد ضد ما في صيغة الاستتابة هذه بكل ما أوتي من حول وحيلة . . لما استتابه أهل العلم بتلك الصيغة ، وما اقترحوا عليه أن يكتب بخطه ما يؤاخذ به إن لم يقف عند شرطه ، وبعد أن كتب تلك الصيغة بخطه توَّج خطه قاضي القضاة البدر ابن جماعة بالعلامة الشريفة ، وشهد على ذلك جماعة من العلماء ، وحفظت تلك الوثيقة بالخزانة الملكية الناصرية .

لكن لم تمضِ مدةٌ على ذلك حتى نقض ابن تيمية عهوده ومواثيقه ، كما هي عادة أئمة الضلال ، وعاد إلى دعوته الضالة ، ورجع إلى عادته القديمة في الإضلال) .

وإلى قوله : (من التوبة والرجوع) انتهت آخر ورقة في (أ) ، وحصل خلط في (ب) في ترتيب الأوراق ، وكتب في خاتمتها : (وكانَ الفراغُ مِنْ نسخِ هذا المؤلَّفِ في يوم الأربعاءِ الموافقِ « ٢٨ » مِنْ شهرِ رجبٍ سنةَ « ١٣٥٥هـ » ، « ١٤ » مِنْ شهرِ أكتوبر سنةَ « ١٩٣٦م » عن نسخةٍ منقولةٍ بالفتوغرافيةِ محفوظةٍ بدارِ الكتبِ المصريةِ تحتَ رقم « ١٣١٧ » ، نقلَهُ عبدُ الوهابِ محمد زرنبه نسَّاخٌ بالدارِ) .



الفهارس العامّة

فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقم الآية	الجزء والصفحة
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	٢ـ٣	٢/ ٤٦٢
﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾	٤	٢/ ٣٩٥
﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٥	١/ ٣٨٢
سورة البقرة		
﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾	٢٣	٢/ ٢٦٠
﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾	٢٦	١/ ١٦٣
﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾	٢٩	٢/ ٣٧٦
﴿ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾	٣٤	١/ ٢١٦
﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ . . . ﴾	٣٥	١/ ٢١٦
﴿ وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٤٢	٢/ ٧١، ٥٠٧
﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ ﴾	٤٣	٢/ ٣٥٩
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ . . . ﴾	٦١	١/ ١٢٥، ١٤٩
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾	٦٤	١/ ١٩٩
﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ ﴾	١٠٢	١/ ١١٧
﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾	١١٥	١/ ١٧٦، ٢/ ٤٠٠
﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾	١٤٣	٢/ ٤٥٣
﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾	١٥٢	٢/ ٧٩
﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	١٦٣	١/ ١٨٩
﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ . . . ﴾	١٦٤	١/ ١٨٩
﴿ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ . . . ﴾	١٧٠	٢/ ٤٣٦

الآية	رقم الآية	الجزء والصفحة
﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾	١٧٦	١/ ٨٦
﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾	٢١٠	٢/ ٤٠٤
﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾	٢٣١	١/ ٨٣
﴿أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾	٢٣٧	٢/ ٣٩٤
﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾	٢٥٥	١/ ٢٣٦، ٢/ ٣٣٣
﴿وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ﴾	٢٧٢	٢/ ٤٠٠
سورة آل عمران		
﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ . . . وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ . . . وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾	٧	١/ ٨٨، ١٩٣، ١٩٤، ٢٣٦
﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾	٢٦	٢/ ٣٩٣
﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾	٢٨	٢/ ٤٠٥
﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾	٥٣	٢/ ٤٩٧
﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾	١٠٤	٢/ ٧٢
﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾	١٠٥	١/ ٨٦
﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾	١٤٥	١/ ١٥٤
﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾	١٨٧	٢/ ٧١
سورة النساء		
﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾	٣	٢/ ٣٩٥
﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ . . .﴾	٢٧	١/ ١٥٠
﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾	٥٠	١/ ١٢٦
﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ . . .﴾	٧٨	١/ ١٥٠
﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾	٧٩	١/ ١٤٨، ١٥٠
﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾	٨٠	١/ ١٥٧
﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً﴾	٨٩	٢/ ٤٨٤

الآية	رقم الآية	الجزء والصفحة
﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ . . . ﴾	١٠٨	٢/ ٧٢
﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	١١٥	١/ ٧٧
﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾	١٦٤	٢/ ٣٨٠
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾	١٧١	١/ ١٢٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾	١٧٤	١/ ٨٣

سورة المائدة

﴿ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟ ﴾	٢	٢/ ٣٥٩
﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ . . . ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾	٣	١/ ١٨٢، ١٨٣
﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾	١٥	١/ ٨٣
﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ ﴾	٢٤	١/ ١٥٨
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ . . . ﴾	٥٤	١/ ٢٢٠، ٣٢٠، ٣٣١، ٣٣٩، ٣٤٢
﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾	٦٤	١/ ١٧٥، ١٩٩، ٢١٥، ٣٩٣
﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	٧٨ـ٧٩	١/ ٣٢٣
﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾	١١٦	٢/ ٤٠٥، ٤١٧
﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ﴾	١١٩	١/ ٢١٦

سورة الأنعام

﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾	٣	١/ ١٥٥
﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾	١٨	٢/ ٣٧٥
﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ﴾	٤٥	١/ ٧٣
﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾	٥٢	١/ ٢١٨
﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾	٥٤	٢/ ٤٠٥
﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾	٦٥	٢/ ٤٠٠
﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴾	٧٦	٢/ ٤٨٤

الآية	رقم الآية	الجزء والصفحة
﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾	١٠٣	٢/ ٥٣١
﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ . . . ﴾	١١٦	٢/ ٥٠٩
﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾	١٢٢	١/ ١٩١، ٢/ ٢٤٦
﴿ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ ﴾	١٥٨	١/ ٢٥٥، ٢٥٦

سورة الأعراف

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ ﴾	٥٣	١/ ١٩٤، ٢٣٦
﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾	١٦٨	١/ ١٤٩
﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ . . . ﴾	١٧٩	١/ ١٨٩
﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ . . . ﴾	١٨٥	١/ ١٨٩، ٥٨٤، ٢/ ٧٥، ٥٠٤

سورة الأنفال

﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ﴾	١٧	١/ ١٥١، ٢/ ٧٧، ٥٠٥، ٢/ ٥٠٥
﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾	٢١	١/ ١٥٢
﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾	٢٢	١/ ١٥٢
﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾	٢٣	١/ ١٥٢
﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ . . وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ ﴾	٢٤	١/ ١٥٣، ٢٥٢
﴿ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ . . . ﴾	٢٦	١/ ٦٧
﴿ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ . . . ﴾	٣٧	١/ ٩١
﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ ﴾	٤٢	١/ ١٨٧، ٣٢٢

سورة التوبة

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾	٦	١/ ٩٢
﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ . . . ﴾	٣٠	٢/ ٤٢٤

الآية	رقم الآية	الجزء والصفحة
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ﴾	٣٢	١/ ٣٣٥
﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾	١١١	١/ ١٥٧، ١٥٨
سورة يونس		
﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾	٢	١/ ١٧٦
﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾	٣٩	٢/ ٧٧، ٥٠٥
﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾	٥٨	١/ ٢٤٣
﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾	٩٩	٢/ ٤٨٧
سورة هود		
﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾	٣٧	١/ ٢١٩، ٢/ ٣٩٩
﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ﴾	١٠٤	١/ ٧٣
﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً . . .﴾	١١٨ـ ١١٩	١/ ١٦٣، ٢/ ٣٩٢، ٤٨٧
سورة يوسف		
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾	٢	١/ ٨١
﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾	١٧	٢/ ٤٥٣
سورة الرعد		
﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾	١	١/ ٨١
﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾	١٦	٢/ ٧٧، ٥٠٥
﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾	٣٣	٢/ ٣٧٥
﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾	٣٩	١/ ٢٣٦، ٢٥٢، ٢٥٥
سورة إبراهيم		
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾	٤	١/ ٢١١، ٢/ ٣٨٩

الآية	رقم الآية	الجزء والصفحة
سورة الحجر		
﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾	٢٩	٢/٤٠٦
﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾	٣٤	١/٩٣
﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	٨٨	١/١٧٥
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	٩٢_٩٣	٢/٢٦٦، ٥٠٩
سورة النحل		
﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾	٢	٢/٤٠٦
﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ. . .﴾	٥_٧	٢/٢٤٦
﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾	٢٦	١/١٧٦
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾	٤٤	١/٨١، ٢/٧١، ٣٨٩
﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا. . .﴾	٥١	١/٢١٦
﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾	٨١	١/١٥٤، ٢/٣٩٣
﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾	٨٩	١/٨١
﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾	١٠٢	١/٨٠
سورة الإسراء		
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾	١٥	٢/٤١٣
﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾	٢٤	١/١٧٥
﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾	٢٩	١/١٧٥، ١٩٨، ٢١٤
﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾	٧٠	٢/٣٩٣
﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾	٧٩	٢/٣٢٩
﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾	٨١	١/١٥٩

الآية	رقم الآية	الجزء والصفحة
سورة الكهف		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا۟ۜ﴾	١	١/ ٨١
﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ﴾	١٣	٢/ ٣٦
﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾	٢٣ـ٢٤	٢/ ٤٦٢
﴿لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾	٧٤	٢/ ٥٣٢
﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى . . .﴾	١٠٩	٢/ ٣٦٥
سورة مريم		
﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾	١٧	٢/ ٣٧٨
﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾	٥٩	١/ ١١٦
﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾	٦٠	١/ ٧٣
﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا﴾	٩٣	٢/ ٢٥٨
﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾	٩٧	١/ ٨٣
سورة طه		
﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾	١ـ٢	١/ ٨١
﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٥	١/ ١٦٠، ١٩٢، ٣٠١، ٢/ ٣٣٤، ٣٧٤، ٣٧٥، ٤١٣، ٥٤٠
﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا﴾	٣٥	٢/ ١٥٩
﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ﴾	٣٩	١/ ٢١٩
﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰٓ عَيْنِىٓ﴾	٣٩	١/ ٢١٩، ٢/ ١٥٩، ٣٩٩
﴿كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾	٤٠	١/ ٢١٩
﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾	٤٦	١/ ٣٠٦، ٢/ ١٥٨
﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾	٦١	٢/ ٢٩٨

الآية	رقم الآية	الجزء والصفحة
﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾	٦٧	١٥٨/٢
﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾	٧١	١٥٦/١
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾	١١٠	١٩٨/١، ٢٢٤
سورة الأنبياء		
﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾	٢	١٥٤/١، ٧٣/٢، ١٥٨/٢، ٥٠٢
﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾	٢٢	١٨٩/١، ٧٤/٢، ٥٠٤
﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾	٢٣	٦٧/٢
﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾	٦٩	٢٥٩/٢
﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾	١١٢	٤٧٧/٢
سورة الحج		
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ . . .﴾	٤٦	١٨٩/١
﴿وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ﴾	٧٧	٣٥٩/٢
سورة المؤمنون		
﴿خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾	١٤	١٩٤/١
﴿وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ . . .﴾	٩١	٧٤/٢، ٥٠٤
سورة النور		
﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾	٢	٧٣/١
﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾	٣٥	١٧٢/١
﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾	٣٥	٢٣٧/١
﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾	٣٥	٢٤٤/١
﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾	٤٠	٢٢٣/١
﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾	٤٤	٣٤٤/١

الآية	رقم الآية	الجزء والصفحة
سورة الفرقان		
﴿سَلَٰمًا﴾	٦٣	٢/ ٤٣٧
﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾	٦٧	١/ ٢١٥
سورة الشعراء		
﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ﴾	٢٢	١/ ١٥٠
﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾	١٩٣ـ١٩٤	١/ ٨٠
سورة النمل		
﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٨٤	٢/ ٧٧، ٥٠٥
سورة القصص		
﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾	١٥	١/ ١٥٠
﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾	٨٨	١/ ٢١٧، ٢١٨، ٢/ ٣٩٥، ٤٠٠، ٤٢٠
سورة العنكبوت		
﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ﴾	١٣	٢/ ١٨١
﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾	٤٥	١/ ٩٤
﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ . . .﴾	٤٦	١/ ٧٣
سورة الروم		
﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾	٣٠	٢/ ٣٩٠
سورة لقمان		
﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۚ﴾	٢٧	٢/ ٣٩٩
سورة فاطر		
﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾	٣	٢/ ٧٧، ٢/ ٥٠٥
﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾	٢٥	١/ ٨٢

الآية	رقم الآية	الجزء والصفحة
سورة يس		
﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾	٧١	١/ ٢٥٥
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ . . .﴾	٧١ـ٧٣	٢/ ٢٤٦، ٣٩٤
﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾	٨٢	٢/ ٢٥٨
سورة الصافات		
﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٣٩	٢/ ٥٠٤، ٥٠٤
﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	٩٦	٢/ ٤٧٠
﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾	٩٩	١/ ٥٥١
﴿سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ . . .﴾	١٥٩ـ١٦٣	٢/ ٤١٧، ٥٣١
سورة صٓ		
﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا﴾	٢٥	٢/ ٤٢٣
﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ﴾	٧٥	١/ ٢١٤، ٢٥٥، ٢/ ٣٩٣، ٢٤٦
سورة الزمر		
﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ﴾	٣٦	١/ ٣٩٠
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ﴾	٤١	١/ ٨٢
﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾	٥٦	١/ ٢١٥، ٢/ ٢٥٩
﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَـٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾	٥٦	٢/ ٣٩٨
﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ . . .﴾	٦٠	٢/ ٧٤
﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ﴾	٦٧	٢/ ٣٩٥، ٣٩٦
سورة غافر		
﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾	١٥	٢/ ٤٠٦

الآية	رقم الآية	الجزء والصفحة
﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾	١٦	٢/ ٣٩٥
سورة فصلت		
﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا . . .﴾	١١	٢/ ٣٧٩
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾	٣٠	١/ ٤٣٨
﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾	٤٠	٢/ ٣٥٩
﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ﴾	٤٢	٢/ ٣٩٣
سورة الشورى		
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾	١١	١/ ٢٣٧، ٣٠٩ ٢/ ٢٣١، ٢٥٨، ٣٩٩، ٤٠٤، ٥٣٠
﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾	٣٠	١/ ١٤٩
﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾	٤٠	٢/ ٥١٨
سورة الزخرف		
﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾	١٩	٢/ ٥٣٢
﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾	٤٤	٢/ ٣٩١
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾	٨٤	١/ ١٥٥
سورة الأحقاف		
﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾	٣١	١/ ١٤٩
سورة محمد		
﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾	١٩	٢/ ٤٥٣
سورة الفتح		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ . . .﴾	١٠	١/ ١٥٧، ٢/ ٢٤٦

الآية	رقم الآية	الجزء والصفحة
سورة الحجرات		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ . . . ﴾	٦	٢/٥٠٩
سورة قَ		
﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾	١٦	١/١٥٩
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾	٣٧	١/٣١٢
سورة الذاريات		
﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾	٢٣	١/١٨٦
﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىدٍ ﴾	٤٧	١/٢٥٥
﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	٥٦	١/١٩٨
سورة الطور		
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾	٢١	١/٣٢٣
﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾	٤٨	٢/٣٩٩
سورة النجم		
﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾	٨ـ٩	١/٢٦٧، ٢/٤٠٦، ٤٠٨
﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴾	١٨	١/٢٦٩
﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ * وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾	٤٣ـ٤٤	٢/٧٧، ٥٠٥
سورة القمر		
﴿ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا ﴾	١٤	٢/٣٩٩
﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾	١٧	١/١٦٢
﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾	٤٩	١/١٦٤
سورة الرحمن		
﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾	٢٦ـ٢٧	١/٢١٨

الآية	رقم الآية	الجزء والصفحة
﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾	٢٧	١/ ٢١٨، ٢/ ٤٠٠
سورة الواقعة		
﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾	٧٧ـ٧٩	١/ ٨٠، ٢/ ٧٤، ٥٠٤
سورة الحديد		
﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٤	٢/ ٥٣٠
﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾	٢٧	٢/ ٤٨٩
سورة المجادلة		
﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ...﴾	٧	١/ ١٥٩، ٣٠٦
﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾	٨	٢/ ٣٥٤، ٤٥٠
﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾	١٢	٢/ ٣٩٣
﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾	٢٢	١/ ٥٩، ٥٣٣
سورة الحشر		
﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾	٢٤	٢/ ٤٥٧
سورة المنافقون		
﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ...﴾	١	١/ ١٧٦
سورة التحريم		
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا...﴾	٦	٢/ ٢٦٣
سورة الملك		
﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾	١٠	١/ ١٩٠
﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	١٣	٢/ ٤٥٠
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾	١٤	٢/ ٢٦٦
﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾	١٦	١/ ١٥٦

الآية	رقم الآية	الجزء والصفحة
﴿ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾	١٧	١/ ١٥٦
سورة القلم		
﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾	٤٢	١/ ٢١٣، ٢/ ٣٩٦
سورة الحاقة		
﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾	٣٨_٤٠	١/ ٨١، ٨٢، ٢/ ٧٣، ٥٠٣
سورة نوح		
﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾	٢٥	١/ ١٤٨
سورة القيامة		
﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾	١	٢/ ٣٧٩
﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾	١٧	٢/ ٧٥
﴿ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾	١٨	٢/ ٧٥
﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾	٣٨	٢/ ٣٧٨
سورة الإنسان		
﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾	١	١/ ١٦٦
﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾	٣٠	٢/ ٢٥٨
سورة النازعات		
﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾	٢٦	١/ ٧٣
سورة التكوير		
﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ . . . وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ . . .﴾	١٥_١٩	٢/ ٧٣، ٥٠٣
سورة الانفطار		
﴿ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾	١٩	٢/ ٣٩٥

الآية	رقم الآية	الجزء والصفحة
سورة الانشقاق		
﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾	١٦	٢/ ٣٧٩
سورة البروج		
﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾	١٦	٢/ ٢٤٥
سورة الطارق		
﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾	١	٢/ ٣٩٠
﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾	٢	٢/ ٣٩٠
﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾	٣	٢/ ٣٩٠
سورة الغاشية		
﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ * عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ . . .﴾	٢ـ٥	٢/ ٤٨٧
سورة الليل		
﴿إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾	٢٠	٢/ ٤٠١
سورة البينة		
﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ . . .﴾	١ـ٣	١/ ٨٢
سورة الزلزلة		
﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ . . .﴾	٧ـ٨	٢/ ٢٦١
سورة النصر		
﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ﴾	١ـ٣	١/ ٢٢٥
سورة الإخلاص		
﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ * وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾	٣ـ٤	١/ ٣٠٩

* * *

فهرس أطراف الأحاديث والآثار(١)

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
ـ احفظ الله يحفظك	عبد الله بن عباس	٢/ ٧٨
ـ اذكروا الله بأنفسكم	جابر بن عبد الله	٢/ ٧٨
ـ استذكروا القرآن	عبد الله بن مسعود	١/ ١١١
ـ اقبلوا البشرى يا بني تميم	عمران بن حصين	١/ ٣٢١
ـ الاستواء غير مجهول	أم سلمة	٢/ ٤١٤
ـ الأعمال بالنيات	عمر بن الخطاب	١/ ١٠٨، ٢/ ٣٦٧
ـ الإيمان يمان	أبو هريرة	١/ ٢٢٠
ـ الحجر الأسود يمين الله في الأرض	عبد الله بن عمرو	١/ ١٦٩
ـ الدين النصيحة	تميم الداري	٢/ ٥١٠
ـ العلماء ورثة الأنبياء	أبو الدرداء	٢/ ٤٦١
ـ الغلظة والجفاء في الفدادين	أبو هريرة	٢/ ٣٨٤
ـ الفتنة من ها هنا	عبد الله بن عمر	٢/ ٣٨٤
ـ الفتنة نائمة	أنس بن مالك/ ابن عمر	٢/ ٥٠٨
ـ القرآن ذلول ذو أوجه	ابن عباس	١/ ١٦٢
ـ القضاة ثلاثة	بريدة بن الخصيب	٢/ ٢٦٤
ـ اللهم؛ فقهه في الدين، وعلمه التأويل	ابن عباس	١/ ٢٣٥
ـ اللهم؛ هل بلغت؟ (قاله عليه الصلاة والسلام للصحابة في حجة الوداع)	**أبو بكرة**	**١/ ١٨٥**
ـ أتاكم أهل اليمن	**أبو هريرة**	**١/ ٣٢٠**

(١) الأثر الذي رمز له بـ (ف) هو حديث موقوف.

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
ـ أتاني جبريل عليه السلام	أنس بن مالك	٢/ ٣٣٨
ـ أجزاء الإيمان ستة وسبعون باباً	أبو هريرة	٢/ ٤٥٣
ـ إذا أشكل عليكم شيء من كتاب الله فالتمسوه في الشعر	ابن عباس (ف)	١/ ٢٢١
ـ إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه	أبو هريرة	٢/ ٤٠٣
ـ إذا قال لأخيه المسلم: (يا كافر).. فقد باء بها أحدهما	ابن عمر	١/ ٧٩
ـ إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى	أبو هريرة	٢/ ٤٠٢
ـ إذا قام أحدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه	عبد الله بن عمر	٢/ ٤٠٠
ـ أراني الليلة عند الكعبة في المنام	عبد الله بن عمر	٢/ ٣٤٤
ـ أرأيتم ليلتكم هذه	عبد الله بن عمر	١/ ١٦٧، ٣٢٦
ـ أري رسول الله ﷺ ليلة القدر	عبادة بن الصامت (ف)	١/ ١٨٨
ـ أصحابي كالنجوم	ابن عمر/ أبو هريرة	١/ ٥٥، ٢٥٠
ـ أعوذ بوجهك (قاله عليه الصلاة والسلام لما نزل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾)	جابر بن عبد الله	٢/ ٤٠٠
ـ أعيذك بالله من الشك والتكذيب (قاله عليه الصلاة والسلام لأبي بن كعب)	أبي بن كعب	١/ ٢٤٣
ـ أفتلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق بألفي عام (قاله آدم لموسى عليهما السلام)	أبو هريرة	١/ ١٦٥
ـ أقام آدم حين خلق أربعين سنةً طيناً	ابن عباس (ف)	١/ ١٦٧
ـ أقرب ما يكون العبد من ربه في السجود	أبو هريرة	١/ ٥٥١
ـ أكثر أهل الجنة البله	أنس بن مالك	٢/ ٤٠١
ـ أمرت أن أعرض عليك القرآن (قاله عليه الصلاة والسلام لأبي بن كعب)	أبي بن كعب	١/ ٢٤٣

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
ـ أمرت أن أقاتل الناس حتىٰ يقولوا: لا إله إلا الله	عبد الله بن عمر	٢/ ٤٥٤
ـ إن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر	أنس بن مالك	١/ ١٩١
ـ إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو	أبو موسى الأشعري	١/ ٣٢٠
ـ إن الخير لا يأتي إلا بالخير	أبو سعيد الخدري	٢/ ٣٩٠
ـ إن الله تعالىٰ خلق آدم بيده	عبد الله بن الحارث	٢/ ٤٢٩
ـ إن الله تعالىٰ قسم العقل علىٰ ثلاثة أجزاء	أبو سعيد الخدري	١/ ١٩٠
ـ إن الله تعالىٰ يقول: عبدي؛ استطعمتك فلم تطعمني	أبو هريرة	١/ ١٧٢
ـ إن الله عز وجل لما قضىٰ خلقه استلقىٰ	قتادة بن النعمان	٢/ ٣٣٥
ـ إن الله قرأ (طه) و(يسٓ)	أبو هريرة	٢/ ٣٢٠
ـ إن الله ليرفع ذرية المؤمن حتىٰ يلحقهم به	ابن عباس	١/ ٣٢٣
ـ إن الله يأخذ الصدقة بيمينه	أبو هريرة	٢/ ٣٩٤
ـ إن الله يصنع كل صانع وصنعته	حذيفة بن اليمان	١/ ١٢٢
ـ إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم	أبو الدرداء	٢/ ١٥
ـ أن أبي بن خلف أقبل إلىٰ رسول الله ﷺ يوم أحد	المسيب بن حزن (ف)	١/ ١٥١
ـ أن الدجال يعطى الإحياء	أبو سعيد الخدري	٢/ ٤٨٧
ـ إن الذي سألت عنه قد ابتليت به	عاصم بن عدي (ف)	١/ ٢٥٠
ـ إن الله من علىٰ أهل دينه	أبو هريرة	١/ ٢٧٦، ٣٣٠
ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه حذو منكبيه	ابن عمر	١/ ٢٧٤، ٢٧٥
ـ إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي	أبو هريرة	١/ ١٧٨
ـ أن عبد الله بن رواحة كان مضطجعاً إلىٰ جنب امرأته	عكرمة مولى ابن عباس	٢/ ٣٣٣، ٣٣٤
ـ إن هذه الأقدام بعضها من بعض	مجزز المدلجي (ف)	١/ ٢٢٠
ـ أنا عند حسن ظن عبدي بي	أبو هريرة	١/ ١٧٧، ٢/ ٤٠٥
ـ أنا ممن يعلم تأويله (قاله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾)	ابن عباس (ف)	١/ ٢٣٦

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
ـ أنتم شهداء الله في الأرض	أنس بن مالك	١/ ٣٢٨
ـ إنك شاب عاقل لا نتهمك (قاله لزيد بن ثابت عندما انتدبه لجمع القرآن)	أبو بكر (ف)	١/ ٢٤٠
ـ إنك غلام معلم (قاله عليه الصلاة والسلام لابن مسعود حين طلب منه أن يعلمه من القرآن)	عبد الله بن مسعود	١/ ٢٤١
ـ أنه قرأ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ يريد: يوم القيامة	ابن عباس (ف)	٢/ ٣٩٧
ـ إنه يلهم الرجل فيعمل بعمل أهل الشقاوة (قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ﴾)	ابن عباس (ف)	١/ ٢٣٦
ـ إني خشيت أن يهلك القرآن	عمر (ف)	١/ ٢٢٧
ـ إني قمت من الليل فتوضأت	معاذ بن جبل	٢/ ٣٤١
ـ إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن	أبو هريرة	١/ ١٧٠، ٢٢٠
ـ إني لأعرف أصوات الأشعريين بالقرآن	أبو موسى الأشعري	١/ ٣٢١
ـ إني لأعلمكم بالله	عائشة/ عمر بن أبي سلمة	١/ ١٨٦
ـ أيس الشيطان أن يعبد بجزيرة العرب	جابر بن عبد الله	١/ ١٨٣
ـ أيها الناس؛ اتقوا هذه المارجة	علي بن أبي طالب (ف)	٢/ ٤٨٣
ـ بالعقل (قاله عليه الصلاة والسلام لمن سأله: بم بعثت يا رسول الله؟)	سويد بن غفلة	١/ ١٩٠
ـ بعث عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن عباس يسأله: هل رأى محمد ربه؟	عبد الله بن أبي سلمة	٢/ ٣٤٦
ـ بم تحكم؟ (قاله عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل)	معاذ بن جبل	١/ ٢٤٥
ـ بني الإسلام على خمس	عبد الله بن عمر	٢/ ٤٥٣
ـ التفسير على أربعة أوجه	ابن عباس (ف)	١/ ٢٣٥
ـ ثم استوى عنده الخلائق	ابن عباس (ف)	٢/ ٣٧٩
ـ ثم هبط حتى بلغ موسى	أنس بن مالك	٢/ ٤٠٦
ـ حتى يضع الجبار قدمه	أبو هريرة	١/ ١٧٦

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
ـ حجابه النور	أبو موسى الأشعري	٢/ ٤٠٠
ـ حسنوا أصواتكم بالقرآن	البراء بن عازب	١/ ٩٤، ٢/ ٤٤٠
ـ حكمت لكم بالجنة (قاله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾)	ابن عباس (ف)	١/ ١٨٣
ـ خلق الله آدم علىٰ صورته	أبو هريرة	٢/ ٤٠٢
ـ خير القرون قرني	عمران بن حصين	١/ ٢٥٠، ٣٢٦
ـ دنا من محمد ﷺ (قاله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾)	ابن عباس (ف)	٢/ ٤٠٧
ـ ذمة المسلمين واحدة	علي بن أبي طالب	١/ ١٥٨
ـ رأىٰ جبريل له ست مئة جناح (قاله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾)	ابن عباس (ف)	١/ ٢٦٩
ـ رأيت ربي في منامي في أحسن صورة	أنس بن مالك	٢/ ٣٤٧، ٤٥٨
ـ رأيت منه كل شيء	أنس بن مالك	٢/ ٣٢٨
ـ زورت في نفسي كلاماً فسبقني إليه أبو بكر	عمر بن الخطاب (ف)	٢/ ٣٥٤، ٣٦٢
ـ زورت في نفسي كلاماً، فسبقني إليه عمر	أبو بكر (ف)	١/ ٢٢٤
ـ السماوات والأرض في جوف الكرسي	ابن مسعود وابن عباس (ف)	٢/ ٣٣٣
ـ سيرجع قوم من هذه الأمة عند اقتراب الساعة كفاراً	علي بن أبي طالب (ف)	٢/ ٤٨٣
ـ شاهت الوجوه (قاله عليه الصلاة والسلام حين رمى المشركين بكف من تراب وحصىٰ)	سلمة ابن الأكوع	١/ ١٥١
ـ شر الأمور محدثاتها	جابر بن عبد الله	٢/ ٤٨١
ـ صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم	عمران بن حصين	١/ ٣٦١
ـ عاد النبي عليه الصلاة والسلام الشيخ العاصي	ابن عباس	١/ ١٧٢
ـ عاد رسول الله ﷺ الشاب الذي أسلم قبل موته	أنس بن مالك (ف)	١/ ١٧٢
ـ العجز عن الإدراك إدراك	أبو بكر (ف)	١/ ١٩٨، ٢٢٤
ـ عربيته، فالتمسوها في الشعر (قاله عليه الصلاة والسلام لمن سأله: أي علم القرآن أفضل؟)	ابن عباس	١/ ٢٢١

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
ـ عليكم بسنتي	العرباض بن سارية	٢/ ٥٠٨
ـ عن نور عظيم يخرون له سجداً (قاله عليه الصلاة والسلام في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾)	أبو موسى الأشعري	٢/ ٣٩٨
ـ فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم	أنس بن مالك	٢/ ٤٠٧
ـ فبي يسمع وبي يبصر (حديث قدسي)		١/ ١٧٣
ـ فضل كلام الله علىٰ كلام خلقه	أبو سعيد الخدري	٢/ ٤٤٩
ـ فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد	أبو هريرة	١/ ٥١٦
ـ في التوراة مكتوب: الثور يعرف مربطه	كعب الأحبار (ف)	٢/ ٤٢٤
ـ فيأتيهم الله في صورة غير صورته	أبو هريرة/ أبو سعيد الخدري	٢/ ٤٠٣
ـ فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟	أبو سعيد الخدري	٢/ ٣٩٦
ـ قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن	عبد الله بن عمرو	١/ ١٥٤، ١/ ١٦٥، ٢/ ٢٥٩
ـ كان الله ولا شيء معه	عمران بن حصين	١/ ١٨٧، ٢٤٦
ـ كفىٰ بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع	أبو هريرة	٢/ ٣١٨
ـ كل مولود يولد على الفطرة	أبو هريرة	٢/ ٣٩٠
ـ كلتا يديه يمين	عبد الله بن عمرو	٢/ ٣٣٢، ٣٩٥
ـ كلمة حق أريد بها باطل (قاله رداً على الخوارج)	علي بن أبي طالب (ف)	١/ ١٢٩
ـ كنت نبياً وآدم بين الماء والطين	ميسرة الفجر	١/ ١٦٤
ـ لا أحد أكرم من الله	أبو موسى الأشعري	١/ ١٧٥
ـ لا أحصي ثناءً	عائشة	١/ ٥٥، ٢/ ٦٩
ـ لا تأمرن على اثنين	أبو ذر	٢/ ٢٦٤
ـ لا ترجعوا بعدي كفاراً	عبد الله بن عمر	٢/ ٢٩٦
ـ لا تسبوا الدهر	أبو هريرة	١/ ١٦٦
ـ لا تفضلوني علىٰ يونس بن متىٰ	أبو هريرة	٢/ ٢٤٥

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
ـ لا تقبحوا الوجه	عبد الله بن عمر	٢/ ٤٠٣
ـ لا شخص أغير من الله	المغيرة بن شعبة	٢/ ٣٣٧، ٤٠٦
ـ لا نقول لك كما قال قوم موسىٰ لموسىٰ (قالوه للنبي عليه الصلاة والسلام لما طلب منهم البيعة)	عبد الله بن مسعود (ف)	١/ ١٥٨
ـ لا يزال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتىٰ أحبه	أبو هريرة	١/ ١٧٣
ـ لا يوصف بوصف، ولا يحد بحد (قاله في التنزيه لله تعالىٰ)	علي بن أبي طالب (ف)	١/ ٢٣٣
ـ لا يؤمن أحدكم حتىٰ يؤمن بالقدر خيره وشره	عبد الله بن عمرو	١/ ١٥٠
ـ لبيك وسعديك	علي بن أبي طالب	١/ ١٥١، ١٦٤
ـ لتتبعن سنن من قبلكم	أبو سعيد الخدري	٢/ ٤٨١
ـ لتسلكن سنن من قبلكم	أبو سعيد الخدري	٢/ ٤٢٥
ـ لقد حدثت بأحاديث	مالك بن أنس (ف)	٢/ ٣١٨
ـ لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع أرقعة	أبو سعيد الخدري	٢/ ٣٧٧
ـ لله أشد فرحاً بتوبة أحدكم	أبو هريرة	١/ ٢٠٦
ـ لما أسري بي إلىٰ بيت المقدس	أبو هريرة	٢/ ٣٢٨
ـ لما قضى الله تعالى الخلق	أبو هريرة	٢/ ٣٨٠
ـ لو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلىٰ برك الغماد.. لفعلنا (قالوه للنبي عليه الصلاة والسلام لما طلب منهم البيعة)	أنس بن مالك (ف)	١/ ١٥٨
ـ لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً	سهل بن سعد	١/ ٢٤٩
ـ لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً	عمر (ف)	١/ ٢٢٦
ـ ليت أم عمر لم تلده	عمر بن الخطاب (ف)	٢/ ٢٦٥
ـ ليذادن رجال من أمتي	أبو سعيد الخدري/ أبو هريرة	١/ ١١٧
ـ ليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء	ابن عباس (ف)	١/ ١٣٠
ـ ليس كمثل الرجل والمرأة شيء (قاله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ﴾)	ابن عباس (ف)	١/ ٢٣٧

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
ـ ليعيشن هذا الغلام قرناً	عبد الله بن بسر	١/ ٣٢٦
ـ ما اجتمع قوم يذكرون الله إلا نزلت عليهم الرحمة	أبو هريرة	١/ ١٧٧، ١٧٨
ـ ما السماوات السبع في جانب العرش	أبو ذر	٢/ ٣٧٦
ـ ما اختلفتم فيه مع زيد فاكتبوه بلسان قريش (قاله للجنة نسخ المصحف)	عثمان بن عفان (ف)	١/ ٢٢٨
ـ ما بال أقوام لا يعلمون جيرانهم	أبزى الخزاعي	١/ ٣٢٢
ـ ما حدثتم عني مما تنكرونه فلا تأخذوا به	محمد بن جبير بن مطعم مرسلاً	٢/ ٣١١
ـ ما لك أجعلك حذائي فتخنس؟! (قاله لابن عباس)	ابن عباس	١/ ٢٣٧
ـ ما يحدثكم صاحبكم؟ (قاله حين مر برجل يحدث عن التوراة)	عبد الله بن مسعود (ف)	١/ ٢٤٢، ٢/ ٤٨٣
ـ مثل المؤمن (قاله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾)	أبي بن كعب	١/ ٢٤٤
ـ معشر اليهود؛ اسمعوا مني ولا تبالون ألا تسألوا أحداً بعدي (قاله في مفتتح جوابه لليهود الذين قالوا له: صف لنا ربك هذا الذي هو في السماء)	علي بن أبي طالب (ف)	١/ ٢٣١
ـ من أراد أن ينظر كيف منزلته عند الله	جابر بن عبد الله	٢/ ٧٩
ـ من أعرض عن صاحب بدعة	عبد الله بن عمر	٢/ ٤٨١
ـ من أغمد سيفه فهو حر (قاله لأرقائه لما حوصر)	عثمان بن عفان (ف)	١/ ٢٢٨، ٢/ ٢٦٥
ـ من أنعش حقاً بلسانه	أنس بن مالك	٢/ ٥٣٤
ـ من بدل دينه فاقتلوه	ابن عباس	١/ ٧٣
ـ من بنىٰ مسجداً يبتغي به وجه الله	عثمان بن عفان	٢/ ٤٠٠
ـ من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً	أبو هريرة	٢/ ٤٠٨
ـ من حدث عني بحديث يرىٰ أنه كذب	المغيرة بن شعبة وسمرة	٢/ ٣١٦
ـ من سره أن يقرأ القرآن رطباً كما أنزل	عمر بن الخطاب	١/ ٢٤١

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
ـ من قال برأيه في القرآن فأصاب فقد أخطأ	جندب بن عبد الله	١/ ١٦٢
ـ من قرأ القرآن وأعربه كان له بكل حرف منه عشر حسنات	عمر بن الخطاب وعائشة	٢/ ٧٥، ٥٠٤
ـ من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار	أبو هريرة	٢/ ٣١٦، ٤٦٠
ـ من كنت مولاه فعلي مولاه	زيد بن أرقم	١/ ٢٣٠
ـ من يشتري مني سيفي هذا؟	علي بن أبي طالب (ف)	٢/ ٢٦٥
ـ منه بدأ وإليه يعود	أنس بن مالك	٢/ ٣١٩
ـ الناسخة، والمتشابهات: المنسوخة (قاله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾)	ابن عباس (ف)	١/ ٢٣٦
ـ نضر الله امرأً سمع مقالتي	جابر بن عبد الله	٢/ ٣٦٧
ـ نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس	ابن عباس	١/ ٥٥٠
ـ هاتوا أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً (قاله عليه الصلاة والسلام في مرض موته)	ابن عباس	١/ ١٨٧
ـ هادي أهل السماوات والأرض (قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾)	ابن عباس (ف)	١/ ٢٣٧
ـ هذا يوم كرب وشدة (قاله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾)	ابن عباس (ف)	٢/ ٣٩٦
ـ هم قوم هذا (قاله عليه الصلاة والسلام في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾)	عياض الأشعري	١/ ٣٢٠، ٣٣٩، ٣٤٢
ـ هم قومك يا غلام (قاله النبي عليه الصلاة والسلام لأبي موسى الأشعري في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾)	أبو موسى الأشعري	١/ ٢٢٠
ـ هو الأمر الشديد المفظع من هول يوم القيامة (قاله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾)	ابن عباس (ف)	٢/ ٣٩٧

طرف الحديث	اسم الراوي	الجزء والصفحة
ـ هي نعي رسول الله ﷺ (قاله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾)	أبو بكر (ف)	١/ ٢٢٥
ـ والله؛ إني لأعلم في أي موطن نزلت علىٰ رسوله ﷺ (قاله رداً على اليهودي الذي قال له: آية تقرؤونها في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت.. لاتخذنا ذلك اليوم عيداً)	عمر بن الخطاب (ف)	١/ ١٨٢
ـ وأنا جليسه إذا ذكرني	أبو هريرة	١/ ١٧٧
ـ وكتب في الذكر كل شيء	عمران بن حصين	١/ ٨٠، ١٦٥
ـ ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً	أبو هريرة	١/ ١٧٨
ـ وولد صالح يدعو له	أبو هريرة	٢/ ١٩٧
ـ يأخذ السماوات بيمينه والأرضين بشماله	عبد الله بن عمر	٢/ ٣٣٠
ـ يجلسه معه على العرش	مجاهد	٢/ ٣٢٩
ـ يحشر الله الناس يوم القيامة	عبد الله بن أنيس	٢/ ٣٢١، ٣٢٣
ـ يطوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة	عبد الله بن عمر	٢/ ٣٣١
ـ يعني: علمه (قاله في تقسير قوله تعالىٰ: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾)	ابن عباس (ف)	١/ ٢٣٦
ـ يعني: ما يؤول إليه يوم القيامة (قاله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾)	ابن عباس (ف)	١/ ٢٣٦
ـ يفنىٰ كل شيء ويبقى الله عز وجل	ابن عباس (ف)	١/ ٢١٨
ـ يمحو ما يشاء من أمور عباده، إلا السعادة والشقاوة (قاله في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾)	ابن عباس (ف)	١/ ٢٣٦
ـ يمين الله ملأىٰ لا يغيضها شيء	أبو هريرة	١/ ٢١٤، ٢١٥، ٢/ ٣٩٣
ـ ينزل أمر ربنا إلىٰ سماء الدنيا		٢/ ٤٠٨
ـ ينزل ربنا إلى السماء الدنيا	أبو هريرة	٢/ ٤٠٧

* * *

فهرس الأعلام المترجَمين في الكتاب

المترجم	الجزء والصفحة
ـ إبراهيم بن أحمد الخواص، أبو إسحاق	١/٣١٣
ـ إبراهيم بن علي الشيرازي، أبو إسحاق	١/٤٤٣
ـ إبراهيم بن محمد البوشي المالكي، برهان الدين أبو إسحاق	٢/١٣٣
ـ إبراهيم بن منصور المصري العراقي، أبو إسحاق	١/٥١٩
ـ أبو الحسن الباهلي البصري	١/٣٦٤
ـ أبو القاسم بن أحمد ابن طولون المرايغي القرافي المالكي	٢/١٨٠
ـ أبو القاسم بن منصور الإسكندراني القباري	١/٥٣٢
ـ أبو المجد بن علي مجد الدين الصوفي الإخميمي	٢/٣٨
ـ أبو محمد عبد الله بن يوسف الأنصاري الأندلسي الإستجي	٢/١٣
ـ أبي بن كعب، أبو المنذر رضي الله عنه	١/٢٤٣
ـ أحمد ابن وجيه الدين منصور بن المنير السكندري، ناصر الدين	٢/١٨٣
ـ أحمد بن إبراهيم السروجي الحنفي، شمس الدين أبو العباس	٢/٢٩٦
ـ أحمد بن إبراهيم القمني الشافعي، علم الدين	٢/٢٠١
ـ أحمد بن أبي بكر التجيبي الحرار، ابن الفصاد، أبو العباس	١/٥٦٠
ـ أحمد بن أبي عبد الله محمد البكري الشريشي، أبو العباس	٢/٨
ـ أحمد بن إدريس القرافي، شهاب الدين أبو العباس	٢/١٩٨
ـ أحمد بن إسماعيل الطالقاني القزويني، رضي الدين أبو الخير	١/٥٠٢
ـ أحمد بن الخليل بن سعادة، شمس الدين الخويي أبو العباس	١/٦١٧
ـ أحمد بن العباس ابن أبي المنصور المالكي، بهاء الدين أبو العباس	٢/٣٠١
ـ أحمد بن المسلم اللخمي التنوخي الإسكندري، أبو طالب	١/٤٨٥
ـ أحمد بن سليمان القرشي البلبيسي ابن كسا، أبو العباس	١/٦٠٨
ـ أحمد بن عبد الرحمٰن اللخمي، أبو العباس	١/٥١٨

المترجم	الجزء والصفحة
ـ أحمد بن عبد الرحمٰن بن وهبان ابن أفضل الزمان، أبو العباس	١/ ٤٩٦
ـ أحمد بن عبد الرحمٰن، جلال الدين الدشنائي	٢/ ١٣٥
ـ أحمد بن عبد الله، أبو نعيم الأصبهاني	١/ ٤٠٩
ـ أحمد بن علي الخطيب البغدادي، أبو بكر	١/ ٤٣٣
ـ أحمد بن علي القسطلاني المصري المالكي، أبو العباس	١/ ٦١٠
ـ أحمد بن عمر القرطبي ابن المزين، أبو العباس	٢/ ٥٥
ـ أحمد بن عمر بن سريج، أبو العباس	١/ ٢٨٢
ـ أحمد بن عيسى الخراز، أبو سعيد	١/ ٣١١
ـ أحمد بن محمد ابن الرفعة الشافعي، نجم الدين أبو العباس	٢/ ٢٩٧
ـ أحمد بن محمد ابن حنا الشافعي، زين الدين أبو العباس	٢/ ٢٨٢
ـ أحمد بن محمد ابن خلكان الشافعي، شمس الدين	٢/ ١٥٠
ـ أحمد بن محمد ابن دلويه الأستوائي، أبو حامد	١/ ٤١١
ـ أحمد بن محمد الأدمي، أبو العباس	١/ ٣١٢
ـ أحمد بن محمد الصنهاجي، ابن العريف، أبو العباس	١/ ٤٧٢
ـ أحمد بن محمد العبدري القصري الأشقر، أبو العباس	٢/ ٣٠
ـ أحمد بن محمد النوري، أبو الحسين	١/ ٣٠٨
ـ أحمد بن محمد بن ميكائيل، شهاب الدين الربعي	٢/ ١٣٤
ـ أحمد بن محمود البخاري التاجري، نظام الدين الحصيري	١/ ٥٦٥
ـ إسماعيل بن أحمد الإسماعيلي الجرجاني، أبو سعد	١/ ٣٨١
ـ إسماعيل بن أحمد النيسابوري الكرماني، أبو سعد	١/ ٤٥٦
ـ إسماعيل بن السديد أبي إسحاق إبراهيم علم الدين المنفلوطي، أبو الطاهر	٢/ ٣٧
ـ إسماعيل بن عبد المجيد بن علاس المالكي، أبو الطاهر	٢/ ٤١
ـ إسماعيل بن عبد الملك الطوسي الحاكمي، أبو القاسم	١/ ٤٦٥
ـ إسماعيل بن محمد الأنصاري القيرواني المالكي، وجيه الدين أبو الطاهر	٢/ ١٣٢
ـ إسماعيل بن مكي ابن عوف الزهري الإسكندراني، أبو الطاهر	/ ٤٨٨
ـ بهاء الدين عبد العزيز بن الحسين ابن رشيق المالكي	٢/ ١٧
ـ تاج الدين عبد الوهاب بن خلف العلامي الشافعي ابن بنت الأعز، أبو محمد	٢/ ١٠٠

المترجم	الجزء والصفحة
ـ ثابت بن حسن اللخمي النحوي الإسكندري الكريوني، أبو رزين	١/ ٥٨٥
ـ جعفر بن بن عبد الله بن سيد بونه الخزاعي، أبو أحمد	١/ ٥٨٠
ـ جعفر بن محمد ابن حجون الحسيني القنائي الشافعي، ضياء الدين	٢/ ٢٣٩
ـ جعفر بن محمد الصادق	١/ ٢٦٧
ـ جعفر بن مكي بن علي بن سعيد بن هبة الله الحاجب، أبو محمد	٢/ ٧
ـ جعفر بن يحيى التزمنتي الشافعي، ظهير الدين	٢/ ١٦١
ـ الجنيد بن محمد القواريري، أبو القاسم	١/ ٣٠٥
ـ الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله	١/ ٣٠٠
ـ حسان بن عبد الرحمٰن الجهني المهدوي الإسكندراني، أبو علي	١/ ٦١٣
ـ الحسن بن أبي الحسن البصري	١/ ٢٥٤
ـ الحسن بن أحمد ابن شاذان البغدادي، أبو علي	١/ ٤١٢
ـ الحسن بن عبد الله التونسي الطويل، أبو علي	١/ ٥٦٤
ـ الحسين بن الفضل البجلي	١/ ٢٨٤
ـ الحسين بن جمال الدين ظافر الأزدي المالكي، صفي الدين	٢/ ١٥٢
ـ الحسين بن عبد الرحيم ابن شاس السعدي، تقي الدين أبو علي	٢/ ١٩٠
ـ الحسين بن عبد الوهاب ابن مهلب بن أبي صفرة، سديد الدين أبو علي	١/ ٥٧٠
ـ الحسين بن عتيق جمال الدين ابن رشيق، الربعي الإسكندراني أبو علي	١/ ٥٩٨
ـ الحسين بن علي الكرابيسي، أبو علي	١/ ٢٨١
ـ الحسين بن محمد المعروف بـ(ابن خراشة) الدمشقي، أبو طاهر	١/ ٤١٧
ـ ذو النون المصري، أبو الفيض	١/ ٣٠١
ـ ركن الدين بن محمد بن العراقي القزويني الطاوسي، أبو الفضل	١/ ٥٣٠
ـ زاهر بن أحمد بن محمد السرخسي، أبو علي	١/ ٣٨٠
ـ زيد بن ثابت بن الضحاك الخزرجي رضي الله عنه	١/ ٢٤٠
ـ زيد بن علي بن الحسين	١/ ٢٦٣
ـ سري بن المغلس السقطي	١/ ٣٠٢
ـ سعيد بن المسيب	١/ ٢٥٣
ـ سعيد بن جبير	١/ ٢٥٢

المترجم	الجزء والصفحة
ـ سعيد بن فيروز، أبو البختري	١/ ٢٥٧
ـ سهل بن عبد الله التستري	١/ ٣٠٣
ـ سهل بن محمد بن سليمان العجلي الصعلوكي، أبو الطيب	١/ ٣٨٤
ـ شعيب بن الحسين، أبو مدين	١/ ٥٠٥
ـ صالح بن الحسين الجعفري الزينبي، تقي الدين أبو التقى	٢/ ١٢٤
ـ ضياء الدين عبد القاهر بن عبد الله ابن عمويه، أبو النجيب السهروردي	١/ ٤٧٨
ـ ظافر بن الحسين الأزدي والأسدي الإسكندراني، أبو المنصور	١/ ٥٢٣
ـ عامر بن شراحيل الشعبي	١/ ٢٥٩
ـ عائشة رضي الله عنها	١/ ٢٣٩
ـ العباس بن خلف بن بكار الزناتي المغربي الفاسي أبو الفضل	٢/ ٣٦
ـ عبد الباقي بن عبد الرحمٰن الجابري الأنصاري، عز الدين أبو محمد	٢/ ١٤٠
ـ عبد الحكم بن زكي الدين، أبو محمد	٢/ ٦٢
ـ عبد الحميد بن عيسى بن عمويه الخسروشاهي، شمس الدين أبو محمد	٢/ ٣٥
ـ عبد الرحمٰن بن أبي عامر أحمد الأشعري القرطبي، أبو الحسين	١/ ٤٩٣
ـ عبد الرحمٰن بن إسماعيل، شهاب الدين ابن أبي شامة	٢/ ١٠٨
ـ عبد الرحمٰن بن الحسين ابن الجباب التميمي، أبو القاسم	١/ ٤٩٠
ـ عبد الرحمٰن بن القاسم الجزولي العقيلي النويري الناطق، أبو القاسم	١/ ٥٦٦
ـ عبد الرحمٰن بن عبد العلي، عماد الدين ابن السكري، أبو القاسم	١/ ٥٨٣
ـ عبد الرحمٰن بن عبد الله الخثعمي السهيلي، أبو القاسم	١/ ٤٨٩
ـ عبد الرحمٰن بن عبد الوهاب العلامي الشافعي، تقي الدين أبو القاسم	٢/ ٢٣٣
ـ عبد الرحمٰن بن عطية الداراني، أبو سليمان	١/ ٢٩٨
ـ عبد الرحمٰن بن محمد القرشي، ضياء الدين ابن الوراق، أبو القاسم	١/ ٥٦١
ـ عبد الرحمٰن بن مهدي، أبو سعيد	١/ ٢٦٩
ـ عبد الرحيم بن أحمد بن حجون القنائي الحسيني، أبو محمد	١/ ٥١٥
ـ عبد الرحيم بن هاشم العباسي الهاشمي الشافعي، عماد الدين	٢/ ١٤٨
ـ عبد السلام بن علي الدمياطي تاج الدين ابن الخراط، أبو محمد	١/ ٥٧٣
ـ عبد الصمد بن عبد الوهاب ابن عساكر الدمشقي المكي، أمين الدين أبو اليمن	٢/ ٢١٤

المترجم	الجزء والصفحة
ـ عبد العزيز ابن أبي الأفراح سرور المنوفي، أبو فارس	٢/ ٢٨٦
ـ عبد العزيز المكي	١/ ٢٩٩
ـ عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري الديريني الشافعي، أبو محمد	٢/ ٢٢٨
ـ عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، عز الدين أبو محمد	٢/ ٦٤
ـ عبد العزيز بن عبد المجيد ابن قراقيش، برهان الدين أبو محمد	٢/ ٤٠
ـ عبد العزيز بن عبد الوهاب رشيد الدين المالكي، أبو محمد	٢/ ٢٤
ـ عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، زكي الدين أبو محمد	٢/ ٥٧
ـ عبد العلي المغربي المالكي	٢/ ٢٧٣
ـ عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي، أبو الحسن	١/ ٤٧٠
ـ عبد الغني بن علي البهنسي، كمال الدين أبو محمد	٢/ ٩١
ـ عبد القادر بن محمد شرف الدين الشافعي ابن البغدادي، أبو محمد	١/ ٦٠٦
ـ عبد القاهر بن إبراهيم ابن مهران الجزري، أبو القاسم	١/ ٥٤٩
ـ عبد القاهر بن طاهر البغدادي، أبو منصور	١/ ٤١٨
ـ عبد الكريم بن الإمام محمد بن أبي المظفر، أبو سعد	١/ ٤٧٧
ـ عبد الكريم بن عطاء الله، الإسكندراني أبو محمد	٢/ ١١٥
ـ عبد الكريم بن علي الأنصاري الشافعي ابن بنت العراقي، علم الدين أبو محمد	٢/ ٢٧٨
ـ عبد الكريم بن هوازن القشيري الأستوائي، أبو القاسم	١/ ٤٣٥
ـ عبد الله بن إبراهيم المجيسي المتيجي، أبو محمد	١/ ٦١٥
ـ عبد الله بن إبراهيم الهلالي الريفي المالكي، أبو محمد	٢/ ١٩
ـ عبد الله بن أحمد الهروي، أبو ذر	١/ ٤٢٠
ـ عبد الله بن عثمان، أبو بكر الصديق رضي الله عنه	١/ ٢٢٤
ـ عبد الله بن جمال الدين المدلجي، علم الدين	٢/ ٢١٢
ـ عبد الله بن سعيد ابن كلاب التميمي	١/ ٢٨٣
ـ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما	١/ ٢٣٥
ـ عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما	١/ ٢٣٨
ـ عبد الله بن قيس، أبو موسى الأشعري رضي الله عنه	١/ ٢٤٦
ـ عبد الله بن محمد ابن أبي عصرون التميمي الموصلي الدمشقي، أبو سعد	١/ ٤٩١

المترجم	الجزء والصفحة
ـ عبد الله بن محمد ابن اللبان، أبو محمد	١/ ٤٢٨
ـ عبد الله بن محمد البغدادي البادراني، نجم الدين أبو محمد	٢/ ٤٧
ـ عبد الله بن محمد الفهري المعروف بـ(ابن التلمساني)، شرف الدين أبو محمد	٢/ ٦٠
ـ عبد الله بن محمد بن علي المرجاني القرشي التونسي المالكي، أبو محمد	٢/ ٢٤٣
ـ عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه	١/ ٢٤١
ـ عبد الله بن نجم بن شاس الجذامي السعدي، جلال الدين، أبو محمد	١/ ٥٦٣
ـ عبد الله بن يوسف ابن حيويه الجويني، أبو محمد	١/ ٤٢٣
ـ عبد الله بن يوسف الفاسي المعدل، أبو محمد	٢/ ١٨
ـ عبد المعطي بن محمود المخيلي اللخمي الإسكندراني، أبو محمد	١/ ٦٢٠
ـ عبد المعطي بن منصور بن نجا، سعيد الدولة المخيلي الإسكندراني، أبو محمد	١/ ٦١٤
ـ عبد الملك بن عيسى ابن عبدوس الماراني الشافعي، أبو القاسم	١/ ٥٣٣
ـ عبد الملك بن محمد بن أبي عثمان الخركوشي الزاهد، أبو سعد	١/ ٣٩٨
ـ عبد المؤمن بن إسماعيل الدهروطي البكري المالكي	٢/ ١٩٢
ـ عبد الواحد بن أحمد الزهري المذكر المعروف بـ(ابن أبي الفضل)، أبو محمد	١/ ٣٧١
ـ عبد الواحد بن محمد بن أبي عمرو البجلي البغدادي، أبو القاسم	١/ ٤٠٣
ـ عبد الوهاب بن سديد الدين المهلبي البهنسي الشافعي، وجيه الدين أبو محمد	٢/ ١٩٤
ـ عبد الوهاب بن عبد الملك ابن المهتدي الهاشمي الدمشقي، أبو طالب	١/ ٣٩٣
ـ عبد الوهاب بن يوسف ابن رشيق القصري، أبو محمد	٢/ ٣١
ـ عثمان بن عبد الكريم التزمنتي الشافعي، سديد الدين أبو عمرو	٢/ ١٣١
ـ عثمان بن عفان رضي الله عنه	١/ ٢٢٨
ـ عثمان بن عمر المعلم، عماد الدين أبو عمرو	٢/ ٤٩
ـ عثمان بن عمر بن الحاجب عثمان ابن يونس الدويني الإسكندراني، أبو عمرو	٢/ ٢١
ـ عطاء الله بن منصور الإسكندراني المالكي، أبو محمد	١/ ٥٧٥
ـ عقيل بن مهلب المهلبي موفق الدين البهنسي	١/ ٥٦٩
ـ علي ابن إسماعيل ابن الصباغ، أبو الحسن	١/ ٥٥٠
ـ علي ابن غزي الدمياطي ابن قفل، أبو الحسن	٢/ ٢٢
ـ علي بن إبراهيم القرشي المخزومي البوشي، أبو الحسن	١/ ٦١٦

المترجم	الجزء والصفحة
ـ علي بن أبي الفضل الهنتاتي المالكي، أبو الحسن	٢/ ١٢٧
ـ علي بن أبي القاسم عبد الرحمٰن الحسيني الحنفي، علاء الدين أبو الحسن	٢/ ٢٧٥
ـ علي بن أبي طالب رضي الله عنه	١/ ٢٣٠
ـ علي بن أحمد ابن القسطلاني، تاج الدين أبو الحسن	٢/ ١٠٦
ـ علي بن أحمد النميمي البصري، أبو الحسن	١/ ٤١٥
ـ علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الملقب زين العابدين، أبو الحسن	١/ ٢٦١
ـ علي بن المسلم السلمي الدمشقي، أبو الحسن	١/ ٤٥٧
ـ علي بن المفضل المقدسي اللخمي شرف الدين، أبو الحسن	١/ ٥٤٧
ـ علي بن خلف الكومي المحمودي اليشروسي التلمساني، أبو الحسن	١/ ٥٢٤
ـ علي بن شجاع العباسي، كمال الدين أبو الحسن	٢/ ٨٤
ـ علي بن صالح ابن أبي عمامة، عماد الدين أبو الحسن	٢/ ١٣٨
ـ علي بن ظافر جمال الدين الأزدي العدل، أبو الحسن	١/ ٥٥٦
ـ علي بن عبد الله الشاذلي، أبو الحسن	٢/ ٥٢
ـ علي بن علي بن سعادة الفارقي، أبو الحسن	١/ ٥٣١
ـ علي بن محمد ابن الصائغ الدينوري، أبو الحسن	١/ ٣١٤
ـ علي بن محمد ابن ميله، ومحمدٌ يعرف بـ (ماشاذه)، أبو الحسن	١/ ٣٩٢
ـ علي بن محمد سيف الدين الآمدي، أبو الحسين	١/ ٥٨٧
ـ علي بن محمد محيي الدين القرميسيني، أبو الحسن	٢/ ١٢
ـ علي بن مخلوف بن ناهض النويري، أبو الحسن	٢/ ٢٩٣
ـ علي بن هبة الله ابن الجميزي اللخمي، بهاء الدين أبو الحسن	٢/ ٢٥
ـ علي بن وهب ابن دقيق العيد المالكي، مجد الدين أبو الحسن	٢/ ١٢٠
ـ عمر بن أحمد العبدويي النيسابوري الحافظ، أبو حازم	١/ ٤٠٧
ـ عمر بن أعز ابن عمويه، التيمي البكري السهروردي البغدادي، أبو حفص	١/ ٥٨٢
ـ عمر بن الخطاب رضي الله عنه	١/ ٢٢٦
ـ عمر بن بندار التفليسي الشافعي، كمال الدين أبو حفص	٢/ ١٣٠
ـ عمر بن عبد الحميد القيرواني المالكي، أبو علي	٢/ ٢٩٠
ـ عمر بن عبد الخالق، جمال الدين القرشي أبو حفص	١/ ٥٩٩

المترجم	الجزء والصفحة
ـ عمر بن عبد العزيز	١/ ٢٥٨
ـ عمر بن عبد الله السبكي المالكي، شرف الدين أبو حفص	٢/ ١٢٥
ـ عمر بن عبد الوهاب ابن بنت الأعز، صدر الدين العلامي الشافعي	٢/ ١٤٦
ـ عمر بن محمد (ابن البزري) الشافعي الجزري، أبو القاسم	١/ ٤٧٦
ـ عمر بن محمد ابن عمويه، التيمي البكري السهروردي، شهاب الدين أبو حفص	١/ ٥٩٥
ـ عمرو بن عثمان المكي، أبو عبد الله	١/ ٣٠٩
ـ عيسى بن يخلف بن علي السندراني، أبو موسى	٢/ ٣٤
ـ فتح بن محمد السعدي الدمياطي، أبو منصور	١/ ٥٣٥
ـ فتح بن موسى الجزيري القصري، أبو نصر	٢/ ٩٦
ـ قاسم بن فيره الرعيني الأندلسي الشاطبي المقرى، أبو القاسم	١/ ٥٠٤
ـ كمال الدين عبد الغني بن السديد جعفر ابن سمرة الأنصاري، أبو محمد	٢/ ٢٢٦
ـ محمد بن إسماعيل البخاري، أبو عبد الله	١/ ٢٨٥
ـ المبارك بن أحمد اللخمي، شرف الدين ابن المستوفي أبو البركات	١/ ٦١٨
ـ المبارك بن يحيى ابن الطباخ، أبو البركات	٢/ ١٢٢
ـ مجاهد بن جبر	١/ ٢٥٦
ـ مجلي بن جميع بن نجا القرشي المخزومي الأرسوفي، أبو المعالي	١/ ٤٧٥
ـ محمد بن إبراهيم ابن جماعة الكناني الشافعي، بدر الدين أبو عبد الله	٢/ ٢٩٥
ـ محمد بن إبراهيم السهيلي الجاجرمي، أبو حامد	١/ ٥٥٨
ـ محمد بن إبراهيم، فخر الدين الشيرازي الخبري أبو عبد الله	١/ ٥٧٦
ـ محمد بن أبي الحسن علي ابن زكي الدين الدمشقي، محيي الدين أبو المعالي	١/ ٥٠١
ـ محمد بن أبي محمد عبد الله ابن الشهرزوري، كمال الدين أبو الفضل	١/ ٤٨٢
ـ محمد بن أحمد ابن سمعون الواعظ، أبو الحسين	١/ ٣٧٥
ـ محمد بن أحمد ابن مجاهد الطائي، أبو عبد الله	١/ ٣٦٣
ـ محمد بن أحمد ابن محمود السمناني، أبو جعفر	١/ ٤٢٦
ـ محمد بن أحمد التجيبي الأندلسي، ابن الحاج أبو الوليد	٢/ ١٤
ـ محمد بن أحمد السلمي البغدادي النقاش، أبو جعفر	١/ ٣٦٨
ـ محمد بن أحمد القسطلاني، قطب الدين أبو بكر	٢/ ٢١٨

المترجم	الجزء والصفحة
ـ محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشي، أبو عبد الله	١/ ٥٢٥
ـ محمد بن إدريس الشافعي، أبو عبد الله	١/ ٢٧١
ـ محمد بن أسعد الطوسي، المعروف بـ(حفدة)، أبو منصور	١/ ٤٨٠
ـ محمد بن إسماعيل القطان الشروطي، أبو عبد الرحمٰن	١/ ٣٧٩
ـ محمد بن الجرمي الدمشقي الزاهد، أبو بكر	١/ ٤٢٢
ـ محمد بن الحسين ابن رشيق الربعي المالكي، علم الدين	٢/ ١٤٤
ـ محمد بن الحسين الأرموي، قاضي العسكر، شمس الدين أبو عبد الله	٢/ ٢٩
ـ محمد بن الحسين الأزدي النيسابوري السلمي، أبو عبد الرحمٰن	١/ ٣١٥
ـ محمدٌ بن الحسين الأنصاري الجابري المحلي، أبو الطاهر	١/ ٦٠١
ـ محمد بن الحسين البسطامي، أبو عمر	١/ ٤٠٠
ـ محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني، أبو بكر	١/ ٣٨٩
ـ محمد بن الفضل ابن المعتمد الإسفرايني، أبو الفتوح	١/ ٤٦٠
ـ محمد بن الفضل الفراوي، أبو عبد الله	١/ ٤٥٣
ـ محمد بن القاسم المعروف بـ(الشافعي) الأصفهاني، أبو عبد الله	١/ ٣٧٠
ـ محمد بن الموفق نجم الدين الخبوشاني الصوفي، أبو البركات	١/ ٤٩٧
ـ محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري، أبو جعفر	١/ ٢٨٨
ـ محمد بن خفيف الشيرازي، أبو عبد الله	١/ ٣٥٦
ـ محمد بن عبد الحكم ابن الماشطة السعدي، شرف الدين أبو عبد الله	٢/ ٢١٦
ـ محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، أبو بكر	١/ ٤٧٤
ـ محمد بن عبد الله ابن عين الدولة الإسكندراني، أبو المكارم	٢/ ٥
ـ محمد بن عبد الله الحاكم المعروف بـ(ابن البيع)، أبو عبد الله	١/ ٣٩٤
ـ محمد بن عبد الله السلمي الأندلسي المرسي، شرف الدين أبو عبد الله	٢/ ٤٢
ـ محمد بن عبد الله بن تومرت، أبو عبد الله	١/ ٤٦٧
ـ محمد بن عبد الله بن حمشاذ النيسابوري، أبو منصور	١/ ٣٧٣
ـ محمد بن عبد الله بن محمد الأودني، أبو بكر	١/ ٣٧٢
ـ محمد بن علي ابن دقيق العيد المالكي الشافعي، تقي الدين	٢/ ٢٥٣
ـ محمد بن علي الإسكندري المالكي، زين الدين أبو الفرج	٢/ ٩٣

المترجم	الجزء والصفحة
ـ محمد بن علي التميمي المازري، أبو عبد الله	١/ ٤٧١
ـ محمد بن علي الحكيم الترمذي، أبو عبد الله	١/ ٣١٠
ـ محمد بن عمر الأزدي ابن اللهيب، شرف الدين الغساني، أبو عبد الله	١/ ٥٨٦
ـ محمد بن عمر الحموي، صدر الدين الجويني، أبو الحسن	١/ ٥٦٧
ـ محمد بن عمر الرازي البكري فخر الدين، أبو عبد الله	١/ ٥٣٧
ـ محمد بن عمران الفاسي المالكي الشافعي، شرف الدين	٢/ ٢٠٦
ـ محمد بن عيسى الخزرجي الأندلسي المالقي، أبو بكر	٢/ ٣٢
ـ محمد بن محمد بن الشهرزوري، محيي الدين أبو حامد	١/ ٤٩٤
ـ محمد بن محمد ركن الدين العميدي السمرقندي، أبو حامد	١/ ٥٥٩
ـ محمد بن محمود العجلي الأصفهاني الشافعي، شمس الدين أبو عبد الله	٢/ ٢٢٢
ـ محمد بن محمود شهاب الدين الطوسي الشافعي، أبو الفتح	١/ ٥٢١
ـ محمد بن محمود وحيد الدين المروروذي الشافعي	١/ ٥٢٩
ـ محمد بن مسلم ابن شهاب الزهري	١/ ٢٦٠
ـ محمد بن موسى بن النعمان الهنتاتي التلمساني، شمس الدين أبو عبد الله	٢/ ١٦٣
ـ محمد بن ناماور أفضل الدين الخونجي، أبو عبد الله	٢/ ٢٠
ـ محمد بن هبة الله سديد الدين السلماسي، أبو عبد الله	١/ ٤٨٤
ـ محمد بن هبة الله ابن شكر الدميري المالكي، نفيس الدين أبو البركات	٢/ ١٤٣
ـ محمد بن يوسف الجزري المقرىء الشافعي شمس الدين أبو عبد الله	٢/ ٣٠٠
ـ محمد بن يوسف بن عبد الله الجزري الشافعي، شمس الدين أبو عبد الله	٢/ ٣٠١
ـ محمد بن يونس ابن منعة الشافعي عماد الدين، أبو حامد	١/ ٥٤٥
ـ محمود بن أحمد ابن ماشاذه الأصفهاني، أبو منصور	١/ ٤٥٩
ـ محمود بن البخاري التاجري جمال الدين الحصيري، أبو المحامد	١/ ٦١٢
ـ محمود بن الحسن الطبري، أبو حاتم	١/ ٤٢٧
ـ مرهف بن صارم الجذامي الشافعي السفطي، أبو عبد الرحمٰن	١/ ٦٠٧
ـ مسعود بن محمد النيسابوري قطب الدين الطريثيثي، أبو المعالي	١/ ٤٨٦
ـ مسلم بن الحجاج القشيري	١/ ٢٨٧
ـ مظفر بن أبي الخير أمين الدين التبريزي الواراني، أبو الأسعد	١/ ٥٧٤

المترجم	الجزء والصفحة
ـ مظفر بن عبد الله تقي الدين المقترح ، أبو العز	١/ ٥٥٤
ـ معاذ بن جبل الخزرجي رضي الله عنه	١/ ٢٤٥
ـ المفضل بن إسماعيل بن أبي بكر الإسماعيلي الجرجاني، أبو معمر	١/ ٤٠٥
ـ موسى بن يونس بن محمد الفقيه الشافعي ، كمال الدين أبو الفتح	٢/ ٩
ـ موهوب بن عمر الجزري ، صدر الدين ابن الطبيب أبو منصور	٢/ ٩٩
ـ نصر الله بن محمد الأشعري المصيصي ، أبو الفتح	١/ ٤٦٢
ـ نصر بن أبي الفرج برهان الدين ابن الحصري الحنبلي، أبو الفتوح	١/ ٥٧١
ـ هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل القفطي الشافعي، بهاء الدين أبو القاسم	٢/ ٢٤١
ـ هبة الله بن عبد المحسن الأنصاري ، أبو البركات	١/ ٥٠٠
ـ يحيى بن الربيع مجد الدين الواسطي الشافعي، أبو علي	١/ ٥٤٤
ـ يحيى بن عبد المنعم البهنسي الشافعي، ظهير الدين	٢/ ٢٢٠
ـ يحيى بن عبد الوهاب التنوخي، المنعوت بـ (التاج) الإسكندري ، أبو الحسين	٢/ ٥٩
ـ يحيى بن علي القرشي الأموي رشيد الدين ، أبو الحسين	٢/ ٨٦
ـ يحيى بن معاذ الرازي الواعظ، أبو زكريا	١/ ٣٠٤
ـ يحيى بن يلبمان بن هادي السبتي المالكي، أبو زكريا	٢/ ٤٤
ـ يوسف بن الأسدي الموصلي، بهاء الدين ابن شداد أبو المحاسن	١/ ٥٩٧
ـ يوسف بن الحسن السنجاري ، بدر الدين أبو المحاسن	٢/ ٩٧
ـ يوسف بن عبد الرحيم، الأقصري أبو الحجاج	٢/ ١٥
ـ يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي، أبو المحاسن	١/ ٥٧٩

* * *

فهرس الأشعار والأرجاز

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
الهمزة المضمومة					
وبعينيك أوقدت هند النار	العلياء	الخفيف	الحارث بن حلزة اليشكري	٢	٢١٨/١
الهمزة المفتوحة					
تبارك من أباح حمى المعالي	شاء	الوافر	شمس الدين الجزري (ملك النحاة)	٢	١٥٩/٢
الهمزة المكسورة					
مثل الشافعي في العلماء	السماء	الخفيف	حفدة، أبو منصور النيسابوري	٢	٤٨٠/١، ٤٨١
يا أميراً له الكلام مطيع	الرياء	الخفيف	ابن النقيب الحسن بن شاور	٧	١٨٧/٢
يا إمام الأنام في كل فن	المضاء	الخفيف	ناصر الدين ابن المنير	٨	١٨٧/٢
الألف اللينة					
إذا ما غزا قوماً أباح حريمهم	استوى	الطويل	-	١	٣٧٧/٢
لقد صيغ في صدر الخلافة سيد	والنهى	الطويل	شهاب الدين محمد بن محمود الطوسي	٢	٥٢٢/١
إذا أظمأتك أكف اللئام	وريا	المتقارب	النعيمي	٤	٤١٦/١
الباء المضمومة					
فليتك تحلو والحياة مريرة	غضاب	الطويل	أبو فراس الحمداني	١	٧٨/٢
لنا جانب منه دميث وجانب	صعب	الطويل	الأقرع بن معاذ القشيري	١	٢١٥/١
وعاجوا فأثنوا بالذي هو أهله	الحقائب	الطويل	نصيب	١	١٩٧/٢
عندي كتائب أشواقٍ أجهزها	كتب	البسيط	كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري	٢	٤٨٣/١

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
وجرمٍ جره سفهاء قومٍ	العذاب	الوافر	المتنبي	١	٥٠٨/٢
		الباء المفتوحة			
نحن قوم إذا غسلنا الثيابا	جلبابا	الخفيف	أبو العباس القصري	١	٣١/٢
		الباء المكسورة			
أحن لأرحامٍ أراها قريبةً	وراسب	الطويل	رجل من بني عبس	٢	٢١٩/١
بدا طالع يهديك من بعد غارب	بغائب	الطويل	سراج الدين الوراق	٢٠	٣٨٣/٢، ٣٨٤
ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم	الكتائب	الطويل	النابغة الذبياني	١	٢٨٥/١
وتحكم حلباً بالسيف في صفرٍ	رجب	البسيط	ابن زكي الدين، محمد بن علي	١	٥٠١/١
يا سيداً جمل الله الزمان به	والعرب	البسيط	فخر القضاة (ابن بصاقة)	٦	٥٨٩/١، ٥٩٠
تقضى العمر في اللعب	أرب	مجزوء الوافر	رشيد الدين يحيى بن علي المصري	١١	٨٨/٢، ٨٩
قد ذل شيطان النفاق وأخمدت	الغاب	الكامل	أبو تمام	١	١٣٨/١
يا ذا البراعة والحسام القاضب	السالب	الكامل	عز الدين عبد الباقي بن عبد الرحمن الجابري	٩	١٤٢/٢
دفقت في [الفطنة] حتى لقد	يسبي	السريع	ابن دقيق العيد	٥	٢٦٧/٢
		الباء الساكنة			
قد عزل السيف وولى القراب	الصواب	السريع	نجم الدين محمد ابن إسرائيل	٢	٥٩٣/١
عرف الموت قدر من هو طالب	والنوائب	الخفيف	سراج الدين الوراق	٢٠	١٠٤/٢، ١٠٥
تخون مالي وأودئ به	السبب	المتقارب	ابن دقيق العيد	٢	٢٦٧/٢
		التاء المضمومة			
سبحان من خضعت لعزة عرشه	الآيات	الكامل	أمية بن أبي الصلت	٢	٣٧٦/٢
		التاء المكسورة			
بك التأم الإسلام بعد شتاته	شباته	الطويل	سراج الدين الوراق	٢١	٤٧/٢، ٤٨

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
الله أكبر أن يكون لذاته	مخلوقاته	الكامل	أبو عبد الله محمد بن الحسن الموصلي	٦	٤٧٩/١
همتي تقصر عنها طاقتي	فاقتي	الرمل	أبو القاسم القشيري	٢	٤٤١/١
الجيم المضمومة					
لك في الكرام موارد أمواهها	أجاج	الكامل	سراج الدين الوراق	٦	١٨٦/٢
لله ركب هذبت طرقاته	المنهاج	الكامل	ناصر الدين ابن المنير السكندري	٥	١٨٥/٢
الجيم المفتوحة					
ولا عجب من سخف رأيك إنه	نتائجا	الطويل	ابن خفاجة الأندلسي	١	١٢٦/١
تتوجت الشريعة منك تاجا	وابتهاجا	الوافر	سراج الدين الوراق	١١	١٠١/٢، ١٠٢
الجيم المكسورة					
أهلاً لما لم أكن أهلاً لموقعه	بالفرج	البسيط	ابن الفارض	٢	١٧٤/١
حسنك لا تنقضي عجائبه	حرج	المنسرح	الشريف المرتضى	١	٦٩/٢
الحاء المضمومة					
كشفت لهم عن ساقها	الصراح	مجزوء الكامل	سعد بن مالك	١	٢١٢/١
الحاء المفتوحة					
دوا المطي وقد نالوا المنى بمنىً	باحا	البسيط	ابن العريف الصنهاجي	٥	٤٧٢/١
الدال المضمومة					
تجرد عن الدنيا فإنك إنما	مجرد	الطويل	أبو عبد الله ابن تومرت	١	٤٦٧/١
نأت فأعرناها القلوب صبابةً	رد	الطويل	حفدة، النيسابوري	١	٤٨١/١
ونحن حفزنا الحوفزان بطعنةٍ	نهد	الطويل	أحمر بن جندلٍ	١	٢١٨/١
المرء ما دام حياً يستهان به	يفتقد	البسيط	فخر الدين الرازي	١	٥٤٢/١
تعطلت الورى ممن يفيد	رشيد	الوافر	أبو الحسين الجزار	١	٨٩/٢

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
قد شمرت عن ساقها فشدوا	فجدوا	الرجز	-	١	٢/٣٩٧
الدال المفتوحة					
إذا القوم مدوا بأيديهم	يدا	المتقارب	الخنساء	٢	١/٢١٤
الدال المكسورة					
لعمرك ما طرق المعالي خفيةً	بقاصد	الطويل	أبي فراس الحمداني	١	١/١٢٤
هما كنفا الأرض الذي لو تزعزعا	السد	الطويل	العديل بن الفرخ العجلي	١	١/٦٩
وإن بقومٍ سودوك لحاجةً	بسيد	الطويل	الأحوص الأنصاري	١	١/٦٢
وفي أرضنا نحن الموالي لأهلها	عبيدها	الطويل	-	١	١/٢٩٠
سلام رائح أبداً وغادي	والرشاد	الوافر	نفيس الدين الأشعري	٢٠	٢/١٧٥، ١٧٦
اثنان قد مضيا وبورك فيهما	السؤدد	الكامل	-	٣	١/٣٨٥
عندي لمولانا ألوزير أيادي	إياد	الكامل	سراج الدين الوراق	٢٧	٢/١٠٢، ١٠٣
والرابع المشهور سهل محمدٍ	موحد	الكامل	-	٣	١/٣٨٥
يا طالب الغايات غير مراقبٍ	الآساد	الكامل	-	١	١/٦٤
كلامه حرف وصوت وبه	مناد	الرجز	ابن الجوزي	١	٢/٢٦٧
يا رب لا تحيني إلى زمنٍ	أحد	المنسرح	كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري	٢	١/٤٨٣
الراء المضمومة					
شكا المغرب الأقصى لكم					
ما شكت مصر	حصر	الطويل	سراج الدين الوراق	٤٢	٢/٢٥٠، ٢٥١
فما جازه مجد ولا حل دونه	يصير	الطويل	أبو نواس	١	١/٣٢٨
وعيرها الواشون أني أحبها	عارها	الطويل	أبو ذئيب الهذلي	١	١/٢٨٥
الآن قد ثبتت وقر قرارها	منارها	الكامل	سراج الدين الوراق	٢٥	٢/٢٣٥، ٢٣٦
هل للردى علم بمن يختار	والأخيار	الكامل	سراج الدين الوراق	١٧	٢/١٠٦، ١٠٧
يا أيها الملك المعظم ربه	حمار	الكامل	محمد بن عبد الرحمن المخزومي	٣	٢/٤٩٠، ٤٩١

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
الدهر أصبر صبراً في تقلبه	أثر	البسيط	أبو القاسم القشيري	٢	١/٤٤١، ٤٤٢
يا من تقدس في علياء عزته	يصوره	البسيط	أبو القاسم القشيري	٢	١/٤٤١
أظهروا للناس نسكاً	داروا	مجزوء الرمل	العلاء بن الجارود،		
			أو محمود الوراق	١	٢/٧١
يعرفه الباحث من جنسه	منكر	السريع	-	١	٢/٧١

الراء المفتوحة

أسائل دمعي صرت بالسر مخبرا	مضمرا	الطويل	ناصر الدين ابن النقيب	٣٦	٢/١٨٧، ١٨٩
يقولون إن الصاحب ابن محمدٍ	فتأثرا	الطويل	أبو الحسين الجزار	٢	٢/٢٨٥
لقد ظهرت فلا تخفى على أحدٍ	القمرا	البسيط	ذي الرمة	١	٢/٧٨
أمر على الديار ديار ليلى	الجدارا	الوافر	قيس بن الملوح	١	٢/٦٨، ٥٠٨
إني ادخرت ليوم ورد منيتي	خطيرا	الكامل	أبو سعدٍ إسماعيل بن		
			أحمد الجرجاني	١٠	١/٣٨١، ٣٨٢
ملأ الوجود بجوده فتعمرا	فتورا	الكامل	أبو فارس عبد العزيز بن		
			عبد الغني المنوفي	١٦	٢/٢٨٧، ٢٨٨
من مات خلى مشبهيه كثيرا	نظيرا	الكامل	جمال الدين ابن قطنة	٢٥	٢/٢٦٩، ٢٧٠
ولربما انقلب الصديق	بالمضره	مجزوء الكامل	منصور الفقيه		
			(ويعزى لغيره)	١	١/١٣٧

الراء المكسورة

إذا كلمتني بالعيون الفواتر	البوادر	الطويل	إبراهيم بن المهدي	١	٢/٣٥٤
عجبت لأمري إذ تلطفت في أمري	الأمر	الطويل	أبو مدين التلمساني	١٠	١/٥١١
جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم	والسير	البسيط	أبو العلاء المعري	٦	٢/٣٠٥
إن الفقيه أبا رزين ثابتاً	الخنصر	الكامل	ابن المفضل المقدسي	٢	١/٥٨٥
بكت السماء عليه عند وفاته	الممطور	الكامل	نجم الدين ابن إسرائيل	٣	١/٥٩٣
خذها إليك مشيحةً سبارةً	منحضر	الكامل	ابن الرومي	٣	١/١٣٣

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
قل للمشبهة الذين تجاوزوا	منكر	الكامل	-	٢	٢/٢٨٧
يا مؤنسي بالليل إن هجع الورىٰ	بنهار	الكامل	-	١	١/٥٦٠
الراء الساكنة					
ولما أتانا ابن تيميةٍ	الخبر	المتقارب	شافع بن علي	٢	٢/٥٣٨، ٥٣٩
الزاي المفتوحة					
حزت البلاغة إسهاباً وإيجازا	إعجازا	البسيط	جمال الدين ابن قطنة	٨	٢/٢٦٨
السين المضمومة					
يا مسجد الفتح قد شابهت كعبتنا	وتقديس	البسيط	المخلص الكناني الموقع	٢	٢/١٦٣
السين المفتوحة					
دلس للناس أحاديثه	تدليسا	السريع	عبد الله بن المبارك	١	٢/٣١٠
السين المكسورة					
رأينا بك الأنس الذي عم نفعه	والدرس	الطويل	أبو العباس أحمد بن موسى الأنصاري	٤	٢/١٧١
بميناً لقد سر الإمام ابن إدريس	لتدريس	الطويل	سراج الدين الوراق	١٢	٢/٢٨٤، ٢٨٥
الشافعي إمام الناس كلهم	والباس	البسيط	محمد بن القاسم	٣	١/٢٧٨
ما يبلغ الأعداء من جاهلٍ	نفسه	السريع	صالح بن عبد القدوس	٣	١/١١٢
الضاد المضمومة					
من كل شيءٍ إذا ضيعته عوض	عوض	البسيط	-	١	٢/٧٨
العين المضمومة					
ألم تر آثار ابن إدريس بعده	لوامع	الطويل	أبو بكرٍ محمد ابن دريدٍ	١٦	١/٢٧٩، ٢٨٠
كمال كمال الدين للعلم والعلا	يطمع	الطويل	العماد الصنهاجي	٣	٢/١٠
وفينا رسول الله يتلو كتابه	ساطع	الطويل	عبد الله بن رواحة	٣	٢/٣٣٤

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
القلب نحوك نازع	منازع	مجزوء الكامل	أبو القاسم القشيري	٣	١/٤٤٢
يا مربعاً قلبي له مربع	يهمع	السريع	نجم الدين محمد ابن		
			إسرائيل	٣	١/٥٩٣
أخذت بأعضادهم إذ نأوا	ودعوا	المتقارب	أبو عبد الله ابن تومرت	٣	١/٤٦٨
العين المفتوحة					
بكىٰ جامع ابن العاص فقدك طائعا	وسامعا	الطويل	سراج الدين الوراق	١٠	٢/٢١٧
العين المكسورة					
وكان فتحاً تعالىٰ أن يحيط به	السجع	البسيط	أبو تمام	١	١/١٣٩
أقول لها وقد طارت شعاعاً	تراعي	الوافر	قطري بن الفجاءة	١	١/٢١٦
الفاء المكسورة					
يا منسي الناس حفظ الحافظ السلفي	السلف	البسيط	جمال الدين ابن قطنة	٤	٢/٢٦٧، ٢٦٨
أسفي وهل يجدي طويل تأسفي	تلهفي	الكامل	ابن المعلم القرشي	٣٢	٢/٢٧٠، ٢٧٢
يا بن الكرام المطعمين إذا شتوا	خاشف	الكامل	شرف الدين ابن عنينٍ	٧	١/٥٤٢
الفاء الساكنة					
يا من عدا ثم اعتدىٰ ثم اقترف	اعترف	الرجز	أبو منصور عبد القاهر بن		
			طاهر البغدادي	٢	١/٤١٩
القاف المضمومة					
أما لك يا نومي بجفني تعلق	يطرق	الطويل	سراج الدين الوراق	٣٠	٢/٩٣، ٩٥
إذا فتقت بالسلب فيك رتوق	طريق	الطويل	أبو فارس عبد العزيز بن		
			عبد الغني المنوفي	٧	٢/٢٨٨، ٢٨٩
عليك فتى النعمان دمعي شقائق	وحدائق	الطويل	سراج الدين الوراق	٣٣	٢/١٧٧، ١٧٩
القاف المفتوحة					
أجلك أن أشكو إليك الذي ألقىٰ	حقا	الطويل	-	٦	٢/٢٣٢

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
تبدت لنا أعلام علم الهدىٰ صدقا	شرقا	الطويل	أبو أحمد الأندلسي	٢٣	١/٥١٣، ٥١٢
عروش تفانوا بعد عز وأمة	والبقا	الطويل	متمم بن نويرة	١	٢/٣٧٥
القاف المكسورة					
أقول لنفسي حين خود رأتها	مشفق	الطويل	رجل من بني أسد	١	١/٢١٦
ولقد ذكرتك والعيون هواجع	المشرق	الكامل	كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري	٢	١/٤٨٣
قد استوىٰ بشر على العراق	مهراق	الرجز	البعيث المجاشعي	١	٢/٣٧٧
عجبت من نفسي ومن إشفاقها	إشفاقها	مشطور الرجز	رؤبة بن عينة	٣	٢/٣٩٧
القاف الساكنة					
وبتنا جميعاً وبات الغيور	حنق	المتقارب	ابن المستوفي الإربلي	٢	١/٦١٩
الكاف المفتوحة					
وكل يدعون وصال ليلىٰ	بذاكا	الوافر	-	١	٢/٧١
الكاف المكسورة					
إذا هزه في عظم قرنٍ تهللت	الضواحك	الطويل	تأبط شراً	١	١/٢١٣
اللام المضمومة					
تداركتما الأحلاف قد ثل عرشها	النعل	الطويل	زهير بن أبي سلمىٰ	١	٢/٣٧٦
رعى الله فيه للرعية رأفةً	تزايله	الطويل	أبو تمام	١	٢/٢٩٥
سرىٰ نعشه فوق الرقاب وطالما	ونائله	الطويل	أبو يعلىٰ حمزة ابن أبي حصين	٢	١/٤٩٥
نهاية أقدام العقول عقال	ضلال	الطويل	فخر الدين الرازي	٤	١/٥٤١
أستغفر الله ذنباً لست محصيه	والعمل	البسيط	-	١	١/٢١٧، ٢/٤٠١
ثم استويتم لنا ترمون أنكبنا	الثكل	البسيط	-	١	٢/٣٧٨
يا من علا فرأىٰ ما في الغيوب وما	منسدل	البسيط	أبو مدين شعيب بن الحسين	٤	١/٥١١، ٥١٢
سألت الناس عن خل وفي	سبيل	الوافر	أبو إسحاق الشيرازي	٢	١/٤٤٦

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
قليل منك ينفعني ولكن	قليل	الوافر	أبو نصر الميكالي	١	٧٧/٢
دمعي على الحبر الرشيد مرسل	مسلسل	الرجز	سراج الدين الوراق	١٩	٨٩/٢، ٩٠
ترفق بدمعك لا تفنه	طويل	المتقارب	سليمان بن أبي جعفر	١	٣٨٥/٢
اللام المفتوحة					
بحمد الله أفتتح المقالا	تعالى	الوافر	أبو القاسم القشيري	١	٤٥٣/١
ومن يك ذا فمٍ مر مريضٍ	الزلالا	الوافر	المتنبي	١	٨٨/١
إن الكلام لفي الفؤاد وإنما	دليلا	الكامل	ينسب للأخطل	١	٣٥٤/٢
ما لقينا من المنون قليلا	فجيلا	الخفيف	سراج الدين الوراق	١٠	١٨١/٢، ١٨٢
اللام المكسورة					
بدأت بحمد الله أسنى الوسائل	وطائل	الطويل	أبو الحسن الهتاتي	٤١	١٢٧/٢، ١٢٩
وعادات نصرٍ لم تزل تستعيدها	باطل	الطويل	أبو تمام	٥	٥٣٧/٢، ٥٣٨
الله أكبر هذا عز من عقدت	الأزل	البسيط	عبد الله بن يحيى الشقراطسي	١	١٣٩/١
خذ ما تراه ودع شيئاً سمعت به	زحل	البسيط	المتنبي	١	٢٠٥/٢، ٥٢٧
يا من تبارك في علياء عزته	الأزل	البسيط	أبو القاسم القشيري	٢	٤٤١/١
يا من تزيد أياديه على أملي	زللي	البسيط	أبو القاسم القشيري	٢	٤٤٢/١
عميد الملك ساعدك الليالي	المعالي	الوافر	أبو القاسم القشيري	٣	٤٩٥/٢
وليس يصح في الأفهام شيء	دليل	الوافر	المتنبي	١	٨٧/١، ١٦١
قصدت حماك نجائب الآمال	مآل	الكامل	ابن المعلم القرشي	٢٧	٢٣٦/٢، ٢٣٨
قوم إذا غسلوا ثياب جمالهم	الغاسل	الكامل	أبو الطيب الطبري	١	٣١/٢
لججت بحر هواكم بسفينتي	الساحل	الكامل	صفي الدين الأزدي	٢	١٦٠/٢
الميم المضمومة					
كضرائر الحسناء قلن لوجهها	لدميم	الكامل	أبو الأسود الدؤلي	١	٢٨٦/١
لو كان فيهم من عراه غرام	ولاموا	الكامل	عز الدين بن عبد السلام	١	٨٢/٢
لكنهم جهلوا لذاذة حبه	وناموا	الكامل	ابن الفضل الأسواني	١٣	٨٢/٢، ٨٣

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
الميم المفتوحة					
فما أنا بالباكي عليك صبابةً	سالما	الطويل	حصين بن منذر الرقاشي	١	١٣٦/١
يا أوحد الأكرمين العلما	علما	المنسرح	علم الدين ابن بنت العراقي	١٥	٢٨٠/٢، ٢٨١
يا علماً يهتدي به أبداً	العلما	المنسرح	ناصر الدين ابن النقيب	١٠	٢٨٠/٢
أحمد الله ذا الجلال له الأمـر	قيوما	الخفيف	شهاب الدين ابن أبي شامة	٨٣	١٠٨/٢، ١١٣
الميم المكسورة					
لها فخذا بكرٍ وساقا نعامةٍ	ضيغم	الطويل	محيي الدين محمد بن محمد الشهرزوري	٢	٤٩٥/١
وأسلمت وجهي حين شدت ركائبي	المكارم	الطويل	الفرزدق	١	٢١٧/١
ومهما تكن عند امرئ من خليقةٍ	نعلم	الطويل	زهير بن أبي سلمى	١	٧١/١
لا تنكر الدين والدنيا إذا اجتمعا	ومقدام	البسيط	ابن بنت الأعز (ابن العلامي)	٢	١٠١/٢
يا لائمي كف عن ملامي	الأنام	مخلع البسيط	جلال الدين الدشنائي	٢١	١٣٥/٢، ١٣٦
إذا قالت حذام فصدقوها	حذام	الوافر	لجيم بن صعب	١ ١	٥٨٧/، ٧٥/٢
تحمل ما استطعت من الخطايا	كريم	الوافر	أبو نواس	١	١٣٢/١
لشمس الدين صدر أي صدرٍ	الكلام	الوافر	أبو عبد الله الخزاعي الجزري	٢	١٦٨/٢
وكم من عائبٍ قولاً صحيحاً	السقيم	الوافر	المتنبي	١	٧٧/٢، ٥٠٥
يجر الموصل الأذيال فخراً	والرسوم	الوافر	العماد المغربي الصنهاجي النحوي	٣	١٠/٢
وضع «الإمام» لنا الإمام محمد	لمسلم	الكامل	جمال الدين ابن قطنة	٤	٢٦٨/٢
كنت فيما كتبته نائم العيـن	الأقلام	الخفيف	المتنبي	١	٦٠/١
إذا كنت مستبصراً في الذكاء	الأنام	المتقارب	ناصر الدين ابن المنير السكندري	٢	١٨٩/٢
الميم الساكنة					
أما الفتاوى فعليها السلام	السلام	السريع	أبو الحسين الجزار	٢٩	٨١/٢، ٨٢
النون المضمومة					
إذا صرف الجنون فمن يجن	يئن	الوافر	مرهف بن صارم السفطي	٢	٦٠٧/١

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
ما زلت أغرق في ألإساءة دائماً	ألغفران	الكامل	محمود الوراق	٣	٢/٢٣١
النون المفتوحة					
شهدت بأن وعد الله حق	الكافرينا	الوافر	عبد الله بن رواحة	٣	٢/٣٣٣
بت شوقاً إلى الحمى أتمنى	وهنا	الخفيف	ابن دقيق العيد	٦	٢/٢٦٦
النون المكسورة					
طلعت على بغداد والعلم طالع	السرطان	الطويل	شهاب الدين محمد بن محمود الطوسي	٢	١/٥٢٢
غدا يجتني نور الوداد ويكتسي	يلبسانه	الطويل	أبو تمام	٢	٢/٢٧٦
مناويه مذموم بكل لسان	القمران	الطويل	المتنبي	٢	٢/١٧٠
الحمد لله في سر وفي علن	والمنن	البسيط	شرف الدين البوصيري	٤٥	٢/١٧٢، ١٧٤
قضى على خلقه المنايا	فان	مخلع البسيط	أبو العتاهية	١	٢/٤٠١
رأوا عرشي تثلم جانباه	أفردوني	الوافر	رجل من بني كلب	١	١/٢١٧
ليهنك حجك المبرور أبشر	والأماني	الوافر	أبو القاسم محمد بن محمد ابن رشيق الربعي	٧	٢/١٧١
النفس جامحة إلى العصيان	والخسران	الكامل	أبو محمد الجهني	١١	٢/١٧٤، ١٧٥
يا من مروج العلم موطن نفسه	بالمرجاني	الكامل	كمال الدين محمد ابن بشائر	٢	٢/٢٤٩
هذه الدار موطن الأحزان	جثمان	الخفيف	أبو القاسم محمد بن محمد ابن رشيق الربعي	١٠	٢/١٧٦، ١٧٧
الهاء المضمومة					
آثاره تغنيك عن أخباره	تراه	الكامل	ابن سعيد علي بن موسى المغربي	١	١/٤٦٧
ما العقل إلا زينة	منه	مجزوء الكامل	البهاء زهير	٢	١/١٢٣
الهاء المكسورة					
سقياً لمن صنف التنبيه مختصراً معانيه		البسيط	أبو الخطاب علي بن عبد الرحمن الكاتب	٤	١/٤٤٦

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
عرفت الشر لا للشر	لتوقيه	الهزج	أبو فراس الحمداني	٢	٣١٦/٢
ارض لمن غاب عنك غيبته	فيه	المنسرح	ابن التلميذ الطبيب	١	٧٠/٢
الواو المكسورة					
قالوا أما تسمع ما قد جرىٰ	حشوه	السريع	شافع بن علي	٢	٥٣٩/٢
الياء المفتوحة					
وباسط خيرٍ فيكم بيمينه	بشماليا	الطويل	جرير	١	٢١٤/١

* * *

ملحق الأشعار والأرجاز

الصدر	كلمة القافية	البحر	القائل	عدد الأبيات	الجزء والصفحة
لنا برمز الحواجب	كلام تفسيره منه	[الكان وكان]	-	١	٧٦/١
وأم الأخرس تفهم	كلام الأخرس جيد	[الكان وكان]	-	١	٧٦/١
أما ترىٰ أحمد	في مجده العالي لا يلحق	موشح	يحيى بن بقي الأندلسي	١	٦١٠/١
أطلعه المغرب	فأرنا مثله يا مشرق	موشح	يحيى بن بقي الأندلسي	١	٦١٠/١

* * *

فهرس أسماء الكتب التي ذكرها المصنف

اسم الكتاب واسم المؤلف	الجزء والصفحة
ـ الاقتراح في اختصار علوم ابن الصلاح، ابن دقيق العيد	٢/ ٢٥٦
ـ الانتصاف من الكشاف، ناصر الدين ابن المنير السكندري	٢/ ١٨٤
ـ الإبانة في المتشبهين بأهل الكفر والخيانة، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ إبطال التأويلات لأخبار الصفات، عبد القادر الجيلي	٢/ ٤٢٢
ـ أبكار الأفكار، الآمدي	١/ ٥٩٣
ـ أبو قماش، ابن المستوفي	١/ ٦١٨
ـ الأبواب، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ الأجوبة الفارسية عن الأسولة المصرية، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ أجوبة مسائل الشاميين، أبو القاسم الجنيد	١/ ٣٠٦
ـ الإحكام في أصول الأحكام، الآمدي	١/ ٥٩١، ٥٩٣
ـ إحياء علوم الدين، الغزالي	٢/ ٢٠٨
ـ أدب الكاتب، ابن قتيبة	٢/ ٣٠٠
ـ الإذكار بفضل الأذكار، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ الأذكياء، ابن الجوزي	٢/ ٣٣٤
ـ أربعون حديثاً في فضل الجهاد، يحيى بن علي القرشي	٢/ ٨٨
ـ الأربعون حديثاً في فضل الصلاة على النبي ﷺ، يحيى بن علي القرشي	٢/ ٨٨
ـ الأربعين، فخر الدين الرازي	١/ ٥٤٠، ٢/ ٣١٣
ـ الإرشاد، إمام الحرمين الجويني	١/ ١٩٣، ٤٥٦
ـ الإرشاد، محمد بن محمد العميدي	١/ ٥٥٩
ـ إرشاد السالك إلى أبين المسالك، عبد الله بن محمد الفهري	٢/ ٦٠

اسم الكتاب واسم المؤلف	الجزء والصفحة
ـ إرشاد المريد السالك، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ الأسامي والعلل من كتاب المهذب، عمر بن محمد ابن البزري	١/ ٤٧٦
ـ أستار المحرمية وأسرار المحرمية، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ الاستثناء، القرافي	٢/ ١٩٩
ـ أسرار علم المناجين ومدح مقامات السالكين، إسماعيل بن السديد المنفلوطي	٢/ ٣٧
ـ الأسماء والصفات، البيهقي	١/ ٩٥
ـ الأسماء والصفات، المحاسبي	١/ ١٠٠
ـ الأشربة، إسماعيل بن أحمد الجرجاني	١/ ٣٨١
ـ الاصطلام، منصور بن محمد السمعاني	٢/ ٣٠، ٣١
ـ الإعانة على دفع الإغانة، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ الإعلام بالأعلام من الحكام، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ الإعلام بمن حدث عن مالك بن أنس من مشايخه الأعلام، يحيى بن علي القرشي	٢/ ٨٨
ـ الإكليل، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ إكمال الإكمال، ابن نقطة	٢/ ٨٧
ـ الإلمام، ابن دقيق العيد	٢/ ٢٥٦
ـ الأم، الشافعي	٢/ ٢٩٧
ـ الأمالي، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ أمالي السمعاني، عبد الكريم بن محمد السمعاني	٢/ ٢٠٩
ـ أمالي العشيات، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ الإمام، ابن دقيق العيد	٢/ ٢٥٦، ٢٦٨
ـ الأنباء المستطابة في مناقب الصحابة والقرابة، هبة الله بن عبد الله القفطي	٢/ ٢٤١
ـ الإنصاف من الانتصاف، عبد الكريم بن علي ابن بنت العراقي	٢/ ٢٧٩
ـ الإنقاذ في الاعتقاد، القرافي	٢/ ١٩٩
ـ الأنوار البهية في أحكام خرقة الفقراء والصوفية، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨، ١٧٠

اسم الكتاب واسم المؤلف	الجزء والصفحة
ـ أنوار المعارف وأسرار العوارف، عبد العزيز بن أحمد الديريني	٢/ ٢٢٩
ـ الأوائل، العسكري	٢/ ٥٢٤
ـ الإيضاح، الزجاجي	٢/ ٢٠٩
ـ إيضاح الوجيز، محمد بن إبراهيم الجاجرمي	١/ ٥٥٨
ـ الإيضاح والبيان في ذكر من أسلم من النصارى والرهبان على يدي الشيوخ أهل الإتقان، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ الباهر في الحكم الزواهر، الآمدي	١/ ٥٩٤
ـ البحر الكبير في نخب التفسير، أحمد بن منصور بن المنير	٢/ ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦
ـ بداية السول في تفضيل الرسول، العز بن عبد السلام	٢/ ٦٦
ـ برق التقى وصبح النقا عن شمس اللقا، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ بلغة الفاصل وعروة الواصل، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما عليها وما لها، عبد الله بن سعد بن أبي جمرة	٢/ ٣٨٠
ـ تاريخ الأمم والملوك، الطبري	١/ ٢٨٨، ٢٩٠
ـ تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي	١/ ١١٨
ـ تاريخ جرجان، حمزة بن يوسف الجرجاني السهمي	١/ ٣٨١، ٤٠٥
ـ تاريخ حلب، أبو القاسم العقيلي	٢/ ٨٧
ـ تاريخ دمشق، ابن عساكر	١/ ٤٦٥، ٤٨٢، ٢/ ٤٦١
ـ تاريخ علماء أهل نيسابور، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ التبصرة، أبو محمد الجويني	١/ ٤٢٣
ـ تبيين كذب المفتري، ابن عساكر	١/ ٧٤، ٣٤٧، ٣٥٠، ٤١٦، ٤٤٤، ٤٦٦
ـ تجارب الأمم، ابن مسكويه	١/ ٢٩٠
ـ التحصيل، محمد بن يونس ابن منعة	١/ ٥٤٥
ـ تحصيل الحق، فخر الدين الرازي	١/ ٥٤٠
ـ تحفة الإخوان فيما استقر على أهل الإيمان، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩

اسم الكتاب واسم المؤلف	الجزء والصفحة
ـ تحفة المستفيد في الأحاديث الثمانية الأسانيد، يحيى بن علي القرشي	٢/ ٨٨
ـ التحقيق والتثبت في الوصول، محمد بن خفيف	١/ ٣٥٦
ـ تحلية الذاهب بالواهب عن المواهب، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ تخجيل أهل الإنجيل، صالح بن الحسين الزينبي	٢/ ١٢٤
ـ التذكرة، أبو محمد الجويني	١/ ٤٢٣
ـ التذكرة والتبصرة، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ تراجم الشيوخ، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ تراجم المسند على شرط الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ ترتيب السلوك من النظم المفكوك، إسماعيل بن السديد المنفلوطي	٢/ ٣٧
ـ ترتيب موطأ مالك، عبد المؤمن بن إسماعيل البكري	٢/ ١٩٣
ـ تصحيح الأسباب المحققة للأنساب والانتساب، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ التعليقة، إبراهيم بن منصور العراقي	١/ ٥١٩
ـ التعليقة، محمود بن علي الأصفهاني	١/ ٥٦٧
ـ تفسير أسماء الله الحسنى، عبد القاهر بن طاهر البغدادي	١/ ٩٦، ٤١٩، ٢/ ٣٧٥
ـ تفسير أسماء الله الحسنى، عبد العزيز بن أحمد الديريني	٢/ ٢٢٩
ـ تفسير العز بن عبد السلام، العز بن عبد السلام	٢/ ٦٥
ـ تفسير القرآن، الحسين بن عتيق ابن رشيق	١/ ٥٩٨
ـ تفسير القشيري، أبو نصر القشيري	١/ ١٥٨، ١٩٤
ـ التفسير الكبير، أبو محمد الجويني	١/ ٤٢٣
ـ التفسير الكبير، أبو القاسم القشيري	١/ ٤٣٩
ـ التفسير الكبير، فخر الدين الرازي	١/ ٥٤٠
ـ التقصي، ابن عبد البر	٢/ ١٧
ـ تقييد المهمل، الجياني	١/ ١٢٠
ـ التكملة، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري	٢/ ٥٧
ـ تكملة على الموطأ، عبد العزيز بن الحسن المالكي	٢/ ١٧

اسم الكتاب واسم المؤلف	الجزء والصفحة
ـ التلخيص، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام، الشهرستاني	١/ ٤٧٤
ـ تلقيح القرائح وتنقيح الفوادح، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ التلقين، القاضي عبد الوهاب	٢/ ١٨١
ـ تمهيد الأصول في تهذيب العدول، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ التمهيد في معرفة الشيخ والمريد، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ التنبيه، أبو إسحاق الشيرازي	١/ ٨٧، ٤٤٣، ٤٤٥
ـ تنبيه الأبرار على سنن المهاجرين والأنصار، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ التنبيه على الأسباب والقناعة في الاكتساب، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان، أحمد بن عبد الرحمن ابن مضاء	١/ ٥١٨
ـ تنظيف القلب عما يشغل عن الرب، إسماعيل بن السديد المنفلوطي	٢/ ٣٧
ـ تنقيح الفصول في علم الأصول، القرافي	٢/ ١٩٩
ـ التهذيب، البغوي	١/ ٤٨٠
ـ تهذيب النظر، إسماعيل بن أحمد الجرجاني	١/ ٣٨١
ـ التيسير العجيب في تفسير الغريب، ناصر الدين ابن المنير السكندري	٢/ ١٨٤
ـ التيسير في علم التفسير، عبد العزيز بن أحمد الديريني	٢/ ٢٢٩
ـ ثلاث تعاليق خلاف، الآمدي	١/ ٥٩٤
ـ الجامع، أبو بكر الإسماعيلي	١/ ٤٠٥
ـ جامع البيان، الطبري	١/ ٢٨٩
ـ جلاء الحزن ونفيس الثمن، إسماعيل بن السديد المنفلوطي	٢/ ٣٧
ـ جمحة النهى عن لمحة المها، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ الجمل، الزجاجي	٢/ ٢٠٩
ـ الجواب المغني عن كلام المرء فيما لا يعني، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة، عبد الله بن نجم ابن شاس	١/ ٥٦٣
ـ الجوهر المكنون في كرامات ذي النون، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨

اسم الكتاب واسم المؤلف	الجزء والصفحة
ـ الحجة في التوحيد، عبد العزيز بن أحمد الديريني	٢/ ٢٢٩
ـ الحدود والوقوف على المقصود، إسماعيل بن السديد المنفلوطي	٢/ ٣٧
ـ الحديقة في الحقيقة، عبد العزيز بن أحمد الديريني	٢/ ٢٢٩
ـ حلية الأولياء، أبو نعيم	١/ ٢٣٣، ٣٤٣، ٣٥٦، ٤٠٩
ـ الحماسة، أبو تمام	٢/ ٣٠٠
ـ حواش على الوسيط، عبد الرحمن بن عبد العلي ابن السكري	١/ ٥٨٣
ـ حواشي المنذري على كتاب ابن الجوزي، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري	٢/ ٣٤٨
ـ الخطب، محمد بن الخضر ابن تيمية	١/ ١٣٢
ـ الخطب النباتية، ابن نباتة	٢/ ٣٠٠
ـ خمود النار لأجل الأنوار، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ الدر المكنون في كرامات الشيخ أبي الحسن المدفون بجهة مكنون، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ الدر المنظوم من مناقب العلوم، عبد المؤمن بن إسماعيل البكري	٢/ ١٩٢
ـ الدرة الفاخرة، محيي الدين ابن عربي	١/ ٥٠٦
ـ دقائق الحقائق، الآمدي	١/ ٥٩٤
ـ دلالة المستنهج إلى معالم المعارف ورسالة المستبهج إلى عوالم العوارف، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٦، ٥٧٧
ـ الدلائل المبينة في فضائل عالم المدينة، يحيى بن علي القرشي	٢/ ٨٨
ـ ديوان حبيب بن أوس الطائي، أبو تمام	٢/ ٢٠٩
ـ الذخائر، مجلّي بن جميع القرشي	١/ ٤٧٥، ٥١٩
ـ الذخيرة، القرافي	٢/ ١٩٩
ـ ذخيرة أهل الإيمان في حفظ جوارح الإنسان، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ الذيل على تاريخ بغداد، عبد الكريم بن محمد السمعاني	١/ ٤٧٤، ٤٧٧
ـ ذيل تاريخ بغداد، ابن النجار	٢/ ٨٧
ـ ذيل نيسابور، عبد الغافر بن إسماعيل	١/ ٤١٨

اسم الكتاب واسم المؤلف	الجزء والصفحة
ـ رجز التنبيه، عبد العزيز بن أحمد الديريني	٢/ ٢٢٩
ـ رجز الوسيط، عبد العزيز بن أحمد الديريني	٢/ ٢٢٩
ـ الرد على الحروفية، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ الرد على المعاند الجاحد في إثبات مشيئة الواحد، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ رسالة الأزدي، الحسين بن ظافر الأزدي	٢/ ١٥٤، ١٥٦
ـ رسالة الصاحب بن عباد، الصاحب بن عباد	١/ ٣٨٢
ـ رسالة الغفران من المكث بحران، عبد العزيز بن الحسن المالكي	٢/ ١٧
ـ الرسالة الفاغية، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ الرسالة القشيرية، أبو القاسم القشيري	١/ ٣٩٠، ٤٣٨، ٤٤٠، ٤٤١، ٢/ ٦٢٠، ٣٧
ـ رسالة الكوداري، عبد الله الكوداري	١/ ٩٢
ـ رسالة المنفلوطي، علم الدين المنفلوطي	١/ ٥١٧
ـ رسالة في الثناء على أبي الحسن الأشعري، البيهقي	١/ ٣٢٩
ـ رسالة في الرد على الغلاة من الرافضة، جعفر بن محمد الصادق	/ ٢٦٧١
ـ رسالة في الرد على القدرية، عمر بن عبد العزيز	١/ ٢٥٨
ـ رسالة في ذم القدرية، زيد بن علي بن الحسين	١/ ٢٦٣
ـ الرعاية، المحاسبي	١/ ٦٢٠
ـ رموز الكنوز، الآمدي	١/ ٥٩٤
ـ روضة الطالبين، النووي	٢/ ٤٣٠
ـ الرؤيا والصفات، الدراقطني	٢/ ٣٣٨
ـ رياض الموحدين، محمد بن النعمان	١/ ٢٧٤
ـ رياضة الموحدين ونزهة المؤمنين، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ الزوائد، أبو سعيد الميهني	١/ ٥٨٨
ـ سر السير منك إليه، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ سلامة الملل من الزلل، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨

اسم الكتاب واسم المؤلف	الجزء والصفحة
ـ سنن الترمذي، الترمذي	٢/ ١٥٦، ٢١٩
ـ السياق لتاريخ نيسابور، عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي	١/ ٤٧٠
ـ سيرة السلطان صلاح الدين، بهاء الدين ابن شداد	١/ ٤٨٧
ـ الشامل، إمام الحرمين الجويني	١/ ٩٦، ٥٣٧، ٢/ ٣١٢، ٣٥٦
ـ شاهد أولياء الله في الأعياد، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ شرح إرشاد إمام الحرمين، المقترح	٢/ ٦٠
ـ شرح أسماء الله الحسنى، فخر الدين الرازي	١/ ٥٤٠
ـ شرح الأربعين، القرافي	٢/ ١٩٩
ـ شرح التنبيه، عبد الله بن محمد الفهري	٢/ ٦٠
ـ شرح التنبيه، أحمد بن عبد الرحمن الدشنائي	٢/ ١٣٥
ـ شرح الجمل، عبد الله بن محمد الفهري	٢/ ٦٠
ـ شرح الرعاية، عبد المعطي بن محمود اللخمي	١/ ٦٢٠
ـ شرح السنة، البغوي	١/ ٤٨٠
ـ شرح العمدة في الأحكام، ابن دقيق العيد	٢/ ٢٥٦، ٢٦٧
ـ شرح المحصول، القرافي	٢/ ١٩٩
ـ شرح الهادي، هبة الله بن عبد الله القفطي	٢/ ٢٤١
ـ شرح الوجيز، فخر الدين الرازي	١/ ٥٤٠
ـ شرح الوجيز، محمد بن يونس ابن منعة	١/ ٥٤٥
ـ شرح تنقيح الشيخ مجد الدين، هبة الله بن عبد الله القفطي	٢/ ٢٤١
ـ شرح تنقيح الفصول في علم الأصول، القرافي	٢/ ١٩٩
ـ شرح جدل الشريف، الآمدي	١/ ٥٩٤
ـ شرح رسالة القشيري، عبد المعطي بن محمود اللخمي	١/ ٦٢٠
ـ شرح عمدة الطبري، هبة الله بن عبد الله القفطي	٢/ ٢٤١
ـ شرح لمع الأدلة، عبد الله بن محمد الفهري	٢/ ٦٠

اسم الكتاب واسم المؤلف	الجزء والصفحة
ـ شرح معالم أصول الدين، عبد الله بن محمد الفهري	٢/ ٦٠
ـ شرح معالم أصول الفقه، عبد الله بن محمد الفهري	٢/ ٦٠
ـ شرح مقدمة المطرز، هبة الله بن عبد الله القفطي	٢/ ٢٤١
ـ شفاء الصدور، النقاش	١/ ١٦٨
ـ شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة، عبد الكريم بن هوازن القشيري	١/ ٣٣٢، ٣٣٣
ـ صبوة العقول والأسماع، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري	١/ ١٨٢، ٣٢١، ٤٠٥، ٤٧٨، ٢/ ٥٥
ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج	١/ ١٨٢، ٤٧٠، ٢/ ٥٥، ٢٠٩
ـ الصحيحان، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ صلة التكملة، الشريف عز الدين	٢/ ٤٣
ـ الصفات، عبد القاهر بن طاهر البغدادي	١/ ٤١٩
ـ صلة الصلة، أبو جعفر ابن الزبير الأندلسي	١/ ٥٠٥، ٥٨٠
ـ طب الجنان والأركان، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ الطريقة، محمد بن محمد العميدي	١/ ٥٥٩
ـ طريقة الشريف، الشريف	١/ ٤٨٤، ٥٨٧، ٥٨٨
ـ طهارة القلوب، عبد العزيز بن أحمد الديريني	٢/ ٢٢٩
ـ عجالة المقتنع في الاصطلاح المتبع، أحمد بن عبد الرحمن الدشنائي	٢/ ١٣٥
ـ عجب البحر ودرر النحر، ناصر الدين ابن المنير السكندري	٢/ ١٨٤
ـ عرائس النفائس، الخويي	١/ ٥٥٩
ـ العطايا الوهبية في مراتب القطبية، الحسين بن ظافر الأزدي	٢/ ١٥٦
ـ العقيدة، محمد بن يونس ابن منعة	١/ ٥٤٦
ـ عقيدة البربرية، محمد بن عبد الله بن تومرت	١/ ٤٦٩
ـ العقيدة البرهانية، أبو عمرو الفاسي	٢/ ١٦٤
ـ عقيدة الغزالي، الغزالي	٢/ ٥٠
ـ عقيدة المرجاني، عبد الله بن محمد المرجاني	٢/ ٢٤٧

اسم الكتاب واسم المؤلف	الجزء والصفحة
ـ علامات الأعلام وسمات أهل الاستقامة والقوام، إسماعيل بن السديد المنفلوطي	٢/ ٣٧
ـ عمدة الطلاب في علم الأصطرلاب، عبد العزيز بن أحمد الدبريني	٢/ ٢٢٩
ـ عمدة المجاهدين عند قتال الكفرة الجاحدين، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ عمدة المسافر وعدة الحاضر، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ العمدة في الرؤية، أبو الحسن الأشعري	١/ ٣٤٨
ـ عوارف المعارف، السهروردي	١/ ٥٩٥
ـ عوالي الصحيحين، يحيى بن علي القرشي	٢/ ٨٨
ـ عوالي الليث بن سعد، يحيى بن علي القرشي	٢/ ٨٨
ـ عوالي مالك بن أنس، يحيى بن علي القرشي	٢/ ٨٨
ـ غاية الاقتصاد في طرق الاجتهاد، أحمد بن عبد الرحمن الدشنائي	٢/ ١٣٥
ـ غاية الأمل في علم الجدل، الآمدي	١/ ٥٩٤
ـ غاية المرام في علم الكلام، الآمدي	١/ ٥٩٤
ـ الغاية في اختصار النهاية، العز بن عبد السلام	٢/ ٦٦
ـ غرائب الأخبار وملح الحكايات والأشعار، يحيى بن علي القرشي	٢/ ٨٨
ـ الغرائب وكشف العجائب، الآمدي	١/ ٥٩٤
ـ غرر الفوائد المجموعة فيما وقع في صحيح مسلم من الأحاديث المقطوعة، يحيى بن علي القرشي	٢/ ٨٨
ـ غريب القرآن، محمد بن عزيز السجستاني	٢/ ١٨٤
ـ غنية المقبول في علم الأصول، أبو سعد المتولي	٢/ ٤١٦
ـ الفارق بين الشوق والاشتياق، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ فرائد الفوائد، الآمدي	١/ ٥٩٤
ـ فرائد الفوائد الإسكندرية في شيوخ الحافظ السلفي من الصوفية، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ الفرق بين التمثلات والتنزلات والتطورات والتصورات، الحسين بن ظافر الأزدي	٢/ ١٥٦
ـ الفرق والجمع، أبو محمد الجويني	١/ ٤٢٣

اسم الكتاب واسم المؤلف	الجزء والصفحة
ـ الفصول في الأصول، محمد بن خفيف	١/ ٣٥٦
ـ الفصول في الرد على الفلاسفة والدهريين وأهل التشبيه، أبو الحسن الأشعري	١/ ٣٤٨
ـ فضائل الشافعي، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ فضل الحج وثواب الحاج، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ فك الأزرار عن عنق الأنوار وهتك الأسرار عن معالم الأسرار مما جمع من جواب السائل عن غريب المسائل، الحسين بن ظافر الأزدي	٢/ ١٥٦
ـ فوائد أبي الطاهر العباس المخلص، ابن البقال	٢/ ٨٦
ـ فوائد الخراسانيين، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ الفوائد السفرية في ذكر من تطهرت نفسه الزكية، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ الفوائد السلفية، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ فوائد الشيخ، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ فوائد حديث بريرة، ابن دقيق العيد	٢/ ٢٥٦
ـ الفوز والرضوان فيمن باع نفسه من الله عز وجل بالجنان، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ قطع النفس للمفاوز في طلب الواجب والجائز، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ القواعد، محمد بن إبراهيم الجاجرمي	١/ ٥٥٨
ـ القواعد، القرافي	٢/ ١٩٩
ـ قواعد الإسلام، العز بن عبد السلام	٢/ ٦٥، ٢/ ١٩٩
ـ القوانين الشرعية في وصية الراعي بالرعية، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ الكامل في التاريخ، ابن الأثير الجزري	١/ ٢٩٠، ٤٩٦، ٢/ ٥٣٤
ـ الكتاب، سيبويه	١/ ٥١٨، ٢/ ٣٠٠
ـ كتاب الأصوات، علي بن المفضل المقدسي	١/ ٥٤٨، ٢/ ٣٢١، ٣٤١
ـ كتاب المناهي	١/ ٥٠٤
ـ كتاب في الرد على الخوارج، جعفر بن محمد الصادق	١/ ٢٦٧
ـ كتاب في الرد على القدرية، جعفر بن محمد الصادق	١/ ٢٦٧

اسم الكتاب واسم المؤلف	الجزء والصفحة
ـ كتاب في الرد على القدرية من القرآن، زيد بن علي بن الحسين	١/ ٢٦٣
ـ الكشاف، الزمخشري	٢/ ١٨٤، ٢٧٩
ـ كشف التمويهات على شرح الإشارات والتنبيهات، الآمدي	١/ ٥٩٤
ـ الكشف عما التبس على بعض من التمس، عبد الرحمن بن عبد العلي ابن السكري	١/ ٥٨٣
ـ الكفاية، محمد بن إبراهيم الجاجرمي	١/ ٥٥٨
ـ كفاية النبيه في شرح التنبيه، ابن الرفعة	٢/ ٢٩٨، ٤٣٠
ـ لباب الألباب، الآمدي	١/ ٥٩٤
ـ اللمع، أبو إسحاق الشيرازي	١/ ٤٤٥
ـ اللمع في أحكام الكنائس والبيع، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ لمعة الاعتقاد، ابن قدامة	١/ ٧٨، ٨٥
ـ المآخذ الجلية في المؤاخذات الجدلية، الآمدي	١/ ٥٩٤
ـ مآخذ على المحصول، الآمدي	١/ ٥٩٤
ـ المجاز، العز بن عبد السلام	٢/ ٦٥
ـ المجالس، أحمد بن محمد ابن العريف	١/ ٤٧٢
ـ المجموع، إسماعيل بن إبراهيم القنائي	١/ ٥٥٢، ٥٥٣
ـ محجة القاصدين إلى منهج الصادقين، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ المحرر في تفسير القرآن العظيم، أبو الحسن الأشعري	١/ ٣٤٧
ـ المحصل، فخر الدين الرازي	١/ ٥٤٠
ـ المحصول، فخر الدين الرازي	١/ ٥٤٠
ـ المحصول في علم الأصول، الحسين بن عتيق ابن رشيق	١/ ٥٩٨
ـ المحيط في الجمع بين المهذب والوسيط، محمد بن يونس ابن منعة	١/ ٥٤٥
ـ المختار في المذهب، الحسين بن عتيق ابن رشيق	١/ ٥٩٨
ـ المختصر، أبو بكر ابن فورك	٢/ ٤٣٢
ـ مختصر البويطي، البويطي	٢/ ٢٩٧
ـ مختصر المختصر، أبو محمد الجويني	١/ ٤٢٣

اسم الكتاب واسم المؤلف	الجزء والصفحة
ـ مختصر المزني، المزني	٢/ ٢٩٨
ـ مختصر الوجيز، عبد العزيز بن أحمد الدبريني	٢/ ٢٢٩
ـ مختصر شرح التلمساني، القرافي	٢/ ١٩٩
ـ مختصر صحيح البخاري، أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي	٢/ ٥٥، ٢/ ٣٢٧
ـ مختصر صحيح مسلم، أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي	٢/ ٥٥
ـ مختصر صحيح مسلم، العز بن عبد السلام	٢/ ٦٥
ـ المدخل إلى علم الصحيح، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ المدونة، سحنون	١/ ٥٨٠
ـ المرشدة (عقيدة المهدي)، محمد بن عبد الله بن تومرت	١/ ٤٦٩، ٢/ ٥٠، ٢٠٨
ـ مزكي الأخبار، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ مسألة أيمان المسلمين، عبد العزيز بن الحسن المالكي	٢/ ١٧
ـ المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥
ـ المستصفى، الغزالي	١/ ٥٨٩
ـ المسلسل، أبو محمد الجويني	١/ ٤٢٣
ـ المسند، أحمد ابن حنبل	٢/ ٣٢٦، ٤٠٧
ـ مسند الإمام الشافعي، الشافعي	٢/ ١٣٩، ٢٠٨
ـ المشرق في إصلاح المنطق، أحمد بن عبد الرحمن ابن مضاء	١/ ٥١٨
ـ مشكل الحديث، ابن فورك	١/ ١٦٦
ـ مشيخة علي بن عبد الرحمن الحسيني، علي بن عبد الرحمن الحسيني	٢/ ٢٧٦
ـ مشيخة محمد بن أحمد القسطلاني، محمد بن أحمد القسطلاني	٢/ ٢١٩
ـ مشيخة محمد بن عمران الفاسي، محمد بن عمران الفاسي	٢/ ٢٠٨، ٢٠٩
ـ مصافحة الأئمة، يحيى بن علي القرشي	٢/ ٨٨
ـ مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٧
ـ المصباح المنير في علم التفسير، عبد العزيز بن أحمد الديريني	٢/ ٢٢٩

اسم الكتاب واسم المؤلف	الجزء والصفحة
ـ المطالب العالية، فخر الدين الرازي	١/ ٥٤٠
ـ المطرفة بشمائل أهل الزمان من عطايا المنان، إسماعيل بن السديد المنفلوطي	٢/ ٣٧
ـ المطلب العالي في شرح وسيط الغزالي، ابن الرفعة	٢/ ٢٩٨
ـ مطية النقل وعطية العقل، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ المعجم، يحيى بن علي العطار	١/ ٥٧١، ٥٧٢
ـ معجم أشياخ المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري	٢/ ٥٧
ـ معرفة الأشراط لمن يسكن الرباط، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ معرفة أنواع علوم الحديث، محمد بن عبد الله الحاكم	١/ ٣٩٥، ٢/ ٣١٨، ٣٤٦
ـ المعلم بفوائد مسلم، محمد بن علي المازري	١/ ٤٧١
ـ المغرب في أخبار أهل المغرب، ابن سعيد المغربي	١/ ٤٦٧
ـ مغيث الخلق في اختيار الأحق، إمام الحرمين الجويني	٢/ ١٩٩
ـ المفصل، الزمخشري	١/ ٥٤٠
ـ المفهم، أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي	٢/ ٥٥
ـ المفهم بفوائد مسلم، عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي	١/ ٤٧٠
ـ مقاصد الصلاة، العز بن عبد السلام	٢/ ٦٦، ٥١٦، ٥١٧
ـ المقالات، أبو علي الكرابيسي	١/ ٢٨١
ـ المقامات، الحريري	٢/ ٣٠٠
ـ المقتفى في شرف المصطفى، أحمد بن منصور بن المنير	٢/ ١٨٤
ـ مقدمة في الأصول، كمال الدين البهنسي	٢/ ٩١
ـ المقصورة، محمد ابن دريد	١/ ٢٧٩
ـ ملجأ الحكام عند التباس الأحكام، بهاء الدين ابن شداد	١/ ٤٩٤
ـ ملحة اللحن وعقلة اللسن، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ الملحة في اعتقاد أهل الحق، العز بن عبد السلام	٢/ ٦٦، ٥١٦
ـ الملل والنحل، الشهرستاني	١/ ٤٧٤
ـ مناسك الحج، العز بن عبد السلام	٢/ ٦٥

اسم الكتاب واسم المؤلف	الجزء والصفحة
ـ منائح القرائح، الآمدي	١/ ٥٩٣
ـ المنائح وإبداء النصائح، إسماعيل بن السديد المنفلوطي	٢/ ٣٧
ـ المنتخب، فخر الدين الرازي	١/ ٥٤٠
ـ المنتقى لأهل التقى، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ منتهى السول في علم الأصول، الآمدي	١/ ٥٩٤
ـ المهذب، أبو إسحاق الشيرازي	١/ ٤٤٤، ٤٧٦، ٢/ ٥٧، ٦٢
ـ موافقات السنن، يحيى بن علي القرشي	٢/ ٨٨
ـ موافقات الصحيحين، يحيى بن علي القرشي	٢/ ٨٨
ـ موافقة المعبود في ترك مغالاة النصارى واليهود، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ المواهب الرحمانية في المناقب النعمانية، محمد بن عبد الحميد القرشي	٢/ ١٦٤
ـ الموجز، أبو الحسن الأشعري	١/ ٣٤٨
ـ الموجز الكبير، أبو الحسن الأشعري	١/ ٣٤٩
ـ الموضوعات، ابن الجوزي	١/ ٨٤، ٢/ ٣١٢
ـ الموطأ، مالك بن أنس	١/ ٥٠٤، ٢/ ١٧
ـ نزهة الناظر فيمن روى عن البغوي من الأكابر، يحيى بن علي القرشي	٢/ ٨٨
ـ نسل الأسرار وسر الإسكار، محمد بن إبراهيم الخبري	١/ ٥٧٨
ـ النصيحة والإرشاد في وصية الأمراء والأجناد، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ النصيحة والبيان في ترك معاشرة الأحداث والنسوان، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ نظم الجوهر في جواب المسترشدين من أهل جوجر، محمد ابن النعمان	٢/ ٤٢٢
ـ نظم الدرر واللآلي بجيد الأجواد أهل الفتوة ذوي المعالي، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٩
ـ النفائس، محمد بن محمد العميدي	١/ ٥٥٩
ـ النفائس في هدم البيع والكنائس، ابن الرفعة	٢/ ٢٩٨
ـ النقض الكبير، البلاقلاني	١/ ٩٥، ٢/ ٣٥٦
ـ النكت، أبو إسحاق الشيرازي	١/ ٤٤٥

اسم الكتاب واسم المؤلف	الجزء والصفحة
ـ النكت والعيون، الماوردي	١/ ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٥٦
ـ نهاية الإقدام في علم الكلام، الشهرستاني	١/ ٩٧، ٢٦١، ٤٧٤
ـ نهاية العقول، فخر الدين الرازي	١/ ٥٤٠
ـ نهاية المرام في علم الكلام، عمر بن الحسين (خطيب الري)	١/ ٢٣٠، ٢٣٨، ٢٥٤، ٢٦٧، ٣٤١، ٣٥٧، ٢/ ٤٣١
ـ نهاية المطلب، إمام الحرمين الجويني	٢/ ٤٩١
ـ النهي عن معاشرة النسوان والأحداث والرد على المبتدعة أهل الأحداث، محمد بن موسى بن النعمان	٢/ ١٦٨
ـ النوادر، أبو الحسن الأشعري	٢/ ٤٣١
ـ نوادر الأصول، الحكيم الترمذي	١/ ٣١٠
ـ الهادي، مسعود بن محمد الطريثيثي	١/ ٤٨٦
ـ هداية المقتبس لمسند مالك بن أنس، عبد العزيز بن الحسن المالكي	٢/ ١٧
ـ الوجيز، الغزالي	١/ ٥٤٠، ٢/ ٢٢٣، ٢٢٩
ـ الوسائل والرسائل، عبد العزيز بن أحمد الديريني	٢/ ٢٢٩
ـ الوسيط، الغزالي	١/ ٥٦٣، ٥٩٠، ٢/ ٢٠٩، ٢١٠، ٢٢٩
ـ الوفاءات، أبو الفضل ابن خيرون	١/ ٤٠٤
ـ وفيات الأعيان، ابن خلكان	١/ ٤٨٣، ٢/ ٥٧
ـ اليعسوبة، عبد العزيز بن عبد الغني الينبعي	٢/ ٢٨٧
ـ اليواقيت في علم المواقيت، عبد العزيز بن أحمد الديريني	٢/ ٢٢٩

* * *

فهرس أهم مصادر ومراجع التحقيق

- الإبانة الكبرى، للإمام المحدث أبي عبد الله عبيد الله بن محمد ابن بطة العكبري البغدادي (ت٣٨٧هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، دار الراية، الرياض، السعودية.

- إبطال التأويلات لأخبار الصفات، للقاضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء (ت٤٥٨هـ)، تحقيق محمد بن حمد الحمود النجدي، دار إيلاف الدولية، الكويت.

- الإبهاج شرح المنهاج، للإمامين: أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٥٦هـ)، وتاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ)، طبع سنة (١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للإمام القارىء شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني البناء الدمياطي (ت١١١٧هـ)، تحقيق أنس مهرة، ط٣، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الإحاطة في أخبار غرناطة، للإمام الأديب المؤرخ لسان الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ)، ط١، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- إحكام الدلالة على تحرير الرسالة، للإمام قاضي القضاء شيخ الإسلام زين الدين أبي يحيى زكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، ط١، (١٢٩٠هـ، ١٨٧٠م) المطبعة العامرة، القاهرة، مصر.

- أحكام القرآن، للإمام المجتهد أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي المطلبي (ت٢٠٤هـ)، جمع الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، ط٢، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

- إحياء علوم الدين، للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- أخبار الأذكياء، للإمام أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، ط١، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

ـ الأخبار الطوال، للإمام اللغوي المؤرخ أبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت٢٨٢هـ)، تحقيق عبد المنعم عامر، ط١، (١٩٦٠م)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي إدارة إحياء التراث، القاهرة، مصر.

ـ أخبار النحويين البصريين، للإمام النحوي الأديب أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي (ت٣٦٨هـ)، تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي، ط١، (١٣٧٣هـ ـ ١٩٦٦م)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.

ـ آداب الشافعي ومناقبه، للإمام المحدث المفسر أبي محمد عبد الرحمٰن بن محمد ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، تحقيق عبد الغني عبد الخالق، ط١، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ أدب الكاتب، للإمام اللغوي أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ الأربعين على مذهب المتحققين من الصوفية، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، ط١، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

ـ الأربعين في أصول الدين، للإمام المتكلم المفسر فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق أحمد حجازي السقا، ط١، (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م)، دار الجيل، بيروت، لبنان.

ـ إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ)، ط٧، (١٣٢٣هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، مصر.

ـ الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للإمام الفقيه الأصولي المتكلم إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، ط١، (١٣٦٩هـ ـ ١٩٥٠م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

ـ الأزمنة والأمكنة، للإمام الأديب أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت٤٢١هـ)، تحقيق خليل منصور، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، للإمام الأديب المؤرخ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقري التلمساني (ت١٠٤١هـ)، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد العظيم شلبي، طبع سنة (١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالتعاون مع المعهد الخليفي للأبحاث المغربية، القاهرة، مصر.

ـ أساس البلاغة، للإمام اللغوي النحوي المفسر أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الأسماء والصفات، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية، القاهرة، مصر.

- الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام المفسر أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق محمد حسن جبل وطارق أحمد محمد، ط١، (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، دار الصحابة للتراث، القاهرة، مصر.

- أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، للإمام الأديب أبي بكر محمد بن يحيى بن عبد الله الصولي (ت٣٣٥هـ)، تحقيق هيوث دن، ط١، (١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م)، مطبعة الصاوي، القاهرة، مصر.

- أصول الدين، للإمام الأستاذ أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي (ت٤٢٩هـ)، ط١، (١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م)، مدرسة الإلهيات بدار الفنون، إستنبول، تركيا.

- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط١، (١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

- الاعتقاد، للإمام الفقيه أبي الحسين محمد بن محمد ابن أبي يعلى (ت٥٢٦هـ)، تحقيق محمد بن عبد الرحمٰن الخميس، ط١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، دار أطلس الخضراء، الرياض، السعودية.

- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للإمام المتكلم المفسر فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق علي سامي النشار، طبع سنة (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- أعيان العصر وأعوان النصر، للأديب المؤرخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق علي أبو زيد ونبيل أبو عشمة ومحمد موعد ومحمود سالم محمد، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان. دار الفكر، دمشق، سورية.

- إكمال الإكمال، للحافظ النسابة أبي بكر محمد بن عبد الغني ابن نقطة (ت٦٢٩هـ)، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، السعودية.

- الأم، للإمام المجتهد أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي المطلبي (ت٢٠٤هـ)، طبع سنة (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

- أمالي ابن الشجري، للإمام الشريف النحوي اللغوي الأديب أبي السعادات هبة الله بن علي بن محمد الحسني المعروف بابن الشجري (ت٥٤٢هـ)، تحقيق محمود محمد الطناحي، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

- أمالي الشريف المرتضى، للأديب الشاعر الشريف المرتضى أبي القاسم علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت٤٣٦هـ)، تحقيق محمد بدر الدين النعساني الحلبي، ط١، (١٣٢٥هـ - ١٩٠٧م)، مطبعة السعادة، القاهرة، مصر.
- الأمالي، للإمام الأديب أبي علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون القالي (ت٣٥٦هـ)، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، ط٢، (١٣٤٤هـ - ١٩٢٦م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.
- الأمثال المولدة، للإمام النسابة جمال الدين أبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي (ت٣٨٣هـ)، تحقيق محمد حسين الأعرجي، ط٢، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، إصدارات المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات.
- إنباء الغمر بأبناء العمر، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق حسن حبشي، طبع سنة (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م)، نشر المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، مصر.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة، للإمام الوزير المؤرخ جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي (ت٦٤٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٢م)، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
- أنس الفقير وعز الحقير، للإمام الرحالة المؤرخ أبي العباس أحمد بن الحسين بن علي ابن قنفذ القسنطيني (ت٨١٠هـ)، تحقيق محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، الرباط، المغرب.
- الأنساب، للإمام الحافظ المؤرخ أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني المروزي (ت٥٦٢هـ)، تحقيق عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي اليماني وزملائه، ط١، (١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.
- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، المسمى: «رسالة الحرة»، للإمام المجدد القاضي أبي بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني (ت٤٠٣هـ)، تحقيق محمد زاهد الكوثري، ط٢، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، المكتبة الأزهرية، القاهرة، مصر.
- الأوائل، للإمام اللغوي الأديب الشاعر أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ)، تحقيق محمد السيد الوكيل، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، دار البشير، القاهرة، مصر.
- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، للإمام قاضي القضاة بدر الدين محمد بن إبراهيم بن سعد الله ابن جماعة (ت٧٢٨هـ)، تحقيق وهبي سليمان غاوجي الألباني، ط١، (١٤٢٥هـ - ١٩٩٠م)، دار إقرأ، دمشق، سورية.

- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، للإمام الأديب اللغوي أبي بكر محمد بن بشار الأنباري (ت٣٢٨هـ)، تحقيق محيي الدين عبد الرحمٰن رمضان، ط١، (١٣٩١هـ - ١٩٧١م)، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سورية.
- إيضاح شواهد الإيضاح، للإمام النحوي أبي علي الحسن بن عبد الله القيسي (من علماء القرن السادس الهجري)، تحقيق محمد بن حمود الدعجاني، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- البداية والنهاية، للإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، طبع سنة (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، للإمام سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد ابن الملقن وابن النحوي المصري (ت٨٠٤هـ)، تحقيق مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر بن كمال، ط١، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، دار الهجرة، الرياض، السعودية.
- البعث والنشور، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عامر أحمد حيدر، ط١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت، لبنان.
- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق حسين أحمد صالح الباكري، ط١، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، نشر مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة، السعودية.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، (١٣٩٩هـ - ١٩٦٧٩م)، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.
- بلوغ الأماني في سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيباني، للعلامة المحقق محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري (ت١٣٧١هـ)، طبع سنة (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر.
- بلوغ الأمل في فن الزجل، للإمام الأديب تقي الدين أبي بكر بن حجة الحموي (ت٨٣٧هـ)، تحقيق رضا محسن القريشي، طبع سنة (١٩٧٤م)، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سورية.
- بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها، للإمام المحدث الورع أبي محمد عبد الله بن أبي جمرة الأندلسي (ت٦٩٩هـ)، ط١، (١٣٤٨هـ - ١٩٢٩م)، مطبعة الصدق الخيرية، القاهرة، مصر.
- البيان في مذهب الإمام الشافعي، للإمام الفقيه أبي الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني (ت٥٥٨هـ)، تحقيق قاسم محمد النوري، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- **البيان والتبين**، لإمام اللغة أبي عثمان عمرو بن بحر **الجاحظ** (ت٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط٧، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- **البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المستخرجة**، للإمام الفقيه القاضي **أبي الوليد** محمد بن أحمد **ابن رشد** القرطبي (ت٥٢٠هـ)، تحقيق محمد حجي وآخرون، ط٢، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- **تاج العروس من جواهر القاموس**، للإمام الشريف الحافظ المحدث المسند اللغوي أبي الفيض محمد بن محمد **مرتضى الزَّبيدي** الحسيني (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق عبد الستار أحمد فراج وجماعة من المحققين، ط١، (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م)، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت.
- **تاريخ ابن أبي خيثمة**، المسمى: «التاريخ الكبير»، للإمام الحافظ المؤرخ أحمد **بن أبي خيثمة** زهير بن حرب النسائي البغدادي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق صلاح بن فتحي هلال، ط١، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.
- **تاريخ إربل**، المسمى: «نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأماثل»، للإمام المؤرخ الأديب المبارك بن أحمد بن المبارك **ابن المستوفي** اللخمي (ت٦٣٧هـ)، تحقيق سامي بن سيد خماس الصقار، طبع سنة (١٩٨٠م)، دار الرشيد، بغداد، العراق.
- **تاريخ أصبهان**، للإمام الحافظ المؤرخ **أبي نعيم** أحمد بن عبد الله **الأصبهاني** (ت٤٣٠هـ)، تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد **الذهبي** (ت٧٤٨هـ)، تحقيق عمر عبد السلام التدمري، ط٢، (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- **التاريخ الأوسط**، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل **البخاري** (ت٢٥٦هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، ط١، (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)، دار الوعي، حلب، سورية. مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.
- **تاريخ البرزالي**، المسمى: «المقتفي على كتاب الروضتين»، للإمام الحافظ المؤرخ **علم الدين** أبي محمد القاسم بن محمد بن يوسف **البرزالي** (ت٧٣٩هـ)، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، ط١، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان.
- **تاريخ الخلفاء**، للإمام الحافظ **جلال الدين** أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر **السيوطي** (ت٩١١هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط٢، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- التاريخ الكبير، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، طبع تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.
- تاريخ بغداد، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تاريخ جرجان، للحافظ المؤرخ أبي القاسم حمزة بن يوسف القرشي السهمي الجرجاني (ت٤٢٧هـ)، تم تحقيقه تحت مراقبة محمد عبد المعيد خان، ط٤، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.
- تاريخ قضاة الأندلس، المسمى: «المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا»، للإمام أبي الحسن علي بن عبد الله بن محمد الجذامي النباهي المالقي (ت نحو ٧٩٢هـ)، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط٥، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، لإمام الدنيا الحافظ ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، ط١، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- تأسيس التقديس، للإمام المتكلم المفسر فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي وأحمد محمد خير الخطيب، ط١، (٢٠١١م)، دار نور الصباح، دمشق، سورية.
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، للإمام المتكلم الأصولي أبي المظفر شاهفور بن طاهر بن محمد الإسفرايني (ت٤٧١هـ)، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، (١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.
- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري، لإمام الدنيا الحافظ ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ)، ومعه مقدمة العلامة المحقق محمد زاهد الكوثري، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط١، (١٤٤٠هـ ـ ٢٠١٨م)، دار التقوى، دمشق، سورية.
- تجارب الأمم وتعاقب الهمم، للإمام أبي علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت٤٢١هـ)، تحقيق أبي القاسم إمامي، ط٢، (٢٠٠٠م)، سروش، طهران، إيران.
- التحرير والتنوير، المسمى: «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، للعلامة المفسر محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، طبع سنة (١٩٨٤م)، الدار التونسية، تونس.

- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، للإمام الحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- تخريج إحياء علوم الدين، المسمى: «المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار»، للإمام الحافظ زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت٨٠٦هـ)، تحقيق أشرف بن عبد المقصود، ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، مكتبة دار طبرية، الرياض، السعودية.
- تذكرة الحفاظ، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، ط١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- التذكرة الحمدونية، للإمام الأديب المؤرخ بهاء الدين أبي المعالي محمد بن الحسن بن محمد ابن حمدون البغدادي (ت٥٦٢هـ)، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، للإمام النحوي المفسر أثير الدين أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق حسن هنداوي، ط١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، دار القلم، دمشق، سورية. دار كنوز إشبيليا، الرياض، السعودية.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، للإمام القاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.
- التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، للإمام اللغوي الأديب أبي يعقوب يوسف بن يحيى ابن الزيات التادلي (ت٦١٧هـ)، تحقيق أحمد التوفيق، ط٢، (١٩٩٧م)، منشورات كلية الآداب، الرباط، المغرب.
- تفسير ابن أبي حاتم، المسمى: «تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين»، للإمام المحدث المفسر أبي محمد عبد الرحمٰن بن محمد ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، تحقيق أسعد محمد الطيب، ط٣، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، السعودية.
- تفسير ابن المنذر، للإمام أبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت٣١٩هـ)، تحقيق سعد بن محمد السعد، ط١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، دار المآثر، المدينة المنورة، السعودية.
- تفسير ابن عباس، المسمى: «صحيفة علي بن أبي طلحة عن ابن عباس»، جمع راشد عبد المنعم الرجال، ط١، (١٤١١هـ - ١٩٩١م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
- تفسير التستري، للإمام العارف بالله أبي محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري (ت٢٨٣هـ)، جمعها أبو بكر محمد البلدي، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- تفسير الرازي، المسمى: «التفسير الكبير» أو «مفاتيح الغيب»، للإمام المتكلم المفسر فخر الدين أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، ط١، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- تفسير الطبري، المسمى: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، للإمام أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط١، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- تفسير مقاتل بن سليمان، للمفسر أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي (ت١٥٠هـ)، تحقيق عبد الله محمود شحاته، ط١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- التفسير والمفسرون، للدكتور الشيخ محمد السيد حسين الذهبي (ت١٣٩٨هـ)، طبع سنة (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.
- تقييد المهمل وتمييز المشكل، للإمام الحافظ المحدث أبي علي الحسين بن محمد الغساني الجياني (ت٤٩٨هـ)، تحقيق علي بن محمد العمران ومحمد عزير شمس، ط١، (١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م)، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، السعودية.
- تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب، للإمام جمال الدين أبي حامد محمد بن علي ابن الصابوني (ت٦٨٠هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- التكملة لكتاب الصلة، للإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن الأبار (ت٦٥٨هـ)، تحقيق عبد السلام الهراس، ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- التكملة لوفيات النقلة، للإمام الحافظ زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (ت٦٥٦هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، ط٣، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق حسن بن عباس بن قطب، ط١، (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، مؤسسة قرطبة، القاهرة، مصر.
- تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، للمحدث الشيخ نور الدين علي بن محمد بن علي ابن عراق الكناني (ت٩٦٣هـ)، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق الغماري، ط١، (١٣٩٩هـ - ١٩٧٨م)، طبعة مصورة لدى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح، للإمام الفقيه الأصولي بدر الدين أبي عبد الله محمد بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق يحيى بن محمد علي الحكمي، ط١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

ـ تهذيب الأسرار، للإمام العارف أبي سعيد عبد الملك بن محمد بن إبراهيم الخركوشي (ت٤٠٧هـ)، تحقيق بسام محمد بارود، طبع سنة (١٩٩٩م)، المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات.

ـ تهذيب الأسماء واللغات، لشيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للإمام الحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمٰن القضاعي المزي (ت٧٤٢هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ التهذيب في اختصار المدونة، للإمام الفقيه أبي سعيد خلف بن أبي القاسم محمد ابن البراذعي القيرواني (ت٣٧٢هـ)، تحقيق محمد الأمين ولد محمد سالم بن الشيخ، ط١، (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م)، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الإمارات.

ـ توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم، للإمام المحدث شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد ابن ناصر الدين الدمشقي (ت٨٤٢هـ)، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ط١، (١٩٩٣م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ الثقات، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت٣٥٤هـ)، ط١، (١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.

ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للإمام الأديب أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق إبراهيم صالح، ط١، (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م)، دار البشائر، دمشق، سورية.

ـ الجامع لأحكام القرآن، للإمام المفسر أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، (١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م)، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر.

ـ الجامع لشعب الإيمان، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق عبد العلي حامد، ط١، (١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية. الدار السلفية، بومباي، الهند.

ـ الجرح والتعديل، للإمام المحدث المفسر أبي محمد عبد الرحمٰن بن محمد ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، تحقيق عبد الرحمٰن بن يحيى المعلمي اليماني، ط١، (١٢٧١هـ ـ ١٩٥٢م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ـ جمهرة الأمثال، للإمام اللغوي الأديب الشاعر أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري (ت بعد ٣٩٥هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطامش، ط٢، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م)، دار الجيل، بيروت، لبنان. دار الفكر، بيروت، لبنان.

- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، للإمام محيي الدين أبي محمد عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي الحنفي (ت٧٧٥هـ)، نشر مير محمد كتب خانه، كراتشي، باكستان.

- الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، تحقيق إبراهيم عبد المجيد، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

حاشية العكاري، للعلامة المحقق علي العكاري المراكشي (ت١١١٨هـ)، صورة عن مخطوطة في المكتبة الأزهرية ذات الرقم العام: (٣٩٤٤٤)، والخاص: (٣٠٥٨)، تاريخ النسخ: (١١٨٠هـ).

- الحاوي الكبير في فقه مذهب الشافعي وهو شرح مختصر المزني، للإمام الفقيه أقضى القضاة أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الحاوي للفتاوي، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، طبع سنة (١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م)، نسخة مصورة لدى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، (١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

- حقائق التفسير، للإمام العارف أبي عبد الرحمٰن محمد بن الحسين بن موسى الأزدي السلمي (ت٤١٢هـ)، تحقيق سيد عمران، ط١، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، للإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، ط٥، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي سنة (١٣٥٧هـ) لدى دار الريان للتراث، القاهرة، مصر. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

- الحوادث والبدع، للإمام الفقيه الأديب أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي (ت٥٣٠هـ)، تحقيق علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، ط١، (١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م)، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية.

- حياة الحيوان الكبرى، للإمام الفقيه كمال الدين أبي البقاء محمد بن موسى بن عيسى الدميري (ت٨٠٨هـ)، ط١، (١٢٨٤هـ)، المطبعة العامرة، القاهرة، مصر.

- الحيوان، لإمام اللغة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط٢، (١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م)، شركة البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.

- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، للإمام النحوي اللغوي عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط٤، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- خلاصة المفاخر في مناقب الشيخ عبد القادر، للإمام العارف الفقيه المؤرخ عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط١، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، دار الآثار الإسلامية، بربلي، سريلانكا.
- خلق أفعال العباد، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق عبد الرحمٰن عميرة، ط٢، دار المعارف، الرياض، السعودية.
- الدارس في تاريخ المدارس، للإمام المحدث المؤرخ أبي المفاخر عبد القادر بن محمد النعيمي الدمشقي (ت٩٢٧هـ)، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط١، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للإمام النحوي اللغوي المقرئ أبي العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم السمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، سورية.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- درء تعارض العقل والنقل، للإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق محمد رشاد سالم، ط٢، (١٤١١هـ - ١٩٩١م)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية.
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، ط٢، (١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.
- دفع شبه التشبيه، للإمام الحافظ المؤرخ أبي الحسن عبد الرحمٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق العلامة محمد زاهد الكوثري، ط١، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر.
- دلالة المستنهج إلى معالم المعارف ورسالة المستبهج إلى عوالم العوارف، لفخر الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أحمد الخبري الفارسي، (ت ٦٢٢هـ) مخطوطة مصورة عن مكتبة أياصوفيا ذات الرقم: (١٧٨٥).
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، للإمام المؤرخ برهان الدين أبي إسحاق إبراهيم بن علي ابن فرحون اليعمري (ت٧٩٩هـ)، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ديوان ابن الرومي، للشاعر العباسي أبي الحسن علي بن العباس بن جريج ابن الرومي (ت٢٨٣هـ)، تحقيق حسين نصار، ط٣، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.

- ديوان ابن الفارض، للشاعر الصوفي سلطان العاشقين شرف الدين أبي حفص عمر بن أبي الحسن ابن الفارض الحموي المصري (ت٦٣٢هـ)، طبع سنة (١٩٦٢م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- ديوان ابن دريد، للإمام الشاعر اللغوي أبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ)، تحقيق عمر بن سالم، ط١، (٢٠١٢م)، مؤسسة سلطان بن علي العويس الثقافية، دبي، الإمارات.
- ديوان ابن عنين، لشاعر عصره شرف الدين أبي المحاسن محمد بن نصر ابن عنين الأنصاري الدمشقي (ت٦٣٠هـ)، تحقيق خليل مردم بك، ط٢، دار صادر، بيروت، لبنان.
- ديوان أبي الأسود الدؤلي، للتابعي القاضي مؤسس علم النحو أبي الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلي (ت٦٩هـ)، صنعة أبي سعيد الحسن السكري (ت٢٩٠هـ)، تحقيق محمد حسن آل ياسين، ط٢، (١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.
- ديوان أبي العتاهية، للشاعر العباسي الزاهد أبي العتاهية إسماعيل بن القاسم العنزي (ت٢١١هـ)، طبع سنة (١٨٨٦م)، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان.
- ديوان أبي تمام، للشاعر العباسي الكبير أبي تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (ت٢٣١هـ)، وعليه «شرح الخطيب التبريزي»، تحقيق محمد عبده عزام، ط٥، (١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م)، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- ديوان أبي ذؤيب الهذلي، للشاعر المخضرم الفحل أبي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي (نحو ت٢٧هـ)، تحقيق أحمد خليل الشال، ط١، (١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م)، مركز الدراسات والبحوث الإسلامية، بورسعيد، مصر.
- ديوان أبي فراس الحمداني، للشاعر الأمير أبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الحمداني (ت٣٥٧هـ) تحقيق سامي الدهان، طبع سنة (١٣٦٣هـ ـ ١٩٤٤م)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان.
- ديوان أبي نواس، لشاعر العراق أبي نواس الحسن بن هانئ بن عبد الأول البغدادي (ت١٩٨هـ)، تحقيق محمود أفندي واصف، ط١، (١٨٩٨م)، طبع على نفقة إسكندر آصاف، المطبعة العمومية، القاهرة، مصر.
- ديوان الأعشى، للشاعر الجاهلي صنّاجة العرب أبي بصير ميمون بن قيس بن جندل الوائلي أعشى قيس (ت٧هـ)، تحقيق محمد حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر.
- ديوان الحارث بن حلزة، للشاعر الجاهلي الخطيب الحارث بن حلزة ابن مالك الوائلي (نحو ٥٠ ق هـ)، جمع وتحقيق إميل بديع يعقوب، ط١، (١٤١١هـ ـ ١٩٩١م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- ديوان الحماسة، للشاعر العباسي الكبير أبي تمام حبيب بن أوس بن الحارث الطائي (ت٢٣١هـ)، ومعه «شرح ديوان الحماسة» للخطيب التبريزي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، مصر.

- **ديوان الخنساء**، للشاعرة الصحابية المخضرمة تماضر بنت عمرو المعروفة **بالخنساء** (ت٢٤هـ)، تحقيق حمدو طماس، ط٢، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- **ديوان السموءل**، للشاعر الجاهلي الحكيم **السموءل** بن عريض بن عادياء الأزدي (نحو ٦٥ ق هـ)، تحقيق واضح الصمد، ط١، (١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- **ديوان الصبابة**، للأديب الفاضل شهاب الدين أحمد بن حجلة المغربي المعروف **بابن أبي حجلة**، طبع سنة (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.
- **ديوان الكميت**، لشاعر الهاشميين الأموي أبي المستهل **الكميت بن زيد** بن خنس **الأسدي** (ت١٢٦هـ)، تحقيق محمد نبيل طريفي، ط١، (٢٠٠٠م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- **ديوان المتنبي**، للشاعر الحكيم **أبي الطيب** أحمد بن الحسين بن الحسن **المتنبي** الكوفي الكندي (ت٣٥٤هـ)، ومعه شرح أبي البقاء العكبري المسمى: «التبيان في شرح الديوان»، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، طبع سنة (١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م) لدى مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصر.
- **ديوان المعاني**، للإمام اللغوي الأديب الشاعر **أبي هلال** الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد **العسكري** (ت بعد ٣٩٥هـ)، ط١، (١٩٠٠م)، دار الجيل، بيروت، لبنان.
- **ديوان النابغة الذبياني**، للشاعر الجاهلي أبي أمامة زياد بن معاوية بن ضباب **النابغة الذبياني** (ت نحو ١٨ ق هـ)، طبع سنة (١٩١١م)، مطبعة الهلال، القاهرة، مصر.
- **ديوان امرئ القيس**، لأشعر الشعراء الشاعر الجاهلي ذي القروح **امرئ القيس** بن حجر بن الحارث الكندي (ت٨٠ ق هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، (١٩٨٤م)، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- **ديوان جرير**، للشاعر الأموي الكبير ابن حرزة **جرير** بن عطية بن الخطفى التميمي اليربوعي البصري بن بدر الكلبي (ت١١٠هـ)، طبع سنة (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، دار بيروت، بيروت، لبنان.
- **ديوان ذي الرمة**، للشاعر الأموي الفحل **ذي الرمة** أبي الحارث غيلان بن عقبة بن نهيس المضري (ت١١٧هـ)، تحقيق أحمد حسن بسبج، ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **ديوان زهير بن أبي سلمى**، للشاعر الحكيم الجاهلي **زهير بن أبي سلمى** المازني المضري (ت١٣ ق هـ)، تحقيق علي حسن فاعور، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- **ديوان صالح بن عبد القدوس**، للشاعر الواعظ أبي الفضل صالح بن عبد القدوس بن عبد الله **بن عبد القدوس** الجذامي، ط١، (ت نحو ١٦٧هـ)، جمع وتحقيق عبد الله الخطيب، طبع سنة (١٩٦٧م)، دار منشورات البصري، بغداد، العراق.

- ديوان الفرزدق، للشاعر الأموي الكبير أبي فراس الفرزدق همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي (ت ١١٠هـ) بشرح إيليا الخولي، ط١، (١٩٨٣م)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان.

- ديوان مهلهل بن ربيعة، للشاعر الجاهلي المهلهل أبي ليلى عدي بن ربيعة بن مرة (ت نحو ١٠٠ ق هـ)، تحقيق طلال حرب، الدار العالمية، بيروت، لبنان.

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، للأديب الوزير أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت٥٤٢هـ)، تحقيق إحسان عباس، الدار العربية للكتاب، ليبيا.

- ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، للإمام الحافظ الشريف تقي الدين أبي الطيب محمد بن أحمد بن علي الحسني الفاسي (ت٨٣٢هـ)، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، للحافظ المؤرخ أبي محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكتاني (ت٤٦٦هـ)، تحقيق عبد الله أحمد سليمان الحمد، ط١، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

- ذيل ذيل تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، للإمام الحافظ أبي محمد هبة الله بن أحمد بن محمد بن هبة الله ابن الأكفاني الدمشقي (ت٥٢٤هـ)، تحقيق عبد الله بن أحمد بن سلمان الحمد، ط١، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

- ذيل مرآة الزمان، للإمام المؤرخ قطب الدين أبي الفتح موسى بن محمد اليونيني (ت٧٢٦هـ)، ط٢، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر.

- رحلة ابن جبير، المسمى «رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك»، للإمام الرحالة أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (ت٦١٤هـ)، ط٢، (١٩٨٦م)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان.

- الرحلة العياشية، للشيخ الرحالة أبي سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي (ت١٠٩٠هـ)، تحقيق سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، ط١، (٢٠٠٦م)، دار السويدي، أبو ظبي، الإمارات.

- الرحلة في طلب الحديث، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق نور الدين عتر، ط١، (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- الرد على الجهمية، للحافظ أبي سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ)، تحقيق بدر بن عبد الله البدر، ط٢، (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، دار ابن الأثير، الكويت.

- رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، للحافظ أبي نصر عبيد الله بن سعيد بن حاتم السجزي البكري (ت٤٤٤هـ)، تحقيق محمد باكريم باعبد الله، ط٢، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية.
- الرسالة القشيرية، للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت٤٦٥هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط١، (١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.
- رسائل، للإمام الحافظ ابن ناصر الدين محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد القيسي الدمشقي (ت٨٤٢هـ)، تحقيق مشعل بن باني الجبرين المطيري، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- رفع الإصر عن قضاة مصر، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق علي محمد عمر، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- روض الرياحين في حكايا الصالحين، للإمام العارف الفقيه المؤرخ عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ)، تحقيق عدنان عبد ربه ومحمد أديب الجادر، ط٢، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، دار البشائر، دمشق، سورية.
- روضة الطالبين وعمدة المفتين، لشيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، تحقيق زهير الشاويش، ط٣، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان. عمان، الأردن.
- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، للإمام المحدث المقرئ المؤرخ أبي القاسم عبد الرحمٰن بن إسماعيل أبي شامة المقدسي الدمشقي (ت٦٦٥هـ)، تحقيق إبراهيم الزيبق، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، للإمام اللغوي أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ)، تحقيق حاتم الضامن، ط١، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- الزهد والرقائق، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمٰن عبد الله بن المبارك الحنظلي المروزي (ت١٨١هـ)، تحقيق حبيب الرحمٰن الأعظمي، طبع سنة (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، طبعة مصورة عن طبعة المجلس العلمي في الهند، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- زهر الآداب وثمر الألباب، للإمام الأديب الناقد أبي إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري الحصري القيرواني (ت٤٥٣هـ)، تحقيق زكي مبارك ومحمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م)، دار الجيل، بيروت، لبنان.

- زهر الأكم في الأمثال والحكم، للإمام الأديب نور الدين أبي علي الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي (ت١١٠٢هـ)، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، ط١، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، الشركة الجديدة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب.

- الزهرة، للإمام الأديب الشاعر أبي بكر محمد بن داود بن علي الظاهري الأصبهاني (ت ٢٩٧هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي، ط٢، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م)، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.

- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للإمام المحدث المؤرخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت٩٤٢هـ)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، مصر.

- سقط الزند، للشاعر الفيلسوف أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري (ت٤٤٩هـ)، طبع سنة (١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م)، دار بيروت، بيروت، لبنان. دار صادر، بيروت، لبنان.

- السنة، للإمام المحدث المفسر أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال (ت٣١١هـ)، تحقيق عطية الزهراني، ط١، (١٤١٠هـ - ١٩٨٩م)، دار الراية، الرياض، السعودية.

- السنة، للإمام المحدث الرحلة أبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني (ت٢٨٧هـ)، تحقيق محمد ناصر الألباني، ط١، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- السنة، للإمام المحدث أبي عبد الرحمٰن عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٩٠هـ)، تحقيق محمد سعيد سالم القحطاني، ط١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، دار ابن القيم، الدمام، السعودية.

- سنن أبي داود، للإمام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

- سنن الترمذي، للإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي (ت٢٧٩هـ)، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، ط٢، (١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م)، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.

- سنن الدارقطني، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسن شلبي وعبد اللطيف حرز الله وأحمد برهوم، ط١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- سنن الدارمي، المسمى: «مسند الدارمي»، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن عبد الرحمٰن الدارمي (ت٢٥٥هـ)، تحقيق حسين سليم أسد، ط١، (١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م)، دار المغني، الرياض، السعودية.

ـ السنن الكبرى، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق حسن شلبي، ط١، (١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ سنن النسائي الصغرى، المسمى: «المجتبى من السنن»، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط٢، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، سورية.

ـ سير أعلام النبلاء، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، بإشراف شعيب الأرنؤوط، ط٣، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

ـ سيرة الإمام أحمد ابن حنبل، للإمام المحدث أبي الفضل صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٦٥هـ)، تحقيق فؤاد عبد المنعم، ط٢، (١٤٠٤هـ)، دار الدعوة، الإسكندرية، مصر.

ـ السيرة النبوية، للإمام المؤرخ النسابة أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الذهلي (ت٢١٣هـ)، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط٢، (١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٥م)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر.

ـ سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، للإمام الحافظ المؤرخ أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي بن محمد ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، ط١، (١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م)، دار ابن خلدون، الإسكندرية، مصر.

ـ السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل، للإمام قاضي القضاة المجتهد أبي الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٥٦هـ)، ومعه «تكملة الرد على نونية ابن القيم»، للعلامة المحقق محمد زاهد الكوثري، مكتبة زهران، القاهرة، مصر.

ـ الشامل في أصول الدين، للإمام الفقيه الأصولي المتكلم إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق علي سامي النشار وفيصل بدير عون وسهير محمد مختار، (١٩٦٩م)، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر.

ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، للإمام المؤرخ أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)، تحقيق محمود الأرنؤوط، ط١، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، دار ابن كثير، دمشق، سورية. دار ابن كثير، بيروت، لبنان.

ـ شرح الإرشاد، للإمام الأصولي المتكلم تقي الدين أبي الفتح مظفر بن عبد الله بن علي المقترح (ت٦١٢هـ)، تحقيق فتحي أحمد عبد الرزاق، أطروحة لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) في العقيدة والفلسفة (١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م)، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر.

- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، المسمى: «منهج السالك إلى ألفية ابن مالك»، للإمام النحوي نور الدين أبي الحسن علي بن محمد بن عيسى الأشموني (ت نحو ٩٠٠هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، (١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- شرح الحكم الغوثية، للإمام الصوفي أحمد بن إبراهيم بن علان الصديقي النقشبندي (ت١٠٣٣هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.
- شرح الرضي على الكافية، للإمام النحوي نجم الأئمة محمد بن الحسن الرضي الأستراباذي (ت نحو ٦٨٦هـ)، تحقيق يوسف حسن عمر، ط٢، (١٩٩٦م)، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا.
- شرح ألفية ابن مالك، للإمام النحوي قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمٰن ابن عقيل القرشي الهاشمي العقيلي (ت٧٦٩هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢٠، (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، دار التراث، القاهرة، مصر.
- شرح العقيدة الكبرى، المسمى: «عمدة أهل التوفيق والتسديد»، للإمام المتكلم المحدث محمد بن يوسف بن عمر السنوسي الحسني (ت٨٩٥هـ)، تحقيق أنس محمد عدنان الشرفاوي، ط١، (١٤٤٠هـ)، دار التقوى، دمشق، سورية.
- شرح المنظومة، المسماة: «عقود رسم المفتي»، للإمام المحقق فقيه الديار الشامية الشريف محمد أمين ابن عمر ابن عابدين (ت١٢٥٢هـ)، ط٢، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٠م)، مركز توعية الفقه الإسلامي، حيدر آباد أند هرابرديش، الهند.
- شرح جمل الزجاجي، للإمام النحوي أبي الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي ابن عصفور الإشبيلي (ت٦٦٩هـ)، تحقيق فواز الشعار، ط١، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- شرح ديوان الحماسة، للإمام الأديب أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت٤٢١هـ)، تحقيق غريد الشيخ، ط١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- شرح ديوان المتنبي، للإمام المفسر أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي (ت٤٦٨هـ)، نشره فريدريخ ديتريشي، طبع سنة (١٨٤١م)، برلين، ألمانيا.
- شرح مشكل الآثار، للإمام الحافظ محدث الديار المصرية وفقيهها أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي المصري (ت٣٢١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- شرح نهج البلاغة، للإمام الأديب المؤرخ عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد ابن أبي الحديد المدائني (ت٦٥٦هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، (١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

- الشريعة، للإمام المحدث أبي بكر محمد بن الحسين البغدادي الآجري (ت٣٦٠هـ)، تحقيق عبد الله الدميجي، ط٢، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، دار الوطن، الرياض، السعودية.
- شعر الأحوص، للشاعر الأموي عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأحوص الأنصاري (ت١٠٥هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي، طبع سنة (١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م)، مكتبة الأندلس، بغداد، العراق.
- الشعر والشعراء، للإمام اللغوي الأديب المؤرخ أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط٢، (١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م)، دار الحديث، القاهرة، مصر.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم، للإمام الحافظ القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، تحقيق عبده كوشك، ط١، (١٤٣٤هـ - ٢٠٠٣م)، دار الفيحاء، دمشق، سورية. مكتبة الغزالي، دمشق، سورية.
- الصاحبي، للإمام اللغوي الأديب أبي الحسين أحمد بن فارس الرازي (ت٣٩٥هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر، طبع سنة (١٩٧٧م)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، مصر.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للإمام الأديب المؤرخ أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي (ت٨٢١هـ)، تحقيق محمد حسين شمس الدين، طبع سنة (١٩٨٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للإمام اللغوي أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣هـ)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- صحيح ابن خزيمة، المسمى: «مختصر المختصر من المسند الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم، بنقل العدل عن العدل موصولاً إليه صلى الله عليه وسلم، من غير قطع في أثناء الإسناد، ولا جرح في ناقلي الأخبار»، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن إسحاق ابن خزيمة النيسابوري (ت٣١١هـ)، تحقيق محمد الأعظمي، ط٣، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- صحيح البخاري، المسمى: «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه»، (الطبعة السلطانية اليونينية)، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، عني به محمد زهير بن ناصر الناصر، ط٣، (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)، دار طوق النجاة، بيروت، لبنان. دار المنهاج، جدة، السعودية.

- صحيح مسلم، المسمى: «المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم»، للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١هـ)، المطبعة العامرة، القاهرة، مصر، وتم اعتماد ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي في تحقيقه لطبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- صفة الجنة، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق علي رضا بن عبد الله رضا، ط٢، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار المأمون للتراث، دمشق، سورية.
- صفة الصفوة، للإمام الحافظ المؤرخ أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس قلعه جي، ط٣، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- صلة التكملة لوفيات النقلة، للإمام الحافظ المؤرخ الشريف عز الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمٰن الحسيني (ت٦٩٥هـ)، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، للمؤرخ البحاثة أبي القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال (ت٥٧٨هـ)، تحقيق عزة العطار، ط٢، (١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- الضعفاء الكبير، للإمام الحافظ أبي جعفر محمد بن عمرو العقيلي (ت٣٢٢هـ)، تحقيق عبد المعطي قلعجي، ط١، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الضعفاء والمتروكون، للإمام الحافظ المؤرخ أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق عبد الله القاضي، ط١، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الضعفاء والمتروكون، للإمام الحافظ أبي عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت٣٠٣هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، ط١، (١٣٩٦هـ)، دار الوعي، حلب، سورية.
- الضعفاء، للإمام الحافظ أبي زرعة عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد المخزومي الرازي (ت٢٦٤هـ)، تحقيق سعدي الهاشمي، ط٢، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، دار الوفاء، القاهرة، مصر. مكتبة ابن القيم، المدينة المنورة، السعودية.
- الضعفاء، لإمام الحفاظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق أحمد بن إبراهيم بن أبي العينين، ط١، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، مكتبة ابن عباس، القاهرة، مصر.
- الطالع السعيد الجامع لأسماء الفضلاء والرواة بأعلى الصعيد، للعلامة الأديب كمال الدين أبي الفضل جعفر بن ثعلب بن جعفر الأدفوي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق أمين عبد العزيز، ط١، (١٣٣٢هـ - ١٩١٤م)، مطبعة الجمالية، القاهرة، مصر.

ـ طبقات الشافعية الكبرى، للإمام الأصولي قاضي القضاة تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت٧٧١هـ)، تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو، ط٢، (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٤م)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر.

ـ طبقات الشافعية، للإمام الأصولي الفقيه جمال الدين أبي محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي (ت٧٧٢هـ)، تحقيق كمال يوسف الحوت، ط١، (٢٠٠٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ طبقات الشافعية، للإمام الفقيه المؤرخ تقي الدين أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر ابن قاضي شهبة الأسدي (ت٨٥١هـ)، تحقيق الحافظ عبد العليم خان، ط١، (١٤٠٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

ـ طبقات الشافعيين، للإمام الحافظ المؤرخ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق أحمد هاشم عمر ومحمد زينهم محمد عزب، (١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.

ـ طبقات الصوفية، للإمام العارف أبي عبد الرحمٰن محمد بن الحسين السلمي النيسابوري (ت٤١٢هـ)، تحقيق نور الدين شريبة، ط٣، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

ـ طبقات الفقهاء الشافعية، للإمام الفقيه المفتي تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمٰن ابن الصلاح الشهرزوري (ت٦٤٣هـ)، تحقيق محيي الدين نجيب، ط١، (١٩٩٢م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

ـ طبقات الفقهاء، للإمام الفقيه الأصولي النظار أبي إسحاق إبراهيم بن علي الفيروزابادي الشيرازي (ت٤٧٦هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٩٧٠م)، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان.

ـ الطبقات الكبرى، للإمام الحافظ المؤرخ أبي عبد الله محمد بن سعد الهاشمي البصري (ت٢٣٠هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٩٦٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

ـ طبقات النحويين واللغويين، للإمام أبي بكر محمد بن الحسن بن عبيد الله الزبيدي الأندلسي (ت٣٧٩هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، القاهرة، مصر.

ـ طهارة القلوب والخضوع لعلام الغيوب، للإمام العارف ضياء الدين أبي محمد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري الدريني (ت٦٩٤هـ)، طبع سنة (١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ العبر في خبر من غبر، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول، ط١، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- العظمة، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الله بن محمد بن جعفر أبي الشيخ الأصبهاني (ت٣٦٩هـ)، تحقيق رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، ط١، (١٤٠٨هـ)، دار العاصمة، الرياض، السعودية.
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، للإمام الفقيه المتفنن أبي محمد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العيني (ت٨٥٥هـ)، تحقيق محمد محمد أمين، طبع سنة (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.
- العقد الفريد، للإمام الأديب الشاعر أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، تحقيق مفيد محمد قميحة وعبد المجيد الترحيني، ط١، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، للإمام الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن يوسف الحنبلي (ت٧٤٤هـ)، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكاتب العربي، بيروت، لبنان.
- العقيدة الواسطية، للإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق أشرف بن عبد المقصود، ط٢، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، أضواء السلف، الرياض، السعودية.
- العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، للإمام الحافظ المؤرخ أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق إرشاد الحق، ط٢، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام الفقيه المتفنن أبي محمد بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العيني (ت٨٥٥هـ)، طبعة مصورة عن الطبعة المنيرية لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- العناية شرح الهداية، للإمام الفقيه أكمل الدين أبي عبد الله محمد بن محمد بن محمود البابرتي (ت٧٨٦هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- عوارف المعارف، للإمام العارف المربي شهاب الدين أبي حفص عمر بن محمد القرشي البكري السهروردي (ت٦٣٢هـ)، تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف، ط٢، (٢٠١٧م)، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- العواصم من القواصم، للإمام الفقيه القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي (ت٥٤٣هـ)، تحقيق عمار طالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.
- عيون الأخبار، للإمام اللغوي أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، ط٢، (١٩٩٦م)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.

ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء، للإمام موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس ابن أبي أصيبعة الخزرجي (ت٦٦٨هـ)، تحقيق نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

ـ غاية النهاية في طبقات القراء، لإمام القراء الحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري (ت٨٣٣هـ)، طبعة مصورة عن نسخة براجسترسر سنة (١٣٥١هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.

ـ الغنية في أصول الدين، للإمام الفقيه أبي سعد عبد الرحمٰن بن مأمون المتولي النيسابوري (ت٤٧٨هـ)، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر، ط١، (١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٧م)، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

ـ فتاوى ابن الصلاح، للإمام الفقيه المفتي تقي الدين أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمٰن ابن الصلاح الشهرزوري (ت٦٤٣هـ)، تحقيق موفق عبد القادر، ط١، (١٤٠٧هـ)، مكتبة العلوم والحكم، ودار عالم الكتب، بيروت، لبنان.

ـ فتاوى البرزلي، المسمى «جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام» للإمام الفقيه المفتي أبي القاسم بن أحمد البلوي البرزلي (ت٨٤١هـ)، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط١، (٢٠٠٢م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ـ الفتاوى الحديثية، للإمام الفقيه المفتي المحقق شهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن محمد ابن حجر الهيتمي (ت٩٧٤هـ)، تحقيق أحمد عناية، ط١، (١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م)، دار التقوى، دمشق، سورية.

ـ فتاوى الرملي، للإمام الفقيه المفتي المحقق شهاب الدين أبي العباس أحمد بن حمزة الأنصاري الرملي (ت٩٥٧هـ)، نشر المكتبة الإسلامية.

ـ الفتاوى الكبرى، للإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، (١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، بعناية محب الدين الخطيب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م)، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة السلفية لدى مكتبة الغزالي، دمشق، سورية.

ـ الفتوحات المكية، للشيخ الأكبر سلطان العارفين محيي الدين أبي عبد الله محمد بن علي ابن عربي الحاتمي الطائي (ت٦٣٨هـ)، طبع على نفقة الحاج فدا محمد الكشميري، دار الكتب العربية الكبرى، القاهرة، مصر.

- الفقيه والمتفقه، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق عادل الغرازي، ط٢، (١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزي، الدمام، السعودية.
- فهرسة اللبلي، للإمام المقرىء شهاب الدين أبي جعفر أحمد بن يوسف اللَّبْلي الفهري (ت٦٩١هـ)، تحقيق ياسين يوسف وعواد عبد ربه، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- القضاء والقدر، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق صلاح الدين بن عباس شكر، ط١، (١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.
- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، للإمام أبي طالب محمد بن علي بن عطية المكي (ت٣٨٦هـ)، تحقيق محمود إبراهيم الرضواني، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.
- الكامل في اختصار الشامل في أصول الدين، للإمام المتكلم موسى بن محمد ابن الأمير الحاج التبريزي (ت٧٣٦هـ)، تحقيق جمال عبد الناصر عبد المنعم، ط١، (١٤٣١هـ - ٢٠١٠م)، دار السلام، بيروت، لبنان.
- الكامل في التاريخ، للإمام المؤرخ أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، تحقيق عبد السلام تدمري، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
- الكامل في ضعفاء الرجال، للإمام الحافظ أبي أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني (ت٣٦٥هـ)، تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- كتاب الرؤية، للإمام الحافظ أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني (ت٣٨٥هـ)، تحقيق إبراهيم العلي وأحمد الرفاعي، ط١، (١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن.
- الكتاب، لشيخ العربية الإمام أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، ط٣، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للإمام النحوي المفسر جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، لمحدث الشام أبي الفداء إسماعيل بن محمد الجراحي العجلوني الدمشقي (ت١١٦٢هـ)، طبع سنة (١٣٥١هـ - ١٩٣٢م)، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر.

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، للمؤرخ البحاثة مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي حاجي خليفة التركي (ت١٠٦٧هـ)، طبع سنة (١٩٤١م)، مكتبة المثنى، بغداد، العراق.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، للإمام الحافظ المؤرخ أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق علي حسين البواب، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار الوطن، الرياض، السعودية.
- كفاية النبيه في شرح التنبيه، للإمام الفقيه أقضى القضاة نجم الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن علي ابن الرفعة الأنصاري (ت٧١٠هـ)، تحقيق مجدي محمد سرور باسلوم، ط١، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الكفاية في علم الرواية، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق أبي عبد الله السورقي وإبراهيم المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، السعودية.
- الكليات، للإمام النحوي اللغوي المتفنن الشريف أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، ط٢، (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- كنز الدرر وجامع الغرر، للإمام المؤرخ أبي بكر بن عبد الله بن أيبك ابن الدواداري (ت بعد ٧٣٦هـ)، تحقيق ثلة من الأساتذة، طبع سنة (١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، للإمام المحدث علاء الدين علي بن حسام الدين بن قاضي خان المتقي الهندي المدني (ت٩٧٥هـ)، تحقيق بكري حياني وصفوة السقا، ط٥، (١٤٠١هـ - ١٩٨١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة، للإمام المؤرخ نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت١٠٦١هـ)، تحقيق خليل المنصور، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق صلاح عويضة، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- اللباب في تهذيب الأنساب، للإمام المؤرخ أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ)، ط٣، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- لسان الميزان، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط١، (١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م)، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان.

- لطائف المنن، للإمام العارف تاج الدين أبي العباس أحمد بن محمد ابن عطاء الله السكندري (ت٧٠٩هـ)، تحقيق عبد الحليم محمود، ط٣، (٢٠٠٦م)، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- اللطائف والظرائف، للإمام الأديب أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، ط١، (١٩٩٢م)، دار المناهل، بيروت، لبنان.
- اللمع، للإمام الزاهد أبي نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي (ت٣٧٨هـ)، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور، ط١، (١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م)، دار الكتب الحديثة، القاهرة، مصر. مكتبة المثنى، بغداد، العراق.
- لمعة الاعتقاد، للإمام موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (ت٦٢٠هـ)، ط٢، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الرياض، السعودية.
- لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، للإمام الفقيه الصوفي المربي أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد الشعراني (ت٩٧٣هـ)، تحقيق صهيب ملا محمد نوري علي، ط١، (١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م)، دار التقوى، دمشق، سورية.
- المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، للإمام الحافظ أبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي (ت٣٥٤هـ)، تحقيق محمود إبراهيم زايد، ط١، (١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م)، دار الوعي، حلب، سورية.
- مجمع الأمثال، للإمام اللغوي أبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني (ت٥١٨هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للإمام الحافظ نور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق حسام الدين القدسي، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م)، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر.
- مجموع الفتاوى، للإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، طبع سنة (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية.
- المجموع شرح المهذب، لشيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، ومعه «تكملة المجموع» للإمام تقي الدين السبكي والشيخ محمد نجيب المطيعي، تحقيق وتكميل محمد نجيب المطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة، السعودية.

- المحاضرات والمحاورات، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١ هـ)، تحقيق يحيى الجبوري، ط١، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للإمام المفسر أبي محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية المحاربي (ت٥٤٢هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- مختصر المزني، الملحق بكتاب «الأم»، للإمام المجتهد الفقيه أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل المزني (ت٢٦٤هـ)، طبع سنة (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- مختصر المعاني، للإمام المتكلم الأصولي المتفنن سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني (ت٧٩٢هـ)، طبع سنة (١٣٠٩هـ)، دار سعادت، إستنبول، تركيا.
- المدخل إلى علم السنن، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق محمد عوامة، ط١، (١٤٣٧هـ - ٢٠١٧م)، دار اليسر، القاهرة، مصر.
- المدونة الكبرى، لإمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت١٧٩هـ)، رواية الإمام سحنون بن سعيد التنوخي عن الإمام عبد الرحمٰن بن قاسم، ط١، (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، للإمام العارف الفقيه المؤرخ عفيف الدين أبي السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي (ت٧٦٨هـ)، طبع سنة (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م)، المكتب الإسلامي، القاهرة، مصر.
- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، للإمام المؤرخ شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله سبط ابن الجوزي (ت٦٥٤هـ)، تحقيق ثلة من العلماء، ط١، (١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م)، دار الرسالة، دمشق، سورية.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، للإمام الفقيه المحدث نور الدين أبي الحسن ملا علي القاري بن سلطان محمد الهروي (ت١٠١٤هـ)، ط١، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م)، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، للإمام القاضي الأديب الكاتب المؤرخ أبي العباس أحمد بن يحيى ابن فضل الله العدوي العمري (ت٧٤٩هـ)، تحقيق ثلة من المحققين، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الإمارات.
- المسائل والأجوبة، للإمام تقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت٧٢٨هـ)، تحقيق حسين بن عكاشة، ط١، (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م)، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

- المستدرك على الصحيحين، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن البيِّع الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، ط١، (١٣٤٢هـ)، دائرة المعارف النظامية، حيدر آباد الدكن، الهند.

- المستقصى في أمثال العرب، للإمام النحوي المفسر أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، ط٢، (١٩٨٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- مسند أبي يعلى، للإمام الحافظ أبي يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي (ت٣٠٧هـ)، تحقيق حسين أسد، ط١، (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م)، دار المأمون للتراث، دمشق، سورية.

- مسند الإمام أحمد، للإمام الحافظ أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت٢٤١هـ)، طبع سنة (١٣١٣هـ)، المطبعة الميمنية، القاهرة، مصر.

- مسند الإمام الشافعي، للإمام المجتهد أبي عبد الله محمد بن إدريس بن العباس الشافعي المطلبي (ت٢٠٤هـ)، رتبه على الأبواب الفقهية العلامة السندي، تحقيق يوسف علي الزواوي وعزة العطار الحسيني، طبع سنة (١٣٧٠هـ - ١٩٥١م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- مسند الربيع بن حبيب، للإمام المحدث الربيع بن حبيب بن عمر الأزدي البصري (ت١٠٣هـ)، تحقيق محمد إدريس وعاشور بن يوسف، ط١، (١٤١٥هـ)، دار الحكمة، بيروت، لبنان.

- مسند الشاميين، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط١، (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- مسند الشهاب ويسمى بـ: «شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب من الأحاديث النبوية»، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي (ت٤٥٤هـ)، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، (١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

- المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، للإمام الحافظ المؤرخ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، ط١، (١٤١٧هـ - ١٩٩٦م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- مشكل الحديث وبيانه، للإمام المتكلم أبي بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني (ت٤٠٦هـ)، تحقيق موسى محمد علي، ط٢، (١٩٨٥م)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

- مشيخة ابن الجميزي، للإمام القاضي الفقيه المتكلم بهاء الدين أبي الحسن علي بن هبة الله بن سلامة ابن الجميزي اللخمي (ت٦٤٩هـ)، بتخريج الإمام المحدث رشيد الدين العطار (ت٦٦٢هـ)، صورة عن مخطوطة مكتبة تشستربتي، ذات الرقم: (٦٠٨٠).

- **المصنف**، للإمام الحافظ أبي بكر عبد الله بن محمد **ابن أبي شيبة** العبسي الكوفي (ت٢٣٥هـ)، تحقيق محمد عوامة، ط١، (١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م)، دار القبلة، جدة، السعودية. مؤسسة علوم القرآن، دمشق، سورية.

- **معالم التنزيل**، للإمام الفقيه المفتي محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء **البغوي** (ت٥١٠هـ)، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، ط٤، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م)، دار طيبة، الرياض، السعودية.

- **معاني القرآن وإعرابه**، للإمام النحوي **أبي إسحاق** إبراهيم بن السري **الزجاج** (ت٣١١هـ)، تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

- **معاني القرآن**، للإمام أبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله **الفراء** (ت٢٠٧هـ)، تحقيق أحمد النجاتي ومحمد النجار وعبد الفتاح الشلبي، ط١، دار المصرية، القاهرة، مصر.

- **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، للإمام الأديب الشريف أبي الفتح عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد **العباسي** (ت٩٦٣هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، (١٩٤٧م)، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

- **معجز أحمد**، المسمى: «شرح ديوان أبي الطيب المتنبي»، للشاعر الفيلسوف **أبي العلاء** أحمد بن عبد الله بن سليمان **المعري** (ت٤٤٩هـ)، ط٢، (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م)، دار المعارف، القاهرة، مصر.

- **معجم الأدباء**، المسمى: «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»، للإمام الأديب المؤرخ الرحالة شهاب الدين أبي عبد الله **ياقوت** بن عبد الله الرومي **الحموي** (ت٦٢٦هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- **المعجم الأوسط**، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب **الطبراني** (ت٣٦٠هـ)، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن الحسيني، طبع سنة (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار الحرمين، القاهرة، مصر.

- **معجم البلدان**، للإمام الأديب المؤرخ الرحالة شهاب الدين أبي عبد الله **ياقوت** بن عبد الله الرومي **الحموي** (ت٦٢٦هـ)، عني به المستشرق وستنفيلد، ط٢، (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، دار صادر، بيروت، لبنان.

- **معجم السفر**، للإمام الحافظ صدر الدين **أبي طاهر** أحمد بن محمد **السلفي** (ت٥٧٦هـ)، تحقيق عبد الله عمر البارودي، دار الفكر، ط١، (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م)، بيروت، لبنان.

- معجم الشيوخ الكبير، للإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ط١، (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، مكتبة الصديق، الطائف، السعودية.
- معجم الشيوخ، لإمام الدنيا الحافظ ثقة الدين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي (ت٥٧١هـ)، تحقيق وفاء تقي الدين، ط١، (١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، دار البشائر، دمشق، سورية.
- المعجم الكبير، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.
- معرفة الصحابة، للإمام الحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني (ت٤٣٠هـ)، تحقيق عادل العزازي، ط١، (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، دار الوطن، الرياض، السعودية.
- معرفة علوم الحديث، للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله ابن البيع الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ)، تحقيق السيد معظم حسين، طبع سنة (١٩٦٦م)، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند.
- المعرفة والتاريخ، للحافظ أبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (ت٢٧٧هـ)، تحقيق أكرم ضياء العمري، ط٢، (١٤٠١هـ-١٩٨١م)، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى، للإمام أحمد بن أبي القاسم بن محمد بن سالم الهروي التادلي الصومعي (ت١٠١٣هـ)، تحقيق علي الجاوي، طبع سنة (١٩٩٦م)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب.
- معيار العلم في المنطق، للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين، ط٢، (١٤٣٤هـ-٢٠١٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- المغرب في حلى المغرب، للإمام أبي الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت٦٨٥هـ)، تحقيق شوقي ضيف، ط٣، (١٩٥٥م)، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، للإمام النحوي جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف ابن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط٦، (١٩٨٥م)، دار الفكر، دمشق، سورية.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للإمام الفقيه المحدث أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي الأنصاري (ت٦٥٦هـ)، تحقيق محيي الدين مستو وأحمد محمد السيد ويوسف علي بديوي ومحمود إبراهيم بزال، ط١، (١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، دار ابن كثير، دمشق سورية، بيروت، لبنان. دار الكلم الطيب، دمشق، سورية. بيروت، لبنان.

ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للإمام الحافظ المؤرخ شمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمٰن السخاوي (ت٩٠٢هـ)، تحقيق محمد عثمان الخشت، ط١، (١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م)، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لإمام أهل السنة والجماعة أبي الحسن علي بن إسماعيل ابن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري البصري (ت٣٢٤هـ)، تحقيق هلموت ريتر، ط٣، (١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م)، دار فرانز شتايز، فيسبادن، ألمانيا.

ـ مقالات الكوثري، للعلامة المحقق محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري (ت١٣٧١هـ)، ط٢، (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م)، دار السلام، القاهرة، مصر.

ـ مقامات الحريري، للإمام النحوي اللغوي الأديب أبي محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري (ت٥١٦هـ)، بإشراف اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

ـ المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت٥٠٥هـ)، تحقيق اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي، ط١، (١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

ـ المقفى الكبير، للإمام المؤرخ تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (ت٨٤٥هـ)، تحقيق محمد اليعلاوي، ط٢، (١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

ـ المقنع في رسم مصاحف الأمصار، للإمام المقرئ أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق محمد الصادق قمحاوي، ط١، (١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر.

ـ مكارم الأخلاق، للإمام الحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت٣٦٠هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين، ط١، (١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ـ المكتفى في الوقف والابتدا، للإمام المقرئ أبي عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمرو الداني (ت٤٤٤هـ)، تحقيق محيي الدين عبد الرحمٰن رمضان، ط١، (١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م)، دار عمار، عمان، الأردن.

ـ الملل والنحل، للإمام المتكلم أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي، القاهرة، مصر.

ـ مناقب الشافعي، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق السيد أحمد صقر الحسيني، ط١، (١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م)، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.

- المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور، للإمام المؤرخ الحافظ تقي الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن الأزهر الصريفيني العراقي (ت٦٤١هـ)، تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، ط١، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- المنتخب من مسند عبد بن حميد، للإمام الحافظ أبي محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكشي (ت٢٤٩هـ)، تحقيق صبحي السامرائي ومحمود محمد خليل الصعيدي، ط١، (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، مكتبة السنة، القاهرة، مصر.
- منتخب نزهة الألباء فيما يروى عن الأدباء، للإمام قاضي القضاة المحدث الأديب عز الدين عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم ابن جماعة (ت٧٦٧هـ)، تحقيق محمود محمد العامودي، ط١، (٢٠١٥م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، للإمام الحافظ المؤرخ أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، ط١، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، لشيخ الإسلام محيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، ط٢، (١٣٩٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، للإمام المؤرخ جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي بن عبد الله المصري (ت٨٧٤هـ)، تحقيق محمد محمد أمين، طبع سنة (١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م)، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.
- المهمات في شرح الروضة والرافعي، للإمام الأصولي الفقيه جمال الدين أبي محمد عبد الرحيم بن الحسن بن علي الإسنوي (ت٧٧٢هـ)، تحقيق أحمد بن علي الدمياطي، ط١، (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب. دار ابن حزم، بيروت، لبنان.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للإمام المؤرخ تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي (ت٨٤٥هـ)، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الموضوعات الكبرى، المسمى: «الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة»، للإمام الفقيه المحدث نور الدين أبي الحسن ملا علي القاري بن سلطان الشهير بسملا علي القاري (ت١٠١٤هـ)، تحقيق محمد بن لطفي الصباغ، ط٢، (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان. دمشق، سورية.
- الموضوعات من الأحاديث المرفوعات، للإمام أبي الفرج عبد الرحمٰن بن علي ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق نور الدين بن شكري بن علي بوياجيلار، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، أضواء السلف، الرياض، السعودية.

- **الموطأ**، لإمام دار الهجرة أبي عبد الله **مالك بن أنس** بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت١٧٩هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع سنة (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، للإمام الحافظ أبي عبد الله **شمس الدين** محمد بن أحمد **الذهبي** (ت٧٤٨هـ)، تحقيق علي البجاوي، ط١، (١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م)، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- **النبراس شرح شرح العقائد**، لإمام المعقول محمد عبد العزيز **الفرهاري**، طبع سنة (١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م)، إستنبول، تركيا.
- **النجم الثاقب فيما لأولياء الله من المناقب**، للإمام الفقيه محمد بن أبي الفضل بن سعيد **بن صعد الأنصاري التلمساني** (ت٩٠١هـ)، صورة عن نسخة محفوظة ضمن مخطوطات مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء تحت الرقم (١٩١٠)، وجاء ضمن أربعة أجزاء في (٤١٠) ورقة.
- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، للإمام المؤرخ جمال الدين أبي المحاسن يوسف **بن تغري بردي** بن عبد الله المصري (ت٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، القاهرة، مصر.
- **نزهة الألباب في الألقاب**، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي **ابن حجر العسقلاني** (ت٨٥٢هـ)، تحقيق عبد العزيز السديري، ط١، (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.
- **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام**، للإمام المؤرخ صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر **ابن دقماق** العلائي (ت٨٠٩هـ)، تحقيق سمير طبارة، ط١، (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
- **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، للعلامة المؤرخ أبي الثناء محمود بن سعيد **مقديش الصفاقسي** (ت١٢٢٨هـ)، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، ط١، (١٩٨٨م)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- **النصيحة الذهبية لابن تيمية**، للإمام الحافظ **شمس الدين** أبي عبد الله محمد بن أحمد **الذهبي** (ت٧٤٨هـ)، وهي رسالة ملحقة بكتاب «زغل العلم والطلب»، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، مصر.
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، للإمام الأديب المؤرخ أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد **المقري** التلمساني (ت١٠٤١هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- **نكت الهميان في نكت العميان**، للأديب المؤرخ صلاح الدين خليل بن أيبك **الصفدي** (ت٧٦٤هـ)، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط١، (١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- النكت والعيون، للإمام القاضي المفسر أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب الماوردي البغدادي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.

- نهاية الأرب في فنون الأدب، للإمام الأديب شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم النويري البكري (ت٧٣٣هـ)، ط١، (١٤٢٣هـ)، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، مصر.

- نهاية الأقدام في علم الكلام، للإمام المتكلم أبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني (ت٥٤٨هـ)، تحقيق ألفرد جيوم، طبع سنة (١٩٣١م)، أكسفورد، إنكلترا.

- نهاية المرام في دراية الكلام، للإمام المتكلم خطيب الري ضياء الدين أبي القاسم عمر بن الحسين الطبري (ت٥٥٠هـ)، تحقيق عبد القادر محمد علي، ط١، (١٤٣٩هـ ـ ٢٠١٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

- نهاية المطلب في دراية المذهب، للإمام الفقيه الأصولي المتكلم إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت٤٧٨هـ)، تحقيق عبد العظيم الديب، ط١، (١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م)، دار المنهاج، جدة، السعودية.

- النهاية في غريب الحديث والأثر، للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير الشيباني الجزري (ت٦٠٦هـ)، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م)، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

- نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، للإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي (ت٣٢٠هـ)، تحقيق توفيق محمد التكلة، ط١، (١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م)، دار النوادر، دمشق، سورية.

- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، للإمام المؤرخ الأديب بهاء الدين أبي المحاسن يوسف بن رافع بن تيم ابن شداد الأسدي الموصلي (ت٦٣٢هـ)، تحقيق جمال الدين الشيال، ط٢، (١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م)، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر.

- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه، للإمام المفسر أبي محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القرطبي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق ثلة من طلاب الدراسات العليا بجامعة الشارقة، ط١، (١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م)، الناشر مجموعة بحوث الكتاب والسنة، جامعة الشارقة، الشارقة، الإمارات.

- همع الهوامع شرح جمع الجوامع، للإمام الحافظ جلال الدين أبي الفضل عبد الرحمٰن بن أبي بكر السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق أحمد شمس الدين، ط١، (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- الوافي بالوفيات، للأديب المؤرخ صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، ط١، (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م)، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، للإمام القاضي المؤرخ أبي العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان الإربلي (ت٦٨١هـ)، تحقيق إحسان عباس، ط١، (١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م)، دار صادر، بيروت، لبنان.
- الوفيات، للإمام الرحالة المؤرخ أبي العباس أحمد بن الحسين بن علي ابن قنفذ (ت٨١٠هـ)، تحقيق عادل نويهض، ط٤، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، للإمام الأديب أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، تحقيق مفيد محمد قمحية، ط١، (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

* * *

محتوى الجزء الأول

بين يدي الكتاب ١/ ٥

ترجمة الإمام محمد بن محمد ابن المعلم القرشي ١/ ٩

كلمة عن كتاب «نجم المهتدي ورجم المعتدي» ١/ ٢٤

منهج العمل في تحقيق الكتاب ١/ ٣٦

وصف النسختين الخطيتين ١/ ٤١

صور من النسختين الخطيتين ١/ ٤٥

نجم المهتدي ورجم المعتدي ١/ ٥١

خطبة الكتاب ١/ ٥٣

الداعي إلى تأليف الكتاب ١/ ٥٨

جهود الدولة الناصرية في كسر شوكة أهل البدع ١/ ٦٨

فصل: في الإشارة إلى المجلس الذي عقد لابن تيمية، وما كتبه المؤلف ناصحاً له ١/ ٧٠

الإشارة إلى ابن القيم تلميذ ابن تيمية في المعتقد ١/ ٧١

جواب المؤلف عن اعتراض بعضهم على تقريع ابن تيمية في هذا الكتاب .. ١/ ٧٣

سلف المؤلف في الرد على أهل البدع ١/ ٧٤

إفتاء جماعة من أئمة العصر على وجوب الرد على ابن تيمية في هذا التأليف ١/ ٧٦

شروع المؤلف في الرد على ابن تيمية ١/ ٧٧

مراتب إنزال القرآن ١/ ٨٠

الرد على ابن تيمية في فتياه المتعلقة بكلام الله ١/ ٨٤

منهج المؤلف إجمالاً في الكتاب، مع ذكر محتواه ١/ ١٤٠

الباب الأول

فيما يؤيد أهل السنة في التأويل من جهة النقل المأثور

من الكتاب والسنة الناطقة بالصواب ١/ ١٤٥

فصل: فيما ورد في الكتاب العزيز مما يحتاج فيه إلى التأويل ١/ ١٤٨

تأويل قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ ١/ ١٥١

تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ...﴾ ١/ ١٥٢

تأويل قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ ١/ ١٥٣

تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ ١/ ١٥٤

تأويل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ ١/ ١٥٥

تأويل قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ١/ ١٥٧

تأويل قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ ١/ ١٥٩

تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ...﴾ ١/ ١٥٩

معنى قوله عليه الصلاة والسلام: «من قال برأيه في القرآن فأصاب فقد أخطأ» .. ١/ ١٦٢

الحكمة من ورود المتشابه في القرآن والحديث ١/ ١٦٣

فصل: فيما ورد في السنة مما يحتاج فيه إلى التأويل ١/ ١٦٤

تأويل قوله عليه الصلاة والسلام: «والشر ليس إليك» ١/ ١٦٤

تأويل قوله عليه الصلاة والسلام: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» ١/ ١٦٤

تأويل قوله عليه الصلاة والسلام: «قلب المؤمن بين إصبعين من أصابع الرحمن» ١/ ١٦٥

تأويل قوله عليه الصلاة والسلام: «لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر» .. ١/ ١٦٦

تأويل قوله عليه الصلاة والسلام: «فإن على رأس مئة سنة...» ١/ ١٦٧

تأويل قوله عليه الصلاة والسلام: «الحجر الأسود يمين الله في الأرض» ١/ ١٦٩

تأويل قوله عليه الصلاة والسلام: «إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن» ١/ ١٧٠

فصل: في الاستدلال على التأويل من كلام سيد المرسلين ﷺ ١/ ١٧٢

فصل: في ذكر آيات وأحاديث نطق المخالف بتأويلها ١/ ١٧٥

الباب الثاني

فيما يعضد التأويل من أدلة العقل

١/ ١٧٩

الرد نقلاً وعقلاً على من استدل على تحريم علم الكلام بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ١/ ١٨٢

الرد على استدلال المخالف بقوله ﷺ: «اللهم؛ هل بلغت...» ١/ ١٨٥

الدليل النقلي والعقلي على كون الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم الكلام بغير عبارات المتكلمين ١/ ١٨٦

من استدل بالأدلة العقلية على وجود البارئ وصفاته لم يخرج عن الكتاب والسنة ١/ ١٨٩

فصل: في إثبات التأويل من خلال قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ .. ١/ ١٩٢

الحجة على إثبات التأويل من خلال ثلاثة مسالك ١/ ١٩٧

عود إلى الكلام على إثبات التأويل من خلال آية الاستواء ١/ ٢٠٠

التركيب مستحيل على الله تعالى لوجهين ١/ ٢٠٠

إلزام القول بالجسمية للقائلين بالجهة من غير تجسيم ١/ ٢٠١

فصل: نذكر فيه طريقةً ثانيةً في الاستدلال على التأويل في الآية المذكورة ١/ ٢٠٤

فصل: نذكر فيه طريقةً ثالثةً في الاستدلال ١/ ٢٠٥

الباب الثالث

فيمن قال بالتأويل وتكلم في تنزيه الرب الجليل من الصحابة والتابعين والعلماء الأولين على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم

١/ ٢٠٩

أنموذج من أشعار العرب من جنس المنقول محمولاً ظاهرها على المجاز ١/ ٢١٢

استغناء الصحابة عن الخوض في التأويل لما ركز في فطرهم وشاع فيها من معرفة الألفاظ ومدلولاتها ١/ ٢٢٢

الشروع في ذكر من أول أو خاض في علم الكلام من الصحابة الكرام ... ١/ ٢٢٣
الصحابي الجليل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ١/ ٢٢٤
الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١/ ٢٢٦
الصحابي الجليل عثمان بن عفان رضي الله عنه ١/ ٢٢٨
الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١/ ٢٣٠
الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ١/ ٢٣٥
الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ١/ ٢٣٨
الصحابية الجليلة عائشة رضي الله عنها ١/ ٢٣٩
الصحابي الجليل زيد بن ثابت بن الضحاك الخزرجي رضي الله عنه ١/ ٢٤٠
الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه ١/ ٢٤١
الصحابي الجليل أبو المنذر أبي بن كعب رضي الله عنه ١/ ٢٤٣
الصحابي الجليل معاذ بن جبل الخزرجي رضي الله عنه ١/ ٢٤٥
الصحابي الجليل أبو موسىٰ عبد الله بن قيس الأشعري رضي الله عنه ١/ ٢٤٦

الباب الرابع

فيمن رأى الخوض في علم الكلام والتأويل أو تكلم في العقائد من التابعين وتابعيهم

١/ ٢٤٧
التابعي الجليل سعيد بن جبير رضي الله عنه ١/ ٢٥٢
التابعي الجليل سعيد بن المسيب ١/ ٢٥٣
التابعي الجليل الحسن بن أبي الحسن البصري ١/ ٢٥٤
التابعي الجليل مجاهد بن جبر ١/ ٢٥٦
التابعي الجليل أبو البختري سعيد بن فيروز ١/ ٢٥٧
التابعي الجليل عمر بن عبد العزيز ١/ ٢٥٨
التابعي الجليل عامر بن شراحيل الشعبي ١/ ٢٥٩
التابعي الجليل التابعي الجليل ابن شهاب الزهري ١/ ٢٦٠

التابعي الجليل أبو الحسن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي
طالب رضي الله عنه ١/ ٢٦١
التابعي الجليل زيد بن علي بن الحسين ١/ ٢٦٣

الباب الخامس
في ذكر من تأول ومن تكلم في التنزيه وخاض في علم الكلام من الطبقة الثانية من التابعين وتابعيهم ١/ ٢٦٥

الإمام جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه ١/ ٢٦٧
الإمام أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي ١/ ٢٦٩
الإمام محمد بن إدريس الشافعي ١/ ٢٧١
توجيه ما ورد عن الشافعي من النهي عن علم الكلام ١/ ٢٧٧
الإمام أبو علي الحسين بن علي بن يزيد الكرابيسي ١/ ٢٨١
الإمام أبو العباس أحمد بن عمر بن سريج ١/ ٢٨٢
الإمام عبد الله بن سعيد التميمي ١/ ٢٨٣
الإمام الحسين بن الفضل البجلي ١/ ٢٨٤
الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه ١/ ٢٨٥
الإمام مسلم بن الحجاج القشيري رضي الله عنه ١/ ٢٨٧
الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ١/ ٢٨٨
قوة شوكة المبتدعة بعد هذه الطبقة وقبل ظهور إمام أهل السنة أبي الحسن
الأشعري ١/ ٢٩٠

الباب السادس
في ذكر من خاض في المعارف وذكر مضامها وافق معتقد أهل الحق من علماء الكلام ١/ ٢٩٥

الإمام أبو سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني ١/ ٢٩٨

الإمام عبد العزيز المكي ١/ ٢٩٩
الإمام أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي ١/ ٣٠٠
الإمام أبو الفيض ذو النون المصري ١/ ٣٠١
الإمام سري بن المغلس السقطي ١/ ٣٠٢
الإمام سهل بن عبد الله التستري ١/ ٣٠٣
الإمام أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازي الواعظ ١/ ٣٠٤
الإمام أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريري ١/ ٣٠٥
الإمام أبو الحسين أحمد بن محمد النوري ١/ ٣٠٨
الإمام أبو عبد الله عمرو بن عثمان المكي ١/ ٣٠٩
الإمام أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي ١/ ٣١٠
الإمام أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز ١/ ٣١١
الإمام أبو العباس أحمد بن محمد الأدمي ١/ ٣١٢
الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الخواص ١/ ٣١٣
الإمام أبو الحسن علي بن محمد الدينوري، المعروف بـ(ابن الصائغ) .. ١/ ٣١٤
الإمام أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين الأزدي النيسابوري السلمي ... ١/ ٣١٥

الباب السابع

في فضل الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله تعالى ١/ ٣١٧
فصل: في طريقة أبي الحسن الأشعري في الزهد والعبادة ١/ ٣٢٤
فصل: في طريقة أبي الحسن الأشعري في الخوض مع أهل البدع ١/ ٣٢٥
فصل: مما يدل على فضله كونه من خير القرون ١/ ٣٢٦
فصل: في ثناءات أساطين العلم على الإمام أبي الحسن الأشعري ونضالهم عنه ١/ ٣٢٨
الرسالة الأشعرية للإمام البيهقي في الثناء على أبي الحسن الأشعري والنضال عنه ١/ ٣٢٩

رسالة الإمام القشيري «شكاية أهل السنة بحكاية ما نالهم من المحنة» في الثناء على أبي الحسن الأشعري والنضال عنه ١/ ٣٣٢
خطوط الأئمة في مدح أبي الحسن الأشعري، وفي حكم من طعن فيه أو سبه ١/ ٣٣٧
ثناء الإمام أبي الحسن القابسي القيرواني ١/ ٣٣٩
ثناء الإمام ابن أبي زيد القيرواني ١/ ٣٤١
ثناء الإمام القاضي أبي المعالي شيذله ١/ ٣٤١
ثناء الإمام ضياء الدين أبي القاسم الرازي والد الفخر ١/ ٣٤١
فصل: ذكر مصنفات الإمام أبي الحسن الأشعري ١/ ٣٤٧
فصل: التمهيد لذكر الطبقات التي ذكرها ابن عساكر في «تبيينه» وما زاد عليه المؤلف في «النجم» ١/ ٣٥٠

الباب الثامن
في ذكر اتباع أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه وعنهم في معتقده ممن ذكرهم الحافظ ابن عساكر رضي الله عنه على ما قدمته وهم طبقات ١/ ٣٥٣

ذكر الطبقة الأولى من أصحاب أبي الحسن ١/ ٣٥٥
الإمام أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي رضي الله عنه ١/ ٣٥٦
الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن مجاهد الطائي ١/ ٣٦٣
الإمام أبو الحسن الباهلي البصري ١/ ٣٦٤
الإمام أبو جعفر محمد بن أحمد السلمي البغدادي النقاش ١/ ٣٦٨
الإمام أبو عبد الله محمد بن القاسم المعروف بـ (الشافعي) الأصفهاني .. ١/ ٣٧٠
الإمام أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الزهري المذكر ١/ ٣٧١
الإمام أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بـ (الأودني) ١/ ٣٧٢

الإمام أبو منصور محمد بن عبد الله بن حمشاذ النيسابوري ١/ ٣٧٣
الإمام أبو الحسين محمد بن أحمد يعرف بـ (ابن سمعون الواعظ) ١/ ٣٧٥
الإمام أبو عبد الرحمن محمد بن إسماعيل القطان الشروطي ١/ ٣٧٩
الإمام أبو علي زاهر بن أحمد بن محمد السرخسي ١/ ٣٨٠

ذكر الطبقة الثانية الذين صحبوا أصحاب أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه ١/ ٣٨١
الإمام أبو سعد إسماعيل بن أحمد الإسماعيلي الجرجاني ١/ ٣٨١
الإمام أبو الطيب سهل بن محمد بن سليمان العجلي ١/ ٣٨٤
الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأصبهاني ١/ ٣٨٩
الإمام أبو الحسن علي بن محمد ابن ميله، ومحمد يعرف بـ (ماشاذه) ١/ ٣٩٢
الإمام أبو طالب ابن المهتدي الهاشمي الدمشقي ١/ ٣٩٣
الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ ١/ ٣٩٤
الإمام أبو سعد بن أبي عثمان الخركوشي الزاهد ١/ ٣٩٨
الإمام أبو عمر محمد بن الحسين البسطامي ١/ ٤٠٠
الإمام أبو القاسم بن أبي عمرو البجلي البغدادي ١/ ٤٠٣
الإمام أبو معمر بن أبي سعد بن أبي بكر الجرجاني ١/ ٤٠٥
الإمام أبو حازم العبدويي النيسابوري الحافظ ١/ ٤٠٧
الإمام الحافظ أحمد بن عبد الله أبو نعيم الأصبهاني ١/ ٤٠٩
الإمام أبو حامد أحمد بن محمد ابن دلويه الأستوائي ١/ ٤١١
الإمام أبو علي ابن شاذان البغدادي ١/ ٤١٢

ذكر الطبقة الثالثة ممن لقي أصحاب أبي الحسن ١/ ٤١٤
الإمام أبو الحسن علي بن أحمد النعيمي البصري ١/ ٤١٥
الإمام أبو طاهر ابن خراشة الدمشقي ١/ ٤١٧
الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي ١/ ٤١٨
الإمام المسند أبو ذر عبد الله بن أحمد الهروي ١/ ٤٢٠

الإمام أبو بكر الدمشقي الزاهد ١/ ٤٢٢
الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف ابن حيويه الجويني ١/ ٤٢٣
الإمام أبو جعفر محمد بن أحمد ابن محمود السمناني ١/ ٤٢٦
الإمام أبو حاتم محمود بن الحسن الطبري ١/ ٤٢٧
الإمام أبو محمد بن اللبان ١/ ٤٢٨
ذكر الطبقة الرابعة من أتباع أبي الحسن ١/ ٤٣٣
الإمام أبو بكر البغدادي الحافظ المعروف بـ (الخطيب) ١/ ٤٣٣
الإمام أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري الأستوائي ١/ ٤٣٥
الإمام أبو إسحاق الشيرازي رضي الله عنه ١/ ٤٤٣
الإمام أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي ١/ ٤٥٣
الإمام أبو سعد إسماعيل بن أحمد النيسابوري، المعروف بـ (الكرماني) ١/ ٤٥٦
الإمام أبو الحسن السلمي الدمشقي ١/ ٤٥٧
الإمام أبو منصور محمود بن أحمد ابن ماشاذه الأصفهاني ١/ ٤٥٩
الإمام أبو الفتوح محمد بن الفضل ابن المعتمد الإسفرايني ١/ ٤٦٠
الإمام أبو الفتح نصر الله بن محمد الأشعري المصيصي ١/ ٤٦٢

الباب التاسع

في ذكر جماعة لم يذكرهم الحافظ ابن عساكر

١/ ٤٦٣
الإمام أبو القاسم إسماعيل بن عبد الملك الطوسي، المعروف بـ (الحاكمي) ١/ ٤٦٥
الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت ١/ ٤٦٧
الإمام أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي ١/ ٤٧٠
الإمام أبو عبد الله محمد بن علي التميمي المازري ١/ ٤٧١
الإمام أبو العباس أحمد بن محمد الصنهاجي، المعروف بـ (ابن العريف) ١/ ٤٧٢

الإمام أبو بكر محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ١/ ٤٧٤
الإمام أبو المعالي مجلي بن جميع بن نجا القرشي المخزومي الأرسوفي ١/ ٤٧٥
الإمام أبو القاسم عمر بن محمد المعروف بـ (ابن البزري) الشافعي الجزري ١/ ٤٧٦
الإمام أبو سعد عبد الكريم بن الإمام محمد بن أبي المظفر ١/ ٤٧٧
الإمام ضياء الدين أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله ابن عمويه السهروردي ١/ ٤٧٨
الإمام أبو منصور محمد بن أسعد الطوسي، المعروف بـ (حفدة) ١/ ٤٨٠
الإمام كمال الدين أبو الفضل محمد بن أبي محمد عبد الله ابن الشهرزوري ١/ ٤٨٢
الإمام سديد الدين محمد بن هبة الله السلماسي ١/ ٤٨٤
الإمام أبو طالب أحمد بن المسلم اللخمي التنوخي الإسكندري ١/ ٤٨٥
الإمام قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد النيسابوري الطريثيثي .. ١/ ٤٨٦
الإمام أبو الطاهر إسماعيل بن مكي ابن عوف الزهري الإسكندراني ١/ ٤٨٨
الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله الخثعمي السهيلي ١/ ٤٨٩
الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسين ابن الجباب التميمي ١/ ٤٩٠
الإمام أبو سعد عبد الله بن محمد ابن أبي عصرون التميمي الموصلي الدمشقي .. ١/ ٤٩١
الإمام أبو الحسين عبد الرحمن بن أبي عامر أحمد الأشعري القرطبي ... ١/ ٤٩٣
الإمام محيي الدين أبو حامد محمد بن محمد بن الشهرزوري ١/ ٤٩٤
الإمام أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان المعروف بـ (ابن أفضل الزمان) ١/ ٤٩٦
الإمام نجم الدين أبو البركات محمد بن الموفق الخبوشاني الصوفي ... ١/ ٤٩٧
الإمام أبو البركات هبة الله بن عبد المحسن الأنصاري ١/ ٥٠٠
الإمام محيي الدين أبو المعالي محمد بن أبي الحسن علي المعروف بـ (ابن زكي الدين) الدمشقي ١/ ٥٠١
الإمام رضي الدين أبو الخير أحمد بن إسماعيل الطالقاني القزويني ١/ ٥٠٢
الإمام أبو القاسم قاسم بن فيره الرعيني الأندلسي الشاطبي المقرئ ١/ ٥٠٤

الإمام أبو مدين شعيب بن الحسين ١/ ٥٠٥
الإمام أبو محمد عبد الرحيم بن أحمد بن حجون القنائي الحسيني ١/ ٥١٥
الإمام قاضي القضاة أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن اللخمي ١/ ٥١٨
الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن منصور المصري، المعروف بـ (العراقي) .. ١/ ٥١٩
الإمام شهاب الدين أبو الفتح محمد بن محمود الطوسي الشافعي ١/ ٥٢١
الإمام أبو المنصور ظافر بن الحسين الأزدي والأسدي الإسكندراني ... ١/ ٥٢٣
الإمام أبو الحسن علي بن خلف الكومي المحمودي اليشروسي التلمساني ١/ ٥٢٤
الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشي ١/ ٥٢٥
الإمام وحيد الدين محمد بن محمود المرورروذي الشافعي ١/ ٥٢٩
الإمام ركن الدين أبو الفضل بن محمد بن العراقي القزويني المعروف
بـ (الطاوسي) ١/ ٥٣٠
الفقيه أبو الحسن علي بن علي بن سعادة بن الجنيس الفارقي ١/ ٥٣١
الإمام أبو القاسم بن منصور الإسكندراني المعروف بـ (القباري) ١/ ٥٣٢
الإمام أبو القاسم عبد الملك بن عيسى ابن عبدوس الماراني الشافعي ... ١/ ٥٣٣
الإمام أبو منصور فتح بن محمد السعدي الدمياطي ١/ ٥٣٥
الإمام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي البكري ١/ ٥٣٧
الإمام مجد الدين أبو علي يحيى بن الربيع الواسطي الشافعي ١/ ٥٤٤
الإمام عماد الدين أبو حامد محمد بن يونس ابن منعة الشافعي ١/ ٥٤٥
الإمام شرف الدين أبو الحسن علي بن المفضل المقدسي اللخمي ١/ ٥٤٧
الإمام أبو القاسم عبد القاهر بن إبراهيم ابن مهران الجزري ١/ ٥٤٩
الإمام أبو الحسن علي ابن إسماعيل المعروف بـ (ابن الصباغ) ١/ ٥٥٠
الإمام تقي الدين أبو العز مظفر بن عبد الله، المعروف بـ (المقترح) ١/ ٥٥٤
الإمام جمال الدين أبو الحسن علي بن ظافر الأزدي العدل ١/ ٥٥٦
الإمام معين الدين أبو حامد محمد بن إبراهيم السهيلي الجاجرمي ١/ ٥٥٨

الإمام ركن الدين أبو حامد محمد بن محمد العميدي السمرقندي ١/ ٥٥٩
الإمام أبو العباس أحمد بن أبي بكر التجيبي الحرار، المعروف بـ(ابن الفصاد) ١/ ٥٦٠
الإمام ضياء الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد القرشي، المعروف
بـ(ابن الوراق) ١/ ٥٦١
الإمام جلال الدين أبو محمد عبد الله بن نجم بن شاس الجذامي السعدي . ١/ ٥٦٣
الإمام أبو علي الحسن بن عبد الله التونسي المعروف بـ(الطويل) ١/ ٥٦٤
الإمام نظام الدين أحمد بن محمود البخاري التاجري الحصيري ١/ ٥٦٥
الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن القاسم الجزولي العقيلي النويري،
المشهور بـ(الناطق) ١/ ٥٦٦
الإمام صدر الدين أبو الحسن محمد بن عمر الحمويي الجويني ١/ ٥٦٧
الإمام موفق الدين عقيل بن مهلب المهلبي البهنسي ١/ ٥٦٩
الإمام سديد الدين أبو علي الحسين بن عبد الوهاب ابن مهلب بن أبي صفرة ١/ ٥٧٠
الإمام أبو الفتوح برهان الدين ابن الحصري الحنبلي ١/ ٥٧١
الإمام تاج الدين أبو محمد عبد السلام بن علي الدمياطي المعروف
بـ(ابن الخراط) ١/ ٥٧٣
الإمام أمين الدين أبو الأسعد مظفر بن أبي الخير التبريزي الواراني ١/ ٥٧٤
الإمام أبو محمد عطاء الله بن منصور الإسكندراني المالكي ١/ ٥٧٥
الإمام فخر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الشيرازي الخبري ١/ ٥٧٦
الإمام أبو المحاسن يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي ١/ ٥٧٩
الإمام أبو أحمد وأبو جعفر بن عبد الله بن سيد بونه الخزاعي ١/ ٥٨٠
الإمام أبو حفص عمر بن أعز ابن عمويه، التيمي البكري السهروردي
البغدادي ١/ ٥٨٢
الإمام قاضي القضاة عماد الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد العلي،
المعروف بـ(ابن السكري) ١/ ٥٨٣

الإمام ثابت بن حسن اللخمي النحوي الإسكندري الكريوني ١/ ٥٨٥
الإمام شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عمر الأزدي الغساني، المعروف بـ (ابن اللهيب) ١/ ٥٨٦
الإمام سيف الدين أبو الحسين علي بن محمد الآمدي ١/ ٥٨٧
الإمام شهاب الدين أبو حفص عمر بن محمد ابن عمويه، التيمي البكري المعروف بـ (السهروردي) ١/ ٥٩٥
الإمام قاضي القضاة بهاء الدين أبو المحاسن يوسف الأسدي الموصلي، المعروف بـ (ابن شداد) ١/ ٥٩٧
الإمام جمال الدين أبو علي الحسين بن عتيق ابن رشيق، الربعي الإسكندراني ١/ ٥٩٨
الإمام جمال الدين أبو حفص عمر بن عبد الخالق القرشي ١/ ٥٩٩
الإمام العالم أبو الطاهر محمد ابن الحسين الأنصاري الجابري، المعروف بـ (المحلي) ١/ ٦٠١
الإمام شرف الدين أبو محمد عبد القادر بن محمد الشافعي، المعروف بـ (ابن البغدادي) ١/ ٦٠٦
الإمام أبو عبد الرحمن مرهف بن صارم الجذامي الشافعي السفطي ١/ ٦٠٧
الإمام أبو العباس أحمد بن سليمان القرشي البلبيسي، المعروف بـ (ابن كسا) ١/ ٦٠٨
الإمام أبو العباس أحمد بن علي القسطلاني المصري المالكي ١/ ٦١٠
الإمام جمال الدين أبو المحامد محمود البخاري التاجري المعروف بـ (الحصيري) ١/ ٦١٢
الإمام أبو علي حسان بن عبد الرحمن الجهني المهدوي الإسكندراني ... ١/ ٦١٣
الإمام سعيد الدولة أبو محمد عبد المعطي بن منصور بن نجا، المخيلي الإسكندراني ١/ ٦١٤

الإمام أبو محمد عبد الله بن إبراهيم العجيسي المتيجي ١/٦١٥
الإمام أبو الحسن علي بن إبراهيم القرشي المخزومي البوشي ١/٦١٦
الإمام شمس الدين أبو العباس أحمد بن الخليل بن سعادة الخويي ١/٦١٧
الإمام شرف الدين أبو البركات المبارك بن أحمد اللخمي، المعروف بـ
(ابن المستوفي) الإربلي ١/٦١٨
الإمام أبو محمد عبد المعطي بن محمود اللخمي الإسكندراني ١/٦٢٠
محتوى الجزء الأول ١/٦٢١

* * *

محتوى الجزء الثاني

الإمام شرف الدين أبو المكارم محمد بن عبد الله الصَّفراوي الإسكندراني .. ٢/ ٥

الإمام أبو محمد جعفر بن مكي بن علي بن سعيد بن هبة الله، البغدادي الحاجب ٢/ ٧

الإمام تاج الدين أبو العباس أحمد بن محمد الشَّريشي ٢/ ٨

الإمام كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونس ابن منعة الشافعي ٢/ ٩

الإمام محيي الدين أبو الحسن علي بن محمد القرميسيني ٢/ ١٢

الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف الأنصاري الأندلسي الإستجي ٢/ ١٣

الإمام أبو الوليد محمد بن أحمد التُّجيبي الأندلسي، المعروف بـ (ابن الحاج) ٢/ ١٤

الإمام أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحيم الأقصري ٢/ ١٥

الإمام بهاء الدين عبد العزيز بن الحسين المالكي ٢/ ١٧

الإمام أبو محمد عبد الله بن يوسف الفاسي المعدَّل ٢/ ١٨

الإمام أبو محمد عبد الله بن إبراهيم الهلالي الرِّيغي المالكي ٢/ ١٩

الإمام أفضل الدين أبو عبد الله محمد بن ناماور الخونجي ٢/ ٢٠

الإمام أبو عمرو بن الحاجب عثمان ابن يونس الدُّويني الإسكندراني ٢/ ٢١

الإمام أبو الحسن علي ابن غزي الدّمياطي المعروف بـ (ابن قفل) ٢/ ٢٢

الإمام رشيد الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد الوهاب المالكي ٢/ ٢٤

الإمام بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله ابن الجميزي اللخمي ٢/ ٢٥

الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين الأرموي، المعروف بـ (قاضي العسكر) ٢/ ٢٩

الإمام أبو العباس أحمد بن محمد العبدري القصري، المعروف بـ (الأشقر) ٢/ ٣٠
الإمام أبو محمد عبد الوهاب بن يوسف القصري، يعرف بـ (ابن رُشَيِّق) . . ٢/ ٣١
الإمام أبو بكر محمد بن عيسى الخزرجي الأندلسي المالقي ٢/ ٣٢
الإمام أبو موسى عيسى بن يخلف بن علي السندراني ٢/ ٣٤
الإمام شمس الدين أبو محمد عبد الحميد بن عيسى بن عمُّويه الخسروشاهي ٢/ ٣٥
الإمام أبو الفضل العباس بن خلف بن بكار الزناتي المغربي الفاسي ٢/ ٣٦
الإمام علم الدين أبو الطاهر إسماعيل بن السديد أبي إسحاق إبراهيم،
المعروف بـ (المنفلوطي) ٢/ ٣٧
الإمام مجد الدين أبو المجد بن علي الإخميمي الصوفي ٢/ ٣٨
الإمام برهان الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد المجيد، المعروف
بـ (ابن قراقيش) ٢/ ٤٠
الإمام أبو الطاهر إسماعيل بن عبد المجيد بن علاس المالكي ٢/ ٤١
الإمام شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلمي الأندلسي المرسي ٢/ ٤٢
الإمام أبو زكريا يحيى بن يليمان بن هادي السبتي المالكي ٢/ ٤٤
الإمام نجم الدين أبو محمد عبد الله بن محمد البغدادي البادرائي ٢/ ٤٧
الإمام عماد الدين أبو عمرو عثمان بن عمر المعلم ٢/ ٤٩
الإمام أبو الحسن علي بن عبد الله الشاذلي ٢/ ٥٢
الإمام أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، المعروف بـ (ابن المزين) ٢/ ٥٥
الإمام زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ٢/ ٥٧
الإمام أبو الحسين يحيى بن عبد الوهاب التنوخي، المنعوت بـ (التاج)
الإسكندري ٢/ ٥٩
الإمام شرف الدين أبو محمد عبد الله بن محمد الفهري التلمساني ٢/ ٦٠
الإمام ضياء الدين أبو محمد عبد الحكم بن زكي الدين ٢/ ٦٢
الإمام عز الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام السلمي ٢/ ٦٤

عقيدة العز بن عبد السلام في مسألة الكلام وهي المسماة: «الملحة في اعتقاد أهل الحق» ٢/ ٦٦
الإمام كمال الدين أبو الحسن علي بن شجاع العباسي ٢/ ٨٤
الإمام رشيد الدين أبو الحسين يحيى بن علي القرشي الأموي ٢/ ٨٦
الإمام كمال الدين أبو محمد عبد الغني بن علي البهنسي ٢/ ٩١
الإمام زين الدين أبو الفرج محمد بن علي الإسكندري المالكي ٢/ ٩٣
الإمام نجم الدين أبو نصر فتح بن موسى ابن عيسى الجزيري ٢/ ٩٦
الإمام بدر الدين أبو المحاسن يوسف بن الحسن السّنجاري ٢/ ٩٧
الإمام صدر الدين أبو منصور موهوب بن عمر الجزري، يعرف بـ(ابن الطبيب) ٢/ ٩٩
الإمام تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب بن خلف العلامي الشافعي، يعرف بـ(ابن بنت الأعز) ٢/ ١٠٠
الإمام تاج الدين أبو الحسن علي بن أحمد ابن القسطلاني ٢/ ١٠٦
الإمام شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل، المعروف بـ(ابن أبي شامة) ٢/ ١٠٨
الإمام أبو محمد عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندراني ٢/ ١١٥

الباب العاشر
في ذكر العلماء المعاصرين المؤيدين للحق الناصرين ٢/ ١١٧

الإمام مجد الدين أبو الحسن علي بن وهب ابن دقيق العيد المالكي ٢/ ١٢٠
الإمام نصير الدين أبو البركات المبارك بن يحيى ابن الطباخ ٢/ ١٢٢
الإمام تقي الدين أبو التقى صالح بن الحسين الجعفري الزينبي ٢/ ١٢٤
الإمام شرف الدين أبو حفص عمر بن عبد الله السبكي المالكي ٢/ ١٢٥
الإمام أبو الحسن علي بن أبي الفضل الهنتاتي المالكي ٢/ ١٢٧
الإمام كمال الدين أبو حفص عمر بن بندار التفليسي الشافعي ٢/ ١٣٠

الإمام سديد الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الكريم التزمنتي الشافعي ... ٢/ ١٣١
الإمام وجيه الدين أبو الطاهر إسماعيل بن محمد الأنصاري القيرواني المالكي ٢/ ١٣٢
الإمام برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد البوشي المالكي ٢/ ١٣٣
الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن ميكائيل الربعي الشافعي ٢/ ١٣٤
الإمام جلال الدين أحمد بن عبد الرحمن الدشنائي الشافعي ٢/ ١٣٥
الإمام عماد الدين أبو الحسن علي بن صالح ابن أبي عمامة ٢/ ١٣٨
الإمام عز الدين أبو محمد عبد الباقي بن عبد الرحمن الجابري الأنصاري ٢/ ١٤٠
الإمام نفيس الدين أبو البركات محمد بن هبة الله ابن شكر الدميري المالكي ٢/ ١٤٣
الإمام علم الدين محمد بن الحسين ابن رشيق الربعي المالكي ٢/ ١٤٤
الإمام صدر الدين عمر بن عبد الوهاب العلامي الشافعي ٢/ ١٤٦
الإمام عماد الدين عبد الرحيم بن هاشم العباسي الهاشمي الشافعي ٢/ ١٤٨
الإمام شمس الدين أحمد بن محمد ابن خلكان الشافعي ٢/ ١٥٠
الإمام صفي الدين الحسين بن جمال الدين ظافر الأزدي المالكي ٢/ ١٥٢
الإمام ظهير الدين جعفر بن يحيى التزمنتي الشافعي ٢/ ١٦١
الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان الهنتاتي التلمساني ٢/ ١٦٣
الإمام أبو القاسم بن أحمد ابن طولون المرايغي القرافي المالكي ٢/ ١٨٠
الإمام ناصر الدين أحمد ابن وجيه الدين منصور بن المنير السكندري ... ٢/ ١٨٣
الشيخ تقي الدين أبو علي الحسين بن عبد الرحيم ابن شاس السعدي ... ٢/ ١٩٠
الإمام عبد المؤمن بن إسماعيل الدهروطي البكري المالكي ٢/ ١٩٢
الإمام وجيه الدين أبو محمد عبد الوهاب بن سديد الدين المهلبي البهنسي الشافعي ٢/ ١٩٤
الإمام الأصولي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي المالكي ٢/ ١٩٨

الإمام المقرئ الأصولي النحوي علم الدين أحمد بن إبراهيم القمّني الشافعي ٢/ ٢٠١
الإمام الشريف شرف الدين محمد بن عمران الفاسي المالكي الشافعي .. ٢/ ٢٠٦
الإمام علم الدين عبد الله بن جمال الدين المدلجي ٢/ ٢١٢
الإمام أمين الدين عبد الصمد بن عبد الوهاب ابن عساكر الدمشقي المكي ٢/ ٢١٤
الإمام شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الحكم السعدي، المعروف بـ(ابن الماشطة) ٢/ ٢١٦
الإمام قطب الدين أبو بكر محمد بن أحمد القسطلاني ٢/ ٢١٨
الإمام ظهير الدين يحيى بن عبد المنعم البهنسي الشافعي ٢/ ٢٢٠
الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمود العجلي الأصفهاني الشافعي .. ٢/ ٢٢٢
الإمام كمال الدين أبو محمد عبد الغني بن السديد جعفر ابن سمرة الأنصاري .. ٢/ ٢٢٦
الإمام أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن سعيد الدميري الشافعي ٢/ ٢٢٨
الإمام تقي الدين أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الوهاب العلامي الشافعي ٢/ ٢٣٣
الإمام ضياء الدين جعفر بن محمد ابن حجّون الحسيني القنائي الشافعي ٢/ ٢٣٩
الإمام بهاء الدين هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل العذري القفطي الشافعي ٢/ ٢٤١
الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد بن علي المرجاني القرشي التونسي المالكي ٢/ ٢٤٣
عقيدة الإمام المرجاني ٢/ ٢٤٧
الإمام تقي الدين محمد بن علي ابن دقيق العيد المالكي الشافعي ٢/ ٢٥٣
عقيدة الإمام تقي الدين ابن دقيق العيد ٢/ ٢٥٧
رسالة الإمام ابن دقيق العيد إلى نوّابه في القضاء ٢/ ٢٦٣
الإمام الصالح عبد العلي المغربي المالكي ٢/ ٢٧٣
الإمام علاء الدين أبو الحسن علي بن أبي القاسم عبد الرحمن الحسيني الحنفي ٢/ ٢٧٥
الإمام علم الدين أبو محمد عبد الكريم بن علي الأنصاري الأوسي الشافعي، المعروف بـ(ابن بنت العراقي) ٢/ ٢٧٨

الإمام زين الدين أبو العباس أحمد بن محمد ابن حنّا الشافعي ٢/ ٢٨٢
الإمام أبو فارس عبد العزيز ابن أبي الأفراح سرور المنوفي الإسكندراني ٢/ ٢٨٦
الإمام أبو علي عمر بن عبد الحميد القيرواني المالكي ٢/ ٢٩٠
فصل: في ذكر بعض الأساطين الذين قاموا على ابن تيمية بسبب فتياه الفاتنة ٢/ ٢٩٣
الإمام أبو الحسن علي بن مخلوف بن ناهض النويري المالكي ٢/ ٢٩٣
الإمام بدر الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ابن جماعة الكناني الشافعي ٢/ ٢٩٥
الإمام شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم السروجي الحنفي ٢/ ٢٩٦
الإمام نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد ابن الرفعة الشافعي ٢/ ٢٩٧
الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الجزري المقرئ الشافعي ٢/ ٣٠٠
الإمام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عبد الله الجزري الشافعي ٢/ ٣٠١
الإمام بهاء الدين أبو العباس أحمد بن العباس ابن أبي المنصور المالكي ٢/ ٣٠١
خاتمة: فيها وصف عامّ بديع للمترجمين السابقين ٢/ ٣٠٤

الباب الحادي عشر
في الطعن على رواة أحاديث مناكير وتجريح رجالهم بشهادة العلماء المشاهير

٢/ ٣٠٧
حكم الأحاديث الواقع في سندها رجال متفق على تضعيفهم أو مختلف فيه ٢/ ٣٠٩
حكم الأحاديث التي خالفت العقل والتنزيه من جميع وجوهه ٢/ ٣١١
كيف أسقطتم الأحاديث التي رواها الثقات لمجرّد مخالفتها العقل؟! ... ٢/ ٣١٣
حكم الأحاديث التي خالفت العقل واحتمل تأويلها ٢/ ٣١٥
لا يشتغل بالتأويل إلا بعد صحة المتن والسند ٢/ ٣١٥
نماذج من الأحاديث السقيمة التي أوردوها في باب الاعتقاد ٢/ ٣١٩
حكم حديث: «منه بدأ وإليه يعود» ٢/ ٣١٩

حكم أحاديث واردة في تكفير من قال بخلق القرآن ٢/ ٣١٩
حكم حديث: «إنّ الله قرأ (طه) و(يسّ) قبل خلق آدم بألف عام» ٢/ ٣٢٠
نقل نموذج من كلام ابن المفضل المقدسي في ردّ أحاديث واردة في باب الصوت ٢/ ٣٢١
كلام ابن المفضل في حديث: «يحشر الله الناس يوم القيامة، فيناديهم بصوت...» ٢/ ٣٢٣
حكم حديث: «من ها هنا عرج ربك إلى السماء» ٢/ ٣٢٨
حكم حديث التاج ٢/ ٣٢٨
حكم الحديث الوارد في تفسير المقام المحمود ٢/ ٣٢٩
حكم حديث: «يأخذ السماوات بيمينه والأرضين بشماله» ٢/ ٣٣٠
حكم الحديث الوارد فيه: أنّ الكرسي بين يدي العرش، وهو موضع قدميه ٢/ ٣٣٢
حكم الحديث الوارد فيه: أنّ الربّ استلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى ٢/ ٣٣٥
حكم حديث: «لا شخص أغير من الله» ٢/ ٣٣٧
فصل: هذا فصل أذكر فيه أحاديث أوردها الدارقطني في كتاب «الرؤيا والصفات» ٢/ ٣٣٨

الباب الثاني عشر
جواب السائل على مذهب أهل الحق

٢/ ٣٥١
الاختلاف في إطلاق الكلام عند النحاة ٢/ ٣٥٣
تفسير الكلام عند أهل السنّة ٢/ ٣٥٥
الأدلّة النقلية على إثبات الكلام النفسي ٢/ ٣٥٧
الأدلة العقلية على إثبات الكلام النفسي ٢/ ٣٥٧
فصل: في أنّ كلام الله قديم قائم بذاته، والأصوات والحروف دلالات عليه ٢/ ٣٦١

الدليل على أنّ الكلام الواحد يتصوّر أن يكون أمراً ونهياً وغيرهما ٢/ ٣٦١
قد يفهم من الأمر الواحد أمور متعدّدة من غير تقدّم مواضعة ٢/ ٣٦٢
كلام الله يسمع من غير واسطة الحرف والصوت ٢/ ٣٦٣
رؤية الله عند أهل السنّة من غير تقليب حدقة ولا انبثاث أشعّة ٢/ ٣٦٣
قاعدة: في أنّ القراءة غير المقروء والتلاوة غير المتلوّ عند أهل السنة ... ٢/ ٣٦٤
أوجه الفرق بين القراءة والمقروء ٢/ ٣٦٤
فصل: في إثبات الكلام النفساني بمثال توضيحي ٢/ ٣٦٦
فصل: في ذكر كلام مؤيد لمسألة الكلام النفساني، منقول عن إمام الحرمين .. ٢/ ٣٦٩
فصل: في الاستدلال على الكلام النفساني بغير ما سبق ٢/ ٣٧١
فصل: في أنّ كلام الله صفة قديمة قائمة به لا تفارقه ٢/ ٣٧٢
تلخيص جوابي السائل الأول والثاني ٢/ ٣٧٣
خاتمة: فيها نقولات عن السّادة الصوفية متعلّقة بمسألة الكلام ٢/ ٣٧٣
الجواب عن السؤال الثالث المتعلّق بمسألة الاستواء ٢/ ٣٧٤
خاتمة: في ذكر جمل وردت عن العلماء والمشايخ تؤيد عقيدة أهل السنّة ٢/ ٣٨١
عود إلى السؤال السابق ٢/ ٣٨٣

الباب الثالث عشر
الإشارة المفهمة إلى تأويل الظواهر الموهمة ٢/ ٣٨٧

ما الحكمة في التعبير بالمتشابه الموهم؟ ٢/ ٣٨٩
نماذج لظواهر من القرآن والسنّة تفنّن العلماء في تأويلها ٢/ ٣٩٣
تأويل ما ورد في إثبات اليد واليدين والأيدي ٢/ ٣٩٣
تأويل ما ورد في إثبات السّاق ٢/ ٣٩٦
تأويل ما ورد في إثبات الجنب والقدم والرجل ٢/ ٣٩٨
تأويل ما ورد في إثبات العين ٢/ ٣٩٩

تأويل ما ورد في إثبات الوجه ٢/ ٤٠٠
تأويل ما ورد في إثبات الصورة ٢/ ٤٠٢
تأويل ما ورد في إثبات النفس ٢/ ٤٠٥
تأويل ما ورد في إثبات الشخص ٢/ ٤٠٦
تأويل ما ورد في إثبات الروح ٢/ ٤٠٦
تأويل ما ورد في إثبات الدنوّ والتدلّي ٢/ ٤٠٦

الباب الرابع عشر

مايؤدي إليه مذهبهم في الفتاوى الأربع التي أفتوا فيها ٢/ ٤٠٩
عقيدة لبعض المشبّهة القائلين بالحرف والصوت ٢/ ٤١٣
فصل: في بيان أقسام المشبّهة المعتقدين الظاهر من قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ ٢/ ٤١٥
بيان أقسام المشبّهة القائلين بظواهر الكتاب والسنة ٢/ ٤٢٠

الباب الخامس عشر

فتيا العلماء ممن تقدم من الزمان إلى زمان المؤلف ٢/ ٤٢٧
نصوص عن السلف والخلف في حكم أهل البدع المكفّرة ٢/ ٤٢٩
فتوى الأئمّة التي أوردها ابن عساكر فيمن كفّر الأشعرية ولعنهم ٢/ ٤٣٣
فتوى الإمام الدامغاني ٢/ ٤٣٣
فتوى الإمام أبي إسحاق الشيرازي ٢/ ٤٣٣
فتوى الإمام الشاشي ٢/ ٤٣٤
فتوى ثانية للإمام أبي إسحاق الشيرازي ٢/ ٤٣٤
فتوى أخرى مفصّلة للإمام الشاشي في المسألة ٢/ ٤٣٥
فتوى الإمام أبي علي الحسن بن عطاء ٢/ ٤٣٩

فتوى مفصّلة للإمام أبي الطاهر إسماعيل بن عبد الملك الحاكمي،
وفيها مسائل: ٢/ ٤٤٢
المسألة الأولى: هل أصوات الآدميين حادثة أو قديمة؟ ٢/ ٤٤٣
المسألة الثانية: هل صوت الآدمي في القراءة حادث أو لا؟ ٢/ ٤٤٧
المسألة الثالثة: هل الكلام مخلوق أم لا؟ ٢/ ٤٤٩
المسألة الرابعة: هل إيمان العباد بالله ورسوله قديم أو حادث؟ ٢/ ٤٥٣
المسألة الخامسة: ما حكم من يعتقد قدم أصوات الآدميين والقراءة؟ ... ٢/ ٤٥٥
المسألة السادسة: ما حكم من يكفّر معتقد حدوث الحروف والأصوات؟ ٢/ ٤٥٧
المسألة السابعة: ما حكم من يعتقد أنّ الله تعالى له صورة لا كالصّور؟ .. ٢/ ٤٥٧
المسألة الثامنة: ما حكم من يعتقد أنّ صوت القارئ هو صوت الله تعالى؟ ٢/ ٤٥٩
المسألة التاسعة: الجواب عمّا نسب إلى الإمام أبي حنيفة من القول بقدم
الحروف ٢/ ٤٦٠
فتوى الإمام أبي محمد عبد الله بن التبّان المالكي ٢/ ٤٦٢
فتاوى منقولة من خطوط بعض الأئمة فيمن اعتقد الحرف والصوت لله
تعالى وغير ذلك ٢/ ٤٦٦
فتوى الإمام محمد الطوسي ٢/ ٤٦٧
فتوى الإمام يوسف الأرموي ٢/ ٤٦٧
فتوى الإمام محمد بن إبراهيم الحموي ابن جماعة ٢/ ٤٦٨
فتوى الإمام أبي المنصور ظافر بن الحسين الأزدي ٢/ ٤٦٨
فتوى الإمام أبي إسحاق العراقي ٢/ ٤٦٩
صورة أخرى لفتوى الإمام ابن جماعة ٢/ ٤٦٩
فتوى الإمام جمال الدين ابن رشيق ٢/ ٤٦٩
فتوى الإمام فخر الدين محمد الفارسي ٢/ ٤٧٠
فتوى الإمام العزّ بن عبد السلام ٢/ ٤٧١

فتوى الإمام أبي عمرو ابن الحاجب ٢/ ٤٧٢
فتوى الإمام علم الدين أبي الحسن السخاوي ٢/ ٤٧٣
الفتاوى في ابن تيمية بعضها انتهى إلى التصنيف الكامل، وبعضها تجاوز الأوراق الكثيرة ٢/ ٤٧٥
فتوى الإمام محمد بن عبد الجبار القيرواني في حقّ ابن تيمية ٢/ ٤٧٥

الباب السادس عشر
في التحذير من فتنهم، والإنكار على سالك سننهم، وفيه فصول

٢/ ٤٧٩
الفصل الأول: فيما ورد عن سيدنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ٢/ ٤٨١
الفصل الثاني: فيما ورد في ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم ٢/ ٤٨٣
الفصل الثالث: فيما جاء من ذلك عن التابعين والصلحاء ٢/ ٤٨٥
هل يعتبر التقشّف وكثرة العبادة من أصحاب البدع؟ ٢/ ٤٨٦
السبب في ظهور الخوارق على يد بعض المبتدعة ٢/ ٤٨٧
الفصل الرابع: في ذكر تواريخ تنبّه من وقف عليها من بعد على مقاصدهم، وتظهر له الكامن من مكايدهم ٢/ ٤٩٠
مكيدة وفتنة المبتدعة زمن الإمام أبي القاسم القشيري ٢/ ٤٩١
مكيدة وفتنة المبتدعة زمن الإمام أبي نصر القشيري ٢/ ٤٩٦
مكيدة وفتنة المبتدعة زمن الإمام فخر الدين الرازي ٢/ ٤٩٦
مكيدة وفتنة المبتدعة زمن الوزير نظام الملك مسعود بن علي ٢/ ٤٩٨
فتنة ثانية زمن الإمام فخر الدين الرازي ٢/ ٤٩٩
مكيدة وفتنة المبتدعة زمن العزّ بن عبد السلام ٢/ ٥٠٠
الفصل الخامس: في بيان تحذير وذكر تذكير بوقائع دلت التواريخ عليها، وهدت العبرة إليها ٢/ ٥٢٠
نماذج من شؤم المشبّهة على البلاد التي حلّوا بها ٢/ ٥٢٠

تنبيه: في سبب تسمية جبل قاسيون بـ (جبل الصالحية) ٢/ ٥٢٢
تنبيه ثان: في سبب تسمية القائلين بالحرف والصوت بـ (الحشوية) ٢/ ٥٢٣
رأي المؤلّف في سبب تسميتهم بـ (الحشوية) ٢/ ٥٢٣
تنبيه ثالث: في التحقّق من نسبة بعض الأثرية المبتدعة لبعض الأئمة القول
بخلق القرآن ٢/ ٥٢٤
الفصل السادس: في ذكر ما عاملهم به ولاة الأمور في سالف الدهور؛
ليقوم إجراؤه على المستمعين مقام رأي العين ٢/ ٥٢٦
ذكر ما عامل به الملك الناصر ابن تيمية ومن لفّ لفّه ٢/ ٥٢٦
المرسوم السلطاني الذي صدر في حقّ ابن تيمية والحنابلة ٢/ ٥٣٠
ذكر ما عامل به الخليفة الراضي البربهاري وأصحابه ٢/ ٥٣٤
ما عامل به علاء الدين تكش الحنابلة وشيخهم عندما هدموا جامع أهل
السنّة الذي بناه الوزير نظام الملك ٢/ ٥٣٦
ما عامل به الملك الكامل الحنابلة الذين أضروا بالعز بن عبد السلام ٢/ ٥٣٦
عود إلى ذكر ابن تيمية ومراجعته في التوبة ٢/ ٥٣٨
نصّ توبة ابن تيمية ٢/ ٥٣٩
صور رسوم شهادات العلماء في اعتراف ابن تيمية وتوبته ٢/ ٥٤١

* * *

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية ٢/ ٥٤٥

فهرس أطراف الأحاديث والآثار ٢/ ٥٦٠

فهرس الأعلام المترجمين في الكتاب ٢/ ٥٧٠

فهرس الأشعار والأرجاز ٢/ ٥٨١

ملحق الأشعار والأرجاز ٢/ ٥٩٢

فهرس أسماء الكتب التي ذكرها المصنف ٢/ ٥٩٣

فهرس أهم مصادر ومراجع التحقيق ٢/ ٦٠٩

محتوى الجزء الأول ٢/ ٦٤٥

محتوى الجزء الثاني ٢/ ٦٥٩

* * *